

﴿ فهرست الجزء الخامس من البحر المحيط لابي حيان رحمه الله ﴾

صحيحة

- ٤ الكلام على قوله تعالى براءة من الله ورسوله الآية
- ٦ حج سيدنا أبي بكر والأذان ببراءة الله ورسوله من المشركين
- ٩ الاذن في قتل المشركين بعد انسلاخ الأشهر الحرم
- ١١ الكلام على قوله وان أحدم من المشركين استجارك فأجره وأحكامه هي أم منسوخة
- ١٥ في تفسير قوله ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم الآية
- ١٦ الكلام على قوله قاتلوهم يعذبهم الله الآية
- ٢٠ تفسير وسبب نزول قوله أ جعلتم سقاية الحاج الآية
- ٢٣ الكلام على قوله لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين
- ٢٦ قصيدة زهير بن صرد التي يرجو بهار رسول الله في رد مال وأسارى هو ازن
- ٢٧ الكلام على قوله انما المشركون نجس
- ٢٩ الكلام على قوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله الآية
- ٣١ في تفسير قوله وقالت اليهود عزير الآية
- ٣٥ الكلام على قوله يا أيها الذين آمنوا ان كثير من الأتباع والرهبان الآية
- ٣٧ الكلام على قوله ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا الآية
- ٣٩ الكلام على قوله انما النسيء زيادة في الكفر
- ٤١ الكلام على قوله يا أيها الذين آمنوا مالكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم الآية
- ٤٥ الكلام على قوله لو كان عرضا قريبا الآية
- ٤٧ الكلام على قوله عفا الله عنك الآية
- ٤٨ الكلام على قوله ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة الآية
- ٤٩ سبب نزول وتفسير قوله ولو أرادوا الخروج الآية
- ٥٣ تفسير قوله فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم الآية
- ٥٤ تفسير قوله لو يجدون ملجأ الآية
- ٥٧ في تفسير قوله انما الصدقات للفقراء الآية وشرح الاصناف الثمانية والكلام على المؤلفه
- قلوبهم والقدر الذي يكون به الانسان غنيا
- ٦٢ سبب نزول وتفسير قوله ومنهم الذين يؤذون النبي الآية
- ٦٤ في تفسير قوله ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله الآية وما يتعلق بهامن الاعراب
- ٦٥ في تفسير قوله يحذر المنافقون الآية
- ٦٨ في تفسير قوله كالذين من قبلكم الآية والكلام على قوله كالذي خاضوا من علم الاعراب
- ٧٢ في تفسير قوله يخلفون بالله ما قالوا الآية وعلى من يعود الضمير في يخلفون
- ٧٤ سبب نزول وتفسير قوله ومنهم من عاهد الله الآية
- ٧٥ في تفسير الذين يامزون الآية

- ٧٦ سبب نزول وتفسير قوله استغفر لهم أولا تستغفر لهم
- ٧٨ في تفسير قوله فرح المخلفون الآية
- ٨٥ في تفسير قوله ليس على الضعفاء الآية
- ٩٢ في تفسير قوله ومن حولكم من الأعراب الآية
- ٩٤ ذكر من نزلت فيهم وآخرون اعترفوا بذنوبهم الآية
- ٩٧ سبب نزول وتفسير قوله والذين اتحدوا مسجدا ضرازا الآية
- ١٠٠ في تفسير قوله أفمن أسس بنيانه الآية
- ١٠٢ في تفسير قوله ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم الآية
- ١٠٤ في تفسير قوله التائبون العابدون الآية
- ١٠٥ سبب نزول وتفسير قوله تعالى ما كان للنبي والذين آمنوا الآية
- ١٠٨ في تفسير قوله لقد تاب الله على النبي الآية
- ١١٢ في تفسير قوله ما كان لأهل المدينة الآية
- ١١٣ في تفسير قوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة الآية
- ١١٩ أول سورة يونس
- ١٢١ في تفسير قوله الر تلك الآيتين
- ١٢٥ في تفسير قوله تعالى هو الذي جعل الشمس ضياء الآية
- ١٣١ سبب نزول وتفسير قوله واذا اتلى عليهم آياتنا الآية
- ١٣٦ في تفسير قوله واذا أذقنا الناس رحمة من بعد ضراء الآية
- ١٣٧ في تفسير قوله هو الذي يسيركم الآية
- ١٤١ في تفسير قوله تعالى انما مثل الحياة الدنيا الآية
- ١٤٧ في تفسير قوله والذين كسبوا السيئات الآية
- ١٥١ في تفسير قوله تعالى و يوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا الآية وما يتعلق بهامن
الاعراب
- ١٥٧ في تفسير قوله تعالى وما كان هذا القرآن أن يفترى الآية
- ١٥٨ في تفسير قوله بل كذبوا بما لم يحيطوا بمعناه الآية
- ١٦٢ في تفسير و يوم نحشرهم كأن لم يلبثوا الآية وما يتعلق بهامن الاعراب
- ١٦٦ في تفسير قوله قل أرأيتم ان أنا لم عذابه الآية
- ١٦٨ في تفسير ويستنبئونك أحق هو الآية
- ١٧١ في تفسير قوله قل بفضل الله وبرحمته الآية
- ١٧٣ في تفسير قوله وما تكون في شأن الآية
- ١٧٥ في تفسير قوله ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم الآية
- ١٧٦ في تفسير قوله ولا يحزنك قولهم ان العزة لله الآيتين
- ١٧٨ في تفسير قوله واتل عليهم نبأ نوح الآية

- ١٨١ في تفسير قوله ثم بعثنا من بعدهم موسى الآيتين
- ١٨٢ في تفسير قوله تعالى قالوا أجبنا لتلفتنا الآيات
- ١٨٤ في تفسير قوله فما آمن موسى الاذرية من قومه الآيات
- ١٨٦ في تفسير قوله تعالى فما آمن موسى الاذرية الآيتين
- ١٨٨ في تفسير قوله وجاوزنا بني اسرائيل الآيات
- ١٩١ في تفسير قوله فان كنت في شك الآية وما المراد من الشك والخطاب لمن
- ١٩٢ في تفسير قوله فلولا كانت قرية الآية
- ١٩٣ في تفسير قوله تعالى ولو شاء ربك لآمن من في الأرض وسبب نزولها
- ١٩٥ في تفسير قوله قل يا أيها الناس ان كنتم في شك من ديني الآيات
- ١٩٨ أول سورة هود
- ٢٠٠ في تفسير قوله الر كتاب أحكمت الآيات
- ٢٠٢ سبب نزول وتفسير قوله ألا انهم يثنون صدورهم الآية
- ٢٠٤ في تفسير قوله تعالى وهو الذي خلق السموات والأرض الآيتين
- ٢٠٦ سبب نزول وتفسير قوله فلعلك بارك بعض ما يوحى اليك الآية
- ٢٠٨ تفسير قوله أم يقولون افتراه الآيتين
- ٢١٠ في تفسير قوله أفمن كان على بينة من ربه والاختلف في تفسير الشاهد
- ٢١٢ في تفسير قوله تعالى ومن أظلم ممن افترى الآيات والاختلف في لاجرم معنى واعرابا
- ٢١٤ كلام الملائكة من قوم سيدنا نوح عليه الصلاة والسلام معه حين دعاهم الى التوحيد وتكذيبهم إياه
- ٢١٥ رده عليهم
- ٢١٧ تمام رده عليهم مع التلطف في الخطاب
- ٢٢١ صنع سيدنا نوح عليه السلام السفينة وسخرية قومه منه حين ذلك وما يتعلق بذلك
- ٢٢٤ تفسير قوله وقال اركبوا فيها الآيات وما حصل من المحاورة بين سيدنا نوح وابنه ووصف الموج حين الركوب في السفينة
- ٢٢٨ في تفسير قوله وقيل يا أرض ابلعي ماءك الآيات وما حصل من السؤال والجواب في شأن ابن سيدنا نوح عليه الصلاة والسلام وما يتعلق بذلك
- ٢٣٣ إباء قوم سيدنا هود عليه الصلاة والسلام عن الايمان به وورده عليهم
- ٢٣٥ إهلاكهم ونجاة سيدنا هود ومن معه
- ٢٣٨ دعاء سيدنا صالح عليه الصلاة والسلام لقومه وتكذيبهم إياه
- ٢٤٠ إهلاكهم بالصيحة ونجاة سيدنا صالح ومن معه
- ٢٤١ محيى الملائكة لسيدنا ابراهيم بالبشرى وقصتهم معه
- ٢٤٦ محيى الرسل لسيدنا لوط عليه الصلاة والسلام وما فعله قومه معه لأجل الرسل بحسبونهم
- ضميوا فما كان يقوله لهم
- ٢٤٨ كلام الرسل مع سيدنا لوط واعلامهم إياه ان قومه موعدهم اهلاكهم الصبح وذكراهم اهلاكهم

بقلب مدائهم عليهم

- ٢٥٢ إرسال سيدنا شعيب عليه السلام الى قومه ووعظه لهم
- ٢٥٣ ردهم عليه واستنزاؤهم به ومآقاله لهم عليه الصلاة والسلام
- ٢٥٦ ذكر استضعافهم له ورده عليهم وذكر اهلاكمهم بالصيحة ونجاته ومن معه
- ٢٦٩ سبب نزول وتفسير قوله وأقم الصلاة الآيتين وذكر الاختلاف في طرفي النهار وزلف الليل
- ٢٧٥ أول سورة سيدنا يوسف عليه الصلاة والسلام
- ٢٧٦ تفسير قوله تعالى الآية وسبب نزول هذه السورة
- ٢٧٨ تفسير قوله تعالى نحن نقص عليك الآيات
- ٢٨٢ تفسير قوله لقد كان في يوسف الآيات
- ٢٨٤ طلب اخوة سيدنا يوسف من أبيهم أن يرسله معهم ومآقاله لهم أبوهم
- ٢٨٧ ما فعلوه معه ومآقاله لأبيهم حين رجعوا وأخذوا السيارته
- ٢٩١ شراؤه بثمن بخس وذكر ما اشترى به تحديدا
- ٢٩٣ مرأودة امرأة العزيز له وما يتعلق بها
- ٢٩٦ استباقهم الباب ورمياله بأنذارها سوأورده عليها واستدعاؤه شاهدا من أهلها فشهد عليها وما يتعلق بذلك
- ٣٠١ ما فعلته امرأة العزيز مع النسوة اللاتي كن يعاملن في حبه ومآقلنه حين رأى سيدنا يوسف
- ٣٠٨ مآقصه عليه الفتيان اللذان كانا معه في السجن من الرؤيا
- ٣٠٩ مآقاله لهم عقب ذلك
- ٣١١ تفسيره لهما الرؤيا
- ٣١٢ رؤيه الملك وطلبه من ملئه تفسيرها وما ردوا به عليه
- ٣١٤ مآقاله أحد الفتيين اللذين كانا معه في السجن وذهابه الى سيدنا يوسف وتفسيره له الرؤيا
- ٣١٦ استدعاء الملك له وامتناعه حتى تظهر براءته وظهورها بالفعل
- ٣٢٠ قصة سيدنا يوسف مع اخوته حين جاؤا للميرة
- ٣٢٢ اخبارهم والدم حين رجعوا بمنع الكيل منهم بسبب عدم وجود أخيه بنيامين واستدعائهم له من أبيهم ليسافر معهم ومآقاله لهم
- ٢٢٣ أخذ سيدنا يعقوب عليهم العهد حتى أعطاهم ووصيته لهم ومدح الله عليه الصلاة والسلام
- ٣٢٧ ما عمله سيدنا يوسف حين دخلوا عليه من تعريفه أخاه نفسه وجعله الصاع في رحله وما يتعلق بذلك
- ٣٣٢ تفتيش أوعيتهم لأجل الصاع واستخراجه من رحل أخيه وما يتعلق بذلك
- ٣٤١ تعارفهم واعترافهم بخطئهم ودعاؤه لهم وعدم عتبه عليهم وأمرهم بأن يذهبوا بقميصه لو الله وما يتعلق بذلك
- ٣٤٤ وجدان سيدنا يعقوب ريح القميص من مدة بعيدة ورد بصرد اليه حين جاء به البشير وما يتعلق بذلك

- ٣٤٧ دخول سيدنا يعقوب وأولاده جميعاً مصر وتأويل رؤيا سيدنا يوسف وما يتعلق بذلك
- ٣٥٢ في تفسير قوله تعالى قل هذه سبيلي الآيات والكلام على قوله حتى اذا استياس الرسل ووطنوا
أنهم قد كذبوا واشباع ذلك حق الاشباع
- ٣٥٦ أول سورة الرعد
- ٣٦١ في تفسير قوله تعالى وهو الذي مد الارض الآيات
- ٣٦٢ الكلام على قوله تعالى وفي الارض قطع متجاورات الآية
- ٣٦٨ الكلام على قوله تعالى الله يعلم ما تحمل كل أنثى الآيات
- ٣٧٣ الكلام على قوله عز وجل هو الذي يريكم البرق خوفاً وطمعاً الآيات
- ٣٨٠ الكلام على قوله أنزل من السماء ماء فسالت الآيات
- ٣٨٤ الكلام على قوله تعالى أفن يعلم أنما أنزل الآيات
- ٣٩١ الكلام على قوله ولو أن قرآننا سرت به الارض الآيات
- ٣٩٧ الكلام على قوله تعالى ولقد أرسلنا رسلاً الآيات
- ٤٠٢ أول سورة ابراهيم عليه الصلاة والسلام
- ٤٠٧ الكلام على قوله ألم يأتكم نبياً الذين من قبلكم الآيات
- ٤١٠ الكلام على قوله تعالى قالت لهم رسلكم ان نحن الا بشر مثلكم الآيات
- ٤١٥ تفسير قوله عز وجل ألم تر أن الله خلق السموات الآيتين
- ٤١٨ خطبة ابليس للملائكة في الآخرة
- ٤٢١ الكلام على قوله تعالى ألم تر كيف ضرب الله مثلاً الآيات
- ٤٢٥ الكلام على قوله تعالى قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة الآيات
- ٤٣٣ في تفسير قوله عز وجل ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن الآيات
- ٤٣٧ الكلام على قوله تعالى وقد مكروا مكروهم وعند الله مكروهم الآيات
- ٤٤١ أول سورة الحجر
- ٤٤٣ الكلام على قوله الر تلك آيات الكتاب الآيات ومناسبتهم لما قبلها واشباع الكلام على رب
- ٤٤٧ في تفسير قوله تعالى ولقد أرسلنا من قبلك الآيات
- ٤٥٠ الكلام على قوله والارض مددناها الآيات
- ٤٥٢ الكلام على قوله ولقد خلقنا الانسان الآيات
- ٤٥٦ في قوله تعالى ان المتقين في جنات وعيون الآيات
- ٤٥٨ قصة سيدنا ابراهيم مع الملائكة
- ٤٥٩ تمة قصة سيدنا ابراهيم مع بعض من قصة سيدنا لوط
- ٤٦١ تمام قصة سيدنا لوط مع قومه
- ٤٦٣ الكلام على أصحاب الحجر
- ٤٦٤ الكلام على قوله تعالى ولقد خلقنا السموات والارض الى آخر السورة
- ٤٧١ أول سورة النحل

- ٤٧٢ الكلام على قوله أتى أمر الله الآيات
 ٤٨١ الكلام على قوله تعالى أفمن يخلق كمن لا يخلق الآيات
 ٤٨٣ الكلام على قوله وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم الآيات
 ٤٨٧ في تفسير قوله وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم الآيات
 ٤٩٥ الكلام على قوله أولم يروا إلى ما خلق الله الآيات
 ٥٠٠ الكلام على قوله تعالى وقال الله لا تتخذوا الآيات
 ٥٠٥ الكلام على قوله تعالى ولو يؤاخذ الله الناس الآيات
 ٥٠٧ الكلام على قوله تعالى وإن لكم في الأنعام الآيات
 ٥١٣ الكلام على قوله تعالى والله خلقكم ثم يتوفاكم الآيات
 ٥١٨ الكلام على قوله تعالى ضرب الله مثلا عبدا مملوكا الآيات
 ٥٢٣ الكلام على قوله تعالى والله جعل لكم من بيوتكم سكنا الآيات
 ٥٢٥ الكلام على قوله تعالى ويوم نبعث من كل أمة شهيدا ثم لا يؤذن للذين كفروا الآيات
 ٥٢٩ في تفسير قوله تعالى إن الله يأمر بالعدل والإحسان الآيات
 ٥٣١ الكلام على تفسير قوله تعالى ولو شاء الله لجمعكم أمة واحدة الآيات
 ٥٣٤ الكلام على قوله تعالى فإذا قرأت القرآن الآيات
 ٥٣٧ الكلام على تفسير قوله تعالى إن الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله الآيات
 ٥٤١ في تفسير قوله عز وجل يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها الآيات
 ٥٤٤ الكلام على قوله تعالى ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب الآيات
 ٥٤٦ الكلام على قوله تعالى إن إبراهيم كان أمة قانتا الآيات
 ٥٤٩ الكلام على قوله تعالى ادع إلى سبيل ربك بالحكمة إلى آخر السورة

الجزء الخامس

✽ من التفسير الكبير المسمى بالبحر المحيط ✽

تأليف أوجد البلقاء المحققين وعمدة النحاة والمفسرين أثير الدين أبي عبد الله
محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي الغرناطي
الجياني الشهير بأبي حيان المولود سنة ٦٥٤ المتوفى
بالقاهرة سنة ٧٥٤ رحمه الله وبوأه دار رضاه آمين

وبهامشه تفسير ابن جليان ✽ أحدهما النهر الماد من البحر لأبي حيان أيضا ✽ وثانيهما
كتاب الدر اللقيط من البحر المحيط لتلميذ أبي حيان الامام تاج الدين أبي محمد أحمد بن عبد
القادر بن أحمد بن مكتوم القيسي الحنفي النحوي المولود سنة ٦٨٢ المتوفى سنة ٧٤٩
نور الله ضريحه ✽ مجموع لالنهر بصدر الصحيفة مفصلا بينه وبين الدر اللقيط بمجدول

طبع هذا الكتاب على نفقة سلطان المغرب الاقصى جلالة أمير المؤمنين وحاى حوزة الدين
فرع الشجرة النبوية وخلاصة السلالة الطاهرة العلوية سيدنا ومولانا
ابن السلطان مولاي الحسن ابن السلطان سيدى محمد خلد الله ملكه

بتوكيل الحاج محمد بن العباس بن شقرون خديم المقام العالى بالله الآن بشعر طنجة
ووكيل دولة المغرب الاقصى سابقا بمصر على يد نجله الحاج عبد السلام بن شقرون

✽ تنبيه ✽ لا يجوز لأحد أن يطبع أى كتاب من الكتب الثلاثة المذكورة وكل
من يطبع أى كتاب منها يكون مكافأ بابرار أصل قديم يثبت أنه طبع منه والا فيكون
مسؤولا عن التعويض قانونا

وخدمة الكتاب الله وأداء لبعض ما يجب قد بذلنا وسع الطاقة واحضرنأصولا معتقدة معولا
عليها مأثورة عن فحول علماء الغرب والشرق مقابلة على نسخ موثوق بها بالكتابة
الخدوية المصرية وعلى الله سبحانه التوكل وبه الاعانة

(الطبعة الاولى سنة ١٣٢٨ - ٥)

بنطبعة التبعاذه بيوامحافظه تبصر

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سورة التوبة مائة وثلاثون آية مدنية﴾

﴿سورة براءة﴾

براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين * فسيحوا في الأرض أربعة أشهر واعلموا
أنكم غير معجزي الله وأن الله مخزي الكافرين * وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج
الأكبر أن الله يرى من المشركين ورسوله فان تبتم فهو خير لكم وإن توليتم فاعلموا أنكم غير
معجزي الله وبشر الذين كفروا بعذاب أليم * إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم
يظاهروا عليكم أحدا فأتموا إليهم عهدهم إلى هدمهم إن الله يحب المتقين * فإذا انسلك الشهر الحرم
فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فان تابوا وأقاموا
الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم * وإن أحد من المشركين استجاركم فأجره
حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون * كيف يكون للمشركين عهد عند الله
وعند رسوله إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم إن الله يحب
المتقين * كيف وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلا ولادمة يرضونكم بأفواههم وتأبي قلوبهم
وأكثرهم فاسقون * اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا فصدوا عن سبيله إنهم ساءما كانوا يعملون * لا
يرقبون في مؤمن إلا ولادمة وأولئك هم المعتدون * فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاخوانكم
في الدين ونفصل الآيات لقوم يعلمون * وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم
فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون * ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم وهموا بإخراج
الرسول وهم بدؤكم أول مرة أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين * قاتلوهم يعذبهم

الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين * ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب
الله على من يشاء والله عليم حكيم * أم حسبتم أن تتركوا ولم يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا
من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة والله خير بما تعملون * ما كان للمشركين أن يعمروا
مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك حبطت أعمالهم وفي النار هم خالدون * انما يعمر
مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله فعسى أولئك أن
يكونوا من المهتدين * أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد
في سبيل الله لا يستون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين * الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في
سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون * يبشرهم ربهم برحمة منه
ورضوان وجنت لهم فيها نعيم مقيم * خالدون فيها أبدا ان الله عنده أجر عظيم * يأياها الذين آمنوا
لا تتخذوا آباءكم وأخوانكم أولياء ان استحبوا الكفر على الايمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم
الظالمون * قل ان كان آباؤكم وأبنائكم وأخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها
وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا
حتى يأئى الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين * لقد نصركم الله في موطن كثيرة ويوم حنين إذ
أعجبتكم كثيرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين * ثم أنزل
الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء
الكافرين * ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفور رحيم * يأياها الذين آمنوا انما
المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من
فضله ان شاء ان الله عليم حكيم * قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم
الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الدين أو توالى الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون
وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول
الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون * المرصد مفعول من رصير صدر قرب يكون مصدرا
وزمانا ومكانا * وقال عامر بن الطفيل

ولقد علمت وما إخالك ناسيا * أن المنيعة للفتى بالمرصد

الال الحلف والجوار ومنه قول أبي جهل

لال علينا واجب لا نضيعه * متين قواه غير منتكث الحبل

كانوا اذا تسامحوا وتحالفوا رفعوا به أصواتهم وشهروه من الال وهو الجوار وله أليل أى أنين
يرفع به صوته * وقيل القرابة * وأنشد أبو عبيدة على القرابة قول الشاعر

أفسد الناس خلوف خلفوا * قطعوا الال وأعراق الرحم

وظاهر البيت انه فى العهد ومن القرابة قول حسان

لعمرك ان لك من قریش * كالسقب من رأل النعام

وسميت إلا لانها عقدت ما لا يعقد الميثاق * وقيل من أل البرق لمع * وقال الأزهري الأليل البريق
يقال أل يؤل صفا ولمع * وقال القرطبي مأخوذ من الحدة ومنه الالة الحربة واذن مؤلة محددة فاذا
قيل للعهد والجوار والقرابة إل فغناه ان الاذن منصرف الى تلك الجهة التى يتحدد لها والعهد يسمى
إلا لصفائه ويجمع فى القلة الال وفى الكثرة الال وأصل جمع القلة أأل فسهلت الهمزة الساكنة

﴿ براءة من الله ورسوله ﴾ الآية هذه السورة مدنية كلها وقيل الا آيتان من آخرها فانهما نزلتا بمكة وهذا قول الجمهور ويقال برئت من فلان أبرأ براءة أي انقطعت بيننا العصمة ومنه برئت من الدين وارتفع براءة على الابتداء والخبر الى الذين عاهدتم ومن الله صفة مسوغة لجواز الابتداء بالكرة أو على اضرار مبتدا (٤) أي هذه براءة وقرأ عيسى بن عمر براءة بالنصب قال ابن عطية أي

التي هي فاء الكلمة فابدها ألفا وأدغمت اللام في اللام * الذمة العهد * وقال أبو عبيدة الامان * وقال الاصمعي كل ما يجب أن يحفظ ويحمى * أبي يابى منع قال

أبي الضيم والنعمان يخرق نابه * عليه فافضى والسيوف معاقله
وقال أبي الله الا عدله ووفاءه * فلا النكر معروف ولا العرف ضائع
ومجى مضارعه على فعل بفتح العين شاذ ومنه أبي اللحم لرجل من الصحابة * شفاه أزال سقمه *
العشيرة جماعة مجتمعة بسبب أو عقد أو وداد كعقد العشيرة * اقترف اكتسب * كسد الشئ كسادا
وكسودا بار ولم يكن له نفاق * الموطن الموقف والمقام قال الشاعر

وكم موطن لولاي طحت كما هوى * باجرامه من قلة النيق منهوى
ومثله الوطن * حنين واد بين مكة والطائف * وقيل واد الى جنب ذى المجاز * العيلة الفقير عال
يعيل افتقر قال

وما يدري الفقير متى غناه * وما يدري الغنى متى يعيل

الجزية ما أخذ من أهل الذمة على مقامهم في بلاد الاسلام سميت بذلك لانهم يجزونها أي يقضونها أو لانها تجزى بها من من عليهم بالاعفاء عن القتل * المضاهاة المماثلة والمحاكاة وثقيف تقول المضاهاة بالهمز وقد ضاهأت فادتها مخالفة للتي قبلها الا ان كان ضاهت يدعي ان أصلها الهمز كقولهم في توضأت وقرأت وأخطأت توضيت وقريت وأخطيت فيمكن وأما ضاهيا بالهمز مقصورا فهمزته زائدة كهمزة عرفت أو ممدودا فهمزته للتأنيث زائدة أو ممدودا بعد هاء التأنيث حكاه البحرى عن أبي عمر والشيباني في النوادر قال جمع بين علامتي تأنيث ومدلول هذه اللفظة في ثلاث لغاتها المرأة التي لا تحيض أو التي لا تدى لها شابهت بذلك الرجال فنزع من المضاهاة مأخوذة من ضهياء فقوله خطأ لاختلاف المادتين لاصالة همزة المضاهاة وزيادة همزة ضهياء في لغاتها الثلاث * ﴿ براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين ﴾ فسيحوا في الارض أربعة أشهر واعلموا انكم غير معجزي الله وان الله مخزي الكافرين ﴿ هذه السورة مدنية كلها ﴾ وقيل الا آيتين من آخرها فانهما نزلتا بمكة وهذا قول الجمهور وذكر المفسرون لها اسما واختلافا في سبب ابتدائها بغير بسملة وخلافا عن الصحابة أي والانفال سورة واحدة أو سورتان ولا تعلق لممدول اللفظ بذلك فأخيلنا كتابنا منه ويطالع ذلك في كتب المفسرين ويقال برئت من فلان أبرأ براءة أي انقطعت بيننا العصمة ومنه برئت من الدين وارتفع براءة على الابتداء والخبر الى الذين عاهدتم ومن الله صفة مسوغة لجواز الابتداء بالكرة أو على اضرار مبتدا أي هذه براءة * وقرأ عيسى بن عمر براءة بالنصب * قال ابن عطية أي الزموا وفيه معنى الاغراء * وقال الزمخشري اسمعوا براءة الى الذين عاهدتم قال ابن اسحاق وغيره كانت العرب قد أوثقها رسول الله صلى الله عليه وسلم عهدا عاما على أن لا يصد أحد عن البيت الحرام ونحو هذا من الموادعات فنقص ذلك بهذه الآية وأجل لجمعهم أربعة أشهر فمن كان له مع رسول الله عهد خاص وبقي منه أقل من الاربعة أبلغ به تمامها ومن كان أمسه أكثر أتم له عهده وإذا كان ممن تحسب منه نقض العهد قصر على أربعة أشهر ومن لم يكن له عهد خاص فرضت له الاربعة يسبح في الارض أي يذهب فيها سوحا آمنًا وظاهر من المشركين العموم فدخل فيه مشركو قريش وغيرهم فسيحوا في الارض أمر اباحة وفي ضمنه تهديد وهو التفات من غيبة الى خطاب أي قل لهم ليسيحوا أو يقال ساح

سياحة وسوحا وسبحانا ومنه يسبح الماء وهو الجاري المنبسط قال ابن عباس أول الاشهر شوال حين نزلت الآية وانقضائها انقضاء المحرم بعد يوم الاذان بخمسين فكان أجل من له عهد أربعة أشهر من يوم النزول وأجل سائر المشركين خمسون ليلة من يوم الاذان ﴿ غير معجزي الله ﴾ أي لا تقوتونه وان أمهلكم وهو مخزيكم أي مذلكم في الدنيا بالقتل والاسر والنهب وفي الآخرة بالعذاب

الله تعالى النبذ اليهم فحطط المسامون بما تجدد من ذلك فقبل لهم اعاموا ان الله تعالى ورسوله قد
برئنا ما عاهدتم به المشركين * وقال ابن عطية لما كان عهد الرسول صلى الله عليه وسلم لازما لجميع
أمة حسن أن يقول عاهدتم * وقال ابن اسحاق وغيره كانت العرب قد أوثقها رسول الله صلى الله
عليه وسلم عهدا عاما على أن لا يصد أحد عن البيت الحرام ونحو هذا من الموادعات فنقض ذلك بهذه
الآية وأحل لجميعهم أربعة أشهر فمن كان له مع الرسول عهد خاص وبقي منه أقل من الأربعة أبلغ به
تمامها ومن كان أمده أكثر أتم له عهده وإذا كان ممن يحتمس منه نقض العهد قصر على أربعة أشهر
ومن لم يكن له عهد خاص فرضت له الأربعة يسج في الأرض أي يذهب فيها مسرعا آمنا وظاهرا
لفظة من المشركين العموم فكل من عاهد المسامون داخل فيه من مشركي مكة وغيرهم *
وروي أنهم نكثوا لابن زهرة وكنانة فنبذ العهد إلى الناكثين * وقال مقاتل المراد بالمشركين
هنا ثلاث قبائل من العرب خزاعة وبنو مدج وبنو خزاعة * وقيل هذه الآية في أهل مكة وكان
الرسول صلى الله عليه وسلم صالح قريشا عام الحديبية على أن يضعوا الحرب عشر سنين يأمن فيها
الناس فدخلت خزاعة في عهد الرسول وبنو بكر بن عبد مناة في عهد قريش وكان لبني الدليل من
بني بكر دم عند خزاعة فاغتفوا الفرصة وغفلة خزاعة فخرج نوفل بن معاوية الدليل فحين أطاعه
من بني بكر وبيتوا خزاعة فاقتتلوا وأعانت قريش بني بكر بالسلاح وقوم أعانواهم بأنفسهم
فهزمت خزاعة إلى الحرم فكان ذلك نقضا لصلح الحديبية فخرج من خزاعة بديل بن ورقاء وعمرو
ابن سالم في ناس من قومهم فقدموا على الرسول صلى الله عليه وسلم مستغيثين وأنشدوه عمرو فقال

يا رب اني ناشد محمدا * حلف أئينا وأبييه الأتلا

كنت لنا أبا وكنا ولدا * ثم أساءنا ولم ننزع يدا

فانصر هذا الله نصر اعبدا * وادع عباد الله يأتوا مددا

فيهم رسول الله قد تجردا * أبيض مثل الشمس ينو صعدا

ان سيم خسفا وجهه تربدا * في فيلق كالبحر يجري مربدا

ان قريشا أخلفوا الموعدا * ونقضوا ميثاقك المؤكدا

وزعموا أن لست تدعو أحدا * وهم أذل وأقل عددا

هم يبتونا بالخطيم هجدا * وقتلونا ركة ما وسجدا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لانصرت ان لم أنصركم فتهجز الى مكة وفتحها سنة ثمان ثم خرج الى
غزوة تبوك وتخلف من تخلف من المنافقين وأرجفوا الأراجيف فجعل المشركون ينقضون
عهودهم فأمره الله تعالى بالقاء عهدهم اليهم وأذن في الحرب فسيحوا أمر اباحة وفي ضمنه تهديد
وهو التفات من غيبة إلى خطاب أي قل لهم سيحوا يقال ساح سياحة وسوحا وسيحانا ومنه سح الماء
وهو الجاري المنبسط * وقال طرفة

لو خفت هذا منك مانلتني * حتى ترى خيلا أمانى تسج

* قال ابن عباس والزهرى أول الشهر شوال حتى نزلت الآية وانقضواؤها انقضاء الحرم بعد يوم
الأذان بخمسين فكان أجل من له عهد أربعة أشهر من يوم النزل وأجل سائر المشركين خمسون
ليلة من يوم الأذان * وقال السدي وغيره أولها يوم الأذان وآخرها العشر من ربيع الآخر * وقيل
العشر من ذي القعدة إلى عشرين من شهر ربيع الأول لان الحج في تلك السنة كان في ذلك

﴿وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ قَرِئَ وَإِذْ بَكَسِرَ الْهَمْزَةِ وَسَكُونِ الدَّالِّ وَقَرِئَ أَنَّ اللَّهَ بَكَسِرَ الْهَمْزَةِ وَفَتْحِهَا فَالْفَتْحُ عَلَى تَقْدِيرِ بَانَ اللَّهُ وَالْكَسْرُ عَلَى اضْمَارِ الْقَوْلِ عَلَى مَذْهَبِ الْبَصَرِيِّينَ أَوْ لَانَ الْأَذَانِ فِي مَعْنَى الْقَوْلِ فَكَسَرَتْ عَلَى مَذْهَبِ الْكُوفِيِّينَ وَحَكَى أَبُو عَمْرٍو عَنْ أَهْلِ نَجْرَانَ أَنَّهُمْ يَقْرَأُونَ مِنَ اللَّهِ بَكَسِرِ النُّونِ عَلَى (٦) أَصْلِ التَّقَاءِ السَّاكِنِينَ وَاتِّبَاعاً لِكَسْرِ الْمِيمِ

﴿يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ﴾ وَالظَّاهِرُ أَنَّ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ يَوْمٌ وَاحِدٌ فَقَالَ عَمْرٍو جَاعَةٌ هُوَ يَوْمٌ عَرَفَةُ وَرَوَى مَرْفُوعاً إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ أَبُو مُوسَى وَجَاعَةٌ هُوَ يَوْمُ النُّحْرِ وَقِيلَ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَيَّامُ الْحَجِّ كُلِّهَا قَالَه سَفْيَانُ بْنُ عَيْنَةَ وَالَّذِي تَظَاهَرَتْ بِهِ الْأَحَادِيثُ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَذِنَ بِتِلْكَ الْآيَاتِ يَوْمَ عَرَفَةَ أَوْ خُطْبَةِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ثُمَّ رَأَى أَنَّهُ لَمْ يَعْمِ النَّاسَ بِالِاسْمَاعِ فَتَتَبَعَهُمُ بِالْأَذَانِ يَوْمَ النُّحْرِ وَفِي ذَلِكَ الْيَوْمِ بَعَثَ أَبُو بَكْرٍ مَنْ يَعِينُهُ بِهَا كَأَبِي هُرَيْرَةَ وَغَيْرِهِ وَتَتَبَعُوا بِهَا أَيْضاً أَسْوَاقَ الْعَرَبِ كُنْدَى الْحِجَازِ وَغَيْرِهِ وَبِذَلِكَ يَتَرَجَّحُ قَوْلُ سَفْيَانَ وَجَمَلُهُ بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ أَخْبَارُ بَثْبُوتِ الْبَرَاءَةِ وَجَمَلُهُ وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ أَخْبَارُ بَوْجُوبِ الْأَعْلَامِ بِمَائِثَةِ فَاغْتَرَقْنَا وَعَلَقْتُ الْبَرَاءَةَ بِالْمُعَاهِدِينَ لِأَنَّهَا مَخْتَصَةٌ بِهِمْ نَاكُثُهُمْ

الْوَقْتُ لِلنَّسِيِّ الَّذِي كَانَ فِيهِمْ ثُمَّ صَارَ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ فِي ذِي الْحِجَّةِ غَيْرَ مُعْجَزَى اللَّهِ لَا تَقْوَتُونَهُ وَأَنْ أَمَلَكُمْ وَهُوَ خَزَنَكُمْ أَيْ مَذْهَبَكُمْ فِي الدُّنْيَا بِالْقَتْلِ وَالْأَسْرِ وَالنَّهْبِ وَفِي الْآخِرَةِ بِالْعَذَابِ ﴿وَحَكَى أَبُو عَمْرٍو عَنْ أَهْلِ نَجْرَانَ أَنَّهُمْ يَقْرَأُونَ مِنَ اللَّهِ بَكَسِرِ النُّونِ عَلَى أَصْلِ التَّقَاءِ السَّاكِنِينَ وَاتِّبَاعاً لِكَسْرِ النُّونِ﴾ وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ ﴿قَرَأَ الضَّحَّاكُ وَعُكْرُمَةُ وَأَبُو الْمُتَوَكِّلِ وَإِذْ بَكَسِرَ الْهَمْزَةَ وَسَكُونِ الدَّالِّ﴾ وَقَرَأَ الْحَسَنُ وَالْأَعْرَجُ أَنَّ اللَّهَ بَكَسِرَ الْهَمْزَةِ فَالْفَتْحُ عَلَى تَقْدِيرِ بَانَ وَالْكَسْرُ عَلَى اضْمَارِ الْقَوْلِ عَلَى مَذْهَبِ الْبَصَرِيِّينَ أَوْ لَانَ الْأَذَانِ فِي مَعْنَى الْقَوْلِ فَكَسَرَتْ عَلَى مَذْهَبِ الْكُوفِيِّينَ ﴿وَقَرَأَ ابْنُ أَبِي اسحاقٍ وَعِيسَى بْنُ عَمْرٍو وَزَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ وَرَسُولُهُ بِالنَّصْبِ عَطْفًا عَلَى لَفْظِ اسْمِ أَنْ وَأَجَازَ الزُّخْمَشَرِيُّ أَنَّ يَنْتَصِبُ عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولٌ مَعَهُ﴾ وَقَرِئَ بِالْجَرِّ شَاذًا وَرَوَيْتُ عَنْ الْحَسَنِ وَخَرَجْتُ عَلَى الْعَطْفِ عَلَى الْجَوَارِ كَمَا أَنَّهُمْ نَعَتُوا أَوْ كَدُوا عَلَى الْجَوَارِ ﴿وَقِيلَ هِيَ وَابَا الْقَسَمِ﴾ وَرَوَى أَنَّ عَرَابِيًّا سَمِعَ مَنْ يَقْرَأُ بِالْجَرِّ فَقَالَ إِنْ كَانَ اللَّهُ بَرِيءٌ مِنْ رَسُولِهِ فَأَنَا مُنْهَرٌ بِرِيءٍ قَلْبِيهِ الْقَارِيءُ إِلَى عَمْرِو بْنِ لُحَيْمٍ الْإِعْرَابِيِّ قَرَأَتْهُ فَعِنْدَهَا أَمْرٌ عَمْرٍو بِتَعْلِيمِ الْعَرَبِيَّةِ وَأَمَّا قِرَاءَةُ الْجَهْوَ بِالرَّفْعِ فَعَلَى الْإِبْتِدَاءِ وَالْخَبَرِ مُحَذَّوْفٌ أَيْ وَرَسُولُهُ بَرِيءٌ مِنْهُمْ وَحَذَفَ لِدَلَالَةِ مَا قَبْلَهُ عَلَيْهِ وَجُوزَ وَافِيهِ أَنْ يَكُونَ مَعْطُوفًا عَلَى الضَّمِيرِ الْمُسْتَكِنِ فِي بَرِيءٍ وَحُسْنُهُ كَوْنُهُ فَصَلَ بِقَوْلِهِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ بَيْنَ مَنْحَمَلِهِ وَالْمَعْطُوفِ وَمَنْ أَجَازَ الْعَطْفَ عَلَى مَوْضِعِ اسْمِ أَنْ الْمَكْسُورَةِ أَجَازَ ذَلِكَ مَعَ أَنْ الْمَفْتُوحَةَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَجَازَ ذَلِكَ مَعَ الْمَكْسُورَةِ وَمَنْعَ مَعَ الْمَفْتُوحَةِ ﴿قَالَ ابْنُ عَطِيَّةٍ وَمَذْهَبُ الْأَسْتَاذِ بَعْنَى أَبِي الْحَسَنِ بْنِ الْبَادِشِ عَلَى مَقْتَضَى كَلَامِ سَيَمُوهٍ أَنَّ لَامَ مَوْضِعِ لَمَّا دَخَلَتْ عَلَيْهِ أَنْ أَذْهَبَ مَعْرَبٌ قَدْ ظَهَرَ فِيهِ عَمَلُ الْعَامِلِ وَأَنَّهُ لَا فَرْقَ بَيْنَ أَنْ وَبَيْنَ لَيْتٍ وَالْإِجْمَاعُ أَنَّ لَامَ مَوْضِعِ لَمَّا دَخَلَتْ عَلَيْهِ هَذِهِ أَتَتْهُ وَهَذَا كَلَامٌ فِيهِ تَعَقُّبٌ لِأَنَّ عِلَّةَ كَوْنِ أَنْ لَامَ مَوْضِعِ لَمَّا دَخَلَتْ عَلَيْهِ لَيْسَ ظَهَرَ عَمَلُ الْعَامِلِ بِدَلِيلٍ لَيْسَ زَيْدٌ بِقَائِمٍ وَمَا فِي الدَّارِ مِنْ رَجُلٍ فَانْهَ ظَهَرَ عَمَلُ الْعَامِلِ وَلَهَا مَوْضِعٌ وَقَوْلُهُ وَالْإِجْمَاعُ إِلَى آخِرِهِ يَرِيدُ أَنْ لَيْتَ لَامَ مَوْضِعِ لَهَا مِنَ الْإِعْرَابِ بِالْإِجْمَاعِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ لِأَنَّ الْفَرَاءَ خَالَفَ وَجَعَلَ حَكْمَ لَيْتٍ وَلَعَلَّ وَكَانَ وَلَكِنْ وَأَنْ حَكْمُ أَنْ فِي كَوْنِ اسْمِهِنَّ لَهُ مَوْضِعٌ وَاعْرَابُ وَأَذَانٌ كَاعْرَابِ بَرَاءَةِ عَلَى الْوُجْهِينَ ثُمَّ الْجَمْلَةُ مَعْطُوفَةٌ عَلَى مِثْلِهَا وَلَا وَجْهَ لِقَوْلِ مَنْ قَالَ إِنَّهُ مَعْطُوفٌ عَلَى بَرَاءَةِ كَمَا لَيْقَالُ عَمْرٍو مَعْطُوفٌ عَلَى زَيْدٍ فِي زَيْدٍ قَائِمٌ وَعَمْرٍو قَاعِدٌ وَالْأَذَانُ بِمَعْنَى الْإِذَانِ وَهُوَ الْأَعْلَامُ كَمَا أَنَّ الْأَمَانَ وَالْعَطَاءَ يَسْتَعْمَلَانِ بِمَعْنَى الْإِيمَانِ وَالْإِعْطَاءِ وَيُضَعْفُ جَعْلُهُ خَبَرًا عَنْ وَأَذَانٌ إِذَا أَعْرَبْنَا مَبْتَدَأَ بَلِّ الْخَبَرِ قَوْلُهُ إِلَى النَّاسِ وَجَازَ الْإِبْتِدَاءَ بِالنَّكْرَةِ لِأَنَّهَا وَصَفَتْ بِقَوْلِهِ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَيَوْمَ مَنصُوبٌ بِمَا يَتَعَلَّقُ بِهِ إِلَى النَّاسِ وَقَدْ أَجَازَ بَعْضُهُمْ نَصْبَهُ بِقَوْلِهِ وَأَذَانٌ وَهُوَ بَعِيدٌ مِنْ جِهَةِ أَنَّ الْمَصْدَرِ إِذَا وَصَفَ قَبْلَ أَخْذِهِ مَعْمُولُهُ لَا يَجُوزُ أَعْمَالُهُ فِي أَبْعَادِ الصَّفَةِ وَمِنْ جِهَةِ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يُخْبَرَ عَنْهُ إِلَّا بَعْدَ أَخْذِهِ مَعْمُولُهُ وَقَدْ أَخْبَرَ عَنْهُ بِقَوْلِهِ إِلَى النَّاسِ لَمَّا كَانَ سَنَةً تَسْعَ أَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَخْرِجَ فَكَرَهُ أَنْ يَرَى الْمُشْرِكِينَ يَطُوفُونَ عَرَاتِهِمْ أَبَا بَكْرٍ أَمِيرًا عَلَى الْمَوْسِمِ ثُمَّ أَتْبَعَهُ عَلَيْهِ لِيَقْرَأَ هَذِهِ

وغيرنا كثيرهم وعلق الأذان بالناس لشعوره بمعاهدانا كذا وغيره مسامو كافر ﴿ورسوله﴾ معطوف على موضع اسم ان اذ كان قبل دخول ان كان في موضع رفع على الابتداء وفي العطف على هذا الموضع خلاف ويجوز أن يكون معطوفاً على الضمير المستكن في قوله بَرِيءٌ مِنْهُمْ وَرَسُولُهُ وَالْأَجُودُ أَنْ يَكُونَ مَرْفُوعاً عَلَى الْإِبْتِدَاءِ وَخَبَرُهُ مُحَذَّوْفٌ تَقْدِيرُهُ وَرَسُولُهُ بَرِيءٌ مِنْهُمْ وَحَذَفَ

الآيات على أهل الموسم راكبا ناقته العضاء فقيل له لو بعثت بها إلى أبي بكر فقال لا يؤدي عنى
الرجل منى فلما اجتمعوا قال أبو بكر أميراً ومأموراً قال مأموراً فلما كان يوم التروية خطب أبو بكر
وقام على يوم النحر بعد جرة العقبة فقال يا أيها الناس انى رسول الله صلى الله عليه وسلم اليكم فقالوا
بماذا فقرأ عليهم ثلاثين آية أو أربعين * وعن مجاهد ثلاث عشرة ثم قال أمرت بأربع أن لا يقرب
البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان وأن لا يدخل الجنة الا كل نفس مؤمنة وان
يتم إلى كل ذى عهد عهده فقالوا عند ذلك يا على أبلغ ابن عمك اننا قد نبذنا العهد وراء ظهورنا وأنه
ليس بيننا وبينه عهد الاطعن بالرماح وضرب بالسيوف * وقيل عادة العرب فى نقض عهودها أن
يتولى رجل من القبيلة قلو تولاه أبو بكر لقائوا هذا خلاف ما يعرف منا فى نقض العهد فلذلك
جعل علياً يتولاه وكان أبو هريرة مع على فاذا صبح صوت على نادى أبو هريرة والظاهر أن يوم
الحج الا كبر هو يوم احد * فقال عمر وابن الزبير وأبو جحيفة وطاووس وعطاء وابن المسيب هو
يوم عرفة * وروى مرفوعاً إلى الرسول صلى الله عليه وسلم * وقال أبو موسى وابن أبى أوفى والمنيرة
ابن شعبة وابن جبير وعكرمة والشعبي والنخعي والزهرى وابن زيد والسدى هو يوم النحر * وقيل
يوم الحج الا كبر أيام الحج كلها قاله سفيان بن عيينة * قال ابن عطية والذي تظاهرت به الاحاديث
أن علياً أذن بتلك الآيات يوم عرفة اثر خطبة أبى بكر ثم رأى أنه لم يعم الناس بالاسماع فقتبهم بالأذان
بها يوم النحر وفى ذلك اليوم بعث أبو بكر رضى الله عنه من يعينه بها كأبى هريرة وغيره ويتبعوا
بها أيضاً سواق العرب كندى المجاز وغيره وهذا يرجح قول سفيان ويقول كان هذا يوم صفين
ويوم الجمل يريد جميع أيامه * وقال مجاهد يوم الحج الا كبر أيام منى كلها ومجامع المشركين حين
كانوا بذى المجاز وعكاظ ومجنة حتى نودى فيهم أن لا يجتمع المسامون والمشركون بعد عامهم هذا
ووصفه بالا كبر * قال الحسن وعبد الله بن الحر بن نوفل لانه حج ذلك العام المسامون
والمشركون وصادف عيد اليهود والنصارى ولم يتفق ذلك قبله ولا بعده فعظم فى قلب كل مؤمن
وكافر وضعف هذا القول بأنه تعالى لا يصفه بالا كبر لهذا * وقال الحسن أيضاً انه حج فيه أبو بكر
ونبذت فيه اليهود * قال ابن عطية وهذا هو القول الذى يشبهه نظر الحسن وبيانه أن ذلك اليوم
كان المفتوح بالحق وأمرة الاسلام بتقديم رسول الله صلى الله عليه وسلم ونبذت فيه اليهود وعز فيه
الدين وذل فيه الشرك ولم يكن ذلك فى عام ثمان حين ولى رسول الله صلى الله عليه وسلم عتاب بن
أسد كان أمير العرب على أوله فكل حج بعد حج أبى بكر فترك عليه فخقه لهذا أن يسمى أ كبر
انتهى ومن قال انه يوم عرفة فسمى الا كبر لانه معظم واجباته فاذا فات الحج ومن قال انه يوم منى
فلان فيه معظم الحج وتما أفعاله من الطواف والنحر والحلق والرمي * وقيل وصف بالا كبر لان
العمرة تسمى بالحج الاصغر * وقال منذر بن سعيد وغيره كان الناس يوم عرفة مفترقين اذا كانت
الحس تقف بالمزدلفة وكان الجمع يوم النحر بمنى ولذلك كانوا يسمونه يوم الحج الا كبر أى الا كبر
من الاصغر الذى هم فيه مفترقون وقد ذكر المهدوى أن الحس ومن اتبعها وقفوا بالمزدلفة فى حجة
أبى بكر رضى الله عنه * وحكى القرطبي عن ابن سيرين أن يوم الحج الا كبر أراد به العام الذى
حج فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع وحج معه الامم وهذا يحتاج إلى اضمحار كأنه قال
هذا الأذان حكمه متحقق يوم الحج الا كبر وهو عام حج رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى وسمى
أ كبر لانه فيه ثبتت مناسك الحج وقال فيه خذوا عنى مناسككم وجملة براءة من الله ورسوله اخبار

الخبر لدلالة ما قبله عليه ﴿فان تبتم﴾ أي من الشرك الموجب (٨) لتبرئ الله ورسوله منكم ﴿فهو﴾ أي التوب ﴿خير لكم﴾

بثبوت البراءة وجملة وأذان من الله ورسوله اخبار بوجوب الاعلام بما ثبت فافترقا وعلقت البراءة بالمعاهدين لانها مختصة بهم نا كثيرهم وغيرنا كثيرهم وعلق الاذان بالناس لشموله معاهد وغيره نا كذا وغيره مسامحا وكافرا هذا هو قول الجمهور رقيق ويجوز أن يكون الخطاب للكفار بدليل آخر الآية وبدليل مناداة على بالجملة الاربع فظاهره أن المخاطب بتلك الجملة الكفار ولما كان الجور وخبر عن قوله وأذان كان بالي أي مفتدا إلى الناس وواصل اليهم ولو كان الجور في موضع المفعول لكان باللام ومن في من المشركين متعلقة بقوله برىء تعلق المفعول تقول برئت منك و برئت من الدين بخلاف من في قوله براءة من الله فانها في موضع الصفة ﴿فان تبتم﴾ أي من الشرك الموجب لتبرئ الله ورسوله منكم ﴿فهو﴾ أي التوب ﴿خير لكم﴾ في الدنيا وعصمة أنفسكم وأولادكم وأموالكم وفي الآخرة لدخولكم الجنة وخلاصكم من النار ﴿وان توليتم﴾ أي عن الاسلام ﴿فاعلموا أنكم غير معجزى الله﴾ أي لا تفوتونه عما يحل بكم من نعماته ﴿وبشر الذين كفروا﴾ جعل الانذار بشاراة على سبيل الاستهزاء بهم والذين كفروا عام يشمل المشركين عبدة الاوثان وغيرهم وفي هذا وعيد عظيم بما يحل بهم ﴿الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم أحدا﴾ فاتهموا اليهم عهدهم إلى مدتهم ان الله يحب المتقين ﴿قال قوم هذا استثناء منقطع التقدير لكن الذين عاهدتم فثبتوا على العهد أتموا اليهم عهدهم﴾ وقال قوم منهم الزاج هو استثناء متصل من قوله إلى الذين عاهدتم من المشركين وقال الزمخشري وجهه أن يكون مستثنى من قوله فسيحوا في الأرض لان الكلام خطاب للمسلمين ومعناه براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين فقولوا لهم سيحوا الا الذين عاهدتم منهم ثم لم ينقصوا فاتهموا اليهم عهدهم والاستثناء بمعنى الاستدراك كانه قيل بعد ان أمروا في الناس كثيرين ولكن الذين لم ينكثوا فاتهموا اليهم عهدهم ولا تجزهم مجراهم ولا تجعلوا الوفي كالغادر ﴿وقيل هو استثناء متصل وقوله مجلة محذوفة تقديرها اقتلوا المشركين المعاهدين الا الذين عاهدتم وهذا قول ضعيف جدا والأظهر أن يكون منقطعا لطول الفصل بجمل كثيرة بين ما يمكن أن يكون مستثنى منه وبينه ﴿قال مجاهد وغيرهم قوم كان بينهم وبين الرسول صلى الله عليه وسلم عهد لمدة فأمر أن يفي لهم﴾ وعن ابن عباس لما قرأ على براءة قال لبني ضمرة وحي من كنانة وحي من سليم ان الله قد استثنانا كم ثم قرأ هذه الآية والظاهر أن قوله إلى مدتهم يكون في المدة التي كانت بينهم وبين الرسول أمر و باتمام العهد إلى تمام المدة ﴿وعن ابن عباس كان بقي لحي من كنانة تسعة أشهر فاتم اليهم عهدهم وعنه أيضا إلى مدتهم إلى الأربعة الأشهر التي في الآية وهذا بعيد لانه يكون الاستثناء لا يفي بتجديد حكم اذ يكون حكم هؤلاء المستثنين حكم باقي المعاهدين الذين لم يتصفوا بما أنصف به هؤلاء من عدم النقص وعدم المظاهرة ﴿وقرأ عطاء بن السائب الكوفي وعكرمة وأبو زيد وابن السميع ينقصونكم بالصاد معجمة وتناسب العهد وهى بمعنى قراءة الجمهور لان من نقص من العهد فقد نقص من الأجل المضروب وهو على حذف مضاف أي ولم ينقصوا عهدكم فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه لدلالة الكلام عليه ﴿وقال الكرماني هي بالصاد أقرب إلى معنى العهد الا ان القراءة بالصاد أحسن ليقع في مقابلة التمام في قوله فاتهموا اليهم والتمام ضد النقص وانتصب شيئا على المصدر أي لا قليلا من النقص ولا كثيرا ولم يظاهر واعليكم أحدا كما

في الدنيا لعصمة أنفسكم وأولادكم وأموالكم وفي الآخرة لدخولكم الجنة وخلاصكم من النار ﴿وان توليتم﴾ أي عن الاسلام ﴿فاعلموا أنكم غير معجزى الله﴾ أي لا تفوتونه عما يحل بكم من نعماته ﴿وبشر الذين كفروا﴾ جعل الانذار بشاراة على سبيل الاستهزاء بهم والذين كفروا عام يشمل المشركين عبدة الاوثان وغيرهم وفي هذا وعيد عظيم بما يحل بهم ﴿الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم أحدا﴾ فاتهموا اليهم عهدهم إلى مدتهم ان الله يحب المتقين ﴿قال قوم هذا استثناء منقطع التقدير لكن الذين عاهدتم فثبتوا على العهد أتموا اليهم عهدهم﴾ وقال قوم منهم الزاج هو استثناء متصل من قوله إلى الذين عاهدتم من المشركين وقال الزمخشري وجهه أن يكون مستثنى من قوله فسيحوا في الأرض لان الكلام خطاب للمسلمين ومعناه براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين فقولوا لهم سيحوا الا الذين عاهدتم منهم ثم لم ينقصوا فاتهموا اليهم عهدهم والاستثناء بمعنى الاستدراك كانه قيل بعد ان أمروا في الناس كثيرين ولكن الذين لم ينكثوا فاتهموا اليهم عهدهم ولا تجزهم مجراهم ولا تجعلوا الوفي كالغادر ﴿وقيل هو استثناء متصل وقوله مجلة محذوفة تقديرها اقتلوا المشركين المعاهدين الا الذين عاهدتم وهذا قول ضعيف جدا والأظهر أن يكون منقطعا لطول الفصل بجمل كثيرة بين ما يمكن أن يكون مستثنى منه وبينه ﴿قال مجاهد وغيرهم قوم كان بينهم وبين الرسول صلى الله عليه وسلم عهد لمدة فأمر أن يفي لهم﴾ وعن ابن عباس لما قرأ على براءة قال لبني ضمرة وحي من كنانة وحي من سليم ان الله قد استثنانا كم ثم قرأ هذه الآية والظاهر أن قوله إلى مدتهم يكون في المدة التي كانت بينهم وبين الرسول أمر و باتمام العهد إلى تمام المدة ﴿وعن ابن عباس كان بقي لحي من كنانة تسعة أشهر فاتم اليهم عهدهم وعنه أيضا إلى مدتهم إلى الأربعة الأشهر التي في الآية وهذا بعيد لانه يكون الاستثناء لا يفي بتجديد حكم اذ يكون حكم هؤلاء المستثنين حكم باقي المعاهدين الذين لم يتصفوا بما أنصف به هؤلاء من عدم النقص وعدم المظاهرة ﴿وقرأ عطاء بن السائب الكوفي وعكرمة وأبو زيد وابن السميع ينقصونكم بالصاد معجمة وتناسب العهد وهى بمعنى قراءة الجمهور لان من نقص من العهد فقد نقص من الأجل المضروب وهو على حذف مضاف أي ولم ينقصوا عهدكم فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه لدلالة الكلام عليه ﴿وقال الكرماني هي بالصاد أقرب إلى معنى العهد الا ان القراءة بالصاد أحسن ليقع في مقابلة التمام في قوله فاتهموا اليهم والتمام ضد النقص وانتصب شيئا على المصدر أي لا قليلا من النقص ولا كثيرا ولم يظاهر واعليكم أحدا كما

كما فعلت قريش ببني بكر حين أعانواهم بالسلاح على خزاعة وتعدى أتموا إلى لتضمنه معنى فادوا أي فادوه تاما كاملا

﴿ فاذا نسلخ الاشهر الحرم ﴾ الظاهر أن هذه الاشهر هي التي أبيع للناس كمين أن يسيحوا فيها ووصفت بالحرم لأنها محرم فيها القتال وتقدم ذكر الخلاف في ابتدائها وانتهائها واذ اتقدمت النكرة وذكرت بعد ذلك فالوجه أن يؤتى بالضمير نحو لقيت رجلا فضر بته ويجوز أن يعاد اللفظ معر فبال محول لقيت رجلا فضر بـ رجلا فضر بـ الرجل ولفظ حيث وجدتموهم عام في الاماكن من حل وحرم ﴿ وخذوهم ﴾ عبارة عن الاسر والاخذ بالاسير ويدل على جواز اسرهم ﴿ واحصروهم ﴾ قيدوهم وامنعوهم من التصرف في بلاد المسلمين وقيل استرقوهم وحاصروهم ان تحصنوا قال القرطبي في قوله واقعدوا لهم كل مرصد دلالة على جواز اغتيالهم قبل الدعوة لان المعنى اقعدوا لهم مواضع الغرة وهذا تنبيه على (٩) ان المقصود ايصال الاذى اليهم بكل

طريقاً ما بطريق القتال
أو بطريق الاغتيا ل وقد
أجمع المسلمون على جواز
السرقه من أموال أهل
الحرب واستلاب خيلهم
واتلاف مواشيهم اذا عجزوا
عن الخروج بها الى دار
الاسلام الآن يصالحوا
على مثل ذلك قال الزمخشري

فعلت قريش ببني بكر حين أعانوهم بالسلاح على خزاعة وتعدى أئموا إلى لتضمنه معني فأدوا أي
فأدوه تاما كاملا و قول قتادة ان المستنئين هم قريش عوهدوا زمن الحديبية هـ دود باسلام
قريش في الفتح قبل الاذن بهذا كله وقوله يحب المتقين تنبيه على ان الوفاء بالعهد من التقوى وان
من التقوى أن لا يسوى بين القبيلتين * فاذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث
وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد * تقدم الكلام على انسلخ في قوله
فانسلخ * وقال أبو الهيثم يقال أهلنا لالهلال شهر كذا أي دخلنا فيه ولبسناه فحين نرداد كل ليلة إلى
مضي نصفه لباسا منه ثم نسلخه عن أنفسنا بعدت كامل النصف منه جزءا فجاء حتى نسلخه عن
أنفسنا كله فينسلخ وأنشد

اذا ما سلخنت الشهر أهلت مثله * كفي قاتل بساخ الشهور واهلال

والظاهر أن هذه الأشهر هي التي أبيع للناس كمن أن يسبحوا فيها ووصفت بالحرم لأنها محرم فيها القتال وتقدم ذكر الخلاف في ابتدائها وانتهائها وإذا تقدمت النكرة وذكر بعد ذلك فالوجه أن تذكر بالضمير نحو لقيت رجلاً فضر بته ويجوز أن يعاد اللفظ معترفاً بال نحو لقيت رجلاً فضر بـ الرجل ولا يجوز أن يوصف بوصف يشعر بالمغايرة لو قلت لقيت رجلاً فضر بـ الرجل الأزرق وأنت تريد الرجل الذي لقيته لم يجز بل ينصرف ذلك إلى غيره ويكون المضروب غير الملقى فإن وصفته بوصف لا يشعر بالمغايرة جاز نحو لقيت رجلاً فضر بـ الرجل المذكور وهناك الأربعة الحرم لأن هذا الوصف مفهوم من قوله فسبحوا في الأرض أربعة أشهر إذا التقدير أربعة أشهر حرم لا يتعرض اليكم فيها فليس الحرم وصفها مشعر بالمغايرة * وقيل الأشهر الحرم هي غير هذه الأربعة وهي الأشهر التي حرم الله فيها القتال منذ خلق السموات والأرض وهي التي جاء في الحديث فيها أن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض السنة اثنا عشر شهراً منها أربعة حرم ذوالقعدة وذوالحجة والمحرم . ورجب فتكون الأربعة من سنتين * وقيل أولها المحرم فتكون من سنة وجاء الأمر بالقتل على سبيل التشجيع وتقوية النفس وانهم لا منعة عندهم من أن يقتلوا وفي إطلاق الأمر بالقتل دليل على قتلهم بأي وجه كان وقد قتل أبو بكر أصحاب الردة بالأحراق بالنار وبالحجارة وبالرمي من رؤوس الجبال والتسكيس في الآبار وتعلق بعموم هذه

(٢ - تفسير البحر المحیط لابی حیان - خامس) على الظرف لان قوله واقعدها لهم ليس بمعناه حقيقة القعود بل المعنى ارصدوهم فى كل مكان يرصد فيه ولما كان هذا المعنى جاز قياسا أن يحذف منه فى كما قال * وقد قعدوا انقاقها كل مقعد * حتى كان العامل فى الظرف المختص عاملا من لفظه أو بمعناه جاز أن يصل اليه بغير واسطة فى فيجوز جلست مجلس زيد وقعدت مجلس زيد تريد فى مجلس زيد فكما يتعدى الفعل الى المصدر من غير لفظه اذا كان بمعناه فكذلك الى الظرف وقال الاخفش بمعناه على كل مرصد فحذف على وأعمل الفعل وحذف على ووصل الفعل الى مجروره فاينصبه بضمه أحبابنا بالشعر وأنشد قول الشاعر
تحن فتبدي ما به من صباية * وأخفى الذى لولا الاسى لقضانى
أى لقضى على

﴿فَانْتَابُوا﴾ أى عن الكفر والعدو والتوبة تتضمن الايمان وترك ما كانوا فيه من المعاصي ﴿فَخَلَوْا سَبِيلَهُمْ﴾ كناية عن الكف عنهم واجراءهم مجرى (١٠) المسلمين في تصرفاتهم حيث ماساروا ولا يتعرض لهم

(الدر)

﴿سورة التوبة﴾

(ش) كل مر صد ممر ومجتاز
ير صد ونهم فيه وانتصابه
على الظرف كقوله لا قعدن
لهم صراطك المستقيم
انتهى (ح) هذا الذي قاله
الزجاج قال كل مر صد
ظرف كقولك ذهبت
منه باورده أبو علي لان
المر صد المكان الذي
ير صد فيه العدو فهو مكان
مخصوص لا يحذف الحرف
منه الاسما كما حكى سيبويه
دخلت البيت وكأعسل
الطريق الثعلب انتهى
وأقول يصح انتصابه على
الظرف لان قوله واقعوا
لهم ليس معناه حقيقة
تعود بل المعنى ار صدوهم
في كل مر صد ير صد فيه
ولما كان هذا المعنى جاز
باسان يحذف منه في كما قال
* وقد قعدوا التقاها كل
مقعد *

✱

فتى كان العامل في الظرف
المختص عاملا من لفظه أو
من معناه جاز أن يصل اليه
بغير وساطة في فيجوز
جلست مجلس زيد
وقعدت مجلس زيدا
في مجلس زيد فكما يتعدى
الفعل الى المصدر من غير

الآية وأحرق على قوما من أهل الردّة وقد وردت الأحاديث الصحيحة بالنهي عن المثلة ولفظ
المشركين عام في كل مشرك ولو جاءت السنة باستثناء الأطفال والرهبان والشيوخ الذين ليسوا ذوى
رأى في الحرب ومن قاتل من هؤلاء قتل * وقال الزمخشري يعنى الذين نقصوكم وظاهر واعليكم
ولفظ حيث وجدتوهم عام في الاماكن من حل وحرم وخذوهم عبارة عن الاسر والاخذ الأسير
ويدل على جواز أسرهم واحصرهم قيدوهم وامنعوهم من التصرف في البلاد * وقيل استرقوهم
* وقيل معناه حاصرهم ان تحصنوا * وقرئ فحاصروهم شاذ وهذا القول يروى عن ابن عباس
وعنه أيضا حولوا بينهم وبين المسجد الحرام * وقيل امنعوهم عن دخول بلاد الاسلام والتصرف
فيها الا باذن * قال القرطبي في قوله واقعدوا لهم كل مرصد دلالة على جواز اغتيالهم قبل الدعوة
لان المعنى اقعدوا لهم مواضع الغرة وهذا تنبيه على ان المقصود ايصال الأذى اليهم بكل طريق اما
بطريق القتال واما بطريق الاغتيال وقد أجمع المصنفون على جواز السرقة من أموال أهل الحرب
واسلال خيلهم واتلاف مواشيهم اذا عجز عن الخروج بها الى دار الاسلام الا أن يصالحوا على مثل
ذلك * قال الزمخشري كل مرصد كل ممر ومجتاز ترصدونهم فيه وانتصابه على الظرف كقوله
لأقعدن لهم صراطك المستقيم انتهى وهذا الذى قاله الزجاج قال كل مرصد ظرف كقوله ذهبت
منه باورده أبو على لان المرصد المكان الذى يرصد فيه العدو فهو مكان مخصوص لا يحذف الحرف
منه الاسماعا كما حكى سيبويه دخلت البيت وكما غسل الطريق الثعلب انتهى * وأقول يصح انتصابه
على الظرف لان قوله واقعدوا لهم ليس بمعناه حقيقة القعود بل المعنى ارصدوهم في كل مكان يرصد
فيه ولما كان بهذا المعنى جاز قياسا أن يحذف منه في كما قال * وقد قعدوا انفاقها كل مقعد *
فتى كان العامل في الظرف المختص عاملا من لفظه أو من معناه جاز أن يصل اليه بغير واسطة في
فيجوز جلست مجلس زيد وقعدت مجلس زيد تريد في مجلس زيد فكما يتعدى الفعل الى المصدر من
غير لفظه اذا كان بمعناه فكذلك الى الظرف * وقال الاخفش معناه على كل مرصد فحذف
وأعمل الفعل وحذف على ووصول الفعل الى مجروره فافتنصبه بخصه أصحابنا بالشعر وأنشدوا

نحن فتى ماهر من صبا * وأخفى الذى لولا الأسى لقضانى

أى لقضى على * فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ان الله غفور رحيم *
 أى عن الكفر والغدر والتوبة تتضمن الايمان وترك ما كانوا فيه من المعاصي ثم نبه على أعظم
 الشعائر الاسلامية وذلك اقامة الصلاة وهى أفضل الاعمال البدنية وابتاء الزكاة وهى أفضل الاعمال
 المالية وبهما تظهر القوة العملية كما بالتوبة تظهر القوة العلمية عن الجهل فخلوا سبيلهم كناية
 عن الكف عنهم واجرائهم مجرى المسامين فى تصرفاتهم حيث ماشاؤوا ولا تتعرضوا لهم كقول
 الشاعر * خل السبيل لمن بينى المناربه * أو يكون المعنى فأطلقوهم من الأسر
 والحصر والظاهر الاول لشمول الحكم لمن كان مأسورا وغيره * وقال ابن زيد افترضت الصلاة
 والزكاة جميعا وأبى الله أن لا تقبل الصلاة الا بالزكاة وقال يرحم الله أبا بكر ما كان أفقهه فى قوله
 لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة وناسب ذكر وصف الغفران والرحمة منه تعالى لمن تاب عن
 الكفر والتزم شرائع الاسلام * قال الحافظ أبو بكر بن العربى لا خلاف بين المسامين ان من ترك

اللفظ إذا كان معناه فكذلك إلى الظرف وقال الأخفش معناه على كل مر صد فحذف وا عمل الفعل وحذف على ووصول الفعل إلى

وجهه فقال ان أراد
الرجل منا ان يأتي محمد
بعد ان قضاء الاجل لسمع
كلام الله أو يأتيه حاجة
قتل قال لا لان الله تعالى قال
وان أحدم من المشركين
استجارك فأجره الآية ولما
أمر تعالى بقتل المشركين
حيث وجدوا وأخذهم
وحصرهم وطلب غرتهم
ذكر لهم حالة لا يقتلون
فيها ولا يؤخذون
ويؤسرون وهي اذا
جاء واحد منهم مسترشدا
طالباً للحجة والدلالة على
ما تدعو اليه من الدين
فالمعنى وان أحدم من
المشركين استجارك أي
طلب منك أن تكون
محيراً وذلك بعد انسلاخ
الاشهر لسمع كلام الله
وما تضمنه من التوحيد
ويقف على ما بعثت به فكر
محيراً حتى يسمع كلام
الله ويتدبره ويطالع على
حقيقة الامر ﴿ ثم
أبلغه ﴾ ذاره التي يأمن
فيها ان لم يسلم ثم قاتله ان
شئت من غير غدر ولا
خيانة ﴿ ذلك ﴾ بأنهم قوم
لا يعلمون ﴿ أي ذلك الامر ﴾
بالاجارة وابلغ المأمن
بسبب انهم قوم جهلة لا

الصلاة وسائر الفرائض مستحلاً كفر ودفن في مقابر الكفار وكان ماله فيأومن ترك السن فسق
ومن ترك النوافل لم يخرج الا أن يجحد فضلها فيكفر لأنه يصير راداً على النبي صلى الله عليه وسلم ما
جاء به وأخبر عنه انتهى والظاهر أن مفهوم الشرط لا ينتهض أن يكون دليلاً على تعيين قتل من ترك
الصلاة والزكاة متعمداً غير مستحل ومع القدرة لان انتفاء تخلية السبيل تكون بالحبس وغيره فلا
يتعين القتل وقد اختلف العلماء في ذلك ﴿ فقال مكحول ومالك والشافعي وحامد بن زيد وو كيع
وأبو ثور يقتل ﴾ وقال ابن شهاب وأبو حنيفة وداود يسجن ويضرب ولا يقتل ﴿ وقال جماعة من
الصحابه والتابعين يقتل كفرا وماله مال مرتد وبه قال اسحاق قال اسحاق وكذلك كان رأى أهل
العلم من لدن النبي صلى الله عليه وسلم الى زماننا ﴾ وان أحدم من المشركين استجارك فأجره حتى
يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون ﴿ قال الضحاك والسدي هي منسوخة
بآية الامر بقتل المشركين ﴿ وقال الحسن ومجاهد هي محكمة الى يوم القيامة ﴾ وعن ابن جبير
جاء رجل الى علي رضي الله عنه فقال ان أراد الرجل منا أن يأتي محمد بعد انقضاء هذا الاجل لسمع
كلام الله أو يأتيه حاجة قتل قال لا لان الله تعالى قال وان أحدم من المشركين استجارك الآية انتهى
﴿ وقيل هذه الآية انما كان حكمها مدة الأربعة الأشهر التي ضربت لهم أجلاً والظاهر أنها محكمة
ولما أمر تعالى بقتل المشركين حيث وجدوا وأخذهم وحصرهم وطلب غرتهم ذكر لهم حالة لا
يقتلون فيها ولا يؤخذون ويؤسرون وتلك اذا جاء واحد منهم مسترشداً طالباً للحجة والدلالة على
ما يدعو اليه من الدين فالمعنى وان أحدم من المشركين استجارك أي طلب منك أن تكون محيراً
وذلك بعد انسلاخ الاشهر لسمع كلام الله وما تضمنه من التوحيد ويقف على ما بعثت به فكن
محيراً حتى يسمع كلام الله ويتدبره ويطالع على حقيقة الامر ثم أبلغه داره التي يأمن فيها ان
لم يسلم ثم قاتله ان شئت من غير غدر ولا خيانة وحتى يصح أن تكون للغاية أي الى أن يسمع ويصح
أن تكون للتعليل وهي متعلقة في الحالين بأجره ولا يصح أن يكون من باب التنازع وان كان
يصح من حيث المعنى أن يكون متعلقاً باستجارك أو بفأجره وذلك لما منع لفظي وهو أنه لو أعمل
الأول لاضرر في الثاني وحتى لا تجر المضر فذلك لا يصح أن يكون من باب التنازع لكن من
ذهب من النحويين الى أن حتى تجر المضر يجوز أن يكون ذلك عنده من باب التنازع وكون
حتى لا تجر المضر هو مذهب الجمهور ولما كان القرآن أعظم المعجزات علق السماع به وذكروا
السماع لانه الطريق الى الفهم وقدير اذ بالسماع الفهم تقول لمن خاطبته فلم يقبل منك أنت لم تسمع تريد
لم تفهم وكلام الله من باب اضافة الصفة الى الموصوف لا من باب اضافة المخلوق الى الخالق ومأمنه مكان
أمنه ﴿ وقيل مأمنه مصدر أي ثم أبلغه مأمنه وقد استدل المتعزلة بقوله حتى يسمع كلام الله على
حدوث كلام الله لانه لا يسمع الا الحروف والاصوات ومعلوم بالضرورة حدوث ذلك وهذا مذكور
في علم الكلام وفي هذه الآية دلالة على أن النظر في التوحيد أعلى المقامات اذ عصم دم الكافر
المهدر الدم بطلبه النظر والاستدلال وأوجب على الرسول أن يبلغه مأمنه وفيها دلالة على أن التقليد
غير كاف في الدين اذ كان لا يعمل بل يقال له إيماناً وتسلم وإيماناً تقتل وفيها دلالة على أنه بعد سماع كلام
الله لا يقرب بأرض الاسلام بل يبلغ مأمنه وأنه يجب حفظه وحوطته مدة يسمع فيها كلام الله والخطاب

يعلمون ما الاسلام وما حقيقة ما تدعو اليه فلا بد من اعطائهم الامان حتى يسمعوا ويتفهموا الحق

﴿ كيف يكون للمشركون عهد ﴾ الآية هذا استفهام (١٢) معناه التعجب والاستنكار والاستبعاد وفي الآية اضمأرأى كيف

يكون للمشركون عهد مع اضمأر الغدر والنكث والاستفهام يراد به النفي كثيرا قال الشاعر
﴿ فهدى سيوف ياهدى
ابن مالك
كثير ولكن كيف بالسيف
ضارب ﴾

أى ليس بالسيف ضارب ولما كان الاستفهام معناه النفي صلح محيى الاستثناء وهو متصل وقيل منقطع أى لكن الذين عاهدتم منهم عند المسجد الحرام وقال ابن عباس هم قريش وقال السدى بنو جذيمة بن الدليل وقال ابن اسحاق قبائل بنى بكر كانوا دخلوا وقت الحديبية في المدة التي كانت بين رسول الله صلى عليه وسلم وبين قريش كيف في موضع نصب خبر اليكون وعهد اسم يكون والظاهر ان ما مصدرية ظرفية أى استقيموا لهم مدة استقامتهم وليست شرطية وقال أبو البقاء هي شرطية كقوله تعالى ما يفتح الله للناس من رحمة انتهى فكان التقدير ما استقاموا لكم من زمان فاستقيموا لهم وقال الحوفي ما شرط في موضع رفع بالابتداء والخبر استقاموا

بقوله استجارك وفاجره يدل على أن أمان السلطان جائز وأما غيره فالخبر يحضى أمانه * وقال ابن حبيب ينظر الامام فيه والعبد قال الأوزاعي والثوري والشافعي وأحمد واسحاق ومحمد بن الحسن وأبو ثور وداود له الامان وهو مشهور مذهب مالك * وقال أبو حنيفة لا أمان له وهو قول في مذهب مالك والحره لها الامان على قول الجمهور * وقال عبد الملك بن الماجشون لا الا أن يجبره الامام وقوله شاذ والصبي اذا طاق القتال جاز أمانه ذلك بأنهم قوم لا يعامون أى ذلك الامر بالاجارة وبلاغ المأمن بسبب أنهم قوم جهلة لا يعلمون ما الاسلام وما حقيقة ما ندعو اليه فلا بد من اعطائهم الامان حتى يسمعوا ويفهموا الحق قاله الزمخشري * وقال ابن عطية اشارة الى هذا اللطف في الاجارة والاسماع وتبليغ المأمن لا يعامون نفي عامهم بمراشدكم في اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم * كيف يكون للمشركون عهد عند الله وعند رسوله الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم ان الله يحب المتقين * هذا استفهام معناه التعجب والاستنكار والاستبعاد * قال التبريزي والكرمانى معناه النفي أى لا يكون لهم عهد وهم لكم ضدونه على علة انتفاء العهد بالوصف الذى قام به وهو الاشرار * وقال القرطبي وفي الآية اضمأرأى كيف يكون للمشركون عهد مع اضمأر الغدر والنكث انتهى والاستفهام يراد به النفي كثيرا ومنه قول الشاعر
فهاذى سيوف ياهدى بن مالك * كثير ولكن ليس بالسيف ضارب

أى ليس بالسيف ضارب ولما كان الاستفهام معناه النفي صلح محيى الاستثناء وهو متصل * وقيل منقطع أى لكن الذين عاهدتم منهم عند المسجد الحرام * قال الحوفي ويجوز أن يكون الذين في موضع خبر على البدل من المشركون لان معنى ما تقدم النفي أى ليس يكون للمشركون عهد الا الذين لم ينكثوا * قال ابن عباس هم قريش * وقال السدى بنو جذيمة بن الدليل * وقال ابن اسحاق قبائل بنى بكر كانوا دخلوا وقت الحديبية في المدة التي كانت بين الرسول صلى الله عليه وسلم وقريش * وقال الزمخشري كبنى كنانة وبني ضمرة * وقال قوم منهم مجاهد هم خزاعة ورد باسلامهم عام الفتح * وقال ابن زيد هم قريش نزلت فلم يستقيموا فنزل تأجيلهم أربعة أشهر بعد ذلك وضعف هذا القول بأن قريشا بعد الاذان بأربعة أشهر لم يكن فيهم الاسلام وذلك بعد فتح مكة بسنة وكذلك خزاعة قاله الطبري فاستقاموا لكم على العهد فاستقيموا لهم على الوفاء وجوز أبو البقاء أن يكون خبر يكون كيف لقوله كيف كان عاقبة مكرهم وأن يكون الخبر للمشركون وعند على هذين طرفي العهد أو ليهكون أو للحال أو هي وصف للعهد وأن يكون الخبر عند الله والمشركون تبين أو متعلق بيهكون وكيف حال من العهد انتهى والظاهر أن ما مصدرية ظرفية أى استقيموا لهم مدة استقامتهم وليست شرطية * وقال أبو البقاء هي شرطية كقوله ما يفتح الله للناس من رحمة انتهى فكان التقدير ما استقاموا لكم من زمان فاستقيموا لهم * وقال الحوفي ما شرط في موضع رفع بالابتداء والخبر استقاموا أو لكم متعلق باستقاموا فاستقيموا لهم الفاء جواب الشرط انتهى فكان التقدير فأى وقت استقاموا فيه لكم فاستقيموا لهم وانما يجوز أن تكون شرطية لوجود الفاء في فاستقيموا لأن المصدرية الزمانية لا تحتاج الى الفاء وقد أجاز ابن مالك في المصدرية الزمانية أن تكون شرطية وتجزم وأنشد على ذلك ما يدل ظاهره على صحة دعواه وقد

ولكم متعلق باستقاموا * فاستقيموا لهم * الفاء جواب الشرط انتهى فكان التقدير فأى وقت استقاموا لكم فاستقيموا لهم وانما يجوز أن تكون شرطية لوجود الفاء في فاستقيموا لان المصدرية الزمانية لا تحتاج الى الفاء

ذكرنا ذلك في كتاب التكميل وتأولنا ما استشهد به فعلى قوله تكون زمانية شرطية ان الله يحب المتقين يعنى أن الوفاء بالعهد من أخلاق المتقين والتربص بهؤلاء ان استقاموا من أعمال المؤمنين والتقوى تتضمن الايمان والوفاء بالعهد * كيف وان يظهر واعليكم لا يرقبوا فيكم الاولا ذمة رضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم وأكثرهم فاسقون * كيف تأ كيد لنفى ثباتهم على العهد والظاهر أن الفعل المحذوف بعدها هو من جنس أقرب منذ كور لها وحذف للعلم به في كيف السابقة والتقدير كيف لهم عهد وحالهم هذه وقد جاء حذف الفعل بعد كيف للدلالة المعنى عليه كقوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وقال الشاعر

وخبرتاني انما الموت بالقري * فكيف وهاتاهضبة وكثيب

أى فكيف مات وليس في قرية وقال الخطيئة

فكيف ولم أعاهم خذلوكم * على معظم وان أدبكم قدوا

أى فكيف تلو مونى على مدحهم واستغنى عن ذلك لأنه جرى في القصيدة ما دل على ما أضمر وقدر أبو البقاء الفعل المحذوف بعد كيف بقوله كيف تطمئنون اليهم وقدره غيره كيف لا يقتلونهم والواو في وان يظهر واواو الحال وتقدم الكلام على وقوع جملة الشرط خلا في قوله وان يأتهم عرض مثله يأخذوه ومعنى الظهور العلو والظفر تقول ظهرت على فلان علوته والمعنى وان يقدروا عليكم ويطفروا بكم * وقرأ زيد بن على وان يظهر وامبنا للفعل لا يرقبوا لا يحفظوا ولا يرعوا الا عهدا أو قرابة أو حلفا أو سياسة أو الله تعالى أو جوار أى رفع صوت بالتضرع أقوال * قال مجاهد وأبو مجاز إلى اسم الله بالسريانية وعرب ومن ذلك قول أبي بكر حين سمع كلام مسيامة * فقال هذا كلام لم يخرج من إل وقرأت فرقة الألفج الهمزة وهو مصدر من فعل الال الذى هو العهد * وقرأ عكرمة إيلا بكسر الهمزة وياء بعدها فقل هو اسم الله تعالى ويجوز أن يراد به إل أبدل من أحد المضاعفين ياء كما قالوا في إماما قال الشاعر

ياليتما أمنا سالت نعماتها * إيماء إلى جنة إيماء إلى نار

* قال ابن جني ويجوز أن يكون مأخوذا من آل يؤول اذا ساس أبدل من الواو ياء لسكونها وانكسار ما قبلها أى لا يرقبون فيكم سياسة ولا مداراة ولا ذمة من رأى ان الال هو العهد جعله والذمة لفظين بمعنى واحد ومتقاربين ومن رأى ان الال غير العهد فهما لفظان متباينان ولما ذكر حالهم مع المؤمنين ان يظهر واعليهم ذكر حالهم معهم اذا كانوا غير ظاهرين فقال رضونكم بأفواههم واستأنف هذا الكلام أى حالهم في الظاهر يخالف لباطنهم وهذا كله تقرير واستبعاد لثبات قلوبهم على العهد وإيلاء القلب مخالفته لما جرى على اللسان من القول الحسن * وقيل رضونكم بأفواههم في العدة بالايمان وتأبى قلوبهم الا الكفر * وقيل رضونكم في الطاعة وتأبى قلوبهم الا المعصية والظاهر بقاء الاكثر على حقيقة فليل وأكثرهم لأن منهم من قضى الله له بالايمان * وقيل لأن منهم من له حفظ لمراعاة الحال الحسنة من التعفف عما يثلم العرض ويجرأ حدوثة السوء وأكثرهم خبثا الانفس خربجون في الشر لا مروءة تردعهم ولا طباع مرضية تزعمهم لا يحترزون عن كذب ولا مكر ولا خديعة ومن كان بهذا الوصف كان مذموما عند الناس وفي جميع الاديان ألا ترى الى أهل الجاهلية وهم كفار كيف يمدحون أنفسهم بالعفاف وبالصدق وبالوفاء بالعهد وبالاخلاق الحسنة * وقيل معنى وأكثرهم وكلمهم فاسقون قاله ابن عطية والكرماتى * اشترى وابتات الله ثمننا قليلا فصدوا عن سبيله انهم ساء

* كيف وان يظهر واعليكم * الظاهر أن الف المحذوف الذى بعدها هو من جنس أقرب منذ كور لها وحذف للعلم به في كيف السابقة والتقدير فكيف يكون لهم عهد وحالهم هذا والواو للحال ومعنى يظهر يغلبوا وجواب الشرط لا يرقبوا وقال الشاعر في حذف الفعل بعد كيف وخبرتاني انما الموت بالقري وكيف وهاتاهضبة وكثيب أى فكيف مات وليس في قرية * الال الحلف والذمة العهد وقال أبو عبيد الامان والاباء مخالفة للقلب لما جرى على اللسان من القول الحسن * اشترى وابتات الله ثمننا قليلا الظاهر عود الضمير ع من قبله من المشرى كالمأمور بقتلهم ويكون المعنى اشترى وبالقرآن وتدعو اليه من الاساءة ثمننا قليلا وهو اتية الشهوات والاهواء تركت دين الله وآثر الكفر كان ذلك كالشرب والبيع

﴿ لا يرقبون في مؤمن إلا ولادمة ﴾ هذا تنبيه على الوصف (١٤) الموجب للعداوة وهو الايمان ولما كان قوله لا يرقبوا فيكم

يؤهم أن ذلك مخصوص بالمخاطبين نبه على علته ذلك وان سبب المنافاة هو الايمان ﴿ وأولئك ﴾ أي الجامعون لتلك الاوصاف الذميمة ﴿ هم المعتدون ﴾ المتجاوزون الحد في الظلم والشر ونقص العهد ﴿ فان تابوا وأقاموا الصلاة ﴾ أي فان تابوا عن الكفر ونقض العهد والتزموا أحكام الاسلام ﴿ فآخؤاكنكم ﴾ أي فهم آخؤاكنكم والآخؤاكنكم والاخوة جمع أخ من نسب أودين ﴿ ونفصل الآيات لقوم يعلمون ﴾ أي نبينها ونوضحها وهذه الجملة اعتراض بين الشرطين من قوله فان تابوا وقوله وان نكثوا بعثا وتحريضا على تأمل ما فصل تعالى من الأحكام وقال لقوم يعلمون لانه لا يتأمل تفصيلها الا من كان من أهل العلم والفهم ﴿ وان نكثوا أيمانهم ﴾ أي وان نقضوا عهدهم من بعد ما تعاهدوا وتحالفوا على أن لا ينكثوا ﴿ وطعنوا ﴾ أي عابوه وسلبوه واستنقصوه والطعن هنا مجاز وأصله الاصابة بالرمح أو العود وشبهه وهو هنا بمعنى العيب كجاء في حديث امارة اسامة ان طعنوا في امارته فقد طعنتم في امارة أبيه من قبل أي عيبوها واستنقصوها والظاهر أن هذا التريدين في الشرطين هو في حق الكفار أصلا لأن من أسلم ثم ارتد فيكون قوله فقاتلوا أئمة الكفر أي رؤساء الكفر وزعماءه والمعنى فقاتلوا الكفار وخص الأئمة بالذكور لأنهم هم الذين يحرضون الاتباع على البقاء على الكفر ﴿ وقال الكرماني كل كافر امام نفسه فالعني فقاتلوا كل كافر ﴾ وقيل من أقدم على نكث العهد والطعن في الدين صار رأسا في الكفر فهو من أئمة الكفر ﴿ وقال ابن عباس أئمة الكفر زعماء قریش ﴾ وقال القرطبي هو بعيد لأن الآية في سورة براءة وحين نزلت كان الله قد استأصل شأفة قریش ولم يبق منهم الا مسلم أو مسلم ﴿ وقال قتادة المراد أبو جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وغيرهم وهذا ضعيف ان لم يؤخذ على جهة المثال لأن الآية نزلت بعد بدر بكثير ﴿ وروى عن حذيفة انه قال لم يجئ هؤلاء بعد يدلم ينقضوا فهم ينجون أبدا ويقاتلون ﴾ وقال ابن عطية أصوب ما في هذا أن يقال انه لا يعني بهامعين وانما دفع الأمر بقتال أئمة الناكثين اليهود من الكفرة الى يوم القيامة دون تعيين واقتضت حال كفار العرب ومحاربي رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكون الإشارة إليهم أولا بقوله أئمة الكفر وهم حصلوا حينئذ تحت اللفظة إذ الذي يتولى قتال النبي صلى

ما كانوا يعملون ﴿ الظاهر عود الضمير على من قبله من المشركين المأمور بقتلهم ويكون المعنى اشترى بالقرآن وما يدعوا اليه من الاسلام ثمنا قليلا وهو اتباع الشهوات والاهواء لما تركت دين الله وآثرت الكفر كان ذلك كالشراء والبيع ﴾ وقال مجاهد هم الاعراب الذين جمعهم أبو سفيان على طعامه ﴿ وقال أبو صالح هم قوم من اليهود وآيات الله التوراة ﴾ وقال ابن عباس هم أهل الطائف كانوا يمدون الناس بالاموال يمنعونهم من الدخول في الاسلام فصدوا عن سبيله أي صرفوا أنفسهم عن دين الله وعدلوا عنه والظاهر ان ساء هنا محولة الى فعل ومذهو بها مذهب بنس ويجوز اقرارها على وصفها الأول فتكون متعدية أي أنهم ساءهم ما كانوا يعملون فحذف المفهوم لفهم المعنى ﴿ لا يرقبون في مؤمن الا ولادمة وأولئك هم المعتدون ﴾ هذا تنبيه على الوصف الموجب للعداوة وهو الايمان ولما كان قوله لا يرقبوا فيكم يتوهم أن ذلك مخصوص بالمخاطبين نبه على علته ذلك وان سبب المنافاة هو الايمان وأولئك أي الجامعون لتلك الاوصاف الذميمة هم المعتدون المتجاوزون الحد في الظلم والشر ونقض العهد ﴿ فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فآخؤاكنكم في الدين ﴾ أي فان تابوا عن الكفر ونقض العهد والتزموا أحكام الاسلام فآخؤاكنكم أي فهم آخؤاكنكم والآخؤاكنكم والاخوة جمع أخ من نسب أودين ومن زعم أن الاخوة تكون في النسب والآخؤاكنكم في الصداقة فقد غلط قال تعالى انما المؤمنون اخوة ﴿ وقال أبو بيوت آخؤاكنكم وعلق حصول الاخوة في الدين على الالتباس بمجموع الثلاثة ويظهر ان مفهوم الشرط غير مراد ﴿ ونفصل الآيات لقوم يعلمون ﴾ أي نبينها ونوضحها وهذه الجملة اعتراض بين الشرطين بين قوله فان تابوا وقوله وان نكثوا بعثا وتحريضا على تأمل ما فصل تعالى من الأحكام وقال لقوم يعلمون لانه لا يتأمل تفصيلها الا من كان من أهل العلم والفهم ﴿ وان نكثوا أيمانهم من بعد ما تعاهدوا وتحالفوا على أن لا ينكثوا وطعنوا أي عابوه وسلبوه واستنقصوه والطعن هنا مجاز وأصله الاصابة بالرمح أو العود وشبهه وهو هنا بمعنى العيب كجاء في حديث امارة اسامة ان طعنوا في امارته فقد طعنتم في امارة أبيه من قبل أي عيبوها واستنقصوها والظاهر أن هذا التريدين في الشرطين هو في حق الكفار أصلا لأن من أسلم ثم ارتد فيكون قوله فقاتلوا أئمة الكفر أي رؤساء الكفر وزعماءه والمعنى فقاتلوا الكفار وخص الأئمة بالذكور لأنهم هم الذين يحرضون الاتباع على البقاء على الكفر ﴿ وقال الكرماني كل كافر امام نفسه فالعني فقاتلوا كل كافر ﴾ وقيل من أقدم على نكث العهد والطعن في الدين صار رأسا في الكفر فهو من أئمة الكفر ﴿ وقال ابن عباس أئمة الكفر زعماء قریش ﴾ وقال القرطبي هو بعيد لأن الآية في سورة براءة وحين نزلت كان الله قد استأصل شأفة قریش ولم يبق منهم الا مسلم أو مسلم ﴿ وقال قتادة المراد أبو جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وغيرهم وهذا ضعيف ان لم يؤخذ على جهة المثال لأن الآية نزلت بعد بدر بكثير ﴿ وروى عن حذيفة انه قال لم يجئ هؤلاء بعد يدلم ينقضوا فهم ينجون أبدا ويقاتلون ﴾ وقال ابن عطية أصوب ما في هذا أن يقال انه لا يعني بهامعين وانما دفع الأمر بقتال أئمة الناكثين اليهود من الكفرة الى يوم القيامة دون تعيين واقتضت حال كفار العرب ومحاربي رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكون الإشارة إليهم أولا بقوله أئمة الكفر وهم حصلوا حينئذ تحت اللفظة إذ الذي يتولى قتال النبي صلى

قوله ﴿ فقاتلوا أئمة الكفر ﴾ أي رؤساء الكفار وزعماءه والمعنى فقاتلوا الكفار وخص الأئمة بالذكور لأنهم هم الذين يحرضون

الاتباع على البقاء على الكفر ﴿ألا تقتاتلون قومًا نكثوا أيمانهم﴾ ألا حرف عرض ومعناه هنا الحض على قتالهم ولما أمر تعالى بقتال أهل الكفر أتبع ذلك بالسبب الذي يبعث على مقاتلتهم (١٥) وهو ثلاثة أشياء جمعوها وكل واحد منها على

انقراذه كاف في الحض على مقاتلتهم ومعنى نكثوا أيمانهم نقض العهد قال السدي وجماعة نزلات في كفار مكة نكثوا أيمانهم بعد عهد الحديبية وأعانوا بني بكر على خراعة انتهت ﴿وهو﴾ هوهم قريش ﴿بإخراج الرسول﴾ عليه السلام من مكة حين تشاوروا بدار الندوة فاذن الله تعالى لنبيه عليه السلام في الهجرة فخرج بنفسه وهم الذين كانت منهم البداءة بالمقاتلة لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءهم أولاً بالكتاب المنير وتحدثهم به فعدلوا عن المعارضة لعجزهم عنها إلى القتال فهم البادئون والبادي أعظم ﴿أتخشونهم﴾ تقرير للخشية منهم ونويج عليها ﴿فإنه أحق أن تخشوه﴾ فقتلوا أعداءه ولفظ الجلالة مبتدأ وخبره أحق وإن تخشوه بدل من الله أي وخشية الله أحق من خشيتهم فإن تخشوه في موضع رفع ويجوز أن يكون في موضع نصب أو جر على الخلاف إذا حذف حرف الجر وتقديره بأن

الله عليه وسلم والدفع في صدر شر يعتقه هو امام كل من يكفر بذلك الشرع إلى يوم القيامة ثم يأتي في كل جيل من الكفار أئمة خاصة بجيل جيل انتهى * وقيل المراد بالعهد الاسلام فغناه كفروا بعد اسلامهم ولذلك قرأ بعضهم وان نكثوا أيمانهم بالكسر وهو قول الزمخشري قال فقاتلوا أئمة الكفر فقاتلوهم فوضع أئمة الكفر موضع ضميرهم اشعاراً بأنهم اذا نكثوا في حالة الشرك تمردوا وطمعنا وطرحوا العادات الكرام الاوفياء من العرب ثم آمنوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وصاروا اخوانا للمسلمين في الدين ثم رجعوا فارتدوا عن الاسلام ونكثوا ايماناً بواعليه من الايمان والوفاء بالعهد وقعدوا يطعنون في دين الله تعالى ويقولون ليس دين محمد بشيء فهم أئمة الكفر وذو الرئاسة والتقدم فيه لا يشق كافر غبارهم والمشهور من مذهب مالك ان الذي اذا طعن في الدين ففعل شيئاً مثل تكذيب الشريعة والسب للنبي صلى الله عليه وسلم ونحوه قتل * وقيل ان أعلن بشيء مما هو معهود من معتقده وكفره أدب على الاعلان وتركه وان كفر بما هو ليس من معتقده كالسب ونحوه قتل * وقال أبو حنيفة يستتاب واختلف اذا سب الذي ثم أسلم تقيته القتل فالمشهور من مذهب مالك انه يترك لان الاسلام يجب ما قبله وفي العتبية انه يقتل ولا يكون أحسن حالا من المسلم * وقرأ الحرميان وأبو عمر وبأبدالهمزة الثانية ياء * وروى عن نافع مدهمزة * وقرأ باقي السبعة وابن أبي أويس عن نافع بهمزتين وأدخل هشام بينهما ألفاً وأصله أئمة على وزن أفعله جمع امام أدغموا الميم في الميم فنقلت حركتها إلى الهمزة قبلها * وقال الزمخشري (فان قلت) كيف لفظ أئمة (قلت) همزة بعدها همزة بين بين أي بين مخرج الهمزة والياء وتحقيق الهمزة هي قراءة مشهورة وان لم تكن مقبولة عند البصريين وأما التصريح بالياء فليس بقراءة ولا يجوز أن تكون ومن صرح بها فهو لا حن محرف انتهى وذلك دأبه في تلحين المقرئين وكيف يكون ذلك لحنا وقد قرأ به رأس البصري بين النخاعة أبو عمرو بن العلاء وقارى مكة ابن كثير وقارى مدينة الرسول صلى الله وسلم نافع ونفي ايمانهم لما لم يثبتوا عليه ولا وفوا بها جعلوا الايمان لهم أو يكون على حذف الوصف أي لا ايمان لهم يوفون بها * وقرأ الجمهور بفتح الهمزة * وقرأ الحسن وعطاء وزيد بن علي وابن عامر لا ايمان لهم أي لا اسلام ولا تصديق * قال أبو علي وهذا غير قوي لانه تكرار وذلك انه وصف أئمة الكفر بأنهم لا ايمان لهم فالوجه في كسر الألف انه مصدر ايمناه ومنه قوله تعالى وآمنهم من خوف فالمعنى انهم لا يؤمنون أهل الذمة اذا المشركون لم يكن لهم الا الاسلام أو السيف * قال أبو حاتم فسر الحسن قراءته لا اسلام لهم انتهى وكذا تبعه الزمخشري * فقال وقرىء لا ايمان لهم أي لا اسلام لهم ولا يعطون الايمان بعد الردة والنكث ولا سبيل اليه وبقراءة الفتح استشهد أبو حنيفة على أن عيان الكافر لا يكون يميناً وعند الشافعي يمينه يمين وقال معناه انهم لا يوفون به بادليل انه تعالى وصفها بالنكث لعلمهم ينتهون متعلق بقوله فقاتلوا أئمة الكفر أي ليكن غرضكم في مقاتلتهم بعد ما وجد منهم من العظائم ما وجدتهاءهم عما هم فيه وهذا من كرمه سبحانه وفضله وعوده على المسمى بالرجعة ﴿ألا تقتاتلون قومًا نكثوا أيمانهم﴾ وهو بإخراج الرسول وهم بدؤكم أول مرة أتخشونهم فإنه أحق أن تخشوه ان كنتم مؤمنين *

تخشوه أي أحق من غيره بأن تخشوه وجوز أبو البقاء أن يكون أن تخشوه مبتدأ وأحق خبره قدم عليه وأجاز ابن عطية أن يكون أحق مبتدأ وخبره أن تخشوه والجملة خبر عن الأول وحسن الابتداء بالنكرة لانها أفعل التفضيل

﴿قاتلوهم﴾ لما تقدم الحظ على القتال في قوله ألا تقتاتلون أمره هنا فقال قاتلوهم ﴿يعذبهم الله﴾ أي بالقتل والنهب وسبي الذرية ونص على قوله ﴿بأيديكم﴾ على أنهم هم الذين يعذبونهم ﴿ويخزهم﴾ يهزمهم ويذلهم ﴿وينصرهم﴾ يعنكم على قتلهم وجاء التركيب ﴿صدور قوم مؤمنين﴾ ليشهد المخاطبين (١٦) وكل مؤمن واذهاب الغيظ بما نال الكفار من المكروه

وهذه الجملة كالتأكيد للتي قبلها والضمير المجرور في قلوبهم عائذ على قوم وقرأت فرقوه يذهب فعلا لازما غيظ فاعل به وقرأ زيد بن علي كذلك إلا أنه رفع الباء وقرئ ويتوب الله رفعها وهو استئناف اخبار بان بعض أهل مكة وغيرهم يتوب عن كفره وكان ذلك فقد أسلم عالم كثير ونوحسن إسلامهم وقرأ زيد بن علي ويعقوب وجماعة ويتوب بنصب الباء جعله داخلا في جواب الأمر من طريق المعنى قيل ويمكن أن تكون التوبة داخلة في الجزاء قال ابن عطية ويتوجه ذلك عندى إذا ذهب إلى أن التوبة يراد بها ههنا ان قتل الكافرين والجهاد في سبيل الله هو توبة لكم أي المؤمنون وكاللايمانكم فتدخل التوبة على هذا في شرط القتال انتهى وهذا الذي قدره من كون التوبة تدخل تحت جواب الأمر هو بالنسبة إلى المؤمنين

الأحرف عرض ومعناه هنا الحظ على قتالهم وزعموا أنها مركبة من همزة الاستفهام ولا النافية فصار فيها معنى التحريض * وقال الزمخشري دخلت الهمزة على تقرير على انتفاء المقاتلة ومعناها الحظ عليها على سبيل المبالغة ولما أمر تعالى بقتال أهل الكفر أتبع ذلك بالسبب الذي يبعث على مقاتلتهم وهو ثلاثة أشياء جمعوها وكل واحد منها على انفراده كاف في الحظ على مقاتلتهم ومعنى نكثوا أي أيمانهم نقض العهد قال السدي وابن اسحق والسكبي نزلت في كفار مكة نكثوا أي أيمانهم بعد عهد المدينة وأعانوا بني بكر على خراعة انتهى وهمهم هوهم قرئش باخراج الرسول من مكة حين تشاوروا بدار الندوة فأذن الله في الهجرة فنخرج بنفسه أو بنو بكر باخراجه من المدينة لما أقدموا عليه من المشاورة والاجتماع أو اليهود هموا بغير الرسول صلى الله عليه وسلم ونقضوا عهده وأعانوا المنافقين على اخراجه من المدينة ثلاثة أقوال أولها للسدي * وقال الحسن من المدينة * قال ابن عطية وهذا مستقيم لغزوة أحد والأحزاب وغيرهما وهم الذين كانت منهم البداية بالمقاتلة لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءهم أولا بالكتاب المبين وتحذاهم به فعدلوا عن المعارضة لعجزهم عنها إلى القتال فهم البادون والبادىء أظلم خياضهم من أن تقتاتلوهم بمثلها تصدقونهم بالشرك كما صدقكم ونجهم بترك مقاتلتهم وحضهم عليها ثم وصفهم بما يوجب الحظ عليها وتقرر أن من كان في مثل صفاتهم من نكث العهد واخراج الرسول والبدا بالقتال من غير موجب حقيقى بان لا تترك مصادمته وأن يوجب من فرط فيها قاله الزمخشري وهو تكثير * وقال ابن عطية أول مرة * قيل يريد أفعالهم بمكة بالنبي صلى الله عليه وسلم وبالمؤمنين وقال مجاهد ما بدأت به قرئش من معونة بني بكر حلفائهم على خراعة حلفاء النبي صلى الله عليه وسلم فكان هذا بدء النقض * وقال الطبري يعنى فعلهم يوم بدر انتهى * وقرأ زيد بن علي بدوكم بغير همز ووجهه أنه سهل الهمزة من بدأت بأبدالها ياء كما قالوا في قرأت قرئت فصار كرميت فالما أسند الفعل إلى واو الضمير سقطت فصار بدوكم كما تقول رموكم أتخشونهم تقرير للخشية منهم وتو بيج عليها فالله أحق أن تخشوه فقتلوا أعداءه ولفظ الجلالة مبتدأ وخبره أحق وأن تخشوه بدل من الله أي وخشية الله أحق من خشيتهم وأن تخشوه في موضع رفع ويجوز أن تكون في موضع نصب أو جر على الخلاف إذا حذف حرف الجر وتقديره بأن تخشوه أي أحق من غيره بأن تخشوه وجوز أبو البقاء أن يكون أن تخشوه مبتدأ وأحق خبره قدم عليه وأجاز ابن عطية أن يكون أحق مبتدأ وخبره أن تخشوه والجملة خبر عن الأول وحسن لا ابتداء بالنكرة لأنها أفعل التفضيل وقد أجاز سيبويه أن تكون المعرفة خبر للنكرة في نحو اقتدر جلا خير منه أبوه أن كنتم مؤمنين أي كملى الإيمان لأنهم كانوا مؤمنين * وقال الزمخشري يعنى أن قضية الإيمان الصحيح أن لا يخشى المؤمن إلا ربّه ولا يبالي بمن سواه كقوله تعالى ولا يخشون أحدا إلا الله قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصرهم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء والله عليم حكيم * قررت الآيات قبل هذا أفعال

الذين أمروا بقتال الكفار والذي يظهر أن ذلك بالنسبة إلى الكفار فالمعنى على من يشاء من الكفار وذلك أن قتال الكفار وغلبة المساميين أيهم قد يشأ عنهم السلام كثير من الناس وإن لم يكن لهم رغبة في الإسلام ولا داعية قبل القتال ألا ترى إلى قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل مكة كيف كان سببا لإسلامهم لأن الداخل في الإسلام قديد دخل فيه على بصيرة وقد دخل على كره واضطرار

الكفرة المقتضية لقتالهم والحض على القتال وحرم الامر بالقتال في هذه وتعيذهم بأيدي المؤمنين هو في الدنيا بالقتل والاسر والنهب وهذه وعود ثبتت قلوبهم وصححت نياتهم وخزيهم هو اهانتهم وذلمهم وينصركم ينظركم بهم وشفاء الصدور باعلاء دين الله وتعيذ الكفار وخزيهم * وقرأ زيد بن علي ونشف بالنون على الالتفات وجاء التركيب صدور قوم مؤمنين ليشمل المخاطبين وكل مؤمن لان ما يصيب أهل الكفر من العذاب والخزي هو شفاء لصدور كل مؤمن * وقيل المراد قوم معينون * قال ابن عباس هم بطون من اليمن وسبأ قدموا مكة فأساءوا فلقوا من أهلها أذى شديدا فبعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكون اليه فقال أبشروا فان الفرج قريب * وقال مجاهد والسدى هم خزاعة ووجه تخصيصهم انهم هم الذين تقص فيهم العهد ونالتهم الحرب وكان يومئذ في خزاعة مؤمنون كثير ألا ترى الى قول الخزاعي المستنصر بالنبي صلى الله عليه وسلم

ثمت أسلمنا فلم ننزع يدنا * وفي آخر الرجز * وقتلونا ركعا وسجدا

واذهب الغيظ بما نال الكفار من المكر وهه الجملته كالتأكيده التي قبلها لان شفاء الصدور من آفة الغيظ هو اذهاب الغيظ * وقرأت فرقة ويذهب فعلا لازما غيظ فاعل به * وقرأ زيد بن علي كذلك الا انه رفع الباء وهذه المواعيد كلها وجدت فكان ذلك دليلا على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم وصحة نبوته وبديء أولافها بما تسبب عن النصر وهو تعذيب الله الكفار وبأيدي المؤمنين واخزاؤهم اذا كانت البداءة بما نال الكفار من الشره التي يسر بها المؤمنون ثم ذكر السبب وهو نصر الله المؤمنين على الكافرين ثم ذكر ما تسبب أيضا عن النصر من شفاء صدور المؤمنين وازهاب غيظهم تقييلا للتم قد ذكر ما تسبب عن النصر بالنسبة للكفار وذكر ما تسبب للمسلمين من الفرح والسرور بادراك النار ولم يذكر ما نالوه من المغانم والمطاعم اذ العرب قوم جبلاء على الحمية والانفة فرغبتهم في ادراك النار وقتل الاعداء هي اللذة ببطاعهم

ان الاسود أسود الغاب همها * يوم السكرية في المسلوب لا السلب

* وقرأ الجمهور ويتوب الله فعاوه واستثنى اخبار بأن بعض أهل مكة وغيرهم يتوب عن كفره وكان ذلك عالم كثير وحسن اسلامهم * قال الفراء والزجاج وأبو الفتح وهذا أمر موجود سواء قوتلوا أو لم يقاتلوا فلا وجه لادخال اليوم في جواب الشرط الذي في قاتلوهم انتهى * وقرأ زيد بن علي والاعرج وابن أبي اسحق وعيسى الثقفي وعمر بن عبد وعمر بن قائد وأبو عمرو ويعقوب فيما روى عنهما ويتوب الله بنصب الباء جعله داخلا في جواب الامر من طريق المعنى قيل ويمكن أن تكون التوبة داخلة في الجزاء * قال ابن عطية ويتوجه ذلك عندي اذا ذهب الى ان التوبة يراد بها ان قتل الكافرين والجهاد في سبيل الله هو توبة لكم أيها المؤمنون وكالايامكم فتدخل التوبة على هذا في شرط القتال * وقال غيره لما أمرهم بالمقاتلة شق ذلك على بعضهم فاذا أقدموا على المقاتلة صار ذلك العمل جاريا مجرى التوبة من تلك الكراهة * وقيل حصول الكفر وكثرة الأموال لذة تطلب بطريق حرام فلما حصلت لهم طريق حلال كان ذلك داعيا لهم الى التوبة مما تقدم فصارت التوبة متعلقة بتلك المقاتلة انتهى وهذا الذي قررروه من كون التوبة تدخل تحت جواب الامر هو بالنسبة للمؤمنين الذين أمروا بقتال الكفار والذي يظهر أن ذلك بالنسبة الى الكفار فالمعنى على من يشاء من الكفار وذلك ان قتال الكفار وغلبة المسلمين اياهم قد ينشأ عنها اسلام كثير من الناس وان لم يكن لهم رغبة في الاسلام ولا داعية قبل القتال ألا ترى الى قتال

على ما أنتم عليه حتى يتبين
الخلص منكم وهم
المجاهدون في سبيل الله
والذين لم يتخذوا بطانة من
دون الله من غيرهم * ولم
يتخذوا * معطوف على
جاهدوا داخل في حيز الصلة
ويجوز أن تكون الجملة
حالا من ضمير جاهدوا أي
جاهدوا غير متخذين وليجة
والوليجة فعيلة من وج
كالخيلة من دخل وهي
البطانة والمدخل يدخل
فيه على سبيل الاستسار
شبه النفاق به * ما كان
للمشركين أن يعمروا مساجد
الله * الآية روى انه لما أقبل
المهاجرون والانصار على
أسارى بدر يعيرونهم
بالشرك وطفق على يوح
العباس فقال العباس
تظهنون مساوينا
وتكفون محاسنا فقال
أولكم محاسن قال نعم
ونحن أفضل منكم أجرا
انا لنعمر المسجد الحرام
ونحجب الكعبة ونسقي
الحجيج ونفك العاني
فأنزل الله هذه الآية ردا
عليهم وانتصب شاهدين
على الحال والعامل فيه
يعمران وصاحب الحال
هو الضمير وشهادتهم على
أنفسهم بالكفر هو قولهم

رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل مكة كيف كان سببا لسلامهم لان الداخل في الاسلام قد يدخل
فيه على بصيرة وقد يدخل على كره واضطرار ثم قد تحسن حاله في الاسلام ألا ترى الى عبد الله بن أبي
سرح كيف كان حاله أولا في الاسلام ثم صار أمره الى أحسن حال ومات أحسن ميتة في السجود في
صلاته وكان من خيار الصحابة والله عليم يعلم ما سيكون مثل ما يعلم ما قد كان وفي ذلك تقرير لما رتب
من تلك المواعيد وانها كائنة لا محالة حكيم في تصرف عباده من حال الى حال على ما تقتضيه حكمته
تعالى * أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الذين جاهدوا منكم * تقدم تفسير نظير هذه الجملة والمعنى
انكم لا تتركون على ما أنتم عليه حتى يتبين الخلف منكم وهم المجاهدون في سبيل الله الذين لم يتخذوا
بطانة من دون الله من غيرهم * ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة * ولم يتخذوا
معطوف على جاهدوا غير متخذين وليجة والوليجة فعيلة من وج كالخيلة من دخل وهي البطانة
والمدخل يدخل فيه على سبيل الاستسار شبه النفاق به * وقال قتادة الوليجة الخيانة * وقال الضحاك
الخدعة * وقال عطاء الأوداء * وقال الحسن الكفر والنفاق * وقال أبو عبيدة كل شيء أدخلته
في شيء وليس منه فهو وليجة والرجل يكون في القوم وليس منهم وليجة يكون للواحد والاثنين والجمع
بلفظ واحد وليجة الرجل من يختص بخيلة أمره من الناس وجمعها ولائج وولج كصحيفة وصحائف
وصحف * وقال عبادة بن صفوان الغنوى

ولا تنجهم في كل مبدى ومحضر * الى كل من يرجى ومن يتخوف

وفي هذه الآية طعن على المنافقين الذين اتخذوا الولاة لا سيما عند فرض القتال والمعنى لا بد من
اختباركم أيها المؤمنون كقوله أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولما كان
الرجل قد يجاهد وهو منافق نفى هذا الوصف عنه فبين أنه لا بد للجهاد من الاخلاص خاليا عن
النفاق والرياء والتودد الى الكفار * والله خير بما تعملون * قرأ الجمهور بالياء على الخطاب
مناسبة لقوله أم حسبتم وقرأ الحسن ويعقوب في رواية رويس وسلام بالياء على الغيبة التفتانا
* ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر * قرأ ابن السميع أن
يعمر وابضم الياء وكسر الميم أن يعينوا على عمارته * وقرأ ابن كثير وأبو عمرو والجحدري مسجد
بالافراد وباقي السبعة ومجاهد وقتادة وأبو جعفر والاعرج وشيبة بالجمع * ومناسبة هذه الآية لما قبلها
انه تعالى لما ذكر البراءة من المشركين وأتوا عامن قبايحهم توجب البراءة منهم ذكروا انهم
موصوفون بصفات حميدة توجب انتفاء البراءة منها كونهم عامري المسجد الحرام روى انه أقبل
المهاجرون والانصار على أسارى بدر يعيرونهم بالشرك وطفق على يوح العباس فقال الرسول
واقطعة الرحم وأغلظ له في القول فقال العباس تظهنون مساوينا وتكفون محاسنا فقال أولكم
محاسن قالوا نعم ونحن أفضل منكم أجرا انا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحجيج
ونفك العاني فأنزل الله هذه الآية رداعليهم ومعنى ما كان للمشركين أي بالحق الواجب والافقد
عمرو قد عاينوا حديثا على سبيل التغلب * وقال الرنخشي أي ماصح وما استقام انتهى وعمارته
وحوله والقعود فيه والمسك من قولهم فلان يعمر المسجد أي يكثر غشيانته أو رفع بناءه واصلاح ما
تهدم منه أو التعبد فيه والطواف به والصلاة ثلاثة أقوال ومن قرأ بالافراد فيحتمل أن يراد به المسجد
الحرام لقوله وعمارة المسجد الحرام أو الجنس فيدخل تحته المسجد الحرام اذ هو صدر ذلك الجنس

مقدمته ومن قرأ بالجمع فيحتمل أن يراد به المسجد الحرام وأطلق عليه الجمع إما باعتبار أن كل مكان منه مسجد وإما لأنه قبلة المساجد كلها وإمامها فكان عامر عامر المساجد ويحتمل أن يراد بالجمع فيدخل تحته المسجد الحرام وهو كذلك لأن طريقته طريقة الكناية كما لو قلت فلان لا يقرأ كتب الله كنت أنفي لقراءة القرآن من تصريحك بذلك وانتصب شاهدين على الحال والمعنى ما استقام لهم أن يجتمعوا بين أمرين متنافيين عمارة متعبدات الله تعالى مع الكفر به وعبادته * وقرأ زيد بن علي شاهدون على اضمارهم شاهدون وشهادتهم على أنفسهم بالكفر قولهم في الطواف لبك لبك لا شريك لك الا شريكك هولاء تملكه ومالك أو قولهم اذا سئلوا عن دينهم نعبدا للان والعزى أو تكذيبهم الرسول أو قول المشرك أنا مشرك كما يقول اليهودى هو يهودى والنصرانى هو نصرانى والمجوسى هو مجوسى والصابى هو صابى أو ظهور أفعال الكفرة من نصب أصنامهم وطوافهم بالبيت عراة وغير ذلك أقوال خمسة هذا اذا حمل على أنفسهم على ظاهره * وقيل معناه شاهدين على رسولهم وأطلق عليه أنفسهم لأنه ما من بطن من بطون العرب الا وله فيهم ولادة ويؤيد هذا القول قراءة من قرأ على أنفسهم بفتح الفاء أى أشرفهم وأجلهم قدرا * أولئك حببنا أعمالهم * التى هى العمارة والحجبة والسقاية وفك العناة وغيرها مما ذكرناه من الاعمال الحميدة * قال الرخشرى واذا هدم الكفر أو الكبيرة الأعمال الثابتة الصحيحة اذا تعقبها فاطنك بالمقارن والى ذلك أشار تعالى بقوله شاهدين حيث جعله حالهم ودل على انهم قارئون بين العمارة والشهادة بالكفر على أنفسهم فى حال واحدة وذلك محال غير مستقيم انتهى وقوله أو الكبيرة دسيسة اعتراض لان الكبيرة عندهم من المعاصى تحبط الأعمال * وفى النارهم خالدون * ذكر ما آل المشركين وهو النار خالدون فيها * وقرأ زيد بن علي بالياء نصبا على الحال وفى النار هو الخبر كما تقول فى الدار زيد قاعدا * وقال الواحدى دلت الآية على ان الكفار ممنوعون من عمارة مسجد المسامين ولو أوصى لم تقبل وصيته ويمنع من دخول المساجد فان دخل بغير اذن مسلم استحق التعزير وان دخل باذن لم يعزر والأولى تعظيم المساجد ومنعها منهم وقد أنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد ثقيف وهم كفار المسجد وربط ثمانية بن أثال الخنفي فى سارية من سوارى المسجد وهو كافر * انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين * قرأ الجحدري وحاد بن أبي سامة عن ابن كثير مسجد الله بالتوحيد * وقرأ السبعة وجماعة بالجمع والمعنى انما يعمرها بالحق والواجب ويستقيم ذلك فممن اتصف بهذه الأوصاف وفى ضمن هذا الخبر أمر المؤمنين بعمارة المساجد ويتناول عمارتها من منتهى منتهى وتنظيفها وتنويرها وتعظيمها واعتيادها للعبادة والذكر ومن انكر درس العلم بل هو أجله وصونها عظام تبين له من الخوض فى أحوال الدنيا وفى الحديث اذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالايان ولم يدكر الايمان بالرسول لان الايمان باليوم الآخر انما هو متلقف من أخبار الرسول فتضمن الايمان بالرسول أولم يدكر لما علم وشهر من أن الايمان بالله تعالى قرينته الايمان بالرسول لا تشمل كلمة الشهادة والأذان والاقامة وغيرها عليهم ما مقترنين مزدوجين كأنهم مثنى واحد لا ينفك أحدهما عن صاحبه فانطوى تحت ذكر الايمان بالله تعالى الايمان بالرسول صلى الله عليه وسلم * وقيل دل عليه بدكر اقامة الصلاة وإيتاء الزكاة اذا يتلقى ذلك الامنه والمقصود من بناء المساجد وعمارتها هو كونها محجة لاقامة الصلوات فيها والتعبدات من الذكروا الاعتكاف وغيرهما وناسب ذكر ايتاء

من آمن * أعاد الضم
على لفظ من فى قوله آ
وما عطف عليه ثم را
المعنى فى قوله فعسى أولئك
وعسى من الله تعالى واح
حيث وقعت فى القرآن
ذلك قطع اطماع المشرك
أن يكونوا مهتدين اذ
جمع هذه الخصال الار
جعل حاله حال من ترك
له هذه الهداية فكيف
هو عار منها وقال تع
ان يكونوا من المهتدين
من الذين سبق لهم الهدى
ولم يأت التركيب
يكونوا مهتدين بل جمع
بعضا من المهتدين وكو
منهم أقل فى التعظيم من
يجرد لهم الحكم بالهدى

﴿أجعلتم سقاية الحاج﴾ الآية في صحيح مسلم من حديث (٢٠) النعمان بن بشير قال كنت عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال

رجل ما أبالي أن لا أعمل عملا بعد أن أسقى الحاج وقال آخر ما أبالي أن لا أعمل عملا بعد أن أعمر المسجد الحرام وقال آخر الجهاد في سبيل الله أفضل مما قاتم فزجرهم عمر رضي الله عنه وقال لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يوم الجمعة ولكني إذا صليت الجمعة دخلت فاستفتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما اختلفتم فيه فنزلت هذه الآية وسقاية هو على حذف مضاف تقديره ذوى سقاية الحاج فيعادل قوله كن آمن ولما نفي المساواة بينهما أوضح بقوله والله لا يهدي القوم الظالمين من الراجح منهما وإن الكافر ين بالله هم الظالمون ظلموا أنفسهم بترك الإيمان بالله تعالى وبما جاء به رسوله صلى الله عليه وسلم وظلموا المسجد الحرام إذ جعله الله تعالى متعبدا له فجعلوه متعبدا لآوثانهم

(الدر)

(ح) قرأ الضحاك سقاية الحاج بضم السين بنى الجمع على فعال بضم الفاء

الزكاة مع عمارة المساجد أنما كانت لجميع الناس بان فيها أمر الغنى والفقر وعرفت أحوال من يؤدي الزكاة ومن يستحقها ولم يخش إلا الله قال ابن عطية يريد خشية التعظيم والعبادة والطاعة ولا محالة أن الإنسان يخشى غيره ويخشى المحاذير الدينية وينبغي أن يخشى في ذلك كله قضاء الله وتصريفه وقال الزمخشري هي الخشية والتقوى في أبواب الدنيا وأن لا يختار على رضا الله رضا غيره وإذا اعترضه أمر أن أحدهما حق الله تعالى والآخر حق نفسه خاف الله وأثر حق الله على حق نفسه وقيل كانوا يخشون الأصنام ويرجونها فأريد نفي تلك الخشية عنهم انتهى وعسى من الله تعالى واجب حينما وقعت في القرآن وفي ذلك قطع أطباع المشركين أن يكونوا مهتدين إذ من جمع هذه الخصال الأربعة جعل حاله حال من ترجى له الهداية فكيف بمن هو عار منها وفي ذلك ترجيح الخشية على الرجاء ورفض الاغترار بالأعمال الصالحة فربما دخلها بعض المفسدات وصاحبها لا يشعر بها وقال تعالى أن يكونوا من المهتدين أى من الذين سبقت لهم الهداية ولم يأت التركيب أن يكونوا مهتدين بل جعلوا أعضا من المهتدين وكونهم منهم أقل في التعظيم من أن يجرد لهم الحكم بالهداية ﴿أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كن آمن بالله واليوم الآخر وجاد في سبيل الله لا يستون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين﴾ في صحيح مسلم من حديث النعمان بن بشير قال كنت عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رجل ما أبالي أن لا أعمل عملا بعد أن أسقى الحاج ﴿وقال الآخر ما أبالي أن لا أعمل عملا بعد أن أعمر المسجد الحرام﴾ وقال آخر الجهاد في سبيل الله أفضل مما قاتم فزجرهم عمر وقال لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يوم الجمعة ولكني إذا صليت الجمعة دخلت فاستفتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما اختلفتم فيه فنزلت هذه الآية وذكر ابن عطية وقوله أقوالا أخر في سبب النزول كلها تدل على الاختيار بالسقاية والعمارة ﴿وقرأ الجمهور سقاية وعمارتهما صدران نحو الصيانة والوقاية ووقو بلا بالذوات فاحتج إلى حذف من الأول أى أهل سقاية أو حذف من الثانى أى كعمل من آمن﴾ وقرأ ابن الزبير والباقر وأبو حنيفة سقاية الحاج وعمرة المسجد جمع ساق وجمع عاصر كرام ورملة وصانع وصنعة ﴿وقرأ ابن جبير كذلك لأنه نصب المسجد على إرادة التنوين في عمرة﴾ وقرأ الضحاك سقاية بضم السين وعمرة بنى الجمع على فعال كدخل ورحل وظئر وظوآر وكان المناسب أن يكون بغير هاء لكنه أدخل الهاء كما دخلت في حجارة وكانت السقاية في بني هاشم وكان العباس يتولاها ولم تنزل هذه الآية قال العباس ما أراني إلا أترك السقاية فقال النبي صلى الله عليه وسلم أقموا عليها فهي لكم خير وعمارة المسجد هي السدانة وكانت في بني عبد الدار وشيبة وعثمان بن طلحة هما اللذان دفع إليهما رسول الله صلى الله عليه وسلم مفتاح الكعبة في ثامن يوم الفتح بعد أن طلبه العباس وعلى وقال صلى الله عليه وسلم لعثمان وشيبة خذوها خالدة تالدة لا ينزع عنكما عليهما الا ظالم يعنى السدانة ومعنى الآية انكار أن يشبه المشركون بالمؤمنين وأعمالهم المحبطة بأعمالهم المثبتة ولما نفي المساواة بينهما أوضح بقوله والله لا يهدي القوم الظالمين من الراجح منهما وأن الكافر ين بالله هم الظالمون ظلموا أنفسهم بترك الإيمان بالله وبما جاء به الرسول وظلموا المسجد الحرام إذ جعله الله تعالى متعبدا له فجعلوه متعبدا لآوثانهم وفي المشركين هنان في الهداية بقوله والله لا يهدي القوم

كرخل ورحل وظئر وظوآر وكان المناسب أن يكون بغير هاء لكنه أدخل الهاء كما دخلت في حجارة

الظالمين ﴿ الذين آمنوا وهاجر واوجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون ﴾ زادت هذه الآية وضوحاً في الترجيع للمؤمنين المتصفين بهذه الأوصاف على المشركين المفتخرين بالسقاية والعمارة فطهر وأنفسهم من دنس الشرك بالإيمان وطهروا أبدانهم بالهجرة إلى موطن الرسول وترك ديارهم التي نشؤوا عليها ثم بالغوا بالجهاد في سبيل الله بالمال والنفس المعرضين بالجهاد للتلذذ فلهذا حصل أعظم درجات البشرية وأعظم هنا يسوع أن تبقى على بابها من التفضيل ويكون ذلك على تقدير اعتقاد المشركين بأن في سقايتهم وعمارتهم فضيلة فطوبوا على اعتقادهم أو يكون التقدير أعظم درجة من الذين آمنوا ولم يهاجروا ولم يجاهدوا * وقيل أعظم ليست على بابها بل هي كقوله أصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً وقول حسان * فشر كما خير كما الفداء * وكانه قيل عظيمون درجة وعند الله بالمكانة لا بالمكان كقوله ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته * قال أبو عبد الله الرازي الأرواح المقدسة البشرية إذا تطهرت عن دنس الأوصاف البدنية والقاذورات الجسدانية أشرقت بأنوار الجلال وعلا فيها أضواء عالم الجمال وترقت من العبدية إلى العندية بل كأنه لا كمال في العبدية إلا بمشاهدة الحقيقة العندية ولذلك قال تعالى سبحانه الذي أسرى بعبده ليلا انتهى وهو شبيه بكلام الصوفية ثم ذكر تعالى أن من أنصف بهذه الأوصاف هو الفائز الظاهر بأمنيته الناجي من النار * يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها أبداً إن الله عنده أجر عظيم * قال ابن عباس هي في المهاجرين خاصة انتهى وأسند التبشير إلى قوله ربهم لما في ذلك من الإحسان إليهم بأن مالك أمرهم والناظر في مصالحهم هو الذي يبشرهم فذلك على تحقيق عبوديتهم لربهم ولما كانت الأوصاف التي تحلو بها وصاروا بها عباده حقيقة هي ثلاثة الإيمان والهجرة والجهاد بالمال والنفس قولوا في التبشير بثلاثة الرحمة والرضوان والجنات فبدأ بالرحمة لأنها الوصف الأعم النائي عنها تيسير الإيمان لهم وثني بالرضوان لانه الغاية من إحسان الرب لعبده وهو مقابل الجهاد اذ هو بذل النفس والمال وقدم على الجنات لان رضا الله عن العبد أفضل من إسكانهم الجنة وفي الحديث الصحيح ان الله تعالى يقول يا أهل الجنة هل رضيتم فيقولون ياربنا كيف لا نرضى وقد باعدتنا عن نارك وأدخلتنا جنتك فيقول لكم عندي أفضل من ذلك فيقولون وما أفضل من ذلك فيقول أحل عليكم رضائي فلا أخط عليكم بعد ها واتي ثالث بقوله وجنات لهم فيها نعيم مقيم أي دائم لا ينقطع وهذا مقابل لقوله وهاجروا لأنهم تركوا أوطانهم التي نشؤوا فيها وكانوا فيها منعمين فآثروا الهجرة على دار الكفر إلى مستقر الإيمان والرسالة فقولوا على ذلك بالجنات ذوات النعيم الدائم فجاء الترتيب في أوصافهم على حسب الواقع الإيمان ثم الهجرة ثم الجهاد وجاء الترتيب في المقابل على حسب الأعم ثم الأشرف ثم التكميل * قال التبريزي ونكر الرحمة والرضوان للتفخيم والتعظيم برحمة أي رحمة لا يبلغها وصف ووصف * وقرأ الأعمش وطلحة بن مصرف وحيد بن هلال يبشرهم بفتح الياء وضم الشين خفيفة * وقرأ عاصم في رواية أبي بكر ورضوان بضم الراء وتقديم ذكر ذلك في أوائل آل عمران * وقرأ الأعمش بضم الراء والصاد معا * قال أبو حاتم لا يجوز هذا انتهى وينبغي أن يجوز فقد قالت العرب سلطان بضم اللام وأورده التصريفيون في أبيات الاسماء * يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وأخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان ومن يتولهم منهم فأولئك هم الظالمون * كان قبل فتح مكة من آمن لم يتم إيمانه إلا بأن يهاجر ويصادم أخا به

﴿ الذين آمنوا وهاجروا ﴾
الآية زادت هذه الآية
وضوحاً في الترجيع
للمؤمنين المتصفين بهذه
الأوصاف على المشركين
المفتخرين بالسقاية والعمارة
فطهر وأنفسهم من دنس
الشرك بالإيمان وطهروا
أبدانهم بالهجرة إلى موطن
رسول الله صلى الله عليه
وسلم وترك ديارهم التي
نشؤوا فيها ثم بالغوا في
الجهاد في سبيل الله تعالى
بالمال والنفس المعرضين
بالجهاد للتلذذ فلهذا حصل
أعظم درجات البشرية
﴿ يا أيها الذين آمنوا ﴾
لا تتخذوا ﴿ الآية نهى عن
اتخاذ الآباء والأخوان
أولياء اذ كانوا قد آثروا
الكفر على الإيمان وحكم
بأن من تولاهم كان منهم
وانه ظالم

﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَنِسَاءُكُمْ وَأُولَاؤُكُمْ هُمْ مَوَالِيكُمْ فَذَرِكُوا هَذَا قَوْلُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَدْعُونَ إِلَى الْقِيَامَةِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ﴾ هذه الآية تقتضي الحض على الهجرة وذ كر الأبناء لأنهم أعلق بالنفس وقدم الآباء لأنهم هم الذين يجب برهم وأكرامهم وحبهم وثنى بالأبناء لأنهم أعلق (٢٢) بالقلوب ولما ذ كر الأصل والفرع ذ كر الحاشية وهي

الكفرة ويقطع مواليتهم فقالوا يا رسول الله ان نحن ائتمنا من يخالفنا في الدين قطعنا آباءنا وأبناءنا وعشائرنا وذ هبت كادت تناو هلككت أم والنوا خربت ديارنا وبقينا ضائعين فنزلت فهاجروا فجعل الرجل يأتيه ابنه أو أبوه أو أخوه أو بعض أقاربه فلا يلتفت اليه ولا ينزله ولا ينفق عليه ثم رخص لهم بعد ذلك فعلى هذا الخطاب للمؤمنين الذين كانوا بمكة وغيرهم من بلاد العرب خو طبوا ان لا يوالوا الآباء والاخوة فيكونوا لهم تبعاً في سكنى بلاد الكفر * وقيل نزلت في التسعة الذين ارتدوا ولحقوا بمكة فنبى الله المؤمنين عن مواليتهم وذ كر الآباء والاخوان لأنهم أهل الرأي والمشورة ولم يذ كر الأبناء لأنهم في الغالب تبع لآبائهم * وقرأ عيسى بن عمران استحبوا بفتح الهمزة جعله نعليلاً وغيره بكسر الهمزة جعله شرطاً ومعنى استحبوا آثروا وفضلوا استفعل من المحبة أى طلبوا محبة الكفر * وقيل بمعنى أحب وضمن معنى اختار وآثر ولذلك عدى بعلى ولما نهاهم عن اتخاذهم أولياء أخبر أن من تولاهم فهو ظالم * فقال ابن عباس هو مشرك مثلهم لان من رضى بالشرك فهو مشرك * قال مجاهد وهذا كله كان قبل فتح مكة * وقال ابن عطية وهذا ظلم المعصية لا ظلم الكفر ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَنِسَاءُكُمْ وَأُولَاؤُكُمْ هُمْ مَوَالِيكُمْ فَذَرِكُوا هَذَا قَوْلُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَدْعُونَ إِلَى الْقِيَامَةِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ﴾ حتى يأى الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين * هذه الآية تقتضى الحض على الهجرة وذ كر الأبناء لأنه ذ كر المحبة وهم أعلق بالنفس بخلاف الآية قبلها فلم يذ كر وال لأن المقصود منها الرأى والمشورة وقدم الآباء لأنهم الذين يجب برهم وأكرامهم وحبهم وثنى بالأبناء لكونهم أعلق بالقلوب ولما ذ كر الأصل والفرع ذ كر الحاشية وهي الاخوان ثم ذ كر الأزواج وهن في المحبة والايثار كالأبناء ثم الأبعد بعد الأقرب في القرابة فقال وعشيرتكم * وقرأ الجمهور بغير ألف * وقرأ أبو بكر عن عاصم وأبو رجاء وأبو عبد الرحمن بألف على الجمع وزعم الأخفش ان العرب تجمع عشيرة على عشائر ولا تكاد تقول عشيرات بالجمع بالألف والتاء ثم ذ كر وأموال اقترفتموها أى اكتسبتموها لأن الاموال يعادل حبها حب القرابة بل حبها أشد كانت الاموال في ذلك الوقت عزيزة وأكثر الناس كانوا فقراء ثم ذ كر وتجارة تحشون كسادها والتجارة لا تنهيا الأبالا أموال وجعل تعالى التجارة سبباً لزيادة الاموال ونماؤها ثم ذ كر ومساكن ترضونها * وهى القصور والدور ومعنى ترضونها تختارون الإقامة بها وانصب أحب على انه خير كان واسمها آباؤكم فما بعده وقرأ الحجاج بن يوسف أحب بالرفع نخطاه يحيى بن يعمر من حيث الرواية لانه لم يرو الا نصب وان كان الرفع جائزاً من جهة العربية لانه كان يكون في كان ضمير الامر والشان وهو اسمها

الاخوان ثم ذ كر الأزواج وهن في المحبة والايثار كالأبناء ثم الأبعد بعد الأقرب في القرابة فقال وعشيرتكم * ثم ذ كر وأموال اقترفتموها * أى اكتسبتموها لان الاموال يعادل حبها حب القرابة بل حبها أشد وكانت الاموال في ذلك الوقت عزيزة وأكثر الناس كانوا فقراء ثم ذ كر وتجارة تحشون كسادها والتجارة لا تنهيا الأبالا أموال وجعل تعالى التجارة سبباً لزيادة الاموال ونماؤها ثم ذ كر ومساكن ترضونها * وهى القصور والدور ومعنى ترضونها تختارون الإقامة بها وانصب أحب على انه خير كان واسمها آباؤكم فما بعده وقرأ الحجاج بن يوسف أحب بالرفع نخطاه يحيى بن يعمر من حيث الرواية لانه لم يرو الا نصب وان كان الرفع جائزاً من جهة العربية لانه كان يكون في كان ضمير الامر والشان وهو اسمها

كسندن من الفقر في قومهم * وقد زادهن مقامى كسودا ثم ذ كر ومساكن ترضونها وهى القصور والدور ومعنى ترضونها تختارون الإقامة بها وهذه الدواعى الأربع سبب لمخالطة الكفار حب الأقارب والاموال والتجارة والمساكن قد ذ كر تعالى ان مراعاة الدين خير من مراعاة هذه الأمور وفي الكلام حذف أى أحب اليكم من امتثال أمر الله تعالى ورسوله في الهجرة من دار الكفر الى دار الاسلام والقرء على نصب أحب لأنه خير كان وكان الحجاج بن يوسف يقرأ أحب بالرفع ولحنه يحيى بن يعمر وتلحينه يياه ليس من جهة العربية وانما هو تالف بين جماع القرء المنقلبة والافهوجاثر في علم العربية على أن يضمر في كان ضمير الشأن ويلزم ما

وآباؤكم وماعطف عليه مبتدأ وأحب خبر والجملة في موضع نصب على أنها خبر كان * أحب اليكم من الله * أى من الايمان بالله وتباع رسوله عليه السلام * وجهاد في سبيله فتر بصوا * أى انتظروا وهو أمر يتضمن التهديد * حتى يأى الله بأمره * قال ابن عباس هو فتح مكة

﴿ لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ﴾ المواطن مقامات الحرب ومواقفها وهذه المواطن وقعت بدر وقرظة والنضير والحديبية وخيبر وفتح مكة ووصفت بالكثرة قال أئمة التاريخ كانت ثمانين موطناً ﴿ ويوم حنين ﴾ حنين هو واد بين مكة والطائف قريب من ذي المجاز وصرف مذهوباً به مذهب المكان ولو ذهب به مذهب البقعة لم يصرف كما قال الشاعر * نصر وانبيهم وشدوا أزره * بحنين يوم تواكل الابطال * واذ بدل من يوم وأضاف الإعجاب إلى جميعهم وإن كان صادراً من واحد منهم لما رأى الجمع الكثير أعجبه ذلك وقال ابن تغلب اليوم من قلة وهذه الكثرة قال ابن عباس كانوا ستة عشر ألفاً والباء في ﴿ بما رحبت ﴾ للحال ومصدرية أي ضاقت بكم الأرض مع كونها رحبة واسعة لشدة الحال عليهم والرحب السعة بفتح الراء والواسع يقال فلان رحب الصدر وبلد رحب وأرض رحبة وقد رحبت رحبا ورحابة ﴿ ثم وليتم مدبرين ﴾ أي وليتم فارسين على أدباركم منهزمين تاركين رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسند التولي إلى جميعهم وهو واقع من أكثرهم اذ ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ناس من الابطال على ما يأتي ذكره فنقول لما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة كان في عشرة آلاف من أصحابه وانضاف اليه ألفان من الطلقاء فصاروا اثني عشر ألفاً إلى ما انضاف اليهم من الاعراب من سليم وبنى كلاب وعبس وذيبيان وسمع بذلك كفار العرب فشق عليهم فجمعت له هوازن والفاطمة وعليهم مالك بن عوف النضري وثقيف عليهم عبد ياليل بن عمرو وانضاف اليهم اخلاط من الناس حتى كانوا ثلاثين ألفاً فخرج اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد استعجال عتاب بن (٢٣) أسيد على مكة حتى اجتمعوا بحنين فلما

تضاف الناس حمل المشركون على مجاني الوادي وكانوا قد كتنوا بها فانهم زرم المسامون قال قتادة ويقال أن الطلقاء من أهل مكة فروا وقصدوا اللقاء الهزيمة في المسامين وبلغ فلهم مكة وثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم في مركزه على بغلة شهباء تسمى دلدل لا يتخاضل والعباس قد استنفذوا

بعدها بالابتداء والخبر وتكون الجملة في موضع نصب على أنها خبر كان وتضمن الأمر بالترتب التهديد وأوعيد حتى يأتي الله بأمره * قال ابن عباس ومجاهد الإشارة إلى فتح مكة * وقال الحسن الإشارة إلى عذاب أو عقوبة من الله والفساقين عموم يراد به الخصوص فممن توافى على فسقه أو عموم مطلق على أنه لاهداية من حيث الفسق وفي التحرير الفسق هنا الكفر ويدل عليه ما قبله من الهداية والكفر ضلال والضلال ضد الهداية وإن كان ذلك في المؤمنين الذين لم يهاجروا فيكون الفسق الخروج عن الطاعة فانهم لم يمتثلوا أمر الله ولا أمر رسوله في الهجرة ﴿ لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين إذا أعجبتكم ﴾ كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ﴿ لما تقدم قوله قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم واستطرد بعد ذلك بما استطرد ذكرهم تعالى نصره إياهم في مواطن كثيرة والمواطن مقامات الحرب ومواقفها * وقيل مشاء الحرب توطنون أنفسكم فيها على لقاء العدو وهي جمع موطن بكسر الطاء قال وكم موطن لولاى طحت كما هوى * باجرامه من قلة النيق منهوى

بلجامها وابن عمه أبو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب وابنه جعفر وعلي بن أبي طالب وربيعة بن الحرث والفضل بن العباس وأسامة ابن زيد وأمين بن عبيد وهو أمين ابن أم أمين وقتل بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم رضى الله عنه وهو لا من أهل بيته وثبت معه أبو بكر وعمر فكانوا عشرة رجال رضى الله عنهم ولهذا قال العباس نصرنا رسول الله في الحرب تسعة * وقد فر من قدف منهم واقشعوا وعاشر نال في الحام بنفسه بما مسه في الله لا يتوجع * وثبتت أم سليم رضى الله عنها في جملة من ثبت ممسكة بعير الأبي طاحته وفي يدها خنجر ونزل صلى الله عليه وسلم عن بغلته إلى الأرض واستنصر الله وأخذ قبضة من تراب وحصا فرمى بها في وجوه الكفار وقال شأهت الوجوه قال يعلى بن عطاء فحدثني أبناؤهم عن آبائهم قال لم يبق منا أحد الا دخل عينيه ذلك التراب وقال عليه السلام للعباس وكان صيتا ناد أصحاب السمره فنادى الأنصار فخذوا فخذائهم نادى يا أصحاب الشجرة يا أصحاب البقرة فكروا عنقوا واحدا منهم يقولون لبيك لبيك وانهم زرم المشركون فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قتال المساميين فقال هذا حين حمى الوطيس وركض رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفهم على بغلته وفي صحب مسلم من حديث البراء ان هوازن كانوا مائة فرموهم برشق من نبل كانوا رجل من جراد فأنكشفوا فقبل القوم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو سفيان يقود بغلته فنزل ودعا واستنصر الله تعالى وهو يقول أنا النبي لا كذب * أنا ابن عبد المطلب * اللهم انزل نصرك قال البراء كنا والله اذا حمى الوطيس نتقى برسول الله صلى الله عليه وسلم وإن الشجاع منا الذي يخاضى به يعنى النبي صلى الله عليه وسلم وفي أول هذا الحديث أكنتم وليتم يوم حنين

وحجته المواطن وقعات بدر وقرينة والنضير والحديبية وخيبر وقح مكة ووصفت بالكثرة لأن أئمة التاريخ والعلماء والمغازي نقلوا أنها كانت ثمانين موطنًا وحنين واديين مكة والطائف قريب من ذي المجاز وصرف مذهب بابيه مذهب المكان ولو ذهب به مذهب البقعة لم يصرف كما قال

نصروا نبيهم وشدوا أزره * بحنين يوم توكل الإبطال

وعطف الزمان على المكان * قال الزمخشري وموطن يوم حنين أوفى أيام مواطن كثيرة ويوم حنين * وقال ابن عطية ويوم عطف على موضع قوله في مواطن أو على لفظه بتقدير وفي يوم فحذف حرف الخفض انتهى واذ بدل من يوم وأضاف الإعجاب إلى جميعهم وإن كان صادرًا من واحد لما رأى الجمع الكثير أعجبه ذلك وقال ابن نعلب اليوم من قلة * والقائل قال ابن المسيب هو أبو بكر أو سامة بن سلامة بن قريش أو ابن عباس أو رجل من بني بكر ونقل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ساء كلام هذا القائل ووكلو إلى كلام الرجل والكثرة بفتح الكاف ويجمع على كثرات وتيمم تكسر الكاف وتجمع على كثر كشذرة وشذرة وكسرة وكسر وهذه الكثرة عن ابن عباس ستة عشر ألفًا وعن النحاس أربعة عشر ألفًا وعن قتادة وابن زيد وابن إسحاق والواقدي اثنا عشر ألفًا وعن مقاتل عن ابن عباس اثنا عشر ألفًا وخمسمائة والباء في بمار حبت للخال وماء صدرية أي ضاقت بكم الأرض مع كونها رجاوا وسعة لشدته الخال عليهم وصعوبتها كانوا لا يجدون مكانًا يستصلحونه للهرب والنجاة لفراط ما لحقهم من العرب فكانوا ضاقت عليهم والرحب السعة وفتح الراء الواسع يقال فلان رحب الصدر وبلدر حب وأرض رحيبة وقد رحبت رجا ورحابة * وقرأ زيد بن علي بمار حبت في الموضعين يسكنون ضمة فعل فيقولون في ظرف ظرف ثم وليتم مدبرين أي وليتم فارين على أدباركم منهزمين تاركين رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسند التولي إلى جميعهم وهو واقع من أكثرهم إذ ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ناس من الإبطال على ما يأتي ذكره إن شاء الله فيقول لما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة كان في عشرة آلاف من أصحابه وانشأ إليه الفان من الطلقاء فصاروا اثني عشر ألفًا إلى ما انضاف إليهم من الأعراب من سليم وبني كلاب وعيس وذبيان وسمع بذلك كفار العرب فشق عليهم فجمعت له حوزان وألفاقم وأولاهم مالك بن عوف النضري وثقيف وعليهم عبدالميل بن عمرو وانشأ إليهم اخلاط من الناس حتى كانوا ثلاثين ألفًا فخرج إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد استماله عتاب بن أسيد على مكة حتى اجتمعوا بحنين فانشأ إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد استماله وكان قد كتبوا بها فانهزم المسلمون * قال قتادة ويقال إن الطلقاء من أهل مكة فروا وقصدوا اللقاء الهزيمة في المسلمين وبلغ فلهم مكة وثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم في مركزه على بغلة شهباء تسمى دلدل لا يتخلخل والعباس قد اكتنفه أخذًا بلجامها وابن عمه أبو سفيان بن الحرث بن عبدالمطلب وابنه جعفر وعلي بن أبي طالب وربيعة بن الحرث والفضل بن العباس وأسامة بن زيد وأيمن بن عبيد وهو أيمن بن أم أيمن وقتل بين يدي الرسول صلى الله عليه وسلم هؤلاء من أهل بيته وثبت معه أبو بكر وعمر فكانوا عشرة رجال ولهذا قال العباس

نصرنا رسول الله في الحرب تسعة * وقد فر من قدف منهم وأقشعوا

وعاشرنا لاقى الحمام بنفسه * بما مسه في الله لا يتوجع

وثبت أم سليم في جملة من ثبت ممسكة بعير الأبي طلحة وفي يدها خنجر ونزل صلى الله عليه

رة فقال أشهد على
رسول الله صلى الله
سليم ما ولي

(ثم أنزل الله سكينته) السكينة النصر والوقار والثبات بعد (٢٥) الاضطراب والقلق ويخرج من هذا القول رسول الله

وسلم عن بغلته الى الأرض واستنصر الله وأخذ قبضة من تراب وحصا في يده في وجوه الكفار وقال شأهت الوجوه * قال يعلى بن عطاء فحدثني أبناؤهم عن آبائهم قالوا لم يبق منا أحد الا دخل عينيه من ذلك التراب وقال للعباس وكان صيتا ناديا أصحاب السمرة فنادى الانصار فخذنا فخذنا ثم نادى يا أصحاب الشجرة يا أصحاب سورة البقرة فذكروا عنقا واحدا وهم يقولون لبيك لبيك وانهمزم المشركون فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قتال المسلمين فقال هذا حين حمى الوطيس وركض رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفهم على بغلته وفي صحيج مسلم من حديث البراء أن هوازن كانوا مائة فرموهم برشق من نبل كانوا رجل من جراد فأنكشفوا فأقبل القوم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبوسفیان يقود بغلته فنزل ودعا واستنصر وهو يقول

أنا النبي لا كذب * أنا ابن عبد المطلب اللهم أنزل نصرنا قال البراء كنا والله اذا حمى البأس نتقي به صلى الله عليه وسلم وان الشجاع منا الذي يحاذي به يعني النبي صلى الله عليه وسلم وفي أول هذا الحديث أكنتم وليتم يوم حنين يا أبا عمارة فقال شهد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ولي * ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين * السكينة النصر الذي سكنت اليه النفوس قاله ابن عطية * وقال الرخشي رحمه الله التي سكنوا بها * وقيل الوقار والثبات بعد الاضطراب والقلق ويخرج من هذا القول الرسول صلى الله عليه وسلم فانه لم يزل ثابت الجأش ساكنه وعلى المؤمنين ظاهره شعول من فرو من ثبت * وقيل هم الأنصار اذ هم الذين كروا وردوا الهزيمة * وقيل من ثبت مع الرسول صلى الله عليه وسلم حالة فر الناس * وقرأ زيد بن علي سكينته بكسر السين وتشديد الكاف مبالغة في السكينة نحو شريب وطبيع * وأنزل جنودا لم تروها * هم الملائكة بلا خلاف ولم تتعرض الآية لعدددهم * فقال الحسن ستة عشر ألفا * وقال مجاهد ثمانية آلاف * وقال ابن جبير خمسة آلاف وهذا تناقض في الاخبار والجمهور على انها لم تقاتل يوم حنين وعن ابن المسيب حدثني رجل كان في المشركين يوم حنين قال لما كشفنا المسلمين جعلنا نسوقهم فلما انتهينا الى صاحب البغلة الشهباء تلقانا رجالا بيض الوجوه حسانها فقلوا شأهت الوجوه ارجعوا فرجعنا فركبوا أكتافنا والظاهر انتفاء الرؤية عن المؤمنين لان الخطاب هو لهم * وقدرى ان رجلا من بني النضير قال للمؤمنين بعد القتال أين الخيل البلق والرجال الذين كانوا عليها بيض ما كنا فيهم الا كهيمة الشامة وما كان قتلنا الا بأيديهم فأخبروا النبي صلى الله عليه وسلم فقال تلك الملائكة * وقيل لم تروها نفي عن الجميع ومن رأى بعضهم لم يركلهم * وقيل لم يرها أحد من المسلمين ولا الكفار وانما أنزلهم يلقون التثبيت في قلوب المؤمنين والرعب والجن في قلوب الكفار * وقال يزيد بن عامر كان في أجوافنا مثل ضربة الحجر في الطست من الرعب * وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين * أي بالقتل الذي استحق فيهم والأسر لذراريهم ونسائهم والنهب لأموالهم وكان السبي أربعة آلاف رأس * وقيل ستة آلاف ومن الابل اثنا عشر ألفا سوى ما لا يعلم من الغنم وقسمها الرسول بالجعرانة وفيها قصة عباس بن مرداس وشعره وكان مالك بن عوف قد أخرج الناس للقتال والذراري ليقاتلوا عنها فخطأه في ذلك دريد ابن الصمة وقال وهل يرد المنهزم شيء وفي ذلك اليوم قتل دريد القتل المشهورة قتله ربيعة بن رفيع بن أهبان السامي ويقال له ابن الدغنة * ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء * الآية اخبار بان الله تعالى يتوب على من يشاء ويهدي من يشاء ممن بقي من

صلى الله عليه وسلم فانه لم يزل ثابت الجأش ساكنه (وعلى المؤمنين) ظاهره شعول من فرو من ثبت وقيل هم الأنصار اذ هم الذين كروا وردوا الهزيمة (وأنزل جنودا لم تروها) هم الملائكة بلا خلاف ولم تتعرض الآية لعدددهم (وعذب الذين كفروا) أي بالقتل الذي استحق فيهم والأسر لذراريهم ونسائهم والنهب لأموالهم وكان السبي أربعة آلاف رأس وقيل ستة آلاف ومن الابل اثنا عشر ألفا سوى ما لا يعلم من الغنم وقسمها الرسول بالجعرانة وفيها قصة عباس بن مرداس وشعره وكان مالك بن عوف قد أخرج الناس للقتال والذراري ليقاتلوا عنها فخطأه في ذلك دريد ابن الصمة وقال وهل يرد المنهزم شيء وفي ذلك اليوم قتل دريد القتل المشهورة قتله ربيعة بن رفيع بن أهبان السامي ويقال له ابن الدغنة * ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء * الآية اخبار بان الله تعالى يتوب على من يشاء ويهدي من يشاء ممن بقي من

علي من يشاء فيمدي من يشاء ممن بقي من الكفار للإسلام ووعده بالمغفرة والرحمة كمالك بن عوف
النضري رئيس هوازن ومن أسلم معه من قومه * وروى ان ناسا منهم جاؤا فبايعوا على الاسلام
وقالوا يا رسول الله أنت خير الناس وأبر الناس وقد سبي أهلونا وأولادنا وأخذت أموالنا وكان سبي
يومئذ ستة آلاف نفس وأخذ من الابل والغنم ما لا يحصى فقال ان خير القول أصدقها اختاروا إما
ذراريكم ونساءكم وأما أموالكم فقالوا ما نعدل بالاحساب شيئا وتما الحديث انهم أخذوا نساءهم
وذراريهم الا امرأة وقع عليها صفوان بن أمية فحملت منه فلم يردها * أخبرنا القاضي العالم أبو علي
الحسين بن عبد العزيز بن أبي الاحوص القرشي قراءة مني عليه بمدينة مالقة * قال أخبرنا أبو
الحسن بن محمد بن يقي بن حبله الخزرجي بلو بولة * قال أخبرنا الحافظ أبو طاهر أحمد بن محمد
السلفي الاصبهاني باسكندرية ح وأخبرنا أستاذنا الامام العلامة الحافظ أبو جعفر أحمد بن ابراهيم
ابن الزبير قراءة مني عليه بفرطانة عن القاضي أبي الخطاب محمد بن أحمد بن خليل السكوني عن
أبي طاهر السلفي وهو آخر من حدث عنه بالغرب ح وأخبرنا غالبا القاضي السعيد صفى الدين
أبو محمد عبد الوهاب بن حسن بن الفرات قراءة عليه مرتين بغير الاسكندرية عن أبي الطاهر
اسماعيل بن صالح بن ياسين الجبلي وهو آخر من حدث عنه قال أعني السلفي والجبلي أخبرنا أبو عبد الله
محمد بن أحمد بن ابراهيم الرازي * قال أخبرنا أبو الحسن علي بن بقاء بن محمد الوراق بمصر أخبرنا أبو
عبد الله محمد بن الحسين بن عمر المني التنوخي باتفاء خلف الواسطي الحافظ ح وأخبرنا
المحدث العدل نجيب الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن المؤيد الهمداني عرف بابن العجمي
قراءة مني عليه بالقاهرة (قلت) له أخبرك أبو الفخر أسعد بن أبي الفتوح بن روح وعفيفة بنت
أحمد بن عبد الله في كتابهم ما قال أخبرتنا فاطمة بنت عبد الله بن أحمد بن عقيل الجوزدانية * قالت
أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن ريذة الضبي * قال أخبرنا أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب
الطبراني الحافظ قال أعني التنوخي والطبراني أخبرنا عبد الله بن رماحس زاذ التنوخي ابن محمد
ابن خالد بن حبيب بن قيس بن رمادة من الرملة علي بن زيد بن ربيع الآخر من سنة ثمانين ومائتين
* وقال الطبراني ابن رماحس الجشمي القيسي برمادة الرملة سنة سبع وسبعين ومائتين * قال حدثنا
أبو عمرو زياد بن طار في زاد التنوخي الجشمي * وقال الطبراني وكان قد أتت عليه عشرون
ومائة سنة قال التنوخي عن زياد أنبأنا زهير أبو جندل وكان سيد قومه وكان يكنى أباصرد * قال لما
كان يوم حنين أسرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فبينما هو يميز بين الرجال والنساء وثبت حتى
قعدت بين يديه أذ كره حيث شب ونشأ في هوازن وحيث أرضعوه فأنشأت أقول * وقال
الطبراني عن زياد قال سمعت أبا جندل زهير بن صرد الجشمي يقول لما أسرنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم يوم حنين قوم هوازن وذهب يفرق السبي والشاء فأتيته فأنشأت أقول هذا الشعر

أمن علينا رسول الله في كرم * فأنك المرء نرجوه ونتنظر

أمن على بيضة قد عاقها قدر * مفرق شملها في دهرها غير

أبقت لنا الحرب هتافا على حرن * على قلوبهم الغماء والغمر

ان لم تداركهم نغماء تنشرها * يا أرجح الناس حاما حين يحتبر

أمن على نسوة قد كنت ترضعها * اذ فوك يملأوها من محضها الدرر

اذا أنت طفل صغير كنت ترضعها * واذا يزنيك ما تأتي وماتدر

رئيس هوازن ومن أسلم
معه من قومه وروى ان
ناسا منهم جاؤا فبايعوا
على الاسلام وقالوا يا رسول
الله أنت خير الناس وأبر
الناس وقد سبي أهلونا
وأولادنا وأخذت أموالنا
وكان السبي يومئذ ستة
آلاف نفس وأخذ من
الابل والغنم ما لا يحصى
فقال عليه السلام ان
خير القول أصدقها
اختاروا اما ذراريكم
واما أموالكم فقالوا ما
نعدل بالاحساب شيئا وتما
الحديث انهم أخذوا نساءهم
وذراريهم الا امرأة وقع
عليها صفوان بن أمية
فحملت منه فلم يردها

﴿يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس﴾ لما أمر عليه السلام علياً أن يقرأ على مشركي مكة أول براءة وينبذ إليهم عهدهم وإن الله بريء من المشركين ورسوله قال أناس يأهل مكة ستعامون ماتلقون من الشدة وانقطاع السبل وفقد الجولات فنزلت والظاهر الحكم عليهم بأنهم نجس أي ذوو نجس قال ابن عباس والحسن وعمر بن عبد العزيز والطبري وغيرهم الشرك هو الذي نجسهم فأعيانهم نجسة كالجر والكلاب والخنازير وقال الحسن من صافح مشركاً (٢٧) فليتوضأ وفي التحرير وبالغ الحسن حتى

قال إن الوضوء يجب من مس يد المشرك ولم يأخذ أحد بقول الحسن إلا الهادي من الزيدية وقال قتادة ومعمربن راشد وغيرهما وصف المشرك بالنجاسة لأنه جنب إذ غسله من الجنابة ليس بغسل وعلى هذا القول يجب الغسل على من أسلم من المشركين وهو مذهب مالك وقال ابن عبد الحكم لا يجب ولا شك أنهم لا يتطهرون ولا يغتسلون ولا يجتنبون النجاسات فجعلوا نجساً بالغة في وصفهم بالنجاسة ﴿فلا يقربوا المسجد الحرام﴾ الظاهر أن النهي مختص بالمشركين وبالمسجد الحرام وهذا مذهب أبي حنيفة وأباح دخول اليهود والنصارى المسجد الحرام وغيره ودخول عبدة الأوثان في سائر المساجد وقال الشافعي هي عامة في الكفار خاصة

ياخير من مرحت كمت الجياد به * عند الهياج إذا ما استوقد الشرر
لا تجعلنا كمن شالت نعامة * واستبق منا فانا معشر زهر
إنا نؤمل عفوانك نلبسه * هدى البرية أن تعفو وتتصر
إنا لنشكر للنعمى وقد كفرت * وعندنا بعد هذا اليوم مدخر
فألبس العفو من قد كنت ترضعه * من أمهاتك إن العفو مشتهر
واعف عفا الله عما أنت راهبه * يوم القيامة اذ يهدى لك الظفر

وفي رواية الطبراني تقديم وتأخير في بعض الأبيات وتغيير لبعض ألفاظ فترتيب الأبيات بعد قوله إذا أنت طفل قوله لا تجعلنا ثم أنا لنشكر ثم فلبس العفو ثم تأخير من مرحت ثم أنا نؤمل ثم فاعف وتغيير الألفاظ قوله واذا يربك بالراء والباء مكان الزاي والنون وقوله للنعماء إذا كفرت وقوله إذا تعفو وفي رواية الطبراني قال فلما سمع النبي صلى الله عليه وسلم هذا الشعر قال صلى الله عليه وسلم ما كان لي ولبنى عبد المطلب فهو لكم * وقالت قريش ما كان لنا فله ولله ورسوله * وقالت الأنصار ما كان لنا فله ولله ورسوله وفي رواية التنوخي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما ما كان لي ولبنى عبد المطلب فله ولكم وقالت الأنصار ما كان لنا فله ولله ورسوله ردت الأنصار ما كان في أيديهم من الذراري والأموال ﴿يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عاههم﴾ هذا وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء الله عليم حكيم ﴿لما أمر النبي صلى الله عليه وسلم علياً أن يقرأ على مشركي مكة أول براءة وينبذ إليهم عهدهم وإن الله بريء من المشركين ورسوله قال أناس يأهل مكة ستعامون ماتلقون من الشدة وانقطاع السبل وفقد الجولات فنزلت﴾ وقيل لما نزل إنما المشركون نجس شق على المسلمين وقالوا من يأتينا بطعامنا وكانوا يقدمون عليهم بالتجارة فنزلت وإن خفتم عيلة الآية والجمهور على أن المشرك من اتخذ مع الله الها آخر وعلى أن أهل الكتاب ليسوا بمشركين ومن العلماء من أطلق عليهم اسم لا شرك لقوله إن الله لا يغفر أن يشرك به أي يكفر به ﴿وقرأ الجمهور نجس بفتح النون والجيم وهو مصدر نجس نجساً أي قدر قدر أو الظاهر الحكم عليهم بأنهم نجس أي ذوو نجس﴾ قال ابن عباس والحسن وعمر بن عبد العزيز وغيره الشرك هو الذي نجسهم فأعيانهم نجسة كالجر والكلاب والخنازير * وقال الحسن من صافح مشركاً فليتوضأ وفي التحرير وبالغ الحسن حتى قال إن الوضوء يجب من مس يد المشرك ولم يأخذ أحد بقول الحسن إلا الهادي من الزيدية * وقال قتادة ومعمربن راشد وغيرهما وصف المشرك بالنجاسة لأنه جنب إذ غسله من الجنابة

في المسجد الحرام فأباح دخول اليهود والنصارى والوثنيين في سائر المساجد وقاس مالك جميع الكفار من أهل الكتاب وغيرهم على المشركين وقاس سائر المساجد على المسجد الحرام ومنع من دخول الجميع في جميع المساجد ﴿وان خفتم عيلة﴾ العيلة الفقر وقرئ عائلة وهو مصدر كالعاقبة أو نعت لمحدوف أي حالاً عائلة ﴿فسوف يغنيكم الله من فضله﴾ أي في جواب الشرط بسوف وهي أكثر مبالغة في التنفيس من السين والاعناء إنما وقع كثير بعد اتساع الإسلام وفتح البلاد حتى يحكى عن الزبير وطاعة أمه مبالغة من اتساع المال ما يعجب منه وعلق الاعناء بالمسيئة لأنه يقع في حق بعض دون بعض وفي وقت دون وقت

ليس بغسل وعلى هذا القول يجب الغسل على من أسلم من المشركين وهو مذهب مالك * وقال ابن عبد الحكم لا يجب ولا شك أنهم لا يتطهرون ولا يعتسلون ولا يجتنبون النجاسات ففعلوا نجسا مبالغة في وصفهم بالنجاسة * وقرأ أبو حيوة نجس بكسر النون وسكون الجيم على تقدير حذف الموصوف أي جنس نجس أو ضرب نجس وهو اسم فاعل من نجس خففوه بعد الاتباع كما قالوا في كبد كبد وكرش كرش وقرأ ابن السنيق أن نجاس فاحتمل أن يكون جمع نجس المصدر كما قالوا أصناف واحتمل أن يكون جمع نجس اسم فاعل وفي النهي عن القربان منهم عن دخوله والطواف به بحج أو عمرة أو غير ذلك كما كانوا يفعلون في الجاهلية وهذا النهي من حيث المعنى هو متعلق بالمسلمين أي لا يتركونهم يقربون المسجد الحرام والظاهر أن النهي مختص بالمشركين وبالمسجد الحرام وهذا مذهب أبي حنيفة وأباح دخول اليهود والنصارى المسجد الحرام وغيره ودخول عبدة الأوثان في سائر المساجد * وقال الزمخشري إن معنى قوله فلا يقربوا المسجد الحرام فلا يحجوا ولا يعتمرُوا ويدل عليه قول علي حين نادى ببراءة لا يحج بعد عامنا هذا مشرك قال ولا يمنعون من دخول الحرم والمسجد الحرام وسائر المساجد عند أبي حنيفة انتهى * وقال الشافعي هي عامة في الكفار خاصة في المسجد الحرام فأباح دخول اليهود والنصارى والوثنيين في سائر المساجد وقاس مالك جميع الكفار من أهل الكتاب وغيرهم على المشركين وقاس سائر المساجد على المسجد الحرام ومنع من دخول الجميع في جميع المساجد * وقال عطاء المراد بالمسجد الحرام الحرم وإن على المسلمين أن لا يمكنهم من دخوله * وقيل المراد من القربان أن يمنعوا من تولى المسجد الحرام والقيام بمصالحه ويعزلوا عن ذلك * وقال جابر بن عبد الله وقتادة لا يقرب المسجد الحرام مشرك إلا أن يكون صاحب حرية أو عبد المسلم والمعنى بقوله بعد عامهم هذا هو عام تسع من الهجرة وهو العام الذي حج فيه أبو بكر أميراً على الموسم وأتبع بعلي ونودي فيها ببراءة * وقال قتادة هو العام العاشر الذي حج فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم والعيالة الفقراء * وقرأ ابن مسعود وعلقمة من أصحابه عائلة وهو صدر كالعاقبة أو نعت لمخدوف أي حالا عائلة وإن هنا على بابها من الشرط * وقال عمرو بن قاندا المعنى وأذخفتهم كقولهم إن كنت ابني فأطعني أي إذا كنت وكون إن بمعنى إذ قول مرغوب عنه وتقدم سبب نزول هذه الآية وفضله تعالى قال الضحاك ما فتح عليهم من أخذ الجزية من أهل الذمة * وقال عكرمة أغناهم بأدراار المطر عليهم وأسأمت العرب فمأدى حجهم ونحرهم وأغنى الله من فضله بالجهاد والظهور على الأمم وعلق الأغناء بالمشيئة لأنه يقع في حق بعض دون بعض وفي وقت دون وقت * وقيل لأجراء الحكم على الحكمة فإن اقتضت الحكمة والمصلحة اغناءكم أغناكم * وقال القرطبي اعلا ما بأن الرزق لا يأتي بحيلة ولا اجتهاد وإنما هو فضل الله وروى الشافعي

﴿ قاتلوا الذين لا يؤمنون ﴾
نزلت حين أمر رسول
الله صلى الله عليه وسلم
بغزو الروم وغزا بعد
نزولها تبوك وقيل نزلت
في قريظة والنضير فصالحهم
وكانت أول جزية أصابها
المسلمون وأول ذل أصاب
أهل الكتاب بأيدي
المسلمين نفى الإيمان بالله
عنهم لأن سبيلهم سبيل من
لا يؤمن بالله إذ يصفونه
بما لا يليق أن يوصف به

لو كان بالخيال الغنى لو جدتني * بنجوم أقطار السماء تعلق

لكن من رزق الحجاج حرم الغنى * ضدان مفترقان أي تفرق

ومن الدليل على القضاء وكونه * بوعس اللييب وطيب عيش الأحق

إن الله عليم بأحوالكم حكيم لا يعطى ولا يمنع إلا عن حكمة * وقال ابن عباس عليم بما يصلحكم حكيم فيما حكم في المشركين ﴿ قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم

﴿ من الذين أتوا الكتاب ﴾ بيان لقوله الذين والظاهر اختصاص (٢٩) أخذ الجزية من أهل الكتاب وهم بنو إسرائيل

الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ﴿ نزلت حين أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بغزو الروم وغزا بعد نزولها تبوك ﴾ وقيل نزلت في قريظة والنضير فصالحهم وكانت أول جزية أصابها المسلمون وأول ذلك أصاب أهل الكتاب بأيدي المسلمين نفي الايمان بالله عنهم لأن سييلهم سيميل من لا يؤمن بالله اذ يصفونه بما لا يليق أن يوصف به قاله الكرماني ﴿ وقال الزجاج لأنهم جعلوا له ولدا وادخلوا كتابهم وحرموا ما لم يحرم وحلوا ما لم يحلل ﴾ وقال ابن عطية لأنهم تركوا شرائع الاسلام الذي يجب عليهم الدخول فيه فصار جميع ما لهم في البعث وفي الله من تخيلات واعتقادات لا معنى لها اذ يلقونها من غير طريقها وأيضا فلم تكن اعتقاداتهم مستقيمة لأنهم شبهوا وقالوا عزير ابن الله وثالث ثلاثة وغير ذلك ولهم أيضا في البعث آراء كثيرة في منازل الجنة من الرهبان وقول اليهود في النار يكون فيها أياما انتهى وفي الغيبان نفي عنهم الايمان لأنهم مجسمة والمؤمن لا يجسم انتهى والمنقول عن اليهود والنصارى انكار البعث الجسماني فكأنهم يعتقدون البعث الروحاني ما حرم الله في كتابه ورسوله في السنة ﴿ وقيل في التوراة والانجيل لأنهم أباحوا أشياء حرمها التوراة والانجيل والرسول على هناموسى وعيسى وعلى القول الأول محمد صلى الله عليه وسلم ﴾ وقيل ولا يجرمون الجمر والخنزير ﴿ وقيل ولا يجرمون الكذب على الله قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى ﴾ وقيل ما حرم الله من الربا وأموال الامييين والظاهر عموم ما حرم الله ورسوله في التوراة والانجيل والقرآن ولا يدينون دين الحق أى لا يعتقدون دين الاسلام الذي هو دين الحق وما سواه باطل ﴿ وقيل دين الحق دين الله والحق هو الله قاله قتادة يقال فلان يدين بكذا أى يتخذ دينه ويعتقده ﴾ وقال أبو عبيدة معناه ولا يطيعون طاعة أهل الاسلام وكل من كان في سلطان ملك فهو على دينه وقد دان له وخضع ﴿ قال زهير

لئن حلت بجوفى بنى أسد ﴿ في دين عمر ووحالت بيننا فذلك

من الذين أتوا الكتاب بيان لقوله الذين والظاهر اختصاص أخذ الجزية من أهل الكتاب وهم بنو إسرائيل والروم نصا وأجمع الناس على ذلك وأما المجوس فقال ابن المنذر لا أعلم خلافا في أن الجزية تؤخذ منهم انتهى ﴿ وروى أنه كان بعث في المجوس نبي اسمه زرادشت واختلف أصحاب مالك في مجوس العرب وأما السامرة والصابئة فالجمهور على أنهم من اليهود والنصارى تؤخذ منهم الجزية وتؤكل ذبائحهم ﴿ وقالت فرقة لا تؤخذ منهم جزية ولا تؤكل ذبائحهم ﴿ وقيل تؤخذ منهم الجزية ولا تؤكل ذبائحهم ﴿ وقال الأوزاعي تؤخذ من كل عابد وثن أو نار أو جاحد مذبذب ﴿ وقال أبو حنيفة لا يقبل من مشركي العرب الا الاسلام أو السيف وتقبل من أهل الكتاب ومن سائر كفار العجم الجزية ﴿ وقال مالك تؤخذ من عابد النار والوثن وغير ذلك كائنا من كان من عربى تغلبى أو قرشى أو عجمى الا المرتد ﴿ وقال الشافعى وأحمد وأبو ثور لا تقبل الا من اليهود والنصارى والمجوس فقط والظاهر شمول جميع أهل الكتاب في اعطاء الجزية ﴿ وقال أبو حنيفة ومالك والشافعى لا تؤخذ الا من الرجال البالغين الاحرار العقلاء ولا تضرب على رهبان الديارات والصوامع المنقطعين ﴿ وقال مالك في الواضحة ان كانت قد ضربت عليهم ثم انقطعوا لم تسقط وتضرب على رهبان الكنائس واختلف في الشيخ الفاني ولم يتعرض الآية لمقدار ما على كل رأس

والروم نصا وأجمع الناس على ذلك وأما المجوس فقال ابن المنذر لا أعلم خلافا في أن الجزية تؤخذ منهم انتهى ﴿ وروى أنه كان بعث في المجوس نبي اسمه زرادشت واختلفت أصحاب مالك في مجوس العرب وأما السامرة والصابئة فالجمهور على أنهم من اليهود والنصارى وتؤخذ منهم الجزية وتؤكل ذبائحهم ﴿ وقالت فرقة لا تؤخذ منهم الجزية ولا تؤكل ذبائحهم ﴿ وقيل تؤخذ منهم الجزية ولا تؤكل ذبائحهم ﴿ ولا تؤكل ذبائحهم والظاهر شمول جميع أهل الكتاب في اعطاء الجزية ولم يرد نص في مقدار الجزية وقال الشافعى وغيره على كل رأس دينار وقال أبو حنيفة على الفقير المكتسب اثنا عشر درهما وعلى المتوسط فى الغنى ضعفها وعلى المكتر ضعف الضعف ثمانية وأربعون درهما ولا تؤخذ عنده من فقير لا كسب له ﴿ عن يد ﴿ قال ابن عباس أى يعطونها بأيديهم ولا يرسلون بها ﴿ وهم صاغرون ﴿ جلة حالته أى ذليلون حقيرون وذ كركيفيات فى أخذها منهم وفى صغارهم لم يتعرض الآية لتعيين شيء منها

﴿ وقالت اليهود عزير بن الله ﴾ الآية بين الله سبحانه وتعالى لحاق اليهود والنصارى بأهل الشرك وإن اختلفت طرق الشرك فلا فرق بين من يعبد الصنم وبين من يعبد المسيح وغيره وقائل ذلك قوم من اليهود وكانوا بالمدينة قال ابن عباس قالها أربعة من أحبارهم سلام بن مشكم ونعمان بن أوفى (٣٠) وشاس بن قيس ومالك بن الصيف وقيل قاله فتاحص والدليل على

أن هذا القول كان فيهم أن الآية تليت عليهم فأنكروا ولا كذبوا مع تهاكهم على التكذيب وسبب هذا القول أن اليهود قتلوا الأنبياء بعد موسى عليه السلام فرفع الله عنهم التوراة ومحأها من قلوبهم فخرج عزير وهو غلام يسبح في الأرض فاتاه جبريل عليه السلام فقال له أياي تذهب قال أطلب العلم فحفظه التوراة فاملاها عليهم من ظهر لسانه لم يحرم حرفا فقالوا ما جمع الله التوراة في صدره وهو غلام إلا أنه ابنه وظاهر قول النصارى المسيح ابن الله بنسوة النسل كما قالت العرب في الملائكة وكما قيل عنهم أنهم يقولون إن المسيح إله وابن إله وقيل إن بعضهم يعتقدون أن ابنه وورثة وهذا القول لم يظهر إلا بعد النبوة المحمدية وظهور دلائلها وصدقها وبعد أن

ولالوقت اعطائها * فأما مقدارها فذهب مالك وكثير من أهل العلم إلى ما فرضه عمر أربعة دنانير على أهل الذهب وأربعون درهما على أهل الفضة وفرض عمر ضياقة وازاقا وكسوة * وقال الثوري رويت عن عمر ضرائب مختلفة وأظن ذلك بحسب اجتهداه في عسرهم ويسرهم * وقال الشافعي وغيره على كل رأس دينار * وقال أبو حنيفة على الفقير الماكسب اثنا عشر درهما وعلى المتوسط في المعنى ضعفها وعلى الأكثر ضعف الضعف ثمانية وأربعون درهما ولا يؤخذ عنده من فقير لا كسب له * قال ابن عطية وهذا كله في الفترة وأما الصلح فهو ما صولحو عليه من قليل أو كثير * وأما وقفها فعند أبي حنيفة أول كل سنة وعند الشافعي آخر السنة وسعيت جزية من جزى يجزى إذا كافأ عما أسدى عليه فكأنهم أعطوها جزاء ما منحوا من الأمن وهي كالعقدة والجلسة ومن هذا المعنى قول الشاعر

نجزيك أو نثني عليك وأن من * أنثى عليك بما فعلت فقد جزى

* وقيل لأنها طائفة مما على أهل الذمة أن يجزوه أي يقضوه عن يد * قال ابن عباس يعطونها بأيديهم ولا يرسلون بها * وقال عثمان يعطونها نقد الانسيئة * وقال قتادة يعطونها بأيديهم تحت يد الآخذ فالمعنى أنهم مستعلى عليهم * وقيل عن اعتراف * وقيل عن قوة منكم وقهر وذل ونفاذ أمر فيهم كما تقول اليد في هذا فلان أي الأمر له * وقيل عن انعام عليهم بذلك لأن قبولها منهم عوضا عن أرواحهم انعام عليهم من قولهم له على يد أي نعمة * وقال القتيبي يقال أعطاه عن يده عن ظهر يدا إذا أعطاه مبتدئا غير مكافئ * وقيل عن يد عن جماعة أي لا يعفى عن ذي فضل منهم لفضله واليد جماعة القوم يقال القوم على يد واحدة أي هم مجتمعون * وقيل عن يد أي عن غنى وقدره فلاتوء خدم الفقير ولخص الرخصرى في ذلك فقال أما أن يريد بالآخذ فعناه حتى يعاوها عن يد قاهرة مستولية وعن انعام عليهم لأن قبول الجزية منهم وترك أرواحهم لهم نعمة عظيمة عليهم وإما أن يريد بالمعطى فالمعنى عن يد مواتية غير متمنعة لأن من أبى وامتنع لم يعط يده بخلاف المطيع المنقاد ولذلك قالوا أعطى بيده إذا انقاد واحتجب ألا ترى إلى قولهم نزع يده عن الطاعة أو عن يد إلى يد أي نقدا غير نسيئة أو لامبعوثا على يد آخر ولكن عن يد المعطى البريد الآخذ وهم صاغرون جملة أي ذليلون حقيرون وذكروا كيفيات في أخذها منهم وفي صغارهم لم تتعرض لتعيين شيء منها الآية * قال ابن عباس يشون بها ملبيين * وقال سليمان الفارسي لا يحمدون على إعطائهم * وقال عكرمة يكون قائما والآخذ جالسا * وقال الكلي يقال له عند دفعها أدا الجزية ويصك في قفاه وحكى البغوى يؤخذ بلحيته ويضرب في لهرمته * وقالت اليهود عزير بن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاؤون قول الذين كفروا

خالطوا المسامين وناظروهم فرجعوا عما كانوا يعتقدونه في عيسى عليه السلام وقرى عزير منونا على أنه اسم عربي مصغر وقرى غير منون على أنه ألحجى منع الصرف للعجمة والعامة وهو مبتدأ وخبره ابن الله ومعنى بأفواههم أنه قول لا يعضده برهان فاهو الالفاظ فارغ يفوهون به كالالفاظ المهمة التي هي كالاجراس والنغم لا تدل على معان وقرى يضاؤون ويضاؤون معناه يشابهون وهو على حذف مضاف تقديره يضاهاى قولهم قول الذين كفروا والذين كفروا هم أسلاف المعاصرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم

من قبل قاتلهم الله انى يؤفكون * بين تعالى لحاق اليهود والنصارى بأهل الشرك وان اختلفت طرق الشرك فلا فرق بين من يعبد الصنم وبين من يعبد المسيح وغيره لان الشرك هو أن يتخذ مع الله معبودا بل عابد الوثن أخف كفر من النصرانى لأنه لا يعتقد أن الوثن خالق العالم والنصرانى يقول بالحلول والاتحاد وقائل ذلك قوم من اليهود كانوا بالمدينة * قال ابن عباس قالها أربعة من أحبارهم سلام بن مشكم * ونعمان بن أوفى * وشاس بن قيس ومالك بن الصيف * وقيل قاله فحاص * وقال النقاش لم يبق يهودى يقول لها بل انقرضوا وتدم الطائفة أو تدمح بصدور ما يناسب ذلك من بعضهم * قيل والدليل على أن هذا القول كان فيهم أن الآية تليت عليهم فأنكروا ولا كذبوا مع تهالكهم على التكذيب وسبب هذا القول ان اليهود قتلوا الأنبياء بعد موسى فرفع الله عنهم التوراة ومحاهم من قلوبهم فخرج عزيز وهو غلام يسج في الارض فأناه جبريل فقال له الى أين تذهب قال أطلب العلم فحفظه التوراة فأما بلاها عليهم عن ظهر لسانه لا يخرج حرفا فقالوا ما جمع الله تعالى التوراة في صدره وهو غلام إلا أنه ابنه ونقلوا حكايات في ذلك وظاهر قول النصرانى المسيح ابن الله بنوثة النسل كما قالت العرب في الملائكة وكذا يقتضى قول الضحاك والطبرى وغيرهما عنهم ان المسيح اله وانه ابن الاله ويقال ان بعضهم يعتقد هابنوة حنوة ورحمة وهذا القول لم يظهر الا بعد النبوة المحمدية وظهور دلائل صدقها وبعد أن خالطوا المسامين وناظرهم فرجعوا عما كانوا يعتقدونه في عيسى وقرأ عاصم والكسائى عزيز ممنونا على انه عربى وباقي السبعة بغير تنوين ممنوع الصرف للعجمة والعامية كعذار وعزرائيل وعلى كلتا القراءتين فان خبر * وقال أبو عبيد هو أعجمى خفيف فانصرف كنوح ولوط وهود * قيل وليس قوله بمستقيم لأنه على أربعة أحرف وليس بمصغرا إنما هو اسم أعجمى جاء على هيئة المصغر كسليمان جاء على هيئة عثمان وليس بمصغر ومن زعم أن التنوين حذف من عزيز لالتقاء الساكنين كقراءة قل هو الله أحد الله الصمد وقول الشاعر * اذا غطيف السامى فرّا * أولأن ابنا صفة لعزيز ووقع بين علمين حذف تنوينه والخبر محذوف أى الا هنا ومعبودنا فقوله متحمل لأن الذى أنكر عليهم إنما هو نسبة النبوة الى الله تعالى ومعنى بأفواهم انه قول لا يعصده برهان فاهو اللفظ فارغ يفوهون به كالألفاظ المهملة التى هى أجراس ونعم لا تبدل على معان وذلك ان القول الدال على معنى لفظه مقول بالفم ومعناه مؤثر في القلب ومالا معنى له يقال بالفم لا غير * وقيل معنى بأفواهم الزامهم المقالة والتأكيدهم كما قال يكتبون الكتاب بأيديهم ولا طائر يطير بجناحيه ولا بد من حذف مضاف في قوله يضاهون أى يضاهى قولهم والذين كفروا أقدماء هم فهو كفر قديم فيهم أو المشركون القائلون الملائكة بنات الله وهو قول الضحاك أو الضمير عائدا على النصرانى والذين كفروا اليهود أى يضاهى قول النصرانى في دعواهم بنوثة عيسى قول اليهود في دعواهم بنوثة عزيز واليهود أقدم من النصرانى وهو قول قتادة * وقرأ عاصم وابن مصرف يضاهئون بالهمز وباقي السبعة بغير همز قاتلهم الله أنى يؤفكون دعاء عليهم عام لانواع الشر ومن قاتله الله فهو المقتول * وقال ابن عباس معناه لعنهم الله * وقال ابان بن تغلب

قاتلها الله تلحانى وقد عامت * انى لنفسى افسادى واصلاحى

* وقال قتادة قتلهم وذكر ابن الانبارى عاداهم * وقال النقاش أصل قاتل الدعاء ثم كثر استعمالهم حتى قالوه على جهة التعجب في الخير والشر وهم لا يريدون الدعاء * وأنشد الأصمعى

* قاتلهم الله * دعاء عليهم
عام لانواع الشر * أنى
يؤفكون * أى كيف
يصرفون عن الحق بعد
وضوح الدليل على
سبيل التعجب

واحد حبر والرهبان عباد النصارى الذين زهدوا في الدنيا وانقطعوا عن الخلق في الصوامع أخبر عن المجموع وعاد إلى ما يناسبه أي اتخذ اليهود أحبارهم والنصارى رهبانهم ﴿ والمسيح ابن مريم ﴾ عطف على رهبانهم ﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً ﴾ الظاهر أن الضمير عائداً على من عاد عليه في اتخذوا أي أمروا في التوراة والانجيل وعلى السنة أنبيائهم وفي قوله عما يشركون دلالة على إطلاق اسم الشرك على اليهود والنصارى ﴿ يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ﴾ مثلهم ومثل حالهم في طلبهم أن يطفئوا نيرة محمد صلى الله عليه وسلم بالكذب بحال من يريد أن ينفخ في نور عظيم منبث في الآفاق ونور الله تعالى هداية الصادر عن القرآن والشرع المنبث من حيث سماه نورا سمي محاولة إفساده أطفاء وكنى بالأفواه عن قلة حيلتهم وضعفها أخبر أنهم يحاولون أمراً جسيماً بشئ ضعيف فكان الأطفاء بنفخ الأفواه ﴿ ويأبى الله ﴾ أجرت العرب أبي بمعنى الفعل المنفي كأنه قال لا يريد الله فلذلك دخلت الـ في الإيجاب

يقاتل الله لي كيف تعجبني * وأخبر الناس أني لا أباليها

وليس من باب المفاعلة بل من باب طارقت النعل وعاقبت اللص أي يؤفكون كيف يصرفون عن الحق بعد وضوح الدليل على سبيل التعجب ﴿ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله ﴾ والمسيح ابن مريم ﴿ تعدت اتخذها مفعولين والضمير عائداً على اليهود والنصارى ﴾ قال حذيفة لم يعبدوهم ولكن أحلوا لهم الحرام فأحلوه وحرموا عليهم الحلال فحرموه وقد جاء هذا مرفوعاً في الترمذي إلى الرسول صلى الله عليه وسلم من حديث عدي بن حاتم * وقيل كانوا يسجدون لهم كما يسجدون لله والسجود لا يكون إلا لله فأطلق عليهم ذلك مجازاً * وقيل علم سبحانه أنهم يعتقدون الحلول وأنه سبحانه تجلي في بواطنهم فيسجدون له معتقدين أنه الله الذي حل فيهم وتجلي في سر أرواحهم فهو لاء اتخذوهم أرباباً حقيقة ومن ذهب للحلول فشا في هذه الأمة كثيراً وقالوا بالاتحاد وأكثر ما فشا في مشايخ الصوفية والفقراء في وقتنا هذا وقد رأيت منهم جماعة يزعمون أنهم أكابر * وحكى أبو عبد الله الرازي أنه كان فاشياً في زمانه حكاه في تفسيره عن بعض المروزيين كان يقول لأصحابه أتم عبيدي وإذا خلا بعض الحقا من أتباعه ادعى الألوهية وإذا كان هذا مشاهداً في هذه الأمة فكيف يبعد ثبوته في الأمم السابقة انتهى وهو منقول من كتاب التحرير والتحير وقد صنف شيخنا المحدث المتصوف قطب الدين أبو بكر محمد بن أحمد بن القسطلاني كتاباً في هذه الطائفة قد كره فيهم الحسين ابن منصور الحلاج وأباعد الله الشوذي كان بتماسان وإبراهيم بن يوسف بن محمد بن دهان عرف بابن المرأة وأباعد الله بن أحلى المتأمر بلورقة وأباعد الله بن العربي الطائي وعمر بن علي بن الفارض وعبد الحق بن سبعين وأبا الحسن الششتري من أصحابه وابن مطرف الأعمى من أصحاب ابن أحلى والصفيفير من أصحابه أيضاً والعفيف التماساني وذكري كتابه من أحوالهم وكلامهم وأشعارهم ما يدل على هذا المذهب وقتل السلطان أبو عبد الله بن الأحمر ملك الاندلس الصفيفير بغرناطة وأناهها وقد رأيت العفيف الكوفي وأشدني بن شعره وكان يتكلم بهذا المذهب وكان أبو عبد الله الأبيكي شيخ خانكاه سعيد السعداء مخالطاً له خلطة كثيرة وكان متهماً بهذا المذهب وخرج التماساني من القاهرة هارباً إلى الشام من القتل على الزندقة وأملأوا العبيدتين بالمغرب ومصر فان أتباعهم يعتقدون فيهم الألوهية وأولهم عبيد الله المتلقب بالمهدي وآخرهم سليمان المتلقب بالعاذد والأحبار علماء اليهود والرهبان عباد النصارى الذين زهدوا في الدنيا وانقطعوا عن الخلق في الصوامع أخبر عن المجموع وعاد كل إلى ما يناسبه أي اتخذ اليهود أحبارهم والنصارى رهبانهم والمسيح ابن مريم عطف على رهبانهم ﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا اله إلا هو سبحانه عما يشركون ﴾ الظاهر أن الضمير عائداً على من عاد عليه في اتخذوا أي أمروا في التوراة والانجيل على السنة أنبيائهم * وقيل في القرآن على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم * وقيل في الكتب الثلاثة * وقيل في الكتب المنزلة وعلى لسان جميع الأنبياء * وقال الزمخشري أمرتهم بذلك أدلة العقل والنصوص في الانجيل والمسيح عليه السلام أنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة * وقيل الضمير عائداً على الأحبار والرهبان المتخذين أرباباً أي وما أمر هؤلاء إلا ليعبدوا الله ويوحده فكيف يصح أن يكونوا أرباباً لو هم مأمورون مستعبدون وفي قوله عما يشركون دلالة على إطلاق اسم الشرك على اليهود والنصارى ﴿ يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله

فكان الأطفاء بنفخ الأفواه ﴿ ويأبى الله ﴾ أجرت العرب أبي بمعنى الفعل المنفي كأنه قال لا يريد الله فلذلك دخلت الـ في الإيجاب

الآن يتم نوره ولو كره الكافرون * مثلهم ومثل حالهم في طلبهم أن يبطلوا نبوة محمد صلى الله عليه
 وسلم بالتكذيب بحال من يريد أن ينفخ في نور عظيم منبث في الآفاق ونور الله هدهد الصادر عن
 القرآن والشرع المنبث من حيث سماه نور اسمى محاولة افساده اطفاء وقالت فرقة النور القرآن
 وكفى بالافواه عن قلة حيلتهم وضعفها أخبر أنهم يحاولون أمر اجسام بسعي ضعيف فكان الاطفاء
 بنفخ الافواه ويحتل أن يراد بأقوال لا برهان عليها فهي لا تتجاوز الأفواه الى فهم سامع وناسب
 ذكر الاطفاء الأفواه * وقيل ان الله لم يذكر قولا مقرر ونابا لافواه واللسن الا وهو زور ومجىء الا
 بعد ويأبى يدل على مستثنى منه محذوف لانه فعل موجب والموجب لا تدخل معه الا لا تقول كرهت
 الازيد او تقدير المستثنى منه ويأبى الله كل شيء الا أن يتم قاله الزجاج * وقال علي بن سليمان جاز هذا في
 أبي لانه منع وامتناع فصار عت النفي * وقال الكرماني معنى أبي هنا لا يرضى الا أن يتم نوره بدوام
 دينه الى أن تقوم الساعة * وقال الفراء دخلت الا لان في الكلام طرفا من الجحد * وقال الزمخشري
 أجرى أبي مجرى لم يرد الا ترى كيف قوبل يريدون أن يطفئوا بقوله ويأبى الله وكيف أوقع موقع
 ولا يريد الله الا أن يتم نوره * هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو
 كره المشركون * هو محمد صلى الله عليه وسلم والهدى التوحيد والقرآن أو بيان الفرائض
 أقوال ثلاثة ودين الحق الاسلام ان الدين عند الله الاسلام والظاهر أن الضمير في ليظهره عائداً على
 الرسول لانه المحدث عنه والدين هنا جنس أي ليعليه على أهل الأديان كلهم فهو على حذف مضاف
 فهو صلى الله عليه وسلم غلبت أمته اليهود وأخرجوهم من بلاد العرب وغلبوا النصارى على بلاد
 الشام الى ناحية الروم والمغرب وغلبوا المجوس على ملكهم وغلبوا عباد الأصنام على كثير من
 بلادهم مماليك الترك والهند وكذلك سائر الأديان * وقيل المعنى يطلعه على شرائع الدين حتى لا يخفى
 عليه شيء منه فالدين هنا شرع الذي جاء به * وقال الشافعي قد أظهر الله رسوله صلى الله عليه وسلم على
 الأديان بأن أبان لكل من سمعته انه الحق وما خالفه من الأديان باطل * وقيل الضمير يعود على الدين
 * فقال أبو هريرة والباقر وجابر بن عبد الله أظهر الله الدين عند نزل عيسى بن مريم ورجوع
 الأديان كلها الى دين الاسلام كأنها ذهبت هذه الفرقة الى اظهاره على أتم وجوهه حتى لا يبقى معه
 دين آخر * وقالت فرقة ليجعله أعلاها وأظهرها وان كان معه غيره كان دونه وهذا القول لا يحتاج
 معه الى نزول عيسى بل كان هذا في صدر الأمة وهو كذلك باق ان شاء الله تعالى * وقال السدي
 ذلك عند خروج المهدي لا يبقى أحد الا دخل في الاسلام وأدى الخراج * وقيل مخصوص بجزيرة
 العرب وقد حصل ذلك ما بقي فيها أحد من الكفار * وقيل مخصوص بقرب الساعة فانه اذا ذاك
 يرجع الناس الى دين آبائهم * وقيل ليظهره بالحجة والبيان وضعف هذا القول لان ذلك كان
 حاصلاً اول الأمر * وقيل نزلت على سبب وهو انه كان لقرين رحلتان رحلة الشتاء الى اليمن
 ورحلة الصيف الى الشام والعراقين فاما أسامو انقطعت الرحلتان لمباينة الدين والدار فقد كروا
 ذلك للرسول صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية فالمعنى ليظهره على الدين كله في بلاد الرحلتين وقد
 حصل هذا أسلم أهل اليمن وأهل الشام والعراقين وفي الحديث زويت لي الأرض فاريت مشارقها
 ومغاربها وسيلغ ملك أمي ما زوى لي منها * قال بعض العلماء ولذلك اتسع مجال الاسلام بالشرق
 والمغرب ولم يتسع في الجنوب انتهى ولا سيما اتسع الاسلام بالشرق في زماننا فقل ما بقي فيه كافر بل
 أسلم معظم الترك التتار والخطا وكل من كان يناوى الاسلام ودخلوا في دين الله أفواجا والحمد لله

بعد ما معناه النفي و * أن
 يتم * في موضع نصب
 ونظيره قول الشاعر
 أبي الله الا عدله ووفاءه *
 فلا النكر معروف ولا
 العرف ضائع
 * هو الذي أرسل رسوله
 بالهدى * الآية الظاهر أن
 الضمير في ليظهره عائداً
 على رسول الله صلى الله
 عليه وسلم لانه المحدث عنه
 والدين هنا جنس أي
 ليعليه على أهل الأديان
 كلهم فهو على حذف
 مضاف فهو صلى الله عليه
 وسلم غلبت أمته اليهود
 وأخرجوهم من بلاد
 العرب وغلبوا النصارى
 على بلاد الشام الى ناحية
 الروم والمغرب وغلبوا
 المجوس على ملكهم وغلبوا
 عباد الأصنام على كثير من
 بلادهم مماليك الترك والهند
 وكذلك سائر الأديان

وخص المشركون هنا بالذكر لما كانت كراهة مختصة بظهور دين محمد صلى الله عليه وسلم وخص
 الكافرون قبل لانها كراهة اتمام نور الله في قديم الدهر وباقيهم الكفرة من لدن خلق الدنيا
 الى انقراضها ووقعت الكراهة والامتناع مرارا كثيرة * يا أيها الذين آمنوا ان كثير من الأتجار
 والرهبان لياكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله والذين يكنزون الذهب والفضة
 ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم * يوم يحصى عليهم في نار جهنم فتكوى بها جباههم
 وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون * ان عدة الشهور عند
 الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم
 فلا تظلموا فيه من أنفسكم وقتلوا المشركين كافة كما يقتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين *
 انما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطؤا عدة ما
 حرم الله فيحلوا ما حرم الله من لهم سوء أعمالهم والله لا يهدي القوم الكافرين * يا أيها الذين آمنوا
 مالكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله انا قلنا الى الأرض ارضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فامتنع
 الحياة الدنيا في الآخرة الا قليلا * لا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تنصروه
 شيئا والله على كل شيء قدير * لا تنصروه فقد نصره الله اذا أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذا
 هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فانزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها
 وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم * انفروا خفا فلو ثقالا
 وجهادوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون * لو كان عرضا قريبا
 وسفرا قاصدا لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم هلكون
 أنفسهم والله يعلم انهم لكاذبون * عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم
 الكاذبين * لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله
 عليم بالمتقين * انما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم
 يترددون * ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع
 القاعدين * لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا ولا أوضعوا خلا لكم يبعثونكم الفتنة وفيكم
 سماعون لهم والله عليم بالظالمين * لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لك الأمور حتى جاء الحق وظهر
 أمر الله وهم كارهون * ومنهم من يقول ائذني لي ولا تفتني ألافى الفتنة سقطوا وان جهنم لمحيطه
 بالكافرين * ان تصبك حسنة تسؤهم وان تصبك مصيبة يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل ويتولوا
 وهم فرحون * قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون * قل هل
 تر بصون بنا الا إحدى الحسنيين ونحن نتر بص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا فتر بصوا
 انامعكم تر بصون * قل أنفقوا طوعا أو كرها لن يتقبل منكم انكم كنتم قوما فاسقين * وما منعهم
 أن تقبل منهم نفقاتهم الا أنهم كفروا بالله وبرسوله ولا يأتون الصلاة الا وهم كسالى ولا ينفقون الا وهم
 كارهون * فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم انما يريد الله ليذهبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق
 أنفسهم وهم كافرون * ويحلفون بالله انهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون * لو يجدون
 ملجأ أو مغارات أو مدخلا لولوا اليهم وهم يجمعون * ومنهم من يملك في الصدقات فان أعطوا
 منها رضوا وان لم يعطوا منها اذاهم يسخطون * ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا
 الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله انا الى الله راغبون * انما الصدقات للفقراء والمساكين

والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله
والله عليم حكيم * أصل الكنز في اللغة الضم والجمع ولا يختص بالذهب والفضة قال
لادري ان أطعمت ضائعهم * قرف الجثي وعندي البرمكنوز
وقالوا رجل مكنتنا خلق أي مجتمعه * وقال الراجز

على شديد لجه كنار * بات ينزني على أوفاز

ثم غلب استعماله في العرف على المدفون من الذهب والفضة * السكى معروف وهو الزاق الحار
بعضو من البدن حتى يتقرق الجلد * والجهة معرفة وهي صفحة أعلى الوجه * والغار معروف وهو
نقر في الجبل يمكن الاستخفاء فيه * وقال ابن فارس الغار الكهف والغار نبت طيب الريح والغار
الجماعة والغاران البطن والفرج * ثبطه عن الأمر أبطأ به عنه وناقة ثبطة أي بطيئة السير * وأصل
التثبيط التعويق وهو أن يحول بين الإنسان وبين أمر يريد بالتزهيده فيه * الزهق الخروج
بصعوبة * قال الزجاج بالكسر خروج الروح * وقال الكسائي والمبرد زهقت نفسه
وزهقت لغتان والزهق الهلاك وزهق الحجر من تحت حافر الدابة إذا ندر والزهوق البعد والزهوق
البئر البعيدة المهواة * الملجأ مفعول من لجأ إلى كذا النجاء والتجأ وألجأته إلى كذا اضطررته * جمع نفر
باسراع من قولهم فرس جموح أي لا يردده اللجام إذا حمل قال

سبحوا جوحا واحضارها * كمعة السعف الموقد

وقال مهلهل

وقد جمحت جماحا في دماهم * حتى رأيت ذوى أجسامهم جدوا

وقال آخر إذا جمحت نساؤكم اليه * اشط كانه مسد مغار

جزقفر * وقيل بمعنى جمع * قال رؤبة * قاربت بين عنقي وجزى * المزر قال الليث هو
كالعمز في الوجه * وقال الجوهري العيب وأصله الإشارة بالعين ونحوها * وقال الأزهري
أصل المزر الدفع لمزته دفعته * الغرم أصله لزوم ما يشق والغرام العذاب الشاق وسمى العشق
غراما لكونه شاقا ولا زما * يأياها الذين آمنوا ان كثير من الأتجار والرهبان ليأكلون أموال
الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله
فبشرهم بعذاب أليم * لما ذكر انهم اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله ذكر ما هو كثير
منهم تنقيصا من شأنهم وتحقيراهم وان مثل هؤلاء لا ينبغي تعظيمهم فضلا عن اتخاذهم أربابا لما اشتقوا
عليه من أكل المال بالباطل وصددهم عن سبيل الله واندرجوا في عموم الذين يكنزون الذهب
والفضة فجمعوا بين الخصلتين المذمومتين أكل المال بالباطل وكنز المال ان ضنوا أن ينفقوها في
سبيل الله وأكلهم المال بالباطل هو أخذهم من أموال اتباعهم ضرائب باسم الكنائس والبيع
وغير ذلك مما يوهمونهم به ان النفقة فيه من الشرع والتقرب الى الله وهم يحجبون تلك الأموال
كالراهب الذي استخرج سمان كنزه وكما يأخذونه من الرشا في الأحكام كإيهام حماة دينهم وصددهم
عن سبيل الله هودين الاسلام واتباع الرسول * وقيل الجور في الحكم ويحتمل أن يكون يصدون
متعديا وهو أبلغ في الذم ويحتمل أن يكون قاصرا * وقرأ الجمهور والذين بالواو وهو عام يندرج فيه
من يكنزون المساهين وهو مبتدأ ضمن معنى الشرط ولذلك دخلت الفاء في خبره في قوله فبشرهم
* وقيل والذين يكنزون من أوصاف الكثير من الأتجار والرهبان * وروى هذا القول عن عثمان

* يأياها الذين آمنوا ان كثيرا
من الأتجار * الآية لما
ذكر تعالى أنهم اتخذوا
أحبارهم ورهبانهم أربابا
من دون الله ذكر ما عليه
كثير منهم تنقيصا من شأنهم
وتحقيراهم وان مثل هؤلاء
لا ينبغي تعظيمهم فضلا عن
اتخاذهم أربابا لما اشتقوا
عليه من أكل المال بالباطل
وصددهم عن سبيل الله
واندرجوا في عموم الذين
يكنزون الذهب والفضة
فجمعوا بين الخصلتين
المذمومتين أكل المال
الباطل وكنز المال
وأكلهم المال بالباطل هو
أخذهم من أموال اتباعهم
ضرائب باسم الكنائس
والبيع وغير ذلك مما
يوهمونهم به أن النفقة فيه
من الشرع والتقرب
إلى الله تعالى وصددهم عن
سبيل الله هودين الاسلام
واتباع رسول الله صلى
الله عليه وسلم والذين مبتدأ
اسم موصول ضمن معنى
اسم الشرط فلذلك دخلت
الفاء في خبره في قوله
فبشرهم والضمير في لا
ينفقونها عائد على
المكنوزات الدال عليها
الذهب والفضة

ومعاوية * وقيل كلام مبتدأ أراد به ما نعى الزكاة من المسامين * وروى هذا القول عن السدي
والظاهر العموم كقولنا في قرن بين الكاذبين من المسامين وبين المرتشين من الاحبار والرهبان
تعليظا ودلالة على انهم سواء في التبشير بالعذاب * وروى العموم عن أبي ذر وغيره * وقرأ ابن
مصرّف الذين بغير واو وهو ظاهر في كونه من أوصاف من تقدم ويحتمل الاستئناف والعموم
والظاهر ذم من يكنز ولا ينفق في سبيل الله وما جاء في ذم من ترك صفراء أو بيضاء وأنه يكوي بها إلى غير
ذلك من احاديث هو قبل ان تفرض الزكاة والتوعد في الكنز انما وقع على منع الحقوق منه فلذلك
قال كثير من العلماء الكنز هو المال الذي لا تؤدّي زكاته وان كان على وجه الارض فأما المال
المدفون اذا أخرجت زكاته فليس يكنز قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل ما أدّيت زكاته فليس
بكنز وعن عمر انه قال لرجل باع أرضا أحرز مالك الذي أخذت احفر له تحت فبراش احمي أتك فقال
أليس يكنز فقال ما أدّيت زكاته فليس يكنز وعن ابن عمر وعكرمة والشعبي والسدي ومالك وجهور
أهل العلم مثل ذلك * وقال على أربعة آلاف فادونها نفقة وما زاد عليها فهو كنز وان أدّيت زكاته *
وقال أبو ذر وجماعة معه ما فضل من مال الرجل عن حاجة نفسه فهو كنز وهذا القولان يقتضيان أن
الذم في جنس المال لا في منع الزكاة فقط * وقال عمر بن عبد العزيز هي منسوخة بقوله خذ من
أموالهم صدقة فأنتى فرض الزكاة على هذا كله كأن الآية تضمنت لا تجمعوا مالا فتعذبوا فانسخه
التقرير الذي في قوله خذ من أموالهم صدقة والله تعالى أكرم من أن يجمع على عبده مالا من جهة
أذن له فيها أو يؤدّي عنه ما أوجبه عليه فيه ثم يعاقبه وكان كثير من الصحابة رضوان الله عليهم
كعبد الرحمن بن عوف وطلحة بن عبيد الله يقتنون الأموال ويقتصرّون فيها وما عابهم أحد ممن
أعرض عن الفتنة لان الاعراض اختيار للافضل والادخل في الورع والزهد في الدنيا والاقتناء
مباح موسع لا يذم صاحبه وما روى عن علي كلام في الأفضل وقرأ أبو السهم ويحيى بن يعمر يكنزون
بضم الياء وخص بالذكور الذهب والفضة من بين سائر الأموال لانهم ما قيم الأموال وأثمانها وهما
لا يكتزان الا عن فضلة وعن كثرة ومن كنزهما لم يعد سائر أجناس الأموال وكنزهما يدل على ما سواهما
والضمير في ولا ينفقونها عائدا على الذهب لان تأنيبه أشهر أو على الفضة وحذف المعطوف في هذين
القولين أو عليهما باعتبار أن تحتهما أنواعا فروعى المعنى كقوله وان طائفتان من المؤمنين اقاتلتا
أولاهما محتويان على جمع دنائير ودراهم أو على المكنتوزات لدلالة يكنزون أو على الأموال أو على
النفقة وهي المصدر الدال عليه ولا ينفقونها أو على الزكاة أي ولا ينفقون زكاة الأموال أقوال وقال
كثير من المفسرين عاد على أحدهما كقوله واذا رأت تجارة أولها وليس مثله لان هذا عطف
بأوفى حكمها ان الضمير يعود على أحد المتعاطفين بخلاف الواو الا أن ادعى ان الواو في والفضة بمعنى أو
ليكن وهو خلاف الظاهر * يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم
هذا ما كنزتم لانفسكم قد وقوا ما كنتم تكنزون * يقال حيث الحديد في النار أي أوقدت عليها
لحمي وتقول أحيتها أدخلتها السكى تحمى أيضا فحيمت * وقرأ الجمهور يوم يحمى عليها بالياء أصله
يحمى النار عليها فاحذف المفعول الذي لم يسم فاعله وأسند الفعل الى الجملة والمجرور لم تلحق التاء
كما تقول رفعت القصة الى الأمير واذا حذف القصة وقام الجار والمجرور مقامها قلت رفع الى الأمير
ويدل على ان ذلك في الاصل مسند الى النار قراءة الحسن وابن عامر في رواية تحمى بالتاء * وقيل
من قرأ بالياء فالمعنى يحمى الوقود ومن قرأ بالتاء فالمعنى تحمى النار والناصب ليوم أليم أو مضر

* يوم يحمى عليها * يوم
منصوب بقوله أليم
والضمير في عليها عائدا
على المكنتوزات يوقد
عليها في نار جهنم اذ يجوز
أن يخلق الله تلك
المكنتوزات فيحمى عليها
* فتكوى بها جباههم
وجنوبهم وظهورهم *
وخصت هذه المواضع
بالسكى لانه في الجهة أشنع
وفي الجنب والظهر أوجع
ولانها مجوفة فتصل الى
جوفهم النار بخلاف اليد
والرجل * هذا ما كنزتم *
هو على اضمار قول
تقديره فيقال لهم هذا اشارة
الى المصدر المفهوم من
قوله فتكوى أي هذا
السكى جزاء ما كنزتم

﴿ ان عدة الشهور ﴾ الآية كانت العرب لا عيش لا كثيرها الا من الغارات واعمال سلاحها فكانت اذا توالى عليهم الاربعة الحرم صعب عليهم وأملقوا وكان بنو فقيم من كنانة أهل دين وتمسك بشرع ابراهيم عليه السلام فانتدب منهم القامس وهو حذيفة ابن عبيد بن فقيم ففسأ الشهور للعرب ثم خلفه على ذلك ابنه عباد ثم ابنه قلع ثم ابنه أمية ثم ابنه عوف ثم ابنه جنادة بن عوف وعليه قام الاسلام وكانت العرب اذا فرغت من حجاجها جاء اليه من شاء منهم محقة عيين فقالوا أنسننا شهر أى أخر عنا حرمة الشهر المحرم فاجعلها في صفر فيحل المحرم فيغيرون فيه ويعيشون ثم يلتزمون حرمة صفر ليوافقوا عدة الأشهر الاربعة الحرم ويسمون ذلك الصفر المحرم ويسمون ربيع الاول صفر او ربيع الآخر ربيعاً (٣٧) الاول وهكذا في سائر الشهور يستقبلون ذبيحتهم

في المحرم الموضوع لهم فيسقط على هذا حكم المحرم الذي حلل لهم وتجنى السنة من ثلاثة عشر شهراً وأولها المحرم المحلل ثم المحرم الذي هو في الحقيقة صفر ثم استقبال السنة كما ذكرنا قال مجاهد ثم كانوا يحجون من كل عام شهرين ولأول بعد ذلك يبدلون فيحجون عامين ولأول ثم كذلك حتى كانت حجة أبي بكر الصديق رضى الله عنه في ذى القعدة حقيقة وهم يسمونه ذى الحجة ثم حج رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة عشر في ذى الحجة حقيقة فذلك قوله ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض السنة اثناعشر شهراً اربعة حرم ذوالقعدة وذوالحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جدادى

بفسرة عذاب أى يعذبون يوم يحصى * وقرأ أبو حيوة فيكوى بالياء لما كان ما أسند اليه ليس تأنيته حقيقة ووقع الفصل أيضاً ذكر وأدغم قوم جباههم وهى مروية عن أبي عمر وذلك في الادغام الكبير كما أدغم مناسككم وماسلككم وخصت هذه المواضع بالكى * قيل لانه في الجهة أشنع وفي الجنب والظهر أوجع * وقيل لانها مجوفة فيصل الى أجوافها الحرج بخلاف اليد والرجل * وقيل معناه يكوون على الجهات الثلاث مقاديرهم وما آخرهم وجنوبهم * وقيل لما طلبوا المال والجاه شأن الله وجوههم ولما طورا كشعا عن الفقير اذا جالسهم كويت ظهورهم * وقال الزمخشري لانهم لم يطلبوا بأموالهم حيث لم ينفقوها في سبيل الله تعالى الا اغراض الدنيوية من وجاهة عند الناس وتقدم وأن يكون ماء وجوههم مصوناً عندهم يتلقون بالجميل ويحسون بالاكرام ويحتشمون ومن أكل طيبات يتضلعون منها وينفخون جنوبهم ومن لبس ناعمة من الثياب يطر حونها على ظهورهم كما ترى أغنياء زمانك هذه أغراضهم وطلبانهم من أموالهم لا يخطر ببالهم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب أهل الدثور بالأجور * وقيل لانهم كانوا اذا أبصروا الفقير عبسوا واذا ضمهم واياهم مجلس ازوروا عنه وتولوا بأركانهم وولوا ظهورهم وأضر القول في هذا ما كنزتم أى يقال لهم وقت الكى والاشارة بهذا الى المال المكنوز أو اشارة الى الكى على حذف مضاف من ما كنزتم أى هذا الكى نتيجة ما كنزتم أو ثمرة ما كنزتم ومعنى لانفسكم لتنتفع به أنفسكم وتلتذ فصار عذاباً لكم وهذا القول توبخ لهم فذوقوا ما كنتم أى وبال المال الذى كنتم تسكنون ويجوز ان تكون ما مصدرية أى وبال كونكم كاذبين * وقرئ يكثر ون بضم النون وفي حديث أبي ذر بشر الكاذبين برصاً يحصى عليها في نار جهنم فيوضع على حامة ثدييه وتزلزله وتكوى الجباه والجنوب والظهر حتى يلتقى الحرفى أجوافهم وفي صحيح البخارى وصحح مسلم الوعيد الشديد لما منع الزكاة ﴿ ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم وقتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين ﴾ كانت العرب لا عيش لا كثيرها الا من الغارات واعمال سلاحها فكانت اذا توالى عليهم الاربعة الحرم صعب عليهم وأملقوا وكان بنو فقيم من كنانة أهل دين وتمسك بشرع ابراهيم عليه السلام فانتدب منهم القامس وهو حذيفة بن عبيد بن فقيم ففسأ

وشعبان * ومناسبة هذه الآية لما قبلها انه تعالى لما ذكر أنواعاً من قبائح أهل الشرك وأهل الكتاب ذكر أيضاً نوعاً منه وهو تغيير العرب أحكام الله تعالى لانه حكم في وقت يحكم خاص فاذا غير واذلك الوقت فقد غير وأحكم الله تعالى والشهور جمع كثرة وأعاد الضمير عليها كعادته على الواحدة المؤنثة فقال منها أى من تلك الشهور ولما كانت الاربعة الحرم لليلة عذاب الضمير عليها بالنون في قوله فيهن تقول العرب الجنود انكسرت لانه جمع كثرة والاجتماع انكسرن لانه جمع قلة وانتصب كافة على الحال من الفاعل أو المفعول ومعناه جميعاً ولا يثنى ولا يجمع ولا تدخله أل ولا يتصرف فيها بغير الحال وتقدم بسط الكلام فيها عند قوله تعالى ادخلوا في السلم كافة فاعني عن اعادته والمعية بالنصر والتأييد وفي ضمة الأمر بالتقوى والحث عليها

المشهور للعرب ثم خلفه على ذلك ابنه عباد ثم ابنه قلع ثم ابنه أمية ثم ابنه عوف ثم ابنه جنادة بن
 عوف وعليه قام الاسلام وكانت العرب اذا فرغت من حجها جاء اليه من شاء منهم محققين فقالوا
 انسئنا شهرا أى آخر عنا حرمة المحرم فاجعلها في صفر فيحل لهم المحرم فيغيرون فيه ويعيشون ثم
 يلزمون حرمة صفر ليوافقوا عدة الا شهر الاربعة ويسمون ذلك الصفر المحرم ويسمون ربيعا الاول
 صفر او ربيعا الآخر ربيعا الاول وهكذا في سائر الشهور يستقبلون نسيئهم في المحرم الموضوع عليهم
 فيسقط على هذا حكم المحرم الذي حلل لهم وتجيء السنة من ثلاثة عشر شهرا اولها المحرم المحلل ثم
 المحرم الذي هو في الحقيقة صفر ثم استقبال السنة كما ذكرنا قال مجاهد ثم كانوا يحججون في كل عام
 شهرين ولأول بعد ذلك يبدلون فيحججون عامين ولأول ثم كذلك حتى كانت حجة أبي بكر في ذى القعدة
 حقيقة وهم يسمونه ذا الحجة ثم حج رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة عشر في ذى الحجة حقيقة
 فذلك قوله ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض السنة اثنا عشر شهرا
 أربعة حرم ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورب جبرم مضر الذي بين جمادى وشعبان * ومناسبة هذه
 الآية انه لما ذكر أنواعا من قبائح أهل الشرك وأهل الكتاب ذكر أيضا نوعا منه وهو تغيير العرب
 أحكام الله تعالى لانه حكم في وقت بحكم خاص فاذا غير واذلك الوقت فقد غير واحكم الله والشهور رجوع
 كثرة لما كانت أزيد من عشرة بخلاف قوله الحج أشهر معلومات فجاء بلفظ جمع القلة والمعنى
 شهور السنة القمرية لانهم كانوا يؤرخون بالسنة القمرية لشمسية توارثوه عن اسماعيل و ابراهيم
 ومعنى عند الله أى في حكمه وتقديره كما تقول هذا عند أبي حنيفة * وقيل التقدير عدة الشهور التي
 تسمى سنة واثنا عشر لانهم جعلوا أشهر العام ثلاثة عشر * وقرأ ابن القعقاع وهبيرة عن حفص
 بإسكان العين مع اثبات الألف وهو جمع بين سائر كنين على غير حدة كما روى الثقات حلقتا البطان
 بإثبات ألف حلقتا * وقرأ أطلحة بإسكان الشين وانتصب شهرا على التمييز المؤكد كقولك عندي
 من الرجال عشر وبن رجلا ومعنى في كتاب الله قال ابن عباس هو اللوح المحفوظ * وقيل في إيجاب
 الله * وقيل في حكمه * وقيل في القرآن لأن السنة المعبرة في هذه الشريعة هي السنة القمرية وهذا
 الحكم في القرآن قال تعالى والقمر نور او قدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب وقال يسألونك
 عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج * قال ابن عطية أى فيما كتبه وأثبتته في اللوح المحفوظ
 وغيره فهي صفة فعل مثل خلقه ورزقه وليس بمعنى قضائه وتقديره لان تلك هي قبل خلق السموات
 والأرض انتهى وعند الله متعلق بعدة * وقال الحوفي في كتاب الله متعلق بعدة يوم خلق السموات
 والأرض متعلق أيضا بعدة * وقال أبو علي لا يجوز أن يتعلق قوله في كتاب الله بعدة لأنه يقتضى
 الفصل بين الصلة والموصول بالخبر الذي هو اثنا عشر شهرا ولأنه لا يجوز أن ينتهى وهو كلام صحيح
 * وقال أبو البقاء عدة مصدر مثل العدد وفي كتاب الله صفة لاثنا عشر ويوم معمول لكتاب على
 أن يكون مصدر الاجتهاد ويجوز أن يكون جثة ويكون العامل في يوم معنى الاستقرار انتهى
 * وقيل انتصب يوم بفعل محذوف أى كتب ذلك يوم خلق السموات ولما كانت أشياء توصف بكونها
 عند الله ولا يقال فيها انها مكتوبة في كتاب الله كقوله ان الله عنده علم الساعة جمع هاتين هما اذ
 لا تعارض والضمير في منها عائدا على اثنا عشر لانه أقرب لآعلى الشهور وهى في موضع الصفة لاثنا
 عشر وفي موضع الحال من ضمير في مستقر وأربعة حرم سميت حرم بالتحريم القتال فيها أولت عظيم
 انتهال المحارم فيها وتسكين الرأى لغة وذكرا بن قتيبة عن بعضهم انها الاشهر التي أجل المشركون فيها

أن يسبحوا والصحيح أنها رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وأولها عند كثير من العلماء رجب
 فيكون من سنتين * وقال قوم أولها المحرم فيكون من سنة واحدة ذلك الدين القيم أي القضاء
 المستقيم قاله ابن عباس * وقيل العدد الصحيح * وقيل الشرع القويم اذهبوا دين إبراهيم فلا
 تظلموا فيهن أنفسكم الضمير في فيهن عائداً على الاثناعشر شهراً قاله ابن عباس والمعنى لا تجعلوا حلالاً
 حراماً ولا حراماً حلالاً كفعل النسيء ويؤيده كون الظلم منياعنه في كل وقت لا يختص بالأربعة
 الحرم * وقال قتادة والفراء هو عائداً على الأربعة الحرم هي عن المظالم فيها تشرى فإلها وتعتبها
 بالتخصيص بالذكر وان كانت المظالم منياعنها في كل زمان * وقال الزمخشري فلا تظلموا فيهن
 أي في الأشهر الحرم أي تجعلوا حراماً حلالاً وعن عطاء الخراساني أحلت القتال في الأشهر الحرم
 براءة من الله ورسوله * وقيل معناه لا تأثموا فيهن بياناً للعظم حرمتهم كما عظم أشهر الحج بقوله
 تعالى فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وان كان ذلك محرماً في سائر
 الشهور انتهى ويؤيد عوده على الأربعة الحرم كونها أقرب مذكور وكون الضمير جاء بلفظ
 فيهن ولم يجرى بلفظ فيها كما جاء منها أربعة حرم لأنه قد تقرّر في علم العربية أن الهاء تكون لما زاد
 على العشرة تعاملاً في الضمير معاملة الواحدة المؤنثة فتقول الجنود انكسرت وأن النون
 والهاء والنون للعشرة فادونها إلى الثلاثة تقول الاجذاع انكسرت هذا هو الصحيح وقد يعكس
 قليلاً فتقول الجنود انكسرت والاجذاع انكسرت والظلم بالمعاصي أو بالنسيء في تحليل شهر
 محرم وتحريم شهر حلال أو بالبداة بالقتال أو بترك المحارم لعددكم أقوال وانتصب كافة على الحال
 من الفاعل أو من المفعول ومعناه جميعاً ولا يشئ ولا يجمع ولا تدخله أل ولا يتصرف فيها بغير الحال
 وتقدم بسط الكلام فيها في قوله ادخلوا في السلم كافة فأغنى عن اعادته والمعية بالنصر والتأييد
 وفي ضمنه الأمر بالتقوى والحث عليها * انما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا
 يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء أعمالهم والله
 لا يهدي القوم الكافرين * يقال نساء وأنساء إذا أخره حكاة الكسائي * قال الجوهرى
 وأبو حاتم النسيء فاعيل بمعنى مفعول من نسأت الشيء فهو منسوء إذا أخرته ثم حول إلى نسيء كما
 حول مقتول إلى قتييل ورجل ناسئ وقوم نساءة مثل فاسق وفسقة انتهى * وقيل النسيء مصدر
 من أنسأ كالنذير من أنذر والنكير من أنكر وهو ظاهر قول الزمخشري لأنه قال النسيء تأخير
 حرمة الشهر إلى شهر آخر * وقال الطبري النسيء بالهمز معناه الزيادة انتهى فاذا قلت أنسأ الله
 الله أجله بمعنى أخر لزمن ذلك الزيادة في الاجل فليس النسيء مراداً للزيادة بل قد يكون
 منفرداً عنها في بعض المواضع وإذا كان النسيء مصدراً كان الاخبار عنه بمصدر واضح وإذا كان
 بمعنى مفعول فلا بد من اضمار إما في النسيء أي ان نسأ النسيء أو في زيادة أي ذوز زيادة وبقتدير هذا
 الاضمار يرد على ما يرد على قوله ولا يجوز أن يكون فعلاً بمعنى مفعول لأنه يكون المعنى انما المؤخر
 زيادة والمؤخر الشهر ولا يكون الشهر زيادة في الكفر * وقرأ الجمهور النسيء مهموز على
 وزن فاعيل * وقرأ الزهري وحيد وأبو جعفر وورش عن نافع والحلواني النسيء بتشديد الياء
 من غير همز وروى ذلك عن ابن كثير سهل الهمزة بابتداء الياء وأدغم الياء فيها كما فعلوا في نبيء
 وخطيئة فقالوا نبي وخطيئة بالابدال والادغام وفي كتاب اللوامح قرأ جعفر بن محمد والزهري
 والاشهب النسيء بالياء من غير همز مثل النسيء * وقرأ السامعي وطلحة والاشهب وشبل النسيء

* انما النسيء زيادة في
 الكفر * الآية قرئ
 النسيء مهموزاً على
 وزن فاعيل وقرئ
 النسيء بتشديد الياء من
 غير همز وتقدم الكلام عليها
 في قوله أو تنسأ في البقرة
 زيادة في الكفر
 جاءت مع كفرهم بالله
 تعالى لان الكافر اذا
 أحدث معصية ازداد كفره
 والضمير في به عائداً على
 النسيء واللام في ليواطئوا
 متعلقة بقوله ويحرمونه
 وذلك على طريق الاعمال
 ومعنى ليواطئوا أي
 ليحفظوا في كل عام أربعة
 أشهر في العدد فازالوا
 الفضيلة التي خص الله بها
 الأشهر الحرم وحفظوا
 العدة وحدها بمثابة أن
 يفطر رمضان ويصوم
 شهر من السنة بغير مرض
 أو سفر

باسكان السين * وقرأ مجاهد النسيء على وزن فعول بفتح الفاء وهو التأخير ورويت هذه عن طاحه والسامى وقول أبي وائل ان النسيء رجل من بني كنانة قول ضعيف وقول الشاعر
أنسنا الناسين على معدة * شهورا حل نجعلها حراما

﴿ وقال آخر ﴾

نسيء الشهر وربها وكانوا أهلها * من قبلكم والعزم يتحول
وأخبر أن النسيء زيادة في الكفر أي جاءت مع كفرهم بالله لان الكافر اذا أحدث معصية ازداد كفر اقال تعالى فزادتهم رجسا الى رجسهم كما أن المؤمن اذا أحدث طاعة ازداد ايمانا قال تعالى فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون وأعاد الضمير في بد على النسيء لا على لفظ زيادة * وقرأ ابن مسعود والاخوان وحفص يضل مبنيا للفعول وهو مناسب لقوله زين وباقي السبعة مبنيا للفاعل وابن مسعود في رواية والحسن ومجاهد وقناة وعمرو بن ميمون ويعقوب يضل أي الله أي يضل به الذين كفروا اتباعهم ورويت هذه القراءة عن الحسن والاعمش وأبي عمرو وأبي رجا * وقرأ أبو رجا يضل بفتحين من ضللت بكسر اللام أضل بفتح الضاد منقولاً ففتحها من فتحة اللام اذا الاصل أضل * وقرأ النخعي ومحبوب عن الحسن نضل بالنون المضموته وكسر الضاد أي نضل نحن ومعنى تحريمهم عاما وتحليلهم عاما لا يراد ان ذلك كان مداولة في الشهر بعينه عام حلال وعام حرام وقد تناول بعض الناس القصة على أنهم كانوا اذا شق عليهم توالى الاشهر الحرم أحل لهم المحرم وحرم صفر ابدا من المحرم ثم مشيت الشهور مستقيمة على أسمائها المعهودة فاذا كان من قابل حرم المحرم على حقيقة وأحل صفر ومشيت الشهور مستقيمة وان هذه كانت حال القوم وتقدم لنا ان الذي انتدب أولا للنسيء القامس * وقال ابن عباس وقناة والضحاك الذين شرعوا النسيء هم بنو مالك من كنانة وكانوا ثلاثة وعن ابن عباس ان أول من فعل ذلك عمرو بن لحي وهو أول من سيب السوائب وغير دين ابراهيم * وقال الكاكي أول من فعل ذلك رجل من بني كنانة يقال له نعيم بن ثعلبة والمواطاة الموافقة أي ليوافقوا العدة التي حرم الله وهي الاربعة ولا يخالفونها وقد خالفوا التخصيص الذي هو أصل الواجبين والواجبان هما العدد الذي هو اربعة في أشخاص أشهر معلومة وهي رجب وذو القعدة وذو الحجة والحرم كما تقدم ويقال تواطوا على كذا اذا اجتمعوا عليه كان كل واحد منهم يطاء حيث يطاء صاحبه ومنه الايطاء في الشعر وهو أن يأتي في الشعر بقافيتين على لفظ واحد ومعنى واحد وهو عيب ان تقارب واللام في ليواطئوا متعلقة بقوله ويحرمونه وذلك على طريق الاعمال ومن تأمل انه متعلق بيجلونوه ويحرمونه معافاته يريد من حيث المعنى لا من حيث الاعراب * قال ابن عطية ليحفظوا في كل عام اربعة أشهر في العدد فأزالوا الفضيلة التي خص الله بها الاشهر الحرم وحدها بمثابة أن يفطر رماهان ويصوم شهر من السنة بغير مرض أو سفر انتهى * وقرأ الاعمش وأبو جعفر ليواطئوا بالياء المضموته لما أبدل من الهمزة ياء عامل البديل معاملة المبدل منه والاصح ضم الطاء وحذف الياء لأنه أخلص الهمزة ياء خالصة عند التخفيف فسكنت لاستثقال الضمة عليها وذهبت لالتقاء الساكنين وبدلت كسرة الطاء ضمة لأجل الواو التي هي ضمير الجماعة كما قيل في رضوا رضوا وجاء عن الزهري ليواطئوا بتشديد الياء هكذا الترجمة عنه * قال صاحب اللوامح فان لم يرد بشدة بيان الياء وتخليصها من الهمزة دون التضعيف فلا أعرف وجهه انتهى فيحلوا ما حرم الله أي بمواطاة العدة وحدها من غير تخصيص ما حرم الله تعالى من القتال أو من ترك الاختصاص

﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَالَكُمْ ﴾ الآية لما أمر تعالى رسوله بغزوة تبوك وكان زمان جذب وحر شديد وقد طابت الثمار عظم ذلك على الناس وأحبوا المقام نزلت عتابا على من تخلف عن هذه الغزوة وكانت سنة تسع من الهجرة بعد الفتح بعام غزا فيها الروم في عشرين ألفا من راجل وراكب وتخلف عنه قبائل من الناس ورجال (٤١) من المؤمنين كثير ومنافقون وخص

الثلاثة بالعتاب الشديد بحسب مكانهم من الصحبة اذ هم من أهل بدر ومن يقتدى بهم وكان تخلفهم عن غير عملة حسبا يأتي الكلام عليه ان شاء الله ولما شرح معاني الكفار رغب في مقاتلتهم وما لكم استفهام معناه الانكار والتقريع وبنى قيل للمفعول والقائل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يذكر اغلاظا ومحاشنة لهم وصوننا لذكره اذا خلد الى الهوى بنا والدعة من اخلد وخالف أمره عليه السلام ومعنى اتاقلتم الى الارض ملتم الى شهوات الدنيا حين أخرجت الارض ثمارها وكرهتم مشاق السفر وقيل ملتم الى الإقامة بارضكم ولما ضمن معنى الميل والاخلا دعدى بالى وفي قوله أرضيتم نوع من الانكار والتعجب أى أرضيتم بالنعيم العاجل في الدنيا الزائل بدل النعيم الباقي ومن تطافرت

للاشهر بعينها * وقرأ الجمهور زين لهم سوء أعمالهم مبنيا للمفعول والأولى أن يكون المنسوب اليه التزيين الشيطان لأن ما أخبر به عنهم سيق في المبالغة في معرض الذم * وقرأ زيد بن علي زين لهم سوء بفتح الزاى والياء والهمزة والأولى أن يكون زين لهم ذلك الفعل سوء أعمالهم * قال الزمخشري خذلهم الله تعالى فحسبوا أعمالهم القبيحة حسنة والله لا يهدي أى لا يطف بهم بل يخذلهم انتهى وفيه دسيسة الاعتزال * وقال أبو علي لا يهديهم الى طريق الجنة والثواب * وقال الاصم لا يحكم لهم بالهداية * وقيل لا يفعل بهم خيرا والعرب تسمى كل خير هدى وكل شر ضلالة انتهى وهذا الخبر عن سق في عامه انهم لا يهتدون * يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَالَكُمْ اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اتاقلتم الى الارض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فامتناع الحياة الدنيا في الآخرة الاقليل * لما أمر الله رسوله بغزاة تبوك وكان زمان جذب وحر شديد وقد طابت الثمار عظم ذلك على الناس وأحبوا المقام نزلت عتابا على من تخلف عن هذه الغزوة وكانت سنة تسع من الهجرة بعد الفتح بعام غزا فيها الروم في عشرين ألفا من راجل وراكب وتخلف عنه قبائل من الناس ورجال من المؤمنين كثير ومنافقون وخص الثلاثة بالعتاب الشديد بحسب مكانهم من الصحبة اذ هم من أهل بدر ومن يقتدى بهم وكان تخلفهم عن غير عملة حسبا يأتي ان شاء الله تعالى ولما شرح معاني الكفار رغب في مقاتلتهم وما لكم استفهام معناه الانكار والتقريع وبنى قيل للمفعول والقائل هو الرسول صلى الله عليه وسلم لم يذكر اغلاظا ومحاشنة لهم وصوننا لذكره اذا خلد الى الهوى بنا والدعة من اخلد وخالف أمره صلى الله عليه وسلم * وقرأ الاعمش تشاقلتم وهو أصل قراءة الجمهور اتاقلتم وهو ماض بمعنى المضارع وهو في موضع الحال وهو عامل في اذا أى مالكم تتشاقلون اذا قيل لكم انفروا * وقال أبو البقاء الماضى هنا بمعنى المضارع أى مالكم تتشاقلون وموضعه نصب أى أى شئ لكم في التشاقل أو في موضع جر على مذهب الخليل انتهى وهذا ليس بجيد لأنه يلزم منه حذف ان لأنه لا ينسبك مصدر الامن حرف مصدرى والفعل وحذف أن في نحو هذا قليل جدا أو ضرورة واذا كان التقدير في التشاقل فلا يمكن عمله في اذا لأن معمول المصدر الموصول لا يتقدم عليه فيكون الناصب لازما والمتعلق به في التشاقل ما هو معلوم لكم الواقع خبرا لما * وقرىء اتاقلتم على الاستفهام الذى معناه الانكار والتوبيخ ولا يمكن أن يعمل في اذا ما بعد حرف الاستفهام فقال الزمخشري يعمل فيه ما دل عليه أو مافى مالكم من معنى الفعل كأنه قال ما تصنعون اذا قيل لكم كما تعمله في الحال اذا قلت مالكم قائما والاظهر أن يكون التقدير مالكم تتشاقلون اذا قيل لكم انفروا وحذف لدلالة اتاقلتم عليه ومعنى اتاقلتم الى الارض ملتم الى شهوات الدنيا حين أخرجت الارض ثمارها قاله مجاهد وكرهتم مشاق السفر * وقيل ملتم الى الإقامة بأرضكم قاله الزجاج ولما ضمن معنى الميل والاخلا دعدى بالى وفي قوله أرضيتم نوع من الانكار والتعجب أى أرضيتم بالنعيم العاجل في الدنيا الزائل بدل النعيم الباقي ومن تطافرت أقوال المفسرين على أنها بمعنى بدل أى بدل الآخرة كقوله لجعلنا منكم ملائكة أى بدلا منكم ومنه

(٦ - تفسير البحر المحيط لابي حيان - خامس) أقوال المفسرين على أنها بمعنى بدل أى بدل الآخرة كقوله تعالى لجعلنا منكم ملائكة أى بدلا منكم ومنه قول الشاعر فليت لنا من ماء زمزم شربة * مبردة باتت على طهيمان أى بدلا من ماء زمزم والطهيمان عود ينصب في ناحية الدار للهواء تعلق فيه أوعية الماء حتى يبرد وأصحابنا لا يشربون ان من تكون للبديل ويتعلق في الآخرة بمحذوف تقديره فامتناع الحياة الدنيا محسوبا في نعيم الآخرة

﴿الانتفروا يعذبكم﴾ الآية هذا وعيد للمتأقلين عظيم حيث أوعدهم بعذاب أليم مطلق يتناول عذاب الدارين وأنه يهلكهم ويستبدل قوما آخرين خيرا منهم وأطوع وأنه غنى عنهم في نصرته دينه لا يقدر تنافلهم فيها شيئا ﴿الانتصروا فقد نصره الله﴾ الآية الانتصروا وفيه انتفاء النصر بأي طريق كان من نصر أو غيره وجواب الشرط محذوف تقديره فسينصره الله ويدل عليه فقد نصره الله أي ينصره في المستقبل كما نصره في الماضي ومعنى اخراج الذين كفروا إياه فعلهم به ما يؤدي إلى الخروج والاشارة إلى خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة ونسب الاخراج إليهم مجازا كما نسب في قوله التي أخرجتك وقصة خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم أي بكر منذ كورة في السيرة وانتصب ثاني اثنين على الحال أي أحداثنين وهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وروى انهما أمر بالخروج قال (٤٢) جبريل عليه السلام من يخرج معي قال أبو بكر

وقال الليث ما صاحب الأنبياء عليهم السلام مثل أبي بكر وقال سفيان بن عيينة خرج أبو بكر رضي الله عنه بهذه الآية من المعاتبه التي في قوله الانتصروا قال ابن عطية بل خرج منها كل من شاهد غزوة تبوك وإنما المعاتبه لمن تخلف فقط وهذه الآية منوطة بقدر أبي بكر وتقدمه وسابقتها في الاسلام وفيها ترعيتهم في الجهاد ونصر دين الله اذ بين فيها ان الله ينصره كما نصره اذ كان في الغار وليس معه أحد فيه سوى أبي بكر رضي الله عنه والغار نقب في أعلى ثور وهو جبل في منى مكة على مسيرة ساعة مكث صلى الله عليه

قول الشاعر فليت لنا من ماء زمزم شربة * مبردة باتت على طهيان أي بدلا من ماء زمزم والطهيان عود ينصب في ناحية الدار للهواء تعلق فيه أو عية الماء حتى تبرد وأصحابنا لا يثبتون ان تكون من اللبدل ويتعلق في الآخرة بمحذوف التقدير فامتاع الحياة الدنيا محسوبا في نعيم الآخرة * وقال الخوفي في الآخرة متعلق بقليل وقليل خبر الابتداء وصلاح أن يعمل في الظرف مقدم لأن راحة الفعل تعمل في الظرف ولو قلت ما زيد عمرا الا يضرب لم يجز ﴿الانتفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تنصروا﴾ والله على كل شيء قدير * هذا سخط على المتأقلين عظيم حيث أوعدهم بعذاب أليم مطلق يتناول عذاب الدارين وأنه يهلكهم ويستبدل قوما آخرين خيرا منهم وأطوع وأنه غنى عنهم في نصرته دينه لا يقدر تنافلهم فيها شيئا * وقيل يعذبكم بالمسالك المطر عنكم * وروى عن ابن عباس انه قال استنفر رسول الله صلى الله عليه وسلم قبيلة ففعلت فأمر الله عنها المطر وعذبها به والمستبدل الموعود بهم * قال جماعة أهل اليمن * وقال ابن جبير أبناء فارس * وقال ابن عباس هم التابعون والظاهر مستغن عن التخصيص * وقال الاصم معناه انه تعالى يخرج رسوله من بين أظهرهم إلى المدينة * قال القاضي وهذا ضعيف لأن اللفظ لا دلالة فيه على أنه ينقل من المدينة إلى غيرهما ولا يمنع أن يظهر في المدينة أقواما يعينونه على الغزو ولا يمنع أن يعينهم بأقوام من الملائكة أيضا حال كونه هناك والضمير في ولا تنصروا شيئا عائدا على الله تعالى أي ولا تنصروا دينه شيئا وقيل على الرسول لأنه تعالى قد عصمه ووعد به بالنصر ووعد كائن لا محالة ولما ترتب على انتفاء نفرهم التعذيب والاستبدال وانتفاء الضرر أخبر تعالى انه على كل شيء تعلق ارادته بدقدير من التعذيب والتغيير وغير ذلك ﴿الانتصروا فقد نصره الله﴾ الانتصروا وفيه انتفاء النصر بأي طريق كان من نصر أو غيره وجواب الشرط محذوف تقديره فسينصره الله ويدل عليه فقد نصره الله أي ينصره في المستقبل كما نصره في الماضي

وسلم فيه ثلاثا ﴿اذها في الغار﴾ اذها في الغار * بل واذا يقول بدل ثان وقال العلماء من أنكر صحبة أبي بكر فقد كفر لانكاره كلام الله تعالى وليس ذلك لسائر الرابة وكان سبب حزن أبي بكر خوفه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فنهاه رسول الله تسكيناً لقلبه وأخبره بقوله ﴿ان الله معنا﴾ يعني بالمعونة والنصر وقال أبو بكر يا رسول الله ان قتلت فأنا رجل واحد وان قتلت هلكت الأمة وذهب دين الله فقال صلى الله عليه وسلم ما ظنك باثنين الله ثالثهما وقال أبو بكر رضي الله عنه قال النبي ولم يجزع يوقرنى *

(الدر) فقد نصره الله (ح) جواب الشرط محذوف تقديره فسينصره الله ويدل عليه قوله فقد نصره الله أي ينصره في المستقبل كما نصره في الماضي (ش) فان قلت كيف يكون قوله تعالى فقد نصره الله جوابا للشرط * قلت فيه وجهان أحدهما فسينصره الله وكمر معنى مقدمناه والثاني انه تعالى أوجب له النصر وجعله منصورا في ذلك الوقت فلن يختل من بعده انتهى (ح) هذا لا يظهر منه جواب الشرط لان إيجاب النصر له أمر سبق والمضارع لا يترتب على المستقبل فالذي يظهر الوجه الاول

* وقال الزمخشري (فان قلت) كيف يكون قوله تعالى فقد نصره الله جوابا للشرط (قلت) فيه وجهان أحدهما فس ينصره وذ كر معنى ما قدمناه * والثاني انه تعالى أوجب له النصره وجعله منصورا في ذلك الوقت فلم يخل من بعده انتهى وهذا لا يظهر منه جواب الشرط لان ايجاب النصره له أمر سبق والماضى لا يترتب على المستقبل فالذى يظهر الوجه الاول ومعنى اخراج الذين كفروا اياه فعلهم به ما يؤدى الى الخروج والاشارة الى خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة ونسب الاخراج اليهم مجازا كما نسب في قوله التي أخرجتك وقصة خروج الرسول صلى الله عليه وسلم وأبي بكر من كورة في السير وانتصب ثاني اثنين على الحال أى أحد اثنين وهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضى الله عنه * وروى انه لما أمر بالخروج قال لجبريل عليه السلام من يخرج معي قال أبو بكر * وقال الليث ما يحب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مثل أبي بكر * وقال سفيان بن عيينة خرج أبو بكر بهذه الآية من المعاتبه التي في قوله الاتنصره * قال ابن عطية بل خرج منها كل من شاهد غزوة تبوك وانما المعاتبه لمن تخلف فقط وهذه الآية منوّهة بقدر أبي بكر وتقدمه وسابقته في الاسلام وفي هذه الآية ترغيبهم في الجهاد ونصرة دين الله اذ بين فيها ان الله ينصره كما نصره اذ كان في الغار وليس معه فيه أحد سوى أبي بكر وقرأت فرقة ثاني اثنين بكون ياء ثاني * قال ابن جني حكاه أبو عمرو ووجهه انه سكن الياء تشبيها لها بالألف والغار نقب في أعلى ثور وهو جبل في يمين مكة على مسيرة ساعة مكث فيه ثلاثا اذ هما بدلواذ يقول بدل ثان * وقال العلماء من أنكروا صحة أبي بكر فقد كفر لانكاره كلام الله تعالى وليس ذلك لسائر الصحابة وكان سبب حزن أبي بكر خوفه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فهما الرسول تسكيننا لقلبه وأخبره بقوله ان الله معنا يعنى بالمعونة والنصر * وقال أبو بكر يا رسول الله ان قتلت فانار جل واحد وان قتلت هلكت الامة وذهب دين الله فقال صلى الله عليه وسلم ما ظنك باثنين الله ثالثهما * وقال أبو بكر رضى الله عنه

قال النبي ولم يجزع يوقرنى * ونحن في سدف من ظامة الغار
لا تخش شيئا فان الله ثالثنا * وقد تكفل لي منه باظهار
وانما كيد من تخشى بوارده * كيد الشياطين قد كادت لكفار
والله مهلكهم طرا بما صنعوا * وجاعل المنتهى منهم الى النار

* فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم * قال ابن عباس السكينة الرحمة * وقال قتادة في آخرين الوقار * وقال ابن قتيبة الطمأنينة وهذه الاقوال متقاربة والضمير في عليه عائده على صاحبه قاله حبيب بن أبي ثابت أو على الرسول قاله الجمهور أو عليهما أو فردة لتلازمهما ويؤيده ان في مصحف حفصة فأنزل الله سكينته عليهما وأيدهما والجنود الملائكة يوم بدر والاحزاب وحش * وقيل ذلك الوقت يلقون البشارة في قلبه ويصرفون وجوه الكفار عنه والظاهر أن الضمير عليه عائده على أبي بكر لان النبي صلى الله عليه وسلم كان ثابت الجأش ولذلك قال لا تخزن ان الله معنا وأن الضمير في وأيده عائده على الرسول صلى الله عليه وسلم كما جاء لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه يعنى الرسول وتسبحوه يعنى الله تعالى * وقال ابن عطية والسكينة عندى انما هي ما ينزله الله على أنبيائه من الحيطة لهم والخصائص التي لا تصلح الا لهم كقوله فيه سكينته من ربكم ويحتمل أن يكون قوله فأنزل الله سكينته

ونحن في سدف من ظامة
الغار
لا تخش شيئا فان الله ثالثنا
وقد تكفل لي منه باظهار
وانما كيد من تخشى
بوارده
كيد الشياطين قد كادت
لكفار
والله مهلكهم طرا بما صنعوا
جاعل المنتهى منهم الى النار
فأنزل الله سكينته
عليه * قال ابن عباس
السكينة الرحمة والوقار
والضمير في عليه عائده على
رسول الله صلى الله عليه
وسلم اذ هو المحدث عنه وقال
ابن عطية والسكينة
عندى انما هي ما ينزله الله
تعالى على أنبيائه من
الحيطة لهم والخصائص
التي لا تصلح الا لهم لقوله
فيه سكينته من ربكم
ويحتمل أن يكون قوله
فأنزل الله سكينته الى آخره
براديه ما صنعه الله تعالى
لنبيه الى وقت تبوك من
الظهور والفتوح لان
يكون هذا يختص بقصة
الغار وكلمة الذين
كفروا هي الشرك
وهي مقهورة وكلمة الله
هي التوحيد وهي فصل
بين المبتدأ والخبر أو مبتدأ
والعليا خبره والجملة
خبر لقوله وكلمة الله

الى آخر الآية يراد به ما صنع الله لنبيه الى وقت تبولك من الظهور والفتوح لأن يكون هذا مختص
بقصة الغار وكلمة الذين كفروا هي الشرك وهي مقهورة وكلمة الله هي التوحيد وهي ظاهرة هذا
قول الاكثرين وعن ابن عباس كلمة الكافرين مقرر واينهم من الكيد بدينك قوله وكلمة الله انه
ناصره * وقيل كلمة الله لا اله الا الله وكلمة الكفار قولهم في الحرب يا بني فلان ويا فلان * وقيل
كلمة الله قوله تعالى لا غلبن انا ورسلي وكلمة الذين كفروا قولهم في الحرب اعل هبل يعنون صفهم
الاكبر * وقرأ مجاهد وايد و الجهور وايد بتشديد الياء * وقرئ وكلمة الله بالنصب أي وجعل
وقراءة الجهور بالرفع أثبت في الاخبار وعن أنس رأيت في مصحف أبي وجعل كلمة هي العلياء
وناسب الوصف بالعزة الدالة على القهر والغلبة والحكمة الدالة على ما يصنع مع أنبيائه وأوليائه ومن
عاداهم من اعزاز دينه واخذ الكفر * انفر واخفا فوثقا لاجهاد واما والكم وانفسكم في سبيل
الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون * لما تعد تعالى من لا ينفر مع الرسول صلى الله عليه وسلم
وضرب له من الامثال ما ضرب أتبعه بهذا الامر الجزم والمعنى انفر وعلى الوصف الذي يخف عليكم
فيه الجهاد أو على الوصف الذي ينقل والخفة والثقل هنا مستعار لمن يمكنه السفر بسهولة ومن يمكنه
بصعوبة وأما من لا يمكنه كالأعمى ونحوه فخرج عن هذا * وروى أن ابن أم مكتوم جاء الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال أعلی أن أنفر قال نعم حتى نزلت ليس على الأعمى حرج وذكر المفسرون
من معاني الخفة والثقل أشياء لا على وجه التخصيص بعضها دون بعض وانما يحمل ذلك على التمثيل
لا على الحصر قال الحسن وعكرمة ومجاهد شبابا وشيوخا * وقال أبو صالح أغنياء وفقراء في اليسر
والعسر * وقال الاوزاعي ركبانا ومشاة * وقيل عكسه * وقال زيد بن أسلم عزبانا ومتزوجين
* وقال جويبر أصحاب ومريض * وقال جماعة خفافا من السلاح أي مقلين فيه وثقلا أي
مستكثرين منه * وقال الحكم بن عيينة وزيد بن علي خفافا من الاشغال وثقلا بها * وقال ابن
عباس خفافا من العيال وثقلا بهم * وحكى التبريزي خفافا من الاتباع والحاشية ثقلا بهم * وقال
علي بن عيسى هو من خفة اليقين وثقله عند الكراهة * وحكى الماوردي خفافا الى الطاعة وثقلا
عن المخالفة * وحكى صاحب الفتيان خفافا الى المبارزة وثقلا في المصاهرة * وحكى أيضا خفافا
بالسارعة والمبادرة وثقلا بعد التروى والتفكير * وقال ابن زيد ذوى صنعة وهو الثقيل
وغير ذوى صنعة وهو الخفيف * وحكى النقاش شجعانا وجبناء * وقيل مهازيل وسبانا * وقيل
سباقا الى الحرب كالطليعة وهو مقدم الجيش والثقال الجيش بأسره * وقال ابن عباس وقتادة
النشيط والكسلان والجهور على أن الامر موقوف على فرض الكفاية ولم يقصده فرض
الاعيان * وقال الحسن وعكرمة هو فرض على المؤمنين عني به فرض الاعيان في تلك المدة ثم
نسخ بقوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة وانتصب خفافا وثقلا على الحال وذكر باموالكم
وانفسكم اذ ذلك وصف لأكمل ما يكون من الجهاد وأنفعه عند الله فخص على كمال الأوصاف وقدمت
الاموال اذ هي أول مصرف وقت التجهيز وذكر ما المجاهد فيه وهو سبيل الله والخيرية هي في الدنيا
بغلبة العدو ووراثته الارض وفي الآخرة بالثواب ورضوان الله وقد غزا أبوطalha حتى غزا في البحر
ومات فيه وغزا المقداد على ضخامته وسننه وسعيد بن المسيب وقد ذهبت إحدى عينيه وابن أم
مكتوم مع كونه أعمى * لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة

* انفر واخفا فوثقا *
لما تعد تعالى من لا ينفر
مع رسوله عليه السلام
وضرب له من الامثال
ما ضرب أتبعه بهذا الامر
الجزم والمعنى انفر وعلى
الوصف الذي يخف عليكم
فيه الجهاد أو على الوصف
الذي ينقل والخفة والثقل
هنا مستعار لمن يمكنه
السفر بسهولة ومن
يمكنه بصعوبة وأما من
لا يمكنه كالأعمى ونحوه
فخرج عن هذا * لو كان
عرضا قريبا * أي لو كان
مادعوا اليه غنا قريبا
سهل المنال وسفرا قاصدا
وسطا مقاربا وهذه الآية
في قصة تبولك حين استنفر
المؤمنين فنفروا واعتذر
منهم لا محالة فريق لا سيما
من القبائل المجاورة
للمدينة * لاتبعوك * لبادروا
اليه لوجه الله ولا لظهور
كلمته * ولكن بعدت
عليهم الشقة * أي المسافة
الطويلة في غزى الروم
والشقة السفر البعيد
وربما قالوه بالكسر في
السين

﴿ سيخلفون ﴾ أي المنافقون وهذا الخبر بغيث قال الزمخشري في قوله وسيخلفون بالله مانصه بالله متعلق بسيخلفون أو هو من كلامهم والقول مراد في الوجهين أي سيخلفون متخلصين عند جوعك من غرور تبوك معتدلين يقولون بالله ﴿ لو استطعنا خرجنا معكم ﴾ أو وسيخلفون بالله يقولون لو استطعنا وقوله خرجنا سد مسد جواب القسم ولو جميعا والخبر بما سوف يكون بعد القول من حلفهم واعتذارهم وقد كان من جملة المعجزات ومعنى الاستطاعة استطاعة العدة أو استطاعة الإبدان كأنهم تمارضوا انتهى وما ذهب إليه من أن قوله خرجنا سد مسد جواب القسم ولو جميعا ليس بجيد بل للتحويين في هذا مذهبان أحدهما أن خرجنا هو جواب القسم وجواب لو محذوف على قاعدة اجتماع القسم والشرط إذا تقدم القسم على الشرط وهو اختيار ابن عصفور والآخر أن خرجنا هو جواب لو وجواب القسم هو لو وجوابها وهذا هو اختيار ابن مالك أما أن خرجنا سد مسدهما فلا أعلم أحدا ذهب إلى ذلك ﴿ يهلكون أنفسهم ﴾ بالخلف الكاذب أي يقعونها في الهلاك به والظاهر أنها جملة استئناف أخبار منه سبحانه وتعالى وقال الزمخشري يهلكون أنفسهم إما أن يكون (٤٥) بدلا من سيخلفون أو حالا بمعنى يهلكون والمعنى أنهم يقعونها في الهلاك بخلفهم

الكاذب وما يخلفون عليه من التخلف ويحتمل أن يكون حالا من قوله خرجنا أي خرجنا معكم وإن أهلكننا أنفسنا وألقيناها إلى التهلكة بما تحملها من السير في تلك الشقة وجاء به على لفظ الغائب لأنه مخبر عنهم ألا ترى أنه لو قيل سيخلفون بالله لو استطعوا خرجوا لكان سديدا يقال حلف بالله ليفعلن ولا فعلن فالغيبة على حكم الخبر والتكلم على الحكاية انتهى أما كون يهلكون بدلا من

وسيخلفون بالله لو استطعنا خرجنا معكم يهلكون أنفسهم والله يعلم أنهم لا كاذبون ﴿ أي لو كان ما دعوا إليه غمنا قرر ببأسهل المال وسفرا قاصدا وسطا مقاربا وهذه الآية في قصة تبوك حين استنفر المؤمنين فنفروا واعتذر منهم فريق لأصحابه لاسيما من القبائل المجاورة للمدينة وليس قوله يأثم الذين آمنوا ما لكم خطابا للمنافقين خاصة بل هو عام واعتذر المنافقون باعتذار كاذبة فابتدأ تعالى بذكر المنافقين وكشف ضمائرهم ﴿ لا تتبعوا للبادروا إليه لوجه الله ولا ظهور كلمته ولكن بعدت عليهم الشقة أي المسافة الطويلة في غزو الروم والشقة بالضم من الثياب والشقة أيضا السفر البعيد وربما قالوه بالكسر قاله الجوهري ﴾ وقال الزجاج الشقة الغاية التي تقصد ﴾ وقال ابن عيسى الشقة القطعة من الأرض يشق ركوبها ﴾ وقال ابن فارس الشقة المسير إلى أرض بعيدة واشتقاقها من الشق أو من المشقة ﴾ وقرأ عيسى بن عمر بعدت عليهم الشقة بكسر العين والشين وافقه الأعرج في بعدت ﴾ وقال أبو حاتم إنها لغة بني تميم في اللفظين انتهى ﴾ وحكى الكسائي شقة وشقة وسيخلفون أي المنافقون وهذا الخبر بغيث ﴾ قال الزمخشري في قوله وسيخلفون بالله مانصه بالله متعلق بسيخلفون أو هو من كلامهم والقول مراد في الوجهين أي سيخلفون متخلصين عند جوعك من غرور تبوك معتدلين يقولون بالله لو استطعنا خرجنا معكم أو وسيخلفون بالله يقولون لو استطعنا وقوله خرجنا سد مسد جواب القسم ولو جميعا والخبر بما سوف يكون بعد القول من حلفهم واعتذارهم وقد كان من جملة المعجزات ومعنى الاستطاعة استطاعة العدة أو استطاعة الإبدان كأنهم تمارضوا انتهى وما ذهب إليه من أن قوله خرجنا سد مسد جواب القسم ولو جميعا ليس بجيد بل

سيخلفون فبعد لان الهلاك ليس مراد فاللحلف ولا هو نوع من الخلف ولا يجوز أن يبدل فعل من فعل إلا أن يكون مرادفاله أو نوعا منه وأما كونه حالا من قوله خرجنا فالذي يظهر أن ذلك لا يجوز لأن قوله خرجنا فيه ضمير التكلم فالذي يجري عليه إنما (الدر) (ش) وقوله خرجنا سد مسد جواب القسم ولو جميعا (ح) ما ذهب إليه من أن قوله خرجنا سد مسد جواب القسم ولو جميعا ليس بجيد بل للتحويين في هذا مذهبان أحدهما أن خرجنا هو جواب القسم وجواب لو محذوف على قاعدة اجتماع القسم والشرط إذا تقدم القسم على الشرط وهو اختيار أبي الحسن بن عصفور والآخر أن خرجنا هو جواب لو وجواب القسم هو لو وجوابها وهذا اختيار ابن مالك أما أن خرجنا سد مسدهما فلا أعلم أحدا ذهب إلى ذلك ويحتمل أن يتناول كلامه على أنه لما حذف جواب لو ودل عليه جواب القسم جعل كأنه سد مسد جواب القسم وجواب لو (ش) يهلكون أنفسهم إما أن يكون بدلا من سيخلفون أو حالا بمعنى يهلكون والمعنى أنهم يقعونها في الهلاك بخلفهم الكاذب وما يخلفون عليه من التخلف ويحتمل أن يكون حالا من قوله خرجنا أي خرجنا معكم وإن أهلكننا أنفسنا وألقيناها إلى التهلكة بما تحملها من السير في تلك الشقة وجاء به على لفظ الغائب لأنه مخبر عنهم ألا ترى أنه لو قيل سيخلفون بالله لو استطعوا خرجوا لكان سديدا يقال حلف بالله ليفعلن ولا فعلن

يكون بضمير المتكلم فلو كان حالا من ضمير خرجنا لكان التركيب نهلك أنفسنا أي مهلكي أنفسنا وأما قياسه ذلك على حلف بالله ليفعلن ولا فعلن فليس بصحيح لأنه إذا أجزأه على ضمير الغيبة لا يخرج منه إلى ضمير المتكلم لو قلت حلف زيد ليفعلن وأنا قائم على أن يكون وأنا قائم حالا من ضمير ليفعلن لم يجز وكذا عكسه نحو حلف زيد لأفعلن يقوم زيد قائما لم يجز وأما قوله وجاء به على لفظ الغائب لأنه مخبر عنهم فعلاطة ليس مخبر عنهم بقوله لو استطعنا لخرجنا معكم بل هو حاك لفظ قولهم ثم قال ألا ترى أنه لو قيل لو استطاعوا لخرجوا لكان سديدا إلى آخر كلامه صحيح لكنه تعالى لم يقل ذلك إخبارا عنهم بل حكاية والحال من جملة كلامهم المحكي فلا يجوز أن يخالف بين ذي الحال وحاله لا شرا كهما (٤٦) في العامل لو قلت قال زيد خرجت يضرب خالدًا تريد

أضرب خالدًا لم يجز ولو قلت قالت هند خرج زيد أضرب خالدًا تريد خرج زيد ضاربا خالدًا لم

(الدر)

فالغيبة على حكم الأخبار والتكلم على الحكاية انتهى (ح) أما كون يهلكون بدلا من سيحلفون فبغير دلالة لاهلاك ليس مراد فاللحلف ولا هو نوع من الحلف ولا يجوز أن يبدل فعل من فعل الآن يكون مراد فله أو نوعا منه وأما كونه حالا من قوله لخرجنا فالذي يظن أن ذلك لا يجوز لأن قوله لخرجنا فيه ضمير التكلم فالذي يجري عليه إنما يكون بضمير التكلم فلو كان حالا من ضمير خرجنا لكان سديدا إلى آخر كلامه صحيح لأنه إذا أجزأه على ضمير الغيبة لا يخرج منهم إلى ضمير المتكلم لو قلت حلف زيد ليفعلن وأنا قائم على أن يكون وأنا قائم حالا من ضمير ليفعلن لم يجز وكذا عكسه نحو حلف زيد لأفعلن يقوم زيد قائما لم يجز وأما قوله وجاء به على لفظ الغائب لأنه مخبر عنهم فهي مغالطة ليس مخبر عنهم بقوله لو استطعنا لخرجنا معكم بل هو حاك لفظ قولهم ثم قال ألا ترى لو قيل لو استطاعوا لخرجوا لكان سديدا إلى آخر كلامه صحيح لكنه تعالى لم يقل ذلك إخبارا عنهم بل حكاية والحال من جملة كلامهم المحكي فلا يجوز أن يخالف بين ذي الحال وحاله لا شرا كهما في العامل لو قلت قال زيد خرجت يضرب خالدًا تريد أضرب خالدًا لم يجز ولو قلت قالت هند خرجت يضرب خالدًا لم

لنحو بين في هذا من ذهبان أحدهما أن خرجنا هو جواب القسم وجواب لو محذوف على قاعدة اجتماع القسم والشرط إذا تقدم القسم على الشرط وهذا اختيار أبي الحسن بن عصفور والآخرون خرجنا هو جواب أو وجواب القسم هو لو وجوابها وهذا اختيار ابن مالك أن خرجنا يسد مسدهما فلا علم أحدًا ذهب إلى ذلك ويحتمل أن يتأول كلامه على أنه لما حذف جواب لو ودل عليه جواب القسم جعل كأنه سد مسد جواب القسم وجواب لو جميعا * وقرأ الأعمش وزيد بن علي لو استطعنا بضم الواو وفر من ثقل الكسرة على الواو وشبهها بواو الجمع عند تحريكها لالتقاء الساكنين * وقرأ الحسن بفتحها كما جاء اشتروا الضلالة بالوجه الثلاثة يهلكون أنفسهم بالخلف الكاذب أيوقعونها في الهلاك به والظاهر أنها جملة استئناف إخبار منه تعالى * وقال الزخشي يهلكون أنفسهم أما أن يكون بدلا من سيحلفون أو حالا بمعنى مهلكين والمعنى أنهم يوقعونها في الهلاك بحلفهم الكاذب وما يحلفون عليه من التخلف ويحتمل أن يكون حالا من قوله لخرجنا أي لخرجنا معكم وإن أهلكنا أنفسنا وألقيناها في الهلكة بما يحملها من المسير في تلك الشقة وجاء به على لفظ الغائب لأنه مخبر عنهم ألا ترى أنه لو قيل سيحلفون بالله لو استطاعوا لخرجوا لكان سديدا يقال حلف بالله ليفعلن ولا فعلن فالغيبة على حكم الأخبار والتكلم على الحكم انتهى أما كون يهلكون بدلا من سيحلفون فبغير دلالة لاهلاك ليس مراد فاللحلف ولا هو نوع من الحلف ولا يجوز أن يبدل فعل من فعل الآن يكون مراد فله أو نوعا منه وأما كونه حالا من قوله لخرجنا فالذي يظهر أن ذلك لا يجوز لأن قوله لخرجنا فيه ضمير التكلم فالذي يجري عليه إنما يكون بضمير المتكلم فلو كان حالا من ضمير خرجنا لكان سديدا إلى آخر كلامه صحيح لأنه إذا أجزأه على ضمير الغيبة لا يخرج منهم إلى ضمير المتكلم لو قلت حلف زيد ليفعلن وأنا قائم على أن يكون وأنا قائم حالا من ضمير ليفعلن لم يجز وكذا عكسه نحو حلف زيد لأفعلن يقوم زيد قائما لم يجز وأما قوله وجاء به على لفظ الغائب لأنه مخبر عنهم فهي مغالطة ليس مخبر عنهم بقوله لو استطعنا لخرجنا معكم بل هو حاك لفظ قولهم ثم قال ألا ترى لو قيل لو استطاعوا لخرجوا لكان سديدا إلى آخر كلامه صحيح لكنه تعالى لم يقل ذلك إخبارا عنهم بل حكاية والحال من جملة كلامهم المحكي فلا يجوز أن يخالف بين ذي الحال وحاله لا شرا كهما في العامل لو قلت قال زيد خرجت يضرب خالدًا تريد أضرب خالدًا لم يجز ولو قلت قالت هند خرجت يضرب خالدًا لم

بالله ليفعلن ولا فعلن فليس بصحيح لأنه إذا أجزأه على ضمير الغيبة لا يخرج منه إلى ضمير المتكلم لو قلت حلف زيد ليفعلن وأنا قائم على أن يكون وأنا قائم حالا من ضمير ليفعلن لم يجز وكذا عكسه نحو حلف زيد لأفعلن يقوم زيد قائما لم يجز وأما قوله وجاء به على لفظ الغائب لأنه مخبر عنهم فعلاطة ليس مخبر عنهم بقوله لو استطعنا لخرجنا معكم بل هو حاك لفظ قولهم ثم قال ألا ترى لو قيل لو استطاعوا لخرجوا لكان سديدا إلى آخر كلامه صحيح لكنه تعالى لم يقل ذلك إخبارا عنهم بل حكاية والحال من جملة كلامهم المحكي فلا يجوز أن يخالف بين ذي الحال وحاله لا شرا كهما في العامل لو قلت قال زيد خرجت يضرب خالدًا تريد أضرب خالدًا لم

أضرب خاترا تريد خرج زيد صار باخالد لم يجز ﴿ عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين ﴾ قال ابن عطية هذه الآية في صنف مبالغ في النفاق واستأذنون اعتذار منهم عبد الله بن أبي والجد بن قيس ورفاعة بن التابوت ومن اتبعهم ﴿ فقال بعضهم ائذن لي ولا تفتني ﴾ وقال بعضهم ائذن لنا في الإقامة فأذن لهم استبقاء منهم عليهم وأخذوا بالأسهل من الأمور وتوكلوا على الله ﴿ قال مجاهد قال بعضهم نستأذنه فإن أذن في القعود قعدنا وإن لم يأذن قعدنا فزالت الآية في ذلك انتهى ﴾ وقال أبو عبد الله إبراهيم بن عرفة النحوي الداودي المنبوذ بنفطويه ذهب ناس إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم معاتب بهذه الآية وحاشاه من ذلك بل كان له أن يفعل وأن لا يفعل حتى ينزل عليه الوحي كما قال لو استقبلت من أمري ما استدبرت لعلته عمره لأنه كان له أن يفعل وأن لا يفعل وقد قال الله تعالى ترجى من نساء منهن وتووى إليك من نساء لأنه كان له أن يفعل ما يشاء مما لم ينزل عليه فيه وحي واستأذنه المخلفون في التخلف واعتذروا اختار أيسر الأمرين تكرر ما وتفضل منه صلى الله عليه وسلم فأبان الله تعالى أنه لو لم يأذن لهم لأقاموا للنفاق الذي في قلوبهم وأنهم كاذبون في اظهار الطاعة والمشاورة فعفا الله عنك عنده افتتاح كلام أعلمه الله به أنه لا حرج عليه فيما فعله من الاذن وليس هو عفو عن ذنب انما هو أنه تعالى أعلمه أنه لا يلزمه ترك الاذن لهم كما قال صلى الله عليه وسلم عفا الله بكم عن صدقة الخيل والرقيق وما وجبتا قط ومعناه ترك ان يلزمكم ذلك انتهى ووافقه عليه قوم فقالوا ذكر العفو هنا لم يكن عن تقدم ذنب وانما هو استفتاح كلام جرت عادة العرب ان تخاطب بمثله لمن تعظمه وترفع من قدره يقصدون بذلك الدعاء له فيقولون أصلح الله الأمير كان كذا وكذا فعلى هذا صيغته صيغة الخبر ومعناه الدعاء انتهى ولم ولهم متعلقان بأذنت لكنه اختلف مدلول اللامين اذ لام لم للتعليل ولا لم لهم للتبليغ فجاز ذلك لاختلاف معنيهما ومتعلق الاذن غير مذكور فاما قدمناه يدل على أنه القعود أى لم أذنت لهم في القعود والتخلف عن الغزو حتى تعرف ذوى العذر في التخلف ممن لا عذر له ﴿ وقيل متعلق الاذن هو الخروج معه للغزو لما ترتب على خروجهم من المفاسد لانهم كانوا عينا للكفار على المسلمين ويدل عليه قوله وفيكم سماعون لهم وكانوا يخذلون المؤمنين ويتنصرون أن تكون الدائرة عليهم فقبل لم أذنت لهم في اخر اجهم وهم على هذه الحالة السيئة وبين أن خروجهم معه ليس مصلحة بقوله لو خرجوا فيكم ما رادوكم الا خبالا وحتى غاية لما تضمنه الاستفهام أى ما كان أن تأذن لهم حتى يتبين من له العذر هكذا قدره الخوفي ﴿ وقال أبو البقاء حتى يتبين متعلق بمحذوف دل عليه الكلام تقديره هلا آخرتهم الى أن يتبين أوليتبين وقوله لم أذنت لهم يدل على المحذوف ولا يجوز أن تتعلق حتى بأذنت لان ذلك يوجب أن يكون أذن لهم الى هذه الغاية أولا جل التبيين وهذا لا يعاتب عليه انتهى وكلام الزمخشري في تفسير قوله عفا الله عنك لم أذنت لهم مما يجب اطراحه فضلا عن أن يذكر في رد عليه وقوله الذين صدقوا أى في استئذانك وانك لو لم تأذن لهم خرجوا معك وتعلم الكاذبين تريد في انهم استأذنوك يظهر انهم يقفون عند حدك وهم كذبة وقد عزموا على العصيان أذنت لهم أولم تأذن ﴿ وقال الطبري حتى تعلم الصادقين في ان لهم عذرا وتعلم الكاذبين في ان لا عذر لهم ﴾ وقال قتادة نزلت بعد هذه الآية آية النور فاذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم وهذا غلط لان النور نزلت سنة أربع من الهجرة في غزوة الخندق في استئذان بعض المؤمنين الرسول في بعض شأنهم في بيوتهم في بعض الاوقات فأباح الله أن يأذن فتباينت الآيتان في الوقت والمعنى ﴿ لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا ﴾

يجز ﴿ عفا الله عنك لم أذنت لهم ﴾ الآية اللام في لم لام التعليل وما استفهامية حذف منها الالف واللام الثانية للتبليغ وهما متعلقان بأذنت وجاز ذلك لاختلاف معنيهما وحتى غاية للاستفهام وقوله الذين صدقوا في استئذانك وانك لو لم تأذن لهم خرجوا معك ﴿ وتعلم الكاذبين ﴾ يريد في انهم استأذنوك يظهر ان لك انهم يقفون عند حدك وهم كذبة وقد عزموا على العصيان أذنت لهم أولم تأذن ﴿ لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله ﴾ ما قبل هذه الآية وما بعده خاورد في قصة تبوك والظاهر أن متعلق الاستئذان هو أن يجاهدوا أى ليس من عادة المؤمنين أن يستأذنوك في أن يجاهدوا وكان الخالص من المهاجرين والأنصار لا يستأذنون النبي صلى الله عليه وسلم أبدا ويقولون لنجاهدن معه باموالنا وأنفسنا

﴿ الدر ﴾

يجز ولو قلت قالت هند خرج زيد أضرب خالدا تريد خرج زيد صار با خالدا لم يجز

شكت ويتدردون يتحيرون لا يتجه لهم هدى فتارتب خطير لهم صحة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وتارة يخطر لهم خلاف ذلك ﴿ ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ﴾ قال ابن عباس عدة من الماء والزاد والراحلة لان سفرهم بعيد وفي زمان حر شديد وفي تركهم العدة دليل على انهم أرادوا التخلف ﴿ ولكن كره الله انبعاثهم ﴾ قال الزمخشري ﴿ فان قلت كيف موقع حرف الاستدراك ﴾ قلت لما كان قوله ولو أرادوا الخروج معطيا معنى نفى خروجهم واستعدادهم للغزو وقيل ولكن كره الله انبعاثهم كانه قيل ما خرجوا ولكنهم تثبطوا عن الخروج لكرهاته انبعاثهم كما تقول ما أحسن الى زيد ولكن أساء الى انتهى وليست الآية نظيرة هذا المثال لان المثال واقع فيه لكن بين ضدين وفي الآية لكن واقع فيها بين متفقين من جهة المعنى والانبعاث الانطلاق والنهوض قال ابن عباس فثبطهم كسلهم وفترنياتهم

بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين ﴿ قال ابن عباس لا يستأذنك أي بعد غزوة تبوك ﴾ وقال الجمهور ليس كذلك لان ما قبل هذه الآية وما بعدها ورد في قصة تبوك والظاهر ان متعلق الاستئذان هو أن يجاهدوا أي ليس من عادة المؤمنين أن يستأذنوك في أن يجاهدوا وكان الخالص من المهاجرين والانصار لا يستأذنون النبي صلى الله عليه وسلم أبدا ويقولون لنجاهدين معه بأموالنا وأنفسنا ﴿ وقيل التقدير لا يستأذنك المؤمنون في الخروج ولا القعود كراهة أن يجاهدوا بل اذا أمرت بشئ ابتدروا اليه وكان الاستئذان في ذلك الوقت علامة على النفاق وقوله والله عليم بالمتقين شهادة لهم بالانتظام في زمرة المتقين وعدة لهم بأجل الثواب ﴿ انما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يتدردون ﴾ هم المنافقون وكانوا تسعة وثلاثين رجلا ومعنى ارتابت شكت ويتدردون يتحيرون لا يتجه لهم هدى فتارة يخطر لهم صحة أمر الرسول وتارة يخطر لهم خلاف ذلك ﴿ ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعوا مع القاعدين ﴾ قال ابن عباس عدة من الزاد والماء والراحلة لان سفرهم بعيد في زمان حر شديد وفي تركهم العدة دليل على انهم أرادوا التخلف ﴿ وقال قوم كانوا قادرين على تحصيل العدة والاهبة ﴾ وروى الضحاك عن ابن عباس العدة النية الخالصة في الجهاد ﴿ وحكى الطبري كل ما يعد للقتال من الزاد والسلاح ﴾ وقرأ محمد بن عبد الملك بن مروان وابنه معاوية عذبة بضم العين من غير تاء والقراء يقول تسقط التاء لاضافة وجعل من ذلك وإقام الصلاة أي وإقامة الصلاة وورد ذلك في عدة أبيات من لسان العرب ولكن لا يقيس ذلك انما نقف فيه مع مورد السماع ﴿ قال صاحب اللوامح لما أضاف جعل الكناية نائبة عن التاء فأسقطها واذ ذلك لأن العذبة غير تاء ولا تقديرها هو البثر الذي يخرج في الوجه ﴾ وقال أبو حاتم هو جمع عدة كبرية وبرودة ودررو الوجه فيه عدد ولكن لا يوافق خط المصحف ﴿ وقرأ أذر بن حبيش وابن عباس عن عاصم عده بكسر العين وهاء اضممار ﴾ قال ابن عطية وهو عندي اسم لما يعد كالذبح والقتل للعدو سمي قتلا إذ حقه أن يقتل ﴿ وقرئ أيضا عدة بكسر العين والتاء دون اضافة أي عدة من الزاد والسلاح أو مما لهم مأخوذ من العدد ولما تضمنت الجملة انتفاء الخروج والاستعداد وجاء بعدها ولكن وكانت لا تقع الا بين نقيضين أو ضدين أو خلافين على خلاف فيه لا بين متفقين وكان ظاهرا ما بعد لكن موافقا لما قبلها ﴿ قال الزمخشري (فان قلت) كيف موقع حرف الاستدراك (قلت) لما كان قوله ولو أرادوا الخروج معطيا معنى نفى خروجهم واستعدادهم للغزو ﴾ قيل ولكن كره الله انبعاثهم كانه قيل ما خرجوا ولكن تثبطوا عن الخروج لكرهاته انبعاثهم كما تقول ما أحسن الى زيد ولكن أساء الى انتهى وليست الآية نظيرة هذا المثال لان المثال واقع فيه لكن بين ضدين وفي الآية لكن واقع فيها بين متفقين من جهة المعنى والانبعاث الانطلاق والنهوض ﴿ قال ابن عباس فثبطهم كسلهم وفترنياتهم وبنو وقيل للفعل فاحتمل أن يكون القول اذن الرسول لهم في القعود أو قول بعضهم لبعض املوا واما معنى أو حكاية عن قول الله في سابق قضائه ﴿ وقال الزمخشري جعل القاء الله تعالى في قلوبهم كراهة الخروج أمر بالقعود ﴾ وقيل هو من قول الشيطان بالوسوسة قال (فان قلت) كيف جاز أن يوقع الله تعالى في نفوسهم كراهة الخروج الى الغزو وهي قبيحة وتعالى الله عن الهام القبيح (قلت) خروجهم كان مفسدة لقوله تعالى لو خرجوا فيكم ما زادوكم

﴿ لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا ﴾ الآية لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب عسكره على ثنية الوداع وضرب
عبد الله بن أبي عسكره أسفل منها ولم يكن بأقل العسكرين فلما سار تخلف عنه عبد الله فيمن تخلف فنزلت والخبال قال ابن عباس
الفساد ومراعاة اتحاد الكلمة وتقدم شرح الخبال في آل عمران وهذا الاستثناء متصل وهو مفرغ اذا المفعول الثاني لزيد لم
يذكر وقد كان في هذه الغزوة منافقون كثير ولهم لاشك خبال فلو خرج هؤلاء لتألبوا فزاد الخبال ﴿ ولا وضعوا ﴾ الايضاع
الاسراع قال الشاعر أرانا موضعين لأمر غيب * ونسحر بالطعام وبالشراب (٤٩) ومفعول أوضعوا محذوف

تقديره ولا وضعوا ركائبهم
بينكم لان الراكب أسرع
من الماشي والخلال جمع
الخلل وهو الفرجة بين
الشيئين وجلسنا خلال
البيوت وخلال الدور أي
بينها وبينهم حال أي
باغين والفتنة هي الكفر
﴿ وفيكم سماعون لهم ﴾ قال
الزنجشري أي نمامون
يسمعون حديثكم
فينقلونه اليهم أو فيكم قوم
يسمعون للنفاقين
ويطيعونهم انتهى فاللام
في القول الأول للتعليل وفي
الثاني لتقوية التعديّة
كقوله تعالى فعال لما يريد
والقول الاول قاله سفيان
ابن عيينة والحسن ومجاهد
وابن زيد قالوا معناه
جواسيس يستمعون
الأخبار وينقلونها اليهم
ورجحه الطبري والقول
الثاني قول الجمهور قالوا
معناه وفيكم مطيعون

(الدر)

بعدها ولكن وكانت
لكن لا تقع الا بين نقيضين

(٧ - تفسير البحر المحيط لابي حيان - خامس) أوضدين أو خلافين على خلاف فيه لا بين متفقين وكان ظاهرا ما بعد لكن
موافقا لما قبلها قال (ش) فان قلت كيف موقع حرف الاستدراك * قلت لما كان قوله ولو أرادوا الخروج معطي معنى نفى خروجهم
واستعدادهم للغزو وقيل ولكن كرهه الله انبعاثهم كانه قيل ما خرجوا ولكن ثبتوا عن الخروج لكرهه انبعاثهم كما يقول ما أحسن
الى زيد ولكن أساء الى انتهى وليست الآية نظير هذا المثال لأن المثال واقع فيمدول لكن بين ضدّين والآية واقع فيه لكن بين متفقين

الاخبالا فكان ايقاع كراهة ذلك الخروج في نفوسهم حسنا ومصلحة انتهى وهذا السؤال والجواب
على طريقة الاعتزال في المفسدة والمصلحة وهذا القول هو ذم لهم وتعجيز والحاق بالنساء والصبيان
والزمنى الذين شأنهم القعود والجثوم في البيوت وهم القاعدةون والخالفون والخواف وبيئته قوله
تعالى رضوا بأن يكونوا مع الخواف والقعود ههنا عبارة عن التخلف والتراخي كما قال

دع المكارم لا ترحل لبغيتها * واقعد فانك أنت الطاعم الكاسي

﴿ لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا ولا وضعوا خبالا ﴾ ﴿ وفيكم سماعون لهم ﴾
والله عليم بالظالمين ﴿ لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب عسكره على ثنية الوداع
وضرب عبد الله بن أبي عسكره أسفل منها ولم يكن بأقل العسكرين فلما سار تخلف عنه عبد الله فيمن
تخلف فنزلت بعري (٣) الله ورسوله الى قوله وهم كارهون وفيكم أي في جيشكم أو في جملتكم وقيل
في بني مع * قال ابن عباس الخبال الفساد ومراعاة اتحاد الكلمة * وقال الضحاك المكر والغدر
* وقال ابن عيسى الاضطراب * وقال الكاسي الشر وقاله ابن قتيبة * وقيل ايقاع الاختلاف
والاراجيف وتقدم شرح الخبال في آل عمران وهذا الاستثناء متصل وهو مفرغ اذا المفعول الثاني
لزيد لم يذكر وقد كان في هذه الغزوة منافقون كثير ولهم لاشك خبال فلو خرج هؤلاء لتألبوا فزاد
الخبال * وقال الزنجشري المستثنى منه غير مذكور فلا استثناء من أعم العام الذي هو الشيء فكان
هو استثناء متصلا لأن الخبال بعض أعم العام كانه قيل ما زادوكم شيئا الا خبالا * وقيل هو استثناء
منقطع وهذا قول من قال انه لم يكن في عسكر الرسول خبال فالعنى ما زادوكم قوة ولا شدة لكن
خبالا * وقرأ ابن أبي عمير ما زادوكم بغير واو يعني ما زادوكم خروجهم الا خبالا والايضاع
الاسراع قال

أرانا موضعين لأمر غيب * ونسحر بالطعام وبالشراب

ويقال وضعت الناقة تضع وضعا ووضعوا قال

يألتني فيها جندع * أخب فيها وأضع

﴿ قال الحسن معناه لأسرعوا بالتمية ﴾ وقرأ محمد بن القاسم لأسرعوا بالفرار ومفعول أوضعوا
محذوف تقديره ولا وضعوا ركائبكم بينكم لأن الراكب أسرع من الماشي * وقرأ مجاهد ومحمد بن زيد
ولا وفضوا أي أسرعوا كقوله الى نصب يوفضون * وقرأ ابن الزبير ولا رفضوا بالراء من رفض
أسرع في مشيه رفضا ورفضانا قال حسان

بزجاجة رفضت بما في جوفها * رفض القلوص براكب مستعجل

سامعون ﴿لقد ابتغوا الفتنة من قبل﴾ تقدم ذكر السبب في نزول هذه الآية والتي قبلها من قصة جوع عبد الله بن أبي أصحابه في هذه الغزاة حقر شأنهم في هذه الآية وأخبر أنهم قد يماسعوا على الإسلام فأبطل الله سمعهم قال ابن عباس بغوائل الغوائل وقال ابن جريج وقف اثنا عشر رجلا من المنافقين على الثنية ليلة العقبة كي يفتكوا برسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنى من قبل أي من قبل هذه الغزوة وذلك ما كان من حالهم وقت هجرة رسول الله (٥٠) صلى الله عليه وسلم ورجوعهم عنه في أحد وغيرها

وتقلب الأمور هو تدبيرها
ظهور البطن والنظر في
نواحيها وأقسامها والسعي
بكل حيلة ﴿حتى جاء
الحق﴾ أي القرآن
وشرعة رسول الله صلى
الله عليه وسلم ولفظة جاء
مشعرة بأنه كان قد ذهب
﴿وظهر أمر الله﴾ وصفه
بالظهور لأنه كان كالمستور
أي غلب وعلا دين الله تعالى
﴿وهم كارهون﴾ أي
لجج الحق وظهور دين
الله ﴿ومنهم من يقول
أئذنى﴾ الآية نزلت في
الجسد بن قيس ذكر أن
رسول الله صلى الله عليه
وسلم لما أمر بالغزاة إلى بلاد
الروم حرص الناس
فقال للجسد بن قيس هل
لك العام في جلال بني
الاصفر وقال له وللناس
اغزوا تغنموا بنات
الاصفر فقال الجسد بن قيس
في الخلف ولا تفتنى بذكر
بنات الاصفر فقد علم قومي
أنى لأئمالك عن النساء إذا
رأيتن ومعنى ولا تفتنى

وقال غيره * والرافضات إلى منى فالتعقب * والخلال جمع الخلل وهو الفرجة بين الشيئين
* وقال الاصمعي تخللت القوم دخلت بين خللهم وخلالهم وجلسنا خلال البيوت وخلال الدور أي
بينها وبينهم أي باغين * قال الفراء يبغيونها لكم والفتنة هنا الكفر قاله مقاتل وابن قتيبة
والضحاك أو العيب والشر قاله السكاكي أو تفريق الجماعة أو المحنة باختلاف الكلمة أو التهمة * وقال
الزمخشري يحاولون أن يفتنوك بأن يوقعوا الخلاف فيما بينكم ويفسدوا نيائكم في مغزاكم وفيكم
سمعون لهم أي نعماءون يسمعون حديثكم فينقلونه إليهم أو فيكم قوم يستمعون للمنافقين
ويطيعونهم انتهى فاللام في القول الأول للتعليل وفي الثاني لتقوية التعدية كقوله فعال لما يريد
والقول الأول قاله سفيان بن عيينة والحسن ومجاهد وابن زيد قالوا معناه جواسيس يستمعون
الأخبار وينقلونها إليهم ورجحه الطبري والقول الثاني قول الجمهور قالوا معناه وفيكم مطيعون
سمعون لهم ومعنى وفيكم في خلالكم منهم أو منكم ممن قرب عهده بالسلام والله عليهم بالظالمين يعم كل
ظالم ومعنى ذلك أنه يجازيه على ظامه واندرج فيه من يقبل كلام المنافقين ومن يؤدى إليهم أخبار
المؤمنين ومن تخلف عن هذه الغزاة من المنافقين ﴿لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا الك الأمور
حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون﴾ تقدم ذكر السبب في نزول هذه الآية والتي قبلها من
قصة رجوع عبد الله بن أبي أصحابه في هذه الغزاة حقر شأنهم في هذه الآية وأخبر أنهم قد يماسعوا
على الإسلام فأبطل الله سمعهم وفي الأمور المقلبة أقوال * قال ابن عباس بغوائل الغوائل * وقال
ابن جريج وقف اثنا عشر من المنافقين على الثنية ليلة العقبة كي يفتكوا به * وقال أبو سليمان
الدمشقي احتالوا في تثبيت أمرك وإبطال دينك * قال ابن جريج كان صراف ابن أبي يوم أحد
بأصحابه ومعنى من قبل أي من قبل هذه الغزاة وذلك ما كان من حالهم وقت هجرة رسول الله صلى
الله عليه وسلم ورجوعهم عنه في أحد وغيرها وتقلب الأمور هو تدبيرها ظهور البطن والنظر في
نواحيها وأقسامها والسعي بكل حيلة * وقيل طاب المكيدة من قولهم هو حول قلب * وقرأ
مسامة بن محارب وقلبوا بتخفيف اللام حتى جاء الحق أي القرآن وشرعة الرسول صلى الله عليه
وسلم ولفظة جاء مشعرة بأنه كان قد ذهب وظهر أمر الله وصفه بالظهور لأنه كان كالمستور أي غلب
وعلا دين الله وهم كارهون لجج الحق وظهور دين الله وفي ذلك تنبيه على أنه لا تأثير لمكرهم
وكيدهم ومباغتتهم في إثارة الشرف فأنهم منذرهم ما إذا ذلك رده الله في نحرهم وقلب مرادهم وأتى بضد
مقصودهم فكما كان ذلك في الماضي كذا يكون في المستقبل * ومنهم من يقول أئذنى ولا تفتنى
ألا في الفتنة سقطوا وإن جهنم لمحيطة بالكافرين * نزلت في الجسد بن قيس وذكر أن رسول الله

بالنساء هذا قول ابن عباس والفتنة التي سقطوا فيها هي فتنة الخلف وظهور كفرهم ونفاقهم ولفظة سقطوا تنبئ عن تمكن

(الدر) من جهة المعنى (ش) وفيكم سماعون لهم أي نعماءون يسمعون حديثكم فينقلونه إليهم أو فيكم قوم يسمعون للمنافقين
ويطيعونهم انتهى (ح) فاللام في القول الأول للتعليل وفي الثاني لتقوية التعدية لقوله تعالى فعال لما يريد والقول الأول قاله سفيان
ابن عيينة والحسن ومجاهد وابن زيد قالوا معناه جواسيس يستمعون الأخبار وينقلونها إليهم ورجحه الطبري والقول الثاني
قول الجمهور قالوا معناه وفيكم مطيعون سماعون لهم

وقوعهم فيها * ان تصبك
حسنة تسوءهم * قال
ابن عباس الحسنة يوم بدر
والمصيبة يوم أحد وينبغي
أن يحمل قوله على التمثيل
واللفظ عام في كل محبوب
ومكروه وسياق الجمل
يقتضى أن يكون ذلك في
الغزو ولذلك قالوا الحسنة
الظفر والغنيمة والمصيبة
الخبية والهزيمة مثل ما جرى
في غزوة أحد ومعنى أمرنا

(الدر)

(ح) قال النحاس ما معناه
إذا دخلت الواو والفاء على
أيدن فهجأوها في الخط
ألف و ذال ونون بغير ياء أو
ثم فاهجاء ألف و ياء و ذال
ونون والفرق أن ثم يوقف
عليها وتنفصل بخلافهما
(ح) عمرو بن شقيق
سمعت أعيان قاضي الري
قل لن يصيبنا بتشديد
النون قال أبو حاتم ولا
يجوز ذلك لان النون
لا تدخل مع لن ولو كانت
مع هل كقراءة ابن مصرف
لجازت قال الله تعالى هل
يذهبن كيدهم ما يغيطا انتهى
ووجه هذه القراءة تشبيهه
لن بلا و بلم وقد سمع لحاق
هذه النون بلا و بلم فاما
شاركهم ما لن في النفي لحقت
معها نون التوكيد وهذا
توجيه شذوذ

صلى الله عليه وسلم لما أمر بالغزو إلى بلاد الروم حرض الناس فقال للجدي بن قيس هل لك العام في جلاذ بني الأصفر وقال له والناس اغزوا تغفوا بنات الأصفر * فقال الجداث بن لي في التخاف ولا نفتني بذكر بنات الأصفر فقد علم قومي أني لأتمالك عن النساء إذا رأيتن وتفتنني ولا تفتني بالنساء هو قول ابن عباس ومجاهد وابن زيد * وقيل ولا تفتني أي ولا تصعب علي حتى احتاج إلى موافقة معصيتك فسهل أنت علي ودعني غير مختلج وقال قر يبا منه الحسن وقتادة والزجاج قالوا لا تكسبني الاثم بأمرك إياي بالخروج وهو غير متيسر لي فاستم بخالفتك * وقال الضحاك لا تكفرني بالزامك بالخروج معك * وقال ابن بحر لا تصرفني عن شغلي فتفوت علي مصالحى ويذهب أكثر ثماري * وقيل ولا تفتني في الهلكة فاني اذا خرجت معك هلك مالي وعيالي * وقيل انه قال ولكن أعينك بمالي ومتعلق الاذن محذوف تقديره في القعود وفي مجاورته الرسول صلى الله عليه وسلم على نفاقه * وقرأ ورش بتخفيف همزة اذن لي بابلها واوا الضمة ما قبلها * وقال النحاس ما معناه اذا دخلت الواو أو الفاء على اأذن فهجاؤها في الخط ألف و ذال ونون بغير ياء أو ثم فاهجاء ألف و ياء و ذال ونون والفرق أن ثم يوقف عليها وتنفصل بخلافهما * وقرأ عيسى بن عمرو لا تفتني بضم التاء الاولى من أفتن * قال أبو حاتم هي لغة تميم وهي أيضا قراءة ابن السميعة ونسبها ابن مجاهد إلى اسماعيل المكي وجمع الشاعر بين اللغتين فقال

لَئِنْ فِتْنَتْنِي فِيهِ بِالْأَمْسِ أَفْتَنْتُ * سَعِيدٌ أَمْسِي قَدْ قَرَأَ كُلَّ مَسْلَمٍ

والفتنة التي سقطوا فيها هي فتنة التخلف وظهور كفرهم ونفاقهم ولفظة سقطوا تنبئ عن تمكن وقوعهم فيها * وقال قتادة الاثم بخلافهم الرسول في أمره واحاطة جهنم بهم إما يوم القيامة أو الآن على سبيل المجاز لأن أسباب الاحاطة معهم فكانهم في وسطها أولان مصيرهم اليها * ان تصبك حسنة تسوهم وان تصبك مصيبة يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل وبتولوا وهم فرحون * قال ابن عباس الحسنة في يوم بدر والمصيبة يوم أحد وينبغي أن يحمل قوله على التمثيل واللفظ عام في كل محبوب ومكر وهو سياق الحل يقتضي أن يكون ذلك في الغزو ولذلك قالوا الحسنه الظفر والغنيمة والمصيبة الخيبة والهزيمة مثل ما جرى في أول غزوة أحد ومعنى أمرنا الذي نحن متسمون به من الحذر والתיقظ والعمل بالخزم في التخلف عن الغزو من قبل ما وقع من المصيبة ويحتمل أن يكون التولي حقيقة أي وبتولوا عن مقام التحديث بذلك والاجتماع له إلى أهلهم وهم مسرورون * وقيل أعرضوا عن الإيمان * وقيل عن الرسول فيكون التولي مجازا * قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون * قرأ ابن مسعود وابن مصرف هل يصيبنا ما كان لن يصيبنا * وقرأ ابن مصرف أيضا وأعين قاضي الري هل يصيبنا بتشديد الياء وهو مضارع فيعمل نحو يبطر لامضارع فعل اذلو كان كذلك لكان صوب مضاعف العين قالوا صوب رأيهم ابناه على فعل لأنه من ذوات الواو قالوا صاب يصوب ومصاب جمع مصيبة وبعض العرب يقول صاب السهم يصيب جعله من ذوات الياء فعلى هذا يجوز أن يكون يصيبنا مضارع صيب على وزن فعل والصيب يحتمل أن يكون كسيدوكاين وقال عمرو بن شقيق سمعت أعين قاضي الري يقول قل لن يصيبنا بتشديد النون * قال أبو حاتم ولا يجوز ذلك لأن النون لا تدخل مع لن ولو كانت لطلحة بن مصرف لحارت لانها مع هل قال تعالى هل يذهب كيده ما يغيب انتهى ووجه هذه القراءة تشبيهه بل لاو ولم وقد سمع لحاق هذه النون بل لاو فلم أشار كهمالن في النفي لحقت معها نون التوكيد وهذا

الذي نحن متسمون به من الحذر واليقظ والعمل بالحزم في التخلف عن الغزو من قبل ما وقع من المصيبة ﴿ قل هل تر بصون بنا ﴾ أي ما تنتظرون بنا الا احدي العاقبتين كل واحدة منهما هي الحسنى من العواقب اما النصره واما الشهادة فالنصرة ما لها الى الغلبة والاستيلاء والشهادة ما لها الى الجنة ﴿ قل أنفقوا طوعا أو كرها ﴾ قرى بضم الكاف ويعنى في سبيل الله ووجوه البر وهو أمر معناه التهديد والتوبيخ أنفقوا قال ابن عطية (٥٢) أنفقوا أمر في ضمنه جزاء وهذا مستمر في كل أمر

معه جزاء والتقدير ان تنفقوا لن يتقبل منكم وأما اذا عرى الامر من الجواب فليس يصحبه تضمن الشرط انتهى ويقدر في هذا التخرج ان الامر اذا كان فيه معنى الشرط كان الجواب كجواب الشرط فعلى هذا يقتضى أن يكون التركيب فلن يتقبل بالفاء لان لن لا تقع جوابا للشرط الا بالفاء فكذلك ما ضمن معناه وانتصب طوعا أو كرها على الحال والطوع أن يكون من غير إلزام الله ورسوله والكراه الزام ذلك وسمى الازام اكراها لانهم منافقون فصار الازام شاقا عليهم كالا كراه وعلى انتفاء التقبل بالفسق والمراد به هنا الكفر ويدل عليه قوله في الآية بعدها

(الدر)

(ع) أنفقوا أمر في ضمنه جزاء وهذا مستمر في كل أمر معه جزاء والتقدير ان

توجيه شند وذأى ما أصابنا فليس منكم ولا بكم بل الله هو الذي أصابنا وكتب أى في اللوح المحفوظ أو في القرآن من الوعد بالنصر ومضاعفة الاجر على المصيبة أو ما قضى وحكم ثلاثة أقوال هو مولانا أى ناصرنا وحافظنا قاله الجمهور * وقال الكاكي أولى بنا من أنفسنا في الموت والحياة * وقيل مال كنا وسيدنا فلماذا يتصرف كيف شاء فيجب الرضا بما يصدر من جهته وقال ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافر بن لا مولى لهم فهو مولانا الذي يتولانا ونتولاه ﴿ قل هل تر بصون بنا الا احدي الحسنيين ونحن نتر بص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا فتر بصوا انامعكم متر بصون ﴾ أى ما ينتظرون بنا الا احدي العاقبتين كل واحدة منهما هي الحسنى من العواقب إما النصره وإما الشهادة فالنصرة ما لها الى الغلبة والاستيلاء والشهادة ما لها الى الجنة * وقال ابن عباس ان الحسنيين الغنيمه والشهادة * وقيل الأجر والغنيمه * وقيل الشهادة والمغفرة وفي الحديث تكفل الله لمن جاهد في سبيله لا يخرج منه من بيته الا جهاد في سبيله وتصديق كلمته أن يدخل الجنة أو يرجعه الى مسكنه الذي خرج منه مع ما نال من أجر وغنيمه والعذاب من عند الله * قال ابن عباس هو هنا الصواعق * وقال ابن جرير الموت * وقيل قارعة من السماء تهلكهم كما نزلت على عاد وثمود * قال ابن عطية ويحتمل أن يكون توعدا بعذاب الآخرة أو بأيدينا بالقتل على الكفر فتر بصوا مواعيد الشيطان انا معكم متر بصون اظهار دينه واستئصال من خالفه قاله الحسن * وقال الزمخشري فتر بصوا بنا ماذا كرنا من عواقبنا انامعكم متر بصون ما هو عاقبتكم فلا بد أن نلقى كلنا ما نتر بص له لا نتجاوز ذلك انتهى وهو أمر يتضمن التهديد والوعيد * وقرأ ابن محيصن الا حدي باسقاط الهمزة * قال ابن عطية فوصل ألف احدي وهذه لغة وليست بالقياس وهذا نحو قول الشاعر

* يا با المغيرة رب أمر معضل * ونحو قول الآخر ان لم أقاتل فالسنى برعما * انتهى ﴿ قل أنفقوا طوعا أو كرها لن يتقبل منكم انكم كنتم قوما فاسقين ﴾ قرأ الأعمش وابن وثاب كرها بضم الكاف ويعنى في سبيل الله ووجوه البر * قيل وهو أمر ومعناه التهديد والتوبيخ * وقال الزمخشري هو أمر في معنى الخبر كقوله تعالى قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا ومعناه لن يتقبل منكم أنفقتم طوعا أو كرها ونحوه قوله تعالى استغفر لهم أولا تستغفر لهم وقوله * أسئني بنا أو أحسنى لا ملومة * أى لن يغفر الله لهم استغفرت لهم أولا تستغفر لهم ولا نلومك أسأت اليما أم أحسنت انتهى وعن بعضهم غير هذا بان معناه الجزاء والشرط أى ان تنفقوا طوعا أو كرها لم يتقبل منكم وذ كر الآية ويثبت كثير على هذا المعنى * قال ابن عطية أنفقوا أمر في ضمنه جزاء وهذا مستمر في كل أمر معه جزاء والتقدير ان تنفقوا لن يتقبل منكم وأما اذا عرى الامر من الجواب فليس يصحبه تضمن الشرط انتهى ويقدر في هذا التخرج أن الأمر اذا كان فيه معنى

تتفقوا لن يتقبل منكم وأما اذا عرى الامر من الجواب فليس يصحبه تضمن الشرط انتهى (ح) يقدر في هذا التخرج ان الامر اذا كان فيه معنى الشرط كان كجواب الشرط فعلى هذا يقتضى أن يكون التركيب فلن يتقبل بالفاء لان لن لا تقع جوابا للشرط الا بالفاء فكذلك ما ضمن معناه ألا ترى جزاءه الجواب في مثل اقصدز يد يا يحسن اليك (ش) وفي سبيل الله فقراء الغزاة والحجج المقطع بهم

الشرط كان الجواب بجواب الشرط فعلى هذا يقتضى أن يكون التركيب فلن يتقبل بالفاء لأن لن لا تقع جوابا للشرط إلا بالفاء فكذلك ماضى من معناه ألا ترى جزمه الجواب فى مثل اقصد زيد يا حسن اليك وانتصب طوعا أو كرها على الحال والظوع أن يكون من غير الزام الله ورسوله والكفره الزام ذلك وسعى الزام كراهيهم منافقون فصار الزام شاقا عليهم كالا كراه أو يكون من غير الزام من روائسكم أو الزام منهم لانهم كانوا يحملونهم على الاتفاق لما يرون فيه من المصلحة والجمهور على أن هذه نزل بسبب الجد بن قيس حين استأذن فى القعود وقال هذا مالى أعينك به * وقال ابن عباس فىكون من اطلاق الجمع على الواحد أوله ولمن فعل فعله فقد نقل البيهقي وغيره من الأئمة انهم كانوا ثلاثة وثمانين رجلا استثنى منهم الثلاثة الذين خلفوا وأهلك الباقون ونفى التقبل اما كون الرسول لم يقبله منهم وردده واما كون الله لا يثيب عليه وعلى انتقاء التقبل بالفسق * قال الزمخشري وهو التمرد والعنوى والأولى أن يحمل على الكفر * قال أبو عبد الله الرازى هذه اشارة الى أن عدم القبول معال يكونهم فاسقين فدل على أن الفسق يؤثر فى إزالة هذا المعنى وأكد الجبائى ذلك بدليله المشهور فى هذه المسألة وهو أن الفسق يوجب الدم والعقاب الدائم والطاعة توجب المدح والثواب الدائم والجمع بينهما محال فكان الجمع بين استحقاقهما محالا وقد زال الله هذه الشبهة بقوله وما منعهم الآية وان تصرح بهذا اللفظ لا يؤثر فى القبول إلا الكفر ودل ذلك على أن مطلق الفسق لا يحبط الطاعات فتفى تعالى أن عدم القبول ليس معالا بعموم كونه فسقا بل بخصوص وصفه وهو كون ذلك الفسق كفرا فثبت أن استدلال الجبائى باطل انتهى وفيه بعض تلخيص * وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلا أنهم كفروا بالله وبرسوله ولا يأتون الصلاة الا وهم كسالى ولا ينفقون الا وهم كارهون * ذكر السبب الذى هو بمفرده مانع من قبول نفقاتهم وهو الكفر وأتبعه بما هو ناشئ عن الكفر ومستلزم له وهو دليل عليه وذلك هو اتيان الصلاة وهم كسالى وابتاء النفقة وهم كارهون فالكسل فى الصلاة وترك النشاط اليها وأخذها بالاقبال من ثمرات الكفر فايقاعها عندهم لا يرجون به ثوابا ولا يخافون بالتفريط فيها عقابا وكذلك الاتفاق للاموال لا يكرهون ذلك الا وهم لا يرجون به ثوابا وذكروا أعمال البر هذين العاملين الجليلين وهما الصلاة والنفقة واكتفى بهما وان كانوا أفردا فى سائر أعمال البر لان الصلاة أشرف الأعمال البدنية والنفقة فى سبيل الله أشرف الأعمال المالية وهما وصفان المطلوبان اظهارهما فى الاسلام ويستدل بهما على الايمان وتعداد القبائح يزيد الموصوف بها ذمها وتقبيحها * وقرأ الأخوان وزيد ابن على أن يقبل بالياء وباقي السبعة بالتاء ونفقاتهم بالجمع وزيد بن على بالافراد * وقرأ الأعرج بخلاف عنه أن تقبل بالتاء من فوق نفقتهم بالافراد وفى هذه القراءة آت الفعل مبنى له مفعول وقرأت فرقة أن تقبل منهم نفقتهم بالنون ونصب النفقة * قال الزمخشري وقرأة السامى أن تقبل منهم نفقاتهم على أن الفعل لله تعالى انتهى والأولى أن يكون فاعل منع قوله إلا أنهم أى كفرهم ويحتمل أن يكون لفظ الجلالة أى وما منعهم الله ويكون إلا أنهم تقديره إلا لانهم كفروا وأن تقبل مفعول ثان إما لوصل منع اليه بنفسه وإما على تقدير حذف حرف الجر فوصل الفعل اليه فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها فى الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون * لما قطع رجاء المنافقين عن جميع منافع الآخرة بين أن الأشياء التى يظنونها من باب منافع الدنيا جعلها الله تعالى أسبابا ليعذبهم بها فى الدنيا أى ولا يعجبك أيها السامع بمعنى لا يستحسن ولا يفتن بما أوتوا من

﴿وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلا أنهم كفروا بالله﴾ وذكر السبب الذي هو بمفرده مانع من قبول نفقاتهم وهو الكفر وأتبعه بما هو ناسئ عن الكفر ومستأزم له وهو دليل عليه وذلك إتيان الصلاة وهم كسالى وإيتاء النفقة وهم كارهون والكسل في الصلاة وترك النشاط اليها وأخذها بالاقبال من ثمرات الكفر فايقاعها عندهم لا يرجون به ثوابا ولا يخافون بالتفريط فيها عقابا وكذلك الانفاق للاموال لا يخرجون ذلك الا وهم لا يرجون به ثوابا ﴿فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم﴾ لما قطع رجاء المنافقين عن جميع منافع الآخرة بين ان الاشياء التي يظنونها من باب منافع الدنيا جعلها تعالى أسبابا لتعذيبهم بها في الدنيا أي فلا تعجبك أباها السامع بمعنى لا تستحسن ولا تفتتن بما أوتوا من زينة الدنيا وفي هذا تحقير لأن المنافقين والضمير فيها عائد على الاموال واللام في ليعذبهم لام كي ومفعول يريد محذوف تقديره يريد كسبهم الاموال والاولاد لاجل تعذيبهم

زينة الدنيا كقوله ولا تهدي عينيك وفي هذا تحقير لشأن المنافقين * قال ابن عباس وقتادة ومجاهد
والسدي وابن قتيبة في الكلام تقديم وتأخير والمعنى فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم في الحياة
الدنيا انما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة انتهى ويكون انما يريد الله ليعذبهم بها جملة اعتراض
فيها تشديد للكلام وتقوية لانتفاء الاعجاب لان من كان مآل اتيانه المال والولد للتعذيب
لا ينبغي أن يستحسن حاله ولا يفتن بها الا أن تقييد الايجاب المنهي عنه الذي يكون ناشئاً عن
أولاهم وأولادهم من المعلوم أنه لا يكون الا في الحياة الدنيا ففي ذلك كانه زيادة تأكيد بخلاف
التعذيب فانه قد يكون في الدنيا كما يكون في الآخرة ومع أن التقديم والتأخير لخصه أصحابنا
بالضرورة * وقال الحسن الوجه في التعذيب انه بما ألزمهم فيها من أداء الزكاة والنفقة في سبيل الله
فالضمير في قوله بها عائد في هذا القول على الاموال فقط * وقال ابن زيد وغيره التعذيب هو
مصائب الدنيا ورزاياها هي لهم عذاب اذ لا يؤجرون عليها انتهى ويتقوى هذا القول بان تعذيبهم
بالزام الشر يكثر من تعذيبهم بسائر الرزايا وذلك لاقتران الذلة والغلبة وأمر الشر يكثر لهم قاله ابن
عطية وقد جمع الزمخشري هذا كله * فقال انما أعطاهم ما أعطاهم للعذاب بان عرضهم للمعصية
والسبي وبلاهم فيه بالآفات والمصائب وكلفهم الانفاق منه في أبواب الخير وهم كارهون له على رغم
أنوفهم واذاقهم أنواع الكف والجائش في جمعه واكتسابه وفي تربية أولادهم * وقيل أموالهم
التي ينفقونها فانها لا تقبل منهم ولا أولادهم المسلمون مثل عبد الله بن عبد الله بن أبي وغيره فانهم
لا ينفعون آباءهم المنافقين حكاة القسيري * وقيل يتكهن حب المال من قلوبهم والتعب في جمعه
والوصل في حفظه والحسرة على تخلفه عندهم لا يحمد ثم يقدم على ذلك لا يعذره وقدم الاموال
على الاولاد لانها كانت أعلق بقلوبهم ونفوسهم أميل اليها فانهم كانوا يقتلون أولادهم خشية ذهاب
أموالهم قال تعالى ولا تقموا على اولادكم خشية إملاق * قال الزمخشري (فان قلت) ان صح تعليق
العذاب بارادة الله تعالى فبالزهد هو أنفسهم وهم كفرون (قلت) المراد الاستدراج بالنعم كقوله
تعالى انما نلتم ليدادوا انما كانه قيل ويريد أن يديم عليهم نعمته الى أن يموتوا وهم كفرون
ملتهم بالتمتع عن النظر للعاقبة انتهى وهو بسط كلام ابن عيسى وهو الرماي وهما كلاهما
معتزليان قال ابن عيسى المعنى انما يريد الله أن يملأهم ويستدرجهم ليعذبهم انتهى وهي نزعة
اعتزالية والذي يظهر من حيث عطف وترهق على ليعذب أن المعنى ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وفي
الآخرة ونبه على عذاب الآخرة بعلمته وهو زهوق أنفسهم الى الكفر لان من مات كافراً عذب في
الآخرة لا محالة والظاهر أن زهوق النفس هنا كناية عن الموت * قال ابن عطية ويحتمل أن
يريد وترهق أنفسهم من شدة التعذيب الذي ينالهم * ويحلفون بالله انهم لنكنكم وما هم منكم ولكنهم
قوم يفرقون * أي لمن جملة المسلمين وأكذبهم الله بقوله وما هم منكم ومعنى يفرقون يخافون
القتل وما يفعل بالمشركين فيمظاهرون بالاسلام تقيهم يبطنون النفاق أو يخافون اطلاع الله
المؤمنين على بواطنهم فيحل بهم ما يحل بالكفار ولما حقر تعالى شأن المنافقين وأموالهم وأولادهم
عاد الى ذكر مصالحتهم وما هم عليه من خبث السريرة فقال ويحلفون بالله على الجملة لا على التعمين
وهي عادة الله في ستر أشخاص العصاة * لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مدخلوا الى بهوهم
يحمون * لماذا ذكر فرق المنافقين من المؤمنين أخبر بما هم عليه معهم مما يوجب الفرق وهو
انهم لو أمكنهم الهروب منهم لم يهربوا ولكن حببتهم لهم حجة اضطرار لا اختيار * قال ابن عباس

* ويحلفون بالله انهم
لنكنكم * أي لمن جملة
المسلمين وأكذبهم الله بقوله
وما هم منكم * ومعنى
يفرقون يخافون القتل
وما يفعل بالمشركين
فيمظاهرون بالاسلام تقيهم
وهم يبطنون النفاق * لو
يجدون ملجأ * لماذا ذكر
تعالى فرق المنافقين من
المؤمنين أخبر بما هم عليه
معهم مما يوجب الفرق وهو
انهم لو أمكنهم الهروب منهم
لم يهربوا ولكن حببتهم لهم
حجة اضطرار لا اختيار
والملاجأ الخرز والمغارات
جمع مغارة وهي الغار
بجمع على غير ان يبنى
من غار يغور اذا
دخل بدأً ولا بالاعم وهو
الملجأ اذ يطلق على كل
ما يلجأ اليه الانسان ثم ثنى
بالمغارات وهي الغيران
في الجبال ثم اثنى ثالثاً بالمدخل
وهو النفق باطن الارض
* لولوا اليه * أي الى
واحد من الثلاث * وهم
يحمون * أي يسرعون
اسراعاً لا يردهم شيء

﴿ ومنهم من يأمرك ﴾ اللامز هو حرقوص بن زهير التميمي وهو ابن ذى الخويرة رأس الخوارج كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم عنائهم حينئذ فقال اعدل يا رسول الله الحديث وقيل غيره (٥٥) والمعنى من يعيبك في قسم الصدقات والضمير في

ومنهم المنافقين والكاف
لرسول الله صلى الله عليه
وسلم وهذا التريدين
الشرطين يدل على دناءة
طباعهم ونجاسة أخلاقهم
وأن لمزهم الرسول عليه
السلام أئاهو لشرهم
في تحصيل الدنيا ومحبة
المال وإن رضاهم
وسخطهم انما معلقه العطاء
والظاهر حصول مطلق
الاعطاء أو نفيه وما أحسن
مجىء جواب هذين
الشرطين لأن الأول لا يلزم
أن يقارنه ولا أن يعتقبه بل
قد يجوز أن يتأخر نحو
إن أسألت دخلت الجنة
فإنما يقتضى مطلق
الترتيب وأما جواب الشرط
الثاني فجاء بأذا الفجائية
وإنهم إذا لم يعطوا فاجأ
سخطهم ولم يمكن تأخره لما
جاءوا عليه من محبة الدنيا
والشره في تحصيلها
ومفعول رضوا محذوف
أي رضوا ما أعطوه وليس
المعنى رضوا عن الرسول
لأنهم منافقون ولأن رضاهم
وسخطهم لم يكن لأجل
الدين بل لأجل الدنيا
وجاءت اذا الفجائية رابطة
لجواب الجزاء بجملة

الملجأ الحرز * وقال قتادة الحصن * وقال السدي المهرب * وقال الاصمعي المكن الذي يتحصن
فيه * وقال ابن كيسان القوم يأمنون منهم والمغارات جمع مغارة وهي الغار ويجمع على غيران بنى
من غار يغور اذا دخل مفعلة للمكان كقولهم من رعة * وقيل المغارة السرب تحت الأرض كنفق
اليربوع * وقرأ سعد بن عبد الرحمن بن عوف مغارات بضم الميم فيكون من أغار * قيل وتقول
العرب غار الرجل وأغار بمعنى دخل فعلى هذا يكون مغارات من أغار للآدم ويجوز أن يكون من
أغار المنقول بالهمزة من غار أى أما كن في الجبال يغيرون فيها أنفسهم * وقال الزجاج ويصح أن
يكون من قولهم جبل مغار أى مفعول ثم يستعار ذلك في الأمر المحكم المبرم فيبقى التأويل على هذا
لو يجدون نصرة أو أمورا حرة تبطة مشددة تعصمهم منكم أو مدخلا لولوا اليه * وقال الزنجشري
ويجوز أن يكون من أغار الثعلب اذا أسرع بمعنى مهاب ومغار انتهى والمدخل قال مجاهد
المعقل يمنعهم من المؤمنين * وقال قتادة السرب يسرون فيه على خفاء * وقال السكبي نفقا
كنفق اليربوع * وقال الحسن وجهها يدخلون فيه على خلاف الرسول * وقيل قبيلة يدخلون فيها
تحميمهم من الرسول ومن المؤمنين * وقال الجمهور مدخلا وأصله مدخل مفعول من ادخل وهو
بناء تأكيدي ومبالغة ومعناه السرب والنفق في الأرض قاله ابن عباس بدىء أولا بالاعم وهو الملجأ
اذ ينطلق على كل ما يلجأ اليه الانسان ثم ثنى بالمغارات وهي الغيران في الجبال ثم أتى ثالثا بالمدخل
وهو النفق باطن الأرض * وقال الزجاج المدخل قوم يدخلونهم في جملتهم * وقرأ الحسن وابن
أبي اسحق ومسلمة بن محارب وابن حيصن ويعقوب وابن كثير بخلاف عنه مدخلا بفتح الميم من
دخل * وقرأ محبوب عن الحسن مدخلا بضم الميم من أدخل * وروى ذلك عن الاعمش وعيسى
ابن عمر * وقرأ قتادة وعيسى بن عمر والاعمش مدخلا بتشديد الدال والخاء معاً أصله متدخل
فأدغمت التاء في الدال * وقرأ أبي من دخل بالنون من اندخل قال

* ولا بدى في حيت السمن تندخل * وقال أبو حاتم قراءة أبي من دخل بالتاء * وقرأ الأشهب
العقيلي لو ألوا اليه أى لتابعوا اليه وسارعوا * وروى ابن أبي عمير بن معاوية بن نوفل عن أبيه
عن جده وكانت له حبة انه قرأ ألوا اليه من الموالاة وأنكره سعيد بن مسلم وقال أنظروا ألوا
بمعنى للجاؤا * وقال أبو الفضل عبد الرحمن بن أحمد الرازي وهذا مما جاء فيه فاعل وفعل بمعنى واحد
ومثله ضاعف وضعف انتهى * وقال الزنجشري وقرأ أبي بن كعب متدخلا لو ألوا اليه لا لتجاؤا اليه
انتهى وعن أبي لؤلؤ وجوههم اليه ولما كان العطف باو عاد الضمير اليه مفردا على قاعدة النحو في
أو فاحتمل من حيث الصناعة أن يعود على الملجأ أو على المدخل فلا يحتمل على أن يعود في الظاهر
على المغارات لتدكيره وأما بالتأويل فيجوز أن يعود عليها وهم يجمعون يسرعون اسراعالا يردهم
شيء * وقرأ أنس بن مالك والاعمش وهم يجمعون * قيل يجمعون ويجمعون ويستدون واحد
* وقال ابن عطية يجمعون ويهرولون ومنه قولهم في حديث الرجم فلما اذلقته الحجارة جز
﴿ ومنهم من يأمرك ﴾ في الصدقات فان أعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذاهم يسخطون ﴿ اللامز
حرقوص بن زهير التميمي وهو ابن ذى الخويرة رأس الخوارج كان الرسول صلى الله عليه وسلم

الشرط ولا تحفظ أن اذا جاءت جوابا للشرط الا وحرف الشرطان وكذلك في قوله اذا هم يقنطون وسائر أدوات الشرط كانت امدا
كن وماوهم ما أو ظرف زمان كمتي وأيان أو مكان كحيث لا نعلمه جاء جواب شيء منها بأذا الفجائية على كثرة مطالعتي لدواوين العرب

يقسم غنائم حنين فقال اعدل يا رسول الله الحديث * وقيل هو ابن الجواظ المنافق قال الآثرون
الى صاحبكم انما يقسم صدقاتكم في رعاة الغنم * وقيل ثعلبة بن حاطب كان يقول انما يعطى محمد
قريشا * وقيل رجل من الانصار اتى الرسول بصدقة يقسمها * فقال ما هذا بالعدل وهذه نزغة
منافق والمعنى من يعيبك في قسم الصدقات وضيم ومنهم للمنافقين والكافى للرسول وهذا
الترديد الشرطين يدل على دناءة طباعهم ونجاسة أخلاقهم وان لزمهم الرسول انما هو لشهرهم
في تحصيل الدنيا ومحبة المال وان رضاهم وسخطهم انما متعلقه العطاء والظاهر حصول مطلق الاعطاء
أو نفيه * وقيل التقدير فان أعطوا منها كثيرا يرضوا وان لم يعطوا منها كثيرا بل قليلا وما أحسن
جحيء جواب عذبن الشرطين لان الاول لا يلزم أن يقارنه ولا أن يعتقبه بل قد يجوز أن يتأخر نحو
ان أسأمت دخلت الجنة فاما يقتضى مطلق الترتيب وأما جواب الشرط الثاني فجاء باذا الفجائية
وانه اذا لم يعطوا فاجأ سخطهم ولم يمكن تأخره لما جبالوا عليه من محبة الدنيا والشرة في تحصيلها
ومفعول رضوا محذوف أى رضوا ما أعطوه وليس المعنى رضوا عن الرسول لانهم منافقون ولان
رضاهم وسخطهم لم يكن لاجل الدين بل للدنيا * وقرأ الجمهور يامزك بكسر الميم * وقرأ يعقوب
وحامد بن سامة عن ابن كثير والحسن وأبو رجاء وغيرهم بضمها وهى قراءة المسكين ورويت عن أبي
عمرو * وقرأ الاعمش يامزك وروى أيضا حماد بن سامة عن ابن كثير يلامزك وهى مفاعلة من واحد
* وقيل وقر الرسول صلى الله عليه وسلم قسم أهل مكة في الغنائم استعطافا لقلوبهم فضج المنافقون
* ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا احسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله انا الى
الله راغبون * هذا وصف لخال المستقيمين في دينهم أى رضوا بقسمة الله ورسوله وقالوا كفاانا
فضل الله وعلقوا آمالهم بما سيؤتيه الله اياهم وكانت رغبتهم الى الله لا الى غيره وجواب لو محذوف
تقديره لكان خيرا لهم في دينهم ودنياهم وكان ذلك الفعل دليلا على انتقالهم من النفاق الى محض
الايان لأن ذلك تضمن الرضا بقسم الله والاقرار بالله وبالرسول اذ كانوا يقولون سيؤتينا الله من
فضله ورسوله * وقيل جواب لو هو قوله وقالوا على زيادة الواو وهو قول كوفي * قال الزمخشري
والمعنى ولو انهم رضوا ما أصابهم به الرسول من الغنيمة وطابت به نفوسهم وان قل نصيبهم وقالوا كفاانا
فضل الله تعالى وصنعه وحسبنا ما قسم لنا سير زقنا غنيمة أخرى فسيؤتينا رسول الله صلى الله عليه
وسلم أكثر مما آتانا اليوم انا الى الله في ان يغفنا ويحولنا فضله راغبون انتهى * وقال ابن عباس
راغبون فيما يمنحنا من الثواب ويصرف عنا من العقاب * وقال التبريزى راغبون في أن يوسع
علينا من فضله فيغفينا عن الصدقة وغيرها مما في أيدي الناس * وقيل ما آتاهم الله بالتقدير ورسوله
بالقسم انتهى وأنى أولا بمقام الرضا وهو فعل قلبي يصدر عن علم انه تعالى منزه عن العتب والخطأ علم
بالعواقب فكل قضائه صواب وحق لا اعتراض عليه ثم نبى باظهار آثار الوصف القلبي وهو الاقرار
باللسان فحسبنا ما رضى به ثم أنى ثالثا بأنه تعالى ما داموا في الحياة الدنيا ماد لهم بنعمه واحسانه فهو
اخبار حسن اذ ما من مؤمن الا ونعم الله مترادفة عليه حالا وما آلا ما في الدنيا وما في الآخرة ثم أنى
رابعا بالجملة المقتضية الاتجاء الى الله لا الى غير دوال رغبة اليه فلا يطالب بالايان أخذ الاموال والرئاسة
في الدنيا ولما كانت الجملةان متغايرتين وهما متضمن الرضا بالقلب ومتضمن الاقرار باللسان
تعاطفتا ولما كانت الجملةان الاخيرتان من آثار قولهم حسبنا الله لم تتعاطفا اذ هما كالشرح

﴿ولو أنهم رضوا﴾ الآية
هذا وصف لخال المستقيمين
في دينهم أى رضوا بقسمة
الله ورسوله وقالوا كفاانا
فضل الله ورسوله وعلقوا
آمالهم بما سيؤتيه الله اياهم
وكانت رغبتهم الى الله
تعالى لا الى غيره وجواب
لو محذوف تقديره لكان
خيرا لهم في دينهم ودنياهم

﴿انما الصدقات للفقراء﴾ لما ذكر تعالى من يعيب الرسول في قسم الصدقات بأنه يعطى من يشاء ويحرم من يشاء أو يخص أقاربه أو يأخذ لنفسه ما بقى وكانوا يسألون فوق ما يستحقون بين تعالى مصرف الصدقات وأنه عليه السلام انما قسم على ما فرضه الله تعالى ولفظة انما ان كانت وضعت للحصر فالحصر مستفاد من لفظها وان لم توضع للحصر مستفاد من الأوصاف اذ مناط الحكم بالوصف يقتضى التعليل به والتعليل بالشئ يقتضى الاقتصار عليه والظاهر أن مصرف الصدقات هؤلاء الاصناف والظاهر ان العطف مشعر بالتغاير فيكون الفقراء غير المساكين والظاهر بقاء هذا الحكم للاصناف الثمانية دائما اذ لم يرد نص في نسخ شئ منها وتقدم الكلام على الفقراء والمساكين وفي الرقاب وابن السبيل في البقرة ﴿والعاملين عليها﴾ العامل هو الذى يستنبيه الامام في السعي في جمع الصدقات وكل من تصرف لا يستغنى عنه فيها فهو من العاملين ويسمى جابى الصدقات والساعى ﴿والمؤلفة قلوبهم﴾ هم أشرف من العرب مسامون لم يتمكن الايمان من قلوبهم أعطاهم صلى الله عليه وسلم ليتمكن الايمان من قلوبهم فمن المؤلفة أبو سفيان بن حرب وسهيل بن عمرو والحارث بن هشام وحويط بن عبد العزى وصفوان بن أمية ومالك بن عوف النضري والعلاء بن حارثة الثقفي هؤلاء أعطاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة بعير لكل واحد ومخرمة بن نوفل بن (٥٧) الزهري وعمر بن وهب الجحى وهشام بن عمرو والعايدى أعطاهم دون المائة ومن المؤلفة

سعيد بن ربوع والعباس
ابن مرداس والاقرع بن
حابس وزيد الخليل وعلقمة
ابن علانة وأبو سفيان
الحارث بن عبد المطلب
وحكيم بن حزام وعكرمة
ابن أبي جهل وسعيد بن
عمرو وعيينة بن حصن
وحسن اسلام المؤلفة حاشا
عينه فانه لم يزل مغموصا
عليه ﴿والغارمين﴾
قال ابن عباس الغارم من

لقولهم حسبنا الله فلا تغاير بينهما ﴿انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم﴾ لما ذكر تعالى من يعيب الرسول في قسم الصدقات بأنه يعطى من يشاء ويحرم من يشاء أو يخص أقاربه أو يأخذ لنفسه ما بقى وكانوا يسألون فوق ما يستحقون بين تعالى مصرف الصدقات وأنه صلى الله عليه وسلم انما قسم على ما فرضه الله تعالى ولفظة انما ان كانت وضعت للحصر فالحصر مستفاد من لفظها وان كانت لم توضع للحصر مستفاد من الاوصاف اذ مناط الحكم بالوصف يقتضى التعليل به والتعليل بالشئ يقتضى الاقتصار عليه والظاهر ان مصرف الصدقات هؤلاء الاصناف ان العطف مشعر بالتغاير فتكون الفقراء عين المساكين والظاهر بقاء هذا الحكم للاصناف الثمانية دائما اذ لم يرد نص في نسخ شئ منها والظاهر أنه يعتبر في كل صنف منها ما دل عليه لفظه ان كان موجودا والخلاف في كل شئ من هذه الظواهر فالما ان مصرف الصدقات هؤلاء الاصناف فذهب جماعة من الصحابة والتابعين الى أنه يجوز أن يقتصر على بعض هؤلاء الاصناف ويجوز أن يصرف الى جميعها فن الصحابة عمر وعلي ومعاذ وحذيفة وابن عباس ومن التابعين النخعي وعمر بن

(٨ - تفسير البحر المحيط لابي حيان - خامس) عليه دين وزاد مجاهد وقتادة في غير معصية ولا اسراف والجمهور على انه يقضى منها دين الميت اذ هو غارم وقال أبو حنيفة وابن المواز من المالكية لا يقضى منها وقال أبو حنيفة ولا تقضى منها كفارة ونحوها من حقوق الله تعالى وانما الغارم من عليه دين يحبس فيه وقيل يدخل في الغارمين من تحمل جمالات في اصلاح وبر وان كان غنيا اذ كان ذلك يحجب بماله وهو قول الشافعي وأصحابه وأحمد ﴿وفي سبيل الله﴾ هو المجاهد يعطى منها اذا كان فقيرا والجمهور على أنه يعطى منها وان كان غنيا ما ينفق في غزوته وقال الشافعي وأحمد وعيسى بن دينار وجماعة لا يعطى الغنى الا ان احتاج في غزوته وغاب عنه وفره وقال أبو حنيفة وصاحبه لا يعطى الا ان كان فقيرا أو منقطع عابه فاذا أعطى ملك وان لم يصرفه في غزوته وقال ابن عبد الحكم ويجعل من الصدقة في السكرع والسلاح وما يحتاج اليه من آلات الحرب وكف العدو عن الخوزة لانه كله في سبيل الله ومنفعته للجمهور والجمهور على انه يجوز ان يصرف منها الى الحجاج والمعتمرين وان كانوا أغنياء وانتصب فريضة لانه في معنى المصدر المؤكد لان قوله تعالى انما الصدقات للفقراء معناه فرض الله الصدقات فريضة لهم فهي مصدر وقرى فريضة بالرفع على ثلاث فريضة ﴿والله عليم حكيم﴾ لان ما صدر عنه هو عن علم منه بخلقه وحكمته منه في القسمة أى عليم بمقادير المصالح حكيم لا يشرع الا ما هو الاصلاح

عبد العزيز وأبو العالية وابن جبير قالوا في أي صنف منها وضعها أجزأتك قال ابن جبير لو نظرت
إلى أهل بيت من المساكين فقراء متعففين فخيرتهم بها كان أحب إلي * قال الزمخشري وعليه مذهب
أبي حنيفة قال غيره وأبي يوسف ومحمد وزفر ومالك * وقال جماعة من التابعين لا يجوز الاقتصار على
أحد هذه الأصناف منهم زين العابدين علي بن الحسين وعكرمة والزهرى بل يصرف إلى الأصناف
الثمانية وقد كتب الزهرى لعمر بن عبد العزيز يفرقها على الأصناف الثمانية وهو مذهب الشافعي
قال الإمامة فاتهم انقطعوا وأما ان الفقراء غير المساكين فذهب جماعة من السلف إلى ان الفقير
والمسكين سواء لا فرق بينهما في المعنى وان افرق في الاسم وهما صنف واحد يسمى باسمين ليعطى
سهمين نظرا لهم ورحمة * قال في التحرير وهذا هو أحد قول الشافعي وذهب الجمهور إلى انهما
صنفان يجمعهما الاقلال والفاقة واختلفوا فيما به الفرق * فقال الأصمعي وغيره منهم أحمد بن حنبل
وأحمد بن عبيد الفقير أبلغ فاقة * وقال غيره منهم أبو حنيفة ويونس بن حبيب وابن السكيت وابن
قتيبة المسكين أبلغ فاقة لانه لا شيء له والفقير من له بلغة من الشيء * وقال الضحاك الفقراء هم من
المهاجرين والمساكين من لم يهاجر * وقال النخعي نحوه * وقال عكرمة الفقراء من المساكين
والمساكين من أهل الدمة لان قول الفقراء المساكين مساكين وروى عنه بالعكس حكاه مكى * وقال
الشافعي في كتاب ابن المنذر الفقير من لا مال له ولا حرفة سائلا كان أو متعففا والمسكين الذي له حرفة
أو مال ولكن لا يغنيه ذلك سائلا كان أو غير سائل * وقال قتادة الفقير الزمن المحتاج والمسكين
الصحيح المحتاج * وقال ابن عباس والحسن ومجاهد والزهرى وابن زيد وجابر بن زيد والحكم ومقاتل
ومحمد بن مسامة المساكين الذين يسعون ويسألون والفقراء هم الذين يتعاونون وأما بقاء الحكم
للأصناف الثمانية فذهب عمر بن الخطاب والحسن والشعبي وجماعة إلى انه انقطع صنف المؤلفة
بعزة الاسلام وظهوره وهذا مشهور مذهب مالك وأبي حنيفة قال بعض الحنفيين أجمعت الصحابة
على سقوط سهمهم في خلافة أبي بكر لما أعز الله الاسلام وقطع دابر الكافرين * وقال القاضي عبد
الوهاب ان احتج اليهم في بعض الاوقات أعطوا من الصدقات * وقال كثير من أهل العلم المؤلفة
قلوبهم موجودون إلى يوم القيامة * قال ابن عطية وإذا تأملت الثغور وجدت فيها الحاجة إلى
الاثتلاف انتهى * وقال يونس سألت الزهرى عنهم فقال لا أعلم نهجا في ذلك * قال أبو جعفر التماس
فعل هذا الحكم فيهم ثابت فان كان أحدهم محتاجا إلى تألفه ويخاف أن تلحق المساكين منه آفة أو
يرجى حسن اسلامه بعد دفع اليه * وقال القاضي أبو بكر بن العربي الذي عندي انه ان قوى
الاسلام زالوا وان احتج اليهم أعطوا سهمهم كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيهم فان
في الصحيح بدا الاسلام غربا وسعود كما بدا وفي كتاب التحرير قال الشافعي العامل والمؤلفة
قلوبهم مفقودان في هذا الزمان بقيت الأصناف الستة فالأولى صرفها إلى الستة وأما أنه يعتبر في
كل صنف منها ما دل عليه لفظه ان كان موجودا فهو مذهب الشافعي ذهب إلى أنه لا بد في كل
صنف من ثلاثة لان أقل الجمع ثلاثة فان دفع سهم الفقراء إلى فقيرين ضمن نصيب الثالث وهو
ثلث سهم * وقال أصحاب أبي حنيفة يجوز أن يعطى جميع زكاته مسكينا واحدا * وقال مالك
لا بأس أن يعطى الرجل زكاة الفطر عن نفسه وعياله واحدا واللام في الفقراء * قيل للملك * وقيل
للاختصاص والظاهر عموم الفقراء والمساكين فيدخل فيه الأقارب والأجانب وكل من اتصف
بالفقر والمسكنة فأما ذوو قربي الرسول صلى الله عليه وسلم فقال أصحاب أبي حنيفة تحرم عليهم

الصدقة منهم آل العباس وآل علي وآل جعفر وآل عقيل وآل الحرث بن عبد المطلب * وروى
عن أبي حنيفة وليس بالشهور أن فقراء بني هاشم يدخلون في آية الصدقة * وقال أبو يوسف
لا يدخلون * قال أبو بكر الرازي المشهور عن أصحابنا أنهم من تقدم من آل العباس ومن ذكر
معهم ويخص التحريم الفرض لا صدقة التطوع * وقال مالك لا تحل الزكاة لآل محمد ويحل
التطوع * وقال الثوري لا تحل لبني هاشم ولم يذكر فرقابن النفل والفرض * وقال الشافعي
تحرم صدقة الفرض على بني هاشم وبني المطلب وتجوز صدقة التطوع على كل أحد إلا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فإنه كان لا يأخذها * وقال ابن الماجشون ومطهر وأصبغ وابن حبيب
لا يعطى بنو هاشم من الصدقة المفروضة ولا من التطوع * وقال مالك في الواضحة لا يعطى آل
محمد من التطوع وأما أقارب الميراث فقال أصحاب أبي حنيفة لا يعطى منها والدوان علا ولا ابن وان
سفل ولا زوجة * وقال مالك والثوري والحسن بن صالح والليث لا يعطى من تلزمه نفقته * وقال
ابن شبرمة لا يعطى قرابته الذين يرثونه وإنما يعطى من لا يرثه وليس في عياله * وقال الاوزاعي
لا يخطى بركة ماله فقراء أقاربهم إذا لم يكونوا من عياله ويتصدق على مواله من غير زكاة ماله *
وقال مالك والثوري وابن شبرمة والشافعي وأصحاب أبي حنيفة لا يعطى الفرض من الزكاة *
وقال عبيد الله بن الحسن إذا لم يجد مسأله أعطى الذمي فكأنه يعنى الذمي الذي هو بين ظهرانيهم *
وقال مالك وأبو حنيفة لا تعطى الزوجة زوجها من الزكاة * وقال الثوري والشافعي وأبو يوسف
ومحمد تعطيه واختلفوا في المقدار الذي إذا ملكه الإنسان دخل به في حد الغنى وخرج عن حد
الفقر وحرمت عليه الصدقة * فقال قوم إذا كان عند أهله ما يغنيهم ويعشهم حرمت عليه الصدقة
ومن كان عنده دون ذلك حلت له * وقال قوم حتى يملك أربعين درهما أو عدها من الذهب * وقال
قوم حتى يملك خمسين درهما أو عدها من الذهب وهذا مروي عن علي وعبد الله والشعبي * قال
مالك حتى يملك مائتي درهم أو عدها من عرض أو غيره فاضلا عما يحتاج اليه من مسكن وخادم وأثاث
وفرش وهو قول أصحاب أبي حنيفة فلو دفعها إلى من ظن أنه فقير فمتبين أنه غني أو تبين أن المسدود
اليه أبوه أو ذمي ولم يعلم بذلك وقت الدفع * فقال أبو حنيفة ومحمد يجرئه * وقال أبو يوسف لا يجرئه
والعامل هو الذي يستنبيه الإمام في السعي في جمع الصدقات وكل من يصرف ممن لا يستغنى عنه فيها
فهو من العاملين ويسمى جابي الصدقة والساعي قال

إن السعاة عسوك حين بعثتهم * لم يفعلوا مما أمرت فتيلا

وقال سعي عقلا فلم يترك لنا سيذا * فكيف لو قد سعى عمرو وعقالين

أراد بالعقال هنا زكاة السنة وتعدى بعلى ولم يقل فيها لأن على للاستعلاء المشعر بالولاية والجمهور
على أن للعامل قدر سعيه ومؤنته من مال الصدقة وبه قال مالك والشافعي في كتاب ابن المنذر وأبو
حنيفة وأصحابه فلو تجاوز ذلك من الصدقة * فقيل يتم له من سائر الانصاء * وقيل من خمس
الغنمية * وقال مجاهد والضحاك والشافعي هو الثمن على قسم القرآن * وقال مالك من رواية ابن
أبي اويس وداد بن سعيد عنه يعطون من بيت المال واختلف في الإمام هل له حق في الصدقات
فمنهم من قال هو العامل في الحقيقة ومنهم من قال لا حق له فيها والجمهور على أن أخذها مفوض
للإمام ومن استنابه فلو فرقها الميراث بنفسه دون إذن الإمام أخذها منه ثانيا * وقال أبو حنيفة
لا يجوز أن يعمل على الصدقة أحد من بني هاشم ويأخذ عماله منها فان تبرع فلا خلاف بين أهل

العلم في جوارحه * وقال آخرون لا بأس لهم بالعمالة من الصدقة * وقيل ان عمل أعطيها من الخس والمؤلفة قلوبهم أشرف العرب مسامون لم يتسكن الايمان من قلوبهم * ثم أعطاهم ليتسكن الايمان من قلوبهم أو كفار لهم اتباع أعطاهم ليتألفهم * واتباعهم على الاسلام * قال الزهري المؤلفة من أسلم من يهودى أو نصرانى وان كان غنيا من المؤلفة أبو سفيان بن حرب وسهيل بن عمرو والحارث ابن هشام وحويطب بن عبد العزى وصفوا بن أمية ومالك بن عوف النضري والعلاء بن حارثة الثقفي فهؤلاء أعطاهم الرسول صلى الله عليه وسلم مائة بغير مائة بغير ومخرمة بن نوفل الزهري وعمير ابن وهب الجمحي وهشام بن عمرو العايدى أعطاهم دون المائة ومن المؤلفة سعيد بن يربوع والعباس بن مرداس وزيد الخليل وعقمة بن علاثة وأبو سفيان الحارثي بن عبد المطلب وحكيم بن حزام وعكرمة بن أبي جهل وسعيد بن عمرو وعيمنة بن حصن وحسن اسلام المؤلفة حاشا عيمنة فلم يزل معمو صاعليه وأما قوله وفي الرقاب فالتقدير وفي فك الرقاب فيعطى ما حصل به فك الرقاب من ابتداء عتق يشترى منه العبد فيعتق أو تخليص مكاتب أو أسير * وقال النخعي والشعبي وابن جبير وابن سيرين لا يجزى أن يعتق من الزكاة رقبة كاملة وهو قول أصحاب أبي حنيفة والليث والشافعي * وقال ابن عباس وابن عمر أعتق من زكائك * وقال ابن عمر والحسن وأحمد واسحق يعقوب من الزكاة ولولاه لجماعة المسامين لا المعتق وعن مالك والاوزاعي لا يعطى المكاتب من الزكاة شيئا ولا عبد كان مولاه موسرا أو معسرا * وعن ابن عباس والحسن ومالك هو ابتداء العتق وعون المكاتب بما يأتى على حريته والجمهور على أن المكاتبين يعانون في فك رقابهم من الزكاة ومذهب أبي حنيفة وابن حبيب أن فك رقاب الأسارى يدخل في قوله وفي الرقاب فيصرف في فكائها من الزكاة * وقال الزهري سهم الرقاب نصفان نصف للمكاتبين ونصف يعتق منه رقاب مسامون ممن صلى والغارم من عليه دين قاله ابن عباس وزاد مجاهد وقتادة في غير معصية ولا اسراف والجمهور على أنه يقضى منها دين الميت إذا هو غارم * وقال أبو حنيفة وابن المواز لا يقضى منها * وقال أبو حنيفة ولا يقضى منها كفارة ونحوها من صنوف الله تعالى وإنما الغارم من عليه دين يحبس فيه * وقيل يدخل في الغارمين من تحمل جمالات في اصلاح وبر وان كان غنيا إذا كان ذلك يجحف بماله وهو قول الشافعي وأصحابه وأحمد وفي سبيل الله هو المجاهد يعطى منها إذا كان فقيرا والجمهور على أنه يعطى منها وان كان غنيا ما ينفق في غزوته * وقال الشافعي وأحمد وعيسى بن دينار وجماعة لا يعطى الغنى الا ان احتاج في غزوته وغاب عنه وفرة * وقال أبو حنيفة وصاحبه لا يعطى الا إذا كان فقيرا أو منقطع عابه وإذا أعطى ملك وان لم يصر فيه في غزوته * وقال ابن عبد الحكم ويجعل من الصدقة في الكراع والسلاح وما يحتاج اليه من آلات الحرب وكف العدو عن الحوزة لأنه كاه من سبيل الغزو ومنفعته والجمهور على أنه يجوز الصرف منها الى الحجاج والمعتقرين وان كانوا أغنياء * وقال الزنجشري وفي سبيل الله الفقراء الغزاة والحجج المنقطع بهم انتهى والذي يقتضيه تعدد هذه الاوصاف انها لا تتداخل واشتراط الفقر في بعضها يقتضى بالتداخل فان كان الغازى أو الحاج شرط اعطائه الفقر فلا حاجة لذكره لأنه مندرج في عموم الفقراء بل كل من كان بوصف من هذه الاوصاف جاز الصرف اليه على أى حال كان من فقر أو غنى لأنه قام به الوصف الذى اقتضى الصرف اليه * قال ابن عطية ولا يعطى منها في بناء مسجد ولا قنطرة ولا شراء مصحف انتهى وابن السبيل قال ابن عباس هو عابر السبيل * وقال قتادة في آخر بن هو الضيف * وقال جماعة

(الدر)

(ح) الذى يقتضيه تعداد هذه الاصناف انها لا تتداخل واشتراط الفقر في بعضها يقتضى التداخل فان كان الغازى أو الحاج شرط اعطائه الفقر فلا حاجة لذكره لأنه مندرج في عموم الفقراء بل كل من كان بوصف من هذه الاوصاف جاز الصرف اليه على أى حال كان من فقر أو غنى لأنه قام به الوصف الذى اقتضى الصرف اليه

هو المسافر المنقطع به وان كان له مال في بلده * وقالت جماعة هو الحاج المنقطع * وقال الزجاج هو الذي قطع عليه الطريق وفي كتاب سخنون قال مالك اذا وجد المسافر المنقطع به من يسأله لم يجز له أن يأخذ من الصدقة والظاهر الصرف اليه وان كان له ما يغنيه في طريقه لأنه ابن سبيل والمشهور انه اذا كان بهذا الوصف لا يعطى * قال الزحشرى (فان قلت) لم عدل عن اللام الى في الاربعة الاخيرة (قلت) للايدان بأنهم أرسخ في استحقاق التصديق عليهم ممن سبق ذكره لأن في اللوعاء فنبه على أنهم أحقاء بأن توضع فيهم الصدقات ويجعلوا مظنة لها ومصبا وذلك لما في فك الرقاب من الكتابة أو الرق أو الأسر وفي فك الغارمين من الغرم من التخليص والانتقاو لجمع الغازي الفقير أو المنقطع في الحج بين الفقر والعبادة وكذلك ابن السبيل جامع بين الفقر والغربة عن الأهل والمال وتكرير في قوله تعالى وفي سبيل الله وابن السبيل فيه فضل ترجيح لهدن على الرقاب والغارمين (فان قلت) فكيف وقعت هذه الآية في تضاعيف ذكر المنافقين ومكائدهم (قلت) دل بكون هذه الأوصاف مضافا في الصدقات خاصة دون غيرهم على أنهم ليسوا منهم حسبا لا طعامهم وأشعارا باستيجابهم الحرمان وانهم بعداء عنهم وعن مصارفهم فإفهام لها وما سلطهم على الكلام لها ولمن قاسمها وانتصب فريضة لأنه في معنى المصدر المؤكد لأن قوله تعالى إنما الصدقات للفقراء معناه فرض من الله الصدقات لهم * وقرئ فريضة بالرفع على تلك فريضة انتهى * وقال الكرماني وأبو البقاء فريضة حال من الضمير في الفقراء أي مفروضة * قال الكرماني كما تقول هي لك طلقا انتهى وذكر عن سيبويه أنهم مصدر والتقدير فرض الله الصدقات فريضة * وقال الفراء هي منصوبة على القطع * والله عليم حكيم لأن ما صدر عنه هو عن علم منه بخلقه وحكمته منه في القسمة أو عليم بمقادير المصالح حكيم لا يشرع إلا ما هو الأصلح * ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن قل أذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين آمنوا منكم والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله أحق أن يرضوه ان كانوا مؤمنين * ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله فانه له نار جهنم خالدا فيها ذلك الخزي العظيم * يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزؤا إن الله مخرج ما تتحدرون * ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن * لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم ان نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين * المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله ونسيهم ان المنافقين هم الفاسقون * وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هي حسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب عقيم * كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالا وأولادا فاستمتعوا بخلاقتهم فاستمتعتم بخلاقتهم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقتهم وخضتم كالذي خاضوا أولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك هم الخاسرون * ألم يأتهم نبي الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وأصحاب مدين والمؤتفكات أتتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون * والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرهم الله ان الله عزيز حكيم * وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم * الاعتذار

﴿ ومنهم الذين يؤذون النبي ﴾ كان حرام بن خالد وعبيد بن هلال والجلال بن سويد في آخرين يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم لا تفعلوا فانا نخاف أن يبلغه (٦٢) فيوقع بنا فقال الجللاس بل نقول ماشئنا فان محمدا أذن

المتصل من الذنب * فقبل أصله المحو من قولهم اعتذرت المنازل ودرست فالعتذر يحاول ازاله ذنبه قال ابن أحرر

قد كنت تعرف آيات فقد جعلت * اطلال إلفك بالوعساء تعتذر وعن ابن الاعرابي ان الاعتذار هو القطع ومنه عذرة الجارية لأنها تعتذر أى تقطع واعتذرت المياه انقطعت والعذر سبب لقطع الدم * عدن بالمكان يعدن عدونا أقام قاله أبو زيد وابن الاعرابي قال الاعشى

وان يستضيفوا الى حمامه * يضافوا الى راجح قد عدن وتقول العرب تركت ابل فلان عوادن بمكان كذا وهو أن تلزم الابل المكان فتألفه ولا تبرحه وسمى المعدن معدنا لانبات الله الجوهر فيه واثباته إياه في الارض حتى عدن فيها أى ثبت وعدن مدينة باليمن لانهم أكثر مدائن اليمن قطانا ودورا * ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن قل أذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين آمنوا منكم والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم * كان قدام بن خالد وعبيد بن هلال والجلال بن سويد في آخرين يؤذون الرسول صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم لا تفعلوا فانا نخاف أن يبلغه فيوقع بنا فقال الجللاس بل نقول بما شئنا فان محمدا أذن سامعة ثم نأتيه فيصدقنا فنزلت * وقيل نزلت في نبتل بن الحرث كان ينم حديث الرسول صلى الله عليه وسلم الى المنافقين فقبل له لا تفعل فقال ذلك القول * وقيل نزلت في الجللاس وزمعة ابن ثابت في آخرين أرادوا أن يقعوا في الرسول وعندهم غلام من الانصار يدعى عامر بن قيس ففروه فقالوا لئن كان ما يقول محمد حقا لنحن شر من الخير فغضب الغلام فقال والله ان ما يقول محمد حق وأنتم لشر من الخير ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره فدعاهم فسألهم فحلفوا ان عامرا كاذب وحلف عامر أنهم كذبة وقال اللهم لاتفرق بيننا حتى يتبين صدق الصادق وكذب الكاذب ونزلت هذه الآية يحلفون بالله لكم ليرضوكم فقال رجل أذن اذا كان يسمع مقال كل أحد يستوى فيه الواحد والجمع قاله الجوهرى * وقال الزنجشري الاذن الرجل الذي يصدق كل ما يسمع ويقبل قول كل أحد يسمى بالجارية التي هي آلة السماع كان جملته أذن سامعة ونظيره قولهم للرئية عين * وقال الشاعر

قد صرت أذنا للوشاة سمعية * ينالون من عرضي ولو شئت مانالوا

وهذا منهم تنقيص للرسول صلى الله عليه وسلم إذ وصفوه بقله الخزامة والانخداع * وقيل المعنى ذو أذن فهو على حذق مضاف قاله ابن عباس * وقيل أذن حديد السمع ر بما سمع يقال لنا * وقيل أذن وصف بني على فعل من أذن يأذن أذنا اذا استمع نحو أنف وشلل وارتفع أذن على اضممار مبتدأ أى قل هو أذن خير لكم وهذه الاضافة نظيرها قولهم رجل صدق تريد الجوددة والصلاح كأنه قيل نعم هو أذن ولكن نعم الاذن ويجوز أن يراد هو أذن في الخير والحق وما يجب سماعه وقبوله وليس بأذن في غير ذلك ويدل عليه خير ورحمة في قراءة من جرها عطف على خير أى هو أذن خير ورحمة لا يسمع غيرهما ولا يقبله قاله الزنجشري * وقرأ الحسن ومجاهد وزيد بن علي وأبو بكر عن عاصم في

سامعة ثم نأتيه فيصدقنا فنزلت وقيل غير ذلك يقال رجل أذن اذا كان يسمع مقال كل أحد يستوى فيه الواحد والجمع قاله الجوهرى وقال الشاعر * وقد صرت أذنا للوشاة

سمعية * ينالون من عرضي ولو شئت مانالوا * وارتفع أذن على اضممار مبتدأ أى قل هو أذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين تعدية يؤمن أولا بالباء وثانيا باللام قصد التصديق بالله الذي هو تنقيص الكفر فعدى بالباء وقصد الاستماع للمؤمنين وان يسلم لهم ما يقولون فعدى باللام وقرى ورحمة بالرفع عطف على اذن وبالجر عطف على خير * ورحمة للذين آمنوا منكم * وخص المؤمنين وان كان

رحمة للعالمين لان ما حصل لهم من الايمان بسبب رسول الله لم يحصل لغيرهم وخصوصا هنا بالذكر وان كانوا قد خلوا في العالمين لحصول مزيتهم وأبرز اسم الرسول ولم يأت مضمرا

على نسق يؤمن بلفظ الرسول تعظيما لشأنه وجمعا له في الآية بين التبيين العظيمتين من النبوة والرسالة وضافته اليه زيادة في تشريفه وحثم على من أدام بالعذاب الاليم وحق لهم ذلك والذين يؤذون عام ينذر ح فيه هؤلاء الذين آذوا هذا الايداء الخاص وغيرهم

﴿يخلفون بالله لكم﴾ الظاهر ان الضمير في يخلفون عائد على الذين يقولون هو اذن أنكروه وحلفوا أنهم ما قالوه واللام في ليرضوكم لام كي قال ابن عطية مذهب سيبويه أنهما جملتان حذف الأولى لدلالة الثانية عليها والنقد ير عنده والله أحق أن يرضوه ورسوله أحق أن يرضوه ومذهب المبرد ان في الكلام (٦٣) تقديم ما تأخيرا وتقديره والله أحق أن يرضوه ورسوله انتهى

فقوله مذهب سيبويه أنهما جملتان حذف الأولى ان كان الضمير في انهما جملتان عائدا على كل واحدة من الجملتين فكيف يقول حذف الأولى ولم تحذف الأولى انما حذف خبرها وان كان الضمير عائدا على الخبر وهو أحق أن يرضوه فلا تكون جملة الابعاد كقول أن يرضوه مبتدأ وأحق المتقدم خبره لكن لا يتعين هذا القول اذ يجوز أن يكون الخبر مفردا بأن يكون التقدير أحق بأن يرضوه وعلى التقدير الأول يكون التقدير والله إرضاءه أحق وقدره الزمخشري والله أحق أن يرضوه ورسوله كذلك انتهى وفي تقديره تفكيك للكلام حيث جعل أحق أن يرضوه خبرا عن قوله والله فسوى به التقديم أو أضر خبر القول ورسوله وقدره كذلك والذي نقول انه لما كانت طاعة رسول الله صلى الله

رواية قل اذن بالتنوين خير بالرفع وجوزوا في اذن أن يكون خبر مبتدأ محذوف وخبر خبر ثان لذلك المحذوف أي هو اذن هو خير لكم لأنه صلى الله عليه وسلم يقبل معاذيركم ولا يكافئكم على سوء خلتكم وأن يكون خير صفة لاذن أي اذن ذو خير لكم أو على ان خيرا أفعل تفضيل أي أكثر خيرا لكم وأن يكون اذن مبتدأ خبره خير وجاز أن يخبر بالنكرة عن النكرة مع حصول الفائدة فيه قاله صاحب اللوامح وهو جائز على تقدير حذف وصف أي اذن لا يؤخذكم خير لكم ثم وصفه تعالى بأنه يؤمن بالله ومن آمن بالله كان خائفا منه لا يقدم على الايذاء بالباطل ويؤمن للمؤمنين أي يسمع من المؤمنين ويسلم لهم ما يقولون ويصدقهم اكونهم مؤمنين فهم صادقون ورحمة للذين آمنوا منكم وخص المؤمنين وان كان رحمة للعالمين لان ما حصل لهم بالايمان بسبب الرسول لم يحصل لغيرهم وخصوا هنا بالذكر وان كانوا قد دخلوا في العالمين لحصول منيتهم وهذه الاوصاف الثلاثة مبينة جهة الخير ومظهره كونه صلى الله عليه وسلم اذن خير وتعدية يؤمن أولا بالباء وثانيا باللام * قال ابن قتيبة هما زائدان والمعنى يصدق الله ويصدق المؤمنين * وقال الزمخشري قصد التصديق بالله الذي هو نقيض الكفر فعدي بالباء وقصد الاستماع للمؤمنين وان يسلم لهم ما يقولون فعدي باللام ألا ترى الى قوله تعالى وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين ما أنباء عن الباء ونحوه فما آمن لموسى الا ذرية من قومه أنوء من لك واتبعك الارذلون آمنتم له قبل أن آذن لكم انتهى * وقال ابن عطية يؤمن بالله يصدق بالله ويؤمن للمؤمنين * قيل معناه يصدق المؤمنين واللام زائدة كما هي في ردف لكم * وقال المبرد هي متعلقة بمصدر من الفعل كأنه قال وايمانه للمؤمنين أي وتصديقه * وقيل يقال آمنت لك بمعنى صدقتك ومنه قوله وما أنت بمؤمن لنا وعندى ان هذه التي معها اللام في ضمها بالباء فالمعنى يصدق للمؤمنين فيما يخبرونه به وكذلك وما أنت بمؤمن لنا بما نقوله لك انتهى * وقرأ أبي وعبد الله والاعمش وحزرة ورحمة بالجر عطف على خير فالجملة من يؤمن اعتراض بين المتعاطفين وباقي السبعة بالرفع عطف على يؤمن ويؤمن من صفة لاذن خير وابن أبي عبيد بالنصب مفعولا من أجله حذف متعلقه التقدير ورحمة يأذن لكم تحذف لدلالة اذن خير لكم عليه وأبرز اسم الرسول ولم يأت به ضمير على نسق يؤمن بلفظ الرسول تعظيما شأنه وجعله في الآية بين الرتبة العظيمة من النبوة والرسالة وضافته اليه زيادة في تشريفه وحتم على من أذاه بالعذاب الاليم وحق لهم ذلك والذين يؤذون عاميند رح فيه هؤلاء الذين أذوا هذا الايذاء الخاص وغيرهم * يخلفون بالله ليرضوكم والله ورسوله أحق أن يرضوه ان كانوا مؤمنين * الظاهر ان الضمير في يخلفون عائد على الذين يقولون هو اذن أنكروه وحلفوا أنهم ما قالوه * وقيل عائد على الذين قالوا ان كان ما يقول محمد حقا فنحن شرم من الخير وتقدم ذكر ذلك * وقيل عائد على الذين تخلفوا عن غزوة تبوك فلما رجع الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنون اعتمدوا وحلفوا واعتلوا قاله ابن السائب واختاره البيهقي وكانوا ثلاثة وثمانين حلف منهم ثمانون فقبل الرسول اعدارهم واعترف

عليه وسلم طاعة لله تعالى كما قال من يطع الرسول فقد أطاع الله صارا لذلك متلازمين كالشيء الواحد فأخبر عنهما ما اخبار الواحد فأفرد الضمير كما قال الشاعر * بها العيان تهمل * ولم يقل تهملان وقالت العرب رب يوم وإياله مربي تريد مربي * فأفرد الضمير لتلازمهما

﴿ألم يعلموا﴾ أنه من يحادد الله ﴿ألم يعلم المنافقون﴾ وهو استفهام معناه التوبيخ والانسكار وقرئ بالتاء وهو التفتات خرج من ضمير الغيبة إلى ضمير الخطاب واسم ان هو ضمير الأمر والشأن وخبر ان هو جملة الشرط والجزاء فن مبتدأ ويحدّد مجزوم به قال ابن عباس المحادة هنا المخالفة ويحدّد خبر لمن والفاء داخلة في جواب الشرط وينسبك من أن وما بعده ما صدر خبر لمبتدأ محذوف تقديره فجزاؤه كمنونة النار له قال الزمخشري ويجوز أن يكون فان له معطوفا على انه على ان جواب من محذوف تقديره ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله يلك فان له نار (٦٤) جهنم انتهى فيكون فان له نار جهنم في موضع نصب وهذا الذي

قدره لا يصح لانهم نصوا على انه اذا حذف الجواب لدلالة الكلام عليه كان فعل الشرط ماضيا في اللفظ أو مضارعا مجزوما بلم فن كلامهم أنت ظالم ان فعلت ولا يجوز ان تفعل وهنا حذف جواب الشرط وفعل الشرط ليس ماضى

(الدر)

(ح) أفرد الضمير في رضوه لانهما في حكم مرضى واحدا رضا الله هو رضا الرسول أو يكون في الكلام حذف (ع) مذهب سيبويه انهما جملتان حذف الأولى لدلالة الثانية عليها والتقدير عنده والله أحق أن يرضوه ورسوله أحق أن يرضوه وهذا كقول الشاعر

* نحن بما عندنا وأنت بما عندك راض والرأى مختلف ومذهب المبرد ان في الكلام تقدما وتأخيرا وتقديره والله أحق أن

منهم بالحق ثلاثة فأطلع الله رسوله على كذبهم ونفاقهم وهلكوا جميعا باآفات ونجا الذين صدقوا * وقيل عائد على عبد الله بن أبي ومن معه حلفوا أن لا يتخلفوا عن رسول الله وليكونوا معه على عدوه * وقال ابن عطية المراد جميع المنافقين الذين يحلفون للرسول والمؤمنين انهم معهم في الدين وفي كل أمر وحرب وهم يبتغون النفاق ويتربصون بالمؤمنين الدوائر وهذا قول جماعة من أهل التأويل واللام في ليرضوكم لام كي وأخطأ من ذهب إلى أنها جواب القسم وأفرد الضمير في أن يرضوه لانهما في حكم مرضى واحدا رضا الله هو رضا الرسول أو يكون في الكلام حذف * قال ابن عطية مذهب سيبويه انهما جملتان حذف الأولى لدلالة الثانية عليها والتقدير عنده والله أحق أن يرضوه ورسوله أحق أن يرضوه وهذا كقول الشاعر

نحن بما عندنا وأنت بما عندك راض والرأى مختلف

ومذهب المبرد ان في الكلام تقدما وتأخيرا وتقديره والله أحق أن يرضوه ورسوله * وقيل الضمير عائد على المدكور كما قال رؤبة

فيها خطوط من سواد وبلق * كانه في الجلد توليع البهق

انتهى فقوله مذهب سيبويه انهما جملتان حذف الأولى لدلالة الثانية عليها ان كان الضمير في انهما عائدا على كل واحدة من الجملتين فكيف تقول حذف الأولى ولم تحذف الأولى انما حذف خبرها وان كان الضمير عائدا على الخبر وهو أحق أن يرضوه فلا يكون جملة الابعةقاد كون أن يرضوه مبتدأ وأحق المتقدم خبره لكن لا يتعين هذا القول اذ يجوز أن يكون الخبر مفردا بأن يكون التقدير أحق بأن يرضوه وعلى التقدير الأول يكون التقدير والله ارضاءؤه أحق وقدره الزمخشري والله أحق أن يرضوه ورسوله كذلك * ان كانوا مؤمنين كما يزعمون فأحق من يرضونه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم بالطاعة والوفاق ﴿ألم يعلموا﴾ أنه من يحادد الله ورسوله فان له نار جهنم خالد فيها ذلك الخزي العظيم ﴿ألم يعلم المنافقون﴾ وهو استفهام معناه التوبيخ والانسكار * وقرأ الحسن والأعرج بالتاء على الخطاب فالظاهر أنه التفتات فهو خطاب للمنافقين * قيل ويحتمل أن يكون خطابا للمؤمنين فيكون معنى الاستفهام التقرير وان كان خطابا للرسول فهو خطاب تعظيم والاستفهام فيه للتعجب والتقدير ألا تعجب من جهلهم في محادة الله تعالى وفي مصحف أبي ألم يعلم * قال ابن عطية على خطاب النبي عليه السلام انتهى والأولى أن يكون خطابا للسامع قال أهل المعاني ألم تعلم الخطاب لمن حاول تعليم انسان شيأ مدمرة بالغ في ذلك التعليم فلم يعلم فقال له ألم تعلم بعد المباحث

يرضوه ورسوله وقيل الضمير عائد على المدكور كما قال رؤبة فيها خطوط من سواد وبلق * كانه في الجلد توليع البهق انتهى (ح) قوله مذهب سيبويه انهما جملتان حذف الأولى ان كان الضمير في انهما عائدا على كل واحدة من الجملتين فكيف تقول حذف الأولى ولم تحذف الأولى انما حذف جزؤها وان كان الضمير عائدا على الخبر وهو أحق أن يرضوه فلا يكون جملة الابعةقاد كون أن يرضوه مبتدأ وأحق المتقدم خبره لكن لا يتعين هذا القول اذ يجوز أن يكون الخبر مفردا بأن يكون التقدير أحق بأن يرضوه وعلى التقدير الأول يكون التقدير والله ارضاءؤه أحق وقدره (ش) والله أحق أن يرضوه ورسوله كذلك

اللفظ ولا مضارغامقرونا بل وذلك ان جاء في كلامهم فخصوص بالضرورة وأيضا فجدد الكلام تاما دون تندير هذا الجواب
 * يحذر المنافقون * قال ابن كيسان (٦٥) وقف جماعة منهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة مظلمة

عند مرجعه من تبوك
 ليفتكوا به فأخبره جبريل
 عليه السلام فنزلت وقيل
 قالوا في غزوة تبوك
 أيرجو هذا الرجل أن
 تفتح له قصور الشام
 وحصونها هيئات هيئات
 فأنزل الله تعالى قل استهزؤا
 والظاهر أن يحذر خبر
 ويدل عليه * ان الله مخرج
 ما تحذرون * فقل هو
 واقع منهم حقيقة لما شهدوا
 الرسول صلى الله عليه وسلم
 يخبرهم بما يكتمونه وقع
 الحذر والخوف في قلوبهم

(الدر)

ألم يعلموا أنه من يحادد الله
 ورسوله فإن له نار جهنم
 (ح) قرأ الجمهور فإن له
 نار جهنم بالفتح والفاء
 جواب الشرط فتقتضى
 جملة وان له مفرد في موضع
 رفع على الابتداء وخبره
 محذوف قدره (ش) مقدما
 نكرة أى حقق ان له
 وقدره غيره متأخرا أى فان
 له نار جهنم واجب قاله
 الأخفش ورد عليه بأن أن
 لا يتبدأ بها متقدمة على
 الخبر وهذا مذهب سيبويه
 والجمهور وأجاز الأخفش

الظاهرة والمدة المديدة وحسن ذلك لانه طال مكث النبي صلى الله عليه وسلم معه وكثر منه التحذير عن
 معصية الله والترغيب في طاعة الله قال بعضهم المحادة المخالفة حادثة خالفته واشتقاقه من الحد أى كان
 على حد غير حادة كقولك شاقة كان في شق غير شقه * وقال أبو مسلم المحادة مأخوذة من الحديد
 حديد السلاح والمحادة هنا * قال ابن عباس المخالفة * وقيل المحاربة * وقيل المعاندة * وقيل
 المعادة * وقيل مجاوزة الحد في المخالفة وهذا أقوال متقاربة * وقرأ الجمهور فان له بالفتح والفاء
 جواب الشرط فتقتضى جملة وان له مفرد في موضع رفع على الابتداء وخبره محذوف قدره
 الزنجشري مقدما نكرة أى حقق أن يكون وقدره غيره متأخرا أى فان له نار جهنم واجب قاله
 الأخفش ورد عليه بأن أن لا يتبدأ بها متقدمة على الخبر وهذا مذهب سيبويه والجمهور وأجاز
 الأخفش والفراء وأبو حاتم الابتداء بها متقدمة على الخبر فلا أخفش خرج ذلك على أصله أوفى
 موضع رفع على انه خبر مبتدأ محذوف أى قالوا واجب ان له النار * قال على بن سليمان وقال الجرمي
 والمبرد ان الثانية مكررة للتوكيد كان التقدير فله نار جهنم وكرر ان توكيدا * وقال الزنجشري
 ويجوز أن يكون فان له معطوفا على انه على أن جواب من محذوف تقديره ألم يعلموا انه من يحادد
 الله ورسوله يهلك فان له نار جهنم انتهى فيكون فان له نار جهنم في موضع نصب وهذا الذى قدره
 لا يصح لانهم نصوا على انه اذا حذف الجواب لدلالة الكلام عليه كان فعل الشرط ماضيا في اللفظ أو
 مضارع مجزوما بل من كلامهم أنت ظالم ان فعلت ولا يجوز ان تفعل وهنا حذف جواب الشرط
 وفعل الشرط ليس ماضى اللفظ ولا مضارعا مقرونا بل وذلك ان جاء في كلامهم فخصوص
 بالضرورة وأيضا فجدد الكلام تاما دون تقدير هذا الجواب ونقلوا عن سيبويه ان أن بدل من أنه *
 قال ابن عطية وهذا معترض بان الشئ لا يبدل منه حتى يستوفى والاولى في هذا الموضع لم يأت خبرها
 بعد ان لم يتم جواب الشرط وتلك الجملة هي الخبر وأيضا فان الفاء مانع البديل وأيضا فهي معنى آخر
 غير الاول فيقلق البديل واذا تلطف للبديل فهو بدل اشتغال انتهى * وقال أبو البقاء وهذا يعنى البديل
 ضعيف لوجهين أحدهما أن الفاء التي معها تمنع من ذلك والحكم بزيادتها ضعيف والثاني ان جعلها
 بدلا يوجب سقوط جواب الكلام انتهى * وقيل هو على اسقاط اللام أى فلا أن له نار جهنم فالفاء
 جواب الشرط ويحتاج الى اضمار ما يتم به جواب الشرط جملة أى فحادته لان له نار جهنم * وقرأ
 ابن أبي عمير فان له بالكسر في الهزلة حكاه عنه أبو عمرو والداني وهي قراءة محبوب عن الحسن
 ورواية أبي عبيدة عن أبي عمرو ووجهه في العربية قوى لان الفاء تقتضى الاستئناف والكسر
 مختار لانه لا يحتاج الى اضمار بخلاف الفتح * وقال الشاعر

فمن يك سائلا عنى فانى * وجرودة لا ترود ولا تعار

وعلى هذا يجوز في أن بعد فاء الجزاء وجهان الفتح والكسر ذلك لان كينونة النار له خالد فيها هو
 الهوان العظيم كما قال ربنا انك من تدخل النار فقد أخرجته * يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة
 تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزؤا ان الله مخرج ما تحذرون * كان المنافقون يعيبون الرسول

(٩ - تفسير البحر المحيط لابي حيان - خامس) والفراء وأبو حاتم الابتداء بها متقدمة على الخبر فلا أخفش خرج
 ذلك على أصله (ش) ويجوز أن يكون فان له معطوفا على انه على ان جواب من محذوف تقديره ألم يعلموا أن من يحادد الله
 ورسوله يهلك فان له نار جهنم انتهى (ح) فيكون فان له نار جهنم في موضع نصب وهذا الذى قدره لا يصح لانهم نصوا على انه اذا

ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب * أى ولئن سألتهم عما قالوا من القبح في حقل وحق أصحابك من قول بعضهم انظروا الى هذا الرجل يريد أن يفتح قصور الشام وقول بعضهم كاذبكم غدا في الجبال أسرى لبنى الأصفر وقول بعضهم ما رأيت كهؤلاء أرغب بطوننا ولا أكثر كذبا (٦٦) ولا أجبن عند اللقاء فأطلع الله نبيه على ذلك فعنفهم فقالوا

يا نبي الله ما كنا في شيء من أمرك ولا أمر أصحابك انما كنا في شيء مما نخوض فيه الركب كنا في غير جد فنزلت ﴿قل أبالله﴾ الآية تقرير على استهزائهم وضعفه الوعيد ولم يعبا باعتذارهم لانهم كانوا كاذبين فيدفعوا كائنهم معترفون باستهزائهم وبأنه موجود منهم حتى وبخوا باخطائهم ووضع الاستهزاء حيث جعل المستهزأ به على حرف التقرير وذلك انما يستقيم بعد وقوع الاستهزاء وثبوته وهو حسن وتقديم بالله وهو معمول خبر كان عليها يدل على جواز تقديم عليها وعن ابن عمر قال رأيت قائل هذه المقالة يعني انما كنا نخوض ونلعب واسمه ودبعة بن ثابت متعلقا بحقب ناقرة رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشيها والحجارة تنكته وهو يقول انما كنا نخوض ونلعب والنبي صلى الله عليه وسلم يقول أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤون

ويقولون عسى الله أن لا يفشى سرفنا فنزلت قاله مجاهد * وقال السدي قال بعضهم وددت اني جلدت مائة ولا ينزل فينا شيء يفضحنا فنزلت * وقال ابن كيسان وقف جماعة منهم للرسول صلى الله عليه وسلم في ليلة مظامة عند مرجعه من تبوك ليفتك كوابه فأخبره جبريل عليه السلام فنزلت * وقيل قالوا في غزوة تبوك أيرجو هذا الرجل أن يفتح له قصور الشام وحصونها هيات هيات فأنزل الله قل استهزؤا والظاهر أن يحذر خبر ويدل عليه ان الله مخرج ما تحذرون * فويل هو واقع منهم حقيقة لما شاهدوا الرسول يحذرهم بما يكتونه وقع الحذر والخوف في قلوبهم * وقال الأصم كانوا يعرفونه رسولا من عند الله فكفروا وحدها واستبعدوا القاضي في العالم بالله ورسوله وصحة دينه أن يكون محادا لهم وليس بعيدا منه اذا استحکم الحسد نازع الحاسد في المحسوسات * وقيل هو حذر أظهر ود على وجه الاستهزاء حين رأوا الرسول يذكر أشياء وانها عن الوحي وكانوا يكذبون بذلك فأخبر الله رسوله بذلك وأعلم أنه مظهر سرهم ويدل عليه قوله قل استهزؤا * وقال الزجاج وغيره ممن ذهب الى التحرز من أن يكون كفرهم عناداً هو مضارع في معنى الأمر أى ليحذر المنافقون ويبعده مخرج ما تحذرون وأن تنزل مفعول يحذرون وهو متعد * قال الشاعر
حذر أمور الأنضر وآمن * ما ليس ينجمه من الأقدار

وقال تعالى ويحذركم الله نفسه لما كان قبل التضعيف متعديا الى واحد عدا بالضعيف الى اثنين * وقال المبرد حذر انما هي من هيئات الأنفس التي لا تتعدى مثل فرع والتقدير يحذر المنافقون من أن تنزل ولا يلزم ذلك ألا ترى أن خاف من هيئات النفس وتتعدى والظاهر أن قوله عليهم وتنبيههم الضمير ان فيهما عائدان على المنافقين وجاء عليهم لان السورة اذا نزلت في معانهم فهي نازلة عليهم قاله الكرماني والزمخشري * قال الكرماني ويحتمل أنه من قولك هذا عليك لالك ومعنى تنبيههم بما في قلوبهم تذيع أسرارهم حتى يسمعوها مذاعة منتشرة فكأنها تخبرهم بها * وقال الزمخشري والضمير في عليهم وتنبيههم للمؤمنين وفي قلوبهم للمنافقين وضح ذلك لان المعنى يعود اليه انتهى والأمر بالاستهزاء أمر تهديد ووعد كقوله اعملوا ما شئتم ومعنى مخرج ما تحذرون مبرز الى حيز الوجود ما تحذرونه من انزال السورة أو مظهر ما كنتم تحذرونه من اظهار نفاقكم وقيل ذلك تعالى في هذه السورة فهي تسمى الفاضحة لانها فضحت المنافقين * قيل كانوا سبعين رجلا أنزل الله أسماءهم وأسماء آبائهم في القرآن ثم رفع ذلك ونسخ رحمة ورأفقه منه على خلقه لان أبناءهم كانوا مسلمين * ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون * أى ولئن سألتهم عما قالوا من القبح في حقل وحق أصحابك من قول بعضهم انظروا الى هذا الرجل يريد أن يفتح قصور الشام وقول بعضهم كاذبكم غدا في الجبال أسرى لبنى الأصفر وقول بعضهم ما رأيت كهؤلاء لأرغب بطوننا ولا أكثر كذبا ولا أجبن عند اللقاء فأطلع الله نبيه على ذلك فعنفهم فقالوا يا نبي الله ما كنا في شيء من أمرك ولا أمر أصحابك انما كنا في شيء مما

(الدر) كان حذف الجواب لدلالة الكلام عليه كان فعل الشرط ما ضيف الى اللفظ أو مضارعا مجزوما بل من كلامهم أنت نالما ان فعلت ولا يجوز ان تفعل وهنا حذف جواب الشرط وفعل الشرط ليس ماضى اللفظ ولا مضارع مقرر ونالما وذلك ان بناء في كلامهم مخصوص بالضرر ورتو أيضا فبعد الكلام تامادون تقدير هذا الجواب

﴿ لا تعتذر واقد كفرتم بعد ايمانكم ﴾ أي بعد اظهار ايمانكم لانهم كانوا يسرون الكفر فهو اعن الاعتذار لانها اعتذارات كاذبة فهي لا تنفع قد كفرتم اظهرتم الكفر بعد ايمانكم أي بعد اظهار ايمانكم لانهم كانوا يسرون الكفر فأظهروه باستهزائهم وجاء التقسيم بالعفو عن طائفة والتعذيب لطائفة (٦٧) وكان المنافقون صنفين صنف أمر بجهادهم جاهدا الكفار

والمنافقين وهم رؤساؤهم المعلنون بالأراجيف فعذبوا باخراجهم من المسجد وانكشاف معظم أحوالهم وصنف ضعفة مظهرون الايمان وان أبطنوا الكفر لم يؤذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فعفى عنهم وهذا العذاب والعفو في الدنيا وقيل العفو عن علم الله انهم سيخلصون من النفاق ويخلصون من مات منهم على نفاقه وقرئ ان تعف مبنيا للمفعول التقدير ان تعف هذه الذنوب ﴿ المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض ﴾ بين سبحانه وتعالى ان ذكورهم واناثهم ليسوا من المؤمنين كما قال تعالى ويخلفون بالله انهم لمنكم وما هم منكم بل بعضهم من بعض في الحكم والمنزلة والنفاق فهم على دين واحد وليس المعنى على التبعية حقيقة لان ذلك معلوم ووصفهم بخلاف ما عليه المؤمنون منهم

يخوض فيه الركب كنافي غير جد قبل أبالله تقرير على استهزائهم ووضعه الوعيد ولم يعبا باعتذارهم لانهم كانوا كاذبين فيه فجعلوا كأنهم معترفون باستهزائهم وبأنه موجود منهم حتى وبخوا باخطائهم موضع الاستهزاء حيث جعل المستهزأه على حرف التقرير وذلك انما يستقيم بعد وقوع الاستهزاء وثبوتها قاله الزحشرى وهو حسن وتقديم بالله وهو معمول خبر كان عليها يدل على جواز تقديمه عليها وعن ابن عمر رأيت قائل هذه المقالة يعنى انما كنا نخوض ونلعب وديعة بن ثابت متعلقا بحقب ناقد رسول الله صلى الله عليه وسلم يماشيها والحجارة تنكته وهو يقول انما كنا نخوض ونلعب والنبي يقول أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤون وذكر أن هذا المعلق عبد الله بن أبي بن ساول وذلك خطأ لأنه لم يشهد تبوك ﴿ لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم ﴾ ان نفع عن طائفة منكم تعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين ﴿ نهوا عن الاعتذار لانها اعتذارات كاذبة فهي لا تنفع قد كفرتم اظهرتم الكفر بعد ايمانكم أي بعد اظهار ايمانكم لانهم كانوا يسرون الكفر فأظهروه باستهزائهم وجاء التقسيم بالعفو عن طائفة والتعذيب لطائفة وكان المنافقون صنفين صنف أمر بجهادهم جاهدا الكفار والمنافقين وهم رؤساؤهم المعلنون بالأراجيف فعذبوا باخراجهم من المسجد وانكشاف معظم أحوالهم وصنف ضعفة مظهرون الايمان وان أبطنوا الكفر لم يؤذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فعفى عنهم وهذا العذاب والعفو في الدنيا * وقيل المعفو عنهم من علم الله انهم سيخلصون من النفاق ويخلصون من مات منهم على نفاقه * وقيل المعفو عنه رجل واحد اسمه محشى بن حير بضم الحاء وقع الميم وسكون الياء كان مع الذين قالوا انما كنا نخوض ونلعب * وقيل كان منافقا ثم تاب توبة صحيحة * وقيل انه كان مساما مخلصا الا أنه سمع كلام المنافقين فضحك لهم ولم ينكر عليهم فعفا الله عنه واستشهد باليامة وقد كان ناب ويسمى عبد الرحمن فدعا الله أن يستشهد ويجهل أمره فكان ذلك باليامة ولم يوجد جسده * وقرأ زيد بن ثابت وأبو عبد الرحمن وزيد بن علي وعاصم من السبعة ان نفع بالنون تعذب بالنون طائفة ولقيني شيخنا الأديب الحامل أبو الحكم مالك بن المرحل المالحى بغرناطة فسألنى قراءة من تقرأ اليوم على الشيخ أبي جعفر بن الطباع فقلت قراءة عاصم فأنشدنى

لعاصم قراءة * لغيرها مخالفه ان نفع عن طائفة * منكم تعذب طائفة * وقرأ باقي السبعة ان تعف تعذب طائفة مبنيا للمفعول * وقرأ الجحدري أن يعف يعذب مبنيا للمفعول فيهما أي ان يعف الله * وقرأ مجاهد ان تعف بالتاء مبنيا للمفعول تعذب مبنيا للمفعول بالتاء أيضا * قال ابن عطية على تقدير ان تعف هذه الذنوب * وقال الزحشرى الوجه التذكير لأن المسند اليه الظرف كما تقول سير بالدابة ولا تقول سيرت بالدابة ولكنه ذهب الى المعنى كانه قيل ان ترجم طائفة فأنشئت لذلك وهو غريب والجيد قراءة العامة ان يعف عن طائفة بالتذكير وتعذب طائفة بالتأنيث انتهى مجرمين مصرين على النفاق غير تأنيثين ﴿ المنافقون والمنافقات بعضهم من

(الدر)

(ح) لقيني شيخنا الأديب الكامل أبو الحكم مالك بن المرحل المالحى بغرناطة فسألنى قراءة من تقرأ اليوم على الشيخ أبي جعفر ابن الطباع فقلت قراءة عاصم فأنشدنى لعاصم قراءة * لغيرها مخالفه ان نفع عن طائفة * منكم تعذب طائفة

﴿ يأمرون بالمنكر ﴾ وهو الكفر وعادة غير الله والمعاصي ﴿ وينهون عن المعروف ﴾ وهو الايمان والطاعات وقبض الايدي عبارة عن عدم الانفاق في سبيل الله والنسيان هنا الترك تركوا طاعة الله وطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ ففسبهم ﴾ أى تركهم من الخير وأمان الشر فلم ينسبهم منه ﴿ وعد الله المنافقين ﴾ الآية والكفار هنا المعلنون بالكفر وخالدين فيها حال مقدرة لأن الخلود لم يقارن الوعد ﴿ وحسبهم ﴾ (٦٨) كافهم وذلك مبالغة في عظم عذابهم اذ عذابهم شئ لا يزداد

عليه ولعنهم أهانهم مع التعذيب ولما ذكر تشبيههم بمن قبلهم وذكر ما كانوا فيه من شدة القوة وكثرة الاولاد والاموال واستمتاعهم بما قدر لهم من الانشاء شبه استمتاع المنافقين باستمتاع الذين من قبلهم وأبرزهم بالاسم الظاهر فقال كما استمتع الذين من قبلكم بخلافهم ولم يكن التركيب كما استمتعوا بخلافهم ليدل بذلك على التحقير لانه كما يدل باعادة الظاهر مكان الماضى على التفعيض والتعظيم كذلك يدل باعادته على التصغير والتحقير لشأن المذكور كقوله تعالى ياأبت لا تعبد الشيطان ان الشيطان كان للرحمن عصيا وكقوله ان المنافقين هم الفاسقون ولم يأت التركيب انه كان ولا أنهم هم ﴿ وخضتم ﴾ أى دخلتم في اللهو والباطل وهو مستعار من الخوض

بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله ففسبهم ان المنافقين هم الفاسقون ﴿ بين تعالى أن ذكرهم واثامهم ليسوا من المؤمنين كما قال تعالى ويحلفون بالله انهم لمنكم وما هم منكم بل بعضهم من بعض في الحكم والمنزلة والنفاق فهم على دين واحد وليس المعنى على التبعض حقيقة لأن ذلك معلوم ووصفهم بخلاف ما عليه المؤمنون من انهم يأمرون بالمنكر وهو الكفر وعادة غير الله والمعاصي وينهون عن المعروف لأن الذين نزلت فيهم لم يكونوا أهل قدرة ولا افعال ظاهرة وذلك بظهور الاسلام وعزته وقبض الايدي عبارة عن عدم الانفاق في سبيل الله قاله الحسن ﴿ وقال قتادة عن كل خير ﴾ وقال ابن زيد عن الجهاد وحمل السلاح في قتال أعداء الدين ﴿ وقال سفيان عن الرفع في الدعاء ﴾ وقيل ذلك كناية عن الشح في النفقات في المبار والواجبات والنسيان هنا الترك تركوا طاعة الله وطاعة رسوله ففسبهم أى تركهم من الخير أمان الشر فلم ينسبهم ﴿ وقال الزمخشري أغفلوا ذكره ففسبهم تركهم من رحمة وفضله ويعبر بالنسيان عن الترك مبالغة في أنه لا يخطر ذلك بهال هم الفاسقون أى هم الكاملون في الفسق الذى هو التمرد في الكفر والانسلاخ من كل خير وكفى المسلم زاجرا أن يلم بما يكسب هذا الاسم الفاحش الذى وصف الله به المنافقين ﴿ وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هي حسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب عقيم ﴾ الكفار هنا المعلنون بالكفر وخالدين فيها حال مقدرة لأن الخلود لم يقارن الوعد وحسبهم كافهم وذلك مبالغة في عظم عذابهم اذ عذابهم شئ لا يزداد عليه ولعنهم أهانهم مع التعذيب وجعلهم من المومنين ملحقين بالشیاطين الملاعين كما عظم أهل الجنة وألحقهم بالملائكة المقربين مقيم مؤبدا لا تقلة فيه ﴿ قال الزمخشري ويجوز أن يريد لهم عذاب مقيم معهم في العاجل لا ينتفكون عنه وهو ما يقاسونه من تعب النفاق والظاهر الخالف للباطن خوفا من المساكين وما يحذرونه أبدا من الغضبة ونزول العذاب ان اطلع على أسرارهم ﴿ كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة وأكثرأموالا وأولادا فاستمتعوا بخلافهم فاستمتعتم بخلافكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلافهم وخضتم كالذى خاضوا أولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك هم الخاسرون ﴾ هذا التفت من ضمير الغيبة الى ضمير الخطاب ﴿ قال الفراء التشبيه من جهة الفعل أى فعلتم كافعال الذين من قبلكم فتكون الكاف في موضع نصب ﴿ وقال الزجاج المعنى وعد كما وعد الذين من قبلكم فهو متعلق بوعده ﴿ وقال ابن عطية وفي هذا قلق ﴾ وقال أبو البقاء ويجوز أن تكون متعلقة بيسهرزون وهذا فيه بعد ﴿ وقيل في موضع رفع التقدير أنتم كالذين والتشبيه وقع في الاستمتاع والخوض وقوله كانوا أشد تفسير لشبههم وتمثيل لفعلهم بفعلهم والخلاق النصيب أى ما قدر لهم ﴿ قال الزمخشري (فان قلت) أى فائدة في قوله فاستمتعوا بخلافهم وقوله كما استمتع الذين من

في الماء ولا يستعمل الا في الباطل لان التصرف في الحق انما هو على ترتيب ونظام وأمور الباطل انما هي خوض ومنه قوله عليه السلام رب تخوض في مال الله له النار يوم القيامة ﴿ كالذى خاضوا ﴾ أى كالخوض الذى خاضوا قاله الفراء وقيل كالفوج الذى خاضوا وقيل النون محذوفة أى كالذين خاضوا أى كخوض الذين خاضوا وقيل الذى مع ما بعدهما ينسبك مصدر أى كخوضهم والظاهر ان أولئك اشارة الى الذين وصفهم بالشدة وكثرة الاموال والاولاد والمعنى وأنتم كذلك تحبط أعمالكم

قبلكم بخلاقهم مغن عنه كما أغنى كالذي خاضوا (قلت) فائدة ان قدم الأولين بالاستمتاع ما أوتوا من حظوظ الدنيا ورضاهم بها والتهائم فشبها بهم الغانية عن النظر في العاقبة وطلب الفلاح في الآخرة وان يخس أمر الاستمتاع ويهجن أمر الراضي به ثم شبه بعد ذلك حال المخاطبين بحالهم كما يريد أن ينسب بعض الظلمة على سهاجة فعله فيقول أنت مثل فرعون كان يقتل بغير جرم ويعذب ويعسف وأنت تفعل مثل فعله وأما وخضتم كالذي خاضوا فمعطوف على ما قبله مستند اليه مستغن باسناده اليه عن تلك المقدمة انتهى يعني استغنى عن أن يكون التركيب وخاضوا فحضم كالذي خاضوا * قال ابن عطية كانوا أشد منكم وأعظم فعصوا فها كوا فأنتم أخرى بالهلاك لمعيتكم وضعفكم والمعنى عجلا حظهم في دنياهم وتركوا باب الآخرة فاتبعتموهم أنتم انتهى ولما ذكر تشبيههم بمن قبلهم وذكرا ما كانوا فيه من شدة القوة وكثرة الاولاد واستمتاعهم بما قدر لهم من الانصاء شبه استمتاع المنافقين باستمتاع الذين من قبلهم وأبرزهم بالاسم الظاهر فقال كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم ولم يكن التركيب كما استمتعوا بخلاقهم ليدل بذلك على التحقير لانه كما يدل باعادة الظاهر مكان المضمحل على التفضيم والتعظيم كذلك يدل باعادته على التحقير والتصغير لشأن المذكور كقوله تعالى يا أبت لا تعبد الشيطان ان الشيطان كان للرجن عصيا وكقوله ان المنافقين هم الفاسقون ولم يأت التركيب انه كان ولا انهم هم وخضتم أى دخلتم في اللهو والباطل وهو مستعار من الخوض في الماء ولا يستعمل الا في الباطل لان التصرف في الحق انما هو على ترتيب ونظام وأمور الباطل انما هي خوض ومنه رب متخوض في مال الله له النار يوم القيامة كالذي خاضوا أى كالخوض الذي خاضوا قاله الفراء وقيل كالخوض الذين خاضوا * وقيل النون مخدوفة أى كالذين خاضوا أى تكحوض الذين * وقيل الذي مع ما بعده ما يسبك منهم ما صدر أى تكحوضهم والظاهر أن أولئك اشارة الى الذين وصفهم بالشدة وكثرة الاموال والاولاد والمعنى وأنتم كذلك يحبط أعمالكم * قال ابن عطية ويحتمل أن يريد بأولئك المنافقين المعاصرين لمحمد صلى الله عليه وسلم ويكون الخطاب لمحمد صلى الله عليه وسلم وفي ذلك خروج من خطاب الى خطاب غير الاول وقوله في الدنيا ما يصيبهم في الدنيا من التعب وفساد أعمالهم وفي الآخرة نار لا تنفع ولا يقع عليها جزاء ويقوى الاشارة بأولئك الى المنافقين قوله في الآية المستقبلة ألم يأتهم فتأمل انتهى * وقال الزمخشري حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة نقيض قوله تعالى وآتيناه أجره في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين * ألم يأتهم نبياً الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم وأصحاب مدين والمؤتفكات أنتم رسلكم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون * لما شبه المنافقين بالكفار المتقدمين في الرغبة في الدنيا وتكذيب الانبياء وكان لفظ الذين من قبلكم فيه ابراهيم نص على طوائف بأعيانها ستة لانهم كان عندهم شيء من أنبيائهم وكانت بلادهم قريبة من بلاد العرب وكانوا أكثر الأمم عدداً وأنبياءهم أعظم الانبياء نوح أول الرسل و ابراهيم الأب الاقرب للعرب وما يليها من الأمم مقاربون لهم في الشدة وكثرة المال والولد فقوم نوح أهل كوا بالعرق وعاد بالريح ووثمود بالصيحة وقوم ابراهيم بسلب النعمة عنهم حتى سلطت البعوضة على نمرود ملكهم وأصحاب مدين بعذاب يوم الظلة والمؤتفكات يجعل أعالي أرضها أسافل وأمطار الحجارة عليهم * قال الواحدي معنى الائتفاك الانقلاب أفكته فائتفك أى قلبته فانقلب والمؤتفكات صفة للقرى التي اتفكت بأهلها فجعل أعلاها أسفلها والمؤتفكات مدائن قوم لوط

* ألم يأتهم نبياً الذين من قبلهم * لما شبه المنافقين بالكفار المتقدمين في الرغبة في الدنيا وتكذيب الانبياء وكان لفظ الذين من قبلهم فيه ابراهيم نص على طوائف بأعيانها ستة لانه كان عندهم شيء من أنبيائهم وكانت بلادهم قريبة من بلاد العرب وكانوا أكثر الأمم عدداً وأنبياءهم أعظم الانبياء نوح أول الرسل و ابراهيم الأب الاقرب للعرب وما يليها من الأمم مقاربون لهم في الشدة وكثرة المال والولد فقوم نوح أهل كوا بالعرق وعاد بالريح ووثمود بالصيحة وقوم ابراهيم بسلب النعمة عنهم حتى سلطت البعوضة على نمرود ملكهم وأصحاب مدين بعذاب يوم الظلة والمؤتفكات يجعل أعالي أرضها أسافل وأمطار الحجارة عليهم

* وقيل قريبات قوم لوط وهو ذو صالح واثنا كهن انقلاب أحوالهم عن الخير إلى الشر * قال ابن عطية والمؤتفكات أهل القرى الأربعة * وقيل التسعة التي بعث إليهم لوط عليه السلام وقد جاءت في القرآن مفردة تدل على الجمع ومن هذه اللفظة قول عمران بن حطان

لمنطق مستبين غير ملتبس * به اللسان ورأي غير مؤتفك

أي غير نقاب متصرف مضطرب ومنه يقال للرجح مؤتفكة لتصرفها ومنه أي يؤفكون والافك صرف القول من الحق إلى الكذب انتهى وفي قوله ألم يأتهم نذير بأنباء الماضين وتخويف أن يصيبهم مثل ما أصابهم وكان أكثرهم عالمين بأحوال هذه الأمم وقد ذكر شيء منها في أشعار جاهليتهم كالأفوه الأزدي وعائقة بن عبدة وغيرهما ويحتمل أن يكون قوله ألم يأتهم نذير كبير بما قص الله عليهم في القرآن من أحوال هؤلاء وتفصيلها والظاهر أن الضمير في أتتهم رسالهم بالبينات عائد على الأمم

الستة المذكورة والجملة شرح للنبا * وقيل يعود على المؤتفكات خاصة وأتى بلفظ رسل وان كان بينهم واحد لأنه كان يرسل إلى كل قرية رسولا داعيا فهم رسل رسول الله ذكره الطبري * وقال الكرماني قيل يعود على المؤتفكات أي أتاهم رسول بعد رسول والبينات المعجزات وهي وأصحاب بالنسبة إلى الحق لا بالنسبة إلى المكذبين * قال ابن عباس ليظلمهم ليهلكهم حتى يبعث فيهم نبيا ينذرهم والمعنى أنهم أهل كوا باستحقاقهم * وقال مكي ثنا كان الله ليضع عقوبته في غير مستحقها إذا ظلم وضع الشيء في غير موضعه ولو كانوا أنفسهم يظلمون أذعنوا الله وكذبوا رسوله حتى أسخطوا ربهم واستوجبوا العقوبة فظاهوا بذلك أنفسهم * وقال الكرماني ليظلمهم باهلا كهم يظلمون بالكفر والتكذيب * وقال الزمخشري فاصح منه أن يظلمهم وهو حكيم لا يجوز عليه القبيح وأن يعاقبهم بغير جرم ولو كان ظاهرا أنفسهم حيث كفروا به فاستحقوا عقابه انتهى وذلك على طريقة الاعتزال ويظهر أن بين قوله بالبينات وقوله ثنا كان كلاما محذوف تقديره والله أعلم فكذبوا فأهلكهم الله ثنا كان الله ليظلمهم * والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرجهم الله إن الله عزيز حكيم * لما ذكر المنافقين والمنافقات وما هم عليه من الأوصاف القبيحة والأعمال الفاسدة ذكر المؤمنين والمؤمنات وقال في أولئك بعضهم من بعض وفي هؤلاء بعضهم أولياء بعض * قال ابن عطية إذا ولاية بين المنافقين ولا شفاعتهم ولا يدعو بعضهم لبعض فكان المراد هنا

الولاية في الله خاصة

الولاية في الله عز وجل * لما ذكر المنافقين والمنافقات وما هم عليه من الأوصاف القبيحة والأعمال الفاسدة ذكر المؤمنين والمؤمنات وقال في أولئك بعضهم من بعض وفي هؤلاء بعضهم أولياء بعض * قال ابن عطية إذا ولاية بين المنافقين ولا شفاعتهم ولا يدعو بعضهم لبعض فكان المراد هنا الولاية في الله خاصة * وقال أبو عبد الله الرازي بعضهم من بعض يدل على أن نفاق الاتباع وكفرهم حصل بسبب التقليد لأولئك الأكارم وسبب مقتضى الطبيعة والعادة أما الموافقة الحاصلة بين المؤمنين فأنما حصلت بسبب الميل والعادة بل بسبب المشاركة في الاستدلال والتوفيق والهداية والولاية ضد العداوة ولما وصف المؤمنين بكون بعضهم أولياء بعض ذكر بعده ما يجري كالتفسير والشرح له وهي الخسة التي يتميز بها المؤمن على المنافق فالمنافق يأمر بالمنكر وينهى عن المعروف ولا يقوم إلى الصلاة الا وهو كسلان ويغفل بالزكاة ويتخلف بنفسه عن الجهاد وإذا أمر الله تثبط وثبط غيره والمؤمن بضد ذلك كله من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأقام الصلاة وآتوا الزكاة والجهاد وهو المراد في هذه الآية بقوله ويطيعون الله ورسوله انتهى وفيه بعض تلخيص * وقال أبو العالية كل ما ذكره الله في القرآن من الأمر بالمعروف فهو دعاء من الشر إلى الإسلام وما ذكر من النهي عن المنكر فهو النهي عن عبادة الأصنام والشرطاين *

* والمؤمنون والمؤمنات

لما ذكر تعالى المنافقين

والمنافقات وما هم عليه من

الأوصاف القبيحة والأعمال

الفاسدة ذكر المؤمنين

والمؤمنات وقال في أولئك

بعضهم من بعض وفي هؤلاء

بعضهم أولياء بعض إذ

لا ولاية بين المنافقين ولا

شفاعة لهم ولا يدعو بعضهم

لبعض فكان المراد هنا

الولاية في الله خاصة

﴿وعد الله المؤمنين والمؤمنات﴾ الآية لما أعقب المنافقين (٧١) بذكر ما أوعدهم به من نار جهنم أعقب المؤمنين بذكر

ما أوعدهم به من نعيم الجنات ولما كان قوله أولئك سيرجهم الله وعدا اجماليا فصله هنا تنبيها على أن تلك الرحمة هي هذه الأشياء ﴿يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين﴾ لماذا كرر وعيد غير المؤمنين وكانت السورة قد نزلت في المنافقين بدأ بهم في ذلك بقولهم وعد الله المنافقين والمنافقات الآية ولماذا كرر أمر الجهاد وكان الكفار غير المنافقين أشد شكية وأقوى أسبابا في القتال وانكسار بتصديهم للقتال قال جاهد الكفار والمنافقين فبدأ بهم قال ابن عباس جاهد الكفار بالسيف والمنافقين باللسان

(الدر)

وعدن علم لقوله تعالى جنات عدن التي وعد الرحمن ويدل عليه ما روى أبو الدرداء إلى آخره (ح) إنما استدلل بالآية على أن عدنا علم لأن المضاف إليها وصف بالتي وهي معرفة فلو لم تكن جنات مضافة إلى معرفة لم توصف بالمعرفة ولا يتعين ذلك إذ يجوز أن تكون التي خبر مبتدأ محذوف أو منصوب باضمار أعني أو أمدح أو بدلا من جنات ويعد أن يكون

وقال ابن عباس ويقومون الصلاة هي الصلوات الخمس * قال ابن عطية وبحسب هذا تكون الزكاة المفروضة والمدح عندي بالنوافل أبلغ أذن يقيم النوافل أجدى بأقامة الفروض ويطيعون الله ورسوله جامع للسندوبات انتهى سيرجهم الله * قال ابن عطية السنين مدخلة في الوعد مهلة لتكون النفوس تتنعم برجائه وفضله تعالى * وقال الزمخشري السنين مفيدة وجوب الرحمة لا محالة فهي تؤكّد الوعد كما تؤكّد الوعد في قولك سأنتقم منك يوم ما يعني أنك لا تفوتني وإن تبطأ ذلك ونحوه سيجعل لهم الرحمن ودا ولسوف يعطيك ربك سوف تؤتيهم أجورهم انتهى وفيه دفيئة خفية من الاعتزال بقوله السنين مفيدة وجوب الرحمة لا محالة يشير إلى أنه يجب على الله تعالى إثابة الطائع كما تجب عقوبة العاصي وليس مدلول السنين توكيدها دخلت عليه إنما يدل على تحليص المضارع للاستقبال فقط ولما كانت الرحمة هنا عبارة عما يترتب على تلك الأعمال الصالحة من الثواب والعقاب في الآخرة أتى بالسنين التي تدل على استقبال الفعل إن الله عزّيز غالب على كل شيء قادر عليه حكيم واضح كلامه وضعه * وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم * لما أعقب المنافقين بذكر ما أوعدهم به من نار جهنم أعقب المؤمنين بذكر ما أوعدهم به من نعيم الجنات ولما كان قوله سيرجهم الله وعدا اجماليا فصله هنا تنبيها على أن تلك الرحمة هي هذه الأشياء ومساكن طيبة * قال ابن عباس هي دور المقربين * وقيل دور في جنات عدن مختلفة الصفات باختلاف حال الحالين بها * وقيل قصور زبرجد ودور ياقوت يفوح طيبها من مسيرة خمسمائة عام في أما كن أقاتهم وفي الحديث قصر في الجنة من اللؤلؤ فيه سبعون دارا من ياقوتة حمراء وفي كل دار سبعون بيتا من زمردة خضراء في كل بيت سبعون سريرا وذكروا في آخر هذا الحديث أشياء وإن صح هذا النقل عن الرسول وجب المصير إليه * في جنات عدن أي إقامة * وقال كعب الأحبار هي بالفارسية الكر وم والاعناب * قال ابن عطية وأظن هذا ما اختلط بالفردوس * وقال ابن مسعود عدن بطنان الجنة وشرقها وعنده وسط الجنة * وقال عطاء نهر في الجنة جناته على حافتيه * وقال الضحاك وأبو عبيدة مدينة الجنة وعظمها فيها الأنبياء والعلماء والشهداء وأئمة العدل والناس حولهم بعدوا الجنات حولها * وقال الحسن قصر في الجنة لا يدخله النبي أو صديق أو شهيد أو حكم عدل ومدتها صوتة وعنده قصور من اللؤلؤ والياقوت الآخر والزبرجد * وروى أبو الدرداء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عدن دار الله التي لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر ولا يسكنها غير ثلاثة النبيون والصديقون والشهداء يقول الله تعالى طوبى لمن دخلها وإن صح هذا عن الرسول وجب المصير إليه * وقال مقاتل هي أعلى درجة في الجنة * وقال عبد الله بن عمرو قصر حوله البروج والمروج له خمسة آلاف باب على كل باب خيرة لا يدخله إلا النبي أو صديق أو شهيد * وقيل قصته الجنة (٣) فيها نهر على حافتيه بساتين * وقيل التسنيم وفيه قصور الدر والياقوت والذهب والارائك عليها الخيرات الحسان سقفا عرش الرحمن لا ينزلها إلا الأنبياء والصديقون والشهداء والصالحون يفوح ريحها من مسيرة خمسمائة عام وهذه أقوال عن السلف كثيرة الاختلاف والاضطراب وبعضها يدل على التخصيص وهو مخالف لظاهر الآية إذ وعد الله بها المؤمنين والمؤمنات * وقال الزمخشري وعدن علم لقوله تعالى جنات عدن التي وعد الرحمن عباده

صفة لقوله الجنة للفصل بالبدل الذي هو جنات والحكم أنه إذا اجتمع النعت والبدل قدم النعت وجيء بعده بالبدل

يخلفون بالله ما قالوا * الضمير عائذ على (٧٢) المنافقين وقيل هو حلف الجلاس وتقدمت قصته مع عامر بن قيس

وهو ما لم ينالوا * قال مجاهد نزلت في خمسة عشر رجلا هموا بقتله صلى الله عليه وسلم وتوافقوا على أن يدفعوه عن راحته الى الوادي اذا نسّم العقبة فأخذ عمار ابن ياسر بخطام راحته يقودها وحذيفة خافها يسوقها فينما هما كذلك اذ سمع حذيفة بوقع اخفاق الابل وقعتعة السلاح فالتفت فاذا قوم مثلثون فقال اليكم يا أعداء الله فهربوا وكان منهم عبد الله بن أبي وعبد الله بن أبي سرح وطعمية ابن أبيرق والجلاس بن سويد وأبو عامر بن نعمان وأبو الاحوص * فان يتوبوا يك خيرا لهم * هذا احسان منه تعالى ورفق بهم حيث فتح لهم باب التوبة بعد ارتكاب تلك الجرائم العظيمة وكان الجلاس بعد حلفه وانكاره انه ما قال الذي نقل عنه قد تاب واعترف وصدق الناقل عنه وحسنت توبته ولم يرد ان احدا قبلت توبته منهم غير الجلاس قيل وفي هذا دليل على قبول توبة

و يدل عليه ما روى أبو الدرداء وساق الحديث المتقدم الذي ذكر عن أبي الدرداء وانما استدلل بالآية على أن عدنا علم لأن المضاف اليها وصف بالتي وهي معرفة فلو لم تكن جنات مضافة لمعرفة لم توصف بالمعرفة ولا يتعين ذلك اذ يجوز أن تكون التي خبر مبتدأ محذوف أو منصوب باباضمار أعني أو أمدح أو بدلا من جنات ويبعد أن تكون صفة لقوله الجنة للفصل بالبدل الذي هو جنات والحكم أنه اذا اجتمع النعت والبدل قسم النعت وجىء بعده بالبدل * وقرأ الاعمش ورضوان بضمين * قال صاحب اللوامح وهي لغته ورضوان مبتدأ أو جاز الابتداء به لأنه موصوف بقوله من الله وأتى به نكرة ليدل على مطلق أي وشئ من رضوانه أكبر من كل ما ذكر والعباد اذا علم برضا مولاه عنه كان أكبر في نفسه مما وراءه من النعيم وانما يتبهاؤه النعيم بعاده برضاه عنه كما أنه اذا علم بسخطه تنصت حاله ولم يجد لها لذة ومعنى هذه الجملة موافق لما روى في الحديث ان الله تعالى يقول لعباده اذا استقروا في الجنة هل رضيتم فيقولون وكيف لا نرضى يا ربنا فيقول اني سأعطيكم أفضل من هذا كله رضوانى أَرْضَى عَنْكُمْ فلا أسخط عليكم أبدا * وقال الحسن وصل الى قلوبهم برضوان الله من اللذة والسرور ما هو الله عندهم وأقر لا عينهم من كل شئ أصابوه من لذة الجنة * قال ابن عطية ويظهر أن يكون قوله تعالى ورضوان من الله أكبر إشارة الى منازل المقربين الشاربين من تسنيم والذين يرون كبايرى النجم العاثر في الافق وجميع من في الجنة راض والمنازل مختلفة وفضل الله تعالى متسع انتهى * وقال الزمخشري رضاء تعالى هو سبب كل فوز وسعادة انتهى والإشارة بذلك الى جميع ما سبق أو الى الرضوان قولان والظاهر الأول * يأيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير * لما ذكر وعيد غير المؤمنين وكانت السورة قد نزلت في المنافقين بدأهم في ذلك بقوله وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم ولما ذكر أمر الجهاد وكان الكفار غير المنافقين أشد شكية وأقوى أسبابا في القتال وانكاه بتصديهم للقتال قال جاهد الكفار والمنافقين فبدأهم * قال ابن عباس وغيره جاهد الكفار بالسيف والمنافقين باللسان * وقال الحسن وقتادة والمنافقين باقامة الحدود عليهم اذا تعاطوا أسبابها * وقال ابن مسعود جاهدكم باليد فان لم تستطع فباللسان فان لم تستطع فبالقلب والا كفرار في وجوههم وأغلظ عليهم في الجهادين والغلظ ضد الرقة والمراد خشونة الكلام وتعجيل الانتقام على خلاف ما أمر به في حق المؤمنين واخضع جناحك للمؤمنين وكل من وقف منه على فساد في العقائد فهذا حكمه يجاهد بالحجة ويستعمل معه الغلظ ما أمكن * يخلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم * وهو ما لم ينالوا او ما نتموا الا أن أغناهم الله ورسوله من فضله فان يتوبوا يك خيرا لهم وان يتوبوا يعذبهم الله عذابا أليما في الدنيا والآخرة وما لهم في الارض من ولي ولا نصير * الضمير عائذ على المنافقين * فقيل هو حلف الجلاس وتقدمت قصته مع عامر بن قيس وقيل حلف عبد الله بن أبي أنه ما قال لئن رجعنا الى المدينة الآية * وقال الضحاك حلفهم حين نقل حذيفة الى الرسول صلى الله عليه وسلم أسحبوا ياه في خلوتهم وأما هو ما لم ينالوا فزالت قيل في ابن أبي في قوله ليخرجن قاله قتادة وروى عن ابن عباس * وقيل بقتل الرسول والذي هم به رجل يقال له الاسود من قريش رواه مجاهد عن ابن عباس * وقال مجاهد نزلت في خمسة

الزنديق المسر لل كفر المظهر للإيمان وهو مذهب أبي حنيفة والشافعي وقال مالك لا تقبل فان جاء تائب من قبل نفسه قبل أن يعثر عليه قبلت توبته بلا خلاف يك خيرا لهم اسم يك ضمير يعود على المصدر المفهوم من قوله يتوبوا تقديره يك هو أى التوب خيرا لهم

عشر هموا بقتله وتوافقوا على أن يدفعوه عن راحته إلى الوادي إذا نسّم العقبة فأخذ عمار بن ياسر بخطام راحته يقودها وحذيفة خلفها يسوقها فينيهاهما كذلك إذ سمع حذيفة بوقع اخفاف الابل وقعقة السلاح قالت فاذا قوم متلهثون فقال اليكم يا أعداء الله فهربوا وكان منهم عبد الله بن أبي وعبد الله بن سعد بن أبي سرح وطعينة بن أبيرق والجلال بن سويد وأبو عامر بن نعمان وأبو الأحوص * وقيل همهم بما لم ينالوا هو أن يتوجوا عبد الله بن أبي إذا رجعوا من غزوة تبوك يباهون به الرسول صلى الله عليه وسلم فلم ينالوا ما هموا به فترلت وعن ابن عباس كان الرسول صلى الله عليه وسلم جالسا في ظل شجرة فقال انه سيأتيكم انسان فينظر اليكم شيطان فاذا جاء فلا تكلموه فلم يلبثوا ان طلع رجل أزرق فدعاه فقال علام تشتمني أنت وأصحابك فانطلق الرجل فجاء بأصحابه فخلفوا بالله ما قالوا فأنزل الله هذه الآية وكلمة الكفر قول ابن أبي لما شاور الجهماء الغفاري وسنان بن وبرة الجهني وقد كسع أحدهما رجل الآخر في غزوة المريسيع فصاح الجهماء بالانصار وصاح سنان بالمهاجرين فثار الناس وهدهم الرسول فقال ابن أبي ما أرى هؤلاء الا قد ندعوا علينا ما مثلنا ومثلهم الا كما قال الاول سمن كلبك يأكلك أو الاستهزاء أو قول الجلالس المتقدم أو قولهم نعقد التاج أو قولهم ليس بنبي أو القول لأن رجعنا إلى المدينة أقوال وكفروا أي أظهروا الكفر بعد اسلامهم أي اظهروا اسلامهم ولم يأت التركيب بعد ايمانهم لان ذلك لم يتجاوز ألسنتهم والهم دون العزم وتقدم الخلاف في الهام والمهموم به * وقيل هوهم المنافقين أو الجلالس يقتل ناقل حديث الجلالس إلى الرسول وفي تعيين اسم الناقل خلاف * ف قيل عاصم بن عدي * وقيل حذيفة * وقيل ابن امرأه الجلالس عمير بن سعد * وقيل اسمه مصعب * وقيل هموا بالرسول والمؤمنين أشياء لم ينالوها وما نقموا الا أن أغناهم الله ورسوله من فضله هذا مثل قوله هل تنقمون منا الا أن آمنوا ما نقيموا منهم الا أن يؤمنوا وكان حق الغنى من الله ورسوله أن يشكر لأن ينقم جعلوا الغنى سببا ينقم به فهو كقوله

ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتاب
وكان الرسول قد أعطى لعبد الله بن أبي دية كانت قد غلظت له * قال عكرمة اثنا عشر ألفا * وقيل بل كانت للجلالس وكانت الانصار حين قدم الرسول صلى الله عليه وسلم المدينة في ضحك من العيش لا يركبون الخيل ولا يحوزون الغنيمة فآثر وأوقال الرسول للانصار وكنتم عائلة فاغناكم الله بي * وقيل كان على الجلالس دين كثير فقضاه الرسول وحصل له من الغنائم مال كثير وقوله وما نقموا الجملة كلام أ جرى مجرى التكميم به كما تقول مالي عندك ذنب الا اني أحسنت اليك فان فعلهم يدل على انهم كانوا الثأما * وقال الشاعر

ما نقموا من بني أمية الا * انهم يحامون ان غضبوا
وانهم سادة الملوك ولا * يصلح الا عليهم العرب

وقال الآخر وهو نظير البيت السابق

ولا عيب فينا غير عرق لمعشر * كرام وانا لا نخط على النمل

فان يتوبوا هذا احسان منه تعالى وورق ولطف بهم حيث فتح لهم باب التوبة بعد ارتكاب تلك الجرائم العظيمة وكان الجلالس بعد حلفه وانكاره ان قال ما نقل عنه قد اعترف وصدق الناقل عنه وتاب وحسنت ثوبته ولم يرد أن أحدا قبلت ثوبته منهم غير الجلالس * قيل وفي هذا دليل على قبول

توبة الزنديق المس الكفر المظهر للإيمان وهو مذهب أبي حنيفة والشافعي وقال مالك لا تقبل
 فان جاء تائباً من قبل نفسه قبل أن يعثر عليه قبلت توبته بلا خلاف وان يتولوا أي عن التوبة أو
 الإيمان أو الاخلاص أو الرسول والمعنى وان يدعوا التولى اذ هم متولون في الدنيا بالخافهم
 بالخر بين اذ أظهروا الكفر فيحل قتالهم وقتلهم وسبي أولادهم وأزواجهم وغنم أموالهم * وقيل
 ما يصيبهم عند الموت ومعاناة ملائكة العذاب * وقيل عذاب القبر * وقيل التعب والخوف والهجنة
 عند المؤمنين وفي الآخرة بالنار * ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من
 الصالحين * فلما آتاهم من فضله بخلوابه وتولوا وهم معرضون * فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم إلى يوم
 يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وما كانوا يكدبون * ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم
 وأن الله علام الغيوب * قال الضحاك هم بنو الحرث وجد بن قيس ومعتب بن قشير وثعلبة
 ابن حاطب وفيهم نزلت الآية * وقال الحسن ومجاهد في معتب وثعلبة خرجا على ملائكة ذلك * وقال
 ابن السائب في رجل من بني عمرو بن عوف كان له مال بالشام فأبطأ عنه فجهل ذلك جهداً شديداً
 فخلف بالله لئن آتانا من فضله أي من ذلك المال لأصدقن منه ولا صلب فأتاه فلم يفعل والأكثر على أنها
 نزلت في ثعلبة وذ كرواله حديثاً طويلاً وقد خلصت منه أنه سأل الرسول صلى الله عليه وسلم أن
 يدعوا الله أن يرزقهم ما لا يقل له قليل تؤدى شكره خير من كثير لا تطيقه فالح عليه فدعا الله فاتخذ
 غنماً كثرت حتى ضاقت عنها المدينة فنزل واديا وما زالت تنفوس واشتغل بها حتى ترك الصلوات وبعث
 إليه الرسول صلى الله عليه وسلم المصدق فقال ما هذه الأجرية ما هذه الأخت الجزية فنزلت هذه الآية
 فأخبره قريب له بما فجاء بصدقته إلى الرسول فلم يقبلها فلما قبض الرسول أتى أبا بكر فلم يقبلها ثم عمر
 فلم يقبلها ثم عثمان فلم يقبلها وهلك في أيام عثمان * وقرأ الأعمش لنصدقن ولنكونن بالنون الخفيفة
 فيهما والظاهر والمستفيض من أسباب النزول أنهم نطقوا بذلك ولفظوا به * وقال معبد بن ثابت
 وفرقة لم يتلفظوا به وإنما هو شيء نووه في أنفسهم ولم يتكلموا به ألم تسمع إلى قوله ألم يعلموا أن الله
 يعلم سرهم ونجواهم من الصالحين أي من أهل الصلاح في أموالهم بصله الرحم والانفاق في الخير والحج
 وأعمال البر * وقيل من المؤمنين في طلب الآخرة بخلوابه أي باخراج حقه منه وكل بخل أعقب
 بوعيد فهو عبارة عن منع الحق الواجب والظاهر أن الضمير في فأعقبهم هو عائذ على الله عاقبهم
 على الذنب بما هو أشد منه * قال الرخشي خذلهم حين نافقوا وتمكن من قلوبهم نفاقهم فلا ينفك
 عنها إلى أن يموتوا بسبب اخلافهم ما وعدوا الله من التصديق والصلاح وكونهم كاذبين ومنه خلف
 الموعد ثلث النفاق انتهى وقوله خذلهم هو لفظ المعتزلة * وقال الحسن وقتادة الضمير في فأعقبهم
 للبخل أي فأورثهم البخل نفاقاً متمكناً في قلوبهم * وقال أبو مسلم فأعقبهم أي البخل والتولى
 والاعراض * قال ابن عطية يحتمل أن يكون نفاق كفو ويكون تقرير ثعلبة بعد هذا النص
 والابقاء عليه لكان اظهارة الاسلام وتعلقه بما فيه احتمال ويحتمل أن يكون نفاق معصية وقلة
 استقامة فيكون تقريره صحيحاً ويكون ترك قبول الزكاة منه عقاباً له ونكالا وهذا نحو ما روى
 أن عاملاً كتب إلى عمر بن عبد العزيز ان فلانا يمنع الزكاة فكتب إليه أن دعه واجعل عقوبته
 أن لا يؤدى الزكاة مع المسلمين يريد ما يلحقه من المقت في ذلك والظاهر عود الضمير في يلقونه
 على الله تعالى * وقيل يلقون الجزاء * فقيل جزاء بخلهم * وقيل جزاء أفعالهم * وقرأ أبو
 رجاء يكذبون بالتشديد ولفظة فأعقبهم نفاقاً لا تدل ولا تشعر بأنه كان مسلماً ثم لما بخل بالمال ولم يف

ومنهم من عاهد الله *
 الآية قال الضحاك هم بنو
 الحرث وجد بن قيس
 ومعتب بن قشير وثعلبة
 ابن حاطب وفيهم نزلت
 الآية والظاهر ان الضمير
 في فأعقبهم هو عائذ على
 الله تعالى عاقبهم على الذنب
 بما هو أشد منه والظاهر عود
 الضمير في يلقونه على
 الله تعالى وقيل جزاء
 أفعالهم * ألم يعلموا *
 هذا استفهام تضمن
 التوبيخ والتقريع وقرأ
 على وأبو عبد الرحمن
 والحسن تعاموا بالثناء
 وهو خطاب للمؤمنين على
 سبيل التقرير واند تعالى
 فاضح المنافقين ومعلم
 المؤمنين أحوالهم التي
 يكتونها شيا فسيا * سرهم
 ونجواهم * هذا التقسيم
 عبارة عن احاطة عامه
 تعالى بهم والظاهر ان الآية
 في جميع المنافقين من
 عاهدوا وخلف وغيره

﴿الذين يهزرون المطوعين من المؤمنين في الصدقات﴾ نزلت فيمن عاب المتصدقين وكان رسول الله حث على الصدقة فتصدق
عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف وأمسك مثلها فبارك له (٧٥) الرسول صلى الله عليه وسلم فيما أعطى وفيما أمسك

وَتَصَدَّقَ عُمَرُ بِنِصْفِ مَالِهِ وَعَاصِمُ بْنُ عَدِيٍّ بِمِائَةِ وَسُقَى وَعَثْمَانُ بْنُ عَفَّانٍ بِصَدَقَةِ عَظِيمَةٍ وَأَبُو عَقِيلٍ الْأَرَشِيُّ بِصَاعِ تَمْرٍ وَتَرَكَ لِعِيَالِهِ صَاعًا وَكَانَ أَجْرُ نَفْسِهِ لِسُقَى نَخْلٍ بِيَمَانِهِ وَرَجُلٌ بِبَنَاقَةٍ عَظِيمَةٍ قَالَتْ هِيَ وَذُو بَطْنِهَا صَدَقَ يَارَسُولَ اللَّهِ وَالْقِيَامُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ خَطَامُهَا فَقَالَ الْمُنَافِقُونَ مَا تَصَدَّقُ هَؤُلَاءِ الْأَرِيَاءُ وَمِدْعَةٌ وَمَا تَصَدَّقُ أَبُو عَقِيلٍ إِلَّا لِيَنْدَ كَرَمًا مَعَ الْأَكْبَرِ أَوْ لِيَنْدَ كَرَمًا بِنَفْسِهِ فَيُعْطَى مِنَ الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ غَنَى عَنْ صَاعِهِ * وَقَالَ بَعْضُهُمْ تَصَدَّقُ بِالْبَنَاقَةِ وَهِيَ خَيْرٌ مِنْهُ وَكَانَ الرَّجُلُ أَقْصَرَ النَّاسِ قَامَةً وَأَشَدَّهُمْ سُوءًا فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ بَلْ هُوَ خَيْرٌ مِنْكَ وَمِنْهَا يَقُولُهُ ثَلَاثًا * وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جَهْدَهُمْ * هُمْ مَنُذِرُونَ فِي الْمَطُوعِينَ ذَكَرُوا تَشْرِيفًا لَهُمْ حَيْثُ مَا فَاتَتْهُمْ الصَّدَقَةُ بَلْ يَصَدَّقُوا بِالشَّيْءِ وَإِنْ كَانُوا أَشَدَّ النَّاسِ حَاجَةً إِلَيْهِ وَأَتْعَبَهُمْ فِي تَحْصِيلِ مَا يَصَدَّقُوا بِهِ كَأَبِي عَقِيلٍ وَأَبِي خَيْثَمَةَ وَكَانَ قَدِ لَزِيَ فِي التَّصَدَّقِ بِالْقَلِيلِ وَنَظَرُ إِلَيْهِمَا وَكَانَ أَبُو عَلِيٍّ الْفَارَسِيُّ يَذْهَبُ إِلَى أَنْ الْمَعْطُوفُ فِي هَذَا وَشَبَّهَ لَمْ يَنْدِرْجُ فِيمَا عَطَفَ عَلَيْهِ قَالَ لِأَنَّهُ لَا يَسُوعُ عَطَفَ الشَّيْءَ عَلَى مِثْلِهِ وَكَذَلِكَ كَانَ يَقُولُ فِي وَمِثْلَئِكَتِهِ وَرَسُولُهُ وَجَبْرِيلُ وَمِيكَالُ وَفِي قَوْلِهِ فِيهِمَا فَكَيْفَ وَنَحْنُ وَرَمَانُ وَإِلَى هَذَا كَانَ يَذْهَبُ تَلْمِيذُهُ ابْنُ جَنَى وَأَكْثَرُ النَّاسِ عَلَى خِلَافِهِمَا وَتَسْمِيَةُ بَعْضِهِمُ التَّجْرِيدَ وَبِالذِّكْرِ عَلَى سَبِيلِ التَّشْرِيفِ وَقَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَى ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ وَمِثْلَئِكَتِهِ وَرَسُولُهُ وَجَبْرِيلُ وَمِيكَالُ * وَقَرَأَ ابْنُ هَرْمَزٍ وَجَاعَةً جَهْدَهُمْ بِالْفَتْحِ * فَقِيلَ لَهَا لَعْنَانُ بِمَعْنَى وَاحِدٍ * وَقَالَ الْقَتَبِيُّ بِالضَّمِّ الطَّاقَةُ وَبِالْفَتْحِ

التصدق بالقليل ونظر إليهم الذين يهزرون مبتدأ وفي الصدقات متعلق بيهزرون والذين لا يجدون معطوف على المطوعين كأنه قيل يهزرون الأغنياء وغيرهم فيسخرهم على يهزرون وسخرهم وما بعده خبر عن الذين يهزرون

المسقة * وقال الشعبي بالضم القوت وبالفتح في العمل * وقيل بالضم شيء قليل يعاش به والاحسن في الاعراب أن يكون الذين يلمزون مبتدأ وفي الصدقات متعلق بيلمزون والذين لا يجدون معطوف على المطوعين كأنه قيل يلمزون الاغنياء وغيرهم ويسخرون معطوف على يلمزون وسخر الله منهم وما بعده خبر عن الذين يلمزون وذكر أبو البقاء أن قوله والذين لا يجدون معطوف على الذين يلمزون وهذا غير ممكن لان المعطوف على المبتدأ مشارك له في الخبر ولا يمكن مشاركة الذين لا يجدون الاجتهاد مع الذين يلمزون الا ان كانوا مثلهم منافقين * قال وقيل والذين لا يجدون معطوف على المؤمنين وهذا بعيد جدا * قال وخبر الأول على هذه الوجوه فيه وجهان أحدهما فيسخرون وودخلت الفاء لما في الذين من التشبيه بالشرط انتهى هذا الوجه وهذا بعيد لانه اذا ذاك يكون الخبر كأنه مفهوم من المبتدأ لان من عاب وغزا أحدا هو ساخر منه وقرب أن يكون مثل سيد الجارية ما لكها وهو لا يجوز * قال والثاني أن الخبر سخر الله منهم قال وعلى هذا المعنى يجوز أن يكون الذين يلمزون في موضع نصب بفعل محذوف يفسره سخر تقديره عاب الذين يلمزون * وقيل الخبر محذوف تقديره منهم الذين يلمزون * وقال أبو البقاء أيضاً من المؤمنين حال من الضمير في المطوعين وفي الصدقات متعلق بيلمزون ولا يتعلق بالمطوعين لئلا يفصل بينهما بأجنبي انتهى وليس بأجنبي لانه حال كما قرر وإذا كان حالاً جاز الفصل بهابن العامل فيها وبين المعمول آخر لذلك العامل نحو جاءني الذي يمر راكباً يدر السخرية الاستهزاء والظاهر أن قوله سخر الله منهم خبر لفظاً ومعنى ويرجحه عطف الخبر عليه * وقيل صيغته خبر ومعناه الدعاء ولما قال فيسخرون منهم قال سخر الله منهم على سبيل المقابلة ومعناه أمهلهم حتى ظنوا أنه أمهلهم * قال ابن عباس وكان هذا في الخروج الى غزوة تبوك * وقيل معنى سخر الله منهم جازاهم على سخريتهم وجزاء الشيء قد يسمى باسم الشيء كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها * قال ابن عطية تسمية للعقوبة باسم الذنب وهي عبارة عما حل بهم من المقت والذل في نفوسهم انتهى وهو قريب من القول الذي قبله * وقال الأصم أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقبل معاذيرهم الكاذبة في الظاهر وبال فعلهم عليهم كما هو فكأنه سخر منهم ولهذا قال ولهم عذاب أليم وهو عذاب الآخرة المقيم انتهى وفي هذه الآية دلالة على أن لمر المؤمن والسخرية منه من الكبراء لما يعقبهم من الوعيد * استغفر لهم أولاً تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلان يغفر الله لهم ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدي القوم الفاسقين * سأل عبد الله بن عبد الله بن أبي رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رجلاً صالحاً أن يستغفر لأبيه في مرضه ففعل فنزلت فقال صلى الله عليه وسلم قدر خص لي فأزيد على السبعين فنزلت سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم * وقيل لما نزل سخر الله منهم ولهم عذاب أليم سألو الرسول أن يستغفر لهم فنزلت وعلى هذا فالضمائر عائدة على الذين سبق ذكرهم أو على جميع المنافقين قولاً والخطاب بالأمر للرسول والظاهر أن المراد بهذا الكلام التخيير وهو الذي روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قال له عمر كيف تستغفر لعبد الله وقد نزلت عليك من الله عن الاستغفار لهم فقال صلى الله عليه وسلم ما نهاني ولكنه خيرني فكانه قال له ان شئت فاستغفر وان شئت فلا تستغفر ثم أعاهه انه لا يغفر لهم وان استغفر سبعين مرة * وقيل لفظه أمر ومعناه الشرط بمعنى ان استغفرت أو لم تستغفر لن يغفر الله فيكون مثل قوله قل أنفقوا طوعاً أو كرها لن يتقبل منكم وبمثلة قول الشاعر
أسبى بنا وأوحسنى لاملومة * لدينا ولا مقلية ان تقلت

* استغفر لهم أولاً
تستغفر لهم * الآية سأل
عبد الله بن عبد الله بن أبي
رسول الله صلى الله عليه
وسلم وكان رجلاً صالحاً
أن يستغفر لأبيه في مرضه
ففعل فنزلت فقال صلى الله عليه
السلام قدر خص لي فأزيد
على السبعين فنزلت سواء
عليهم أستغفرت لهم أم لم
تستغفر لهم وعلى هذا
فالضمائر عائدة على جميع
المنافقين والخطاب بالأمر
لرسول الله صلى الله عليه
وسلم والظاهر أن المراد
بهذا الكلام التخيير وهو
الذي روى عنه صلى الله
عليه وسلم وقد قال له عمر
كيف تستغفر لعبد الله
وقد نزلت عليك من الله
وقد نهاك الله عن
الاستغفار لهم فقال صلى الله عليه
السلام ما نهاني ولكنه
خيرني فكانه قال له ان
شئت فاستغفر وان شئت
فلا تستغفر ثم أعاهه انه
لا يغفر لهم وان استغفر
سبعين مرة

ومر الكلام في هذا في قوله قل أنفقوا طوعا أو كرها إلى هذا المعنى ذهب الطبري وغيره وهو اختيار المفسرين قال وقد ذكرنا أن هذا الأمر في معنى الخبر كأنه قيل لن يغفر الله لهم استغفرت أم لم تستغفر وإن فيه معنى الشرط وذكرنا النكتة في الجيب به على لفظ الأمر انتهى يعني في تفسير قوله تعالى قل أنفقوا وكان قال هناك (فإن قلت) كيف أمرهم بالإنفاق ثم قال لن يتقبل (قلت) هو أمر في معنى الخبر كقوله قل من كان في الضلالة فليندله الرحمن مئدا ومعناه لن يتقبل منكم أنفقتم طوعا أو كرها ونحوه قوله استغفر لهم أولا تستغفر لهم وقوله

* أسئني بنا أو أحسن لا ملومة * أي لن يغفر الله لهم استغفرت لهم أولا تستغفر لهم ولا تلومك أحسنت اليما أو أسأت * فإن قيل متى يجوز نحوه هذا * قلت إذا دل الكلام عليه كما كان في قولك غفر الله لزيد ورجه (فإن قلت) لم فعل ذلك (قلت) لنكتة وهي أن كثيرا كأنه يقول لغزة امتعني لطف محلك عندي وقوة محبتي لك وعامليني بالاساءة والاحسان وانظري هل تتفاوت حال معك مسيئة كنت أو محسنة وفي معناه قول القائل

أحول الذي ان قبت بالسيف عامدا * لتضربه لم يستغشك في الود

وكذلك المعنى أنفقوا وانظروا هل يتقبل منكم واستغفر لهم أولا تستغفر لهم وانظر هل ترى خلافا بين حال الاستغفار وتركه انتهى * وقيل هو أمر مبالغة في الایاس ومعناه أنك لو طلبت الاستغفار لهم طلب المأمور أو تركته ترك المنهي عنه لم يغفر لهم * وقيل معناه الاستواء أي استغفارك لهم وترك الاستغفار سواء (فإن قلت) كيف جاز أن يستغفر لهم وقد أخبر أنهم كفروا * فالجواب قالوا من وجوه * أحدها أن ذلك كان على سبيل التأليف ليخلص إيمان كثير منهم وقد روى أنه لما استغفر لابن ساول وكساه ثوبه وصلى عليه أسلم ألف من الخزرج لما رأوه يطلب الاستشفاء بثوب الرسول وكان رأس المنافقين وسيدهم * وقيل فعل ذلك تطييبا للقلب ولده ومن أسلم منهم وهذا قريب مما قبله * وقيل كان المؤمنون يسألون الرسول صلى الله عليه وسلم أن يستغفر لقومهم المنافقين في حياتهم رجاء أن يخلصوا في إيمانهم وبعد مماتهم رجاء الغفران فهما الله عن ذلك وأياسهم منه وقد سأل عبد الله بن عبد الله الرسول أن يستغفر لأبيهم رجاء أن يخفف عنه * وقيل إنما استغفر لقومهم على ظاهر إسلامهم من غير أن يحقق خروجهم عن الإسلام ورد هذا القول بأنه تعالى أخبر بانهم كفروا فلا يصح أن يقال أنه غير عالم بكفرهم * وقال أبو عبد الله الرازي الأقرب في تعلق هذه الآية بما قبلها ما ذكره ابن عباس أن الذين كانوا يأمرونهم الذين طلبوا الاستغفار ولا يجوز أن يكون الرسول صلى الله عليه وسلم اشتغل بالاستغفار فهما عنه لوجوه * الأول أن المنافق كافر وقد ظهر في شرعه عليه السلام أن الاستغفار للكافر لا يجوز فلهذا السبب أمره الله تعالى بالاعتداء بإبراهيم عليه السلام إلا في قوله لا تستغفرن لك وإذا كان هذا مشهورا في الشرع فكيف يجوز الإقدام عليه * الثاني أن استغفار الغير للغير لا ينفعه إذا كان ذلك الغير مصر على القبيح والمعصية * الثالث أن إقدامه على الاستغفار للمنافقين يجري مجرى اغرائهم بالإقدام على الذنب * الرابع أنه إذا كان لا يجيبه بقى دعاء الرسول مردودا عند الله وذلك يوجب نقصان منصبه صلى الله عليه وسلم * الخامس أن هذا الدعاء لو كان مقبولا من الرسول لكان قليله مثل كثيره في حصول الاجابة فثبت أن المقصود من هذا الكلام أن القوم لما طلبوا منه أن يستغفر لهم منعه الله منه وليس المقصود من ذكر هذا العدد تحديد المنع بل هو كما يقول القائل إن سأله حاجة لو سألتني سبعين مرة لم أقضها لك

من المنافقين ذكر حال
المنافقين الذين لم يخرجوا
معه وتحلفوا عن الجهاد
واعتذروا باعذار وعلل
كاذبة حتى أذن لهم فكشف
الله تعالى لرسوله عن
أحوالهم وأعلامه بسوء
فعالهم فانزل عليه فرح
المخلفون أى عن غزوة
تبوك وكان عليه السلام
قد خلفهم بالمدينة لما
اعتذروا فاذن لهم وهذه
الآية تقتضى التوبيخ
والوعيد ولفظة المخلفون
تقتضى الذم والتحقير
ولذلك جاء رضوا بان
يكونوا مع الخوالف وهى
أمكن من لفظة المتخلفين
اذهم مفعول بهم ذلك ولم
يفرح الامنافق بفرج من
ذلك الثلاثة وأصحاب العذر
ولفظ المقعد يكون للزمان
والمكان والمصدر وهو
هنا المصدر أى بقعودهم
وهو عبارة عن الإقامة
بالمدينة وانتصب خلاف
على الطرف أى بعد رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقال
فلان أقام خلاف الحى
أى بعدهم اذ طعنوا ولم
يظعن معهم ومنه قول
الشاعر

خلاف الذى مضى
وقل للذى يبنى

تأهب لأخرى فلما كان قد

لا يريد بذلك انه اذا زاد قضاها فكذاهمنا الذى يؤء كد ذلك قوله تعالى فى الآية ذلك بأنهم كفروا
فبين أن العلة التى لأجلها لا ينفعهم استغفار الرسول لهم وان بلغ سبعين مرة هى كفرهم وفسقهم
وهذا المعنى قائم فى الزيادة على السبعين فصار هذا القليل شاهدا بان المراد ازالة الطمع أن ينفعهم
استغفار الرسول مع اصرارهم على كفرهم ويؤء كد والله لا يهدى القوم الفاسقين والمعنى ان
فسقهم مانع من الهداية فثبت أن الحق ماد كرهناه وقال الأزهري فى جماعة من أهل اللغة السبعون
هنا جمع السبعة المستعملة للكثرة لا السبعة التى فوق الستة انتهى والعرب تستكثر فى الأحاد
بالسبعة وفى العشرات بالسبعين وفى المئين بسبعائة * قال الزمخشري والسبعون جار مجرى المثل
فى كلامهم للتكثير * قال على رضى الله تعالى عنه

لأصبحن العاص وابن العاصى * سبعين ألفا عاقدى النواصى

* قال ابن عطية وأما تمثيله بالسبعين دون غيرهما من الأعداد فلا لأنه عدد كثير ما يجىء غاية ومقنعا
فى الكثرة ألا ترى الى القوم الذين اختارهم موسى والى أصحاب العقبة وقد قال بعض المغويين ان
التصريف الذى يكون من السين والباء والعين هو شديد الامر من ذلك السبعة فانه عدده مقنع هى
فى السموات وفى الارض وفى خلق الانسان وفى بدنه وفى أعضائه التى بها يطيع الله وبها يعصيه وبها
ترتيب أبواب جهنم فيما ذكر بعض الناس وهى عيناها وأذناه وأسنانه وبطنه وفرجه ويده ورجلاه
وفى سهام الميسر وفى الأقاليم وغير ذلك ومن ذلك السبع العبوس والعنيس ونحو هذا من القول
انتهى واستدل القائلون بدليل الخطاب وان التخصيص بالعدد يدل على أن الحكم فيما وراء ذلك
بخلافه بما روى انه قال والله لأزيدن على السبعين ولم ينصرف حتى نزل سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم
تستغفر لهم لن يغفر الله لهم فكف عنه * قيل ولقائل أن يقول هذا الاستدلال بالعكس أولى لأنه
تعالى لما بين انه لا يغفر لهم البتة ثبت أن الحال فيما وراء العدد مساو للحال فى العدد وذلك يدل على أن
التقييم بالعدد لا يوجب أن يكون الحكم فيما وراءه بخلافه * قال الزمخشري (فان قلت) كيف خفى
على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أفصح العرب وأخبرهم بأساليب الكلام وتمثيلاته والذى
يفهمهم من ذكر هذا العدد كثرة الاستغفار كيف وقد تلاه بقوله تعالى ذلك بأنهم كفروا الآية فبين
الحارف عن المغفرة لهم حتى قال رخص لى ربي فأزيد على السبعين (قلت) لم يخفى عليه صلى الله
عليه وسلم ذلك ولكنه خيل بما قال اظهارة الغاية رجته ورأفته على من بعث اليه كما قال ابراهيم عليه
السلام ومن عصانى فأنك غفور رحيم وفى اظهارة النبي صلى الله عليه وسلم الرأفة والرحمة لطف
لأمتهم ودعاء لهم الى ترحم بعضهم على بعض انتهى وفى هذا السؤال والجواب غض من منصب النبوة
وسوء أدب على الانبياء ونسبته اليهم ما لا يليق بهم واذا كان صلى الله عليه وسلم يقول لم يكن لنبى خائنة
الأعين أو كما قال وهى الإشارة فكيف يكون له النطق بشئ على سبيل التحميل حاشا من نصب الانبياء
عن ذلك ولو كان هذا الرجل مسرح الألفاظ فى حق الانبياء بما لا يليق بحالهم ولقد تكلم عند تفسير
قوله عفا الله عنهم لم أذنت لهم بكلام فى حق الرسول نزهت كتابى هذا أن أنقله فيه والله تعالى يعصمنا
من الزلل فى القول والعمل ذلك إشارة الى انتفاء الغفران وتبيين العلة الموجبة لذلك وانتفاء هداية
الله الفاسقين هو الذين حتم لهم بذلك فهو عام مخصوص ﴿ فرح المخلفون ﴾ بقعودهم خلاف رسول
الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله وقالوا لا تنفروا فى الحر قل نار جهنم
أشد حرا لو كانوا يفقهون فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون * لما ذكر

تعالى ما ظهر من النفاق والهزء من الذين خرجوا معه الى غزوة تبوك من المنافقين ذكر حال المنافقين الذين لم يخرجوا معه وتخلفوا عن الجهاد واعتذروا بأعذار وعلل كاذبة حتى أذن لهم فكشف الله للرسول صلى الله عليه وسلم عن أحوالهم وأعمالهم بسوء فعالمهم فأمر الله عليه فرح الخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله الآية أي عن غزوة تبوك وكان الرسول قد خلفهم بالمدينة لما اعتذر وا فأذن لهم وهذه الآية تقتضي التوبيخ والوعيد ولفظة الخلفون تقتضي الذم والتحقير ولذلك جاء رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وهي أمكن من لفظة المتخلفين اذ هم مفعول بهم ذلك ولم يفرح الامنافق فخرج من ذلك الثلاثة وأصحاب العذر ولفظ المقعديكون للزمان والمكان والمصدر وهو هنا المصدر أي بقعودهم وهو عبارة عن الإقامة بالمدينة وانتصب خلاف على الظرف أي بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال فلان أقام خلاف الحى أي بعدهم اذ اطعنوا ولم يظعن معهم قاله أبو عبيدة والأخفش وعيسى بن عمرو * قال الشاعر

عقب الربيع خلافهم فكأنما * بسط السواطع بينهم حصيرا

ومنه قول الشاعر *

فقل للذي يبغي خلاف الذي مضى * تأهب لأخرى مثلهما وكان قد

ويؤيدها التأويل قراءة ابن عباس وأبي حنيفة وعمرو بن ميمون خلف رسول الله * وقال قطرب ومؤرج والزجاج والطبري انتصب خلاف على انه مفعول لأجله أي لمخالفة رسول الله لأنهم خالفوه حيث نهض للجهاد وقعدوا ويؤيدها التأويل قراءة من قرأ خلف بضم الخاء وما نظاها ت به الروايات من أنه أمرهم بالنفر فغضبوا وخالفوا وقعدوا مستأذنين وغير مستأذنين وكرهتهم للجهاد هي لكونهم لا يرجون به ثوابا ولا يدفعون بزعمهم عنهم عقابا وفي قوله فرح وكره هو مقابلة معنوية لان الفرح من ثمرات المحبة وفي قوله أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم تعريض بالمؤمنين وبتململهم المشاق العظيمة أي كالمؤمنين الذين بذلوا أموالهم وأنفسهم في الجهاد في سبيل الله وآثروا ذلك على الدعة والخفض وكره ذلك المنافقون وكيف لا يكرهونه وما فيه من مافى المؤمنين من باعث الايمان والفرح بالقعود يتضمن الكراهة للخروج وكان الفرح بالقعود هو لمثل الإقامة ببليدة لأجل الالفة والايناس بالاهل والولد وكراهة الخروج الى الغزولانه تعريض بالنفس والمال للمقتل والتلف واستعذارا بشدة الحر فأجاب الله تعالى عما ذكرنا انه سبب لترك النفر وقالوا انه قال بعضهم لبعض وكانوا أربعة وثمانين رجلا * وقيل قالوا المؤمنين لم يكفهم ما هم عليه من النفاق والكسل حتى أرادوا أن يكسلوا غيرهم وينهضهم على العلة الموجهة لترك النفر * قال ابن عباس وأبو رزين والربيع قال رجل يا رسول الله احرش يد فلان نفر في الحر * وقال محمد بن كعب هو رجل من بني سامة انتهى أي قال ذلك عن لسانهم فلذلك جاء وقالوا بلفظ الجمع وكانت غزوة تبوك في وقت شدة الحر وطيب الثمار والظلال فأمر الله نبيه أن يقول لهم قل نار جهنم أشد حرا أقام الحجة عليهم بأنه قيل لهم اذا كنتم تجزعون من حر القيظ فنار جهنم التي هي أشد حرا أن تجزعوا منها لو فقهم * قال الرمخسرى قل نار جهنم أشد حرا استجهال لهم لان من تصون من مشقة ساعة فوقع بذلك التصون في مشقة الابد كان أجهل من كل جاهل * ول بعضهم

مسرة أحقاد تلقيت بعدها * مساءة يوم ار بها شبه الصاب

فكيف بأن تلقى مسرة ساعة * وراء تقضيها مساءة أحقاب

﴿ فان رجعت الله الى طائفة منهم ﴾ الخطاب لرسول الله صلى (٨٠) الله عليه وسلم والمعنى فان رجعت الله من سفر ك هدا وهو

غزوة تبوك ﴿ فاستأذنوك ﴾ عطف على محذوف تقديره فاردت الخروج بعد الرجوع فاستأذنوك وجواب الشرط قوله فقل وأمر الله تعالى نبيه أن يقول لهم لن تخرجوا معي هي عقوبة لهم وإظهار لدناءة منزلتهم وسوء حالهم وأكدني الخروج في المستقبل بقوله ﴿ أبدا ﴾ وهو ظرف مستقبل وانتقل بالنفي من الشاق عليهم وهو الخروج الى الغزاة الى الاشق وهو قتال العدو لانه أعظم الجهاد وثمرة الخروج وموضع بارقة السيوف التي تحتها الجنة ثم علل انتفاء الخروج والقتال بكونهم رضوا بالعودة أول مرة ورضاهم نائبي عن نفاقهم وكفرهم وخداهم وعصيانهم أمر الله تعالى في قوله انفروا خفافا وثقالا وقالواهم لا تنفروا في الحرف لعل بالمسبب وهو الرضا النائي عن السبب وهو النفاق وأول مرة هو الخرجة الى غزوة تبوك ومرة مصدر كانه قيل أول خرجة دعيت اليها لانها لم تكن أول خرجة خرجها عليه السلام للغزاة فلا بد من تقييدها اذ

انتهى ﴿ وقرأ عبيد الله يعامون مكان يفقهون وينبغي أن يحمل ذلك على معنى التفسير لانه مخالف لسواد ما أجمع المسلمون عليه ولم يروى عنه الأئمة والامير بالضحك والبكاء في معنى الخبر والمعنى فسيضحكون قليلا ويكفون كثيرا الا انه أخرج على صيغة الأمر للدلالة على انه حتم لا يكون غيره روى ان أهل النفاق يكونون في النار عمر الدنيا لا يرقأ لهم دمع ولا يكتحلون بنوم والظاهر أن قوله فليضحكوا قليلا إشارة الى مدة العمر في الدنيا وليبكوا كثيرا إشارة الى تأييد الخلود بجاء بلفظ الأمر ومعناه الخبر عن حالهم ﴿ قال ابن عطية ويحتمل أن تكون صفة حالهم أي هم لما هم عليه من الخطر مع الله وسوء الحال بحيث ينبغي أن يكون ضحكهم قليلا وبكاؤهم كثيرا من أجل ذلك وهذا يقتضي أن يكون وقت الضحك والبكاء في الدنيا نحو قوله عليه السلام لا تمته لو تعامون ما أعلم لبكيتكم كثيرا ولضحكتكم قليلا وانتصب قليلا وكثيرا على المصدر لانهم مانعت المصدر أي ضحكوا قليلا وبكوا كثيرا وهذا من المواضع التي يحذف فيها المنعوت ويقوم نعتهم مقامه وذلك للدلالة الفعل عليه وقال أبو البقاء ويجوز أن يكونا نعتا لظرف محذوف أي زمانا قليلا وزمانا كثيرا انتهى والاول أجود لان دلالة الفعل على المصدر بحروفه ودلالته على الزمان بهيئته فدلالته على المصدر أقوى وانتصب جزاء على أنه مفعول لأجله وهو متعلق بقوله وليبكوا كثيرا ﴿ فان رجعت الله الى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا انكم رضيتم بالعودة أول مرة فاقعدوا مع الخالفين ﴾ الخطاب للرسول والمعنى فان رجعت الله من سفر ك هدا وهو غزوة تبوك ﴿ قيل ودخول ان هنا وهي للممكن وقوعه غالبا إشارة الى أنه صلى الله عليه وسلم لا يعلم مستقبلات أمره من أجل وغيره الا أن يعامه الله وقد صرح بذلك في قوله تعالى قل ما كنت بدعاً من الرسل وما أدري ما يفعل بي ولا بكم ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ﴾ قال نحوه ابن عطية وغيره ﴿ الى طائفة منهم لان منهم من مات ومنهم من تاب وندم ومنهم من تخلف لعذر صحيح فالطائفة هنا الذين خلصوا في النفاق وثبتوا عليه هكذا قيل واذا كان الضمير في منهم عائدا على المخلفين الذين خرجوا وكرهوا أن يجاهدوا فالذي يظن أن ذكر الطائفة هو لاجل أن منهم من مات ﴿ قال ابن عطية ويشبه أن تكون هذه الطائفة قد حتم عليهم بالموافاة على النفاق وعينو النبي صلى الله عليه وسلم والاف كيف يترتب على أن لا يصلي على موتاهم ان لم يعينهم وقوله وماتوا وهم فاسم قون نص في موافاتهم ومما يؤيد هذا أن النبي صلى الله عليه وسلم عيّنهم لحذيفة بن اليمان وكانت الصحابة اذا رأوا حذيفة تأخر عن الصلاة على جنازة رجل تأخروا هم عنها ﴿ وروى عن حذيفة أنه قال يوم ابقى من المنافقين كذا وكذا وقال له عمرو بن الخطاب أنشدك الله انما منهم فقال لا والله لا أمنت منها أحدا بعدك وأمر الله نبيه أن يقول لهم لن تخرجوا معي هو عقوبة لهم وإظهار لدناءة منزلتهم وسوء حالهم وهذا هو المقصود في قصة ثعلبة بن حاطب التي تقدمت في الامتناع من أخذ صدقته ولا خزي أعظم من أن يكون انسان قد رفضه الشرع وورده كالجمل الاجرب ﴿ قال الزمخشري فاستأذنوك للخروج يعني الى غزوة بعد غزوة تبوك وكان اسقاطهم من ديوان الغزاة عقوبة لهم على تخلفهم الذي علم الله تعالى أنه لم يدعهم اليه الا النفاق بخلاف غيرهم من المخلفين انتهى وانتقل بالنفي من الشاق عليهم وهو الخروج الى الغزاة الى الاشق وهو قتال العدو لانه أعظم الجهاد وثمرة الخروج وموضع بارقة السيوف التي تحتها الجنة ثم

الأولية تقتضي السبق وقيل التقدير أول خرجة خرجها الرسول لغزو الروم بنفسه وقيل أول مرة من قبل الاستئذان

علل انتفاء الخروج والقتال بكونهم رضوا بالقعود أول مرة ورضاهم ناشئ عن نفاقهم وكفرهم
 وخداعهم وعصيانهم أمر الله في قوله انفر واخفأوا وثقالوا وقالوا هم لا تنفروا في الحر فعلى بالمسبب
 وهو الرضا الناشئ عن السبب وهو النفاق وأول مرة هي الخرجة إلى غزوة تبوك ومرة مصدر
 كأنه قيل أو خرجة دعيت إليها لانها لم تكن أول خرجة خرج بها الرسول للغزاة فلا بد من
 تقييدها إذا الأولية تقتضي السبق * وقيل التقدير أول خرجة خرج بها الرسول لغزوة الروم
 بنفسه * وقيل أول مرة قبل الاستئذان * وقال أبو البقاء أول مرة ظرف ونعني ظرف زمان
 وهو بعيد * وقال الزحشرى (فان قلت) مرة نكرة وضعت موضع المرات للتفضيل
 فلم ذكر اسم التفضيل المضاف إليها وهو دال على واحدة من المرات (قلت) أكثر اللغتين هند
 أكبر النساء وهي أكبرهن ثم ان قولك هي كبرى امرأة لا تكاد تسمع عليه ولا تكن هي أكبر
 امرأة وأول مرة وآخر مرة انتهى فاقعدوامع الخالفين أى أقموا وليس أمر بالقعود الذى هو
 نظير الجلوس وانما المراد منعهم من الخروج معه * قال أبو عبيدة الخالف الذى خلف بعد
 خارج فبعد في رحله وهو الذى يتخلف عن القوم * وقيل الخالفين المخالفين من قولهم عبد خالف
 أى مخالف لمولاه * وقيل الاخساء الادنياء من قولهم فلان خالفه فومه لاخسهم وأردلهم ودلت
 هذه الآية على توقي صحة من يظهر منه مكر وخداع وكيد وقطع العلقه بينهما والاحترار منه وعن
 قتادة ذكر لنا أنهم كانوا اثني عشر رجلا * قال ابن عطية والخالفون جميع من تخلف من
 نساء وصبيان وأهل عذر غلب المذكر فجمع بالواو والنون وان كان ثم نساء وهو جمع خالف
 * وقال قتادة الخالفون النساء وهذا مردود * وقال ابن عباس هم الرجال * وقال الطبرى يحتمل
 قوله في الخالتين أن يريد الفاسدين فيكون ذلك مأخوذا من خلف الشئ اذا فسد ومنه خالوف فم
 الصائم * وقرأ مالك بن دينار وعكرمة مع الخلفين وهو مقصور من الخالفين كما قال عداو بددا
 يريد عاددا وباددا وكما قال الآخر * مثل النقي لبده ضرب الظلل * يريد الظلال * ولا
 تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون * النهى
 عن الصلاة على المنافقين اذا ماتوا عقوبة ثانية وخزى متأبد عليهم وكان فيما روى يصلى على المنافقين
 اذا ماتوا ويقوم على قبورهم بسبب ما يظهر ونه من الاسلام فانهم كانوا يتلفظون بكلمتى الشهادة
 ويصلون ويصومون فبنى الامر على ما ظهر من أقوالهم وأفعالهم ووكمل سرأثرهم الى الله ولم يزل على
 ذلك حتى وقعت واقعة عبد الله بن أبى وطول الزحشرى وغيره في قصته فقطافرت الروايات أنه
 صلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية بعد ذلك وروى أنس أنه لما تقدم ليصلى عليه
 جاءه جبريل فجذبه بثوبه وتلا عليه ولا تصل على أحد منهم مات أبدا فانصرف ولم يصل وذكروا
 محاوره عمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين جاء ليصلى عليه ومات صفة لاحد فقدم الوصف
 بالمجور ورم بالجملة وهو ماض بمعنى المستقبل لان الموت غير موجود لا محالة نهاه الله عن الصلاة عليه
 والقيام على قبره وهو الوقوف عند قبره حتى يفرغ من دفنه وقيل المعنى ولا تتولوا دفنه وقبره فالقبر
 مصدر كان صلى الله عليه وسلم اذا دفن الميت وقف على قبره ودعاه فنهى عن ذلك في حق المنافقين
 فلم يصل بعد على منافق ولا قام على قبره انهم كفروا وتعليل للنهي عن الصلاة والقيام بما يقتضى الامتناع
 من ذلك وهو الكفر والموافاة عليه * ولا تعجبك أموالهم وأولادهم انما يريد الله أن يعذبهم بها في
 الدنيا وتزهي أنفسهم وهم كفرون * تقدم نظير هذه الآية وأعيد ذلك لأن تجدد النزول له شأن في

* ولا تصل على أحد منهم
 مات أبدا * النهى عن
 الصلاة على المنافقين اذا
 ماتوا عقوبة ثانية لهم
 وخزى متأبد وكان عليه
 السلام فيما روى يصلى على
 المنافقين اذا ماتوا ويقوم
 على قبورهم بسبب
 ما يظهر منه من الاسلام
 فانهم كانوا يتلفظون
 بكلمتى الشهادة ويصلون
 ويصومون فبنى الامر
 على ما ظهر من أقوالهم
 وأفعالهم ووكمل سرأثرهم
 الى الله تعالى ولم يزل على
 ذلك حتى وقعت واقعة
 عبد الله بن أبى وروى
 أنس أنه لما تقدم ليصلى
 عليه جاء جبريل عليه
 السلام فجذبه بثوبه وتلا
 عليه ولا تصل على أحد
 منهم الآية فانصرف ولم
 يصل عليه ومات صفة لاحد
 تقدم الوصف بالمجور
 ثم بالجملة وهو ماض بمعنى
 المستقبل لان الموت غير
 موجود لا محالة نهاه الله
 عن الصلاة عليه والقيام
 على قبره وهو الوقوف
 على قبره حتى يفرغ من
 دفنه * ولا تعجبك * الآية
 تقدم الكلام على نظيرها
 وأعيد ذلك لان تجدد
 النزول له شأن في تقرير
 ما نزل له

تقرر بمنزله وتأكده واردة أن يكون على بال من الخطاب لا ينسأه ولا يسهو عنه وأن يعتقد أن العمل بهم يفقر إلى فضل عناية به لاسيما إذا تراخى ما بين التزولين فأشبه الشيء الذي أهم صاحبه فهو يرجع إليه في أثناء حديثه ويخلص إليه وإنما أعيد هذا المعنى لقوته فيما يجب أن يحذر منه قوله الزمخشري * وقال ابن عطية ووجه تكريرها توكيدها لهذا المعنى * وقال أبو علي ظاهره أنه تكرير وليس بتكرير لأن الآيتين في فريقين من المنافقين ولو كان تكريرا لكان مع تباعد الآيتين لفائدة التأكيد والتذكير * وقيل أراد بالأولى لا تعظمهم في حال حياتهم بسبب كثرة المال والولد والثانية لا تعظمهم بعد وفاتهم لما منع الكفر والنفاق وقد تغيرت الآيتان في ألفاظ هنا ولا وهناك فلا ومناسبة الفاء اندعقب قوله ولا ينفقون الا وهم كارهون أي للانفاق فهم معجبون بكثرة الاموال والاولاد فنهأ عن الاعجاب بقاء التعقيب ومناسبة الواو وأنهى عطف على نهى قبله ولا تصل ولا تقم ولا تعجبك فناسبت الواو وعنا وأولادهم وهناك وأولادهم قد كرر لا مشعر بالنهاى عن الاعجاب بكل واحد واحد على انفراده ويتضمن ذلك النهى عن المجموع وهما سقطت فكان نهيا عن اعجاب المجموع ويتضمن ذلك النهى عن الاعجاب بكل واحد واحد فدللت الآيتان بمنطوقهما ومفهومهما على النهى عن الاعجاب بالاموال والاولاد مجتمعين ومنفردين وهنا أن يعذبهم وهناك ليعذبهم فأتى باللام مشعرة بالتعليل ومفعول يريد محذوف أي انما يريد الله ابتلاءهم بالاموال والاولاد ليعذبهم وأتى بان لأن مصب الارادة هو التعذيب أي انما يريد الله تعذيبهم فقد اختلف متعلق الفعل في الآيتين هذا الظاهر وان كان يحتمل زيادة اللام والتعليل بان وهناك الدنيا وهناك في الحياة الدنيا فأثبت في الحياة على الاصل وحذفت هنا تنبيه على خسة الدنيا وانها لا تستحق أن تسمى حياة ولا سيما حين تقدمها ذكر موت المنافقين فناسب أن لا تسمى حياة * وإذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولو الطول منهم وقالوا ذرنا نكفن مع القاعد بن رضوا بان يكونوا مع الخوالف وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون * الجمهور على أن السورة هنا كل سورة كان فيها الأمر بالايمن والجهاد * وقيل براءة لأن فيها الأمر بها * وقيل بعض سورة فأطلق عليه سورة كما يطلق على بعض القرآن قرآن وكتاب وهذه الآية وان تقدم أنهم كانوا استأذنوا الرسول في القعود فيها تنبيه على أنهم كانوا متى تنزل سورة فيها الأمر بالايمن والجهاد استأذنوا ولا يستأذنوا إذا تفيد التعليق فقط بل انجر معها معنى التكرار سواء كان ذلك فيها بحكم الوضع ان يحكم غالب الاستعمال لا الوضع وهي مسألة خلاف في النحو ومما وجدتها التكرار قول الشاعر

إذا وجدت أوار النار في كبدي * أقبلت نحو سقاء القوم أبرد

ألا ترى ان المعنى متى وجدت وان آمنوا يحتمل ان أن تكون تفسيرية لأن قبلها بشرط ذلك ويحتمل أن تكون مصدرية أي بأن آمنوا أي بالايمن والظاهر ان الخطاب للمنافقين أي آمنوا بقلوبكم كما آمنتم بالسنتكم * قيل ويحتمل أن يكون خطابا للمؤمنين ومعناه الاستدامة والطول * قال ابن عباس والحسن الغني * وقيل القوة والقدرة * وقال الاصم أولو الطول الكبراء والرؤساء وأولو الأمر منهم أي من المنافقين كعبد الله بن أبي الجذون قيس ومعتب بن قشير وضرابهم وأخص أولو الطول لأنهم القادرون على التنفير والجهاد ومن لا مال له ولا قدرة لا يحتاج الى الاستئذان والاستئذان مع القدرة على الحركة أقيح وأفحش والمعنى استأذنك أولو الطول منهم في القعود وفي

وإذا أنزلت سورة * الآية أن يحتمل أن تكون تفسيرية بمعنى أي ويحتمل أن تكون مصدرية أي بالايمن والظاهر ان الخطاب للمنافقين أي آمنوا بقلوبكم كما آمنتم بالسنتكم * استأذنك * جواب اذاو * أولو الطول * الكبراء والرؤساء والطول قال ابن عباس الغني والمعنى استأذنك أولو الطول منهم في القعود وفي استأذنك التفات اذ هو خروج من لفظ الغيبة في قوله ورسوله الى ضمير الخطاب * وقالوا ذرنا نكفن مع القاعد بن * أي أئزنا وأهل العذر ومن ترك حراسته المدينة وفي قوله * رضوا بان يكونوا مع الخوالف * نهجين لهم ومبالغة في الذم والخوالف النساء والظاهر ان قوله * وطبع * خبر من الله تعالى بما فعل بهم فلاجل الطبع لا يفقهون ولا يتفهمون ما في الجهاد من الفوز والشهادة والسعادة وما في التخلف من الشقاء والضلال

استاذنك التفات إذ هو خر وج من لفظ الغيبة وهو قوله ورسوله الى ضمير الخطاب وقالوا ذرنا
نكن مع القاعد بن الزمى وأهل العذر ومن ترك لحراسة المدينة لأن ذلك عذر وفي قوله رضوا بأن
يكونوا مع الخوالف تهجين لهم ومبالغة في الذم والخوالف النساء قاله الجمهور كابن عباس ومجاهد
وقتادة وشعر بن عطية وابن زيد والفراء وذلك أبلغ في الذم كما قال

وما أدري وسوف إخال أدري * أقوم آل حصن أم نساء
فان تكن النساء مخبات * فحق لكل محصنة هداء

﴿ وقال آخر ﴾

كتب القتل والقتال علينا * وعلى الغانيات جر الذبول

فكونهم رضوا بأن يكونوا قاعدين مع النساء في المدينة أبلغ ذم لهم وتهجين لانهم نزلوا أنفسهم
منزلة النساء العجزة اللواتي لا مدافعة عندهن ولا غنى * وقال النضر بن شميل الخوالف من لا خير
فيه * وقال النحاس يقال للرجل الذي لا خير فيه خالفه وهذا جمع بحسب اللفظ والمراد أخساء الناس
وأخلافهم * وقالت فرقة الخوالف جمع خالف فهو جار مجرى فوارس ونوا كس وهو الك والظاهر
ان قوله وطبع خبر من الله بما فعل بهم * وقيل هو استفهام أى أو طبع على قلوبهم فلاجل الطبع
لا يفقهون ولا يتدبرون ولا يتفهمون ما في الجهاد من الفوز والسعادة وما في التحلف من الشقاء
والضلال * لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم وأولئك لهم الخيرات
وأولئك هم المفلحون أعد الله لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدون فيها ذلك الفوز العظيم *
لماذا كرر أن أولئك المنافقين اختاروا الدعة وكرهوا الجهاد وفروا من القتال وذكروا ما أثر ذلك
فيهم من الطبع على قلوبهم ذكروا حال الرسول والمؤمنين في المثابرة على الجهاد وذلك ما لهم من
الثواب ولكن وضعها أن تقع بين متنافيين ولما تضمن قول المنافقين ذرنا واستئذناهم في القعود
كان ذلك تصر يحاياتفاء الجهاد فكأنه قيل رضوا بكذا ولم يجاهدوا ولكن الرسول والذين
آمنوا معه جاهدوا والمعنى ان تخلف هؤلاء المنافقون فقد توجهوا الى الجهاد من هو خير منهم وأخلص
نية كقوله تعالى فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلناهم اقواما ليسوا بها بكافرين فان استكبروا فالذين
عند ربك يسبحون له بالليل والنهار والخيرات جمع خيرة وهو المستحسن من كل شيء فيتناول محاسن
الدنيا والآخرة لعموم اللفظ وكثرة استعماله في النساء ومنه فيهن خيرات حسان * وقال الشاعر

ولقد طعنت بجامع الربلات * ربلات هند خيرة الملكات

* وقيل المراد بالخيرات هنا الخور العين * وقيل المراد بها الغنائم من الأموال والذراري * وقيل
أعد الله لهم جنات تفسر للخيرات إذ هو لفظ مبهـم * وجاء المعذرون من الأعراب ليوذن لهم وقعد
الذين كذبوا الله ورسوله سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم * ولماذا كرر أحوال المنافقين
الذين بالمدينة شرح أحوال المنافقين من الأعراب * قرأ الجمهور المعذرون بفتح العين وتشديد
الذال فاحتمل وزني أحدهما أن يكون فعل بتضعيف العين ومعناه تكاف العذر ولا عذر له ويقال
عذر في الأمر قصر فيه وتواني وحقيقته أن يؤهم أن له عذرا فيما يفعل ولا عذر له والثاني أن يكون
وزنه افتعل وأصله اعتذر كاختصم فأدغمت التاء في الذال ونقلت حركتها الى العين فذهبت ألف
الوصل ويؤيده قراءة سعيد بن جبير المعتذرون بالتاء من اعتذر ومن ذهب الى أن وزنه افتعل
الأخفش والفراء وأبو عبيد وأبو حاتم والزجاج وابن الأنباري * وقرأ ابن عباس وزيد بن علي

﴿ لكن الرسول ﴾ الآية
لكن وضعها أن تقع بين
متنافيين ولما تضمن قول
المنافقين ذرنا استئذناهم
في القعود كان ذلك
تصريحا بانتفاء الجهاد
وكأنه قيل رضوا
بكذا ولم يجاهدوا لكن
الرسول جاهدوا والمعنى ان
تخلف هؤلاء المنافقون
فقد توجهوا الى الجهاد من
هو خير منهم وأخلص نية
والخيرات جمع خيرة وهو
المستحسن من كل شيء
فيتناول محاسن الدنيا
والآخرة لعموم اللفظ
وكثرة استعماله في النساء
ومنه قوله تعالى فيهن خيرات
حسان * وجاء المعذرون *
الآية وقرئ بالتشديد
والتحفيف والظاهر ان
هؤلاء الجائين كانوا مؤمنين
كما قال ابن عباس لأن
التقسيم يقتضى ذلك
ألا ترى الى قوله وقعد
الذين كذبوا الله ورسوله
سيصيب الذين كفروا
الآية فلو كان الجميع
كفارا لم يكن لوصف
الذين قعدوا بالكذب
اختصاص وكان يكون
سيصيبهم عذاب أليم
والمعذرون هم أسد وغطفان
وقيل غير ذلك

ليس على الضعفاء الآية لما ذكر تعالى حال من تخلف عن الجهاد مع القدرة عليه ذكر حال من له عذر في تركه والضعفاء جمع ضعيف وهو الهرم ومن خل في أصل البنية شديد الخفاقة والضعف له بحيث لا يمكنه الجهاد والمرضى من عرض له المرض أو كان زمانا يدخل فيه العمى والعرج والذين لا يجدون ما ينفقون هم الفقراء قيل هم مزينه وجهينة وبنو عذرة ونفي الحرج عنهم في التخلف عن الغزو ونفي الحرج لا يتضمن المنع من الخروج إلى الغزو فلو خرج أحدهم ليعين المجاهد بنما يقدر عليه من حفظ متاعهم أو تكثير سوادهم ولا يكون كلا عليهم كان له في ذلك ثواب جزيل فقد كان عمرو بن الجوح أعرج وهو من أتقيا الانصار وهو في أول الجيش فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عذرك فقال والله لا أحفر بعرجتي هذه في الجنة وكان ابن أم مكتوم أعرج فخرج إلى أحد وطلب ان يعطى اللواء (٨٤) فآخذ فاصيبت يده التي فيها اللواء فامسكه باليد الأخرى

فضربت فامسكه بصدرة
وقرأ وما محمد الا رسول
الآية وشمرت سبحانه وتعالى
في انتفاء الحرج النصح لله
ورسوله وهو أن
تكون نيابهم وأقوالهم
سرا وجهرا خاصة لله تعالى
من العيش ساعية في
إيصال الخبرات للمؤمنين
داعية لهم بالنصر
والتمكين ففي سنن أبي
داود لقد تركتم بعدكم قوما
ما سرتهم سيرا ولا أنفقتم
من نفقة ولا قطعتم واديا
الا وهم معكم فيه قالوا يا
رسول الله وكيف يكونون
معنا وهم بالمدينة قال حبسهم
العذر وقرأ أبو حنيفة اذا
نصحو الله ورسوله بنصب
الجلالة والمعطوف ما
الحسنين من سبيل أي

والضحاك والأعرج وأبو صالح وعيسى بن هلال ويعقوب والكسائي في رواية المعذرون من أعذر وقرأ مسامة المعذرون بتشديد العين والذال من تعذر بمعنى اعتذر * قال أبو حاتم أراد المتعذرين والتاء لا تدغم في العين لبعدها عن الخارج وهي غلط منه أو عليه واختلف في هؤلاء المعذرين أهم مؤمنون أم كافرون * فقال ابن عباس ومجاهد وجماعة هم مؤمنون وأعداءهم صادقة * وقال قتادة وفرقة هم كافرون وأعداءهم كذب وكان ابن عباس يقول رحم الله المعذرين ولعن المعذرين * قيل هم أسد وغطفان قالوا ان لنا عيالا وان بنا جهدا فأذن لهم في التخلف * وقيل هم رهط عامر ابن الطفيل قالوا ان غزوهم غارت اعراب طي على أهاليها وما شينا فقال صلى الله عليه وسلم سيغني الله عنكم وعن مجاهد نفر من غفار اعتذر وأسلم يعذرهم الله تعالى * قال ابن اسحق نفر من غفار منهم خفاف بن ايماء وهذا يقتضي أنهم مؤمنون والظاهر أن هؤلاء الجائين كانوا مؤمنين كما قال ابن عباس لان التقسيم يقتضي ذلك ألا ترى الى قوله وقعد الذين كذبوا الله ورسوله سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم فلو كان الجميع كفارا لم يكن لوصف الذين قعدوا بالكذب اختصاص وكان يكون التركيب سيصيبهم عذاب أليم ويحتمل أن يكونوا كفارا كما قال قتادة فانقسموا الى جاء معتذر والى قاعد واستؤنف اخبار بما يصيب الكافرين ويكون الضمير في منهم عائدا على الاعراب أو يكون المعنى سيصيب الذين يوافقون على الكفر من هؤلاء عذاب أليم في الدنيا بالقتل والسبي وفي الآخرة بالنار * وقرأ الجمهور كذبوا بالتخفيف أي في ايمانهم فظهروا ضدهما أخفوه * وقرأ أبي والحسن في المشهور عنه ونوح واسماعيل كذبوا بالتشديد أي لم يصدقوه تعالى ولا رسوله وردوا عليه أمره والتشديد أبلغ في الذم * ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا الله ورسوله ما على الحسنين من سبيل والله غفور رحيم * ولا على الذين اذا ما أتوا لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم

من لائمة تناط بهم أو عتقوا بقرعة فقط الحسنين عام في كل من أحسن * لتحملهم أي على ظهر يركب ويحمل عليه أثاث المجاهد واذا تقتضى جوابا والأولى أن يكون ما يقرب منها وهو قلت ويكون قوله تولوا جوابا لسؤال مقدر كأنه قيل فاحملهم اذا أجابهم الرسول قيل تولوا وأعينهم تفيض من الدمع قال الزخشي * فان قلت هل يجوز أن يكون قوله قلت لا أجد استثناء فامثله يعني مثل رضوا بان يكونوا مع الخوالف كأنه قيل اذا ما أتوا لتحملهم تولوا فقل ما لهم تولوا با كين قلت لا أجد ما أحملكم عليه الا أنه وسط بين الشرط والجزاء كالأعتراف قلت نعم ويحسن انتهى ولا يجوز ولا يحسن في كلام العرب فكيف في كلام الله تعالى وهو فهم أعجمي وتقدم الكلام على نحو وأعينهم تفيض من الدمع في المائدة وقال الزخشي هنا وأعينهم تفيض من الدمع كقولك تفيض دما وهو أبلغ من يفيض دما لان العين جعلت كان كذا مع فائض ومن البيان كقولك أفديك من رجل ومحل الجار والمجرور النصب على التخييل انتهى ولا يجوز ذلك لان التخييل الذي أصله فاعل لا يجوز جره بمن وأيضا فانه معرفه ولا يجوز الاعلى رأي

تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون * لماذا كره حال من تخلف عن الجهاد مع القدرة عليه
ذ كره حال من له عذر في تركه والضعفاء جمع ضعيف وهو الهرم ومن خلق في أصل البنية شديد
الخافة والضؤولة بحيث لا يمكنه الجهاد والمرىض من عرض له المرض أو كان زمانا يدخل فيه
العمى والعرج والذين لا يجدون ما ينفقون هم الفقراء * قيل هم مريضة وجهينة وبنو عذرة ونفي
الخرج عنهم في التخلف عن الغزو ونفي الخرج لا يتضمن المنع من الخروج إلى الغزو فلو خرج أحد
هو لاء ليعين المجاهدين بما يقدر عليه من حفظ متاعهم أو تسكين سوادهم ولا يكون كلا عليهم
كان له في ذلك ثواب جزيل فقد كان عمرو بن الجوح أعرج وهو من أتقيا الأنصار وهو في أول
الجيش وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله قد عذرك فقال والله لأحفرن بعرج حتى هذه
في الجنة وكان ابن أم مكتوم أعمى نخر ج إلى أحد وطلب أن يعطى اللواء فأخذته فأصابت يده التي
فيها اللواء فأمسكه باليد الأخرى فضربت فأمسكه بصدرة وقرأ ما محمد الرسول قد خلت من قبله
الرسول وشرط في انتقاء الخرج النصيحة لله ورسوله وهو أن يكون نياتهم وأقوالهم سيرا وجهرا خالصة
لله من الغش ساعة في إيصال الخير للوئسين داعية لهم بالنصر والتمكين ففي سنن أبي داود لقد
تركتم بعدكم قوم ما مسرتهم مسير أولئك أنفقتم من نفقة ولا قطعتم واديا لاوهم معكم فيه قالوا يا رسول الله
وكيف يكونون معنا وهم بالمدينة قال حبسهم العذر * وقرأ أبو حيوذة إذا نصحو الله ورسوله
بمنصب الجلالة والمعطوف ما على الحسين من سبيل أي من لائمة تناط بهم أو عقوبة ولفظ الحسين
عام يندرج فيه هو لاء المعذورون الناصحون غيرهم وقيل الحسين هنا المعذورون الناصحون ويبعد
الاستدلال بهذه الجملة على نفي القياس وإن المحسن هو المسلم لا انتفاء جميع السبيل فلا يتوجه
عليه شيء من التكليف البدليل منفصل فيكون يخص هذا العام الدال على براءة الذمة * وقال
الكرمانى الحسين هم الذين أطاعوا الله ورسوله في أقوالهم وأفعالهم ثم أكد الرجاء فقال والله
غفور رحيم وقرأ ابن عباس والله لأهل الأساء غفور رحيم على سبيل التفسير لا على أنه قرآن
لخالفته سواد المصحف قيل وقوله ما على الحسين من سبيل فيه نوع من أنواع البديع يسمى التلج
وهو أن يشار في غوى الكلام إلى مثل سائر أو شعر نادر أو قصة مشهورة أو ما يجري مجرى المثل
* ومنه قول يسار بن عدى حين بلغه قتل أخيه وهو يشرب الخمر

اليوم خمر وبدو في غد خبر * والدهر من بين انعام وإيئاس

ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم معطوف على ما قبله وهم مندرجون في قوله ولا على الذين
لا يجدون ما ينفقون وذ كروا على سبيل نفي الخرج عنهم وانهم بالغوا في تحصيل ما يخرجون به إلى
الجهاد حتى أفضى بهم الحال إلى المسألة والحاجة لبذل ماء وجوههم في طلب ما يحملهم إلى الجهاد
والاستعانة به حتى يجاهدوا مع الرسول صلى الله عليه وسلم ولا يفوتهم أجر الجهاد ويحتل أن
لا يندرجوا في قوله ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون بأن يكون هو لاء هم الذين وجدوا ما ينفقون
الأنهم لم يجدوا المركوب وتكون النفقة عبارة عن الزاد لا عبارة عما يحتاج إليه المجاهد من زاد
ومركوب وسلاح وغير ذلك مما يحتاج إليه وهذه نزلت في العرباض بن سارية * وقيل في عبد الله
ابن مغفل * وقيل في عائذ بن عمرو * وقيل في أبي موسى الأشعري ورهطه * وقيل في تسعة نفر
من بطون شتى فهم البسكاؤون وهم سالم بن عمير بن بني عمرو من بني عوف وحرى بن عمرو من
بني واقف وأبوليس بن عبد الرحمن بن كعب بن بني مازن بن النجار وسلمان بن صخر من بني المعلى

الكوفيين الذين يجيزون
محى التمييز معرفة وانتصب
حزنا على المفعول له
والعامل فيه تفيض وقال
أبو البقاء أو مصدر في
موضع الحال و * ألا
يجدوا * مفعول له أيضا
والناصب له حزنا وقال
أيضا ويجوز أن يتعلق
بتفيض ولا يجوز ذلك على
اعرابه حزنا مفعولا له
وقوله والعامل فيه تفيض
لان العامل لا يقتضى اثنين
من المفعول له إلا بالعطف
أو البدل وقوله أن لا يجدوا
ما ينفقون فيه دلالة على
أنهم مندرجون تحت
قوله ولا على الذين لا يجدون
ما ينفقون خرج وتقديم
نفيان نفي الجرح عن ذكر

والثاني نفي السبيل بمعنى
اللائمة والعتب على
الحسين فيكون قوله ولا
على الذين معطوف على
الحسين عطف الخاص
على العام وبحسن هذا

(الدر)

(ش) فان قلت هل يجوز ان يكون قوله قلت لأجد استثناء مماثلة يعنى مثل رضوا بأن يكونوا مع الخوالف كأنه قيل اذا ما أتوك لتعلمهم وتولوا فقيل ما لهم تولوا با كين قلت لأجد ما أحلكم عليه الا أنه وسط بين الشرط والجزاء كالا عراض قلت نعم ويحسن انتهى (ح) لا يجوز هذا ولا يحسن في كلام العرب فكيف في كلام العرب وهو فهم أعجمي (ش) وأعينهم تفيض من الدمع كقولك تفيض دمعا وهو أبلغ من يفيض دمعا لان العين جعلت كأن كلامهم فائض ومن اللين كقولك أفديك من رجل ومحل الجار والمجرور النصب على التمييز (ح) لا يجوز ذلك لان التمييز الذي أصله فاعل لا يجوز جره بمن وأيضا فإنه معرفة ولا يجوز الا على رأى الكوفيين الذين يجيزون مجيء التمييز معرفة وانتصب حزننا على المفعول له والعامل فيه تفيض وقال أبو البقاء أو مـ در في موضع الحال وأن لا يجدوا مفعول له أيضا والناصب له حزننا قال أبو البقاء ويجوز أن يتعلق بتفيض انتهى ولا يجوز ذلك على اعرابه حزننا مفعول له والعامل فيه تفيض لان العامل لا يقض اثنين من المفعول له الا بالعطف أو البدل وقوله أن لا يجدوا ما ينفقون فيه دلالة على أنهم مندرجون تحت قوله ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج وإنما السبيل على الذين يستأذنونك وهم أغنياء رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون * يعتذرون اليكم اذ رجعتهم اليهم قل لا تعتذروا لن تؤمن لكم قد نبأنا الله من أخباركم وسيرى الله عملكم ورسوله ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون * سيخلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم انهم رجز وماؤاهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون * يخلفون لكم لتعرضوا عنهم فان تعرضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين * الأعراب أشد كفرا ونفاقا وأجدر ألا يعابوا وحدثنا أبو بكر بن عمار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا أيها الذين آمنوا لا تأخذوا بيعة من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذنا ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول الا انها قربة لهم سيدخلهم الله في رحمته ان الله غفور رحيم * والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم باحسان رضى

وأبو ربيعة عبد الرحمن بن زيد بن بني حارثة وعمر بن غنفة من بني سامة وعائذ بن عمرو المزني * وقيل عبد الله بن عمر والمزني * وقال مجاهد البكاؤون هم بنو بكر من مزينة * وقال الجمهور نزلت في بني مقرن وكانوا ستمائة أخوة صحبوا النبي صلى الله عليه وسلم وليس في الصحابة ستة أخوة غيرهم ومعنى لتعلمهم أى على ظهر مركب ويحمل عليه أثاث المجاهد قال معناه ابن عباس * وقال أنس بن مالك لتعلمهم بالزاد وقال الحسن بن صالح البغلي وروى أن سبعة من قبائل شتى قالوا يا رسول الله قد ندبنا الى الخروج معك فاجلنا على الخفاف المرقوعة والنعال المخصوفة نغرم معك فقال لأجد ما أحلكم عليه فتولوا وهم يبكون * وقرأ معقل بن هارون لتعلمهم بنون الجماعة واذا تقتضى جوابا والاولى أن يكون ما يقرب منها وهو قلب ويكون قوله تولوا جوابا لسؤال مقدر كأنه قيل اذا كان حالهم اذا أجابهم الرسول قيل تولوا وأعينهم تفيض * وقيل جواب اذا تولوا وقلب جملة في موضع الحال من الكاف أى اذا ما أتوك قائلا لأجد وقد قبله مقدر كما قيل في قوله حصرت صدورهم قاله الزمخشري أو على حذف حرف العطف أى وقلت قاله الجر جاني وقاله ابن عطية وقدره فقلت بالفاء وأعينهم تفيض جملة حالية * قال الزمخشري (فان قلت) فهل يجوز أن يكون قوله قلت لأجد استثناء مماثلة يعنى مثل رضوا بأن يكونوا مع الخوالف كأنه قيل اذا ما أتوك لتعلمهم تولوا فقيل ما لهم تولوا با كين قلت لأجد ما أحلكم عليه الا أنه وسط بين الشرط والجزاء كالا عراض (قلت) نعم ويحسن انتهى ولا يجوز ولا يحسن في كلام العرب فكيف في كلام العرب وهو فهم أعجمي (ش) وأعينهم تفيض من الدمع كقولك تفيض دمعا وهو أبلغ من يفيض دمعا لان العين جعلت كأن كلامهم فائض ومن اللين كقولك أفديك من رجل ومحل الجار والمجرور النصب على التمييز انتهى ولا يجوز ذلك لان التمييز الذي أصله فاعل لا يجوز جره بمن وأيضا فإنه معرفة ولا يجوز الا على رأى الكوفيين الذين يجيزون مجيء التمييز معرفة وانتصب حزننا على المفعول له والعامل فيه تفيض أو مـ در في موضع الحال وأن لا يجدوا مفعول له أيضا والناصب له حزننا قال أبو البقاء ويجوز أن يتعلق بتفيض انتهى ولا يجوز ذلك على اعرابه حزننا مفعول له والعامل فيه تفيض لان العامل لا يقض اثنين من المفعول له الا بالعطف أو البدل وقوله أن لا يجدوا ما ينفقون فيه دلالة على أنهم مندرجون تحت قوله ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج وإنما السبيل على الذين يستأذنونك وهم أغنياء رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون * يعتذرون اليكم اذ رجعتهم اليهم قل لا تعتذروا لن تؤمن لكم قد نبأنا الله من أخباركم وسيرى الله عملكم ورسوله ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون * سيخلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم انهم رجز وماؤاهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون * يخلفون لكم لتعرضوا عنهم فان تعرضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين * الأعراب أشد كفرا ونفاقا وأجدر ألا يعابوا وحدثنا أبو بكر بن عمار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا أيها الذين آمنوا لا تأخذوا بيعة من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذنا ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول الا انها قربة لهم سيدخلهم الله في رحمته ان الله غفور رحيم * والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم باحسان رضى

الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم *
 ومن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم
 سنعذبهم مرتين ثم يردون إلى عذاب عظيم * وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً
 وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم إن الله غفور رحيم * خدم من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكهم
 بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم والله سميع عليم * ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده
 ويأخذ الصدقات وإن الله هو التواب الرحيم * وقال أعمالوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون
 وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون * وآخرون من جورن لأمر الله
 إيماناً بعبادهم وأما يتوب عليهم والله عليم حكيم * والذين اتخذوا مسجداً ضراراً
 أو كفروا أو تفرقوا بين المؤمنين وأرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن
 إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد انهم لكاذبون * لا تقم فيه أبداً المسجدين أسس على التقوى
 من أول يوم أحق أن تقوم فيه فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين *
 أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف
 هار فانهار به في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين * لا يزال بنيانهم الذي بنوا
 ريبت في قلوبهم إلا أن تقطع قلوبهم والله عليم حكيم * إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم
 وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة
 والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم *
 التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر
 والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين * ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو
 كانوا أولى قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم * وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن
 موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إن إبراهيم لأواه حليم * وما كان الله ليضل
 قوماً بعد أذهباهم حتى يسبين لهم ما يتقون إن الله بكل شيء عليم * إن الله له ملك السموات
 والأرض يحيي ويميت وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير * لقد تاب الله على النبي والمهاجرين
 والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم
 إنه بهم رؤوف رحيم * وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت
 وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب
 الرحيم * يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين * ما كان لأهل المدينة ومن
 حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه ذلك بأنهم لا يصيبهم
 ظمأ ولا نصب ولا ضيقة ولا يحزنهم في سبيل الله ولا يطعن موطئنا بغيط الكفار ولا ينادون
 من عدو نبينا إلا كتب لهم به عمل صالح إن الله لا يضيع أجر المحسنين * ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون وادياً إلا كتب لهم
 ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون * الأعراب صيغة جمع وفرق بينه وبين العرب فالعربي من
 له نسب في العرب والأعراب البدوي من جمع الغيث والكلأ كان من العرب أو من مواليهم والفرق
 نسب إليه على لفظه ف قيل الأعرابي وجمع الأعراب على الأعراب جمع الجمع * أجدر أحق وأحرى
 قال الليث جدر جدارة فهو جدير وأجدر به يؤنث ويثنى ويجمع * قال الشاعر
 نخيل عليها جنة عبقرية * جديرون يوماً أن ينالوا فيستعلوا
 أسس على وزن فعل مضارع العين وآسس على وزن فاعل وضع الأساس وهو معروف ويقال فيه

قوله انما السبيل معرفا
بالألف واللام اذ عاد على
الذكر في قوله من سبيل
﴿ انما السبيل على الذين
يستأذنونك وهم أغنياء ﴾
أثبت في حق المنافقين ما
نفاه في حق المحسنين فدل
لأجل المقابلة بأن هؤلاء
مسيئون وأي إساءة أعظم
من النفاق والتخلف عن
الجهاد والرغبة بأنفسهم عن
رسول الله ﴿ رضوا ﴾
تقديم الكلام عليه
﴿ يعتذرون اليكم ﴾ الآية
ولن يؤمن لكم علة للنهي
عن الاعتذار لان غرض
المعتذر أن يصدق فيما
يعتذر به فاذا علم أنه مكذب
في اعتذاره كف عنه
﴿ قد نبأنا الله من أخباركم ﴾
علة الانتفاء التصديق
لأنه تعالى اذا أخبر الرسول
والمؤمنين بما انطوت عليه
سرايرهم من الشر
والفساد لم يمكن تصديقهم
في معاذيرهم

(الدر)

قالوا لم يحس فاعل
وجعه أفعلة الأوديا وأودية
وناديا وأندية والنادي
المجلس وحكى الفراء في
جمع الوادي أوداء أفعالا
قال جرير
﴿ عرفت ببرقة الأوداء
رسما ﴾ بحيلاطال عهد لمن
رسوم

أس والجرف البئر التي لم تطو ﴿ وقال أبو عبيدة الهوة وما يجرفه السيل من الأودية ﴾ هار من هال ساقط
يتداعى بعضه في اثربعض وفعله هار نهور ويهرفعين هار يحقل أن تكون واوا أوياه
فاصله هار أوهاو رفلقت وصنع به ما صنع بقاض وغاز وصار منقوصا مثل شاكي السلاح ولاث
قال ﴿ لاث به الآشاء والعبري ﴾ وقيل هار محذوف العين لفرع له (٣) فتجري الراء
بوجوه الاعراب ﴿ وحكى الكسائي تهور وتهير ﴾ أواه كثير قول أوته وهي اسم فعل بمعنى
أتوجع ووزنه فعال للبالغته فقياس الفعل أن يكون ثلاثيا وقد حكاه قطرب حكى آه يؤ وه أوها
كقال يقول قولاً ونقل عن النخعيين أنهم أنكروا ذلك وقالوا ليس من لفظ أوه فعل ثلاثي انما يقال
أوه تأوها وتأوه تأوها ﴿ قال الراجز ﴾ فأوه الداعي وضوضاً أكلبه ﴿ وقال المثقب العبدى
اذا ماقت أرحلها بليلى ﴾ تأوه آهة الرجل الحزين

وفي أوه اسم الفعل لغات ذكرت في علم النحو ﴿ الظمأ العطش الشديد وهو مصدر ظمئ يظمأ فهو
ظمان وهي ظمان ويمد فيقال ظمأ ﴾ الوادى ما انخفض من الأصل مستطيلاً كجاري السيول
ونحوها وجمعه العرب على أودية وليس بقياسه قال تعالى فسالت أودية بقدرها وقياسه فواعل
لكنهم استقلوه لجمع الواوين ﴿ قال النحاس ولا أعرف فاعلا وأفعلة سوادود كغيره نادوا ندية
قال الشاعر

وفهم مقامات حسان وجوعهم ﴿ وأندية ينتابها القول والفعل
والنادى المجلس ﴾ وحكى الفراء في جمعه أوداء كصاحب وأصحاب قال جرير
عرفت ببرقة الأوداء رسما ﴿ بحيلاطال عهد لمن رسوم

﴿ وقال الرخشي الوادى كل منعرج من جبال وآكام يكون منفذ السيل وهو فى الأصل فاعل
من ودى اذا سال ومنه الودى وقد شاع فى استعمال العرب بمعنى الارض تقول لا تصل فى وادى غيرك
﴿ انما السبيل على الذين يستأذنونك وهم أغنياء رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع الله على
قلوبهم فهم لا يعلمون ﴾ أثبت فى حق المنافقين ما نفاه فى حق المحسنين فدل لأجل المقابلة أن هؤلاء
مسيئون وأي إساءة أعظم من النفاق والتخلف عن الجهاد والرغبة بأنفسهم عن رسول الله وليست
انما لا يحصر انما هي للبالغته فى التوكيد والمعنى انما السبيل فى اللاتمة والعقوبة والاثم على الذين
يستأذنونك فى التخلف عن الجهاد وهم قادرون عليه لغناهم وكان خبر السبيل على وان كان قد
فصل بالى كما قالت

هل من سبيل الى خمر فائسرها ﴿ أم من سبيل الى نصر بن حجاج
لان على تدل على الاستعلاء وقلة منعه من دخلت عليه ففرق بين لا سبيل الى على زيد ولا سبيل الى
زيد وهذه الآية فى المنافقين المتقدم ذكرهم عبد الله بن أبى والجد بن قيس ومعتب بن قشير وغيرهم
ورضوا استثنافاً كأنه قيل ما بالهم استأذنوا فى القعود بالمدينة وهم قادرون على الجهاد فقيل رضوا
بالدناءة وانتظامهم فى سلك الخوالف وعطف وطبع تنبها على أن السبب فى تخلفهم رضاهم بالدناءة
وطبع على قلوبهم فهم لا يعلمون ما يترتب على الجهاد من منافع الدين والدنيا ﴿ يعتذرون اليكم
اذا رجعت اليهم قل لا تعتذروا لن تؤمن لكم قد نبأنا الله من أخباركم وسيرى الله عملكم ورسوله
والمؤمنون ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ﴾ لن يؤمن لكم علة
للنهي عن الاعتذار لان غرض المعتذر أن يصدق فيما يعتذر به فاذا علم أنه مكذب فى اعتذاره كف

﴿ سيخلفون بالله لكم ﴾ الآية لما ذكر أنه يصدرون منهم الاعتذار (٨٩) أخبر أنهم سيؤكفون ذلك الاعتذار الكاذب بالخلف

عنه قد نبأنا الله من أخباركم علمه لا تنفقاء التصديق لانه تعالى اذا أخبر الرسول والمؤمنين بما انطوت عليه سرائرهم من الشر والفساد لم يمكن تصديقهم في معاذيرهم * قال ابن عطية والاشارة بقوله قد نبأنا الله من أخباركم الى قوله ما زادكم الا خبالا ولا وضعا خلاكم ونحو هذا ونبأنا تعدت الى مفعولين كعرف بنحو قوله من أنباءك هذا والثاني هو من أخباركم أي جملة من أخباركم وعلى رأي أبي الحسن الاخفش تكون من زائدة أي أخباركم * وقيل نبأ بمعنى أعلم المتعدية الى ثلاثة والثالث محذوف اختصار الدلالة الكلام عليه أي من أخباركم كذباً ونحوه وسيرى الله توعده أي سيراه في حال وجوده فيقع الجزاء منه عليه ان خير انخير وان شر افشر * وقال الزمخشري وسيرى الله عملكم أتنبيون أم تثبتون على الكفر ثم تردون اشارة الى البعث من القبور والتنبؤ بأعمالهم عبارة عن جزائهم عليها * قال ابن عيسى وسيرى لجعله من الظهور بمنزلة ما يرى ثم يجازى عليه * وقيل كانوا يظهرون للرسول عند تقريرهم معاذيرهم حبا وشفقة فقبل وسيرى الله عملكم هل يبقون على ذلك أولا يبقون والغيب والشهادة هما جامعان لأعمال العبد لا يخلو منهما وفي ذلك دلالة على أنه مطلع على ضمائرهم كاطلاعه على ظواهرهم لا تفاوت عنده في ذلك ﴿ سيخلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم انهم رجس وما واهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون ﴾ لما ذكر أنهم يصدر منهم الاعتذار أخبر أنهم سيؤكفون ذلك الاعتذار الكاذب بالخلف وأن سبب الخلف هو طلبتهم أن يعرضوا عنهم فلا يلوهم ولا يؤنبوهم فأعرضوا عنهم أي فأجيبوهم الى طلبتهم وعلل الاعراض عنهم بأنهم رجس أي مستقذرون بما انطووا وعليه من النفاق فتجب مباحبتهم واجتنابهم كما قال رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه فمن كان رجسا لا تنفع فيه المعاتبة ولا يمكن تطهير الرجس ويحتمل أن يكون سبب الخلف مخافتهم أن يعرضوا عنهم فلا يقبلوا عليهم ولا يوادوهم فأمر تعالى بالاعراض عنهم وعدم توليهم وبين العلة في ذلك رجسيتهم وبأن ما آل أمرهم الى النار * قال ابن عباس فأعرضوا عنهم لا تكلموهم وفي الخبر أنه عليه السلام لما قدم من تبوك قال لا تجالسوهم ولا تكلموهم * قيل ان هذه الآية من أول ما نزل في شأن المنافقين في غزوة تبوك وكان قد اعتذر بعض المنافقين واستأذنوه في القعود قبل مسيره فأذن فخرجوا وقال أحدهم ما هو الاشحة لاول آكل فاما خرج الرسول نزل فيهم القرآن فانصرف رجل من القوم فقال للمنافقين في مجلس منهم نزل فيكم قرآن فقالوا له وما ذلك قال لا أحفظ الا أني سمعت وصفكم فيه بالرجس فقال لهم مخشى لوددت ان أجلد مائة ولا أكون معكم فخرج حتى لحق بالرسول صلى الله عليه وسلم فقال له ما جاء بك فقال له وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم تسفعه الریح وانافى الكفن فروى أنه ممن تاب * قال ابن عطية فأعرضوا عنهم أمر بانتهارهم وعقوبتهم بالاعراض والوصم بالنفاق وهذا مع اجمال لامع تعيين مصرح من الله ولا من رسوله بل كان لكل واحد منهم ميدان المقالة مبسوطة وقوله رجس أي نتن وقدر وناهيك بهذا الوصف محطة دينوية ثم عطف لمحطة الآخرة ومن حديث كعب بن مالك أنهم جاءوا يعتذرون ويخلفون لما قدم المدينة وكانوا بضعة وثمانين فقبل منهم علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم ووكّل سرائرهم الى الله ﴿ يخلفون لكم لترضوا عنهم فان رضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين ﴾ قال مقاتل نزلت في عبد الله بن أبي حلف بالله الذي لا اله الا هو لا يتخلف عنه بعدها

وان سبب الخلف هو طلبهم ان تعرضوا عنهم فلا تلوموهم ولا تؤنبوهم فأعرضوا عنهم أي فأجيبوهم الى طلبتهم وعلل الاعراض عنهم بأنهم رجس أي مستقذرون بما انطووا وعليه من النفاق فتجب مباحبتهم واجتنابهم كما قال رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه ﴿ يخلفون لكم لترضوا عنهم ﴾ الآية قال مقاتل نزلت في عبد الله بن أبي حلف بالله الذي لا اله الا هو لا يتخلف عنه بعدها وحلف ابن أبي سرح ليكونن معه على عدوه وطلب من الرسول صلى الله عليه وسلم أن يرضى عنه فنزلت وهنا حذف المخوف به وفي قوله سيخلفون بالله أثبت كقوله تعالى اذ أقسموا ليصر منها وقوله وأقسموا بالله فلأفرق بين اثباته وحذفه في انعقاد ذلك عينا وغرضهم في الخلف رضا الرسول عليه السلام والمؤمنين عنهم لنفعهم في دنياهم لان مقصدهم وجه الله والبر اذ هي ايمان كاذبة وأعداء مختلفة لا حقيقة لها وفي الآية قبلها لما ذكر حلفهم لاجل الاعراض

الحلف لاجل الرضا فابرز
 الهى عن الرضا في صورة
 شرطية لأن الرضا من
 الأمور القلبية التي تخفى
 وخرج مخرج المتردد فيه
 وجعل جوابه انتفاء رضا
 الله عنهم فصار رضا المؤمنين
 عنهم أبعدي في الوقوع
 لأنه معلوم منهم لأنهم
 لا يرضون عن لا يرضى الله
 عنهم ونص على الوصف
 الموجب لانتفاء الرضا
 وهو الفسق وجاء اللفظ
 عاما فيحتمل أن يراد به
 الخصوص كأنه قيل فإن
 الله لا يرضى عنهم ويحتمل
 بقاؤه على العموم
 فيندرجون فيه ويكونون
 أولى بالدخول إذا العام إذا
 نزل على سبب مخصوص
 لا يمكن اخراج ذلك السبب
 من العموم بتخصيص ولا
 غيره * الأعراب أشد
 كفر وانفاقا الآية نزلت
 في أعراب من أسد
 وتيم وغطفان وأجدر
 أحق ألا يعموا أى
 بأن لا يعموا والحدود هنا
 الفرائض * ومن
 الأعراب من يتخذ ما ينفق
 مغرما * الآية نزلت في
 أعراب من أسد وغطفان
 وتيم وكانوا يتخذون
 ما يؤخذ منهم من الصدقات
 مغرما والمغرم الغرم

وحلف بن أبي سرح لتكون معه على عهده وطلب من الرسول أن يرضى عنه فنزلت وهنا حنف
 المحالوف به وفي قوله سيحلفون بالله أثبت كقوله اذ أقسموا ليصر منها وقوله وأقسموا بالله فلا فرق
 بين حنيفة وإثباته في انعقاد ذلك يميناً وغرضهم في الحلف رضا الرسول والمؤمنين عنهم لنفعهم في
 دنياهم لا أن مقصدهم وجه الله تعالى والمراد هي أيمان كاذبة وأعداء مختلقة لا حقيقة لها وفي الآية
 قبلها لما ذكر حلفهم لأجل الاعراض جاء الأمر بالاعراض نصا لأن الاعراض من الأمور التي
 تظهر للناس وهما ذكر الحلف لأجل الرضا فأبرز النهى عن الرضا في صورة شرطية لأن الرضا
 من الأمور القلبية التي تخفى وخرج مخرج المتردد فيه وجعل جوابه انتفاء رضا الله عنهم فصار
 رضا المؤمنين عنهم أبعدي في الوقوع لأنه معلوم منهم أنهم لا يرضون عن لا يرضى الله عنهم ونص
 على الوصف الموجب لانتفاء الرضا وهو الفسق وجاء اللفظ عاما فيحتمل أن يراد به الخصوص كأنه
 قيل فإن الله لا يرضى عنهم ويحتمل بقاؤه على العموم فيندرجون فيه ويكونون أولى بالدخول إذا
 العام إذا نزل على سبب مخصوص لا يمكن اخراج ذلك السبب من العموم بتخصيص ولا
 غيره * الأعراب أشد كفر وانفاقا وأجدر أن لا يعموا أحد ودما أنزل الله على رسوله والله أعلم
 حكيم * نزلت في أعراب من أسد وتيم وغطفان ومن أعراب حاضري المدينة أى أشد كفر من
 أهل الحضر وإذا كان الكفر متعلقا بالقلب فقط فالتمديد أشد أسباب كفر وإذا دخلت فيه
 أعمال الجوارح تحققت فيه الشدة وكانوا أشد كفر وانفاقا لتوحشهم واستيلاء الهواء الحار
 عليهم فيزيدي في تهمهم ونحوتهم ونفرهم وطيشهم وتربيتهم بلا سائس ولا مؤدب ولا ضابط فنشأوا
 كما شاؤوا البعد عن مشاهدة العلماء ومعرفة كتاب الله وسنة رسول الله ولبعدهم عن مهبط الوحي
 كانوا أطلق لسانا بالكفر والنفاق من منافق المدينة إذا كان هؤلاء يستولى عليهم الخوف من
 المؤمنين فكان كفرهم سرا ولا يتظاهرون به إلا نغريضا وأجدر أن لا يعموا أى بأن
 لا يعموا والحدود هنا الفرائض * وقيل الوعيد على مخالفة الرسول والتأخر عن الجهاد * وقيل
 مقادير التكليف والأحكام * وقال قتادة أقل علماء المسلمين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن
 الجفاء والقسوة في الغدادين والله أعلم يعلم كل أحد من أهل الوبر والمدر حكيم فيما يصيب به مسيئتهم
 ومحسنهم من ثواب وعقاب * ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق مغرما ويربص بكم الدوائر عليهم
 دائرة السوء والله سميع عليم * نزلت في أعراب أسد وغطفان وتيم كانوا يتخذون ما يؤخذ منهم
 من الصدقات * وقيل من الزكاة ولذلك قل بعضهم ما هي الجزية أو قرينة من الجزية * وقيل كل
 نفقة لا تهواها أنفسهم وهي مطلوب بشرعها وهو ما ينفق الرجل وليس يلزمه لأنه لا ينفق الا نفقة من
 المسامين ورياء لا لوجه الله تعالى وابتغاء المثلو بدعده فعل هذا المغرم الزام لا يلزم * وقيل المغرم
 الغرم والخسر وهو قول ابن قتيبة وقريب من الذي قبله * وقيل ابن فارس المغرم مالزم أصحابه
 والغرام اللازم ومنه الغريم للزومه والحاحه والتربص الانتظار والدوائر هي المصائب التي لا مخلص
 منها تحيط به كما تحيط الدائرة * وقيل تربص الدوائر هنا موت الرسول صلى الله عليه وسلم وظهور
 الشرك * وقال الشاعر

تربص بهاريب المنون لعلها * تطلق يوما أو يموت حليلها

وتربص الدوائر ليخلصوا من إعياء النفقة وقوله عليهم دائرة السوء دعا معترض دعاء عليهم بنسبة
 ما أخبر به عنهم كقوله وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم والدعاء من الله هو بمعنى انجاب الشئ

لأنه تعالى لا يدعو على مخلوقاته وهي في قبضته * وقال الكرماني عليهم تدور المصائب والحروب التي يتوقعونها على المسامين وهنا وعد للمسامين وإخبار * وقيل دعاء أي قولوا عليهم دائرة السوء أي المكر ودو حقيقة الدائرة ما تدور به الأيام * وقيل يدور به الفلك في سيره والدوائر انقلاب النعمة الى ضدها وفي الحجة يجوز أن تكون الدائرة مصدرا كالعاقبة ويجوز أن تكون صفة * وقرأ ابن كثير وأبو عمر والسوء هنا وفي سورة الفتح ثانية بالضم وباقي السبعة بالفتح فالفتح مصدر * قال الفراء سوائه سوا أو مساءة وسوائية والضم الاسم وهو الشر والعذاب والفتح ذم الدائرة وهو من باب إضافة الموصوف الى صفته وصفت الدائرة بالمصدر كما قالوا رجل سوء في نقيض رجل صدق يعنون في هذا الصلاح لا صدق اللسان وفي ذلك الفساد ومنه ما كان أبوك أمرا سوء أي أمرا فاسدا * وقال المبرد السوء بالفتح الرداء ولا يجوز ضم السمين في رجل سوء قاله أكثرهم وقد حكى بالضم وقال الشاعر

و كنت كذيب السوء لما رأى دما * بصاحبه يوما أحال على الدم

والله سمع لأقوالهم عليهم بنياتهم * ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول الا انها قر به لهم سيدخلهم الله في رحمته ان الله غفور رحيم * نزلت في بنى مقرن من مزينة قاله مجاهد * وقال عبد الرحمن بن مغفل بن مقرن كئنا عشرة ولدمقرن فنزلت ومن الاعراب من يؤمن الآية يريد الستة والسبعة الاخوة على الخلاف في عددهم وبنهم * وقال الصحاح في عبد الله ذي النجاد بن ورهطه * وقال الكافي في أسلم وغفار وجهينة ولما ذكر تعالى من يتخذ ما ينفق مغرما ذكر مقابله وهو من يتخذ ما ينفق مغرما وذكر هنا الاصل الذي يترتب عليه انفاق المال في القربات وهو الايمان بالله واليوم الآخر إذ جزاء ما ينفق انما يظهر ثوابه الدائم في الآخرة وفي قصة أولئك اكتفى بذكر نتيجة الكفر وعدم الايمان وهو اتخاذ ما ينفق مغرما وتر بصره بالمؤمنين الدوائر والأجود تعميم القربات من جهاد وصدقة والمعنى يتخذ سبب وصل عند الله وأدعية الرسول وكان يدعو للمتصدقين بالخير والبركة ويستغفر لهم كقوله صلى الله عليه وسلم اللهم صل على آل أبي أوفى وقال تعالى وصل عليهم والظاهر عطف وصلوات على قربات * قال ابن عطية ويحتمل أن يكون وصلوات الرسول عطفا على ما ينفق أي ويتخذ بالأعمال الصالحة وصلوات الرسول قربة * قال ابن عباس صلوات الرسول هي استغفارهم * وقال قتادة أدعيته بالخير والبركة سماها صلوات جريا على الحقيقة اللغوية أولأن الدعاء فيها وحين جاء ابن أبي أوفى بصدفته قال آجر الله فيما أعطيت وجعله لك طهورا والضمير في أنها قيل عائدا على الصلوات * وقيل عائدا على النفقات وتحرر هذا القول انه عائدا على ما على معناها والمعنى قربة لهم عند الله وهذه شهادة من الله للمتصدق بصحة ما اعتقد من كون نفقته قربات وصلوات وتصدق رجائه على طريق الاستئناس مع حرف التنبيه وهو الأوحرف التوكيد وهو ان * قال الزمخشري وما في السمين من تحقيق الوعد وما أدل هذا الكلام على رضا الله تعالى عن المتصدقين وان الصدقة منه تعالى بما كان اذا خلصت النية من صاحبها انتهى وتقدم الكلام معه في دعواه ان السمين تفيد تحقيق الوعد * وقرأ ورش قربة بضم الراء وباقي السبعة بالسكون وهما الغتان ولم يختلفوا في قربات انه بالضم فان كان جمع قربة فجاء الضم على الاصل في الوضع وان كان جمع قربة بالسكون فجاء الضم اتباعا لما قبله كما قالوا طهات في جمع ظلمة * والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم

والخمس * ومن الاعراب ومن يؤمن بالله اليوم الآخر * الآية نزلت في بنى مقرن من مزينة قاله مجاهد ولما ذكر تعالى من يتخذ ما ينفق مغرما ذكر مقابله وهو من يتخذ ما ينفق مغرما وذكر هنا الاصل الذي يترتب عليه انفاق المال في القربات وهو الايمان بالله واليوم الآخر إذ جزاء ما ينفق انما يظهر ثوابه الدائم في الآخرة وفي قصة أولئك اكتفى بذكر نتيجة الكفر وعدم الايمان وهو اتخاذ ما ينفق مغرما وتر بصره بالمؤمنين الدوائر والأجود تعميم القربات من جهاد وصدقة والمعنى يتخذ سبب وصل عند الله وأدعية الرسول وكان يدعو للمتصدقين بالخير والبركة ويستغفر لهم كقوله صلى الله عليه وسلم اللهم صل على آل أبي أوفى وقال تعالى وصل عليهم والظاهر عطف وصلوات على قربات * قال ابن عطية ويحتمل أن يكون وصلوات الرسول عطفا على ما ينفق أي ويتخذ بالأعمال الصالحة وصلوات الرسول قربة * قال ابن عباس صلوات الرسول هي استغفارهم * وقال قتادة أدعيته بالخير والبركة سماها صلوات جريا على الحقيقة اللغوية أولأن الدعاء فيها وحين جاء ابن أبي أوفى بصدفته قال آجر الله فيما أعطيت وجعله لك طهورا والضمير في أنها قيل عائدا على الصلوات * وقيل عائدا على النفقات وتحرر هذا القول انه عائدا على ما على معناها والمعنى قربة لهم عند الله وهذه شهادة من الله للمتصدق بصحة ما اعتقد من كون نفقته قربات وصلوات وتصدق رجائه على طريق الاستئناس مع حرف التنبيه وهو الأوحرف التوكيد وهو ان * قال الزمخشري وما في السمين من تحقيق الوعد وما أدل هذا الكلام على رضا الله تعالى عن المتصدقين وان الصدقة منه تعالى بما كان اذا خلصت النية من صاحبها انتهى وتقدم الكلام معه في دعواه ان السمين تفيد تحقيق الوعد * وقرأ ورش قربة بضم الراء وباقي السبعة بالسكون وهما الغتان ولم يختلفوا في قربات انه بالضم فان كان جمع قربة فجاء الضم على الاصل في الوضع وان كان جمع قربة بالسكون فجاء الضم اتباعا لما قبله كما قالوا طهات في جمع ظلمة * والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم

* ومن حولكم من
 الاعراب * ذكر فيها
 أن منافقين حولكم من
 الاعراب وفي المدينة
 لا تعلمونهم أي لا تعلمون
 أعيانهم أولا تعلمونهم
 منافقين ومعنى حولكم
 حول بلدكم وهي المدينة
 والذين كانوا حول المدينة
 جهينة وأشجع وغفار ومزينة
 وعصية ولحيان وغيرهم
 ممن جاؤا المدينة * ومن
 أهل المدينة * معطوف
 على ممن حولكم فاشتركا
 في النفاق ويكون
 مردوا اخبارا عن
 الصنفين ويجوز أن يكون
 ومن أهل المدينة استئناف
 خبر لمبتدأ محذوف تقديره
 قوم مردوا ويجوز حذف
 هذا المبتدأ الموصوف
 بالفعل كقولهم مناظمن
 ومنا أقام يريدون منا
 جمع ظمن ومناجع أقام
 ويكون الموصوف بالتمرد
 منافقوا المدينة قال الزحشر
 كقوله أنا ابن جلا انتهى
 أن كان شبهه في مطلق
 حذف الموصوف بحسن
 وإن كان شبهه في خصوصيته
 فليس بحسن لأن حذف
 الموصوف مع من وإقامة
 صفته مقامه وهي في تقدير
 الاسم ولا سيما في التفصيل
 منقاس كقولهم مناظمن

ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم * قال أبو موسى
 الأشعري وابن المسيب وابن سيرين وقتادة السابقون الأولون من صلى إلى القبلتين * وقال عطاء
 من شهد بدرًا قال وحولت القبلة قبل بدر بشهرين * وقال الشعبي من أدرك بيعة الرضوان بيعة
 الحديبية ما بين المهجرتين ومن فسر السابقين بواحد كأبي بكر أو علي أو زيد بن حارثة أو خديجة
 بنت خويلد فقله بعيد من لفظ الجمع وإنما يناسب ذلك في أول من أسلم والظاهر أن السابق هو إلى
 الإسلام والایمان * وقال ابن جرير السابقون بالموت أو بالشهادة من المهاجرين والانصار سبقوا
 إلى ثواب الله وحسن جزائهم ومن المهاجرين والانصار أي ومن الانصار وهم أهل بيعة العقبة أولا
 وكانوا سبعة نفر وأهل العقبة الثانية وكانوا سبعين والذين آمنوا حين قدم عليهم أبو زرارة مصعب
 ابن عمير فعلمهم القرآن * قال ابن عطية ولو قال قائل إن السابقين الأولين هم جميع من هاجر إلى
 أن انقضت الهجرة لكان قولاً لا يمتضيه اللفظ وتكون من لبيان الجنس والذين اتبعوهم باحسان
 هم سائر الصحابة ويدخل في هذا اللفظ التابعون وسائر الامة لكن بشرط الاحسان وقد لزم هذا
 الاسم الذي هو التابعون من رأى من رأى النبي صلى الله عليه وسلم * وقال أبو عبد الله الرازي
 الصحيح عندي أنهم السابقون في الهجرة والنصرة لأن في لفظ السابقين اجالا وصفهم
 بالمهاجرين والانصار يوجب صرف ذلك إلى ما انصف به وهي الهجرة والنصرة والسبق إلى الهجرة
 صفة عظيمة من حيث كونها ساقاة على النفس ومخالفة للطبع فمن أقدم أولا صار قدوة لغيره
 فيها وكذلك سبق في النصره فاز وابتدأ عظيم انتهى ملخصا وما بين تعالى فضائل الاعراب
 المؤمنين المتصدقين وما أعد لهم من النعيم بين حال هؤلاء السابقين وما أعد لهم وشتان ما بين
 الاعداد والثناءين هناك قال ألا انها أقرب به لهم وهنارضى الله عنهم وهناك سيدخلهم الله في رحمته
 وهنوا أعد لهم جنات تجري وهناك ختم الله غفور رحيم وهذا ذلك الفوز العظيم * وقرأ عمر بن
 الخطاب والحسن وقتادة وعيسى السكوني وسلام وسعيد بن أبي سعيد وطلحة ويعقوب والانصار
 برفع الراء عطفًا على والسابقون فيكون الانصار جميعهم من بدر جين في هذا اللفظ وعلى قراءة
 الجمهور وهي الجر يكونون قسمين سابق أول وغير أول ويكون الخبر عنهم بالرضا سابقوهم والذين
 اتبعوهم الضمير في القراءتين عائد على المهاجرين والانصار والظاهر أن السابقون مبتدأ ورضى
 الله الخبر وجوز وافي الخبر أن يكون الأولون أي هم الأولون من المهاجرين وجوز وافي قوله
 والسابقون أن يكون معطوفا على قوله من يؤمن أي ومنهم السابقون وجوز وافي والانصار أن
 يكون مبتدأ وفي قراءة الرفع خبره رضى الله عنهم وذلك على وجهين والسابقون وجه العطف ووجه
 أن لا يكون الخبر رضى الله وهذه أعراب متكافئة لا تناسب أعراب القرآن * وقرأ ابن كثير من تحتها
 بآيات من الجارة وهي ثابتة في مصاحف مكه وباقي السبعة باسقاطها على ما رسم في مصاحفهم وعن
 عمر أنه كان يرى والذين اتبعوهم باحسان بغير واوصفة للانصار حتى قال له زيد بن ثابت انها بالواو
 فقال اثنوني بأبي فقال تصديق ذلك في كتاب الله في أول الجمعة وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وأوسط
 الحشر والذين جاؤا من بعدهم وآخر الأنفال والذين آمنوا من بعد * وروى أنه سمع رجلا يقرؤه
 بالواو فقال من أقرأك فقال أبي فدعا فقال أقرأني رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن ثم قال عمر لقد
 كتبت أنا ووقعنا وقعة لا يبلغها أحد بعدنا * ومن حولكم من الاعراب منافقون ومن أهل المدينة

ومنا أقام وأما أنا ابن جلا فضرورة شعر كقوله (٩٣) * يرى بكفى كان من أرمى البشر * أى بكفى رجل وكذلك أنا

ابن جلا تقديره أنا ابن رجل جلا أى كشف الأمور وبينها وفي قوله * نحن نعلمهم * تهديد وترتب عليه الوعيد بقوله * سنعذبهم مرتين * والظاهر ارادة التثنية ويحتمل أن يكون لا يراد بها شفع الواحد بل يكون المعنى على التكثير كقوله تعالى ثم ارجع البصر كرتين أى كرة بعد كرة كذلك يكون معنى سنعذبهم مرتين أى مرة بعد مرة

(الدر)

(ح) و يجوز أن يكون من عطف الجمل ويقدر موصوف محذوف هو المبتدأ أى ومن أهل المدينة قوم مردوا أو منافقون مردوا (ش) كقوله أنا ابن جلا انتهى (ح) ان كان شبهه في مطلق حذف الموصوف فحسن وان كان شبهه في خصوصيته فليس بجيد لان حذف الموصوف مع من واقامة صفته مقامه وهى في تقدير الاسم ولا سيما في التفصيل منقاس كقولهم مناظعن ومنا أقام وأما أنا ابن جلا فضرورة شعر كقوله

مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون الى عذاب عظيم * لما شرح أحوال منافق المدينة ثم أحوال منافق الاعراب ثم بين أن في الاعراب من هو مخلص صالح ثم بين رؤساء المؤمنين من هم ذكروا في هذه الآية أن منافقين حولكم من الاعراب وفي المدينة لا تعلمونهم أى لا تعلمون أعيانهم أو لا تعلمونهم منافقين ومعنى حولكم حول بلدكم وهى المدينة والذين كانوا حول المدينة جهينة وأسلم وأشجع وغفار ومزينة وعصية ولحيان وغيرهم ممن جاوز المدينة ومن أهل المدينة يجوز أن يكون من عطف المفردات فيكون معطوفا على من في قوله ومن فيكون المجزوء ان يشتر كان في المبتدأ الذى هو منافقون ويكون مردوا استثناءا أخبر عنهم انهم خرجون في النفاق وبعدها أن يكون مردوا صفة للمبتدأ الذى هو منافقون لأجل الفصل بين الصفة والموصوف بالمعطوف على ومن حولكم فيصير نظير في الدار زيد وفي القصر العاقل وقد أجاز الزمخشري تابع للزجاج ويجوز أن يكون من عطف الجمل ويقدر موصوف محذوف هو المبتدأ أى ومن أهل المدينة قوم مردوا أو منافقون مردوا * قال الزمخشري كقوله * أنا ابن جلا * انتهى فان كان شبهه في مطلق حذف الموصوف وان كان شبهه في خصوصيته فليس بحسن لان حذف الموصوف مع من واقامة صفته مقامه وهى في تقدير الاسم ولا سيما في التفصيل منقاس كقولهم مناظعن ومنا أقام وأما أنا ابن جلا فضرورة شعر كقوله

* يرى بكفى كان من أرمى البشر * أى بكفى رجل وكذلك أنا ابن جلا تقديره أنا ابن رجل جلا أى كشف الأمور وبينها وعلى الوجه الأول يكون مردوا شاملا للنوعين وعلى الوجه الثانى يكون مختصا بأهل المدينة وتقدم شرح مردوا في قوله شيطانا يريد العنه الله * وقال هنا ابن عباس مردوا من نوا وثبتوا * وقال أبو عبيدة عتوا من قولهم تمرد * وقال ابن زيد أقاموا عليه لم يتوبوا لا تعلمهم أى حتى نعلمهم أو لا تعلم عواقب أمرهم حكاه ابن الجوزى أو لا تعلمهم منافقين لان النفاق مختص بالقلب وتقدم لفظ منافقين فدل على المحذوف فتعدت الى اثنين قاله الكرماني * وقال الزمخشري يخفون عليك مع فطنتك وشهامتك وصدق فراستك لفرط توقيهم ما يشكك في أمرهم وأسند الطبري عن قتادة في قوله لا تعلمهم نحن نعلمهم قال شبال أقوام يتكفون علم الناس فلان في الجنة فلان في النار فاذا سألت أحدهم عن نفسه قال لأدرى أنت لعمرى بنفسك أعلم منك بأعمال الناس ولقد تكلفت شيئا ما تكلفه الرسل * قال نبي الله نوح وما علمى بما كانوا يعملون * وقال نبي الله شعيب بقيت الله خير لكم ان كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ * وقال الله تعالى انبيه لا تعلمهم نحن نعلمهم انتهى فلو عاش قتادة الى هذا العصر الذى هو قرن ثمانمائة وسمع ما حدث هؤلاء المنسوبون الى الصوف من الدعاوى والكلام المبهرج الذى لا يرجع الى كتاب الله والى سنة رسوله صلى الله عليه وسلم والتجربى على الاخبار الكاذب عن الغيبات لقضى من ذلك العجب وما كنت أظن ان مثل ما حكى قتادة يقع في ذلك الزمان لقر به من الصحابة وكثرة الخير لكن شياطين الانس يبعد أن يخلو منهم زمان * نحن نعلمهم * قال الزمخشري نطلع على سرهم لانهم يبطنون الكفر في سويداء قلوبهم باطنا ويبرزون لك ظاهرا كظاهر المخلصين من المؤمنين لا تشك معهم في إيمانهم وذلك انهم مردوا على النفاق وضرروا به ولم فيه اليد الطولى انتهى وفي قوله نحن نعلمهم تهديد وترتب عليه بقوله سنعذبهم مرتين والظاهر ارادة التثنية

* يرى بكفى كان من أرمى البشر * أى بكفى رجل وكذلك أنا ابن جلا تقديره أنا ابن رجل جلا أى كشف الأمور وبينها

ويحتمل أن يكون لا يراد بهما شفع الواحد بل يكون المعنى على التكثير كقوله ثم ارجع البصر
 كرتين أي كرة بعد كرة كذلك يكون معنى هذا سنعذبهم مرة بعد مرة وإذا كانت التثنية مرادة
 فأكثر الناس على أن العذاب الثاني هو عذاب القبر وأما المرة الأولى فقال ابن عباس في الأشهر
 عنه هو فضيحتهم ووصمهم بالنفاق وروى في هذا التأويل أنه عليه السلام خطب يوم الجمعة بدر
 فندب بالمتنافقين وصرح وقال اخرج يا فلان من المسجد فانك منافق واخرج أنت يا فلان واخرج
 أنت يا فلان حتى أخرج جماعة منهم فراحهم عمر بن الخطاب من المسجد وهو مقبل إلى الجمعة فظن
 أن الناس انتشروا وأن الجمعة فاتته فاخفى منهم حياء ثم وصل المسجد فرأى أن الصلاة لم تقض
 وفيهم الأمر * قال ابن عطية وفعله صلى الله عليه وسلم على جهة التأديب اجتهاد منه فيهم ولم يسلمهم
 ذلك من الإسلام وإنما هو كما يخرج العصاة والمثمون ولا عذاب أعظم من هذا وكان رسول الله صلى
 الله عليه وسلم كثير ما يتكلم فيهم على الأجل دون تعيين فهذا أيضا من العذاب انتهى وبعده ما قال
 ابن عطية لأنه نص على نفاق من أخرج بعينه فليس من باب إخراج العصاة بل هؤلاء كفار عنده وأن
 أظهر والإسلام * وقال قتادة وغيره العذاب الأول علل وأدواء أخبر الله نبيه أنه سيصيبهم بها وروى
 أنه أسر إلى حذيفة بأني عشر منهم وقال ستة منهم تكفهم الديلة سراج من نار جهنم تأخذ في
 كتف أحدهم حتى تقضى إلى صدره وستة يموتون موتا * وقال مجاهد هو عذابهم بالقتل والجوع
 * قيل وهذا بعيد لأن منهم من لم يصبه هذا * وقال ابن عباس أيضا هو أنهم بأقامة حدود الشرع
 عليهم مع كراهيتهم فيه * وقال ابن إسحق هو همهم بظهور الإسلام وعلو كلمته * وقيل ضرب
 الملائكة وجوههم وأدبارهم عند قبض أرواحهم * وقال الحسن الأول ما يؤخذ من أموالهم قهرا
 والثاني الجهاد الذي يؤمرون به قسرا لأنهم يرون ذلك عذابا * وقال ابن زيد مرتين هما عذاب
 الدنيا بالألأوال والأولاد كل صنف عذاب فهو مرتان وقرأ فلا تعجبك الآية * وقيل إحراق
 مسجد الضرار والآخرة إحراقهم بنار جهنم ولا خلاف أن قوله إلى عذاب عظيم هو عذاب الآخرة
 وفي مصنف أنس سيعذبهم بالياء وسكن عياش عن أبي عمر والياء * وآخر من اعترفوا بذنوبهم
 خاطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم أن الله غفور رحيم * نزلت في عشرة رهط
 تخلفوا عن نزول تبوك فقاموا بالرسول صلى الله عليه وسلم من المدينة أو ثقب سبعة منهم * وقيل
 كانوا ثمانية منهم كرم ومرداس وأبو قيس وأبولباب * وقيل سبعة * وقيل ستة أو ثقب ثلاثة
 منهم أنفسهم بسوارى المسجد فيهم أبولباب * وقيل كانوا خمسة * وقيل ثلاثة أبولباب بن
 عبد المنذر وأوس بن ثعلبة ووديعة بن خندام الأنصاري * وقيل نزلت في أبي لبابة وحده وبعده
 ذلك من لفظ وآخر من لأنه جمع فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد حين قدم فصلى فيه
 ركعتين وكانت عادته كلما قدم من سفر فراحهم موثقين فسأل عنهم فذكروا أنهم أقسموا لا يحلون
 أنفسهم حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يعلمهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 وأنا أقسم أن لا أحلهم حتى أومر فيهم برغبوا عني وتخلفوا عن الغزومع المسامحة فنزلت فأطلقهم
 وعذرهم * وقال مجاهد نزلت في أبي لبابة في شأنه مع بني قريظة حين استشاروه في النزول على حكم
 الله ورسوله فأشاروا لهم إلى حلقه يريد أن الرسول صلى الله عليه وسلم يذبحهم أن نزلوا فاما افتضح
 تاب وندم ووربط نفسه في سارية في المسجد وأقسم أن لا يطعم ولا يشرب حتى يعفو الله عنه أو يموت
 فكثرت كذلك حتى عفا الله عنه والاعتراض الإقرار بالذنب عملا صالحا توبة وندما وآخر سيئا

وآخرون اعترفوا
 بذنوبهم * الآية نزلت
 في جماعة من الصحابة
 أو ثقب ثلاثة منهم أنفسهم
 بسوارى المسجد فيهم أبو
 لبابة رغبوا عن رسول الله
 صلى الله عليه وسلم
 وتخلفوا عن الغزومع
 المسامحة فنزلت

(الدر)

(ع) وفعله صلى الله عليه
 وسلم هذا بهم على جهة
 التأديب اجتهاد منه فيهم
 ولم يسلمهم ذلك
 من الإسلام وإنما هو كما
 يخرج العصاة والمثمون
 ولا عذاب أعظم من هذا
 وكان رسول الله صلى الله
 عليه وسلم كثيرا ما يتكلم
 فيهم على الأجل دون تعيين
 فهذا أيضا من العذاب
 انتهى (ح) وبعده ما قال
 (ع) لأنه نص على نفاق
 من أخرج بعينه فليس
 من باب إخراج العصاة
 بل هؤلاء كفار عنده وأن
 أظهر والإسلام

أى تخلفا عن هذه الغزاة قاله الطبري أو غروجا إلى الجهاد قبل وتخلفا عن هذه قاله الحسن وغيره
أو توبة وإنما قاله السكبي وعطف أحدهما على الآخر دليل على أن كل واحد منهما مخلوط ومخلوط به
كقولك خلطت الماء واللبن وهو بخلاف خلطت الماء باللبن فليس فيه إلا أن الماء خلط باللبن قال
معناه الزمخشري ومتى خلطت شيئا بشئ صدق على كل واحد منهما أنه مخلوط ومخلوط به من حيث
مدلولية الخلط لأنها أمر نسبي * قال الزمخشري ويجوز أن يكون من قولهم بعث الشاة شاة ودورها
بمعنى شاة بدرهم والاعتراف بالذنب دليل على التوبة فلذلك قيل عسى الله أن يتوب عليهم * قال
ابن عباس عسى من الله واجب انتهى وجاء بلفظ عسى ليكون المؤمن على وجل إذ لفظة عسى
طمع واشفاق فأبرزت التوبة في صورته ثم ختم ذلك بمادل على قبول التوبة وذلك صفة الغفران
والرحمة وهذه الآية وإن نزلت في ناس مخصوصين فهي عامة في الأمة في يوم القيامة * وقال أبو عثمان
ما في القرآن آية أرجى عندي لهذه الأمة من قوله وآخرون اعترفوا بذنوبهم وفي حديث الاسراء
والمعراج من تخرج البيهقي أن الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا أو تابوا أو آثم الرسول صلى الله عليه
وسلم حول إبراهيم وفي أولائهم شيء وانهم خلطت أولائهم بعد اغتسالهم في أنهر ثلاثة وجلسوا إلى
أصحابهم البيض الوجوه * خدمن أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك
سكن لهم والله سميع عليم * الخطاب للرسول والضمير عائدا على الذين خلطوا قالوا يا رسول الله
هذه أموالنا التي خلفتنا عنك فتصدق بها وطهرنا فقال ما أمرت أن آخذ من أموالكم شيئا فنزلت
فيه روى أنه أخذ ثلث أموالهم مراعاة لقوله خدمن أموالهم والذي تظاهرت به أقوال المتأولين ابن
عباس وغيره أنها في هؤلاء المتخلفين وقال جماعة من الفقهاء المراد بهذه الآية الزكاة المفروضة فقوله
على هذا من أموالهم هو جميع الأموال والناس عام يراد به الخصوص في الأموال إذ يخرج عنه
لأموال التي لا زكاة فيها كالرباع والنياب وفي المأخوذ منهم كالعبيد وصدقة مطلق فتصدق بأدنى
شيء وإطلاق ابن عطية على أنه مجمل فيحتاج إلى تفسير ليس بجيد وفي قوله خد دليل على أن الامام هو
الذي يتولى أخذ الصدقات وينظر فيها ومن أموالهم متعلق بخد وتطهرهم وتزكيهم حال من ضمير خد
الفاعل ضمير خد وأجازوا أن يكون من أموالهم في موضع الحال لأنه لو تأخر لكان صفة فلما تقدم
كان حالا وأجازوا أن يكون تطهرهم صفة وأن يكون استئنافا وأن يكون ضمير تطهرهم عائدا على
صدقة ويبعد هذا العطف وتزكيهم فيختلف الضمير إن فاما ما حكى مكي من أن تطهرهم صفة للصدقة
وتزكيهم حال من فاعل خد فقد رد بأن الواو للعطف فيكون التقدير صدقة مطهرة ومزكيا بها وهذا
فاسد المعنى ولو كان بغيره وأجاز انتهى ويصح على تقدير مبتدأ محذوف والواو للحال أي وأنت تزكيهم
لكن هذا التخريج ضعيف لقله نظيره في كلام العرب والتزكية مبالغة في التطهر وزيادة فيه أو
بمعنى الانماء والبركة في المال * وقرأ الحسن تطهرهم من أطهر وأطهر وطهر للتعدية من طهر وصل
عليهم أي ادع لهم أو استغفر لهم أو صل عليهم إذا ماتوا أقوال ومعنى سكن طمأنينة لهم إن الله قبل
صدقتهم قاله ابن عباس أورجة لهم قاله أيضا أوقرة قاله أيضا أو زيادة وقار لهم قاله قتادة أو تنبيت
لقلوبهم قاله أبو عبيدة أو أمن لهم قال

ياجارة الحى إن لا كنت لى سكنا * إذ ليس بعض من الجيران أسكننى

وهذه أقوال متقاربة * وقال أبو عبد الله الرازى إنما كانت صلاته سكنا لهم لأن روحه صلى الله عليه
وسلم كانت روحا قوية مشرقة صافية فاذا دأعاهم وذكرهم بالخير نارت آثار من قوته الروحانية على

* خدمن أموالهم صدقة *
الخطاب لرسول الله صلى الله
عليه وسلم والضمير عائدا على
الذين خلطوا قالوا يا رسول
الله هذه أموالنا التي
خلفتنا عنك فتصدق بها
وطهرنا فقال ما أمرت أن
آخذ من أموالكم شيئا
فنزلت

أرواحهم فأشرفت بهذا السبب أرواحهم وصفت سرأثرهم وانقلبوا من الظلمة إلى النور ومن
 الجسمانية إلى الروحانية * قال الشيخ جمال الدين أبو عبد الله محمد بن سليمان عرف بابن النقيب في
 كتابه التحرير والتحرير كلام الرازي كلام فلسفي يشير فيه إلى أن قوى النفس مؤثرة فعالة وذلك
 غير جائز على طريقة أهل التفسير انتهى * وقال الحسن وقناعة في هؤلاء المعترفين المأخوذ منهم
 الصدقة هم سوى الثلاثة الذين خلفوا * وقرأ الإخوان وحفص أن صلاتك هنا وفي هود صلاتك
 بالتوحيد وبأبي السبعة بالجمع والله سميع باعترافهم عليهم بندا متهم وتوبتهم * ألم يعلموا أن الله هو
 يقبل التوبة عن عباده يأخذ الصدقات وأن الله هو التواب الرحيم * قال الذين لم يتوبوا من
 المتخلفين هؤلاء كانوا بالامس معنا لا يكلمون ولا يجالسون فترأت وفي مصحف أبي وقرأة الحسن
 بخلاف عنه ألم تعلموا بالثناء على الخطاب فاحتمل أن يكون خطابا للمتخلفين الذين قالوا ما هذه الخاصة
 التي يخص بها هؤلاء واحتمل أن يكون على معنى قل لهم يا محمد وأن يكون خطابا على سبيل الالتفات
 من غير اضمار للقول ويكون المراد به التائبين كقرأة الجمهور بالياء وهو تخصيص وتأكيد أن الله
 من شأنه قبول توبة من تاب فكانه قيل أماعه واقبل أن يتاب عليهم وتقبل صدقاتهم أنه تعالى يقبل
 التوبة الصحيحة ويقبل الصدقات الخالصة النية لله * وقيل وجه التخصيص هو أن قبول التوبة
 وأخذ الصدقات إنما هو لله لا لغيره فأقصدوه ووجه ما اليد * قال الزجاج وأخذ الصدقات معناه قبولها
 وقد وردت أحاديث كني فيها عن القبول بأن الصدقة تقع في يد الله تعالى قبل أن تقع في يد السائل
 وإن الصدقة تكون قدر اللقمة فيأخذها الله بيمينه فير بها حتى تكون مثل الجبل * وقال ابن عطية
 المعنى يأمر بها ويشرعها كما تقول أخذ السلطان من الناس كذا إذا جملهم على أدائه وعن بمعنى من
 وكثيرا ما يتوصل في موضع واحد بهذه وهذه تقول لصدقة الأعن غني ومن غني وفعل ذلك فلان
 من أسره ونظره وعن أسره ونظره انتهى * وقيل كلمة من وكلمة عن متقاربان الآن عن تفيد البعد
 * فإذا قيل جلس عن عمن الأمير أفاد أنه جلس في ذلك الجانب ولكن مع ضرب من البعد فيفيدها
 أن التائب يجب أن يعتق في نفسه أنه بعيد عن قبول الله توبته بسبب ذلك الذنب فيحصل له
 انكسار العبد الذي طرده مولاه وبعدد عن حضرته فلفظت عن كالتنبيه على أنه لا بد من حصول
 هذا المعنى للتائب انتهى والذي يظهر من موضوع عن أنها للجائزة فإن قلت أخذت العلم عن زيد
 فمعناه أنه جاوز اليك وإذا قلت من زيد دل على ابتداء الغاية وأنه ابتداء أخذك إياه من زيد وعن أبلغ
 لظهور الانتقال معه ولا يظهر مع من وكانهم لما جاوزت توبتهم عنهم إلى الله أنصف هو تعالى بالتوبة
 عليهم ألا ترى إلى قوله وأن الله هو التواب الرحيم فكل منهما متصف بالتوبة وإن اختلفت جهتا
 النسبة ألا ترى إلى ما روى ومن تقرب إلى شبرا تقرب منه ذراعا ومن تقرب مني ذراعا تقربت
 منه باعاً ومن أتاني بمشيأتيته هرولة * وقال أعملو فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون
 إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون * صيغة أمر ضمنها الوعيد والمعتذرون
 التائبون من المتخلفين هم المخاطبون * وقيل هم المعتذرون الذين لم يتوبوا * وقيل المؤمنون
 والمنافقون فسيرى الله إلى آخرها تقدم شرح نظيره وإذا كان الضمير للمعتذرين الخالطين
 التائبين وهو الظاهر فقد أبرزوا بقوله فسيرى الله عملكم إبراز المنافقين الذين قيل لهم لا تعتذروا
 قد نبأنا الله من أخباركم وسيرى الآية تنقيصا من حالهم وتنفيرا عما وقعوا فيه من التخلف عن
 الرسول وأنهم وإن تابوا ليسوا كالذين جاهدوا معه بأموالهم وأنفسهم لا يرغبون بأنفسهم عن نفسه

﴿ ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ﴾ الآية قال الذين لم يتوبوا من المتخلفين هؤلاء كانوا معنا بالامس لا يكلمون ولا يجالسون فترأت ﴿ وفعل اعملوا ﴾ الآية تقدم تفسير نظيرها

﴿ وآخرون مرجون ﴾ قال ابن عباس وغيره نزلت في الثلاثة الذين تخلفوا قبل التوبة عليهم هلال بن أمية الواقفي ومرارة بن الربيع العامري وكعب بن مالك وقرى، مرجون بالهمز وبغير الهمز ومعناه التأخير ﴿ لا امر الله ﴾ أي لحكمه إمامي عندهم ان أصرر ولم يتوبوا وإما يتوب عليهم ان تابوا ﴿ والذين اتخذوا مسجدا ضرا ﴾ الآية لما ذكر طرائق ذميمة لاصناف المنافقين أقوالا وأفعالا ذكر ان منهم من بالغ في الشر حتى ابنتي مجع للمنافقين يدبرون ماشاؤا فيه من الشر وسوءه مسجدا ولما بنى بنو عمرو ابن عوف مسجدا بقاء وبعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء وصلى فيه حسدهم بنو عثم بن عوف بن عوف وبنو سالم بن عوف وحرصهم أبو عامر الفاسق على بنائه حين نزل الشام هاربا من وقعة حنين فراسلهم في بنائه وقال ابنوا لي مسجدا فاني ذاهب الى قيصر آتي بجند من الروم فاخرج محمدا وأصحابه فبنوه الى مسجدا بقاء وكانوا اثني عشر رجلا من المنافقين حرام بن خالد ومن داره أخرج المسجد وعلبة بن حاطب ومعتب بن قشير وحارثة بن عامر وابناء مجمع وزيد ونبتل بن الحرث وعباد بن حنيف ونجاد ابن عثمان ووديعة بن ثابت وأبو حنيفة الأزهر وبنو جرج بن عمرو (٩٧) ورجل من بني ضبيعة وقالوا الرسول الله

صلى الله عليه وسلم بنينا مسجدا الذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والسانية ونحن نحب أن تصلي لنا فيه وتدعو لنا بالبركة فقال صلى الله عليه وسلم اني على جناح سفر وحال شغل واذا قدمنا صلينا ان شاء الله فيه وكان أماءهم مجمع ابن حارثة وكان غلاما قارئا للقرآن حسن الصوت وهو من حسن اسلامه وولاء عمر إمامة مسجدا بقاء بعد مراجعة ثم بعثه الى الكوفة يعاهم القرآن فاما فقل رسول الله صلى الله عليه وسلم من

﴿ وآخرون مرجون لا امر الله إمامي عندهم وإما يتوب عليهم ﴾ والله عليم حكيم ﴿ قال ابن عباس وعكرمة ومجاهد والضحاك وقتادة وابن اسحق نزلت في الثلاثة الذين خلفوا قبل التوبة عليهم هلال بن أمية الواقفي ومرارة بن الربيع العامري وكعب بن مالك ﴾ وقيل نزلت في المنافقين المعرضين للتوبة مع بنائهم مسجدا صرارا ﴿ وقرأ الحسن وطلحة وأبو جعفر وابن ناصح والاعرج ونافع وحزرة والكسائي وحفص مرجون وترجي بغير همز ﴾ وقرأ باقي السبعة بالهمز وهما العنان لا امر الله أي لحكمه إمامي عندهم ان أصرر ولم يتوبوا وإما يتوب عليهم ان تابوا ﴿ وقال الحسن هم قوم من المنافقين أرجأهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حضرته وقال الأصم يعني المنافقين أرجأهم الله فلم يخبر عنهم بما علم منهم وحذرهم هذه الآية ان لم يتوبوا وإمامنا هذا الموضوع له هو أحد الشيئين أو الأشياء فينجبر مع ذلك أن تكون للشك أو لغيره فهي هنا على أصل موضوعها وهو القدر المشترك الذي هو موجود في سائر ما زعموا أنها وضعت له وضع الاشتراك والله عليم بما يؤول اليه أمرهم حكيم فيما يفعله بهم ﴾ والذين اتخذوا مسجدا ضرا وكفرا وتقر يقابن المؤمنين وإرصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل وليخلفن ان أردنا الا الحسنى والله يشهد انهم لسكاذبون لا تقم فيه أبدا المسجدا أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين ﴿ لما ذكر طرائق ذميمة لاصناف المنافقين أقوالا وأفعالا ذكر أن منهم من بالغ في الشر حتى ابنتي مجع للمنافقين يدبرون فيه ماشاءوا من الشر وسوءه مسجدا ولما بنى بنو عمرو ابن عوف مسجدا بقاء وبعثوا الى الرسول صلى الله عليه وسلم فجاء وصلى فيه ودعاهم حسدهم بنو عثم

(١٣ - تفسير البحر المحيط لابي حيان - خامس) غزوة تبوك نزل بنى أواز بلدينه وبين المدينة تسعة من

نهار ونزل عليه القرآن في شأن مسجدا ضرا فدعا مالك بن الدخشم ومعناه وعاصما بنى عدى وقيل بعث عمار بن ياسر ووحشيا قاتل حزة بهدمه وتحريقه فهدم وحرق بنار في سعف واتخذ كناسة ترمى في الجيف والقمامة وقرى الذين بغيروا ووافقا حتمل أن يكون بدلا من قوله وآخرون مرجون وأن يكون خبرا مبتدأ تقديرهم الذين وأن يكون مبتدأ محذوف الخبر تقديرهم منهم الذين واتخذوا هنا تعدي لواحد كقوله اتخذت بيتا أي علمت بيتا وضرا مفعول من أجله وقوله ان أردنا الا الحسنى هي جملة القسم المحلوف عليها مصدره بان النافية التقدير ما أردنا الا الحسنى كقوله ولئن زلتان أمسكهم ما أي ما أمسكهم ما لا تقم فيه أبدا ﴿ نهاه أن يقوم فيه أبدا لان بنائه كانوا خادعوا الرسول فهم عليه السلام بالشيء معهم واستدعى قيصة لينهض فنزلت لا تقم فيه أبدا وعبر بالقيام عن الصلاة فيه قال ابن عباس وجماعة من الصحابة والتابعين المؤسس على التقوى مسجدا بقاء أسس رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى فيه أيام مقامه بقاء وهي يوم الاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس ﴿ يحبون أن يتطهروا ﴾ في الحديث قال لهم يا عمار رأيت الله أنى عليكم بالطهور فاذا اتفعلون قالوا يا رسول الله انارأينا جيراننا من اليهود يتطهرون بالماء يريدون الاستنجاء بالماء ففعلنا ذلك ففما

بنو غنم بن عوف وبنو سالم بن عوف وحر ضهم أبو عمر والفاسق على بنائه حين نزل الشام هاربا من وقعة حنين فرأسهم في بنائه وقال ابنهوا إلى مسجد قاني ذاهب إلى قيصر آتي بجند من الروم فأخرج محمد وأصحابه فبنوه إلى مسجد قبا وكانوا اثني عشر رجلا من المنافقين خدام بن خالد ومن داره أخرج المسجد وعلبة بن حاطب ومعتب بن قشير وحارثة بن عامر وابناه مجمع وزيد ونبيل بن الحرث وعباد بن حنيف ونجاد بن عثمان ووديع بن ثابت وأبو حنيفة الأزهر وبعزج بن عمرو ورجل من بني ضبيعة وقالوا الرسول صلى الله عليه وسلم بنينا مسجدا الذي العلة والحاجة واليلة المطيرة والساتية ونحن نحب أن تصلي لنا فيه وتدعوا لنا بالبركة فقال صلى الله عليه وسلم اني على جناح سفر وحال شغل واذا قدمنا ان شاء الله صلينا فيه وكان امامهم مجمع بن جارية وكان غلاما قارئاً للقرآن حسن الصوت وهو ممن حسن اسلامه وولاه عمر امامة مسجد قبا بعد من اجتمع ثم بعثه إلى الكوفة يدعوهم القرآن فاما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك نزل بذي أوان بلدينه وبين المدينة ساعة من نهار ونزل عليه القرآن في شأن مسجد الضرار فدعا مالك بن الدخشم ومعنا وعاصم ابني عدي ووقيل بعث عمار بن ياسر ووحشيا قاتل جزرة يهدمه وتحرقه فهدم وحرق بنار في سبعف واتخذ كناسة ترمى فيها الجيف والقمامة * وقال ابن جريح صلاوا فيه الجمعة والسبت والاحد وانهار يوم الاثنين ولم يحرق * وقرأ أهل المدينة نافع وأبو جعفر وشيبة وغيرهم وابن عامر الذين بغير واو كذا هي في مصاحف المدينة والشام فاحتمل أن يكون بدلا من قوله وآخرون من رجون وأن يكون خبر ابتداء تقديره هم الذين وأن يكون مبتدأ * وقال الكسائي الخبر لا تقم فيه أبدا * قال ابن عطية ويتجه باضمار إمامي أول الآية وإمامي آخرها بتقدير لا تقم في مسجدهم * وقال النحاس والحو في الخبر لا يزال بنياهم * وقال المهدوي الخبر محذوف تقديره معذون أو نحوه * وقرأ جمهور القراء والذين بالواو عطفه على وآخرون أي ومنهم الذين اتخذوا ويجوز أن يكون مبتدأ خبره كخبره بغير الواو اذا أعرب مبتدأ * وقال الزمخشري (فان قلت) والذين اتخذوا اما محله من الاعراب (قلت) محله النصب على الاختصاص كقوله تعالى والمقيم الصلاة * وقيل هو مبتدأ وخبره محذوف معناه فممن وصفنا الذين اتخذوا كقوله تعالى والسارق والسارقة وانتضب ضرار اعلى أنه مفعول من أجله أي مضارة لاخوانهم أصحاب مسجد قبا ومعازة وكفر وتقوية للنفاق وتقر يقابن المؤمنين لانهم كانوا يداون مجتمعين في مسجد قبا فيقتص بهم فأرادوا أن يفرقوا عنه ويختلف كلمهم اذ كان من يجاوز مسجدهم يصر فونه اليه وذلك داعية إلى صرفه عن الايمان ويجوز أن ينتصب على أنه مصدر في موضع الحال وأجاز أبو البقاء أن يكون مفعولا ثانيا لاتخذوا وارصادا أي اعدادا لأجل من حارب الله ورسوله وهو أبو عامر الراهب أعذوه له ليصلي فيد ويظهر على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان قد تعبد في الجاهلية فسمى الراهب وسماه الرسول صلى الله عليه وسلم الفاسق وكان سيدا في قومه نظيرا وقرى يامن عبد الله بن أبي بن ساول فاما جاء الله بالاسلام نافق ولم يزل مجاهرا بذلك وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعد محاوراة لأجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله وحزب على رسول الله صلى الله عليه وسلم الأحزاب فاما ردهم الله بغيظهم أقام بمكة مظهرا للعداوة فاما كان الفتح حرب إلى الطائف فاما أسلم أهل الطائف هرب إلى الشام يريد قيصر مستصرا على الرسول فبات وحيدا طريدا غريبا بقسرين وكان قد دعا بذلك على الكافرين وأمن الرسول فكان كما دعا وفيه يقول كعب بن مالك

جاء الاسلام لم ندعه فقال
فلاندعوه اذن وقرى
أسس بنيانه مبنيا للفاعل
وأسس مبنيا للمفعول فيهما
وشفا الشيء حافته وألفه
منقلبة عن واو ولذلك يقال
في تثنيته شفوان والجرف
ما جرف السيل من الأودية
أو الهوة قاله أبو عبيدة ووقيل
الجرف البئر التي لم تطو
وهار أي ساقط يقال هار
يهور وهار يهير واسم
الفاعل هار ف قيل حذفت
الهزة فبقى هار وقيل قلبت
الكامة من هار إلى هاري
فحذفت الياء لاجل
التنوين وصار الاعراب
في الراء قالوا في الرفع هار
وفي النصب هار وفي الجر
هار

معاذ الله من فعل خبيث * كسبيلك في العشرة عبد عمرو
وقلت بان لي شرفاوذ كرا * فقد تابعت ايمانا بكفر

* وقرأ الأعمش وارضاد الذين حاربوا الله ورسوله والظاهر أن من قبل متعلقا بحارب يريد
في غزوة الأحزاب وغيرها أي من قبل اتخذ هذا المسجد * وقال الزمخشري (فان قلت) يتم
قوله تعالى من قبل (قلت) باتخذوا أي اتخذوا مسجدا من قبل أن ينافق هؤلاء بالتخلف انتهى
وليس بظاهر والخالف هو مخرج أي ما أردنا ببناء هذا المسجد الاحسن والتوسع علينا وعلى
من ضعف أو عجز عن المسير الى مسجد قباء * قال الزمخشري ما أردنا ببناء هذا المسجد الا الخصلة
الحسنى أو لارادة الحسنى وهي الصلاة وذكر الله تعالى والتوسع على المصلين انتهى كانه في قوله
الا خصلة الحسنى جعله مفعولا وفي قوله أو لارادة الحسنى جعله عللة وكأنه ضمن أراد معنى قصد أي
ما قصدنا ببنائه لشي من الأشياء الا لارادة الحسنى وهي الصلاة وهذا وجه متكلف فأكد بهم الله
في قولهم ونهاه أن يقوم فيه فقال لا تقم فيه أبدانها لان بنائه كانوا خادعوا الرسول فهم الرسول صلى
الله عليه وسلم بالمشي معهم واستدعى قصه لينض فزلت لا تقم فيه أبدا وعبر بالقيام عن الصلاة فيه
* قال ابن عباس وفرقة من الصحابة والتابعين المؤسس على التقوى مسجد قباء أسس رسول الله
صلى الله عليه وسلم وصلى فيه أيام مقامه بقباء وهي يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس وخرج
يوم الجمعة وهو أولى لان الموازنة بين مسجد قباء ومسجد الضرار أو وقع منها بين مسجد الرسول
ومسجد الضرار وذلك لائق بالقبلة * وعن زيد بن ثابت وأبي سعيد بن عمر أنه مسجد الرسول
وروى انه صلى الله عليه وسلم قال هو مسجدى هذا لما سئل عن المسجد الذى أسس على التقوى
وإذا صح هذا النقل لم يمكن خلافه ومن هنا دخلت على الزمان واستبدل بذلك الكوفيون على
أن من تكون لا ابتداء الغاية في الزمان وتأوله البصريون على حذف مضاف أي من تأسيس أول
يوم لان من مذهبهم انما لا تجر الأزمان وتحقيق ذلك في علم النحو * قال ابن عطية ويحسن عندي
أن يستغنى عن تقدير وان تكون من تجر لفظة أول لانها بمعنى البداية كانه قال من مبتدأ الأيام
وقد حكى لي هذا الذى اخترته عن بعض أئمة النحو انتهى وأحق بمعنى تحقيق وليست أفعل تفضيل
اذ لا اشتراك بين المسجدين في الحق والتاء في أن تقوم تاء خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم * وقرأ
عبد الله بن يزيد فيه بكسر الهاء فيه الثانية بضم الهاء جمع بين اللعين والأصل الضم وفيه رفع توهم
التوكيد ورفع رجال فيقوم اذ فيه الأولى في موضع نصب والثانية في موضع رفع وجوزوا في
فيه رجال أن يكون صفة لمسجد وال حال والاستثناء وفي الحديث قال لهم يا معشر الانصار رأيت
الله أنى عليكم بالطهور فاذنوا ففعلوا قالوا يا رسول الله انا رأينا جيراننا من اليهود يتطهرون بالماء
يريدون الاستنجاء بالماء ففعلنا ذلك فما جاء الاسلام لم ندعه فقال فلا تدعوه اذا وفي بعض الفاظ
هذا الحديث زيادة واختلاف وقد اختلف أهل العلم في الاستنجاء بالحجارة أو بالماء أيهما أفضل
ورأت فرقة الجمع بينهما وشذ ابن حبيب فقال لا يستنجى بالحجارة حيث يوجد الماء فعلى ما روى
في هذا الحديث يكون التطهير عبارة عن استعمال الماء في إزالة النجاسة في الاستنجاء * وقيل
هو عام في النجاسات كلها * وقال الحسن من التطهير من الذنوب بالتوبة * وقيل يحبون أن
يتطهروا بالخمى المكفرة للذنوب فخموا عن آخرهم وفي دلائل النبوة للبيهقي أن أهل قباء شكوا
الحصى فقال ان شئتم دعوت الله فأزالها عنكم وان شئتم جعلها لكم طهرة فقالوا بل اجعلها لنا

طهرة ومعنى محبتهم التطهير انهم يؤثرونه ويحرسون عليه حرص الحب الشيء المشتهى له على أشياء
ومحبة الله ايهاهم انه يحسن اليهم كما يفعل المحب بمحبوبه * وقرأ ابن مصرف والأعمش يطهروا
بالادغام * وقرأ ابن أبي طالب المتطهرين * أفن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير
أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين * قرأ
نافع وابن عامر أسس بنيانه مبنيا للمفعول في الموضعين * وقرأ باقي السبعة وجماعة ذلك مبنيا
للفاعل وبنصب بنيان * وقرأ أعمارة بن عائذ الأولى على بناء الفعل للمفعول والثانية على بناءه للفاعل
وقرأ نصر بن علي ورويت عن نصر بن عاصم أسس بنيانه وعن نصر بن علي وأبي حنيفة ونصر
ابن عاصم أيضا أساس جمع أس وعن نصر بن عاصم أسس بهمزة مفتوحة وسين مضمومة * وقرئ
إساس بالكسر وهي جوع أضيفت الى البنيان * وقرئ أساس بفتح الهمزة وأس بضم الهمزة
وتشديد السين وهما فردان أضيفا الى البنيان فهذه تسع قراءات وفي كتاب اللوامح نصر بن
عاصم أفن أسس بالتخفيف والرفع بنيانه بالجر على الاضافة فأسس مصدر أس الحائط يؤسسه أسا
وأسسا وعن نصر أيضا أساس بنيانه كذلك الا أنه بالالف وأس وأسس كل مصدر انتهى
والبيان مصدر كالغفران أطلق على المبنى كالخلق بمعنى الخلق * وقيل هو جمع واحد بنيانه قال
الشاعر
كبنية القاري موضع رحلها * وآثار نسعها من الدف أبلق

وقرأ عيسى بن عمر على تقوى بالتشديد وحكى هذه القراءة سيوبه ووردها الناس * قال ابن جني
قياسها أن تكون ألفها اللام الحاق كارطى * وقرأ جماعة منهم حمزة وابن عامر وأبو بكر جرف باسكان
الراء وباقي السبعة وجماعة بضمها وهما لغتان * وقيل الاصل الضم وفي مصحف أبي فانهارت به
قواعده في نار جهنم والظاهر أن هذا الكلام فيه تبين حال المسجد من مسجد قباء أو مسجد الرسول
صلى الله عليه وسلم ومسجد الضرار وانتفاء تساويهما والتفريق بينهما وكذلك قال كثير من
المفسرين * وقال جابر بن عبد الله رأيت الدخان يخرج من مسجد الضرار وانهار يوم الاثنين *
وروى سعيد بن جبير أنه اذا رسل الرسول بهداه رؤى منه الدخان يخرج وروى أنه كان الرجل
يدخل فيه سعفة من سعف النخل فيخرجها سوداء محترقة وكان يحفر ذلك الموضع الذي انهار فيخرج
منه دخان * وقيل هذا ضرب مثل أي من أسس بنيانه على الاسلام خير أم من أسس بنيانه على
الشرك والنفاق وبين أن بناء الكافر كبناء على شفا جرف هار ينهار أهله في جهنم * قال ابن عطية
قيل بل ذلك حقيقة وان ذلك المسجد بعينه انهار في نار جهنم قاله قتادة وابن جريج وخير لا شركة
بين الامرين في خير الاعلى معتقد بان مسجد الضرار فبحسب ذلك المعتقد صح التفضيل * وقال
الزمخشري والمعنى أفن أسس بنيان دينه على قاعدة قوية محكمة وهي الحق الذي هو وتقوى الله
تعالى ورسوله خير أم من أسس على قاعدة هي أضعف القواعد وأوهاها وأقلها بقاء وهو الباطل
والنفاق الذي مثله مثل شفا جرف هار في قلة الثبات والاستسالة وضع شفا الجرف في مقابلة
التقوى لاجعل مجازا عن ما ينافي التقوى (فان قلت) فامعنى قوله تعالى فانهار به في نار جهنم
(قلت) لما جعل الجرف الهاجر مجازا عن الباطل قيل فانهار به على معنى فطاح به الباطل في نار جهنم
الا أنه رشح المجاز فجاء بلفظ الانهيار الذي هو للجرف ولتصور أن الباطل كانه أسس بنيانه على
شفا جرف من أودية جهنم فانهار به ذلك الجرف فهو في قعرها ولا ترى أبلغ من هذا الكلام ولا أدل
على حقيقة الباطل وكنهه أمره والفاعل فانهار أي البنيان أو الشفا أو الجرف به أي المؤسس الباني

أو انه ار الشفا أو الجرف به أي بالبنيان ويستلزم انهيار الشفا والبنيان ولا يستلزم انهيار أحدهما
انهياره والله لا يهدي القوم الظالمين إشارة إلى تعديهم ووضع الشيء في غير موضعه حيث بنوا مسجدا
الضرارا إذا المساجد يموت الله يجب أن يخلص فيها القصد والنية لوجه الله وغبادته فبنوه ضرارا
وكفر او تفر يقابن المؤمنين وارصادا لمن حارب الله ورسوله لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في
قلوبهم إلا أن تقطع قلوبهم والله عليم حكيم * يحتمل أن يكون البنيان هنا مصدرا أي لا يزال ذلك
الفعل وهو البنيان ويحتمل أن يراد به المبنى فيكون على حذف مضاف أي لا يزال بناء المبنى * قال
ابن عباس لا يزالون شاكين * وقال حبيب بن أبي ثابت غيظا في قلوبهم أي سبب غيظ * وقيل
كفر في قلوبهم * وقال عطاء نفاقا في قلوبهم * وقال ابن جبير أسفا وندامة * وقال ابن السائب
ومقاتل حسرة وندامة لأنهم ندموا على بنيانه * وقال قتادة في الكلام حذف تقديره لا يزال هدم
بنيانهم الذي بنوا ريبة أي حزازة وغيظا في قلوبهم * وقال ابن عطية الذي بنوا تأكيده وتصريح
بأمر المسجد ورفع الاشكال والريبة الشك وقد يسمى ريبة فساد المعتقد واضطرابه والاعراض
في الشيء والتخبط فيه والحزازة من أجله وان لم يكن شك فقد يراد به من لا يشك ولكن في معتاد
اللغة تجري مع الشك ومعنى الريبة في هذه الآية نعم الحيق واعتقاد صواب فعلهم ونحو هذا مما يؤدى
كله إلى الريبة في الاسلام فقص الكلام لا يزال هذا البنيان الذي هدم لهم بقي في قلوبهم حزازة
وأثر سوء وبالشك فسر ابن عباس الريبة هنا وفسرها السدي بالكفر * وقيل له أفكفر مجمع بن
جارية قال لا ولكنها حزازة * قال ابن عطية ومجمع رحمه الله قد أقسم لعمر أنه ما علم باطن القوم ولا
قصد أو الآية انما عنت من أبطان سوء وليس مجمع منهم ويحتمل أن يكون المعنى لا يزالون مرابين
بسبب بنيانهم الذي اتضح فيه نفاقهم وجملة هذا أن الريبة في الآية نعم معاني كثيرة يأخذ كل منافق
منها بحسب قدره من النفاق * وقال أبو عبد الله الرازي جعل نفس البنيان ريبة لكونه سببا لها
وكونه سببا لها أنه لما أمر بتخریب ما فرحوا ببنيانه نقل ذلك عليهم وازداد بغصهم له وارتبابهم
في نبوته أو اعتقاد عدمه من أجل الجسد فارفع إيمانهم وخافوا الايقاع بهم قتلانها أو بقوا
شاكين أي غفر الله لهم تلك المعصية انتهى وفيه تلخيص * وقرأ ابن عامر وحزرة وحفص إلا أن تقطع
قلوبهم بفتح التاء أي يتقطع وباقي السبعة بالضم مضارع قطع مبنيا للمفعول * وقرئ * يقطع بالتخفيف
* وقرأ الحسن ومجاهد وقتادة ويقوب إلى أن تقطع وأبو حيوة إلى أن تقطع بضم التاء وفتح القاف
وكسر الطاء مشددة ونصب قلوبهم خطا بالرسول أي تقتلهم أو فيه ضمير الريبة وفي مصحف عبد الله
ولو قطعت قلوبهم وكذلك قرأها أصحابه * وحكى أبو عمر وهذه القراءة أن قطعت بتخفيف الطاء
* وقرأ طلحة ولو قطعت قلوبهم خطابا للرسول صلى الله عليه وسلم أو كل مخاطب وفي مصحف أبي
حتى الممات وفيه حتى تقطع فنقرأ بضم التاء وكسر الطاء ونصب القلوب فالمعنى بالقتل وأما على من
قرأه مبنيا للمفعول * فقال ابن عباس وقتادة وابن زيد وغيرهم بالموت أي إلى أن يموتوا * وقال عكرمة
إلى أن يبعث من في القبور * وقال سفيان إلى أن يتوبوا عما فعلوا فيكونون بمنزلة من قطع قلبه *
قال ابن عطية وليس هذا بظاهر إلا أن يتأول أن يتوبوا توبة نوحا يكون معهم من الندم والحسرة
ما يقطع القلوب هما * وقال الزحشر لا يزال يسديه سبب شك ونفاق رائد على شكهم ونفاقهم
لا يزال وسعه في قلوبهم ولا يضمن حل أمره إلا أن تقطع قلوبهم قطعا وتفرق أجزاءه فيمنئذ يسألون عنه
وأما مادامت سليمة مجمعة فالريبة قائمة فيها متمكنة ويجوز أن يراد حقيقة تقطيعها وما هو كائن منه

* لا يزال بنيانهم *
ويحتمل أن يكون
البنيان هنا مصدرا أي
لا يزال ذلك الفعل وهو
البنيان ويحتمل أن يراد به
المبنى فيكون على حذف
مضاف أي لا يزال بناء
المبنى * ريبة أي شكا
يريد سبب ريبة وقرئ
* تقطع * مبنيا للمفعول
وتقطع مبنيا للفاعل وأصله
تقطع وحذفت التاء
الثانية فبقي تقطع

﴿ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم﴾ الآية نزلت في البيعة الثانية وهي بيعة العقبة الكبرى وهي التي أناف فيها رجال الانصار على السبعين وكان أصغرهم سنا عقبة بن عامر وذلك أنهم اجتمعوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عند العقبة فقالوا اشترطك ولربك والمتكلم بذلك عبد الله بن رواحة فاشترط رسول الله حيايته مما يحمونها من أنفسهم واشترط له التزام الشريعة وقتل الاحمر والاسود في الدفع عن الحوزة فقالوا ما لنا على (١٠٢) ذلك فقال صلى الله عليه وسلم الجنة فقالوا نعم ربح البيع

لا تقيل ولا نقائل وفي بعض الروايات ولا نستقبل فنزلت الآية عامة في كل من جاهد في سبيل الله من أمة محمد صلى الله عليه وسلم الى يوم القيامة والظاهر من قوله في التوراة والانجيل والقرآن ان كل أمة أمرت بالجهاد ووعدت عليه بالجنة فيكون بالتوراة متعلقا بقوله اشترى والأمر بالجهاد والقتال موجود في جميع الشرائع ﴿ومن أوفى بعهده من الله﴾ هذا استفهام على جهة التقرير أي لأحد أوفى ولما أكد الوعد بقوله حقا أبرزه في صورة العهد الذي هو آكد وأوثق من الوعد الوعد في غير حق الله تعالى جاز أخلافه والعهد لا يجوز الا الوفاء به اذ هو آكد من الوعد قال الزمخشري ومن أوفى بعهده من الله لان اخلاف الميعاد قبيح لا يقدم عليه الكرام من بقتلهم أوفى القبور أوفى النار * وقيل معناه الآن يتوبوا توبة تنقطع بها قلوبهم ندموا وأسفوا على كفر يطهم والله اعلم بأحوالهم حكيم فيما يجري عليهم من الأحكام أو علم بنياتهم حكيم في عقوباتهم ﴿ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم﴾ بالجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حق في التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشر وابيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم * نزلت في البيعة الثانية وهي بيعة العقبة الكبرى وهي التي أناف فيها رجال الانصار على السبعين وكان أصغرهم سنا عقبة بن عمرو وذلك أنهم اجتمعوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عند العقبة فقالوا اشترط لك ولربك والمتكلم بذلك عبد الله بن رواحة فاشترط صلى الله عليه وسلم حيايته مما يحمونها من أنفسهم واشترط له التزام الشريعة وقتل الاحمر والاسود في الدفع عن الحوزة فقالوا ما لنا على ذلك قال الجنة فقالوا نعم ربح البيع لا تقيل ولا نقائل وفي بعض الروايات ولا نستقبل فنزلت الآية عامة في كل من جاهد في سبيل الله من أمة محمد صلى الله عليه وسلم الى يوم القيامة وعن جابر بن عبد الله نزلت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد فكبوا الناس فأقبل رجل من الانصار ثانيا طرף ركابه على أحد عاتقيه فقال يا رسول الله أنزلت هذه الآية قال نعم فقال بيع ربح لا تقيل ولا نستقبل وفي بعض الروايات فخرج الى الغزو فاستشهد * وقال الحسن لا والله ان في الأرض مؤمن الا وقد أحدث بيعة * وقرأ عمر بن الخطاب والأعمش وأموالهم بالجنة مثل تعالى انابهم بالجنة على بدل أنفسهم وأموالهم في سبيله بالشراء وقدم الانفس على الأموال ابتداء بالاشرف وبما لا عوض له اذا فقد وفي لفظة اشترى لطيفة وهي رغبة المشتري فيما اشتراه واغتمباطه به ولم يأت التركيب ان المؤمنين باعوا والظاهر ان هذا الشراء هو مع المجاهدين * وقال ابن عيينة اشترى منهم أنفسهم أن لا يعاملوها الا في طاعة وأموالهم أن لا ينفقوها الا في سبيل الله فالآية على هذا أعم من القتل في سبيل الله وعلى هذا القول يكون يقاتلون مستأنفا كرا عظم أحوالهم ونبه على أثرهم مقامهم وعلى الظاهر وقول الجمهور يكون يقاتلون في موضع الحال * وقرأ الحسن وقتادة وأبور جاء والعريبيان والخرميان وعاصم أولا على البناء للفاعل وثانيا على البناء للمفعول * وقرأ النخعي وابن وثاب وطلحة والأعمش والاخوان بعكس ذلك والمعنى واحد اذا عرض أن المؤمنين يقاتلون ويؤد خدمتهم من يقتل وفيهم من يقتل وفيهم من يجتمع له الامر وفيهم من لا يقع له واحد منهم ما بل تحصل منهم المقاتلة * وقال الزمخشري يقاتلون فيه معنى الأمر لقوله تعالى تجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم انتهى فعلى هذا لا تكون الجملة في موضع الحال لان ما فيه معنى الأمر لا يقع حالا وانصب وعدا على أنه مصدر مؤن كالمضمر في الجملة لان معنى اشترى

الخلق مع جوارده عليهم لحاجتهم فكيف بالغى الذي لا يجوز عليه قبيح قط ولا ترى ترغيبا في الجهاد أحسن منه وأبلغ انتهى وفيه دسيسة الاعتزال واستعمال قط في غير موضعه لانه أتى به مع قوله لا يجوز عليه قبيح قط وقط ظرف ماض فلا يعمل فيه الا الماضي ثم قال ﴿فاستبشروا﴾ خاطبهم على سبيل الالتفات لان في مواجته تعالى بالخطاب تشریفاهم وهي حكمة الالتفات هنا وليست استفعل هنا للطلب بل هي بمعنى أفعل كاستوقدوا وأوقدوا الذي بايعتم به * وصف على سبيل التوكيد ومحيل على البيع السابق ثم قال ﴿وذلك هو الفوز العظيم﴾ أي الظفر للحصول على الربح التام والغبطة في البيع لحط الذنب ودخول الجنة

﴿التائبون العابدون﴾ قال ابن عباس نزلت ان الله اشترى الآية قال رجل يا رسول الله وان زنا وان سرق وان شرب الخمر فنزلت التائبون الآية وهذه أوصاف الكملة من المؤمنين (١٠٣) ذكرها الله ليستبق الى التحلي بها عباده وليكونوا على أوفى

درجات السكال التائبون قيل هو مبتدأ خبره العابدون وما بعده خبر بعد خبر أى التائبون فى الحقيقة الجامعون لهذه الاوصاف وقيل خبره الآمرون وقيل خبره مخدوف بعد تمام الاوصاف وتقديره من أهل الجنة وترتيب هذه الاوصاف فى غاية من الحسن اذ بدأ أولاً بما يخص الانسان مرتبة على ما ينبغي ثم بما يتعدى من هذه الاوصاف من الانسان لغيره وهو الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ثم بما يشمل ما يخصه فى نفسه وما يتعدى الى غيره وهو الحفظ لحدود الله تعالى ولما ذكر مجموع هذه الاوصاف أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبشر المؤمنين وفى الآية قبلها فاستبشروا أمرهم بالاستبشار فحصلت لهم المزية التامة بأن الله أمرهم بالاستبشار وأمر رسوله أن يبشرهم

(الدر)

(ش) ومن أوفى بعهده

من الله لان اخلاف الميعاد قبيح لا يقدم عليه الكرام من الخلق مع جوازهم لحاجتهم فكيف بالغى الذى لا يجوز عليه قبيح قط ولا ترى ترغيبا فى الجهاد أحسن منه وأبلغ انتهى (ح) فيه دسيسة الاعتزال واستعمال قط فى غير موضع لانه أنى به مع قوله لا يجوز عليه قبيح قط وقط ظرف ماض فلا يعمل فيه الا الماضى

بأن لهم الجنة وعدهم الله الجنة على الجهاد فى سبيله والظاهر من قوله فى التوراة والانجيل والقرآن أن كل أمة أمرت بالجهاد ووعدت عليه بالجنة فيكون فى التوراة متعلقا بقوله اشترى ويحتمل أن يكون متعلقا بتقدير قوله مذ كور او هو صفة فالعامل فيه مخدوف أى وعدها عليه حقا مذ كور فى التوراة فيكون هذا الوعد بالجنة انما هدى هذه الامة قد ذكر فى التوراة والانجيل والقرآن * وقيل الامر بالجهاد والقتال موجود فى جميع الشرائع ومن أوفى استفهام على جهة التقرير أى لأحد ولما أكد الوعد بقوله عليه حقا أبرزه هنا فى صورة العهد الذى هو آكد وأوثق من الوعد اذ الوعد فى غير حق الله تعالى جائز إخلاله والعهد لا يجوز الا الوفاء به اذ هو آكد من الوعد * قال الزمخشري ومن أوفى بعهده من الله لان إخلاف الميعاد قبيح لا يقدم عليه الكرام من الخلق مع جوازهم لحاجتهم فكيف بالغى الذى لا يجوز عليه قبيح قط ولا ترى ترغيبا فى الجهاد أحسن منه وأبلغ انتهى وفيه دسيسة الاعتزال واستعمال قط فى غير موضع لانه أنى به مع قوله لا يجوز عليه قبيح قط وقط ظرف ماض فلا يعمل فيه الا الماضى ثم قال فاستبشروا خاطبهم على سبيل الالتفات لأن فى مواجهته تعالى لهم بالخطاب يشريف لهم وهى حكمة الالتفات هنا وليست استفعل هنا للطلب بل هى بمعنى أفعل كاستوفد وأوقد والذى يابغتهم به وصف على سبيل التوكيد ومحمل على البيع السابق ثم قال وذلك هو الفوز العظيم أى الظفر للحصول على الربح التام والغلبة فى البيع لخط الذنب ودخول الجنة ﴿التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والنهي عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين﴾ قال ابن عباس لما نزل ان الله اشترى من المؤمنين الآية قال رجل يا رسول الله وان زنا وان سرق وان شرب الخمر فنزلت التائبون الآية وهذه أوصاف الكملة من المؤمنين ذكرها الله تعالى ليستبق الى التحلي بها عباده وليكونوا على أوفى درجات السكال وآية ان الله اشترى مستقلة بنفسها لم يشترط فيها شئ سوى الايمان فيندرج فيها كل مؤمن قاتل لتكون كلمة الله هى العليا وان لم تكن فيه هذه الصفات والشهادة ماحية لكل ذنب حتى روى أنه تعالى يحمل عن الشهيد مظالم العباد ويجازيهم عنه وقالت فرقة هذه الصفات شرط فى الجهاد والآيتان مرتبطتان فلا يدخل فى المباشرة الا المؤمنون الذين هم على هذه الأوصاف ويبذلون أنفسهم فى سبيل الله وسأل الضحاك رجل عن قوله تعالى ان الله اشترى الآية وقال لأحسان على المشركين فأقاتل حتى أقتل * فقال الضحاك ويليك أين الشرط التائبون العابدون الآية وهذا القول فيه حرج وتضييق وعلى هذين القولين ترتب اعراب التائبون * فقيل هو مبتدأ خبره مذ كور وهو العابدون وما بعده خبر بعد خبر أى التائبون فى الحقيقة الجامعون لهذه الخصال * وقيل خبره الآمرون * وقيل خبره مخدوف بعد تمام الاوصاف وتقديره من أهل الجنة أيضا وان لم يجاهد قاله الزجاج كما قال تعالى وكلا وعد الله الحسنى ولذلك جاءو بشر المؤمنين وعلى هذه الاعراب تكون الآية معناها منفصل من معنى التى قبلها * وقيل التائبون خبر مبتدأ مخدوف تقديره هم التائبون أى الذين يابغوا الله هم

ما كان للنبي والذين آمنوا الآية نزلت في شأن أبي طالب حين احتضر فوعظه أي عم قل لا اله الا الله كلمة أحاج لك بها عند الله وكان بالحضرة أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية فقالا له يا أبا طالب أرغب عن ملة عبد المطلب فقال أبو طالب يا محمد لولا أني أخاف أن يعير بها ولدي من بعدى لا قررت بها عينك ثم قال أنا على ملة عبد المطلب ومات فزلت انك لا تهدي من أحببت فقال عليه السلام لا تستغفرن لك ما لم أنه عنك كان يستغفر له حتى نزلت هذه (١٠٤) فترك الاستغفار لابي طالب وما كان استغفار

ابراهيم لأبيه الآية ولما كان استغفار ابراهيم لأبيه بصد أن يقتدى به ولذلك قال جماعة من المؤمنين استغفر لموتانا كما استغفر ابراهيم لأبيه بين العلة في استغفار ابراهيم لأبيه وذكر أنه حين اتضحت له عداوته لله تبرأ منه ابراهيم والموعدة التي وعدها ابراهيم اياه هي قوله سأستغفر لك ربي وقوله لا تستغفرن لك والضمير الفاعل في وعدها عائدا على ابراهيم وكان أبوه بقيد الحياة فكان يرجو ايمانه فلما تبين له من جهة الوحي من انه عدو لله وانه يموت كافرا وانقطع رجاءه منه تبرأ منه وقطع عنه استغفاره وبذل على ابن الفاعل في وعده ضمير يعود على ابراهيم قراءة الحسن وابن السميع وأبي نهيك ومعاذ القاري وحامد الروبة وعدها أباه وقيل الفاعل ضمير والد ابراهيم واباه ضمير ابراهيم

التائبون فيكون صفة فقطوعة المدح ويؤيده قراءة أبي وعبد الله والاعمش التائبين بالياء الى والحافظين نصبا على المدح قال الزمخشري ويجوز أن يكون صفة للمؤمنين وقاله أيضا ابن عطية * وقيل يجوز أن يكون التائبون بدلا من الضمير في يقاتلون قال ابن عباس التائبون من الشرك * وقال الحسن من الشرك والنفاق * وقيل عن كل معصية وعن ابن عباس العابدون بالصلاة * وعن ابن عباس أيضا المطيعون بالعبادة وعن الحسن بن عبد الله في السراء والضراء وعن ابن جبير الموحدون السائحون * قال ابن مسعود وابن عباس وغيرهما الصائمون شهروا بالسائحين في الارض لا متناعهم من شهواتهم * وعن عائشة سياحة هذه الامة الصيام ورواه أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم * قال الأزهرى قيل للصائم سائح لأن الذي يسبح في الارض متعب لا زاد معه كان ممسكا عن الكل والصائم ممسك عن الاكل * وقال تطاء السائحون المجاهدون وعن أبي امامة أن رجلا استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في السياحة فقال ان سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله صححها أبو محمد عبد الحق * وقيل المراد السياحة في الارض * فقيل هم المهاجرون من مكة الى المدينة * وقيل المسافرون لطلب الحديث والعلم * وقيل المسافرون في الارض لينظروا ما فيها من آيات الله وغرائب ملكه نظرا اعتبار * وقيل الجائلون بأفكارهم في قدرة الله وملكوته والصفات اذا تكررت وكانت للمدح أو الذم أو الترحم جاز فيها الاتباع للنعوت والقطع في كلام أو بعضها واد اتباين ما بين الوصفين جاز العطف ولما كان الأمر مبينا للنهي إذا امر بطلب فعل والنهي ترك فعل حسن العطف في قوله والناهون ودعوى الزيادة أو واو الثمانية ضعيف وترتيب هذه الصفات في غاية من الحسن اذا بدأ أولا بما يخص الانسان مرتبة على ما سعى ثم بما يتبعه من هذه الاوصاف من الانسان لغيره وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ثم بما شمل ما يخصه في نفسه وما يتبعه الى غيره وهو الحفاظ لحدود الله ولما ذكرته الى مجموع هذه الاوصاف أمر رسوله صلى الله عليه وسلم بأن يبشر المؤمنين وفي الآية قبلها فاستبشر وأمرهم بالاستبشار فحصلت لهم المزية التامة بأن الله أمرهم بالاستبشار وأمر رسوله أن يبشرهم * ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربي من بعد ما تبين لهم أنهم أتوا بالجهنم وما كان استغفار ابراهيم لأبيه الا عن موعدة وعدها اياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه ان ابراهيم لأواه حلیم قال الجمهور ومداره على ابن المسيب والزهرى وعمر وبن دينار نزلت في شأن أبي طالب حين احتضر فوعظه وقال أي عم قل لا اله الا الله كلمة أحاج لك بها عند الله وكان بالحضرة أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية فقالا له يا أبا طالب أرغب عن ملة عبد المطلب فقال أبو طالب يا محمد لولا أني أخاف أن يعير بها ولدي من بعدى لا قررت بها عينك ثم قال أنا على ملة عبد المطلب ومات فزلت انك لا تهدي من

وعده أبوه انه سيؤمن وكان ابراهيم عليه السلام قد قوى طمعه في ايمانه فحمله على ذلك الاستغفار له حتى نهى عنه * وأواه * الاواه الخاشع المتضرع وقيل غير ذلك قال الزمخشري أو اه فعال من أوه كالأو وهو الذي يكثر التأوه ومعناه انه لفطر ترجمه ورأفته وحلمه كان يتعطف على أبيه الكافر الى آخره وتشبيهه أو اه من أوه بلائ من اللؤلؤ ليس بجيد لان مادة أوه موجودة في صورة أو اه ومادة لؤلؤ مفقودة في لال لاختلاف التركيب اذ لال ثلاثي ولؤلؤ رباعي وشرط الاشتقاق التسوافق في الحروف

أحببت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تستغفرون لك ما لم أنه عنك فكان يستغفر له حتى نزلت هذه الآية فترك الاستغفار لأبي طالب * وروى ان المؤمنين لما رأوه يستغفرون لأبي طالب جعلوا يستغفرون لموتاهم فلذلك ذكروا في قوله ما كان للنبي والذين آمنوا * وقال فضيل بن عتيبة وغيره لما فتح مكة أتى قبر أمه ووقف عليه حتى سحنت عليه الشمس وجعل يرغب في أن يؤذن له في الاستغفار لها فلم يؤذن له فأخبر أنه أذن له في زيارة قبرها ومنع أن يستغفر لها ونزلت الآية وقالت فرقة نزلت بسبب قوله صلى الله عليه وسلم والله لأزیدن على السبعين * وقال ابن عباس وقتادة وغيرهما بسبب جماعة من المؤمنين قالوا نستغفر لموتانا كما استغفر إبراهيم لأبيه وتضمن قوله ما كان للنبي الآية النهي عن الاستغفار لهم على أي حال كانوا ولو في حال كونهم أولى قربي فقوله ولو كانوا جملة معطوفة على حال مقدرة وتقدم لنا الكلام على مثل هذا التركيب ان ولو تأتي لاستقصاء ما لولاها لم يكن ليدخل فيما قبلها ما بعدها ودلت الآية على المبالغة في اظهار البراءة عن المشركين والمنافقين والمنع من مواصلة لهم ولو كانوا في غاية القرب ونبه على الوصف الشريف من النبوة والايمان وانه مناف للاستغفار لمن مات على ضده وهو الشرك بالله ومعنى من بعد ما تبين أي وضع لهم انهم أصحاب الجحيم لموافاتهم على الشرك والتبين هو باخبار الله تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به والظاهر أن الاستغفار هنا هو طلب المغفرة وبه نظافت أسباب النزول * وقال عطاء بن أبي رباح الآية في النهي عن الصلاة على المشركين والاستغفار هنا يراد به الصلاة قالوا والاستغفار للشرك الحي جائز اذ يرجى اسلامه ومن هذا قول أبي هريرة رحم الله رجلا استغفر لأبي هريرة ولأمه قيل له ولأبيه قال لا لان أبي مات كافرا فان ورد نص من الله على أحدانه من أهل النار وهو حي كابي لمب امتنع الاستغفار له فتبين كينونة المشرك انه من أصحاب الجحيم تمويه على الشرك ونهض الله عليه وهو حي انه من أهل النار ويدخل على جواز الاستغفار للكفار اذا كانوا أحياء لانه يرجى اسلامهم ما حكى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نبي قبله شجعه قومه فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يخبر عنه بأنه قال اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون ولما كان استغفار إبراهيم لأبيه بعد أن يقتدى به ولذلك قال جماعة من المؤمنين نستغفر لموتانا كما استغفر إبراهيم لأبيه بين العلة في استغفار إبراهيم لأبيه وذكر أنه حين انضمت له عداوند لله تبرأ منه إبراهيم والموعدة التي وعدها إبراهيم أباه هي قوله سأستغفر لك ربي وقوله لا أستغفر لك والضمير الفاعل في وعدها عائدا على إبراهيم وكان أبوه بقاء الحياة فكان يرجو ايمانه فانه تبين له من جهة الوحي من الله أنه عدو لله وانه يموت كافرا وانقطع رجاءه منه تبرأ منه وقطع استغفاره ويدل على ان الفاعل في وعده ضمير يعود على إبراهيم قراءة الحسن وحامد الراوية وابن السميع وأبي نهيك ومعاذ القاري وعدها أباء * وقيل الفاعل ضمير والد إبراهيم وإياه ضمير إبراهيم وعده أبوه انه سيؤمن فكان إبراهيم قد قوى طمعه في ايمانه فعمله ذلك على الاستغفار له حتى نهى عنه * وقرأ طلحة وما استغفر إبراهيم وعنه وما يستغفر إبراهيم على حكاية الحال والذي يظهر أن استغفار إبراهيم لأبيه كان في حالة الدنيا ألا ترى الى قوله واغفر لأبي انه كان من الضالين وقوله رب اغفر لي ولوالدي ويضعف ما قاله ابن جبير من أن هذا كله يوم القيامة وذلك ان إبراهيم يلقى أباه فيعرفه ويتذكر قوله سأستغفر لك ربي فيقول له الزم حقوقي فلن أدعك اليوم لشيء فيدعه حتى يأتي الصراط فيلتفت اليه فاذا هو قد مسخ ضبعا نافي تبرأ منه حينئذ انتهى ما قاله ابن جبير ولا يظهر ربطه بالآخرة * قال

الاصليّة وما كان الله ليضل قوماً ﴿١﴾ الآية مات قوم كان علمهم على الامر الاول كاستقبال بيت المقدس وشرب الخمر فسأل قوم رسول الله صلى عليه وسلم بعد مجيء النسخ ونزول الفرائض عن ذلك فنزلت أي ما كان الله ليدم اضلال قوم أرشدهم الى الهدى حتى يبين لهم ما يتقونه أي يجتنبونه فلا يجدي ذلك فيهم فحينئذ يدوم اضلالهم

(الدر)

(ش) آواه فعال من آؤه كلال من اللؤلؤ وهو الذي يكثر التأوه ومعناه انه لفرط ترجمه ورقته وحامه كان يتعطف على أبيه الكافر الى آخره (ح) تشبيهه آواه من آؤه لال من اللؤلؤ ليس بجيد لان مادة آؤه موجودة في صورة آواه ومادة لؤلؤ مفقودة في لال لاختلاف التركيب اذلال ثلاثي ولؤلؤ رباعي وشرط الاشتقاق التوافق في الحروف الاصلية

الزخشرى (فان قلت) خفي على ابراهيم عليه السلام ان الاستغفار للكافر غير جائز حتى وعده (قلت) يجوز ان يظن انه مادام يرجى له الايمان جاز الاستغفار له على ان امتناع جواز الاستغفار للكافر انما علم بالوحي لان العقل يجوز ان يغفر الله للكافر الا ترى الى قوله صلى الله عليه وسلم لا يستغفرن لك ما لم أنه عنك وعن الحسن قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانا يستغفر لآبائه المشركين فقال ونحن نستغفر لهم * وعن علي رضي الله عنه رأيت رجلاً يستغفر لأبويه وهما مشركان فقلت له فقال أليس قد استغفر ابراهيم انتهى وقوله لان العقل يجوز ان يغفر الله للكافر رجوع الى قول اهل السنة والاقواء الدعاء أو المؤمن أو الفقيه أو الرحيم أو المؤمن التواب أو المسح أو الكثير الذكركر له أو التلا لكتاب الله أو القائل من خوف الله أو اه المكثركذلك أو الجامع المتضرع أو المؤمن بالحبشية أو المعلم للخير أو الموفي أو المستغفر عند ذكر الخطايا أو الشفيق أو الراجع عن كل ما يكرهه الله أقوال للسلف وقد ذكرنا مدلوله في اللغة في المفردات * وقال الزخشرى آواه فقال من آؤه كلال من اللؤلؤ وهو الذي يكثر التأوه ومعناه انه لفرط ترجمه ورقته وحامه كان يتعطف على أبيه الكافر ويستغفر له مع شكاسته عليه وقوله لأرجنك انتهى وتشبيهه آواه من آؤه بلائ من اللؤلؤ ليس بجيد لان مادة آؤه موجودة في صورة آواه ومادة لؤلؤ مفقودة في لال لاختلاف التركيب اذلال ثلاثي ولؤلؤ رباعي وشرط الاشتقاق التوافق في الحروف الاصلية وفسروا الحليم هنا بالصافح عن الذنب الصابر على الاذى وبالصبور وبالعاقل وبالسيد وبالرفيق القلب الشديد العطف وما كان الله ليضل قوماً بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون ان الله بكل شيء عليم * ان الله له ملك السموات والارض يحيي ويميت وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير * مات قوم كان علمهم على الامر الاول كاستقبال بيت المقدس وشرب الخمر فسأل قوم الرسول بعد مجيء النسخ ونزول الفرائض عن ذلك فنزلت * وقال الكرماني أسلم قوم من الاعراب فعملوا بما شاهدوا الرسول يفعله من الصلاة الى بيت المقدس وصيام الايام البيض ثم قدموا عليه فوجدوه يصلي الى الكعبة ويصوم رمضان فقالوا يا رسول الله ذنابك بالاضلال انك على أمر واننا على غيره فنزلت * وقيل خاف بعض المؤمنين من الاستغفار للمشركين دون اذن من الله فنزلت الآية مؤنة أي ما كان الله بعد أن هدى للاسلام وأنقذ من النار ليعبط ذلك ويضل أهلهم لقارفتهم ذنبهم يتقدم منه نهي عنه فاما اذ بين لهم ما يتقون من الامر ويتجنبون من الاشياء فحينئذ من واقع بعد النهي استوجب العقوبة * وقال الزخشرى معنى ما أمر الله باتقائه واجتنابه كالاستغفار للمشركين وغيره مما نهى عنه وبين انه محظور ولا يؤاخذ بعباده الذين هداهم للاسلام ولا يسميهم ضالالا ولا يتخذهم الا اذا أقدموا عليه بعد بيان حظره عليهم وعامه بأنه واجب الاتقاء والاجتناب وأما قبل العلم والبيان فلا سبيل عليهم كما لا يؤاخذون بشرب الخمر ولا ببيع الصاع بالصاعين قبل التحريم وهذا بيان لعذر من خاف المؤاخذة بالاستغفار للمشركين قبل ورود النهي في هذه الآية شديدة ما ينبغي أن يفعل عنها وهي أن المهدي للاسلام اذا أقبل على بعض محظورات الله داخل في حكم الضلال والمراد بما يتقون ما يجب اتقاؤه للنهي فأما ما يعلم بالعقل كالصدق في الخبر ورد الوديعه فغير موقوف على التوقيف انتهى وفي هذا الاخير من كلامه وفي قوله قبل في تفسير ليضل ولا يسميهم ضالالا ولا يتخذهم دسيسة الاعتزال وفي كلامه اسباب وهو بسط مقال مجاهد قال ما كان ليضلكم بالاستغفار للمشركين بعد اذ هداكم للايمان حتى يتقدم بالنهي عن ذلك ويبين لكم فتتقوه انتهى وتقدم

﴿ لقد تاب الله على النبي ﴾ الآية قال ابن عطية التوبة من الله تعالى رجوعه لعبيده من حالة الى حالة أرفع منها وقد تكون في الأكثر رجوعاً عن حالة المعصية الى حالة الطاعة وقد تكون رجوعاً من حالة طاعة الى أكل منها وهذه توبته في هذه الآية على النبي لانه رجوع به من حالة قبل تحصيل الغزوة وتحمل مشاقها الى حالة بعد ذلك أكل منها وأما توبته على المهاجرين والانصار فخالها معرضة لان تكون من نقصان الى طاعة وجد في الغزو ونصرة في الدين وأما توبته على الفريق فرجوع من حالة محطوطة الى حالة غفران ورضاء ﴿ اتبعوه ﴾ أي اتبعوا أمره ﴿ في ساعة العسرة ﴾ أي الضيق والشدة والعدم وهذا جيش العسرة الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم من جهز جيش العسرة فله الجنة فجزه عثمان بن عفان بالف جمل وألف دينار وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قلب الدنانير بيده وقال وما على عثمان ما عمل بعد هذا وجاء أنصاري بسبع مائة وسق من تمر قال مجاهد وغيره بلغت العسرة بهم الى أن كان العشرة منهم يعتقبون على بعير واحد (١٠٧) من قلة الظهر والى ان قسموا التمرة بين الرجلين

وكان النفر يأخذون التمرة الواحدة فيمصها أحدهم ويشرب عليها الماء ثم يفعل بها كلهم ذلك وقال عمر بن الخطاب أصابهم في بعضها عطش شديد حتى جعلوا ينحرون الابل ويشربون ما في كروشها من الماء ويعصرون الفرب حتى استسقى رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفع يديه يدعو فاجتمعوا حتى انسكبت سخابة فشربوا وادخروا ثم ارتحلوا فاذا السخابة لم تخرج عن العسكر وفي هذه الغزاة هموا من الجماعة بنحر الابل فامر صلى الله عليه وسلم بجمع فضل أزوادهم حتى

في أسباب النزول ما يشرح به الآية من سوء أحوالهم عن مات وقد صلى الى بيت المقدس وشرب الخمر ومن قصة الاعراب * والذي يظهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها وفي شرحها أنه تعالى لما بين أنه لا يستغفر للمشركين ولو كانوا أولى قربي كان في هذه الآية وفي التي بعدها تبان ما بين القرابة حتى منعوا من الاستغفار لهم فنع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الاستغفار لعمه أبي طالب وهو الذي تولى تربيته ونصره وحفظه الى ان مات ومنع ابراهيم من الاستغفار لآبيه وهو أصل نشأته ومربيته وكذلك منع المسامون من الاستغفار للمشركين أقرباء وغير أقرباء فكانه قيل لا تعجب لتبائن هؤلاء هذا خليل الله وهذا حبيب الله والأقرباء المختصون بهم المشركون أعداء الله فاضلال هؤلاء لم يكن الا بعد ان أرشدهم الله الى طريق الحق بما ركز فيهم من حجج العقول التي أغفلوها وتبين ما يتقون بطريق الوحي فتظافرت عليهم الحجج العقلية والسمعية ومع ذلك لم يؤمنوا ولم يتبعوا ما جاءت الرسل به عن الله تعالى ولذلك ختمها بقوله ان الله بكل شيء عليم فيضل من يشاء ويختص بالهداية من يشاء فالمعنى وما كان الله ليديم اضلال قوم أرشدهم الى الهدى حتى يبين لهم ما يتقونه أي يجتنبونه فلا يجدى ذلك فيهم فيمنعهم بدوم اضلالهم ولما ذكر تعالى علمه بكل شيء فهو يعلم ما يصلح لكل أحد وما هي له في سابق الأزل ذكر ما دل على القدرة الباهرة من أنه له ملك السموات والأرض فيمتصرف في عبادته بما شاء ثم ذكر من أعظم تصرفاته الاحياء والامانة أي الاجساد والاعدام وتفسير الطبري هنا قوله يحى ويميت بأنه إشارة الى أنه يجب للمؤمنين أن لا يجزعوا من عدو وان كثروا ولا يهابوا أحدا فان الموت والخوف والحياة المحتومة انما هي بيد الله غير مناسب هنا وان كان في نفسه قولاً صحيحاً وتقدم شرح قوله وما لكم من دون الله من ولى ولا نصير في البقرة ﴿ لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ﴾ ثم تاب عليهم انه بهم رءوف رحيم وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الأرض

اجتمعوا على النطع شيء يسير فدعا فيه بالبركة ثم قال خذوا في أوعيتكم فلوها حتى لم يبق وعاء وأكل القوم كلهم حتى شبعوا فضلت فضله وكان الجيش ثلاثين ألفاً وزيادة وهي آخر مغازيه صلى الله عليه وسلم وفيها خلف علياً رضي الله عنه بالمدينة فقال المنافقون خلفه بغضاله فآخبره بقولهم فقال أما ترى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى ووصل عليه السلام الى أوائل بلاد العدو وبث السرايا فصالحه أهل أريحا وابلية وغيرهما على الجزية وانصرف قال ابن عباس ﴿ تزيغ ﴾ تعدل عن الحق في المتابعة وكاد تدل على القرب لا على التلبس بالزيغ وقرى يزيغ بالياء فيتعين أن يكون في كاد ضمير الشأن وارتفع قلوب يزيغ لا تمتناع ان تكون قلوب اسم كادو يزيغ في موضع الخبر لان النية به التأخير ولا يجوز من بعد ما كاد قلوب يزيغ بالياء وقرى بالياء فاحتمل أن يكون في كاد ضمير الشأن كقراءة الياء واحتمل أن يكون قلوب اسم كادو يزيغ الخبر وسط بين كما فعل ذلك بكان وفي هذين الاعرابين كلام ذكر في البحر ﴿ فريق منهم ﴾ قال الحسن همت فرقة بالانصراف للقوام المأقوفة وقيل زيغها كان بظنون باسأت في معنى عزم الرسول عليه السلام على تلك الغزوة لما رأى أنه من شدة العسرة وقلة الوفرة بعد الشدة وقوة العدو المقصود ﴿ وعلى الثلاثة الذين خلفوا ﴾ الآية معطوف على قوله والانصار ومعنى خلفوا أي عن غزوة تبوك ﴿ حتى اذا ضاقت عليهم الأرض ﴾

تقدم تفسيره ﴿ وضافت عليهم أنفسهم ﴾ استعارة (١٠٨) لان الهم والغم ملأها بحيث لا يسمعها أنس ولا سرور وخرجت

من فرط الوحشة والغم ﴿ وظنوا ﴾ أى علموا وقال قوم الظن هنا على باب من ترجع أحد الجائزين لانه وقف أمرهم على الوحى ولم يكونوا قاطعين بأنه ينزل في شأنهم قرآن أو كانوا قاطعين لكنهم بجوزون تطويل المدة في بقائهم في الشدة فالظن عاد الى تجويز تلك المدة قصيرة وجاءت هذه الجمل في كنف اذا في غاية الحسن والترتيب قد كرر أولا ضيق الارض عليهم وهو كناية عن استبحاشهم ونبوة الناس عن كلامهم وثانيا ﴿ وضافت عليهم أنفسهم ﴾ هي كناية عن تواتر الهم والغم على قلوبهم حتى لم يكن فيهم شيء من الانشراح والاتساع قد كرر أولا ضيق المحل ثم ثانيا ضيق الحال فيه لانه قد يضيق المحل وتكون النفس منسحرة ثم ثالثا لما يئسوا من الخلق عذقوا أمورهم بالله وانقطعوا اليه وعلموا أنه لا يخلص من الشدة ولا يفرجها الا هو تعالى ﴿ ثم تاب عليهم ليتوبوا ﴾ ثم رجع عليهم بالقبول والرحمة كره أخرى ليستقيموا على

بما رحبت وضافت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله الا اليه ثم تاب عليهم ليتوبوا ان الله هو التواب الرحيم ﴿ لما تقدم الكلام في أحوال المنافقين من تخلفهم عن غزوة تبوك واستطرد الى تقسيم المنافقين الى أعراب وغيرهم وذكر ما فعلوا من سجد الضرار وذكروا بايعة المؤمنين بالله في الجهاد وأثنى عليهم وأنه ينبغي أن يباينوا المشركين حتى الذين ماتوا منهم بترك الاستغفار لهم عاد الى ذكر ما بقى من أحوال غزوة تبوك وهذه شئنة كلام العرب يشروعون في شيء ثم يذكرون بعده أشياء مناسبة ويطيئون فيها ثم يعودون الى ذلك الشيء الذي كانوا شرعوا فيه ﴿ قال ابن عطية التوبة من الله رجوعه لعبده من حالة الى حالة أرفع منه وقد يكون في الأكثر رجوعا عن حالة المعصية الى حالة الطاعة وقد يكون رجوعا عن حالة طاعة الى أكل منها وهذه توبة في هذه الآية على النبي صلى الله عليه وسلم لأنه رجع به من حالة قبل تحصيل الغزوة وتحمل مشاقها الى حالة بعد ذلك أكل منها وأما توبته على المهاجرين والانصار فالحال ما عرضة لان تكون من نقصان الى طاعة وجد في الغزو ونصرة الدين وأما توبته على الفريق فرجوع من حالة محطوطة الى حالة غفران ورضا ﴿ وقال الرمنخسرى تاب الله على النبي كقوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر واستغفر لذنبك وهو بعث المؤمنين على التوبة وأنه ما من مؤمن الا وهو محتاج الى التوبة ولا استغفار حتى النبي والمهاجرون والانصار وإبانه لفضل التوبة ومقدارها عند الله تعالى وان صفة الاوابين صفة الانبياء كما وصفهم بالخالحين لتظهر فضيلة الصلاح ﴿ وقيل معناه تاب الله عليهم من إذنب للمنافقين في التخلف عنه لقوله تعالى عفا الله عنك لم اذنت لهم انتهى ﴿ وقيل لا يبعد ان صدر عن المهاجرين والانصار أنواع من المخالقات الا أنه تعالى تاب عليهم وعفا عنهم لأجل أنهم تحمّلوا مشاق ذلك السفر ثم انه تعالى ضم ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم الى ذكرهم تنبيها على عظم مراتبهم في قبول التوبة اتباعوه أى اتبعوا أمره فهو من مجاز الخلف ويجوز أن يكون هو ابتداء بالخروج وخروجوا بعده فيكون الاتباع حقيقة ساعة العسرة أى في وقت العسرة والتباعدة مستعارة للزمان المطلق كما استعاروا الغداة والعشية واليوم قال

غداة طفت عهدا بكر بن وائل ﴿ عشيّة فارغنا جذام وحيرا وآخر ﴿ اذا جاء يوما وارثي بيني الغنى ﴿ وهي غزوة تبوك كانت تسمى غزوة العسرة ويجوز أن يريد بساعة العسرة الساعة التي وقع فيها غزوتهم وانقيادهم لتحمل المشقة اذ السفر كما تابع تلك الساعة وبها وفيها يقع الأجر على الله وترتبط النية فن اعترم على الغزو وهو معسر فقد أنفع في ساعة عسرة ولو اتفق أن يطرأ لهم غنى في سائر سفرهم لما اختلف كونهم متبعين في ساعة العسرة والعسرة الضيق والشدة والعدم وهذا هو جيش العسرة الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم من جهز جيش العسرة فله الجنة فجهز عثمان بن عفان بألف رجل وألف دينار ﴿ وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قلب الدنانير بيده ﴿ وقال وما على عثمان ما عمل بعده هذا وجاء انصارى سبعائة وسقى من بر ﴿ وقال مجاهد وقتادة والحسن بلغت العسرة بهم الى ان كان العشرة منهم يعتقبون على بعير واحد من قلة الظهرو الى أن قسموا التمرة بين الرجلين وكان النفر يأخذون التمرة الواحدة فيصبا أحدهم ويشرب عليها الماء ثم يفعل بها كلهم ذلك ﴿ وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه أصابهم في بعض أعالش شديد حتى جعلوا ينحرون الابل ويشربون ما في كروشهم من الماء

توبتهم ويتوبوا أوليتوا أو أيضا في مستقبل ان فرطت منهم خطيئة علمنا منهم ان الله تواب علي من تاب ولو عاد في اليوم مائة مرة

ويصرون الفرث حتى استسقى رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقع يديه يدعوهما رجعهما حتى
انكسبت سحابة فشرىوا واودخروا ثم ارتحلوا فاذا السحابة لم تخرج عن العسكر وفي هذه الغزوة
هموا من المجاعة بنحر الابل فأمر بجمع فضل أزوادهم حتى اجتمع منه على النطع ثنى يسير فدعا فيه
بالبركة ثم قال خذوا في أوعيتكم فلوها حتى لم يبق وعاء وأكل القوم كلهم حتى شبعوا وفضلت فضلة
وكان الجيش ثلاثين ألفا وزيادته وهي آخر مغازيه صلى الله عليه وسلم وفيها خلف عليا بالمدينة وقال
المنافقون خلفه بغضاله فأخبره بقولهم فقال أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى ووصل
صلى الله عليه وسلم الى أوائل بلاد العدو وبث السرايا فصالحه أهل أذرح وأيلة وغيرهما على الجزية
وانصرف * تزيغ قلوب فريق قال الحسن همت فرقة بالانصراف لما لقوا من المشقة * وقيل
زيغها كان بظنون لها ساءت في معنى عزم الرسول على تلك الغزوة لما رآته من شدة العسرة وقلة
الوفور وبعد الشقة وقوة العدو المقصود * وقال ابن عباس تزيغ تعدل عن الحق في المبايعة وكادت تدل
على القرب لا على التلبس بالزيغ * وقرأ حمزة وحفص تزيغ بالياء فتعين أن يكون في كاد ضمير
الشأن وارتفاع قلوب تزيغ لا امتناع أن يكون قلوب اسم كاد وتزيغ في موضع الخبر لأن النية به
التأخير ولا يجوز من بعدما كاد قلوب تزيغ بالياء * وقرأ باقي السبعة بالتاء فاحتل أن يكون
قلوب اسم كاد وتزيغ الخبر وسط بينهما كما فعل ذلك بكان * قال أبو علي ولا يجوز ذلك في عسى
واحتمل أن يكون فاعل كاد ضمير يعود على الجمع الذي يقتضيه ذكر المهاجرين والانصار أى من بعد
ما كاد هو أى الجمع وقد قدر المرفوع بكاد باسم ظاهر وهو القوم ابن عطية وأبو البقاء كانه قال من
بعد ما كاد القوم وعلى كل واحد من هذه الأعراب الثلاثة اشكال على ما تقر في علم النحو من
أن خبر أفعال المقاربة لا يكون الامضارعار أفعاضير اسمها فبعضهم أطلق وبعضهم قيد بغير عسى
من أفعال المقاربة ولا يكون سببا وذلك بخلاف كان فإن خبرها يرفع الضمير والسببى لاسم كاد فاذا
قدّرنا فيها ضمير الشأن كانت الجلة في موضع نصب على الخبر والمرفوع ليس ضميرا يعود على اسم
كاد بل ولا سبباً له وهذا يلزم في قراءة الياء أيضاً وأما توسط الخبر فهو مبنى على جواز مثل هذا
التركيب في مثل كان يقوم زيد وفيه خلاف والصحيح المنع وأما توجيه الآخر فضعيف جداً من حيث
أضمر في كاد ضمير ليس له على من يعود الا بتوهم ومن حيث يكون خبر كاد واقعا سببياً وبخاص من
هذه الاشكالات اعتقاد كون كاد زائدة ومعناها مراد ولا عمل لها إذ ذلك في اسم ولا خبر فتكون
مثل كان اذا زيدت يراد معناها ولا عمل لها ويؤيد هذا التأويل قراءة ابن مسعود من بعدما زانت
باسقاط كاد وقد ذهب الكوفيون الى زيادتها في قوله تعالى لم يكديراهما مع تأثيرها للعامل وعملها
هي فأحرى أن يدعى زيادتها وهي ليست عاملة ولا معمولة * وقرأ الأعمش والجحدري تزيغ برفع
التاء * وقرأ أبي من بعدما كادت تزيغ ثم تاب عليهم الضمير في عليهم عائد على الأولين أو على
الفريق فالجلة كررت تأكيداً أو يراد بالأول انشاء التوبة وبالثاني استدماها لأنه لما ذكر ان
فريقاً منهم كادت قلوبهم تزيغ نص على التوبة ثانياً ففعال توهم أنهم مسكوت عنهم في التوبة ثم
ذكر سبب التوبة وهو رافقتهم ورحمتهم والثلاثة الذين خلفوا تقدمت أسماؤهم ومعنى خلفوا عن
الغزو وغزوتهم قاله قتادة أو خلفوا عن أبي لبابة وأصحابه حيث تيب عليهم بعد التوبة على أبي
لبابة وأصحابه ارجاء أمرهم خمسين يوماً ثم قبل توهمهم وقدرت تأويل قتادة كعب بن مالك نفسه
فقال معنى خلفوا تركوا عن قبول العذر وليس بخلفاء عن الغزو * وقرأ الجمهور خلفوا بتشديد

اللام مبنيًا للفعول * وقرأ أبو مالك كذلك وخفف اللام * وقرأ عكرمة بن هارون الخزومي وذو
 ابن حبيش وعمر بن عبيدومعاذ القاري وحيد بتخفيف اللام مبنيًا للفاعل ورويت عن أبي
 عمرو أي خلفوا الغازين بالمدينة أو فسدوا من الخالفة * وقرأ أبو العالية وأبو الجوزاء كذلك
 مشدد اللام * وقرأ أبو زيد وأبو مجلز والشعبي وابن يعمر وعلي بن الحسين وابناه زيد ومحمد الباقر
 وابنه جعفر الصادق خالفوا بألف أي لم يوافقوا على الغزو * وقال الباقر ولو خلفوا لم يكن لهم وقرأ
 الأعمش وعلي الثلاثة المخالفين ولعله قرأ كذلك على سبيل التفسير لأنها قراءة مخالفة لسواد
 المصحف حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت تقدم تفسير نظيرها في هذه السورة في قصة حنين
 وضاقت عليهم أنفسهم استعارة لأن الهم والغم ملائها بحيث لا يسعها أنس ولا سرور وخرجت عن
 فرط الوحشة والغم وطنوا أي عاموا قاله الزمخشري * وقال ابن عطية أي بقنوا كما قالوا في
 قول الشاعر

فقلت لهم ظنوا بألفي مدحج * سرائهم في الفارسي المسرد

* وقال قوم الظن هنا على بابه من ترجيح أحد الجائزين لأنه وقف أمرهم على الوحي ولم يكونوا
 قاطعين بأنه ينزل في شأنهم قرآن أو كانوا قاطعين لكنهم يجوزون تطويل المدة في بقائهم في الشدة
 فالظن عاد إلى تجوز تلك المدة قصيرة وجاءت هذه الجملة في كنف إذا في غاية الحسن والترتيب قد كرر
 أولاً ضيق الأرض عليهم وهو كناية عن استيحا شهم ونبوة الناس عن كلامهم وثانياً وضاقت عليهم
 أنفسهم وهو كناية عن تواتر الهم والغم على قلوبهم حتى لم يكن فيها شيء من الانشراح والاتساع قد كرر
 أولاً ضيق المحل ثم ثانياً ضيق الحال فيه لأنه قد يضيق المحل وتكون النفس مشرحة * ثم الخياط
 مع المحبوب ميدان * ثم ثالثاً لما يئسوا من الخلق عند قوا أمورهم بالله وانقطعوا إليه وعاموا أنه
 لا يخلص من الشدة ولا يفرجها إلا هو تعالى ثم إذا مسكم الضر فاليه تجأرون وإذا ان كانت شرطية
 فجوابها مخدوف تقديره تاب عليهم ويكون قوله ثم تاب عليهم نظير قوله ثم تاب عليهم بعد قوله لقد تاب
 الله على النبي الآية ودعوى أن ثم زائدة وجواب إذا ما بعد ثم بعيد جداً وغير ثابت من لسان العرب
 زيادة ثم ومن زعم أن إذا بعد حتى قد تجرد من الشرط وتبقى لمجرد الوقت فلا تحتاج إلى جواب بل
 تكون غاية للفعل الذي قبلها وهو قوله خلفوا أي خلفوا إلى هذا الوقت ثم تاب عليهم ليتوبوا
 ثم رجع عليهم بالقبول والرحمة كرامة أخرى ليستقيموا على توبتهم وينيبوا أوليتوبوا أيضاً
 يستقبل أن فرطت منهم خطيئة عامتهم أن الله تواب على من تاب ولو عاد في اليوم مائة مرة
 * وقيل معنى ليتوبوا ليدوموا على التوبة ولا يرجعوا ما يبطلها * وقيل ليتوبوا ليرجعوا إلى
 حالهم وعاداتهم من الاختلاط بالمؤمنين وتستكن نفوسهم عند ذلك * قال ابن عطية وقوله ثم تاب
 عليهم ليتوبوا لما كان هذا القول في تعديد نعمه بدأ في ترتيبه بالجهة التي هي عن الله تعالى
 ليكون ذلك منها على تلقي النعمة من عنده لا رب غيره ولو كان القول في تعديد ذنبه لكان
 الابتداء بالجهة التي هي عن المذنب كما قال تعالى فما زاعوا أراغ الله قلوبهم ليكون هذا أشد تقريرا
 للذنب عليهم وهذا من فصاحة القرآن ويديع نظمهم ومعجزات ما في هذه الآية ومواقع ألفاظها
 أنها تكمل مع مطالعة حديث الثلاثة الذين خلفوا وقد خرج حديثهم بكافة البخاري ومسلم
 وهو في السير فلذلك اختصرت سوقوا أعظم ذنبهم واستحقوا عليه ذلك لأن الشرع يطالبهم
 من الخديفة بحسب منازلهم منه وتقدمهم فيه أذهوا أسوة وحجة للمنافقين والطاعنين إذ كان

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾ الآية هو خطاب للمؤمنين أمر بكونهم مع أهل الصدق بعد ذكر قصة الثلاثة الذين نفعهم صدقهم وأراحهم عن رتبة النفاق واعتضت هذه الجملة تنبيهاً على رتبة الصدق وكفى بها إثباتاً لرتبة النبوة في قوله فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين إلى آخره ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ﴾ (١١١) الآية نزلت فيمن تخلف من أهل المدينة عن غزوة

تبوك وفيمن تخلف من حولهم من الأعراب من مزينة وجهنية وأشجع وأسلم وغفار ومناسبتهم لما قبلها أنه لما أمر المؤمنين بتقوى الله وأمر بكيونهم مع الصادقين وأفضل الصادقين رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم المهاجرون والانصار اقتضى ذلك موافقة الرسول عليه الصلاة والسلام بخصته أي توجه من الغزوات والمشاهد ﴿وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ﴾ الآية قال الزمخشري أن يصحبوه على البأساء والضراء ويكابدوا معه الأهوال برغبة ونشاط واعتباط وأن يلقوا بأنفسهم في الشدائد ما تلقاه نفسه الكريمة صلى الله عليه وسلم عامها أنها أعز نفس عند الله وأكرمها عليه فإذا تعرضت مع كرامتها وعزتها للخوض في الشدائد والهول وجب على سائر الأنفس أن تتهافت فيما تعرضت له

كعب من أهل العقبة وصاحبه من أهل بدر وفي هذا ما يقتضي أن الرجل العالم والمقتدى به أقل عذراً في السقوط من سواه وكتب الأوزاعي إلى المنصور أبي جعفر في آخر رسالة واعلم أن قرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم إن تزيد حق الله عليك الأعظم ولا طاعته إلا وجوباً ولا الناس فيما خالف ذلك منك إلا إنكاراً والسلام ولقد أحسن القاضي التنوخي في قوله ﴿وَالْعَيْبُ يَعْلُقُ بِالْكَبِيرِ كَبِيرٍ﴾ انتهى * وروى أن أناساً من المؤمنين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهم من بداهه فيلحق بهم كابي خيثمة ومنهم من بقي لم يلحق بهم منهم الثلاثة * وسئل أبو بكر الوراق عن التوبة النصوح فقال إن تضيق على التائب الأرض بما رحبت وتضيق عليه نفسه كتوبة كعب بن مالك وصاحبه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ هو خطاب للمؤمنين أمر بكونهم مع أهل الصدق بعد ذكر قصة الثلاثة الذين نفعهم صدقهم وأراحهم عن رتبة النفاق واعتضت هذه الجملة تنبيهاً على رتبة الصدق وكفى بها إثباتاً لرتبة النبوة في قوله فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين * قال ابن جرير وغيره الصادق هنا صدق الحديث * وقال الضحاك ونافع ما معناه اللفظ أعم من صدق الحديث وهو بمعنى الصحة في الدين والتمكن في الخير كما تقول العرب رجل صدق وقالت هذه الفرقة كونوا مع محمد وأبي بكر وعمر وخيار المهاجرين الذين صدقوا الله في الإسلام * وقيل هم الثلاثة أي كونوا مثل هؤلاء في صدقهم وثباتهم * وقال الزمخشري هم الذين صدقوا في إيمانهم ومعاهدتهم الله ورسوله من قوله رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه وهم الذين صدقوا في دين الله نية وقولاً وعملاً انتهى * وقيل الخطاب بالذين آمنوا من تخلف من الطلقاء عن غزوة تبوك * وعن ابن عباس الخطاب لمن آمن من أهل الكتاب أي كونوا مع المهاجرين والانصار ومع تقضي الصحبة في الحال والمشاركة في الوصف المقتضى للدخول * وقرأ ابن مسعود وابن عباس من الصادقين ورويت عن النبي صلى الله عليه وسلم وكان ابن مسعود يتأوله في صدق الحديث وقال الكذب لا يصلح منه جد ولا هزل ولا أن يعد منكم أحداً صبيته ثم لا ينجزه أقرؤوا إن شئتم كونوا مع الصادقين وقال صاحب اللوامح ومن أعم من مع لأن كل من كان من قوم فهو معهم في المعنى المأمور به ولا ينعكس ذلك * وقرأ زيد بن علي وابن السميع وأبو المتوكل ومعاذ القاري مع الصادقين بفتح القاف وكسر النون على التثنية ويظهر أنهما الله ورسوله لقوله تعالى ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله ولم تأتكم من قبله لجة فمن آمن بالله ولا لجة فمن كفر * ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يظنون موطناً يغيط الكفار ولا ينالون من عدو نيلاً إلا كتب لهم به عمل صالح

ولا يكثر ثيابهم ولا يحجبها ولا يقيموها ولا يلبسونها ولا يصيبهم ظمأ ولا يظمأوا العطش ولما كان العطش أشق الأشياء المؤذية للمسافرين بكثرة الحركة وأزعاج النفس وخصوصاً في شدة الحر كغزوة تبوك بدى به أولاً وثني بالنصب وهو التعب لانه الكلال الذي يلحق المسافرين والأعياء الناشئ عن العطش والسير وأتى ثالثاً بالجوع لانه حاله يمكن الصبر عليها الأوقات العديدة بخلاف العطش والنصب المفضيين إلى الخلود والانقطاع عن السفر فكان الأخبار بما يعرض للمسافر أولاً ثانياً ثالثاً موطناً يفعل من وطئ فاحتمل أن يكون مكاناً واحتمل أن يكون مصدره والفاعل في يغيط عائد على المصدر إما على موطن أن كان مصدره وإما على ما يفهم من موطن

اياء الكفار والنيل مصدر
 فاحتمل ان يبقى على
 موضعه واحتمل ان يراى
 به المنيل واطلق نيلا ليعم
 القليل والكثير مما سوهم
 قتلا واسرا وغنيمة وهزيمة
 وبدى في هاتين الجملتين
 بالاسبق ايضا وهو الوطء
 ثم ثنى بالنيل من العدو وجاء
 للعموم في الكفار بالالف
 واللام وفي من عدول كونه
 في سياق النفي وبدى اولا
 بما يخص المسافرين في الجهاد
 في نفسه ثم ثانيا بما يترتب
 على تحمل تلك المشاق من
 غيظ الكفار والنيل من
 العدو ولا ينفقون نفقة
 صغيرة قال ابن عباس
 كالتمر ونحوها والكبيرة
 ما فوقها وقدم صغيرة على
 سبيل الاهتمام كقوله لا يغادر
 صغيرة ولا كبيرة ولا اصغر
 من ذلك ولا اكبر واذا
 كتب اجر الصغيرة فاحرى
 اجر الكبيرة ومفعول
 كتب مضمرة يعود على
 المصدر المفهوم من ينفقون
 ويقطعون كأنه قيل كتب
 لهم هو اى الانفاق والقطع
 وتأخرت هاتان الجملتان
 وقدمت تلك الجملة السابقة
 لانها اشق على النفس
 وانكى للعدو وهاتان
 اهون لانهما في الاموال

ان الله لا يضيع أجر المحسنين ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا الا كتب لهم
 ليحجزهم الله أحسن ما كانوا يعملون نزلت فيمن تخلف من أهل المدينة عن غزوة تبوك وفيمن
 تخلف من حولهم من الأعراب من مريضة وجهينة وأنجع وأسلم وغفار * ومناسبتهم لما قبلها أنه لما أمر
 المؤمنين بتقوى الله وأمر بكينوتهم مع الصادقين وأفضل الصادقين رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم
 المهاجرون والانصار اقتضى ذلك موافقة الرسول وصحبته أنى توجه من الغزوات والمشاهد فموتب
 العتاب الشديد من تخلف عن الرسول في غزوة واقتضى ذلك الامر لصحبته وبذل النفوس دونه *
 قال الزخشرى بأن يصحبه على البأساء والضراء وأمر وأن يكابدوا معه الأهوال برغبة ونشاط
 واعتباط وأن يلقوا أنفسهم في الشدائد ما يلقاه نفسه صلى الله عليه وسلم علما بأنها أعز نفس عند الله
 تعالى وأكرمها عليه فاذ تعرضت مع كرامتها وعزتها للخوض في شدة وهون وجب على سائر
 النفس أن تنهت فيما تعرضت له ولا يكثر لها أحمالها ولا يقيموا لها وزنا وتكون أخف شيء عليهم
 وأهونه فضلا أن يربوا بأنفسهم عن متابعتها ومصاحبتهوا يضنوا بها على ما سمح بنفسه عليه وهذا نهى
 بليغ مع تقبيل الأمرهم وتوبيخ لهم عليه وتهميج لمتابعته بأنفة وجمية * قال الكرماني هذا نفي معناه
 النهى وخص هو لا بالذ كرو كل الناس في ذلك سواء لقربهم منه وأنه لا يخفى عليهم خروجه * قال
 قتادة كان هذا الإلزام خاصا مع النبي صلى الله عليه وسلم وجوب التمر الى الغزو واذا خرج هو بنفسه
 ولم يبق هذا الحكم مع غيره من الخلفاء * وقال زيد بن أسلم كان هذا الأمر والإلزام في قلة الاسلام
 واحتياج الى اتصال الأيدي ثم نسخ عند قوة الاسلام بقوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة قال
 وهذا كله في الانبعاث الى غزو العدو على الدخول في الاسلام وأما اذا ألم العدو بجمية فيتعين على
 كل أحد القيام بدبه ومكاحفته والاشارة بذلك الى ما تضمنه انتفاء التخلف من وجوب الخروج معه
 وبذل النفس دونه كأنه قيل ذلك الوجوب للخروج وبذل النفس هو بسبب ما أعد الله لهم من
 الثواب الجسيم على المشاق التي تنالهم وما يتسنى على أيديهم من إيذاء أعداء الاسلام والظلم العطش
 * وقرأ عبيد بن عمير ظمأ بالمد مثل سفهاها ولما كان العطش أشق الاشياء المؤذية للمسافر بكثرة
 الحركة وازعاج النفس وخصوصا في شدة الحر كغزوة تبوك بدى به أولا وثنى بالنصب وهو التعب
 لأنه الكلال الذي يلحق المسافر والاعياء النائي عن العطش والسير وأنى ثالثا بالجوع لأنه حالة
 يمكن الصبر عليها الاوقات العديدة بخلاف العطش والنصب المفضيين الى الخلود والانقطاع عن
 السفر فكان الاخبار بما يعرض للمسافر أولا فثانيا فثالثا وموطئا مفعول من وطئ فاحتمل أن
 يكون مكانا واحتمل مصدر او الفاعل في يغيط عائد على المصدر اما على موطن ان كان مصدرا واما
 على ما يفهم من موطن ان كان مكانا أى يغيط وطوهم اياء الكفار وأطلق موطن اذا كان مكانا ليعم
 كل موطن يغيط وطوء الكفار سواء كان من أمكنة الكفار أم من أمكنة المسلمين اذا كان في
 سلوكه غيظهم والوطء يدخل فيه بالحوافر والاخفاف والارجل * وقرأ زيد بن علي يغيط بضم
 الياء والنيل مصدر فاحتمل أن يبقى على موضوعه واحتمل أن يراى به المنيل وأطلق نيلا ليعم القليل
 والكثير مما يسوءهم قتلا واسرا وغنيمة وهزيمة وليست الياء في نيل بدلا من واو خلافا لراى ذلك
 بل نال مادتان احدهما من ذوات الواو نلتها أوله نولا ونوالا من العطية ومنه التناول والاخرى هذه
 من ذوات الياء نلتها نالا نيل اذا أصابه وأدركه وبدى في هاتين الجملتين بالاسبق أيضا وهو الوطء ثم
 ثنى بالنيل من العدو جاء العموم في الكفار بالالف واللام وفي من عدول كونه في سياق النفي

وبدئ أولاً بما يحض المسافر في الجهاد في نفسه ثم ثانياً بما يترتب على تحمل تلك المشاق من غيظ الكفار والنيل من العدو * قال الزمخشري ويجوز أن يراد بالوطء الايقاع والابادة لا الوطء بالاقدام والخوافر كقوله عليه السلام آخر وطة وطمها الله بوج والكتب هنا يحتمل أن يكون حقيقة أى كتب في الصحائف أو في اللوح المحفوظ ليجازى عليه يوم القيامة ويحتمل أن يكون استعارة عبر عن الثبوت بالكتابة لأن من أراد أن يثبت شيئاً كتبه والجملة من كتب في موضع الحال وبه أفرد الضمير اجراء له مجرى اسم الإشارة كأنه قيل الا كتب لهم بذلك عمل صالح أى باصابة الظأ والنصب والمخمة والوطء والنيل وفي الحديث من أغرت قدماء في سبيل الله حرمة الله على النار * وقال ابن عباس بكل روعة تنالهم في سبيل الله سبعون ألف حسنة * والنفقة الصغيرة قال ابن عباس كالتمرة ونحوها والكبيرة ما فوقها * وقال الزمخشري صغيرة ولو تمرة ولو علاقة سوط ولا كبيرة مثل ما أفنق عثمان في جيش العسرة انتهى وقدم صغيرة على سبيل الاهتمام كقوله لا يغادر صغيرة ولا كبيرة ولا أصغر من ذلك ولا أكبر وإذا كتب أجر الصغيرة فأجرى أجر الكبيرة ومفعول كتب مضمرة يعود على المصدر المفهوم من ينفقون ويقطعون كأنه قيل كتب لهم هو أى الانفاق والقطع ويجوز أن يعود على قوله عمل صالح المتقدم الذكرو وتأخرت هاتان الجملتان وقدمت تلك الجمل السابقة لأنها أشق على النفس وأنكى في العدو وهاتان أهون لأنهما في الاموال وقطع الارض الى العدو سواء حصل غيظ الكفار والنيل من العدو أم لم يحصل فهاذا أعم وتلك أخص وكان تعليل تلك آكد اذ جاء بالجملة الاسمية المؤكدة بان وذكر فيه الاجر ولفظ المحسنين تنبيهاً على أنهم جاوزوا رتبة الاحسان التي هي أعلى رتب المؤمنين وفي هاتين الجملتين أتى بلام العلة وهي متعلقة بكتب والتقدير احسن جزاء الذين كانوا يعملون لان عملهم له جزاء حسن وله جزاء أحسن وهنا الجزاء الجزاء أحسن جزاء الذي كانوا يعملون لان عملهم له جزاء حسن وله جزاء أحسن وهنا الجزاء أحسن جزاء * وقال أبو عبد الله الرازي أحسن ما كانوا يعملون فيه وجهان الأول أن أحسن من صفة فعلهم وفيها الواجب والمندوب دون المباح انتهى هذا الوجه فاحتمل أن يكون أحسن بدلاً من ضمير ليجزى بهم بدل اشتغال كأنه قيل ليجزى الله أحسن أفعالهم بالاحسن من الجزاء أو بما شاء من الجزاء ويحتمل أن يكون ذلك على حذف مضاف فيكون التقدير ليجزى بهم جزاء أحسن أفعالهم والثاني أن الاحسن صفة للجزاء أى يجزى بهم جزاء هو أحسن من أعمالهم وأجل وأفضل وهو الثواب انتهى هذا الوجه وإذا كان الاحسن من صفة الجزاء فكيف أضيف الى الاعمال وليس بعضها منها وكيف يقع التفضيل اذ ذاك بين الجزاء وبين الاعمال ولم يصرح فيه بمن * وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون * لما سمعوا ما كان لاهل المدينة الآية أهمهم ذلك فنفروا الى المدينة الى الرسول فنزلت * وقيل قال المنافقون حين نزلت ما كان لاهل المدينة الآية هكذا أهل البوادي فنزلت وقيل لما دعا الرسول على مضر بالسنين أصابتهم مجاعة فنفروا الى المدينة للعاش وكادوا يفسدونها وكان أكثرهم غير صحيح الايمان وانما أقدمه الجوع فنزلت الآية فقال وما كان من ضعفه الايمان لينفروا مثل هذا النفير أى ليس هو إلا بمؤمنين وعلى هذه الاقوال لا يكون النفير الى الغزو والضمير الذي في ليتفقهوا عائد على الطائفة النافرة وهذا هو الظاهر * وقال ابن عباس الآية في البعوث والسرايا والآية المقدمة ثابتة الحكم مع خروج الرسول في الغزو وهذه ثابتة الحكم اذا لم يخرج أى يجب اذا لم يخرج أن لا ينفر الناس كافة فيبقى هو مفرداً وانما ينبغي

وقطع الارض الى العدو وسواء حصل غيظ للكفار والنيل من العدو أم لم يحصل فهاذا أعم وتلك أخص وكان تعليل تلك آكد اذ جاء بالجملة الاسمية المؤكدة بان وذكر فيه الاجر ولفظ المحسنين تنبيهاً على أنهم جاوزوا رتبة الاحسان التي هي أعلى رتب المؤمنين وفي هاتين الجملتين أتى بلام العلة وهي متعلقة بكتب والتقدير احسن جزاء الذين كانوا يعملون لان عملهم له جزاء حسن وله جزاء أحسن وهنا الجزاء الجزاء أحسن جزاء الذي كانوا يعملون لان عملهم له جزاء حسن وله جزاء أحسن وهنا الجزاء أحسن جزاء * وقال أبو عبد الله الرازي أحسن ما كانوا يعملون فيه وجهان الأول أن أحسن من صفة فعلهم وفيها الواجب والمندوب دون المباح انتهى هذا الوجه فاحتمل أن يكون أحسن بدلاً من ضمير ليجزى بهم بدل اشتغال كأنه قيل ليجزى الله أحسن أفعالهم بالاحسن من الجزاء أو بما شاء من الجزاء ويحتمل أن يكون ذلك على حذف مضاف فيكون التقدير ليجزى بهم جزاء أحسن أفعالهم والثاني أن الاحسن صفة للجزاء أى يجزى بهم جزاء هو أحسن من أعمالهم وأجل وأفضل وهو الثواب انتهى هذا الوجه وإذا كان الاحسن من صفة الجزاء فكيف أضيف الى الاعمال وليس بعضها منها وكيف يقع التفضيل اذ ذاك بين الجزاء وبين الاعمال ولم يصرح فيه بمن * وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون * لما سمعوا ما كان لاهل المدينة الآية أهمهم ذلك فنفروا الى المدينة الى الرسول فنزلت * وقيل قال المنافقون حين نزلت ما كان لاهل المدينة الآية هكذا أهل البوادي فنزلت وقيل لما دعا الرسول على مضر بالسنين أصابتهم مجاعة فنفروا الى المدينة للعاش وكادوا يفسدونها وكان أكثرهم غير صحيح الايمان وانما أقدمه الجوع فنزلت الآية فقال وما كان من ضعفه الايمان لينفروا مثل هذا النفير أى ليس هو إلا بمؤمنين وعلى هذه الاقوال لا يكون النفير الى الغزو والضمير الذي في ليتفقهوا عائد على الطائفة النافرة وهذا هو الظاهر * وقال ابن عباس الآية في البعوث والسرايا والآية المقدمة ثابتة الحكم مع خروج الرسول في الغزو وهذه ثابتة الحكم اذا لم يخرج أى يجب اذا لم يخرج أن لا ينفر الناس كافة فيبقى هو مفرداً وانما ينبغي

أن ينفر طائفة وتبقى طائفة لتتفقه هذه الطائفة في الدين وتندري النافر ين اذار جعوا اليهم
وقالت فرقة هذه الآية ناسخة لكل ما ورد من الزام الناس كافة النفر والقتال فعلى هذا وعلى
قول ابن عباس يكون الضمير في ليتفقهوا عائدا على الطائفة المقيمة مع النبي صلى الله عليه وسلم
ويكون معنى ولينذر واقومهم أى الطائفة النافرة الى الغزو يعامونهم بما تجدد من أحكام
الشرعية وتكاليفها وكان ثم جملة مخدوفة دل عليها تقسيمها أى فهلا نفر من كل فرقة منهم طائفة
وقعدت أخرى ليتفقهوا * وقيل على أن يكون النفر الى الغزو يصح أن يكون الضمير في
ليتفقهوا عائدا على النافر ين ويكون تفقههم في الغزو بما يرون من نصرته الله لدينه واطهاره
الفئة القليلة من المؤمنين على الكثيرة من الكافرين وذلك دليل على صحة الاسلام واخبار
الرسول بظهور هذا الدين والذي يظهر أن هذه الآية انما جاءت للحض على طلب العلم والتفقه
في دين الله وأنه لا يمكن أن يرحل المؤمنون كلهم في ذلك فتعري بلادهم منهم ويستولى عليها
وعلى ذرارهم أعداؤهم فهلا رحل طائفة منهم للتفقه في الدين ولانذار قومهم قد كرر العلة
للفير وهي النفقة والاثم الاعلام لقومهم بما عاينوه من أمر الشريعة أى فهلا نفر من كل جماعة
كثيرة جماعة قليلة منهم فكفوهم النفر وقام كل بمصلحة هذه بحفظ بلادهم وقتال أعدائهم وهذه
لتعلم العلم وفادتها المقيمين اذار جعوا اليهم * ومناسبة هذه الآية لما قبلها أن كلا النفر ين هو في سبيل
الله وإحياء دينه هذا بالعلم وهذا بالقتال * قال الزمخشري ليتفقهوا في الدين ليتكفوا الفقاهة
فيه ويتجشموا المشاق في أخذها وتحصيلها ولينذر واقومهم وليجعلوا غرضهم وهرجى همهم في التفقه
انذار قومهم وارشادهم والنصيحة لهم لعلمهم يحذرون ارادة أن يحذروا الله تعالى فيعملوا عملا صالحا
ووجه آخر وهو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا بعث بعثا بعد غزوة تبوك وبعد ما نزل
في المتخلفين من الآيات الشدائد استبق المؤمنون عن آخرهم الى النفر وانقطعوا جميعا عن الوحي
والتفقه في الدين فأمر وابلان ينفر من كل فرقة منهم طائفة الى الجهاد وتبقى اعقابهم يتفقهون حتى
لا ينقطعوا عن التفقه الذي هو الجهاد الأكبر لأن الجهاد بالحجة أعظم أمرا من الجهاد بالسيف
وقوله تعالى ليتفقهوا الضمير فيه للفرق الباقية بعد الطوائف النافرة ولينذر واقومهم ولينذر
الفرق الباقية قومهم النافر ين اذار جعوا اليهم ما حصلوا في أيام غيبتهم من العلوم وعلى الأول الضمير
للطائفة النافرة الى المدينة للتفقه * يأيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلوونكم من الكفار وليجدوا
فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين * لما حض تعالى على التفقه في الدين وحرض على رحلة
طائفة من المؤمنين فيه أمر تعالى المؤمنين كافة بقتال من يليهم من الكفار فجمع من الجهاد جهاد
الحجة وجهاد السيف وقال بعض الشعراء في ذلك

من لا يعدله القرآن كان له * من الصغار وبيض الهند تعديل

* قيل نزلت قبل الأمر بقتال الكفار كافة فهي من التدرج الذي كان في أول الاسلام وضعف
هذا القول بأن هذه الآية من آخر ما نزل وقالت فرقة انما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ربما
تجاوز قوما من الكفار غازيا لقوم آخرين أبعد منهم فأمر الله بغزو الادنى فالادنى الى المدينة
* وقالت فرقة الآية مبينة صورة القتال كافة فهي مترتبة مع الأمر بقتال الكفار كافة ومعناها ان
الله تعالى أمر فيها المؤمنين أن يقاتل كل فريق منهم الجيش الذي يضايقه من الكفرة وهذا هو
القتال لكامة الله ورد البأس الى الاسلام وأما اذا مال العدو الى صقع من أصقاع المسامين ففرض

يأيها الذين آمنوا قاتلوا
الذين * الآية لما حض
الله تعالى على التفقه في
الدين وحرض على رحلة
طائفة من المؤمنين فيه أمر
تعالى المؤمنين كافة بقتال
من يليهم من الكفار فجمع
بين الجهادين جهاد
الحجة وجهاد السيف وقال
بعض الشعراء
من لا يعدله القرآن كان له *
من الصغار وبيض الهند
تعديل *

* وليجدوا فيكم غلظة *
الغلظة تجمع الجرأة والصبر
على القتال وشدة العداوة
والغلظة حقيقة في الاجسام
فاستعيرت هنا للشدة في
الحرب وفي قوله واعلموا
تبشير لهم بالنصر

على من اتصل به من المؤمنين كفاية عدو ذلك الصقع وان بعدت الدار ونأت البلاد وقال قاتلوا هذه المقالة نزلت الآية مشيرة الى قتال الروم بالشام لأنهم كانوا يؤمنون العدو الذي يلي ويقرب اذ كانت العرب قد عمها الاسلام وكانت العراق بعيدة ثم لما اتسع نطاق الاسلام توجه الفرض في قتال الفرس والديلم وغيرهما من الأمم وسأل ابن عمر رجل عن قتال الديلم فقال عليك بالروم * وقال علي بن الحسين والحسن هم الروم والديلم يعني في زمنه * وقال ابن زيد المراد بهذه الآية وقت نزولها العرب فاما فرغ منهم نزلت في الروم وغيرهم قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر الى آخرها * وقيل هم قريظة والنضير وفدك وخيبر * وقال قوم تخرجوا أن يقاتلوا أقرباءهم وجيرانهم فأمر وابتغاهم ويأونكم ظاهره القرب في المكان * وقيل هو عام في القرب في المكان والنسب والبداءة بقتال من يلي لأنه متعذر قتال كلهم دفعة واحدة وقد أمرنا بقتال كلهم فوجب الترجيح بالقرب كما في سائر المهمات كال دعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولأن النفقات فيه والحاجة الى الدواب والادوات أقل ولأن قتال الأبعد تعريض لتدارك المسامحة الى الفتنة ولأن الدين يكون ان كانوا ضعفاء كان الاستيلاء عليهم أسهل وحصول غير الاسلام أيسر وان كانوا أقوياء كان تعرضهم لدار الاسلام أشد ولأن المعرفة بمن يلي آكد منها بمن بعدد الوقوف على كيفية أحوالهم وعددهم وعددهم فترجحت البداءة بقتال من يلي على قتال من بعد وأمر تعالى المؤمنين بالغلظة على الكفار والشدة عليهم كما قال تعالى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وذلك ليكون ذلك أهيب وأوقع للفرع في قلوبهم وقال تعالى أغز على الكافرين وفي الحديث ألقوا الكفار بوجوه مكفهرة وقال تعالى ولا تهنوا ولا تحزنوا وقال فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والغلظة تجمع الجراءة والصبر على القتال وشدة العداوة والغلظة حقيقة في الاجسام واستعيرت هنا للشدة في الحرب * وقرأ الجمهور غلظة بكسر الغين وهي لغة أسدوا الأعمش وابان بن ثعلب والمفضل كلاهما عن عاصم بفتحها وهي لغة الحجاز وأبو حيوة والسامى وابن أبي عمير والمفضل وابان أيضا بضمها وهي لغة تميم وعن أبي عمر وثلاث اللغات ثم قال واعلموا ان الله مع المتقين لينبه على أن يكون الحامل على القتال ووجود الغلظة انما هو تقوى الله تعالى ومن اتقى الله كان الله معه بالنصر والتأييد ولا يقصد بقتاله الغنمية ولا الفخر ولا اظهار البسالة * واذا ما نزلت سورة فمنهم من يقول أياكم زادته هذه ايمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم وماتوا وهم كافرون * قال ابن عباس نزلت هذه والثانية في المنافقين كانوا اذا نزلت سورة فيها عيب المنافقين خطبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرض بهم في خطبته فينظر بعضهم الى بعض يريدون الحرب ويقولون هل يراكم من أحد ان قتم فان لم يرههم أحد خرجوا من المسجد * اياكم زادته هذه ايمانا * يحتمل أن يكون خطاب بعض المنافقين لبعض على سبيل الإنكار والاستهزاء بالمؤمنين ويحتمل أن يقولوا ذلك لقراباتهم المؤمنين فيستقيمون اليهم ويطمعون في ردهم الى النفاق ومعنى قولهم هذه هو على سبيل التحقير للسورة والاستخفاف بها كما تقول اى غريب في هذا واى دليل في هذا وفي الفتيان قيل هو قول المؤمنين للحث والتنبية * وقرأ الجمهور رأيتكم

بالرفع * وقرأ زيد بن علي وعبيد بن عمير أياكم بالنصب على الاشتغال والنصب فيه عند الأخفش أفصح كهو بعد أداء الاستفهام نحو أزيد اضربه والتقسيم يقتضي أن الخطاب من أولئك المنافقين المستهزئين عام للمنافقين والمؤمنين وزيادة الإيمان عبارة عن حدوث تصديق خاص لم يكن قبل نزول السورة من قصص وتجديد حكم من الله تعالى أو عبارة عن تنبيه على دليل تضمنته السورة ويكون قد حصلت له معرفة الله بأدلة فنيته هذه السورة على دليل زاد في أدلته أو عبارة عن إزالة الشك يسير أو شبهة عارضة غير مستحكمة فيزول ذلك الشك وترتفع الشبهة بتلك السورة وأما على قول من يسمي الطاعة إيمانا وذلك مجاز عند أهل السنة فتترتب الزيادة بالسورة إذ يتضمن أحكاما * وقال الربيع فزادتهم إيمانا أي خشية أطلق اسم الشيء على بعض ثمراته * وقال الزمخشري فزادتهم إيمانا لأنها أزيد للمتقين على الثبات وأثلج للصدور وأوفزادتهم عملا فان زيادة العمل زيادة في الإيمان لأن الإيمان يقع على الاعتقاد والعمل انتهى وهي نزعة اعتزالية وهم يستبشرون بما تضمنته من رحمة الله ورضوانه * وأما الذين في قلوبهم مرض هم المنافقون والصحة والمرض في الأجسام فنقل إلى الاعتقاد مجازا والرجس القدر والرجس العذاب وزيادة عبارة عن تعمقهم في الكفر وخبطهم في الضلال وإذا كفروا بسورة فقد زاد كفرهم واستحكم وتزايد عقابهم * قال قطرب والزجاج أراد كفرا إلى كفرهم * وقال مقاتل أثمالي أثمهم * وقال السدي والسكبي شكالي شكهم * وقال ابن عباس أراد ما أعد لهم من الخزي والعذاب المتجدد عليهم في كل وقت في الدنيا والآخرة وأتى نزول السورة للمؤمنين شيئين زيادة الإيمان والاستبشار بما لهم عند الله ولذين في قلوبهم مرض زيادة رجس والمواقاة على الكفر أدام كفرهم الأصلي وزيادة إلى أن ماتوا على الكفر * أولايرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون * لماذا كرر أثمهم عوهم على الكفر لأنهم كانوا إلى عذاب الآخرة ذكرا أنهم أيضا في الدنيا لا يخلصون من عذابها والضمير في يرون عائد على الذين في قلوبهم مرض وذلك على قراءة الجمهور بالياء * وقرأ حمزة بالياء خطابا للمؤمنين والرؤية يحتمل أن تكون من رؤية القلب ومن رؤية البصر * وقرأ أبي وابن مسعود والأعمش أولاترى أي أنت يا محمد وعن الأعمش أيضا أولم تروا * وقال أبو حاتم عنه أولم تروا * قال مجاهد يفتنون يختبرون بالسنة والجوع * وقال النقاش عنه مرضة أو مرضتين * وقال الحسن وقتادة يختبرون بالأمر بالجهاد * قال ابن عطية والذي يظهر مما قبل الآية ومما بعدها أن الفتنة والاختبار انما هي بكشف الله أسرارهم وافشائه عقائدهم فهذا هو الاختبار الذي تقوم عليه الحجة برؤيته وترك التوبة وأما الجهاد أو الجوع فلا يترتب معهم ما ذكرناه فعنى الآية على هذا أفلا يزدجر هؤلاء الذين تفضح سرائرهم كل سنة مرة أو مرتين بحسب واحد واحد ويعلمون أن ذلك من عند الله فيمتوبون ويذكرون وعد الله وعيده انتهى وقاله مختصرا مقاتل قال يفضحون باظهار نفاقهم وأما الاختبار بالمرض فهو في المؤمنين وقد كان الحسن ينشد

أفي كل عام مرضة ثم نقية * فحتى متى حتى متى وإلى متى

* وقالت فرقة معنى يفتنون بما يشيعه المشركون على رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأكاذيب والأراجيف وإن مالوك الروم قاصدون بجهوشهم وجوعهم إليهم واليه الإشارة بقوله لأن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض فكان الذين في قلوبهم مرض يفتنون في ذلك * وحكى الطبري هذا القول عن حذيفة وهو غريب من المعنى * وقال الزمخشري يفتنون يبتلون بالمرض

* أولايرون * قرئ
بياء الغيبة يعني به الكفار
وبناء الخطاب يعني به
المؤمنين والرؤية ما بصرية
أو علمية ومعنى الآية أفلا
يزدجر هؤلاء الذين تفضح
سرائرهم كل سنة مرة أو
مرتين بحسب واحد واحد
ويعلمون أن ذلك من عند
الله فيمتوبون ويذكرون
وعد الله وعيده

والقحط وغيرهم امن بلاء الله تعالى ثم لا ينتهون ولا يتوبون من نفاقهم ولا يذكرون ولا يعتبرون ولا ينظرون في أمرهم أو يبتلون بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعاينون أمره وما ينزل الله تعالى عليه من النصر وتأييده أو يفقهون الشيطان فيكذبون وينقضون العهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقتلهم وينكل بهم ثم لا ينزجرون * وقرأ ابن مسعود ولا هم يتذكرون * وإذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم إلى بعض هل يراكم من أحد ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون * ذكر أولاً ما يحدث عنهم من القول على سبيل الاستهزاء ثم ذكر ثانياً ما يصدر منهم من الفعل على سبيل الاستهزاء وهو الإيماء والتغامز بالعيون انكاراً للوحي وسخرية قائلين هل يراكم من أحد من المساميين لنصرف فانا لا نقدر على استماعه ويغلبنا الضحك فخاف الافتضاح بينهم أو ترامقوا يتشاورون في تدبير الخروج والانسلال لو اذ يقولون هل يراكم من أحد والظاهر اطلاق السورة آية سورة كانت * وقيل ثم صفة مخدوفة أي سورة تفضيهم ويذكر فيها مخازيهم نظربعضهم إلى بعض على جهة التقرير يفهم من تلك النظرة التقرير هل يراكم من ينقل عنكم هل يراكم من أحد حين تدبرون أموركم ثم انصرفوا أي عن طريق الاهتداء وذلك انهم حين ما بين لهم كشف أسرارهم والاعلام بمغيبات أمورهم يقع لهم لاحالة تعجب وتوقف ونظر فلو اهتموا لكان ذلك الوقت مظنة النظر الصحيح والاهتداء * قال الضحاك هل اطلع أحد منهم على سرائرهم مخافة القتل ثم انصرفوا ان كان حقيقة فالمعنى قاموا من المكان الذي تتلى فيه السورة أو مجازاً فالمعنى انصرفوا عن الإيمان وذلك وقت رجوعهم اليه واقبالهم عليه قاله الكلبي أو رجعوا إلى الاستهزاء أو إلى الطعن في القرآن والتكذيب له ولمن جاء به أو عن العمل بما كانوا يسمعون أو عن طريق الاهتداء بعد ان بين لهم ومهدوا قلوبهم ودلهوا وهذا القول راجع لقول الكلبي صرف الله قلوبهم صيغته خبر وهو دعاء عليهم بصرف قلوبهم عما في قلوب أهل الإيمان قاله الفقهاء والظاهر أنه خبر لما كان الكلام في معرض ذكر التكذيب بدأ بالفعل المنسوب اليهم وهو قوله ثم انصرفوا ثم ذكر فعله تعالى بهم على سبيل المجازاة لهم على فعلهم كقوله فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم * قال الزجاج أضلهم * وقيل عن فهم القرآن والإيمان به * وقال ابن عباس عن كل رشد وخير وهدي * وقال الحسن طبع عليها بكفرهم * قال الزمخشري صرف الله قلوبهم دعاء عليهم بالخذلان وبصرف قلوبهم عما في قلوب أهل الإيمان من الانشراح بأنهم قوم لا يفقهون يحتمل أن يكون متعلقاً بانصرفوا أو بصرف فيكون من باب الاعمال أي بسبب انصرفهم أو بصرف الله قلوبهم هو بسبب أنهم لا يتدبرون القرآن فيفقهون ما احتوى عليه مما يوجب إيمانهم والوقوف عنده * لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم * لما بدأ السورة براءة الله ورسوله من المشركين وقص فيها أحوال المنافقين شياً فشيئاً خاطب العرب على سبيل تعداد النعم عليهم والمن عليهم بكونه جاءهم رسول من جنسهم أو من نسبهم عربياً قرشياً يبلغهم عن الله متصف بالأوصاف الجميلة من كونه يعز عليهم مشققتهم في سوء العاقبة من الوقوع في العذاب ويحرص على هدايتهم ويرأف بهم ويرحمهم * قال ابن عباس ما من قبيلة من العرب الا ولدت النبي صلى الله عليه وسلم لم تكنه قل ياه عشرين العرب لقد جاءكم رسول من بني اسمعيل ويحتمل أن يكون الخطاب لمن يحضرته من أهل المال والنخل ويحتمل أن يكون خطاباً لبني آدم والمعنى انه لم يكن من غير جنس بني آدم لما في ذلك من التنافر بين الاجناس كقوله

﴿ واذا ما أنزلت سورة ﴾ نظر ﴿ الآية ذكر أولاً ما يحدث عنهم من القول على سبيل الاستهزاء ثم ذكر ثانياً ما يصدر منهم من الفعل على سبيل الاستهزاء وهو الإيماء والتغامز بالعيون انكاراً للوحي وسخرية قائلين هل يراكم من أحد من المساميين لنصرف فانا لا نقدر على استماعه ونظر بصرية وهي معلقة وهل يراكم من أحد في موضع نصب بها * ثم انصرفوا * أي عن الإيمان والفكر في السورة التي نزلت ﴿ صرف الله قلوبهم ﴾ الظاهر أنه خبر لما كان الكلام في معرض ذكر الذنب بدأ بالفعل المنسوب اليهم وهو قوله ثم انصرفوا ثم ذكر تعالى فعله بهم على سبيل المجازاة لهم في فعلهم لقوله تعالى فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم * لقد جاءكم رسول ﴿ الآية لما ابتدأ السورة سبحانه براءة الله ورسوله من المشركين وقص فيها أحوال المنافقين شيئاً فشيئاً خاطب العرب على سبيل تعداد النعم والمن عليهم بكونهم جاءهم رسول من جنسهم عربياً قرشياً يبلغهم عن الله متصف بالأوصاف الجميلة من كونه

ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا ولما كان المخاطبون عاما اما عامة العرب واما عامة بني آدم جاء الخطاب عاما بقوله عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم أي على هدايتكم حتى لا يخرج أحد عن اتباعه فهلك ولما كانت الرأفة والرحمة خاصة جاءت متعلقها خاصا وهو قوله بالمؤمنين رؤوف رحيم ألا ترى إلى قوله جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وقال أعزة على الكافرين وقال في زناة المؤمنين ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر * قال ابن عطية وقوله من أنفسكم يقتضي مدح النسب النبي صلى الله عليه وسلم وانه من صميم العرب وأشرفها وينظر إلى هذا المعنى قوله عليه السلام ان الله اصطفى كنانة من ولد اسمعيل واصطفى قريش من كنانة واصطفى بني هاشم من قريش واصطفاني من بني هاشم ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اني من نكاح ولست من سفاح معناه ان نسبه صلى الله عليه وسلم إلى آدم عليه السلام لم يكن النسل فيه الا من نكاح ولم يكن فيه زنا انتهى وصف الله نبيه عليه السلام بستة أوصاف الرسالة وهي صفة كمال الانسان لما احتوت عليه من كمال ذات الرسول وطهارة نفسه الزكية وكونه من الخيار بحيث أهل أن يكون واسطة بين الله وبين خلقه ولما كانت هذه الصفة أشرف الأشياء بدى بكبرها وكونه من أنفسهم وهي صفة مؤثرة في التبليغ والفهم عنه والتأنس به فان كان خطابا للعرب ففي هذه الصفة التنبه على شرفهم والتعريض على اتباعه وان كان الخطاب لبني آدم ففيه التنويه بهم واللفظ في إيصال الخير اليهم وأنه معروف بينهم بالصدق والامانة والعفاف والصيانة وكونه يعز عليهم ما يشق عليكم فهذا الوصف من نتائج الرسالة ومن كونه من أنفسهم لان من كان مثلك وأدلك الخير وصعب عليه إيصال ما يؤذى اليك وكونه حريصا على هدايتهم وهو أيضا من نتائج الرسالة لانه بعث ليعبد الله ويفر دبالا لوهية وكونه رؤفا رحيما بالمؤمنين وهما وصفان من نتائج التبعية له والدخول في دين الله انما المؤمنون اخوة المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا حتى تحب لأخيك المؤمن ما تحب لنفسك * وقرأ ابن عباس وأبو العالية والضحاك وابن محيصن ومحبوب عن أبي عمرو وعبد الله بن قسيط المكي ويعقوب بن بعض طرقه من أنفسكم بفتح الفاء ورويت هذه القراءة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن فاطمة وعائشة رضي الله عنهما والمعنى من أشرفكم وأعزكم وذلك من النفاسة وهو راجع لمعنى النفس فانها أعز الأشياء والظاهر أن ما صدرية في موضع الفاعل بعز يز أي يعز عليه مشقةكم كما قال

يعز عليه مشقتهم في سوء
العاقبة من الوقوع في
العذاب ويحرص على
هداهم ويرأف بهم ويرحمهم
صلى الله عليه وسلم *

يسر المرء ما ذهب الليالي * وكان ذهابهن له ذهابا

أي يسر المرء ذهاب الليالي ويجوز أن يكون ما عنتم مبتدأ أي عنتمكم عزيز عليه وقدم خبره والاول أقرب وأجاز الخوفي أن يكون عزيز مبتدأ وما عنتم الخبر وأن تكون ما بمعنى الذي وأن تكون مصدرية وهو اعراب دون الاعرابين السابقين * وقال ابن القشيري عزيز صفة للنبي صلى الله عليه وسلم وانما وصف بالعزة لتوسطه في قومه وعراقة نسبه وطيب جرتومته ثم استأنف فقال عليه ما عنتم أي يهمله أمركم انتهى والعنت تقدم شرحه في البقرة في قوله لا عنتمكم * وقال ابن عباس هنا مشقةكم * وقال الضحاك انتمكم * وقال سعيد بن أبي عروبة ضلالكم * وقال العتيبي ما ضركم * وقال ابن الأنباري ما أهلككم * وقيل ما غمكم والاولى ان يضر في عليكم أي على هدايتكم وإيمانكم كقوله ان تحرص على هدايتهم وقوله وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين * وقيل حريص على إيصال الخيرات لكم في الدنيا والآخرة * وقال الفراء الحريص هو الشحيح والمعنى انه شحيح عليكم

أن تدخلوا النار * وقيل حريص على دخولكم الجنة وإنما احتج إلى الأضمار لأن الحرص لا يتعلق
بالذوات ويحتمل بالمؤمنين أن يتعلق برؤف ويحتمل أن يتعلق برحيم فيكون من باب التنازع وفي
جواز تقديم معمول المتنازعين نظر فلا كثرون لا يذكرون فيه تقدمه عليهما وأجاز بعض
التحويين التقديم فتقول زيدا ضربت وشقت على التنازع والظاهر تعلق الصفتين بجميع
المؤمنين * وقال قوم بالتوزيع رؤف بالمطيعين رحيم بالمذنبين * وقيل رؤف بمن رآه رحيم بمن لم
ره * وقيل رؤف باقر بائه رحيم بغيرهم * وقال الحسن بن الفضل لم يجمع الله لنبي بين اسمين من
أسمائه إلا لنبينا صلى الله عليه وسلم فإنه قال بالمؤمنين رؤوف رحيم وقال تعالى إن الله بالناس لرؤوف
رحيم * فإن تولوا فقل حسبى الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم * أى فإن
أعرضوا عن الإيمان بعد هذه الحالة التى من الله عليهم بها من إرسالك إليهم واتصافك بهذه الأوصاف
الجيلة فقل حسبى الله أى كافى من كل شئ عليه توكلت أى فوضت أمري إليه لا إلى غيره وقد
كفاه الله شرهم ونصره عليهم ادلا إله غيره وهى آية مباركة لأنها من آخر ما نزل وخص العرش
بالذكر لأنه أعظم المخلوقات * وقال ابن عباس العرش لا يقدر أحد قدره انتهى وذكر فى معرض
شرح قدرة الله وعظمته وكان الكفار يسمعون حديث وجود العرش وعظمته من اليهود
والنصارى ولا يبعد أنهم كانوا اسمعوا ذلك من أسلافهم * وقرأ ابن محيصن العظيم برفع الميم صفة
للرب ورويت عن ابن كثير * قال أبو بكر الأصم وهذه القراءة أعجب إلى لأن جعل العظيم صفة لله
تعالى أولى من جعله صفة للعرش وعظم العرش بكبر جثته واتساع جوانبه على ما ذكر فى الأخبار
وعظم الرب بتقديسه عن الحجمية والأجزاء والأبعاد وبكمال العلم والقدرة وتنزهه عن أن يتمثل
فى الأوهام أو تصل إليه الأفهام وعن ابن عباس آخر ما نزل لقد جاءكم إلى آخرها * وعن أبى أقرب
القرآن عهدا بالله لقد جاءكم الآيتان وهاتان الآيتان لم توجدا حين جمع المصحف إلا فى حفظ خزنة
ابن ثابت ذى الشهادتين فاجاءها تذكروها كثير من الصحابة وقد كان زيد يعرفها ولذلك قال
فقدت آيتين من آخر سورة التوبة ولو لم يعرفها لم ندر هل فقد شيئا أو لا فأنما ثبتت الآية بالاجماع لا
بخزينة وحده * وقال عمر بن الخطاب ما فرغ من تنزيل براءة حتى ظننا أن لن يبقى منا أحد إلا سئل
فيه شئ وفى كتاب أبى داود عن أبى الدرداء قال من قال إذا أصبح وإذا أمسى حسبى الله لا إله إلا هو
عليه توكلت وهو رب العرش العظيم سبع مرات كفاه الله تعالى ما أمه

* سورة يونس عليه
السلام *
بسم الله الرحمن الرحيم
(الدر)

بالمؤمنين رؤوف رحيم
(ح) يحتمل بالمؤمنين أن
يتعلق برؤف ويحتمل أن
يتعلق برحيم فيكون من
باب التنازع وفي جواز
تقديم معمول المتنازعين
نظر فلا كثرون يذكرون فيه
تقدمه عليهما وأجاز بعض
التحويين التقديم فتقول
زيدا ضربت وشقت
على التنازع

* سورة يونس مائة وتسع آيات مكية *

* بسم الله الرحمن الرحيم *

* الر تلك آيات الكتاب الحكيم * أ كان للناس عجبا أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس
وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم قال الكافرون إن هذا السحرمبين * إن ربكم الله
الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الأمر ما من شفيع إلا من بعد
إذنه ذلكم الله ربكم فاعبدوه أفلا تذكرون * إليه مرجعكم جميعا وعد الله حقا أنه يبدؤا الخلق ثم
يعيده ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط والذين كفروا لهم شراب من جهنم وعذاب أليم بما
كانوا يكفرون * هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين
والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون * إن فى اختلاف الليل والنهار

وما خلق الله في السموات والارض آيات لقوم يتقون * ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا
 بالحياة الدنيا واطمنوا بها والذين هم عن آياتنا عافلون * أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون *
 ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم تجري من تحتهم الانهار في جنات النعيم *
 دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين * ولو يعجل
 الله للناس الشر استعجلهم بالخير لقضى إليهم أجلهم فذروا الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون
 واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه أو قاعداً أو قائماً فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا الى ضره
 مثله كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون * ولقد أهلكنا القرون من قبلكم بالظالموا وجاءتهم
 رسلهم بالبينات وما كانوا يؤمنوا كذلك نجزي القوم المجرمين * ثم جعلناكم فئس في الارض
 من بعدهم لننظر كيف تعملون * واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا انت بقرآن
 غير هذا أو بدله قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي إرا أتبع الى ما يوحى الى انى أخاف ان
 عصيت ربي عذاب يوم عظيم * قل لو شاء الله ما تلوثه عليكم ولا أدراكه به فقد لبثت فيكم عمراً من
 قبله أفلا تعقلون * من أظلم ممن افترى على كذبا أو كذب بآياته انه لا يفلح المجرمون * ويعبدون
 من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم في
 السموات ولا في الارض سبحانه وتعالى عما يشركون * وما كان الناس الا أمة واحدة فاختلّفوا
 ولو لا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم فيما فيه يختلفون * ويقولون لو لا أنزل عليه آية من ربه فقل
 انما الغيب لله فانتظروا انى معكم المنتظرون * واذا أدقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم اذا لهم
 مكر في آياتنا قل الله أسرع مكر ان رسلنا يكتبون ما تمكرون * هو الذى يسيركم في البر والبحر
 حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءهم عاصف وجاءهم الموج من كل
 مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الذين لن أنجيتنا من هذه لشكون بن الشاكرين
 فاما أنجاهم اذا هم يبعثون في الارض بغير الحق يا أيها الناس انما بغيكم على أنفسكم متاع الحياة الدنيا
 ثم الينا مرجعكم فتنبئكم بما كنتم تعملون * القدم قال الليث وأبو الهيثم القدم السابقة قال ذو الرمة
 وأنت امرؤ من أهل بيت دؤابة * لهم قدم معروفة ومفاخر

تلك آيات الكتاب

* وقال أبو عبيدة والكسائي كل سابق في خير أو شرف فهو قدم * وقال الأخفش سابقة اخلاص
 كما في قول حسان لنا القدم العليا اليك وخلفنا * لا ولنا في طاعة الله تابع
 * وقال أحمد بن يحيى كل ما قدمت من خير * وقال ابن الأنباري العمل الذي يتقدم فيه ولا يقع فيه
 تأخير ولا إبطاء * المرور مجاوزة الشيء والعبور عليه تقول مررت بزيد جاوزته والمرّة القوة ومنه
 ذو مرة ومر را حبل قواه ومنه لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مرة سوى * العاصف الشديدة يقال
 عصف الريح * قال الشاعر

حتى اذا عصف ريح من عرعة * فيها قطار وورعد صوته زجل

وأعصف الريح قال الشاعر

ولمت عليه كل معصفة * هو جاء ليس للهارير

* وقال أبو تمام *

ان الرياح اذا ما أعصفت قصفت * عيمدان نجد ولا يعبأ بالرم

الموج ما ارتفع من الماء عند هبوب الهواء سمي موجاً لا اضطرابه * تلك آيات الكتاب

الحكيم * هذه السورة مكية الاثلاث آيات فانها نزلت بالمدينة وهي فان كنت في شك الى آخره بن عباس وسبب نزولها ان اهل مكة قالوا لم يجد الله رسولا الايتيم ابي طالب فنزلت * ومناسبتها لما قبلها انه تعالى لما أنزل واذا ما نزلت سورة وذكر تكذيب المنافقين ثم قال لقد جاءكم رسول وهو محمد صلى الله عليه وسلم اتبع ذلك بذكر الكتاب الذي أنزل والنبي الذي أرسل وان ديدن الظالمين واحدا منافقيهم ومشركيهم في التكذيب بالكتب الالهية وبن جاءها ولما كان ذكر القرآن مقدما على ذكر الرسول في آخر السورة جاء في أول هذه السورة كذلك فتقدم ذكر الكتاب على ذكر الرسول والظاهر أن تلك باقية على موضوعها من استعمالها بعد المشار اليه وقال مجاهد وقتادة أشار بتلك الى الكتب المتقدمة من التوراة والانجيل والزبور فتكون الآيات القصص التي وصفت في تلك الكتب وقال الزجاج اشارة الى آيات القرآن التي جرى ذكرها والهمزة في * أ كان للناس * للاستفهام على سبيل الإنكار لوقوع العجب من الإيحاء الى بشرتهم (١٢١) بالانذار والتبشير أي لا عجب في ذلك فهي عادة الله في

الامم السالفة أوحى الى رسلكم الكتب بالتبشير والانذار على أيدي من اصطفاهم منهم واسم كان انا أوحينا وعجبا الخبر وللناس قيل هو في موضع الحال من عجبالانه لو تأخر لكان صفة فلما تقدم كان حالا وقيل يتعلق بقوله عجبا وليس مصدرا بل هو بمعنى معجب والمصدر اذا كان بمعنى المفعول جاز تقدم معموله عليه كاسم المفعول وقيل هو تبين أي أعنى للناس وقيل يتعلق بكان وان كانت ناقصة وهذا لا يتم اذا قدرت دالة على الحدوث فانها ان تمحضت للدلالة

الحكيم أ كان للناس عجبا ان أوحينا الى رجل منهم ان أنذر الناس وبشر الذين آمنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم قال الكافرون ان هذا السحرمبين * هذه السورة مكية الاثلاث آيات فانها نزلت بالمدينة وهي فان كنت في شك الى آخره بن عباس * وقال السكبي الاقوله ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به فانها نزلت في اليهود بالمدينة * وقال قوم نزل من أولها نحو من أربعين آية بمكة ونزل باقيها بالمدينة * وقال الحسن وعطاء وجابر هي مكية وسبب نزولها ان اهل مكة قالوا لم يجد الله رسولا الايتيم ابي طالب فنزلت * وقال ابن جريج عجبت قريش ان يبعث رجلا منهم فنزلت * وقيل لما حدثهم عن البعث والمعاد والنشور تعجبوا * ومناسبتها لما قبلها انه تعالى لما أنزل واذا ما أنزلت سورة وذكر تكذيب المنافقين ثم قال لقد جاءكم رسول وهو محمد صلى الله عليه وسلم اتبع ذلك بذكر الكتاب الذي أنزل والنبي الذي أرسل وان ديدن الضالين وأحد متابعيهم ومشركيهم في التكذيب بالكتب الالهية وبن جاءها ولما كان ذكر القرآن مقدما على ذكر الرسول في آخر السورة جاء في أول هذه السورة كذلك فتقدم ذكر الكتاب على ذكر الرسول وتقدم ما قاله المفسرون في أوائل هذه السورة المفتحة بحروف المعجم وذكروا هنا أقوالا عن المفسرين منها أنا الله أرى ومنها أنا الله الرحمن ومنها أنه يتركب منها ومن حم ومن نون الرحمن فالراء بعض حروف الرحمن مفارقة ومنها أنا الرب وغير ذلك والظاهر أن تلك باقية على موضوعها من استعمالها بعد المشار اليه * فقال مجاهد وقتادة أشار بتلك الى الكتب المتقدمة من التوراة والانجيل والزبور فيكون الآيات القصص التي وصفت في تلك الكتب * وقال الزجاج اشارة الى آيات القرآن التي جرى ذكرها * وقيل اشارة الى الكتاب المحكم الذي هو مخزون مكتوب عند الله ومنه نسخ كل كتاب كما قال بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ * وقال وانه في أم الكتاب * وقيل اشارة الى الرا وأخواتها من حروف المعجم أي تلك الحروف المفتحة بها السور وان قربت

(١٦ - تفسير البحر المحيط لابن حيان - خامس) على الزمان لم يصح تعلقها بقرآن عبد الله عجب فقيل عجب اسم كان وان أوحينا هو الخبر فيكون نظير قوله * يكون مزاجها غسل وماء * وهذا محمول على الشذوذ وهذا يخرج الزخشي وابن عطية وقيل كان تامة وعجب فاعل بها والمعنى أحبت للناس عجب لأن أوحينا وهذا التوجيه حسن * وان أنذر * ان تفسيرية أو مصدرية مخففة من الثقيلة وأصله أنه أنذر الناس على معنى ان الشأن قولنا أنذر الناس قائلها الزخشي ويجوز أن تكون ان المصدرية التثنية الوضع لا المخففة من الثقيلة لأنها توصل بالماضي والمضارع والاضمر فوصلت هنا بالاضمر وينسب منها مع مصدر تقديره بانذار الناس وهذا الوجه أولى من التفسيرية لان الكوفيين لا يثبتون لان أن تكون تفسيرية ومن المصدرية المخففة من الثقيلة التقدير حذف اسمها واضمار خبرها وهو القول فيجمع فيها حذف الاسم والخبر ولان التأصيل خير من دعوى الحذف بالتخفيف * * قدم صدق * قال ابن عباس وغيره هي الاعمال الصالحة من العبادات * عند ربهم * سابقة وفضلا ومنزلة رفيعة ولما كان السعي والسبق بالقدم سميت المسعاة الجيلة والسابقة قدما كما سميت النعمة يد الانعام تعطى باليد * ان هذا * اشارة الى الإيحاء بالانذار والتبشير * لسحرمبين * لشيء يعطل به وهو شيء لا حقيقة له كما قال * ونسحر بالطعام والشراب * أي نعمل بهما

ألفاظها فاعانها بعيدة المنال وهي آيات الكتاب أي الكتاب بها تسلي وألفاظه اليها ترجع
ذكره ابن الأنباري * وقيل استعمل تلك بمعنى هذه والمشار إليه حاضر قريب قاله ابن عباس
واختاره أبو عبيدة * فقيل آيات القرآن * وقيل آيات السور التي تقدم ذكرها في قوله وإذا
ما أنزلت سورة * وقيل المشار إليه هو الرءاء فانها كنوز القرآن وبها العلوم التي استأثر الله بها
* وقيل إشارة إلى ما تضمنته السورة من الآيات والكتاب السورة والحكيم الحاكم أو ذو
الحكمة لاشتراكه عليها وتعلقها بها أو المحكم أو المحكم به أو المحكم أقوال والهمزة في أ كان للاستفهام
على سبيل الإنكار لوقوع العجب من الإيحاء إلى بشر من به بالإنذار والتبشير أي لا عجب في ذلك
فهي عادة الله في الأمم السالفة أوحى إلى رسالهم الكتب بالتبشير والإنذار على أيدي من اصطفاه
منهم واسم كان أن أوحينا وعجبا الخبر وللناس فقيل هو في موضع الحال من عجبالا أنه لو تأخر
الكان صفة فلما تقدم كان حالا * وقيل يتعلق بقوله عجبا وليس مصدر ابل هو بمعنى معجب والمصدر
إذا كان بمعنى المفعول جاز تقدم معموله عليه كاسم المفعول * وقيل هو تبين أي أعنى للناس * وقيل
يتعلق بكان وإن كانت ناقصة وهذا لا يتم إلا إذا قدرت دالة على الحدث فانها إن تمحضت للدلالة على
الزمان لم يصح تعلق بها * وقرأ عبد الله عجب * فقيل عجب اسم كان وإن أوحينا هو الخبر فيكون نظير
* يكون من اجها غسل وماء * وهذا محمول على الشذوذ وهذا يخرج الزمخشري وابن
عطية * وقيل كان نامة وعجب فاعل بها والمعنى أحدث للناس عجب لأن أوحينا وهذا التوجيه حسن
ومعنى للناس عجبا أنهم جعلوه لهم أعجوبة يعجبون منها ونصبوه عامالهم بوجهون نحووه استهزاءهم
وانكارهم * وقرأ روبة إلى رجل بسكون الجيم وهي لغة تميمية يسكنون فعلا نحو سبع وعضد في
سبع وعضد ولما كان الإنذار عاما كان متعلقه وهو الناس عاملا للبشارة خاصة فكان متعلقها
خاصا وهو الذين آمنوا وأن أنذر أن تفسيرية أو مصدرية مخففة من الثقلية وأصله أنه أنذر الناس على
معنى أن الشأن قولنا أنذر الناس قالها الزمخشري ويجوز أن تكون أن المصدرية الثنائية الموضع لا
للمخففة من الثقلية لأنها اتصل بالماضي والمضارع والامر فوصلت هنا بالامر وينسب منها مصدر
تقديره بأنذر الناس وهذا الوجه أولى من التفسيرية لأن الكوفيين لا يثبتون لأن أن تكون
تفسيرية ومن المصادرية المخففة من الثقلية لتقدير حذف اسمها واضمار خبرها وهو القول فيجتمع
فيها حذف الاسم والخبر ولأن التأصيل خير من دعوى الحذف بالتخفيف وبشر الذين آمنوا أن لهم
أي بأن لهم وحذفت الباء * وقدم صدق قال ابن عباس ومجاهد والضحاك والربيع بن أنس وابن
زبد عن الأعمال الصالحة من العبادات * وقال الحسن وقتادة هي شفاعت محمد صلى الله عليه وسلم
* وقال زيد بن أسلم وغيره هي المصيبة بمحمد صلى الله عليه وسلم * وقال ابن عباس وغيره هي السعادة
السابقة لهم في الدوح المحفوظ * وقال مقاتل سابقة خير عند الله قدمها والى هذا المعنى أشار وضاح
اليماني في قوله مالك وضاح دائم الغزل * ألسنت تخشى تقارب الاجل
صل لدى العرش واتخذ قدما * ينحنيك يوم الغثار والزلل
* وقال قتادة أيضا سلف صدق * وقال عطاء مقام صدق * وقال يمان إيمان صدق * وقال الحسن
أيضا ولند صاحب قدموه * وقيل تقديم الله في البعث لهذه الامنة وفي ادخالهم الجنة كما قال نحن الآخرون
السابقون يوم القيامة * وقيل تقدم شرف * ومنه قول العجاج
ذل بني العوام من آل الحكم * وتركوا الملك ذى قدس
* وقال الزجاج درجته عالية وعنه نزلة رفيعة * ومنه قول ذي الرمة

لكم قدم لا ينكر الناس انها * مع الحسب العادى طمت على البحر

* وقال الزمخشري قدم صدق عند ربهم سابقة وفضلا ومنزلة رفيعة ولما كان السعي والسبق بالقدم سميت المسعاة الجميلة والسابقة قدما كما سميت النعمة يدا لانها تعطى باليد وباعلان صاحبها يبعث بها فقيل لفلان قدم في الخير وضافته الى صدق دلالة على زيادة فضل وانه من السوابق العظيمة * وقال ابن عطية والصدق في هذه الآية بمعنى الصلاح كما تقول رجل صدق وعن الاوزاعي قدم بكسر القاف تسمية بالمصدر * قال الكافرون ذهب الطبري الى أن في الكلام حذفا يدل الظاهر عليه تقديره فلما أنذروا بشر قال الكافرون كذا وكذا * قال ابن عطية قال الكافرون يحتمل أن يكون تفسيره لقوله أكان للناس وحينا الى بشر عجا قال الكافرون عنه كذا وكذا * وقرأ الجمهور والعريبان ونافع لسحر اشارة الى الوحي وباقي السبعة وابن مسعود وأبو رزين ومسرور وابن جبير ومجاهد وابن وثاب وطائفة والاعمش وابن محيصن وابن كثير وعيسى بن عمرو وبخلاف عنهما لساحر اشارة الى الرسول صلى الله عليه وسلم وفي مصحف أبي ما هذا الاسحر * وقرأ الاعمش أيضا ما هذا الاسحر * قال ابن عطية وقولهم في الانذار والبشارة سحر انما هو بسبب انه فرق كلمتهم وحال بين القريب وقريبه فأشبه ذلك ما يفعله الساحر وظنوه من ذلك الباب * وقال الزمخشري وهذا دليل عجزهم واعترا فهم به وان كانوا كاذبين في تسميته سحرا ولما كان قولهم فيما لا يمكن أن يكون سحرا اظهر الفساد لم يحتج قولهم الى جواب لانهم يعلمون أنه معهم بكه وخلطهم له وما كانت قلة علم ثم أتى به من الوحي المتضمن ما لم يتضمنه كتاب الهى من قصص الاولين والاخبار بالغيوب والاشتمال على مصاح الدينا والآخرة مع الفصاحة والبراعة التي أعجزتهم الى غير ذلك من المعاني التي تضمنها يقضى بفساد مقالهم وقولهم ذلك هو ديدن الكفرة مع أنبيائهم اذ أتوهم بالمعجزات كما قال فرعون وقومه في موسى عليه السلام ان هذا لساحر عليم قالوا ساحران تظاهرا وقوم عيسى عليه السلام ان هذا الاسحر مبين ودعوى السحر انما هي على سبيل العناد والجحد * ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى على العرش * تقدم تفسير مثل هذه الجملة في سورة الاعراف وجاء تا عقب ذكر القرآن والتنبيه على المعاد في الاعراف ولقد جئناهم بكتاب فصلناه وقوله يوم يأتي تأويله وهنالك آيات الكتاب وذكر الانذار والتبشير وتوهمه ما لا تظهر الا في المعاد * ومناسبة هذه لما قبلها ان من كان قادر على ايجاد هذا الخلق العلوي والسفلي العظيمين وهو ربكم الناظر في مصالحكم فلا يتعجب أن يبعث الى خلقه من يحذر من مخالفته ويبشر على طاعته اذ ليس خلقهم عبثا بل على ما اقتضته حكمته وسبقت به ارادته اذ القادر العظيم قادر على ما دونه بطريق الاولى * يدبر الامر ما من شفيع الا من بعد اذنه * قال مجاهد أي يقضيه وحده والتدبير تنزيل الامور في مراتبها والنظر في ادبارها وعواقبها والامر قيل الخلق كله علويه وسفليه * وقيل يبعث بالامر ملائكة فخيريل للوحي وميكائيل للقطر وعزرائيل للقبض واسرافيل للصور وهذه الجملة بيان لعظيم شأنه وملكه ولما ذكره الايجاد ذكر ما يكون فيه من الامور وانه المنفرد به ايجادا وتديرا لا يشركه أحد في ذلك وانه لا يجترى أحد على الشفاعة عنده الا باذنه اذ هو تعالى أعلم بموضع الحكمة والصواب وفي هذه دليل على عظم عزته وكبريائه كما قال يوم يقوم الروح والملائكة صفا الآية ولما كان الخطاب عاما وكان الكفار يقولون عن أصنامهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله رد ذلك تعالى عليهم وناسب ذكر الشفاعة التي تكون في القيامة بعد ذكر المبدأ لجمع بين الطرفين ابتداء

* ان ربكم الله * الآية
تقدم تفسيرها في الاعراف

﴿ذلكم الله ربكم﴾ أي

المتصف بالإيجاد والتدبير والكبرياء وهو ربكم الناظر في مصالحكم فهو المستحق للعبادة إذ لا يصلح للعبادة إلا هو تعالى فلا تشركوا به بعض خلقه ﴿أفلا تدكرون﴾ ﴿حضر على التدبير والتفكير في الدلائل الدالة على ربوبيته وإحاطة العبادة له تعالى﴾ ﴿إليه مرجعكم﴾ الآية ذكر ما يقتضي الذكر وهو كون مرجع الجميع إليه وأكده هذا الخبر بأنه وعد الله الذي لا شك في صدقه ثم استأنف الأخبار وفيه معنى التعليل بإبتداء الخلق وأعادته وان مقتضى الحكمة بذلك هو جزاء المكلفين على أعمالهم وانتصب وعد الله حقا على أنهما مصدران مؤكدان لمضمون الجملة والتقدير وعد الله وعدا فلما حذف الناصب أضاف المصدر إلى الفاعل وذلك كقوله تعالى صبغة الله صباغاً صبغة الله والتقدير في حناحق ذلك حقا وقيل انتصب حقا بوعده على تقدير في أي وعد الله في حق وقال علي بن سليمان التقدير وقت حق وأنشد

أحقاء عباد الله أن لست خارجا
ولا واجبا الأعلى رقيب

والانتهاء * وقال أبو مسلم الأصماني الشفيع هنا من الشفع الذي يخالف الوتر فعني الآية أنه أوجد العالم وحده لا شريك يعينه ولم يحدث شيء في الوجود إلا من بعد أن قال له كن * وقال أبو البقاء يدبر الأمر يجوز أن يكون مستأنفا وخبرائيا وحالا * ﴿ذلكم الله ربكم فاعبدوه﴾ أي المتصف بالإيجاد والتدبير والكبرياء هو ربكم الناظر في مصالحكم فهو المستحق للعبادة إذ لا يصلح أن يعبد إلا هو تعالى فلا تشركوا به بعض خلقه ﴿أفلا تدكرون﴾ ﴿حضر على التدبير والتفكير في الدلائل الدالة على ربوبيته وإحاطة العبادة له﴾ ﴿إليه مرجعكم جميعا﴾ والله حقا أنه يبدأ الخلق ثم يعيده ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون * ذكر ما يقتضي التدكير وهو كون مرجع الجميع إليه وأكده هذا الخبر بأنه وعد الله الذي لا شك في صدقه ثم استأنف الأخبار وفيه معنى التعليل بإبتداء الخلق وأعادته وان مقتضى الحكمة بذلك هو جزاء المكلفين على أعمالهم وانتصب وعد الله وحقا على أنهما مصدران مؤكدان لمضمون الجملة والتقدير وعد الله وعدا فلما حذف الناصب أضاف المصدر إلى الفاعل وذلك كقوله صبغة الله وصنع الله والتقدير في حناحق ذلك حقا * وقيل انتصب حقا بوعده على تقدير في أي وعد الله في حق * وقال علي بن سليمان التقدير وقت حق وأنشد

أحقاء عباد الله أن لست خارجا * ولا واجبا الأعلى رقيب

وقرأ عبد الله وأبو جعفر والاعمش وسهل بن شعيب أنه يبدأ بفتح الهمزة * قال الزمخشري هو منصوب بالفعل أي وعد الله تعالى بدء الخلق ثم أعادته والمعنى إعادة الخلق بعد بدئه وعد الله على لفظ الفعل ويجوز أن يكون مرفوعا ما نصب حقا أي حق حقا بدء الخلق كقوله

أحقاء عباد الله أن لست جائيا * ولا ذاهبا الأعلى رقيب

انتهى * وقال ابن عطية وموضعها النصب على تقدير أحق أنه * وقال الفراء موضعها رفع على تقدير لحق أنه * قال ابن عطية ويجوز عندي أن يكون أنه بدلا من قوله وعد الله * قال أبو الفتح ان شئت قدرت لانه يبدأ فن في قدرته هذا فهو غنى عن خلاف الوعد وان شئت قدرت وعد الله حقا أنه يبدأ ولا يعمل فيه المصدر الذي هو وعد الله لانه قد وصف ذلك بتمامه وقطع عمله * وقرأ ابن أبي عمير حق بالرفع فهذا البتداء وخبره انه انتهى وكون حق خبر مبتدأ وأنه هو المبتدأ هو الوجه في الأعراب كما تقول صحيح انك تخرج لان اسم ان معرفة والذي تقدمها في نحو هذا المثال نكرة والظاهر أن بدء الخلق هو النشأة الأولى وأعادته هو البعث من القبور وليجزي متعلق ببعده أي يقع الجزاء على الأعمال * وقيل البدء من التراب ثم يعيده إلى التراب ثم يعيده إلى البعث * وقيل البدء نشأته من الماء ثم يعيده من حال إلى حال * وقيل يبدأ من العدم ثم يعيده إليه ثم يوجد * وقيل يبدأ في زمرة الأشقياء ثم يعيده عند الموت إلى زمرة الأولياء وبعبكس ذلك * وقرأ طلحة يبدئ من أبدأرباعيا وابدأ بمعنى وبالقسط معناه بالعدل وهو متعلق بقوله ليجزي أي ليشيب المؤمنين بالعدل والإنصاف في جزائهم فيوصل كلا إلى جزائه وثوابه على حسب تفاضلهم في الأعمال فينصف بينهم ويعدل اذ ليسوا كلهم متساوين في مقادير الثواب وعلى هذا يكون بالقسط منه تعالى * قال الزمخشري أو يقسطهم بما أقسطوا وعدوا ولم ينظموه حين آمنوا وعملوا الصالحات لان الشر لا يظلم قال الله تعالى ان الشر لا يظلم عظيم والعصاة ظلام لانفسهم وهذا وجه لمقابلة قوله بما كانوا يكفرون انتهى فجعل القسط من فعل الذين آمنوا وهو على طريقة الاعتزال والظاهر أن الذين كفروا مبتدأ ويحتمل أن يكون معطوفا على قوله الذين آمنوا فيكون الجزاء بالعدل قد شمل الفريقين ولما كان

﴿هو الذي جعل الشمس ضياء﴾ لماذا ذكر تعالى الدلائل على (١٢٥) ربوبيته من إيجاده هذا العالم العلوي والسفلي ذكر ما أودع في

العالم العلوي من هذين
الجوهرين النيرين
المشرقين فجعل الشمس
ضياء أي ذات ضياء أو
مضيئة أو نفس الضياء مبالغة
وجعل يحتمل أن تكون
بمعنى صير فيكون ضياء
مفعول ثانٍ أو يحتمل أن
تكون بمعنى خلق فتكون
حالا ﴿والقمر نورا﴾ أي
ذانور أو منورا أو نفس
النور مبالغة اذ هما مصدران
ولما كانت الشمس أعظم
جرما خست بالضياء لانه هو
الذي له سطوع ولمعان
وهو أعظم من النور
والظاهر عود الضمير
على القمر أي مسيره منازل
أو قدره ذامنازل وعاد
الضمير عليه وحده لانه هو
المراعى في معرفة عدد السنين
والحساب عند العرب
والمنازل هي البروج
وكانت العرب تنسب
اليها الانواء وهي ثمانية
وعشرون منزلة الشرطين
والبطين والثريا والدبران
والهقعة والهقعة والذراع
والنثرة والطرف والجهة
والزبرة والصرفة والعواء
والسمالك والغفر والزبانان
والاكيل والقلب والشولة
والنعائم والبلدة وسعد
الدايج وسعد بلغ وسعد

الحديث مع الكفار مفتحة السورة معهم ذكر شيئا من أنواع عذابهم فقال لهم شراب من حميم
وعذاب أليم بما كانوا يكفرون وتقدم شرح هذا في سورة الانعام ﴿هو الذي جعل الشمس ضياء
والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق يفصل الآيات
لقوم يعلمون﴾ لماذا ذكر تعالى الدلائل على ربوبيته من إيجاده هذا العالم العلوي والسفلي ذكر ما
أودع في العالم العلوي من هذين الجوهرين النيرين المشرقين فجعل الشمس ضياء أي ذات ضياء
أو مضيئة أو نفس الضياء مبالغة وجعل يحتمل أن تكون بمعنى صير فيكون ضياء مفعول ثانٍ
أو يحتمل أن تكون بمعنى خلق فيكون حالا والقمر نورا أي ذانور أو منورا أو نفس النور مبالغة
أو هما مصدران * وقيل يجوز أن يكون ضياء جمع ضوء كحوض وحياض وهذا فيه بعد ولما كانت
الشمس أعظم جرما خست بالضياء لانه هو الذي له سطوع ولمعان وهو أعظم من النور قال أرباب علم
الهيئة الشمس قدر الارض مائة مرة وأربع مائة وستين مرة والقمر ليس كذلك نفص الا عظم بالا عظم
وقد تقدم الفرق بين الضياء والنور في قوله فله أضواء ما حوله ذهب الله بنورهم وقوله تعالى الله
نور السموات والارض يقتضي أن النور أعظم وأبلغ في الشروق والافلم عدل الى الاقل الذي هو
النور * فقال ابن عطية لفظه النور أحكم وأبلغ وذلك أنه شبه هداه ولطفه الذي يصيبه لقوم بهتدون
وآخرين يضلون معه بالنور الذي هو أبادام وجود في الليل واثناء الظلام ولو شبه بالضياء لوجب أن
لا يضل أحدا إذا كان الهدى يكون كالشمس التي لا تبقى معها ظلمة فمعنى الآية أنه تعالى جعل هداه
في الكفر كالنور في الظلام فيمتدى قوم ويضل قوم آخرون ولو جعله كالضياء لوجب أن لا يضل
أحد ويبقى الضياء على هذا أبلغ في الشروق كما اقتضت هذه الآية * وقرأ قبل ضياء هنا وفي الانبياء
والقصص بهمزة قبل الالف بدل الياء ووجهت على أنه من المقلوب جعلت لانه عينا فكانت همزة
وتطرفت الواو التي كانت عينا بعد ألف زائدة فانقلبت همزة وضعف ذلك بان القياس القرار من
اجتماع همزتين الى تخفيف احدهما فكيف يتخيل الى تقديم وتأخير يؤدى الى اجتماعهما ولم يكونا
في الاصل والظاهر عود الضمير على القمر أي مسيره منازل أو قدره ذامنازل أو قدره منازل
لخندق وأوصل الفعل فانتصب بحسب هذه التقادير على الطرفين أو الحال أو المفعول كقوله والقمر
قدرناه منازل وعاد الضمير عليه وحده لانه هو المراعى في معرفة عدد السنين والحساب عند العرب
* وقال ابن عطية ويحتمل أن يريد همام بحسب انهما مصدران في معرفة عدد السنين والحساب
لكنه اجتزى بذلك أحدهما كما قال والله ورسوله أحق أن يرضوه وكما قال الشاعر

رمانى بامر كنت منه والذى * بريثا ومن أجل الطوى رمانى

والمنازل هي البروج وكانت العرب تنسب اليها الانواء وهي ثمانية وعشرون منزلة الشرطين
والبطين * والثريا * والدبران * والهقعة * والهقعة * والذراع * والنثرة * والطرف *
والجهة * والذبرة * والصرفة * والعواء * والسمالك * والغفر * والزبانان * والاكيل *
والقلب * والشولة * والنعائم * والبلدة * وسعد الدايج * وسعد بلغ * وسعد السعود *
وسعد الاخبية * والفرع المؤخر والرشاء وهو الحوت * واللام متعلقة بقوله وقدره منازل * قال
الاصمعي سئل أبو عمر وعن الحساب أفنصبه أو بجره فقال ومن يدرى ما عدد الحساب انتهى
يريد أن الجرانما يكون مقتضيا أن الحساب يكون يعلم عدده والحساب لا يمكن أن يعلم منتهى عدده

السعود وسعد الاخبية والفرع المقدم والفرع المؤخر والرشاء وهو الحوت واللام متعلقة بقوله وقدره منازل

﴿ إن في اختلاف الليل والنهار ﴾ اختلافهما تعاقبهما (١٢٦) وكون أحدهما يخلف الآخر ﴿ وما خلق الله في

السموات ﴾ من الاجرام النيرة التي فيها الملائكة المقيمين بها وغير ذلك مما يعاينه الله تعالى والارض من الجوامد والمعادن والنبات والحيوان وخص المتقين لانهم الذين يخافون العواقب فيحملهم الخوف على تدبرهم ونظرهم ﴿ ان الذين لا يرجون لقاءنا ﴾ الظاهر أن الرجاء هو التأميل والطمع أي لا يؤملون لقاء ثوابنا وعقابنا أو معنى لا يخافون والظاهر أن قوله والذين هم هو قسم من الكفار غير القسم الاول وذلك لتكرير الموصول فيدل على المغايرة ويكون معطوفا على اسم ان ويكون أولئك اشارة الى صنف الكفار ذي الدنيا المتوسع فيها الناظر في الآيات فلم يؤثر عنده رجاء لقاء الله بل رضى بالحياة الدنيا لتكذيبه بالبعث والجزاء والعدم المتوسع الغافل عن آيات الله الدالة على الهداية ويحتمل أن يكون من عطف الصفات فيكون الذين هم عن آياتنا غافلون هم الذين لا يرجون لقاء الله والظاهر أن واطمأنوا

والحساب حساب الاوقات من الاشهر والايام والليالي مما ينتفع به في المعاش والاجارات وغير ذلك مما يضطر فيه الى معرفة التواريخ ﴿ وقيل اكتفى بذلك عدد السنين عن عدد الشهور وكفى بالحساب عن المعاملات والاشارة بذلك الى مخلوقه وذلك يشار بها الى الواحد وقد يشار بها الى الجمع ومعنى بالحق متبسا بالحق الذي هو الحكمة البالغة ولم يخلفه عبثا كما جاء ربنا ما خلقت هذا باطلا وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا عيين ما خلقناهما الا بالحق ﴾ وقال ابن جرير الحق هنا هو الله تعالى والمعنى ما خلق الله ذلك الا بالله وحده لا شريك معه انتهى ومقاله تركيب قاق اذ يصير ماضرب زيد عمرا الا يزيد ﴿ وقيل الباء بمعنى اللام أي للحق وهو اظهر صناعته وبيان قدرته ودلاله على وحدانيته ﴾ وقرأ ابن مصرف والحساب بفتح الحاء ورواه أبو توبة عن العرب ﴿ وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحفص يفصل بالياء جريا على لفظة الله وباقي السبعة بالنون على سبيل الالتفات والاختلاف بنون العظمة وخص من يعلم بتفصيل الآيات لهم لانهم الذين ينتفعون بتفصيل الآيات ويتدبرون بها في الاستدلال والنظر الصحيح والآيات العلامات الدالة أو آيات القرآن ﴿ ان في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والارض آيات لقوم يتقون ﴾ والاختلاف تعاقب الليل والنهار وكون أحدهما يخلف الآخر وما خلق الله في السموات من الاجرام النيرة التي فيها الملائكة المقيمين بها وغير ذلك مما يعاينه الله تعالى والارض من الجوامد والمعادن والنبات والحيوان وخص المتقين لانهم الذين يخافون العواقب فيحملهم الخوف على تدبرهم ونظرهم ﴿ ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون ﴾ الظاهر أن الرجاء هو التأميل والطمع أي لا يؤملون لقاء ثوابنا وعقابنا ﴿ وقيل معناه لا يخافون ﴾ قال ابن زيد وهذه الآية في الكفار والمعنى ان المكذب بالبعث ليس يرجو رحمة في الآخرة ولا يحسن ظنا بأنه يلقى الله وفي الكلام محذوف أي ورضوا بالحياة الدنيا من الآخرة كقوله أرضيت بالحياة الدنيا من الآخرة والمعنى أن منتهى غرضهم وقصارى آمالهم انما هو مقصور على ما يصلون اليه في الدنيا واطمأنوا أي سكنوا اليها وقنعوا بها ورضوا بما سواها والظاهر أن قوله والذين هم هو قسم من الكفار غير القسم الاول وذلك لتكرير الموصول فيدل على المغايرة ويكون معطوفا على اسم ان ويكون أولئك اشارة الى صنف الكفار ذي الدنيا المتوسع فيها الناظر في الآيات فلم يؤثر عنده رجاء لقاء الله بل رضى بالحياة الدنيا لتكذيبه بالبعث والجزاء والعدم المتوسع الغافل عن آيات الله الدالة على الهداية ويحتمل أن يكون من عطف الصفات فيكون الذين هم عن آياتنا غافلون هم الذين لا يرجون لقاء الله والظاهر أن واطمأنوا

بها عطف على الصلة ويحتمل ان تكون واو الحال أي وقد اطمأنوا بها والآيات قيل آيات القرآن أو العلامات الدالة على الوحدانية والقدرة ﴿ ان الذين آمنوا ﴾ الآية أي زيدهم في هديهم بسبب ايمانهم السابق ويهديهم أو يهديهم الى طريق الجنة بسبب ايمانهم السابق

وتحيتهم فيها سلام وآخردعواهم ان الحمد لله رب العالمين * أى يزيد في هداهم بسبب ايمانهم السابق
وتثبتهم فأما الذين آمنوا فزادتهم أو يهديهم الى طريق الجنة بنور ايمانهم كما قال يسعى نورهم بين
أيديهم وبأيمانهم * قال مجاهد يكون لهم ايمانهم نور يمشون به وفي الحديث اذا قام من قبره يمثل له
رجل جميل الوجه طيب الرائحة فيقول من أنت فيقول أنا عملك الصالح فيقوده الى الجنة وبعكس
هذا في الكافر * وقال ابن الانبارى ايمانهم يهديهم الى خصائص المعرفة ومزايا في اللطاف تسر
بها قلوبهم وتزول بها الشكوك والشبهات عنهم كقوله والذين اعتدوا زادهم هدى وهذه الزوائد
والفوائد يجوز حصولها في الدنيا قبل الموت ويجوز حصولها بعد الموت * قل القفال واذا حملنا
الآية على هذا كان المعنى يهديهم ربهم بايمانهم وتجري من تحتهم الانهار الا أنه حذف الواو * وقيل
معناه تقدمهم الى الثواب من قول العرب القدم تهدي الساق * وقال الحسن يرجمهم * وقال
الكاتب يدعوهم والظاهر أن تجري مستأنفا فيكون قد أخبر عنهم بخبرين عظيمين أحدهما هداية
الله لهم وذلك في الدنيا والآخرة بجرى الانهار وذلك في الآخرة كما تضمنت الآية في الكفار شيئين
أحدهما أنه أفهم بانتقاء رجاء لقاء الله وما عطف عليه والثاني مقرهم ومأواهم وذلك النار فصار تقسيما
للفريقين في المعنى وتقدم قول القفال أن يكون تجري معطوفا حذف منه الحرف وان يكون حالا
ومعنى من تحتهم أى من تحت منازلهم * وقيل من بين أيديهم وليس تحت الذى هو بالمسافة بل
يكون الى ناحية من الانسان ومنه قد جعل ربك تحتك سريا وقال وهذه الانهار تجري من تحت
* قال الزمخشري (فان قلت) دلت هذه الآية على أن الايمان الذى يستحق به العبد الهداية
والتوفيق والنور يوم القيامة هو الايمان المقيد وهو الايمان المقرون بالعمل الصالح والايمان الذى
لم يقترن بالعمل الصالح فصاحبه لا توفيق له ولا نور (قلت) الأمر كذلك ألا ترى كيف أوقع الصلة
مجموعا فيها بين الايمان والعمل كأنه قال ان الذين جمعوا بين الايمان والعمل الصالح ثم قال بايمانهم
أى بايمانهم المضموم اليه هذا العمل الصالح وهو بين واضح لا شبهة فيه انتهى وهو على طريقة
الاعتزال وجوزوا في جنات النعيم أن يتعلق بتجري وأن يكون حالا من الانهار وأن يكون خبرا بعد
خبر لأن ومعنى دعواهم دعاؤهم وندائهم لأن الله تعالى نداء الله والمعنى اللهم اننا نسبحك كقول القانت في
دعاء القنوت اللهم إياك نعبد ولك نصلى ونسجد * وقيل عبادتهم كقوله وأعتزلكم وماتدعون من
دون الله ولا تكليف في الجنة فيكون ذلك على سبيل الابتهاج والالتذاذ وأطلق عليه العبادة مجازا
* وقال أبو مسلم فعلهم واقرارهم * وقال القاضى طريقهم في تقديس الله وتحميده وتحيتهم أى ما
يحيى به بعضهم بعضا فيكون مصدرا مضافا لاجموع لا على سبيل العمل بل يكون كقوله وكنا
لحكمهم شاهدين * وقيل يكون مضافا الى المفعول والفاعل الله تعالى أو الملائكة أى نحية الله إياهم
أو نحية الملائكة إياهم وآخردعواهم أى خاتمة دعائهم وذكرهم * قال الزجاج أعلم تعالى أنهم يستدلون
بتنزيهه وتعظيمه ويختتمون بشكره والثناء عليه * وقال ابن كيسان يفتحون بالتوحيد ويختتمون
بالتحميد وعن الحسن البصرى يعزوه الى الرسول ان أشل الجنة يلهمون التحميد والتسبيح وان
المخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن لازم الحذف والجملة بعدها خبران وأن وصاتها خبر قوله
وآخر * وقرأ عكرمة ومجاهد وقتادة وابن يعمر وبلال بن أبى ردة وأبو مجلز وأبو حيوة وابن
محيص ويعقوب بن الحمد بالتشديد ونصب الحمد قال ابن جنى ودلت على أن قراءة الجمهور بالتخفيف
ورفع الحمد على أن ان هى المخففة كقول الاعشى

والظاهر أن يكون تجرى
مستأنفا فيكون قد أخبر
عنهم بخبرين عظيمين
أحدهما هداية الله لهم وذلك
في الدنيا والآخرة وجرى ان
الانهار وذلك في الآخرة
كما تضمنت الآية في الكفار
شيئين أحدهما اتصافهم
بانتقاء رجاء لقاء الله وما
عطف عليه والثاني مقرهم
ومأواهم فصار تقسيما
للفريقين في المعنى لما هداهم
ونعمهم بالجنة نزها الله
تعالى وقدسوه بقولهم
سبحانك اللهم والله
تقدم الكلام عليه
* تحيتهم أى نحية بعضهم
لبعض أو نحية الملائكة
لهم كما قال والملائكة يدخلون
عليهم من كل باب وان هى
المخففة من الثقيلة واسمها
ضمير الشأن لازم الحذف
والجملة بعدها خبران وأن
وصاتها خبر قوله وآخر
دعواهم وزعم صاحب
النظم أن أن هنا زائدة
والحمد لله خبر وآخر
دعواهم وهو مخالف
لنصوص النحويين

﴿ولو يعجل الله للناس الشر﴾ الآية قال مجاهد نزلت في دعاء الرجل على نفسه وماله أو ولده ونحو هذا فأخبر تعالى أنه لو فعل مع الناس في إجابته إلى المكروه مثل ما يريدون فعله معهم في إجابته إلى الخير لأهلكهم وانتهى استعجالهم على أنه مصدر تشبيهي تقديره استعجالا مثل استعجالهم وقال الزمخشري أصله ولو يعجل الله للناس الشر تعجيله لهم الخير أشعارا بسرعة إجابته لهم وإسعافه بطلبهم كأن استعجالهم بالخير تعجيل لهم انتهى مدلول عجل غير مدلول استعجل لأن عجل يدل على الوقوع واستعجل يدل على طلب التعجيل وذلك واقع من الله تعالى وهذا مضاف إليهم فلا يكون التقدير على ما قاله الزمخشري فيعتقل وجهين أن يكون التقدير تعجيلا مثل استعجالهم بالخير فشيبه التعجيل (١٢٨) بالاستعجال لأن طلبتهم للخير ووقوع تعجيله مقدم عندهم على

كل شيء والثاني أن يكون ثم محذوف يدل عليه المصدر تقديره ولو يعجل الله للناس الشر إذا استعجلوا به استعجالهم بالخير لأنهم كانوا يستعجلونه بالشر ووقوعه على سبيل التهم كما كانوا يستعجلونه بالخير وقرئ لقضى مبنيا للفعول أجابهم بالرفع ولقضى مبنيا للفاعل وفيه ضمير يعود على الله تعالى وأجابهم نصب على المفعول والفاء في فنذر جواب ما أخبر به عنهم على طريق الاستئناف تقديره فنذر نذر قاله الخوفي وقال أبو البقاء فنذر معطوف على فعل محذوف تقديره ولو لكن نملهم فنذر

(الدر)

سورة يونس عليه السلام

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضى إليهم أجابهم (ش) أصله ولو يعجل الله للناس الشر تعجيله فوضع استعجاله لهم بالخير موضع تعجيله لهم بالخير أشعارا بسرعة إجابته لهم وإسعافه بطلبهم كأن استعجالهم بالخير تعجيل لهم (ح) مدلول عجل غير مدلول استعجل لأن عجل يدل على الوقوع واستعجل يدل على طلب التعجيل وذلك واقع من الله وهذا مضاف إليهم فلا يجوز التقدير على ما قاله (ش) فيعتقل وجهين أحدهما أن يكون التقدير تعجيلا مثل استعجالهم بالخير فشيبه التعجيل بالاستعجال لأن طلبتهم للخير ووقوع تعجيله مقدم عندهم على كل شيء والثاني أن يكون ثم محذوف يدل عليه المصدر تقديره ولو يعجل الله للناس الشر إذا استعجلوا به استعجالهم بالخير لأنهم كانوا يستعجلونه بالشر ووقوعه على سبيل التهم كما كانوا يستعجلونه بالخير

في قيمة كسيوف الهند قد عاموا * ان هالك كل من يحفى ويتعل

يريدانه هالك اذا خفت لم تعمل في غير ضدير أمر محذوف وأجاز المبرد إعمالها كالحامد دة وزعم صاحب النظم ان ان هنا زائدة وأحمد الله خبر وآخر دعواهم وهو مخالف لنص سيبويه والنحويين وليس هذا من محال زيادتها ﴿ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضى إليهم أجابهم فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون﴾ قال مجاهد نزلت في دعاء الرجل على نفسه وماله أو ولده ونحو هذا فأخبر تعالى لو فعل مع الناس في إجابته إلى المكروه مثل ما يريدون فعله منهم في إجابته إلى الخير لأهلكهم ثم حذف بعد ذلك من القول جملة يتضمنها الظاهر تقديره فلا يفعل ذلك ولكن نذر الذين لا يرجون فاقترض القول ووصل إلى هذا المعنى بقوله فنذر الذين لا يرجون فتأمل هذا التقدير تجده صحيحا قاله ابن عطية * وقيل نزلت في قولهم إئتنا بما تعدنا وما جرى مجراه * وقال الزمخشري والمراد أهل مكة وقولهم فأمطر علينا حجارة يعني ولو عجلنا لهم الشر الذي دعوا به كما نعجل لهم الخير لأميتوا وأهلكوا قال (فان قلت) كيف اتصل به فنذر الذين لا يرجون لقاءنا وما معناه (قلت) قوله ولو يعجل الله متضمن معنى نفي التعجيل كأنه قال ولا نعجل لهم الشر ولا نقضى إليهم أجابهم فنذرهم في طغيانهم أو ففزعناهم ونفيعض عليهم النعمة مع طغيانهم الزاما للجملة عليهم * ومناسبة هذه الآية لما قبلها أنه تعالى لما ذكر عجب الناس من إحياء الله إلى رجل منهم وكان فيما أوحى إليه الانذار والتبشير وكانوا يستهزئون بذلك ولا يمتقدون حلول ما أنذروهم فقالوا أمطر علينا حجارة وقال أخبارنا عنهم ويستعجلونك بالعذاب وقالوا فأتنا بما تعدنا ثم استطرده من ذلك إلى وحدانيته تعالى وذكر إيجاده العالم ثم إلى تقسيم الناس إلى مؤمن وكافر وذكر منازل الفريقين ثم رجع إلى أن ذلك المنذر به الذي طلبوا وقوعه عجزا لو وقع لما كانوا في إهلاكهم رجاء إيمان بعضهم وإخراج مؤمن من صلبهم بل اقتضت حكمته أن لا يعجل لهم ما طلبوه لما ترتب على ذلك وانتهى استعجالهم على أنه مصدر مشبه به * فقال الزمخشري أصله ولو يعجل الله للناس الشر تعجيله لهم الخير فوضع استعجاله لهم بالخير موضع تعجيله لهم الخير أشعارا بسرعة إجابته لهم وإسعافه بطلبهم كأن استعجالهم بالخير تعجيل لهم * وقال الخوفي وابن عطية التقدير مثل استعجالهم وكذا قدره أبو البقاء ومدلول عجل غير مدلول استعجل لأن عجل يدل على الوقوع واستعجل يدل على

انه لا يراد بالانسان هنا
شخص معين وانه لا يراد
به الكافر بل المراد
الانسان من حيث هو
سواء كان كافرا أو عاصيا
بغير الكفر ولجنبه
حال أى مضطجعا ولذلك
عطف عليه الحالان وذو
الحال الضمير فى دعانا
والعامل فيه دعانا أى
دعانا متلبسا بأحد
هذه الاحوال واحتملت
هذه الأحوال الثلاثة أن
تكون لشخص واحد
واحتملت أن تكون
لأشخاص اذ الانسان
جنس والمعنى ان الذى
أصابه الضر لا يزال داعيا
ملتجئارا غبا الى الله تعالى
فى جميع حالاته كلها وابتدأ
بالحالة الشاقة وهى
اضطجاعه وعجزه عن
النهوض وهى أعظم فى
دعاء وآكد ثم بما يليها وهى
حالة القعود وهى حالة
العجز عن القيام ثم بما يليه
وهى حالة القيام وهى حالة
العجز عن المشى فتراه
يضطرب ولا ينهض للمشى
كحالة الشيخ الهرم والجملة
من قوله كأن لم يدعنا

(١٧ - تفسير البحر المحيط لابي حيان - خامس) الى ضرر منه في موضع الحال أى الى كشف ضرر منه والكاف من كذلك في موضع نصب أى مثل ذلك والاشارة بذلك الى تزيين الاعراض عن الابتغال الى الله تعالى عند كشف الضرر وعدم شكره وذكروا على ذلك

بأهلاك من سلف قبلهم من الأمم بسبب ظاههم وهو الكفر على سبيل الردع لهم والتذكير بحال من سبق من الكفار والوعيد لهم بضرب الامثال فكيف فعل هؤلاء يفعل بكم ولفظة لما مشعرة بالعلية وهي حرف تعليق في الماضي وجاءتهم نظايره أنه معطوف على ظاموا أي لما حصل هذان الامر ان مجيء الرسل بالبينات وظاههم أهل الكوا والظاهر أن الضمير في وما كانوا عائد على القرون وانه معطوف على قوله ظاهوا والكاف في كذلك في موضع نصب أي مثل ذلك الجزاء وهو الاهلاك نجزي القوم المجرمين فهنا وعيد شديد لمن أجرم يدخل فيه أهل مكة وغيرهم والخطاب في ﴿جعلناكم﴾ لمن بعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى استخلفناكم في الارض بعد القرون المهلكة ﴿لننظر كيف تعملون﴾ خير أم شرا فنعاملكم على حسب عملكم ومعنى لننظر لمتبين في الوجود ما علمناه ازلافا لنظر مجاز عن هذا

اذا جاء نازيد فقيرا أحسنا اليه فالمعنى أحسنا اليه في حال فقره فالقيد في الشرط قيد في الجزاء ومعنى كشف الضر رفعه وازالتة كانه كان غطاء على الانسان ساترا له * وقال صاحب النظم واذامس الانسان وصفه للمستقبل وفاما كشفنا الماضي فهذا النظم يدل على أن معنى الآية أنه هكذا كان فيما مضى وهكذا يكون في المستقبل فدل ما في الآية من الفعل المستقبل على ما فيه من المعنى المستقبل وما فيه من الفعل الماضي على ما فيه من المعنى الماضي انتهى والمرور هنا مجاز عن الماضي على طريقته الاولى من غير ذكر لما كان عليه من البلاء والضر * وقال مقاتل أعرض عن الدعاء * وقيل مر عن موقف الابتهال والتضرع لا يرجع اليه كانه لا عهد له به وهذا قريب من القول الذي قبله والجملة من قوله كان لم يدعنا الى ضررنا في موضع الحال أي الى كشف ضررنا * قال ابن عطية وقوله مريقتي أن نزولها في الكفار ثم هي بعد تناول كل من دخل تحت معناها من كافر وعاص يعنى الآية صر في اشراكه بالله وقلة توكله عليه انتهى والكاف في ذلك في موضع نصب أي مثل ذلك وذلك اشارة الى نزيين الاعراض عن الابتهال الى الله تعالى عند كشف الضر وعدم شكره وذكره على ذلك وزين مبنى للمفعول فاحتل أن يكون الفاعل الله اما على سبيل خلق ذلك واختراعه في قلوبهم كما يقول أهل السنة واما بتخليته وخذلانه كما تقول المعتزلة أو الشيطان بوسوسته ومخادعته * قيل أو النفس وفسر المسرفون بالكافرين والكافر مسرف لتضييعه السعادة الابدية بالشهوة الخسيسة المنقضية كما يضيع المنفق ماله متجاوزا فيه الحد ما كانوا يعملون من الاعراض عن جناب الله وعن اتباع الشهوات ﴿ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظاهوا وادعاهم رسلكم بالبينات وما كانوا ليؤمنوا﴾ كذلك نجزي القوم المجرمين ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم لننظر كيف تعملون * هذا اخبار لعاصري الرسول صلى الله عليه وسلم وخطاب لهم بأهلاك من سلف قبلهم من الأمم بسبب ظاههم وهو الكفر على سبيل الردع لهم والتذكير بحال من سبق من الكفار والوعيد لهم وضرب الامثال فكيف فعل هؤلاء يفعل بكم ولفظة لما مشعرة بالعلية وهي حرف تعليق في الماضي ومن ذهب الى أنها ظرف معمول لأهلكنا كالزحشري متبع الغيرة فاما يدل إذا ذلك على وقوع الفعل في حين الظلم فلا يكون لها اشعار إذا ذلك بالعلية لوقلت جئت حين قام زيد لم يكن مجيئك متسببا عن قيام زيد وأنت ترى حيثما جاءت لما كان جوابها أو مقام مقامه متسببا عما بعدها فدل ذلك على صحة مذهب سيبويه من أنها حرف وجوب وجوب وجاءتهم ظاهره انه معطوف على ظاموا أي لما حصل هذان الامر ان مجيء الرسل بالبينات وظاههم أهل الكوا * وقال الزحشري والواو في وجاءتهم للبحال أي ظاهوا بالكذب وقد جاءتهم رسلكم بالحجج والشواهد على صدقهم وهي المعجزات انتهى * وقال مقاتل البينات مخوفات العذاب والظاهر أن الضمير في قوله وما كانوا عائد على القرون وانه معطوف على قوله ظاهوا وجوز الزحشري أن يكون اعتراضا لا معطوفا قال واللام لتأكيده النفي بمعنى وما كانوا يؤمنون حقا كيد لنفي ايمانهم وان الله تعالى قد علم انهم مصر و ن على كفرهم وان الايمان مستبعد منهم والمعنى ان السبب في اهلاكم تعذيبهم الرسل وعلم الله انه لا فائدة في امهالهم بعد أن ألزموا الحجة ببعثة الرسل انتهى * وقال مقاتل الضمير في قوله وما كانوا يؤمنوا عائد على أهل مكة فعلى قوله يكون التفاتا لأنه خرج من ضمير الخطاب الى ضمير الغيبة ويكون متسقا مع قوله واذ اتلى عليهم والكاف في ذلك في موضع نصب أي مثل ذلك الجزاء وهو الاهلاك نجزي القوم المجرمين فهنا وعيد شديد لمن أجرم يدخل فيه أهل مكة وغيرهم

﴿ واذتلى عليهم آياتنا ﴾ الآية قال ابن عباس وابن الكلبي نزلت في المستهزئين بالقرآن من أهل مكة قالوا يا محمد انت بقرا غير هذا فيه ما نسألك والتبديل يكون في الذات بأن تجعل ذات بدل ذات أخرى ويكون في الصفة وهو أن يزال بعض نظمه بأن يجعل مكان آية العذاب آية الرحمة ولما كان الايمان بقرا غير هذا (١٣١) غير مقدور للانسان لم يحجج الى نفيه ونفى ما هو مقدور للانسان

وان كان مستحيلا ذلك في حقه صلى الله عليه وسلم فقبل له قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي قل لو شاء الله ماتلوته الآية هذه مبالغة في التبرئة مما لو طلبوا منه أي أن تلاوته عليهم هذا القرآن انما هو بمشيئة الله تعالى واحدا ثم أعرجا خارجا عن العادات وهو ان يخرج رجل أمي لم يتعلم ولم يسمع ولم يشاهد العلماء ساعة من عمره ولا نشأ في بلدة فيها علماء فيقرأ عليهم كتابا فصيحاً يهر كل كلام كل فصيح ويعلم كل منشور ومنظوم مشحوناً بعالم من الاصول والفروع وأخبار ما كان وما يكون ناطقاً بالغيوب التي لا يعلمها الا الله تعالى وقد بلغ بين ظهرانيكم اربعين سنة تطلعون على أحواله ولا يخفى عليكم شيء من أسرارهم ولا يعلم منه حرف من ذلك ولا عرف به أحد من أقرب الناس منه وأصدقهم به ومفعول شاء محذوف أي قل لو شاء الله أن لا أتلاوه وجاء جواب لو على الفصح من عدم

﴿ وقرأت فرقة يجزى بالياء أي يجزى الله وهو التفات والخطاب في جعلناكم لمن بعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴾ وقيل خطاب للمشركي مكة والمعنى استخلفناكم في الارض بعد القرون الماضية لننظر أتعلمون خيراً أم شراً فنعاملكم على حسب علمكم ومعنى لننظر لتبين في الوجود ما عملناه أولاً فالنظر مجاز عن هذا ﴿ قال الزمخشري فان قلت كيف جاز النظر على الله تعالى وفيه معنى المقابلة (قلت) هو مستعار للعلم المحقق الذي هو علم بالشئ موجود أشبه بنظر الناظر وعيان المعاني في حقيقته انتهى وفيه دسيسة الاشمئزال وانه يلزم من النظر المقابلة وفيه انكار وصفه تعالى بالبصير ورده الى معنى العلم ﴾ وقيل لننظر هو على حذف مضاف أي لننظر رسولنا وأوليائنا وأسند النظر الى الله مجازاً وهو غيره ﴿ وقرأ يحيى بن الحرث الزمري لنظر بنون واحدة وتشديد الظاء وقال هكذا رأيت في مصحف عثمان بن عفان رضي الله عنه ويعني انه رأى هابن بنون واحدة لأن النقط والشكل بالحركات والتشديدات انما حدث بعد عثمان ولا يدل كتبه بنون واحدة على حذف النون من اللفظ ولا على ادغامها في الظاء لأن ادغام النون في الظاء لا يجوز ومسوغ حذفها انه لا أثر لها في الانف فينبغي أن تحمل قراءة يحيى على انه بالغ في اخفاء الغنة فتوهم السامع انه ادغام فسب ذلك اليه وكيف معموله لتعلمون والجملة في موضع نصب لننظر لأنها معلقة وجاز التعليق في نظر وان لم يكن من أفعال القلوب لأنها وصله فعل القلب الذي هو العلم ﴿ واذتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا انت بقرا غير هذا أو بدله قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي ان أتبع الا ما يوحى الي اني أخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم ﴾ قال ابن عباس والكلبي نزلت في المستهزئين بالقرآن من أهل مكة قالوا يا محمد انت بقرا غير هذا فيه ما نسألك ﴾ وقال مجاهد وقتادة نزلت في جماعة من مشركي مكة ﴿ وقال مقاتل في خمسة نفر عبد الله بن أمية المخزومي والوليد بن المغيرة ومكرز بن حفص وعمر بن عبد الله بن أبي قيس العامري والعاص بن وائل ﴾ وقيل الخمسة الوليد والعاصي والاسود بن المطلب والاسود بن عبد يغوث والحرث بن حنظلة وروى هذا عن ابن عباس ﴿ قال الزمخشري غاظمهم ما في القرآن من ذم عبادة الاوثان والوعيد للمشركين فقالوا انت بقرا أن آخر ليس فيه ما يغنيظنا من ذلك نتبعك ﴾ وقال ابن عطية نزلت في قريش لأن بعض كفار قريش قال هذه المقالة على معنى ساهلنا يا محمد واجعل هذا الكلام الذي من قبلك هو باختيارنا وأحل ما حرمته وحرّم ما أحلّته ليكون أمرنا حينئذ واحداً وكلمتنا متصلة انتهى ونبه تعالى على الوصف الحامل لهم على هذه المقالة وهو كونهم لا يؤمنون بالبعث والجزاء على ما اقترفوه والمعنى واذتلى عليهم آيات القرآن وانحججهم بالبراهين لا لبس فيها قالوا كيت وكيت وأضيفت الآيات اليه تعالى لأنها كلامه جل وعز والتبديل يكون في الذات بأن يجعل ذات ذات أخرى ويكون في الصفة والتبديل هنا هو في الصفة وهو ان يزال بعض نظمه بأن يجعل مكان آية العذاب آية الرحمة ولا يراد بالتبديل هنا ان يكون في الذات لأنه يلزم جعل الشئ المقتضى للتعبير هو الشئ

ايمان اللام لكونه منفياً بما يقال در بت به وأدر يت زيادته والمعنى ولا أعلمكم به على لسانى ونبه على أن ذلك وحي من الله باقامته فيهم عمراً وهو أربعون سنة من قبل ظهور القرآن على لسانى يافعا وكهلا لم تجربوني في كذب ولا تعاطيت شيأ من هذا ولا غايت اشتغالا فكيف أنهم باختلافه والظاهر عود الضمير في من قبله على القرآن

بعينه لأن التبديل في الذات هو الاتيان بقرآن غير هذا ولما كان الاتيان بقرآن غير هذا غير
 مقدور للانسان لم يحتج الى نفيه ونفي ما هو مقدور للانسان وان كان مستحيلا ذلك في حقه صلى الله
 عليه وسلم فقل له قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي وانتفاء الكون هنا هو كقوله تعالى ما
 كان لكم أن تنبتوا شجرها أي يستحيل ذلك ويحتمل أن يكون التبديل في الذات على أن يلحظ
 في قوله أثبت بقرآن غير هذا بقاء هذا القرآن ويؤتي بقرآن غيره فيكون أو بدله بمعنى أزاله بالكلية
 وأثبت بدله فيكون المطلوب أحدا من اما ازالته بالكلية وهو التبديل في الذات أو الاتيان
 بغيره مع بقاءه فيحصل التغير بين المطلوبين وتلقاء مصدر كالبنيان ولم يجئ مصدر على تفعال
 غيرهما ويستعمل ظرفا للمقابلة تقول زيد تلقاك وقرى بفتح التاء وهو قياس المصادر التي للبالغة
 كالنطواف والتجوال والترداد والمعنى من قبل نفسي ان أتبع فيما أمركم به وما أنها كم عنه من غير
 زيادة ولا نقصان ولا تبديل الا ما يجيئني خبره من السماء واستدل بقوله ان أتبع الا ما يوحى الى على
 نفي الحكم بالاجتهاد وعلى نفي القياس وانما قالوا اثبت بقرآن غير هذا أو بدله لأنهم كانوا لا يعرفون
 بأن القرآن معجز أو ان كانوا عاجزين عن الاتيان بمثله ألا ترى الى قولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا
 وقولهم افترى على الله كذبا ولا يمكن أن يريدوا اثبت بقرآن غير هذا أو بدله من جهة الوحي
 لقوله انى أخاف * قال الرمحشري (فان قلت) فما كان غرضهم وهم أدهى الناس وأنكرهم
 في هذا الاقتراح (قلت) المكرو والكيد أما اقتراح ابدال قرآن بقرآن ففيه انه من عندك وانك
 لقادر على مثله فأبدل مكانه آخر وأما اقتراح التبديل والتغيير فلا طمع ولا اختبار الحال وانه ان
 وجد منه تبديل فاما أن يهلكه الله فنجومه أولا يهلكه فيسخر وامنه ويجعلوا التبديل حجة
 عليه وتصحح الافتراء على الله تعالى انتهى وأن عصيت بالتبديل من تلقاء نفسي وتقدم اتباع
 الوحي وتركى العمل به وهو شرط جوابه مخدوف دل عليه ما قبله واليوم العظيم هو يوم القيامة
 ووصف بالعظم لطوله أو لكثرة شدائده أو للجموع وانظر الى حسن هذا الجواب لما كان أحد
 المطلوبين التبديل بدأ به في الجواب ثم أتبع بأمر عام يشمل انتفاء التبديل وغيره ثم أتى بالسبب
 الحامل على ذلك وهو الخوف وعلقه بطلاق العصيان فبدأنى عصيان ترتب الخوف * قل لو شاء الله
 ما تلونه عليكم ولا أدراككم به فقه دللثت فيكم عمر من قبله أفلا تعقلون * هذه بالغة في التبرئة مما
 طلبوا منه أى ان تلاوته عليهم هذا القرآن انما هو بمشيئة الله تعالى واحداثه أمر اعجيبا خارجا عن
 العادات وهو أن يخرج رجل أى لم يتعلم ولم يستمع ولم يشاهد العلماء ساعة من عمره ولا نشأ في بلدة
 فيها علماء فيقرأ عليهم كتابا فصيحيا يهر كل فصيح ويعلم على كل منشور ومنظوم مشحونا بعالم
 من علوم الاصول والفروع واخبار ما كان وما يكون ناطقا بالغيوب التي لا يعلمها الا الله تعالى وقد
 بالغ بين ظهرانكم أربعين سنة تطلعون على أحواله ولا يخفى عليكم شئ من أسرارهم وما سمعتم منه
 حرفا من ذلك ولا غرت به أحد من أقرب الناس اليه وألصقتم به ومفعول شاء مخدوف أى قل لو شاء
 الله أن لا تلود وجاء جواب لو على الفصحى من عدم اتيان اللام لكونه منفيًا بما يقال دريت به
 وأدريت زيدا به والمعنى ولا أعلمكم به على لسانى * وقرأ قبيل والبرزى من طريق النقاش عن أبي
 ربيعة عنه ولا أدراككم بلام دخلت على فعل مثبت معطوف على منفي والمعنى ولا أعلمكم به من غير
 طريق وعلى لسان غيرى ولكنه بمن على من يشاء من عباده نفصى بهذه الكرامة وراى لها أهلا
 دون الناس * وقراءة الجمهور ولا أدراككم به فلام مؤكدة وموضحة ان الفعل منفي لكونه معطوفا

على منفي وليست لاهي التي نفي الفعل بها لانه لا يصح نفي الفعل بلا اذا وقع جوابا والمعطوف على
الجواب جواب وأنت لاتقول لو كان كذا لا كان كذا انما يكون ما كان كذا * وقرأ ابن عباس
وابن سيرين والحسن وأبو رجاء ولا ادراكم به همزة ساكنة وخرجت هذه القراءة على وجهين
أحدهما ان الاصل أدريتم بالياء فقلها همزة على لغة من قال لبأت بالحج ورنأت زوجي بأبيات يريد
لبيت ورنيت وجاز هذا البدل لان الالف والهمزة من واحد ولذلك اذا حركت الالف انقلبت
همزة كما قالوا في العالم العالم وفي المشتاق المشتاق والوجه الثاني ان الهمزة أصل وهو من الدر وهو
الدفع يقال درأته دفعته كما قال ويدرأ عنها العذاب ودرأته جعلته دارثا والمعنى ولأجعلنكم بتلاوته
خصماء تدرؤوني بالجدال وتكذبوني وزعم أبو الفتح انما هي أدريتم فقلب الياء ألفا لافتح ما
قبلها وهي لغة لعقيل حكاهما قطرب يقولون في أعطيتك أعطيتك * وقال أبو حاتم قلب الحسن الياء
ألفا كما في لغة بني الحرث بن كعب السلام علاك قيل ثم همز على لغة من قال في العالم العالم * وقرأ أشهر
ابن حوشب والاعمش ولا أذرتكم به بالنون والذال من الانذار وكذا هي في حرف ابن مسعود
ونبه على ان ذلك وحى من الله تعالى بأقامته فيهم عمرا وهو أربعون سنة من قبل ظهور القرآن
على لسانى يافعا وكهلا لم تجربوني في كذب ولا تعاطيت شيئا من هذا ولا عانيت اشتغالا فكيف أنهم
باختلافه أفلا تعقلون ان من كان بهذه الطريقة من مكته الا زمان الطويلة من غير تعلم ولا تهاذولا
مطالعة كتاب ولا مراس جدال ثم أتى بما ليس يمكن أن يأتي به أحد ولا يكون الا محققا أتى به مبلغا
عن ربه ما أوحى اليه وما اختصه به كما جاء في حديث هرقل هل جر بتم عليه كذبا قال لا فقال لم يكن
ليدع الكذب على الخلق ويكذب على الله وأدغم ثاء لبثت أبو عمرو وأظهرها باقى السبعة * وقرأ
الاعمش عمرا بالسكان الميم والظاهر عود الضمير في من قبله على القرآن وأجاز الكرماني أن
يعود على التلاوة وعلى النزول وعلى الوقت يعنى وقت نزوله * فن أظلم من افترى على الله كذبا أو
كذب بآياته انه لا يفلح المجرمون * تقدم تفسير مثل هذا الكلام ومسايقه هنا باعتبار ابن أحد هما
انهما قالوا أنت بقرآن غير هذا أو بدله كان في ضمنه أنهم ينسبونه الى انه ليس من عند الله وانما هو
اختلاق فبولغ في ظلم من افترى على الله كذبا كما قال من أظلم من افترى على الله كذبا أو قال
أوحى الى ولم يوح اليه شيء ومن قال سأزل مثل ما أنزل الله وقد قام الدليل القاطع على أن هذا
القرآن هو من عند الله وقد كذبتم بآياته فلا أحد أظلم منكم والاعتبار الثاني ان ذلك توطئة لما يأتي
بعده من عبادة الاوثان أى لا أحد أظلم منكم في افترائكم على الله ان له شريكا وان له ولدا وفيما نسبتم
اليه من التحليل والتحرير * ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا
عند الله قل أنتبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض سبحانه وتعالى عما يشركون * الضمير
في ويعبدون عائدا على كفار قريش الذين تقدمت محاورتهم وما لا يضرهم ولا ينفعهم هو الاصنام
جماد لا تقدر على نفع ولا ضرر قيل ان عبدوها لم تنفعهم وان تركوا عبادتها لم تضرهم ومن حق
المعبود أن يكون مثيرا على الطاعة معاقبا على المعصية وكان أهل الطائفة يعبدون اللات وأهل مكة
العزى ومناة وأسافونائلة وهبل والاعراب بهذا عن الكفار هو على سبيل التجهيل والتحقير لهم
ولمعبوداتهم والتنبيه على انهم عبدوا من لا يستحق العبادة وفي قوله من دون الله دلالة على انهم كانوا
يعبدون الاصنام ولا يعبدون الله * قال ابن عباس يعنون في الآخرة * وقال النضر بن الحرث اذا
كان يوم القيامة شفعت في اللات والعزى * وقال الحسن شفعاؤنا في اصلاح معاشنا في الدنيا

﴿ فن أظلم ﴾ تقدم الكلام
عليه * ويعبدون من دون
الله * الضمير عائدا على
كفار قريش الذين
تقدمت محاورتهم * مالا
يضرهم ولا ينفعهم * هو
الاصنام جماد لا تقدر على
نفع ولا ضرر قيل ان عبدوها
لم تنفعهم وان تركوها لم
تضرهم ومن حق المعبود
أن يكون مثيرا على الطاعة
معاقبا على المعصية وكان
أهل الطائفة يعبدون
اللات وأهل مكة يعبدون
العزى ومناة وأسافا ونائلة
وهبل وفي قوله من دون
الله دلالة على انهم يعبدون
الاصنام ولا يعبدون الله
قال ابن عباس يعنون
في الآخرة أى النفع
والضرر * أنتبئون *
استفهام على سبيل التهميم
بما ادعوه من المحال الذى
هو شفاعة الاصنام
واعلام بأن الذى أنبئوا
به باطل غير منظور تحت
الصحة فكأنهم يخبرونه
بشيء لا يتعلق به عامه

لأنهم لا يقررون بالبعث وأتنبئون استفهام على سبيل التكميم بما ادّعوه من المحال الذي هو شفاعة الاصنام واعلام بأن الذي أنبأوا به باطل غير منطوق تحت الصحة فكأنهم يخبرونه بشئ لا يتعلق به دعاءه ومأموصولة بمعنى الذي * قال الزمخشري بكونهم شفعاء عنده وهو انباء ما ليس بمعلوم لله تعالى وإذا لم يكن معلوما له وهو العالم الذات المحيط بجميع المعلومات لم يكن شيئا لأن الشئ ما يعلم ويخبر عنه فكأن خبره ليس له خبر عنه انتهى فتكون ما واقعة على الشفاعاة والفاعل يعلم هو الله والمفعول الضمير المخدوف العائد على ما وقوله في السموات ولا في الارض تأكيديا فيه لأن ما لم يوجد فيه ما فهو منتف * يدوم قوله الزمخشري وفي التحرير أتنبئون معناه التكميم والتقرير والتوبيخ والانسكار والمعنى على هذا أتخبرون الله بما يعلم خلافة في السموات والارض فان صفات الذات لا تجري فيها النفي * وقيل أتخبرون الله بما لا يعلمه موجودا في السموات والارض فكيف يصح وجوده لا يعلمه الله وهو كما يقال للرجل قد قلت كذا فيقول ما علم الله هذا مني أي ما كان هذا قاطا اذ لو كان لعلمه الله انتهى والذي يظهر ان مأموصول يراد به الاصنام لا الشفاعاة التي ادّعواها والفاعل يعلم ضمير يعود على ما لا على الله وذلك على حذف مضاف والمعنى قل أنعماءون الله بشفاعة الاصنام التي انتفى عامها في السموات والارض أي ليست متصفة بعلم البتة فيكون ذلك ردا عليهم في دعواهم انها قد شفع عند الله لأن من كان منتفيا عنه العلم فكيف يشفع وهو لا يعلم من يشفع فيه ولا ما يشفع فيه ولا من يشفع عنده كما ردناهم في العبادة بقوله ما لا يضرهم ولا ينفعهم فانتفاء الضر والنفع قادح في العبادة وانتفاء العلم قادح في الشفاعاة فتبطل العبادة ودعوى الشفاعاة ويكون قوله في السموات والارض على هذا تنبيه على محال المعبودات المدعى شفاعتهم إذ من المعبودات السماوية الكواكب كالشمس والشعري * وقرئ أتنبئون بالتخفيف من أنبأ ولما ذكر تعالى عبادتهم ما لا يضر ولا ينفع وكان ذلك اثرا كما استأنف تنزيها بقوله سبحانه وتعالى وما يحتدل أن تكون بمعنى الذي ومصدرية أي شركا بهم الذين يشركونهم به أو عن اشراكهم * وقرأ العريبان والحرميان وعاصم يشركون بالياء على الغيبة هنا وفي حرفي النحل وحرفي الروم وذكر أبو حاتم انه قرأها كذلك الحسن والأعرج وابن القمقاع وشيبة وحميد وطلحة والأعمش * وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر في النمل فقط بالياء على الخطاب وعاصم وأبو عمر وبالياء على الغيبة * وقرأ حمزة والكسائي الخمسة بالتاء على الخطاب وأنى بالمضارع ولم يأت عن ما أشركوا للدلالة على استقرار حالهم كما جاء يعبدون وانهم على الشرك في المستقبل كما كانوا عليه في الماضي * وما كان الناس الا أمة واحدة فاختلفوا ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم فيما فيه يختلفون * لما ذكر تعالى الدلالة على فساد عبادة الاصنام ذكر الحامل على ذلك وهو الاختلاف الحادث بين الناس والظاهر عموم الناس ويتصور في آدم وبينه إلى أن وقع الاختلاف بعد قتل أحد ابنيه الآخر وقاله أبي بن كعب * وقال الضحاك المراد أصحاب سفينة نوح اتفقوا على الخيفية ودين الاسلام * وعن ابن عباس من كان من ولد آدم إلى زمان ابراهيم ورد بانه عبد في زمان نوح عليه السلام الاصنام كود وسواع وحكي ابن القشيري ان الناس قوم ابراهيم إلى أن غير الدين عمرو بن لحي * وقال ابن زيد هم الذين أخذ عليهم الميثاق يوم السبت بربكم لم يكونوا أمة واحدة غير ذلك اليوم * وقال الأصمهم الأطفال المولودون كانوا على الفطرة فاختلفوا بعد البلوغ وأبعد من ذهب إلى أن المراد بالناس هنا آدم وحده وهو مروي عن مجاهد والسدي وعبر عنه بالامة لانه جامع لأنواع الخير وهذه الاقوال هي

وما كان الناس الا أمة واحدة * لما ذكر تعالى الدلالة على فساد عبادة الاصنام ذكر الحامل على ذلك وهو الاختلاف الحادث بين الناس والظاهر عموم الناس ويتصور في آدم وبينه إلى أن وقع الاختلاف بعد قتل أحد ابنيه الآخر أمة واحدة تقدم الكلام عليها في البقرة والكامه هنا هو القضاء والتقدير لبني آدم في الآجال المقدرة

(الدر)

(ش) بكونهم شفعاء وهو انباء ما ليس بمعلوم لله تعالى وإذا لم يكن معلوما له وهو العالم الذات المحيط بجميع المعلومات لم يكن شيئا لأن الشئ ما يعلم ويخبر عنه فكأن خبره ليس له خبر عنه انتهى (ح) فيكون ما واقعة على الشفاعاة والفاعل يعلم هو الله تعالى والمفعول هو الضمير المخدوف العائد على ما

ويقولون لولا أنزل الآية هذمه من اقتراحهم وكانوا لا يعتقدون بما أنزل عليه من الآيات العظام المتكاثرة التي لم ينزل على أحد من الأنبياء مثلها وكفى بالقرآن وحده آية باقية على وجه الدهر بديعة غريبة من الآيات دقيقة المسالك من بين المعجزات وجعلوا نزولها كلاً نزول فكأنه لم ينزل عليه شيء قط حتى قالوا لولا أنزل عليه آية من ربه (١٣٥) واحدة وذلك لفراط عنادهم وتماديهم في التمرد

وانهما كهم في الغي به
﴿فقل إنما الغيب لله﴾
أي هو سبحانه المختص بعلم الغيب المستأثر به لا علم لى ولا لاحد به يعني ان ان الصارف عن انزال الآيات المقترحة أمره غيب لا يعاها الا هو ﴿فانتظروا﴾
نزول ما اقترحتوه ﴿انى معكم من المنتظرين﴾ بما يفعل الله تعالى بكم لعنادكم وجحدكم الآيات وجحدكم من جاء بها ﴿واذا أدقنا الناس﴾ الآية سبب نزولها انه لما دعا على أهل مكة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجدب فحطوا سبع سنين فأثابه أبو سفيان فقال ادع لنا بالخصب فان اخصبنا صدقناك فسال الله تعالى فسقوا ولم يؤمنوا والرحمة هنا الغيث بعد الفحط والامن بعد الخوف والصحة بعد المرض والغنى بعد الفقر وما أشبه ذلك ومعنى مستهم خالطهم وفي هذه الجملة دليل على سرعة تقليب ابن آدم من حالة الخير الى حالة الشر وذلك بلفظ أدقنا كأنه قيل

على أن المراد بامته واحدة في الاسلام والايان * وقيل في الشرك وأريد قوم ابراهيم كانوا مجتمعين على الكفر فآمن بعضهم واستقر بعضهم على الكفر أو من كان قبل البعث من العرب وأهل الكتاب كانوا على الكفر والتبديل والتحريف حتى بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فآمن بعضهم أو العرب خاصة أقوال ثالثها للزجاج والظاهر ان المراد بقوله أمة واحدة في الاسلام لان هذا الكلام جاء عقيب ابطال عبادة الاصنام فلا يناسب أن يقوى عبادة الاصنام فان الناس كانوا على ملة الكفر انما المناسب أن يقال انهم كانوا على الاسلام حتى تحصل النفرة من اتباع غير ما كان الناس عليه وأضاف قوله ولولا كلمة هو وعيد فصرفه الى أقرب مذكور وهو الاختلاف هو الوجه والاختلاف بسبب الكفر هو مقتضى اللوعيد لا الاختلاف الذي هو بسبب الايمان اذ لا يصلح أن يكون سببا للوعيد وقد تقدم الكلام على نحوه هذا في البقرة في قوله كان الناس أمة واحدة ولكن أعدنا الكلام فيه لبعده والكلمة هنا هو القضاء والتقدير لبني آدم بالآجال المؤقتة * قال ابن عطية ويحتمل أن يريد الكلمة في أمر القيامة وان العقاب والثواب انما يكون حينئذ * وقال الزمخشري هو تأخير الحكم بينهم الى يوم القيامة يقضى بينهم عاجلاً فيما اختلفوا فيه وتميز الحق من المبطل وسبقت كلمة الله بالتأخير لحكمة أوجبت أن تكون هذه الدار دار تكليف وتلك دار ثواب وعقاب * وقال الكلبي الكلمة ان الله أخبر هذه الأمة لا يهلكهم بالعذاب في الدنيا الى يوم القيامة فلولاهذا التأخير لقضى بينهم نزول العذاب أو باقاة الساعة * وقيل الكلمة السابقة لا يأخذ أحدا الا بحجة وهو ارسال الرسل * وقيل الكلمة قوله سبقت رحمتي غضبي ولولا ذلك ما أخر العصاة الى التوبة * ويقولون لولا أنزل عليه آية من ربه فقل انما الغيب لله فانتظروا انى معكم من المنتظرين * هذا من اقتراحهم * قال الزمخشري وكانوا لا يعتقدون بما أنزل عليه من الآيات العظام المتكاثرة التي لم تنزل على أحد من الأنبياء مثلها وكفى بالقرآن وحده آية باقية على وجه الدهر بديعة غريبة في الآيات دقيقة المسالك من بين المعجزات وجعلوا نزولها كلاً نزول فكأنه لم ينزل عليه شيء قط حتى قالوا لولا أنزل عليه آية واحدة من ربه وذلك لفراط عنادهم وتماديهم في التمرد وانهما كهم في الغي فقل انما الغيب لله أي هو المختص بعلم الغيب المستأثر به لا علم لى ولا لاحد به يعني ان الصارف عن انزال الآيات المقترحة أمره غيب لا يعاها الا هو سبحانه فانتظروا نزول ما اقترحتوه انى معكم من المنتظرين بما يفعل الله تعالى بكم لعنادكم وجحدكم الآيات * وقال ابن عطية آية من ربه آية تنظر الناس الى الايمان وهذا النوع من الآيات لم يأت بها نبي قط ولا من المعجزات اضطرارية وانما هي معرضة النظر ليهتدى قوم ويضل آخرون فقل انما الغيب لله إن شاء فعل وإن شاء لم يفعل لا يطلع على غيبه في ذلك أحد وقوله فانتظروا وعيد وقد صدقه الله تعالى بنصرته محمد صلى الله عليه وسلم * وقيل الآية التي اقترحوا أن ينزل ما تضمنه قوله تعالى وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا الآية * وقيل آية كآية موسى كالعصا واليد البيضاء واحياء الموتى طلبوا ذلك على سبيل التعنت * وإذا أدقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم اذ اهلهم مكر في آياتنا قل الله أسرع مكررا إن رسلنا

أول ذوقه الرحمة قبل أن يداوم استعظامهم مكرهم وبلغ من المشعة بابتداء الغاية أي ينشئ المكر أثر كشف الضر لا يهمل ذلك وبلغ من اذا الفجائية الواقعة جوا بالاذ الشرطية أي في وقت اذا فاة الرحمة فاجأوا بالمكر ولما كانت هذه الجملة كما قلنا تتضمن سرعة المكر منهم قيل ﴿قل الله أسرع مكررا﴾ فجاءت أفعل التفضيل ومعنى وصف المكر بالاسراعية انه تعالى قبل أن تدبر وامكائدكم قضى

يكتبون ماتمكرون * الماذكر تعالى قوله واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون الآية ثم
دكر قوله وقالوا لولا أنزل عليه آية وذلك على سبيل التعنت أخبر أن هؤلاء إنما يصيرون لهذه
المقالات عندما يكونون في رخاء من العيش وخلو بال وأن إحسان الله تعالى قابله بما لا يجوز من
ابتغاء المكرب لآياته وكان خليفهم أن يكونوا أول من صدق بآياته وأعرضهم عن الآيات نظير قوله
فأما كشفنا عنه ضره مر كان لم يدعنا إلى ضره * وسبب نزولها أنه لما دعا على أهل مكة الرسول
بالجذب فخطوا سبع سنين فأتاه أبو سفيان فقال ادع لنا بالخصب فإن أخصبنا صدقنا فسأل الله لهم
فسقوا ولم يؤمنوا وهذه وإن كانت في الكفار فهي تتناول من العصاة من لا يؤدى شكر الله عند
زوال المكرب عنه ولا يرتدع بذلك عن معاصيه وذلك في الناس كثير تعبد الإنسان بعقد عند
الضر التوبة والتصل من سائر المعاصي فإذا زال عنه رجع إلى أقبح عاداته والرحمة هنا الغيث بعد
القيح والامن بعد الخوف والصحة بعد المرض والغنى بعد الفقر وما أشبه ذلك ومعنى مستهم خالطهم
حتى أحسوا بسوء أثرها فيهم ومعنى مكرب في آياتنا التكذيب بالقرآن والشك فيه قاله جماعة * وقال
مجاهد ومقاتل الاستهزاء والتكذيب * وقال أبو عبيدة الرد والجحود * وحكى الماوردي الاتفاق لانه
أظهر الإيمان وابطان الكفر وهو شبه بما قال الزمخشري أن المكرب أخفى الكيد * وقال ابن
عطية والمكرب الاستهزاء والطعن عليهما من الكفار وأطراح الشكر والخوف من العصاة انتهى
والاذقة والمس هنا مجازان وفي هذه الجملة دليل على سرعة قلب ابن آدم من حالة الخير إلى حالة الشر
وذلك بلفظ أذقنا كأنه قيل أول ذوقه الرحمة قبل أن يداوم استمتاعها بمكربوه بلفظ من المشعة
بابتداء العناية أي ينشئ المكرب أثر كشف الضرراء لايهل ذلك و بلفظ اذا لفجائية الواقعة
جوابا لاذ الشرطية أي في وقت اذافة الرحمة فاجأوا بالمكرب ولما كانت هذه الجملة كما قلنا
تتضمن سرعة المكرب منهم قيل قل الله أسرع مكربا فجاءت أفعل التفضيل ومعنى وصف المكرب
بالأسرعية أنه تعالى قبل أن يدبروا مكائدهم قضى بعقابكم وهو موقعكم واستدرجكم بامهاله * قال
ابن عطية أسرع من سرع ولا يكون من أسرع يسرع حكى ذلك أبو علي ولو كان من أسرع لكان
شاذا وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في نار جهنم لهي أسود من القار وما حفظ من النبي صلى
عليه وسلم فليس بشاذ انتهى * وقيل أسرع هي اليات التفضيل وحكاية ذلك عن أبي علي هو مذهب
وفي بناء التعجب وأفعل التفضيل من أفعل ثلاثة مذاهب المنع مطلقا وما ورد من ذلك فهو شاذ
والجواز مطلقا والتفصيل بين أن تكون الهمزة فيه للنقل فيمنع أو لغير النقل فيجوز نحو أشكل
الامر وأظلم الليل وتقرر بالصحيح من ذلك هو في علم النحو وأما نظير أسود من القار بأسرع
ففساد لأن أسود ليس فعلة على وزن أفعل وإنما هو على وزن فعل نحو سود فـ وأسود ولم يمتنع
التعجب ولا بناء أفعل التفضيل عند البصريين من نحو سود وجر وأدم إلا لكونه لونا وقد أجاز
ذلك بعض الكوفيين في الألوان مطلقا وبعضهم في السواد والبياض فقط والرس هنا الحفظة بلا
خلاف والمعنى أن ما نظنونه خافيا مطويا عن الله لا يخفى عليه وهو منتقم منكم * وقرأ الحسن وابن
أبي إسحاق وأبو عمرو ورسلا بالتخفيف * وقرأ الحسن وقتادة ومجاهد والاعرج ورويت عن نافع
مكربون على النية جريا على ما سبق * وقرأ أبو رجاء وشيبة وأبو جعفر وابن أبي إسحاق وعيسى
وطلحة والاعمش والجحدري وأيوب بن المتوكل وابن محيصن وشبل وأهل مكة والسبعة بالتاء على
الخطاب مبالغة لهم في الاعلام بحال مكربهم والتفاتا لقوله قل الله أي قل لهم فناسب الخطاب وفي قوله

بعقابكم وهو موقعه بكم
واستدرجكم بامهاله

﴿ هو الذي يسيركم في البر والبحر ﴾ متلسمتها لما قبلها أنه تعالى لما ذكر أن الناس إذا أصابهم الضر لجأوا إلى الله تعالى وإذا أذاقهم الرحمة عادوا إلى عاداتهم من إهمال جانب الله تعالى والمكفر في آياته وكان المذكور في الآيتين أمرا كلياً أوضح ذلك الأمر الكلي بمثال جلي كاشف عن حقيقة ذلك المعنى الكلي ينقطع فيه رجاء الإنسان عن كل متعلق به إلا الله تعالى فيخلص له الدعاء وحده في كشف هذه النازلة التي لا يكشفها إلا هو تعالى وقرئ ينشركم من النشر والبث ويسيركم من التسيير ﴿ وجرين ﴾ النون عائدة على الفلك ويراد به الجمع إذا الفلك يكون مفرداً كقوله في الفلك المشحون ويكون جمعاً كهذا ولهذا عاد الضمير عليه جمعاً والباء في بهم للتعدية وفي برح للسبب وفي قوله بهم الالتفات اذهو خروج من خطاب في قوله كنتم إلى غيبة في قوله بهم وفرحوا وما بعد ذلك من ضمير الغيبة قال الزمخشري فائدة الالتفات في قوله تعالى حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم المبالغة كأنه يذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم منها ويستدعي منهم الانكار والتعجب انتهى والذي يظهر (١٣٧) والله أعلم أن حكمة الالتفات هنا هي أن قوله هو الذي يسيركم في البر والبحر

الذي يسيركم في البر والبحر خطاب فيه امتنان وإظهار نعمه للخاطبين والمسيرون في البر والبحر مؤمنون وكفار والخطاب شامل لحسن خطابهم بذلك ليستديم الصالح على الشكر ولعل الطالح يتذكر هذه النعمة فيرجع فلما ذكرت حاله آل الأمر في آخرها إلى أن المتلبس بها هو باغ في الأرض بغير الحق عدل عن الخطاب إلى الغيبة حتى لا يكون المؤمنون يخاطبون بصور مثل هذه الحالة التي آخرها البغي وقوله ﴿ جاءتھا ﴾ جواب إذا و ﴿ عاصف ﴾ صفة لريح

ان رسلنا التفات أيضاً لزم يأت أن رسله * وقال أيوب بن المتوكل في مصحف أبي أيها الناس ان الله أسرع مكرًا وان رسله لديكم يكتبون ما تكرون وينبغي أن يحمل هذا على التفسير لانه مخالف لما أجمع عليه المسلمون من سواد المصحف والمحفوظ عن أبي القراءة والقراء بسواد المصحف ﴿ هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم برح طيبة وفرحوا بها جاء تها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتننا من هذه لنكونن من الشاكرين ﴾ مناسبة هذه الآية لما قبلها أنه لما ذكر تعالى أن الناس إذا أصابهم الضر لجأوا إلى الله تعالى فإذا أذاقهم الرحمة عادوا إلى عاداتهم من إهمال جانب الله والمكفر في آياته وكان قبل ذلك قد ذكر نحو ما من هذا في قوله وإذا مس الإنسان الضر الآية وكان المذكور في الآيتين أمراً كلياً أوضح تعالى ذلك الأمر الكلي بمثال جلي كاشف عن حقيقة ذلك المعنى الكلي ينقطع فيه رجاء الإنسان عن كل متعلق به إلا الله تعالى فيخلص له الدعاء وحده في كشف هذه النازلة التي لا يكشفها إلا هو تعالى ويتبين بطلان عبادته ما لا يضر ولا ينفع ودعواه أنه شفيعة عند الله ثم بعد كشف هذه النازلة عاد إلى عادته من بغيه في الأرض فأنجاؤه تعالى أيهم هو مثال من أذاقة الرحمة وما كانوا فيه قبل من اشترا فهم على الهلاك هو مثال من الضر الذي مسهم * وقرأ زيد بن ثابت والحسن وأبو العالية وزيد بن علي وأبو جعفر وعبد الله بن جبير وأبو عبد الرحمن وشيبة وابن عامر ينشركم من النشر والبث * وقرأ الحسن أيضاً ينشركم من الانشاور وهو الأحياء وهي قراءة عبد الله * وقرأ بعض الشاميين ينشركم بالتشديد لكثير من النشر الذي هو مطاوعة الانتشار * وقرأ باقي السبعة والجمهور يسيركم من التسيير * قال أبو علي هو تضعيف مبالغة لا تضعيف تعدية لان العرب تقول سرت الرجل وسيرته ومنه قول الهذلي

(١٨ - تفسير البحر المحيط لأبي حيان - خامس) على معنى النسب أي ذات عصف اذ لو كانت جارية على الفعل لكانت بالتاء كقوله تعالى ولسليمان الريح عاصفة والمعنى من كل مكان من أمكنة الموج والظن هنا على بابة الأصل من ترجيح أحد الجائزين ومعنى ﴿ أحيط بهم ﴾ أي للهلك كما يحيط العدو بمن يريد أهلاكه وهي كناية عن استيلاء أسباب الهلاك ﴿ دعوا الله ﴾ جواب لسؤال مقدر كأنه قيل فما كان حالهم في تلك الشدة قيل دعوا الله ﴿ لئن أنجيتنا ﴾ اللام موطئة لقسم محذوف في موضع الحال تقديره مقسمين ﴿ من هذه ﴾ أي من هذه الشدة

(الدر) (ح) قال أبو علي في قراءة الجمهور يسيركم من التسيير هو تضعيف مبالغة لا تضعيف تعدية لان العرب تقول سرت الرجل وسيرته ومنه قول الهذلي فلا تجزعن من سنة أنت سرتها * فأول راض سنة من يسيرها (ع) وعلى هذا البيت اعتراض حتى لا يكون شاهداً في هذا وهو أن يكون الضمير كالظرف كما تقول سرت الطريق انتهى (ح) ما ذكره أبو علي لا يتعين بل الظاهر أن التضعيف فيه للتعدية لان سار الرجل لازماً أكثر من سرت الرجل متعدياً فجعله ناشئاً عن الأكثر أحسن من جعله

(الدر) ناشأ عن الأقل وأما جعل (ع) الضمير كالظرف قال كما تقول سرت الطريق فهذا لا يجوز عند الجمهور لأن الطريق عندهم ظرف مختص كالدار والمسجد فلا يصل إليه الفعل غير دخلت عند سيبويه وانطلقت وذهبت عند الفراء الا بواسطة في الاق ضرورة واذا كان كذلك فضميره أخرى أن لا يتعدى إليه الفعل واذا كان ضمير الظرف الذي يصل إليه الفعل بنفسه يصل إليه بواسطة في الا ان اتسع فيه فلان يكون الضمير الذي يصل الفعل الى ظاهره بفي أولى أن يصل إليه الفعل بواسطة في وزعم ابن الطراوة ان الطريق ظرف غير مختص فيصل اليه (١٣٨) الفعل بغير واسطة في وهو زعم مردود في النحو (ش)

فائدة الالتفات في قوله حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم المبالغة كأنه يذكرهم لغيرهم حالهم ليعجبهم منها ويستمدى منهم الانكار والتعجب انتهى (ح) والذي يظهر والله أعلم أن حكمة الالتفات هنا هي ان قوله هو الذي يسيركم في البر والبحر خطاب فيه امتنان واطهار نعمة للمخاطبين والمسيرين في البر والبحر مؤمنون وكفار والخطاب شامل فحسن خطابهم بذلك ليستديم الصالح الشكر ولعل الطالح يتذكر هذه النعمة فيرجع فاما ذكر حاله آل الامر في آخرها الى ان المتلبس بها هو باع في الارض بغير الحق عدل عن الخطاب الى الغيبة حتى لا يكون المؤمنون يخاطبون بصور مثل هذه الحالة التي آخرها البغي (ع) ٢٢

فلا تجز عن من سنة أنت سرتها * فاول راض سنة من يسيرها * قال ابن عطية وعلى هذا البيت اعتراض حتى لا يكون شاهدا في هذا وهو أن يكون الضمير كالظرف كما تقول سرت الطريق انتهى وما ذكره أبو علي لا يتعين بل الظاهر أن التضعيف فيه للتعدية لان سار الرجل لازماً أكثر من سرت الرجل متعدياً فجعله ناشأ عن الا أكثر أحسن من جعله ناشأ عن الأقل وأما جعل ابن عطية الضمير كالظرف قال كما تقول سرت الطريق فهذا لا يجوز عند الجمهور لان الطريق عندهم ظرف مختص كالدار والمسجد فلا يصل إليه الفعل غير دخلت عند سيبويه وانطلقت وذهبت عند الفراء الا بواسطة في الاق ضرورة واذا كان كذلك فضميره أخرى أن لا يتعدى إليه الفعل واذا كان ضمير الظرف الذي يصل إليه الفعل بنفسه يصل إليه بواسطة في الا ان اتسع فيه فلان يكون الضمير الذي يصل الفعل الى ظاهره بفي أولى أن يصل إليه الفعل بواسطة في وزعم ابن الطراوة ان الطريق ظرف غير مختص فيصل اليه الفعل بغير واسطة في وهو زعم مردود في النحو ومعنى يسيركم يجعلكم تسيرون والسير معروف وفي قوله والبحر دلالة على جواز ركوب البحر ولما كان الخوف في البحر أغلب على الانسان منه في البر وقع المثال به لذلك المعنى الكلي به من النجاء العبد لله تعالى حالة الشدة والاهمال لجانبه حالة الرخاء * قال الزمخشري (فان قلت) كيف جعل الكون في الفلك غاية التسيير في البحر والتسيير في البحر انما هو بالكون في الفلك (قلت) لم يجعل الكون في الفلك غاية التسيير ولكن مضمون الجملة الشرطية الواقعة بعد حتى بما في خبرها كأنه قال يسيركم حتى اذا وقعت هذه الحادثة فكان كيت وكيت من مجيء الريح العاصف وتراكم الامواج والنظن للهلاك والدعاء للنجاة انتهى وهو حسن * وقرأ أبو الدرداء وأم الدرداء في الفلكي بزيادة ياء النسب وخرج ذلك على زيادتها كما زادوها في الصفة في نحو أخرى وزواري وفي العلم كقول الصلتان * أنا الصلتاني الذي قد علمتم * وعلى ارادة النسب مراد به اللج كأنه قيل في اللج الفلكي وهو الماء الغمر الذي لا تجري الفلك الا فيه والضمير في وجرين عائداً على الفلك على معنى الجمع إذا فلك كما تقدم في سورة البقرة يكون مفردا وجمعوا والضمير في بهم عائداً على الكائنين في الفلك وهو التفات إذ هو خروج من خطاب الى غيبة وفائدة صرف الكلام من الخطاب الى الغيبة قال الزمخشري المبالغة كأنه يذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم منها ويستمدى منهم الانكار والتعجب انتهى والذي يظهر والله أعلم أن حكمة الالتفات هنا هي ان قوله هو الذي يسيركم في البر والبحر خطاب فيه امتنان واطهار نعمة للمخاطبين

خروج من الحضور الى الغيبة وحسن ذلك لان قوله كنتم في الفلك هو بالمعنى المعقول حتى اذا حصل بعضكم في السفن انتهى (ح) كأنه قدر مفردا غائباً فعاد الضمير عليه فيصير كقوله أو كظلمات في بحر لحي يغشاه أي أوكدي ظلمات فعاد الضمير غائباً على اسم غائب فلا يكون ذلك من باب الالتفات (ح) والباء في بهم ويرى قال أبو البقاء تتعلق الباء آن بجرين انتهى والذي يظهر أن الباء في بهم متعلقة بجرين تعلقها بالمفعول نحو مرتب زيد وان الباء في بريح يجوز أن تكون للسبب فاختلف المدلول في الباءين فيجاز أن يتعلقا بفعل واحد ويجوز أن تكون الباء للحال أي وجرين بهم ملتبسة بريح طيب فيتمعلق بمخدوف كما تقول جاء زيد بشيابه أي ملتبساً بها

﴿فأما أنجاهم إذا هم يبغون﴾ الآية وجواب لما إذا الفجائية (١٣٩) وما بعدها ومحجى، إذا وما بعدها جوابا لها دليل على أنها حرف

يترتب ما بعدها من الجواب على ما قبلها من الفعل الذي بعدهما وإنما تفيد الترتيب والتعليق في المضي وإنما ك قال سيبويه حرف ومذهب غيره أنها ظرف وقد أوضحنا ذلك فيما كتبناه في علم النحو والجواب بأذا الفجائية دليل على أنه لم يتأخر عنهم عن انجائهم بل بنفس ما وقع الانجاء وقع البغي قال ابن عباس يبغون بالدعاء إلى عبادة غير الله والعمل بالمعاصي والفساد والخطايا أيها الناس قال الجمهور لاهل مكة والذي يظهر أنه خطاب لأولئك الذين أنجاهم الله وبغوا ويحتدل كما قالوا العموم فيندرج أولئك فيهم وهذا ذم للبغي في أوجز لفظ ومعنى على أنفسكم وبال بغي ولا يجنى ثمرته إلا أنتم وقرئ متاع بالنصب على الظرف أي وقت متاع الحياة الدنيا وقرئ متاع بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف تقديره هو متاع وأجاز النحاس وتبعه الزمخشري أن يكون على أنفسكم متعلقا بقوله بغيكم كما تعلق في قوله فبغى عليهم ويكون الخبر متاع إذا رفعته ومعنى ﴿على

والمسيرون في البر والبحر مؤمنون وكفار والخطاب شامل فحسن خطابهم بذلك ليستديم الصالح على الشكر ولعل الطالح يتذكر هذه النعمة فيرجع فلماذا كرت حالة آل الامر في آخرها إلى أن الملتبس بها هو باغ في الارض بغير الحق عدل عن الخطاب إلى الغيبة حتى لا يكون المؤمنون مخاطبون بصور مثل هذه الحالة التي آخرها البغي * وقال ابن عطية بهم خروج من الحضور إلى الغيبة وحسن ذلك لأن قوله كنتم في الفلك هو بالمعنى المعقول حتى إذا حصل بعضكم في السفن انتهى فكأنه قدر مفردا غائبيا عاد الضمير عليه فيصير كقوله تعالى أو كظلمات في بحر لجي يغشاه أي أو كذى ظلمات فعاد الضمير غائبا على اسم غائب فلا يكون ذلك من باب الالتفات والباء في بهم ويرجى قال العكبري تتعلق الباء بآن بجرين انتهى والذي يظهر أن الباء في بهم متعلقة بجرين تعلقها بالمفعول نحو مرت بزيد وان الباء في يرجى يجوز أن تكون للسبب باختلاف المدلول في الباء بن جاز أن يتعلق بفعل واحد ويجوز أن تكون الباء للحال أي وجرين بهم ملتبسة بارج طيبة فتعلق بمحذوف كما تقول جاء زيد بنياه أي ملتبس بها وفرحوا بها يحتمل أن يكون معطوفا على قوله وجرين بهم ويحتمل أن يكون حالا أي وقد فرحوا بها كما حقل قوله وجرين أن يكون معطوفا على كنتم وأن يكون حالا والظاهر أن قوله جاء تها ريج عاصف هو جواب إذا والظاهر عود الضمير في جاء تها على الفلك لأنه هو المحدث عنه في قوله وجرين بهم وقاله مقاتل وجوزوا أن يعود على الريح الطيبة وقاله الفراء وبدأ به الزمخشري ومعنى طيب الريح لين هبوبها وكونها موافقة * وقرأ ابن أبي عملة جاء تهم ومعنى من كل مكان من أمكنة الموج والظن هنا على بابه الاصل من ترجيح أحد الجائزين * وقيل معناها التيقن ومعنى أحيط بهم أي للهلاك كما يحيط العدو بمن يريد اهلا كهوى كناية عن استيلاء أسباب الهلاك * وقرأ زيد بن علي حيط بهم ثلاثيا والجملة من قوله دعوا الله قال أبو البقاء هي جواب ما اشتمل عليه المعنى من معنى الشرط تقديره لما ظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله انتهى وهو كلام لا يتحصل منه شيء * وقال الطبري جواب حتى إذا كنتم في الفلك جاء تها ريج عاصف وجواب قوله وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله انتهى وهو مخالف للظاهر لأن قوله وظنوا ظاهره العطف على جواب إذا لأنه معطوف على كنتم لكنه محتمل كما تقول إذا زارك فلان فأكرمه وجاءك خالد فأحسن اليه وكان أداة الشرط مذكورة * وقال الزمخشري هي بدل من ظنوا لادعائهم من لوازم ظنهم للهلاك فهو ملتبس به انتهى وكان أستاذنا أبو جعفر بن الزبير يخرج هذه الآية على غير ما ذكرنا ويقول هو جواب سؤال مقدر كأنه قيل لما كان حالهم إذا ذلك فقيل دعوا الله مخلصين له الدين انتهى ومعنى الا خلاص افراده بالدعاء من غير اشرالك أصنام ولا غيرها قال معناه ابن عباس وابن زيد * وقال الحسن مخلصين لا خلاص إيمان لكن لاجل العلم بأنه لا ينجيهم من ذلك الا الله فيكون ذلك جاريا مجرى الايمان الاضطراب انتهى والاعتراف بالله مذكور في طبائع العالم وهم مجبواون على أنه المتصرف في الأشياء ولذلك إذا حقت الحقائق رجعوا إليه كلهم مؤمنهم وكافرهم لأن أنجيته تائم قسم محذوف وذلك القسم وما بعده محكي بقول أي قائلين أو أجرى دعوا مجرى قالوا لأنه نوع من القول والاشارة بهذه إلى الشدائد التي هم فيها * وقال الكلبي إلى الريح العاصف ﴿فأما أنجاهم إذا هم يبغون في الارض بغير الحق﴾ يأياها الناس إنما بغيكم على أنفسكم متاع الحياة الدنيا ثم اليانصر جمعكم

أنفسكم * أي على أمثالكم والذين جنسكم جنسهم يعني بغي بعضكم على بعض منفعة الحياة الدنيا

﴿انما مثل الحيوة الدنيا﴾ الآية مناسبة لما قبلها أنه لما قال يأثم الناس انما بغيركم على أنفسكم ضرب مثلاً عجيباً غير ببال الحياة الدنيا
بذكر من سعى فيها على سرعة زوالها وانقضائها وأنها بحال متغير وتسر تصححل ويؤول أمرها إلى الفناء والمثل هنا يحتمل أن يراد به
الصفة وأن يراد به القول الساخر المشبه به حال الثاني بالأول ومن السماء أما أن يراد به من السحاب وأما أن يراد من جهة السماء والظاهر
أن النبات اختلط بالماء ومعنى الاختلاط تشبهه (١٤٠) وتلقفه أياه وقبوله له لأنه يجري له مجرى الغذاء فتكون الباء للمصاحبة وكل

مختلطين يصح في كل منهما
ان يقال اختلط بصاحبه
ولما كان النبات ينقسم
الى مأكول وغيره بين
ان المراد أحد القسمين
بين فقال ﴿مما يأكل
الناس﴾ كالحبوب والثمار
والبقول والأنعام
كالخيش وسائر ما يرى
ومما يأكل حال من النبات
والعامل فيه محذوف
تقديره كائناً مما يأكل
ومما موصولة صلته بأكل
والضمير محذوف تقديره
يأكله الناس وحتى غاية
فيحتاج أن يكون الفعل
الذي قبلها متطاولاً حتى
تصح الغاية فأما ان يقدر
قبلها محذوف أى نزال
ينمو حتى اذا أويتجوز
في فاختلط ويكون معناه
فدام اختلاط النبات بالماء
حتى اذا وقوله ﴿أخذت
الأرض زخرفها وازينت﴾
جمله بدعيه اللفظ
جعلت الأرض آخذة
زخرفها بمنزلة وذلك
على جهة التمثيل بالعروس

فنبئكم بما كنتم تعملون ﴿ قال ابن عباس يبعون بالدعاء الى عبادة غير الله والعمل بالمعاصي
والفساد ﴿ قال الزخشي (فان قلت) ما معنى قوله بغير الحق والبغى لا يكون بحق (قلت) بلى
وهو استيلاء المسالمين على أرض الكفرة وهدم دورهم واحراق زروعهم وقطع أشجارهم كما فعل
رسول الله صلى الله عليه وسلم ببني قريظة انتهى وكأنه قد شرح قوله يبعون بأنهم يفسدون ويعيثون
بترقيين في ذلك بمعنىين فيمنع من بغي الجرح اذا ترقى للفساد انتهى ﴿ قال الزجاج البغى الترقى في الفساد
﴿ وقال الأصمعي بغي الجرح ترقى الى الفساد وبغت المرأة فجرت انتهى ولا يصح أن يقال في المسالمين
انهم باغون على الكفرة الا ان ذكر ان أصل البغى هو الطلب مطلقاً ولا يتضمن الفساد فينتد
ينقسم الى طلب بحق وطلب بغير حق ولما حل ابن عطية البغى هنا على الفساد قال أكد ذلك بقوله
بغير الحق وجواب لما اذا الفجائية وما بعدها ومحجى اذا وما بعدها جواباً بالهاتين على انها حرف
يترب ما بعدها من الجواب على ما قبله من الفعل الذي بعدهما وانما تفيد الترتيب والتعليق في المضى
وانها كما قال سيويه حرف ومذهب غيره انها ظرف وقد أوضحنا ذلك فيما كتبناه في علم النحو
والجواب اذا الفجائية دليل على انه لم يتأخر بغيمهم عن انجائهم بل بنفس ما وقع الانجاء وقع البغى
والخطاب بيأثمها الناس ﴿ قال الجمهور لاهل مكة والذي يظهر أنه خطاب لأولئك الذين أنجاهم الله
وبغوا ويحتمل كما قالوا العموم فيندرج أولئك فيهم وهذا ذم للبغى في أوجز لفظ ومعنى على أنفسكم
وبال بغي عليكم ولا يجنى ثمرة الا أنتم فقوله على أنفسكم خبر للمبتدأ الذي هو بغيكم فيمتعلق بمحذوف
وعلى هذا التوجيه انتصب متاع في قراءة زيد بن علي وحفص وابن أبي اسحق وهارون عن ابن
كثير على انه مصدر في موضع الحال أى مقتنعين أو باقياً على المصدرية أى يقتنعون به متاعاً أو نصيباً
على الظرف نحو مقدم الحاج أى وقت متاع الحياة الدنيا وكل هذه التوجيهات منقولة والعامل في
متاع اذا كان حالاً أو ظرفاً ما يتعلق به خبر بغيكم أى كائن على أنفسكم ولا ينتصبان ببغيمكم لانه مصدر قد
فصل بينه وبين معموله بالخبر وهو غير جائز وارتفع متاع في قراءة الجمهور على انه خبر مبتدأ محذوف
وأجاز النحاس وتبعه الزخشي أن يكون على أنفسكم متعلقاً بقوله بغيكم كما تعلق في قوله فبغى عليهم
ويكون الخبر متاع اذا رفعت ومعنى على أنفسكم على أمثالكم والذين جنسكم جنسهم يعنى بغي بعضكم
على بعض منفعة الحياة الدنيا ﴿ وقرأ ابن أبي اسحاق أيضاً متاعاً الحياة الدنيا بنصب متاع وتنوينه
ونصب الحياة ﴿ وقال سفيان بن عيينة في هذه الجملة تعجل لكم عقوبته في الحياة الدنيا وقرأت فرقة
فينبئكم بالباء على الغيبة والمراد الله تعالى ﴿ انما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به
نبات الأرض ممياً كل الناس والأنعام حتى اذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها

(الدر) (ش) فان قلت ما معنى قوله بغير الحق والبغى لا يكون بحق قلت بلى وهو استيلاء المسالمين على أرض الكفرة
وهدم دورهم واحراق زروعهم وقطع أشجارهم كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ببني قريظة (ح) كان قد شرح قوله يبعون
بأنهم يفسدون ويعيثون مترقيين في ذلك بمعنىين فيمنع من بغي الجرح اذا ترقى للفساد انتهى قال الزجاج البغى الترقى في الفساد وقال
الأصمعي بغي الجرح ترقى الى الفساد وبغت المرأة فجرت انتهى ولا يصح أن يقال في المسالمين انهم باغون على الكفرة الا ان ذكر
أن أصل البغى هو الطلب مطلقاً ولا يتضمن الفساد فينتد ينقسم الى طلب بحق وطلب بغير حق

إذا أخذت الثياب الفاخرة في كل لون فاكنت وتزينت بأنواع الحلى فاستعير الاخذ وهو تناول باليد لاشتمال نبات الارض على بهجة ونضارة وألوان مختلفة واستعير لتلك البهجة والنضارة والالوان المختلفة لفظ الزخرف وهو الذهب لما كان من الأشياء البهجة المنظر السارة للنفوس وازينت أي بنبتها وما أودع فيها من الحبوب والثمار والازهار ﴿انهم قادرون عليها﴾ أي على التمكن من تحصيلها ومنفعتيها ورفع غلتها وذلك لحسن نموها وسلامتها من العاهات فالضمير في أهلها عائدا على الارض وهو على حذف مضاف أي على ما أودعها من الغلات وما ينتفع به وجواب اذا قوله ﴿أناها أمرنا﴾ كالريح والصر والسحوم وغير ذلك من الآفات كالقار والجراد وقيل أناها أمرنا بإهلاكها كما وأبهم في قوله ﴿ليلا أو نهارا﴾ وقد علم تعالى متى يأتيها أمره أو تكون أو للتوزيع لان بعض الارض يأتيها أمره ليلا وبعضها نهارا ولا يخرج كائن عن وقوعه والحصيد فمعمل بمعنى مفعول أي المحصول وعبر بحصيد عن التألف استعارة جعل مالهك من الزرع بالآفة قبل أو أنه حصيد العلاقة ما بينهما من الطرح على الأرض ﴿كأن لم تغن بالأمس﴾ مبالغة في التلف والهلاك حتى كأنها لم توجد قبل ولم تقم بالأرض بهجة خضرة نضرة تسر أهلها ﴿كذلك نفصل الآيات﴾ أي مثل هذا التفصيل الذي فصلناه في الماضي نفصل في المستقبل

(الدر) (ح) إنما مثل الحياة الدنيا كما أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض مما يأكل الناس والانعام حتى اذا أخذت الارض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أنها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون مناسبة هذه الآية لما قبلها أنه تعالى لما قال يأيتها الناس إنما بعثكم على أنفسكم متاع الحياة الدنيا ضرب مثلا عجيبا غريبا بالحياة الدنيا يذكر به من ينبغي فيها على سرعة زوالها وانقضائها وأنها بحال مائترة وتسرتضمحل ويؤول أمرها الى الفساد قال (ش) هذا من التشبيه المركب (١٤١) شبهت حال الدنيا في سرعة تقضيها وانقراض نعيمها بعد

الاقبال بحال نبات الارض في فنائها وذهابه حطاما بعد ما التفت وتكاثف وزين الارض بخضرتها ورفيغته انتهى وإنما هنا

انهم قادرون عليها أنها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون ﴿مناسبة هذه الآية لما قبلها أنه تعالى لما قال يأيتها الناس إنما بعثكم على أنفسكم متاع الحياة الدنيا ضرب مثلا عجيبا غريبا بالحياة الدنيا تذكر من ينبغي فيها على سرعة زوالها وانقضائها وأنها بحال مائترة وتسرتضمحل ويؤول أمرها الى الفناء﴾ وقال الزمخشري هذا من التشبيه المركب شبهت حال الدنيا في سرعة تقضيها وانقراض نعيمها بعد الاقبال بحال نبات الارض

ليست للحصر لا وضعا ولا استعمالا لانه تعالى ضرب بالحياة الدنيا أمثالا غير هذا والمثل هنا يحتمل ان يراد به الصفة وأن يراد به القول السائر المشبه به حال الثاني بالاول والظاهر تشبيه صفة الحياة الدنيا بما فيها يكون به ويترب عليه من الانتفاع ثم الانقطاع وقيل شبهت الحياة الدنيا بالنبات على تلك الاوصاف فيكون التقدير كنبات ماء فحذف المضاف وقيل شبهت الحياة بحياة مقدره على هذه الاوصاف فيكون التقدير كحياة قوم بما أنزلناه من السماء قيل ويقوى هذا قوله وظن أهلها أنهم قادرون عليها والسماء امان يراد من السحاب وأمان يراد من جهة السماء والظاهر ان النبات اختلط بالماء ومعنى الاختلاط تشبيها به وتلفقه اياه وقوله له لأنه يجري له مجرى الغذاء فتكون الباء للمصاحبة وكل مختلطين يصح في كل منهما ان يقال اختلط بصاحبه فلذلك فسر بعضهم بقوله خالطه الماء ودخله فغدى كل جزء منه وقال الكرماني فاختلط به اختلاط مجاورة لان الاختلاط تدخل الاشياء بعضها في بعض انتهى ولا يمنع اختلاط النبات بالماء على سبيل التداخل فلا تقول انه اختلاط مجاورة وقيل اختلط اختلافا وتنوع بالماء وينبؤ لفظ اختلاط عن هذا التفسير وقيل معنى اختلط تركب وقيل امتدوطا وقال (ش) فاشتبك بسببه حتى خالط بعضه بعضا وقال (ع) وصلت فرقة النبات بقوله فاختلط أي اختلط النبات ببعضه ببعض بسبب الماء انتهى وعلى هذه الاقوال الباء في المبالغة وأبعد من ذهب الى ان الفاعل في قوله فاختلط هو ضمير يعود على الماء أي فاختلط الماء بالارض ويقف هذا الذهاب على قوله فاختلط ويستأنف به نبات الارض على الابتداء والخبر المقدم قال (ع) يحتمل على هذا ان يعود الضمير في به على الماء وعلى الاختلاط الذي تضمنه الفعل انتهى والوقف على قوله فاختلط لا يجوز وخاصة في القرآن لانه تفكيك للكلام المتصل الصحيح المعنى الفصح اللفظ وذهاب الى اللغز والتعقيد والمعنى الضعيف لا ترى انه لو صرح باظهار الاسم الذي الضمير في به كناية عنه فقل بالاختلاط نبات الارض أو بالماء نبات الارض لم يكدين عقد كلاما من مبتدأ أو خبر لضعف هذا الاسناد وقربه من عدم الافادة ولولان (ع)

(الدر) ذكره وخرجه على ما ذكرناه عنه لم نذكره ولما كان النبات ينقسم الى ما كوله وغيره بين أن المراد أحد القسمين بمن فقال ممياً كل الناس كالحبوب والثمار والبقول والالعام والحشيش وسائر ما رعى قال الحوفي من متعلقة باختلط وقال أبو البقاء ممياً كل حال من النبات فاقضى قول أبي البقاء أن يكون العامل في الحال محذوفاً لان المجرور والظرف اذا وقع احالين كان العامل محذوفاً وقول أبي البقاء هو الظاهر وتقديره كأنما ممياً كل وحتى غاية فيحتاج ان يكون الفعل الذي قبلها متطاولا حتى تصح الغاية فأما ان يقدر قبلها محذوفاً أي خازال ينحوي حتى اذا أويتجوز في فاختلط ويكون معناه فدام اختلاط النبات بالماء حتى اذا وقوله أخذت الارض زخرفها وازينت جملة بديعة اللفظ جعلت الارض آخذة زخرفها مترينة وذلك على جهة التمثيل بالعروس اذا أخذت الثياب الفاخرة من كل لون فاكست وتزينت بأنواع الحلى فاستعير الاخذ وهو التناول باليد لاشتغال نبات الارض على بهجة ونضارة وألوان مختلفة واستعير لتلك البهجة والنضارة والالوان المختلفة لفظ المزخرف وهو الذهب لما كان من الاشياء البهجة المنظر السارة للنفوس وازينت أي بنبتها وما أودع فيه من الحبوب والثمار وبمحتمل أن يكون قوله وازينت تأكيذا لقوله أخذت الارض زخرفها واحتمل أن لا يكون تأكيذا إذ قد يكون أخذ الزخرف لا المقصد الزين فليل وازينت ليفيد انها قصدت الزين ونسبة الاخذ الى الارض والتزين من بديع الاستعارة وقرأ الجمهور وازينت وأصله وتزينت فادغمت التاء في الزاي فاجتمعت همزة الوصل لضرورة تسكين الزاي عند الادغام وقرأ أبي وعبد الله وزيد بن علي والاعمش وتزينت على وزن تفعلت وقرأ سعد بن أبي وقاص وأبو عبد الرحمن وابن يعمر والحسن والشعبي وأبو العالية وقتادة ونصر بن عاصم وابن هرمرز وعيسى الثقفي وازينت على وزن أفعلت كأخذ الزرع أي حضرت زينتها وحانت وصحت الياء فيه على جهة التدوير كاعملت المرأة والقياس وأزانت كقولك وأبانت وقرأ أبو عثمان النهدي (١٤٢) همزة مفتوحة بوزن افعلت قاله عنه صاحب اللوامح قال كانه

في جفافه وذهابه حطاما بعدما النف وتكثف وزين الأرض بخضرته ورفيفه انتهى وانما هنا ليست للحصر لاوضعا ولا استعمالا لأنه تعالى ضرب للحياة الدنيا أمثالا غير هذا والمثل هنا يحتمل أن يراد به الصفة وأن يراد به القول السائر المشبه به حال الثاني بالاول والظاهر تشبيه صفة الحياة الدنيا بما فيما يكون به ويترتب عليه من الانتفاع ثم الانقطاع * وقيل شبهت الحياة الدنيا بالنبات على تلك الاوصاف فيكون التقدير كنبات ماء حذفت المضاف * وقيل شبهت الحياة بحياة مقدرة على

كانت في الوزن بوزن اجمارت لكنهم كرهوا الجمع بين ساكنين فحركات الالف فانقلبت همزة مفتوحة ونسب (ع) هذه القراءة لفرقة فقال وقرأت

نرقة وازيانت وهي لغة منها قول الشاعر * اذا ما الهوادي بالعيبط اجمارت * وقرأ أشياخ عوف بن أبي جميلة وازيانت بنون مشددة وألف ساكنة قبلها قال (ع) وهي قراءة أبي عثمان النهدي وقرأت فرقة وازيانت والاصل وتزينت فادغم والظن هنا على بابه من ترجيح أحد الجائزين وقيل بمعنى أيقنوا وليس بسديد ومعنى القدرة عليها التحكم من تحصيلها ومنفعتها ورفع ثقلها وذلك لحسن نموها وسلامتها من العاهات والضمر في أهلها عائداً على الارض وهو على حذف مضاف أي أهل نباتها وقيل الضمير عائداً على الغلة وقيل على الزينة وهو ضعيف وجواب اذا قوله أنها أمرنا كالريح والصر والسموم وغير ذلك من الآفات كالجراد والفأر وقيل أنها أمرنا هلا كهوا وأبهم في قوله ليملا أو أنهارا وقد علم تعالى متى يأتيها أمره أو تكون للتنويع لأن بعض الأرض يأتيها أمره ليملا وبعضها نهارا ولا يخرج كائن عن وقوعه فيها والحصيد فعيل بمعنى مفعول أي المحصود ولم يؤنث كالم يؤنث امرأة جريح وقال أبو عبيدة الحصيد المستأصل انتهى وعبر بحصيد عن التألف استعارة جعل ما هلك من الزرع بالآفة قبل أو أنه حصيد العلاقة ما بينهما من الطرح على الأرض وقيل يجوز أن يكون مشبها بغير الاداة والتقدير فجعلناها كالحصيد وقوله كان لم تغن بالامس مبالغة في التلف والهلاك حتى كأنها لم توجد قبل ولم تقم بالأرض بهجة خضرة نضرة تسمي أهلها وقرأ الحسن وقتادة كان لم تغن بالياء على التكبير فقيل عائداً على المضاف المحذوف الذي هو الزرع حذفت وقامت هاء التانيث مقامة في قوله عليها وفي قوله إياها فجعلناها وقيل عائداً على الزخرف والاولى عوده على الحصيد أي كان لم يغن الحصيد وكان مراد بن الحكم يقرأ على المنبر كان لم تغن بقاء من مثل تتفعل وقال الاعشى * طويل الثواء طويل التغنى * وهو من غني بكذا اذا أقام به قال (ش) والامس مثل الوقت كأنه قيل كان لم تغن آنفا انتهى وليس الامس عبارة عن مطلق الوقت ولا هو مراد في لقوله آنفا لان آنفا معناه الساعة والمعنى كان لم يكن لها وجود في الماضي من الزمان ولوان قائلا قال في غير القرآن كان لم يكن لها وجود الساعة لم يصح هذا المعنى لانه لا وجود لها الساعة فكيف تشبهوهي

هذه الاوصاف فيكون التقدير كحياة قوم بماء أنزلناه من السماء * قيل ويقوى هذا قوله وطن أهلها
أنهم قادرون عليها والسماء إما أن يراد من السحاب وإما أن يراد من جهة السماء والظاهر أن النبات
اختلط بالماء ومعنى الاختلاط تشبیه به وتلقفه اياه وقوله له لانه يجري له مجرى الغذاء فتكون الباء
للمصاحبة وكل مختلطين يصح في كل منهما أن يقال اختلط بصاحبه فلذلك فسر به بعضهم بقوله خالطه
الماء ودخله فغذى كل جزء منه * وقال السكرماني فاختلط به اختلاط مجاورة لان الاختلاط
تداخل الاشياء بعضها في بعض انتهى ولا يمنع اختلاط النبات بالماء على سبيل التداخل فلا تقول
انه اختلاط مجاورة * وقيل اختلط اختلف وتنوع بالماء وينبولفظ اختلط عن هذا التفسير *
وقيل معنى اختلط تركيب * وقيل امتد وطال * وقال الرخشي فاشتبك بسببه حتى خالط بعضه
بعضا * وقال ابن عطية وصلت فرقة النبات بقوله فاختلط أى اختلط النبات بعضه ببعض بسبب
الماء انتهى وعلى هذه الاقوال الباء في بقاء السببية وأبعد من ذهب الى أن الفاعل في قوله فاختلط هو
الضمير يعود على الماء أى فاختلط الماء بالارض ويقف هذا الذهاب على قوله فاختلط ويستأنف
به نبات على الابتداء واخبر المقدم * قال ابن عطية يحتمل على هذا أن يعود الضمير في به على
الماء وعلى الاختلاط الذى تضمنه الفعل انتهى والوقف على قوله فاختلط لا يجوز وخاصة في القرآن
لانه تفكيك للكلام المتصل الصحيح المعنى الفصح اللفظ وذهاب الى اللغز والتعقيد والمعنى
الضعيف ألا ترى أنه لو صرح باظهار الاسم الذى الضمير في كناية عنه فقبل بالاختلاط نبات
الارض أو بالماء نبات الارض لم يكدين عقد كلاما من مبتدأ وخبر لضعف هذا الاسناد وقر به من عدم
الافادة ولولا أن ابن عطية ذكره وخرجه على ما ذكرناه عنه لم نذكره في كتابنا ولما كان النبات
ينقسم الى ما كقول وغيره بين أن المراد أحد القسمين من فقال ممأى كل الناس كالحبوب والثمار
والبقول والانعام كالخيش وسائر ما يرى * قال الخوفي من متعلقة باختلط * وقال أبو البقاء مما
يأكل كل حال من النبات فاقضى قول أبي البقاء أن يكون العامل في الحال محذوف لان المحذور
والظرف اذا وقع حالين كان العامل محذوفاً وقول أبي البقاء هو الظاهر وتقديره كأننا ممأى كل وحتى
غاية فيحتاج أن يكون الفعل الذى قبلها متطاولا حتى تصح الغاية فاما أن يقدر قبلها محذوف أى اذا
زال ينمو حتى اذا أو يتجاوز في فاختلط ويكون معناه فدام اختلاط النبات بالماء حتى اذا وقوله
أخذت الارض زخرفها وازينت جملة بديعة اللفظ جعلت الارض آخذة زخرفها متزينة وذلك على
جهة التمثيل بالعروس اذا أخذت الثياب الفاخرة من كل لون فاكنت وتزينت بانواع الخلى
فاستعير الاخذ وهو التناول باليد لاشتغال نبات الارض على بهجة ونضارة وأتواب مختلفة واستعير
لذلك البهجة والنضارة والالوان المختلفة لفظة الزخرف وهو الذهب لما كان من الاشياء البهجة
المنظر السارة للنفوس وازينت أى بنبتها وما أودع فيه من الحبوب والثمار والازهار ويحتمل أن
يكون قوله وازينت تأكيذا لقوله أخذت الارض زخرفها واحتل أن لا يكون تأكيذا اذ قد
يكون أخذ الزخرف لا قصد التزيين فقبل وازينت ليفيد أنها قصدت التزيين ونسبة الأخذ الى
الارض والتزيين من بديع الاستعارة * وقرأ الجمهور وازينت وأصله وتزينت فادغم التاء في
الزاي فاجتلبت همزة الوصل لضرورة تسكين الزاي عند الادغام * وقرأ أبى وعبد الله وزيد بن
على والأعمش وتزينت على وزن تفعلت * وقرأ سعد بن أبى وقاص وأبو عبد الرحمن وابن يعمر
والحسن والشعبي وأبو العالية وقتادة ونصر بن عاصم وابن هريرة وعيسى الثقفي وأزينت على وزن

(الدر)

لا وجود لها حقيقة
لا وجود لها حقيقة
تشبه ما انتفى وجوده الآن
بما قدر انتفاء وجوده في
الزمان الماضي لسرعة
انتقاله من حالة الوجود
الى حالة العدم فكان حاله
الوجود ما سبقت له وقر
أبو الدرداء لقوم يتدكرون
بالذال بدل الفاء

أفعلت كأحد الزرع أي حضرت زيتها وحانت وصحت الياء فيه على جهة الندور كأعلنت المرأة والقياس وأزانت كقولك وأبانت * وقرأ أبو عثمان النهدي بهمزة مفتوحة بوزن أفعال قاله عنه صاحب اللوامح قال كأنه كانت في الوزن بوزن اجارت لكنهم كرهوا الجمع بين ساكنين فحركات الألف فانقلبت همزة مفتوحة ونسب ابن عطية هذه القراءة لفرقة فقال وقرأت فرقة وازيانت وهي لغة منها قال الشاعر * اذا ما الهوادي بالعبيط اجارت * وقرأ أشياخ عوف ابن أبي جميلة وازيانت بنون مشددة وألف ساكنة قبلها * قال ابن عطية وهي قراءة أبي عثمان النهدي * وقرأت فرقة وازيانت والاصل وزاينت فادغم والظن هنا على بابيه من ترجيح أحد الجائزين * وقيل بمعنى أيقنوا وليس بسديد ومعنى القدرة عليها التمكن من تحصيلها ومنفعتها ورفع غلتها وذلك لحسن نموها وسلامتها من العاهات والضمير في أهلها عائداً على الأرض وهو على حذف مضاف أي أهل نباتها * وقيل الضمير عائداً على الغلة * وقيل على الزينة وهو ضعيف وجواب إذا قوله أنها أمرنا كالريح والصر والسموم وغير ذلك من الآفات كالفار والجراد * وقيل أنها أمرنا بهلا كها وأبهم في قوله ليلاً أو نهاراً وقد علم تعالى متى يأتيها أمره أو تكون أو للتوزيع لان بعض الأرض يأتيها أمره تعالى ليلاً وبعضها نهاراً ولا يخرج كائن عن وقوعه فيهما والحصيد فاعيل بمعنى مفعول أي المحصود ولم يؤنث كما لم تؤنث امرأته جريح * وقال أبو عبيدة الحصيد المستأصل انتهى وعبر بحصيد عن التألف استعارة جعل ما هلك من الزرع بالآفة قبل أو أنه حصيد العلاقة ما بينهما من الطرح على الأرض * وقيل يجوز أن تكون تشبيهاً بغير الأداة والتقدير فجعلناها كالحصيد وقوله كأن لم تغن بالأمس مبالغة في التلف والهلاك حتى كأنها لم توجد قبل ولم يقيم بالأرض بهجة خضرة نضرة تسر أهلها * وقرأ الحسن وقنادة كأن لم يغن بالياء على التذكير * فقيل عائداً على المضاف المحذوف الذي هو الزرع حذف وقامت هاء التأنيث مقامه في قوله عليها وفي قوله أنها فجعلناها * وقيل عائداً على الزخرف والأولى عوده على الحصيد أي كان لم يغن الحصيد وكان مروان بن الحكم يقرأ على المنبر كأن لم تغن بقاء من مثل تتفعل * وقال الأعشى * طويل الثواء طويل التغنى * وهو من غنى بكنا أقام به * قال الزمخشري والأمس مثل في الوقت كأنه قيل كأن لم تغن آنفاً انتهى وليس الأمس عبارة عن مطلق الوقت ولا هو مرادف كقوله آنفاً لان آنفاً معناه الساعة والمعنى كأن لم يكن لها وجود في الماضي من الزمان ولولا أن قائلها قال في غير القرآن كأن لم يكن لها وجود الساعة لم يصح هذا المعنى لانه لا وجود لها الساعة فكيف تشبه وهي لا وجود لها حقيقة بما لا وجود لها حقيقة انما يشبه ما انتفى وجوده الآن بما قدر انتقاء وجوده في الزمان الماضي لسرعة انتقاله من حالة الوجود الى حالة العدم فكان حالة الوجود ما سبقت له وفي مصحف أبي كأن لم تغن بالأمس وما كنا نهلكها الا بذنوب أهلها وفي التحرير نفصل الآيات رواه عنه ابن عباس * وقيل في مصحفه وما كان الله ليهلكها الا بذنوب أهلها وفي التحرير وكان أبو سامة بن عبد الرحمن يقرأ في قراءة أبي كأن لم تغن بالأمس وما أهلكناها الا بذنوب أهلها ولا يحسن أن يقرأ أحدهم هذه القراءة لانها مخالفة لخط المصحف الذي أجمع عليه الصحابة والتابعون انتهى كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون أي مثل هذا التفصيل الذي فصلناه في الماضي نفصل في المستقبل * وقرأ أبو الدرداء لقوم يتذكرون بالذال بدل الفاء * والله يدعو الى دار السلام ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم * لماذا كرم مثل الحياة الدنيا وما يؤول اليه من الفناء والاضمحلال وما

* والله يدعو الى دار السلام * لماذا ذكر تعالى مثل الحياة الدنيا وما يؤول اليه من الفناء والاضمحلال وما تضمنته من الآفات والعاهات ذكر أنه داع الى دار السلامة والصحة والأمن وهي الجنة وأهلها سالمون من كل مكروه ولما كان الدعاء عاماً لم يتقيد بالمشيئة ولما كانت الهداية خاصة تقيدت بالمشيئة فقال * ويهدي من يشاء * هدايته

تضمنه من الآفات والعاهات ذكر تعالى انه داع الى دار السلامة والصحة والامن وهى الجنة اذ أهلها
سالمون من كل مكروه ويجوز أن يكون تعالى أضافها الى اسمه الشريف على سبيل التعظيم لها
والتشريف كما قيل بيت الله وناقة الله ويجوز أن تكون مضافة الى السلامة بمعنى التسليم لفشو ذلك
بينهم ولتسليم الملائكة عليهم كما قال لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما الا قبيلا سلاسلهم * قال الحسن
ان السلام لا ينقطع عن أهل الجنة وهو تحيتهم كما قال تعالى تحيتهم فيها سلام وقد وردت في دعوة الله
عباده أحاديث * وقال قتادة ذكر لنا أن فى التوراة مكتوبا يا باغي الخير هلم ويا باغي الشر ائتني ولما
كان الدعاء عاما لم تنقيد بالمشيئة ولما كانت الهداية خاصة تنقيد بالمشيئة فقال ويهدي من يشاء
* وقال الرمنشري ويهدي يوفق من يشاء وهم الذين علم ان اللطف يجدي عليهم لأن مشيئته تابعة
لحكمته * للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة أولئك أصحاب الجنة هم فيها
خالدون والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة ما لهم من الله من عاصم كما أنما غشيت
وجوههم قطعان الليل مظاما أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون * ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول
للذين أشركوا ما كانكم أنتم وشركاؤكم فزينا بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون * فكفى
بالله شهيدا بيننا وبينكم ان كنا عن عبادتكم لغافلين * هنالك تبلوا كل نفس ما أسلفت وردوا الى
الله مولا هم الحق وضل عنهم ما كانوا يفترون * قل من يرزقكم من السماء والارض أمن يملك
السمع والابصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله
فقل أفلا تتقون * قد لكم الله ربكم الحق فاذابعد الحق الا الضلال فأتى تصرفون * كذلك حقت
كلمة ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون * قل هل من شركائكم من يبدؤا الخلق ثم يعيدهم قل
الله يبدؤا الخلق ثم يعيدهم فأتى نؤفكون * قل هل من شركائكم من يهدي الى الحق قل الله يهدي
للحق أفمن يهدي الى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدي الا أن يهدي فإلى الله ترجع الأمور * وما
يتبع أكثرهم الا ظن ان الظن لا يغنى من الحق شيئا أن الله يعلم بما يفعلون * وما كان هذا القرآن
أن يفترى من دون الله ولو كن تصديق الذي بين يدي وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين
أم يقولون افتراء قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين * بل
كذبوا عالم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله كذلك كذب الذين من قبلهم فأنظر كيف كان عاقبة
الظالمين * ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به وربك أعلم بالمفسدين * وان كذبوك فقل لى علمى
ولاكم علمكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون * ومنهم من يستمعون اليك أفأنت تسمع
الصم ولو كانوا لا يعقلون * ومنهم من ينظر اليك أفأنت تهدي العمى ولو كانوا لا يبصرون *
ان الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون * ويوم يحشرهم كان لم يلبثوا الا ساعة
من النهار يتعارفون بينهم قد خسر الذين كذبوا بقاء الله وما كانوا مهتدين * وإما نرينك بعض
الذي نعدهم أو نتوفينك فالىنا مرجعهم ثم الله شهيد على ما يفعلون * ولكل أمة رسول فاذ جاء
رسولهم قضى بينهم بالقسط وهم لا يظلمون * ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين * قل
لأملك لنفسي ضرا ولا نفعا الا ما شاء الله لكل أمة أجل اذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا
يستقدمون * قل أرأيتم ان أتاكم عذابا مبينا تأؤنهارا ماذا يستعجل منه المجرمون * أنتم اذا ما وقع
آمنتم به الآن وقد كنتم به تستعجلون * ثم قيل للذين ظلموا ذوقوا عذاب الخلد هل تجزون الا بما
كنتم تكسبون * ويستنبئونك أحق هو قل إى وربى انه الحق وما أنتم بمعجزين * ولو أن لكل

نفس ظامت ما في الارض لا فقدت به وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وقضى بينهم بالقسط وهم لا يظلمون * ألا ان الله ما في السموات والارض ألا ان وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون * هو يحيي ويميت واليه ترجعون * يأيها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين * قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون * قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلنا منه حراما وحلالا قل آله أذن لكم أم على الله تفترون * وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة ان الله لا يوفى على الناس ولكن أكثرهم لا يشكرون * وما تكون في شأن وما تتلوا منه من قرآن ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الارض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا في كتاب مبين * رهقه غشييه * وقيل لحقه ومنه ولا ترهقني من أمري عسرا ورجل مرهق يغشاه الاضياف * وقال الازهرى الرهق اسم من الارهاق وهو أن يحمل الانسان على نفسه ما لا يطيق يقال أرهقته أن يصلي اذا أعجمته عن الصلاة * وقيل أصل الرهق المقاربة يقال غلام مرهق أى قارب الحلم وفي الحديث أرهقوا القبلة أى ادنوا منها ويقال رهقت الكلاب الصيد اذا لحقته وأرهقنا الصلاة أخرناها حتى تدنوا من الأخرى * القتر والقتر الغبار الذي معه سواد * وقال ابن عرفة الغبار وقال الفرزدق

متوج برداء الملك يتبعه * موج ترى فوقه الرايات والقتر

أى غبار العسكر * وقال ابن بحر أصل القتر دخان النار ومنه قتر القدر انتهى ويقال القتر بسكون التاء الشأن والأمر وجمعه شؤن وأصله الهمز بمعنى القصد من شأنت شأنه اذا قصدت قصده * عزب يعزب ويعزب بكسر الزاي وضمها غاب حتى خفي ومنه الروض العازب وقال أبو تمام

وقلقل نأى من خراسان جأشها * فقلت اطمئنى أنضر الروض عازبه

* وقيل للغائب عن أهله عازب حتى قالوه لمن لازوجة له * للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون * أحسنوا قال ابن عباس ذكروا كلمة لا اله الا الله * وقال الاصم أحسنوا في كل ما تعبدوا به أى اتوا بالمأمور به كما ينبغي واجتنبوا المنهى * وقيل أحسنوا معاملة الناس وروى أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسنوا العمل في الدنيا وفي الصحيح ما الاحسان قال أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يرأوك عن عيسى عليه السلام ليس الاحسان أن تحسن الى من أحسن اليك ذلك مكافأة ولكن الاحسان ان تحسن الى من أساء اليك والحسنى قال أكثر من الجنة وروى ذلك عن الرسول صلى الله عليه وسلم ولو صح وجب المصير اليه * وقال الطبري الحسنى عام في كل حسن فهو يعم جميع ما قيل ووعد الله في جميعها بالزيادة ويؤيد ذلك أيضا قوله أولئك أصحاب الجنة ولو كان معنى الحسنى الجنة لكان في القول تكرير في المعنى * وقال عبد الرحمن بن سابط هي النضرة * وقال ابن زيد الجزاء في الآخرة * وقيل الأمانة ذكره ابن الأنباري * وقال الزمخشري المثوبة الحسنى وزيادة وما يزيد على المثوبة وهو التفضل ويدل عليه قوله تعالى ويزيدهم من فضله وعن علي الزيادة غرفة من لؤلؤة واحدة * وعن ابن عباس الحسنى الحسنة والزيادة عشرة أمثالها * وعن الحسن عشرة أمثالها الى سبعة ضعف * وعن مجاهد الزيادة مغفرة من الله ورضوان * وعن زياد بن شجرة الزيادة ان تمر السحابة بأهل الجنة فتقول ما تريدون ان أمطركم فلا يريدون شيأ الا أمطرهم وزعمت المشبهة والمجبرة

للذين أحسنوا الحسنى
وزيادة * أى أحسنوا
في كل ما تعبدوا به أى أتوا
بالمأمور كما ينبغي واجتنبوا
المنهى عنه والحسنى هي
الجنة وزيادة هي النظر
الى الله تعالى في الجنة
ولا يلحقها أخرى والخرى
يتغير به الوجه ويسود
فكنى بالوجه عن الجملة
لكونه أشرفها ولظهور
أثر السرور والحزن فيه

﴿والذين كسبوا السيئات﴾ والذين مبتدأ و ﴿جزاء﴾ مبتدأ ثان وخبره ﴿بمثلها﴾ وقيل الباء زائدة والضمير العائد على المبتدأ محذوف تقديره جزاء سيئة منهم (١٤٧) بمثلها وقيل خبر والذين قوله ﴿ما لهم من الله من عاصم﴾

والجملتان قبله اعتراض
بين المبتدأ وخبره ﴿كانما
أغشيت وجوههم﴾ هذه
مبالغة في سواد الوجوه
وقد جاء مصرحاً به في قوله
وتسود وجوه وأغشيت
كسيت ومنه الغشاء وكون
وجوههم مسودة هو حقيقة
لا يحاز فتكون الواهم
مسودة وقرئ قطعاً بسكون
الطاء ومظالمها صفة له وقرئ
بفتح الطاء فيكون مظالمها
حالا من الليل وقال
الزمخشري ﴿فإن قلت إذا
جعلت مظالمها حالا من الليل
فما العامل فيه﴾ قلت لا يخاو
أما أن يكون أغشيت من
قبل أن من الليل صفة لقوله
قطعاً فكان أفضاؤه إلى
الموصوف كفضائه إلى
الصفة وأما أن يكون معنى
الفعل في من الليل انتهى أما
الوجه الأول فهو بعيد لأن
الأصل أن يكون العامل في
الحال هو العامل في ذي
الحال والعامل في الليل هو
مستقر الواصل إليه بن
وأغشيت عامل في قوله
قطعاً الموصوف بقوله من
الليل فاختلفاً فلذلك كان
الوجه الأخير أولى أي
قطعاً مستقرة وكأنه من

أن الزيادة النظر إلى وجه الله تعالى وجاءت بحديث موضوع إذا دخل أهل الجنة الجنة نودوا بأهل
الجنة فيكشفون الحجاب فينظرون إليه فوالله ما أعطاهم الله تعالى شيئاً هو أحب إليهم منه انتهى
أما تفسيره أولاً ونقله عن ذكر تفسير الزيادة فهو نص الجبائي ونقله وأما قوله وجاءت بحديث
موضوع فليس بموضوع بل خرج من سلم في صحيحه عن صهيب والنسائي عنه عن الرسول صلى الله
عليه وسلم وخرجه ابن المبارك في دقائقه موقوفاً على أبي موسى وقال بأن الزيادة هي النظر إلى الله
تعالى أبو بكر الصديق وعلي بن أبي طالب في رواية وحذيفة وعبادة بن الصامت وكعب بن عجرة
وأبو موسى وصهيب وابن عباس في رواية وهو قول جماعة من التابعين ومسألة الرؤية يبحث فيها في
أصول الدين * قال مجاهد أراد ولا يلحقها خزي والخزي يتغير به الوجه ويسود * قال ابن
ابن عباس والذلة الكآبة * وقال غيره الهوان * وقيل الخيبة نفي عن المحسنين ما ثبت للكفار
من قوله وترهقهم ذلة وقوله عليها غيرة ترهقها فترة وكنى بالوجه عن الجملة لكونه أشرفها ولظهور
أثر السرور والحزن فيه * وقرأ الحسن وأبو رجاء وعيسى بن عمر والأعمش قتر بسكون التاء
وهي لغة كالقدر والقدر وجعلوا أصحاب الجنة لتصرفهم فيها كما يتصرف الملاك على حسب
اختيارهم * والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة ما لهم من الله من عاصم كأنما
أغشيت وجوههم قطعاً من الليل مظالمها أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون * لماذا كرم ما أعد للذين
أحسنوا وحالهم يوم القيامة وما لهم إلى الجنة كرم ما أعد لأصداقهم وحالهم وما لهم وجاءت صلة
المؤمنين أحسنوا وصلة الكافرين كسبوا السيئات تنبيهاً على أن المؤمن لما خلق على الفطرة
واصل بالاحسان وعلى أن الكافر لما خلق على الفطرة انتقل عنها وكسب السيئات فجعل ذلك
محسناً وهذا كاسباً للسيئات ليبدل على أن المؤمن سلك ما ينبغي وهذا سلك ما لا ينبغي والظاهر
أن والذين مبتدأ وجوزوا في الخبر وجوهاً أحدها أنه الجملة التي بعده وهي جزاء سيئة بمثلها
وجزاء مبتدأ فقيل خبره مثبت وهو بمثلها واختلفوا في الباء فقيل زائدة قاله ابن كيسان أي
جزاء سيئة بمثلها كما قال وجزاء سيئة سيئة بمثلها كما زيدت في الخبر في قوله

* شنعكم بأشئ يستطاع * أي شئ يستطاع * وقيل ليست بزيادة والتقدير مقدر بمثلها أو مستقر
بمثلها * وقيل محذوف فقدّره الخوفي لهم جزاء سيئة قال ودل على تقدير لهم قوله للذين أحسنوا
الحسن حتى تشاء كل هذه بهذه وقدره أبو البقاء جزاء سيئة بمثلها واقع والباء في قولها متعلقة بقوله
جزاء والعائد من هذه الجملة الواقعة خبراً عن الذين محذوف تقديره جزاء سيئة منهم كما حذف في
قولهم السمن منوان بدرهم أي منوان منه بدرهم وعلى تقدير الخوفي لهم جزاء يكون الرابط لهم
الثاني أن الخبر قوله ما لهم من الله من عاصم ويكون قد فصل بين المبتدأ والخبر بجملتين على سبيل
الاعتراض ولا يجوز ذلك عند أبي على الفارسي والصحيح جوازه * الثالث أن يكون الخبر كأنما
أغشيت وجوههم قطعاً من الليل مظالمها * الرابع أن يكون الخبر أولئك وما بعده فيكون في هذا
القول فصل بين المبتدأ والخبر بأربع جمل معترضة وفي القول الثالث بثلاث جمل والصحيح منع
الاعتراض بثلاث الجمل وبأربع الجمل وأجاز ابن عطية أن يكون الذين في موضع جر عطفاً على قوله

الليل في حال اطلامه * قال ابن عطية وإذا كان نعماً يعني مظالمها قطعاً فكان حقه أن يكون قبل الجملة ولكن قد جئنا بعد هذا
وتقدير الجملة قطعاً استقر من الليل مظالمها على نحو قوله وهذا كتاب أنزلناه مبارك انتهى لا يمتنع تقدير العامل في المحرور

بالفعل فيكون جملة بل الظاهر أن يقدر باسم الفاعل فيكون من قبيل الوصف بالمفرد والتقدير قطعاً كأنهم الليل مظلماً

(الدر) (ح) وكون وجوههم مسودة هو حقيقة لا مجاز فتكون ألوانهم مسودة وقال أبو عبد الله الرازي وأعلم أن حكاء الاسلام قالوا المراد من هذا السوادها خناسواد الجهل وظلمة الضلال فان الجهل طبعه طبع الظلمة وقوله وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة المراد نور العلم وروحهم وبشارته وجوه يومئذ عليها غيرة ترهقها قفرة المراد منه ظلمة الجهل وكدورة الضلال انتهى وكثيراً ما ينقل هذا الرجل عن حكاء الاسلام في التفسير وينقل كلامهم تارة منسوباً اليهم وتارة مستبداً ويعني بحكاء الاسلام الفلاسفة الذين خلقوا في هذه الملة الاسلامية وهم أحق بأن يسموا سفهاء جهلاء من أن يسموا حكاء اذ هم أعداء الانبياء والمحرفون للشرعية الاسلامية وهم أضمر على المساءين من اليهود والنصارى واذا كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب نهى عن قراءة التوراة مع كونها كتاباً الهياً فلان نهى عن قراءة كلام الفلاسفة أحق وقد غلب في هذا الزمان وقبله بقليل الاشتغال بجهالات الفلاسفة على أكثر الناس ويسمونهم بالحكمة توبيخاً لجهلون (١٤٨) من عرى عنها ويعتقدون انهم الكملة من الناس ويعكفون على

دراستها ولا تكاد تلقى أحداً منهم يحفظ قرآناً ولا حديثاً عن رسول الله صلى عليه وسلم ولقد غضبت يوماً من ابن سينا ونسبته للجهل فقال لي بعضهم وأطهر التعجب من كون أحد يغضب من ابن سينا كيف يكون أعلم الناس بالله ينسب للجهل ولما ظهر من قاضي الجماعة أبي الوليد محمد بن أبي القاسم أحمد بن أبي الوليد بن رشد الاعضاء بمقالات الفلاسفة والتعظيم لهم أغرى به علماء الاسلام بالاندلس المنصور منصور الموحدين يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي ملك الغرب والاندلس حتى أوقع به ما هو مشهور

الذين أحسنوا ويكون جزاء مبتدأ خبره قوله والذين على اسقاط حرف الجر أي والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلهم - أفيتعادل التقسيم كما تقول في الدار زيد والقصر عمر وأي وفي القصر عمر وهذا التركيب مسدود من لسان العرب فخرجه الأخفش على أنه من العطف على عاملين وخرجه الجمهور على أنه مما حذف منه حرف الجر وخرجه بذلك الحرف المحذوف لا بالعطف على المجرور وهي مسألة خلاف وتفصيل يتكلم فيها في علم النحو والظاهر ان السيئات هنا هي سيئات الكفر وبديل عليه ذكر اوصافهم بعد * وقيل السيئات المعاصي فيندرج فيها الكفر وغيره ولهذا قال ابن عطية وتعم السيئات هنا الكفر والمعاصي فمثل سيئة الكفر التخليد في النار ومثل سيئات المعاصي مصر وف إلى مشيئة الله تعالى ومعنى بمثلها أي لا يزداد عليها * قال الزمخشري وفي هذا دليل على أن المراد بالزيادة الفضل لانه دل بترك الزيادة على السيئة على عدله ودل بآثار الزيادة على المثوبة على فضله انتهى * وقيل معنى بمثلها أي بما يليق به من العقوبات فالعقوبات تترتب على قدر السيئات ولهذا كانت جهنم دركات وكان المنافقون في الدرك الأسفل لقعج معصيتهم * وقرئ ويردحهم بالياء لأن تأنيث الذلة مجاز وفي وصف المنافقين في القتر والذلة عن وجوههم وهنأغشيتهم الذلة وبولع فيما يقابل القتر فليل كأنما أغشيت وجوههم قطعاً من الليل مظلماً وهذه مبالغة في سواد الوجوه وقد جاء مصرحاً في قوله وتسود وجوه من الله أي من مخطئه وعذابه أو من جهته تعالى ومن عندهم من يعصمهم كما يكون للمؤمنين وأغشيت كسبت ومنه الغشاء وكون وجوههم مسودة هي حقيقة لا مجاز فتكون ألوانهم مسودة * قال أبو عبد الله الرازي وأعلم أن حكاء الاسلام قالوا المراد من هذا السوادها خناسواد الجهل وظلمة الضلال فان الجهل طبعه طبع الظلمة فقوله وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة المراد نور العلم وروحهم وبشارته وجوه

من ضرب به ولعنه واهانته واهانتهم على رؤس الاشهاد وكان مما خوطب به المنصور في حقهم قول بعض العلماء الشعراء

لحق جهاده جاهدت فيه * إلى أن فزت بالفتح العظيم
بجاهد في أناس قد أضلوا * طريق الشرع بالعلم القديم
يدب إلى العقائد من أذاها * سموم والعقائد كالجسوم
(وقال)

خليفة تاجزك الله خيراً * عن الاسلام والسعي الكريم
وصبرت الانام بحسن هدى * على نهج الصراط المستقيم
وحرق كتبهم شرقا وغربا * ففيها كامن شر العالوم
وفي أمثالها اذ لا دواء * يكون السيف ترياق السموم
ياوحشة الاسلام من فرقة * شاغلة أنفسها بالسفه
وقال قد طهرت في عصرنا فرقة * ظهورها شوم على العصر

قد نبذت دين الهدى خلفها * وادعت الحكمة والفلسفه
لا تقتدى في الدين الا بما * سن ابن سينا وأبو نصر
ولما حلت يدار مصر ورأت كبراً من أهلها يستعملون بجهالات الفلاسفة طاهر من غير أن ينكر ذلك عليهم أحد تعجبت من ذلك

(الدر) اذ كنا نشأنا في جزيرة الأندلس على التبرؤ من ذلك والانكار له وأنه اذا بيع كتاب في المنطق انما يباع خفية وأنه لا يتجاسر ان ينطق بلفظ المنطق انما يسمونه بالمفعل حتى أن صاحبنا وزير الملك ابن الأحمر أباع الله محمد بن عبد الرحمن المعروف بابن الحكيم كتب الى كتاب من الأندلس سألني أن (١٤٩) أشتري له أو أستسخ كتابا لبعض شيوخنا في المنطق فلم

يتجاسر أن ينطق بالمنطق وهو وزير فسماه في كتابه لي بالمفعل * قال جامعه الشعر المقول للمنصور في حق ابن رشد ونظرائه لابي الحسين محمد بن أحمد بن جبير الكتاني الشاطبي صاحب الرحلة روى عن أبيه وأبي الوليد بن الدباغ وابن أبي العيش وغيرهم وكان عالما فاضلا ورعا زاهدا مولده ببليانة عام أربعين وخمسة ومات بالاسكندرية في شعبان عام أربعة عشر وستائة ومات ابن رشد الحفيد بمراكش في صفر عام خمس وتسعين وخمسةائة وحل الى قرطبة فدفن بها (ش) فان قلت مظالمها حال من الليل فما العامل فيه قلت لا يخلو اما أن يكون أغشيت من قبل ان من الليل صفة لقوله قطعا فكان افضاؤه الى الموصوف كافضائه الى الصفة واما أن يكون معنى الفعل في من الليل انتهى

يومئذ عليها غيرة ترهقها قفرة المراد منه ظلمة الجهل وكدورة الضلالة انتهى وكثيرا ما ينقل هذا الرجل عن حكماء الاسلام في التفسير وينقل كلامهم تارة منسوب اليهم وتارة مستنداه ويعني بحكماء الفلاسفة الذين خلقوا في مدة الملة الاسلامية وهم أحق بأن يسموا سفهاء جهلاء من أن يسموا حكماء اذ هم أعداء الأنبياء والمحر فون للشرعية الاسلامية وهم أضمر على المسامين من اليهود والنصارى واذا كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه نهى عن قراءة التوراة مع كونها كتابا الهيا فلان ينهى عن قراءة كلام الفلاسفة أحق وقد غلب في هذا الزمان وقبلة بقليل الاشتغال بجهالات الفلاسفة على أكثر الناس ويسمون بها الحكمة ويستجهلون من عرى عنها ويعتقدون انهم السكاملة من الناس ويعكفون على دراستها ولا تكاد تلقى أحدا منهم يحفظ قرآنا ولا حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد غضضت مرة من ابن سينا ونسبته للجهل فقال لي بعضهم وأظهر التعجب من كون أحد يغض من ابن سينا كيف يكون أعلم الناس بالله ينسب للجهل ولما ظهر من قاضي الجماعة أبي الوليد محمد بن أبي القاسم أحمد بن أبي الوليد بن رشد الاعتناء بمقالات الفلاسفة والتعظيم لهم أغرى به علماء الاسلام بالاندلس المنصور منصور الموحد بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن ابن علي ملك المغرب والاندلس حتى أوقع به ما هو مشهور من ضرب به ولعنه واهانته واهانة جماعة منهم على رؤس الاشهاد وكان مما خوطب به المنصور في حقهم قول بعض العلماء الشعراء

خليفتنا جزاك الله خيرا * عن الاسلام والسعي الكريم
فحق جهاده جاهدت فيه * الى ان فزت بالفخ العظيم
وصبرت الأنام بحسن هدى * على نهج الصراط المستقيم
بجاهد في أناس قد أضلوا * طريق الشرع بالعلم القديم
وحرق كتبهم شرقا وغربا * ففيها كامننا شر العلوم
يدب الى العقائد من أذاها * سموم والعقائد كالجسوم
وفي أمثالها اذ لادواء * يكون السيف ترياق السموم
يا وحشة الاسلام من فرقة * شاغلة أنفسها بالسفاهة
قد نبذت دين الهدى خلفها * وادعت الحكمة والفلسفة
وقد ظهرت في عصرنا فرقة * ظهورها شؤم على العصر
لاتقتدى في الدين الا بما * سن ابن سينا أو أبو نصر

وقال

وقال

ولما حلت بديار مصر ورأيت كثيرا من أهلها يشتغلون بجهالات الفلاسفة ظاهرا من غير أن ينكر ذلك أحد تعجبت من ذلك اذ كنا نشأنا في جزيرة الأندلس على التبرؤ من ذلك والانكار له وأنه اذا

(ح) أما الوجه الأول فهو بعيد لان الأصل أن يكون العامل في الحال هو العامل في ذى الحال والعامل في الليل هو مستقر الواصل اليه من وأغشيت عامل في قوله قطعا الموصوف بقوله من الليل فاختلفا فلذلك كان الوجه الآخر أولى أى قطعا مستقرة من الليل أو كائنه من أى في حال إطلامه (ع) فان كان نعتا يعنى مظلمة لقطعا فكان حقه أن يكون قبل الجملة ولكن قديجيء بعد هذا وتقدير الجملة قطعا استقر من الليل مظلمة على نحو قوله وهذا كتاب أنزلناه مبارك انتهى (ح) لا يعين تقدير العامل في المجرور بالفعل فيكون جملة بل الطاهر أن يقدر باسم الفاعل فيكون من قبيل الوصف بالمعروف والتقدير قطعا كائن من الليل مظلمة

﴿ ويوم نحشرهم الآية ﴾ الضمير في نحشرهم عائداً على من تقدم من الفريقين وانصب يوم على فعل محذوف أي ذكرهم أو خوفهم ونحوه وجميعاً حال والشركاء هم من عبد من دون الله كأنهم كان ومكانكم عنده النحويون في أسماء الأفعال وقد رابثوا كما قال وقولي كلما جشأت وجشأت * مكانك تحمدي أو تستريحى أي اثبتى ولكونها بمعنى اثبتى جزم تحمدي وتحملت ضميراً فأكد وعطف عليه في قوله أنتم وشركاؤكم قال الزمخشري وأنتم أكذب الضمير في مكانكم لصدقه مسدود قوله الزموا وشركاؤكم عطف عليه انتهى بمعنى عطف على الضمير المستكن وتقديره الزموا (١٥٠) وان مكانكم قام مقامه فتحمل الضمير الذي

في الزموا ليس بجيد اذ لو كان كذلك لكان مكانكم الذي هو اسم فعل يتعدى كما يتعدى الزموا ألا ترى أن اسم الفعل إذا كان الفعل لازماً كان اسم الفعل لازماً وإذا كان متعدياً كان متعدياً مثال ذلك عليك زيد الماناب مناب الزم تعدى واليك لما ناب مناب تنح لم يتعدى والكون مكانك لا يتعدى قدره النحويون اثبتوا واثبتوا لا يتعدى * قال ابن عطية أنتم رفع بالابتداء والخبر مخزون أو مهانون ونحوه فيكون مكانكم قد تم ثم أخبر أنهم كذا وهذا ضعيف لفك الكلام الظاهر اتصال بعض أجزائه ببعض ولتقدير اضمار لا ضرورة تدعو اليه ولقوله فزيلنا بينهم اذ يدل على أنهم ثبتوا هم وشركاؤهم في مكان واحد

يبيع كتاب في المنطق انما يباع خفية وانه لا يتجاسر أن ينطق بلفظ المنطق انما يسمونه المفعول حتى ان صاحبنا وزير الملك ابن الأحمر أبا عبد الله محمد بن عبد الرحمن المعروف بابن الحكيم كتب اليه كتاباً من الاندلس يسألني أن أشتري أو أستنسخ كتاباً لبعض شيوخنا في المنطق فلم يتجاسر أن ينطق بالمنطق وهو وزير فسماه في كتابه لي بالمفعول ولما ألبست وجوههم السواد قال كأنما أغشيت وجوههم ولما كانت ظلمة الليل نهاية في السواد شبهه سواد وجوههم بقطع من الليل حال اشتداد ظلمته * وقرأ ابن كثير والكسائي قطعاً بسكون الطاء وهو مفرد اسم للشئ المقطوع * وقال الأخفش في قوله بقطع من الليل بسواد من الليل وأهل اللغة يقولون القطع ظلمة آخر الليل وقال بعضهم طائف من الليل وعلى هذه القراءة يكون قوله مظاماً صفة لقوله قطعاً كما جاء ذلك في قراءة أبي كأنما أغشى وجوههم قطع من الليل مظلم * وقرأ ابن أبي عبلة كذلك الا انه فتح الطاء * وقيل قطع جمع قطعة نحو سدر وسدرية فيجوز اذ ذلك أن يوصف بالمد كرنحو نخل منقعر وبالمؤنث نحو نخل خاوية ويجوز على هذا أن يكون مظاماً حالاً من الليل كما أعربوه في قراءة باقي السبعة كأنما أغشيت وجوههم قطعاً بفتح الـ الطاء بالفتح من الليل مظاماً بالنصب * قال الزمخشري (فان قلت) اذا جعلت مظاماً حالاً من الليل فما العامل فيه (قلت) لا يخلو اما أن يكون أغشيت من قبل ان من الليل صفة لقوله قطعاً فكان أفذاؤه الى الموصوف كفضائه الى الصفة واما أن يكون معنى الفعل في من الليل انتهى أما الوجه الأول فهو بعيد لان الأصل أن يكون العامل في الحال هو العامل في ذي الحال والعامل في الليل هو مستقر الواصل اليه من وأغشيت عامل في قوله قطعاً الموصوف بقوله من الليل فاختلفا فذلك كان الوجه الأخير أولى أي قطعاً مستقرة من الليل أو كأنهم من الليل في حال اظلامه * وقيل مظاماً حال من قوله قطعاً أو صفة وذ كر في هذين التوجيهين لان قطعاً في معنى كثير فاو حظ فيه الا فراد والند كير وجوز وأيضاً في قراءة من سكن الطاء أن يكون مظاماً حالاً من قطع وحالاً من الضمير في من * قال ابن عطية فإذا كان نعمتا يعنى مظاماً نعمتا لقطع فكان حقه أن يكون قبل الجملة ولكن قد يجيء بعد هذا وتقدير الجملة قطعاً مستقر من الليل مظاماً على نحو قوله وهذا كتاب أنزلناه مبارك انتهى ولا يتعين تقدير العامل في المحرور وبالفعل فيكون جملة بل الظاهر أن يقدر باسم الفاعل فيكون من قبيل الوصف بالمفرد والتقدير قطعاً كأنهم من الليل مظاماً ﴿ ويوم نحشرهم جميعاً ﴾ ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم وشركاؤكم فزيلنا بينهم وقال

حتى وقع التزييل بينهم وهو التفريق والقرادة من قرأ أنتم وشركاء كما بالنصب على انه مفعول معه والعامل فيه اسم الفعل ولو كان أنتم مبتدأ وقد حذف خبره لما جاز أن يأتي بعده مفعول معه تقول كل رجل وضعته بالرفع ولا يجوز فيه النصب قال ابن عطية ويجوز أن يكون أنتم تأكيدياً للضمير الذي هو قفوا ونحوه وهذا ليس بجيد اذ لو كان تأكيدياً لذلك الضمير المتصل بالفعل لجاز تقديمه على الظرف اذ الظرف لم يتحمل ضميراً على هذا القول فيلزم تأخير عنه وهو غير جائز لا نقول أنت مكانك ولا يحفظ من كلامهم والأصح انه لا يجوز حذف المؤكد في التأكيدي المعنوي فكذلك هذا لان التأكيدي في الحذف وليس من كلامهم أنت زيد لمن رأيت قد شمر سيفاً وأنت تريد اضرب أنت زيد انما كلام العرب زيد اضرب زيداً من كلامهم يقال لبت الشئ عن مكانه أن يذهب في الكلام ياء وزعم ابن قتيبة وتبعه أبو البقاء ان قوله

زِيلْنَامِنْ مَادَّةِ زَالٍ زَوْلٌ فَتَكُونُ عَيْنُ الْكَلِمَةِ وَآوَا وَزِيلْنَا وَزَنَهُ عِنْدَهُمَا فَعِلَ اجْتَمَعَتْ يَاءُ وَآوَا وَسَبَقَتْ أَحَدَهُمَا بِالْكَوْنِ فَقُلِبَتِ الْوَآوُ يَاءً وَادْغَمَتِ الْيَاءُ فِي الْيَاءِ وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ مِنْ ذَوَاتِ الْيَاءِ وَأَنَّ وَزَنَهُ فَعِلَ وَلِذَلِكَ قَالُوا فِي مَصْدَرِهِ تَزِيلًا عَلَى وَزْنِ تَفْعِيلٍ وَقَالُوا فِي الْاِسْتِقَاقِ مِنْهُ زِيلْنَا بِالْيَاءِ وَنَفَى الشَّرْكَاءَ عِبَادَةَ الْمُشْرِكِينَ هُوَ رَدُّ لِقَوْلِهِمْ أَيَا كُمْ كِنَانَعِبُدُ وَيَا كُمْ مَفْعُولٌ بِتَعْبُدُونَ وَحَسَنَ تَقْدِيمِهِ كَوْنُ تَعْبُدُونَ فَصَلَاوُلًا تَنَازَعُوا اسْتَشْهَدَ الشَّرْكَاءَ بِاللَّهِ تَعَالَى وَانْتَصَبَ شَهِيدًا عَلَى التَّمْيِيزِ لِقَبُولِهِ حُجَّةً مِنْ وَأَنَّ هِيَ الْخَفِيقَةُ مِنَ الثَّقِيلَةِ وَاللَّامُ هِيَ الْفَارِقَةُ بَيْنَ الْإِنْفِيقَةِ وَبَيْنَ الْإِنْفِيقَةِ عَلَى مِثْلِ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ وَأَنَّ كَانَتْ لَكَبِيرَةٌ

(الدر) (ش) وَأَنْتُمْ أَكْذِبُهُ الضَّمِيرُ فِي مَكَانِكُمْ لِسَدِّهِ مَسَدُ قَوْلِهِ الزَّمُوا وَشَرُّكَاءُ كُمْ عَطْفٌ عَلَيْهِ أَنْتُمْ (ح) يَعْنِي عَطْفًا عَلَى الضَّمِيرِ الْمُسْتَكِنِ وَتَقْدِيرُهُ الزَّمُوا وَأَنَّ مَكَانَكُمْ قَامَ مَقَامَهُ (١٥١) فَيَحْمِلُ الضَّمِيرُ الَّذِي فِي الزَّمُوا لَيْسَ بِجَيِّدٍ إِذْ لَوْ كَانَ

كَذَلِكَ لَكَانَ مَكَانُكَ الَّذِي هُوَ اسْمٌ فَعِلٌ يَتَعَدَّى كَمَا يَتَعَدَّى الزَّمُوا أَلَا تَرَى أَنَّ اسْمَ الْفَعْلِ إِذَا كَانَ الْفَعْلُ لَا زَمًا كَانَ اسْمُ الْفَعْلِ لَا زَمًا وَإِذَا كَانَ مُتَعَدِّيًا كَانَ مُتَعَدِّيًا مِثَالُ ذَلِكَ عَلَيْكَ زَيْدًا لِلْمَنَابِ مَنَابِ الزَّمِ تَعَدَّى وَالْيَكُ لِلْمَنَابِ مَنَابِ تَنْحَلُّ لَمْ يَتَعَدَّ وَلَكُونُ مَكَانُكَ لَا يَتَعَدَّى قَدَرُهُ النَحْوِيُّونَ اثْبَتَ وَاثْبَتَ لَا يَتَعَدَّى (ع) أَنْتُمْ رَفَعَ بِالْإِبْتِدَاءِ وَالْخَبَرُ مَحْذُورُونَ أَوْ مَهَانُونَ وَنَحْوُهُ (ح) فَيَكُونُ مَكَانُكُمْ قَدَرُكُمْ ثُمَّ أَخْبَرْنَا أَنَّهُمْ كَذَا وَهَذَا ضَعِيفٌ لَفْظُ الْكَلَامِ الظَّاهِرُ اتِّصَالُ أَجْزَائِهِ بِبَعْضِ وَلِتَقْدِيرِ اضْمَارِ لَا ضَرُورَةَ تَدْعُو إِلَيْهِ وَلِقَوْلِهِ فَرِيلْنَا بَيْنَهُمْ إِذْ بَدَّلَ عَلَى أَنَّهُمْ ثَبَتُوا

شَرُّكَاءُ هُمْ مَا كُنْتُمْ أَيَا تَعْبُدُونَ فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَنَّ كِنَانَعِبُدُكُمْ لِعَافِلِينَ * الضَّمِيرُ فِي نَحْشُرُهُمْ عَائِدٌ عَلَى مَنْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُمْ مِنَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ * وَقُرَأَ الْحَسَنُ وَشَبِهُهُ الْقُرَاءَةُ السَّبْعَةُ نَحْشُرُهُمْ بِالنُّونِ وَقُرَأَتْ فَرَقَةً بِالْيَاءِ * وَقِيلَ يَعُودُ الضَّمِيرُ عَلَى الَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ وَمِنْهُمْ عَابِدُ غَيْرِ اللَّهِ وَمَنْ لَا يَعْبُدُ شَيْئًا وَانْتَصَبَ يَوْمَ عَلَى فَعْلٍ مَحْذُوفٍ أَيْ ذِكْرُهُمْ أَوْ خَوْفُهُمْ وَنَحْوُهُ وَجَمِيعًا حَالٌ وَالشَّرْكَاءُ الشَّيَاطِينُ أَوِ الْمَلَائِكَةُ أَوِ الْأَصْنَامُ أَوْ مَنْ عِبَدَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَانُوا مِنْ كَانِ أَرْبَعَةً أَقْوَالٌ وَمَنْ قَالَ الْأَصْنَامُ قَالَ يَنْفُخُ فِيهَا الرُّوحُ فَيَنْطَقُهَا اللَّهُ بِذَلِكَ مَكَانَ الشَّفَاعَةِ الَّتِي عُلِقُوا بِهَا أَطْعَامُهُمْ وَرَوَى عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ الْكُفَّارَ إِذَا رَأَى الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ فَيَقُولُونَ وَاللَّهِ لَا يَأْكُمُ كِنَانَعِبُدُ فَيَقُولُ الْآلِهَةُ فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا الْآيَةُ * قَالَ ابْنُ عَطِيَّةٍ فَظَاهَرُ هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّ مُحَاوَرَتَهُمْ أَمَّا هِيَ مَعَ الْأَصْنَامِ دُونَ الْمَلَائِكَةِ وَعِيسَى بْنُ مَرْيَمَ بِدَلِيلِ الْقَوْلِ لَهُمْ مَكَانُكُمْ أَنْتُمْ وَشَرُّكَاءُ كُمْ وَدُونَ فَرَعُونَ وَمَنْ عِبَدَهُمْ مِنَ الْجِنِّ بِدَلِيلِ قَوْلِهِمْ أَنَّ كِنَانَعِبُدُكُمْ لِعَافِلِينَ وَهُوَ لَا يَغْفُلُ وَأَقَطَّ عَنْ عِبَادَةِ مَنْ عِبَدَهُمْ وَمَكَانَكُمْ عَدَمُ النَحْوِيِّينَ فِي أَسْمَاءِ الْأَفْعَالِ وَقَدَرُ بَابِ ثَبَتُوا كَمَا قَالَ

وَقَوْلِي كَلِمَاتٍ وَجَاشَتْ * مَكَانُكَ تَحْمَدِي أَوْ تَسْتَرْجِي

أَيُّ اثْبَتِي وَلَكُونِهَا بِمَعْنَى اثْبَتِي جَزَمَ تَحْمَدِي وَتَحَمَّلْتُ ضَمِيرًا فَكَيْدٌ وَعَطْفٌ عَلَيْهِ فِي قَوْلِهِ أَنْتُمْ وَشَرُّكَاءُ كُمْ وَالْحَرَكَةُ الَّتِي فِي مَكَانِكُمْ وَدُونَكَ أَيْ حَرَكَةُ أَعرَابٍ أَوْ حَرَكَةُ بِنَاءٍ تَبْتَنِي عَلَى الْخِلَافِ الَّذِي بَيْنَ النَحْوِيِّينَ فِي أَسْمَاءِ الْأَفْعَالِ أَلْهَامُ مَوْضِعُ مِنَ الْأَعْرَابِ أَمْ لَا فَنَ قَالَ هِيَ فِي مَوْضِعٍ نَصَبٍ جَعَلَ الْحَرَكَةَ أَعرَابًا وَمَنْ قَالَ لَا مَوْضِعَ لَهَا مِنَ الْأَعْرَابِ جَعَلَهَا حَرَكَةَ بِنَاءٍ وَعَلَى الْأَوَّلِ عَوْلُ الزَّمْشَرِيِّ فَقَالَ مَكَانُكُمْ الزَّمُوا مَكَانُكُمْ لَا تَبْرَحُوا حَتَّى تَنْظُرُوا مَا يَفْعَلُ بِكُمْ وَاخْتَلَفُوا فِي أَنْتُمْ فَالظَّاهِرُ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ أَنَّهُ تَأْكِيدُ لِلضَّمِيرِ الْمُسْتَكِنِ فِي مَكَانِكُمْ وَشَرُّكَاءُ كُمْ عَطْفٌ عَلَى ذَلِكَ الضَّمِيرِ الْمُسْتَكِنِ وَهُوَ قَوْلُ الزَّمْشَرِيِّ قَالَ وَأَنْتُمْ أَكْذِبُهُ الضَّمِيرُ فِي مَكَانِكُمْ لِسَدِّهِ مَسَدُ قَوْلِهِ الزَّمُوا وَشَرُّكَاءُ كُمْ عَطْفٌ عَلَيْهِ أَنْتُمْ يَعْنِي عَطْفًا عَلَى الضَّمِيرِ الْمُسْتَكِنِ وَتَقْدِيرُهُ الزَّمُوا وَأَنَّ مَكَانَكُمْ قَامَ مَقَامَهُ فَيَحْمِلُ الضَّمِيرُ الَّذِي

هُمْ وَشَرُّكَاءُ هُمْ فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ حَتَّى وَقَعَ التَّزْيِيلُ بَيْنَهُمْ وَهُوَ التَّفْرِيقُ وَلِقُرَاءَتِهِمْ قُرَأَ أَنْتُمْ وَشَرُّكَاءُ كُمْ يَنْصَبُ عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولٌ مَعَهُ وَالْعَامِلُ فِيهِ اسْمُ الْفَعْلِ وَلَوْ كَانَ أَنْتُمْ مُبْتَدَأً وَقَدْ حَذَفَ خَبَرُهُ لِمَا جَازَأَنِي يَأْتِي بَعْدَهُ مَفْعُولٌ مَعَهُ تَقُولُ كُلُّ رَجُلٍ وَضِعَتُهُ بِالرَّفْعِ وَلَا يَجُوزُ فِيهِ النَّصَبُ قَالَ جَامِعُهُ أَجَازَهُ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ إِسْحَاقَ الصَّمِيرِيُّ النَحْوِيُّ صَاحِبُ كِتَابِ التَّبَصُّرَةِ (ع) وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ أَنْتُمْ تَأْكِيدًا لِلضَّمِيرِ الَّذِي فِي الْفَعْلِ الْمَقْدَرِ الَّذِي هُوَ قَوْفُوا أَوْ نَحْوُهُ (ح) هَذَا لَيْسَ بِجَيِّدٍ إِذْ لَوْ كَانَ تَأْكِيدًا لِلضَّمِيرِ الْمُتَّصِلِ بِالْفَعْلِ لَجَازَ تَقْدِيمُهُ عَلَى الظَّرْفِ إِذَا الظَّرْفُ لَمْ يَحْمِلْ ضَمِيرًا عَلَى هَذَا الْقَوْلِ فَيَلْزَمُ تَأْخِيرُهُ عَنْهُ وَهُوَ غَيْرُ جَائِزٍ لَا تَقُولُ أَنْتَ مَكَانُكَ وَلَا يَحْفَظُ مِنْ كَلَامِهِمْ وَالْأَصَحُّ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ حَذْفُ الْمُؤَكَّدِ فِي التَّأْكِيدِ الْمَعْنَوِيِّ فَكَذَلِكَ هَذَا لِأَنَّ التَّأْكِيدَ يَنْفِي الْخَذْفَ وَلَيْسَ مِنْ كَلَامِهِمْ أَنْتَ زَيْدٌ لَمْ يَأْتِهِ قَدْ شَرَّ سَيْفًا وَأَنْتَ تَرِيدُ اضْرِبْ أَنْتَ زَيْدًا نَمَّا كَلَامُ الْعَرَبِ زَيْدًا تَرِيدُ اضْرِبْ زَيْدًا

في الزموا ليس بجيد اذ لو كان كذلك لكان مكانك الذي هو اسم فعل يتعدى كما يتعدى الزموا
ألا ترى أن اسم الفعل اذا كان الفعل لازما كان اسم الفعل لازما واذا كان متعديا كان متعديا مثال
ذلك عليك زيد الماناب مناب الزم تعدى واليك الماناب مناب تنح لم يتعد ولكون مكانك لا يتعدى
قدره النحويون اثبت واثبت لا يتعدى * قال الحوفي مكانكم نصب باضمار فعل أي الزموا مكانكم
أو اثبتوا * وقال أبو البقاء مكانكم ظرف مبنى لوقوعه موقع الأمر أي الزموا انتهى وقدينا أن
تقدير الزموا ليس بجيد اذ لم تقل العرب مكانك زيد افتعديه كما تعدى الزم * وقال ابن عطية أنتم رفع
بالابتداء والخبر مخزون أو مهانون ونحوه انتهى فيكون مكانكم قد تم ثم أخبر أنهم كذا وهذا ضعيف
لفك الكلام الظاهر اتصال بعض أجزائه ببعض ولتقدير اضمار لا ضرورة تدعو اليه ولقوله
فزينا بينهم اذ يدل على أنهم ثبتوا هم وشركاؤكم في مكان واحد حتى وقع التزييل بينهم وهو التفريق
ولقراءة من قرأ أنتم وشركاءكم بالنصب على أنه مفعول معه والعامل فيه اسم الفعل ولو كان أنتم
مبتدأ أو قد حذف خبره لما جاز أن يأتي بعده مفعول معه تقول كل رجل وضعيته بالرفع ولا يجوز فيه
النصب * وقال ابن عطية أيضا ويجوز أن يكون أنتم تأكيذا للضمير الذي في الفعل المقدر الذي
هو قفوا ونحوه انتهى وهذا ليس بجيد اذ لو كان تأكيذا لذلك الضمير المتصل بالفعل لجاز تقديمه
على الظرف اذا الظرف لم يتحمل ضميرا على هذا القول فيلزم تأخير عنه وهو غير جائز لا تقول أنت
مكانك ولا يحفظ من كلامهم والأصح أن لا يجوز حذف المؤكدي التأكيدي كيد المعنوي فكذلك هذا
لأن التأكيدي في الحذف وليس من كلامهم أنت زيد المن رأيت قد شمر سيفا وأنت تريد اضرب
أنت زيدانما كلام العرب زيد اتر يد اضرب زيد * يقال زلت الشيء عن مكانه أزيله * قال الفراء
تقول العرب زلت الضأن من المعز فلم تزل * وقال الواحدي التزييل والتزيل والمزايلة التمييز
والتفريق انتهى وزيل مضاعف للتكثير وهو لفارقة الحبث (٣) من ذوات اليباء بخلاف زال يزول
فنادهم ما مختلفة وزعم ابن قتيبة أن زيلنا من مادة زال يزول وتبعه أبو البقاء * وقال أبو البقاء فزينا
عين الكامة واولا أنه من زال يزول وانما قلبت ياء لأن وزن الكامة فيعل أي زبولنا مثل يبطر
ويقرر فلما اجتمعت الواو والياء على الشرط المعروف قلبت ياء انتهى وليس بجيد لأن فعل أكثر من
فيعل ولأن مصدره تزيل ولو كان فيعل لكان مصدره فيعمله فكان يكون زيلة كبطرة لأن
فيعل ملحق بفعل ولقوله في قريب من معناه زایل ولم يقولوا زاول بمعنى فارق انما قالوه بمعنى
حاول وخالط وشرح فزينا ففرقنا بينهم وقطعنا أقرانهم والوصل التي كانت بينهم في الدنيا أو فباعنا
بينهم بعد الجمع بينهم في الموقف وبين شركائهم كقوله تعالى أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون قالوا
ضلوا عنا وفسرت فرقة فزينا حكاة الفراء * قال الزمخشري كقولك صاعر خده وصعرو كلمته
وكلمته انتهى يعني أن فاعل بمعنى فعل وزايل في لسان العرب بمعنى فارق قال

وقال العنباري انما أنت عنما * وكان الشهاب كالخيل يزايله

﴿ وقال آخر ﴾

لعمري لموت لا عقوبة بعده * لذي البت أشقى من هوى لا يزاله
والظاهر أن التزييل أو المزايلة هو بمفارقة الاجسام وتباعده * وقيل فرقنا بينهم في الحجة والمذهب
قاله ابن عطية وفزينا وقال هنا ماضيان لفظا والمعنى فزينا بينهم ونقول لانهم ما معطوفان على
مستقبل ونفي الشركاء عبادة المشركين هو رد لقولهم لا ياكم كنا نعبد والمعنى انكم كنتم تعبدون من

﴿ هنالك تبلو كل نفس ما أسلفت ﴾ هنالك ظرف مكان أى فى ذلك الموقف والمقام المقتضى للحيرة والدهش تبلو أى تختبر ما أسلفت من العمل فتعرف كيف شو أقبح أم حسن (١٥٣) أنافع أم ضار مقبول أو مردود وقرىء تبلو وقرىء تتلو

﴿ وردوا الى الله ﴾ أى الى جزائه ﴿ وضل عنهم ﴾ أى ذهب وبطل ﴿ ما كانوا يفترون ﴾ من الكذب ﴿ قل من يرزقكم ﴾ الآية لما بين فضائح عبدة الأوثان أتبعها بذكر الدلائل على فساد مذهبهم بما يوجبهم ويحجهم بما لا يمكن الاعتراف به من حال رزقهم وحواسهم واطهار القدرة الباهرة فى الموت والحياة فبدأ بما فيه قوام حياتهم وهو الرزق الذى لا بد منه من السماء بالمطر ومن الارض بالنبات فمن الابتداء الغاية هي الرزق بالعالم العلوى والعالم السفلى معالم يقتصر على جهة واحدة توسعة منه واحسانا ثم ذكر ملكه لخاتمتين الخاستين الشر يفتين السمع والبصر الذى هو سبب مدارك الأشياء والبصر الذى يرى ملكوت السموات والارض ومعنى ملكهما انه متصرف فيهما بما يشاء من ابقاء وحفظ وذهاب ﴿ ومن يخرج الحى من الميت ﴾ تقدم تفسيره ﴿ ومن يدبر الأمر ﴾ شامل

أمركم ان تتخذوا الله تعالى أنادافاً طعنتوهم ولما تنازعوا الشهود الشركاء بالله تعالى وانتصب شهيدا ﴿ قيل على الحال والأصح على التمييز لقبوله من وتقدم الكلام فى كفى وفى الباء وان هى الخفيفة من النقيصة وعند القراء هى النافية واللام بمعنى الا وقد تقدم الكلام فى ذلك واكتفاؤهم بشهادة الله هو على انتفاء أنهم عبدوهم ثم استأنفوا جملة خبرية أنهم كانوا غافلين عن عبادتهم أى لاشعور لنا بذلك وهذا يرجح أن الشركاء هى الأصنام كما قال ابن عطية لانه لو كان الشركاء ممن يعقل من انسى أو جنى أو ملك لكان له شعور بعبادتهم ولا شئ أعظم سبباً للغفلة من الجادية اذ لا تحس ولا تشعر بشئ البتة ﴿ هنالك تبلوا كل نفس ما أسلفت ﴾ وردوا الى الله مولاهم الحق وضل عنهم ما كانوا يفترون ﴿ هنالك ظرف مكان أى فى ذلك الموقف والمقام المقتضى للحيرة والدهش ﴾ وقيل هو اشارة الى الوقت استعير ظرف المكان للزمان أى فى ذلك الوقت ﴿ وقرأ الاخوان وزيد بن علي تناوبا بآيتين أى تتبعا وتطلب ما أسلفت من أعمالها قاله السدى ومنه قول الشاعر

ان المريب يتبع المريباً * كما رأيت الذيب يتلو الذيباً

﴿ قيل ويصح أن يكون من التلاوة وهى القراءة أى تقرأ كتبها التى تدفع اليها ﴾ وقرأ بآي السبعة تبلوا بالتاء والباء أى تختبر ما أسلفت من العمل فتعرف كيف هو أقبح أم حسن أنافع أم ضار مقبول أم مردود كما يتعرف الرجل الشئ باختباره ﴿ وروى عن عاصم نبالوا بنون وباء أى تختبر وكل نفس بالنصب وما أسلفت بدل من كل نفس أو منصوب على اسقاط الخافض أى ما أسلفت أو يكون نبالوا من البلاء وهو العذاب أى نصيب كل نفس عاصية بالبلاء بسبب ما أسلفت من العمل المسئى ﴿ وعن الحسن تبلوا اتسلم ﴾ وعن الكلبي تعلم ﴿ وقيل تذوق ﴾ وقرأ يحيى بن وثاب وردوا بكسر الراء الماسكن للدغام نقل حركة الدال الى حركة الراء بعد حذف حركته ومعنى الى الله الى عقابه ﴿ وقيل الى موضع جزائه مولاهم الحق لا مازعوه من أصنامهم اذ هو المتولى حسابهم فهو مولاهم فى الملك والاحاطة لافى النصر والرحمة ﴾ وقرىء الحق بالنصب على المدح نحو الحمد لله أهل الحمد ﴿ وقال الرخشى كقولك هذا عبد الله الحق لا الباطل على تأكيده قوله ردوا الى الله انتهى ﴾ وقال أبو عبد الله الرازى وردوا الى الله جعلوا ملجئ الى الاقرار بالالهية بعد أن كانوا فى الدنيا يعبدون غير الله ولذلك قال مولاهم الحق وضل عنهم أى بطل وذهب ما كانوا يفترونه من الكذب أو من دعواهم ان أصنامهم شركاء لله شافعون لهم عنده ﴿ قل من يرزقكم من السماء والارض أمن بملك السمع والابصار ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون ﴾ لما بين فضائح عبدة الأوثان أتبعها بذكر الدلائل على فساد مذهبهم بما يوجبهم ويحجهم بما لا يمكن الاعتراف به من حال رزقهم وحواسهم واطهار القدرة الباهرة فى الموت والحياة فبدأ بما فيه قوام حياتهم وهو الرزق الذى لا بد منه من السماء بالمطر ومن الارض بالنبات فمن الابتداء الغاية وهى الرزق بالعالم العلوى والعالم السفلى معالم يقتصر على جهة واحدة تعالى توسعة منه واحسانا ومن ذهب الى أن التقدير من أهل السماء والارض فتكون من التبعية أى للبيان ثم ذكر ملكه لخاتمتين الشر يفتين السمع الذى هو سبب مدارك الأشياء والبصر

(٢٠ - تفسير البحر المحيط لابي حيان - خامس) لما تقدم من الأشياء الاربعة المذكورة وغيرها والامور

التي يدبرها تعالى لانهاية لها فلذلك جاء بالامر السكلى بعد تفصيل بعض الامور واعترافهم بأن الرزق والمالك والمخرج والمدير هو الله تعالى أمر لا يمكنهم انكاره ولا المباهة فيه

الذي يرى ملكوت السموات والأرض ومعنى ملكهم ما أنه متصرف فيهما بما يشاء تعالى من ابقاء وحفظ واذهاب * وقال الزمخشري من يملك السمع والأبصار من يستطيع خلقهما وتسويتهما على الحد الذي سوي عليه من القطرة العجيبة أو من يحميمهما ويعصمهما من الآفات مع كثرتها في المدد الطوال وهما الطيفان يؤذيها أدنى شيء بكلاءته وحفظه انتهى ولا يظهر هذان الوجهان اللذان ذكرهما من لفظ أم من يملك السمع والأبصار * وعن علي كرم الله وجهه سبحانه من بصر بشيء وأسمع بعظمه وأنطق بلحمه وأم هاتان تقتضي تقدير بل دون همزة الاستفهام لقوله تعالى أم ماذا كنتم تعملون فلا تتقدربل فلهمة لأنها دخلت على اسم الاستفهام وليس اضراب ابطال بل هو لا تتقال من شيء إلى شيء ونبه تعالى بالسمع والبصر على الخواس لأنهما أشرفها ولما ذكر تعالى سبب ادامة الحياة وسبب انتفاع الحي بالخواس ذكر انشاءه تعالى واختراعه للحي من الميت والميت من الحي وذلك من باهر قدرته وهو اخراج الضمن ضده وتقدم تفسير ذلك ومن يدبر الأمر شامل لما تقدم من الأسماء الأربعة المذكورة وغيرها والامور التي يدبرها تعالى لانهاية لها فلذلك جاء بالامر الكلي بعد تفصيل بعض الأمور واعترا فهم بأن الرزق والمالك والمخرج والمدير هو الله أي لا يمكنهم انكاره ولا المنافسة فيه ومعنى أفلاتتقون أفلاتتخافون عقوبة الله في افترائكم وجعلكم الأصنام آلهة * وقيل أفلاتتعتظون فتنتهون عن ما خذرت عنه تلك الموعظة * فذلكم الله ربكم الحق فاذا بعد الحق الا الضلال فاني تصرفون كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون * فذلكم إشارة الى من اختص بالأوصاف السابقة الحق الثابت الربوبية المستوجبة للعبادة واعتقاد اختصاصه بالالهية لا أصنامكم المربوبة الباطلة وماذا استفهام معناه النفي ولذلك دخلت الا وصحبه التقرير والتوبيخ كأنه قيل ما بعد الحق الا الضلال فالحق والضلal لا واسطة بينهما اذ هما نقيضان فمن يخطئ الحق وقع في الضلال وما دام مبتدأ تركبت ذامع ما فصار مجموعهما استفهاما كأنه قيل أي شيء والخبر بعد الحق ويجوز أن يكون ذام موصولة ويكون خبر ما كأنه قيل ما الذي بعد الحق وبعد صلة كذا ولما ذكر تعالى تلك الصفات وأشار الى أن المتصف بها هو الله وأنه مالكمهم وأنه هو الحق ثم وبخهم على اتباع الضلال بعد وضوح الحق قال تعالى فاني تصرفون أي كيف يصرفكم بعد وضوح الحق وقيام حجة عن عبادة من يستحق العبادة وكيف تشركون معه غيره وهو لا يشاركه في شيء من تلك الأوصاف * كذلك حقت الكاف للتشبيه في موضع نصب والاشارة بذلك الى المصدر المفهوم من تصرفون أي مثل صرفهم عن الحق بعد الاقرار به في قوله فسيقولون الله حق العذاب عليهم أي جازاهم مثل أفعالهم

فذلكم * اشارت الى من اختص بهذه الاوصاف السابقة * فاذا * استفهام معناه النفي ولذلك دخلت الا وصحبه التقرير والتوبيخ كأنه قيل ما بعد الحق الا الضلال وما دام مبتدأ تركبت ذامع ما فصار مجموعهما استفهاما كأنه قيل أي شيء والخبر بعد الحق فاني تصرفون * أي كيف يقع صرفكم بعد وضوح الحق وقيام حجة عن عبادة من يستحق العبادة وكيف تشركون معه غيره وهو لا يشاركه في شيء من تلك الأوصاف * كذلك حقت الكاف للتشبيه في موضع نصب والاشارة بذلك الى المصدر المفهوم من تصرفون أي مثل صرفهم عن الحق بعد الاقرار به في قوله فسيقولون الله حق العذاب عليهم أي جازاهم مثل أفعالهم

﴿قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق﴾ لما استغفهم عن أشياء من صفات الله واعترفوا بها ثم أنكر عليهم صرفهم عن الحق وعبادة الله تعالى استغفهم عن شيء هو سبب العبادة وهو إبداء الخلق وهم يسلمون ذلك لقوله ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله ثم أعاد الخلق وهم منكرون ذلك لكنه عطف على ما يسلمونه ليعلم أنهم مساوون بالنسبة إلى قدرته تعالى وإن ذلك لو ضوحه وقيام برهانه قرن بما يسلمونه إذ لا يدفعه إلا ما كبر إذ هو من الواضحات التي لا يختلف في إمكانها العقلاء وجاء الشرع بوجوبه فوجب اعتقاده ولما كانوا لمكاربهم لا يقرون بذلك أمر تعالى نبيه عليه السلام أن يجيب فقال ﴿قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده﴾ وأبرز الجواب في جملة مبتدأة مصرح بجزئها فاعاد الخبر فيها مطابقا لخبر اسم الاستغفام وذلك تأكيد وتثبيت ولما

(١٥٥)

كان الاستغفام قبل هذا لا مندوحة لهم عن الاعتراف به جاءت الجملة محذوفاً منها أحد جزأها في قوله فسيقولون الله ولم يحتاج إلى التأكيد بتصريح جزأها ومعنى تؤفكون تصرفون وتقبلون عن اتباع الحق ﴿قل هل من شركائكم﴾ الآية لما بين تعالى عجز أصنامهم عن الإبداء والاعادة اللذين هما من أقوى أسباب القدرة وأعظم دلائل الألوهية بين عجزهم عن هذا النوع من صفات الإله وهو الهداية إلى الحق وإلى منهاج الصواب وقد أعقب الخلق بالهداية في القرآن في مواضع فقال تعالى حكاية عن الكايم قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى فاستدل بالخلق والهداية على وجود الصانع

ربك أي حق عليهم انتفاء الإيمان ويجوز أن يراد بالكلمة عدة العذاب ويكون أنهم لا يؤمنون تعليلاً أي لأنهم لا يؤمنون ويوضح هذا الوجه قراءة ابن أبي عبلة أنهم لا يؤمنون بالكسر وهذا إخبار منه تعالى أن في الكفار من حتم الله بكفره وقضى بتخليده ﴿وقرأ أبو جعفر وشيبة والصاحبان كلمات على الجمع هنا وفي آخر السورة﴾ وقرأ باقي السبعة على الأفراد ﴿قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده فأنى تؤفكون﴾ لما استغفهم عن أشياء من صفات الله تعالى واعترفوا بها ثم أنكر عليهم صرفهم عن الحق وعبادة الله استغفهم عن شيء هو سبب العبادة وهو إبداء الخلق وهم يسلمون ذلك ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله ثم أعاد الخلق وهم منكرون ذلك لكنه عطف على ما يسلمونه ليعلم أنهم مساوون بالنسبة إلى قدرته تعالى وإن ذلك لو ضوحه وقيام برهانه قرن بما يسلمونه إذ لا يدفعه إلا ما كبر إذ هو من الواضحات التي لا يختلف في إمكانها العقلاء وجاء الشرع بوجوبه فوجب اعتقاده ولما كانوا لمكاربهم لا يقرون بذلك أمر تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يجيب فقال قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده وأبرز الجواب في جملة مبتدأة مصرح بجزئها فاعاد الخبر فيها مطابقا لخبر اسم الاستغفام وذلك تأكيد وتثبيت ولما كان الاستغفام قبل هذا لا مندوحة لهم عن الاعتراف به جاءت الجملة محذوفاً منها أحد جزئها في قوله فسيقولون الله ولم يحتاج إلى التأكيد بتصريح خبرها ومعنى تؤفكون تصرفون وتقبلون عن اتباع الحق ﴿قل هل من شركائكم من يهدي إلى الحق قل الله يهدي إلى الحق أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدي إلا أن يهدي﴾ فالكم كيف تحكمون ﴿لما بين تعالى عجز أصنامهم عن الإبداء والاعادة اللذين هما من أقوى أسباب القدرة وأعظم دلائل الألوهية بين عجزهم عن هذا النوع من صفات الإله وهو الهداية إلى الحق وإلى منهاج الصواب وقد أعقب الخلق بالهداية في القرآن في مواضع قال تعالى حكاية عن الكايم قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى﴾ وقال الذي خلق فسوَّى والذي قدر فهدى فاستدل بالخلق والهداية على وجود الصانع وهما حالان للجسد والروح ولما كانت العقول يلحقها الاضطراب والغلط بين تعالى أنه لا يهديهم ما لا هو بخلاف أصنامهم ومعبوداتهم فإنه ما كان منها الروح فيه جماد لا تأثير له وما فيه روح فليس قادراً على الهداية بل الله تعالى هو الذي يهديه وهدى تنعدي بنفسها إلى اثنين وإلى الثاني وإلى باللام ويهدي إلى الحق

وهما حالان للجسد والروح وقرى لا يهدي مخففاً مضارع هدى ويهدي بفتح الهاء وتشديد الدال وأصله يهتدى نقلت حركة التاء إلى الهاء وأدغمت التاء في الدال وقرى يهدي بكسر الهاء وتشديد الدال وقرى بكسر الهمزة وتشديد الدال يهدي ﴿فالك﴾ استغفام ومعناه التعجب والانكار أي شيء لكم في اتخاذ هؤلاء الشركاء إذا كانوا عاجزين عن هداية أنفسهم فكيف يمكن أن يهدوا غيرهم ﴿كيف تحكمون﴾ استغفام آخر أي كيف تحكمون بالباطل وتقبلون لله أن دادا وشركاء وهاتان جملتان أنكر في الأولى وتعجب من اتباعهم من لا يهدي ولا يهتدى وأنكر في الثانية حكمهم بالباطل وتسوية الأصنام رب العالمين

جندى مفعوله الأول ولا يصح أن يكون لازماً بمعنى يهتدى لأن مقابله إنما هو متعد وهو قوله قل الله يهتدى للحق أى يهتدى من يشاء إلى الحق وقد أنكر المبرد ما قاله الكسائى والفراء وتبعهما الزخشرى من أن يكون هدى بمعنى اهتدى وقال لا نعرف هذا وأحق ليست أفعل تفضيل بل المعنى حقيق بأن يتبع ولما كانوا معتقدين أن شركاءهم تهتدى إلى الحق ولا يسمعون حصر الهداية لله تعالى أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بأن يبادر بالجواب فقال قل الله يهتدى للحق ثم عادل في السؤال بالهمزة وأم بين من هو حقيق بالاتباع ومن هو غير حقيق وجاء على الأفصح الأكثر من فصل أم مما عطفت عليه بالخبر كقوله أذلك خير أم جنة الخلد بخلاف قوله أقرب أم بعيد ما توعدون وسيأتى القول في ترجيح الوصل هنا في موضعه إن شاء الله تعالى * وقرأ أهل المدينة الأورشا من لا يهتدى بفتح الياء وسكون الهاء وتشديد الدال * معوايين ساكنين * قال النحاس لا يقدر أحد أن ينطق به * وقال المبرد من رام هذا لا بد أن يحرك حركة خفيفة وسيبويه يسمى هذا اختلاس الحركة * وقرأ أبو عمرو وقالون في رواية كذلك إلا أنه اختلس الحركة * وقرأ ابن عامر وابن كثير وورش وابن محيصن كذلك إلا أنهم فتحوا الهاء وأصله يهتدى فقلب حركة التاء إلى الهاء وأدغمت التاء في الدال * وقرأ حفص ويعقوب والأعمش عن أبي بكر كذلك إلا أنهم كسروا الهاء لما اضطر إلى الحركة حركت بالكسر * قال أبو حاتم هي لغة سغلى مضر * وقرأ أبو بكر في رواية يحيى بن آدم كذلك إلا أنه كسر الياء ونقل عن سيبويه أنه لا يجيز يهتدى ويجيز تهتدى ونهتدى وأهدى قال لان الكسرة في الياء تشقل * وقرأ حمزة والكسائى وخلف ويحيى بن وثاب والأعمش يهتدى مضارع هدى * قال الزخشرى هذه الهداية أحق بالاتباع أم الذى لا يهتدى أى لا يهتدى بنفسه أو لا يهتدى غيره إلا أن يهديه الله * وقيل معناه أم من لا يهتدى من الأوثان إلى مكان فينتقل إليه إلا أن يهتدى إلا أن ينقل أولاً يهتدى ولا يصح منه الاهتداء إلا بنقله الله تعالى من حاله إلى أن يجعله حيواناً مطلقاً فيدياً انتهى وتقدم أنكار المبرد ما قاله الكسائى والفراء وتبعهما الزخشرى من أن هدى بمعنى اهتدى * وقال أبو علي الفارسى وصف الأصنام بأنهم لا يهتدى إلا أن تهتدى ونحن نجدها لا تهتدى وإن هديت فوجه ذلك أنه عامل في العبادة عنهم معاملة متهم في وصفها بأوصاف من يعقل وذلك مجاز وموجود في كثير من القرآن وقال ابن عطية والذي أقول أن قرأة حمزة والكسائى يحتمل أن يكون المعنى أم من لا يهتدى أحداً إلا أن يهتدى ذلك لأحد هداية من عند الله وأما على غيرهما من القراءات التى مقتضاها أم من لا يهتدى إلا أن يهتدى فينتجه المعنى على ما تقدم لأبى على الفارسى وفيه تجوز كثير ويحتمل أن يكون ما ذكر الله من تسبيح الجمادات هو اهتداؤها * وقيل تم الكلام عند قوله أم من لا يهتدى أى لا يهتدى غيره ثم قال إلا أن يهتدى استثناء منقطع أى لكنه يحتاج إلى أن يهتدى كما تقول فلان لا يسمع غيره إلا أن يسمع أى لكنه يحتاج إلى أن يسمع * وقيل أم من لا يهتدى في الرؤساء المضلين انتهى ويكون استثناء متصل إلا أنه إذا كان يكون فهم قابلية الهداية بخلاف الأصنام فلما لم يستفهم معناه التعجب والانكار أى أى شئ لكم في اتخاذ هؤلاء الشركاء إذ كانوا عاجزين عن هداية أنفسهم فكيف يمكن أن يهتدوا غيرهم كيف تحكمون استفهام آخر أى كيف تحكمون بالباطل وتجعلون لله أنداداً وشركاء وهاتان جملتان أنكر في الأولى وتعجب من اتباعهم من لا يهتدى ولا يهتدى وأنكر في الثانى حكمهم بالباطل وتسوية الأصنام رب العالمين * وما يتبع أكثرهم الاطنان الظن لا يغنى من الحق شيئاً أى من أدراك الحق ومعرفة على ما هو عليه لانه تجوز لا قطع

* وما يتبع أكثرهم الا
ظنا * الظاهر ان
أكثرهم على بابه لان منهم
من تبصر في الاصنام
فرفضها كما قال بعضهم
* أرب يبول الثعلبان
برأسه
لقد ثان من بالث عليه
الثعلاب *
والمعنى ما يتبع أكثرهم في
اعتقادهم في الله وفي صفاته
الاطنان ليسوا متبصرين
ولا مستندين فيه إلى برهان
إنما ذلك شئ تلقوه من
آبائهم والظن في معرفة الله
لا يغنى من الحق شيئاً أى
من أدراك الحق ومعرفة
على ما هو عليه لانه تجوز
لا قطع

ورفضها كما قال

أرب يبول الثعلبان برأسه * لقد هان من بالت عليه الثعالب

* وقيل المراد بأكثرهم جميعهم والمعنى ما يتبع أكثرهم في اعتقادهم في الله وفي صفاته الاظنا ليسوا متبصرين ولا مستندين الى برهان انما ذلك شيء تلقوه من آباءهم والظن في معرفة الله لا يغني عن الحق شيئاً أي من ادراك الحق ومعرفة على ما هو عليه لانه تجوز لاقطع * وقيل وما يتبع أكثرهم في جعلهم الأصنام آلهة واعتقادهم انها تشفع عند الله وتقرّب اليه * وقرأ عبد الله تفعلون بالتاء على الخطاب التفاضل والجملة تضمنت التهديد والوعيد على اتباع الظن وتقليد الآباء * وقيل نزلت في رؤساء اليهود وقرّيش * وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين * لما تقدم قولهم أثبت بقرآن غير هذا أو بدله وكان من قولهم انه افتراء قال تعالى وما كان هذا القرآن أن يفترى أي ماصح ولا استقام أن يكون هذا القرآن المعجز مفترى والاشارة بهندافيهات فخيم المشار اليه وتعظيمه وكونه جامعاً للوصاف التي يستحيل وجودها فيه ان يكون مفترى والظاهر أن أن يفترى هو خبر كان أي افتراء أي ذا افتراء أو مفترى ويزعم بعض النحويين ان أن هذه هي المضمرّة بعد لام الجحود في قولك ما كان زيد ليفعل وانه لما حذفت اللام أظهرت ان وان اللام وأن يتعاقبان في حيث جرى باللام لم تأت بان بل تقدرها وحيث حذفت اللام ظهرت أن والصحيح انهما لا يتعاقبان وأنه لا يجوز حذف اللام واطهار أن اذ لم يقدّم دليل على ذلك وعلى زعم هذا الزاعم لا يكون أن يفترى خبر كان بل الخبر محذوف وأن يفترى معمول لذلك الخبر بعد اسقاط اللام ووقعت لكن هنا أحسن موقع اذ كانت بين نقيضين وهما الكذب والتصديق المتضمن الصدق والذي بين يديه الكتب الالهية المتقدمة قاله ابن عباس كما جاء مصدقاً لما معكم وعن الزجاج الذي بين يديه أشراط الساعة ولا يقوم البرهان على قرّيش الابتعاد في القرآن ما في التوراة والانجيل مع أن الآتي به يقطعون أنه لم يطلع تلك الكتب ولا غيرها ولا هي في بلده ولا قومها لا بتصديق الاشراف لانهم لم يشاهدوا شيأ منها * وتفصيل الكتاب تبين ما فرض وكتب فيه من الأحكام والسرائع * وقرأ الجمهور تصديق وتفصيل بالنصب فخرجه الكسائي والفراء ومحمد بن سعدان والزجاج على انه خبر كان مضمرّة أي ولكن كان تصديق أي مصدقاً ومفصلاً * وقيل انتصب مفعولاً من أجله والعامل محذوف والتقدير ولكن أنزل للتصديق * وقيل انتصب على المصدر والعامل فيه فعل محذوف * وقرأ عيسى بن عمر تفصيل وتصديق بالرفع وفي يوسف خبر مبتدأ محذوف أي ولكن هو تصديق كما قال الشاعر

ولست الشاعر السفساف فيهم * ولكن مدّه الحرب العوالي

أي ولكن أنا وزعم الفراء ومن تابعه ان العرب اذا قالت ولكن بالواو آثرت تشديد النون واذا لم تكن الواو آثرت التخفيف وقد جاء في السبعة مع الواو التشديد والتخفيف ولا ريب فيه داخل في حيز الاستدراك كانه قيل ولكن تصديقاً وتفصيلاً منتهياً عنه الرّيب كأنهم من رب العالمين * قال الزمخشري ويجوز أن يراد ولكن كان تصديقاً من رب العالمين وتفصيلاً منتهياً عنه في ذلك فيكون من رب العالمين متعلقاً بتصديق وتفصيل ويكون لا ريب فيه اعتراضاً كما تقول زيد لا شك فيه كريمة قوله فيكون من رب العالمين متعلقاً بتصديق وتفصيل انما يعني من جهة المعنى وأما من جهة الاعراب فلا يكون لا متعلقاً بأحدهما ويكون من باب الاعمال وانتفاء الرب عنه على ما بين

افتراء قال تعالى وما كان هذا القرآن أن يفترى أي ماصح ولا استقام أن يكون هذا القرآن المعجز مفترى والاشارة بهندافيهات فخيم المشار اليه وتعظيمه وكونه جامعاً للوصاف التي يستحيل وجودها فيه أن يكون مفترى والظاهر أن أن يفترى هو خبر كان أي افتراء أي ذا افتراء أو مفترى ووقعت لكن هنا أحسن موقع اذ كانت بين نقيضين وهما الكذب والتصديق المتضمن الصدق والذي بين يديه الكتب الالهية المقدمة وانتصب تصديق على أنه خبر كان مضمرّة وهو على حذف مضاف أي ذات تصديق

(الدر)

(ش) ويجوز أن يراد ولكن كان تصديقاً من رب العالمين وتفصيلاً منتهياً عنه في ذلك فيكون من رب العالمين متعلقاً بتصديق وتفصيل ويكون لا ريب فيه اعتراضاً كما تقول زيد لا شك فيه كريمة قوله فيكون من رب العالمين متعلقاً بتصديق وتفصيل انما يعني من جهة المعنى وأما من جهة الاعراب فلا يكون لا متعلقاً بأحدهما ويكون من باب الاعمال

الانكار وتقدم الكلام
على نظير هذه الآية في
البقرة ﴿بل كانوا يعلمون﴾
يحيطوا بعباده ﴿أي بل كانوا يعلمون﴾
بهذا القرآن العظيم المنبئ
بالغيوب الذي لم يتقدم لهم
به معرفة ولا أحاطوا بمعرفة
غيوبه وحسن نظمه ولا
جاءهم تفسير ذلك وبَيَانه
والكاف في موضع نصب
أي مثل ذلك التكذيب
﴿فانظر كيف كان﴾ كيف
في موضع نصب خبر كان
وانظر معلقة والجملة
الاستفهامية مع ما بعدها
في موضع نصب قال ابن
عطية وكيف تصرفات
تحمل محل المصدر الذي هو
كيفية ويحمل هذا الموضع
أن يكون منها ومن تصرفاتها
كقولهم كن كيف شئت
انتهى ليس كيف تحمل محل
المصدر ولا لفظ كيفية هو
مصدر إنما ذلك نسبة إلى
كيف وقوله يحتمل أن يكون
هنا الموضع منها ومن
تصرفاتها إلى آخره لا يحتمل
أن يكون منها لأنه لم يثبت
له هذا المعنى الذي ذكر
من كون كيف بمعنى كيفية
وإدعاء مصدر كيفية وأما كن
كيف شئت فكيف ليست
بمعنى كيفية إنما هي شرطية
وهو المعنى الثاني الذي لها

في البقرة في قوله ذلك الكتاب لا ريب فيه وجمع بين قوله وان كنتم في ريب مما نزلنا * أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين * لما نفي تعالى أن يكون القرآن مفترى بل جاء صدقاً لما بين يديه من الكتب وبياناً لما فيها ذكر أعظم دليل على انه من عند الله وهو الاعجاز الذي اشتمل عليه فأبطل بذلك دعواهم افتراه وتقدم الكلام على ذلك مشجعاً في البقرة في قوله وان كنتم في ريب الآية وأم متضمنة معني بل والهمزة على مذهب سيبويه أي بل يقولون اختلفوه والهمزة تقرير لا التزام الحجة عليهم أو انكار لقولهم واستبعاد وقالت فرقة أم هذه بمنزلة همزة الاستفهام * وقال أبو عبيدة أم بمعنى الواو وحجازه ويقولون افتراه * وقيل الميم صلة والتقدير يقولون * وقيل أم هي المعادلة للهمزة وحذفت الجمل قبلها والتقدير يقولون به أم يقولون افتراه وجعل الزحسري قل فأتوا جملة شرط محذوفة فقال قل ان كان الأمر كما تزعمون فأتوا أنتم على وجه الافتراء بسورة مثله فأنتم مثله في العربية والفصاحة واللمعية فأتوا بسورة مثله شبيهة به في البلاغة وحسن النظم انتهى والضمير في مثله عائدة على القرآن أي بسورة مماثلة للقرآن وتقدم الكلام لنا في ارفع به الاعجاز * وقرأ عمرو بن قنبل بسورة مثله على الاضافة أي بسورة كتاب أو كلام مثله أي مثل القرآن * وقال صاحب اللوامح هذا مما حذف الموصوف منه وأقيمت الصفه مقامه أي بصورة بشر مثله فالهاء في ذلك واقعة الى النبي صلى الله عليه وسلم وفي العامة الى القرآن وادعوا من استطعتم أن تدعوه من خلق الله الى الاستعانة على الاتيان بمثله من دون الله أي من غير الله لانه لا يقدر على أن يأتي بمثله أحد الا الله فلا تستعينوه وحده واستعينوا بكل من دونه ان كنتم صادقين في أنه افتراه * وقد تمسك المعتزلة بهذه الآية على خلق القرآن قالوا لانه تحدى به وطلب الاتيان بمثله وعجز واو لا يمكن هذا الا اذا كان الاتيان بمثله صحيح الوجود في الجملة ولو كان قديماً لكان الاتيان بمثله القديم محالاً في نفس الامر فوجب أن لا يصح التحدي به * وقال أبو عبد الله الرازي مراتب التحدي بالقرآن ست تحد بكل القرآن في قل لأن اجتمعت الآية وتحدي بعشر سور وتحدي بسورة واحدة وتحدي بحديث مثله في قوله فليأتوا بحديث مثله وفي هذه الاربعة طلب أن يعارض رجل يساوي الرسول في عدم التماثل والتعليم وتحدي بطلب منهم معارضة سورة واحدة من أي انسان كان تعلم العلوم أو لم يتعلمها وفي هذه المراتب الخمس تحدي كل واحد من الخلق وتحدي بطلب من المجموع واستعانة بعض بعض انتهى ملخصاً * بل كذبوا بالم تحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله كذلك كذب الذين من قبلهم فأنظر كيف كان عاقبة الظالمين * قال الزحسري بل كذبوا بل ساروا الى التكذيب بالقرآن وفاجأوه في بديهة السماع قبل أن يفهموه ويعادوا كنه أمره وقبل أن يتدبروه ويفقهوا وتأويله ومعانيه وذلك لفرط نفورهم عما يخالف دينهم وشرادهم عن مفارقة دين آبائهم * وقال ابن عطية هذا اللفظ يحتمل معنيين أحدهما أن يريدوا الوعيد الذي توعدهم الله على الكفر وتأويله على هذا يراد به ما يؤول اليه أمره كما هو في قوله هل ينظرون الا تأويله والآية محتملة على هذا التأويل يتضمن وعيداً والمعنى الثاني انه أراد بل كذبوا بهذا القرآن العظيم المبني بالغيوب الذي لم يتقدم لهم به معرفة ولا أحاطوا بمعرفة غيوبه وحسن نظم مدلول جاءهم تفسير ذلك وبيانه * وقال أبو عبد الله الرازي يحتمل وجوه الأول كلاً سمعوا شيئاً من القصص قالوا أساطير الاولين ولم يعرفوا أن المقصود منها ليس نفس الحكاية

وحوالہ مخدوم القادری کہ شہادت دینے کا عزم ہے یہی شہادت ہے اس شرط پر ہی لایعمل فیہ قم و الجواب مخدوم تقدیرہ

(الدر) (ع) فانظر كيف كان عاقبة الظالمين قال الزجاج كيف في موضع نصب على خبر كان لا يجوز أن يعمل فيه انظر لان ما قبل الاستفهام لا يعمل فيه هذا قانون النحويين لانهم عاملوا كيف في كل مكان معاملة الاستفهام المحض في قولك كيف زيد وكيف تصرفات غير هذا محل المصدر الذي هو كيفية وتخلع من معنى الاستفهام ويحتمل هذا الموضع أن يكون منها ومن تصرفاتها قولهم كن كيف شئت وانظر قول البخاري (١٥٩) كيف كان بدء الوحي فانه لم يستفهم انتهى (ح) قول الزجاج

لا يجوز أن يعمل فيه انظر وتعليقه يريد لا يجوز أن يعمل فيه انظر لفظا لكن الجملة في موضع نصب لانظر لانظر معلقة وهي من نظر القلب وقول (ع) هذا قانون النحويين الى آخر تعليقه ليس كما ذكر بل لكيف معنيان أحدهما الاستفهام المحض وهو سؤال عن الهيئته الا أن يعلق عنها العامل فعنها معنى الاسماء التي يستفهم بها اذا علق عنها العامل والشرط كقول العرب كيف تكون أو كون وقوله وكيف تصرفات الى آخره ليس كيف تحل محل المصدر ولا لفظ كيفية هو مصدر انما ذلك نسبة الى كيف وقوله ويحتمل أن يكون هذا الموضع منها ومن تصرفاتها قولهم كن كيف شئت لا يحتمل أن يكون منها لان لم يثبت لها المعنى الذي ذكر من كون كيف بمعنى كيفية

بل قدرته تعالى على التصرف في هذا العالم وتقلبه أهله من عز الى ذل ومن ذل الى عز وبغناء الدنيا فيعتبر بذلك وان ذلك القصص بوحى من الله اذا علم بذلك على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير تحريف مع كونه لم يتعلم ولم يتعلم * الثاني كلما سمعوا حروف التهجي ولم يفهموا منها شيئا ساء ظنهم وقد أجاب الله بقوله منه آيات بينات الآية * الثالث ظهور القرآن شيئا فشيئا فساء ظنهم وقالوا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة وقد أجاب تعالى وشرح في مكانه * الرابع القرآن مملوء من الحشر وكانوا ألقوا المحسوسات فاستبعدوا حصول الحياة بعد الموت فيبين الله حقيقة المعاد بالدلائل الكثيرة * الخامس أنه مملوء من الأمور بالعبادات وكانوا يقولون الله العالم غني عن طاعتنا وهو أجل أن يأمرنا بما لا فائدة له فيه * وأجاب تعالى بقوله ان أحسنتم أحسنتم الآية وبالجملة فشبّه الكفار كثيرة فلما رأوا القرآن مستقلا على أمور ما عرفوا حقيقة ما ولا اطلعوا على وجه الحكمة فيها كذبوا بالقرآن فقوله بما لم يحيطوا به من أسرار ما تضمنه القرآن انتهى ملخصا * وقال الزمخشري (فان قلت) ما معنى التوقع في قوله تعالى ولما يأتيهم تأويله (قلت) معناه انهم كذبوا به على البديهة قبل التدبر ومعرفة التأويل تقليد للآباء وكذبوه بعد التدبر تمردا وعنادا فندمهم بالتسرع الى التكذيب قبل العلم به وجاء بكامة التوقع ليمؤذن أنهم علموا بعد علوّ شأنه وعجازه لما كرر عليهم التحدي ورازقواهم في المعارضة واستيقنوا وعجزهم عن مثله فكذبوا به بغيا وحسدا انتهى ويحتاج كلامه هذا الى نظر وقال أيضا ويجوز أن يكون المعنى ولما يأتيهم تأويله ولم يأتيهم بعد تأويل ما فيه من الاخبار بالغيوب أي عاقبته حتى يتبين لهم أكذب هو أم صدق يعني انه كتاب معجز من جهتين من جهة اعجاز نظمه ومن جهة ما فيه من الاخبار بالغيوب فتسرعوا الى التكذيب به قبل أن ينظروا في نظمه وبلوغه حد الاعجاز وقبل أن يخبروا بالخبر بالغيوبات وصدقه وكذبه انتهى وبقيت جملة الاحاطة بجملة آيات التاويل بما هو محتاج في ذلك الى فرق دقيق والكاف في موضع نصب أي مثل ذلك التكذيب كذب الدين من قبلهم يعني قبل النظر في معجزات الأنبياء وقبل تدبرها من غير انصاف من أنفسهم ولكن قلنوا الآباء عاندوا * قال ابن عطية قال الزجاج كيف في موضع نصب على خبر كان لا يجوز أن يعمل فيه انظر لأن ما قبل الاستفهام لا يعمل فيه هذا قانون النحويين لانهم عاملوا كيف في كل مكان معاملة الاستفهام المحض في قولك كيف زيد وكيف تصرفات غير هذا محل المصدر الذي هو كيفية وتخلع من معنى الاستفهام ويحتمل هذا الموضع أن يكون منها ومن تصرفاتها قولهم كن كيف شئت وانظر قول البخاري كيف كان بدء الوحي فانه لم

وادعاء مصدرية كيفية وأما كن كيف شئت فكيف ليست بمعنى كيفية وانما هي شرطية وهو المعنى الثاني الذي لها وجوابها محذوف التقدير كن كيف شئت تكن كما تقول قم متى شئت فتى اسم شرط ظرف لا يعمل فيه قم والجواب محذوف تقديره متى شئت فقم وحذف الجواب لدلالة ما قبله عليه كقولهم اضرب زيدا ان أساء اليك التقدير ان أساء اليك فاضرب به وحذف فاضرب به لدلالة اضرب المتقدم عليه وأما قول البخاري كيف كان بدء الوحي فهو استفهام محض اما على سبيل الحكاية كان قائلا له كيف كان بدء الوحي واما أن يكون من قوله هو كائن سأل نفسه كيف كان بدء الوحي فاجاب بالحديث الذي فيه كيفية ذلك

متى شئت فقم * ومنهم من يؤمن به * الآية الظاهر أنه (١٦٠) اخبار بأن من كفر قر يش من سيؤمن به وهو

من سبقت له السعادة ومنهم من لا يؤمن به فيوافق على الكفر * وان كذبوك * أي وان تمادوا على تكذيبك فبئراً منهم قد أعذرت وبلغت كقولهم فان عصوا فقل اني برى ومعنى * لي عملي * أي لي جزاء عملي ولكم جزاء عملكم ومعنى على أي الصالح المشغل على الايمان والطاعة * ولكم عملكم * المشغل على الشرك والعصيان والظاهر أنها آية منابذة لهم وموادعة وفي هذا الوعيد * ومنهم من يستمعون * الآية قال ابن عباس نزلت الآياتان في النضر بن الحرث وغيره من المستهزئين وهذه الآية فيها تقسيم من لا يؤمن من الكفار الى قسمين بعد تقسيم المكذبين الى من يؤمن ومن لا يؤمن والضمير في يستمعون عائد على من والعود على المعنى دون العود على اللفظ في الكثرة وهو كقوله تعالى ومن الشياطين من يعصون له والمعنى من يستمعون اليك اذا قرأت القرآن وعلمت الشرائع ثم نفى جدوى ذلك الاستماع

بستقيم انتهى وقول الزجاج لا يجوز أن يعمل فيه انظر وتعليقه يريد لا يجوز أن تعمل فيه انظر لفظاً لكن الجملة في موضع نصب لا نظر معلقة وهي من نظر القلب وقول ابن عطية هذا قانون النحويين الى آخر تعليقه ليس كما ذكر بل وكيف معنيان أحدهما الاستفهام المحض وهو سؤال عن الهيئته الا أن تعلق عنها العامل فغناها معنى الاسماء التي يستفهم بها اذا علق عنها العامل والثاني الشرط لقول العرب كيف تكون أكون وقوله وكيف تصرفات الى آخره ليس كيف تحل محل المصدر ولا لفظ كيفية هو مصدر انما ذلك نسبة الى كيف وقوله ويحتمل أن يكون هذا الموضع منها ومن تصرفاتهم اقولهم كن كيف شئت لا يحتمل أن يكون منها لانه لم يثبت لها المعنى الذي ذكر من كون كيف بمعنى كيفية وادعاء مصدر كيفية وأما كن كيف شئت فكيف ليست بمعنى كيفية وانما هي شرطية وهو المعنى الثاني الذي لها وجوابها محذوف التقدير كيف شئت فكن كما تقول قم متى شئت فمضى اسم شرط ظرف لا يعمل فيه قم والجواب محذوف تقديره متى شئت فقم وحذف الجواب لدلالة ما قبله عليه كقولهم اضرب زيداً ان أساء اليك التقدير ان أساء اليك فاضر به وحذف فاضر به لدلالة اضرب المتقدم عليه وأما قول البخاري كيف كان بدء الوحي فهو استفهام محض إما على سبيل الحكاية كأن قائله سأله فقال كيف كان بدء الوحي فأجاب بالحديث الذي فيه كيفية ذلك والظالمين الظاهر أنه أراد به الذين من قبلهم ويحتمل أن يراد به من عاد عليه ضمير بل كذبوا * ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به وربك أعلم بالمفسدين * الظاهر أنه اخبار بأن من كفر قر يش من سيؤمن به وهو من سبقت له السعادة ومنهم من لا يؤمن به فيوافق على الكفر وقيل هو تقسيم في الكفار الباقيين على كفرهم فبعضهم من يؤمن به باطنا ويعلم أنه حق ولكنه كذب عناداً ومنهم من لا يؤمن به لا باطنا ولا ظاهراً ما السرعة تكذيبه وكونه لم يتدبره واما لكونه نظر فيه فعارضة الشبهاب وليس عنده من الفهم ما يدفعها وفيه تفریق كلمة الكفار وانهم ليسوا مستوين في اعتقادهم بل هم مضطربون وان شغلهم التكذيب والكفر * وقيل الضمير في ومنهم عائد على أهل الكتاب والظاهر عوده على من عاد عليه ضمير أم يقولون وتعلق العلم بالمفسدين وحمدهم تهديد عظيم لهم * وان كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون * أي وان تمادوا على تكذيبك فبئراً منهم قد أعذرت وبلغت كقولهم فان عصوا فقل اني برى مما تعملون ومعنى لي عملي أي جزاء عملي ولكم جزاء عملكم ومعنى عملي الصالح المشتمل على الايمان والطاعة ولكم عملكم المشغل على الشرك والعصيان والظاهر أنها آية منابذة لهم وموادعة وضربها الوعيد كقوله قل يا أيها الكافرون السورة * وقيل المقصود بذلك استمالهم وتأليف قلوبهم * وقال قوم منهم ابن زيد حتى منسوخة بالقتال لانها مكينة وهو قول مجاهد والسكبي ومقاتل * وقال المحققون ليست منسوخة وزيدوها اختصاص كل واحد بأفعاله وثمراتها من الثواب والعقاب ولم ترفع آية السيف شيئاً من هذا وبدأ في المأمور بقوله لي عملي لأن آية كدفي الانتفاء منهم وفي البراءة بقوله أنتم بريئون مما أعمل لان هذه الجملة جاءت كالتوكيد والتقييم لما قبلها فأناسب أن تلي قوله ولكم عملكم ولمراعاة الفواصل اذ لو تقدم ذكر براءة كما تقدم ذكر لي عملي لم تقع الجملة فاصلاً إذ كان يكون التركيب وأنتم بريئون مما أعمل * ومنهم من يستمعون اليك أفأنت تسمع الصم

بقوله * أفأنت تسمع الصم * أي هم وان اسمعوا اليك صم عن ادراك ما تسمعه اليهم ليس لهم وعي ولا قول ولا قبول ولا سيما وقد انضاف الى الصم انتفاء العقل فخر بمن عدم السمع والعقل أن لا يكون له ادراك لشيء البتة بخلاف أن لو كان الاصم عاقلاً فانه بعقله يمتد

الى أشياء وأعاد في قوله * ومنهم من ينظر اليك * الضمير مفردا مذكرا على لفظ من وهو الاكثر في لسان العرب قال ابن عطية جاء ينظر على لفظ من واذا جاء الفعل على لفظها فجاء أن يعطف عليه آخر على المعنى واذا جاء أولا على معناها فلا يجوز أن يعطف بآخر على اللفظ لان الكلام يلبس حينئذ انتهى ليس كما قال بل يجوز أن يراعى المعنى أولا فيعيد الضمير على حسب ما يريد من المعنى من تأنيث وتثنية وجمع ثم يراعى اللفظ فيعيد الضمير مفردا (١٦١) مذكرا وفي ذلك تفصيل ذكر في علم النحو

والمعنى أنهم عمى فلا تقدر على هدايتهم لان السبب الذي يهتدى به الى رؤية الدلائل قد فقدوه هذا وهم مع فقد البصر قد فقدوا البصيرة اذ من كان أعمى فانه يهديه نور بصيرته الى أشياء بالحدس وهذا قد جمع بين فقدان البصر والبصيرة وهذه مبالغة عظيمة في عدم قبول ما يلقى الى هؤلاء اذ جمعوا بين الصمم وانتفاء العقل وبين العمى وفقد البصيرة وفي قوله أفأنت تسليته صلى الله عليه وسلم وأن لا يكثر قبولهم فان الهداية انما هي لله تعالى ولما ذكر هؤلاء الاشقياء ذكر انه تعالى لا يظلمهم شيئا اذ قد أراح عليهم ببعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم وتحذيرهم من عقابه ولكنهم ظلموا أنفسهم بالكذب والكفر واحتمل هذا النفي للظلم أن يكون في الدنيا أي لا يظلمهم شيئا من

ولو كانوا لا يعقلون * ومنهم من ينظر اليك أفأنت تهدي العمى ولو كانوا لا يبصرون ان الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون * قال ابن عباس نزلت الآيتان في النضر بن الحرث وغيره من المستهزئين * وقال ابن الانباري في قوم من اليهود انتهت هذه الآية فيهم تقسيم من لا يؤمن من الكفار الى هذين القسمين بعد تقسيم المكذبين الى من يؤمن ومن لا يؤمن والضمير في يستمعون عائد على معنى من والعود على المعنى دون العود على اللفظ في الكثرة وهو كقوله ومن الشياطين من يغوضون له والمعنى من يستمعون اليك اذ قرأت القرآن وعلمت الشرائع ثم نفي جدوى ذلك الاستماع بقوله أفأنت تسمع الصم أي هم وان استمعوا اليك صم عن ادراك ما تلقى اليهم ليس لهم وعى ولا قبول ولا سيما قد انضاف الى الصمم انتفاء العقل فخر بمن عدم السمع والعقل أن لا يكون له ادراك لشيء البتة بخلاف أن لو كان الأصم عاقلا فانه بعقله يهتدى الى أشياء وأعاد في قوله ومنهم من ينظر اليك الضمير مفردا مذكرا على لفظ من وهو الاكثر في لسان العرب والمعنى أنهم عمى فلا تقدر على هدايتهم لان السبب الذي يهتدى به الى رؤية الدلائل قد فقدوه هذا وهم مع فقد البصر قد فقدوا البصيرة اذ من كان أعمى فانه يهديه نور بصيرته الى أشياء بالحدس وهذا قد جمع بين فقدان البصر والبصيرة وهذه مبالغة عظيمة في انتفاء قبول ما يلقى الى هؤلاء اذ جمعوا بين الصمم وانتفاء العقل وبين العمى وفقد البصيرة وقوله أفأنت تسليته للرسول صلى الله عليه وسلم وأن لا يكثر قبولهم فان الهداية انما هي لله * قال ابن عطية جاء ينظر على لفظ من واذا جاء الفعل على لفظها فجاء أن يعطف عليه آخر على المعنى واذا جاء أولا على معناها فلا يجوز أن يعطف عليه بآخر على اللفظ لان الكلام يلبس حينئذ انتهى وليس كما قال بل يجوز أن يراعى المعنى أولا فيعيد الضمير على حسب ما يريد من المعنى من تأنيث وتثنية وجمع ثم يراعى اللفظ فتعيد الضمير مفردا مذكرا وفي ذلك تفصيل ذكر في علم النحو والمقصود من الآيتين اعلامه عليه السلام بأن هؤلاء الكفار قد انتهوا في النفرة والعداوة والبغض الشديد في رتبة من لا ينفع فيه علاج البتة لأن من كان أصم أحمق وأعمى فاقد البصيرة لا يمكن ذلك أن يقف على محاسن الكلام وما انطوى عليه من الاعجاز ولا يمكن هذا أن يرى ما أجرى الله على يدي رسوله من الخوارق فقد أيس من هداية هؤلاء * وقال الشاعر

واذا خفيت على المعنى فعاذر * أن لا تراى مقله عمياء

ولما ذكر تعالى هؤلاء الاشقياء ذكر تعالى أنه لا يظلمهم شيئا اذ قد أراح عليهم ببعثه الرسول وتحذيرهم من عقابه ولكنهم ظلموا أنفسهم بالكفر والتكذيب واحتمل هذا النفي للظلم أن يكون في

(٢١ - تفسير البحر المحيط لابي حيان - خامس) مصالحهم واحتمل أن يكون في الآخرة وان ما يلحقهم من العقاب هو عدل منه لانهم هم الذين تسببوا فيه باكتساب ذنوبهم كما قدر

(الدر) (ع) جاء ينظر على لفظ من واذا جاء الفعل على لفظها فجاء أن يعطف عليه آخر على المعنى واذا جاء أولا على معناها فلا يجوز أن يعطف بآخر على اللفظ لان الكلام يلبس جدا (ح) ليس كما قال بل يجوز أن يراعى المعنى أولا فتعيد الضمير على حسب ما يريد من تأنيث وتثنية وجمع ثم يراعى اللفظ فتعيد الضمير مفردا مذكرا وفي ذلك تفصيل ذكر في علم النحو

تعالى عليهم لا يسأل عما يفعل ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ كَمَا لَمْ يَلْبِسُوا﴾ الآية جملة تشبيهية في موضع نصب من الضمير المنصوب في نحشرهم التقدير مشبهين بمن لم يلبس الساعة ويتعارفون حال ثانية ويجوز أن يكون استئناف اخبار وأجاز ابن عطية في كان لم يلبسوا صفة لمصدر محذوف تقديره حشرا كان لم يلبسوا وأن تكون الجملة التشبيهية في موضع صفة لقوله يوم انتهى أما قوله انه نعت لمصدر محذوف فيحتاج الى رابط فقدرة كان لم يلبسوا قبله ومثل هذا الربط لا يجوز حذفه وأما قوله ان الجملة في موضع الصفة ليوم نحشرهم فلا يجوز لان الجملة التشبيهية هي نكرة ويوم نحشرهم معرفة إذا التقدير ويوم نحشرهم ولا توصف المعرفة بالنكرة ﴿وَمَا كَانُوا مَهْتَدِينَ﴾ أخبر عنهم بخبرين أحدهما خسرانهم معللا بالكذب بقاء الله والثاني اخباره تعالى بانه تعالى هدايتهم

(الدر) (ع) ويوم ظرف ونصبه يصح (١٦٢) بفعل مضمر تقديره واذا كر ويصح أن ينتصب بالفعل الذي

الذي لا يظنه شيئا من مصالحهم واحتمل أن يكون في الآخرة وأن ما يلحقهم من العقاب هو عدل منه لأنهم هم الذين تسببوا في سببها كتب ذنوبهم كما قدر تعالى عليهم لا يسأل عما يفعل وتقدم خلاف القراء في ولكن الناس من تشديد النون ونصب الناس وتخفيفها ورفع ﴿ويوم نحشرهم﴾ كان لم يلبسوا الساعة من النهار يتعارفون بينهم فدخس الذين كذبوا بقاء الله وما كانوا مهتدين ﴿قرأ الأعمش وحفص نحشرهم بالياء راجعا الضمير غائباء على الله اذ تقدم ان الله لا يظلم الناس شيئا ولما ذكر أولئك الأشقياء أتبعه بالوعيد ووصف حالهم يوم القيامة والمعنى كان لم يلبسوا في الدنيا أو في القبور يعني فقليل لبسهم وذلك لهول ما يعاينون من شدائد القيامة أو لطول يوم القيامة ووقوفهم للحساب ﴿قال ابن عباس رأوا ان طول أعمارهم في مقابلة الخلود كساعة﴾ قال ابن عطية ويوم ظرف ونصبه يصح بفعل مضمر تقديره واذا كر ويصح أن ينتصب بالفعل الذي يتضمنه قوله كان لم يلبسوا الساعة من النهار ويصح نصبه يتعارفون والكاف من قوله كان يصح أن تكون في موضع الصفة لليوم ويصح أن تكون في موضع نعت للمصدر كأنه قال ويوم نحشرهم حشرا كان لم يلبسوا ويصح أن يكون قوله كان لم يلبسوا في موضع الحال من الضمير في نحشرهم انتهى (ح) أما قوله ويصح أن ينتصب بالفعل الذي يتضمنه قوله كان لم يلبسوا فإنه كلام لم يبين الفعل الذي يتضمنه كان لم يلبسوا ولعله أراد ما قاله الخوفي من أن الكاف في موضع نصب بما تضمنت من معنى الكلام وهو السرعة انتهى فيكون التقدير ويوم نحشرهم يسرعون كان لم يلبسوا وأما قوله والكاف من قوله كان يصح أن تكون في موضع الصفة لليوم فلا يصح لان يوم نحشرهم معرفة والجل نكرات ولا تنعت المعرفة بالنكرة لا يقال ان اجل الذي يضاف اليها أسماء الزمان نكرة على الإطلاق لأنها ان كانت في التقدير تنحل الى معرفة فان ما أضيف اليها يتعرف وان كانت تنحل الى نكرة كان ما أضيف اليها نكرة تقول مررت بالمعرفة وجئت ليلة قدم زيد المباركة علينا وأيضا فكان لم يلبسوا لا يمكن أن يكون صفة لليوم من

التقدير ويوم نحشرهم يسرعون كان لم يلبسوا وأما قوله والكاف من قوله كان يصح أن يكون في موضع الصفة لليوم فلا يصح لان يوم نحشرهم معرفة والجل نكرات ولا تنعت المعرفة بالنكرة لا يقال ان اجل التي يضاف اليها أسماء الزمان نكرة على الإطلاق لأنها ان كانت في التقدير تنحل الى معرفة فان ما أضيف اليها يتعرف وان كانت تنحل الى نكرة كان ما أضيف اليها نكرة تقول مررت في يوم قدم زيد الماضي فتصاف يوم بالمعرفة وجئت ليلة قدم زيد المباركة علينا وأيضا فكان لم يلبسوا لا يمكن أن يكون صفة ليوم من جهة المعنى لان ذلك من وصف المحشورين لا من وصف يوم نحشرهم وقد تكلف بعضهم تقدير محذوف يربط فقدرة كان لم يلبسوا قبله أي قبل اليوم وحذف مثل هذا الرابط لا يجوز فالظاهر انها جملة حالية من مفعول نحشرهم كما قال (ع) آخر وكذا أعربه (ش) وأبو البقاء وأما قول (ع) ويصح أن يكون في موضع نعت للمصدر كأنه قال ويوم نحشرهم حشرا كان لم يلبسوا فقد حكاه أبو البقاء فقال وقيل هو نعت اصدر محذوف أي حشرا أي كان لم يلبسوا قبله انتهى وقد ذكرنا ان حذف مثل هذا الرابط لا يجوز

﴿ وإيمانك ﴾ إمامي ان الشرطية زيد عليها ما قال ابن عطية ولا جملها جاز دخول النون الثقيلة وان كانت ان وحدها لم يجز انتهى يعني ان دخول النون للتأكيذا كما يكون مع زيادة (١٦٣) ما بعد ان وهذا الذي ذكره مخالف لظاهر كلام سيويه فان

سيويه أجاز أن تقول ان تقوم من أقم بغير زيادة ما بعد ان ومعنى هذه الآية الوعيد بالرجوع الى الله تعالى أي أريناك عقوبتهم أولم نركهفهم على كل حال راجعون اليانا الى الحساب والعذاب قال الزمخشري فالينا امر جمعهم جواب تنوفينك وجواب نرينك محذوف كأنه قيل واما نرينك بعض الذي نعدهم فذلك تنوفينك قبل ان نريكه فنحن نريك في الآخرة انتهى جعل الزمخشري الكلام شرطيا لها جوابان ولا حاجة الى تقدير جواب محذوف لان قوله فالينا مر جمعهم صالح أن يكون جوابا للشرط والمعطوف عليه وأيضا فقول الزمخشري فذلك هو اسم مفرد لا ينعقد منه جواب شرط فكان ينبغي أن يأتي بجملة يتضح بها جواب الشرط اذ لا يفهم من قوله فذلك الخبر الذي حذف المتصل به فائدة الاسناد ثم مع ذلك الله شهيد من أول تكليفهم على جميع أعمالهم فثم هنا

(الدر)

جهة المعنى لأن ذلك من وصف المحشورين لا من وصف يوم حشرهم وقد تكلف بعضهم تقدير محذوف ربط فقدره كان لم يلبثوا قبله فحذف قبله أي قبل اليوم وحذف مثل هذا الرابط لا يجوز فالظاهر أنها جملة حالية من مفعول نحشرهم كما قاله ابن عطية آخر وكذا أعرب به الزمخشري وأبو البقاء * قال الزمخشري (فان قلت) كان لم يلبثوا ويتعارفون كيف موقعهما (قلت) أما الأولى فقال منهم أي نحشرهم مشبهين بمن لم يلبث الساعة وأما الثانية فاما ان تتعلق بالظرف يعني فتكون حالا وإما أن تكون مبنية لقوله كان لم يلبثوا الساعة لأن التعارف يبقى مع طول العهد وينقلب تناكرا انتهى * وقال الحوفي يتعارفون فعل مستقبل في موضع الحال من الضمير في يلبثوا وهو العامل كأنه قال متعارفين المعنى اجتمعوا متعارفين ويجوز أن يكون حالا من الهاء والميم في نحشرهم وهو العامل انتهى وأما قول ابن عطية ويصح أن يكون في موضع نصب للمصدر كأنه قال ويوم نحشرهم حشرا كان لم يلبثوا فقد حكاه أبو البقاء فقال وقيل هو نعت لمصدر محذوف أي حشرا كان لم يلبثوا قبله انتهى وقد ذكرنا ان حذف مثل هذا الرابط لا يجوز وجوزوا في يتعارفون أن يكون حالا على ما تقدم ذكره من الخلاف في ذي الحال والعامل فيها وأن يكون جملة مستأنفة أخبر تعالى أنه يقع التعارف بينهم * وقال السكبي يعرف بعضهم بعضا كعرفتهم في الدنيا اذ اخر جوامن قبورهم وهو تعارف توبيخ وافتضاح بقول بعضهم لبعض أنت أضللتني وأغويتني وليس تعارف شفقة وعطف ثم تنقطع المعرفة اذا عاينوا أهوال القيامة كما قال تعالى ولا يسأل حسيم حبيبا بصرونهم * وقيل يعرف بعضهم بعضا ما كانوا عليه من الخطأ والكفر * وقال الضحاك تعارف تعاطف المؤمنين والكافرون لا انساب بينهم * وقيل القيامة مواطن ففي موطن يتعارفون وفي موطن لا يتعارفون والظاهر أن قوله قد خسر الذين الى آخر جملة مستأنفة أخبر تعالى بخسران المكذابين ببقائه * قال الزمخشري هو استئناف فيه معنى التعجب كأنه قيل ما أخسرهم * وقال أيضا وابتدأ به قد خسر على ارادة القول أي يتعارفون بينهم قائلين ذلك * قال ابن عطية وقيل انه اخبار المحشورين على جهة التوبيخ لانفسهم انتهى وهذا يحتمل أن يكون كقول الزمخشري يتعارفون بينهم قائلين ذلك وأن يكون كقول غيره نحشرهم قائلين قد خسر فاحتمل هذا المقدر أن يكون معمولا ليتعارفون وأن يكون معمولا لنحشرهم ونبهه على العلة الموجبة للخسران وهو التكذيب ببقاء الله وما كانوا مهتدين الظاهر أنه معطوف على قوله قد خسر فيكون من كلام المحشورين اذ قلنا ان قوله قد خسر من كلامهم أخبر واعن أنفسهم بخسرانهم في الآخرة وابتداء هدايتهم في الدنيا ويحتمل أن يكون معطوفا على صلة الذين أي كذبوا ببقاء الله وانتفت هدايتهم في الدنيا ويحتمل أن تكون الجملة كالتوكيد بجملة الصلة لأن من كذب ببقاء الله هو غير مهتد * وقيل وما كانوا مهتدين الى غاية مصالح التجارة * وقيل للإيمان * وقيل في علم الله بل هم ممن حتم ضلالهم وقضى به * وإمان نرينك بعض الذي نعدهم أو تنوفينك فالينا مر جمعهم ثم الله شهيد على ما يفعلون * إمامي ان الشرطية زيد عليها ما قال ابن عطية ولا جملها جاز دخول النون الثقيلة ولو كانت ان وحدها لم يجز انتهى يعني أن دخول النون للتأكيذا كما يكون

(ع) ولا جملها جاز دخول النون الثقيلة ولو كانت ان وحدها لم يجز انتهى (ح) يعني ان دخول النون للتأكيذا كما يكون مع زيادة ما بعد ان وهذا الذي ذكره مخالف لظاهر كلام (س) قال ابن خروف أجاز (س) الاتيان بما وان لا يؤثر بها والايان بالون مع ما وان لا يؤثر بها

لترتيب الأخبار لا لترتيب القصص في أنفسها ﴿ولكل أمة رسول﴾ الآية لما بين حال الرسول صلى الله عليه وسلم في قومه بين حال الأنبياء عليهم السلام مع أقوامهم تسليمة عليه (١٦٤) السلام وتطمينا لقلبه ﴿ويقولون متى﴾ الآية الضمير

في ويقولون عائد على مشركي قريش ومن تابعهم من منكري الحشر استعجلوا بما وعدوا به من العذاب على سبيل الاستبعاد أو على سبيل الاستخفاف ولذلك قالوا ان كنتم صادقين فيما وعدتم به فلا يقع شيء منه ﴿قل لا أملك لنفسي﴾ الآية لما اتمسوا تعجيل العذاب أو تعجيل الساعة أمره تعالى أن يقول لهم ليس ذلك إلى بل إلى الله تعالى وإذا كنت لأملك لنفسي نفعا ولا ضرا فكيف أملك لغيري وكيف أطلع على ما لم يطلعني عليه الله

(الدر)

(ش) فالينا مر جمعهم جواب نتوفينك وجواب نرينك محذوف كأنه قيل وأما نرينك بعض الذي نعدهم فذلك أو نتوفينك قبل أن نرينك فحن نرينك الآخرة انتهى (ح) جعل (ش) الكلام شرطين لهما جوابان ولا حاجة إلى تقدير جواب محذوف لأن قوله فالينا مر جمعهم صالح أن يكون جوابا

مع زيادة ما بعدان وهذا الذي ذكره مخالف لظاهر كلام سيويه * قال ابن خروف أجاز سيويه الاتيان بما وأن لا يوتي بها والاتيان بالنون مع ما وان لا يوتي بها والاراءة هنا بصرية ولذلك تعدى الفعل إلى اثنين والكافي خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم وبعض الذي نعدهم يعني من العذاب في الدنيا وقد أراء الله تعالى أنواعا من عذاب الكفار في الدنيا قتلا وأسرا ونهباً للاموال وسبياً للذراري وضرباً جزية وتشتيت شمل بالجللاء إلى غير بلادهم وما يحصل لهم في الآخرة أعظم لأنه العذاب الدائم الذي لا ينقطع والظاهر أن جواب الشرط هو قوله فالينا مر جمعهم وكذا قاله الحوفي وابن عطية * قال ابن عطية ومعنى هذه الآية الوعيد بالرجوع إلى الله تبارك وتعالى أي ان أريناك عقوبتهم أولم نر كهافهم على كل حال راجعون اليها إلى الحساب والعذاب ثم مع ذلك الله شهيد من أول تكليمهم على جميع أعمالهم فثم هاهنا لترتيب الأخبار لا لترتيب القصص في أنفسها * وقال الزمخشري فالينا مر جمعهم جواب نتوفينك وجواب نرينك محذوف كأنه قيل وأما نرينك بعض الذي نعدهم فذلك أو نتوفينك قبل أن نرينك فحن نرينك في الآخرة انتهى فجعل الزمخشري الكلام شرطين لهما جوابان ولا حاجة إلى تقدير جواب محذوف لأن قوله فالينا مر جمعهم صالح أن يكون جوابا للشرط والمعطوف عليه وأيضا فقول الزمخشري فذلك هو اسم مفرد لا ينعقد منه جواب شرط فكان ينبغي أن يأتي بجملة يتضح منها جواب الشرط إذ لا يفهم من قوله فذلك الجزء الذي حذف المتحصل به فائدة الاسناد * وقرأ ابن أبي عبيدة ثم الله بفتح الشاء أي هنالك ومعنى شهادة الله على ما يفعلون مقتضاها وتبعتها وهو العقاب كأنه قال ثم الله معاقبهم والافهوت تعالى شهيد على أفعالهم في الدنيا والآخرة ويجوز أن يكون المعنى أنه تعالى مؤيد شهادته على أفعالهم يوم القيامة حتى تنطق جلودهم وألسنتهم وأيديهم وأرجلهم شاهدة عليهم * ولكل أمة رسول فإذا جاء رسوله قضى بينهم بالقسط وهم لا يظلمون * لما بين حال الرسول صلى الله عليه وسلم في قومه بين حال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مع أقوامهم تسليمة له وتطمينا لقلبه ودلت الآية على أنه تعالى ما أهمل أمة بل بعث اليها رسولا كما قال تعالى وإن من أمة إلا خلا فيها نذير وقوله فإذا جاء رسوله إما أن يكون اخبارا عن حالة ماضية فيكون ذلك في الدنيا ويكون المعنى أنه بعث إلى كل أمة رسولا يدعوهم إلى دين الله وينبئهم على توحيده فاما جاءهم بالبينات كذبوه فقضى بينهم أي بين الرسول وأمته فأنجي الرسول وعذب المكذبون وأما أن يكون على حالة مستقبلية أي فإذا جاءهم رسوله يوم القيامة للشهادة عليهم قضى بينهم أي بين الأمتة بالعدل فصار قوم إلى الجنة وقوم إلى النار فهذا هو القضاء بينهم قاله مجاهد وغيره ويكون كقوله تعالى وجىء بالنبیین والشهداء وقضى بينهم * ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين * الضمير في ويقولون عائد على مشركي قريش ومن تابعهم من منكري الحشر استعجلوا بما وعدوا به من العذاب على سبيل الاستبعاد أو على سبيل الاستخفاف ولذلك قالوا ان كنتم صادقين أي لستم صادقين فيما وعدتم به فلا يقع شيء منه وقوله هذا يشهد بالقول الأول في الآية قبلها وانها حكاية حال ماضية وان معنى ذلك فإذا جاءهم الرسول وكذبوه قضى بينهم في الدنيا وان كل رسول وعد أمتة بالعذاب في الدنيا ان هي كذبت * قل لا أملك لنفسي ضرا ولا

للشرط والمعطوف عليه وأيضا فقول (ش) فذلك هو اسم مفرد لا ينعقد منه جواب شرط فكان ينبغي أن يأتي بجملة يتضح بها جواب الشرط إذ لا يفهم من قوله فذلك الجزء الذي حذف المتحصل به فائدة الاسناد

﴿ لكل أمة أجل ﴾ انفرد تعالى بعلمه وتقدم الكلام على كل أمة أجل في الأعراف ﴿ قل أرأيتم أن أنا كم ﴾ الآية تقدم الكلام عليها في الانعام وقرنا غناك أن العرب تضمن أرأيتم معنى أخبرني وانها تتعدى إذ ذاك الى مفعولين وان المفعول الثاني أكثر ما يكون جملة استفهام يستفهم ما قبلها مبتدأ وخبر تقول العرب أرأيتم زيدا ما صنع المعنى أخبرني عن زيد ما صنع وقبل دخول أرأيتم كان الكلام زيدا ما صنع وإذا تقر هذا فأرأيتم هذا المفعول الأول لها محذوف والمسألة من باب الأعمال تنازع أرأيتم وإن أنا كم على قوله عذابه فاعمل الثاني ادهو المختار على مذهب البصريين وهو الذي ورد به السماع أكثر من إعمال الأول فلما أعمل الثاني حذف من الأول ولم يضر لان ضميره مختص بالشعر أو قليل في الكلام على اختلاف النحويين في ذلك والمعنى قل لهم يا محمد أخبروني عن عذاب الله أن أنا كم أي شيء تستعجلون منه فليس شيء من العذاب يستعجله عاقل إذا العذاب كله من المذاق موجب لنفار الطبع منه فتكون جملة الاستفهام جاءت على سبيل التلطف بهم والتنبية لهم أن العذاب لا ينبغي أن يستعجل ويجوز أن تكون الجملة جاءت على سبيل التعجب والتهويل للعذاب أي أي شيء شديد تستعجلون منه أي ما أشد وأهول ما تستعجلون من العذاب وتقدم الكلام في قوله بيانا في الأعراف مدلولاً وأعرابوا انتصابه وما بعده على الظرف والمعنى أن أنا كم عذابه وأنتم ساهون غافلون إما بنوم وإما باشتغال بالعاش والكسب وهو نظير قوله بعمته لأن العذاب إذا فاجأ من غير شعور به كان أشد وأصعب بخلاف أن يكون قد استعدله وتهيء (١٦٥) لحلوله ويجوز في ما إذا أن تكون ما مبتدأ وذا خبره وهو

بمعنى الذي ويستعجل صفته وحذف الضمير العائد على الموصول التقدير أي شيء الذي يستعجله من العذاب المجرمون ويجوز في ما إذا أن يكون كنه مفعولا كأنه قيل أي شيء يستعجله من العذاب المجرمون قال

نفعا إلا ما شاء الله لكل أمة أجل إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ﴿ لما اتسوا تعجيل العذاب أو تعجيل الساعة أمره عليه السلام أن يقول لهم ليس ذلك إلى بل ذلك إلى الله تعالى وإذا كنت لأملك لنفسي نفعا ولا ضرا فكيف أملكه لغيري أو كيف أطلع على ما لم يطلعني عليه الله ولكن لكل أمة أجل انفرد بعلمه تعالى وتقدم الكلام على نظير قوله لكل أمة أجل إلى آخر الآية في الأعراف ﴿ وقرأ ابن سيرين آجالهم على الجمع والامشاء الله ظاهره أنه استثناء متصل إلا ما شاء الله أن أملكه وأقدر عليه ﴾ وقال الزمخشري هو استثناء منقطع أي ولكن ما شاء الله من ذلك كأن فكيف أملك لكم الضرر وجلب العذاب ولكل أمة أجل أي إن عذابكم له أجل مضر وب عند الله ﴿ قل أرأيتم أن أنا كم عذابه بيانا أو نهارا ما إذا يستعجل منه المجرمون أنتم

الزمخشري فإن قلت بم يتعلق الاستفهام وأين جواب الشرط قلت تعلق بأرأيتم لأن المعنى أخبروني ما إذا يستعجل منه المجرمون وجواب الشرط محذوف وهو يندموا على الاستعجال ويعرفوا الخطأ فيه انتهى وما قد رد الزمخشري غير سائغ لانه لا يقدر الجواب الاما تقدمه لفظا أو تقديره تقول أنت ظالم إن فعلت التقدير إن فعلت فأنت ظالم وكذلك وأنا إن شاء الله لم يتدون التقدير إن شاء الله هتد فالذي يسوغ أن يقدر أن أنا كم عذابه فأخبروني ما إذا يستعجل قال الزمخشري ويجوز أن يكون ما إذا يستعجل جوابا للشرط كقولك إن أتيتك ما إذا تطعمني ثم تعلق الجملة بأرأيتم وإن يكون أنتم إذا ما وقع أنتم به جواب الشرط وما إذا يستعجل منه المجرمون اعتراضا والمعنى أن أنا كم عذابه آمنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الإيمان انتهى أما تجوز أن يكون ماذا جوابا للشرط فلا يصح لأن جواب الشرط إذا كان استفهاما فلا بد فيه من الفاء تقول إن زارنا زيد فأرى رجلا هو وإن زارنا فلان فأرى يذله بذلك ولا يجوز حذفها إلا أن كان في ضرورة والمثال الذي ذكره وهو أن أتيتك ماذا أعني هو من قبله لا من كلام العرب وأما قوله تعلق الجملة بأرأيتم إن عني بالجملة ما إذا يستعجل فلا يصح ذلك لانه قد جعل جوابا للشرط وإن عني بالجملة جملة الشرط فقد فسر هو أرأيتم بمعنى أخبرني وأخبرني يطلب متعاقبا مفعولا ولا تقع جملة الشرط موقع مفعول أخبرني وأما تجوز أن يكون أنتم إذا ما وقع أنتم به جواب الشرط وما إذا يستعجل منه المجرمون اعتراضا فلا يصح أيضا لما ذكرناه من أن جملة الاستفهام لا تقع جوابا للشرط الا ومعها فاء الجواب وأيضا فم هنا وهي حرف عطف تعطف الجملة التي بعدها على ما قبلها بالجملة الاستفهامية معطوفة وإذا كانت معطوفة لم يصح أن تقع جواب شرط وأيضا أفأرأيتم بمعنى أخبرني يحتاج إلى مفعول ولا تقع جملة الشرط موقعه والظاهر عود الضمير في منه على العذاب وبه يحصل الربط بجملة الاستفهام بمفعول أرأيتم المحذوف الذي هو مبتدأ في الاصل وقيل يعود على الله تعالى والمجرمون هم المخاطبون في قوله أرأيتم أن أنا كم ونبه على الوصف الموجب لتلك الاستعجال وهو الاحرام لأن من حق

المجرم أن يخاف التعذيب على إجرامه و يهلك فرعاً من مجيئه وان أبطأ فكيف يستعجله و ثم حرف عطف وتقدمت همزة الاستفهام عليها كتقدمت على الواو والفاء في أفلم يسير وا وفي أولم يسير وا وتقدم الكلام على ذلك قال الطبري في قوله أثم بضم الثاء أن معناه أهناك قال وليست ثم هذه التي تأتي بمعنى العطف انتهى ومافاله من أن ثم ليست للعطف دعوى وأما قوله ان المعنى أهناك فالذي ينبغي أن يكون ذلك تفسير معنى لان ثم المضمومة الثاء معناه معنى هنالك و فاعل وقع ضديريع وود على العذاب وقرى آلان على الاستفهام بالمد وقرى بهمزة الاستفهام بغير مد وهو على اضمار القول أي قيل لهم اذا آمنوا بعد وقوع العذاب آلان آمنتم به فالنصب لقوله الآن هو آمنتم وهو محذوف ﴿وقد كنتم﴾ (١٦٦) جملة حالية لأن استعجالهم بالعذاب تكذيب لوقوعه

(الدر)

(ش) فان قلت بم يتعلق الاستفهام وأين جواب الشرط قلت يتعلق بأرأيت لان المعنى أخبروني ماذا يستعجل منه المجرمون وجواب الشرط محذوف وهو تدم على الاستعجال وتعرف الخطأ فيه (ح) وما قدره (ش) غير سائغ لانه لا يقدر الجواب الا ما تقدمه لفظاً أو تقديراً تقول أنت ظالم ان فعلت فالتقدير ان فعلت فانت ظالم وكذلك وانا ان شاء الله لم يندون التقدير ان شاء الله نهتدي فالذي يسوغ أن يقدر ان أنا كم عذابه فاخبروني ماذا يستعجل (ش) ويجوز أن يكون ماذا يستعجل منه المجرمون جواباً للشرط

اذا ما وقع آمنتم به آلان وقد كنتم به تستعجلون ﴿ تقدم الكلام في أرأيت في سورة الانعام وقررنا هنالك أن العرب تضمن أرأيت معنى أخبرني وأنها تعدى إذ ذاك الى مفعولين وان المفعول الثاني أكثر ما يكون جملة استفهام ينعقد منها مع ما قبلها مبتدأ وخبر كقول العرب أرأيت زيدا ما صنع المعنى أخبرني عن زيد ما صنع * وقبل دخول أرأيت كان الكلام زيد ما صنع واذا تقرر هذا فأرأيت هنا المفعول الأول لها محذوف والمسألة من باب الاعمال تنازع أرأيت وان أنا كم على قوله عذابه فاعمل الثاني إذ هو المختار على مذنب البصريين وهو الذي ورد به السماع أكثر من اعمال الأول فلما عمل الثاني حذف من الأول ولم يضر لأن اضماره مختص بالشعر أو قليل في الكلام على اختلاف النحويين في ذلك والمعنى قل لهم يا محمد أخبروني عن عذاب الله ان أنا كم أي شيء تستعجلون منه وليس شيء من العذاب يستعجله عاقل إذ العذاب كله مر المذاق موجب لنفار الطبع منه فتكون جملة الاستفهام جات على سبيل التلطف بهم والتنبية لهم أن العذاب لا ينبغي أن يستعجل ويجوز أن تكون الجملة جاءت على سبيل التعجب والنهي عن العذاب أي شيء شديد تستعجلون منه أي ما أشد وأهول ما تستعجلون من العذاب * وقال الحوفي الرؤية من رؤية القلب التي بمعنى العلم لأنها داخلية على الجملة من الاستفهام ومعناها التقرير وجواب الشرط محذوف وتقدير الكلام أرأيت ما تستعجل من العذاب المجرمون ان أنا كم عذابه انتهى فظاهر كلام الحوفي ان أرأيت باقية على موضوعها الأول لم تضمن معنى أخبروني وانها بمعنى أعانتم وان جملة الاستفهام سدت مسد المفعولين وانه استفهام معناه التقرير ولم يبين الحوفي ما يفيد جواب الشرط المحذوف * وقال الزمخشري (فان قلت) بم يتعلق الاستفهام وأين جواب الشرط (قلت) يتعلق بأرأيت لأن المعنى أخبروني ماذا يستعجل منه المجرمون وجواب الشرط محذوف وهو تندموا على الاستعجال وتعرفوا الخطأ فيه انتهى وما قدره الزمخشري غير سائغ لأنه لا يقدر الجواب الا ما تقدمه لفظاً أو تقديراً تقول أنت ظالم ان فعلت فالتقدير ان فعلت فانت ظالم وكذلك وانا ان شاء الله لم يندون

كقولك ان أتيتك ماداً مني ثم تتعلق الجملة بأرأيت وأن يكون أثم اذا ما وقع آمنتم به جواب الشرط وماذا يستعجل منه المجرمون اعتراضاً والمعنى ان أنا كم عذابه آمنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الايمان (ح) أما تجوز أن يكون ماذا جواب الشرط فلا يصح لان جواب الشرط اذا كان استفهاماً فلا بد فيه من الفاء تقول ان زارنا زيد فأى رجل هو وان زارنا فلان فأى يدله بذلك ولا يجوز حذفها الآن كان في ضرورة والمثال الذي ذكره (ش) وهو ان أتيتك ماذا تطعمني هو من تمثيله لامن كلام العرب وأما قوله ثم تتعلق الجملة بأرأيت ان عني بالجملة ماذا يستعجل فلا يصح ذلك لانه قد جعلها جواباً للشرط وان عني بالجملة جملة الشرط فقد فسد هو أرأيت بمعنى أخبرني وأخبرني يطلب متعلقاً بمفعولاً ولا تقع جملة الشرط مفعولاً أخبرني وأما تجوز أن يكون أثم اذا ما وقع آمنتم به جواب الشرط وماذا يستعجل منه المجرمون اعتراضاً فلا يصح أيضاً للماد كره من ان جملة الاستفهام لا تقع جواباً الا ومعها فاء الجواب وإضافته هنا وهي حرف عطف تعطف الجملة التي بعدها على ما قبلها فالجملة الاستفهامية معطوفة واذا كانت معطوفة لم يصح أن تقع جواباً للشرط وإيضاً فأرأيت بمعنى أخبرني يحتاج الى مفعول ولا تقع جملة الشرط موقعه

التقدير ان شاء الله نهته فالذي يسوغ ان يقدر ان اتاكم عذابه فاخبروني ماذا يستعجل * وقال
 الزمخشري ويجوز ان يكون ماذا يستعجل منه المجرمون اعتراضا والمعنى ان اتاكم عذابه اأمنتكم به
 بعد وقوعه حين لا ينفعكم الايمان انتهى أما تجوز ان يكون ماذا جوابا للشرط فلا يصح لأن جواب
 الشرط اذا كان استفهاما فلا بد فيه من الفاء تقول ان زارنا فلان فأى رجل هو وان زارنا فلان فأى
 يدله بذلك ولا يجوز حذفها الا ان كان في ضرورة والمثال الذي ذكره وهو ان أتيتك ماذا تطعمني
 هو من تمثيله لا من كلام العرب وأما قوله ثم تتعلق الجملة بأرأيتم ان عني بالجملة ماذا يستعجل فلا يصح
 ذلك لأنه قد جعل جوابا للشرط وان عني بالجملة جملة الشرط فقد فسر هو أرأيتم بمعنى أخبرني
 وأخبرني تطلب متعلقا مفعولا ولا تقع جملة الشرط موقع مفعول أخبرني وأما تجوز ان يكون أثم
 اذا ما وقع أمنتكم به جواب الشرط وماذا يستعجل منه المجرمون اعتراضا فلا يصح أيضا لما ذكرناه من
 أن جملة الاستفهام لا تقع جوابا للشرط الا ومعها فاء الجواب وأيضا فثم هنا وهي حرف عطف تعطف
 الجملة التي بعدها على ما قبلها فالجملة الاستفهامية معطوفة واذا كانت معطوفة لم يصح أن تقع جواب
 شرط وأيضا فأرأيتم بمعنى أخبرني تحتاج الى مفعول ولا تقع جملة الشرط موقعه وتقدم الكلام في
 قوله يياتا في الاعراف مدلولوا واعرابا والمعنى ان اتاكم عذابه وأنتم ساهون غافلون إيمانهم وإما
 بأشغال بالمعاش والكسب وهو نظير قوله بغتة لأن العذاب اذا فاجأ من غير شعور به كان أشد
 وأصعب بخلاف ان يكون قد استعدله ونهيء لحلوله وهذا كقوله تعالى يياتواهم نائمون خفي وهم
 يلعبون ويجوز في ماذا ان يكون مابتدأ وذا خبره وهو بمعنى الذي ويستعجل صلته وحذف
 الضمير العائد على الموصول التقدير أي شيء يستعجله من العذاب المجرمون ويجوز في ماذا
 ان يكون كنه مفعولا كأنه قيل أي شيء يستعجله من العذاب المجرمون وقد جوز بعضهم أن يكون
 ماذا كنه مبتدأ وخبره الجملة بعده وضعفه أبو علي خلوا الجملة من ضمير يعود على المبتدأ والظاهر
 عود الضمير في منه على العذاب وبه يحصل الربط الجملة الاستفهام بمفعول أرأيتم المحذوف الذي هو
 مبتدأ في الاصل * وقيل يعود على الله تعالى والمجرمون هم المخاطبون في قوله أرأيتم ان اتاكم ونبه
 على الوصف الموجب لترك الاستعجال وهو الاجرام لأن من حق المجرم أن يخاف التعذيب على
 اجرامه ويهلك فرعا من مجيئه وان أبطأ فكيف يستعجله وثم حرف عطف وتقدمت همزة
 الاستفهام عليها كما تقدمت على الواو والفاء في أفلم يسير واو في أولم يسير واو وتقدم الكلام
 على ذلك وخلاف الزمخشري للجماعة في دعواه ان بين الهمزة وحرف العطف جملة محذوفة
 عطفت عليها الجملة التي بعد حرف العطف وقال الطبري في قوله أثم بضم الثاء أن معناه أهنا لك قال
 وليست ثم هذه التي تأتي بمعنى العطف انتهى وما قاله الطبري من أن ثم هنا ليست للعطف دعوى
 وأما قوله ان المعنى أهنا لك فالذي ينبغي أن يكون ذلك تفسير معنى لأن ثم المضمومة الثاء معناها
 معنى هنالك * وقرأ طلحة بن مصرف أثم بفتح الثاء وهذا يناسبه تفسير الطبري أهنا لك * وقرأ
 الجمهور آ لأن على الاستفهام بالمدوكذا آ لأن وقد عصيت * وقرأ طلحة والاعرج بهمزة الاستفهام
 بغير مدو وهو على اضمار القول أي قيل لهم اذا آمنوا بعد وقوع العذاب آ لأن أمنتكم به فالنائب
 لقوله آ لأن هو أمنتكم به وهو محذوف * قيل تقول لهم ذلك الملائكة * وقيل الله والاستفهام
 على طريق التوبيخ وفي كتاب اللوامع عيسى البصري وطلحة أمنتكم به آ لأن بوصل الهمزة من
 غير استفهام بل على الخبر فيكون نصبه على الظرف من أمنتكم به المذكور وأما في العامة فنصبه

(الدر)

(ح) قال الطبري في
 قوله أثم بضم الثاء أن
 معناه أهنا لك قال وليست
 ثم هذه التي تأتي بمعنى
 العطف انتهى وما قاله
 الطبري من أن ثم هنا
 ليست للعطف دعوى
 وأما قوله ان المعنى أهنا لك
 فالذي ينبغي أن يكون
 ذلك تفسير معنى لأن ثم
 المضمومة الثاء معناها
 معنى هنالك

ثم قيل للذين ظاهروا * أى يقول لهم خزنة جهنم هذا الكلام والظلم ظلم الكفر ثم قيل هذا من عطف الجمل وهو استئناف
 اخبار عما يقال لهم يوم القيامة * ويستنبئونك * أى يستخبرونك وأصلها أن تتعدى الى واحد بنفسها والى الآخر بحرف الجر
 تقول استنبأت زيدا عن عمرو أى طلبت منه أن يخبرنى عن عمرو فاستعمل هنا للطلب والمفعول الاول كاف الخطاب والمفعول الثانى
 الجملة من قوله أحق هو على سبيل التعليق وحق يجوز أن يكون خبرا مقدما وهو مبتدأ ويجوز أن يكون مبتدأ وهو الخبر
 قال ابن عطية وقيل هى بمعنى يستعمونك قال فى (١٦٨) على هذا تحتاج الى مفاعيل ثلاثة أحدها الكاف والابتداء والخبر

سد مسد المفعولين انتهى
 ليس كاذ كر لان استعمل
 لا يحفظ كونها متعدية الى
 مفاعيل ثلاثة لا يحفظ
 استعمات زيدا عمرا قائما
 فيكون جملة الاستفهام
 سد مسد المفعولين ولا
 يلزم من كونها بمعنى
 يستعمونك أن تتعدى الى
 ثلاثة لأن استعمل لا يتعدى الى
 ثلاثة كاذ كرناه والضمير
 فى هو عائدا على العذاب
 * قل إى وربى * أمره
 تعالى أن يقول لهم مجيبا إى
 وربى وإى هى من حروف
 الجواب بمعنى نعم ولا
 تستعمل الا مع القسم
 وجواب القسم * أنه لحق *
 قال الزمخشري وسمعتهم
 يقولون فى التصديق إى
 ويصلونه بواو القسم ولا
 ينطقون به وحده انتهى
 لا حجة فيما سمعه الزمخشري
 من ذلك لعدم الحجة فى
 كلامه لفساد كلام العرب
 اذ ذلك وقبله بازمان كثيرة
 * بمعجزين * أى فائتين

بفعل مضمر يدل عليه آمنتم به المذكور لان الاستفهام قد أخذ صدر الكلام فمنع ما قبله أن
 يعمل فيما بعده انتهى وقد كنتم جملة حالية * قال الزمخشري وقد كنتم به تستمعجلون يعنى تكذبون
 لان استعجالكم كان على جهة التأكيد والانكار * وقال ابن عطية تستعجلون مكذبين به
 * ثم قيل للذين ظاهروا ذوقوا عذاب الخلد هل تجزون الابدان كنتم تكسبون * أى تقول
 لهم خزنة جهنم هذا الكلام والظلم ظلم الكفر لا ظلم المعصية لان من دخل النار من عصاة المؤمنين
 لا يجاد فيها وكم قيل عطف على المضمر قبل الآن ومن قرأ أبوصل ألف الآن فهو استئناف اخبار عما
 يقال لهم يوم القيامة وهل تجزون توبيع لهم وتوضيح أن الجزاء هو على كسب العبد * ويستنبئونك
 أحق هو قل إى وربى إنه لحق وما أنتم بمعجزين * أى يستخبرونك وأحق هو والضمير عائدا على
 العذاب * وقيل على الشرع والقرآن * وقيل على الوعيد * وقيل على أمر الساعة والجملة فى
 موضع نصب فقالت الزمخشري يقولون أحق هو فجعل يستنبئونك تتعدى الى واحد * وقال ابن
 عطية معناه يستخبرونك وهى على هذا تتعدى الى مفعولين أحدهما الكاف والآخر فى الابتداء
 والخبر فعلى ما قال يكون يستنبئونك معلقة وأصل استنبأ أن يتعدى الى مفعولين أحدهما
 بمن تقول استنبأت زيدا عن عمرو أى طلبت منه أن ينبئنى عن عمرو والظاهر انها معلقة عن
 المفعول الثانى * قال ابن عطية وقيل هى بمعنى يستعمونك قال فى على هذا تحتاج الى مفاعيل
 ثلاثة أحدها الكاف والابتداء والخبر سد مسد المفعولين انتهى وليس كاذ كر لان استعمل لا يحفظ
 كونها متعدية الى مفاعيل ثلاثة لا يحفظ استعمات زيدا عمرا قائما فتكون جملة الاستفهام
 سد مسد المفعولين ولا يلزم من كونها بمعنى يستعمونك أن تتعدى الى ثلاثة لان استعمل لا يتعدى
 الى ثلاثة كاذ كرنا وارتفع هو على أنه مبتدأ وحق خبره وأجاز الخوفى وأبو البقاء أن يكون
 حق مبتدأ وهو فاعل به سد مسد الخبر وحق ليس اسم فاعل ولا مفعول وانما هو مصدر فى الأصل
 ولا يبعد أن يرفع لانه بمعنى ثابت وهذا الاستفهام منهم على جهة الاستهزاء والانكار * وقرأ
 الأعشى الحق * قال الزمخشري وهو أذ دخل فى الاستهزاء لتضمنه معنى التعريض بانه باطل وذلك
 أن اللام للجنس فكأنه قيل أهو الحق لا الباطل أو أهو الذى سميتوه الحق انتهى وأمر تعالى نبيه
 أن يقول مجيبا لهم قل إى وربى أى نعم وربى وإى تستعمل فى القسم خاصة كما تستعمل هل بمعنى قد
 فيه خاصة قال معناه الزمخشري قال وسمعتهم يقولون فى التصديق إى وفيصلونه بواو القسم ولا
 ينطقون به وحده انتهى ولا حجة فيما سمعه الزمخشري من ذلك لعدم الحجة فى كلامه لفساد كلام

(الدر) (ع) وقيل هى بمعنى يستعمونك قال فى على هذا تحتاج الى مفاعيل ثلاثة أحدها الكاف والابتداء والخبر سد
 مسد المفعولين انتهى (ح) ليس كاذ كر لان استعمل لا يحفظ كونها متعدية الى مفاعيل ثلاثة لا يحفظ استعمات زيدا عمرا
 قائما فتكون جملة الاستفهام سد مسد المفعولين ولا يلزم من كونها بمعنى يستعمونك أن تتعدى الى ثلاثة لان استعمل
 لا يتعدى الى ثلاثة كاذ كرنا (ش) وسمعتهم يقولون فى التصديق إى وفيصلونه بواو القسم ولا ينطقون به وحده (ح) لا حجة
 فيما سمعه (ش) من ذلك لعدم الحجة فى كلامه لفساد كلام العرب اذ ذلك وقبله بازمان كثيرة

العرب اذ ذاك وقبله بازمان كثيرة * وقال ابن عطية هي لفظة تتقدم القسم وهي بمعنى نعم وبحي
بعدها حرف القسم وقد لا يحيى، تقول أي ربي أي ربي انتهى وقد كان يكتفي في الجواب بقوله أي
وربي إلا أنه أكد باظهار الجملة التي كانت تضمن بعد قوله أي وربي مسوقة مؤكدة بان واللام مبالغة
في التوكيد في الجواب ولما تضمن قولهم أحق هـ والسؤال عن العذاب وكان سؤالاً عن العذاب
اللاحق بهم لا عن مطلق عذاب يقع بمن يقع قيل وما أنتم بمعجزين أي فائتين العذاب المسؤول عنه
بل هو لاحق بكم واحتملت هذه الجملة أن تكون داخلية في جواب القسم فتكون معطوفة على
الجواب قبلها واحتمل أن تكون أخباراً معطوفة على الجملة المقولة لا على جواب القسم وأعجز
الهمزة فيه للتعدي كما قال ولن نعجزه هـ بالكنه كثر فيه حذف المفعول حتى قالت العرب أعجز فلان
اذا ذهب في الأرض فلم يقدر عليه * وقال الزجاج أي ما أنتم ممن يعجز من يعذبكم * ولو أن لكل
نفس ظلمت ما في الأرض لافتدت به وأسر والندامة ما رآه العذاب وقضى بينهم بالقسط وهم لا
يظلمون * ولما ذكر العذاب وأقسم على حقيقته وانهم لا يفلتون منه ذكر بعض أحوال الظالمين
في الآخرة وظلمت صفة لنفس والظلم هنا الشرك والكفر وافتدى يأتي مطاوعاً لفدى فلا يتعدى
تقول فديته فافتدى وبمعنى فدى فيتعدى وهنا يحتمل الوجهين وما في الأرض أي ما كان لها في
الدنيا من الخزائن والاموال والمنافع وأسر وامن الاضداد تأتي بمعنى أظهر قال الفرزدق
ولما رأى الحجاج جرد سيفه * أسر الحروري الذي كان أظهر

﴿ وقال آخر ﴾

فأسررت الندامة يوم نادى * برد جمال غاضرة المنادى

وتأتي بمعنى أخفى وهو المشهور فيها كقوله يعلم ما يسرون وما يعلنون ويحتمل هنا الوجهين اما
الاظهار فانه ليس بيوم تصبر ولا تجلد ولا يقدر فيه الكافر على كتمان ما ناله ولان حاله رؤية العذاب
يتحسر الانسان على اقترافه ما أوجبه ويظهر الندامة على ما فاتته من الفوز ومن الخلاص من العذاب
وقد قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا واما اخفاء الندامة فقليل أخفى رؤسائهم الندامة من سفلتهم
حياء منهم وخوفاً من توبيخهم وهذا فيه بعد لان من عاب العذاب هو مشغول بما يقاسمه منه فكيف
له فكر في الحياء وفي التوبيخ الوارد من السفلة وأيضاً وأسر واعاد على كل نفس ظلمت على المعنى
وهو عام في الرؤساء والسفلة * وقيل اخفاء الندامة هو من كونهم بهتوا لرؤيتهم ما لم يتسبوه
ولا خطر بهالهم ومعانيتهم ما أوهى قواهم فلم يطبقوا عند ذلك بكاء ولا صراخاً ولا ما يفعله الجازع
سوى اسرار الندم والحسرة في القلوب كما يعرض لمن يقدم للصلب لا يكاد ينبس بكامة ويبقى
مبهوتاً جامداً وأما من قال ان معنى قوله وأسروا الندامة أخلصوا لله في تلك الندامة أو بدن بالندامة
أسرة وجوههم أي تكسير جباههم ففيه بعد عن سياق الآية والظاهر أن قوله وقضى بينهم بالقسط
جملة أخبار مستأنفة وليست معطوفة على ما في حينها لأن الضمير في بينهم عائد على كل نفس ظلمت
* وقال الزجاج شري بين الظالمين والمظلومين دل على ذلك ذكر الظلم انتهى * وقيل يعود على
المؤمن والكافر * وقيل على الرؤساء والأتباع * ألا ان الله ما في السموات والأرض إلا ان وعد
الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون هو يحيى ويميت واليه ترجعون * قيل تعلق هذه الآية بما قبلها
من جهة انه فرض ان النفس الظالمة لو كان لها ما في الأرض لافتدت به وهي لا شيء لها البتة لان
جميع الأشياء انما هي بأسرها ملك لله تعالى وهو المتصرف فيها اذله الملك والمالك ويظهر أن مناسبتها

﴿ ولو أن لكل نفس ظلمت ﴾ الآية ذكر بعض أحوال الظالمين في الآخرة وظلمت صفة لنفس والظلم هنا الشرك والكفر وافتدى يأتي مطاوعاً لفدى فلا يتعدى فافتدى وبمعنى فدى فيتعدى وهنا يحتمل الوجهين وما في الأرض أي ما كان لها في الدنيا من الخزائن والاموال والمنافع وأسر وامن الاضداد تأتي بمعنى أظهر قال الفرزدق ولما رأى الحجاج جرد سيفه * أسر الحروري الذي كان أظهر

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ ﴾
 الآية الخطاب بيا أيها الناس
 عام * ومناسبتها لما قبلها أنه
 تعالى لما ذكر الأدلة على
 الألوهية والوحدانية
 والقدرة ذكر الدلائل
 الدالة على صحة النبوة
 والطريق المؤدى إليها
 وهو القرآن والمتصف
 بهذه الأوصاف الشريفة
 هو القرآن ﴿ قل بفضل
 الله وبرحمته ﴾ فضل الله
 الإسلام والرحمة القرآن
 قال ابن عباس وقيل غير
 ذلك والظاهر أن قوله قل
 بفضل الله وبرحمته
 فبذلك فليفرحوا جملتان
 وحذف ما يتعلق به الباء
 والتقدير قل بفضل الله
 وبرحمته ليفرحوا
 ثم عطفت الجملة الثانية
 على الأولى على سبيل
 التوكيد قال الزمخشري
 والتكرير للتأكيد
 وإيجاب اختصاص الفضل
 والرحمة بالفرح دون
 ما عداهما من فوائد الدنيا
 فحذف أحد الفعلين للدلالة
 المذكور عليه والفاء
 داخلية لمعنى الشرط كأنه
 قيل ان فرحوا بشئ
 فليخسروا بالفرح فانه
 لا مفرح به أحق منهما
 ويجوز أن يراد بفضل

لما قبلها أنه لما سألوهم عما وعدوا به من العذاب أحق هو وأجيبوا بأنه حق لا محالة وكان ذلك جواباً
 كافياً لمن وفقه الله تعالى للإيمان كما كان جواباً للعرابي حين سأل الرسول صلى الله عليه وسلم الله
 أرسلك قوله عليه السلام له اللهم نعم ففنع منه بأخباره صلى الله عليه وسلم إذ علم أنه لا يقول إلا الحق
 والصدق كما قال هرقل لم يكن ليدع الكذب ويكذب على الله انتقل من هذا الجواب إلى ذكر
 البرهان القاطع على حجة تقريره بأن القول بالنبوة والمعاد يتفرعان على اثبات الإله القادر
 الحكيم وإن ما سواد فهو ملكه وملكه فعبر عن هذا بهذه الآية وكان قد استقصى الدلائل على ذلك
 في هذه السورة في قوله إن في اختلاف الليل والنهار الآية وقوله هو الذي جعل الشمس ضياء
 فأكتفى هنا عن ذكرها وإذا كان جميع ما في العالم ملكه وملكه كان قادراً على كل الممكنات
 عالماً بكل المعلومات غنياً عن جميع الحاجات منزهاً عن النقائص والآفات وبكونه قادراً على
 الممكنات كان قادراً على انزال العذاب على الكفار في الدنيا والآخرة وقادر على تأييد رسوله
 بالدلائل واعلاء دينه فبطل الاستهزاء والتعجيز وبتنزيهه عن النقائص كان منزهاً عن الخلف
 والكذب فثبت أن قوله إلا أن الله ما في السموات والأرض مقدمة توجب الجزم بصحة قوله إلا أن
 وعد الله حق وألا كلمة تنبيه دخلت على الجملتين تنبيهاً للغافل إذ كانوا مشغولين بالنظر إلى الأسباب
 الظاهرة من نسبة أشياء إلى أنها مملوكة لمن جعل له بعض تصرف فيها واستخلاف ولذلك قال تعالى
 ولكن أكثرهم لا يعلمون يعني لغفلتهم عن هذه الدلائل ثم أتبع ذلك بكسر قدرته على الأحياء
 والاماتة فيجب أن يكون قادراً على إحيائهم مرة ثانية ولذلك قال واليه ترجعون فترون ما وعد به
 * وقرأ الحسن بخلاف عنه وعيسى ابن عمر يرجعون بالياء على الغيبة * وقرأ الجمهور بالتاء على
 الخطاب ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ ﴾ موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين *
 قيل نزلت في قريش الذين سألوهم الرسول صلى الله عليه وسلم أحق هو قالوا نعم كفار قريش
 * وقال ابن عطية هو خطاب لجميع العالم * ومناسبة هذه الآية لما قبلها أنه تعالى لما ذكر الأدلة على
 الألوهية والوحدانية والقدرة ذكر الدلائل الدالة على صحة النبوة والطريق المؤدى إليها وهو
 القرآن والمتصف بهذه الأوصاف الشريفة هو القرآن * قال الزمخشري أي قد جاءكم كتاب جامع
 لهذه الفوائد من موعظة وتنبيه على التوحيد هو شفاء أي دواء لما في صدوركم من العقائد الفاسدة
 ودعاء إلى الحق ورحمة لمن آمن بدينكم انتهى ومن ربكم يحتمل أن يتعلق بجاءكم فمن لا بداء الغاية
 ويحتمل أن يكون في موضع الصفة أي من مواعظ ربكم فتتعلق بمحذوف من التبعية وفي قوله من
 ربكم تنبيه على أنه من عند الله ليس من عند أحد قال ابن عطية وجعله موعظة بحسب الناس أجمع
 وجعله هدى ورحمة بحسب المؤمنين وهذا تقسيم صحيح المعنى إذا تقرر بأن وجهه انتهى * وذكر
 أبو عبد الله الرازي هنا كلاماً كثيراً من وجوب ما يسمى بحكمة نعلم قطعاً أن العرب لا تفهم ذلك الذي
 قرره من ألفاظ القرآن وطول في ذلك وضرب أمثلة حسية يوقف عليها من تفسيره ثم قال آخر
 كلامه فالخاصل أن الموعظة إشارة إلى تطهير ظواهر الخلق عما لا ينبغي وهو الشريرة والشفاء إشارة
 إلى تطهير الأرواح عن العقائد الفاسدة والأخلاق الذميمة وهو الطريقة والهدى إشارة إلى ظهور
 نور الحق في قلوب الصديقين وهو الحقيقة والرحمة إشارة إلى كونها بالعفة في الكمال والاشراق إلى
 حيث تصير تكمل الناقصين وهي النبوة فهذه درجات عقلية ومراتب برهانية مدلول عليها بهذه
 الألفاظ القرآنية لا يمكن تأخر ما تقدم ذكره ولا تقدم ما تأخر ذكره ﴿ قل بفضل الله وبرحمته ﴾

الله و برحمته فليعتنوا
فبذلك فليفرحوا و يجوز
أن يراد قد جاء تكلم موعظة
بفضل الله و برحمته فبذلك
أي فبمجيئها فليفرحوا
انتهى أما اضمار فليعتنوا
فلا دليل عليه و أما تعليقه
بقوله قد جاء تكلم فينبغي
أن يقدر ذلك محذوفا بعد
قل ولا يكون متعلقا
بجاء تكلم الأولى للفصل
بينهما بقل

(الدر)

(ش) والتكرير للتقرير
والتأكيد ويجاب
اختصاص الفضل والرحمة
بالفرح دون ما عداهما
من فوائد الدنيا فحذف
أحد الفعلين لدلالة المذكور
عليه والفاء داخله بمعنى
الشرط كأنه قيل ان
فرحوا بشئ فليخصوهما
بالفرح فانه لا مفروح به
أحق منهما و يجوز أن يراد
بفضل الله و برحمته فليعتنوا
فبذلك فليفرحوا و يجوز
أن يراد قد جاء تكلم موعظة
بفضل الله و برحمته فبذلك
أي فبمجيئها فليفرحوا
انتهى (ح) أما اضمار
فليعتنوا فلا دليل عليه و أما
تعليقه بقوله قد جاء تكلم
موعظة فينبغي أن يقدر
ذلك محذوفا بعد قل ولا
يكون متعلقا بجاء تكلم
الأولى للفصل بينهما بقل

فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون * قال الزمخشري عن أبي بن كعب أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قرأ قل بفضل الله و برحمته فقال بكتاب الله و الاسلام فضله و برحمته ما وعد عليه
انتهى ولو صح هذا الحديث لم يمكن خلافه * قال ابن عباس و الحسن وقتادة و هلال بن يساف فضل
الله و الاسلام و رحمته القرآن * وقال الضمك و زيد بن أسلم عكس هذا * وقال أبو سعيد الخدري
الفضل القرآن و الرحمة ان جعلهم من أهله * وقال ابن عباس فيما روى الضمك عنه الفضل العلم
و الرحمة محمد صلى الله عليه وسلم * وقال ابن عمر الفضل الاسلام و الرحمة تزينة في القلوب * وقال
مجاهد الفضل و الرحمة القرآن و اختاره الزجاج * وقال خالد بن معدان الفضل القرآن و الرحمة السنة
وعنه أيضا ان الفضل الاسلام و الرحمة السر * وقال عمرو بن عثمان فضل الله كشف الغطاء و رحمته
الرؤية و اللقاء * وقال الحسين بن فضل الفضل الايمان و الرحمة الجنة * وقيل الفضل التوفيق
و الرحمة العصمة * وقيل الفضل نعمه الظاهرة و الرحمة نعمه الباطنة * وقال الصادق الفضل المغفرة
و الرحمة التوفيق * وقال ذوالنون الفضل الجنان و رحمته النجاة من النيران و هذه تخصيصات تحتاج
الى دلائل و ينبغي أن يعتقد أنها أمثلة لأن الفضل و الرحمة أريد بهما تعين ما ذكر و حصرهما فيه
* وقال ابن عطية و إنما الذي يقتضيه اللفظ و يلزم منه ان الفضل هو هداية الله الى دينه و التوفيق الى
اتباع الشرع و الرحمة هي عفوه و سكنى جنته التي جعلها جزاء على اتباع الاسلام و الايمان و معنى الآية
قل يا محمد لجميع الناس بفضل الله و برحمته فليقع الفرح منكم لا بأمر الدنيا و ما يجمع من حطامها
فالؤمنون يقال لهم فليفرحوا و هم ملتبسون بعله الفرح و سببه و مخلصون لفضل الله منتظرون
لرحمته و الكافرون يقال لهم بفضل الله و برحمته فليفرحوا على معنى أن لو اتفق لكم أولو سعدتم
بالهداية الى تحصيل ذلك انتهى و الظاهر أن قوله قل بفضل الله و برحمته فبذلك فليفرحوا جملتان
و حذف ما يتعلق به الباء و التقدير قل بفضل الله و برحمته ليعرف حوائج عطف الجملة الثانية على الأولى
على سبيل التوكيد * قال الزمخشري و التكرير للتقرير و التأكيد ويجاب اختصاص الفضل
و الرحمة بالفرح دون ما عداهما من فوائد الدنيا فحذف أحد الفعلين لدلالة المذكور عليه و الفاء
داخله بمعنى الشرط كأنه قيل ان فرحوا بشئ فليخصوهما بالفرح فانه لا مفروح به أحق منهما
و يجوز أن يراد بفضل الله و برحمته فليعتنوا بذلك فليفرحوا و يجوز أن يراد قد جاء تكلم موعظة
بفضل الله و برحمته فبذلك أي فبمجيئها فليفرحوا انتهى أما اضمار فليعتنوا فلا دليل عليه و أما
تعليقه بقوله قد جاء تكلم فينبغي أن يقدر ذلك محذوفا بعد قل ولا يكون متعلقا بجاء تكلم الأولى للفصل
بينهما بقل * وقال الحوفي الباء متعلقة بما دل على المعنى أي قد جاء تكلم الموعظة بفضل الله * وقيل
الفاء الأولى زائدة و يكون بذلك بدلا مما قبله و أشير به الى الاثنين الفضل و الرحمة * وقيل كررت
الفاء الثانية للتوكيد فعلى هذا لا تكون الأولى زائدة و يكون أصل التركيب فبذلك فليفرحوا و في
القول قبله يكون أصل التركيب بذلك فليفرحوا و لا تنافي بين الأمر بالفرح هنا و بين النهي عنه في
قوله لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين لا اختلاف المتعلق فالأمر به هنا الفرح بفضل الله و برحمته
و المنهى هناك الفرح بجمع الأموال لرئاسة الدنيا و ارادة العلو بها و الفساد و الاشر و لذلك جاء بعده
و ابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة و لا تنس نصيبك من الدنيا و قبله ان قارون كان من قوم موسى فينبغي
عليهم و قوله لفرح فخور جاء ذلك على سبيل الذم لفرحه بأذاقة النعماء بعد الضراء و بأسه و كفرانه
للعناء اذا تزعت منه و هذه صفة مذمومة و ليس ذلك من أفعال الآخرة و قول من قال انه اذا أطلق

﴿ قل أرأيتم ﴾ الآية
 مناسبتها لما قبلها انه لما
 ذكر تعالى قل يأيتها
 الناس قد جاءكم موعظة
 وكان المراد بذلك كتاب
 الله المشتعل على التحليل
 والتحریم بين فساد شرائعهم
 وأحكامهم من الحلال
 والحرام من غير مستند
 في ذلك الى الوحي وأرأيتم
 هنا بمعنى أخبروني وتقدم
 انها تتعدى لمفعولين
 فالاول هنا ما من قوله
 ما أنزل وهي موصولة
 وصلتها أنزل والضمير
 محذوف تقديره أنزله ومن
 رزق تبين لما انهم من
 لفظ ما وجعلهم معطوف
 على أنزل والمفعول الثاني
 محذوف تقديره آله الله أذن
 لكم وهي جملة استفهام
 دل على حذفها قوله بعد
 أمر الله تعالى له بقل آله
 أذن لكم وأم الظاهر انها
 متصلة والمعنى أخبروني
 لله أذن لكم في التحليل
 والتحریم فانتم تفعلون
 ذلك بأذنه أم تكذبون على الله في نسبة ذلك اليه فنبه
 بتوقيفهم على أحد
 القسمين وهم لا يمكنهم
 ادعاء إذن الله في ذلك
 فثبت افتراؤهم

الفرح كان مذموماً واذا قيل يمكن مذموماً كما قال فرحين بما آتاهم الله من فضله ليس بمطرد إذ جاء
 مقيداً في الذم في قوله تعالى حتى اذا فرحوا بما آتوا أخذناهم بغتة وانما يمدح الفرح ويذم بحسب
 متعلقه فاذا كان نبيل ثواب الآخرة واعمال البر كان محموداً واذا كان نبيل لذات الدنيا وحطامها
 كان مذموماً * وقرأ عثمان بن عفان وأبي وأنس والحسن وأبو رجاء وابن هرمز وابن سيرين
 وأبو جعفر المدني والسامعي وقتادة والجحدري وهلال بن يساف والاعمش وعمرو بن قائد والعباس
 ابن الفضل الانصاري فلتفرحوا بالتناء على الخطاب ورويت عن النبي صلى الله عليه وسلم * قال
 صاحب اللوامح وقال وقد جاء عن يعقوب كذلك انتهى * وقال ابن عطية وقرأ أبي وابن
 القعقاع وابن عامر والحسن على ما زعم هارون ورويت عن النبي صلى الله عليه وسلم فلتفرحوا
 وتجمعون بالتناء فيهما على المخاطبة وهي قراءة جماعة من السلف كثيرة وعن أكثرهم خلاف انتهى
 والجمهور بالياء على أمر الغائب وما نقله ابن عطية أن ابن عامر قرأ فلتفرحوا بالتناء ليس هو
 المشهور عنه انما قرأته في مشهور السبعة بالياء أمر الغائب لكنه قرأ تجمعون بالتناء على الخطاب
 وباقي السبعة بالتناء على الخطاب وفي مصحف أبي فبذلك فافرحوا وهذه هي اللغة الكثيرة الشهيرة
 في أمر المخاطب وأما فليفرحوا بالياء فهي لغة قليلة وفي الحديث لتأخذوا مضافكم * وقرأ أبو التياح
 والحسن فليفرحوا بكسر اللام ويدل على أن ذلك أشير به الى واحد عود الضمير عليه موحداً في
 قوله هو خير مما يجمعون فالذي ينبغي أن قوله تعالى بفضل الله وبرحمته على انهم اثنى واحد خبر عنه
 بادئين على سبيل التأكيد ولذلك أشير اليه بذلك وعاد الضمير عليه مفرداً وقوله مما يجمعون يعني
 من حطام الدنيا ومتاعها * ﴿ قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراماً وحلالاً قل آله
 أذن لكم أم على الله تفترون ﴾ مناسبة هذه الآية لما قبلها هي أنه لما ذكر تعالى يأيتها الناس قد
 جاءكم موعظة من ربكم وكان المراد بذلك كتاب الله المشتعل على التحليل والتحریم بين فساد
 شرائعهم وأحكامهم من الحلال والحرام من غير مستند في ذلك الى وحي وأرأيتم هنا بمعنى أخبروني
 وجوزوا في ما أنزل أن تكون موصولة مفعولاً أولاً لأرأيتم والعائد عليها محذوف والمفعول الثاني
 قوله آله الله أذن لكم والعائد على المبتدأ من الخبر محذوف تقديره آله الله أذن لكم فيه وكرر قل قبل الخبر
 على سبيل التوكيد وأن تكون ما استفهامية منصوبة بأنزل قاله الخوفي والزحشرى * وقيل
 ما استفهامية مبتدأ والخبر محذوف تقديره آله الله أذن لكم فيه أو به وهذا ضعيف لحذف
 هذا العائد وجعل ما موصولة هو الوجه لأن فيه ابقاء أرأيتم على بابها من كونها تتعدى الى الأول
 فتؤثر فيه بخلاف جعلها استفهامية فان أرأيتم اذا ذاك تكون معلقة ويكون ما قد سد مسد
 المفعولين والظاهر أن أم متصلة والمعنى أخبروني آله الله أذن لكم في التحليل والتحریم فانتم تفعلون
 ذلك بأذنه أم تكذبون على الله في نسبة ذلك اليه فنبه بتوقيفهم على أحد القسمين وهم لا يمكنهم ادعاء
 إذن الله في ذلك فثبت افتراؤهم * وقال الزحشرى ويجوز أن تكون الهمزة لانكاراً وأم منقطعة
 بمعنى بلى أنفثرون على الله تقرير الافتراء انتهى وأنزل هنا قيل معناه خلق كقوله وأنزلنا الحديد
 وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج * وقيل أنزل على بابها وهو على حذف مضاف أى من سبب رزق
 وهو المطر * وقال ابن عطية أنزل لفظة فيها تجوزوا أنزال الرزق إما أن يكون في ضمن أنزال المطر
 بالمال ونزول الأمر به الذي هو ظهور الأثر في المخلوق منه المخترع والمجموع حراماً وحلالاً * قال مجاهد
 هو ما حكموا به من تحریم البعيرة والسائبة والوصيلة والحام * وقال الضحاك هو إشارة الى قوله

﴿وما ظن الذين يفترون﴾ الآية ما استفهامية مبتدأة خبرها ظن والمعنى أى شئ ظن المفتريين يوم القيامة أبهم الأمر على سبيل التهديد والايعاد يوم يكون الجزاء بالاحسان والاساءة ويوم منصوب بظن ومفعول الظن قيل تقديره ما ظنهم ان الله فاعل بهم أينجهم أم يعذبهم ﴿وماتكون في شأن﴾ الآية مناسبة لما قبلها انه تعالى لما ذكر جملة من أحوال الكفار ومذاهبهم والرد عليهم ومحاوله الرسول لهم ذكر فضله تعالى على الناس وان أكثرهم لا يشكروه على فضله وذكر اطلاعه تعالى على أحوالهم وحال الرسول معهم في مجاهدته لهم وتلاوة القرآن عليهم وانه تعالى عالم بجميع أعمالهم واستطرد من ذلك الى ذكر أولياء الله ليظهر التفاوت بين الفريقين فريق الشيطان وفريق الرحمن والخطاب في قوله و ماتكون في شأن وماتلاو الرسول وهو عام لجمع شئ وانه صلى الله عليه وسلم ﴿وماتلاوا﴾ مندرج تحت عموم شأن واندرج من حيث المعنى في الخطاب كل ذى شأن وما في الجملة نافية والضمير في منه عائده على شأن ﴿من قرآن﴾ تفسير للضمير وخص من العموم لان القرآن هو أعظم شئونه صلى الله عليه وسلم والخطاب في قوله ﴿ولا تعملون﴾ عام وكذا ﴿الا كنا عليكم﴾ (١٧٣) شهودا ﴿وولى الاهنا الفعل غير مصحوب بقوله لانه قد تقدم

إلا فعل والجملة بعد الاحال وشهودا رقباء نحصى عليكم واذا معموله لقوله شهودا ولما كانت الأفعال السابقة المراد بها الحالة الدائمة وينسحب على الأفعال الماضية كان الظرف ماضيا وكان المعنى وما كنت في شأن وماتلاوت من قرآن ولا علمتم من عمل الا كنا عليكم شهودا اذا أفضتم فيه واذا تخلص المضارع لمعنى الماضى ثم واجهه تعالى بالخطاب وحده في قوله ﴿وما يعزب عن ربك﴾ تشرىفاله وتعظيما ولما ذكر الله تعالى شهادته

وجعلوا الله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا ﴿وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة ان الله لذو فضل على الناس ولكن أكثرهم لا يشكرون﴾ ما استفهامية مبتدأة خبرها ظن والمعنى أى شئ ظن المفتريين يوم القيامة أبهم الأمر على سبيل التهديد والايعاد يوم يكون الجزاء بالاحسان والاساءة ويوم منصوب بظن ومفعول الظن قيل تقديره ما ظنهم ان الله فاعل بهم أينجهم أم يعذبهم ﴿وقرأ عيسى بن عمر وما ظن جعله فعلا ماضيا أى أى ظن ظن الذين يفترون فإني موضع نصب على المصدر وما الاستفهامية قد تنوب عن المصدر تقول ما تضرب زيد اتر يد أى ضرب تضرب زيدا ﴿وقال الشاعر﴾ اذا غير ابنتي ربيع عويلهما ﴿لا يرقدان ولا يؤسى لمن رقدنا وجىء بلفظ ظن ماضيا لانه كائن لا محالة فكأن قد كان والاولى أن يكون ظن في معنى يظن لكونه عاملا في يوم القيامة وهو ظرف مستقبل وفضله تعالى على الناس حيث أنعم عليهم ورحمهم فأرسل اليهم الرسل وفصل لهم الحلال والحرام وأكثرهم لا يشكروه هذه النعمة ﴿وماتكون في شأن وماتلاوا منه من قرآن ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا اذ تقيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا في كتاب مبين﴾ مناسبة هذه الآية لما قبلها انه تعالى لما ذكر جملة من أحوال الكفار ومذاهبهم والرد عليهم ومحاوله الرسول صلى الله عليه وسلم لهم وذكر فضله تعالى على الناس وان أكثرهم لا يشكروه على فضله وذكر اطلاعه تعالى على أحوالهم وحال الرسول معهم في مجاهدته لهم وتلاوة القرآن عليهم وأنه تعالى عالم بجميع أعمالهم واستطرد من ذلك الى ذكر أولياء الله تعالى ليظهر التفاوت بين الفريقين

على أعمال الخلق ناسب تقديم الأرض التي هي محل المخاطبين على السماء بخلاف ما في سورة سبأ وان كان الاكثر تقديمها على الأرض وقرى يعزب بكسر الزاى وكذا في سبأ والمثقال اسم لاصفة ومعناه هنا وزن ذرة والذر صغار الخمل ولما كانت الذرة أصغر الحيوان المتناسل المشهور النوع عندنا جعلها الله مثالا لقل الأشياء وأحقرها إذ هي أحقر ما يشاهد ثم قال ﴿ولا أصغر من ذلك﴾ أى من مثقال ذرة ولما ذكر انه لا يعزب عن علمه أدق الأشياء التي يشاهدها ناسب تقديم ولا أصغر من ذلك ثم أتى بقوله ولا أكبر على سبيل احاطة علمه بجميع الأشياء ومعلوم ان من علم أدق الأشياء وأخفها كان علمه متعلقا بالأكبر الأشياء وأظهر ما وقرى برفع الراء فيها ووجه على انه عطف على موضع مثقال لان من زائدة فهو مرفوع ببعزب وقال النحشى نابعا لاختيار الزجاج والوجه نصب على اني الجنس والرفع على الابتداء يكون كلاما مبتدأ وفي العطف على مثل مثقال ذرة أولفظة فتسا في موضع الجر اشكال لان قوله لا يعزب عنه شئ الا في كتاب مشكل انتهى وانما أشكل عنده لان التقدير يصير الا في كتاب فيعزب وهذا كلام لا يصح وخرجه أبو البقاء على انه استثناء منقطع تقديره لكن هو في كتاب مبين وبزول هذا التقدير الاشكال

فريق الشيطان وفريق الرحمن والخطاب في قوله تعالى وماتكون في شأن وماتلوا الرسول صلى الله عليه وسلم وهو عام بجميع شؤونه عليه السلام وماتلوا مندرج تحت عموم شأن واندرج من حيث المعنى في الخطاب كل ذي شأن وما في الجملتين نافية والضمير في منه عائد على شأن ومن قرآن تفسير للضمير وخص من العموم لأن القرآن هو أعظم شؤونه عليه السلام * وقيل يعود على التنزيل وفسر بالقرآن لأن كل جزء منه قرآن وأضر قبل الذكركر على سبيل التفخيم له * وقيل يعود على الله تعالى أي وماتلوا من عند الله من قرآن والخطاب في قوله ولا تعملون عام وكذا لا كنا عليكم شهودا وولى الالهنا الفعل غير مصحوب بقوله لا نه قد تقدم الافعل والجملة بعد الاحال وشهودا رقباء نحصى عليكم واذمعمولة لقوله شهودا ولما كانت الأفعال السابقة المراد بها الحالة الدائمة وتنسحب على الأفعال الماضية كان الطرف ماضيا وكان المعنى وما كنت في شأن وماتلوت من قرآن ولا علمتم من عمل الا كنا عليكم شهودا اذا فتنتم فيه واذ تخلص المضارع لمعنى الماضى ولما كان قوله الا كنا عليكم شهودا فيه تحذير وتنبية عدل عن خطابه صلى الله عليه وسلم الى خطاب أمته بقوله ولا تعملون من عمل وان كان الله شهيدا على أعمال الخلق كلهم وتفيضون تخوضون أو تنشرون أو تدفعون أو تنهضون أو تأخذون أو تنقلون أو تكامون أو تسعون أقوال متقاربة ثم واجهه تعالى بالخطاب وحده في قوله وما يعزب عن ربك تشریفاله وتعظيما ولما ذكر شهادته تعالى على أعمال الخلق ناسب تقديم الأرض الذي هي محل المخاطبين على السماء بخلاف ما في سورة سبأ وان كان الاكثر تقديمها على الأرض * وقرأ ابن وثاب والأعمش وابن مصرف والكسائي يعزب بكسر الزاي وكذا في سبأ والمثقال اسم لصفة ومعناه هنا وزن ذرة والذر صغار النمل ولما كانت الذرة أصغر الحيوان المتناسل المشهور النوع عندنا جعلها الله مثلا للأقل الأشياء وأحقرها اذهى أحقر ما نشاهد ثم قال ولا أصغر من ذلك أي من مثقال ذرة ولما ذكر تعالى أنه لا يغيب عن عامه أدق الأشياء التي نشاهدها ناسب تقديم ولا أصغر من ذلك ثم أتى بقوله ولا أكبر على سبيل احاطة عامه بجميع الأشياء ومعالم أن من علم أدق الأشياء وأخفها كان عامه متعلقا بأكثر الأشياء وأظهرها * وقرأ الجمهور ولا أصغر من ذلك ولا أكبر بفتح الراء فيهما ووجه على أنه عطف على ذرة أو على مثقال على اللفظ * وقرأ حمزة وحده برفع الراء فيهما ووجه على أنه عطف على موضع مثقال لأن من زائدة فهو مرفوع يعزب هكذا ووجهه الخوفي وابن عطية وأبو البقاء * وقال الزمخشري نابعالاختيار الزاج والوجه النصب على نفي الجنس والرفع على الابتداء يكون كلاما مبتدأ وفي العطف على محل مثقال ذرة أولفظه فتعاني موضع الجر اشكال لأن قولك لا يعزب عنه شيء الا في كتاب مشكل انتهى وانما أشكل عنده لأن التقدير يصير الا في كتاب فيعزب وهذا كلام لا يصح وخرجه أبو البقاء على أنه استثناء منقطع تقديره لكن هو في كتاب ويشول بهذا التقدير الاشكال * وقال أبو عبد الله الرازي أجاب بعض المحققين من وجهين أحدهما أن الاستثناء منقطع والآخر أن العزوب عبارة عن مطلق البعد والمخالفات قسم أوجده الله ابتداء من غير واسطة كاللائكة والسموات والأرض وقسم أوجده بواسطة القسم الأول مثل الحوادث الحادثة في عالم الكون والفساد وهذا قد يتبادر في سلسلة العلية والمماثلة عن مرتبة وجود واجب الوجود فالمعنى لا يبعد عن مرتبة وجوده مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء الا وهو في كتاب مبين كتبه الله وأثبت صور تلك المعلومات فيها انتهى وفيه بعض تلخيص * وقال الجرجاني صاحب النظم

(الدر)

(ش) والوجه النصب على نفي الجنس والرفع على الابتداء يكون كلاما ممتدا وفي العطف على محل مثقال ذرة أولفظه فتعاني موضع الخبر اشكال لأن قولك لا يعزب عنه شيء الا في كتاب مشكل انتهى (ح) وانما أشكل عنده لأن التقدير يصير الا في كتاب فيعزب وهذا كلام لا يصح وخرجه أبو البقاء على أنه استثناء منقطع تقديره لكن هو في كتاب ويشول بهذا التقدير الاشكال

﴿الان أولياء الله لا خوف عليهم﴾ الآية أولياء الله هم الذين يتولونه (١٧٥) بالطاعة ويتولاهم بالكرامة وعن سعيد بن جبير ان

رسول الله صلى الله عليه وسلم

سئل عن أولياء الله فقال هم الذين يذكرون الله برؤيتهم يعني السمعت والهيئة وهذه الآية يدل ظاهرها على ان من آمن واتيقي فهو داخل في أولياء الله هذا هو الذي تقتضيه الشريعة في الولي وانما نهينا هذا التنبيه حذرا من مذهب الصوفية وبعض الملحدين في الولي وبشرهم في الحياة الدنيا تطاهرت الروايات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انها الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو ترى له وبشرهم في الآخرة تلقى الملائكة اياهم مسامين مبشرين بالفوز والكرامة وما يرون من بياض وجوههم واعطاء الصحف بإيمانهم وما يقرؤون منها وغير ذلك من البشارات لا تبديل لكلمات الله ﴿أي لا تغيير لأقواله ولا خلف في مواعيده كقوله تعالى ما يبدل القول لدى

(الدر)

(ع) وهذه الآية يعطى

ظاهرها أن من آمن واتيقي فهو داخل في أولياء الله وهذا هو الذي تقتضيه الشريعة وانما نهينا هذا

الابغنى الواوأي وهو في كتاب مبين والعرب تضع الاموضع واوالنسق كقوله الامن ظلم الا الذين ظلموا منهم انتهى وهذا قول ضعيف لم يثبت من لسان العرب وضع الاموضع الواو وتقدم الكلام على قوله الا الذين ظلموا منهم وسيأتى على قوله الامن ظلم ان شاء الله تعالى ﴿الان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم﴾ أولياء الله هم الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة وقد فسر ذلك في قوله الذين آمنوا وكانوا يتقون * وعن سعيد بن جبير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن أولياء الله فقال هم الذين يذكرون الله برؤيتهم يعني السمعت والهيئة * وعن ابن عباس الاخبار والسكينة وقيل هم المتحابون في الله * قال ابن عطية وهذه الآية يعطى ظاهرها أن من آمن واتيقي فهو داخل في أولياء الله وهذا هو الذي تقتضيه الشريعة في الولي وانما نهينا هذا التنبيه حذرا من مذهب الصوفية وبعض الملحدين في الولي انتهى وانما قال حذرا من مذهب الصوفية لان بعضهم نقل عنه ان الولي أفضل من النبي وهذا لا يكاد يخطر في قلب مسلم ولا بن العربي الطائي كلام في الولي وفي غيره نعوذ بالله منه * وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من عباد الله عباد امامهم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء بمكانهم من الله قالوا يا رسول الله ومن هم قال قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام ولا أموال يتعاطونها فوالله ان وجوههم لتنور وانهم لعلى منابر من نور لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس ثم قرأ ﴿الان أولياء الله الآية وتقدم تفسير لا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين يحتمل أن يكون منهم و باعلى الصفة قاله الزمخشري أو على البديل تالله بن عطية أو باضمار أمدح ومر فوعا على اضمارهم أو على الابتداء والخبر لهم البشرى وأجاز الكوفيون رفعه على موضع أولياء نعمت أو بدلا وأجيز فيه الخبر بدلا من ضمير عليهم وفي قوله وكانوا يتقون اشعار بمصاحبتهم للمتقوى مدة حياتهم فالحلم في المستقبل كالحلم في الماضي وبشرهم في الحياة الدنيا تطاهرت الروايات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انها الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو ترى له فسر هذا بذلك وقد سئل * وعنه في صحيح مسلم لم يبق من المبشرات الا الرؤيا الصالحة * وقال قتادة والضحاك هي ما يبشر به المؤمن عند موته وهو حي عند المعينة * وقيل هي محبة الناس له والذكر الحسن * وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل يعمل العمل لله ويحبه الناس فقال تلك عاجل بشرى المؤمن * وعن عطاء لهم البشرى عند الموت تأتيهم الملائكة بالرحمة قال تعالى تنزل عليهم الملائكة الآية قال ابن عطية ويصح أن تكون بشرى الدنيا في القرآن من الآيات المبشرات ويقوى ذلك قوله في هذه الآية لا تبديل لكلمات الله وان كان ذلك كله يعارضه قول النبي صلى الله عليه وسلم هي الرؤيا الان قلنا ان النبي صلى الله عليه وسلم أعطى مثالا من البشرى وهي نعم جميع البشر وبشرهم في الآخرة تلقى الملائكة اياهم مسامين مبشرين بالنور والكرامة وما يرون من بياض وجوههم واعطاء الصحف بإيمانهم وما يقرؤون منها وغير ذلك من البشارات لا تبديل لكلمات الله لا تغيير لأقواله ولا خلف في مواعيده كقوله ما يبدل القول لدى والظاهر ان ذلك اشارة الى التبشير والبشرى في معناه * قال الزمخشري وذلك اشارة الى كونهم مبشرين في الدارين * وقال ابن عطية اشارة الى النعيم الذي

التنبيه حذرا من مذهب الصوفية وبعض الملحدين في الولي (ح) وانما قال حذرا من مذهب الصوفية لان بعضهم نقل عنه ان الولي

ولا يحزنك قولهم * اما أن يكون قولهم أريد به بعض أفراده وهو التكذيب والتهديد وما يتشاورون به في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكون من اطلاق العام (١٧٦) واردة الخاص واما أن يكون مما حذفت منه الصفة المختصة

أى قولهم الدال على تكذيبك ومعاندتك ثم استأنف بقوله * ان العزة لله جميعا * أى لا عزة لهم ولا منعة فيهم لا يقدرون لك على شئ ولا يؤذونك إن الغلبة والقهر لله تعالى وهو القادر على الانتقام منهم فلا يعازده شئ ولا يغالبه * ألا ان الله من في السموات ومن في الارض * الآية المناسبة ظاهرة في هذه الآية لما ذكر ان العزة له تعالى وهو القهر والغلبة ذكر ما يناسب القهر وهو كون المخلوقات له تعالى ومن الأصل فيها ان تكون للعقلاء وهى هنا شاملة لهم ولغيرهم على حكم التغليب وحيث جىء بما كان تغليباً للكثرة إذ أكثر المخلوقات لا يعقل والظاهر أن منافية وشركاء مفعول يتبع ومفعول يدعون محذوف لفهم المعنى تقديره آلهة أو شركاء أى أن الذين جعلوهم آلهة أو شركاء أى أن الذين جعلوهم مع الله في الربوبية ليسوا شركاء حقيقة إذ الشراكة في الألوهية مستحيلة وان يجوزوا أن تكون ما استفهامية في موضع نصب يتبع وشركاء منصوب بيدعون أى وأي شئ يتبع على تحقير المتبع كما نه قيل من يدعو شركاً لله لا يتبع شيئاً * وأجاز الزمخشري أن تكون وقعت به بشرى * ولا يحزنك قولهم ان العزة لله جميعا هو السميع العليم * ألا ان الله من في السموات ومن في الارض وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء ان يتبعون الا الظن وان هم الايخرون * اما أن يكون قولهم أريد به بعض أفراده وهو التكذيب والتهديد وما يتشاورون به في أمر الرسول صلى الله عليه وسلم فيكون من اطلاق العام وأريد به الخاص واما أن يكون مما حذفت منه الصفة المختصة أى قولهم الدال على تكذيبك ومعاندتك ثم استأنف بقوله ان العزة لله جميعا أى لا عزة لهم ولا منعة فيهم لا يقدرون لك على شئ ولا يؤذونك ان الغلبة والقهر لله وهو القادر على الانتقام منهم فلا يعازده شئ ولا يغالبه وكان قائل لا قال لم لا يحزنه قولهم وهو مما يحزن ف قيل ان العزة لله جميعا ليس لهم منها شئ * وقرأ أبو حنيفة ان العزة بفتح الهمزة وليس معمولاً لقولهم لأن ذلك لا يحزن الرسول صلى الله عليه وسلم إذ هو قول حق وخرجت هذه القراءة على التعليل أى لا يقع منك حزن لما يقولون لأجل أن العزة لله جميعا ووجهت أيضاً على أن يكون ان العزة بدل من قولهم ولا يظهر هذا التوجيه * قال الزمخشري ومن جعله بدلاً من قولهم ثم أنكره فالمنكر هو تخريجه لاه أنكره من القرآن * وقال القاضي فتحها شاذ يقارب الكفر واذا كسرت كان استئنافاً وهذا يدل على فضيلة علم الاعراب * وقال ابن قتيبة لا يجوز فتح ان في هذا الموضع وهو كفر وغلو وانما قال القاضي وابن قتيبة ذلك بناءً منهما على أن معمولاً لقولهم وقد ذكرنا توجيه ذلك على التعليل وهو توجيه صحيح هو السميع لما يقولون العليم لما يدبرون وفي هذه الآية تأمين للرسول صلى الله عليه وسلم من اضرار الكفار وان الله تعالى يديله عليهم وينصره كتب الله لأغلبن أنا ولننصر رسلنا * وقال الأصم كانوا يتعززون بكثرة خدمهم وأموالهم فأخبر انه قادر على أن يسلب منهم ملك الأشياء وأن ينصرك وينقل اليك أموالهم وديارهم انتهى ولا تضاد بين قوله ان العزة لله جميعا وقوله والله العزة ورسوله وللمؤمنين لأن عزتهم انما هى بالله فهى كلها لله ألا ان الله من في السموات ومن في الارض وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء ان يتبعون الا الظن وان هم الايخرون المناسبة ظاهرة في هذه الآية لما ذكر ان العزة له تعالى وهى القهر والغلبة ذكر ما يناسب القهر وهو كون المخلوقات ملكاً له تعالى ومن الأصل فيها أن تكون للعقلاء وهنا هى شاملة لهم ولغيرهم على حكم التغليب وحيث جىء بما كان تغليباً للكثرة إذ أكثر المخلوقات لا يعقل والظاهر أن منافية وشركاء مفعول يتبع ومفعول يدعون محذوف لفهم المعنى تقديره آلهة أو شركاء أى أن الذين جعلوهم آلهة أو شركاء أى أن الذين جعلوهم مع الله في الربوبية ليسوا شركاء حقيقة إذ الشراكة في الألوهية مستحيلة وان يجوزوا أن تكون ما استفهامية في موضع نصب يتبع وشركاء منصوب بيدعون أى وأي شئ يتبع على تحقير المتبع كما نه قيل من يدعو شركاً لله لا يتبع شيئاً * وأجاز الزمخشري أن تكون

كانوا قد أطلقوا اسم الشركاء وجوزوا أن تكون ما استفهامية في موضع نصب يتبع وشركاء منصوب بيدعون أى وأي شئ يتبع على تحقير المتبع كما نه قيل من يدعو شركاً لله لا يتبع شيئاً ومعنى يخرسون أى يحزنون ويقدر

المستحق بأن يفرد بالعبادة ﴿ لتسكنوا فيه ﴾ أي مما تقاسون من الحركة والتردد في طلب المعاش وغيره بالنهار وأضاف الابصار الى النهار مجازا لان الابصار يقع فيه كما قال ﴿ ونمت وما ليل المطى بنائم ﴾

أي يبصرون فيه مطالب معاشهم وقال قطرب يقال أظلم الليل صار ذا ظلمة وأضاء النهار وأبصر أي صار ذا ضياء وبصر انتهى وذ كر علة خلق الليل وهي لتسكنوا فيه وحذف من النهار وحذف من الليل وكل من المحذوف بدل على مقابله والتقدير جعل الليل مظاما لتسكنوا فيه والنهار مبصرا لتعبر كوافيه في مكاسبكم وماتحتاجون اليه بالحركة ومعنى يسمعون سماع معتبر ﴿ قالوا اتخذ الله ولدا ﴾ الضمير من قالوا النسب الى الله تعالى ممن قالوا ذلك وسبحانه تنزيهه عن اتخاذ الولد وتعالى عن نسبة الولد اليه من غير حاجة الى شيء فالولد منتف عنه وكل ما في السموات والارض ملكه فهو غنى عن اتخاذ الولد وان نافية والسلطان الحاجة أي ما عندكم من حجة بهذا القول ﴿ قال الحوفي وبهذا متعلق بمعنى الاستقرار يعني الذي تعلق به الظرف وتبعه الزمخشري فقال الباء حقا أن تتعلق بقوله ان عندكم على أن يجعل القول مكانا للسلطان كقولك ما عندكم بأرضكم نور كانه قيل ان عندكم فيما تقولون سلطان ﴿ وقال أبو البقاء وبهذا متعلق بسلطان أو نعت له وأقولون استفهام انكار وتوبيخ لمن اتبع ما لا يعلم ويحتج بذلك في ابطال التقليد في أصول الدين واستدل بهانفة القياس واخبار الآحاد ولما نفي البرهان عنهم جعلهم غير عالمين فدل على ان كل قول لا برهان عليه لقائله فذلك جهل وليس بعلم والذين يفترون على الله الكذب عام يشمل من نسب الى الله الولد ومن قال في الله وفي صفاته قولا بغير علم وهو دأخل في الوعيد بآتفاء الافلاح ولما نفي عنهم الفلاح وكان لهم حظ من افلاحهم في الدنيا لخطوط فيها من مال وجاه وغير ذلك قيل متاع قليل جواب على تقدير سؤال كان قائلنا قال كيف لا يفلحون وهم في الدنيا مفلحون بأنواع مما يتلذذون به فقليل ذلك متاع في الدنيا أولهم متاع في الدنيا زائل لا بقاء له ثم يلقون

ما موصولة عطفا على من والعائد محذوف أي والذي يتبعه الذين يدعون من دون الله شركاء أي وله شركاؤهم وأجاز غيره أن تكون ما موصولة في موضع رفع على الابتداء والخبر محذوف تقديره والذي يتبعه المشركون باطل ﴿ وقرأ السلمي تدعون بالتاء على الخطاب ﴾ قال ابن عطية وهي قراءة غير متبعة ﴿ وقال الزمخشري وقرأ أعلى بن أبي طالب رضي الله عنه تدعون بالتاء ووجهه أن يحمل وما يتبع على الاستفهام أي وأي شيء يتبع الذين تدعونهم شركاء من الملائكة والنبیین یعنی انهم يتبعون الله تعالى ويطيعونه فالكم لا تفعلون مثل فعلهم كقوله تعالى أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة انتهى وان نافية أي ما يتبعون الا ظنهم انهم شركاء ويخربون يقدر و من قرأ تدعون بالتاء كان قوله ان يتبعون التفتانا اذ هو خروج من خطاب الى غيبة ﴿ هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا ان في ذلك آيات لقوم يسمعون ﴾ هذا تنبيه منه تعالى على عظم قدرته وشمول نعمته لعباده فهو المستحق لان يفرد بالعبادة لتسكنوا فيه مما تقاسون من الحركة والتردد في طلب المعاش وغيره بالنهار وأضاف الابصار الى النهار مجازا لان الابصار تقع فيه كما قال ﴿ ونمت وما ليل المطى بنائم ﴾ أي يبصرون فيه مطالب معاشهم ﴿ وقال قطرب يقال أظلم الليل صار ذا ظلمة وأضاء النهار وأبصر أي صار ذا ضياء وبصر انتهى وذ كر علة خلق الليل وهي لتسكنوا فيه وحذف من النهار وحذف من الليل وكل من المحذوف بدل على مقابله والتقدير جعل الليل مظاما لتسكنوا فيه والنهار مبصرا لتعبر كوافيه في مكاسبكم وماتحتاجون اليه بالحركة ومعنى يسمعون سماع معتبر ﴿ قالوا اتخذ الله ولدا ﴾ سبحانه هو الغنى له ما في السموات وما في الارض ان عندكم من سلطان بهذا أتقولون على الله ما لا تعلمون ﴿ قل ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون ﴾ متاع في الدنيا ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون ﴿ الضمير في قالوا عائد على من نسب الى الله الولد ممن قال الملائكة بنات الله أو عزير ابن الله أو المسيح ابن الله وسبحانه تنزيهه عن اتخاذ الولد وتعجب ممن يقول ذلك هو الغنى علة لنفي الولد لان اتخاذ الولد انما يكون للحاجة اليه والله تعالى غير محتاج الى شيء فالولد منتف عنه وكل ما في السموات والارض ملكه فهو غنى عن اتخاذ الولد وان نافية والسلطان الحاجة أي ما عندكم من حجة بهذا القول ﴿ قال الحوفي وبهذا متعلق بمعنى الاستقرار يعني الذي تعلق به الظرف وتبعه الزمخشري فقال الباء حقا أن تتعلق بقوله ان عندكم على أن يجعل القول مكانا للسلطان كقولك ما عندكم بأرضكم نور كانه قيل ان عندكم فيما تقولون سلطان ﴿ وقال أبو البقاء وبهذا متعلق بسلطان أو نعت له وأقولون استفهام انكار وتوبيخ لمن اتبع ما لا يعلم ويحتج بذلك في ابطال التقليد في أصول الدين واستدل بهانفة القياس واخبار الآحاد ولما نفي البرهان عنهم جعلهم غير عالمين فدل على ان كل قول لا برهان عليه لقائله فذلك جهل وليس بعلم والذين يفترون على الله الكذب عام يشمل من نسب الى الله الولد ومن قال في الله وفي صفاته قولا بغير علم وهو دأخل في الوعيد بآتفاء الافلاح ولما نفي عنهم الفلاح وكان لهم حظ من افلاحهم في الدنيا لخطوط فيها من مال وجاه وغير ذلك قيل متاع قليل جواب على تقدير سؤال كان قائلنا قال كيف لا يفلحون وهم في الدنيا مفلحون بأنواع مما يتلذذون به فقليل ذلك متاع في الدنيا أولهم متاع في الدنيا زائل لا بقاء له ثم يلقون

من حجة بهذا القول ﴿واتل عليهم نبأ نوح﴾ لما ذكر الدلائل على وحدانيته وذكر ما جرى بين الرسول عليه السلام وبين الكفار ذكر قصص من قصص الأنبياء وما جرى (١٧٨) لهم مع قومهم من الخلاف وذلك تسلية له عليه السلام وليتأسي

بن قبله من الأنبياء عليهم السلام والضمير في عليهم عائداً على أهل مكة الذين تقدم ذكرهم وكبر معناه عظم مقامى أى طول مقامى فيكم أوقيامى للوعظ قال ابن عطية ولم يقرأها بضم الميم انتهى وليس كما قال بل قرأ بضم الميم أبو مجاز وأبو رجاء وأبو الجوزاء والمقام الإقامة بالمكان والمقام مكان القيام وجواب الشرط ﴿فعلى الله توكلت﴾ فلا أبالى منكم وقرئ فاجعوا من أجمع الرجل الشئ عزم عليه ونواه قال الشاعر
أجمعوا أمرهم بليل فاما
أصبحوا أصبحت لهم ضوضاء
وقرئ فاجعوا أمر من جمع وشركاؤكم معطوف على أمركم وهو على حذف مضاف تقديره وأمر شركائكم ومعنى اقضوا الى أنفذوا قضاءكم نحوى ومفعول اقضوا محذوف أى اقضوا الى ذلك الأمر واقضوا ما فى أنفسكم واقطعوا ما بينى وبينكم ﴿ولا تنتظرون﴾ أى لا تؤخرون والنظرة التأخير

(الدر)

الشقاء المؤبد فى الآخرة ﴿واتل عليهم نبأ نوح﴾ اذ قال لقومه يا قوم ان كان كبر عليكم مقامى وتذكيرى بآيات الله فعلى الله توكلت فاجعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمّة ثم اقضوا الى ولا تنتظرون ﴿فان توليتم فاصألتكم من أجر ان أجرى الاعلى الله وأمرت أن أكون من المسميين﴾ فكذبوه فنجيناه ومن معه فى الفلك وجعلناهم خلائف وأغرقتنا الذين كذبوا بآياتنا فانظر كيف كان عاقبة المنذرين ﴿ثم بعثنا من بعده رسلاً الى قومهم يخافوهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل كذلك نطبع على قلوب المعتدين ثم بعثنا من بعدهم موسى وهارون الى فرعون وملئه بآياتنا فاستكبروا وكانوا قوماً مجرمين ﴿فاهاجاهم الحق من عندنا قالوا ان هذا لساحر مبين﴾ قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم أسحرونا ولا يفلح الساحرون ﴿قالوا أجئتنا لنتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا وناؤتكون لسكا الكبرياء فى الارض وما نحن لك بمؤمنين﴾ ﴿لفت عنقه لواهوا وصرقوا﴾ وقال الازهرى لفت الشئ وقتله لواه وهذا من المقلوب انتهى ومطالع لفت التفت ﴿وقيل انفتل﴾ واتل عليهم نبأ نوح اذ قال لقومه يا قوم ان كان كبر عليكم مقامى وتذكيرى بآيات الله فعلى الله توكلت فاجعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمّة ثم اقضوا الى ولا تنتظرون ﴿لما ذكر تعالى الدلائل على وحدانيته وذكر ما جرى بين الرسول وبين الكفار ذكر قصص من قصص الأنبياء وما جرى لهم مع قومهم من الخلاف وذلك تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم وليتأسي بن قبله من الأنبياء فيخف عليه ما يلقى منهم من التكذيب وقلة الاتباع وليعلم المتلو عليهم هذا القصص عاقبة من كذب الأنبياء وما منح الله نبيه من العلم بهذا القصص وهو لم يطالع كتابا ولا حسب عالما وانما اطبق ما أخبر به فدل ذلك على ان الله أوحاه اليه وأعلمه به وانه نبي لا شك فيه والضمير في عليهم عائداً على أهل مكة الذين تقدم ذكرهم وكبر معناه عظم مقامى أى طول مقامى فيكم أوقيامى للوعظ كما يحكى عن عيسى عليه السلام أنه كان يعظ الخواريين قائماً ليرى وهم قعود وكقيام الخطيب ليسمع الناس ويرود أوئيب ذلك الى مقامه والمراد نفسه كما تقول فعلت كذا المكان فلان وفلان ثقیل النزل تريد لاجل فلان وفلان ثقیل ﴿قال ابن عطية ولم يقرأها بضم الميم انتهى وليس كما ذكر بل قرأ مقامى بضم الميم أبو مجاز وأبو رجاء وأبو الجوزاء والمقام الإقامة بالمكان والمقام مكان القيام والتذكير وعظه اياهم وزجرهم عن المعاصى وجواب الشرط محذوف تقديره فافعلوا ما شئتم ﴿وقيل الجواب فعلى الله توكلت وفأجمعوا معطوف على الجواب وهو لا يظهر لأنه متوكل على الله دائماً﴾ وقال الاكثرون الجواب فاجعوا وفعلى الله توكلت جملة اعتراض بين الشرط وجزائه كقوله

أما ترى قد نخلت ومن يكن * غرضاً لاطراف الاستة ينخل
فلرب أبلج مثل ثقلك بادن * ضخم على ظهر الجواد مهبل
﴿وقرأ الجمهور فاجعوا من أجمع الرجل الشئ عزم عليه ونواه قال الشاعر
أجمعوا أمرهم بليل فاما * أصبحوا أصبحت لهم ضوضاء
﴿وقال آخر﴾

أفضل من النبى وهذا لا يكاد يخطر فى قلب مؤمن مسلم ولا بن عربى الطائى كلام فى الولى وفى غيره نعوذ بالله منه (ع) مقامى وتذكيرى ولم يقرأها بضم الميم (ح) ليس كما ذكر بل قرأ مقامى بضم الميم أبو مجاز وأبو رجاء وأبو الجوزاء والمقام الإقامة بالمكان والمقام مكان القيام

يألمت شعري والمنى لا تنفع * هل أعذرت يوما وأمرى مجمع
 * وقال أبو قبيد السدوسي أجمعت الأمر أفصح من أجمعت عليه * وقال أبو الهيثم أجمع أمره جعله
 مجموعا بعدما كان متفرقا * قال وتفرقت أنه يقول مرة أفعل كذا ومرة أفعل كذا فإذا عزم على
 أمر واحد قد جعله أي جعله جميعا فهداه الأصل في الإجماع ثم صار بمعنى العزم حتى وصل بعلى
 * فقيل أجمعت على الأمر أي عزمته عليه والأصل أجمعت الأمر انتهى وعلى هذه القراءة يكون
 وشركاءكم عطفًا على أمركم على حذف مضاف أي وأمر شركائكم أو على أمركم من غير مراعاة
 محذوف لأنه يقال أيضا أجمعت شركائي أو منصوبًا بآثار فعل أي وادعوا شركاءكم وذلك بناء على أنه
 لا يقال أجمعت شركائي يعني في الآ كثر فيكون نظير قوله

فعلقتهم اتبنا وماء باردا * حتى شئت همالة عينها

في أحد المذهبين أي وسقيتهم ماء باردا وكذا هي في مصحف أبي وادعوا شركاءكم * وقال أبو علي
 وقد نصب الشركاء بواو مع كذا قالوا جاء البرد والطيا السعة ولم يذكر الزمخشري في نصب وشركاءكم
 غير قول أبي علي أنه منصوب بواو مع وينبغي أن يكون هذا التخريج على أنه مفعول معه من الفاعل
 وهو الضمير في فأجمعوا الأمن المفعول الذي هو أمركم وذلك على أشهر الاستعمالات لأنه يقال أجمع
 الشركاء ولا يقال جمع الشركاء أمرهم الأقبلا ولا أجمعت الشركاء الأقبلا وفي اشتراط صحة جواز
 العطف فيما يكون مفعولا معه خلاف فإذا جعلناه من الفاعل كان أولى * وقرأ الزهري والأعمش
 والجمهدري وأبو رجا والأعرج والأصمعي عن نافع ويعقوب بخلاف عنه فأجمعوا بوصل الألف
 وفتح الميم من جمع وشركاءكم عطف على أمركم لأنه يقال جمعت شركائي أو على أنه مفعول معه أو على
 حذف مضاف أي ذوى الأمر منكم فجري على المضاف إليه ما جرى على المضاف لو ثبت قاله أبو علي
 وفي كتاب اللوامح أجمعت الأمر أي جعلته جميعا وجمعت الأموال جميعا فكان الإجماع في الأحداث
 والجمع في الأعيان وقد يستعمل كل واحد مكان الآخر وفي التنزيل فجمع كيدته انتهى وقرأ أبو عبد
 الرحمن والحسن وابن أبي اسحاق وعيسى بن عمر وسلام ويعقوب فيما روى عنه وشركاؤكم بالرفع
 ووجه بأنه عطف على الضمير في فأجمعوا وقد وقع الفصل بالمفعول فحسن وعلى أنه مبتدأ محذوف
 الخبر لدلالة ما قبله عليه أي وشركاؤكم فليجمعوا أمرهم وقرأت فرقة وشركائكم بالخفض عطفًا على
 الضمير في أمركم أي وأمر شركائكم فحذف كقول الآخر

أكل امرئ تحسب بين أمرا * وتارنوقد بالليل نارا

أي وكل نار فحذف كل لدلالة ما قبله عليه والمراد بالشركاء الأنداد من دون الله أضافهم إليهم اذهب
 يجمعونهم شركاء بزعمهم وأسند الإجماع إلى الشركاء على وجه التهم كقوله تعالى قل ادعوا شركاءكم
 ثم كيدون أو يراى بالشركاء من كان على دينهم وطريقتهم * قال ابن الأنباري المراد من الأمر هنا
 وجود كيدهم ومكرهم فالتقدير لا تتراكموا من أمركم شيئا إلا أحضرتموه انتهى وأمره أي أياهم بإجماع أمرهم
 دليل على عدم مبالاة بهم ثقة بما وعد به من كلاءته وعصيته ثم لا يكن أمركم عليكم غمة أي حالكم
 معي وصحبتيكم لي غما وهما أي ثم أهل كوني لئلا يكون عيشكم بسبي غصة وحالكم عليكم غمة والغم
 والغمة كالكرب والكربة قال أبو الهيثم من قولهم غم علينا الملل فهو مغموم إذا غمست
 فلم ير * وقال طرفة

لعمرك ما أمرى على غمة * نهاري ولا ليلي على بسمة

﴿فان توليتهم﴾ أي فان دام توليتكم عما جئت به اليكم من توحيد الله ورفض آلهتكم فليست أبالي بكم اذا مادعوتكم اليه وذكركم به ووعظتكم لم أسألكم عليه أجزا انما يشيني عليه الله تعالى ﴿فكذبوه﴾ أي ففكروا على تكذيبه وذلك عند مشاركة الهلاك بالطوفان و﴿في الفلك﴾ متعلق بالاستقرار الذي (١٨٠) تعلق به معه أو بنجيناؤه ﴿وجعلناهم﴾ جمع ضمير المفعول على

معنى من و﴿خلائف﴾ يخلفون الغارقين المهلكين ثم أمر بالنظر في عاقبة المندرين بالعذاب والى ما صار اليه حالهم وفي هذا الاخبار توعد لك كفار بمحمد صلى الله عليه وسلم وضرب مثال لهم في أنهم بحال هؤلاء من التكذيب فستكون حالكم كحالهم في التعذيب ثم بعثنا من بعده رسلا ﴿أي من﴾ بعد نوح ﴿الى قومهم﴾ يعنى هو داود صالح ولوطا و ابراهيم وشعيبا والبنات المعجزات والبراهين الواضحة المثبتة لما جاؤا به وجاء النفي مصحوبا بلام الجحود ليدل على ان ايمانهم في حيز الاستحالة والامتناع قال ابن عطية ويحتل اللفظ عندى معنى آخر وهو أن تكون ما صدر به والمعنى فكذبوا رسالهم فكان عقابهم من الله تعالى ان لم يكونوا ليؤمنوا بتكذيبهم من قبل أى من قبل سببه ومن جرأته ويؤيد هذا التأويل قوله كذلك نطبع انتهى الظاهر ان ما موصولة ولذلك عاد

﴿وقال الليث﴾ يقال انه لفي غمة من أمره اذا لم يتبين له وقال الزجاج أمركم ظاهرا مكشوفاً وحسنه الرخصى فقال وقد ذكر القول الاول الذى يراد بالامر فقال والثانى أن يراد به ما أريد بالامر الاول والغمة السيرة من غمها اذا ستره ومنه قوله صلى الله عليه وسلم ولا غمة في فرائض الله تعالى أى لا تستروا ولكن بجاهر بها يعنى ولا يكن قصدكم الى اهلاكم مستورا عليكم بل مكشوفاً مشهورا تجاهرون به انتهى ومعنى أقضوا الى أنفسكم واقضوا لكم نحوى ومفعول اقضوا محذوف أى أقضوا الى ذلك الامر وامضوا ما فى أنفسكم واقطعوا ما بيني وبينكم ﴿وقرأ السرى بن نعيم﴾ ثم أقضوا بالفاء وقطع الألف أى انتهوا الى بشركم من أقضى بكذا انتهى اليه ﴿وقيل معناه أسرعوا﴾ وقيل من أقضى اذا خرج الى القضاء أى فاحكمروا به الى وأبرزوه ومنه قول الشاعر

أبى الضيم والنعمان تحرق نابه * عليه فأقضى والسيوف معاقله

ولا تنظرون أى لا تؤخرون والنظرة التأخير ﴿فان توليتهم﴾ فاسألتكم من أجزا أن أجرى الاعلى الله وأمرت ان أكون من المسامحين فكذبوه فتجنيأه ومن معه في الفلك وجعلناهم خلائف وأغرقتنا الذين كذبوا بآياتنا فانظر كيف كان عاقبة المندرين ﴿أي فان دام توليتكم﴾ عما جئت به اليكم من توحيد الله ورفض آلهتكم فليست أبالي بكم لان توليتكم لا يضرنى فى خاصتى ولا قطع عنى صلة منكم اذا مادعوتكم اليه وذكركم به ووعظتكم لم أسألكم عليه أجزا انما يشيني عليه الله تعالى أى ما نصحتكم الا لوجه الله تعالى لا لغرض من أغراض الدنيا ثم أخبر أنه أمره أن يكون من المسامحين من المنقادين لامر الله الطائعين له فكذبوه ففكروا على تكذيبه وذلك عند مشاركة الهلاك بالطوفان و﴿في الفلك﴾ متعلق بالاستقرار الذى تعلق به معه أو بنجيناؤه وجعلناهم جمع ضمير المفعول على معنى من وخلائف يخلفون الغارقين المهلكين ثم أمر بالنظر في عاقبة المندرين بالعذاب والى ما صار اليه حالهم وفي هذا الاخبار توعد لك كفار بمحمد صلى الله عليه وسلم وضرب مثال لهم في أنهم بحال هؤلاء من التكذيب فسيكون حالكم كحالهم في التعذيب والخطاب فى فانظر للسامع لهذه القصة وفى ذلك تعظيم لما جرى عليهم وتحذير لمن أنذرهم الرسول وتسليته صلى الله عليه وسلم ﴿ثم بعثنا من بعده رسلا الى قومهم﴾ فجاؤهم بالبنات كما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل كذلك نطبع على قلوب المعتمدين ﴿من بعده أى من بعده نوح رسلا الى قومهم﴾ يعنى هو داود صالح ولوطا و ابراهيم وشعيبا والبنات المعجزات والبراهين الواضحة المثبتة لما جاؤا به وجاء النفي مصحوبا بلام الجحود ليدل على ان ايمانهم في حيز الاستحالة والامتناع والضمير فى كذبوا عائد على من عاد عليه ضمير كانوا وهم قوم الرسل والمعنى أنهم كانوا قبل بعثة الرسل أهل جاهلية وتكذيب للحق فتأوت حالتهم قبل البعثة وبعدها كان لم يبعث اليهم أحد ومن قبل متعلق بكذبوا أى من قبل بعثة الرسل ﴿وقيل المعنى أنهم بادروا رسلكم بالتكذيب كلما جاء رسول ثم لحوا فى الكفر وتمادوا فلم يكونوا ليؤمنوا بما سبق به تكذيبهم من قبل لحهم فى الكفر وتمادىهم﴾ وقال يحيى بن سلام من

الضمير عليهم فى قوله بما كذبوا به ولو كانت مصدرية بقى الضمير غير عائد على مذكور فيحتاج أن يتكلف ما يعود عليه الضمير والضمير فى كذبوا عائد على ما عاد عليه ضمير كانوا وهم قوم الرسل والمعنى أنهم كانوا قبل بعثة الرسل أهل جاهلية وتكذيب للحق فتأوت لانهم قبل البعثة وبعدها كان لم يبعث اليهم أحد ومن قبل متعلق بكذبوا أى من قبل بعثة الرسل

﴿ثم بعثنا من بعدهم موسى﴾ الآية لا يخص قوله وملائه (١٨١) بالأشراف بل هي عامة لقوم فرعون شريفيهم ومشرقيهم

﴿فاستكبروا﴾ تعاضموها
عن قبولها والحق هو
العصا واليد ﴿أتقولون
للحق﴾ استفهام انكار
ومعمول القول مخدوف
تقديره هذا سحر ثم أنكر
عليهم أيضا باستفهام ثان
وهو قوله أسحر هذا أي
أسحر هذا الذي جئت به
من معجز العصا واليد ثم
أخبر عليه السلام بقوله
﴿ولا يفلح الساحرون
قالوا أجتئنا﴾ خطاب
لموسى وحده لانه هو الذي
ظهرت على يديه المعجزات
وهو العصا واليد ﴿لتلقئنا﴾
لتصرفنا وتلويينا ﴿عما
وجدنا عليه آباءنا﴾ من
عبادة غير الله واتخاذ آلهة
دونه والكبرياء مصدر
ولما ادعوا أن ما جاء به
موسى عليه السلام هو
سحر أخذوا في معارضة

قبل معناه من قبل العذاب وهذا القول فيه بعد * وقيل الضمير في كذبوا عائذ على قوم نوح
أي فما كان قوم الرسل ليؤمنوا بما كذب به قوم نوح يعني ان شئنتهم واحدة في التكذيب
* قال ابن عطية ويحتمل اللفظ عندي معنى آخر وهو ان تكون مامصدرية والمعنى فكذبوا رسلكم
فكان عقابهم من الله ان لم يكونوا المؤمنين بآية كذبهم من قبل أي من سببه ومن جرائه ويؤيد هذا
التأويل كذلك نطبع انتهى والظاهر أن ماموصولة ولذلك عاد الضمير عليها في قوله بما كذبوا به
ولو كانت مصدرية بقي الضمير غير عائذ على مذكور فحتاج أن يتكاف ما يعود عليه الضمير * وقرأ
الجمهور نطبع بالنون والعباس بن الفضل بالياء والكاف للتشبيه أي مثل ذلك الطبع المحكم الذي
يتمتع زواله نطبع على قلوب المعتدين المجاوزين طورهم والمبالغين في الكفر ﴿ثم بعثنا من بعدهم
موسى وهارون الى فرعون وملائه﴾ آياتنا فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين * فلما جاءهم الحق من
عندنا قالوا ان هذا السحر مبين قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم أسحر هذا ولا يفلح الساحرون *
أي من بعد أولئك الرسل بآياتنا وهي المعجزات التي ظهرت على يديه ولا يخص قوله وملائه
بالأشراف بل هي عامة لقوم فرعون شريفيهم ومشرقيهم فاستكبروا وتعاضموها عن قبولها وأعظم
الكبر أن يتعاضم العبيد عن قبول رسالة ربهم بعد تبيينها واستيضاحها وباجترامهم الآثام العظيمة
استكبروا واجترأوا على ردّها والحق هو العصا واليد قالوا الحبرم الشهوات ان هذا لسحر مبين وهم
يعلمون ان الحق أبعد شئ من السحر الذي ليس الا تمويه او باطلا ولم يقولوا ان هذا لسحر مبين الا
عند معاينة العصا وانقلابها او اليد وخر وجهها بيضاء ولم يتعاطوا الامقاومة العصا وهي معجزة موسى
الذي وقع فيها عجز المعارض * وقرأ مجاهد وابن جبير والاعمش لساحر مبين جعل خبر ان اسم فاعل
لامصدر اكفر امة الجماعة ولما كابر واموسى فيما جاء به من الحق أخبروا على جهة الجزم بأن ما جاء به
سحر مبين فقال لهم موسى أتقولون مستفهما على جهة الانكار والتوبيخ حيث جعلوا الحق سحرا
أسحر هذا أي مثل هذا الحق لا يدعي انه سحر وأخبرانه لا يفلح من كان ساحرا لقوله تعالى ولا يفلح
الساحر حيث أتى والظاهر أن معمول أتقولون مخدوف تقديره ما تقدم ذكره وهو ان هذا السحر
و يجوز أن يخدوف معمول القول للدلالة عليه نحو قول الشاعر

نحن الألى قائم فاني ملثتم * برؤيتنا قبل اهتمام بكر عبا

ومسألة الكتاب متى رأيت أوقلت زيدا منطلقا * وقيل معمول أتقولون هو أسحر هذا الى آخره
كما أنهم قالوا أجتئنا بالسحر تطلبان به الفلاح ولا يفلح الساحرون كما قال موسى للسحرة ما جئتم به
السحر ان الله سيبيطه والذين قالوا بأن الجملة وان الاستفهام هي محكية لقول اختلفوا فقال
بعضهم قالوا ذلك على سبيل التعظيم للسحر الذي رأوه بزعمهم كما تقول لفرس تراه يجيد الجري أفرس
هذا على سبيل التعجيب والاستغراب وأنت قد علمت أنه فرس فهو استفهام معناه التعجيب
والتعظيم * وقال بعضهم قال ذلك منهم كل جاهل بالامر فهو يسأل أهو سحر لقول بعضهم ان هذا
لسحر * وأجاز الزخشري أن يكون معنى قوله أتقولون للحق أتعيبونه وتطعنون فيه فكان
عليكم أن تدعوا له وتعظموه قال من قولهم فلان يخاف القالة وبين الناس تقاويل اذا قال بعضهم
لبعض ما يسوء ونحو القول الذي ذكر في قوله سمعنا فتي يذكركم ثم قال أسحر هذا فأنكر ما قالوه في
عيبه والطعن عليه ﴿قالوا أجتئنا لتلقئنا عما وجدنا عليه آباءنا﴾ وتكون لك الكبرياء في الارض

(الدر)
(ع) ويحتمل اللفظ عندي
معنى آخر وهو أن يكون
مامصدرية والمعنى فكذبوا
رسلكم فكان عقابهم من
الله ان لم يكونوا المؤمنين
بآية كذبهم من قبل أي
من سببه ومن جرائه ويؤيد
هذا التأويل كذلك
نطبع انتهى (ح) الظاهر
ان ماموصولة ولذلك عاد
الضمير عليها في قوله بما كذبوا به

الضمير عليها في قوله بما كذبوا به ولو كانت مصدرية بقي الضمير غير عائذ على المذكور فحتاج أن يتكاف ما يعود عليه الضمير

بأنواع من السحر ليظهر السائر الناس أن ما جاء به موسى هو من باب السحر والمخاطب بقوله ائتوني خدمة فرعون والمتصرفون بين يديه وقرى بكل سحر على المبالغة وقرى بكل ساحر على الأفراد وفي قوله ألقوا ما أنتم ملقون استطالة عليهم وعدم مبالاة بهم وفي إيهام ما أنتم ملقون تخسيس له وتقليل واعلام أنه لا شيء يلتفت إليه وقرى السحر بغير أداة استفهام فإمبتدأة موصولة بمعنى الذي وصلها جئتم به وخبر المبتدأ السحر وقرى السحر (١٨٢) بالاستفهام فإستفهامية مبتدأة تقديره أي شيء

وجئتم به الخبر والسحر بدل من ما ويجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف ويكون استفهاما ثانيا تقديره هو السحر قال ابن عطية والتعريف هنا في السحر ارتب لأنه قد تقدم منكر في قوله إن هذا لسحر فجاء هنا باللام العهد كما يقال إن أول الرسالة سلام عليك وفي آخرها والسلام عليك انتهى أخذ هذا من الفراء قال الفراء وإنما قال السحر بالالف واللام لأن النكرة إذا أعيدت أعيدت بالالف واللام ولو قال له من رجل لم يقع له في وهمه أنه يسأله عن الرجل الذي ذكره له انتهى وما ذكره هنا في السحر ليس هو من باب تقدم النكرة ثم أخبر عنها بعد ذلك لأن شرط هذا أن يكون المعرف بالالف واللام هو النكرة المتقدم ولا يكون غيره كما قال تعالى كما أرسلنا إلى

ومنا نحن لك بمؤمنين * وقال فرعون ائتوني بكل ساحر عليم * فإم جاء السحرة قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون * فإم ألقوا قال موسى ما جئتم به السحر إن الله سيبيطله إن الله لا يصلح عمل المفسدين * ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون * أجئتنا خطاب لموسى وحده لأنه هو الذي ظهرت على يده معجزة العصا واليد لتصرفنا وتلوينا عن ما وجدنا عليه آباءنا من عبادة غير الله واتخاذ له دونه والكبرياء مصدر قال ابن عباس ومجاهد والضحاك وأكثر المتأولين المراد به هنا الملك إذ الملوك موصوفون بالكبر ولذلك قيل للملك الجبار ووصف بالصدد والشرس * وقال ابن الرقيات في مصعب بن الزبير

ملكك ملك رافة ليس فيه * جبروت منه ولا كبرياء

يعني ما عليه الملوك من ذلك * وقال ابن الرقاق

سؤدد غير فاحش لا يدانيه * به تجبارة ولا كبرياء

* وقال الأعمش الكبرياء العظيمة * وقال ابن زيد العلو * وقال الضحاك أيضا الطاعة والارض هنا أرض مصر * وقرأ ابن مسعود واسماعيل والحسن فيما زعم خارجة وأبو عمرو وعاصم بخلاف عنهم ما وتكون بالتاء لمجاز تأنيث الكبرياء والجمهور بالياء مراعاة اللفظ والمعنى أنهم قالوا قصودك في مجيئك النينا ما جئت هو أن نتقل من دين آباءنا إلى ما تأمر به ونطيعك ويكون لك العلو والملك علينا بطاعتنا لك فنصير اتباعا لك تاركين دين آباءنا وهذا مقصود لا تراه فلا نصدقك فيما جئت به إذ غرضك انما هو موافقتك على ما أنت عليه واستعلاؤك علينا فالسبب الأول هو التقليد والثاني الجد في الرئاسة حتى لا تكونوا تبعوا واقتضى هذان السببان اللذان توهموهما مقصودا التصريح بانهفاء الايمان الذي هو سبب حصول السبيين ويجوز أن يقصدوا اللزم بأنهما ما نملسا كأرض مصر تكبرا وتجبيرا كما قال القبطي إن تريدا لأن تكون جبارا في الارض ولما ادعوا أن ما جاء به موسى هو سحر أخذوا في معارضته بأنواع من السحر ليظهر لسائر الناس أن ما أتى به موسى من باب السحر والمخاطب بقوله ائتوني خدمة فرعون والمتصرفون بين يديه * وقرأ ابن مصرف وابن وثاب وعيسى وحزرة والكسائي بكل سحر على المبالغة وفي قوله ألقوا ما أنتم ملقون استطالة عليهم وعدم مبالاة بهم وفي إيهام ما أنتم ملقون تخسيس له وتقليل واعلام أنه لا شيء يلتفت إليه * قال أبو عبد الله الرازي كيف أمرهم بالكفر والسحر والامر بالكفر كفر قلنا أنه عليه الصلاة والسلام أمرهم بالقاء الحبال والعصى ليظهر للخلق أن ما ألقوا عمل فاسد وسعي باطل لا على طريق أنه عليه السلام أمرهم بالسحر انتهى * وقرأ أبو عمرو ومجاهد وأصحابه وابن القعقاع بهمزة الاستفهام في قوله

فرعون رسولاً فعصى فرعون الرسول وتقول زارني رجل فأكرمته الرجل ولما كان أياها جاز أن يأتي بالضمير بدله فتقول فأكرمته والسحر هنا ليس هو السحر الذي في قولهم إن هذا لسحر أي أن الذي أخبر عنه بأنه سحر هو ما ظهر على يدي موسى من معجزة العصا والسحر الذي في قول موسى انما هو سحرهم الذي جاؤ به فقد اختلف المدلولان إذ قالوا هم عن معجزة موسى وقال موسى عما جاؤ به ولذلك لا يجوز أن يؤتى هنا بالضمير بدل السحر فيكون عائدا على قولهم لسحر وسيبيطله يحق به بحيث يذهب ويظهر بطلانه باظهار المعجزة على الشعوذة

﴿ فما آمن لموسى ﴾ الآية الظاهر في الفاء من حيث ان مدلولها التعقيب ان هذا الايمان الصادر من الذرية لم يتأخر عن قصة الالتقاء والظاهر أن الضمير في قومه عائدا على موسى وانه لا يعود على فرعون لان موسى عليه السلام هو المحدث عنه في هذه الآية وهو اقرب مذكور ولانه لو كان عائدا على فرعون لم يظهر لفظ فرعون وكان التركيب على خوف منه ومن ملامهم أن يفتنهم وهذا الايمان من الذرية كان أول مبعثه اذ قد آمن به (١٨٣) بنو اسرائيل قومه كلهم كان أولاد دعا الآباء فلم يجيبوه خوفا

من فرعون واجابته طائفة من أبنائهم مع الخوف من فرعون ﴿ ربنا لا تجعلنا فتنه ﴾ الظاهر أنهم سألوا الله أن لا يفتنوا عن دينهم وان يخلصوا من الكفار فقدموا ما كان عندهم أهم وهو سلامة دينهم لهم وأخروا سلامة أنفسهم اذ الاهتمام بمصالح الدين أكد من الاهتمام بمصالح الابدان (الدر)

(ع) والتعريف هنا في السحر أرتب لانه قد تقدم منكره في قولهم ان هذا لسحر فجاء هنا بلام العهد كما يقال أول الرسالة سلام عليك وفي آخرها والسلام عليك انتهى (ح) أخذ هنا من الفراء قال الفراء وانما قال السحر بالالف واللام لان النكرة اذا أعيدت أعيدت بالالف واللام ولو قال له من رجل لم يقع في وهمه انه يسئله عن الرجل الذي ذكره انتهى (ح) وما ذكره هنا في السحر

آ لسحر ممدودة وباقي السبعة والجمهور بهمزة الوصل فعلى الاستفهام قالوا يجوز أن تكون ما استفهامية مبتدأ والسحر بدل منها وان تكون منصوبة بضمير تفسيره جئتم به والسحر خبر مبتدأ مخدوف ويجوز عندي في هذا الوجه أن تكون ما موصولة مبتدأة وجملة الاستفهام خبر إذا التقدير أهو السحر أو آ السحر هو فهو الرابط كما تقول الذي جاءك أزيد هو وعلى همزة الوصل جاز أن تكون ما موصولة مبتدأة والخبر السحر ويدل عليه قراءة عبد الله والأعمش سحر وقراءة أبي مأتيتهم به سحر ويجوز عندي أن تكون في هذا الوجه استفهامية في موضع رفع بلا ابتداء أو في موضع نصب على الاشتغال وهو استفهام على سبيل التحقير والتعليل لما جاؤا به والسحر خبر مبتدأ مخدوف أي هو السحر * قال ابن عطية والتعريف هنا في السحر أرتب لانه قد تقدم منكره في قولهم ان هذا السحر فجاء هنا بلام العهد كما يقال أول الرسالة سلام عليك وفي آخرها والسلام عليك انتهى وهذا أخذه من الفراء * قال الفراء وانما قال السحر بالالف واللام لان النكرة اذا أعيدت أعيدت بالالف واللام ولو قال له من رجل لم يقع في وهمه انه يسئله عن الرجل الذي ذكره انتهى وما ذكره هنا في السحر ليس هو من باب تقدم النكرة ثم أخبر عنها بعد ذلك لان شرط هذا أن يكون المعرف بالالف واللام هو النكرة المتقدمة ولا يكون غيره كما قال تعالى كما أرسلنا الى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول وتقول زارني رجل فأكرمت الرجل ولما كان اياه جاز أن يأتي بالضمير بدله فتقول فأكرمته والسحر هنا ليس هو السحر الذي هو في قولهم ان هذا لسحر لان الذي أخبر واعنه بأنه سحر هو ما ظهر على يدى موسى عليه السلام من معجزة العصا والسحر الذي في قول موسى انما هو سحرهم الذي جاؤا به فقد اختلف المدلولان وقالوا هم عن معجزة موسى وقال موسى عما جاؤا به ولذلك لا يجوز أن يأتي هنا بالضمير بدل السحر فيكون عائدا على قولهم لسحر والظاهر ان الجمل بعده من كلام موسى عليه السلام وسيبطله بحقه بحيث يذهب أو يظهر بطلانه باظهار المعجزة على الشعوذة * وقيل هذه الجمل من كلام الله تعالى ومعنى بكلماته بقضايه السابقة في وعده * وقال ابن سلام بكلماته بقوله لا تخف انك أنت الأعلى * وقيل بكلماته بحججه وبراينه وقرىء بكلمته على التوحيد أي بأمره ومشيئته ﴿ فما آمن لموسى الا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملاهم أن يفتنهم وان فرعون لعال في الأرض وانه لمن المسرفين ﴾ وقال موسى يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين * فقالوا على الله توكلنا ربنا لا تجعلنا فتنه للقوم الظالمين * ونجنا برحمتك من القوم الكافرين ﴿ الظاهر في الفاء من حيث ان مدلولها التعقيب ان هذا الايمان الصادر من الذرية لم يتأخر عن قصة الالتقاء والظاهر أن الضمير

ليس هو من باب تقدم النكرة ثم أخبر عنها بعد ذلك لان شرط هذا أن يكون المعرف بالالف واللام هو النكرة المتقدمة ولا يكون غيره كما قال تعالى كما أرسلنا الى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول وتقول زارني رجل فأكرمت الرجل ولما كان اياه جاز أن تأتي بالضمير بدله فتقول فأكرمته والسحر هنا ليس هو السحر الذي في قولهم ان هذا لسحر لان الذي أخبر واعنه بأنه سحر هو ما ظهر على يدى موسى من معجزة العصا والسحر الذي في قوله موسى انما هو سحرهم الذي جاءوا به فقد اختلف المدلولان اذ قالوا هم عن معجزة موسى وقال موسى عن ما جاؤا به ولذلك لا يجوز أن يأتي هنا بالضمير بدل السحر فيكون عائدا على قولهم لسحر

في قومه عائداً على موسى وأنه لا يعود على فرعون لأن موسى هو المحدث عنه في هذه الآية وهو أقرب
من كور ولأنه لو كان عائداً على فرعون لم يظهر لفظ فرعون وكان التركيب على خوف منه ومن
ملائهم أن يفتنهم وهذا الايمان من الذرية كان أول مبعثه إذ قد آمن به بنو اسرائيل قومه كلهم كان
أولاداً على الآباء فلم يجيبوه خوفاً من فرعون واجابته طائفة من أبناءهم مع الخوف * وقال مجاهد
والأعمش معنى الآية أن قوماً أدركهم موسى ولم يؤمنوا وإنما آمن ذراريهم بعد هلاكهم لطول
الزمن * قال ابن عطية وهذا قول غير صحيح إذا آمن قوم بعد موت آبائهم فلا معنى لتخصيصهم باسم
الذرية وأيضاً غاروى من أخبار بني اسرائيل لا يعطى هذا وينفيه قوله في آية آمن لأنه يعطى قليل
المؤمنين به لأنه في الايمان ثم أوجبه لبعضهم ولو كان الأكثر مؤمناً لوجب الايمان أولاً ثم نفاه عن
الأقل وعلى هذا الوجه يخرج قول ابن عباس في الذرية أنه القليل لأنه أراد أن لفظ الذرية بمعنى
القليل كما ظن مكى وغيره * وقالت فرقة إنما سماهم ذرية لأن أمهاتهم كانت من بني اسرائيل وأما وهم
من القبط رواه عكرمة عن ابن عباس فكان يقال لهم الذرية كما قيل لفرس اليمن البنات وهم الفرس
المنتقلون مع وهو زبسية سيف بن ذي يزن ومن ذهب إلى أن الضمير في قومه على موسى ابن
عباس قال وكانوا ستمائة ألف وذلك أن يعقوب عليه السلام دخل مصر في اثنين وسبعين نفساً
فتموا الدوا بمصر حتى صاروا ستمائة ألف * وقيل الضمير في قومه يعود على فرعون روى أنه آمنت
زوجة فرعون وخازنه وامرأته خازنه وشباب من قومه * قال ابن عباس أيضاً والسحرة أيضاً فاتهم
معدودون في قوم فرعون * وقال السدي كانوا سبعين أهل بيت من قوم فرعون * قال ابن
عطية ومما يضعف عود الضمير على موسى عليه السلام أن المعروف من أخبار بني اسرائيل أنهم
كانوا قوماً قد فشت فيهم السوات وكانوا في مدة فرعون قد نالهم ذل مفراط وقد رجوا كشفه على
يد مولود يخرج فيهم يكون نبياً فاجاءهم موسى عليه السلام أصفقوا عليه وباعوه ولم يحفظ قط
أن طائفة من بني اسرائيل كفرت به فكيف تعطى هذه الآية أن الأقل منهم كان الذي آمن فالذي
يترجح بحسب هذا أن الضمير عائداً على فرعون ويؤيد ذلك أيضاً ما تقدم من محاوره موسى ورده
عليهم وتوبيخهم على قولهم هذا سحر فقد كر الله ذلك عنهم ثم قال فما آمن لموسى الا ذرية من قوم
فرعون الذي هذه أقوالهم وتكون القصة على هذا التأويل بعد ظهور الآية والتعجيز بالعصا
والفاء مرتبة للمعاني التي عطفت انتهى ويمكن أن يكون معنى فما آمن أي ما أظهر ايمانه
وأعلن به الا ذرية من قوم موسى فلا يدل ذلك على أن طائفة من بني اسرائيل كفرت به والظاهر
عود الضمير في قوله وملائهم على الذرية وقوله الأخفش واختاره الطبري أي أخوف بني اسرائيل
الذرية وهم أشرف بني اسرائيل أن كان الضمير في قومه عائداً على موسى لأنهم كانوا يمنعون
أعقابهم خوفاً من فرعون على أنفسهم ويدل عليه قوله تعالى أن يفتنهم أي يعذبهم * وقال ابن عباس
أن يقتلهم * وقيل يعود على قومه أي وملائهم قوم موسى أو قوم فرعون * وقيل يعود على المضاف
المخدوف تقديره على خوف من آل فرعون قاله الفراء كما حذف في واسأل القرية ورد عليه بأن
الخوف يمكن من فرعون ولا يمكن سؤال القرية فلا يحذف إلا ما دل عليه الدليل وقد يقال ويدل
على هذا المخدوف جمع الضمير في وملائهم * وقيل ثم معطوف مخدوف يدل عليه كون الملك لا يكون
وحد بل له حاشية وأجناده وكأنه قيل على خوف من فرعون وقومه وملائهم أي ملا فرعون
وقومه وقوله الفراء أيضاً * وقيل لما كان ملكاً جباراً أخبر عنه بفعل الجميع * وقيل سميت

(ع) ومما يضعف عود
الضمير على موسى عليه
السلام أن المعروف من
أخبار بني اسرائيل أنهم
كانوا قوماً قد فشت فيهم
السوات وكانوا في مدة
فرعون قد نالهم ذل مفراط
وقد رجوا كشفه على يد
مولود يخرج فيهم يكون
نبياً فاجاءهم موسى عليه
السلام أصفقوا أي اتفقوا
عليه وباعوه ولم يحفظ قط
أن طائفة من بني اسرائيل
كفرت به فكيف تعطى
هذه الآية أن الأقل منهم كان
الذي آمن فالذي يترجح
بحسب هذا أن الضمير
عائداً على فرعون ويؤيد
ذلك أيضاً ما تقدم من محاوره
موسى ورده عليهم وتوبيخهم
على قولهم هذا سحر فقد كر
الله ذلك عنهم ثم قال فما آمن
لموسى الا ذرية من قوم
فرعون الذين هذه أقوالهم
وتكون القصة على هذا
التأويل بعد ظهور الآية
والتعجيز بالعصا وتكون
الفاء مرتبة للمعاني التي
عطفت انتهى (ح) يمكن
أن يكون معنى فما آمن
أي ما أظهر ايمانه وأعلن به
الا ذرية من قوم موسى
فلا يدل ذلك على أن طائفة
من بني اسرائيل كفرت

الجماعة بفرعون مثل هود وأن يفتنهم بدل من فرعون بدل اشتغال أي فتنته فيكون في موضع حر ويجوز أن يكون في موضع نصب بخوف اما على التعليل واما على انه في موضع المفعول به أي على خوف لأجل فتنته أو على خوف فتنته * وقرأ الحسن وجراح وينبع يفتنهم بضم الياء من أفن ولعال منجر أو باع ظالم أو متعال أو قاهر كما قال

فأعبد المانع لو قالك بالذي * لا تستطيع من الأمور بدان

أي لما تنهز أقوال متقاربة واسرافه كونه كثير القتل والتعذيب * وقيل كونه من أخس العبيد فادعى الالهية وهذا الاخبار مبين سبب خوف أولئك المؤمنين منه وفي الآية مسالة للرسول صلى الله عليه وسلم بقلته من آمن لموسى ومن استجاب له مع ظهور ذلك المعجز الباهر ولم يؤمن له الاذرية من قومه وخطاب موسى عليه السلام لمن آمن بقوله يا قوم دليل على ان المؤمنين الذرية كانوا من قومه وخطابهم بذلك حين اشتد خوفهم مما توعدهم به فرعون من قتل الآباء ودمج الذرية * وقيل قال لهم ذلك حين قالوا انما المذكور * وقيل حين قالوا أؤذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئنا قيل والاول هو الصواب لان جواب كل من القولين مذکور بعده وهو كلا ان معي ربي سيهدين وقوله عسى ربكم أن يهلك عدوكم الآية وعلقوا كلهم على شرطين متقدم ومتأخر ومتى كان الشرطان لا يترتبان في الوجود فالشرط الثاني شرط في الاول فن حيث هو شرط فيه يجب أن يكون متقدما عليه فالاسلام هو الانقياد للتكاليف الصادرة من الله واطهار الخسوع وترك التمرّد والايان عرفان القلب بالله تعالى ووحدانيته وسائر صفاته وان ماسواه محدث تحت قهره وتدبيره واذا حصل هذان الشرطان فوض العبد جميع أموره الى الله تعالى واعتقد عليه في كل الاحوال وأدخل أن على فعلى الشرط وان كانت في الغلب انما تدخل على غير المحقق مع عامه بايمانهم على وجه اقامة الحجة وتنبيه النفس واثارة الأنفة كما تقول ان كنت رجلا فقاتل تخاطب بذلك رجلا لا يداقمة البيئة وطول ابن عطية هنا في مسألة التوكل بما يوقف عليه في كتابه وأجابوا موسى عليه السلام بما أمرهم به من التوكل على الله لانهم كانوا مخلصين في ايمانهم واسلامهم ثم سألو الله تعالى شيئين أحدهما أن لا يجعلهم فتنة للقوم الظالمين * قال الزمخشري أي موضع فتنة لهم أي عذاب تعذبوننا أو تفتنوننا عن ديننا أو فتنة لهم يفتنون بها ويقولون لو كان هؤلاء على الحق لما أصيبوا * وقال مجاهد وأبو مجاز وأبو الضحى وغيرهم معنى القول الآخر قال المعنى لا ينزل بنا ملائكة يديهم أو بغير ذلك مدة محاربتنا لهم فيفتنون ويعتقدون أن هلاكنا ما هو بقصد منك لسوء ديننا وصلاح دينهم وأنهم أهل الحق * وقالت فرقة المعنى لا تفتنهم ونبليهم بقتلنا واذا ابتنا فنعذبهم على ذلك في الآخرة * قال ابن عطية وفي هذا التأويل قلق * وقال ابن السكبي لا تجعلنا فتنة بتقدير الرزق علينا وبسطه لهم والآخر ينجيهم من الكافرين أي من تسخيرهم واستعبادهم والذي يظهر أنهم سألوا الله تعالى أن لا يفتنوا عن دينهم وأن يخلصوا من الكفار فقد موأما كان عندهم أهم وهو سلامة دينهم لهم وآخر واسلامتهم أنفسهم اذا لاهم بمصالح الدين آكد من الاهتمام بمصالح الابدان * وأوحينا الى موسى وأخيه أن تبوأ لقومكما بمصر يموئنا واجعلوا يموئكم قبله وأقيموا الصلاة وبشر المؤمنين * لم يصرح باسم أخيه لانه قد تقدم أولا في قوله ثم بعثنا من بعدهم موسى وهارون وتبوأ اتخذامباة أي مرجع للعبادة والصلاة كما تقول توطن اتخذموطننا والظاهر اتخاذ البيوت بمصر * قال الضحاك وهي مصر المحروسة ومصر من البحر الى أسوان والاسكندرية من أرض مصر * وقال مجاهد هي

* وأوحينا الى موسى
الآية أن يجوز أن تكون
تفسيرية بمعنى أي وان
تكون مصدرية
* وتبوأ * فعل أمر أي
اتخذامباة وهو المكان
الذي يرجع الانسان اليه
والظاهر اتخاذ البيوت
بمصر وهي مصر المعروفة
وهي من البحر الى أسوان
والاسكندرية من أرض
مصر * واجعلوا يموئكم
قبلة * أي قبل القبلة
ثم سبق الخطاب عاما لها
ولقومها باتخاذ المساجد
والصلاة فيها ثم خص
موسى عليه السلام
بالتبشير الذي هو الغرض
تعظيمه للبشر به

﴿ وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملائه ﴾ (١٨٦) زينة ﴿ الآية الزينة عبارة عما يتزين به ويتحسن من اللبس

والمركوب والأثاث والمال ما يزيد على ذلك من الصامت والناطق وفي تكرار ربنا توكيد للدعاء والاستعانة واللام في ليضلوا الظاهر أنها لام كي على معنى آتيتهم ما آتيتهم على سبيل الاستدراج فكان الالباء لكي يضلوا ويحتمل أن تكون لام الصيرورة والعاقبة كقوله تعالى فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وكما قال الشاعر وللمنايا تربي كل مرضعة وللخراب يجبد الناس عمرانا *

﴿ ربنا اطمس على أموالهم ﴾ قال ابن عباس صارت دراهمهم حجارة منقوشة صحاحا واثلاثا وأنصافا ولم يبق لهم معدن الاطمس الله عليه فلم ينتفع به أحد بعد ﴿ واشدد على قلوبهم ﴾ قال ابن عباس اطبع عليها وامنعها من الايمان ﴿ فلا يؤمنوا ﴾ منصوب على انه جواب اشد والامر وجوابه ينتقد منهم ما شرط وجزاء وتقدير ذلك هنا ان تشدد لا يؤمنوا ﴿ فلقد أجيب دعوتك ﴾ الآية قال محمد

الاسكندرية وكان فرعون قد استولى على بني اسرائيل خرب مساجدهم ومواقع عباداتهم ومنعهم من الصلوات وكلفهم الاعمال الشاقة وكانوا في أول أمرهم مأمورين بان يصلوا في بيوتهم في خفية من الكفرة لئلا يظهر واعليهم فيردوهم ويفتنوهم عن دينهم كما كان المؤمنون على ذلك في أول الاسلام * وقرأ حفص في رواية هبيرة تبو بالياء وهذا تسهيل غير قياسي ولو جرى على القياس لكان بين الهمزة والألف والظاهر أن المأمور بان يجعل قبله هي المأمور بتبوتها ومعنى قبله مساجد أمر وان يتخذوا بيوتهم مساجد قاله النخعي وابن زيد * وروى عن ابن عباس وعن ابن عباس أيضا وجعلوا بيوتكم قبل القبلة * وعنه أيضا قبل مكة * وقال مجاهد وقتادة ومقاتل والفراء أمر وان يجعلوها مستقبلة الكعبة * وعن ابن عباس أيضا وان جبر قبله يقابل بعضها بعضها أقيموا الصلاة وهذا قبل نزول التوراة لانها لم تنزل الا بعد اجارة البحر وبشر المؤمنين يعني بالنصر في الدنيا والجنة في الآخرة وهو أمر لموسى عليه السلام أن يتبوا لقومهم ما يختارها للعبادة وذلك مما يفوض الى الانبياء ثم نسق الخطاب عام لها ولقومها باتخاذ المساجد والصلوة فيها لان ذلك واجب على الجمهور ثم خص موسى عليه السلام بالتبشير الذي هو الغرض تعظيما له وللبشر به ﴿ وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملائه ﴾ زينة وأموالا في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم قال قد أجيب دعوتك فاستقميا ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون ﴿ لما بالغ موسى عليه السلام في اظهار المعجزات وهم مصر وون على العناد واشتد أذاهم عليه وعلى من آمن معه وهم لا يزيدون على عرض الآيات الا كفرا وعلى الانذار الاستكبار او علم بالتجربة وطول الصعوبة أنه لا يجي منهم الا النفي والضلال أو علم ذلك بوحي من الله تعالى دعا الله تعالى عليهم بما علم أنه لا يكون غيره كما تقول لعن الله ابليس وأخرى الكفرة كما دعانا نوح على قومه حين أوحى اليه أنه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن وقد دم بين يدي الدعاء ما آتاهم الله من النعمة في الدنيا وكان ذلك سببا للايمان به ولشكر نعمه فجعلوا ذلك سببا لجحوده وكفر نعمه والزينة عبارة عما يتزين به ويتحسن من اللبس والمركوب والأثاث والمال ما يزيد على ذلك من الصامت والناطق * قال المؤرخون والمفسرون كان لهم فسطاط مصر الى أرض الحبشة جبال فيها معادن الذهب والفضة والزبرجد والياقوت وفي تكرار ربنا توكيد للدعاء والاستغاثة واللام في ليضلوا الظاهر أنها لام كي على معنى آتيتهم ما آتيتهم على سبيل الاستدراج فكان الاتيان لكي يضلوا ويحتمل أن تكون لام الصيرورة والعاقبة كقوله فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وكما قال الشاعر

وللمنايا تربي كل مرضعة * وللخراب يجبد الناس عمرانا

* وقال الحسن هو دعاء عليهم وهذا بدأ الرخصى قال كأنه قال ليثبتوا على ما هم عليه من الضلال وليكونوا ضلالا وليطبع الله على قلوبهم فلا يؤمنوا ويبعد أن يكون دعاء قراءة من قرأ ليضلوا بضم الياء اذ يبعد أن يدعو بأن يكونوا مضلين غيرهم وهي قراءة الكوفيين وقتادة والأعمش وعيسى والحسن والاعرج بخلاف عنهما * وقرأ الخرميان والعريبان ومجاهد وأبو رجاء والاعرج وشيبة وأبو جعفر وأهل مكة بفتحها * وقرأ الشعبي بكسر ها والى بين الكسرات

ابن كعب كان موسى عليه السلام يدعو وهارون يؤمن فنسبت الدعوة اليهما ويمكن أن يكونا دعوا معا ثم أمر بالاستقامة والمعنى الذي يؤمته عليها وعلى ما أمر تائبه من الدعوة الى الله والزام حجته والذين لا يهامون فرعون وقومه قاله ابن عباس

الثلاث * وقيل لا تحنوفة التقدير لئلا يضلوا عن سبيلك قاله أبو علي الجبائي * وقرأ أبو الفضل الرقاشي إنك آتيت على الاستفهام ولما تقدم ذكر الأموال وهي أعز ما ادخر دعا بالطموس عليها وهي التعفية والتغيير أو الإهلاك * قال ابن عباس ومحمد بن كعب صارت دراهمهم حجارة منقوشة صحاحوا ثلاثا وأضا فو لم يبق لهم معدن الا طمس الله عليه فلم ينتفع بها أحد بعد * وقال قتادة بلغنا أن أموالهم وزرو عنهم صارت حجارة * وقال مجاهد وعطية أهلها حتى لا ترى * وقال ابن زيد صارت دنائيرهم ودراهمهم وفرشهم وكل شيء لهم حجارة * قال محمد بن كعب سألني عمر بن عبد العزيز قد كرت ذلك له فدعا بخريطة أصيبت بمصر فأخرج منها الفواكه والدراهم والدنائير وأنهم الحجارة * وقال قتادة والضحاك وأبو صالح والقرطبي جعل سكرهم حجارة * وقال السدي مسح الله الثمار والتخل والاطعمة حجارة * وقال شيخنا أبو عبد الله محمد بن سليمان المقدسي عرف بابن النقيب وهو جامع كتاب التحرير والتعبير في هذا الكتاب أخبرني جماعة من الصالحين كان شغلهم السباحة أنهم غابوا بجبال مصر وبرايا حجارة على هيئة الدنائير والدراهم وفيها آثار النقش وعلى هيئة الفلوس وعلى هيئة البطج العبد لاوى وهىة البطج الأخضر وعلى هيئة الخيار وعلى هيئة القشاء وحجارة مطولة رفيقة معوجة على هيئة النقوش وربما رأوا على صورة الشجر * واشدد على قلوبهم وقال ابن عباس ومقاتل والفراء والزجاج اطبع عليها وامنعها من الايمان * وقال ابن عباس أيضا والضحاك أهلهم كفارا * وقال مجاهد اشدد عليها بالضلالة * وقال ابن قتيبة قس قلوبهم * وقال ابن بحر اشدد عليها بالموت * وقال الكرماني أى لا تجدوا سلوا عن أموالهم ولا صبروا على ذهابها * وقرأ الشعبي وفرقة طمس بضم الميم وهى لغة مشهورة فلا يؤمنوا بحزوم على أنه دعاء عند الكسائي والفراء كما قال الأعشى

فلا تنبسط من بين عينيك ما تزوى * ولا تلتفتن الا وأنفك راغم

ومنصوب على أنه جواب اشدد بدأبه المخشري ومعطوف على ليضلوا على أنه منصوب قاله الاخفش وغيره وما بينهما اعتراض أو على أنه محزوم على قول من قال ان لام ليضلوا لام الدعاء وكان رؤية العذاب غاية ونهاية لان الايمان اذذاك لا ينفع ولا يخرج من الكفر وكان العذاب الليم غرقهم * وقال ابن عباس قال محمد بن كعب كان موسى يدعو وهارون يؤمن فنسبت الدعوة اليهما ويمكن أن يكونا دعواو بعده قول من قال كنى عن الواحد بلفظ التثنية لان الآية تضمنت بعد مخاطبتهم فى غير شئ * وروى عن ابن جريج ومحمد بن علي والضحاك أن الدعوة لم تظهر اجابتها الا بعد أربعين سنة وأعلمنا أن دعاءهما صادف مقدورا وهذا معنى اجابة الدعاء وقيل لهما لا تتبعان سبيل الدين لا يعلمون أى فى أن تستعجلا قضائى فان وعدى لا خلف له * وقرأ الأسامي والضحاك دعواتكم على الجمع * وقرأ ابن السميعة قد أجبت دعوتكم كما أخبرنا عن الله تعالى ونصب دعوة والربيع دعوتكم وهذا يؤيد قول من قال ان هارون دعاه موسى وقراءة دعوتكم تدل على أنه قرأ قد أجبت على أنه فعل وفاعل ثم أمر بالاستقامة والمعنى الديمومة عليها وعلى ما أمر تعالى به من الدعوة الى الله تعالى والزام حجة الله * وقرأ الجمهور تتبعان بتشديد التاء والنون وابن عباس وابن ذكوان بتخفيف التاء وشد النون وابن ذكوان أيضا بتشديد التاء وتخفيف النون وفرقة بتخفيف التاء وسكون النون وروى ذلك الاخفش الدمشقي عن أصحابه عن ابن عامر فأما تشديد النون فعلى أنها نون التوكيد السديده لحقت بفعل النهى المنصلى به صمير الانبياء وأما تخفيفها

﴿ وجاوزنا بني اسرائيل البحر ﴾ تقدم الكلام على الباء من قوله بني اسرائيل وكما كان الذين جاوزوا مع موسى عليه السلام في الاعراف ﴿ فاتبعهم فرعون ﴾ واتباع فرعون هو في مجاوزة البحر روى أن فرعون لما انتهى الى البحر ووجده قد انفرق ومضى فيه بنو اسرائيل قال لقومه انما انفرق بأمرى (١٨٨) وكان فرعون على فرس ذكركر فبعث الله اليه جبريل على

فرس أنثى فدنا فدخل بها البحر وولج فرس فرعون وراءه وجنب الجيوش خلفه فلم أر أي ان الانفرق قد ثبت واستقر له وبعث الله ميكائيل عليه السلام يسوق الناس حتى حصل جميعهم في البحر فانطبق عليهم ولما لحقه من الدهش ما لحقه كرر المعنى بثلاث عبارات اما على سبيل التلغيم اذ ذاك مقام تحار فيه القلوب أو حرصا على القبول ولم يقبل الله تعالى منه اذ فاتته وقت القبول وهو حالة الاختيار وبقاء التكليف والتوبة بعد المعاينة لا تنفع ألا ترى الى قوله تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التي قد خلت في عباده وتقدم الخلاف في قراءة آلآن في قوله تعالى آلآن وقد كنتم به تستعجلون في هذه السورة والمعنى أتؤمن الساعة في حال الاضطراب حين أدركك الغرق وأيسر من نفسك قيل قال ذلك حين أله الغرق * وقيل بعد ان غرق في نفسه * قال الرنخشري والذي يحكى أنه حين قال آمنت أخذ جبريل من حال البحر فندسه في فيه فلما غضب في الله تعالى على حال الكافر في وقت قد علم

مكسورة فقبل هي نون التوكيد الخفيفة وكسرت كما كسرت الشديدة وقد حكي النحويون كسر النون الخفيفة في مثل هذا عن العرب ومن ذهب سيبويه والكسائي أنها لا تدخل هنا الخفيفة ويونس والفراء يريان ذلك * وقيل النون المكسورة الخفيفة هي علامة الرفع والفعل منفي والمراد منه النهي أو هو خبر في موضع الحال أي غير متبعين قاله الفارسي والذين لا يعلمون فرعون وقومه قاله ابن عباس أو الذين يستعجلون القضاء قبل مجيئه ذكره أبو سليمان ﴿ وجاوزنا بني اسرائيل البحر فاتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنوا اسرائيل وأنا من المسلمين آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين فاليوم نجيتك ببدينك لتكون لمن خلفك آية وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون ﴾ قرأ الحسن وجوزنا بتشديد الواو وتقدم الكلام في الباء في بني اسرائيل وكما كان الذين جاوزوا مع موسى عليه السلام في سورة الاعراف ﴿ وقرأ الحسن وقتادة فاتبعهم بتشديد التاء ﴾ وقرأ الجمهور وجاوزنا فاتبعهم رباعيا * قال الرنخشري وليس من جوز الذي في بيت الاعشى

* واذا تجوزها جبال قبيلة * لانه لو كان منه لكان حقه ان يقال وجوزنا بني اسرائيل في البحر كما قال * كما جوز السبكي في الباب فينق * انتهى * وقال الحوفي تبسع واتبسع بمعنى واحد * وقال الرنخشري فاتبعهم لحقهم يقال تبعه حتى اتبعه وفي اللوامح تبعه اذا مشى خلفه واتبعه كذلك لأنه اذا ه في المشي واتبعه لحقه ومنه العامة يعني ومنه قراءة العامة فاتبعهم وجنود فرعون قيل ألف ألف وسنة ألف * وقيل غير ذلك * وقرأ الحسن وعدوا على وزن علو وتقدمت في الانعام وعدوا وعدوا من العدوان واتباع فرعون هو في مجاوزة البحر * روى أن فرعون لما انتهى الى البحر فوجده قد انفرق ومضى فيه بنو اسرائيل قال لقومه انما انفرق بأمرى وكان على فرس ذكركر فبعث الله اليه جبريل عليه السلام على فرس أنثى ودنا فدخل بها البحر وولج فرس فرعون وراءه وجنب الجيوش خلفه فلما رأى أن الانفرق ثبت له استقر وبعث الله ميكائيل عليه السلام يسوق الناس حتى حصل جميعهم في البحر فانطبق عليهم * وقرأ الجمهور أنه بفتح الهمزة على حذف الباء * وقرأ الكسائي وحجرة بكسرها على الاستثنا في ابتداء كلام أو بدلا من آمنت أو على اضممار القول أي قائلانه ولما لحقه من الدهش ما لحقه كرر المعنى بثلاث عبارات اما على سبيل التلغيم اذ ذاك مقام تحار فيه القلوب أو حرصا على القبول ولم يقبل الله منه اذ فاتته وقت القبول وهو حالة الاختيار وبقاء التكليف والتوبة بعد المعاينة لا تنفع ألا ترى الى قوله تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التي قد خلت في عباده وتقدم الخلاف في قراءة آلآن في قوله تعالى آلآن وقد كنتم به تستعجلون في هذه السورة والمعنى أتؤمن الساعة في حال الاضطراب حين أدركك الغرق وأيسر من نفسك * قيل قال ذلك حين أله الغرق * وقيل بعد ان غرق في نفسه * قال الرنخشري والذي يحكى أنه حين قال آمنت أخذ جبريل من حال البحر فندسه في فيه فلما غضب في الله تعالى على حال الكافر في وقت قد علم

الغرق ﴿ فاليوم نجيتك ببدينك ﴾ أي نقيت بنجوة من الارض وهي المكان المرتفع وبيدك بدرعك وكان من لؤلؤ منظوم لا مثال له قاله ابن عباس والبدن بدن الانسان والبدن الدرع القصيرة قال نرى الابدان فيها مسبغات * على الأبطال والكاب الحصينا يعني الدرع وقيل نقيت بعد ذلك عريانا ليس عليك ثياب ولا سلاح وذلك أبلغ في اهانتة

ان ايمانه لا ينفعه وأما ما يضم اليه من قولهم خشيت أن تدركه رحمة الله تعالى فن زيادات الباهتين لله تعالى وملائكته وفيه جهاتان احدهما ان الايمان يصح بالقلب كايان الاخرس فقال البحر لا يمنع والآخر ان من كره الايمان الكافر وأحب بقاءه على الكفر فهو كافر لان الرضا بالكفر كفر والظاهر ان قوله الآن الى آخره من كلام الله له على لسان ملك * ف قيل هو جبريل * وقيل ميكائيل * وقيل غيرهما خطابه فالיום نجيبك * وقيل من قول فرعون في نفسه وافساده واضلاله الناس ودعواه الر بوبية ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ذنابهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون فالיום نجيبك الظاهر انه خبر * وقيل هو استفهام فيه تهديد أي أ فالיום نجيبك فهلا كان الايمان قبل الاشراف على الهلاك وهذا بعيد لحذف همزة الاستفهام ولقوله لتكون لمن خلفك آية لان التعليل لا يناسب هنا الاستفهام * قال ابن عباس نجيبك تلقيك بنجوة من الارض وهي المكان المرتفع ويبعدك بدرعك وكان من لونه منظر منظوم لامثال له * وقيل من ذهب * وقيل من حديد وفيها سلاسل من ذهب والبدن بدن الانسان والبدن الدرع القصيرة قال ترى الأبدان فيها مسبغات * على الأبطال والكاب الحصينا

يعني الدروع * وقال عمرو بن معدى كرب

أعاذل شكى بدني وسيفي * وكل مقلص سلس القياد

وكانت له درع من ذهب يعرف بها * وقيل تلقيك بيدك عريانا ليس عليك ثياب ولا سلاح وذلك أبلغ في اهانتة * وقيل نخر جك صبحا لم يأكل شيء من الدواب * وقيل بدنا بلاروح قاله مجاهد * وقيل نخر جك من ملكك وحيد افريدا * وقيل تلقيك في البحر من النجاء وهو ما سألته عن الشاة أو القيتة عن نفسك من ثياب أو سلاح * وقيل نتركت حتى تغرق والنجاء الترك * وقيل نجعلك علامة والنجاء العلامة * وقيل تغرقك من قولهم نجى البحر أقواما اذا أغرقهم * وقال الكرماني يحتمل أن يكون من النجاة وهو الاسراع أي نسرع بهلاكك * وقيل معنى بيدك بصورتك التي تعرف بها وكان قصيرا أشقر أزرق قريب اللحية من القامة ولم يكن في بني اسرائيل شبه له يعرفونه بصورته وبيدك اذا غنى به الجنة تأكيدا كما تقول قال فلان بلسانه وجاء بنفسه * وقرأ يعقوب نجيبك مخففا مضارع أنجى * وقرأ أبي وابن السميعة يزيد البري نجيبك بالخاء المهملة من التخمية ورويت عن ابن مسعود أي تلقيك بناحية مما يلي البحر * قال كعب رماه البحر الى الساحل كأنه ثور * وقرأ أبو حنيفة بأبدانك أي بدروعك أو جعل كل جزء من البدن بدنا كقولهم شابت مفارقة * وقرأ ابن مسعود وابن السميعة ببدانك مكان بيدك أي بدعائك أي بقولك آمنت الى آخره لنجعلك آية مع ندائك الذي لا ينفع أو بما ناديت به في قومك ونادى فرعون في قومه فحشر فننادى فقال أنا ربكم الأعلى ويا أيها الملأ ما علمت لكم من الله غيري ولما كذبت بنو اسرائيل بغرق فرعون رمى به البحر على ساحله حتى رآوه قصيرا أحر كأنه ثور لمن خلفك لمن وراءك علامة وهم بنو اسرائيل وكان في أنفسهم ان فرعون أعظم شأننا من أن يغرق وكان مطرحه على ممر بني اسرائيل حتى قيل لمن خلفك آية * وقيل لمن يأتي بعدك من القرون * وقيل لمن بقي من قبط مصر وغيرهم * وقرأ لمن خلفك بفتح اللام أي من الجبابرة والفراعة ليتعظوا بذلك ويحذروا أن يصيبهم ما أصابك اذا فعلوا وفعالك ومعنى كونه آية أن يظهر للناس عبوديته ومهانتة أو ليكون عبرة يعتبر بها الأمم * وقرأت فرق لمن خلفك من الخلق وهو الله تعالى أي لجعلك الله آية له

﴿ولقد بعونا بني اسرائيل﴾ الظاهر أن بني اسرائيل (١٩٠) هم الذين كانوا آمنوا بموسى عليه السلام ونجوا من الفرق

وسياق الآيات يشهد لهم
وانتصب مبوأ صدق على
أنه مفعول ثان لبوأنا
كقوله لنبوءنهم من الجنة
غرفاً أو على المصدر ومعنى
صدق أى فضل وكرامة ولما
ذكر أنه بوأهم مبوأ
صدق ذكر امتنانه عليهم
بما رزقهم من الطيبات
وهى الماء كل المستلذات
أو الحلال ﴿فأخلفوا﴾
أى كانوا على ملة واحدة
وطريقة مع موسى عليه
السلام فى أول حاله ﴿حتى
جاءهم العلم﴾ أى علم
التوراة فاختلغوا وهذا دم
لهم أى أن سبب الايقاف هو
العلم فصار عندهم سبب
الاختلاف قد شغبوا شغباً
بعد ما قرأوا التوراة
﴿فإن كنت فى شك﴾
الظاهر أن إن شرطية
تقضى تعليق شئ على
شئ ولا تستلزم تحتم وقوعه
ولما كانه بل قد يكون
فى المستحيل عقلاً كقوله
تعالى قل إن كان للرحمن
ولد فأنا أول العابدين
ويستحيل أن يكون له
ولد فكذلك هذا يستحيل
أن يكون عليه السلام فى
شك وهذه الآية من ذلك
وقيل إن نافية وقيل

في عباده * وقيل المعنى ليكون طرحك على الساحل وحده وتميزك من بين المعرقين لئلا يشبه
على الناس أمرك ولئلا يقولوا لا دعائك العظمة ان مثله لا يعرق ولا يموت آية من آيات الله التي لا يقدر
عليها غيره وان كثير من الناس ظاهره الناس كافة قاله الحسن * وقال مقاتل من أهل مكة عن آياتنا
أي العلامات الدالة على الوحدانية وغيره من صفات العلي لغافلون لا يتدبرون وهذا خبر في ضمنه
توعد * ولقد بوأنا بني اسرائيل مبعوأ صدق ورزقناهم من الطيبات فما اختلفوا حتى جاءهم العلم
من ربك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون * لماذا ذكر تعالى ماجرى لفرعون وأتباعه
من الهلاك ذكر ما أحسن به لبني اسرائيل وما امتن به عليهم اذ كان بنو اسرائيل قد أخرجوا
من مساكنهم خائفين من فرعون قد ذكر تعالى أنه اختار لهم من الأماكن أحسنها والظاهر ان بني
اسرائيل هم الذين كانوا آمنوا بموسى ونجوا من العرق وسياق الآيات يشهد لهم * وقيل هم الذين
كانوا بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم من بني اسرائيل قريظة والنضير وبني قينقاع وانتصب
مبعوأ صدق على أنه مفعول ثان لبوأنا كقوله لبئس منهم من الجنة عرفا * وقيل يجوز أن يكون
مصدر او معنى صدق أي فضل وكرامة ومنه في مقعد صدق * وقيل مكان صدق الوعد وكان وعدهم
فصدقهم وعده * وقيل صدق تصدق به عليهم لان الصدقة والبر من الصدق * وقيل صدق فيه ظن
قاصده وسأكنه * وقيل منزلا صالحا مرصيا وعن ابن عباس هو الاردن وفلسطين * وقال الضحاك
وابن زيد وفتادة الشام وبيت المقدس * وقال مقاتل بيت المقدس * وعن الضحاك أيضا مصر
وعنه أيضا مصر والشام * قال ابن عطية والاصح انه الشام وبيت المقدس بحسب ما حفظ من أنهم
لم يعودوا الى مصر على انه في القرآن كذلك وأورثناها بني اسرائيل يعني ما ترك القبط من
جنات وعميون وغير ذلك وقد يحتمل أن يكون وأورثناها معناها الحالية من النعمة وان لم تكن
في قطر واحد انتهى * وقيل ما بين المدينة والشام من أرض يثرب ذكره علي بن احمد النيسابوري
وهذا على قول من قال ان بني اسرائيل هم الذين بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم ولماذا ذكر أنه بوأهم
مبعوأ صدق ذكر امتنانه عليهم بما رزقهم من الطيبات وهي المأكلة المستلذات أو الحلال
فما اختلفوا أي كانوا على مله واحدة وطريقة واحدة مع موسى عليه السلام في أول حاله حتى جاءهم
العلم أي علم التوراة فاختلوا وهذا ذم لهم أي أن سبب الايقاف هو العلم فصار عندهم سبب
الاختلاف فتشعبوا وشعبا بعد ما قرؤوا التوراة * وقيل العلم بمعنى المعلوم وهو محمد صلى الله
عليه وسلم لأن رسالته كانت معلومة عندهم مكتوبة في التوراة وكانوا يستفتحون به أي
يستنصرون وكانوا قبل مجيئه الى المدينة مجمعين على نبوته يستنصرون به في الحروب يقولون
اللهم بحرمة النبي المبعوث في آخر الزمان انصرنا فينصرون فلما جاء قالوا النبي الموعود به من
ولدي يعقوب وهذا من ولد اسماعيل فليس هو ذاك فآمن به بعضهم كعبد الله بن سلام وأصحابه
* وقيل العلم القرآن واختلافهم قول بعضهم هو من كلام محمد وقول بعضهم من كلام الله وليس
لنا انما هو للعرب وصدق به قوم فآمنوا وهذا الاختلاف لا يمكن زواله في الدنيا وانه تعالى
يقضى فيه في الآخرة فميز المحق من المبطل * فان كنت في شك مما أنزلنا اليك فاستل الذين
بقرؤن الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين ولا تكونن من الذين

الخطاب لغير الرسول عليه السلام وقيل معنى في شك في ضيق ولا يراد به حقيقة الشك وهو تساوي الجائزين وروى عنه عليه السلام أنه قال لا أشك ولا أسأل بل أسأله الحق فتكبر، معصوب باضمار أن بعد الفاء وهو جواب الهمي فله

كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين ﴿ الظاهر أن إن شرطية ﴾ وروى عن الحسن
والحسين بن الفضل أن إن نافية ﴿ قال الزمخشري أي مما كنت في شك فسئل يعني لا تأمر لك
بالسؤال لأنك شك ولكن لتزاد يقينا كما زاد إبراهيم عليه السلام بمعينة أحياء الموتى انتهى
وإذا كانت إن شرطية فقد كروا أنها تدخل على الممكن وجوده أو التحقق وجوده المنهم زمان
وقوعه كقوله تعالى أفان مت فهم الخالدون والذي أقوله أن إن الشرطية تقتضي تعليق شيء على شيء
ولا تستلزم تحتم وقوعه ولا إمكانه بل قد يكون ذلك في المستحيل عقلا كقوله تعالى قل إن كان
للرحمن ولد فأنأول العابدين ومستحيل أن يكون له ولد فكذلك هذا مستحيل أن يكون في شك وفي
المستحيل عادة كقوله تعالى فان استطعت أن تبغي نفقا في الأرض أو سماه في السماء فأتيتهم بآية
أي فافعل لكن وقوع ان التعليق على المستحيل قليل وهذه الآية من ذلك ولما خفي هذا الوجه على
أكثر الناس اختلفوا في تخريج هذه الآية ﴿ فقال ابن عطية الصواب أنها مخاطبة للنبي صلى الله عليه
وسلم والمراد بها سواء من كل من يمكن أن يشك أو يعارض انتهى ولذلك جاء قل يأياها الناس ان كنتم
في شك من ديني ﴾ وقال قوم الكلام بمنزلة قولك ان كنت ابني فبرني وليس هذا المثال بحيد وإنما
مثال هذه قوله تعالى لعيسى عليه السلام أنت قلت للناس انتهى وهذا القول مروي عن الفراء
﴿ قال الكرماني واختاره جماعة وضعف بأنه يصير تقدير الآية أنت في شك إذ ليس في الآية ما يدل
على نفى الشك ﴾ وقيل كنى هنا بالشك عن الضيق أي فان كنت في ضيق من اختلافهم فيما أنزل اليك
وتعنهم عليك ﴾ وقيل كنى بالشك عن العجب أي فان كنت في تعجب من عناد فرعون ومناسبة
المجاز أن التعجب فيه تردد كما ان الشك تردد بين أمرين ﴿ وقال الكسائي معناه ان كنت في شك
ان هذا أعادتهم مع الانبياء فسألهم كيف كان صبر موسى عليه السلام حين اختلفوا عليه ﴾ وقال
الزمخشري فان كنت في شك بمعنى العرض والتمثيل كأنه قيل فان وقع لك شك مثلا وخيل لك
الشیطان خيالا منه تقدير افسئل الذين يقرؤون الكتاب والمعنى ان الله تعالى قدم ذكر بني اسرائيل
وهم قرأة الكتاب ووصفهم بأن العلم قد جاءهم لأن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم مكتوب
عندهم في التوراة والانجيل وهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم فأراد أن يؤكدهم بصحة القرآن
وصحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ويبالغ في ذلك فقال تعالى فان وقع لك شك فراضا وتقديرا وسبيل
من خالجه شبهة في الدين ان يسارع الى حلها واماطتها اما بالرجوع الى قوانين الدين وأدلتها وإما
بمقادحة العلماء المنهين على الحق انتهى ﴿ وقيل أقوال غير هذه ﴾ وقرأ يحيى وإبراهيم يقرؤون
الكتب على الجمع والحق هنا الاسلام أو القرآن أو النبوة أو الآيات والبراهين القاطعة أقوال ثابتة
ودم على ما أنت فيه من انتفاء المرية والتكذيب والخطاب للسامع غير الرسول وكثيرا ما يأتي الخطاب
في ظاهره لشخص والمراد غيره ﴿ وروى انه عليه السلام قال لا أشك ولا أسأل بل أشهد انه الحق
وعن ابن عباس والله ما شك طرفة عين ولا سأل أحدا منهم والامراء التوقف في الشيء والشك فيه
وأمره أسهل من أمر المكذب فبدى به أولا فنهى عنه واتبع بدكر المكذب ونهى أن يكون منهم
﴿ ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم ﴾ ذكر
تعالى عبادا قضى عليهم بالشقاوة فلا تتغير والكلمة التي حقت عليهم قال قتادة هي اللعنة
والغضب ﴿ وقيل وعيده انهم يصيرون الى العذاب ﴾ وقال الزمخشري قول الله تعالى الذي كتب
في اللوح وأخبر به الملائكة انهم يموتون كفارا فلا يكون غيره وتلك كتابة معلوم لا كتابة مقدر

﴿ ان الذين حقت عليهم
كلمة ربك لا يؤمنون ﴾
لما ذكر تعالى عبادا
قضى عليهم بالشقاوة فلا
تتغير والكلمة التي حقت
عليهم هي اللعنة والغضب
﴿ حتى يروا العذاب
الأليم ﴾ هو في الوقت
الذي لا ينفعهم فيه إيمانهم

﴿فلولا كانت قرية آمنت﴾ الآية لولا هنا هي التحضية التي صحبها التوبيخ وكثيرا ما جاءت في القرآن للتحضيض فهي بمعنى هلا والتحضيض أن ير يد الانسان فعل الشيء الذي يحض عليه وان كانت للتوبيخ فلا ير يد المتكلم الحض على (١٩٢)

ومراد الله تعالى الله عن ذلك انتهى وكلامه أخيرا على طريقة الاعتزال * وقال أبو عبد الله الرازي المراد من هذه الكلمة كلم الله بذلك واخباره عنه وخلق في العبد مجموع القدرة والداعية وهو موجب لحصول ذلك الأمر * وقال ابن عطية المعنى ان الله أوجب لهم سخطه من الازل وخلقهم لعذابه فلا يؤمنون ولو جاءهم كل بيان وكل وضوح الا في الوقت الذي لا ينفعهم فيه الايمان كما صنع فرعون وأشباؤه وذلك وقت المعايضة وفي ضمن الالفاظ التحذير من هذه الحال وبعث كل على المبادرة الى الايمان والفرار من سخط الله ويجوز أن يكون العذاب الأليم عند تقطع أسبابهم يوم القيامة وتقدم الخلاف في قراءة كلمة بالافراد وبالجمع * ﴿فلولا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس﴾ لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم الى حين * ﴿لولا هنا هي التحضية التي صحبها التوبيخ وكثيرا ما جاءت في القرآن للتحضيض فهي بمعنى هلا﴾ وقرأ أبي عبد الله ﴿فلولا﴾ كذا هو في مصحفهما والتحضيض أن ير يد الانسان فعل الشيء الذي يحض عليه واذا كانت للتوبيخ فلا ير يد المتكلم الحض على ذلك الشيء كقول الشاعر

تعدون عقر النيب أفضل مجدهم * بنى ضو طرى لولا الكمي المقنعا

لم يقصد حضهم على عقر الكمي المقنع وهنا وبخهم على ترك الايمان النافع والمعنى فهلا آمن أهل القرية وهم على مهل لم يلبس العذاب بهم فيكون الايمان نافعا لهم في هذه الحال وقوم منصوب على الاستثناء المنقطع وهو قول سيبويه والكسائي والفراء والأخفش اذ ليسوا مندرجين تحت لفظ قرية * وقال الزمخشري ويجوز أن يكون متصلا والجملة في معنى النفي كأنه قيل ما آمنت قرية من القرى الهالكة الا قوم يونس * وقال ابن عطية هو بحسب اللفظ استثناء منقطع وكذلك رسمه النحويون وهو بحسب المعنى متصل لان تقديره ما آمن أهل قرية الا قوم يونس والنصب هو الوجه ولذلك أدخله سيبويه في باب مالا يكون فيه الا النصب وذلك مع انقطاع الاستثناء وقالت فرقة يجوز فيه الرفع وهذا مع اتصال الاستثناء * وقال المهدوي والرفع على البدل من قرية * وقال الزمخشري وقرى بالرفع على البدل عن الحرمي والكسائي وتقدم الخلاف في قراءة يونس بضم النون وكسرها وذكروا جواز فتحها وقوم يونس هم أهل نينوى من بلاد الموصل كانوا يعبدون الأصنام فبعث الله اليهم يونس فأقاموا على تكذيبه سبع سنين ونوعدهم العذاب بعد ثلاثة أيام * وقيل بعد أربعين يوما * وذكر المفسرون قصة قوم يونس وتفاصيل فيها وفي كيفية عذابهم الله أعلم بصحة ذلك ويوقف على ذلك في كتبهم * وقال الطبري وذكره عن جماعة ان قوم يونس خصوصاً من بين الأمم بأن تيب عليهم بعد معاناة العذاب * وقال الزجاج هؤلاء دنا منهم العذاب ولم يباشرهم كما باشر فرعون فكانوا كالمريض الذي يخاف الموت ويرجو العافية فأما الذي يباشره العذاب فلا توبة له * وقال ابن الأنباري علم منهم صدق النيات بخلاف من تقدمهم من الهالكين * قال السدي الى حين الى وقت انقضاء آجالهم * وقيل الى يوم القيامة وروى عن ابن عباس ولعله لا يصح فعلى هذا يكونون باقين أحياء وسأترهم الله عن الناس * ﴿ولو شاء ربك لآمن من في الأرض

ذلك الشيء وهنا وبخهم على ترك الايمان النافع والمعنى فهلا آمن أهل قرية وهم على مهل لم يلبس العذاب بهم فيكون الايمان نافعا لهم في هذه الحال و﴿الا قوم يونس﴾ استثناء منقطع اذ لم يندرج قوم يونس في قوله قرية والى الانقطاع فيه ذهب سيبويه والكسائي والفراء والأخفش وقيل هو استثناء متصل لان التحضيض انما يكون على شيء لم يقع فيضمن معنى النفي والمعنى لم تكن قرية يعني أهلها آمنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس وقوم يونس هم أهل نينوى من بلاد الموصل كانوا يعبدون الاصنام فبعث الله اليهم يونس عليه السلام فأقاموا على تكذيبه سبع سنين ونوعدهم بالعذاب بعد ثلاثة أيام فلم يرجعوا حتى وفي الموعد فقامت السماء غما سودا دخان شديد فهبط حتى غشى مدينتهم فهاجوا فطلبوا يونس فلم يجدوه صلى الله عليه وسلم فأيقنوا صدقه فلبسوا المسوح وبرزوا

الى الصعيد بانفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم وفرقوا بين كل والدة ولدها فجاء بعضهم الى بعض وعلت الاصوات والعجيج وأخلصوا التوبة وأظهروا الايمان وتفرغوا الى الله تعالى فرحمهم وكشف عنهم وكان يوم عاشوراء يوم الجمعة انتهى بيضاوي وقيل بعد أربعين يوما * ﴿الى حين﴾ أي الى وقت انقضاء آجالهم * ﴿ولو شاء ربك لآمن من في الأرض﴾ قيل أنزلت

في أبي طالب لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أسف لموته على ملة عبد المطلب وكان حرصا على إيمانه وكان أحرص الناس على هداية من في الأرض * أفأنت تذكره الناس * تقدم الاسم في الاستفهام على الفعل يدل على إمكان حصول الفعل لكن من غير ذلك الاسم فله أن يذكره الناس على الإيمان لو شاء وليس ذلك لغيره وقرئ * ونجعل * بنون المتكلم ويجعل بياء الغيبة * قل انظروا ماذا في السموات والأرض * (١٩٣) السبيل إلى معرفته تعالى هو بالتفكير في مصنوعاته وفي العالم

العلوي في حر كات الافلاك ومقاديرها وأوضاعها والكواكب وما يختص بذلك من المنافع والفوائد وفي العالم السفلي في أحوال العناصر والمعادن والنبات والحيوان وخصوصا حال الانسان وكثيرا ما ذكر الله في كتابه الخوض على التفكير في مخلوقاته تعالى وقال ماذا في السموات والأرض تنبها على القاعدة السكينة والعاقلة يتنبه لتفاصيلها وأقسامها ثم لما أمر الله تعالى بالنظر أخبرانه من لا يؤمن لا تغنيه الآيات والنذر جمع نذير إمام صدره غناه الانذرات واما معنى منذر غناه المنذرون والرسول وما الظاهر انه اللبني ويجوز أن تكون استفهاما أي وأي شيء تغني الآيات وهي الدلائل وهو استفهام على جهة التقرير قال ابن عطية ويحتمل أن تكون مافي قوله وماغنى مفعولة لقوله

كلهم جميعا أفأنت تذكره الناس حتى يكونوا مؤمنين * وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون * قيل نزلت في أبي طالب لأنه صلى الله عليه وسلم أسف لموته على ملة عبد المطلب وكان حرصا على إيمانه ولما كان أحرص الناس على هدايتهم وأسعى في وصول الخير اليهم والفوز بالإيمان منهم وأكثر اجتهدا في نجاة العالمين من العذاب أخبره تعالى انه خلق أهلا للسعادة وأهلا للشقاوة وأنه لو أراد إيمانهم كلهم لفعل وأنه لا قدرة لأحد على التصرف في أحد والمقصود بيان أن القدرة القاهرة والمشيئة النافذة ليست الإله تعالى وتقدم الاسم في الاستفهام على الفعل يدل على إمكان حصول الفعل لكن من غير ذلك الاسم فله تعالى أن يذكره الناس على الإيمان لو شاء وليس ذلك لغيره * وقال الرنخشري ولو شاء ربك مشيئة القسر والالقاء لا من من في الأرض كلهم على وجه الاحاطة والشمول جميعا مجتمعين على الإيمان مطبقين عليه لا يختلفون فيه ألا ترى الى قوله تعالى أفأنت تذكره الناس يعني انما يقدر على كراههم واضطرارهم على الإيمان هؤلاء أنت واتلاء الاسم حرف الاستفهام للاعلام بأن الالقاء ممكن مقدور عليه وانما الشأن في المكروه من هو وما هو الاله وحده ولا يشارك فيه لانه تعالى هو القادر على أن يفعل في قلوبهم ما يضطرون عنده الى الإيمان وذلك غير مستطاع للبشر انتهى وقوله مشيئة القسر والالقاء هو مذهب المعتزلة * وقال ابن عطية المعنى ان هذا الذي تقدم ذكره انما كان جميعه بقضاء الله عليهم ومشية فيهم ولو شاء الله لكان الجميع موءمنا فلا تناسف أنت يا محمد على كفر من لم يؤمن بك وادع ولا عليك فالأمر محتوم أن تذكره الناس بإدخال الإيمان في قلوبهم وتضطرهم الى ذلك والله عز وجل قد شاء غيره فهذا التأويل الآية عليه محكمة أي ادع وقتل من خالفك وإيمان من آمن مصر و في الى المشيئة * وقالت فرقة المعنى أفأنت تذكره الناس بالقتال حتى يدخلوا في الإيمان وزعمت أن هذه الآية في صدر الاسلام وانها منسوخة بآية السيف والآية على كلا التأويلين رادة على المعتزلة انتهى ولذلك ذهب الرنخشري الى تفسير المشيئة بمشيئة القسر والالقاء وهو تفسير الجبائي والقاضي ومعنى الإبادن الله أي بارادته وتقديره لذلك والتمكن منه * وقال الرنخشري بتسليمه وهو منح اللطاف ويجعل الرجس وهو الخذلان على الذين لا يعقلون وهم المصرون على الكفر وسمى الخذلان رجسا وهو العذاب لانه سببه انتهى وهو على طريق الاعتزال * وقال ابن عباس الرجس السخط وعنه الأثم والعدوان * وقال مجاهد ما لا خير فيه * وقال الحسن وأبو عبيدة والزجاج العذاب * وقال الفراء العذاب والغضب * وقال الحسن أيضا الكفر * وقال قتادة الشيطان وقد تقدم تفسيره ولكن نقلنا ما قاله العلماء هنا * وقرأ أبو بكر وزيد بن علي ونجعل بالنون * وقرأ الأعشى ويجعل الله الرجز بالزاي * قل انظروا ماذا في السموات والأرض وماغنى

(٢٥ - تفسير البحر المحيط لابي حيان - خامس) انظروا معطوفة على قوله ماذا أي تأملوا قدر غنى الآيات والنذر عن الكفار اذا قبلوا ذلك كفعل قوم يونس فانه يرفع العذاب في الدنيا والآخرة وينجي من المهلكات فالآية على هذا تحريض على الإيمان وتجوز اللفظ على هذا التأويل انما هو في قوله لا يؤمنون انتهى هذا احتمال فيه ضعف وفي قوله مفعولة معطوفة على ماذا تجوز يعني ان الجملة الاستفهامية التي هي ماذا في السموات في موضع المفعول لان ماذا وحده منصوب بانظروا فتكون

ماذا موصولة وانظروا وبصرية لما تقدم وفي الآية توبيخ لحاضري رسول الله صلى الله عليه وسلم من المشركين ﴿ ثم نجى رسلنا ﴾ لما تقدم قوله فهل ينتظرون الامثل أيام الذين خلوا من قبلهم (١٩٤) وكان ذلك مشعرا بما حل بالامم الماضية المكذبة ومصرحا

بهلاكهم في غير ما آية أخبر تعالى عن حكاية حالهم الماضية فقال ثم نجى رسلنا والمعنى أن الذين خلوا أهلكتناهم لما كذبوا الرسل ثم نجينا الرسل والمؤمنين والظاهر أن كذلك في موضع نصب تقديره مثل ذلك الانجاء الذي نجينا الرسل ومؤمنهم نجى من آمن بك يا محمد ويكون حقا على تقدير حق ذلك حقا

(الدر)

(ع) ويحتمل أن يكون ما في قوله وما تعنى مفعولة لقوله انظر وامعطوفة على قوله ماذا أى تأملوا قدر اغناء الآيات والنذر عن الكفار اذا قبلوا ذلك كفعل قوم يونس فانه يرفع العذاب في الدنيا والآخرة وينجى من المهلكات فالآية على هذا تحريض على الايمان ويجوز اللفظ على هذا التأويل انما هو في قوله لا يؤمنون انتهى (ح) هذا احتمال فيه ضعف وفي قوله مفعولة معطوفة على قوله ماذا تجوز يعنى ان الجملة الاستفهامية التى هى ماذا فى السموات والارض فى موضع المفعول لان ماذا منصوب وحده بانظروا فيكون ماذا موصولة وانظروا وبصرية لما تقدم والايام هنا وقائع الله فى ما يقال أيام العرب لوقائعها وفي الاستفهام تقرير وتوعد وحض على الايمان والمعنى اذا لجوا فى الكفر حل بهم العذاب واذا آمنوا نجوا هذه سنة الله فى الأمم الخالية قل فانتظروا أمر تهديد أى انتظروا وما يحل بكم كما حل بمن قبلكم من مكذبي الرسل ﴿ ثم نجى رسلنا والذين آمنوا ﴾ كذلك حقا علينا نجى المؤمنين ﴿ لما تقدم قوله فهل ينتظرون الامثل أيام الذين خلوا من قبلهم وكان ذلك مشعرا بما حل بالامم الماضية المكذبة ومصرحا بهلاكهم في غير ما آية أخبر تعالى عن حكاية حالهم الماضية فقال ثم نجى رسلنا والمعنى ان الذين خلوا أهلكتناهم لما كذبوا الرسل ثم نجينا الرسل والمؤمنين ولذلك قال الرخصى ثم نجى معطوف على كلام مخدوف يدل عليه الامثل أيام الذين خلوا من قبلهم كانه قيل نهلك الامم ثم نجى رسلنا على مثل الحكايات الماضية والظاهر أن كذلك في موضع نصب تقديره مثل ذلك الانجاء الذي نجينا الرسل ومؤمنهم نجى من آمن بك يا محمد ويكون حقا على تقدير حق ذلك حقا ﴿ وقال أبو البقاء يجوز أن يكون حقا بدلا من المخدوف النائب عنه الكاف تقديره انجاء مثل ذلك حقا وأجاز أن يكون كذلك وحقا منصوبين لان ماذا منصوب وحده بانظروا فتكون ماذا موصولة وانظروا وبصرية لما تقدم ﴿ قال جامعه كان قد تقدم انه يبعد ان تكون ماذا كلة موصولة بمعنى الذى ويكون مفعولا لقوله انظر واقل لأنه ان كانت بصرية تعدت بالى وان كانت قلبية تعدت بفي

الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون ﴿ فهل ينتظرون الامثل أيام الذين خلوا من قبلهم قل فانتظروا انى معكم من المنتظرين ﴾ أمر تعالى بالفكر فيما أودعه تعالى فى السموات والارض اذا السيل الى معرفته تعالى هو بالتفكر فى مصنوعاته فى العالم العلوى فى حركات الأفلاك ومقاديرها وأوضاعها والسكرات وما يختص بذلك من المنافع والفوائد وفى العالم السفلى فى أحوال العناصر والمعادن والنبات والحيوان وخصوصا حال الانسان وكثيرا ما ذكر الله تعالى فى كتابه الخوض على الفكر فى مخلوقاته تعالى وقال ماذا فى السموات والارض تنبيه على القاعدة الكلية والعقل يتنبه لتفاصيلها وأقسامها ثم لما أمر بالنظر أخبر أنه من لا يؤمن من لا تغنيه الآيات والنذر جمع نذير اما مصدر فغناه الانذارات واما بمعنى مندر فغناه المنذرون والرسل وما الظاهر أنها للنفى ويجوز أن تكون استفهاما أى وأي شئ تغنى الآيات وهى الدلائل وهو استفهام على جهة التقرير وفى الآية توبيخ لحاضري رسول الله صلى الله عليه وسلم من المشركين ﴿ وقرأ الحريمان والعريمان والكسائي قل انظروا بضم اللام وقرئ وما تعنى بالثناء وهى قراءة الجمهور وبالياء وماذا يحتمل أن يكون استفهاما فى موضع رفع بالابتداء والخبر فى السموات ويحتمل أن يكون الخبر ذا معنى الذى وصلته فى السموات وانظر وامعلقة فالجملة الابتدائية فى موضع نصب ويبعد أن تكون ماذا كلة موصولة بمعنى الذى ويكون مفعولا لقوله انظر والانه ان كانت بصرية تعدت بالى وان كانت قلبية تعدت بفي ﴿ وقال ابن عطية ويحتمل أن تكون ما فى قوله وما تعنى مفعولة لقوله انظر وامعطوفة على قوله ماذا أى تأملوا قدر والنذر عن الكفار اذا قبلوا ذلك كفعل قوم يونس فانه يرفع العذاب فى الدنيا والآخرة وينجى من المهلكات والآية على هذا تحريض على الايمان وتجوز اللفظ على هذا التأويل انما هو فى قوله لا يؤمنون انتهى وهذا احتمال فيه ضعف وفى قوله مفعولة معطوفة على قوله ماذا تجوز يعنى ان الجملة الاستفهامية التى هى ماذا فى السموات والارض فى موضع المفعول لان ماذا منصوب وحده بانظروا فيكون ماذا موصولة وانظروا وبصرية لما تقدم والايام هنا وقائع الله فى ما يقال أيام العرب لوقائعها وفي الاستفهام تقرير وتوعد وحض على الايمان والمعنى اذا لجوا فى الكفر حل بهم العذاب واذا آمنوا نجوا هذه سنة الله فى الأمم الخالية قل فانتظروا أمر تهديد أى انتظروا وما يحل بكم كما حل بمن قبلكم من مكذبي الرسل ﴿ ثم نجى رسلنا والذين آمنوا ﴾ كذلك حقا علينا نجى المؤمنين ﴿ لما تقدم قوله فهل ينتظرون الامثل أيام الذين خلوا من قبلهم وكان ذلك مشعرا بما حل بالامم الماضية المكذبة ومصرحا بهلاكهم في غير ما آية أخبر تعالى عن حكاية حالهم الماضية فقال ثم نجى رسلنا والمعنى ان الذين خلوا أهلكتناهم لما كذبوا الرسل ثم نجينا الرسل والمؤمنين ولذلك قال الرخصى ثم نجى معطوف على كلام مخدوف يدل عليه الامثل أيام الذين خلوا من قبلهم كانه قيل نهلك الامم ثم نجى رسلنا على مثل الحكايات الماضية والظاهر أن كذلك في موضع نصب تقديره مثل ذلك الانجاء الذي نجينا الرسل ومؤمنهم نجى من آمن بك يا محمد ويكون حقا على تقدير حق ذلك حقا ﴿ وقال أبو البقاء يجوز أن يكون حقا بدلا من المخدوف النائب عنه الكاف تقديره انجاء مثل ذلك حقا وأجاز أن يكون كذلك وحقا منصوبين لان ماذا منصوب وحده بانظروا فتكون ماذا موصولة وانظروا وبصرية لما تقدم ﴿ قال جامعه كان قد تقدم انه يبعد ان تكون ماذا كلة موصولة بمعنى الذى ويكون مفعولا لقوله انظر واقل لأنه ان كانت بصرية تعدت بالى وان كانت قلبية تعدت بفي

لان ماذا منصوب وحده بانظروا فتكون ماذا موصولة وانظروا وبصرية لما تقدم ﴿ قال جامعه كان قد تقدم انه يبعد ان تكون ماذا كلة موصولة بمعنى الذى ويكون مفعولا لقوله انظر واقل لأنه ان كانت بصرية تعدت بالى وان كانت قلبية تعدت بفي

﴿قل يا أيها الناس﴾ خطاب لأهل مكة يقول إن كنتم لا تعرفون ما أنا عليه فانا أيئنه لكم فبدأ أولاً بالانتفاء من عبادة ما يعبدون من الأصنام تسفيها لآرائهم وأثبت ثانياً من الذي يعبدوه وهو الله الذي يتوفاكم وفي ذكر هذا الوصف الوسيط الدال على التوفى دلالة على البدء وهو الخلق وعلى الاعادة فكأنه أشار إلى أنه يعبد الله الذي خلقكم ويتوفاكم ويعيدكم وكثيراً ما صرح بهذه الأطوار الثلاثة وكان التصريح بهذا الوصف لما فيه من التذكير بالموت وارهاب النفوس به وصيرورتهم إلى الله تعالى بعده فهو الجدير بأن يخاف ويتقى ويعبد لا الحجارة التي تعبدونها (١٩٥) ﴿وأمرت أن أكون من المؤمنين﴾ لماذا كرر أنه يعبد

الله وكانت العبادة أغلب ما عليها عمل الجوارح أخبر أنه أمر بأن يكون من المصدقين بالله الموحدين له المفرد له بالعبادة فانتقل من عمل الجوارح إلى نور المعرفة وطابق الباطن الظاهر ﴿وأن أقم﴾ يحتمل أن تكون معمولة لقوله وأمرت مراعى فيها المعنى لأن معنى قوله أن أكون كن من المؤمنين فتكون ان مادية صلتهما الأمر والوجه هنا المنهى والمقصد أى استقيم للدين ولا تحدد عنه وحينئذ حال من الضمير فى أقم أو من المفعول ﴿فان فعلت﴾ كنى بالفعل عن الدعاء مجازاً أى فان دعوت مالا ينفعك ولا يضرك وجواب الشرط فانك وخبرها وتوسطت اذن بين اسم ان والخبر وربتها بعد الخبر لكن روى في

بنجى التي بعدهما وأن يكون كذلك منصوباً بنجى الأولى وحقاً بنجى الثانية وأجاز هو تابعاً لابن عطية أن تكون الكاف في موضع رفع وقدره الأمر كذلك وحقاً منصوب بما بعدها * وقال الزمخشري مثل ذلك الانجاء بنجى المؤمنين منكم ونهك المشركين وحقاً علينا اعتراض يعنى حق ذلك علينا حقاً * قال القاضى حقا علينا المراد به الوجوب لأن تخليص الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين من العذاب إلى الثواب واجب ولولا ما حسن من الله أن يلزمهم الافعال الشاقة واذا ثبت لهذا السبب جرى مجرى قضاء الدين للسبب المتقدم وأجيب بأنه حق بحسب الوعد والحكم لا بحسب الاستحقاق لما ثبت أن العبد لا يستحق على خالقه شيئاً * وقرأ الكسائى وحفص بنجى المؤمنين بالتخفيف مضارع أنجى وخط المصحف نبح بغير ياء ﴿قل يا أيها الناس ان كنتم فى شك من ديني فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم وأمرت أن أكون من المؤمنين﴾ وأن أقم وجهك للدين حنيفاً ولا تكون من المشركين * ولاندع من دون ما لا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك اذا من الظالمين * وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم ﴿خطاب لأهل مكة يقول ان كنتم لا تعرفون ما أنا عليه فانا أيئنه لكم فبدأ أولاً بالانتفاء من عبادة ما يعبدون من الأصنام تسفيها لآرائهم وأثبت ثانياً من الذي يعبدوه وهو الله الذي يتوفاكم وفي ذكر هذا الوصف الوسيط الدال على التوفى دلالة على البدء وهو الخلق وعلى الاعادة فكأنه أشار إلى أنه يعبد الله الذي خلقكم ويتوفاكم ويعيدكم وكثيراً ما صرح فى القرآن بهذه الأطوار الثلاثة وكان التصريح بهذا الوصف لما فيه من التذكير بالموت وارهاب النفوس به وصيرورتهم إلى الله بعده فهو الجدير بأن يخاف ويتقى ويعبد لا الحجارة التي تعبدونها وأمرت أن أكون من المؤمنين لماذا كرر أنه يعبد الله وكانت العبادة أغلب ما عليها عمل الجوارح أخبر أنه أمر بأن يكون من المصدقين بالله الموحدين له المفرد له بالعبادة وانتقل من عمل الجوارح إلى نور المعرفة وطابق الباطن الظاهر * قال الزمخشري يعنى أن الله تعالى أمرني بماركب في من العقل ونما أوحى إلى في كتابه * وقيل معناه ان كنتم فى شك من ديني وما أنا عليه أثبت أم أنزكه أو وافقكم فلا تحدثوا أنفسكم بالمحال ولا تشكوا فى أمرى واقطعوا عني اطعامكم واعاموا انى لأعبد الذين تعبدون من دون الله ولا أختار الضلالة على الهدى كقوله قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون وأمرت أن أكون أصله بأن أكون فحذف الجار وهذا الحذف

ذلك الفاصلة ﴿وان يمسسك الله بضر﴾ الآية أتى فى الضر بلفظ المس وفى الخير بلفظ الارادة وطابق بين الضر والخير مطابقة معنوية لالفظية لان مقابل الضر النفع ومقابل الخير الشر فجاءت لفظة الضر اللطف وأخص من لفظة الشر وجاءت لفظة الخير أتم من لفظة النفع ولفظة المس أوجز من لفظة الارادة ونص على الاصابة وأنسب لقوله فلا كاشف له الا هو ولفظ الارادة أدل على الحصول فى وقت الخطاب وفى غير ما أنسب اللفظ الخير وان المس والارادة معناها الاصابة وجاء جواب وان يمسسك بنفى عام واجاب وجواب وان يردك بنفى عام لان ما أراد لا يرد عراد لا هو ولا غيره

(الدر) (ش) وأمرت أن أكون أصله بأن أكون فحذف الجار وهذا الحذف يحتمل أن يكون من الحذف المطرود الذي

يحتمل أن يكون من الحذف المطر الذي هو حذف الحروف الجارة مع أن وان وأن يكون من الحذف غير المطر وهو قوله أمرتك الخير فاصدع بما تؤمر انتهى يعني بالحذف غير المطرد وهو قوله أمرتك الخير أنه لا يحذف حرف الجر من المفعول الثاني إلا في أفعال محصورة سماعاً لا قياساً وهي اختار واستغفر وأمر وسمى ولي ودعا بمعنى سمي وزوج وصدق خلافاً لمن قاس الحذف بحرف الجر من المفعول الثاني حيث يعني الحرف وموضع الحذف نحو بريت القلم بالسكين فيجيز السكين بالنصب وجواب أن كنتم في شك قوله فلا أعبد والتقدير فأنالاً أعبد لأن الفعل المنفي بلا إذا وقع جواباً انجزم فإذا دخلت عليه الفاء علم أنه على اضمار المبتدأ وكذلك لو ارتفع دون لاقوله ومن عاد فينتقم الله منه أي فهو ينتقم الله منه وتضمن قوله فلا أعبد معنى فأنالاً مخالفتكم وأن أقم يحتمل أن تكون معمولاً لقوله وأمرت مراعى في المعنى لأن معنى قوله أن أكون كن من المؤمنين فتكون أن مصدرية صلتها الأمر وقد أجاز ذلك النحويون فلم يلتزموا في صلتها التزم في صلات الاسماء الموصولة من كونها لا تكون الأخيرة بشرطها المذكورة في النحو ويحتمل أن تكون على اضمار فعل أي وأوحى إلى أن أقم فاحتمل أن تكون مصدرية واحتمل أن تكون حرف تفسير لأن الجملة المقدرة فيها معنى القول وضمير الفعل أولى ليزول قلق العطف لوجود الكاف إذ لو كان وأن أقم عطفاً على أن أكون لكان التركيب وجهي ببناء المتكلم ومراعاة المعنى فيه ضعف وضمير الفعل أكثر من مراعاة العطف على المعنى والوجه هنا المنهى والمقصود أي استقم للدين ولا تتعد عنه وكفى بذلك عن صرف العقل بالكلية إلى طلب الدين وحنيفاً حال من الضمير في أقم أو من المفعول * وأجاز الزمخشري أن تكون حالا من الدين ولا تدع يحتمل أن يكون استئنافي ويحتمل أن يكون معطوفاً على أقم فيكون في حيز أن على قسميه من كونها مصدرية وكونها حرف تفسير وإذا كان دعاء الاصنام منها عنه فأحرى أن ينهى عن عبادتها فإن فعلت كنى بالفعل عن الدعاء إيجاباً أي فإن دعوت ما لا ينفعك ولا يضرك وجواب الشرط فأنك وخبرها وتوسطت إذا بين اسم ان والخبر ورتبتها بعد الخبر لكان روعى في ذلك الفاصلة * قال الخوفاً الفاء جواب الشرط وإذا متوسطة لا عمل لها يراد بها في هذا إذا كان ذلك هذا تفسير المعنى لا يجيىء على معنى الجواب انتهى * وقال الزمخشري إذا جواب الشرط وجواب لجواب مقدر كان سائلاً لسأل عن تبعة عبادة الاوثان وجعل من الظالمين لأنه لا ظلم أعظم من الشرك ان الشرك لظلم عظيم انتهى وكلامه في إذا يحتاج إلى تأمل وقد تقدم لنا الكلام فيها مشبعاً في سورة البقرة ولما وقع النهي عن دعاء الاصنام وهي لا تضر ولا تنفع ذكر ان الحول والقوة والنفع والضرر ليس ذلك الله وأنه تعالى هو المنفرد بذلك وأتى في الضر بلفظ المس وفي الخير بلفظ الارادة وطابق بين الضر والخير مطابقة معنوية لالفظية لان مقابل الضر النفع ومقابل الخير الشر فجاءت لفظة الضر ألطف وأخص من لفظة الشر وجاءت لفظة الخير أعم من لفظة النفع ولفظة المس أوجز من لفظ الارادة وأنص على الاصابة وأنسب لقوله فلا كاشف له الا هو ولفظ الارادة أدل على الحصول في وقت الخطاب وفي غيره وأنسب للفظ الخير وان كان المس والارادة معاً الاصابة وجاء جواب وان بمسلك بني عام وإيجاب وجه جواب وان يردك بنفي عام لان ما أراد لا يرد ما لا هو ولا غيره لان ارادته قديمة لاتغير فذلك لم يجيىء التوكيد فلارادته الا هو والمس من حيث هو فعل هو صفة فعل يوقعه ويرفعه بخلاف الارادة فتمها صفة ذات وجاء فلاراد لفظه سمي الخير فضلاً عن اشعاره بأن الخير

(الدر)

هو حذف الحروف الجارة مع ان وأن وان يكون من الحذف غير المطرد وهو قوله أمرتك الخير فاصدع بما تؤمر انتهى يعني بالحذف غير المطرد وهو قوله أمرتك الخير أنه لا يحذف حرف الجر من المفعول الثاني إلا في أفعال محصورة سماعاً لا قياساً وهي اختار واستغفر وأمر وسمى وكفى ودعا بمعنى سمي وزوج وصدق خلافاً لمن قاس الحذف بحرف الجر من المفعول الثاني حيث تعين الحرف وموضع الحذف نحو بريت القلم بالسكين فيجيز السكين بالنصب

من الله تعالى هي صادرة على سبيل الفضل والاحسان والتفضل ثم اتسع في الاخبار عن الفضل والخير فقال يصيب به من يشاء من عباده ثم أخبر بالصفتين الداليتين على عدم المؤاخذة وهما الغفور الذي يسترو ويصفح عن الذنوب والرحيم الذي رحمته سبقت غضبه ولما تقدم قوله ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فأخبر الضر ناسب أن تكون البداءة بمجملته الشرط المتعلقة بالضر وأيضا فإنه لما كان الكفار يتوقع منهم الضر للمؤمنين والنفع لا يرجي منهم كان تقديم جملة الضر أكده في الاخبار فبدى بها * وقال الزمخشري (فان قلت) لم ذكر المس في أحدهما والارادة في الثاني (قلت) كأنه أراد أن يذكر الأمرين جميعا الارادة والاصابة في كل واحد من الضر والخير وأنه لا أراد لما يريد منهما ولا مزيل لما يصيب به منهما فأوضح الكلام بأن ذكر المس وهو الاصابة في أحدهما والارادة في الانجاز ليدل بما ذكر على ما ترك على أنه قد ذكر الاصابة في الخير في قوله يصيب به من يشاء من عباده والمراد بالمشيئة المصلحة * قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما أنا عليكم بوكيل * واتبع ما يوحى اليك واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين * الحق القرآن أو الرسول أو دين الاسلام ثلاثة أقوال والمعنى فانما ثواب هدايته حاصل له ووبال ضلاله عليه والهداية والضلال واقعان بارادة الله تعالى من العبد هذاهذه أهل السنة وان من حكم له في الأزل بالاهتداء فسيقع ذلك وان من حكم له بالضلال فكذلك ولا حيلة في ذلك * وقال القاضي انه تعالى بين أنه أكمل الشريعة وأراح العلة وقطع المعذرة فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما أنا عليكم بوكيل فلا يجب على من السعي في إيصالكم الى الثواب العظيم وفي تخليصكم من العذاب الاليم أزيد مما فعلت * وقال الزمخشري لم يبق لكم عذر ولا على الله تعالى حجة فمن اختار الهدى واتباع الحق فانفع باختياره الانفسه ومن آثر الضلال فاضر الانفسه واللام وعلى معنى النفع والضر وكل اليهم الأمر بعد اراحة العلة وابانة الحق وفيه حث على اتيان الهدى واطراح الضلال مع ذلك وما أنا عليكم بوكيل بحفيظ موكول الى أمركم وحكمكم على ما أريد انما أنا بشير ونذير انتهى وكلامه تذييل كلام القاضي وهو جار على مذهب المعتزلة وأمره تعالى نبيه باتباع ما يوحى اليه أمر بالديمومة وبالصبر على ما ينالك في الله من أذى الكفار واعراضهم وغيا الأمر بالصبر بقوله حتى يحكم الله وهو وعدمه تعالى بأعلاء كلمته ونصره على أعدائه كما وقع وذهب ابن عباس وجماعة الى ان قوله وما أنا عليكم بوكيل واصبر منسوخ بآية السيف وذهب جماعة الى انه محكم وحملوا وما أنا عليكم بوكيل على أنه ليس بحفيظ على أعمالهم ليجازيهم عليها بل ذلك لله وقوله واصبر على الصبر على طاعة الله وحمل أثقال النبوة وأداء الرسالة وعلى هذا لا تعارض بين هاتين الآيتين وبين آية السيف والى هذا مال المحققون * وروى انه لما نزلت واصبر جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الأنصار فقال انكم ستجدون بعدى اثره فاصبروا حتى تلقوني * قال الزمخشري يعني اني أمرت في هذه الآية بالصبر على ما ساءني الكفرة فصبرت واصبروا أنتم على ما يدومكم الأمراء الجورة * قال أنس فلم نصبر ثم ذكر حكاية جرت بين أبي قتادة ومعاوية رضي الله عنهما يوقف عليهما من كتابه

* قل يا أيها الناس * الحق القرآن والرسول ودين الاسلام والمعنى فانما ثواب هدايته حاصل له ووبال ضلاله عليه والهداية والضلال واقعان بارادة الله تعالى روى انه لما نزلت واصبر جمع صلى الله عليه وسلم الأنصار فقال انكم ستجدون بعدى أثره فاصبروا حتى تلقوني

﴿ سورة هود مائة وثلاث وعشرون آية مكية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ الكتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ألا تعبدوا الا الله انى لكم منه نذير
وبشير ﴾ وأن استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يمتعكم متاعا حسنا الى أجل مسمى ويؤت كل ذي فضل
فضله وان تولوا فانى أخاف عليكم عذاب يوم كبير الى الله مرجعكم وهو على كل شئ قدير ﴾ ألا انهم
يثنون صدورهم ليستخفوا منه ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون انه عليم بذات
الصدور ﴾ وما من دابة فى الأرض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل فى كتاب
مبين ﴾ وهو الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم ايكم أحسن
عمالا ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا ان هذا الاسحر مبين ﴾ ولئن أخرنا
عنهم العذاب الى أمة معدودة ليقولن ما يحبسه ألا يوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم وحق بهم ما كانوا به
يستترئون ﴾ ولئن أذقنا الانسان منارحة ثم نزعناها منه انه ليؤوس كفور ﴾ ولئن أذقناه نعماء بعد
ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عني انه لفرح نخور ﴾ الا الذين صبروا وعملوا الصالحات أولئك
لهم مغفرة وأجر كبير ﴾ فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك وضائق به صدورك أن يقولوا ولولا أنزل عليه
كتاب أو جاء معه ملك انما أنت نذير والله على كل شئ وكيل ﴾ أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر
سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين ﴾ فان لم يستجيبوا لكم
فاعلموا انما أنزل بعلم الله وأن لا اله الا هو فهل أنتم مسلمون ﴾ من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها
نوف اليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا ينجسون ﴾ أولئك الذين ليس لهم فى الآخرة الا النار وحبط
ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون ﴾ أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه ومن
قبله كتاب موسى اماما ورحمة أولئك يؤمنون به ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده
فلا تلك فى حربة منه انه الحق من ربك ولكن أكثر الناس لا يؤمنون ﴾ ومن أظلم ممن
افترى على الله كذبا أولئك يعرضون على ربهم ويقول الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة
الله على الظالمين ﴾ الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالآخرة هم كافرون ﴾ أولئك
لم يكونوا معجزين فى الارض وما كان لهم من دون الله من أولياء يضاعف لهم العذاب ما كانوا
يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون ﴾ أولئك الذين خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا
يفترون ﴾ لاجرم أنهم فى الآخرة هم الأخسرون ﴾ ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأخبتوا
الى ربهم أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون ﴾ مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع
هل يستويان مثلا أفلا تذكرون ﴾ ولقد أرسلنا نوحا الى قومه انى لكم نذير مبين ﴾ أن لا تعبدوا الا الله
انى أخاف عليكم عذاب يوم أليم ﴾ فقال الملائكة الذين كفروا من قومه ما نراك الا بشرا مثلنا وما نراك
اتبعت الا الذين هم أراد لنا بادي الرأى وما نرى لك علينا من فضل بل نظنك كاذبين ﴾ قال
يا قوم أرأيتم ان كنت على بينة من ربي وآتاني رحمة من عنده فعميت عليكم أنذر مكموها وأنتم لها
كارهون ﴾ ويا قوم لا أسألكم عليه مالا ان أجرى الا على الله وما أنا بطارذ الذين آمنوا انهم ملاقوا
ربهم ولكنى أراكم قوما تجهلون ﴾ ويا قوم من ينصرنى من الله ان طردتهم أفلا تذكرون
﴿ ولا أقول لكم عندى خزان الله ولا أعلم الغيب ولا أقول انى ملك ولا أقول للذين تردى أعينكم

(سورة هود عليه السلام)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الكتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ﴿ قال ابن عباس هذه السورة مكية كلها وعنه أيضا أنها مكية الا قوله فلعلك تارك الآية وكتاب خبر مبتدأ محذوف يدل عليه ظهوره بعد هذه الحروف المقطعة كقوله ألم ذلك الكتاب وأحكمت صفته ومعنى الاحكام نظمه نظار صيفا لا نقص فيه ولا خلل والهمزة في أحكمت للنقل وأصله حكم فهو حكيم ثم أدخلت عليه همزة النقل فصارت تعدى لواحد ثم فصلت كما تفصل القلائد بالدلائل من دلائل التوحيد والاحكام والمواعظ والبعث بعد الموت والقصص أو جعلت فصولا سورة سورة وآية آية أو فرقت في التنزيل ولم تنزل جملة واحدة أو فصل بها ما يحتاج اليه العباد أي بين وخلص من لدن تقدم الكلام عليه في آل عمران حكيم بمعنى محكم وهي صفة (١٩٩) راجعة لقوله أحكمت خبير عالم بخفايا الأشياء

راجع لقوله ثم فصلت وكان العطف بـ ثم لتراخي أوامر التفصيل ونواهيها عن المنزل بالاحكام ومن لدن يتعلق باحد الفعلين من باب الاعمال ومن حيث المعنى يتعلق بهما و ﴿ ألا تعبدوا ﴾ يحتمل أن تكون ان حرف تفسير لان في تفصيل الآيات معنى القول وهذا أظهر ويجوز أن تكون أن الناصبة للضارع ولان في علامة النصب حذف النون ويجوز أن تكون أن مصدرية وصلت بفعل النهي وعلامة الجزم فيه حذف النون والظاهر عود الضمير في منه الى الله تعالى أي انني لكم نذير من جهته وبشير فيكون في موضع الصفة فتعلق بمحذوف أي كائن من جهته أو يعلق بنذير أي أنذركم من عذابه ان كفرتم

لن يؤتيهم الله خيرا الله أعلم بما في أنفسهم اني اذامن الظالمين ﴿ قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين ﴿ قال انما يأتيكم به الله ان شاء وما أنتم بمعجزين ﴿ ولا ينفعكم نصحي ان أردت أن أنصح لكم ان كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم واليه ترجعون ﴿ أم يقولون افتراء قل ان افتريته فعلى اجرائي وأنا بريء مما تجرمون ﴿ وأوحى الى نوح أنه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون ﴿ واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغر قون ﴿ ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه قال ان تسخروا منا فاننا نسخر منكم كما نسخر منفسوس ﴿ فسوف تعلمون ﴿ من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم ﴿ حتى اذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك الا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه الا قليل ﴿ نرى الشئ نبياطوا به يقال ثنى عطفه وثنى صدره وطوى كشحه ﴿ الحزب جماعة من الناس يجتمعون على أمر يتعصبون فيه ﴿ رذل الرجل رذالة فهو رذل اذا كان سفلة لا خلاق له ولا يبالي بما يقول وما يفعل ﴿ الاخبار التواضع والذلل مأخوذ من الخبت وهو المظلم من الارض ﴿ وقيل البراح القفر المستوى ويقال أخبت دخل في الخبت كأنه تجدد دخل نجدا وأتهم دخل نهامة ثم توسع فيه ف قيل خبت ذكره خد ويتعدى أخبت بالى وباللام ويقال للشئ الدنى الخبيث ﴿ قال الشاعر

ينفع الطيب الخبيث من الرزق ﴿ ق ولا ينفع الكثير الخبيث

﴿ لزم الشئ واظب عليه لا يفارقه ومنه الزام ﴿ زرى زرى حقر وأزرى عليه غابه وازدرى افتعل من زرى أي احتقر ﴿ التنور مستوقد النار ووزنه فعول عند أبي علي وهو أعجمي وليس بمشتق ﴿ وقال نعلب وزنه تفعلول من النور وأصله تنوور فهو زرقاوا ثم خففت وشدت الحرف الذي قبله كما قال

رأيت عرابة اللوسى يسعو ﴿ الى الغايات منقطع القرين

يريد عرابة الأوسى والمفسرين أقوال في التنور ستأتى ان شاء الله تعالى

﴿ الكتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير أن لا تعبدوا الا الله انني لكم منه نذير وبشير وأن استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يمتعكم متاعا حسنا الى أجل مسمى ويؤت كل ذي فضل فضله

وأبشركم بشوابه ان آمنتم ﴿ وأن استغفروا ﴿ هذا أمر بالاستغفار يرجح أن يكون أن لا تعبدوا نهيا نهى ثم أمر بكفوله ووقوفها بصحي على مطيعهم ﴿ يقولون لا تهلك أسمى وتجميل والاستغفار طلب المغفرة وهى الستر والتوبة والانسلاخ من المعاصي والندم على ما سلف منها والعزم على عدم العود اليه او تقدم أمر ان بينهما تراخ وترتب عليهما جوابا بينهما تراخ ترتب على الاستغفار التمتع المتاع الحسن في الدنيا وترتب على التوبة إيتاء الفضل في الآخرة وناسب كل جواب لما وقع جوابا له لان الاستغفار من الذنب أول حالة الرجوع الى الله تعالى فناسب أن يرتب عليه حال الدنيا والتوبة هى المنجية من النار والتي تدخل الجنة فناسب أن يرتب عليها حال الآخرة والضمير في فضله يحتمل أن يعود على اللهاى يعطى في الآخرة كل من كان له فضل في عمل الخير وزيادة ما تفضل به

وان تولوا فاني أخاف عليكم عذاب يوم كبير الى الله من جمعكم وهو على كل شيء قدير * قال ابن عباس
والحسن وعكرمة ومجاهد وقتادة وجابر بن زيد هذه السورة مكية كلها وعن ابن عباس مكية كلها
الا قوله فلهلك نارك بعض ما يوحى اليك الآية * وقال مقاتل مكية الا قوله فلهلك نارك الآية وقوله
أولئك يؤمنون به نزلت في ابن سلام وأصحابه وقوله ان الحسنات يذهبن السيئات نزلت في نهان
التمار وكتاب خبر مبتدأ محذوف يدل عليه ظهوره بعد هذه الحروف المقطعة كقوله الم ذلك
الكتاب وأحكمت صفة له ومعنى الاحكام نظمه نظار ضيا لا نقص فيه ولا خلل كالبناء المحكم وهو
الموثق في الترصيف وعلى هذا فالمرّة في أحكمت ليست للنقل ويجوز أن تكون للنقل من حكم
بضم الكاف اذا صار حكما فالمعنى جعلت حكمة كقولك تلك آيات الكتاب الحكيم على أحد
التأويلين في قوله الكتاب الحكيم * وقيل من أحكمت الدابة اذا نهضها من الجراح بوضع الحكمة
عليها فالمعنى منعت من النساء كما قال جرير

أبني حنيفة أحكموا سفهاءكم * اني أخاف عليكم أن أغضبا

وعن قتادة أحكمت من الباطل * قال ابن قتيبة أحكمت أتقنت شبه ما يحكم من الأمور المتقنة
الكاملة وبهذه الصفة كان القرآن في الأول ثم فصل بتقطيعه وتبيين أحكامه وأوامره على محمد صلى
الله عليه وسلم فتم على بابها وهذه طريقة الاحكام والتفصيل اذ الاحكام صفة ذاتية والتفصيل انما هو
بحسب من يفصل له والكتاب أجمعه محكم مفصل والاحكام الذي هو هذا النسخ والتفصيل الذي هو
خلاف الاجمال انما يقالان مع ما ذكرناه بأشترالك * وحكى الطبري عن بعض المتأولين أحكمت
بالامر والنهي وفصلت بالثواب والعقاب وعن بعضهم أحكمت من الباطل وفصلت بالحلل والحرام
ونحو هذا من التخصيص الذي هو صحيح المعنى ولكن لا يقتضيه اللفظ * وقيل فصلت معناه فمهرن
* وقال الزمخشري ثم فصلت كما تفصل القلائد باللائل من دلائل التوحيد والاحكام والمواظظ
والتمصص أو جعلت فصولا سورة وآية أو فرقت في التنزيل ولم تنزل جملة واحدة أو فصل
بها ما يحتاج اليه العباد أي بين وخلص * وقرأ عكرمة والضحاك والجحدري وزيد بن علي وابن
كثير في رواية ثم فصلت بفتحيتين خفيفة على لزوم الفعل للآيات * قال صاحب اللوامح يعني انفصلت
وصدرت * وقال ابن عطية فصلت بين الحق والمبطل من الناس أو نزلت الى الناس كما تقول فصل
فلان بسفوره * قال الزمخشري وقرئ أحكمت آياته ثم فصلت أي أحكمتها انما فصلتها (فان قلت)
ما معنى ثم (قلت) ليس معناها التراخي في الوقت ولكن في الحال كما تقول هي محكمة أحسن
الاحكام ثم مفصلة أحسن التفصيل وفلان كريم الاصل ثم كريم الفعل انتهى يعني أن ثم جاءت
لترتيب الاخبار لا لترتيب الوقوع في الزمان واحتمل من لدن أن يكون في موضع الصفة ومن أجاز
تعداد الاخبار اذا لم تكن في معنى خبر واحد أجاز أن يكون خبرا بعد خبر * قال الزمخشري أن
يكون صلة أحكمت وفصلت أي من عنده احكامها وتفصيلها وفيه طباق حسن لان المعنى أحكمها
حكيم وفصلها أي بينها وشرحها بخير بكيفيات الأمور انتهى ولا ير يد أن من لدن متعلق بالفعلين معا
من حيث صناعة الاعراب بل يريد ان ذلك من باب الاعمال فهي متعلقة بهما من حيث المعنى وأن
لا تعبدوا يحتمل أن يكون أن حرف تفسيران في تفصيل الآيات معنى القول وهذا أظهر لانه لا يحتاج
الى اضمار * وقيل التقدير لان لا تعبدوا أو بان لا تعبدوا فيكون مفعولا من أجله ووصلت ان
بالنهي * وقيل ان نصبت لا تعبدوا فالفعل خبر منفي * وقيل ان هي الخففة من الثقيلة وجملة النهي

عليه تعالى وزيادة ويحتمل
أن يعود على كل أي جزاء
ذلك الفضل الذي عمله في
الدنيا لا ينحس منه شيء
والظاهر أن تولوا مضارع
حذف منه التاء أي وان
تولوا وقيل هو ماض
للغائبين والتقدير فقل لهم
اني أخاف عليكم ووصف
يوم بكبير وهو يوم القيامة
لم يقع فيه من الأحوال
* الى الله * أي الى جزائه
* مرجعكم * أي يوم
القيامة

في موضع الخبر وفي هذه الأقوال العامل فصلت وأما من أعرب به أنه بدل من لفظ آيات أم من موضعها
 أو التقدير من النظر أن لا تعبدوا إلا الله أو في الكتاب ألا تعبدوا أو هي أن لا تعبدوا أو ضمن أن لا
 تعبدوا أو تفصله أن لا تعبدوا فهو بمنزل عن علم الاعراب والظاهر عود الضمير في منه إلى الله أي
 أني لكم نذير من جهته وبشير فيكون في موضع الصفة فتعلق بمحذوف أي كأن من جهته أو تعلق
 بنذير أي أنذركم من عذابه أن كفرتم وأبشركم بثوابه أن آمنتم * وقيل يعود على الكتابة أي نذير
 لكم من مخالفتهم وبشير منهم لمن آمن وعمل به ووقد قدم النذير لأن التخويف هو الأهم وأن استغفروا
 معطوف على أن لا تعبدوا نهى أو نفى أي لا يعبد إلا الله وأمر بالاستغفار من الذنوب ثم بالتوبة وهما
 معنيان متباينان لأن الاستغفار طالب المغفرة وهي السر والمعنى أنه لا يبقى له اتبعة والتوبة
 الانسلاخ من المعاصي والندم على ما سلف منها والعزم على عدم العود إليها ومن قال الاستغفار توبة
 جعل قوله ثم توبوا بمعنى أخلصوا التوبة واستقيموا عليها * قال ابن عطية وشم مرتبة لأن الكافر
 أول ما ينبغ فأنه في طلب مغفرة به فاذا تاب وتجرد من الكفر تم إيمانه * وقال الزمخشري (فان
 قلت) ما معنى ثم في قوله ثم توبوا إليه (قلت) معناه استغفر وأمن الشرك ثم ارجعوا إليه بالطاعة
 * وقرأ الحسن وابن هرمل وزيد بن علي وابن حيصن يمتعكم بالتخفيف من أمتع وانهب متاعا على
 أنه مصدر جار على غير الفعل أو على أنه مفعول به لأنك تقول متعت زيدا بواو المتاع الحسن الرضا
 بالميسور والصبر على المقدور أو حسن العمل وقطع الأمل أو النعمة الكافية مع الصحة والعافية
 أو الحلال الذي لا طالب فيه ولا تعب أولزوم القناعة وتوفيق الطاعة أقوال * وقال الزمخشري
 يطول نفعكم في الدنيا بمنافع حسنة مرضية وعيشة واسعة ونعمة متتابعة * قال ابن عطية وقيل
 هو فوائد الدنيا وزينتها وهذا ضعيف لأن الكفار يشاركون في ذلك أعظم مشاركة وربما زادوا
 على المسامين في ذلك * قال ووصف المتاع بالحسن إنما هو لطيب عيش المؤمن برجائه في الله عز
 وجل وفي ثوابه وفرحه بالتقرب إليه بمفر وضائه والسرور بما عيده والكافر ليس في شيء من هذا
 والأجل المسمى هو أجل الموت قاله ابن عباس والحسن * وقال ابن جبير يوم القيامة والضمير
 في فضله يحتمل أن يعود على الله تعالى أي يعطى في الآخرة كل من كان له فضل في عمل الخير وزيادة
 ما تفضل به تعالى وزاد ويحتمل أن يعود على كل أي جزاء ذلك الفضل الذي عمل به في الدنيا لا ينحس
 منه شيء كما قال نوف اليهم أعمالهم فيها أي جزاءها والدرجات تتفاضل في الجنة بتفاضل الطاعات
 وتقدم أمران بينهما تراخ وترتب عليهما جوابان بينهما تراخ ترتب على الاستغفار التمتع المتاع
 الحسن في الدنيا كما قال فقالت استغفر واربكم أنه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا الآية
 وترتب على التوبة إيتاء الفضل في الآخرة وناسب كل جواب لما وقع جوابا له لأن الاستغفار من
 الذنب أول حال الرجوع إلى الله فناسب أن يرتب عليه حال الدنيا والتوبة هي المنجية من النار والتي
 تدخل الجنة فناسب أن يرتب عليها حال الآخرة والظاهر أن تولوا مضارع حذف منه التاء أي وان
 تتولوا * وقيل هو ما مضى للغائبين والتقدير قيل لهم أني أخاف عليكم * وقرأ اليماني وعيسى بن عمر
 وان تولوا بضم التاء واللام وفتح الواو مضارع ولي والاولى مضارع تولى وفي كتاب اللوامح اليماني
 وعيسى البصرة وان تولوا بثلاث ضمات مرتب للمفعول به وهو ضد التبري * وقرأ الأعرج تولوا
 بضم التاء واللام وسكون الواو مضارع أولى ووصف يوم بكبير وهو يوم القيامة لما يقع فيه من
 الأهوال * وقيل هو يوم بدر وغيره من الأيام التي رموافها بالخذلان والقتل والسبي والنهب

﴿ألا إنهم يثنون صدورهم﴾ الآية قال ابن عباس (٢٠٢) نزلت في الأخنس بن شريق كان يجالس رسول الله صلى

الله عليه وسلم ويحلف أنه لا يحبه ويضمر خلاف ما يظهر وقيل غير ذلك
﴿ليستخفوا﴾ أي من الله فلا يطلع رسوله والمؤمنين على ازورارهم والضمير في منه عائداً على الله تعالى والذي يظهر من أسباب النزول أنه عائداً على رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قيل إن هذه الآية نزلت في الكفار الذين كانوا إذا القيم رسول الله صلى الله عليه وسلم تطامنوا وثنوا صدورهم كالمستتر وردوا إليه ظهروهم وغشوا وجوههم بثيابهم تباعدا منه وكرهه للقاءه وهم يظنون أن ذلك يخفي عليه أو عن الله تعالى فنزلت الآية فعلى هذا يكون ليستخفوا متعلقاً بقوله يثنون صدورهم ومعنى يستغشون ثيابهم يجعلونها أغشية ومنه قول الخنساء أرعى النجوم وما كلفت رعيها *
ونارة أغشى فضل أطماري وانتصب حين بقوله يعلم وقال الزمخشري يريدون الاستخفاء حين يستغشون ثيابهم وقال أبو البقاء ألا حين العامل في الطرف مخدوف أي الأحين يستغشون ثيابهم يستخفون وتقدير الزمخشري وأبى البقاء اضمار لا يحتاج إليه

وأبعد من ذهب إلى أن كبير صفة لعذاب وخفض على الجوار وبقى الآية تضمنت تهديداً عظيماً
وصرحت بالبعث وذكر أن قدرته عامة لجميع ما يشاء ومن ذلك البعث فهو لا يعجزه ما شاء من عذابهم * ألا إنهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه إلا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون إنه يعلم بذات الصدور * نزلت في الأخنس بن شريق كان يجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحلف أنه لا يحبه ويضمر خلاف ما يظهر قاله ابن عباس * وعنه أيضاً في ناس كانوا يستحيون أن يفضوا إلى السماء في الحلاء وحجامة النساء * وقيل في بعض المنافقين كان إذا مر بالرسول صلى الله عليه وسلم ثنى صدره وظهره ووطأ رأسه وغطى وجهه كي لا يرى الرسول قاله عبد الله بن شداد * وقيل في طائفة قالوا إذا أغلقنا أبوابنا وأرخينا ستورنا واستغشينا ثيابنا وثنيينا صدورنا على عداوته كيف يعلم بنا ذلك كره الزجاج * وقيل فعلوا ذلك ليبعد عنهم صوت الرسول صلى الله عليه وسلم ولا يدخل أسماعهم القرآن ذكره ابن الأنباري ويثنون مضارع ثنى قراءة الجمهور وقرأ سعيد بن جبير يثنون بضم الياء مضارع أثنى صدورهم بالنصب * قال صاحب اللوامح ولا يعرف الاثناء في هذا الباب إلا أن يراد به وجدته ماثية مثل أجدته وأجدته ولعله فتح النون وهذا مما فعل بهم فيكون نصب صدورهم بنزع الجار ويجوز على ذلك أن يكون صدورهم رفعاً على البديل بدل البعض من الكل * وقال أبو البقاء ماضيه أثنى ولا يعرف في اللغة إلا أن يقال معناه عرضوها للثناء كما يقال أبعث الفرس إذا عرضته للبيع * وقرأ ابن عباس وعلي بن الحسين وابناه زيد ومحمد وابنه جعفر ومجاهد وابن يعمر ونصر بن عاصم وعبد الرحمن بن ابزي والجدري وابن أبي اسحاق وأبو الأسود الدؤلي وأبو رزين والضحاك ثنوني بالياء مضارع ثنوني على وزن افعلوعل نحو اعشوشب المكان صدورهم بالرفع بمعنى تنطوي صدورهم * وقرأ أيضاً ابن عباس ومجاهد وابن يعمر وابن أبي اسحاق يثنوني بالياء صدورهم بالرفع ذكر على معنى الجمع دون الجماعة * وقرأ ابن عباس أيضاً يثنون بلام التأكيدي في خبران وحذف الياء تخفيفاً وصدورهم رفع * وقرأ ابن عباس أيضاً عروة وابن أبي ابزي والأعشى يثنون ووزنه يفعوعل من الثن بني منه افعلوعل وهو ما هس وضعف من الكلاء وأصله يثنون بريد مطاوعة نفوهم للشئ كما ينثنى الهس من النبات أو أراد ضعف إيمانهم ومريض قلوبهم وصدورهم بالرفع * وقرأ عروة ومجاهد أيضاً كذلك لأنه همز فقرأ يثنون مثل يطمئن وصدورهم رفع وهذه مما استنقل فيه الكسر على الواو كما قيل اشاح * وقد قيل أن يثنان يفعول من الثن المتقدم مثل تحمار وتصفار فحركات الألف لا تنقأ مما بالكسر فانقلبت همزة * وقرأ الأعشى يثنون مثل يفعولون مهموز اللام صدورهم بالنصب * قال صاحب اللوامح ولا أعرف وجهه لأنه يقال ثنيت ولم أسمع ثنأت ويجوز أنه قلب الياء ألفاً على لغة من يقول أعطأت في أعطيت ثم همز على لغة من يقول ولا الضالين * وقرأ ابن عباس يثنوي بتقديم الثاء على النون وبغير نون بعد الواو على وزن ترعوى * قال أبو حاتم وهذه القراءة غلط لا تتجها انتهى وإنما قال ذلك لأنه لاحظ الواو في هذا الفعل لا يقال ثنوته فأنشوى كما يقال رعوته أي كفته فارعوى فانكف ووزنه أفعل * وقرأ أنس بن عاصم وابن يعمر وابن أبي اسحاق يثنون بتقديم النون على الثاء فهذه عشر قراآت في هذه الكلمة والضمير في أنهم عائداً على بعض من يحضر الرسول صلى الله عليه وسلم من الكفار أي يطوون صدورهم على عداوته * قال الزمخشري

يستغشون ثيابهم يستخفون وتقدير الزمخشري وأبى البقاء اضمار لا يحتاج إليه

يثنون صدورهم يزورون عن الحق وينحرفون عنه لأن من أقبل على الشيء استقبله بصدوره ومن
ازور عنه وانحرف ثني عنه صدره وطوى عنه كشحه ليستخفوا منه يعني ويريدون ليستخفوا من
الله فلا يطلع رسوله والمؤمنين على ازورارهم ونظير اضمار يريدون لعود المعنى الى اضماره الاضمار
في قوله تعالى أن اضرب بعصاك البحر فانقلب معناه فضرب فانقلب ومعنى ألاحين يستغشون
ثيابهم ويريدون الاستخفاء حين يستغشون ثيابهم أيضا كراهة لاستماع كلام الله كقول نوح
عليه السلام جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم انتهى فالضمير في منه على قوله عائد على
الله * قال ابن عطية وهذا هو الأوضح الأجل في المعنى انتهى ويظهر من بعض أسباب النزول انه
عائد على الرسول صلى الله عليه وسلم كما قال ابن عطية * قال قيل ان هذه الآية نزلت في الكفار الذين
كانوا اذا لقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم تطامنوا وثنوا صدورهم كالتستر وردوا اليه
ظهورهم وغشوا وجوههم بثيابهم تباعدا منهم وكراهية اللقاء وهم يظنون أن ذلك يخفي عليه أو عن
الله تعالى فنزلت الآية انتهى فعلى هذا يكون ليستخفوا متعلقا بقوله يثنون وكذا قال الحوفي * وقيل
هي استعارة للغل والخذل الذي كانوا ينطون عليه كما تقول فلان يطوى كشحه على عداوته ويثني
صدره عليه بمعنى الآية الا انهم يسرون العداوة ويتكتمون لها يخفي في ظنهم عن الله عز وجل
وهو تعالى حين تغشيم ثيابهم وابلغهم في التستر يعلم ما يسرون انتهى فعلى هذا يكون حين معمولا
لقوله يعلم وكذا قاله الحوفي للضمير الذي قدره الزمخشري وهو قوله ويريدون الاستخفاء حين
يستغشون ثيابهم * وقال أبو البقاء ألاحين العامل في الظرف محذوف أي ألاحين يستغشون
ثيابهم يستخفون ويجوز أن يكون ظرفا ليعلم * وقيل كان بعضهم يخفي على بعض ليساره في
الطعن على المسامين وبلغ من جهلهم ان ذلك يخفي على الله تعالى * قال قتادة أخفى ما يكون اذا
حتى ظهره واستغشى ثوبه وأضمر في نفسه همته * وقال مجاهد يطوونها على الكفر * وقال ابن
عباس يخفون ما في صدورهم من الشكنا * وقال قتادة يخفون لسمعوا كلام الله * وقال ابن زيد
يكتونها اذا ناجى بعضهم بعضا في أمر الرسول صلى الله عليه وسلم * وقيل يثنونها حياء من الله
تعالى ومعنى يستغشون يجعلونها أغشية * ومنه قول الخنساء

أرعى النجوم وما كلف رعينتها * وتارة أتغشى فضل أطماري

* وقيل المراد بالثياب الليل واستعيرت له لما بينهما من العلاقة بالستر لأن الليل يستر كما تستر الثياب
ومنه قولهم الليل أخفى للويل * وقرأ ابن عباس على حين يستغشون * قال ابن عطية ومن هذا
الاستعمال قول النابغة

على حين عاتبت المشيب على الصبا * وقلت ألما أضح والشيب وازع

انتهى * وقال ابن عباس ما يسرون بقولهم وما يعلنون بأفواههم * وقيل ما يسرون بالليل وما
يعلنون بالنهار * وقال ابن الأنباري معناه أنه يعلم سرائرهم كما يعلم مظهراتهم * وقال الزمخشري
يعني انه لا تفاوت في عاهه بين إسرارهم وإعلانهم فلا وجه لتوصلهم الى ما يريدون من الاستخفاء
والله مطلع على ثنيهم صدورهم واستغشائهم بثيابهم ونفاقهم غير نفاق عنده * وقال صاحب التحرير
الذي يقتضيه سياق الآية أنه أراد بما يسرون ما نطوت عليه صدورهم من الشرك والنفاق والغل
والحسد والبغض للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه لأن ذلك كله من أعمال القلوب وأعمال القلوب
خفية جدا وأراد بما يعلنون ما يظهر منه من استبدارهم النبي صلى الله عليه وسلم وتغشية ثيابهم وسر

﴿وما من دابة في الأرض﴾ الآية الدابة هنا عام في كل حيوان يحتاج الى رزق وعلى الله ظاهر في الوجوب وانما هو تفضل ولكنه لما ضمن تعالى ان يتفضل عليهم أبرزه في حيز الوجوب قال ابن عباس مستقرها حيث تأوى اليه من الأرض ومستودعها الموضع الذي تموت فيه فتدفن ومن دابة في موضع مبتدأ ومن زائدة لاستغراق الجنس ورزقها مبتدأ وعلى الله خبره والجملة خبر المبتدأ والتقدير وما من دابة الا رزقها كائن على الله تعالى ﴿وهو الذي خلق السموات﴾ الآية لما ذكر تعالى ما يدل على كونه عالما ذكر ما يدل على كونه قادرا وتقدم تفسير الجملة الأولى في سورة يونس والظاهر ان قوله وكان عرشه على الماء تقديره قبل خلق السموات والأرض وفي هذا دليل على ان الماء (٢٠٤) والعرش كانا مخلوقين قبل والظاهر تعلق ليلوكم

بخلق أى خلقهن بحكمة بالغة وهى ان يجعلها مساكن لعباده وينعم عليهم فيها بفنون النعم ويكلفهم فعل الطاعات واجتناب المعاصي فمن شكر وأطاع أثابه ومن كفر وعصى عاقبه ومعنى ليلوكم أى ليختبركم وأىكم أحسن مبتدأ وخبر في موضع نصب بقوله ليلوكم وهو معلق لان الاختبار فيه معنى التمييز والعلم وذكر الرخصى ان استمع تعلق ومثله بقوله استمع أبهم أحسن صوتا انتهى ولا أعلم أحدا ذكر ان استمع تعلق وانما ذكرنا من غير أفعال القلوب سل وانظر وفي جواز تعليق رأى البصرية خلاف ولذلك علق عن جملة الاستفهام والظاهر الاشارة بهذا الى القول أى ان قولك انكم مبعوثون

آذانهم وهذه كلها أعمال ظاهرة لا تخفى ﴿وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها﴾ كل في كتاب مبين ﴿الدابة هنا عام في كل حيوان يحتاج الى رزق وعلى الله ظاهر في الوجوب وانما هو تفضل ولكنه لما ضمن تعالى أن يتفضل به عليهم أبرزه في حيز الوجوب﴾ قال ابن عباس مستقرها حيث تأوى اليه من الأرض ومستودعها الموضع الذي تموت فيه فتدفن ﴿وعنه أيضا مستقرها في الرحم ومستودعها في الصلب﴾ وقال الربيع بن أنس مستقرها في أيام حياتها ومستودعها حين تموت وحين تبعث ﴿وقيل مستقرها في الجنة أو في النار ومستودعها في القبر ويدل عليه حسنت مستقرا وساءت مستقرا﴾ وقيل ما يستقر عليه عملها ومستودعها ما نصير اليه ﴿وقيل المستقر ما حصل موجودا من الحيوان والمستودع ما سيوجد بعد المستقر﴾ وقال الرخصى المستقر مكانه من الأرض ومسكنه والمستودع حيث كان موجودا قبل الاستقرار من صلب أو رحم أو بيضة انتهى ومستقر ومستودع يحتمل أن يكونا مصدرين ويحتمل أن يكونا اسمي مكان ويحتمل مستودع أن يكون اسم مفعول لتعدى الفعل منه ولا يحتمله مستقر للزوم فعله كل أى كل من الرزق والمستقر والمستودع في اللوح يعنى وذكرها مكتوب فيه مبين ﴿وقيل الكتاب هنا مجاز وهو اشارة الى علم الله وحمله على الظاهر أولى﴾ وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء ليلوكم أى أحسن عملا ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا ان هذا إلا سحر مبين ولئن أخرنا عنهم العذاب الى أمة معدودة ليقولن ما يحبسه الا يوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم وحق بهم ما كانوا به يستهزؤن ﴿لما ذكر تعالى ما يدل على كونه تعالى عالما ذكر ما يدل على كونه قادرا وتقدم تفسير الجملة الأولى في سورة يونس والظاهر ان قوله وكان عرشه على الماء تقديره قبل خلق السموات والأرض وفي هذا دليل على أن الماء والعرش كانا مخلوقين قبل قال كعب خلق الله ياقوته خضراء فنظر اليها بالهيبة فصارت ماء ثم خلق الريح فجعل الماء على منها ثم وضع العرش على الماء﴾ وروى عن ابن عباس انه وقد قيل له على أى شئ كان الماء قال كان على متن الريح والظاهر تعلق ليلوكم بخلق ﴿قال الرخصى أى خلقهن لحكمة بالغة وهى أن يجعلها مساكن لعباده وينعم عليهم فيها بفنون النعم ويكلفهم فعل الطاعات واجتناب المعاصي فمن شكر وأطاع أثابه ومن كفر وعصى عاقبه ولما أشبه

الاسحر أى بطلان هذا القول كبطان السحر والظاهر ان العذاب هو العذاب الموعود به والامة هنا المدة من الزمان ما يحبسه ﴿استفهام قالوه على سبيل التكذيب والاستهزاء والظاهر ان يوم منصوب بقوله مصر وفا فهو معمول خبر ليس وقد استدل به على جواز تقديم خبر ليس على ما قالوا لان تقدم المعمول يؤذن بتقدم العامل ونسب هذا المذهب لسيبويه وعليه أكثر البصريين وذهب الكوفيون والمبرد الى أنه لا يجوز ذلك وقالوا لا يدل جواز تقدم المعمول على جواز تقدم العامل وأيضا فان الظرف والمجرور يتسع فيهما ما لا يتسع في غيرهما ويقعان حيث لا يقع العامل فيهما نحو ان اليوم زيد امسافر وقد تتبع جملة من دواوين العرب فلم أظفر بتقدم خبر ليس عليها ولا معموله الا ما يدل عليه ظاهر هذه الآية وقول الشاعر

ذلك اختبار المختبر قال ليبلوكم بربد ليفعل بكم ما يفعل المبطل لأحوالكم كيف تعملون (فان قلت) كيف جاز تعليق فعل البلوى (قلت) لما في الاختبار من معنى العلم لانه طريق الله فهو ملابس له كما تقول انظر أيهم أحسن وجهها واستمع أيهم أحسن صوتا لان النظر والاستماع من طرق العلم انتهى وفي قوله ومن كفر وعصى عاقبه دسياسة الاعتزال وأما قوله واستمع أيهم أحسن صوتا فلا أعلم أحدا ذكر أن استمع تعلق وانما ذكرنا من غير أفعال القلوب سل وانظر وفي جواز تعليق رأي البصرية خلاف * وقيل ليبلوكم متعلق بفعل محذوف تقديره أعلم بذلك ليبلوكم ومقصده هذا التأويل أن هذه المخلوقات لم تكن بسبب البشر * وقيل تقدير الفعل وخلقكم ليبلوكم * وقيل في الكلام جل محذوفة التقدير وكان خلقه لها لمنافع يعود عليكم نفعها في الدنيا دون الأخرى وفعل ذلك ليبلوكم ومعنى أيكم أحسن عملا هذا أحسن أم هذا * قال ابن جرير روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أيكم أحسن عقلا وأورع عن محارم الله وأسرع في طاعة الله وأوصح هذا التفسير عن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يعدل عنه * وقال الحسن أزهد في الله * وقال مقاتل أتقى لله * وقال الضحاك أكثركم شكرا * قال الزمخشري (فان قلت) فكيف قيل أيكم أحسن عملا وأعمال المؤمنين هي التي تتفاوت إلى حسن وأحسن فأما أعمال المؤمنين والكافرين فتفاوتتهما إلى حسن وقبيح (قلت) الذين هم أحسن عملا هم المتقون وهم الذين استبقوا إلى تحصيل ما هو غرض الله من عبادته فخصهم بالذكر واطرح ذكر من وراءهم تشریفهم وتنبيهها على مكانهم منه وليكون ذلك تيقظا للسامعين وترغيبا في حيازة فضلهم انتهى ولئن قلت خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم * وقرأ عيسى الثقفي ولئن قلت بضم التاء اخبارا عنه تعالى والمعنى ولئن قلت مستدلا على البعث من بعد الموت إذ في قوله تعالى وهو الذي خلق دلالة على القدرة العظيمة فتى أخبر بوقوع ممكن وقوع لا محالة وقد أخبر بالبعث فوجب قبوله وتيقن وقوعه * وقرئ أيكم بفتح الهمزة * قال الزمخشري ووجهه أن يكون من قولهم أنت السوق أنك تشتري لجاما بمعنى علك أي ولئن قلت لهم لعلكم مبعوثون بمعنى توقعوا بعثكم وظنوه لأثبتوا القول بانكاره لقالوا ويجوز أن يضمن قلت معنى ذكرت انتهى يعني بفتح الهمزة لأنها في موضع مفعول ذكرت والظاهر الإشارة بهذا إلى القول أي أن قولك انكم مبعوثون الاسحر أي بطلان هذا القول كبطلان السحر ويحتمل أن يكون إشارة إلى ما دلت عليه الجملة من البعث أي أن البعث * وقيل أشاروا بهذا إلى القرآن وهو الناطق بالبعث فاذا جعلوه سحرا فقد اندرج تحتها انكار ما فيه من البعث وغيره * قال ابن عطية كذبوا وقالوا هذا سحر فهذا تناقض منهم أن كان مفطور بقربات الله فاطر السموات والأرض فهو من جملة المقربين وها هو مع ذلك ينكرون ما هو أيسر منه بكثير وهو البعث من القبور إذا البداة أعسر من الاعادة وإذ خلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس انتهى * وقرأ الحسن والأعرج وأبو جعفر وشيبة وفرقة من السبعة سحر * وقرأت فرقة ساحر ير يدون والساحر كاذب مبطل ولئن أخرنا حكى تعالى نوعا آخر من أباطيلهم واستهزائهم والعذاب هنا عذاب القيامة * وقيل عذاب يوم بدر * وعن ابن عباس قتل جبريل المستهزئين والظاهر العذاب الموعود به والأمة هنا المدة من الزمان قاله ابن عباس وقتادة ومجاهد والجمهور ومعناه إلى حين ووقت معلوم ما يحبس استقام قالوه وهو على سبيل التكذيب والاستهزاء * قال الطبري سميت المدة أمة لأنها يقضى فيها أمة من الناس وتحدث أخرى فهي على هذا المدة الطويلة ثم استفتح الاخبار بأنه يوم لا يرد شيء

* في أي فيازداد الجاح
وكنت أي في الخنا لست
أقدم *
وتقدم تفسير جملة وحاو
٢٢

(الدر)

(ش) فان قلت كيف جاز
تعليق فعل البلوى قلت
لما في الاختبار من معنى
العلم لانه طريق اليه فهو
ملابس له كما تقول انظر
أيهم أحسن وجهها واستمع
أيهم أحسن صوتا لان
النظر والاستماع من طرق
العلم انتهى (ح) لا أعلم أن
أحدا ذكر أن استمع
تعلق وانما ذكرنا من غير
أفعال القلوب سل وانظر
وفي جواز تعليق رأي
البصرية خلاف

ولئن أدقنا الانسان * الظاهر أن الانسان هنا (٢٠٦) هو جنس والمعنى أن هذا الخلق في سبجيا الناس ثم استثنى

ولا يصرفه الظاهر أن يوم منصوب بقوله مصر وفاقه ومعمول خبر ليس وقد استدل به على جواز تقديم خبر ليس عليه أقالوا لأن تقدم المعمول يؤذن بتقدم العامل ونسب هذا المذهب لسيبويه وعليه أكثر البصريين وذهب الكوفيون والمبرد إلى أنه لا يجوز ذلك وقالوا لا يدل جواز تقدم المعمول على جواز تقدم العامل وأيضا فان الظرف والمجرور يتسع فيهما ما لا يتسع في غيرهما ويقعان حيث لا يقع العامل فيهما نحو أن اليوم زيد مسافر وقد تتبعت جملة من دواوين العرب فلم أظفر بتقدم خبر ليس عليها ولا بمعموله إلا ما دل عليه ظاهر هذه الآية وقول الشاعر

فيأبى فما يزداد إلا الحاجة * وكنت أيا في الخفالت أقدم

وتقدم تفسير جملة وحقهم * ولئن أدقنا الانسان منارحة ثم نزعناها منه إنه ليؤس كفور ولئن أدقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عني إنه لفرح بخور إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة وأجر كبير * لماذا كرتعالى عذاب الكفار وان تأخر لا بد أن يحقق بهم ذكر ما يدل على كفرهم وكونهم مستحقين العذاب لما جبلوا عليه من كفر نعماء الله وما يترتب على إحسانه تعالى اليهم مما لا يليق بهم من نحرهم على عباد الله والظاهر أن الانسان هنا هو جنس والمعنى أن عند الخلق في سبجيا الناس ثم استثنى منهم الذين ردتهم الشرائع والايان الى الصبر والعمل الصالح ولذلك جاء الاستثناء منه في قوله إلا الذين صبروا وامتصلا * وقيل المراد هنا بالانسان الكافر * وقيل المراد به انسان معين * فقال ابن عباس هو الوليد بن المغيرة وفيه نزلة * وقيل عبد الله ابن أمية الخزرجي وذكره الواحدى وعلى هذين القولين يكون استثناء منقطعاً ومعنى رحمة نعمته من صحة وأمن وجدة ثم نزعناها أى سلبناها منه ويؤس كفور صفتا مبالغة والمعنى أنه شديد اليأس كثيره ييأس أن يعود اليه مثل تلك النعمة المساوية ويقطع رجاءه من فضل الله من غير صبر ولا تسليم لقضائه كفور كثير الكفران لما سلف لله عليه من نعمه ذكر حالة الانسان إذ بدى بالنعمة ولم يسبقه الضر ثم ذكر حاله إذا جاءته النعمة بعد الضر ومعنى ذهب السيئات أى المصائب التى تسوءنى وقوله هذا يقتضى نظراً وجهلاً لأن ذلك بانعام من الله وهو يعتقد أن ذلك اتفاق أو بسعد وهو اعتقاد فاسد أنه لفرح أشربطر وهذا الفرح مطابق فاندك ذم المتصف به ولم يأت فى القرآن للمدح الا مقيداً بما فيه خير كقوله فرحين بما آتاهم الله من فضله * وقرأ الجمهور لفرح بكسر الراء وهى قياس اسم الفاعل من فعل اللازم * وقرأت فرقة لفرح بضم الراء وهى كما تقول ندس ونطس ونخره هو تعاضمه على الناس بما أصابه من النعماء واستثنى تعالى الصابرين يعنى على الضراء وعاملنى الصالحات ومنها الشكر على النعماء أولئك لهم مغفرة لذنوبهم يقتضى زوال العقاب والخللاص منه وأجر كبير هو الجنة فيقتضى الفوز بالثواب ووصف الأجر بقوله كبير لما احتوى عليه من النعيم السرمدى ورفع التكليف والامن من العذاب ورضا الله عنهم والنظر الى وجهه الكريم * فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك وضائق به صدرك أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك إنما أنت نذير والله على كل شئ وكيل * قال الرمنشبرى كانوا يقرحون عليه آيات نعمتنا لا استرشاداً لأنهم لو كانوا مسترشدين لكانت آية واحدة مما جاء به كافية في رشادهم ومن اقترحاتهم لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك وكانوا لا يعتدون بالقرآن ويتهاونون به وبغيره مما جاء به من البينات فكان يضيق صدر رسول صلى الله عليه وسلم أن يلقى اليهم ما لا يقبلونه ويضحكون منه فحرك الله منه وهيجته لاداء الرسالة وطرح المبالاة بردهم واستهزأهم واقترحاتهم بقوله فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك أى

منهم الذين ردتهم الشرائع والايان الى الصبر والعمل صالح ولذلك جاء الاستثناء في قوله إلا الذين صبروا متصلاً * فلعلك تارك * الآية كانوا يقرحون عليه الآيات نعمتنا لا استرشاداً لأنهم لو كانوا مسترشدين لكانت آية واحدة مما جاء به كافية لارشادهم وضائق اسم فاعل من ضاق وعبر بضائق دون ضيق للمناسبة فى اللفظ مع تارك وان كان ضيق أكثر استعمالاً لانه وصف لازم وضائق وصف عارض ولان اسم الفاعل من الثلاثى إذا لم يأت على اسم فاعل نحو فرح وثقل وأريد الحدوث به بنى على فاعل كثقل فهو ناقل وفرح فهو فارح ولذلك جاء اسم الفاعل من ضاق على فاعل لحدوثه اذ ليس وصفا لازماً فيجىء على ضيق * إنما أنت نذير * أى ليس عليك الا أن تنذرهم بما أوحى اليك وتبلغهم ما أمرت بتبليغه وما عليك ردوا أو تمأنوا أو اقترحوا * والله على كل شئ وكيل * يحفظ ما يقولون وهو فاعل بهم ما يجب أن يفعل فتوكل عليه وكما أمر الله

﴿ أم يقولون افتراء ﴾ الآية الظاهر أن أم منقطعة (٢٠٧) فتقدير ببل والهمزة أي بل أم يقولون افتراء والضمير

في افتراء عائذ على قوله يوحى اليك وهو القرآن * ومناسبة هذه الآية لما قبلها أنه لا تتعلق أطعامهم بأن يترك بعض ما أوحى اليه بالدعوة لهم أنه ليس من عند الله وأنه هو الذي افتراء وإنما تحداهم أولا بعشر سور مفتريات قبل تحديهم بسورة إذ كانت هذه السورة مكينة والبقر مدنية وسورة يونس أيضا مكينة ومقتضى التحدي بعشر سور أن يكون قبل طلب المعارضة بسورة فله نسبه إلى الافتراء طلب منهم أن يأتيوا بعشر سور مثله مفتريات أرخاء لعنائهم فكأنه يقول هبوا إلى اختلقته ولم يوح إلى فأتوا أنتم بكلام مثله مخلوق من عند أنفسكم فأتتم عرب فصحاء مثلي لا تعجزون عن مثل ما أقدّر عليه من الكلام وإنما غنى بقوله مثله في حسن النظم والبيان وإن كان مفترى وشأن من يريد تعجيز شخص أن يطالبه أولا بأن يفعل أمثاله مما يفعل هو ثم إذا تبين له عجزه قال له افعل مثالا واحدا فان لم يستجيبوا لكم * الذي يظهر أن

لعلك تترك أن تلقى اليهم وتبلغه إياهم مخافة ردهم وتهاونهم به وضائق به صدرك بأن تتلو عليهم أن يقولوا مخافة أن يقولوا لا أنزل عليه كنز هلا أنزل عليه ما اقترحتنا نحن من الكنز والملائكة ولم ينزل عليه ما لا تريد ولا نقترح ثم قال إنما أنت نذير أي ليس عليك إلا أن تنذرهم بما أوحى اليك وتبلغهم ما أمرت بتبليغه ولا عليك ردّ أو تهاون أو إقترحو أو الله على كل شيء وكيل يحفظ ما يقولون وهو فاعل بهم ما يجب أن يفعل فتوكل عليه وكل أمرك إليه * وقال ابن عطية سبب نزول هذه الآية أن كفار قريش قالوا يا محمد لو تركت سب آلهتنا وتسفيه آبائنا لجالسناك واتبعناك وقالوا أنت بقرآن غير هذا أو بدله ونحو هذا من الأقوال فخطب الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم على هذه الصورة من المخاطبة وقفه بها توقيفا رادّا على أقوالهم ومبطلا لها وليس المعنى أنه عليه السلام هم بشيء من ذلك ثم خرج عنه فانه لم يرد فقط ترك شيء مما أوحى إليه ولا ضاق صدره به وإنما كان يضيق صدره بأقوالهم وأفعالهم وبعدهم عن الإيمان ولعلك همنا بمعنى التوقيف والتقرير وما يوحى إليه هو القرآن والشرعية والدعاء إلى الله كان في ذلك سب آلهتهم وتسفيه آبائهم أو غيره ويحتمل أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم قد عظم عليه ما يليق من المشدة قال إلى أن يكون من الله اذن في مساهلة الكفار بعض المساهلة ونحو هذا من الاعتقادات التي تليق به صلى الله عليه وسلم كما جاءت آيات المواعدة وغير بضائق دون ضيق للمناسبة في اللفظ مع تارك وإن كان ضيق أكثر استعمالا لأنه وصف لازم وضائق وصف عارض * وقال الزمخشري (فان قلت) لم عدل عن ضيق إلى ضائق (قلت) ليدل على أن ضيق عارض غير ثابت لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أفسح الناس صدرا ومثله قولك سيد وجواد تريد السيادة والجود الثابتين المستقرين فإذا أردت الحدوث قلت سائد وجائد انتهى وليس هذا الحكم مختصا بهذه اللفاظ بل كل ما يبنى من الثلاثي للثبوت والاستقرار على غير وزن فاعل رد إليه إذا أريد معنى الحدوث فنقول حاسن من حسن وثاقيل من ثقل وفارح من فرح وسامن من سامن * وقال بعض اللصوص يصف السجن ومن سجن فيه

بمنزلة أما اللئيم فسامن بها * وكرام الناس بادشحو بها

والظاهر عود الضمير في به على بعض * وقيل على ما * وقيل على التبليغ * وقيل على التكذيب * قيل ولعل هنا للاستفهام بمعنى هل والمعنى هل أنت تارك ما فيه تسفيه أحلامهم وسب آلهتهم كما سألوكم وقدروا كراهته أن يقولوا أو ثلثا يقولوا بأن يقولوا ثلاثة أقوال والكنز المال الكثير وقالوا أنزل ولم يقولوا أعطى لأن مرادهم التعجيز وانهم التمسوا أن ينزل عليه من السماء كنز على خلاف العادة فإن الكنوز إنما تكون في الأرض وطلبهم آية تضطر إلى الإيمان والله عز وجل لم يبعث الأنبياء بآيات اضطرار إنما بعثهم بآيات النظر والاستدلال ولم يجعل آية الاضطرار إلا للامة التي أراد تعذيبها الكفر هابعد آية الاستدلال كالناقة لثمود وآتاه تعالى بقوله إنما أنت نذير أي الذي فوض اليك هو النذارة لا الحصول هدايتهم فان ذلك إنما هو لله تعالى * وقال مقاتل وقيل كافل بالمصالح قادر عليها * وقال ابن عطية المحصى لايمان من شاء وكفر من شاء * قيل وهذه الآية منسوخة * وقيل محكمة * أم يقولون افتراء قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين * فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله وأن لا إله الا هو فهل أنتم

الضمير في فان لم يستجيبوا عائذ على من استطعتم وفي لكم عائذ على الكفار لعود الضمير على أقرب من كور ولكون الخطاب يكون لواحد ولترتب الجواب على الشرط ترتبا حقيقيا من الأمر بالعلم ولا يتجوز بانه أريد بدفعه ومواعلي العلم بأن لا إله الا هو ولا أن

مسامون * الظاهر ان أم منقطعة تتقدر ببيل والهمزة أى يقولون افتراه * وقال ابن القشيري أم استفهام توسط الكلام على معنى أ يكتفون بما أوحيت اليك من القرآن أم يقولون انه ليس من عند الله فان قالوا انه ليس من عند الله فليأتوا بمثله انتهى فجعل أم متصلة والظاهر الانقطاع كما قلنا والضمير في افتراه عائدا على قوله ما يوحى اليك وهو القرآن * ومناسبة هذه الآية لما قبلها انها لا تتعلق اطاعهم بأن يترك بعض ما يوحى اليه الا لدعواهم انه ليس من عند الله وانه هو الذى افتراه وانما تحداهم أولا بعشر سور مفتريات قبل تحديهم بسورة إذ كانت هذه السورة مكية والبقرة مدنية وسورة يونس أيضا مكية ومقتضى التحدى بعشر ان يكون قبل طلب المعارضة بسورة فله انسبوه الى الافتراء طلب منهم أن يأتوا بعشر سور مثله مفتريات ارعاء لعنانهم وكأنه يقول هبوا انى اختلقته ولم يوح الى فأتوا أنتم بكلام مثله مختلف من عند أنفسكم فأنتم غرب فصحاء مثلى لا تعجزون عن مثل ما أقدر عليه من الكلام وانما عين بقوله مثله في حسن النظم والبيان وان كان مفترى وشأن من يريد تعجيز شخص أن يطالبه أولا بأن يفعل أمثالا مما يفعل هو ثم اذا تبين عجزه قال له افعل مثلا واحدا ومثل بوصف به المفرد والمثنى والمجموع كما قال تعالى أنؤمن لبشر ين مثلاً وتجاوز المطابقة في التثنية والجمع كقوله ثم لا يكونوا أمثالكم وحوار عين كأمثال اللؤلؤ المكنون واذا أفرد وهو تابع لمثنى أو مجموع فهو بتقدير المثنى والمجموع أى مثلين وأمثال والمعنى هنا بعشر سور أمثاله ذهبا الى مماثلة كل سورة منه * وقال ابن عطية وقع التحدى في هذه الآية بعشر لانه قيدها بالافتراء فوسع عليهم في القدر لتقوم الحجة غاية القيام اذ قد عجزهم في غير هذه الآية بسورة مثله دون تقييد فهي مماثلة تامة في عيوب القرآن ونظمه ووعده ووعده وعجزوا في هذه الآية بأن قيل لهم عارضوا القدر منه بعشر أمثاله في التقدير والغرض واحد واجعله مفترى لا يبق لكم الانظمه فيه غاية التوسعة وليس المعنى عارضوا عشر سور بعشر لان هذه انما كانت نجى معارضة سورة بسورة مفتراة ولا يبالى عن تقديم زول هذه على هذه ويؤيد هذا النظر أن التكليف في آية البقرة انما هو بسبب الريب ولا يزيل الريب الا العلم بأنهم لا يقدر على المماثلة التامة وفي هذه الآية انما التكليف بسبب قولهم افتراه وكلفوا نحو ما قالوا ولا يطردها في آية يونس * وقال بعض الناس هذه مقدمة في النزول على ثلاث ولا يصح أن تكون السورة الواحدة لا مفتراة وآية سورة يونس في تكليف سورة مرتبة على قولهم افتراء وكذلك آية البقرة انما رتبهم بأن القرآن مفترى وقائل هذا القول لم يلحظ الفرق بين التكليفين في كمال المماثلة مرة ووقوفها على النظم مرة انتهى والظاهر أن قوله مثله لا يراد به المثلية في كون المعارض عشر سور بل مثله يدل على مماثلة في مقدار ما من القرآن * وروى عن ابن عباس ان السور التي وقع بها طلب المعارضة لها هي معينة البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف والأنفال والتوبة ويونس وهو دقيق قوله مثله أى مثل هذه عشر السور وهذه السور أكثرها مدنى فكيف تصح الحوالة بمكة على ما لم ينزل بعد ولعل هذا لا يصح عن ابن عباس والضمير في فان لم يستجيبوا لكم عائدا على من طاب منهم المعارضة ولكم الضمير جمع يشمل الرسول والمؤمنين وجوز أن يكون خطابا للرسول صلى الله عليه وسلم على سبيل التعظيم كما جاء فان لم يستجيبوا لك قاله مجاهد * وقيل ضمير يستجيبوا عائدا على المدعوين ولكم خطاب للمؤمنين بدعاء من استطاعوا قاله الضحاك أى فان لم يستجب من تدعونه الى المعارضة فأذعنوا حينئذ واعلموا انه من عند الله وانه أنزل ملتبسا بما لا يعلمه الا الله من نظم معجز للخلق واخبار بغيوب لا سيمل لهم اليه

يكون قوله فهل أنتم مسامون تحريضا على تحصيل الاسلام لانه يراد به الاخلاص ولما طولبوا بالمعارضة وأمروا بأن يدعوا من يساعدهم فلم تمكن المعارضة ولا استجاب أصنامهم وآلهتهم لهم أمروا بأن يعلموا انه من عند الله وليس مفترى فتكن معارضته وانه تعالى هو المختص بالالوهية لا يشركه في شئ منها آلهتهم وأصنامهم فلا يمكن أن يجيبوا الظهور عجزهم وانها لا تنفع ولا تضر في شئ من المطالب

﴿من كان يريد الحياة الدنيا﴾ الآية مناسبة لما قبلها أنه تعالى (٢٠٩) لماذا كرسيا من أحوال الكفار المنافقين ذكر

شيئا من أحوالهم الدينيون وما يؤولون اليه في الآخر وظاهر من العموم في كل من يريد زينة الحياة الدنيا والجزاء مقرون بمشيئة الله تعالى وجاء فعل الشرط ماضيا في قوله من كان وفعل الجزاء مضارع مجزوما وهو نون والجزم أفصح من الرفع اذ لو جاء نون مرفوعا لكان جائزا كما قال الشاعر

وان أتاه خليل يوم مسألة يقول لا غائب مالي ولا حرم
فرفع يقول ولو جزمه لكان أفصح كالأية وأفرد الضمير في كان يريد على لفظ من وجمعه في قوله اليهم مراعاة للغنى والضمير في قوله ما صنعوا فيها الظاهر أنه عائد على الآخرة والمجروح متعلق بحبط المعنى وظهر حبوط ما صنعوا في الآخرة ويجوز أن يتعلق بقوله صنعوا فيكون عائدا على الحياة الدنيا كما عاود عليها في فيها قل وما في ما صنعوا بمعنى الذي أو مصدرية وباطل وما بعده تأكيد لقوله وحبط ما صنعوا وباطل خبر مقدم ان كان من عطف الجمل وما كانوا هو المبتدأ وان كان خبرا بعد خبر ارتفع

واعلموا عند ذلك أنه لا اله الا هو وان توحيد واجب فهل أنتم مسلمون أي تابعون للإسلام بعد ظهور هذه الحجة القاطعة وعلى أن الخطاب للمؤمنين معنى فاعلموا أي دووموا على العلم وازدادوا يقينا وثبات قدم انه من عند الله ومعنى فهل أنتم مسلمون أي مخلصو الاسلام * وقال مقاتل بعلم الله بأذن الله * وقال السكبي بأمره * وقال القتيبي من عند الله والذي يظهر أن الضمير في فان لم يستجيبوا عائد على من استطعتم وفي لكم عائد على الكفار لعود الضمير على أقرب مذكور ولو لكون الخطاب يكون لواحد ولترتب الجواب على الشرط ترتبا حقيقيا من الأمر بالعلم ولا يتحرر بأنه أراد به فدوموا على العلم ودوموا على العلم بأن لا اله الا هو ولان يكون قوله فهل أنتم مسلمون تعريضا على تحصيل الاسلام لا انه يراد به الاخلاص ولما طول لبوا بالمعارضة وأمره بأن يدعوهم من يساعدهم على تمكن المعارضة ولا استجاب أصنامهم ولا آلهتهم لهم أمره بأن يعاوهوا انه من عند الله وليس مفترى فتتمكن معارضته وأنه تعالى هو المختص بالالوهية لا يشركه في شيء منها آلهتهم وأصنامهم فلا يمكن أن يجيبوا لظهور عجزهم وانها لا تنفع ولا تنصر في شيء من المطالب * وقرأ زيد بن علي انما نزل بفصح النون والزاي وتشديد هاوا حتمل أن تكون ما مصدرية أي ان التبريل واحتمل أن تكون بمعنى الذي أي ان الذي نزل وحذف الضمير المنصوب لوجود جواز الحذف * من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون أولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون * مناسبة هذه الآية لما قبلها أنه تعالى لماذا كرسيا من أحوال الكفار المنافقين في القرآن ذكر شيئا من أحوالهم الدينيون وما يؤولون اليه في الآخرة وظاهر من العموم في كل من يريد زينة الحياة الدنيا والجزاء مقرون بمشيئة تعالى كما بين ذلك في قوله تعالى من كان يريد العاجلة عجزنا له فيها ما نشاء الآية * وقال مجاهد في الكفرة وفي أهل الرياء من المؤمنين والى هذا ذهب معونة حين حدث بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم في المرائين فتلا هذه الآية * وقال أنس هي في اليهود والنصارى * قال ابن عطية ومعنى هذا انهم يدخلون في هذه الآية لانها ليست لغيرهم * وقيل في المنافقين الذين جاهدوا مع الرسول فأسلمهم ومعنى يريد الحياة الدنيا أي يقصد بأعماله التي يظهر انها صالحة الدنيا فقط ولا يعتقد آخرة فان الله يجازيه على حسن أعماله كما جاء وأما الكافر فيطعمه في الدنيا بحسناته وان ادرج في العموم المراءون من أهل القبلة كما ترى أحدهم اذا صلى اماما يتنعم بالفاظ القرآن ويرتله أحسن ترتيل ويطلب ركوعه وسجوده ويتباكى في قراءته واذا صلى وحده اختلسها اختلاسا واذا تصدق أظهر صدقة امام من يثنى عليه ودفعها لمن لا يستحقها حتى يثنى عليه الناس وأهل الرباط المتصدق عليهم وأبن هذا من رجل يتصدق خفية وعلى من لا يعرفه كما جاء في السبعة الذين يظلمهم الله في ظلمه يوم لا ظل الا ظله ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه وهذه مبالغ في اخفاء الصدقة جدا واذا تعلم عامارا أي به وتبجح وطلب بمعظمه يسير حطام من عرض الدنيا وقد فشا الرياء في هذه الامة فشا كثيرا حتى لا تكاد ترى مخلصا لله لا في قول ولا في فعل فهو لا من أول من تسعيرهم النار يوم القيامة * وقرأ الجمهور نون العظمة وطالحة بن ميمون يوفى بالياء على الغيبة * وقرأ زيد بن علي يوفى بالياء مخففا مضارعا وفي * وقرىء بالتاء مبنيا للفعل وأعمالهم بالرفع وهو على هذه القراءة آت مجزوم جواب الشرط كما انجزم في قوله من كان يريد حرث الآخرة نزله في حرثه * وحكى عن الفراء ان

كان زائدة ولهذا جزم الجواب ولعله لا يصح اذ لو كانت زائدة لكان فعل الشرط يريد وكان يكون مجزوما وهذا التركيب من مجي، فعل الشرط ماضيا والجواب مضارع عا ليس مخصوصا بكان بل هو جائز في غيرها كما روي في بيت زهير

ومن هاب أسباب المنايا ينلنه * ولورام أن يرقى السماء بسلم

* وقرأ الحسن نوفي بالتخفيف وثابت الياء فاحتمل أن يكون مجزوما بحذف الحركة المقدرة على لغة من قال ألم يأتيك وهي لغة لبعض العرب واحتمل أن يكون مرفوعا كما ارتفع في قول الشاعر

وان شل ريعان الجميع مخافة * يقول جهار او يلكم لا تنفروا

والخصر في كينونة النار لهم ظاهر في ان الآية في الكفار فان اندرج أهل الرياء فيها فيكون المعنى في حقهم ليس يجب لهم أولا يحق لهم الا النار كقوله فجزاؤه جهنم وجاز أن يتعمدهم الله برحمته وهو ظاهر قول ابن عباس وابن جبير والضمير في قوله ما صنعوا فيها الظاهر انه عائد على الآخرة والمحذور متعلق بحبط والمعنى وظهر حبوط ما صنعوا في الآخرة ويجوز أن تتعلق بقوله صنعوا فيكون عائد على الحياة الدنيا كما عادهما في فيها قبل وما في ما صنعوا بمعنى الذي أو مصدرية وباطل وما بعده نو كيد لقوله وحبط ما صنعوا وباطل خبر مقدم ان كان من عطف الجمل وما كانوا هو المبتدأ

وان كان خبرا بعد خبر ارتفع ما يباطل على الفاعلية * وقرأ زيد بن علي وبطل جعله فعلا ماضيا

* وقرأ أبي وابن مسعود وباطل بالنصب وخرجه صاحب اللوامح على انه مفعول ليعملون فهو معمول خبر كان متقدما وما زائدة أي وكانوا يعملون باطلا وفي جواز هذا التركيب خلاف بين

النحويين وهو أن يتقدم معمول الخبر على الجملة بأسرها من كان اسمها وخبرها ويشهد للجواب قوله تعالى أهولاء ياكم كانوا يعبدون ومن منع تأول * وأجاز الزمخشري أن ينتصب باطلا على

معنى المصدر على بطل بطلان ما كانوا يعملون فتكون مفاعلة وتكون من أعمال المصدر الذي هو بدل من الفعل في غير الاستفهام والامر وحق أن يبطل أعمالهم لانهم لم يعمل لوجه صحيح والعمل

الباطل لا ثواب له * أذن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة أولئك يؤمنون به ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده فلاتك في صريته منه انه الحق من

ربك ولكن أكره الناس لا يؤمنون * لماذا كره حال من يريد الحياة الدنيا كره حال من يريد وجه الله تعالى بأعماله الصالحة وحذف المعادل الذي دخلت عليه الهمزة والتقدير مكن يريد الحياة

الدنيا وكثيرا ما حذف في القرآن كقوله أذن زين له سوء عمله فرآه حسنا وقوله آمن هو قانت آتاء الدليل وهذا استفهام معناه التقرير * قال الزمخشري أي لا تعقبونهم في المنزلة ولا تفارقونهم يريدان

بين الفريقين تفاونا بعيدا وتباينا بينا وأراد بهم من آمن من اليهود كعبد الله بن سلام وغيره كان على بينة من ربه أي على برهان من الله تعالى وبيان ان دين الاسلام حق وهو دليل العقل ويتلوه ويتبع ذلك البرهان شاهد منه أي شاهد يشهد بصحته وهو القرآن منه من الله أو شاهد من القرآن ومن قبله

ومن قبل القرآن كتاب موسى وهو التوراة أي ويتلو ذلك أيضا من قبل القرآن كتاب موسى * وقرئ كتاب موسى بالنصب ومعناه كان على بينة من ربه وهو الدليل على ان القرآن حق

ويتلوه يقرأ القرآن شاهد منه شاهد من كان على بينة كقوله وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب ومن قبله كتاب موسى ويتلوه ومن قبل التوراة املما كتابا مؤتمفا في الدين قدوة فيه انتهى * وقيل في أذن كان المؤمنون بالرسول

ما يباطل على الفاعلية * أذن كان على بينة من

ربه * لماذا كره حال من يريد الحياة الدنيا ذكر

حال من يريد وجه الله بأعماله الصالحة وحذف

المعادل الذي دخلت عليه الهمزة والتقدير مكن يريد

الحياة الدنيا وكثيرا ما حذف في القرآن كقوله

أذن زين له سوء عمله فرآه حسنا وأراد بهم من آمن من

اليهود كعبد الله بن سلام وغيره كان على بينة أي على

برهان من الله وبيان ان دين الاسلام حق وهو

دليل العقل * ويتلوه * ويتبع ذلك البرهان

* أي شاهد * أي شاهد بصحته وهو القرآن منه أي

من الله تعالى أو شاهد من القرآن * ومن قبله * أي

ومن قبل القرآن * كتاب موسى * وهو التوراة

أي ويتلو ذلك أيضا من قبل القرآن كتاب موسى

والإشارة بأولئك إلى من كان على بينة راعى معنى من

جمع * فالنار موعده * أي مكان وعده الذي يصير

اليه وقال حسان أوردتموها حياض الموت

ضاحية فالنار موعدها والموت لا فيها

* وقيل محمد صلى الله عليه وسلم خاصة * وقال علي بن أبي طالب وابن عباس وقتادة ومجاهد والضحاك
 محمود المؤمنون جميعا والبيئة القرآن أو الرسول والهاء للبالغة والشاهد * قال ابن عباس والنخعي
 ومجاهد والضحاك وأبو صالح وعكرمة وجبريل * وقال الحسن بن علي هو الرسول * وقال أيضا
 مجاهد هو ملك وكله الله يحفظ القرآن * قال ابن عطية ويحتمل أن يريد بهذه اللفاظ جبريل
 * وقيل هو علي بن أبي طالب * وروى المنهال عن عبادة بن عبد الله قال علي كرم الله وجهه
 ما في قریش أحد الا وقد نزلت فيه آية قيل فأنزل فيك قال ويتلوها شاهد منه و به قال محمد بن علي وزيد
 ابن علي * وقيل هو الانجيل قاله الفراء * وقيل هو القرآن وقيل هو اعجاز القرآن قاله الحسين بن
 الفضل * وقيل صورة الرسول صلى الله عليه وسلم ووجهه ومخالبه لان كل عاقل نظر اليه علم انه
 رسول الله صلى الله عليه وسلم * وقيل هو أبو بكر رضي الله تعالى عنه والضمير في منه يعود الى الدين
 أو الى الرسول أو الى القرآن ويتلوها بمعنى يتبعه أو يقرؤه والضمير المرفوع في يتلوها والمنصوب
 والمجروح في منه يترتب على ما يناسبه كل قوم من هذه * وقرأ محمد بن السائب الكلابي وغيره كتاب
 موسى بالنصب عطفًا على مفعول يتلوها أو باضمار فعل وإذا لم يعن بالشاهد الانجيل فاما خص
 التوراة بالذکر لان الملتين مجتمعتان على انها من عند الله والانجيل يخالف فيه اليهود فكان
 الاستشهاد بما تقوم به الحجة على الفريقين أولى وهذا يجري مع قول الجن اننا سمعنا كتابا أنزل من
 بعد موسى ومع قول النجاشي ان هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة وانتصب اماما
 على الحال والذي يظهر في تفسير هذه الآية أنه تعالى لما ذكر الكفار وانهم ليس لهم الا النار أعقب
 بضد هم وهم المؤمنون وهم الذين على بينة من ربهم والشاهد القرآن ومنه عائد على ربه ويدل على ان
 الشاهد القرآن ذكر قوله ومن قبله أي ومن قبل القرآن كتاب موسى فمعناه انه نطافر على هدايته
 شيئا كونه على أمر واضح من برهان العقل وكونه يوافق ذلك البرهان هذين الكتابين الالهيين
 القرآن والتوراة فاجتمع له العقل والنقل والاشارة بأولئك الى من كان على بينة راعى معنى مع جمع
 والضمير في به يعود الى التوراة أو الى القرآن أو الى الرسول ثلاثة أقوال والأحزاب جميع الملل قاله
 ابن جبير أو اليهود والنصارى قاله قتادة أو قریش قاله السدي أو بنو أمية وبنو المغيرة بن عبد الله
 الخزرجي وآل أبي طلحة بن عبيد الله قاله مقاتل * وقال الزمخشري يعني أهل مكة ومن ضامهم
 من المتخزبين على رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى فالنار موعده أي مكان وعده الذي
 يصيرون اليه وقال حسان

أوردتمونا حياض الموت ضاحية * فالنار موعدها والموت لاقها

والضمير في منه عائد على القرآن * وقيل على الخبر بأن الكفار موعدهم النار * وقرأ الجمهور في
 مريم بكسر الميم وهي لغة الحجاز * وقرأ السامعي وأبو رجاء وأبو الخطاب السدوسي والحسن بضمها
 وهي لغة أسدوديم والناس أهل مكة قاله ابن عباس أو جميع الكفار من شاك وجاهل ومعاند قاله
 صاحب العتيان * ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أولئك يعرضون على ربهم ويقول الأشهاد
 هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين * الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا
 وهم بالآخرة هم كافرون أولئك لم يكونوا معجزين في الأرض وما كان لهم من دون الله من أولياء
 يضاعف لهم العذاب ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون * أولئك الذين خسروا

* ومن أظلم ممن افترى على
 الله كذبا * تقدم تفسير نظير
 هذه الجملة والاشهاد جمع
 شاهد كصاحب وأصحاب
 أو جمع شهيد كشریف
 وأشراف والاشهاد الملائكة
 الذين يحفظون عليهم
 أعمالهم في الدنيا وفي
 قوله هؤلاء اشارة الى
 تحقيرهم واصغارهم بسوء
 مرتكبهم وفي قوله على
 ربهم أي على من يحسن
 اليهم ويملك نواصيتهم وكانوا
 جديرين بان لا يكذبوا عليه
 * (من أولياء) اسم لكان
 ومن زائدة والضمير في
 ما كانوا عائد على أولياء
 ومعنى انه من لا يستطيع
 أن يسمع ولا يبصر فكيف
 يصلح للولاية ويكون
 يضاعف لهم العذاب
 اعتراضا وقيل ما مصدرية
 أي يضاعف لهم العذاب
 مدة استطاعتهم وابصارهم
 والمعنى ان العذاب وتضعيفه
 دائم لهم متداد * خسروا

لأعظم منه وهو على حذف مضاف أي راحة وسعادة أنفسهم * لا جرم * مذهب الخليل وسيبويه انهما ركبنا من لاو جرم وبنيا والمعنى حق وما بعده رفع به على الفاعلية وقال الكسائي معناها لا صد ولا منع فيكون اسم لاوهي مبنية على الفتح وقال قوم ان جرم مبنية مع لا على الفتح نحو قولك لا رجل ومعناها لا بد ولا محالة وهو شبه بقول الكسائي فيكون انهم على اسقاط حرف الجر اذ صار التقدير لا بد من أن لهم النار أي من كينونة النار لهم ولما كان خسران النفس أعظم الخسران حكم عليهم بانهم هم الزائدون في الخسران على كل خاسر من سواهم

(الدر)

(ح) لا جرم انهم في الآخرة هم الأخسرون مذهب الخليل وسيبويه في لا جرم انهما ركبنا من لاو جرم وبنيا والمعنى حق وما بعده رفع به على الفاعلية وقال الخو في جرم تنقي بلا معنى حق وهو مبني مع لا في موضع رفع على الابتداء وانهم في موضع رفع على خبر جرم وقال قوم ان جرم

أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون * لا جرم انهم في الآخرة هم الأخسرون * لما سبق قولهم أم يقولون افتراه ذكر انه لا أحد اظلم ممن افترى على الله كذبا وهم المفترون الذين نسبوا الى الله الولد واتخذوا معه آلهة وحرموها وحلوا من غير شرع الله وعرضهم على الله بمعنى التشهير بخبرهم والاشارة بكذبهم والافالطائع والعاصي يعرضون على الله وعرضوا على ربك صفا والاشهاد جمع شاهد كصاحب وأصحاب أو جمع شهود كشريف وأشراف والأشهاد الملائكة الذين يحفظون عليهم أعمالهم في الدنيا أو الأنبياء أو هم المومنون أو ما يشهد عليهم من أعضائهم أقوال وفي قوله هؤلاء اشارة الى تحقيرهم واصغارهم بسوء مرتكبهم وفي قوله على ربهم أي على من يحسن اليهم وبذلك نواصبهم وكانوا جديرين أن لا يكذبوا عليه وهذا كما تقول اذا رأيت مجرما هذا الذي فعل كذا وكذا وتقدم تفسير الجملة بعد هذا وهم تأكيد لقوله وهم وقوله معجزين أي كانوا لا يعجزون الله في الدنيا أن يعاقبهم لو أراد عقابهم وما كان لهم من ينصرهم ويمنعهم من العقاب ولكنه أراد انظارهم وتأخير عقابهم الى هذا اليوم * قال الزمخشري وهو كلام الاشهاد يعني ان كلامهم من قولهم هؤلاء الى آخر هذه الجملة التي هي وما كان لهم من دون الله من أولياء وقد يظهر أن قوله تعالى ألا لعنة الله على الظالمين من كلام الله تعالى لا على سبيل الحكاية ويدل لقول الزمخشري قوله فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين الآية فكأنه من كلام المخلقين في تلك الآية فكذلك هنا يضاعف لهم العذاب يشدد ويكثر وهذا استئناف اخبار عن حالهم في الآخرة لأنهم جمعوا الى الكفر بالبعث الكذب على الله وصدع عباده عن سبيل الله وبغى العوج لها وهي الطريقة المستقيمة ما كانوا يستطيعون السمع اخبار عن حالهم في الدنيا على سبيل المبالغة يعني السمع للقرآن ولما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم وما كانوا يبصرون أي ينظرون اليه لبعضهم فيه ألا ترى الى حشو الطفيل بن عمرو أذنيه من السكر سف وابية قریش أن يسمعوا ما نقل اليهم من كلام الرسول حتى تردهم عن ذلك مشيختهم أو اخبار عن حالهم اذا ضعف لهم العذاب أي انه تعالى حتم عليهم بذلك فهم لا يسمعون لذلك سماعا ينتفعون به ولا يبصرون لذلك * وقيل الضمير في كانوا عائد على أولياءهم آلهتهم أي لما كان لهم في الحقيقة من أولياء وان كانوا يعتقدون انهم أولياء ويعني انه من لا يستطيع أن يسمع ولا يبصر فكيف يصلح للولاية ويكون يضاعف لهم العذاب اعتراضا وما على هذه الأقوال نفي * وقيل ما مصدرية أي يضاعف لهم العذاب مدة استطاعتهم السمع وأبصارهم والمعنى ان العذاب وتضعيفه دائم لهم متباد وأجاز الفراء أن تكون ما مصدرية وحذف حرف الجر منها كما يحذف مع ان وان اختبها وهذا فيه بعد في اللفظ وفي المعنى * وقال الزمخشري أراد انهم لفطر تصائمهم عن اتباع الحق وكرهاتهم له كأنهم لا يستطيعون السمع ولعل بعض المجبة يتوثن اذا عثر عليه فيوعوع به على أهل العدل كأنهم لم يسمع الناس يقولون في كل لسان هذا الكلام لا أستطيع أن سمعه وهذا مما يحجه سمعي انتهى يعني أنه يمكن أن يستدل به على أن العبد لا قدرة له لأن الله تعالى قد نفى عنه استطاعة السمع وادا انتفت الاستطاعة منه انتفت قدرته والزمخشري على عادته في السفة على أهل السنة وخسرانهم أنفسهم كونهم اشتروا عبادة الآلهة بعبادة الله تعالى نفوسهم وفي تجارتهم خسرانا لا خسران أعظم منه وهو على حذف مضاف أي راحة أو سعادة أنفسهم والافانفسهم باقية معذبة وبطل عنهم ما افتروه من عبادة الآلهة وكونهم يعتقدون شفاعتها اذا رأوا انها لا تنفع ولا تنفع لا جرم مذهب الخليل وسيبويه انهما ركبنا من لاو جرم وبنيا والمعنى حق وما بعده رفع به على الفاعلية

مبنية مع لا على الفتح نحو قولك لا رجل ومعناها لا بد ولا محالة وقال الكسائي معناها لا صد ولا منع فيكون اسم لاوهي مبنية على الفتح

﴿ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ الآية والفريقان هنا الكافر والمؤمن ولما كان تقدم ذكر الكفار وأعقب ذكر المؤمنين جاء التمثيل هنا مبتدأ بالكافر فقال كالأعمى والأصم ويمكن أن يكون من باب تشبيه اثنين باثنين فقول بل الأعمى بالبصير وهو طباق وقول بل الأصم بالسميع وهو طباق أيضا ﴿هل (٤١٣) يستويان﴾ استفهام معناه النفي أي لا يستويان مثلاً أي صفة

(الدر)

كالقول الذي قبله ويكون جرم هنا من معنى القطع تقول جرت أي قطعت وقال الزجاج لا تركيب بينهما ولا رد عليهم ولما تقدم من كل ما قبلها مما قالوا ان الأصنام تنفعهم وجرم فعل ماض معناه كسب والفاعل مضمراً أي

مضمر أي كسب هو أي فعلهم وان وما بعدها في موضع نصب على المفعول به وجرم القوم كسبهم وقال الشاعر

* نصبنا رأسه في جندع نخل

بما جرت يده وما اعتدينا * وقال آخر

* جريمة ناهض في رأس نيق

تري لعظام ما جعت صليبا * ويقال لاجرم بالكسر

ولاجر محذوف الميم قال النحاس وزعم الكسائي

ان فيها أربع لغات لاجرم ولا عن ذا جرم ولا ان ذا

جرم قال وناس من فرارة يقولون لاجرم وحكى

الفراء في لغتين آخرين قال بنو عامر لا ذا جرم

* وقال الخواري جرم منفي بلا معنى حق وهو مبني مع لافي موضع رفع بالابتداء وأنهم في موضع رفع على خبر جرم * وقال قوم ان جرم مبنية مع لا على الفتح نحو قولك لا رجل ومعناها لا بد ولا محالة * وقال الكسائي معناها لا ضد ولا منع فتكون اسم لا وهي مبنية على الفتح كالقول الذي قبله وتكون جرم هنا من معنى القطع تقول جرت أي قطعت * وقال الزجاج لا تركيب بينهما ولا رد عليهم ولما تقدم من كل ما قبلها مما قالوا ان الأصنام تنفعهم وجرم فعل ماض معناه كسب والفاعل مضمراً أي كسب هو أي فعلهم وان وما بعدها في موضع نصب على المفعول به وجرم القوم كسبهم * وقال الشاعر

نصنار رأسه في جندع نخل * بما جرت يده وما اعتدينا

﴿وقال آخر﴾

جريمة ناهض في رأس نيق * ترى لعظام ما جعت صليبا

ويقال لاجرم بالكسر ولا جر محذوف الميم * قال النحاس وزعم الكسائي ان فيها أربع لغات لاجرم ولا عن ذا جرم ولا ان ذا جرم * قال وناس من فرارة يقولون لاجرم وحكى الفراء في لغتين

آخرين * قال بنو عامر يقولون لا ذا جرم وناس من العرب يقولون لاجرم بضم الجيم * وقال الجبائي في نوادره حكى عن فرارة لاجر والله لا أفعل ذلك * وقال ويقال لا ذا جرم ولا ذو جرم ولا عن

ذا جرم ولا أن ذا جرم ولا ان جرم ولا عن جرم ولا ذا جرم والله بغير ميم لا أفعل ذلك * وحكى بعضهم بغير لاجر أنك أنت فعلت ذلك وعن أبي عمرو لأجرم أن لهم النار على وزن لا كرم ولا جر

حذفوه لكثرة الاستعمال كما قالوا سوزى يري دون سوف ترى ولما كان خسران النفس أعظم الخسران حكم عليهم بأنهم هم الزائدون في الخسران على كل خسر من سواهم من العصاة ما آله الى

الراحة والى انقطاع خسرانه بخلاف هؤلاء فان خسرانهم لا انقطاع له * إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأخبتوا إلى ربهم أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون * مثل الفريقين كالأعمى والأصم

والبصير والسميع هل يستويان مثلاً أفلا تذكرون * ما ذا كرم ما يؤول اليه الكفار من النار ذ كرم ما يؤول اليه المؤمنون من الجنة والفريقان هنا الكافر والمؤمن ولما كان تقدم ذكر

الكفار وأعقب ذكر المؤمنين جاء التمثيل هنا مبتدأ بالكافر فقال كالأعمى والأصم ويمكن أن يكون من باب تشبيه اثنين باثنين فقول بل الأعمى بالبصير وهو طباق وقول بل الأصم بالسميع وهو

طباق أيضاً والأعمى والصم آفتان تمنعان من البصر والسمع وليست بضدين لأنه لا تعاقب بينهما ويحتمل أن يكون من تشبيه واحد بوصفيه بواحد بوصفيه فيكون من عطف الصفات كما قال الشاعر

الى الملك القرن وابن الهمام * وليث الكريمة في المزدحم ولم يجئ التركيب كالأعمى والبصير والأصم والسميع فيكون مقابلة في لفظ الأعمى وضده وفي

لفظة الأصم وضده لأنه تعالى لما ذكر انسداد العين أتبعه بانسداد السمع ولما ذكر انفتاح البصر أتبعه بانفتاح السمع وذلك هو الأسلوب في المقابلة والآنم في الإعجاز ويأتى ان شاء الله تعالى نظير

وناس من العرب يقولون لاجرم بضم الجيم وقال اللحياني في نوادره حكى عن فرارة لاجر والله لا أفعل ذلك قال ويقال لا ذا جرم ولا ذو جرم ولا عن ذا جرم ولا ان ذا جرم ولا عن جرم ولا ذا جرم والله بغير ميم لا أفعل ذلك وحكى بعضهم بغير لاجر أنك أنت فعلت ذلك وعن أبي عمرو لأجرم أن لهم النار على وزن لا كرم ولا جر حذفوه لكثرة الاستعمال كما قالوا سوزى يري دون سوف ترى

هذه المقابلة في قوله في طه ان لك أن لا تجوع فيها ولا تعرى وأنك لا تظلم فيها ولا تضحي واحتمل أن تكون الكاف نفسها هي خبر المبتدأ فيكون معناها معنى المثل فكأنه قيل مثل الفريقين مثل الاعى واحتمل أن يراد بالمثل الصفة وبالكاف مثل فيكون على حذف مضاف أى كمثل الاعى وهذا التشبيه تشبيه معقول بحسوس فأعنى البصيرة أصمها شبه بأعنى البصر أصم السمع ذلك في ظلمات الضلالات مترددة تائه وهذا في الطرقات محير لا يمتدى اليها وجاء أفلا ندكر ونه على أنه يمكن زوال هذا العمى وهذا الصمم المعقول فيجب على العاقل أن يتذكر ما هو فيه ويسعى في هداية نفسه وانتصب مثلاً على التمييز * قال ابن عطية ويجوز أن يكون حالاً انتهى وفيه بعدوا الظاهر التمييز وأنه منقول من الفاعل أصله هل يستوى مثلاًهما * ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه إنى لكم نذير مبين * أن لا تعبدوا الا الله إني أخاف عليكم عذاب يوم أليم * فقال الملا الذين كفروا من قومه ما نراك الا بشراً مثلاً وما نراك اتبعك الا الذين هم أراذلنا بادي الرأي وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين * هذه السورة في قصصا شبيهة بسورة الأعراف بدى فيها بنوح ثم هود ثم صالح ثم بلوط مقدماً عليه ابراهيم بسبب قوم لوط ثم بشعيب ثم موسى وهارون صلى الله على نبينا وعليهم أجمعين وذكروا وجود حكم وفوائده تكرار هذه القصص في القرآن * وقرأ النعويان وابن كثير انى بفتح الهمزة أى بأتى وباقي السبعة بكسر ها على اضمار القول * وقال أبو على في قراءة الفتح خروج من الغيبة الى المخاطبة قال ابن عطية وفي هذا نظر وانما هي حكاية مخاطبة لقومه وليس هذا حقيقة الخروج من غيبة الى مخاطبة ولو كان الكلام ان أنذرهم أو نحوه لصح ذلك انتهى وان لا تعبدوا الا الله ظاهر في أنهم كانوا يعبدون الاوثان كما جاء مصرحاً في غير هذه السورة وأن بدل من أى لكم في قراءة من فتح ويحتمل أن تكون ان المفسرة وأما في قراءة من كسر فيحتمل أن تكون المفسرة والمرعى قبلها اما أرسلنا واما نذير مبين ويحتمل أن تكون معمولة لأرسلنا أى بأن لا تعبدوا الا الله وذكروا في بادي الرأي أنه منصوب على الظرف والظاهر أن العامل فيه اتبعك وان كان الظرف جائياً بعد الا والمعنى اتبعك في بادي رأيهم أراذلنا وقرى بادي الرأي من بدأ يبدأ ومعناه أول الرأي وقرى بادي بالياء من بدأ يبدأ ومعناه ظاهر الرأي

ولقد أرسلنا نوحاً *
 * أن لا تعبدوا الا الله *
 ظاهر في أنهم كانوا يعبدون
 الاوثان كما جاء مصرحاً في
 غير هذه السورة وان بدل
 من انى لكم في قراءة من
 فتح ويحتمل أن تكون
 أن المفسرة وأما في قراءة
 من كسر فيحتمل أن تكون
 المفسرة والمرعى قبلها اما
 أرسلنا واما نذير مبين
 ويحتمل أن تكون معمولة
 لأرسلنا أى بان لا تعبدوا
 الا الله وذكروا في بادي
 الرأي أنه منصوب على
 الظرف والظاهر أن
 العامل فيه اتبعك وان
 كان الظرف جائياً بعد الا
 والمعنى اتبعك في بادي
 رأيهم أراذلنا وقرى بادي
 الرأي من بدأ يبدأ ومعناه
 أول الرأي وقرى بادي
 بالياء من بدأ يبدأ ومعناه
 ظاهر الرأي

مجرمتها وأحاسنكم أخلاقا * وقال الزمخشري ما نزلك إلا بشرا مثلنا تعرض بأنهم أحق منه بالنبوة
وان الله لو أراد أن يجعلها في أحد من البشر لجعلها فيهم فقالوا هب أنك واحد من الملائكة وموازيهم في
المنزلة فما جعلك أحق منهم ألا ترى إلى قولهم وما نرى لكم علينا من فضل أو أرادوا أنه كان ينبغي أن
يكون ملكا لا بشرا ولا يظهر ما قاله الزمخشري من الآية وقرأ أبو عمرو وعيسى الثقفي بأدى الرأي
من بدأ يبدأ ومعناه أول الرأي * وقرأ باقي السبعة بأدى بالياء من بدأ يبدو ومعناه ظاهر الرأي * وقيل
بأدى بالياء ومعناه بأدى بالهمز فسبغت الهمزة بأد الهاء لكسر ما قبلها وذكروا أنه منصوب على
الظرف والعامل فيه نراك أو اتبعك أو أراد لنا أي وما نراك فيما يظهر لنا من الرأي أو في أول رأينا أو
وما نراك اتبعك أول رأيهم أو ظاهر رأيهم واحتمل هذا الوجه معنيين أحدهما أن يبدأ اتبعك في
ظاهر أمرهم وعسى أن تكون بواطنهم ليست معك والمعنى الثاني أن يبدأ اتبعك بأول نظر
وبالرأي البادي دون تعقب ولو تتبعتموهم يتبعوك وفي هذا الوجه ذم الرأي غير المروي * وقال
الزمخشري اتبعوك أول الرأي أو ظاهر الرأي وانتصابه على الظرف أصله وقت حدوث أول أمرهم
أو وقت حدوث ظاهر رأيهم بخلاف ذلك وأقيم المضاف إليه مقامه أرادوا أن اتبعاءهم لك إنما هو شيء
عن لهم بديهة من غير روية ونظر انتهى وكونه منصوبا على الظرف هو قول أبي علي في الحجة وإنما
جمله على الظرف وليس بزمان ولا مكان لأن في مقدرة فيه أي في ظاهر الأمر أو في أول الأمر وعلى
هذين التقديرين أعني أن يكون العامل فيه نراك أو اتبعك يقتضي أن لا يجوز ذلك لأن ما بعد لا
لا يكون معمولا لما قبلها إلا أن كان مستثنى منه نحو قام الأزيد القوم أو مستثنى نحو جاء القوم إلا
زيدا أو تابع للمستثنى منه نحو ما جاءني أحد الأزيد أخبرني عمرو وبأدى الرأي ليس واحدا من هذه
الثلاثة * وأجيب بأنه ظرف أو كالظرف مثل جهدرأي أنك ذاهب أي أنك ذاهب في جهد رأي
والظرف يتسع فيها وإذا كان العامل أراد لنا فعناده الذين هم أراد لنا بأدل نظر فيهم وبأدى الرأي
يعلم ذلك منهم * وقيل بأدى الرأي نعت لقوله بشرا * وقيل انتصب حالا من ضمير نوح في اتبعك
أي وأنت مكشوف الرأي لاحصافه لك * وقيل انتصب على النداء لنوح أي يا بأدى الرأي أي مافي
نفسك من الرأي ظاهر لكل أحد قالوا ذلك تعجيزا له * وقيل انتصب على المصدر وجاء الظرف
والمصدر على فاعل وليس بالقياس فالرأي هنا مامن رؤية العين وامن الفكر * قال الزمخشري
وإنما استردوا المؤمنين لفقرهم وتأخرهم في الأسباب الدنيوية لأنهم كانوا جاهلا بما كانوا يعتمون
الظاهر من الحياة الدنيا فكان الأشرف عندهم من له جاء ومال انتهى وظاهر الخطاب في لكم
شامل لنوح ومن اتبعه والمعنى ليس لكم علينا زيادة في مال ولا نسب ولادين * وقال ابن عباس
في الخلق والخلق * وقيل بكثرة المالك والمالك * وقيل بمتابعكم نوحا ومخالفكم لنا * وقيل من
شرف يؤهلكم للنبوة * وقال السكاكي نظنكم تتيقنكم * وقال مقاتل نحسبكم أي في دعوى
نوح وتصدقكم * وقال صاحب العتيان بل نظنكم كاذبين توسلا إلى الرئاسة والشهرة * قال
يا قوم أرايتم أن كنت على بينة من ربي وآتاني رحمة من عنده فعميت عليكم أنلزمكموها وأنتم لها
كارهون * لما حكى شهم في إنكار نبوة نوح عليه السلام وهي قولهم ما نراك إلا بشرا مثلنا
ذكر أن المساواة في البشرية لا تمنع من حصول المفارقة في صفة النبوة والرسالة ثم ذكر الطريق
الدال على إمكانه على جهة التعليق والإمكان وهو متيقن أنه على بينة من معرفة الله وتوحيده وما
يجب له وما يمنع ولا كنه أبرزه على سبيل العرض لهم والاستدراج لا قرار بالحق وقيام الحجة على

* قال يا قوم * لما حكى
شهم في إنكار نبوته عليه
السلام وهي قولهم ما نراك
إلا بشرا ذكر أن
المساواة في البشرية لا تمنع
من حصول المفارقة في
صفة النبوة والرسالة ثم
ذكر الطريق الدال على
إمكانه على جهة التعليق
والإمكان وهو متيقن أنه
على بينة من ربه ومن معرفته
وتوحيده وما يجب له وما
يمنع لكنه أبرزه في طريق
الشرط والجزاء على سبيل
الفرض لهم والاستدراج
للاقرار بالحق وقيام الحجة
على الخصم والبينة
البرهان والشاهد بصحة
دعواه * ورحمة * قال ابن
عباس الرحمة النبوة
* فعميت * قرى مبنيا
للفاعل وقرى فعميت
مبنيا للمفعول مع
شد الميم والظاهر أن
الضمير عائد على البينة
وبذلك يحصل الذم لهم من
أنه أتى بالمعجزة الجليلة
الواضحة وإنها على وضوحها
واستنارتها خفيت عليهم
* أنلزمكموها * تعدى
لمفعولين أحدهما ضمير
الخطاب والثاني ضمير
الغيبة واتصاله أفصح
ويجوز في الكلام
انفصاله فتقول أنلزمكم إياها

ولو انعكس لانفصل
ضمير الخطاب خلافا لمن
أجاز الاتصال (ش) ويجوز
أن يكون الثاني منفصلا
كقولك أنلزمكم إياها نحو
فسيكفيكم الله ويجوز
فسيكفيك إياهم (ح)
وهذا الذي قاله (ش)
من جواز اتصال الضمير
في أنلزمكموها هو نحو
قول ابن مالك رحمه الله
في التسهيل قال ونختار
اتصال نحوها أعطيتك
وقال ابن أبي الربيع إذا
قدمت ماله الرتبة اتصل
لا غير تقول أعطيتك
قال تعالى أنلزمكموها وفي
كتاب سيويه ما يشهد
له قال سيويه فإذا كان
المفعولان اللذان تعدى
اليهما فاعل الفاعل مخاطبا
وغائبا بدأت بالمخاطب
قبل الغائب فإن علامة
الغائب العلامة التي لاتقع
موقعها إياه وذلك قولك
أعطيتك وأعطاك قال
تعالى أنلزمكموها وأنتم
لها كارهون فهذا كذا
إذا بدأت بالمخاطب قبل
الغائب انتهى فهذا نص
من سيويه على ما قال
ابن أبي الربيع خلافا
للزحشري وابن مالك
ومن يسبقهما إلى القول
بذلك

الخصم ولو قال على أني على حق من ربي لقالوا له كذبت كقوله أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله
الآية فقال فيها وان يك كذا فاعلمه كذبه والبيئة البرهان والشاهد بصفة دعواه ابن عباس الرحمة
والنبوة مقاتل الهداية يرهما التوفيق والنبوة والحكمة والظاهر ان البيئة غير الرحمة فيجوز
أن يراد بالبيئة المعجزة وبالرحمة النبوة ويجوز أن تكون البيئة هي الرحمة ومن عنده تأكيده
وفادته رفع الاشتراك ولو بالاستعارة فعميت عليكم الظاهر ان الضمير عائداً على البيئة وبذلك
يحصل الذم لهم من أنه أتى بالمعجزة الجليلة الواضحة وانها على وضوحها واستنارتها خفيت عليهم وذلك
بأنه تعالى سلمهم عامها ومنعهم معرفتها فان كانت الرحمة هي البيئة فعود الضمير مفردا ظاهر وان
كانت غيرها كما اختزنه فقولوه وآتاني رحمة من عنده اعتراض بين المتعاطفين * قال الزحشري
حقه ان يقال فعميتا (قلت) الوجه أن يقدر فعميت بعد البيئة وان يكون حذفه للاقتصار على
ذكره فتلخص ان الضمير يعود اما على البيئة واما على الرحمة واما عليهم باعتبار انهما واحد
ويقول المسحاب العلماء لانه يخفى ما فيه كما يقال له الغمام لانه يغمره * وقيل هذا من المقلوب فعميتم أنتم
عنها كما تقول العرب أدخلت القلنسوة في رأسي ومنه قول الشاعر

* ترى الثور فيها مدخل الظل رأسه * قال أبو علي وهذا مما يقلب اذ ليس فيه اشكال وفي القرآن
فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله انتهى والقلب عند أصحابنا مطلقا لا يجوز الا في الضرورة وأما
قول الشاعر فليس من باب القلب بل من باب الانساع في الظرف وأما الآية فأخلف يتعدى الى
مفعولين ولو كان يضيف الى أيها شئت فليس من باب القلب ولو كان فعميت عليكم من باب القلب
لـ كان التعدى بعن دون على ألا ترى أنك تقول عميت عن كذا ولا تقول عميت على كذا * وقرأ
الاخوان وحفص فعميت بضم العين وتشديد الميم مبني للمفعول أي أبهمت عليكم وأخفيت وباقي
السبعة فعميت بفتح العين وتخفيف الميم مبني للفاعل * وقرأ أبي وعلي والسامى والحسن
والأعمش فعميها عليكم * وروى الأعمش عن أبي وثاب وعميت بالواو خفيفة * قال الزحشري
(فان قلت) فاحقيقته (قلت) حقيقته ان الحجة كما جعلت بصيرة وبصيرة جعلت عمياء لأن
الأعمى لا يمتد ولا يهتدي غير مدغنى فعميت عليكم البيئة فلم تهديكم كالأعمى على القوم دليلهم في
المقارنة بقوا بغير هاد (فان قلت) شامعني قراءة أبي (قلت) المعنى انهم صدموا على الاعراض عنها
فإلاهم الله وتصميمهم فجعلت تلك التخلية نعمة منه والدليل عليه أنلزمكموها وأنتم لها كارهون
يعني أنكروهم على قبولها ونقسرهم على الاهتداء بها وأنتم تكبرونها ولا تختارونها ولا كراهي
الدين انتهى وتوجيه قراءة أبي هو على طريقة المعتزلة وتقدم في سورة الأنعام الكلام على رأيتم
مشبعوا ذكرنا ان العرب تعدى الى مفعولين أحدهما منصوب والثاني أغلب ما يكون جملة
استفهامية تقول رأيتمك زيدا ما صنع وليس استفهاما حقيقيا عن الجملة وان العرب ضمنت هذه
الجملة معنى أخبرني وقررنا هناك ان قوله رأيتمكم إن أناكم عذاب الله انه من باب الاعمال تنازع على
عذاب الله رأيتمكم بطلبه منصوبا وفعل الشرط بطلبه هو فوعا فعمل الثاني وهذا البحث يتقرر
هنا أيضا لمفعول رأيتمكم محذوف والتقدير رأيتمكم البيئة من ربي ان كنت عليها أنلزمكموها فهذه
الجملة الاستفهامية في موضع المفعول الثاني لقوله رأيتم وجواب الشرط محذوف بدل عليه رأيتم
وجىء بالضميرين متصلين في أنلزمكموها لتقدم ضمير الخطاب على ضمير الغيبة ولو انعكس
لانفصل ضمير الخطاب خلافا لمن أجاز الاتصال * قال الزحشري ويجوز أن يكون الثاني منفصلا

وهو من حيث المعنى

والمأخر متقدما وكان التركيب ان أردت أن أنصح لكم ان كان الله يريد أن يغويكم فلا ينفعكم

ألا تعبدوا إلا الله * وقيل على الدين * وقيل على الدعاء إلى التوحيد * وقيل على تبليغ الرسالة
 وكلها أقوال متقاربة والمعنى انكم وهؤلاء الذين اتبعوننا سواء في أن أدعوكم إلى الله وإنى لا أبتغي عما
 ألقى إليكم من شرائع الله ما لا فلا يتفاوت حالكم وحالهم وأيضا فليعلموا أنهم يريدون الاستيفاد منهم
 فنفاه بقوله لا أسألكم عليه ما لا أن أجرى إلا على الله فلا تحرموا أنفسكم السعادة الأبدية بتوهم
 فاسد ثم ذكر أنه قام بهؤلاء وصف يجب العكوف عليهم به والانضواء معهم وهو الإيمان فلا يمكن
 طردهم وكانوا سألوا منه طرده هؤلاء المؤمنين رفعا لأنفسهم من مساواة أولئك الفقراء ونظير هذا
 ما اقترحت قریش على رسول الله صلى الله عليه وسلم من طرد أتباعه الذين لم يكونوا من قریش
 * وقرىء بطارد بالتثنية قال الزمخشري على الأصل يعني إن اسم الفاعل إذا كان بمعنى الحال
 أو الاستقبال أصله أن يعمل ولا يضاف وهذا ظاهر كلام سيويوه ويمكن أن يقال إن الأصل الإضافة
 لا العمل لأنه قد اعتوره شهبان أحدهما شبه بالمضارع وهو شبهه بغير جنسه والآخر شبه بالاسماء إذا
 كانت فيها الإضافة فكان الحاقه بجنسه أولى من الحاقه بغير جنسه انهم ملاقوا ربهم ظاهره التعليل
 لانتفاء طردهم أي انهم يلاقون الله أي جزاءه فيوصلهم إلى حقهم عندي إن ظاهرتهم بالطرد * وقال
 الزمخشري معناه انهم يلاقون الله فيعاقب من طردهم أو يلاقونه فيجازيهم على ما في قلوبهم من
 إيمان صحيح ثابت كما ظهر لي منهم وما أعرف غيرهم منهم أو على خلاف ذلك مما تعرفونهم به من بناء
 إيمانهم على بادي الرأي من غير نظر ولا تفكير وما على أن أشق على قلوبهم وأتعرّف ذلك منهم
 حتى أطردهم ونحوه ولا تطرد الذين يدعون الآية وأهم مصدقون بقاء ربهم موقنون به عالمون انهم
 ملاقوه لا محالة انتهى ووصفهم بالجهل لكونهم بنوا أمرهم على الجهل بالعواقب والاعتراض بالظواهر
 أولانهم يتسافلون على المؤمنين ويدعونهم أراذل من قوله * ألا لا يجهلن أحدنا *
 أو تجهلون لقاء ربكم أو تجهلون انهم خير منكم أو وصفهم بالجهل في هذا الاقتراح وهو طرد المؤمنين
 ونحوه من ينصرني استفهام معناه لا ناصر لي من عقاب الله أن طردهم عن الخير الذي قد قبلوه
 أولا جل إيمانهم قاله الفقراء وكانوا يسألونه أن يطردهم ليؤمنوا به أنفة منهم أن يكونوا معهم على سواء
 ثم وقفهم بقوله أفلا تدكرون على النظر المؤدّي إلى صحة هذا الاحتجاج وتقديم تفسير الجمل الثلاث
 في الأنعام وتزدري تفعل والدال بدل من التاء قال

تري الرجل الخفيف فتزدريه * وفي أثوابه أسد هصور

* وأنشد الفقراء *

يباعده الصديق وتزدريه * حليته وينهره الصغير

والعائد على الموصول محذوف أي تزدرونهم أي تستحقرونهم أعينكم ولن يؤتيهم معمول لقوله ولا
 أقول وللذين معناه لأجل الذين ولو كانت اللام للتبليغ لكان القياس لن يؤتيكم بكاف الخطاب
 أي ليس احتقاركم إياهم ينقص ثوابهم عند الله ولا يبطل أجورهم الله أعلم بما في أنفسهم تسليم لله أي
 لست أحكم عليهم بشيء من هذا وإنما الحكم بذلك لله تعالى الذي يعلم ما في أنفسهم فيجازيهم عليه * وقيل
 هو رد على قولهم اتبعك أراذلنا أي لست أحكم عليهم بأن لا يكون لهم خير لظنكم بهم أن بواطنهم
 ليست كظواهرهم الله عز وجل أعلم بما في نفوسهم أني لو فعلت ذلك لمن الظالمين وهم الذين يضعون
 الشيء في غير مواضعه قد جادلتنا الظاهر المبالغة في الخصومة والمناظرة * وقال الكافي دعوتنا
 * وقيل وعظمتنا * وقيل آتيت بأنواع الجدال وفنونه فاصح دعواك * وقرأ ابن عباس فأكثر

(الدر)

(ش) وقرىء بطارد
 بالتثنية على الأصل
 (ح) يعني إن اسم الفاعل
 إذا كان بمعنى الحال
 أو الاستقبال أصله أن
 يعمل ولا يضاف وهذا
 ظاهر كلام سيويوه ويمكن
 أن يقال إن الأصل
 الإضافة لا العمل لأنه قد
 اعتوره شهبان أحدهما
 شبه بالمضارع وهو شبه
 بغير جنسه والآخر شبه
 بالاسماء إذا كانت فيها
 الإضافة فكان الحاقه
 بجنسه أولى من الحاقه بغير
 جنسه

جدلنا كقوله وكان الانسان أكثر شيء جدلا فأتينا بما تعدنا من العذاب المعجل وما معنى الذي والعائد
مخدوف أي بما تعدناه أو مصدرية وإنما كثرت مجادلتهم لأنه أقام فيهم ما أخبر الله به ألف سنة الاخسين
عاما وهو كل وقت يدعوهم الى الله وهم يجيبونه بعبادتهم أصنامهم قال انما يأتيكم به الله أي ليس ذلك
الى انما هو الدلالة الذي يعاقبكم على عصيانكم ان شاء أي ان اقتضت حكمته أن يعجل عذابكم وأنتم في
قبضته لا يمكن أن تفلتوا منه ولا أن تمتنعوا ولما قالوا اقد جادلنا وطلبوا تعجيل العذاب وكان مجادلتهم
لهم انما هو على سبيل النصيحة والانتقاد من عذاب الله قال ولا ينفعكم نصحي * وقرأ عيسى بن عمر
الثقفي نصحي بفتح النون وهو مصدر * وقرأه الجماعة بضمها فاحتل أن يكون مصدرا كالشكر
واحتل أن يكون اسما وهذا الشرطان اعتقب الأول منهما قوله ولا ينفعكم نصحي وهو دليل على
جواب الشرط تقديره ان أردت أن أنصح لكم فلا ينفعكم نصحي والشرط الثاني اعتقب الشرط
الأول وجوابه أيضا ما دل عليه قوله ولا ينفعكم نصحي تقديره ان كان الله يريد أن يغويكم فلا ينفعكم
نصحي وصار الشرط الثاني شرطا في الأول وصار المتقدم متأخرا والمتأخر متقدما وكان التركيب
ان أردت أن أنصح لكم ان كان الله يريد أن يغويكم فلا ينفعكم نصحي وهو من حيث المعنى كالشرط
اذا كان بالفاء نحو ان كان الله يريد أن يغويكم فان أردت أن أنصح لكم فلا ينفعكم نصحي ونظيره
وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي ان أراد النبي أن يستنكحها * وقال الزمخشري قوله ان كان
الله يريد أن يغويكم جزاؤه ما دل عليه قوله ولا ينفعكم نصحي وهذا الدليل في حكم ما دل عليه فوصل
بشرط كما وصل الجزاء بالشرط في قوله ان أحسنت الى أحسنت اليك ان أمكنني * وقال ابن
عطية وليس نصحي لكم بنافع ولا ارادني الخير لكم مغنية اذا كان الله تعالى قد اراد بكم الاغواء
والاضلال والاهلاك والشرط الثاني اعتراض بين الكلام وفيه بلاغة من اقتران الارادتين وان
ارادة البشر غير مغنية وتعلق هذا الشرط هو بنصحي وتعلق الآخر هو بلا ينفع انتهى وكذا قال
أبو الفرج بن الجوزي قال جواب الأول النصح وجواب الثاني النفع والظاهر ان معنى يغويكم
يضلكم من قوله غوى الرجل يغوى وهو الضلال وفيه اسناد الاغواء الى الله فهو حجة على المعتزلة
اذا يقولون ان الضلال هو من العبد * وقال الزمخشري اذا عرف الله من الكافر الاصرار فخلاه
وشأنه ولم يلجئه سمي ذلك اغواء واملاء كما انه اذا عرف منه ان يتوب ويرعوى فلهذا سمي
ارشادا وهداية انتهى وهو على طريقة الاعتزال ونصوا على انه لا يوصف الله بأنه عارف فلا ينبغي أن
يقال اذا عرف الله كما قال الزمخشري وللمعتزلي أن يقول لا يتعين أن تكون ان شرطية بل هي نافية
والمعنى ما كان الله يريد أن يغويكم ففي ذلك دليل على نفي الاضلال عن الله تعالى ويكون قوله ولا
ينفعكم نصحي ان أردت أن أنصح اخبار منه لهم وتغرية لنفسه عنهم لما رأى من اصرارهم وتماديهم
على الكفر * وقيل معنى يغويكم يهلككم والغوى المرض والهلاك وفي لغة طي أصبح فلان غاويا
أي مريضا والغوى بشم الفصيل وقاله يعقوب في الاصلاح * وقيل فقده اللبن حتى يموت جو عاقاله
الفراء وحكاه الطبري يقال منه غوى يغوى وحكى الزهراوى انه الذي قطع عنه اللبن حتى كاد يهلك
أو لما يهلك بعد * قال ابن الانباري وكون معنى يغويكم يهلككم قول مريغوب عنه وأنكر مكي
أن يكون الغوى بمعنى الهلاك موجودا في لسان العرب وهو محجوج بنقل الفراء وغيره واذا كان
معنى يغويكم يهلككم فلا حجة فيه لا للمعتزلي ولا لسني بل الحجة من غير هذا ومعناد انكم اذا كنتم
من التصميم على الكفر فالمعتزلة التي لا تنفعكم نصائح الله ومواعظه وسائر الطائفة كيف ينفعكم نصحي

وفي قوله هو ربكم تنبيه على المعرفة بالخالق وانه الناظر في مصالحكم ان شاء أن يغويكم وان شاء أن يهديكم وفي قوله واليه ترجعون وعيد وتخويف * أم يقولون افتراه قل ان افتريته فعلى اجرائي وأنا بريء مما تجرمون * قيل هذه الآية اعترضت في قصة نوح والاخبار فيها عن قرئس يقولون ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم أي افتري القرآن وافتري هذا الحديث عن نوح وقومه ولو صح ذلك بسند صحيح لوقف عنده ولكن الظاهر ان الضمير في يقولون عائد على قوم نوح أي بل يقولون افتري ما أخبرهم به من دين الله وعقاب من أعرض عنه فقال عليه السلام قل ان افتريته فعلى اثم اجرائي والاجرام مصدر أجرم ويقال أجرم وهو الكثير وجرم بمعنى ومنه قول الشاعر

طريد عشيرة ورهين ذنب * بما جرمت يدي وجنى لساني

* وقرئ أجرى بفتح الهمزة جمع جرم ذكره النحاس وفسر بالتأني ومعنى مما تجرمون من اجرامكم في اسناد الافتراء الى وقيل مما تجرمون من الكفر والتكذيب * وأوحى الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قدامن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبني في الذين ظاهروا انهم مغرقون * قرأ الجمهور وأوحى مبنيا للفعول أنه بفتح الهمزة * وقرأ أبو البرهشيم وأوحى مبنيا للفاعل انه بكسر الهمزة على اضممار القول على مذهب البصريين وعلى اجراء أوحى مجرى قال على مذهب الكوفيين أيأسه الله من ايمانهم وانه صار كالمتحيل عقلا باخباره تعالى عنهم ومعنى الامن قدامن أي من وجد منه ما كان يتوقع من ايمانه ونهاه تعالى عن ابتئاسه بما كانوا يفعلون وهو خزنه عليهم في استكانة وابتئاس افتعل من البؤس ويقال ابتأس الرجل اذا بلغه شيء يكرهه وقال الشاعر

وكم من خليل أو حميم رزئته * فلم يبتئس والرزء فيه جليل

* وقال آخر *

ما يقسم الله أقبل غير مبتئس * منه واقعد كرى ما ناعم البال

* وقال آخر *

فارس الخيل اذا ما ولولت * ربة الخدر بصوت مبتئس

* وقال آخر *

في مأثم كنعاج صا * رة يبتئس بالقينا

صارعة موضع بما كانوا يفعلون من تكذيبك وايدائك ومعاداتك فقد حان وقت الانتقام منهم واصنع عطف على فلا تبتئس بأعيننا بمرأى منا وكلاءة وحفظ فلا تزيغ صنعتهم عن الصواب فيها ولا يحول بين العمل وبينه أحسد والجمع هنا كالمفرد في قوله ولتصنع على عيني وجمعت هنا التكثير السكلاءة والحفظ وديومتها * وقرأ طلحة بن مصرف بأعيننا مدغمة ووحينا نوحى اليك ونلهمك كيف تصنع * وعن ابن عباس لم يعلم كيف صنعة الفلك فأوحى الله أن يصنعها مثل جوجواء الطائر * قيل ويحتمل قوله بأعيننا أي بلائسكتنا الذين جعلناهم عيوننا على مواضع حفظك ومعونتك فيكون اللفظ هنا للجمع حقيقة وقول من قال معنى ووحينا بأمر نالك أو بعلمنا ضعيف لان قوله واصنع الفلك مغن عن ذلك وفي الحديث كان زان سفينة نوح جبريل والزان القيم بعمل السفينة والذين ظاهروا قوم نوح تقدم الى نوح أن لا يشفع فيهم فيطلب إيمانهم وعلل منع مخاطبته بأنه حكم عليهم بالفرق ونهاه عن سؤال الايجاب اليه كقوله يا ابراهيم أعرض عن هذا انه قد جاء أمر ربك

كالشرط اذا كان بالفاء نحو ان كان الله يريد أن يغويكم فان أردت أن أنصح لكم فلا ينفعكم نصحي * أم يقولون افتراه * الآية الظاهر أن الضمير في يقولون عائد على قوم نوح أي بل يقولون افتراه فيما أخبرهم به من دين الله وعقاب من أعرض عنه فقال عليه الصلاة والسلام ان افتريته فعلى اجرائي أي اثم اجرائي والاجرام مصدر أجرم * وأوحى الى نوح * الآية * فلا تبتئس * نهاه تعالى عن ابتئاسه وهو حزنه عليهم في استكانة وابتئاس افتعل من البؤس ويقال ابتأس الرجل اذا بلغه شيء يكرهه قال الشاعر

وكم من خليل أو حميم رزئته *

فلم يبتئس والرزء فيه جليل * واصنع * عطف على فلا تبتئس * بأعيننا * بمرأى منا وكلاءة وحفظ * ووحينا * نوحى اليك ونلهمك كيف تصنع وعن ابن عباس لم يعلم كيف صنعة الفلك فأوحى الله تعالى أن يصنعها مثل جوجواء الطائر

﴿ ويصنع الفلك ﴾ الآية هي حكاية حال ماضية والفلك السفينة قال ابن عباس الخشب من خشب الشمشار وهو البقص
قطعه من جبل لبنان وسخر بينهم منه لكونهم رأوه يبني السفينة ولم يشاهدوا قبلها سفينة بنيت قالوا يا نوح ما تصنع قال ابني بيتا
يمشي على الماء فتعجبوا من قوله وسخروا منه وقالوا هذا الذي يزعم أنه نبي صار نجارا وكلما طرף واما صدرية ظرفية تقديره
وكل وقت مرور سخره منه والناسب لكل سخره ﴿ فسوف تعلمون ﴾ تهديد بالغ والعذاب المخزي العرق والعذاب المقيم
عذاب الآخرة لانه دائم عليهم سرمدو ﴿ من يأتيه ﴾ (١٢١) مفعول بتعلمون ومن موصولة وتعدى تعلمون

الى واحد استعمالا
لها استعمال عرف في
التعدي الى واحد قال
ابن عطية وجائز أن تكون
التعدي الى مفعولين
واقصر على الواحد انتهى
ولا يجوز حذف الثاني
اقتصارا لان أصله خبر
مبتدأ ولا اختصارا هنا
لانه لا دليل على حذفه
وحتى هنا غاية لقوله
ويصنع الفلك ويصنع كما
قلنا حكاية حال ماضية أى
وكان يصنع الفلك الى أن
جاء الوعد الموعود به
والجمله من قوله وكلما مر
عليه حال كانه قيل ويصنعها
والحال انه كلما مر وأمرنا
واحد الامور أو مصدر
أى أمرنا بالفوران أو
للسحاب بالارسل والملائكة
بالتصرف في ذلك وفار
معناه انبعث بقوة والتمسح
وجه الارض والعرب

وانهم آت بهم عذاب غير مر دود ﴿ وقيل الذين ظلموا واعلنوا زوجته وكنعان ابنه ﴾ ويصنع الفلك وكلما
مر عليه ملائكة من قومه سخره وامنه قال ان تسخر وامنا فانا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون
من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم ﴿ حتى اذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا اجل فيما من كل
زوجين اثنين وأهلكا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه الا قليل ﴾ ويصنع الفلك حكاية
حال ماضية والفلك السفينة ولما أمره تعالى بأن يصنع الفلك قال يارب ما أنا بنجار قال بلى ذلك بعينى
فأخذ القدوم وجعلت يده لا تخطى فكانوا يمررون به ويقولون هذا الذي يزعم انه نبي صار نجارا
﴿ وقيل كانت الملائكة تعاه واستأجروا كافرين يتخونون معه وأوحى الله اليه ان يحل عمل
السفينة فقد اشتد غضبي على من عصانى وكان سام وحام ويافت ينحتمون معه والخشب من الساج قاله
قتاده وعكرمة والكبي ﴾ قيل وغرسه عشر بن سنة ﴿ وقيل ثلاثمائة سنة يغرس ويقطع
ويبيع ﴾ وقال عمرو بن الحرث لم يغرسها بل قطعها من جبل لبنان ﴿ وقال ابن عباس من
خشب الشمشار وهو البقص قطعة من جبل لبنان ﴾ واختلفوا في هيئتها من التربع والطول
وفي مقدار مدتها علمها وفي المكان الذي عملت فيه ومقدار طولها وعرضها على أقوال متعارضة لم
يصح منها شئ وسخر بينهم منه لكونهم رأوه يبني السفينة ولم يشاهدوا قبلها سفينة بنيت قالوا يا نوح ما
تصنع قال ابني بيتا يمشي على الماء فعجبوا من قوله وسخروا منه قاله مقاتل ﴿ وقيل لكونه يبني في
قربة لا قرب لها من البحر فكانوا يتضاחקون ويقولون يا نوح صرت نجارا بعد ما كنت نبيا وكلما
طرף العامل فيه سخره وامنه وقال مستأف على تقدير سؤال سائل وجوزوا أن يكون العامل
قال وسخر واصفة للملا أو بدل من مرو وبعد البدل لان سخر ليس في معنى من لا يراد ذاولا نوعا منه ﴿
قال ابن عطية وسخر وامنه استجهلوه فان كان الأمر كما روى انهم لم يكونوا رؤا سفينة قط ولا
كانت فوجه الاستجهال واضح وبذلك تظاهرت التفاسير وان كانت السفائن حينئذ معروفة
فاستجهلوه في ان صنعها في قربة لا قرب لها من البحر انتهى فانا نسخر منكم في المستقبل كما تسخرون
منا الآن أى مثل سخريتكم اذا أغرقتم في الدنيا وأحرقتم في الآخرة أو ان تستجهلونا فيما صنع فانا
نستجهلكم فيما أنتم عليه من الكفر والتعريض لمخط الله وعذابه فأنتم أولى بالاستجهال منا قال
قريباً من معناه الزجاج أو ان تستجهلونا فانا نستجهلكم في استجهالكم لانكم لا تستجهلون الاعن

تسميه تنورا قاله ابن عباس والتنور مستوقد النار وزنه مفعول عند أى على وهو أعجمى وليس يشتق وقال ثعلب وزنه مفعول
من النور وأصله تنور فهمزت الواو ثم خففت وشدد الحرف الذي قبله وقرئ من كل بالتنوين فيكون زوجين مفعولا
بقوله اجل وقرئ بغير تنوين على الاضافة فيكون اثنين مفعول اجل وأهلك ومن معطوفان على المفعول قبله ولما كان المطر
ينزل كافواه القرب جعلت الوحوش تطلب وسط الارض هربا من الماء حتى اجتمعت عند السفينة فأمر الله أن يجعل فيها
من الزوجين اثنين يعني ذكرا وأنثى ليبقى أصل النسل بعد الطوفان فروى انه كان يأتيه أنواع الحيوان فيضع بينه على الذكر
ويسار على الانثى وكانت السفينة ثلاث طبقات السفلى للوحوش والوسطى للطعام والشراب والعلية ليهابن آمن معه ﴿ وما آمن
معه الا قليل ﴾ قال ابن عباس ثمانون رجلا ووعده ثمانون انسانا ثلاثة من بنه سام وحام ويافت ولان كنانا له ولما خرجوا من

جهل بحقيقة الأمر وبناء على ظاهر الحال كما هو عادة الجهلة في البعد عن الحقائق * وقال ابن جريج
 ان تسخر وامنا في الدنيا فاننا نسخر منكم في الآخرة والسخرية استجهاال مع استهزاء وفي قوله فسوف
 تعلمون تهديد بالغ والعذاب المخزى العرق والعذاب المقيم عذاب الآخرة لانه دائم عليهم سرمد ومن
 يأتيه مفعول بتعلمون ومما موصولة وتعدى تعلمون الى واحد استعمالها استعمال عرف
 في التعدية الى واحد * وقال ابن عطية وجاز أن تكون التعدية الى مفعولين واقتصر على الواحد
 انتهى ولا يجوز حذف الثاني اقتصار الان أصله خبر مبتدأ ولا اختصارا هنا لانه لا دليل على حذفه
 وتغنم بقوله من يأتيه * وقيل من استفهام في موضع رفع على الابتداء ويأتيه الخبر والجملة
 في موضع نصب وتعلمون معلق سدت الجملة مسد المفعولين * وحكى الزهراوى انه يقرأ أو يحل بضم
 الحاء ويحل بكسر هاء معنى ويجب * قال الزمخشري حلول الدين والحق اللازم الذي لا انفكاك له
 عنه ومعنى يخز به يفضحه أو يهلكه أو يذله وهو العرق أقوال متقاربة حتى اذا جاء أمرنا تقدم
 الكلام على دخول حتى على اذا في أوائل سورة الأنعام وهي هنا غاية لقوله ويصنع الفلك ويصنع
 كما قلنا حكاية حال أى وكان يصنع الفلك الى أن جاء وقت الوعد الموعود والجملة من قوله وكلامه
 عليه حال كانه قيل ويصنعها والحال انه كلامه وأمرنا واحد الأمور أو مصدر أى أمرنا بالفوران
 أو السحاب بالارسل والملائكة بالتصرف في ذلك ونحو هذا مما يقدر في النازلة وفار معنا انبعث
 بقوة والتنور وجه الأرض والعرب تسميه تنورا قاله ابن عباس وعكرمة والزهرى وابن عينة أو
 التنور الذى يخبر فيه وكان من حجارة وكان لخوا حتى صار لنوح قاله الحسن ومجاهد وروى أيضا
 عن ابن عباس * وقيل كان لآدم * وقيل كان تنور نوح أو أعلى الأرض والموضع المرتفعة قاله
 قتادة أو العين التى بالجزيرة عين الورد رواء عكرمة أو من أقصى دار نوح قاله مقاتل أو موضع
 اجتماع الماء فى السفينة روى عن الحسن أو طلوع الشمس وروى عن علي أو نور الصبح من قولهم
 نور الفجر تنويرا قاله علي ومجاهد أو هو مجاز والمراد غلبة الماء وظهور العذاب كما قال صلى الله عليه
 وسلم لشدة الحرب حتى الوطيس والوطيس أيضا مستوفد النار فلا فرق بين حتى وفاراذ
 يستعملان فى النار قال الله تعالى سمعوا لها شهيقا وهى تفور ولا فرق بين الوطيس والتنور
 والظاهر من هذه الأقوال جملة على التنور الذى هو مستوفد النار ويحتمل أن تكون أل فيه
 للعهد للتنور مخصوص ويحتمل أن تكون للجنس ففار النار من التناير وكان ذلك من أعجب
 الأشياء أن يفور الماء من مستوفد النيران ولا تنافى بين هذا وبين قوله وفجرنا الأرض عيونا إذ يمكن
 أن يراد بالأرض أما كن التناير والتفجير غير الفوران فحصل الفوران للتنور والتفجير للأرض
 والضفير فيها عائد على الفلك وهو مذكر أنت على معنى السفينة وكذلك قوله وقال اركبوا فيها
 * وقرأ حفص من كل زوجين بتنوين كل أى من كل حيوان وزوجين مفعول واثنين نعت
 توكيد وباقي السبعة بالاضافة واثنين مفعول ارجل وزوجين بمعنى العموم أى من كل ماله ازدواج
 هذا معنى من كل زوجين قاله أبو علي وغيره * قال ابن عطية ولو كان المعنى ارجل فيها من كل زوجين
 حاصلين اثنين لوجب أن يحمل من كل نوع أربعة والزوج فى مشهور كلام العرب للواحد ماله
 ازدواج فيقال هذا زوج هذا وهما زوجان وهذا هو المبيع فى القرآن فى قوله تعالى ثمانية أزواج ثم
 فسر ها فى قوله وانه خلق الزوجين الذكر والانثى * وقال الاخفش وقديقال فى كلام العرب
 للثنين زوج هكذا تأخذه العديون والزوج أيضا فى كلام العرب النوع كقوله تعالى وأنبأنا فيها

السفينة بنوا قرية تدعى
 اليوم قرية الثمانين بناحية
 الموصل

(الدر)

فسوف تعلمون من يأتيه
 عذاب يخز به (ح) من
 يأتيه مفعول بتعلمون
 ومن موصولة وتعدى
 تعلمون الى واحد استعمالها
 استعمال عرف في التعدية
 الى واحد (ع) وجاز أن
 تكون التعدية الى
 مفعولين واقتصر على
 الواحد انتهى (ح) ولا
 يجوز حذف الثاني
 اقتصار الان أصله خبر
 مبتدأ ولا اختصارا هنا لانه
 لا دليل على حذفه

من كل زوج بهيج * وقال تعالى سبحانه الذي خلق الأزواج كلها انتهى ولما جعل المطر ينزل كأفواه
 القرب جعلت الوحوش تطلب وسط الأرض هر بامن الماء حتى اجتمعن عند السفينة فأمره الله
 أن يحمل من الزوجين اثنين يعني ذكرا وأنثى ليبقى أصل النسل بعد الطوفان فروى أنه كان
 يأتيه أنواع الحيوان فيضع يمينه على الذكرو يساره على الأنثى وكانت السفينة ثلاث طبقات
 السفلى للوحوش والوسطى للطعام والشراب والعلية وللمن آمن وأهلك معطوف على زوجين
 ان نون كل وعلى اثنين ان أضيف واستثنى من أهله من سبق عليه القول بالهلاك وأنه من أهل النار
 * قال الزمخشري سبق عليه القول أنه يختار الكفر لالتقديره عليه وارا دته تعالى غير ذلك
 انتهى وهو على طريقة الاعتزال والذي سبق عليه القول امر أنه واعلة بالعين المهمة وابنه كنعان
 ومن آمن عطف على وأهلك * قيل كانوا ثمانين رجلا وثمانين امرأة * وقيل كانوا ثلاثة وثمانين
 * وقال ابن عباس آمن معه ثمانون رجلا وعنه ثمانون انسانا ثلاثة من بنيه سام وحام ويافت وثلاث
 كنانن له ولما خرجوا من السفينة بنوا قرية تدعى اليوم قرية الثمانين بناحية الموصل * وقيل
 كانوا ثمانية وسبعين نصفهم رجال ونصفهم نساء * وقال ابن اسحاق كانوا عشرة سوى نساءهم
 نوح وبنوه سام وحام ويافت وستة ناس من كان آمن به وأزواجهم جميعا وعن ابن اسحاق كانوا
 عشرة خمسة رجال وخمس نسوة * وقيل كانوا تسعة ونوح وثمانية أبناء له وزوجته * وقيل
 كانوا ثمانية ونوح وزوجته غير التي عوقبت وبنوه الثلاثة وزوجاتهم وهو قول قتادة والحكم
 ابن عينة وابن جريج ومحمد بن كعب * وقال الأعمش كانوا سبعة نوح وثلاث كنانن وثلاث بنين
 وهذه أقوال متعارضة والذي أخبر الله تعالى به أنه ما آمن معه الا قليل ولا يمكن التخصيص على
 عدد هذا النفر القليل الذي أبهم الله عددهم الا بنص عن رسول الله صلى الله عليه وسلم * وقال
 اركبوا فيها باسم الله مجريها وممرساها إن ربى لغفور رحيم * وهى تجرى بهم فى موج كالجمال
 ونادى نوح ابنه وكان فى معزل يا بنى اركب معنا ولا تكن مع الكافرين * قال سائى الى جبل
 يعصمى من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله الا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين
 * وقيل يا أرض ابلى ماءك وياسماء ألقى وغيض الماء وقضى الأمر واستوت على الجودى وقيل
 بعد اللقوم الظالمين * ونادى نوح ربه فقال رب ان ابنى من أهلى وإن وعدك الحق وأنت أحكم
 الحاكمين * قال يانوح انه ليس من أهلك انه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم انى أعظك
 أن تكون من الجاهلین * قال رب انى أعوذ بك أن أسألك ما ليس لى به علم والا تغفر لى وترحمنى
 أكن من الخاسرين * قيل يانوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك وأمم سنمتعهم
 ثم يمسهم منا عذاب أليم * تلك من أنباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من
 قبل هذا فاصبر ان العاقبة للمتقين * والى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره
 ان أنتم الا فترون * يا قوم لا أسألكم عليه أجرا ان أجرى على الذى فطر نى أفلا تعقلون * ويا قوم
 استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة الى قوتكم ولا تتولوا مجرمين
 * قالوا يا هود ما جئتنا ببينة وما نحن بماركى آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين * ان نقول الا
 اعتراك بعض آلهتنا بسوء قال انى أشهد الله واشهدوا أى برىء مما تشركون من دونه فكيدونى
 جميعا ثم لا تنتظرون * انى توكلت على الله ربى وربكم ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها ان ربي على
 صراط مستقيم * فان تولوا فقد أبلغتكم ما أرسلت به اليكم ويستخلف ربي قوما غيركم ولا

﴿وقال اركبوا فيها﴾ الآية الضمير في وقال عائد على نوح عليه السلام أي وقال نوح حين أمر بالجل في السفينة لمن آمن معه ومن آمن بحمله اركبوا فيها والظاهر ان خطاب لمن يعقل خاصة لأنه لا يليق بمن لا يعقل وعدي اركبوا بني لتضمنه معنى صبر وافيا أو ادخلوا فيها والتقدير اركبوا الماء فيها والباء في بسم الله في موضع الحال أي متبركين باسم الله ومجرها ومرساها منصوبان إما على أنهم ما ظرفا زمان أو مكان لأنهم ما يجيئان لذلك أو ظرفا زمان على جهة الحذف كما حذف من جئتكم مقدم الحاج أي وقت قدوم الحاج ويجوز أن يكون مجرها ومرساها مر فوعين على (٢٢٤) الابتداء وبسم الله الخبر ﴿وهي تجري بهم﴾ اخبار من

الله بما جرى للسفينة وبهم حال أي ملتبسة بهم والمعنى تجري وهم فيها ﴿في موج كالجبال﴾ أي في موج الطوفان شبه كل موجة منه بجبل في تراكمها وارتقاءها وقوله في موج يدل على أن الموج كان ظرفا لهم وهم مظرووفون فيه وكانت السفينة تسبح بهم في الماء كالسمكة ﴿ونادى نوح ابنه﴾ الواو لا ترتب وهذا النداء كان قبل جرى السفينة في قوله وهي تجري بهم وفي إضافته اليه هنا وفي قوله ان ابني من أهلي وندائه دليل على أنه ابنه لأصله قاله ابن عباس والضمير في كان عائد على ابنه وأدغم بعض القراء الباء في الميم في اركب معناه لا شرا كهما في أنهما من حروف الشفة ولذلك أبدلت في قول بعضهم باسمك يريدون ما اسمك

تضرر ونه شيئا أن ربي على كل شيء حفيظ * ولما جاء أمرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ * وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسالته واتبعوا أمر كل جبار عنيد * وأتبعوا في هذه الدنيا العنة ويوم القيامة إلا ان عادا كفروا ربهم إلا بعد العاد قوم هود * رسا الشيء رسوثت واستقر * قال

فصبرت نفسا عند ذلك حرة * ترسو اذا نفست الجبان تطلع البلع معروف والفعل منه بلع بكسر اللام وفتحها لغتان حكاهما الكسائي والفراء يبلغ بلعا والبالوعة الموضع الذي يشرب الماء * الاقلاع الامساك يقال أقلع المطر وأقلعت الحبي أي أمسكت عن الخبث * وقيل أقلع عن الشيء تركه وهو قريب من الامساك * غاض الماء نقص في نفسه وغضته نقصته جاء لازما ومتعديا * الجودي علم جبل الموصل ومن قال بالجزيرة أوبا مد فلائهم ما قر بيان من الموصل * وقيل الجودي اسم لكل جبل ومنه قول زيد بن عمرو بن نفيل سبحانه ثم سبحانا يعودله * وقبلنا سح الجودي والحمد

اعتراه بكذا أصابه به * وقيل افعل من عراه يعروه * الناصية منبت الشعر في مقدم الرأس ويسمى الشعر النابت هناك ناصية باسم منبته ونصوت الرجل انصوه نصوا ومددت ناصيته * الجبار المتكبر * العنيد الطاغى الذي لا يقبل الحق ولا يصغي اليه من عنده عند حاد عن الحق الى جانب * قيل ومنه عندي كذا أي في جاني * وقال أبو عبيدة العنيد والعنود والمعاند والعاند المعارض بالخلاف ومنه قيل للعرق الذي ينفجر بالدم عاند * وقال اركبوا فيها بسم الله مجرها ومرساها ان ربي لغفور رحيم وهي تجري بهم في موج كالجبال ونادى نوح ابنه وكان في معزل يابني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين قال سآوى الى جبل يعصمني من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله الا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين * الضمير في وقال عائد على نوح أي وقال نوح حين أمر بالجل في السفينة لمن آمن معه ومن أمر بحمله اركبوا فيها * وقيل الضمير عائد على الله والتقدير وقال الله لنوح ومن معه ويبعد ذلك قوله ان ربي لغفور رحيم * قيل وغلب من يعقل في قوله اركبوا وان كانوا قليلا بالنسبة لما لا يعقل ممن حمل فيها والظاهر أنه خطاب لمن يعقل خاصة لأنه لا يليق بما لا يعقل وعدي اركبوا بني لتضمنه معنى صبر وافيا أو معنى ادخلوا فيها * وقيل التقدير اركبوا الماء فيها * وقيل في زائدة للتوكيد أي اركبوها والباء في بسم الله في موضع الحال أو

ونداؤه بالتصغير خطاب تخنن ورأف والمعنى اركب معنا في السفينة فتنجوا * ولا تكن مع الكافرين * فذلك وطن ابن نوح أن ذلك المطر والتفجير على العادة ولما كان سآوى الى جبل يعصمني أي من وصول الماء الى فلا أغرق وهذا يدل على تماديه في الكفر وعدم وثوقه بأبيه فيما أخبر قيل والجبل الذي عناء طور زيتا فلم يمنعه والظاهر ابقاء عاصم على حقيقته وأنه نفى كل عاصم من أمر الله في ذلك الوقت وان من رحم يقع فيه من على المعصوم والضمير الفاعل يعود على الله تعالى وضمير الوصول محذوف ويكون الاستثناء منقطعا أي لكن من رجه الله معصوم * وحال بينهما الموج * أي بينه وبين نوح صلى الله عليه وسلم قيل كناية تراجمان الكلام فا استفت المراجعة حتى جاءت موجة عظيمة وكان راكبا على فرس قد بطر وأعجب بنفسه فالتقمته وفرسه وحيل بينه وبين نوح ففرق

متبركين بسم الله ومجراهاومر ساها منصوبان إمام على أنهما نظر فإزمان أو مكان لأنهما يجيبان لذلك
أو نظرا فإزمان على جهة الحذف كما حذف من جئتكم مقدّم الحاج أي وقت قدوم الحاج فيكون
مجراهاومر ساها مصدران في الأصل حذف منهما المضاف وانتصبا بما في بسم الله من معنى الفعل
ويجوز أن يكون بسم الله حالا من ضمير فيهاومر ساها مصدران مرفوعان على الفاعلية
أي اركبوا فيها ملتبسا بسم الله اجراؤها وارساؤها أي ببركة اسم الله أو يكون مجراهاومر ساها
مرفوعين على الابتداء وبسم الله الخبر والجملة حال من الضمير في فيها وعلى هذه التوجيهات
الثلاثة فالكلام جملة واحدة والحال مقدرة ولا يجوز مع رفع مجراهاومر ساها على الفاعلية أو
الابتداء أن يكون حالا من ضمير اركبوا لأنه لا عائده عليه فياوقع حالا ويجوز أن يكون بسم الله
مجراهاومر ساها جملة ثانية من مبتدأ وخبر لا تعلق لها بالجملة الأولى من حيث الاعراب أمرهم أولا
بالركوب ثم أخبر أن مجراهاومر ساها بكسر الله أو بأمره وقدرته فالجملتان كلامان محكيان
بقال كما أن الجملة الثانية محكية أيضا يقال * وقال الضحاك إذا أراد جري السفينة قال بسم الله
مجراها فتجري وإذا أراد وقوفها قال بسم الله مر ساها فتقف * وقرأ مجاهد والحسن وأبو رجاء
والأعرج وشيبة والجمهور من السبعة الحرميان والعريبيان وأبو بكر مجراها بضم الميم * وقرأ
الأخوان وحفص بفتحها وكلهم ضم ميم مر ساها * وقرأ ابن مسعود وعيسى الثقفي وزيد بن علي
والأعمش مجراهاومر ساها بفتح الميمين نظري زمان أو مكان أو مصدرين على التقارير السابقة
* وقرأ الضحاك والنخعي وابن وثاب وأبو رجاء ومجاهد وابن جندب والكلبي والجحدري مجريها
ومرسيها اسمي فاعل من أجرى وأرسي على البدل من اسم الله فهم في موضع خبر ولا يكونان
صفتين لكونهما نكرتين * وقال ابن عطية وهما على هذه القراءة صفتان عائدتان على ذكره في
قولهم بسم الله انتهى ولا يكونان صفتين الأعلى تقدير أن يكونا معرفتين وقد ذهب الخليل إلى أن
ما كانت اضافته غير محضة قد يصح أن تجعل محضة فتعرف إلا ما كان من الصفة المشبهة فلا تنحضر
اضافتها فلا تعرف أن ربى لغفور ستور عليكم ذنوبكم بتوبتهم وإيمانكم رحيم لكم إذا اجتباكم من
الفرق وروى في الحديث أن نوحا ركب في السفينة أول يوم من رجب وصام الشهر أجمع وعن
عكرمة لعشر خلون من رجب وهي تجري بهم أخبار من الله تعالى بما جرى للسفينة وبهم حال أي
ملتبسة بهم والمعنى تجري وهم فيها في موج كالجبال أي في موج الطوفان شبه كل موجة منه بجبل
في تراكمها وارتفاعها وروى أن السماء أمطرت جميعها حتى لم يكن في الهواء جانب الأمطر وتفجرت
الأرض كلها بالنبع وهذا معنى التقاء الماء * وروى أن الماء علا على الجبال وأعلى الأرض أربعين
ذراعا * وقيل خمسة عشر وكون السفينة تجري في موج دليل على أنه كان في الماء موج وأنه لم
يطبق الماء ما بين السماء والأرض وأن السفينة لم تكن تجري في جوف الماء والماء أعلاها وأسفلها
فكانت تسبح في الماء كما تسبح السمكة كما أشار إليه الزجاج والزمخشري وغيرهما وقد استبعد ابن عطية
هذا قال وأين كان الموج كالجبال على هذا ثم كيف استقامت حياة من في السفينة * وأجاب
الزمخشري بأن الجريان في الموج كان قبل التطبيق وقبل أن يعم الماء الجبال ألا ترى إلى قول ابنه
سأوى إلى جبل يعصني من الماء ونادى نوح ابنه الواو لا ترتب وهذا النداء كان قبل جري
السفينة في قوله وهي تجري بهم في موج وفي اضافته إليه هنا وفي قوله أن ابني من أهلي ونداءه دليل
على أنه ابنه لصلبه وهو قول ابن مسعود وابن عباس وعكرمة والضحاك وابن جبير وميمون بن

(الدر)

(ح) وقرأ الضحاك
والنخعي وابن وثاب وأبو
رجاء ومجاهد وابن جندب
والكلبي والجحدري
مجريها ومرسيها اسمي
فاعل من أجرى وأرسي على
البدل من اسم الله فهم في
موضع جر ولا يكونان
صفتين لكونهما نكرتين
(ع) وهما على هذه القراءة
صفتان عائدتان على
ذكره في قولهم بسم الله
انتهى (ح) ولا يكونان
صفتين الأعلى تقدير أن
يكونا معرفتين وقد ذهب
الخليل إلى أن ما كانت
اضافته غير محضة قد يصح أن
تجعل محضة فيعرف إلا ما

مهران والجمهور واسمه كنعان * وقيل يام * وقيل كان ابن قريب له ودعاه بالبنوة حنانا منه وتلطفا
 * وقرأ الجمهور بكسر تنوين نوح * وقرأ وكيع بن الجراح بضمة أتبع حركته حركة الاعراب
 في الحاء * قال أبو حاتم هي لغة سوء لا تعرف * وقرأ الجمهور بوصل هاء الكناية بواو * وقرأ ابن
 عباس انه يسكون الهاء * قال ابن عطية وأبو الفضل الرازي وهذا على لغة الازد الشراة يسكنون
 هاء الكناية من المذكر ومنه قول الشاعر * ونضواي مشتاقان له أرقان * وذكر غيره أنها لغة
 لبني كلاب وعقيل ومن النحويين من يخص هذا السكون بالضرورة وينشدون

وأشرب الماء ما بي نحوه عطش * إلا أن عيونه سيل واديهما

* وقرأ السدي ابنه بألف وهاء السكت * قال أبو الفتح ذلك على النداء وذهبت فرقة إلى أنه على
 الندبة والرثاء * وقرأ علي وعروة وعلي بن الحسين وابنه أبو جعفر وابنه جعفر ابنه بفتح الهاء من
 غير ألف أي ابنهما مضافا لضمير امرأته فاكثفي بالفتحة عن الألف * قال ابن عطية وهي لغة ومنه
 قول الشاعر

إما تقود بها شاة فتأكلها * أو أن تبيعته في بعض الاراكيب

وأشد ابن الاعرابي على هذا

فلمست بمدرك ما فات مني * بلهف ولا بليت ولا لوانى

انتهى يريد تبيعها وتلفها وخطأ النحاس أباحاتم في حذف هذه الألف * قال ابن عطية وليس كما قال
 انتهى وهذا أعنى مثل تلف بحدف الألف عند أصحابنا ضرورة ولذلك لا يجوزون يا غلام بحدف
 الألف والاجتزاء بالفتحة عنها كما اجتزأوا بالكسرة في يا غلام عن الياء وأجاز ذلك الأخفش * وقرأ
 أيضا على وعروة ابنه بفتح الهاء وألف أي ابن امرأته وكونه ليس ابنه لصلبه وإنما كان ابن امرأته
 قول علي والحسن وابن سيرين وعبيد بن عمير وكان الحسن يحلف أنه ليس ابنه لصلبه قال قتادة
 فقلت له ان الله حكى عنه ان ابني من أهلي وأنت تقول لم يكن ابنه وأهل الكتاب لا يختلفون في أنه
 كان ابنه فقال ومن يأخذ دينه من أهل الكتاب واستدل بقوله من أهلي ولم يقل مني فعلى هذا يكون
 ربيبا وكان عكرمة والضحك يختلفان على أنه ابنه ولا يتوهم أنه كان لغير رشدة لأن ذلك غضاضة
 عصمت منه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وروى ذلك عن الحسن وابن جريج ولعله لا يصح عنها
 * وقال ابن عباس ما بغت امرأته نبي قط والذي يدل عليه ظاهر الآية انه ابنه وأما قراءة من قرأ ابنه
 أو ابنه فاشادة ويمكن ان نسب إلى أمه وأضيف إليها ولم يضاف إلى أبيه لأنه كان كافرا مثلها يلحظ فيه
 هذا المعنى ولم يضاف إليه استبعادا له ورعا أن لا يضاف إليه كافرا وإنما ناداه ظنا منه انه مؤمن ولولا
 ذلك ما أحب نجاته أو ظنا منه أنه يؤمن ان كان كافرا لما شاهد من الأحوال العظيمة وأنه يقبل الايمان
 ويكون قوله اركب معنا كاللذلة على أنه طلب منه الايمان وتأكد بقوله ولا تكن مع الكافرين
 أي اركب مع المؤمنين اذ لا يركب معهم الا المؤمن لقوله ومن آمن وفي معزل أي في مكان عزل فيه
 نفسه عن أبيه وعن مركب المؤمنين * وقيل في معزل عن دين أبيه وندأوه بالتصغير خطاب تحنن
 ورأفة والمعنى اركب معنا في السفينة فتنجو ولا تكن مع الكافرين فتملك * وقرأ عاصم يابني بفتح
 الياء ووجهه على أنه اجتزأ بالفتحة عن الألف وأصله يابنينا كقولك يا غلاما كما اجتزأ باقي السبعة
 بالكسرة عن الياء في قراءتهم يابني بكسر الياء أو ان الألف انحذفت لالتقاءهما مع راء اركب وطلق
 ابن نوح ان ذلك المطر والتفجير على العادة فلذلك قال ساوى الى جبل يعصمني من الماء أي من

﴿وقيل يا أرض ابلعي ماءك﴾ الآية في هذه الآية احد وعشرون نوعا من البديع المناسبة في قوله ألقى وابلعي والمطابقة بذكر الأرض والسماء والمجاز في قوله يابس الماء والمراد مطر السماء والاستعارة في قوله ألقى والاشارة في قوله وغيض الماء فانها إشارة الى معان كثيرة والتشثيل في قوله وقضى الأمر عبر باهلاك الهالكين ونجاة الناجين بلفظة فيها بعد عن لفظة الموضوع له والارداف في قوله واستوت على الجودي فقوله واستوت كلام تام على (٢٢٧) الجودي مر د ف قصدا للبالغة في التمكن بهذا المكان

والتعليل في قوله وغيض الماء فان ذلك علة الاستواء وصحة التقسيم باستيعاب أقسام الماء في حالة نقصه اذ ليس الا احتباس ماء السماء واحتقان ماء الأرض وغيض الماء حاصل على ظهرها والاحتباس في قوله وقيل بعدا للقوم الظالمين وهو أيضا ذم لهم ودعاء عليهم والايضاح بقوله الظالمين بين أنهم هم القوم الذين سبق ذكركم في قوله وكلاما عليه ملا من قومه سخر وامنه فالالف واللام في القوم للعهد لو سقط لفظة القوم هنا لحصل لبس في المعنى والمساواة فلفظهما مساو لمعناها وحسن النسق لعطف قضايا بعضها على بعض والايجاز لذكر القصة باللفظ القصير مستوعبا للمعاني الجمة والتسليم لان أول الآية يا أرض ابلعي فاقتضى آخرها ويابساء ألقى والتهذيب لان مفردات الألفاظ موصوفة بكل

وصول الماء الى فلا أغرق وهذا يدل على عادته في الكفر وعدم وثوقه بأبيه فيما أخبر به * قيل والجبل الذي عناء طور رزيتا فلم يمنعه والظاهر ابقاء عاصم على حقيقة وأنه نفى كل عاصم من أمر الله في ذلك الوقت وان من رحم يقع فيه من على المعصوم والضير الفاعل يعود على الله تعالى وضير الموصل محذوف ويكون الاستثناء منقطعاً أي لكن من رحمه الله معصوم وجوزوا أن يكون من الله تعالى أي لا عاصم الا الراحم وأن يكون عاصم بمعنى ذى عصمة كما قالوا الابن أي ذولبن وذو عصمة مطلق على عاصم وعلى معصوم والمراد به هنا المعصوم أو فاعل بمعنى مفعول فيكون عاصم بمعنى معصوم كما دافق بمعنى مدفوق وقال الشاعر

بطيء القيام رخم الكلام * أمسى فؤادى به فاتنا

أي مفتونا ومن المعصوم أي لا ذاء عصمة أو لا معصوم الا المرحوم وعلى هذين التجوزين يكون استثناء متصلاً وجعله الزمخشري متصلاً بطريق آخر وهو حذف مضاف وقدره لا يعصمك اليوم معتصم قط من جبل ونحوه سوى معتصم واحد وهو مكان من رحمهم الله ونجاهم يعني في السفينة انتهى والظاهر ان خبر لا عاصم محذوف لانه اذا علم كنه الموضع التزم حذفه بنونهم وكثر حذفه عند أهل الحجاز لأنه لما قال ساوى الى جبل يعصمنى من الماء قال له نوح لا عاصم أي لا عاصم موجود ويكون اليوم منصوباً على اضمار فعل يدل عليه عاصم أي لا عاصم يعصم اليوم من أمر الله ومن أمر متعلق بذلك الفعل المحذوف ولا يجوز أن يكون اليوم منصوباً بقوله لا عاصم ولأن يكون من أمر الله متعلقاً به لأن اسم لا إذا كان يكون مطولاً واذا كان مطولاً لازم تنوينه واغرابه ولا يبنى وهو مبنى فبطل ذلك وأجاز الحوفي وابن عطية أن يكون اليوم خبراً لقوله لا عاصم * قال الحوفي ويجوز أن يكون اليوم خبراً ويتعلق بمعنى الاستقرار وتكون من متعلقة بما يتعلق به اليوم * وقال ابن عطية واليوم ظرف وهو متعلق بقوله من أمر الله أو بالخبر الذي تقديره كأن اليوم انتهى ورد ذلك أبو البقاء فقال فأما خبر لا فلا يجوز أن يكون اليوم لأن ظرف الزمان لا يكون خبراً عن الجنة بل الخبر من أمر الله واليوم معمول من أمر الله * وقال الحوفي ويجوز أن يكون اليوم نعتاً لعاصم ومن الخبر انتهى ويرد بما رده أبو البقاء من أن ظرف الزمان لا يكون نعتاً للجنث كما لا يكون خبراً * وقرئ الا من رحم بضم الراء مبنياً للمفعول وهذا يدل على أن المراد بمن في قراءة الجمهور الذين فتحوا الراء هو المرحوم لا الراحم وحال بينهما أي بين نوح وابنه * قيل كأننا نراجعان الكلام فما استتمت المراجعة حتى جاءت موجة عظيمة وكان راكباً على فرس قد بطر وأعجب بنفسه فالتقمته وفرسه وحمل بينه وبين نوح فغرق * وقال الفراء بينهما أي بين ابن نوح والجبل الذي ظن انه يعصمه ﴿وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويابساء ألقى وغيض الماء وقضى الأمر واستوت على الجودي وقيل

الحسن كل لفظة سهلة مخارج الحروف عليها رونق الفصاحة وحسن البيان والتكئين لأن الفاصلة مستقرة في قرارها والتجنيس في قوله ألقى وابلعي والمقابلة في قوله يا أرض ابلعي ويابساء ألقى والذم في قوله بعدا للقوم الظالمين والوصف قصاصة ووصفها باحسن وصف بحيث استعمل نعت ألفاظها ووصفات معانيها فما أعظم اعجازها من آية عدة ألفاظها أسع عشرة لفظة فيها احد وعشرون نوعاً من البديع والجودي اسم جبل وهذا الداء والخطاب بالأمر هو استعارة مجازية وعلى هذا جمهور الخدائق وقيل

إن الله تعالى أحدث فيهما إدراكا وفهما لمعاني الخطاب وروى أن أعرابيا سمع هذه الآية فقال هذا كلام القادرين ومعنى ﴿ونادى نوح ربه﴾ الآية أراد أن يناديه ولذلك أدخل الفاء إذ لو أراد حقيقة النداء والاختبار عن وقوعه منه لم تدخل الفاء في فقال ولسقطت الواو في هذه الجملة لا ترتب أيضا وذلك أن هذه القصة كانت أول ما ركب نوح السفينة ومعنى من أهلى أى الذى أمرت أن أحملهم في السفينة بقوله تعالى أحمل فيها (٢٢٨) من كل زوجين اثنين وأهلك ولم يظن أنه داخل فممن استثناه

الله تعالى بقوله الامن سبق عليه القول لظنه أنه مؤمن وعموم قوا ومن آمن يشمل المؤمن من أهله ومن غيرهم وحسن الخطاب بقوله وإن وعدك الحق ومعنى ليس من أهلك على قول من قال انه ابنه لصلبه أى الناجين أو الذين عمهم الوعد ومن زعم أنه ربيبه فهو ليس من أهله حقيقة إذ لا نسبة بينه وبين أولاده فعلى هذا نفي ما قدر أنه داخل في قوله وأهلك ثم علل انتفاء كونه ليس من أهله بـ ﴿أنه عمل غير صالح﴾ والضمير في انه عائد على ابن نوح وقرئ عمل غير صالح ممنونا غير رفعا صفة له فاحتمل قوله إنه أن يكون على حذف مضاف تقديره أى ان عمله عمل غير صالح أو يكون الحذف في عمل تقديره إنه ذو عمل غير صالح أو جعله نفس العمل مبالغة في ذمه وقرئ عمل فعلا ماضيا وغير منصوب به

بعد القوم الظالمين ونادى نوح ربه فقال رب ان ابني من أهلى وان وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين * قال يا نوح انه ليس من أهلك انه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم انى أعظك أن تكون من الجاهلين * قال رب انى أعوذ بك ان أسألك ما ليس لي به علم والا تغفر لي وترحني أكن من الخاسرين * قال الزمخشري نادى الارض والسماء بما ينادى به الانسان المميز على لفظ التخصيص والاقبال عليهم بالخطاب من بين سائر المخلوقات وهو قوله يا أرض ويا سماء ثم أمرهما بما يؤمر به أهل التمييز والعقل من قوله ابلى ماءك وأقلعي من الدلالة على الاقتدار العظيم وان السموات والارض وهذه الاجرام العظام منقادة لتكويته فيها ما يشاء غير متمنعة عليه كأنها عقلاء مميزون قد عرفوا عظمتهم وجلاله وثوابه وعقابه وقدرته على كل مقدور وتبينوا تحتم طاعته عليهم وانقيادهم له وهم بها يوفون ويفزعون من التوقف دون الامتثال له والنزول عن مشيئته على الفور من غير ريب فكأيد عليهم أمره كان المأمور به مفعولا لا بحس ولا ببطء وبسط الزمخشري وذييل في هذا الكلام الحسن قال الحسن يدل على عظمة هذه الاجسام والحق تعالى مستول عليها متصرف فيها كيف يشاء وأراد فصار ذلك سببا لوقوف القوة العقلية على كمال جلال الله تعالى وعلا قدرته وهيبته انتهى وبناء الفعل في وقيل وما بعدهما للمفعول أبلغ في التعظيم والجبروت وأخصر * قال الزمخشري ومحجى اخباره على الفعل المبني للمفعول للدلالة على الجلال والكبرياء وان تلك الأمور العظام لا يكون الافععل فاعل قادر وتكون مكنون قاهر وان فاعل هذه الافعال فاعل واحد لا يشارك في أفعاله فلا يذهب الوهم الى أن يقول غيره يا أرض ابلى ماءك ويا سماء أقلعي ولان يقضى ذلك الامر الهائل غيره ولا ان تستوى السفينة على الجودى وتستقر عليه الابتسوية واقرارده ولما ذكرنا من المعاني والنسكت واستقصع علماء البيان هذه الآية وقصوا لها رؤسهم لا لتجانس الكميتين وهما قوله ابلى وأقلعي وذلك وان كان الكلام لا يخلو من حسن فهو كغير الملتفت اليه بازاء تلك المحاسن التى هى اللب وما عداها قشور انتهى وأكثره خطابة وهذا النداء والخطاب بالأمر هو استعارة مجازية وعلى هذا جمهور الخنفاق * وقيل ان الله تعالى أحدث فيهما إدراكا وفهما لمعاني الخطاب * وروى ابن اعرابيا سمع هذه الآية فقال هذا كلام القادرين وعارض ابن المقفع القرآن فلهما وصل الى هذه الآية أمسك عن المعارضة وقال هذا كلام لا يستطيع أحدهم البشر أن يأتي بمثله * وقال ابن عباس في قوله وقضى الامر غرق من غرق ونجى من نجا * وقال مجاهد قضى الأمر بهلاكهم * وقال ابن قتيبة قضى الأمر فرغ منه * وقال ابن الانبارى أحكمت هلكة قوم نوح * وقال الزمخشري أنجز ما وعد الله نوحا من هلاك قومه واستوت أى استقرت السفينة على الجودى واستقرارها يوم عاشوراء من المحرم قاله ابن عباس والضحاك * وقيل يوم

ومعنى قوله ﴿فلا تسألن ما ليس لك به علم﴾ أى إذ وعدتك فاعلم يقينا أنه لا خلف في الوعد فاذا رأيت ولدك لم يحمل فكان عليك أن تتقف وتعلم أن ذلك بحق واجب عند الله تعالى ولكن نوحا صلى الله عليه وسلم حملته شفقة النبوة وسحبة البشر على التعرض لنفحات الرحمة والتذكير وعلى هذا القدر وقع عتابه ولذلك جاء بترقيق وتلطف في قوله ﴿انى أعظك أن تكون من الجاهلين﴾ أن أسألك في المستقبل ما لا علم لي بصحته تأديبا بأدبك واتعاطا بموعظتك

الجمعة * وقيل في ذى الحجة وأقامت على الجودي شهر او هبط بهم يوم عاشوراء وذكروا أن الجبال
تطاوت وتحاشع الجودي وحديث بعث نوح عليه السلام الغراب والحمامة ليأتياه بخبر كمال الغرق
الله أعلم بما كان من ذلك * وقرأ الأعمش وابن أبي عمير على الجودي بسكون الياء مخففة * قال ابن
عطية وهما الغتان * وقال صاحب اللوامح هو تخفيف ياء النسب وهذا التخفيف باب الشعر
لشدوده والظاهر ان قوله وقيل بعد من قول الله تعالى كالأفعال السابقة وبني الجميع للمفعول للعلم
بالفاعل * وقيل من قول نوح والمؤمنين * قيل ويحتمل أن يكون من قول الملائكة * قيل ويحتمل
أن يكون ذلك عبارة عن بلوغ الأمر ذلك المبلغ وان لم يكن ثم قول محسوس ومعنى بعد اهلاك كما يقال
بعد بعد بعد او بعدا اذ اهلك واللام في اللقوم من صلة المصدر * وقيل تتعلق بقوله وقيل والتقدير
وقيل لأجل الظالمين إذ لا يمكن أن يخاطب اهلالك الا على سبيل المجاز ومعنى ونادى نوح ربه أى أراد
أن يناديه ولذلك أدخل الفاء إذ لو كان أراد حقيقة النداء والاخبار عن وقوعه منه لم تدخل الفاء في
فقال ولما سقطت كما لم تدخل في قوله إذ نادى ربه نداء خفيا قال رب والواو في هذه الجملة لا ترتب أيضا
وذلك ان هذه القصة كانت أول ما ركب نوح السفينة ويظهر من كلام الطبري ان ذلك من بعد غرق
الابن وفي قوله ان ابني من أهلي ظهور أنه ولده لصلبه ومعنى من أهلي أى الذى أمرت أن أحملهم في
السفينة لقوله أحمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك ولم يظن أنه داخل فيمن استثناه الله بقوله الا
من سبق عليه القول منهم لظنه انه مؤمن وعموم قوله ومن آمن يشمل من آمن من أهله ومن غير
أهله وحسن الخطاب بقوله وان وعدك الحق أى الوعد الثابت الذى لا شك في انجازه والوفاء به وقد
وعدتنى أن تنجى أهلى وأنت أعلم بالحكام وأعد لهم * قال الزمخشري ويجوز ان تسكون من
الحكمة كما بمعنى النسبة كما يقال دارع من الدرع وحائض وطالق على مذهب الخليل انتهى ومعنى
ليس من أهلك على قول من قال انه ابنه لصلبه أى الناجين أو الذين عمهم الوعد ومن زعم انه ربيبه
فهو ليس من أهله حقيقة إذ لا نسبة بينه وبينه بولادة فعلى هذا فى ما قدر أنه داخل في قوله وأهلك ثم
علل انتفاء كونه ليس من أهله بأنه عمل غير صالح والظاهر أن الضمير في أنه عائد على ابن نوح
لا على النداء المفهوم من قوله ونادى المتضمن سؤال ربه وجعله نفس العمل مبالغة في ذمه كما قال
* فأنما هي اقبال وادبار * هذا على قراءة جمهور السبعة * وقرأ الكسائي عمل غير صالح جعله
فعلا ناصبا غير صالح وهى قراءة على وأنس وابن عباس وعائشة ورونها عائشة وأم سلمة عن النبي
صلى الله عليه وسلم وهذا يرجح ان الضمير يعود على ابن نوح * قيل ويرجح كون الضمير في انه
عائد على نداء نوح المتضمن السؤال ان في مصحف ابن مسعود انه عمل غير صالح ان تسألنى ما ليس
لك به علم * وقيل يعود الضمير في هذه القراءة على ركوب ولد نوح معهم الذى تضمنه سؤال نوح
المعنى ان كونه مع الكافرين وتركه الركوب مع المؤمنين عمل غير صالح وكون الضمير في انه عائد
على غير ابن نوح عليه السلام تكاف وتعسف لا يليق بالقرآن * قال الزمخشري (فان قلت) فهلا
قيل انه عمل فاسد (قلت) لما انفاه من أهله نفى عنه صفتهم بكامة النفي التى يستغنى معها لفظ المنفى
وأذن بذلك انه انما أنجى من أنجى من أهله بصلاحتهم لا لأنهم أهلك وأقاربك وان هذا لما انتفى عنه
الصالح لم تنفعه أبوتك * وقرأ صاحبان تسألن بتشديد النون مكسورة * وقرأ أبو جعفر
وشيبة وزيد بن علي كذلك إلا أنهم أثبتوا الياء بعد النون وابن كثير بتشديد هاء مفتوحة وهى قراءة
ابن عباس * وقرأ الحسن وابن أبي مليكة تسألنى من غير همز من سال يسال وهما يساولان وهى

﴿ قيل يا نوح اهبط بسلام ﴾ القائل هو الله تعالى (٢٣٠) لقوله منا وسفنتهم أمر عند نزوله بالهبوط من السفينة

أو من الجبل مع أصحابه
للانتشار في الارض والباء
للحال أي مصحوباً بسلامة
وامن ﴿ و بركات ﴾ وهي
الخيرات النامية في كل
الجهات والظاهر أن من
لا ابتداء الغاية أي ناشئة
من الذين معك وهم الامم
المؤمنون الى آخر الدهر
و يجوز أن يكون أم مبتدأ
محدوف الصفة وهي
المسوقة لجواز الابتداء
بالنكرة والتقدير وأم
منهم أي ممن معك أي ناشئة
معك و يجوز أن يكون
مبتدأ ولا تقدر صفة والخبر
سفتهم في التقديرين
ومسوع الابتداء كون
المكان مكان تفصيل ويدل
على أن الممتعين يقع منهم
معاص فذلك قال ثم يسهم
منا عذاب اليم ﴿ تلك ﴾ من
أنباء الغيب ﴿ تلك ﴾ إشارة الى قصة نوح وتلك
إشارة للبعيد لأن بين
هذه القصة والرسول مددا
لا تحصى ومن أنباء الغيب
من التبعض وهو الذي
تقادم عهده ولم يبق
عاهه الا عند الله تعالى
و ﴿ نوحيا اليك ﴾
لتكون لك هداية واسوة
فيما لقيه غيرك من الانبياء

لغة سائرة ﴿ وقرأ باقي السبعة بالهمز واسكان اللام وكسر النون وتخفيفها وأثبت الياء في الوصل
ورش وأبو عمرو وحذفها الباقون ﴾ قال الزمخشري فلا تلتبس ملتصا أو التماسا لا تعلم أصواب
هو أم غير صواب حتى تقف على كنهه وذ كر المسألة دليل على ان النداء كان قبل أن يغرق حين خاف
عليه (فان قلت) لم يسمي نداءه سؤالاً ولا سؤال فيه (قلت) قد تضمن دعاؤه معنى السؤال وان لم
يصرح به لأنه اذا ذكر الموعد بنجاة أهله في وقت مشاركة الغرق فقد استعجز وجعل سؤال مالا
يعرف كنهه جهلاً وغباوة ووعظه أن لا يعود اليه وإلى أمثاله من أفعال الجاهلين (فان قلت) قد وعد
الله أن ينجي أهله وما كان عنده ان ابنه ليس منهم ديناً فامأشقى على الغرق تشابهه عليه الأمر لأن
العدة قد سبقته وقد عرف الله حكماً لا يجوز عليه فعل القبيح وخالف الميعاد فطلب اماطة الشبهة
وطلب اماطة الشبهة واجب فلم زجر وجعل سؤاله جهلاً (قلت) ان الله عز وجل قدم له الوعد بانجاء
أهله مع استثناء من سبق عليه القول منهم فكان عليه أن يعتقد ان في جملة أهله من هو مستوجب
العذاب لكونه غير صالح وان كلهم ليسوا بناجين وأن لا تخالجه شبهة حين شارف ولده الغرق في انه
من المستثنين لا من المستثنى منهم فعوتب على أن اشتبه عليه بما يجب بما يجب أن لا يشبهه ﴿ وقال ابن
عطية معني قوله فلا تسألن ما ليس لك به علم أي اذ وعدتك فاعلم يقيناً انه لا خاف في الوعد فاذا
رأيت ولدك لم يحمل فكأن الواجب عليك أن تقف وتعلم ان ذلك الحق واجب عند الله ولو كان نوحاً
عليه السلام حملته شفقة النبوة وسجية البشر على التعرض لنفحات الرحمة والتدكير وعلى هذا
القدر وقع عقابه ولذلك جاء بتلطف وترج في قوله اني أعظك أن تكون من الجاهلين ويحمل قوله
فلا تسألن ما ليس لك به علم أي لا تطلب مني أمراً لا تعلم المصلحة فيه علم يقين ونحاً الى هذا أبو علي
الفارسي وقال ان به يجوز أن يتعلق بلفظ عام كما قال الشاعر

﴿ كأن جزائي بالعصا أن أجلبدا ﴾ و يجوز أن يكون به بمنزلة فيه فتعلق الباء بالمستقر
واختلاف هذين الوجهين انما هو لفظي والمعنى في الآية واحد ﴿ وذكر الطبري عن ابن زيد تأويله
في قوله اني أعظك أن تكون من الجاهلين لا يناسب النبوة تركناه ووقف عليه في تفسير ابن عطية
﴿ وقيل سأل نوح ربه حين صار عنه ابنه بمعزل ﴾ وقيل قبل أن عرف هلاكه وقيل بعد أن عرف
هلاكه سأل الله المغفرة أن أسألك من أن أطلب في المستقبل ما لا علم لي بصحته تأدياً بأدبك
واتعظاً بعظمتك وهذه انابة من نوح عليه السلام وتسليم لأمر الله ﴿ قال ابن عطية والسؤال
الذي وقع النهي عنه والاستعاذة والاستغفار منه هو سؤال العزم الذي معه حاجة وطلبه ملحة فيما قد
حجب وجه الحكمة فيه وأما السؤال في الأمور على جهة التعلم والاسترشاد فغير داخل في هذا
وظاهر قوله فلا تسألن ما ليس لك به علم يعم النحويين من السوءال ولذلك نهت على أن المراد
أحدهما دون الآخر والخاسرون هم المغبونون حظوظهم من الخير انتهى ونسب نوح النقص
والذنب الى نفسه تأدياً بمر به فقال ولا تغفري لي أي ما فرط من سوء الى وترجني بفضلك وهذا كما
قال آدم عليه السلام ﴿ قيل يا نوح اهبط بسلام منا و بركات عليك وعلى أمم ممن معك وأم سفتهم
ثم يسهم منا عذاب اليم ﴾ تلك من أنباء الغيب نوحيا اليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل
هذا فاصبر ان العاقبة للمتقين ﴿ بنى الفعل للمفعول ﴾ فقيل القائل هو الله تعالى ﴿ وقيل الملائكة

ولم تكن عامها عندك ولا عند قومك وأعلمناهم بها ليكون لهم مثالا وتذكيراً أن يجيئهم ويصيبهم اذا كذبوا ما أصاب أولئك وللمحظ
هذا المعنى طهرت فصاحته قوله فاصبر أي فاصبر على أدامهم محمد في التبليغ عن الله تعالى فالعاقبة لك كما كانت لروح صلي

تبليغا عن الله تعالى والظاهر الأول لقوله منا وسفنتهم أمر عند نزوله بالهبوط من السفينة ومن
الجيل مع أصحابه لا تتشارف الأرض والباء للحال أي مصحوبين بالسلامة وأمن وبركات وهي الخيرات
النامية في كل الجهات ويجوز أن تكون اللام بمعنى التسليم أي اهبط مساهما عليك مكرما *
وقرى اهبط بضم الباء * وحكى عبد العزيز بن يحيى وبركة على التوحيد عن الكسائي وبشر
بالسلامة أي أناله بمغفرة بهله ورحمته إياه وباقامته في الأرض آمنا من الآفات الدنيوية إذ كانت
الأرض قد خلت مما ينتفع به من النبات والحيوان فكان ذلك تبشيرا له بعود الأرض إلى أحسن
حالتها ولذلك قال وبركات عليك أي دائمة باقية عليك والظاهر أن من لا ابتداء الغاية أي ناشئة من
الذين معك وهم الأمم المؤمنون إلى آخر الدهر * قال الزخشي ويحتمل أن تكون من البيان
فتراد الأمم الذين كانوا معه في السفينة لأنهم كانوا اجاعات * وقيل لهم أمم لأن الأمم تشعبت منهم
انتهى وهذا فيه بعدت كفاذا يصير التقدير وعلى أمم هم من معك ولو أريد هذا المعنى لا غنى عنه وعلى
أمم معك أو على من معك فكان يكون أخص وأقرب إلى الفهم وأبعد عن اللبس وارتفع أمم على
الابتداء * قال الزخشي وسفنتهم صفة والخبر محذوف تقديره ومن معك أمم سفنتهم وإنما حذف
لأن قوله ممن معك يدل عليه والمعنى أن السلام منا وبركات عليك وعلى أمم مؤمنين ينشئون ممن
معك وأمم ممتعون بالدنيا منقلبون إلى النار انتهى ويجوز أن يكون أمم مبتدا ومحذوف الصفة وهي
المسوغة لجواز الابتداء بالنكرة والتقدير وأمم منهم أي ممن معك أي ناشئة ممن معك وسفنتهم هو
الخبر كما قالوا السمن منوان بدرهم أي منوان منه فحذف منه وهو صفة لمنوان ولذلك جاز الابتداء
بمنوان وهو نكرة ويجوز أن يقدر مبتدا ولا يقدر صفة الخبر سفنتهم ومسوغ الابتداء كون
المكان مكان تفصيل فكان مثل قول الشاعر

إذا ما بكى من خلفها انحرقت له * بشق وشق عندنا لم يحول

* وقال القرطبي ارتفعت وأمم على معنى ويكون أمم انتهى فإن كان أراد تفسير معنى فحسن وإن
أراد الاعراب ليس بجيد لأن هذا ليس من مواضع اضممار يكون * وقال الأخفش هذا كما تقول
كلمت زيد أو عمر وجالس انتهى فاحتمل أن يكون من باب عطف الجمل واحتمل أن تكون الواو
للحال وتكون حالا مقدره لأنه وقت الأمر بالهبوط لم تكن تلك الأمم موجودة * وقال أبو البقاء
وأمم معطوف على الضمير في اهبط تقديره اهبط أنت وأمم وكان الفصل بينهما مغنيا عن التأكيد
وسفنتهم نعت لام انتهى وهذا التقدير والمعنى لا يصلح أن الذين كانوا مع نوح في السفينة إنما
كانوا مؤمنين لقوله ومن آمن ولم يكونوا قسامين كفارا أو مؤمنين فتكون الكفار مأمورين
بالهبوط مع نوح إلا أن قدر أن من أولئك المؤمنين من يكفر بعد الهبوط وأخبر عنهم بالحالة التي
يؤولون إليها فيمكن على بعد الذي ينبغي أن يفهم من الآية أن من معه ينشأ منهم مؤمنون وكافرون
ونبه على الإيمان بأن المتصفين به من الله عليهم سلام وبركة وعلى الكافرين المتصفين به يمتعون
في الدنيا ثم يعذبون في الآخرة وذلك من باب الكناية كقوله فلان طويل النجاد كثير الرماد وظاهر
قوله ممن معك يدل على أن المؤمنين والكافرين نشأوا ممن معه والذين كانوا معه في السفينة أن
كانوا أولاده الثلاثة فقط أو معهم نساؤهم انتظم قول المفسرين أن نوحا عليه السلام هو أبو الخلق
كلهم وسمى آدم الأصغر لذلك وإن كانوا أولاده وغيرهم على الاختلاف في العدد فإن كان غير
أولاده مات ولم ينسل صح أنه أبو البشر بعد آدم ولم يصح أنه نشأ ممن معه مؤمن وكافر إلا أن أريد

الله عليه وسلم في هذه القصة
ومعنى ما كنت تعلمها أي
مفصلة كما سر دناها عليك
وعلم الطوفان كان معلوما
عند العالم على سبيل
الاجمال والجملة من قوله
ما كنت في موضع الحال
من مفعول نوحها أو من
مجرور إليك

بالذين معه أولاده فيكون من اطلاق العام ويراد به الخاص وان كانوا نسلوا كما عليه أكثر
المفسرين فلا يمتنع انه أبو البشر بعد آدم بل الخلق بعد الطوفان منه ومن كان معه في السفينة
والامم الممتعة ليسوا معينين بل هم عبارة عن الكفار * وقيل هم قوم هود وصالح ولوط وشعيب
عليهم الصلاة والسلام تلك اشارة الى قصة نوح وتقدمت أعاريب في مثل هذا التركيب في قوله ذلك
من أنباء الغيب نوحه اليك في آل عمران وتلك اشارة للبعيد لان بين هذه القصة والرسول مددا
لا تحصى * وقيل الاشارة بتلك الى آيات القرآن ومن أنباء الغيب وهو الذي تقدم عهده ولم يبق
عنده الا عند الله ونوحها اليك ليكون لك هداية وأسوة فيما لقيه غيرك من الانبياء ولم يكن علمها
عندك ولا عند قومك وأعلمناهم بها ليكون مثالا لهم وتحذيرا أن يصيبهم اذا كذبوك ما أصاب
أولئك وللاحظ هذا المعنى ظهرت فصاحة قوله فاصبر على أذاهم مجتهدا في التبليغ عن الله فالعاقبة لك
كما كانت لنوح في هذه القصة ومعنى ما كنت تعلمها أى مفصلة كما سردناها عليك وعلم الطوفان
كان معلوما عند العالم على سبيل الاجمال والمجوس الآن ينكرونه والجملة من قوله ما كنت في موضع
الحال من مفعول نوحها أو من مجرور اليك وقدرها الزمخشري تقدير معنى فقال أى مجهولة
عندك وعند قومك ويحتمل أن يكون خبرا بعد خبر والاشارة بقوله من قبل هذا الى الوقت أو الى
الايحاء أو الى العلم الذي اكتسبه بالوحي احتمالات وفي مصحف ابن مسعود من قبل هذا القرآن
* وقال الزمخشري ولا قومك معناه أن قومك الذين أنت منهم على كثرتهم ووفور عددهم اذا لم
يكن ذلك شأنهم ولا سمعوه ولا عرفوه فكيف برجل منهم كما تقول لم يعرف هذا عبد الله ولا أهل
بلده * والى عاد أخاهم هود اقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ان أنتم الامفرون يا قوم
لا أسألكم عليه أجرا ان أجرى الاعلى الذي فطرني أفلا تعقلون ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه
يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة الى قوتكم ولا تتولوا مجرمين * والى عاد أخاهم معطوف
على قوله أرسلنا نوحا الى قومه عطف الواو والمجرور على المجرور والمنصوب على المنصوب كما يعطف
المرفوع والمنصوب على المرفوع والمنصوب نحو ضرب زيد عمر او بكر خالد وليس من باب الفصل
بالجار والمجرور بين حرف العطف والمعطوف نحو ضربت زيدا وفي البيت عمر افيجي عنقه الخلاف
الذي بين النحويين هل يجوز في الكلام أو يختص بالشعر وتقدير الكلام في هود وعاد واخوته
منهم في الاعراف وقراءة الكسائي غير بالخفض * وقيل ثم فعل محذوف أى وأرسلنا الى عاد
أخاهم فيكون اذ ذلك من عطف الجمل والأول من عطف المفردات وهذا أقرب لطول الفصل
بالجمل الكثيرة بين المتعاطفين وهودا بدل أو عطف بيان * وقرأ محيص يا قوم بضم الميم كقراءة
حفص قل رب احكم بالحق بالضم وهي لغة في المنادى المضاف حكاه سيبويه وغيره وافتراؤهم
قال الحسن في جعلهم الالهة لغير الله تعالى * وقال الزمخشري باتخاذكم الأوثان له شركاء
والضمير في عليه عائدا على الدعاء الى الله ونبيه بقوله الذي فطرني على الرد عليهم في عبادتهم الأصنام
واعتقادهم أنها تفعل وكونه تعالى هو الفاطر للوجودات يستحق افراده بالعبادة وأفلا تعقلون
توقيف على استحالة الالهية لغير الفاطر ويحتمل أن يكون أفلا تعقلون راجعا الى أنه اذا لم
أطلب عرضا منكم وانما أريد نفعكم فيجب انقيادكم لما فيه نجاتكم كما أنه قيل أفلا تعقلون نصيحة من
لا يطلب عليها اجرا الا من الله تعالى وهو ثواب الآخرة ولا شيء أنفي للهمة من ذلك وتقدم الكلام في
استغفروا ربكم ثم توبوا اليه أول هذه السورة قصد هودا استأثرتهم الى الايمان وترغيبهم فيه بكثرة

والى عاد أخاهم هودا *
الآية والى عاد معطوف
على قوله أرسلنا نوحا
عطف الواو والمجرور
على المجرور والمنصوب
على المنصوب * ان أنتم
الامفرون * قال الحسن
في جعلهم آلهة لغير الله

﴿ قالوا يا هود ما جئتنا ببينة ﴾ أي بحجة واضحة تدل على صدقك وقد كذبوا في ذلك و بهتوه وعن في عن قولك حال من الضمير في تاركى آلهتنا كأنه قيل صادرين عن قولك (٢٣٣) ﴿ ان نقول الاعتراك ﴾ نسبوا ما صدر منه من دعائهم إلى

الله تعالى وافراده بالالوهية الى الخبل والجنون وأن ذلك مما اعتراه به بعض آلهتهم لكونه سبها وحرص على تركها ودعا الى ترك عبادتها واعتراك جملة محكية بنقول فهي في موضع المفعول ودلت على بله حيث اعتقدوا في حجارة أنها نصر وتنصر وتنقم ﴿ ما من دابة ﴾ وصف قدرة الله وعظم ملكه من كون كل دابة في قبضته وملكته وتحت قهره وسلطانه فاتم من جملة أولئك المقهورين وقوله آخذ بناصيتها تمثيل اذا كان القادر المالك يقود المقدور عليه بناصيته كما يقاد الأسير والفرس بناصيته حتى صار الآخذ بالناصية عرفا في القدرة على الحيوان وكانت العرب تجر ناصية الأسير الممنون عليه علامة أنه قد قدر عليه وقبض ناصيته والظاهر ان الضمير في قوله تولوا عائد على قوم هود وخطابه لهم من تمام الجمل المقولة قبل وتولوا صلة تتولوا حذفت التاء الثانية فصار تولوا وجواب

المطر وزيادة القوة لانهم كانوا أصحاب زروع وبساتين وعمارات حراصا عليها أشد الحرص فكانوا أخرجوا شئ الى الماء وكانوا مدلين بما أو توامن هذه القوة والبطش والبأس مهينين في كل ناحية * وقيل أراد القوة في المال * وقيل في النكاح * قيل وحبس عنهم المطر ثلاث سنين وعقمت أرحام نسائهم * وقد انتزع الحسن بن علي رضي الله عنه من هذا ومن قوله ويمدكم بأموال وبنين أن كثرة الاستغفار قد يجعله الله سببا لكثرة الولد * وأجاب من سأله وأخبره أنه ذو مال ولا يولد له بالاستغفار فأكثر من ذلك فولد له عشر بنين * وروى أبو صالح عن ابن عباس في قوله ويزدكم قوة الى قوتكم أنه الولد وولد الولد * وقال مجاهد وابن زيد في الجسم والبأس * وقال الضحاك خصبا الى خصبكم * وقيل نعمة الى نعمته الأولى عليكم * وقيل قوة في إيمانكم الى قوة في أبدانكم ﴿ قالوا يا هود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركى آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء ﴾ قال اني أشهد الله واشهدوا اني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون اني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم فان تولوا فقد أبلغتكم ما أرسلت به اليكم ويستخلف ربي قوما غيركم ولا تضرهم ونه شيئا ان ربي على كل شئ حفيظ ﴿ ببينة أو بحجة واضحة تدل على صدقك وقد كذبوا في ذلك و بهتوه كما كذبت قریش في قولهم لولا أنزل عليه آية من ربه وقد جاءهم بآيات كثيرة أولعائهم عن الحق وعدم نظرهم في الآيات اعتقدوا ما هو آية ليس بآية فقالوا ما جئتنا ببينة تلجئنا الى الايمان والافهود وغيره من الأنبياء لهم معجزات وان لم يعين لنا بعضها ألا ترى الى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من نبي الا وقد أوتي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وعن في عن قولك حال من الضمير في تاركى آلهتنا كأنه قيل صادرين عن قولك قاله الزمخشري * وقيل عن التعليل والسبب فيها ابن عطية * فقال أي لا يكون قولك سببا لتركنا اذ هو مجرد عن آية والجملة بعدها تأكيدي وتقنيط له من دخولهم في دينه ثم نسبوا ما صدر منه من دعائهم الى الله وافراده بالالوهية الى الخبل والجنون وان ذلك مما اعتراه به بعض آلهتهم لكونه سبها وحرص على تركها ودعا الى ترك عبادتها فجعلته يتكلم مكافأة بما يتكلم به المجانين كما قالت قریش معلم مجنون أم يقولون به جنة واعتراك جملة محكية بنقول فهي في موضع المفعول ودلت على بله شديد وجهل مفراط حيث اعتقدوا في حجارة أنها تنصر وتنقم وقول هود لهم في جواب ذلك اني أشهد الله الى آخره حيث تبرأ من آلهتهم وحرصهم كلهم مع انفرادهم وحده على كيدهم بما يشاءون وعدم تأخرهم من أعظم الآيات على صدقه وثقته بموعد ربه من النصر له والتأييد والعصمة من أن ينالوه بمكرهم وهذا وهم حريصون على قتله يرمونه عن قوس واحدة ومثله قول نوح لقومه ثم اقضوا الي ولا تنظرون وأكذبا راءته من آلهتهم وشركهم ووقفها بما جرت عليه عادة الناس من توثيقهم الأمر بشهادة الله وشهادة العباد * قال الزمخشري (فان قلت) هلا قيل اني أشهد الله وأشهدكم (قلت) لان اشهاد الله على البراءة من الشرك اشهاد صحيح ثابت في معنى تثبيت التوحيد وأما اشهادهم فاهو الاتهام بدينهم ودلالة على قلبه المبالاة بهم فحسب فعديل به

(٣٠ - تفسير البحر المحيط لابي حيان - خامس) الشرط هو قوله ﴿ فقد أبلغتكم ﴾ وضح أن يكون جوابا لان في إبلاغه اليهم رسالته تضمن ما يجعل بهم من العذاب المستأصل فكأنه قيل فان تتولوا استوصلتم بالعذاب ويدل على ذلك الجملة الخبرية وهي قوله ﴿ ويستخلف ربي قوما غيركم ﴾

عن لفظ الأول لاختلاف ما بينهما وجىء به على لفظ الامر بالشهادة انتهى وانى برىء تنازغ فيه
أشهدوا شهدوا وقد يتنازع المختلفان في التعدى الاسم الذي يكون صالحا لان يعمل فيه تقول
أعطيت زيدا ووهبت لعمر ودينارا كما يتنازع اللزوم والمتعدى نحو قام وضربت زيدا وما فى ما
ما نشر كون موصولة إمام صدرية وإمام معنى الذى أى برىء من اشراكم آلهة من دونه أو من
الذين نشر كون وجميعا حال من ضمير كيدونى الفاعل والخطاب انما هو لقومه * وقال الزخشرى
أنتم وآلهتكم انتهى * قيل ومجاهرة هو د عليه السلام لهم بالبراءة من أديانهم وحضه اياهم على كيد
هم وأصنامهم معجزة لهود أو حرض جماعهم عليه مع انفراده وقوتهم وكثرتهم فلم يقدر واعلى نيله
بسوء ثم ذكر توكله على الله معاه أنه ربه وربهم ومنه على أنه من حيث هو ربكم يجب عليكم أن
لا تعبدوا الا اياه ومفوضا أمره اليه تعالى ثقة بحفظه وانجاز مواعده ثم وصف قدرة الله تعالى وعظيم
ملكه من كون كل دابة فى قبضته وملكه وتحت قهره وسلطانه فأنتم من جملة أولئك المقهورين
وقوله آخذ بناصيتهائهم اذ كان القادر المالك بقود المقدور عليه بناصيته كما يقاد الاسير
والفرس بناصيته حتى صار الأخذ بالناصية عرفا فى القدرة على الحيوان وكانت العرب تجز ناصية
الاسير الممنون عليه علامة أنه قد قدر عليه وقبض على ناصيته * قال ابن جرير وخص الناصية لان
العرب اذا وصفت انسانا بالدلة والخضوع قالت ما ناصية فلان الا بيد فلان أى أنه مطيع له يصرفه
كيف يشاء ثم أخبر أن أفعاله تعالى فى غاية الاحكام وعلى طريق الحق والعدل فى ملكه لا يفوته
ظالم ولا يضيع عنده من توكل عليه قوله الصدق ووعد الحق * وقرأ الجمهور فان تولوا أى تتولوا
مضارع تولى * وقرأ الأعرج وعيسى الثقفى تولوا بضم التاء واللام مضارع وتولى * وقيل تولوا ماض
ويحتاج فى الجواب الى اضممار قول أى فقل لهم قد أبلغتكم ولا حاجة تدعو الى جعله ماضيا واضمار
القول * وقال ابن عطية ويحتمل أن يكون تولوا فعلا ماضيا ويكون فى الكلام رجوع من
غيبة الى خطاب أى فقد أبلغتكم انتهى فلا يحتاج الى اضممار والظاهر ان الضمير فى تولوا عائد على
قوم هو وخطاب لهم من تمام الجمل المقولة قبل * وقال التبريزى هو عائد على كفار قريش وهو
من تلويح الخطاب انتقل من خطاب قوم هو الى الاخبار عن بحضرة الرسول صلى الله عليه وسلم
وكأنه قيل أخبرهم عن قصة قوم هو وادعهم الى الايمان بالله لئلا يصيبهم كما أصاب قوم هو دفان تولوا
فقل لهم قد أبلغتكم وجواب الشرط هو قوله فقد أبلغتكم وضح أن يكون جوابا لأن فى ابلاغهم
رسالة تضمن ما يحل بهم من العذاب المستأصل فكأنه قيل فان تتولوا استؤصلتم بالعذاب ويدل
على ذلك الجملة الخبرية وهى قوله ويستخلف ربي قوم ما غيركم * وقال الزخشرى (فان قلت) الابلاغ
كان قبل التولى فكيف وقع جزاء للشرط (قلت) معناه فان تولوا لم أعاقب على تفریط فى
الابلاغ فان ما أرسلت به اليكم قد بلغكم فأيتكم الاتكذيب الرسالة وعداوة الرسول * وقال ابن عطية
المعنى انه ما على كبيرهم منكم ان توليتهم فقد برئت ساحتى بالتبليغ وأنتم أصحاب الذنوب فى
الاعراض عن الايمان * وقرأ الجمهور ويستخلف بضم الفاء على معنى الخبر المستأنف أى يهلككم
ويجىء بقوم آخرين يخلفونكم فى دياركم وأموالكم * وقرأ حفص فى رواية هبيرة بجزمها عطفا
على موضع الجزاء * وقرأ عبد الله كذلك وبجزم ولا تضروه * وقرأ الجمهور ولا تضرونه أى شيأ
من الضر ربوت ليتكم لأنه تعالى لا تجوز عليه المضار والمنافع * قال ابن عطية يحتمل من المعنى
وجهين أحدهما ولا تضرونه بذها بكم وهلاككم شيأ أى لا ينقص ملكه ولا يختل أمره وعلى هذا

﴿ولما جاء أمرنا نجينا هودا﴾ قيل كانوا أربعة آلاف وقيل ثلاثة آلاف والظاهر تعلق ﴿برحمة منا﴾ بقوله نجينا أي نجيناهم بمجرد رحمة من الله لحقهم لأبائهم (٢٣٥) الصالحة وقال الزمخشري فان قلت مامعنى تكرير التنجية

قلت ذكر أولاً أنه حين أهلك عدوهم نجاهم ثم قال ونجيناهم من عذاب غليظ على معنى وكانت التنجية من عذاب غليظ قال وذلك ان الله تعالى بعث عليهم السموم فكانت تدخل في أنوفهم وتخرج من أدبارهم وتقطعهم عضوا عضوا ﴿وتلك عاد﴾ إشارة الى قبورهم وآثارهم كأنه قيل سبوا في الارض فانظروا إليها واعتبروا ثم استأنف الاخبار عنهم فقال جحدوا أي بأي آيات ربهم أي أنكروها وأضاف الآيات الى ربهم تنبيها على انه مالكم ومريهم فأنكروا آياته والواجب إقرارهم بها وأصل جحد أن يتعدى بنفسه لكنه أجرى مجرى كفر فعدى بالباء كما عدى كفر بنفسه ﴿وعصوا رسله﴾ قيل عصوا هودا والرسل الذين كانوا من قبله وقيل ينزل تكذيب الرسول الواحد منزلة تكذيب الرسل لانهم كلهم مجمعون على الايمان بالله والافرار برؤسائهم أطاعوهم فيما أمرهم به ﴿قال الكلبى الجبار هو الذى يقتل على الغضب ويعاقب على المعصية﴾ وقال الزجاج هو الذى يجبر الناس على ما يريدون كراين الانبارى انه العظيم فى نفسه المتكبر على العباد والظاهر ان قوله واتبعوا اعام فى جميع عاد ﴿وقال الزمخشري لما كانوا تابعين له دون الرسل جعلت اللعنة تابعة لهم فى الدارين تكبهم على وجوههم فى عذاب الله انتهى

المعنى قرأ عبد الله بن مسعود ولا تنقصونه شيئا والمعنى الآخر ولا تضروا به أى ولا تقدرى ان اذا أهلككم على اضرار به بشئ ولا على انتصار منه ولا تقابلون فعله بشئ يضره انتهى وهذا فعل منفى ومدلوله نكرة فينتفى جميع وجوه الضرر ولا يتعين واحد منها ومعنى حفيظ رقيب محيط بالاشياء عاد الا يخفى عليه اعمالكم ولا يغفل عن مؤاخذتكم وهو يحفظنى مما تكيدوننى به ﴿ولما جاء أمرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ﴾ وتلك عاد جحدوا أي آيات ربهم وعصوا رسله واتبعوا أمر كل جبار عنيد وأتبعوا فى هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة الا أن عادا كفروا ربهم ألا بعدا لعاد قوم هود ﴿الأمر واحد الأمور فيكون كناية عن العذاب أو عن القضاء بهلاكهم أو مصدر أمر أى أمرنا للريح أو لخزنتها والذين آمنوا معه قيل كانوا أربعة آلاف﴾ وقيل ثلاثة آلاف والظاهر تعلق برحمة منا بقوله نجينا أي نجيناهم بمجرد رحمة من الله لحقهم لأبائهم الصالحة إذ توفيقهم لها إنما هو بسبب رحمة تعالى إياهم ويحتمل أن يكون متعلقا بمنوا أى ان إيمانهم بالله وبتصديق رسوله إنما هو برحمة الله تعالى إياهم إذ وفقهم لذلك وتكررت التنجية على سبيل التوكيد ولقلق من لولا صقت منا فأعيدت التنجية وهى الأولى أو تكون هذه التنجية هى من عذاب الآخرة ولا عذاب أغلظ منه فأعيدت لأجل اختلاف متعلقها ﴿وقال الزمخشري﴾ فان قلت ﴿فما معنى تكرير التنجية﴾ قلت ﴿ذكر أولاً انه حين أهلك عدوهم نجاهم ثم قال ونجيناهم من عذاب غليظ على معنى وكانت التنجية من عذاب غليظ قال وذلك ان الله عز وجل بعث عليهم السموم فكانت تدخل في أنوفهم وتخرج من أدبارهم وتقطعهم عضوا عضوا انتهى وهذا قاله الزجاج﴾ وقال ابن عطية ويحتمل أن يريد وكانت النجاة المتقدمة من عذاب غليظ يريد الريح فيكون المقصود على هذا تعديد النعمة والمشهور فى عذابهم بالريح انها كانت تحملهم وتهدم مساكنهم وتنسفها وتحمل الطعنة كما هى ونحو هذا وتلك عاد إشارة الى قبورهم وآثارهم كأنه قال سبوا فى الارض فانظروا إليها واعتبروا ثم استأنف الاخبار عنهم فقال جحدوا أي بأي آيات ربهم أي أنكروها وأضاف الآيات الى ربهم تنبيها على انه مالكم ومريهم فأنكروا آياته والواجب إقرارهم بها وأصل جحد أن يتعدى بنفسه لكنه أجرى مجرى كفر فعدى بالباء كما عدى كفر بنفسه فى قوله الا ان عادا كفروا ربهم اجراء له مجرى جحد ﴿وقيل كفر كشكر يتعدى تارة بنفسه وتارة بحرف جر وعصوا رسله﴾ قيل عصوا هودا والرسل الذين كانوا من قبله وقيل ينزل تكذيب الرسول الواحد منزلة تكذيب الرسل لانهم كلهم مجمعون على الايمان بالله والافرار برؤسائهم أطاعوهم فيما أمرهم به ﴿قال الكلبى الجبار هو الذى يقتل على الغضب ويعاقب على المعصية﴾ وقال الزجاج هو الذى يجبر الناس على ما يريدون كراين الانبارى انه العظيم فى نفسه المتكبر على العباد والظاهر ان قوله واتبعوا اعام فى جميع عاد ﴿وقال الزمخشري لما كانوا تابعين له دون الرسل جعلت اللعنة تابعة لهم فى الدارين تكبهم على وجوههم فى عذاب الله انتهى

بين أحد من رسله ﴿واتبعوا﴾ أى اتبع سقاطهم أمر رؤسائهم وكبرائهم والمعنى انهم أطاعوهم فى أمرهم به ﴿واتبعناهم﴾ عام فى المتبعين والمتبوعين وانتصب بعدا على أنه مصدر بمعنى الدعاء كأنه قيل أبعدهم الله بعدا ومعناه الدعاء بالهلاك وقوم هود بدل من عادوا إنما خصهم بالذكر لان ثم عادا أخرى وهم المشار اليهم بقوله تعالى وأنه أهلك عادا الاولى وهم عاد آدم

فظاهر كلامه يدل على أن اللعنة مختصة بالتابعين للرؤساء ونبيه على علة اتباع اللعنة لهم في الدارين بأنهم
كفروا بهم فالكفر هو الموجب للعنة ثم كرر التنبية بقوله ألقى الدعاء عليهم فهو بلا أمرهم
وتفطيمه له وبعثه على الاعتبار بهم والخذر من مثل حالهم وفائدة قوله قوم هو دمن بدلتاً كيداً للبالغة
في التنصيص أو تعيين عادته من عادارم لأن عادائهم ولذا قال تعالى وأنه أهلك عاد الأولى
فتمحق أن الدعاء على عادته ولم تلبس بغيرها * وإلى عمود أخاهم صالحاً قال يا قوم اعبدوا الله
ما لكم من الله غير هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا إليه إن ربي قريب
مجيب * قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا وإننا في شك مما
تدعونا إليه مريب * قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي وآتاني منه رحمة فمن ينصرني من
الله إن عصيته فبأذيته يدوني غير تحسير * ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ولا
تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب * فعقروها فقال تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير
مكذوب * فلما جاء أمرنا نجينا صالحاً والذين آمنوا معه برحمة منا ومن خزي يومئذ أن ربك هو
القوى العزيز * وأخذ الذين ظاهروا الصيعة فأصبحوا في ديارهم جائعين * كأن لم يغنوا فيها إلا أن
ثمودا كفروا بهم ألا بعد ثمود * ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا سلاماً قال سلاماً فالبث
أن جاء بعجل حنيد * فلما رآ أيديهم لا تصل إليهم نكروا وأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف إنا أرسلنا
إلى قوم لوط * وأمر أنه قائم فضعكت فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب * قالت يا ويلتنا
أألدوا أناعجزوا وهذا على شيخنا أن هذا شيء عجيب * قالوا أنعجبين من أمر الله رحمت الله وبركاته
عليكم أهل البيت أنه حميد مجيد * فلما ذهب عن إبراهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا في قوم لوط
إن إبراهيم لحليم أواه منيب * يا إبراهيم أعرض عن هذا إنه قد جاء أمر ربك وإنهم آتيتهم عذاب غير
مردود * ولما جاءت رسلنا لوطاً سيء بهم وضاق بهم ذرعاً وقال هذا يوم عصيب * وجاءه قومه بهرعون
إليه ومن قبله كانوا يعملون السيئات قال يا قوم هؤلاء بناتي هن أطهر لكم فاتقوا الله ولا تخزون في
ضيقي أليس منكم رجل رشيد * قالوا القدعات مالنا في بناتك من حق وإنك لتعلم ما تريد * قال
لو أن لي بكم قوة أو آوى إلى ركن شديد * قالوا يا لوط أنا أرسل ربك أن يصلوا إليك فأسر بأهلك بقطع
من الليل ولا يلتفت منكم أحد إلا أمر أنك أنه مصيهاً أصابهم إن موعدهم الصبح أليس الصبح
ب قريب * فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمرنا علياً حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك
وما هي من الظالمين ببعيد * الصيحة ففعلت للمرة الواحدة من الصباح يقال صباح يصبح إذا صور بقوة *
خذت الشاة أخذها خنذاً شويتها وجعلت فوقها حجارة لتنضج بها فهي حنيد وخذت الفرس
أحضرته شوطاً أو شوطين ثم ظاهرت عليه الجلال في الشمس ليعرق * أوجس الرجل قال
الأخفش خامر قلبه * وقال الفراء استشعر * وقيل أحس والوجس ما يعتري النفس عند أوائل
الفرع ووجس في نفسه كذا خطر بها يجس وجسا ووجسا وتوجس تسمع وتحسس قال

وصادقتا مع التوجس للسري * له جس خفي أو لصوت مند

الضحك معروف وكان ينبغي أن يذكر في سورة التوبة في قوله فليضحكوا قليلاً ويقال ضحك بفتح
الحاء والضحكة الكثير الضحك والضحكة المضحول منه ويقال ضحكت الأرنب أي حاضت وأنكر
أبو عبيدة والفراء وأبو عبيد ضحك بمعنى حاض وعرف ذلك غيرهم وقال الشاعر أنشد الغويون
ضحك الأرنب فوق الصفا * كمثل دم الجوف يوم اللقا

﴿ وقال آخر ﴾

وعهدى بسامى ضاحكاً في لبانة * ولم يعد حقاً نديها أن يحلما
أى حائضاً في لبانة واللبانة والعلاقة والشوذر واحد ومنه ضحكت الكافورة إذا انشقت وضحكت
الشجرة سال منها صغرها وهو شبه الدم وضحك الحوض امتلاً وفاض * الشيخ معروف والفعل شاخ
يشخ وقد يقال للأنثى شبيخة قال

* وتضحك مني شبيخة عبشمية * ويجمع على أشياخ وشيوخ وشيخان ومن أسماء الجموع مشيخة
ومشيوخاء * المجيد قال ابن الأعرابي الرفيع يقال مجدي مجد ومجد ومجداة ومجد لغتان أى كرم وشرف
وأصله من قولهم مجدت الأبل تمجد مجداً شبيعت * وقال أجدت الدابة أكرت علفها * وقال
أبو حية النيرى

تزد على صواحبا وليست * بناجدة الطعام ولا الشراب

أى ليست بكثيرة الطعام ولا الشراب * وقال الليث أجد فلان عطاءه ومجده إذا كثره ومن أمثالهم
في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار أى استكثر من النار * وقال ابن عطية مجد الشئ إذا
حسن أوصافه * الروع الفرع قال الشاعر

إذا أخذتها روعاً أمسكت * بمنكب مقدم على الهول أروعا

والفعل راع بر وع قال

ماراعنى الاحولة أهلها * وسط الديار تسفح الخم

وقال النابغة

فارتاع من صوت كلاب فبات له * طوع الشوامت من خوف ومن صرد

والر وع بضم الراء النفس لانها موضع الروع * الذرع مصدر ذرع البعير يديه في سيره إذا سار على
قدر خطوه مأخوذ من الذراع ثم وضع موضع الطاقة فقل ضاق به ذراعاً وقد يجعلون الذراع
موضع الذرع قال * اليك اليك ضاق به ذراعاً * وقيل كنى بذلك عن ضيق الصدر *
العصيب والعصيب والعصوب الشديد اللازم الشر المتلف بعضه ببعض قال
وكنتم لزاز خصلكم لم أعد * وقد سلكوك في يوم عصيب

* قال أبو عبيدة سمي عصيباً لأنه يعصب الناس بالشر والعصبة والعصابة الجماعة المجتمعة كلهم أو
الجمعة عون في النسب وتعصبت لفلان وفلان معصوب أى مجتمع الخلق * الأهرع قال شمر مشى
بين الهرولة والجز * وقال الهروي هرع الرجل وأهرع استحث * الضيف مصدر وإذا أخبر به أو
وصف لم يطابق في تشنية ولا جمع هذا المشهور * وسمع فيه ضيوف وأضياف وضيغان * الركن
معروف وهو الناحية من البيت أو الجبل ويقال ركن بضم الكاف ويجمع على أركان وأركان
وركنت الى فلان انضويت اليه * سرى وأسرى بمعنى واحد قاله أبو عبيدة والأزهرى وعن
الليث أسرى سار أو الليل وسرى سار آخره ولا يقال في النهار الأسار * السجيل والسجين الشديد
من الحجر قاله أبو عبيدة * وقال الفراء طين طنج حتى صار بمنزلة البحر * وقيل هو فارسي وسنك
الحجر وكل الطين يعرب فليل سجين * المنزود المجعول بعضه فوق بعض * والى ثمود أخاهم
صالحاً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه
ثم توبوا إليه ان ربي قريب مجيب * قالوا يا صالح قد كنت فينا امرجوا قبل هذا أتتهنا أن نعبد

﴿ والى ثمود أخاهم صالحاً ﴾
الآية ﴿ هو أنشأكم ﴾
اخترعكم ﴿ من الأرض ﴾ أى
باختراع آدم صلى الله عليه
وسلم أصلهم فكان انشاء
الاصل انشاء للفرع
﴿ واستعمركم ﴾ جعلكم
عماراً وقيل استعمركم من
العمر أى استبقاكم فيها
﴿ ان ربي قريب ﴾ أى
داني الرحمة ﴿ مجيب ﴾ لمن
دعاه ﴿ قد كنت فينا ﴾
مرجوا ﴿ قال كعب كانوا ﴾
يرجون له للملكة بعد ملكة
لأنه كان ذا حسب وثروة
وعن ابن عباس كان فاضلاً
خيراً انقدمك على جميعنا
والإشارة بهذا الى الامر
بعبادة الله تعالى وافرادهم

ما يعبد آباؤنا واننا في شك مما ندعونا اليه مريب ﴿ قرأ ابن وثاب والأعمش والي ثمود بالصرف على ارادة الحى ﴾ والجمهور على منع الصرف ذهابا الى القبيلة أنشأكم اخترعكم وأوجدكم وذلك باختراع آدم أصلهم فكان انشاء الأصل انشاء للفرع ﴿ وقيل من الأرض باعتبار الأصل المتولد منه النبات المتولد منه الغذاء المتولد منه المنى ودم الطمث المتولد منهما الانسان ﴾ وقيل من بمعنى في واستعمركم جعلكم عمارا ﴿ وقيل استعمركم من العمر أى استبقاكم فيها قاله الضحاك أى أطال أعماركم ﴾ وقيل من العمرى قاله مجاهد فيكون استعمر في معنى أعماركم كاستهلكه في معنى أهلكه والمعنى أعماركم فيها دياركم ثم هو وارثها منكم أو بمعنى جعلكم معمرين دياركم فيها لان من ورث داره من بعده فانه أعمارها ياها لانه يسكنها عمره ثم يتركها لغيره ﴿ وقال زيد بن أسلم استعمركم أعماركم بعمارة ما تحتاجون اليه من بناء مساكن وغرس أشجار ﴾ وقيل ألهمكم عمارتها من الحرث والغرس وحفر الأنهار وغيرها ان ربي قريب أى داني الرحمة مجيب لمن دعاه ﴿ قد كنت فينا مريجا ﴾ قال كعب كانوا يرجونه للمملكة بعد ملكهم لانه كان ذا حسب وثروة ﴿ وعن ابن عباس فاضلا خيرا تقدمك على جميعنا ﴾ وقال مقاتل كانوا يرجون رجوعه الى دينهم اذ كان يبغض أصنامهم ويعبدل عن دينهم فاما أظهر انذارهم انقطع رجائهم منه وذكر الماوردي يرجون خيره فلما أنذرهم انقطع رجائهم خيره ﴿ وبسط الرمح شري هذا القول فقال فينا فيما بيننا مريجا كانت تلوح فيك مخايل الخير وأمارات الرشدا فكنا ترجو لك لنتنفع بك وتكون مشاورا في الأمور مشرشا في التدابير فانه انطقت بهذا القول انقطع رجائنا عنك وعلمنا أن لا خير فيك انتهى ﴾ وقيل لما كان قوى الخاطر وكان من قبيلتهم قوى رجائهم في أن ينصر دينهم ويقوى مذهبهم ﴿ وقال ابن عطية والظاهر الذي حكاه الجمهور أن قوله مريجا مشورا ثم فيك ان تكون سيدا سادامسدا الأكارثم قرر وه على التوبيخ في زعمهم بقولهم أتنهانا ﴾ وحكى النقاش عن بعضهم انه قال معناه حقير افا ان يكون لفظ مريجو بمعنى حقير فليس ذلك في كلام العرب وانما يتجه ذلك على جهة التفسير للمعنى وذلك ان القصد بقولهم مريجا بقول لقد كنت فينا سهلا مريما قريبار دأمر لك من لا يظن أن يستعجل من أمره مثل هذا فعنى مريجا أى مؤخر الاطراحه وغلبته ونحو هذا فيكون ذلك على جهة الاحتقار ولذلك فسر بحقير ثم يحكى بقولهم أتنهانا على جهة التوعيد والاستبشاع لهذه المقالة منه انتهى وما يعبد آباؤنا حكاية حال ماضية واننا لغتان لقريش ﴿ قال الفراء من قال اننا أخرج الحرف على أصله لأن كناية المتكلمين نافا جمعت ثلاث نونات ومن قال اننا استثقل اجتماعها فأسقط الثالثة وأبقى الأولتين والذي اختاره ابن ناضمير المتكلمين لا تكون المحذوفة لان في حذفها حذف بعض اسم وهي منه حرف ساكن وانما المحذوفة النون الثانية من ان فحذفت لا اجتماع الامثال وبقي من الحرف الهمزة والنون الساكنة بعد هذا أولى من حذف ما بقى منه حرف وأيضا فقد عهد حذف هذه النون مع غير ضمير المتكلمين ولم يعهد حذف نون نافا كان حذفها من أن أولى ومريب اسم فاعل من متعذرا به أوقعه في الريبة وهي قلق النفس وانتفاء الطمأنينة أو من لازم أراب الرجل اذا كان ذار يبة وأسند ذلك الى الشك اسنادا مجازيا ووجود مثل هذا الشك كوجود التصديق على الكفر ﴿ قال يا قوم أرأيتم ان كنت على بينة ﴾ الآية تقدم الكلام على أرأيتم في قصة نوح صلى الله عليه وسلم ﴿ غير تخسير ﴾ غير أن أخسر كم أى أنسبكم الى الخسران وأقول انكم

خاسرون ففعل هذا للنسبة كفسقة وفجرتها أى نسبته الى الفسق والفجور قال الزمخشري فان قلت فيم يتعلق لكم قلت بآية

ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب فعقر وهافقال تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير
مكذوب * تقدم الكلام في رأيتم في قصة نوح والمفعول الثاني هنا لا رأيتم محذوف يدل عليه قوله
فمن ينصرنى من الله ان عصيته والتقدير أعصيه في ترك ما أنا عليه من البينة * وقال ابن عطية رأيتم
هو من رؤية القلب والشرط الذي بعده وجوابه يسد مسد مفعولى عامت وأخواتها وادخال أداة
الشرط التي هي ان على جملة محققة وهي كان على بينة من ربه لكنه خاطب الجاحدين للبينة
فكانه قال قدروا أنى على بينة من ربي وانظروا ان تابعتم وعصيت ربي في أو أمره فمن يمنعني من
عذابه * قال ابن عطية وفي الكلام محذوف تقديره أيضري في شككم أو أيمكنني طاعتكم ونحو هذا
مما يليق بمعنى الآية انتهى وهذا التقدير الذي قدره استشعار منه بالمفعول الثاني الذي يقتضيه رأيتم
وأن الشرط وجوابه لا ينعان ولا يسدان مسد مفعولى رأيتم والذي قدرناه نحن هو الظاهر لدلالة
قوله فمن ينصرنى من الله ان عصيته فانز يدونى غير تخسير * قال الزمخشري غير أن أخسر كم أى
أنسبكم الى الخسران وأقول انكم خاسرون انتهى يفعل هذا للنسبة كفسقته وبقرته أى نسبته الى
الفسق والفجور * قال ابن عباس معناه ما نزدونى بعبادتكم الابصار في خسرانكم انتهى فهو
على حذف مضاف أى غير بصاوة تخسيركم * وقال مجاهد ما زدادون أنتم باحتجاجكم بعبادة آبائكم
الا خسار أو أضاف الزيادة الى نفسه لانهم أعطوه ذلك وكان سألهم الايمان * وقال ابن عطية فما
تعطونى فيما اقتضيته منكم من الايمان غير تخسير لانفسكم وهو من الخسارة وليس التخسير اللهم وفي
خيرهم وأضاف الزيادة اليه من حيث هو مقتض لا قوالهم موكل بايمانهم كما تقول لمن توصيه أنا
أريدك خيرا وأنت تريدنى سوءا وكان الوجه البين أن يقول وأنت تريد شررا لكن من حيث كنت
مريد خيرا ومقتضى ذلك حسن أن يضيف الزيادة الى نفسك انتهى * وقيل التقدير فثا تخملوننى
عليه غير أنى أخسر كم أى أرى منكم الخسران * وقيل التقدير تخسرونى أعمالكم وتبطلونها
* قيل وهذا أقرب لأن قوله فمن ينصرنى من الله ان عصيته كالدلالة على أنه أراد ان تابعتمكم فيما
أنتم عليه ودعوتكم الى الله لم أزد الا خسرا نافي الدين فأصير من الهالكين الخاسرين وانتصب آية
على الحال والخلاف في الناصب في نحو هذا زيد منطلقا أهو حرف التنبيه أو اسم الإشارة أو فعل
محذوف جاز في نصب آية ولكم في موضع الحال لأنه لو تأخر لكان نعما لآية فلما تقدم على النكرة
كان حالا والعامل فيها محذوف * وقال الزمخشري (فان قلت) فبم يتعلق لكم (قلت) بآية حالانها
متقدمة لانها لو تأخرت لكان صفة لها فاما تقدمت انتصبت على الحال انتهى وهذا متناقض لأنه من
حيث يتعلق لكم بآية كان لكم معمولا لآية واذا كان معمولا لها امتنع أن يكون حالانها لان
الحال يتعلق بمحذوف فيتناقض هذا الكلام لانه من حيث كونه معمولا لها كانت هي العاملة
ومن حيث كونه حالانها كان العامل غيرها وتقدم الكلام على الجمل التي بعد آية * وقرأت فرقة
تأكل بالرفع على الاستئناف أو على الحال وقريب عاجل لا يستأخر عن مسكموها بسوء الايسيرا
وذلك ثلاثة أيام ثم يقع عليكم وهذا الاخبار بوحي من الله تعالى فعقر وهانصب الى جميعهم وان كان
العافر واحدا لانه كان برضائهم وتماثلو ومعنى تمتعوا استمتعوا بالعيش في داركم في بلدكم وتسمى
البلاد الديار لانها يدار فيها أى يتصرف يقال ديار بكر لبلادهم قاله الزمخشري * وقال ابن عطية في
داركم جمع دارة كساحة وساح وسوح ومنه قول أمية بن أبى الصلت

هذا متناقض لأنه من حيث يتعلق لكم بآية كان لكم معمولا لآية واذا كان معمولا لها امتنع أن يكون حالانها لان الحال يتعلق

لانه من حيث يتعلق لكم
بآية كان لكم معمولا لآية
واذا كان معمولا لها امتنع
أن يكون حالانها لان
الحال يتعلق بمحذوف
فيتناقض هذا الكلام
لانه من حيث كونه
معمولا لها كانت هي
العاملة ومن حيث كونه
حالاتها كان العامل
غيرها ومعنى تمتعوا
استمتعوا بالعيش في
داركم في بلدكم وتسمى
البلاد الديار ذلك
أى الوعد بالعذاب غير
مكذوب أى صدق حق
والاصل غير مكذوب فيه
فاتسع فيه بحرف الجر

(الدر)

(ح) وانتصابه على الحال
والخلاف في الناصب في
نحو هذا زيد منطلقا
أهو حرف التنبيه أو اسم
الإشارة أو فعل محذوف
جار في نصب آية ولكم في
موضع الحال لأنه لو تأخر
لكان نعما لآية فلما تقدم
على النكرة كان حالا
والعامل فيها محذوف (ش)
فان قلت فبم يتعلق لكم
قلت بآية حالانها مقدمة
لأنها لو تأخرت لكانت
صفة لها فلما تقدمت
انتصبت على الحال (ح)

بمحدوف فتناقض هذا الكلام لانه من حيث كونه معمولاً لها كانت هي العاملة ومن حيث كونه حالاً منها كان العامل غيرها وأجرى الضمير مجرى المفعول به ﴿ فلما جاء أمرنا نجينا صالحاً ﴾ والكلام في جاء أمرنا كالكلام السابق في قصة هود ومن يتعلق بمحدوف أي ونجينا هم من خزي أي وكانت النتيجة من خزي يومئذ وقرئ ومن خزي بالتثنية ونصب يومئذ على الظرف معمولاً لخزي وقرئ بالاضافة وفتح الميم والتنوين في اذتنوين عوض من الجملة المحذوفة المتقدمة الذ كرأى ومن فضيحة يوم اذ جاء الامر وحل بهم وقال الزمخشري ويجوز أن يريد يومئذ يوم القيامة كما فسر العذاب الغليظ بعذاب الآخرة انتهى وهذا ليس بجيد لأن التنوين في اذتنوين عوض ولم يتقدم الاقوله فلما جاء أمرنا ولم يتقدم جملة فيها ذكر يوم القيامة ولا ما يكون فيها فيكون هذا التنوين عوضاً من الجملة التي تكون في يوم القيامة وناسب مجيء الامر وصفه تعالى بالقوى العزيز فانهما من صفات الغلبة والقهر والانتقام والجملة التي (٢٤٠) بعد هذا تقدم الكلام عليها في الاعراف * ولقد جاءت

رسلنا ابراهيم بالبشرى
الآيات أدرج شيئاً من
أخبار ابراهيم صلى الله
عليه وسلم بين قصة صالح
ولوط لان له دخلاً في
قصة لوط وكان ابراهيم ابن
خالة لوط عليهما السلام
والرسل هنا الملائكة
بشرت ابراهيم صلى الله
عليه وسلم بثلاث بشارت
بالولد وبالحلة وبانجاء
لوط ومن آمن معه قيل
كانوا اثني عشر ملكاً
قاله ابن عباس وانتصب
سلاماً على اضمار الفعل أي
سأنا عليك سلاماً فسلاماً
قطعه معمولاً للفعل المضمر
الحكي فقالوا وسلام خبر
مبتدأ محذوف أي أمرى
وأمركم سلام أو مبتدأ
محذوف الخبر أي عليكم سلام

له داع بمكة مشعل * وآخر فوق دارته ينادي

ويمكن أن يسمى جميع مسكن الحي داراً انتهى ذلك أي الوعد بالعذاب غير مكذوب أي صدق حق والأصل غير مكذوب فيه فأتسع فحذف الحرف وأجرى الضمير مجرى المفعول به أو جعل غير مكذوب لانه وفي به فقد صدق أو على أن المكذوب هنا مصدر عنده من يثبت أن المصدر يجيء على زنة مفعول ﴿ فلما جاء أمرنا نجينا صالحاً والذين آمنوا معه برحمة منا ومن خزي يومئذ ان ربك هو القوى العزيز وأخذ الذين ظلموا الصيعة فأصبحوا في ديارهم جائئين كان لم يغنوا فيها الا ان ثمودا كفروا ربهم الا بعد الثمود ﴾ والكلام في جاء أمرنا كالكلام السابق في قصة قوم هود * قيل الواو زائدة في ومن أي من خزي يومئذ فيتعلق من بنجينا وهذا لا يجوز عند البصريين لان الواو لا تزداد عندهم بل تتعلق من بمحدوف أي ونجينا هم من خزي أي وكانت النتيجة من خزي يومئذ * وقرأ طلحة وابان بن تغلب ومن خزي بالتنوين ونصب يومئذ على الظرف معمولاً لخزي * وقرأ الجمهور بالاضافة وفتح الميم نافع والكسائي وهي فحة بناء لاضافة الى اذ وهو غير متمكن * وقرأ باقي السبعة بكسر الميم وهي حركة اعراب والتنوين في اذتنوين عوض من الجملة المحذوفة المتقدمة الذ كرأى ومن فضيحة يوم اذ جاء الامر وحل بهم * وقال الزمخشري ويجوز أن يريد بيومئذ يوم القيامة كما فسر العذاب الغليظ بعذاب الآخرة انتهى وهذا ليس بجيد لان التنوين في اذتنوين عوض ولم يتقدم الاقوله فلما جاء أمرنا ولم يتقدم جملة فيها ذكر يوم القيامة ولا ما يكون فيها فيكون هذا التنوين عوضاً من الجملة التي تكون في يوم القيامة وناسب مجيء الامر وصفه تعالى بالقوى العزيز فانهما من صفات الغلبة والقهر والانتقام والجملة التي بعد هذا تقدم الكلام عليها في الاعراف الا ان ثمود منع جزه وحفص صرفه وصرفه الباقيون لثمود صرفه الكسائي ومنعه باقي السبعة * ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا سلاماً قال سلاماً فالبث أن جاء بعجل حينئذ فادار أي أيديهم لا تصل اليه نكرهم وأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف انا أرسلنا الى قوم لوط وامرأته

والجملة محكية وان كان حذف منها أحد جزءها ﴿ فالبث ﴾ مانافية ولبث معناه تأخر وأبطأ وأن جاء فاعل بلبث التقدير فأتاخر حينئذ ان جاء ويجوز أن يكون في لبث ضمير ابراهيم فهو فاعل وأن جاء على اسقاط الحرف فقدّر بأن وبعن وبقي وهذا من أدب الضيافة وهو تعجيل القرى وكان مال ابراهيم البقر فقدّم أحسن ما فيه وهو العجل ومعنى ﴿ حينئذ ﴾ أي مشوى ﴿ لا تصل اليه ﴾ أي الى أكله ﴿ نكرهم ﴾ أي أنكرهم قال الشاعر وأنكرتني وما كان الذي نكرت * من الحوادث الا الشيب والصلعا ﴿ فأوجس منهم خيفة ﴾ قال الحسن حدث به نفسه والظاهر انه لم يعرف أنهم ملائكة لحيثهم في صورة البشر وكان مشغولاً

(الدر) (ح) التنوين في اذ تنوين عوض من الجملة المحذوفة المتقدمة الذ كرأى ومن فضيحة يوم اذ جاء الامر وحل بهم (ش) ويجوز أن يريد يومئذ يوم القيامة كما فسر العذاب الغليظ بعذاب الآخرة انتهى (ح) هذا ليس بجيد لان التنوين في اذتنوين عوض ولم يتقدم الاقوله فلما جاء أمرنا ولم يتقدم جملة فيها ذكر يوم القيامة ولا ما يكون فيها فيكون هذا التنوين

باكرام الاضياف فلذلك جاؤا في صورهم وانما عرف أنهم ملائكة بقولهم لا تخف اننا أرسلنا الى قوم لوط وامر أنه قائمة وهي سارة بنت هاران بن تاخور وهي ابنة عمه قائمة أي لخدمة الاضياف وكان نساؤهم لا تحتجب كعادة العرب ونازلة البوادي والصحراء ولم يكن التبرج مكر وهاعندهم وكانت عجوزا وخدمة الضيفان بما (٢٤١) تعدن مكارم الاخلاق فضحكتم قال مجاهد

حاضت وقال الجمهور هو الضحك المعروف فليل هو مجاز معبر به عن طلاقة الوجه وسروره بنجاة أخيها وهلاك قومه ﴿فبشرناها﴾ هذا موافق لقوله تعالى ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى والمعنى فبشرناها على لسان رسلنا بشرتها الملائكة باسحق وبأن اسحق سليل يعقوب ﴿يا ويلتنا﴾ الالف في يا ويلتنا بدل من يا اضافة ويا ويلتنا كلمة تخف على أفواه النساء اذا طرأ عليهن ما يتعجبن منه واستفهمت بقولها أألد استفهام انكار وتعجب ﴿وأنا عجوز﴾ وما بعده جلت حال وانتصب ﴿شيخا﴾ على الحال والاشارة بهذا الى بعلى تعجبت من حدوث ولدين شيخين هرمين واستغربت ذلك من حيث العادة لانكارا لقدرة الله تعالى ﴿قالوا﴾ أي الملائكة ﴿أنعجبين﴾ استفهام انكار لعجبتها ﴿فما ذهب عن ابراهيم الروع﴾ الآية الروع الخيفة

قائمة فضحكتم فبشرناها باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب قالت يا ويلتي أألد وأنا عجوز وهذا بعلى شيخا ان هذا لشيء عجيب قالوا أنعجبين من أمر الله رحمت الله وبركاته عليكم أهل البيت انه جيد مجيد ﴿تقدم أن ترتيب قصص هذه السورة كترتيب قصص الاعراف وانما أدرج شيئا من أخبار ابراهيم عليه السلام بين قصة صالح ولوط لان له دخلا في قصة لوط وكان ابراهيم ابن خالة لوط والرسول هنا الملائكة بشرت ابراهيم بثلاث بشار بالولد وبالخلة وبانجاء لوط ومن آمن معه ﴿قيل كانوا اثني عشر ملكا روى ذلك عن ابن عباس﴾ وقال السدي أحد عشر وحكى صاحب الغنيان عشرة منهم جبريل ﴿وقال الضحاك تسعة﴾ وقال محمد بن كعب ثمانية ﴿وحكى الماوردي أربعة﴾ وقال ابن عباس وابن جبر ثلاثة جبريل وميكائيل واسرافيل ﴿وقال مقاتل جبريل وميكائيل وملك الموت﴾ وروى ان جبريل عليه السلام كان مختصا باهلاك قوم لوط وميكائيل يبشرى ابراهيم باسحاق عليهما السلام واسرافيل بانجاء لوط ومن آمن معه ﴿قيل وكانت الملائكة جردا مردا على غاية من الحسن والجمال والهجة ولهذا يضرب بهم المثل في الحسن كما قال تعالى حكاية عما قيل في يوسف ما هذا بشرا ان هذا الاملك كريم﴾ وقال الغزالي

قوم اذا قوبلوا كانوا ملائكة ﴿حسنوا و قوتلوا كانوا عفاريتا وانتصب سلاما على اضمار الفعل أي سامنا عليك سلاما فسلاما قطعته معمولا للفعل المضمر المحكي بقالوا قال ابن عطية ويصح أن يكون سلاما حكاية لمعنى ما قالوا الاحكاية لفظهم قاله مجاهد والسدي ولذلك عمل فيه القول كما تقول لرجل قال لاله الا الله قلت حقا واخلاصا ولو حكيت لفظهم لم يصح أن يعمل فيه القول انتهى ويعنى لم يصح أن يعمل في لفظهم القول يعنى في اللفظ وان كان مالفظوا به في موضع المفعول للقول وسلام خبر مبتدا محذوف أي أمرى أو أمركم سلام أو مبتدا محذوف الخبر أي عليكم سلام والجملة محكية وان كان حذف منها أحد جزءها كما قال ﴿اذا ذقت فهاقلت طعم مدامة﴾ أي طعمه طعم مدامة ﴿وقرأ الاخوان قال سلم والسلم السلام كرم وحرام ومنه قول الشاعر

مررنا فقلنا ايه سلم فسلمت ﴿كما اکتل بالبرق الغمام اللوامح

اكتل اتخذنا كليلًا﴾ قال ابن عطية ويحتمل أن يريد بالسلم ضد الحرب تقول نحن سلم لكم انتهى ونصب سلاما بدل على التجدد ورفع سلاما بدل على الثبوت والاستقرار والاقرب في اعرابنا لبث أن تكون مانافية ولبت معناه تأخر وابطأ وأن جاء فاعل بلبث التقدير فأتا آخر مجيئه قاله الفراء وجوزوا ان يكون في لبث ضمير ابراهيم فهو فاعل وأن جاء على اسقاط الحرف فقدر بان وبعن وبني وجعل بعضهم أن بمعنى حتى حكاها ابن العربي وأن تكون ما مصدرية وذلك المصدر في موضع رفع بالابتداء وأن تكون بمعنى الذي أي فلبثه أو الذي لبثه والخبر ان جاء على حذف أي قدر مجيئه وهذا من أدب الضيافة وهو تعجيل القرى وكان مال ابراهيم البقر فقدم أحسن ما فيه وهو

(٣١ - تفسير البحر المحيط لابي حيان - خامس) التي كان أوجسها في نفسه حين نكر أضيافه والمعنى اطمان قلبه ببعامه أنهم ملائكة والبشرى تبشيره بالولد أو بأن المراد بمجيئهم غير موجود لما محذوف تقديره اجترأ على الخطاب ودل على ذلك الجملة

(الدر) عوضا من الجملة التي تكون في يوم القيامة

العجل * قال مجاهد حينئذ مطبوح * وقال الحسن نضج مشوى سمين يقطر ودكا * وقال السدي سمين * وقيل سميط لا يصل اليه أي الى العجل والمعنى لا يمدون أيديهم الى أكله فلم ينف الوصول الناشئ عن المدبل جعل عدم الوصول استعارة عن امتناعهم من الأكل نكروهم أي أنكروهم قال الشاعر

وأنكرتني وما كان الذي نكرت * من الحوادث إلا الشيب والصلعا
* وقيل نكرو فيما يرى وأنكر فيما لا يرى من المعاني فكان الشاعر قال وأنكرت مودتي ثم جاءت بنكر الشيب والصلع مما يرى بالبصر ومنه قول أبي ذؤيب

فنكرته فنفرن وأمرست به * هو جاء هادية وهادج رشح

وروى أنهم كانوا ينكثون بقداح كانت بأيديهم في اللحم ولا تصل أيديهم اليه وينبغي أن ينظر من الضيف هل يأكل أو لا ويكون بتلفت ومسارة لا بتعديد النظر لأن ذلك مما يجعل الضيف مقصر في الأكل قيل كان إبراهيم عليه السلام ينزل في طرف من الأرض مخافة أن يري دوابه مكرها * وقيل كانت عاداتهم إذا مس من يطرقهم طعامهم أنسوا ولا خافوه قال الزمخشري و يظهر أنه أحس بأنهم ملائكة ونكروهم لأنه تخوف أن يكون نزولهم لأنكره الله عليه أو لتعذيب قومه ألا ترى إلى قولهم لا تخف أنا أرسلنا إلى قوم لوط وأنما يقال هذا لمن عرفهم ولم يعرف فيما أرسلوا * قال مقاتل فاجس وقع في قلبه * وقال الحسن حدثت به نفسه قيل وأصل الوجوس الدخول فكان الخوف دخل عليه والظاهر أنه لم يعرف أنهم ملائكة لجميهم في صورة البشر وكان مشغوقا بكرام الاضياف فلذلك جاؤا في صورهم ولمسارعة إلى احضار الطعام اليهم ولأن امتناع الملائكة من الأكل لا يدل على حصول الشر وإنما عرف أنهم ملائكة بقولهم لا تخف أنا أرسلنا إلى قوم لوط فهو عن شيء وقع في نفسه وعرفوا خيفته بكون الله جعل لهم من الاطلاع ما لم يجعل لغيرهم كقوله تعالى يعلمون ما تفعلون وفي الحديث الصحيح قالت الملائكة رب عبدك هذا يريد أن يعمل سيئة الحديث أو بما يلوح في صفحات وجد الخائف وأمر أنه قائم جملة من ابتداء وخبر قال الخوفي وأبو البقاء في موضع الحال قال أبو البقاء من ضمير الفاعل في أرسلنا يعني المفعول الذي لم يسم فاعله والزمخشري يسميه فاعلا لقيامه مقام الفاعل وقال الخوفي والتقدير أرسلنا إلى قوم لوط في حال قيام امرأته يعني امرأة إبراهيم والظاهر أنه حال من ضمير قالوا أي قالوا لإبراهيم لا تخف في حال قيام امرأته وهي سارة بنت هاران بن ناخور وهي ابنة عمه قائمة أي لخدمة الاضياف وكانت نسأؤهم لا تتعجب كعادة الاعراب ونازلة البوادي والصحراء ولم يكن التبرج مكرها وكانت عجوزا وخدمة الضيفان مما يعبد من مكارم الاخلاق قاله مجاهد وجاء في شريعته مثل هذا من حديث أبي أسيد الساعدي وكانت امرأته عرسا فكانت خادمة الرسول ومن حضر معه من أصحابه * وقال وهب كانت قائمة وراء الستر تسمع محاورتهم * وقال ابن اسحاق قائمة تصلي * وقال المبرد قائمة عن الولد * قال الزمخشري وفي مصحف عبد الله وأمر أنه قائمة وهو قاعد * وقال ابن عطية وفي قراءة ابن مسعود وهي قائمة وهو جالس ولم يتقدم ذكر امرأته إبراهيم فيضمير لكنه يفسره سياق الكلام * قال مجاهد وعكرمة فضحكت حاضت * قال الجمهور هو الضحك المعروف * فقيل هو حجاز معبر به عن طلاقة الوجه وسروره بنجاة أخيه أو هلاك قومه يقال أتيت على روضة تضحك أي مشرقة * وقيل هو حقيقة * فقال مقاتل وروى عن ابن عباس ضحكت من شدة خوف إبراهيم

وهو في أهله وغلمانه والذين جاؤه ثلاثة وهي تعبد يعلب الأربعين * وقيل المائة * وقال قتادة
ضحكت من غفلة قوم لوط وقرب العذاب منهم * وقال السدي ضحكت من امساك الاضياف عن
الأكل وقالت عجبا لاضيافنا خدمهم بأنفسنا وهم لا يأكلون طعامنا * وقال وهب بن منبه وروى
عن ابن عباس ضحكت من البشارة بإسحاق وقال هذا مقدم بمعنى التأخير وذكر ابن الأنباري أن
ضحكها كان سرورا بصدق ظنهم لأنها كانت تقول لابراهيم اضم اليك ابن أخيك لوطا وكان أخاها
فانه سينزل العذاب بقومه * وقيل ضحكت لما رأت من المعجز وهو ان الملائكة مسحبت العجل
الخنيد فقام حيا يطفر والذي يظهر والله أعلم انهم لما لم يأكلوا وأوجس في نفسه خيفة بعدم انكر
حالم لحق المرأة من ذلك أعظم ما لحق الرجل فلهذا قالوا لا تخف وذكر واسبب مجيئهم زال عنه الخوف
وسر فلحقها هي من السرور ان ضحكت إذ النساء في باب الفرح والسرور أطرب من الرجال
وغالب عليهن ذلك وقد أشار الزمخشري الى طرف من هذا فقال فضحكت سرورا بزوال الخيفة
وذكر محمد بن قيس سببا لضحكها تركنا ذكره لفظاعته يوقف عليه في تفسير ابن عطية وقرأ محمد بن
زياد الاعرابي رجل من قراء مكة فضحكت بفتح الحاء * قال المهدوي وفتح الحاء غير معروف
فبشرناها هذا موافق لقوله تعالى ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى والمعنى فبشرناها على لسان
رسلنا ببشرتها الملائكة بإسحاق وبأن اسحاق سيولد يعقوب * قال ابن عطية أضاف فعل الملائكة
الى ضمير اسم الله تعالى إذ كان ذلك بأمره ووحيه * وقال غيره لما ولد لابراهيم اسماعيل عليهما
السلام من هاجر تمت سارة أن يكون لها ابن وأيسر لكبر سنها فبشرت بولدي يكون نبيا وولد نبيا
فكان هذا ابتداء لها بأن ترى ولدولدها وانما بشر وهادونه لأن المرأة أعجل فرجا بولدها ولأن
ابراهيم قد بشره وأمنوه من خوفه فأتبعوا بشارته ببشرتها * وقيل خصت بالبشارة حيث
لم يكن لها ولد وكان لابراهيم عليه السلام ولده اسماعيل والظاهر أن وراءها هنا ظرف استعمل اسم غير
ظرفي بدخول من عليه كأنه قيل ومن بعد اسحاق أو من خلف اسحاق ومعنى بعد * روى عن
ابن عباس واختاره مقاتل وابن قتيبة وعن ابن عباس أيضا أن وراء ولد الولد وبه قال الشعبي
واختاره أبو عبيدة وتسميته وراء هي قريبة من معنى وراء الظرف إذ هو ما يكون خلف الشيء
وبعده * فان قيل كيف يكون يعقوب وراء لاسحاق وهو ولده لصلبه وانما وراء ولد الولد فقد
أجاب عنه ابن الأنباري فقال المعنى ومن وراء المنسوب الى اسحاق يعقوب لأنه قد كان وراء
لابراهيم من جهة اسحاق فلو قال ومن وراء يعقوب لم يعلم أن هذا وراء منسوب الى اسحاق أم الى
اسماعيل فأضيف الى اسحاق لينكشف المعنى ويؤول اللبس انتهى وبشرت من بين أولاد اسحاق
بمعقوب لأنها لم تر غيره وهذه البشارة لسارة كانت وهي بنت تسع وتسعين سنة وابراهيم ابن
مائة سنة * وقيل كان بينهما غير ذلك وهي أقوال متناقضة وهذه الآية تدل على أن اسماعيل هو
الذبيح لأن سارة حين أخدمها الملك الجبار هاجر أم اسماعيل كانت شابة جميلة فاتخذ ابراهيم هاجر
سرية فعارت منها سارة فخرج بها وبابنها اسماعيل من الشام على البراق وجاء من يومه مكة وانصرف
الى الشام من يومه ثم كانت البشارة بإسحاق وسارة عجوز محالة وسيأتي الدليل على ذلك أيضا من
سورة الصافات ويجوز أن يكون الله سبحانه حاله البشارة بهذين الاسمين ويجوز أن يكون الاسمان
حدثا لما وقت الولادة وتكون البشارة بولدها بعده ولدها ذكر وحالة الاخبار عن البشارة ذكرها
باسمها كما يقول المخبر إذا بشر في النوم بولدها ذكر فوولده ولدها ذكر فسماهم مثلا عبد الله بشرت بعد

الله * وقرأ الحريمان والنخويان وأبو بكر يعقوب بالرفع على الابتداء ومن وراء الخبر كأنه قيل
 ومن وراء اسحاق يعقوب كائن وقدره الزخشي مولود أو موجود * قال النحاس والجملة حال
 داخله في البشارة أي فبشرناها باسحاق متصلا به يعقوب وأجاز أبو علي أن يرتفع بالجار والمجرور
 كما أجازوه الاخفش أي واستقر لها من وراء اسحاق يعقوب وقالت فرقة رفعه على القطع بمعنى
 ومن وراء اسحاق يحدث يعقوب * وقال النحاس ويجوز أن يكون فاعلا باضمار فعل تقديره
 ويحدث من وراء اسحاق يعقوب * قال ابن عطية وعلى هذا لا تدخل البشارة انتهى ولا حاجة الى
 تكلف القطع والعدول عن الظاهر المقتضى للدخول في البشارة * وقرأ ابن عامر وحجرة
 وحفص وزيد بن علي يعقوب بالنصب * قال الزخشي كأنه قيل ووهبنا له اسحاق ومن وراء
 اسحاق يعقوب على طريقة قوله * ليسوا مصلحين عشيرة * ولانا عب * انتهى يعني انه
 عطف على التوهم والعطف على التوهم لا ينقاس ولا يظهر أن ينتصب يعقوب باضمار فعل تقديره
 ومن وراء اسحاق وهبنا يعقوب ودل عليه قوله فبشرناها الآن البشارة في معنى الهبة ورجح هذا
 الوجه أبو علي ومن ذهب الى أنه مجرور معطوف على لفظ باسحاق أو على موضعه فقوله ضعيف
 لأنه لا يجوز الفصل بالظرف أو المجرور بين حرف العطف ومعطوفه المجرور لا يجوز مررت يزيد
 اليوم وأمس عمرو فان جاء في شعر فان كان المعطوف منصوبا أو مرفوعا في جواز ذلك خلاف
 نحو قام زيد واليوم عمرو وضربت زيدا واليوم عمرا والظاهر أن الالف في يا ويلتا بدل من ياء
 الاضافة نحو يالهفاو يا عجباً وأمال الألف من يا ويلتا عاصم وأبو عمرو والاعشى إذ هي بدل من الياء
 * وقرأ الحسن يا ويلتي بالياء على الاصل * وقيل الالف ألف الندة ووقف عليها بالهاء وأصل
 الدعاء بالويل ونحوه في التفجع لشدة مكر ودهم النفس ثم استعمل بعد في عجب يدهم النفس
 ويا ويلتا كلمة تخفف على أفواه النساء اذا طرأ عليهن ما يعجبن منه واستفهمت بقولها ألد استفهام
 انكار وتعجب وأنا عجوز وما بعده جملة حال وانتصب شيخا على الحال عند البصريين وخبر
 التقريب عند الكوفيين ولا يستغنى عن هذه الحال اذا كان الخبر معروفا عند المخاطب لأن الفائدة
 انما تقع بهذه الحال اما اذا كان مجهولا عنده فأردت أن تفيد المخاطب ما كان مجهوله فتجىء الحال
 على بابها مستغنى عنها * وقرأ ابن مسعود وهو في مصحفه والاعشى شيخ بالرفع وجوز وافية وفي بعلي
 أن يكونا خبرين كقولهم هذا حلو حامض وأن يكون بعلي الخبر وشيخ خبر مبتدأ محذوف أو بدل
 من بعلي وأن يكون بعلي بدلا أو عطف ببيان وشيخ الخبر والاشارة بهذا الى الولادة أو البشارة بها
 تعجبت من حدوث ولد بين شيخين هرمين واستغربت ذلك من حيث العادة لانكار القدرة الله
 تعالى قالوا أي الملائكة أتعجبين استفهام انكار لعجبها * قال الزخشي لأنها كانت في بيت
 الآيات ومهبط المعجزات والأمور الخارقة للعادة فكان عليها أن تتوفر ولا يزد عليها ما يزد هي سائر
 النساء في غير بيت النبوة وان تسبح الله وتمجده مكان التعجب والى ذلك أشارت الملائكة في قولهم
 رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت أرادوا أن هذه أمثالها مما يكرمكم رب العزة ويخصكم بالانعام به
 يا أهل بيت النبوة فليست بمكان عجيب وأمر الله قدرته وحكمته وقوله رحمة الله وبركاته عليكم
 كلام مستأنف علل به انكار التعجب كأنه قيل اياك والتعجب فان أمثال هذه الرحمة والبركة
 متكاثرة من الله عليكم * وقيل الرحمة النبوة والبركات الأسباط من بني اسرائيل لان الأنبياء
 منهم وكلهم من ولد ابراهيم انتهى * وقيل رحمة تحمته وبركاته فواصل خيره بالخلة والامامة * وروى

المستأنفة وهي بجادلنا يا ابراهيم أعرض عن هذا * أي قالت الملائكة والاشارة بهذا الى الجدال والمحاولة في شئ مفروغ منه والأمر ما قضاه وحكم به من عذابه الواقع بهم لا محالة * ولما جاءت رسلنا لوطا * الآية خرجت الملائكة من قرية ابراهيم صلى الله عليه وسلم الى قرية لوط وبينهما ثمانية أميال وقيل أربعة فراسخ فأتوها عشاء وقيل (٢٤٥) نصف النهار وجدوا لوطا صلى الله عليه وسلم في حرث له وقيل وجدوا ابنته

تسقى ماء في نهر سدوم وهي أكبر حواضر قومه فسألوها الدلالة على من يضيفهم ورأت هيئتهم تخافت عليهم من قوم لوط وقالت لهم مكانكم وذهبت الى أبيها فأخبرته فخرج اليهم فقالوا اننا نريد أن نضيفنا الليلة فقال لهم أو ماسعتم بعمل هؤلاء القوم فقالوا وما عملهم فقال أشهد بالله انهم شر قوم في الارض وقد كان الله تعالى قال للملائكة لا تعذبوهم حتى يشهد عليهم لوط أربع شهادات فاما قال هذه قال جبريل صلى الله عليه وسلم هذه واحدة وتردد القول منهم حتى كرر لوط الشهادة أربع مرات ثم دخل لوط المدينة فحينئذ سئ بهم أي لحقه سوء بسببهم وضاق ذرعهم

(الدر)

(ح) بين النصيب على المدح والنصب على الاختصاص فرق ولذلك جعل ماسيويه في بابين

ان سارة قالت لجبريل عليه السلام ما آية ذلك فأخذ عودا يابسافلاواه بين أصابعه فاهتز أخضر فسكن روعها وزال عجبها وهذه الجملة المستأنفة يحتمل أن تكون خبرا وهو الاظهر لانه يقتضي حصول الرحمة والبركة لهم ويحتمل أن يكون دعاء وهو مر جوح لان الدعاء انما يقتضي انه أمر يترجى ولم يتحصل بعد وأهل منصوب على النداء أو على الاختصاص وبين النصيب على المدح والنصب على الاختصاص فرق ولذلك جعل ماسيويه في بابين وهو ان المنصوب على المدح لفظ يتضمن بوضعه المدح كما ان المنصوب على الذم يتضمن بوضعه الذم والمنصوب على الاختصاص لا يكون الا المدح أو الذم لكن لفظه لا يتضمن بوضعه المدح ولا الذم كقوله * بناتما يكشف الضباب * وقوله * ولا الحجاج عيني بنت ماء * وخطاب الملائكة اياها بقولهم أهل البيت دليل على اندراج الزوجة في أهل البيت وقد دل على ذلك أيضا في سورة الاحزاب خلافا للشيعة اذ لا يعدون الزوجة من أهل بيت زوجها والبيت يراد به بيت السكنى * انه حميد وقال أبو الهيثم تحمدا فاعاله وهو بمعنى المجود * وقال الزمخشري فاعل ما يستوجب من عباده مجيد كريم كثير الاحسان اليهم * فله اذهب عن ابراهيم الروع وجاءته البشرية بجادلنا في قوم لوط ان ابراهيم حلیم أو اوه منيب * يا ابراهيم أعرض عن هذا انه قد جاء أمر ربك وانهم آتيتهم عذاب غير مر دود * الروع الخيفة التي كان أو جسد في نفسه حين نكر أضيفا للمعنى اطمأن قلبه بعلمه انهم ملائكة والبشرى تبشيره بالولد أو بان المراد بمجيئهم غيره وجواب لما محذوف كما حذف في قوله فلما ذهبوا به وتقديره اجترأ على الخطاب اذ فطن للمجادلة أو قال كيت وكيت ودل على ذلك الجملة المستأنفة وهي بجادلنا قال معناه الزمخشري * وقيل الجواب بجادلنا وضع المضارع موضع الماضي أي جادلنا وجاز ذلك لوضوح المعنى وهذا أقرب الأقوال * وقيل بجادلنا حال من ابراهيم وجاءته حال أيضا أو من ضمير في جاءته وجواب لما محذوف تقديره قلنا يا ابراهيم أعرض عن هذا واختار هذا التوجيه أبو علي * وقيل الجواب محذوف تقديره ظل أو أخذ بجادلنا حذف اختصار الدلالة ظاهر الكلام عليه والمجادلة قيل هي سؤاله العذاب واقع بهم لا محالة أم على سبيل الاخافة ليرجعوا الى الطاعة * وقيل تكلموا على سبيل الشفاعة والمعنى تجادل رسلنا وعن حذيفة انهم لما قالوا له اناهلكوا أهل هذه القرية قال أرأيتم ان كان فيها خمسة من المسلمين أتاهلكونها قالوا لا قال فأر بعون قالوا لا قال فثلاثون قالوا لا قال فمئرون قالوا لا قال فان كان فيهم عشرة أو خمسة شك الراوى قالوا لا قال أرأيتم ان كان فيها رجل واحد من المسلمين أتاهلكونها قالوا لا فعند ذلك قال ان فيه لوطا قالوا نحن أعلم عن فيها النجينة وأهله وكان ذلك من ابراهيم حرصا على ايمان قوم لوط ونجاتهم وكان في القرية أربعة آلاف ألف انسان وتقدم تفسير حلیم وأواه ومنيب يا ابراهيم أي قالت الملائكة والاشارة بهذا الى الجدال والمحاورة في شئ مفروغ منه والأمر ما قضاه وحكم به من عذابه الواقع بهم لا محالة ولا مرد له بجادل ولا دعاء ولا غير ذلك * وقرأ عمرو بن هرم وانهم أتاهم بلفظ الماضي وعذاب فاعل به عبر بالماضي عن المضارع لتحقيق وقوعه كقوله أتى أمر الله * ولما جاءت رسلنا لوطا سئ بهم

وهو ان المنصوب على المدح لفظ يتضمن بوضعه المدح كما ان المنصوب على الذم يتضمن بوضعه الذم والمنصوب على الاختصاص لا يكون الا المدح أو الذم لكن لفظه لا يتضمن بوضعه المدح ولا الذم كقوله * بناتما يكشف الضباب * وقوله * ولا الحجاج عيني بنت ماء *

﴿وقال هذا يوم عصيب﴾ أي شديد لما كان يتخوفه من تعدى قومه على أضيافه ﴿وجاءه قومه بهرعون اليه﴾ لما جاء لوط بضيفه لم يعلم بذلك أحد الأهل بيته فخرجت امرأته حتى أتت مجالس (٢٤٦) قومها فقالت ان لوطاً أضاف الليلة قوماً ما رؤى مثلمهم

جمالاً وكذا وكذا فحينئذ جاؤا بهرعون أي يسرعون كما يمدفعون دفعاً فعل الطامع الخائف فوت ما يطلبه ﴿ومن قبل كانوا يعملون السيئات﴾ أي كان ذلك دينهم وعادتهم أصروا على ذلك وصرخوا عليه فليس ذلك بأول انشاء هذه المعصية جاؤا بهرعون اليه لا يكفهم حياء لضرأوتهم عنها والتقدير في ومن قبل أي من قبل مجيئهم الى هؤلاء الأضياف وطلبهم ايأهم ﴿هؤلاء بناتي﴾ الأحسن أن تكون الاضافة مجازية أي بنات قومي أي البنات ﴿أطهر لكم﴾ اذا النبي ينزل منزلة الأب لقومه وقرئ أطهر على الحال فقيس هؤلاء مبتدأ وبناتي هن مبتدأ وخبر وقيل هؤلاء بناتي وخبر وهن مبتدأ أولكم خبره وقيل والعامل المضمر وقيل لكم بما فيه معنى الاستقرار وقيل هؤلاء بناتي مبتدأ وخبر وعن فصل وأطهر حال ورد بأن الفصل لا يقع إلا بين جزئي الجملة ولا يقع بين الحال وذو الحال وقد أجاز ذلك بعضهم وادعى

السمع فيه عن العرب لكنه قليل ﴿قال لو أن لي بكم قوة﴾ قال ذلك على سبيل التفجع وجواب لو محذوف تقديره لفعلت بكم وصنعت والظاهر أن أو عطفت جملة فعلية على جملة فعلية وضايق بهم ذرعا وقال هذا يوم عصيب وجاءه قومه بهرعون اليه ومن قبل كانوا يعملون السيئات قال يا قوم هؤلاء بناتي هن أطهر لكم فاتقوا الله ولا تخزون في ضيفي أليس منكم رجل رشيد ﴿قال لو أن لي بكم قوة أو آوى الى ركن شديد﴾ خرجت الملائكة من قرية ابراهيم الى قرية لوط وبينهما قيل ثمانية أميال ﴿وقيل أربعة فراسخ﴾ فأتوها عشاء ﴿وقيل نصف النهار ووجدوا لوطاً في حرث له﴾ وقيل وجدوا ابنته تستقي ماء في نهر سدوم وهي أكبر حواضر قوم لوط فسألوها الدلالة على من يضيفهم ورأت هيئتهم فخافت عليهم من قوم لوط وقالت لهم مكانكم وذهبت الى أبيها فأخبرته فخرج اليهم فقالوا اننا نريد أن تضيفنا الليلة فقال لهم أو ما سمعتم بعمل هؤلاء القوم فقالوا وما عملهم فقال أشهد بالله انهم شر قوم في الأرض وقد كان الله قال للملائكة لا تعذبوهم حتى يشهد عليهم لوط أربع شهادات فلما قال هذه قال جبريل هذه واحدة وتردد القول منهم حتى كرر لوط الشهادة أربع مرات ثم دخل لوط المدينة فحينئذ سئى بهم أي لحقهم سوء بسببهم وضايق ذرعه بهم وقال هذا يوم عصيب أي شديد لما كان يتخوفه من تعدى قومه على أضيافه وجاءه قومه بهرعون اليه لما جاء لوط بضيفه لم يعلم بذلك أحد الأهل بيته فخرجت امرأته حتى أتت مجالس قومها فقالت ان لوطاً أضاف الليلة قوماً ما رؤى مثلمهم جمالا وكذا وكذا فحينئذ جاؤا بهرعون أي يسرعون كما يدفعون دفعاً فعل الطامع الخائف فوت ما يطلبه ﴿وقرأ الجمهور بهرعون مبنياً للمفعول من أهرع أي بهرعهم الطامع﴾ وقرأت فرقة بهرعون بفتح الياء من هرع ﴿وقال مهلعل

لجأوا بهرعون وهم أسارى﴾ يقودهم على رغم الانوف ومن قبل كانوا يعملون السيئات أي كان ذلك دينهم وعادتهم أصروا على ذلك وصرخوا عليه فليس ذلك بأول انشاء هذه المعصية جاؤا بهرعون لا يكفهم حياء لضرأوتهم عنها والتقدير في ومن قبل أي من قبل مجيئهم الى هؤلاء الأضياف وطلبهم ايأهم ﴿وجعت السيئات﴾ وان كان المراد بها معصية اتيان الذكور اما باعتبار فاعليها أو باعتبار تكررها ﴿وقيل كانت سيئات كثيرة باختلاف أنواعها﴾ اتيان الذكور واتيان النساء في غير المأثي وحذف الحصة والحقيق في المجالس والأسواق والمكاء والصفير واللعب بالحمام والقمار والاستهزاء بالناس في الطرقات ووضع درهم على الأرض وهم يعيدون منه فنأخذ صاحوا عليه وخجلوه وانأخذ صبي تابعوه وراودوه هؤلاء بناتي الأحسن أن تكون الاضافة مجازية أي بنات قومي أي البنات ﴿أطهر لكم﴾ اذا النبي ينزل منزلة الأب لقومه وفي قراءة ابن مسعود النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم ويدل عليه أنه فيما قيل لم يكن له البنات وهذا بلفظ الجمع وأيضا فلا يمكن أن يزوج ابنتيه من جميع قومه ﴿وقيل أشار الى بنات نفسه وندبهم الى النكاح﴾ اذ كان من سنتهم تزويج المؤمنة بكافر أو على أن في ضمن كلامه أن يؤمنوا ﴿وقيل كان لهم سيدان مطاعان فأراد أن يزوجهما ابنتيه زغوراً وزيماً﴾ وقيل كن ثلاثاً ومعنى أطهر أنظف فعلاً ﴿وقيل أحل وأطهر بيتا ليس أفعل التفضيل اذ لا تطهارة في اتيان الذكور﴾ وقرأ الجمهور أطهر بالرفع

﴿قالوا يا لوط انارسل ربك﴾ روى أن لوط صلى الله عليه وسلم غلبوه (٢٤٧) وهموا بكسر الباب وهو يمسكه قال له الرسل تنح عن الباب فتتحى فانفتح الباب فضر بهم جبريل بجناحه فطمس أعينهم فعموا وانصرفوا على أعقابهم بقولون النجاة النجاة فعند لوط قوم سحرة وتوعدوا لوطا حينئذ قالوا له انا رسل ربك الآية والجملة من قوله ﴿لن يصالوا اليك﴾ موضحة للذي قبلها لانهم اذا كانوا رسل الله لم يصالوا اليه ولم يقدروا على ضرره ثم أمروه بأن يسرى بأهله وقرى فاسر بالوصل وبالهمز ﴿بقطع من الليل﴾ قال ابن عباس بطائفة من الليل وقرى ﴿الا امرأتك﴾ بالنصب وهو استثناء من فاسر بأهلك وبالرفع بدل من قوله أحد قال الزخشي وفي آخرها مع اهله روايتان روى انه أخرجهما معهم وأمر أن لا يلتفت منهم أحد إلهي فاما سمعت هذة العذاب التفتت وقالت واقوماه فادركها حجر فقتلها وروى أنه أمر بان يخلفها مع قومها وأن هواها إليهم ولم يسربها واختلاف القراءتين لاختلاف الروايتين انتهى وهذا وهم فاحش اذ بنى القراءتين على اختلاف الروايتين

والاحسن في الاعراب أن يكون جملتان كل منهما مبتدأ وخبر وجوز في بنائى أن يكون بدلا أو عطف بيان وهن فصل وأظهر الخبر ﴿وقرأ الحسن وزيد بن علي وعيسى بن عمر وسعيد بن جبير ومحمد بن مروان السدى أظهر بالنصب﴾ وقال سيبويه هو لحن ﴿وقال أبو عمرو بن العلاء احتبى فيه ابن مروان في لحنه يعنى تربع ورويت هذه القراءة عن مروان بن الحكم وخرجت هذه القراءة على أن نصب أظهر على الحال ﴿فقيل هؤلاء مبتدأ وبنائى هن مبتدأ وخبر في موضع خبر هؤلاء وروى هذا عن المبرد﴾ وقيل هؤلاء بنائى مبتدأ وخبر وهن مبتدأ ولكم خبره والعامل قيل المضمر ﴿وقيل لكم بما فيه من معنى الاستقرار﴾ وقيل هؤلاء بنائى مبتدأ وخبر وهن فصل وأظهر حال ورد بان الفصل لا يقع الا بين جزءى الجملة ولا يقع بين الحال وذى الحال وقد أجاز ذلك بعضهم وادعى السماع فيه عن العرب لكنه قليل ثم أمرهم بتقوى الله في أن يؤثروا البنات على الاضياف ولا تخزون يحتمل أن يكون من الخزى وهو الفضيحة أو من الخزاية وهو الاستخياء لانه اذا خزى ضيف الرجل أو جاره فقد خزى هو وذلك من عراقة الكرم وأصل المروءة أليس منكم رجل يهتدى الى سبيل الحق وفعل الجليل والكف عن السوء وفى ذلك توبيخ عظيم لهم حيث لم يكن منهم رشيد البتة ﴿قال ابن عباس رشيد مؤمن﴾ وقال أبو مالك ناه عن المنكر ورشيد ذو رشد أو مرشد كالحكيم بمعنى المحكم والظاهر أن معنى من حق من نصيب ولا من غرض ولا من شهوة قالوا له ذلك على وجه الخلاعة ﴿وقيل من حق لانك لا ترى منا كتماننا لهم كانوا خطبوا بناته فردهم وكانت سنتهم ان من رد في خطبة امرأه لم تحل له أبدا﴾ وقيل لما اتخذوا التيان الذكران مذهبا كان عندهم انه هو الحق وان نكاح الاناث من الباطل وقيل لان عاداتهم كانت أن لا يتزوج الرجل منهم الا واحدة وكانوا كلهم متزوجين وانك لتعلم ما تريد معنى من اتيان الذكور وما لهم فيه من الشهوة قال لو أن لى بكم قوة قال ذلك على سبيل التفجع وجواب لو محذوف كما حذف فى ولو أن قرآنا سيرت به الجبال وتقديره لفعلت بكم وصنعت والمعنى فى الى ركن شديد من يستند اليه ويمتنع به من عسيرته شبه الذى يمتنع به بالركن من الجبل فى شدته ومنعته وكانه امتنع عليه أن ينتصر ويمتنع بنفسه أو بغيره مما يمكن أن يستند اليه ﴿وقال الخوفى وأبو البقاء أو آوى عطف على المعنى تقديره أو آوى والظاهر أن أو عطف جملة فعلية على جملة فعلية ان قدرت انى فى موضع رفع على الفاعلية على ما ذهب اليه المبرد أى لو ثبت أن لى بكم قوة أو آوى ويكون المضارع المقدر وآوى هذا وقعا موقع الماضى ولو التى هى حرف لما كان سيقع لوقوع غيره نقلت المضارع الى الماضى وان قدرت أن وما بعدها جملة اسمية على مذهب سيبويه فهى عطف عليها من حيث ان لو تأتى بعدها الجملة المقدرة اسمية اذا كان الذى ينسبك اليها أن ومعمولاها ﴿وقال أبو البقاء ويجوز أن يكون أو آوى مستأنفا انتهى ويجوز على رأى الكوفيين أن تكون أو بمعنى بل ويكون قد أضرب عن الجملة السابقة وقال بل آوى فى حالى معكم الى ركن شديد وكفى به عن جناب الله تعالى﴾ وقرأ أشيبه وأبو جعفر أو آوى بنصب الياء باضمار أن بعد أو فتقدر بالمصدر عطفًا على قوله قوة ونظيره من النصب باضمار أن بعد أو قول الشاعر ولولا رجال من رزام أعزة ﴿وآل سبيع أو يسوؤك علقما

أى أو ومساءتكم علقما﴾ قالوا يا لوط انارسل ربك لن يصالوا اليك فاسر بأهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم أحد الامر أنك انه مصيها ما أصابهم ان موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب فلما جاء

من أنه سرى بها وأنه لم يسربها وهذا تكاذب فى الاخبار يستحيل أن تكون القراءتان وهما من كلام الله ترتبان على التاكاذب والضمير فى ﴿انه﴾ ضمير الشأن و﴿مصيها﴾ مبتدأ و﴿ما أصابهم﴾ الخبر ﴿إن موعدهم الصبح﴾ أى موعد هلاكهم الصبح وجعل

الصبح ميقانا لهلا كهملان النفوس فيه أودع والراحة أجمع وروى (٢٤٨) أن لوطا صلى الله عليه وسلم خرج بابنتيه ليس معه غيرهما

أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك وما هي من الظالمين ببعيد * روى أن لوطا عليه السلام غلبوه وهملوا بكسر الباب وهو بمسكه قال له الرسل تنح عن الباب فتتحى وانفتح الباب فضر بهم جبريل عليه السلام بجناحه فطمس أعينهم وعموا وانصرفوا على أعقابهم يقولون النجاة النجاة فعند لوط قوم سحرة وتوعدوا لوطا حينئذ قالوا له ان رسل ربك * وروى أن جبريل نقب من خصاص الباب ورمى في أعينهم فعموا * وقيل أخذ قبضة من تراب وأذراها في وجوههم فاوصل إلى عين من بعد ومن قرب من ذلك التراب فطمست أعينهم فلم يعرفوا طريقا ولم يهتدوا إلى بيوتهم * وقيل كسر وابابه وتهجموا عليه ففعل بهم جبريل ما فعل والجملة من قوله لن يصلوا إليك موضحة للذي قبلها لانهم اذا كانوا رسل الله لن يصلوا اليه ولم يقدروا على ضرره ثم أمر وهبان يسرى باهله * وقرأ الخرميان فاسروا ناسر بوصل الألف من سرى وباقي السبعة بقطعها وأهلها ابتداء وطائفة يسيرة من المؤمنين بقطع من الليل * قال ابن عباس بطائفة من الليل * وقال الضحاك ببقية من آخره * وقال قتاده بعدمضى صدر منه * وقال ابن الاعرابي أى ساعة من الليل * وقيل بظلمة * وقيل انه نصف * وقيل انه نصف الليل مأخوذ من قطعه نصفين وقال الشاعر

ونائحة تنوح بقطع ليل * على رجل بقارعة الصعيد

* وقال محمد بن زياد السعري لقوله نجيناهم بسحر * قال ابن عطية ويحتمل انه أسرى باهله من أول الليل حتى جاوز البلد المقتلع ووقعت نجاته بسحر فتجتمع هذه الآية مع قوله الا آل لوط نجيناهم بسحر انتهى * وقال ابن الانباري القطع بمعنى القطعة مخص بالليل ولا يقال عندي قطع من الثوب * وقرأ ابن كثير وأبو عمرو والامرأتك بالرفع وباقي السبعة بالنصب فوجه النصب على انه استثناء من قوله باهلك اذ قبله أمر والامر عندهم كالواجب ويتعين النصب على الاستثناء من أهلك في قراءة عبد الله اذ سقط في قراءته وفي مصحفه ولا يلتفت منكم أحد وجوزوا أن يكون منصوبا على الاستثناء من أحد وان كان قبله نهى والنهى كالنفي على أصل الاستثناء كقراءة ابن عامر ما فعلوه الا قليلا منهم بالنصب وان كان قبله نفي ووجه الرفع على انه بدل من أحد وهو استثناء متصل * وقال أبو عبيدلو كان الكلام ولا يلتفت برفع الفعل ولسكنه نهى فاذا استثنيت المرأة من أحد وجب أن تكون المرأة أبج لها الالتفات فيفيد معنى الآية يعني ان التقدير يصير الامر أنك فانهم لم تنه عن الالتفات * قال ابن عطية وهذا الاعتراض حسن يلزم ان الاستثناء من أحد رفعت التاء أو نصبت والانفصال عنه يترتب بكلام محكي عن المبرد وهو ان النهى انما قصد به لوط وحده والالتفات منفي عنهم فالمعنى ان لا تدع أحدا منهم يلتفت وهذا كما تقول لرجل لا يقيم من هؤلاء أحد وأولئك لم يسمعوا فالمعنى لا تدع من هؤلاء يقوم والقيام في المعنى منفي عن المشار اليهم * وقال الرخشي وفي آخر اجها مع أهلها روايتان روى انه أخرجهما معهم وأمر أن لا يلتفت منهم أحد الا هي فلما سمعت هدة العذاب التفت وقالت واقوماه فأدركها حجر فقتلها روى انه أمر بان يخلفها مع قومها وان هوأها اليهم ولم يسر بها واختلاف القراءتين لا اختلاف الروايتين انتهى (ح) هذا وهم فاحش اذ بنى القراءتين على اختلاف الروايتين من انه سرى بها أو انه لم يسر بها وهذا تكاذب في الاخبار يستحيل ان تكون القراءتان وهما من كلام الله تترتبان على التكاذب * وقيل في الاستثناء من

عند طلوع الفجر وطوى الله تعالى له الارض في وقته حتى نجا ووصل الى ابراهيم صلى الله عليه وسلم والضمير في * عاليها * عائد على مدائن قوم لوط جعل جبريل صلى الله عليه وسلم جناحه في أسفلها ثم رفعها الى السماء حتى سمع أهل السماء نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها عليهم واتبعوا الحجارة من فوقهم وهي المؤتفكات سبع مدائن وقيل خمس عدها المفسرون وفي ضبطها إشكال * وأمطرنا عليها * أى على أهلها وروى أن الحجارة أصابت منهم من كان خارج مدنها حتى

(الدر)

(ش) وفي آخر اجها مع أهلها روايتان روى انه أخرجهما معهم وأمر أن لا يلتفت منهم أحد الا هي فلما سمعت هدة العذاب التفت وقالت واقوماه فأدركها حجر فقتلها روى انه أمر بان يخلفها مع قومها وان هوأها اليهم ولم يسر بها واختلاف القراءتين لا اختلاف الروايتين انتهى (ح) هذا وهم فاحش اذ بنى القراءتين على اختلاف الروايتين من انه سرى بها أو انه لم يسر بها وهذا تكاذب في الاخبار يستحيل ان تكون القراءتان وهما من كلام الله تترتبان على التكاذب * وقيل في الاستثناء من

بها وهذا تكاذب في الاخبار ويستحيل أن تكون القراءتان وهما من كلام الله تترتبان على التكاذب

الاهل اشكال من جهة المعنى اذ يلزم ان لا يكون سرى بها ولما التفتت كانت قدسرت معهم قطعاً
وزال هذا الاشكال أن يكون لم يسر بها ولو كنهم الماتبعتهم التفتت * وقيل الذي يظهر ان الاستثناء
على كلتا القراءتين منقطع لم يقصد به اخراجها من المأمور بالاسراء بهم ولا من المنهين عن
الالتفات ولكن استؤنف الاخبار عنها فالمعنى لكن امر أتلك بجري لها كذا وكذا ويؤيد هذا
المعنى ان مثل هذه الآية جاءت في سورة الحجر وليس فيها استثناء ألبتة قال تعالى فاسر باهلك بقطع
من الليل واتبع أدبارهم ولا يلتفت منكم أحد وامضوا حيث تؤمرون فلم تقع العناية في ذلك الا
بذكر من أنجاهم الله تعالى فجاء شرح حال امر أنه في سورة هود تبعا لامقصود بالاخراج مما تقدم
واذا انضح هذا المعنى علم أن القراءتين وردتا على ما تقتضيه العربية في الاستثناء المنقطع ففيه
النصب والرفع فالنصب لغة أهل الحجاز وعليه الاكثر والرفع لبنى تميم وعليه اثنان من القراء انتهى
وهذا الذي طول به لا تحقيق فيه فانه اذا لم يقصد اخراجها من المأمور بالاسراء بهم ولا من المنهين
عن الالتفات وجعل استثناء منقطعا كان الاستثناء المنقطع الذي لم يتوجه عليه العامل بحال وهذا
النوع من الاستثناء المنقطع يجب فيه النصب باجماع من العرب وليس فيه النصب والرفع باعتبار
اللغتين وانما هذا في الاستثناء المنقطع وهو الذي يمكن توجه العامل عليه وفي كل النوعين يكون
ما بعد الامن غير الجنس المستثنى منه فكونه جاز فيه اللغتان دليل على انه مما يمكن ان يتوجه عليه
العامل وهو قد فرض انه لم يقصد بالاستثناء اخراجها عن المأمور بالاسراء بهم ولا من المنهين عن
الالتفات فكان يجب فيه اذ ذلك النصب قولاً واحداً والظاهر ان قوله ولا يلتفت من التفات البصر
* وقالت فرقة من لفت الشيء يلفته اذا ثناه ولو ادهن ثناه ولا يتثبت وفي كتاب الزهراوى ان المعنى ولا
يلتفت أحد الى ما خلف بل يخرج مسرعاً والضمير في انه ضمير الشأن ومصيبهم مبتدأ وما أصابهم
الخبر ويجوز على مذهب الكوفيين أن يكون مصيبها خبر ان وما أصابهم فاعل به لانهم يجيزون انه
قائم أخواله ومذهب البصريين ان ضمير الشأن لا يكون خبره الا جملة مصرحاً بجزيها فلا يجوز
هذا الاعراب عندهم * وقرأ عيسى بن عمر الصبح بضم الباء * قيل وهى لغة فلا يكون ذلك اتباعاً
وهو على حذف مضاف أى ان موعدها كهم الصبح * ويروى أن لو طاع عليه السلام قال أريد
أسرع من ذلك فقالت له الملائكة أليس الصبح بقريب وجعل الصبح ميقاتاً لهلا كهم لان النفوس
فيه أودع والراحة فيه أجمع * ويروى ان لو طاع خرج بانتميه ليس معه غيرهما عند طلوع الفجر
وطوى الله الارض في وقته حتى نجا ووصل الى ابراهيم عليهما السلام والضمير في عاليها عائد على
مدائن قوم لوط جعل جبريل جناحه في أسفلها ثم رفعها الى السماء حتى سمع أهل السماء نباح
الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها عليهم وأتبعوا الحجارة من فوقهم وهى المؤتفة كانت سبع مدائن
* وقيل خمس عدّها المفسرون وفي ضبطها اشكال فاهملت ذكرها وسدوم هى القرية
العظمى وأمطرنا عليها أى على أهلها * وروى ان الحجارة أصابت منهم من كان خارج مدنها حتى
قتلهم أجمعين وان رجلاً كان في الحرم فبقى الحجر معلقاً في الهواء حتى خرج من الحرم فقتله
الحجر * قال أبو العالية وابن زيد السجيل اسم لسماء الدنيا وهذا ضعيف لوصفه بمنزلة وتقدم
شرحه في المفردات * وقيل من أسجله اذا أرسله * وقيل مما كتب الله ان يعذب به من السجل
وسجل لفلان ومعنى هذه اللفظة ماء وطن هذا قول ابن عباس ومجاهد وابن جبير وعكرمة والسدى
وغيرهم وذهبوا الى أن الحجارة التى رموا بها كانت كالآجر المطبوخ * وقيل حجر مخلوط

قتلهم أجمعين وأن رجلاً
كان في الحرم فبقى الحجر
معلقاً في الهواء حتى خرج
من الحرم فقتله الحجر

بطين أى حجر وطين ويمكن أن يعود هذا الى الآخر * وقال أبو عبيدة الشدي من الحجارة الصلب
 مسومة عليها سياعلم بها أنها ليست من حجارة الارض قاله ابن جريح * وقال عكرمة وقتادة انه كان
 فيها بياض * وقيل يكتب على كل حجر اسم من رعى به قاله الربيع * وعن ابن عباس والحسن
 بياض في حجرة وعن ابن عباس أيضا الحجر أبيض فيه نقطة سوداء وأسود فيه نقطة بيضاء وعن
 عكرمة وقتادة أيضا فيها خطوط حجر على هيئة الجزع * وقيل وكانت مثل رؤس الابل ومثل مبارك
 الابل * وقيل قبضة الرجل * قال ابن عباس ومقاتل معنى من عند ربك جاءت من عند ربك وقيل
 معدة عند ربك قاله أبو بكر الهذلي * وقال ابن الانباري المعنى لزوم هذا التسويم الحجارة عند
 الله ايدان بنفاذ قدرته وشدة عذابه والظاهر أن الضمير هي عائدة على القرى التي جعل الله أعالها
 أسافلها والمعنى ان ذوات هذه المدن كانت بين المدينة والشام يمر عليها قرى في مسيرهم فالنظر
 اليها وفيها فيه اعتبار واتعاظ * وقيل هي عائدة على الحجارة وهي أقرب مذكور * وقال ابن
 عباس وما عقوبتهم ممن يعمل عملهم ببعيد والظاهر عموم الظالمين * وقيل عنى به قرىش وفي
 الحديث انه سيكون في أمتي خسف ومسح وقذف بالحجارة * وقيل مشركو العرب * وقيل قوم
 لوط أى لم تكن الحجارة تخطهم وفي الحديث سيكون في أواخر أمتي قوم يكتفى رجالهم بالرجال
 والنساء بالنساء فاذا كان كذلك فارتقبوا عذاب قوم لوط ان يرسل الله عليهم حجارة من سجيل
 ثم تلا وما هي من الظالمين ببعيد واذا كان الضمير في قوله وما هي عائدة على الحجارة فيحتمل ان يراد
 بشئ ببعيد ويحتمل ان يراد بمكان بعيد لانها وان كانت في السماء وهي مكان بعيد لانها اذا هويت
 منها فبى أسرع شئ لحوقا بالمرء فكأنها بمكان قريب منه * والى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم
 اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان انى أراكم تخيرونانى أخاف عليكم عذاب
 يوم محيط * ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا فى الارض
 مفسدين * بقيت الله خير لكم ان كنتم مؤمنين * وما أنا عليكم بحفيظ * قالوا يا شعيب أصلاتك
 تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا وأن نفلعل فى أموالنا ما نشاء انك أنت الحليم الرشيد * قال يا قوم
 أرأيتم ان كنت على بينة من ربي وورقنى من رزقنا حسنا وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه ان
 أريد الاصلاح ما استطعت وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه أئيب * ويا قوم لا يجزى منكم
 شقاقى أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد *
 واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه ان ربي رحيم ودود * قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول وانا
 لنراك فينا ضعيفا ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزيز * قال يا قوم أرهطى أعز عليكم
 من الله واتخذتموه وراءكم ظهريا ان ربي بما تعملون محيط * ويا قوم اعملوا على مكانتكم انى
 عامل سوف تعلمون * من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب وارتقبوا انى معكم رقيب * ولما
 جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظاهروا الصيحة فاصبحوا فى ديارهم
 جائعين * كان لم يغنوا فيها الا بعدا لمدن كما بعدت ثمود * ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان
 مبين * الى فرعون وملائته فاتبعوا أمر فرعون وما أمر فرعون برشيد * يقدم قومه يوم القيامة
 فأوردهم النار وبئس الورد المورود * وأتبعوا فى هذه لعنة وبئس الرفد المرفود
 * ذلك من أنباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد * وما ظاهناهم ولكن ظانوا أنفسهم
 فما أغنت عنهم آلهم التى يدعون من دون الله من شئ لما جاء أمر ربك وما زادوهم غير تنبيب

وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذهم شديد * إن في ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود * وما تؤخرون إلا أجل معدود * يوم يأتى لتكلم نفس الاباذنه فمنهم شقي وسعيد * فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق * خالدين فيها ما دامت السموات والارض إلا ما شاء ربك إن ربك فعال لما يريد * وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والارض إلا ما شاء ربك عطاء غير محذود * الرهط قال ابن عطية جماعة الرجل * وقيل الرهط والراهط اسم لما دون العشرة من الرجال ولا يقع الرهط والعصبة والنفر إلا على الرجال * وقال الزنجشري من الثلاثة إلى العشرة * وقيل إلى التسعة ويجمع على أرهط ويجمع أرهط على أرهط فهو جمع جمع * قال الرماني وأصل الرهط الشدة ومنه الرهيط شدة الأكل والراهط اسم لجحر البر يوع لأنه يتوثق به ويخبا فيه ولده * الورد قال ابن السكيت هو ورود القوم الماء والورد الابل الواردة انتهى فيكون مصدرا بمعنى الورد واسم مفعول في المعنى كالطحن بمعنى المطحون * رقد الرجل يرفده رقد ورقد أعطاه وأعانه من رقد الحائط دعمه وعن الأصمعي الرقد بالفتح القدح والرفد بالكسر ما في القدح من الشراب * وقال الليث أصل الرقد العطاء والمعونة ومنه رقاد تقرر يش يقال رقد يرفده رقد ورقد بكسر الراء وقتها ويقال بالكسر الاسم وبالفتح المصدر * المتطيب التخبير تب خسر وتبه خسره وقال لبيد ولقد بليت وكل صاحب جدة * يبلى يعود وذاكم المتطيب

الزفير والشهيق زعم أهل اللغة من الكوفيين والبصريين أن الزفير بمنزلة ابتداء صوت الحمار والشهيق بمنزلة آخر نهيقه وقال رؤبة

حشرج في الصدر صهيلا وشهق * حتى يقال ناهق وما نهق

* وقال ابن فارس الشهيق ضد الزفير لأن الشهيق رد النفس والزفير إخراج النفس من شدة الجري مأخوذ من الزفر وهو الحمل على الظهر لشدة وقال الشماخ

بعيد مدى التطريب أول صوته * زفير ويتلوه شهيق محشرج

والشهيق النفس الطويل الممتد مأخوذ من قولهم جبل شاهق أى طويل * وقال الليث الزفير أن يملأ الرجل صدره حال كونه في الغم الشديد من النفس ويخرجه والشهيق أن يخرج ذلك النفس بشدة يقال انه عظيم الزفرة * الشقاء نكد العيش وسوءه يقال منه شقي يشقى شقاء وشقوة وشقاوة والسعادة ضده يقال منه سعيد يسعد ويعديان بالهمزة فيقال أشقاء الله وأسعد الله وقد قرى عشقوا وسعدوا بضم الشين والسين فدل على أنهم ما قديتعديان ومنه قولهم مسعود وذكر أن الفراء حكى أن هذيل يقول سعد الله بمعنى أسعده * وقال الجوهرى سعد بالكسر فهو سعيد مثل سلم فهو سليم وسعد فهو مسعود * وقال أبو نصر عبد الرحيم القشيري ورد سعد الله فهو مسعود وأسعد الله فهو مسعد * الجناد القطع بالمعجمة والمهملة * قال ابن قتيبة جذدت وجددت وهو بالذال أكثر قال النابغة

تجد السلوق المضاعف يسجه * وتوقد بالصفاح نار الجباحب

* وإلى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من الة غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان أنى أراكم بخير وإنى أخاف عليكم عذاب يوم محيط * ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الارض مفسدين * بقيت الله خير لكم إن كنتم مؤمنين وما أنا

* وإلى مدين أخاهم شعيب
الآية كان قوم شعيب
عبدة أوثان فدعاهم
عبادة الله تعالى وحده
وبالكفر استوجب
العذاب ولم يعذب الله
عذاب استئصال الأبالكا
وان أضافت إلى ذلك معص
كانت تابعة قال ابن عباس
بخير أى في رخص الاسع
يوم محيط أى مهلك من قو
وأحيط بقره وأصله
إحاطة العدو وهو العدا
الذى حل بهم في آخر
ووصف اليوم بالأحاطة
أبلغ من وصف العذاب
لأن اليوم زمان يشق
على الحوادث فإذا أحاط
بعذابه فقد اجتمع للعذاب
ما أشق على من كمال
أحاط به عليه

﴿قالوا يا شعيب أصلاتك﴾ الآية لما أمرهم شعيب صلى الله عليه وسلم بعبادة الله تعالى وترك عبادة أوثانهم وبايفاء الكيل

والميزان ردوا عليه على سبيل الاستهزاء والهزؤ بقولهم أصلاتك وكان كثير الصلاة وكان اذا صلى تغامزوا وتضاحكوا ﴿أن تترك ما يعبد آباؤنا﴾ مقابل لقوله اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ﴿أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء﴾ مقابل لقوله ولا تنقصوا المكيال والميزان وكون الصلاة أمرة هو على وجه المجاز كما كانت ناهية في قوله إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ويقال إنها تأمر بالجميل والمعروف أى تدعو إليه وتبعث عليهم إلا أنهم ساقوا الكلام مساق الطعن وجعلوا الصلاة أمرة على سبيل التهمك بصلاته والمعنى تأمرك بتكليفنا أن نترك الخنثى المضاف لان الانسان لا يؤمر بفعل غيره والظاهر أنه أريد بالصلاة الصلاة اليهودية في تلك الشريعة ﴿انك لأنت الحكيم الرشيد﴾ ظاهره أنه اخبارهم على سبيل الاستهزاء والتهمك ﴿قال يا قوم أرأيتم﴾ هذه مراجعة لطيفة واستئصال حسن واستدعاء رقيق ولذلك قال فيه رسول الله صلى الله

عليكم بحفيظ ﴿كان قوم شعيب عبدة أوثان فدعاهم الى عبادة الله وحده وبالكفر استوجبوا العذاب ولم يعذب الله أمة عذاب استئصال الا بال كفر وان انضافت الى ذلك معصية كانت تابعة﴾ قال ابن عباس بخير أى فى رخص الاسعار وعذاب اليوم المحيط هو حلول الغلاء المهلك وينظر هذا التأويل الى قول النبي صلى الله عليه وسلم ما نقص قوم المكيال والميزان الا ارتفع عنهم الرزق ونبهه بقوله بخير على العلة المقتضية للوفاء لا للنقص وقال غيره بثروة وسعة تغنيكم عن التطفيف أو بنعمة من الله حقها ان تقابل بغير ما تفعلون أو أراكم بخير فلا تزيلوه عنكم بما أنتم عليه ﴿يوم محيط أى مهلك من قوله وأحيط بثمره وأصله من احاطة العدو وهو العذاب الذى حل بهم فى آخره ووصف اليوم بالاحاطة أبلغ من وصف العذاب به لأن اليوم زمان يشتمل على الحوادث فاذا احاط بعذابه فقد اجتمع للعذب ما شتمل عليه منه كما اذا احاط بنعيمه ونهواً ولا عن القبح الذى كانوا يعاطونه وهو نقص المكيال والميزان وفى التصريح بالنهاى نعى على المنهى وتغيير له وأمر واثاناً بايفاءهما مصرحاً بلفظهما مترغيباً فى الايفاء وبعثاً عليه وجىء بالقسط ليكون الايفاء على جهة العدل والتسوية وهو الواجب لأن ما جاوز العدل فضل وأمر مندوب اليه ونهواً لئلا عن نقص الناس أشياءهم وهو عام فى الناس وفيما بأيديهم من الاشياء كانت مما تكل وتوزن أو غير ذلك ونهواً رابعاً عن الفساد فى الأرض وهو أعم من أن يكون نقصاً أو غيره فبدأهم أولاً بالمعصية الشنيعة التى كانوا عليها بعد الأمر بعبادة الله ثم ارتقى الى عام ثم الى أعم منه وذلك بالغية فى النصح لهم ولطف فى استدراجهم الى طاعة الله وتفسير معانى هذه الجمل سبق فى الاعراف ﴿بقية الله قال ابن عباس ما بقى الله لكم من الحلال بعد الايفاء خير من الخس وعنه رزق الله﴾ وقال مجاهد والزجاج طاعة الله ﴿وقال قتادة حظكم من الله﴾ وقال ابن زيد رحمة الله ﴿وقال قتادة ذخيرة الله﴾ وقال الربيع وصية الله ﴿وقال مقاتل ثواب الله فى الآخرة وذكر الفراء مراقبة الله﴾ وقال الحسن فرائض الله ﴿وقيل ما أبقاء الله حلالاً لكم ولم يحرمه عليكم﴾ قال ابن عطية وهذا كله لا يعطيه لفظ الآية وإنما المعنى عندى ابقاء الله عليكم ان أطعتم وقوله ان كنتم مؤمنين شرط فى أن يكون البقية خيراً لهم وأما مع الكفر فلا خير لهم فى شئ من الاعمال وجواب هذا الشرط متقدم والحفيظ المراقب الذى يحفظ أحوال من يرقب والمعنى انما أنا مبلغ والحفيظ المحاسب هو الذى يجازيك بالاعمال انتهى وليس جواب الشرط متقدماً كما ذكر وإنما الجواب مخدوف للدلالة ما تقدم عليه على مذهب جمهور البصريين ﴿وقال الزمخشري وإنما خوطبوا بترك التطفيف والخس والفساد فى الارض وهم كفرة بشرط الايمان ويجوز أن يريد ما بقى لهم عند الله من الطاعات كقوله والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وازافة البقية الى الله من حيث انها رزقه الذى يجوز أن يضاف اليه وأما الحرام فلا يجوز أن يضاف الى الله ولا يسمى رزقاً انتهى على طريق المعتزلة فى الرزق ﴿وقرأ اسماعيل بن جعفر عن أهل المدينة بقية بتخفيف الياء﴾ قال ابن عطية هى لغة انتهى وذلك أن قياس فعل اللازم أن يكون على وزن فعل نحو سحبت المرأة فهى سحبة فاذا شددت الياء كان على وزن فاعل للبالغة ﴿وقرأ الحسن تقية بالياء وهى تقواه ومراقبته الصارفة عن المعاصى﴾ قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك ان تترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل فى أموالنا ما نشاء انك لأنت الحليم الرشيد﴾ قال يا قوم أرأيتم

عليه وسلم ذلك خطيب الانبياء وهذا النوع يسمى استدراج المخاطب عند أرباب علم البيان وهو نوع لطيف غريب المغزى يتوصل به الى بلوغ المغزى قال الزمخشري ﴿فان قلت ابن جواب أرأيتم وماله لم يثبت كما ثبت فى قصة نوح وصالح﴾ قلت جوابه مخدوف

وانما لم يثبت لان اثباته في الصفتين دل على مكابه ومعنى الكلام ينادى عليه والمعنى أخبروني ان كنت على حجة واجهة وبقين من ربي وكنت نبيا على الحقيقة أنصح أن لا آمركم بترك عبادة الاوثان والكفر عن المماضي والانبياء لا يبعثون الا لذلك انتهى وتسمية هذا جوابا لآيتم ليس بالمصطلح بل هذه الجملة التي (٢٥٣) قدرها هي في موضع المفعول الثاني لآيتم لان آيتم اذا ضمن

معنى أخبرني تعدت لمفعولين

والغالب في الثاني أن تكون جملة استفهامية ينعقد منها ومن المفعول الأول في الاصل جملة ابتدائية كقول العرب رأيتك زيدا ما صنع قال ابن عطية وجواب الشرط الذي في قوله * ان كنت على بينة * محذوف تقديره أضل كما ضلتم أو أترك تبليغ الرسالة ونحو هذا مما يليق بهذه الحاجة انتهى وليس قوله أضل جوابا للشرط لانه ان كان مبنيافلا يمكن أن يكون جوابا لانه لا يترتب على الشرط وان كان استفهاما حذف منه الهمزة فهو في موضع المفعول الثاني لآيتم وجواب الشرط محذوف يدل عليه الجملة السابقة مع متعلقها قال الزحشرى ما استطعت يجوز فيه وجوه أحدها أن يكون بدلا من الاصلاح أى المقدار الذى استطعته أو على حذف مضاعف تقديره الا الاصلاح ما استطعت فهذا

ان كنت على بينة من ربي ورزقنى منه رزقا حسنا وما أريد أن أخالفكم الى ما أنتمى عنها ان أريد الاصلاح ما استطعت وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه أنيب * ويقوم لا يجر منكم شقاقى أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد * واستغفر واربعكم ثم توبوا اليه ان ربي رحيم ودود * لما أمرهم شعيب بعبادة الله وترك عبادة أوثانهم وبايفاء المكيال والميزان ردوا عليه على سبيل الاستهزاء والهزاء بقولهم أصلاتك وكان كثير الصلاة وكان اذا صلى تغامزوا وتضاحكوا ان نترك ما يعبد آباؤنا مقابل لقوله اعبدوا الله مالكم من اله غيره أو ان نفعل في أموالنا ما نشاء مقابل لقوله ولا تنقصوا المكيال والميزان وكون الصلاة أمره هو على وجه المجاز كما كانت ناهية في قوله ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر أو يقال انها تأمر بالجميل والمعروف أى تدعو اليه وتبعث عليه الا أنهم ساقوا الكلام مساق الطعن وجعلوا الصلاة أمره على سبيل التهم بصلاته والمعنى فأمرك بتكليفنا أن نترك حذف المضاعف لان الانسان لا يؤمر بفعل غيره والظاهر انه أريد بالصلاة الصلاة المعهودة في تلك الشريعة * وقال الحسن لم يبعث الله نبيا الا فرض عليه الصلاة والزكاة * وقيل أريد قراءتك * وقيل مساجدك * وقيل دعواتك * وقرأ ابن وثاب والاخوان وحفص أصلاتك على التوحيد * وقرأ الجمهور أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء بالنون فيهما * وقرأ الضحاك بن قيس وابن أبي عمير وزيد بن علي بالتاء فيهما على الخطاب ورويت عن أبي عبد الرحمن * وقرأ أبو عبد الرحمن وطلحة نفعل بالنون ما نشاء بالتاء على الخطاب * ورويت عن ابن عباس فن قرأ بالنون فيهما فقله أو أن نفعل معطوف على قوله ما يعبد أى ان نترك ما يعبد آباؤنا وفعلنا في أموالنا ما نشاء أو فعلنا في أموالنا ما نشاء أو للتوبيخ أى تأمرك مرة بهذا ومرة بهذا * وقيل بمعنى الواو والظاهر ان الذى كانوا يفعلونه في أموالهم هو بخش الكيل والوزن المقدم ذكره * وقال محمد بن كعب قرضهم الدينار والدرهم واجراء ذلك مع الصحيح على جهة التدليس وعن ابن المسيب قطع الدينار والدرهم من الفساد في الارض * وقيل تبديل السكك التى يقصد بها كل أموال الناس ومن قرأ بالتاء فيهما أوفى نساء والظاهر انه ايفاء المكيال والميزان * وقال سفيان الثوري كان يأمرهم بالزكاة وقوله انك لانت الخليم الرشيد ظاهره أنه إخبار منهم عنه بهذين الوصفين الجميلين فيحتمل أن يريدوا بذلك الحقيقة أى انك للمتصف بهذين الوصفين فكيف وقعت في هذا الامر من مخالفتك دين آباؤنا وما كانوا عليه ومثلك من يمنعهم حاله ورشده عن ذلك أو يحتمل أن يريدوا بذلك انك لانت الخليم الرشيد بعمك اذا تأمرنا بما تأمر به أو يحتمل أن قالوا ذلك على سبيل الاستهزاء والتهم قاله قتادة والمراد نسبة الى الطيش والمعنى كما تقول للشحج لوراك حاتم لسجدك وقالوا للجبشى أبو البيضاء قال يا قوم آيتم ان كنت

وجها في البذل والثالث أن يكون مفعولا كقوله * ضعيف النكابة أعداءه * أى ما أريد الا أن أصلح ما استطعت اصلاحه من فاسدكم انتهى هذا الثالث ضعيف لان المصدر المعرف بأل لا يجوز اعماله في المفعول به عند الكوفيين وأما البصريون فاعماله عندهم فيه قليل ومعنى * لا يجر منكم * ينسبكم * شقاقى * أى خلافي وعداوتى وشقاقى فاعل يجر منكم وأن يصيبكم مفعول ثان لاجر منكم ومثل مرفوعه * وما قوم لوط منكم ببعيد * اما في الزمان اقرب عهد هلا كهم من عهدكم اذ هم اقرب الهالكين

(الدر) (ش) فان قلت أين جواب رأيتم وماله لم يثبت كما ثبت في قصة نوح وصالح قلت جوابه محذوف وانما لم يثبت لان اثباته في الصفتين دل على مكانه ومعنى الكلام ينادى عليه والمعنى (٢٥٤) أخبروني ان كنت على حجة واضحة ويقين من ربي وكنت نبيا

على الحقيقة أيصح لي أن لا آمركم بترك عبادة الأوثان والكف عن المعاصي والانبيا لا يبعثون الا لذلك انتهى (ح) تسمية هذا جوابا لارأيتم ليس بالمصطلح بل هذه الجملة التي قدرها هي في موضع المفعول الثاني لارأيتم لان رأيتم اذا ضمنت معنى أخبرني تعدت الى مفعولين والغالب في الثاني أن يكون جملة استفهامية ينعقد منها ومن المفعول الاول في الاصل جملة ابتدائية كقولك رأيتم زيد اما صنع (ع) وجواب الشرط الذي في قوله ان كنت على بينة من ربي محذوف تقديره أضل كما ضللتكم أو أترك تبليغ الرسالة ونحو هذا مما يليق بهذه الحاجة انتهى (ح) ليس قوله أضل جوابا للشرط لانه ان كان مثبتا فلا يمكن أن يكون جوابا لانه أمر لا يترتب على الشرط وان كان استفهاما حذفت منه الهمزة فهو في موضع المفعول الثاني لارأيتم وجواب الشرط محذوف تدل عليه الجملة السابقة مع متعلقها (ش) ما استطعت

هذه مراجعة لطيفة واستئزال حسن واستدعاء رقيق ولذلك قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك خطيب الانبياء وهذا النوع يسمى استدراج المتخاطب عند أرباب علم البيان وهو نوع لطيف غريب المعنى يتوصل به الى بلوغ الغرض وقد ورد منه في قصة ابراهيم عليه السلام مع أبيه وفي قصة نوح وهود وصالح وفي قصة مؤمن آل فرعون مع قومه * قال الزمخشري (فان قلت) أين جواب رأيتم وماله لم يثبت كما ثبت في قصة نوح وصالح (قلت) جوابه محذوف وانما لم يثبت لان اثباته في الصفتين دل على مكانه ومعنى الكلام ينادى عليه والمعنى أخبروني ان كنت على حجة واضحة ويقين من ربي وكنت نبيا على الحقيقة أيصح لي أن لا آمركم بترك عبادة الأوثان والكف عن المعاصي والانبيا لا يبعثون الا لذلك انتهى وتسمية هذا جوابا لارأيتم ليس بالمصطلح بل هذه الجملة التي قدرها هي في موضع المفعول الثاني لارأيتم لان رأيتم اذا ضمنت معنى أخبرني تعدت الى مفعولين والغالب في الثاني أن يكون جملة استفهامية تنعقد منها ومن المفعول الاول في الاصل جملة ابتدائية كقول العرب رأيتمك زيدا ما صنع * وقال الحوفي وجواب الشرط محذوف لدلالة الكلام عليه والتقدير فاعدل عن ما أنا عليه من عبادته على هذه الحال * وقال ابن عطية وجواب الشرط الذي في قوله ان كنت على بينة من ربي محذوف تقديره أضل كما ضللتكم أو أترك تبليغ الرسالة ونحو هذا مما يليق بهذه الحاجة انتهى وليس قوله أضل جوابا للشرط لانه ان كان مثبتا فلا يمكن أن يكون جوابا لانه لا يترتب على الشرط وان كان استفهاما حذفت منه الهمزة فهو في موضع المفعول الثاني لارأيتم وجواب الشرط محذوف تدل عليه الجملة السابقة مع متعلقها والظاهر في قوله رزقا حسنا انه الحلال الطيب من غير بخس ولا تطفيف أدخلتموه أموالكم * قال ابن عباس الحلال وكان شعيب عليه السلام كثير المال * وقيل النبوة * وقيل العلم ومأر يد أن أخالفكم الى ما أنها كم عنه المعنى استأر يد أن أفعل الشيء الذي نهيتكم عنه من نقص الكيل والوزن واستأثر بالمال قاله ابن عطية * وقال قتادة لم أكن لأنها كم عن أمر ثم ارتكبه * وقال صاحب الغنيان مأر يد أن أخالفكم في السر الى ما أنها كم عنه في العلانية ويقال خالفني فلان الى كذا اذا قصده وأنت مول عنه وخالفني عنه اذا ولى عنه وأنت قاصده ويقال الرجل صادر عن الماء فتسأله عن صاحبه فتقول خالفني الى الماء تريد أنه قد ذهب اليه واردا وأنا ذاهب عنه صادر او المعنى ان أسبقكم الى شهوراتكم التي نهيتكم عنها لا استبدها دونكم فعلى هذا الظاهر ان قوله أن أخالفكم في موضع المفعول لار يد أي ومأر يد مخالفكم ويكون خالف بمعنى خلف نحو جاوز وجاز أي ومأر يد أن أخالفكم أي أكون خلفكم وتعلق الى باخالفكم أو بمحذوف أي ما نلالي ما أنها كم عنه ولذلك قال بعضهم فيه حذفت يقتضيه الى تقدير دو أميل الى أو يبقى أن أخالفكم على ظاهر ما يفهم من المخالفة ويكون في موضع المفعول به بار يد وتقدر ما نلالي أو يكون أن أخالفكم مفعولا من أجله وتعلق الى بقوله ومأر يد بمعنى وما أقصد أي وما أقصد لاجل مخالفتكم الى ما أنها كم عنه ولذلك قال الزجاج وما أقصد بخلافكم الى ارتكاب ما أنها كم عنه والظاهر أن ما مصدرية نظرية أي مدة استطاعتي للاصلاح وما دمت متمكنا منه لا آلو فيه جهدا وأجاز الزمخشري في ما جودها أحدها أن

يجوز في ما جود أحدها أن تكون بدلا من الأصل أي المقدار الذي استطعته أو على حذفت مضاف تقديره الا الاصلاح ما استطعت فمجان وحدها في الدل والثالث أن يكون مفعولا كقوله * ضعيف السكينة أعداء * أي مأر يد الا أن أصل ما استطعت

﴿قالوا يا شعيب﴾ كانوا لا يلقون اليه اذ هانهم رغبة عنه وكرهه له أو قالوا ذلك على وجه الاستهانة به ﴿ولولا رهطك﴾ واحترموه رهطه اذ كانوا كفارا مثلهم أو كان في عزه وسعة منهم ﴿لرجنالك﴾ ظاهره القتل بالحجارة وهي شر القتلات ﴿وما أنت علينا بعز﴾ أي بذى منعة علينا والظاهر في قوله واتخذتموه (٢٥٥) أن الضمير عائذ على الله تعالى أي ونسيتموه وجعلتموه كالشيء المنبوذ وراء الظهر

لا يعاب به والظهرى بكسر الظاء منسوب الى الظهر من تغييرات النسب ونظيره قولهم في النسب الى أمس أمسى بكسر الهمزة ﴿ويا قوم اعملوا﴾ تقدم تفسير نظيره قال الزمخشري فان قلت قد ذكر عملهم على مكانتهم وعمله على مكانته ثم أتبعه ذكر عاقبة العاملين منه ومنهم فكان القياس أن تقول من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو صادق حتى ينصرف من يأتيه عذاب يخزيه الى الجاحدين ومن هو صادق الى النسبي المبعوث اليهم قلت القياس ما ذكرت ولكنهم لما كانوا يعدونه كاذبا قال ومن هو كاذب يعني في زعمكم ودعواكم تجهيلا لهم انتهى وفي ألفاظ هذا الرجل سوء أدب والذي قاله ليس بقياس لان التهديد الذي وقع ليس بالنسبة اليه ولا هو داخل في التهديد المراد بقوله سوف

يكون بدلا من الاصلاح أي المقدر الذي استطعته أو على حذف مضاف تقديره الا الاصلاح اصلاح ما استطعت فهذا وجهان في البديل * والثالث أن يكون مفعولا كقوله

* ضعيف الذكاء أعداءه * أي مأر يدا لأن أصل ما استطعت اصلاحه من فاسدكم وهذا الثالث ضعيف لان المصدر المعرف بال لا يجوز اعماله في المفعول به عند الكوفيين وأما البصريون فاعماله عندهم فيه قليل وماتوفيق أي لدعائكم الى عبادة الله وحده وترك ما نهاكم عنه الامعونة لله أو وماتوفيق لان تكون أفعالي مسددة موافقة لرضا الله الامعونة عليه توكلت لا على غيره واليه أنيب أرجع في جميع أقوالى وأفعالى وفي هذا طلب التأييد من الله تعالى وتهديد للكفار وحسم لاطماعهم أن ينالوه بشر ومعنى لا يجرمكم لا يكسبكم شقاقى أي خلافا في وعداوتى * قال السدي كانه في شق وهم في شق * وقال الحسن ضرارى جعله من المشقة * وقيل فراقى * وقرأ ابن وثاب والاعمش بضم الياء من أبحر ونسبها الزمخشري الى ابن كثير وجرم في التعدية مثل كسب يتعدى الى واحد جرم فلان الذنب وكسب زيد المال ويتعدى الى اثنين جرمت زيد الذنب وكسبت زيد المال وبالألف يتعدى الى اثنين أيضا أبحر زيد عمرا الذنب وأكسبت زيد المال وتقدم الكلام في جرم في العقود * وقرأ مجاهد والجحدري وابن أبي اسحق ورويت عن نافع مثل بفتح اللام وخرج على وجهين أحدهما أن تكون الفتحة فتحة بناء وهو فاعل كماله حين كان مرفوعا ولما أضيف الى غير متمكن جاز فيه البناء كقراءة من قرأ أنه خلق مثل ما أنكم تنطقون والثاني أن تكون الفتحة فتحة اعراب وانتصب على أنه نعت لمصدر محذوف أي أصابة مثل أصابة قوم نوح والفاعل مضمرة يفسره سياق الكلام أي ان يصيبكم هو أي العذاب وما قوم لوط منكم بهعيد إمافي الزمان لقرب عهد هلاكمهم من عهدكم اذ هم أقرب الهالكين وإمافي الكفر والمعاصي وما يستحق به الهلاك وأجرى بهعيدا على قوم ابا اعتبار الزمان أو المالك أي بزمان بعيد أو بمكان بعيد أو باعتبار موصوف غيرهما أي بشئ بعيد أو باعتبار مضاف الى قوم أي وما هلاك قوم لوط ويجوز أن يسوى في قريب وبعيد وكثير وقليل بين المفرد والجمع وبين المذكور والمؤنث كما قالوا هو صديق وهم صديق وهي صديق وهن صديق وودود بناء مبالغة من ود الشيء أحبه وآثره وهو على فعل وسمع الكسائي وددت بفتح العين والمصدر ودوداد وودادة * وقال بعض أهل اللغة يجوز أن يكون ودود فعل بمعنى مفعول * وقال المفسرون ودود متعجب الى عبادة بالاحسان اللهم * وقيل محبوب المؤمنين ورحمة لعباده ومحبة لهم سبب في استغفارهم وتوبتهم ولولا ذلك ما وفقهم الى استغفاره والرجوع اليه فهو يفعل بهم فعل الواو بمن يوده من الاحسان اليه ﴿قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول﴾ وانالنا ذكينا ضعيفا ولولا رهطك لرجنالك وما أنت علينا بعز قال ياقوم أرهطى أعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريا ان ربى بما تعملون محيط ويا قوم اعملوا على مكانتكم انى عامل سوف تعامون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب وارثقبوا

تعامون اذ لم يأت التركيب اعملوا على مكانتكم وأعمل على مكانتى ولا سوف تعامون وأعلم وانما التهديد مختص بهم واستسلف الزمخشري قوله قد ذكر عملهم على مكانتهم وعمله على مكانته فبنى على ذلك سوء الافساد الان المترتب على ما ليس مذكورا لا يصح البتة وجميع الآية والتي قبلها انما هي بالنسبة اليهم على سبيل التهديد ونظيره في سورة تنزيل فسوف يعامون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم فهذا جاء بالنسبة للخاطبين في قوله قل ياقوم اعملوا على مكانتكم كما جاء هنا ﴿من يأتيه﴾

اني معكم رقيب ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة
فأصبحوا في ديارهم جائعين كأن لم يغنوا فيها إلا بعد المدين كما بعدت ثمود * كانوا لا يلقون اليه
أذهانهم ولا يصغون لكلامه رغبة عنه وكرهاته كقوله تعالى وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه
أو كانوا يفهمونه ولكنهم لم يقبلوه فكأنهم لم يفقهوه أو قالوا ذلك على وجه الاستهانة به كما يقول
الرجل لصاحبه إذا لم يعجبأبعديته ما أدري ما تقول أو جعلوا كلامه هذيانا وتخليطا لا يتفهم كثير منه
وكيف لا يتفهم كلامه وهو خطيب الانبياء عليهم الصلاة والسلام ثم الذي حاورهم به من الكلام
وخطبهم به هو من أفصح الكلام وأجله وأدله على معانيه بحيث يفقه به من كان بعيدا لفهم فضلا عن
الاذكاء العقلاء ولكن الله تعالى أراد خذلانهم ومعنى ضعيفا لا قوة لك ولا عز فيايننا فلا تقدر على
الامتناع منا إن أردناك بمكرهه وعن الحسن ضعيفا مهينا * وقيل كان ناحل البدن زمنه لا يقع في
القلب منه هيبة ولا في العين منه امتلاء والعرب تعظم بكبرالاجسام وتذم بدمامتها * وقال الباقر
مهجور الاتجالس ولا تعاشر * وقال مقاتل ضعيفا أي لم يؤمن بك رهطك * وقال السدي وحيدا في
منهيك واعتقادك * وقال ابن جبير وشريك القاضي ضعيفا ضري البصر أعمى * وحكى الزهراوى
والزمخشري أن حمير تسمى الأعمى ضعيفا ويبعده تفسيره هنا بأعمى أو بناحل البدن أو بضعيف
البصر كما قاله الثوري وزعم أبو روق أن الله لم يبعث نبيا أعمى ولا نبيا به زمانة بل الظاهر أنه ضعيف
الانتصار والقدرة ولو لارهطك أحترم موهرهطه اذ كانوا كفارا مثلهم أو كان في عزة ومنعة منهم
لرجناك ظاهره القتل بالحجارة وهى من شر القتلات وبه قال ابن زيد * وقال الطبري رجناك
بالسب وهذا أيضا تستعمله العرب ومنه لأرجنك وأهجرنى مليا * وقيل لأبعدناك وأخرجناك من
أرضنا وما أنت علينا بعز يزأى لا تعز ولا تكرم حتى نكرمك من القتل ونرفعك عن الرجم وإنما
يعز علينا رهالك لانهم من أهل ديننا لم يحتاجوا علينا * وقيل بعز يزبى منعة وعزة منزلة في
نفوسنا * وقيل بزى غلبة * وقيل بملك وكانوا يسمون الملك عزيزا * قال الزمخشري وقد دل إيلاء
ضميره حرف النفى على أن الكلام واقع في الفاعل لا في الفعل كأنه قيل وما أنت علينا بعز يز
بل رهطك هم الاعزة علينا ولذلك قال في جوابهم أرهطى أعز عليكم من الله ولو قيل وما عزرت
علينا لم يصح هذا الجواب (فان قلت) فالكلام واقع فيه وفي رهطه وانهم الاعزة عليهم دونه فكيف
صح قوله أرهطى أعز عليكم من الله (قلت) نهوا عنهم به وهو نبى الله تعالى والله فحين عز عليهم رهطه
دونه كان رهطه أعز عليهم من الله ألا ترى إلى قوله تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله انتهى
والظاهر في قوله واتخذتموه أن الضمير عائدا على الله تعالى أى ونسيتموه وجعلتموه كالشئ المنبوذ
وراء الظهر لا يعاب به والظهير بكسر الظاء منسوب إلى الظهر من تغيرات النسب ونظيره قولهم في
النسب إلى الامس أمسى بكسر الهمة ولما خاطبوه خطاب الاهانة والجفاء جريا على عادة الكفار
مع أنبيائهم خاطبهم خطاب الاستعطاف والتلطف جريا على عادته في إلهة القول لهم والمعنى أعز
عليكم من الله حتى جعلتم مراعاتى من أجلهم ولم تسندوها إلى الله وأنا أولى وأحق أن أراعى من أجله
فالمرعاة لا جل الخالق أعظم من المراعاة لا جل المخلوق والظهير المنسى المتروك الذى جعل كأنه
خلف الظهر * وقيل الضمير في واتخذتموه به عائدا على الشرع الذى جاء شعيب عليه السلام *
وقيل الظهير العون وما يتقوى به * قال المبرد فالمعنى واتخذتم العصيان عنده لدفعى انتهى
فيكون على حذف مضاف أى واتخذتموه أى عصيانه * قال ابن عطية وقالت فرقة واتخذتموه أى

يجوز أن يكون
صولة مفعولة بقوله
يون أى تعاملون
فى الذى يأتيه عذاب
به والذى هو كاذب
بوز أن يكون
مهامية فى موضع رفع
الابتداء ويعاملون
ن كأنه قيل أبنا
عذاب يجز به وأبنا
كاذب

(الدر)

لحم من فاسدكم (ح)
الثالث ضعيف لأن
در المعرق بال لا يجوز
له فى المفعول به عند
فيين وأما البصريون
له عندهم فيه قليل

(الدر) (ش) فان قلت فقد ذكر علمهم على مكانتهم (٢٥٧) وعمله على مكانته ثم أتبعه ذكر عاقبة العاملين منه ومنهم

فكان القياس أن يقول من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو صادق حتى ينصرف من يأتيه عذاب يخزيه إلى الجاحدين ومن هو صادق إلى النبي المبعوث اليهم قلت القياس ما ذكرت ولكنهم لما كانوا يعدونه كاذبا قال ومن هو كاذب يعني في زعمكم ودعواكم تجهيلا لهم انتهى (ح) وفي ألفاظ هذا الرجل سوء أدب والذي قاله ليس بقياس لان التهديد الذي وقع ليس بالنسبة اليه ولا هو داخل في التهديد المراد بقوله سوف تعلمون اذ لم يأت التركيب اعمالوا على مكانتكم وأعمل على مكانتي ولسوف تعلمون وأعلم وإنما التهديد مختص بهم واستسلف الزمخشري قوله قد ذكر علمهم على مكانتهم وعمله على مكانته فبنى على ذلك سؤالا فاسدا لان المترتب على ما ليس مذكورا لا يصح البتة وجميع الآية والتي قبلها انما هي بالنسبة اليهم على سبيل التهديد ونظيره في سورة تنزيل فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم فهذا جاء بالنسبة للمخاطبين في قوله قل يا قوم اعملوا على مكانتكم كما جاء هنا وارتقبوا العاقبة وما أقول لكم والريب بمعنى الرقيب بمعنى اللمعة أو بمعنى المراقب كالعشير والجلس أو بمعنى المرتقب كالفقير والرفيع بمعنى المفتقر والمترفع ويحسن هذا مقابلة فارتقبوا * وقال الزمخشري (فان قلت) ما بال ساقتي قصة عاد وقصة مدين جاء تابا لوالو والساقتان الوسطيان بالفاء (قات) قد وقعت الوسطيان بعد ذكر الوعد وذلك قوله ان موعدهم الصبح ذلك وعد غير مكتوب فجئ بالفاء التي للتسبب كما تقول وعدته فلما جاء الميعاد كان كيت وكيت وأما الآخر يان فلم يقع بآلة المنزلة وانما وقع ما ابتدأتين فكان حقهما أن يعطفا بحرف الجمع على ما قبلهما كما تعطف قصة على قصة انتهى وتقدم تفسير مثل ولما جاء أمرنا إلى قوله كان لم يغنوا فيها * وقرأ السامى وأبو حيوة كابتعت بضم العين من البعد الذي هو ضد القرب والجهور

وأنتم منخذون الله سند ظهوركم وعماد آمالككم * فقول الجمهور على أن كفر قوم شعيب كان جحدا بالله وجهلا به وهذا القول الثاني على أنهم كانوا يقرون بالخالق الرازق ويعتقدون الاصنام وسائط ووسائل ومن اللفظة الاستظهار بالبيئة * وقال ابن زيد الظهري الفضل مثل الجمال يخرج معه بابل ظهاريه يعدها ان احتاج اليها والافهى فضلة محيط أحاط باعمالكم فلا يخفى عليه شيء منها وفي ضمنه توعده وتهديد وتقدم تفسير نظير قوله ويا قوم اعملوا على مكانتكم وخلاف القراء في مكانتكم وجوز الفراء والزمخشري في من يأتيه أن تكون موصولة مفعولة بقوله تعلمون أى تعلمون الشقي الذي يأتيه عذاب يخزيه والذي هو كاذب واستفهامية في موضع رفع على الابتداء وتعلمون معلق كانه قيل أينما يأتيه عذاب يخزيه وأينما هو كاذب * قال ابن عطية والاول أحسن يعني كونها مفعولة قال لانها موصولة ولا يوصل في الاستفهام ويقضى بصلتها ان المعطوفة عليها موصولة لا محالة انتهى وقوله ويقضى بصلتها الخ لا يقضى بصلتها اذ لا يتعين أن تكون موصولة لا محالة كما قال بل تكون استفهامية اذا قدرتها معطوفة على من الاستفهامية كما قدرناه وأينما هو كاذب * قال الزمخشري (فان قلت) أى فرق بين ادخال الفاء ونزعها في سوف تعلمون (قلت) ادخال الفاء وصل ظاهر بحرف موضوع للوصل ونزعها وصل خفي تقديرى بالاستئناف الذي هو جواب لسؤال مقدر كانهم قالوا فماذا يكون اذا عملنا نحن على مكانتنا وعلمت أنت فقال سوف تعلمون يوصل تارة بالفاء وتارة بالاستئناف كما هو عادة البلغاء من العرب وأقوى الوصلين وأبلغهما بالاستئناف وهو باب من أبواب علم البيان تتكاثر محاسنه * قال الزمخشري (فان قلت) قد ذكر علمهم على مكانتهم وعمله على مكانته ثم أتبعه ذكر عاقبة العاملين منه ومنهم فكان القياس أن يقول من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو صادق حتى ينصرف من يأتيه عذاب يخزيه إلى الجاحدين ومن هو صادق إلى النبي المبعوث اليهم (قلت) القياس ما ذكرت ولكنهم لما كانوا يعدونه كاذبا قال ومن هو كاذب يعني في زعمكم ودعواكم تجهيلا لهم انتهى وفي ألفاظ هذا الرجل سوء أدب والذي قاله ليس بقياس لان التهديد الذي وقع ليس بالنسبة اليه ولا هو داخل في التهديد المراد بقوله سوف تعلمون اذ لم يأت التركيب اعمالوا على مكانتكم وأعمل على مكانتي ولسوف تعلمون وأعلم وإنما التهديد مختص بهم واستسلف الزمخشري قوله قد ذكر علمهم على مكانتهم وعمله على مكانته فبنى على ذلك سؤالا فاسدا لان المترتب على ما ليس مذكورا لا يصح البتة وجميع الآية والتي قبلها انما هي بالنسبة اليهم على سبيل التهديد ونظيره في سورة تنزيل فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم فهذا جاء بالنسبة للمخاطبين في قوله قل يا قوم اعملوا على مكانتكم كما جاء هنا وارتقبوا العاقبة وما أقول لكم والريب بمعنى الرقيب بمعنى اللمعة أو بمعنى المراقب كالعشير والجلس أو بمعنى المرتقب كالفقير والرفيع بمعنى المفتقر والمترفع ويحسن هذا مقابلة فارتقبوا * وقال الزمخشري (فان قلت) ما بال ساقتي قصة عاد وقصة مدين جاء تابا لوالو والساقتان الوسطيان بالفاء (قات) قد وقعت الوسطيان بعد ذكر الوعد وذلك قوله ان موعدهم الصبح ذلك وعد غير مكتوب فجئ بالفاء التي للتسبب كما تقول وعدته فلما جاء الميعاد كان كيت وكيت وأما الآخر يان فلم يقع بآلة المنزلة وانما وقع ما ابتدأتين فكان حقهما أن يعطفا بحرف الجمع على ما قبلهما كما تعطف قصة على قصة انتهى وتقدم تفسير مثل ولما جاء أمرنا إلى قوله كان لم يغنوا فيها * وقرأ السامى وأبو حيوة كابتعت بضم العين من البعد الذي هو ضد القرب والجهور

﴿ولقد أرسلنا موسى﴾ الآية الآيات المعجزات التسع وهي العصا واليد والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ونقص من الأموال والأنفس والثمرات ومنهم من أبدل النقص بآلال الجبل وقيل الآيات التوراة وهذا ليس بسديد لأنه قال إلى فرعون وملأه والتوراة إنما أنزلت بعد هلاك فرعون وملأه والسلطان المبين هو الحجة الواضحة ﴿يقدم قومه يوم القيامة﴾ يقال قدم زيد القوم يقدم قدما وقدوما يقدمهم والمعنى أنه يقدم قومه (٢٥٨) المغرقين إلى النار كما كان قدوة في الضلال متبعا

كذلك يتقدمهم إلى النار وهم يتبعونه وعدل عن فيوردهم إلى فأوردهم لتحقيق وقوعه لا محالة وكأنه قد وقع ولما في ذلك من الارهاب والتخويف والهمزة في فأوردهم للتعدية وتورد يتعدى إلى واحد فلما أدخلت الهمزة تعدى إلى اثنين فتضمن واردًا ومورودًا ويطلق الورد على الوارد فالورد لا يكون المورد فاحتج إلى حذف لي مطابق فاعل بثس المخصوص بالذم فالتقدير وبثس مكان الورد المورد ومعنى به النار فالورد فاعل بثس والمخصوص بالذم المورد وهى النار قال ابن عطية والمورد وصفة للورد أى بثس مكان الورد المورد النار ويكون المخصوص محذوف والفهم المعنى كما حذف في قوله وبثس المهادات انتهى هذا التخريج ينبغي على جواز وصف فاعل نعم وبثس وفيه خلاف ذهب

بكسر هاء أرادت العرب التفرقة بين البعد من جهة الهلاك وبين غيره فغيروا البناء وقراءة السامى جاءت على الأصل اعتبار المعنى البعد من غير تخصيص كما يقال ذهب فلان ومضى في معنى القرب * وقيل معناه بعد الهلكة كما بعدت ثمود منها * وقال ابن قتيبة بعد بعدا إذا كان بعده هلكة وبعد بعدا إذا تانى * وقال النحاس المعروف في اللغة بعد بعدا وبعدا إذا هلك * وقال المهدوى بعد يستعمل في الخير والشر وبعد في الشر خاصة * وقال ابن الأنبارى من العرب من يسوى بين الهلاك والبعد الذى هو ضد القرب فيقول فيهما بعد بعدو وبعد بعد * وقال مالك ابن الربيع في بعد بمعنى هلك

يقولون لا تبعوهم يذفوننى * وأين مكان البعد الا مكانيا وبعد فلان دعاء عليه ولا يدعى به الا على مبغض كقولك سحقا للكافرين * وقال أهل علم البيان لم يرد في القرآن استطراد الا هذا الموضع والاستطراد قالوا هو أن تمدح شيئا وتذمه ثم تأتى في آخر الكلام بشئ هو غرضك في أوله * قال حسان

ان كنت كاذبة الذى حدثنى * فنجوت منجى الحرب بن هشام

ترك الاحبة أن تقاتل دونهم * ونجا برأس طمرة ولجام

﴿ولقد أرسلنا موسى﴾ الآية التوراة سلطان مبين * إلى فرعون وملأه فاتبعوا أمر فرعون ومأمر فرعون برشيد * يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار وبثس الورد المورد * وأتبعوا في هذه لعنة يوم القيامة بثس الرعد المر فود * الآيات المعجزات التسع العصا * واليد * والطوفان والجراد * والقمل * والضفادع * والدم * ونقص من الأموال والأنفس والثمرات ومنهم من أبدل النقص بآلال الجبل * وقيل الآيات التوراة وهذا ليس بسديد لأنه قال إلى فرعون وملأه والتوراة إنما أنزلت بعد هلاك فرعون وملأه والسلطان المبين هو الحجة الواضحة ويحتمل أن يريد بقوله وسلطان مبين فيها أى في الآيات وهى دالة على صدق موسى عليه السلام ويحتمل أن يريد بها العصا لأنها أبهر تلك الآيات فنص عليها كما نص على جبريل وميكائيل بعد ذكر الملائكة على سبيل التشريف بالذكر والظاهر أن يراد بقوله أمر فرعون أمره بإيهام بالكفر وجحد معجزات موسى ويحتمل أن يريد الطريق والشان ومأمر فرعون برشيد نفي عنه الرشد وذلك تحمیل لمقتضيه حيث شايعه على أمره وهو ضلال مبين لا يخفى على من فيه أدنى مسكة من العقل وذلك أنه ادعى الألوهية وهو بشر مثلهم عاينوا الآيات والسلطان المبين في أمر موسى عليه السلام وعاموا أن معه الرشد والحق ثم عدلوا عن اتباعه إلى اتباع من ليس في اتباعه رشد ويحتمل أن يكون رشيد بمعنى راشد ويكون رشيد بمعنى مرشد أى يرشد إلى خير وكان فرعون دهر ينافيا للصانع والمعاد وكان

ابن السراج والفارسي إلى أن ذلك لا يجوز وقال الزمخشري بثس الرعد المر فود ردهم أى بثس العون المعان وذلك أن اللعنة في الدنيا رعد للعذاب ومدله وقسرفت باللعة في الآخرة وقيل بثس العطاء المعطى انتهى ويظهر من كلامه أن المر فود وصفة للرعد وان المخصوص بالذم محذوف تقديره ردهم وما ذكر من تفسيره أن بثس العون المعان هو قول أبى عبيدة وسعى العذاب رعدا على نحو قولهم * تحية بينهم ضرب وجيع * وقال السكاكي الرعد الرقادة أى بثس ما يرفدون به بعد العرق النار

يقول لا اله الا الله وانما يجب على أهل كل بلد أن يشتغلوا بطاعة سلطانهم فلذلك كان أمره خاليا عن
 الرشيد بالكلية والرشيد يستعمل في كل ما يحمد ويرضى والغنى ضده ويقال قدم زيد القوم يقدم قدما
 وقد وما تقدمهم والمعنى انه يقدم قومه الغرقين الى النار وكما كان قدوة في الضلال متبعا كذلك
 يتقدمهم الى النار وهم يتبعونه ويحتمل أن يكون قوله برشيد بحميد العاقبة ويكون قوله يقدم قومه
 تفسير لذلك وايضا حاشى كيف يرشد أمر من هذه عاقبته وعدل عن فيوردهم الى فأوردهم لتحقيق
 وقوعه لا محالة فكانه قد وقع ولما في ذلك من الارهاب والتخويف أو هو ماض حقيقة أى فأوردهم
 في الدنيا النار أى موجه وهو الكفر ويبعد هذا التأويل الفاء والورود في هذه الآية ورود الخلود
 وليس ورود الاشراف على الشيء والاشفاء كقوله ولما ورد ماء مدين ويحتمل أن تكون النار نصيبه
 على أعمال الثاني لأنه تنازع يقدم أى الى النار وفأوردهم فأعمل الثاني وحذف معمول الأول
 والهمزة في فأوردهم للتعدية ورد يتعدى الى واحد فلما أدخلت الهمزة تعدى الى اثنين فتضمن
 واردا ومورودا ويطلق الورد على الوارد فالورد لا يكون المورد فاحتج الى حذف لي مطابق
 فاعل بئس بالذم فالتقدير بئس مكان الورد المورد ويعنى به النار فالورد فاعل بئس
 والخصوص بالذم المورد وهى النار ويجوز فى اعراب المورد ما يجوز فى زيد من قولك بئس
 الرجل زيد وجوز ابن عطية وأبو البقاء أن يكون المورد وصفة للورد أى بئس مكان الورد المورد
 النار ويكون المخصوص محذوف لفهم المعنى كما حذف فى قوله فبئس المهاد وهذا التخريج يبنى على
 جواز وصف فاعل نعم وبئس وفيه خلاف ذهب ابن السراج والفارسي الى أن ذلك لا يجوز *
 وقال الزمخشري والورد المورد الذى وردوه شبه بالفارط الذى يتقدم الواردة الى الماء وشبهه
 اتباعه بالواردة ثم قيل بئس الورد الذى يردونه النار لأن الورد انما يورد لتسكين العطش وتبريد
 الا كباد والنار ضده انتهى وقوله والورد المورد واطلاق الورد على المورد مجاز إذ نقلوا انه يكون
 مصدرا بمعنى الورد أو بمعنى الواردة من الابل وتقديره بئس الورد الذى يردونه النار يدل على أن
 المورد وصفة للورد وأن المخصوص بالذم محذوف ولذلك قدره النار وقد ذكرنا أن ذلك يبنى على
 جواز وصف فاعل نعم وبئس * وقيل التقدير بئس القوم المورد بهم فهم فيكون الورد عنى به
 الجمع الوارد المورد وصفة لهم والمخصوص بالذم الضمير المحذوف وهو هم فيكون ذلك ذما
 للواردين لا ذما لموضع الورد والاشارة بقوله فى هذه الى الدنيا وقد جاء مصرحها فى قصة هود
 ودل عليها قوله ويوم القيامة لأنه الآخرة فيوم معطوف على موضع فى هذه والمعنى انهم ألحقوا لعنة
 فى الدنيا وفى الآخرة * قال الكلبي فى هذه لعنة من المؤمنين أو بالغرق ويوم القيامة من الملائكة
 أو بالنار * وقال مجاهد فلم لعنتان وذهب قوم الى أن التقسيم هو أن لهم فى الدنيا لعنة ويوم القيامة
 يرفدون به فهى لعنة واحدة أو لا وقع ارفاد آخر انتهى وهذا لا يصح لأن هذا التأويل يدل على أن يوم
 القيامة معمول لبئس وبئس لا يتصرف فلا يتقدم معمولها عليها فلو تأخر يوم القيامة صح كما
 قال الشاعر

ولنعم حشو الدرع أنت اذا * دعيت نزال ولج فى الدر

* وقال الزمخشري بئس الرفد المر فودر فدهم أى بئس العون المعان وذلك ان اللعنة فى الدنيا رفة
 للعذاب وممدله وقد ردت باللعة فى الآخرة * وقيل بئس العطاء المعطى انتهى ويظهر من كلامه أن
 المر فودر وصفة للرفد وان المخصوص بالذم محذوف تقديره رفدهم وما ذكر من تفسيره أى بئس

(الدر)

(ع) والمورد وصفة
 للورد أى بئس مكان
 الورد المورد النار
 ويكون المخصوص محذوفا
 لفهم المعنى كما حذف فى
 قوله فبئس المهاد (ح)
 هذا التخريج يبنى على
 جواز وصف فاعل نعم
 وبئس وفيه خلاف ذهب
 ابن السراج والفارسي
 الى أن ذلك لا يجوز

﴿ذلك من أنباء القرى﴾ الآية الإشارة بذلك إلى ما تقدم من ذكر الأنبياء وقومهم وما حل بهم من العقوبات أي ذلك بعض أنباء القرى والضمير في منها عائدة على القرى قال ابن عباس قائم عامر (٢٦٠) وحصيدا ثر قال الزخشي فان قلت ما حل هذه الجملة

قلت هي مستأنفة لا محل لها انتهى وقال أبو البقاء منها قائم مبتدأ وخبر في موضع الحال من الهاء في نقصه وحصيد مبتدأ خبره محذوف أي ومنها حصيد انتهى وما ذكره أبو البقاء تجوز أي نقصه عليك وحال القرى ذلك فالحال أبلغ في التخويف وضرب المثل للحاضرين أي نقص عليك نقص أنباء القرى وهي على هذه الحال يشاهدون فعل الله تعالى ﴿فأغنت﴾ ما نافية أو استفهامية بمعنى أي شيء التي يدعون ﴿وغير﴾ تنبيء أي غير تحسير

(الدر)

منها قائم وحصيد (ش) فان قلت ما حل هذه الجملة ﴿قلت﴾ هي مستأنفة لا محل لها انتهى (ح) وقال أبو البقاء منها قائم ابتداء وخبر في موضع الحال من الهاء في نقصه وحصيد مبتدأ وخبره محذوف أي ومنها حصيد انتهى وما ذكره أبو البقاء تجوز أي نقصه عليك وحال القرى ذلك والحال أبلغ في التخويف وضرب

العون المعان هو قول أبي عبيدة وسمى العذاب ردا على نحو قولهم ﴿تحية بينهم ضرب وجيع﴾ وقال السكاكي الرfid الرفادة أي بأس ما يرفدون به بعد الغرق النار ﴿ذلك من أنباء القرى﴾ نقصه عليك منها قائم وحصيد وما ظاهراهم ولكن ظاهرا أنفسهم فأغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء للمجاة أمر ربك وما زادهم غير تنبيء الآية الإشارة بذلك إلى ما تقدم من ذكر الأنبياء وقومهم وما حل بهم من العقوبات أي ذلك النباء بعض أنباء القرى ويحتمل أن يعنى بالقرى قرى أولئك المهلكين المتقدم ذكرهم وأن يعنى القرى عموما أي هذا النبأ المقصود عليك هو ديدن المدن إذ كبرت فدخل المدن المعاصرة والضهير في منها عائدة على القرى قال ابن عباس قائم وحصيد عامر كزغر وداثر وهذا على تأويل عموم القرى ﴿وقال قتادة وابن جريح قائم الجدران ومنهم﴾ وهذا على تأويل خصوص القرى وانها قرى أولئك الأمم المهلكين ﴿وقال الزخشي بعضها باق وبعضها عا في الأثر كالزراع القائم على ساقه والذي حصدا انتهى وهذا معنى قول قتادة ﴿قال قتادة قائم الأثر ودارسه جعل حصدا لزراع كناية عن الفناء قال الشاعر

والناس في قسم المنية بينهم * كالزراع منه قائم وحصيد

﴿وقال الضمك قائم لم يحسف وحصيد قد خسف﴾ وقال ابن اسحق قائم لم يهلك بعد وحصيد قد أهلك ﴿وقيل قائم أي باق نسله وحصيد أي منقطع نسله وهذا يقتضى على أن يكون التقدير ذلك من أنباء أهل القرى وقد قيل هو على حذف مضاف أي من أنباء أهل القرى ويؤيده قوله وما ظاهراهم فعاد الضهير على ذلك المحذوف ﴿وقال الأخفش حصيد أي محصور ووجه حصيد وحصاد مثل مرضى ومرضى وباب فعلى جمع الفعل بمعنى مفعول أن يكون فيمن يعقل نحو قتل وقتلى ﴿وقال الزخشي (فان قلت) ما حل هذه الجملة ﴿قلت﴾ هي مستأنفة لا محل لها انتهى ﴿وقال أبو البقاء منها قائم ابتداء وخبر في موضع الحال من الهاء في نقصه وحصيد مبتدأ خبره محذوف أي ومنها حصيد انتهى وما ذكره أبو البقاء تجوز أي نقصه عليك وحال القرى وهي على هذه الحال يشاهدون فعل الله بها وما ظاهراهم أي باهلا كناية عنهم بل وضعنا عليهم من العذاب ما يستحقونه ولكن ظاهرا أنفسهم بوضع الكفر موضع الإيمان وارتكاب ما به أهل كوا والظاهر أن قوله ﴿فأغنت﴾ نفي أي لم ترد عنهم من بأس الله شيئا ولا أجبت يدعون حكاية حال أي التي كانوا يدعون أي يعبدون أو يدعونها اللات والعزى وهبل ﴿قال الزخشي ولما منصوب بما أغنت انتهى وهذا بناء على أن لما ظرف وهو خلاف مذهب سيبويه لأن مذهبهم انحرف وجوب لوجوب وأمر ربك هو عذابه ونقمته وما زادهم عومل معاملة العقلاء في الاستناد إلى أو الضهير الذي هو ما يعقل لانهم نزلوهم منزلة العقلاء في اعتقادهم انها تنفع وعبادتهم اياهم والتوبيخ التحسير ﴿قال ابن زيد الشر ﴿وقال قتادة الخسران والهلاك﴾ وقال مجاهد التحسير ﴿وقيل التدمير وهذه كلها أقوال متقاربة﴾ قال ابن عطية وصورته زيادة الاصنام التوبيخ انها هو يتصور بأن تأملها والثقة بها والتعب في عبادتها شغلت نفوسهم عن النظر في الشرع وعاقبته فلحق من ذلك عقاب وخسران وامان عذابهم على

المثل للحاضرين أي نقص عليك بعض أنباء القرى وهي على هذه الحال يشاهدون فعل الله بها انتهى (ش) ولما منصوب بما أغنت انتهى (ح) هذا بناء على أن لما ظرف وهو خلاف مذهب سيبويه لأن مذهبهم انحرف وجوب لوجوب

﴿وكذلك أخذ ربك﴾
 الآية أى ومثل ذلك الأخذ
 أخذ الله الامم السابقة أخذ
 ربك والقري عام في
 القري الظلمة والظلم
 يشمل ظلم الكفر وغير
 ذلك إشارة الى يوم القيامة
 الدال عليه قوله عذاب
 الآخرة والناس مفعول
 لم يسم فاعله رافعه مجموع
 وأجاز ابن عطية أن يكون
 الناس مبتدأ ومجموع خبر
 مقدم وهو بعيد لافراد
 الضمير في مجموع وقياسه
 على اعرابه مجموعون
 ومجموع له الناس عبارة
 عن الحشر ومشهود عام
 يشهده الأولون والآخرون
 من الانس والجن والملائكة
 والحيوان ﴿ومآئوخره﴾
 أى ذلك اليوم وقيل يعود
 على الجزاء لا لاجل
 معدود أى لقضاء سابق
 قد نفذ فيه باجل محدود
 لا يتقدم عليه ولا يتأخر
 عنه والظاهر أن الفاعل
 يأتى ضمير يعود على ما عاد
 عليه الضمير في مؤخره
 وهو قوله ذلك يوم والناصب
 له لا تكلم والمعنى لا تكلم
 نفس يوم يأتى ذلك اليوم
 الا باذنه تعالى وذلك من
 عظم المهابة والهول في
 ذلك اليوم

الكفر يزاد به عذاب على مجرد عبادة الاوثان ﴿وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القري وهي ظالمة ان
 أخذه أليم شديد﴾ ان في ذلك آية لمن خاف عذاب الآخرة ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود
 ومآئوخره الا لاجل معدود * يوم يأتى لا تكلم نفس الا باذنه فمنهم شقي وسعيد ﴿أى ومثل ذلك
 الاخذ﴾ أخذ الله الامم السابقة أخذ ربك والقري عام في القري الظالمة والظلم يشمل ظلم الكفر
 وغيره وقد يعمل الله تعالى بعض الكفرة وأما الظلمة في الغالب فعاجلون وفي الحديث ان الله على
 للظالم حتى اذا أخذه لم يفلته ثم قرأ وكذلك أخذ ربك اذا ﴿وقرأ أبو رجاء والجحدري وكذلك أخذ
 ربك اذا أخذ على أن أخذ ربك فعل وفاعل واذا ظرف لما مضى وهو اخبار عما جرت به عادة الله
 في اهلاك من تقدم من الامم * وقرأ طلحة بن مصرف وكذلك أخذ ربك اذا أخذ﴾ قال ابن عطية
 وهي قراءة متكينة المعنى ولكن قراءة الجماعة تعطى الوعيد واستقراره في الزمان وهو الباب
 في وضع المستقبل موضع الماضي والقري مفعول باخذ على الاعمال اذ تنازعه المصدر وهو أخذ
 ربك وأخذ فاعل الثاني وهي ظالمة جملة حالية ان أخذه أليم موجه صعب على المأخوذ والاخلد هنا
 أخذ الا هلاك ان في ذلك أى فيما قص الله من اخبار الامم الماضية واهلاكهم لآية لعامة لمن خاف
 عذاب الآخرة أى انهم اذا عبدوا في الدنيا لاجل تكذيبهم الانبياء واشرا كهم بالله وهي دار العمل
 فلا ينعبون على ذلك في الآخرة التي هي دار الجزاء أولى وذلك أن الانبياء أخبروا باستتصال
 من كذبهم وأشركوا بالله ووقع ما أخبروا به ووفى إخبارهم فدل على أن ما أخبروا به من البعث
 والجزاء صدق لا شك فيه * قال الزخشرى آية لمن تنافى لعبرة له لانه ينظر الى ما أحل الله بالمجرمين
 في الدنيا وما هو الا نموذج مما أعد لهم في الآخرة فاذا رأى عظمتهم وشدة اعتبار به من عظيم العذاب
 الموعود فيكون له عظة وعبرة ولطف في زيادة التقوى والخشية من الله ونحوه ان في ذلك لعبرة لمن
 يخشى ذلك إشارة الى يوم القيامة الدال عليه قوله عذاب الآخرة والناس مفعول لم يسم فاعله
 رافعه مجموع وأجاز ابن عطية أن يكون الناس مبتدأ ومجموع خبر مقدم وهو بعيد لافراد الضمير
 في مجموع وقياسه على اعرابه مجموعون ومجموع له الناس عبارة عن الحشر ومشهود عام
 يشهده الأولون والآخرون من الانس والجن والملائكة والحيوان في قول الجمهور * وقال
 الزخشرى (فان قلت) أى فائدة في أن أوثر اسم المفعول على فعله (قلت) لما في اسم المفعول من
 دلالة على ثبات معنى الجمع للسوم وانه لا بد أن يكون ميعادا مضر وبالجمع الناس له وانه هو
 الموصوف بذلك صفة لازمة وهو أثبت أيضا اسناد الجمع الى الناس وأنهم لا ينفكون منه وفيه من
 تمكن الوصف وثباته ما ليس في الفعل ومعنى مشهود مشهود فيه فأتسع في الجار والمجرور ووصل
 الفعل الى الضمير اجراء له مجرى المفعول به على السعة لقوله * ويوما شهدناه سلبا وعامرا *
 والمعنى يشهد فيه الخلائق الموقف لا يغيب عنه أحد ومنه قولهم لقلان مجلس مشهود وطعام
 محضور وانما لم يجعل اليوم مشهودا في نفسه كما قال فن شهد منكم الشهر لأن الغرض وصف ذلك
 اليوم بالهول والعظم وغيره من بين الايام وكونه مشهودا في نفسه لا يميزه اذ هو موافق لسائر الايام
 في كونها مشهودة ومآئوخره أى ذلك اليوم * وقيل يعود على الجزاء قاله الخوفي الا لاجل معدود
 أى لقضاء سابق قد نفذ فيه باجل محدود لا يتقدم عليه ولا يتأخر عنه * وقرأ الأعمش ومآئوخره
 بالياء * وقرأ النحويان ونافع يأتى بانيات الياء وصلوا وحذفوا وقفوا بن كثير بانياتهما وصلوا وقفوا وهي
 ثابتة في مصحف أبي * وقرأ باقي السبعة بحذفها وصلوا وقفوا وسقطت في مصحف الامام عثمان *

﴿ فاما الذين شقوا في النار ﴾ الآية الزفير أول نهيق الحمار والشهيق آخره وانتصاب خالد بن علي أنها حال مقدرة ومصدرية ظرفية
أي مدة دوام السموات والارض والمراد بهذا التوقيت (٢٦٢) التأييد لقول العرب ما أقام ثبير وملاح كوكب وضعت

العرب ذلك للتأييد من غير
نظر لفناء ثبير أو الكوكب
أو لعدم فناءهما ﴿ الامشاء
ربك ﴾ قال الزمخشري فان
قلت ما معنى الاستثناء في
قوله الامشاء ربك وقد ثبت
خلود أهل الجنة والنار
في الآية من غير استثناء
قلت هو استثناء من الخلود
في عذاب النار ومن الخلود
في نعيم الجنة وذلك ان أهل
النار لا يخلدون في عذاب
النار وحده بل يعذبون
بالزمهرير وبأنواع من
العذاب يساوي عذاب
أهل النار وبما هو أغاظ
منها كلها وهو سخط الله
عليهم وخسوه لهم واهانتهم
أيهم وهكذا أهل الجنة لهم مع
تبوء الجنة ما هو أكبر منها
وأجل موقعاتهم وهو
رضوان الله تعالى كما قال
تعالى وعد الله الى قوله
ورضوان من الله أكبر
ولهم ما تفضل الله به عليهم
سوى ثواب الجنة ما لا يعرف
كنهه الا هو فهو المراد
بالاستثناء والدليل عليه
قوله عطاء غير مجذوذ ومعنى

وقرأ الأعمش يأتون وكذا في مصحف عبد الله وثابتها وصلوا وقفاهو الوجه ووجه حذفها في
الوقف التشبيه بالفواصل وقفوا وصلوا التخفيف كما قالوا ألا أدركوا أبال * وذكر الزمخشري ان
الاجتزاء بالكسرة عن الياء كثير في لغة هذيل وأنشد الطبري
كفالك كف ما يليق درهما * جودا وأخرى تعط بالسيف الدما
والظاهر أن الفاعل يأتى ضمير يعود على ما عاده عليه الضمير في نوء خره وهو قوله ذلك يوم
والناصب له لا تكلم والمعنى لا تكلم نفس يوم يأتى ذلك اليوم الا باذن الله وذلك من عظم المهابة
والهول في ذلك اليوم وهو نظير لا يتكلمون الا من أدن له الرحمن هو ناصب كقوله يوم يقوم
الروح والملائكة صفا والمراد باتيان اليوم اتيان أهواله وشدائده اذ اليوم لا يكون وقتا لاتيان
اليوم وأجاز الزمخشري أن يكون فاعل يأتى ضمير عائدا على الله قال كقوله هل ينظرون
الآن يأتهم الله أو يأتى ربك وجاء ربك ويعضده قراءة وما يؤخره بالياء وقوله باذنه وأجاز أيضا أن
ينصب يوم يأتى باد كروا بالانتهاء المحذوف في قوله الا لاجل معدود أي ينتهي الاجل يوم يأتى وأجاز
الحوفي أن يكون لا تكلم حالا من ضمير اليوم المتقدم في مشهود أو نعماله لانه نكرة والتقدير لا
تكلم نفس فيه يوم يأتى الا باذنه * وقال ابن عطية لا تكلم نفس يصح أن يكون جملة في موضع الحال
من الضمير الذي في يأتى وهو العائد على قوله ذلك يوم ويكون على هذا عائدا محذوف تقديره لا تكلم
نفس فيه الا باذنه ويصح ان يكون قوله لا تكلم نفس صفة لقوله يوم يأتى أو يوم يأتى يراد به الحين
والوقت لا النهار بعينه وما ورد في القرآن من ذكر كلام أهل الموقف في التلازم والتساؤل
والتجادل فاما أن يكون باذن الله واما أن يكون هذه مختصة هنا في تكلم شفاعة أو اقامة حجة انتهى
وكلامه في اعراب لا تكلم كأنه منقول من كلام الحوفي * وقيل يوم القيامة يوم طويل له مواقف
ففي بعضها يجادلون عن أنفسهم وفي بعضها يكفون عن الكلام فلا يؤذن لهم وفي بعضها يؤذن لهم
فيتكلمون وفي بعضها يحتم على أفواههم وتكلم أيديهم وتشهد أرجلهم والضمير في منهم عائدا على
الناس في قوله مجموع له الناس * وقال الزمخشري الضمير لأهل الموقف ولم يذكره إلا أن ذلك
معلوم ولان قوله لا تكلم نفس يدل عليه وقد مر ذكر الناس في قوله مجموع له الناس * وقال ابن
عطية فمهم عائدا على الجميع الذي تضمنه قوله نفس اذهوا سمع جنس يراد به الجميع انتهى * قال ابن
عباس الشقي من كتبت عليه الشقاوة والسعيد الذي كتبت له السعادة * وقيل معذب ومنعم *
وقيل محروم وممززوق * وقيل الضمير في منهم عائدا على أمة محمد صلى الله عليه وسلم ذكره ابن
الانباري ﴿ فاما الذين شقوا في النار لهم فيها زفير وشهيق خالد بن علي فيهما مادامت السموات والارض
الامشاء ربك ان ربك فعال لما يريد وأما الذين سعدوا في الجنة خالد بن فيهما مادامت السموات
والارض الامشاء ربك عطاء غير مجذوذ ﴾ قال الضحاك ومقاتل والفراء الزفير أول نهيق الحمار
والشهيق آخره * وروى عن ابن عباس وقال أبو العاليت والريبع بن أنس الزفير في الخلق والشهيق

قوله في مقابلته ان ربك فعال لما يريد أنه يفعل بأهل النار ما يريد من العذاب كما يعطي أهل الجنة عطاء الذي لا انقطاع له فمأمله فان
القرآن يفسر بعضه بعضا رتال الفراء فيما حكى ابن عطية عنه الا في هذه الآية بمعنى سوى والاستثناء منقطع كما تقول لك عندي ألفا
درهم الا الألف التي كنت ألفتك بمعنى سوى تلك الألف ويؤيد هذا التأويل قوله تعالى بعد هذا عطاء غير مجذوذ وانتصب عطاء على
المصدر أي أعطوا عطاء بمعنى اعطاء كقوله تعالى والله أنبتكم من الأرض نباتا أي انبتا ومعنى غير مجذوذ أي غير مقطوع بل

في الصدر ورى عن ابن عباس أيضا * وقال ابن السائب الزفير زفير الجمار والشهيق شهيق البغال
 وانتصاب خالدين على أنها حال مقدرة وما مصدرية ظرفية أي مدة دوام السموات والارض والمراد
 بهذا التوقيت التأييد كقول العرب ما أقام ثبير ومالاح كوكب وضعت العرب ذلك للتأييد من غير
 نظر لفناء ثبير أو الكوكب أو عدم فنائهما * وقيل سموات الآخرة وأرضها وهي دائمة لا تبدل على
 ذلك يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وقوله وأورثنا الارض نتبوا آمن الجنة حيث نشاء
 ولأنه لا بد لأهل الآخرة مما يقلمهم ويظلمهم أما سماء يخلقها الله أو يظلمهم العرش وكلما أظلك فهو سماء *
 وعن ابن عباس ان السموات والارض في الآخرة يردان الى النور الذي أخذتانه فهما دائمان
 أبدا في نور العرش والظاهر ان قوله الامشاء ربك استثناء من الزمان الدال عليه قوله خالدين
 فيها مادامت السموات والارض والمعنى الا الزمان الذي شاء الله تعالى فلا يكون في النار ولا في
 الجنة ويمكن أن يكون هذا الزمان المستثنى هو الزمان الذي يفصل الله بين الخلق يوم القيامة اذا
 كان الاستثناء من السكون في النار والجنة لانه زمان يخلو فيه الشقي والسعيد من دخول النار أو
 الجنة وأما ان كان الاستثناء من الخلود فيمكن ذلك بالنسبة الى أهل النار ويكون الزمان المستثنى
 هو الزمان الذي فات أهل النار العصاة من المؤمنين الذين يخرجون من النار ويدخلون الجنة
 فليسوا خالدين في النار اذ قد أخرجوا منها وصاروا في الجنة وهذا روى معناه عن قتادة والضحاك
 وغيرهما ويكون الذين شقوا شاملا للكفار وعصاة المسلمين وأما بالنسبة الى أهل الجنة فلا يتأني
 منهم ما تأني في أهل النار اذ ليس منهم من يدخل الجنة ثم لا يخلد فيها لكن يمكن ذلك باعتبار أن يكون
 أريد الزمان الذي فات أهل النار العصاة من المؤمنين أو الذي فات أصحاب الاعراف فانهم بفوات
 تلك المدة التي دخل المؤمنون فيها الجنة وخلصوا فيها صدق على العصاة المؤمنين وأصحاب الاعراف
 انهم ما خلدوا في الجنة تخليد من دخلها الاول وهلة ويجوز أن يكون استثناء من الضهير المستكن
 في الجار والمجرور أو في خالدين وتكون ما واقعة على نوع من يعقل كما وقعت في قوله فانك كحوا ما
 طاب لكم من النساء أو تكون واقعة على من يعقل على مذهب من يرى وقوعها على من يعقل
 مطلقا ويكون المستثنى في قصة النار عصاة المؤمنين وفي قصة الجنة هم أو أصحاب الاعراف لانهم لم
 يدخلوا الجنة الاول وهلة ولا خلدوا فيها خلود من دخلها أول وهلة * وقال الزمخشري (فان قلت) ما
 معنى الاستثناء في قوله الامشاء ربك وقد ثبت خلود أهل الجنة والنار في الآية من غير استثناء
 (قلت) هو استثناء من الخلود في عذاب النار ومن الخلود في نعيم أهل الجنة وذلك ان أهل النار
 لا يخلدون في عذاب النار وحده بل يعذبون بالزمهرير وبانواع من العذاب يساوي عذاب النار
 وبما هو أغلظ منها كلها وهو سخط الله عليهم وخسوه لهم واهانتهم اياهم وهكذا أهل الجنة لهم مع تبوء
 الجنة ما هو أكبر منها وأجل موقعاتهم وهو رضوان الله تعالى كما قال وعد الله الآية الى قوله
 ورضوان من الله أكبر ولهم ما يفضل به عليهم سوى ثواب الجنة ما لا يعرف كنهه الا هو فهو المراد
 بالاستثناء والدليل عليه قوله عطاء غير مجد وذو معنى قوله في مقابلته ان ربك فعال لما يريد أنه يفعل
 بأهل النار ما يريد من العذاب كما يعطي أهل الجنة عطاءه الذي لا انقطاع له فتأمل له فان القرآن يفسر
 بعضه بعضا ولا يحد عنك عنه قول المجبرة المراد بالاستثناء خروج أهل الكبائر من النار بالشفاعاة
 فان الاستثناء الثاني ينادى على تكذيبهم ويسجل بافترائهم وما ظنك بقوم نبذوا كتاب الله وراء
 ظهورهم لما روى لهم بعض الثوابت عن عبد الله بن عمر وبن العاص ليأتين على جهنم يوم تصفق

فيه أبوابها ليس فيها أحد وذلك عندما يلبثون فيها أحقاباً وقد بلغني أن من الضلال من اعتبر هذا الحديث فاعتقد أن الكفار لا يخلدون في النار وهذا ونحوه والعياذ بالله من الخذلان المبين إزدادنا الله هداية إلى الحق ومعرفة بكتابه وتنبيهاً عن أن نغفل عنه ولئن صح هذا عن أبي العاصي فغناه يخرجون من النار إلى برد الزمهرير فذلك خروجهم وصفق أبوابها انتهى وهو على طريق الاعتزال في تخليد أهل الكبائر غير التائبين من المؤمنين في النار وأما ما ذكره من الاستثناء في أهل النار من كونهم لا يخلدون في عذاب النار اذ ينتقلون إلى الزمهرير فلا يصدق عليهم أنهم خالدون في عذاب النار فقد يتشى وأما ما ذكره من الاستثناء في أهل الجنة من قوله خالدون فلا يتشى لأنهم مع ما أعطاهم الله من رضوانه وما تفضل عليهم به من سوى ثواب الجنة لا يخرجهم ذلك عن كونهم خالدون في الجنة فلا يصح الاستثناء على هذا بخلاف أهل النار فإنه خروجهم من عذابها إلى الزمهرير يصح الاستثناء * وقال ابن عطية وأما قوله الأما شاء بك فمقيل فيه أن ذلك على طريق الاستثناء الذي ندب الشرع إلى استعماله في كل كلام فهو على نحو قوله لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين استثناء في واجب وهذا الاستثناء هو في حكم الشرط كأنه قال إن شاء الله فليس يحتاج أن يوصف بمقتضى ولا منقطع * وقيل هو استثناء من طول المدة وذلك على ما روي أن جهنم تخرب ويعدم أهلها وتحقق أبوابها فهم على هذا يخلدون حتى يصير أمرهم إلى هذا وهذا قول محيل والذي روي ونقل عن ابن مسعود وغيره أنها تخرج من النار إنما هو الدرك الأعلى المختص بعصاة المؤمنين وهو الذي يسمى جهنم وسمى الكل به تجوزاً * وقيل لا بمعنى الواو بمعنى الآية وما شاء الله أن يفعل ذلك * وقيل لا في هذه الآية بمعنى سوى والاستثناء منقطع كما تقول لي عندك ألفادهم إلا ألف التي كنت أسلفتك بمعنى سوى تلك الألف فكانه قال خالدون فيها مادامت السموات والأرض سوى ما شاء الله أن يفعل ذلك ويؤيد هذا التأويل قوله تعالى بعد هذا إعطاء غير مجد وذو هذا قول الفر * وقيل سوى ما أعد لهم من أنواع العذاب مما لا يعرف كالزمهرير * وقيل استثناء من مدة السموات والأرض التي فرطت لهم في الحياة الدنيا * وقيل في البرزخ بين الدنيا والآخرة * وقيل في المسافات التي بينهم في دخول النار اذ دخولهم إنما هو زمهرير بعد زمهرير * وقيل الاستثناء من قوله ففي النار كأنه قال الأما شاء بك من تأخير قوم عن ذلك وهذا قول رواه أبو نصر عن جابر أو عن أبي سعيد الخدري ثم أخبر منها على قدرة الله تعالى فقال إن ربك فعال لما يريد انتهى * وقال أبو مجاز الأما شاء ربك أن يتجاوز عنه بعذاب يكون جزاؤه الخلود في النار فلا يدخله النار * وقيل معنى الأما شاء ربك كما شاء ربك قيل كقوله ولا تنكحوا ما نكح آبائكم من النساء إلا ما قد سلف أي كما قد سلف * وقرأ الحسن شقوا بضم السين والجمهور بفتحها * وقرأ ابن مسعود وطلحة بن مصرف وابن وثاب والأعمش وجزء والكسائي وحفص سعدوا بضم السين وباقي السبعة والجمهور بفتحها وكان علي بن سليمان يتعجب من قراءة الكسائي سعدوا مع علمه بالعربية ولا يتعجب من ذلك اذ هي قراءة منقولة عن ابن مسعود ومن ذكرناه وقد احتج الكسائي بقوله مسعود قيل ولا حجة فيه لأنه يقال مكان مسعود فيه ثم حذف فيه وسمى به * وقال المهدي من قرأ سعدوا فهو محمول على مسعود وهو شاذ قليل لأنه لا يقال سعداه الله إنما يقال أسعده الله * وقال الثعلبي سعدوا أسعد بمعنى واحد وانتصب عطاء على المصدر أي أعطوا عطاء بمعنى أعطاه كقوله والله أنبتكم من الأرض نباتاً أي أنباتاً ومعنى غير مجد وذو غير مقطوع بل هو ممتد إلى غير نهاية * فلاتك في مرة

هو ممتد الى غير نهاية ﴿ فلذلك في مريه ﴾ الآية لما ذكر تعالى قصص عبدة الأوثان من الأمم السالفة وأتبع ذلك بذكر أحوال
الاشقياء والسعداء شرح لرسول الله صلى الله عليه وسلم أحوال الكفار من قومه وانهم متبعو آباءهم كحال من تقدم من الأمم السالفة
في اتباع آباءهم في الضلال وهؤلاء اشارة الى مشركي العرب باتفاق وان دينهم كدين الأمم الماضية في التقليد والعمى عن النظر
في الدلائل والحجج وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعده (٢٦٥) بالانتقام منهم اذ حالهم في ذلك حال
الأمم السالفة قد قصصنا

عليك ماجرى لهم من سوء
العاقبة والتشبيه في قوله
كاي بعد معناه أن حالهم في
الشرك مثل حال آباءهم من
غير تفاوت وقد بلغك منازل
بأسلافهم فسينزل بهم مثله
وما يعبدون استئناف
جرى مجرى التعليل للنهي
قال ابن عباس ما قدر لهم
من خير وشر وقال
الزحشري فان قلت كيف
نصب غير منقوص حالا
عن النصيب الموفى قلت
يجوز أن يوفى وهو ناقص
ويوفى وهو كامل ألا تراك
تقول وفيه شطر حقه
وثلث حقه وحقه كاملا
وناقصا انتهى وهذه مغلطة
اذا قال وفيه شطر حقه
فالتوفية وقعت في الشطر
وكذا ثلث حقه والمعنى
أعطيته الشطر أو الثلث
كاملا لم أنقصه عنه شيئا وأما
قوله وحقه كاملا وناقصا
أما كاملا فصحيح وهي
حال مؤكدة لان التوفية

مما يعبد هؤلاء ما يعبدون الا كما يعبد آباؤهم من قبل وانا لموفوهم نصيبهم غير منقوص * ولقد
آتيناموسى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم وانهم لفي شك منه مريب
* وان كلاما ليو فيهم ربك أعمالهم انه بما يعملون خبير * فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا
تبطغوا انه بما تعملون بصير * ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار ومالك من دون الله من
أولياء ثم لا تنصرون * وأقم الصلاة طر في النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك
ذكرى للذاكرين * واصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين * فلو لا كان من القرون من قبلكم أولوا
بقية ينهون عن الفساد في الارض الا قليلا ممن أنجينا منهم واتبع الذين ظلموا اما أترفوا فيه وكانوا
مجرمين * الزلقة قال الليث طائفة من أول الليل والجمع الزلف * وقال ثعلب الزلف أول ساعات الليل
واحدها زلفة وقال أبو عبيدة والأخفش وابن قتيبة الزلف ساعات الليل وآناؤه وكل ساعة زلفة
* وقال العجاج ناح طواه الاين منا وجفا * طى اليمالى زلفا فرفقا
* سهاؤهم الهلال حتى احق قفقا *

وأصل الكلمة من الزلفى وهى القرية ويقال أزلفه فازدلف أى قرب به فاقرب وأزلفنى أدنانى
* الترفى النعمة صبي مترف منعم البدن ومترف أبطرته النعمة وسعة العيش * وقال الفراء أترف
عود الترفة وهى النعمة ﴿ فلذلك في مريه مما يعبد هؤلاء ما يعبدون الا كما يعبد آباؤهم من قبل
وانا لموفوهم نصيبهم غير منقوص ﴾ لما ذكر تعالى قصص عبدة الاثنان من الأمم السالفة واتبع
ذلك بذكر أحوال الاشقياء والسعداء شرح للرسول صلى الله عليه وسلم أحوال الكفار من
قومه وانهم متبعو آباءهم كحال من تقدم من الأمم في اتباع آباءهم في الضلال وهؤلاء اشارة الى مشركي
العرب باتفاق وان دينهم كدين الأمم الماضية في التقليد والعمى عن النظر في الدلائل والحجج
وهذه تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم وعده بالانتقام منهم اذ حالهم في ذلك حال الأمم السالفة
والأمم السالفة قد قصصنا عليك ماجرى لهم من سوء العاقبة والتشبيه في قوله كاي بعد معناه أن حالهم
في الشرك مثل حال آباءهم من غير تفاوت وقد بلغك منازل بأسلافهم فسينزل بهم مثله وما يعبد
استئناف جرى مجرى التعليل للنهي عن المرية وما في مما وفى كما يحتمل أن تكون مصدرية ومعنى
الذى * وقرأ الجمهور لموفوهم مشددا من وفى وابن محيصن مخففا من أوفى والنصيب هنا قال ابن
عباس ما قدر لهم من خير ومن شر * وقال أبو العالية من الرزق * وقال ابن زيد من العذاب وكذا
قال الزحشري قال كما وفيها آباءهم أنصاءهم وغير منقوص حال من نصيبهم وهو عندى حال مؤكدة
لأن التوفية تقتضى التكميل * وقال الزحشري (فان قلت) كيف نصب غير منقوص حالا

(٣٤ - تفسير البحر المحيط لابي حيان - خامس) تقتضى الا كمال وأما وناقصا فلا يقال لما دته التوفية والخطاب في فلا
تلك متوجه الى من داخله الشك لالى الرسول صلى الله عليه وسلم والمعنى والله أعلم قل يا محمد لمن شك لا شك في مريه مما يعبد هؤلاء
(الدر) (ش) فان قلت كيف نصب غير منقوص حالا من النصيب الموفى * قلت يجوز أن يوفى وهو ناقص ويوفى وهو كامل
ألا تراك تقول وفيه شطر حقه وثلث حقه وحقه كاملا وناقصا انتهى (ح) هذه مغلطة اذا قال وفيه شطر حقه فالتوفية وقعت في
الشر وكذا ثلث حقه والمعنى أعطيته الشطر والثلث كاملا لم أنقصه منه شيئا وأما قوله وحقه كاملا وناقصا أما كاملا فصحيح وهي
حال مؤكدة لان التوفية تقتضى الا كمال وأما وناقصا فلا يقال لما دته التوفية

فان الله لم يأمرهم بذلك وانما اتبعوا في ذلك آباءهم تقليداً (٢٦٦) لهم واعراضاً عن حجج العقول * ولقد آتينا موسى

الكتاب * الآية والكتاب التوراة فاختلفوا فيه فقبله بعض وأنكره بعض والظاهر عود الضمير في فيه على الكتاب لقربه ويجوز أن يعود على موسى صلى الله عليه وسلم ويلزم من الاختلاف في أحدهما الاختلاف في الآخر * وان كلاهما ليوفيهما * الآية الظاهر عموم كل وشموله للمؤمن والكافر وقرئ وان كلا بالتشديد وكلا اسمها وقرئ وان بالتخفيف وكلا اسمها وعمالها مخففة ثابت في لسان العرب في كتاب سيبويه ان زيدا المنطلق بتخفيف ان وقرئ لما بتخفيف الميم فاللام هي الداخلة في خبر ان المخففة والمشددة وما زائدة واللام في ليوفيهما جواب قسم محذوف وذلك القسم في موضع خبر ان وليوفيهما جواب القسم المحذوف فالتقدير وان كلا لا قسم ليوفيهما وقرئ لما بالتشديد وهي لما الجازمة حذف الفعل المجزوم للدلالة المعنى عليه وتقديره وان كلا لما ينقص من جزاء عمله ويدل عليه قوله تعالى ليوفيهما ربك أعمالهم لما أخبر بانتم خاص جزاء أعمالهم

من النصيب الموفى (قلت) يجوز أن يوفى وهو ناقص ويوفى وهو كامل ألا تراكم تقول وفيه شطر حقه وثلاث حقه وحقه كاملاً وناقصاً انتهى وهذه مغلطة اذا قال وفيه شطر حقه فالتوفية وقعت في الشطر وكذا ثلث حقه والمعنى أعطيته الشطر أو الثلث كاملاً لم أنقصه منه شيئاً وأما قوله وحقه كاملاً وناقصاً كما لا فصحح وهي حال مؤكدة لأن التوفية تقتضي الاكمال وأما وناقصاً فلا يقال لما فاته التوفية والخطاب في فلاتك متوجه الى من داخله الشك لا الى الرسول صلى الله عليه وسلم والمعنى والله أعلم قل يا محمد كل من شك لا شك في مريته بما بعده هؤلاء فان الله لم يأمرهم بذلك وانما اتبعوا في ذلك آباءهم تقليداً لهم واعراضاً عن حجج العقول * ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم وانهم في شك منه مريب * لما بين تعالى اصرار كفار مكة على انكار التوحيد ونبوة الرسول والقرآن الذي أتى به بين أن الكفار من الأمم السابقة كانوا على هذه السيرة الفاجرة مع أنبيائهم فليس ذلك ببدع من من عاصر الرسول صلى الله عليه وسلم وضرب لذلك مثلاً وهو انزال التوراة على موسى فاختلفوا فيها والكتاب هنا التوراة فقبله بعض وأنكره بعض كما اختلف هؤلاء في القرآن والظاهر عود الضمير فيه على الكتاب لقربه ويجوز أن يعود على موسى عليه السلام ويلزم من الاختلاف في أحدهما الاختلاف في الآخر وجوز أن تكون في بمعنى على أي فاختلف عليه وكان بنو اسرائيل أشد تعنتاً على موسى وأكثر اختلافاً عليه وقد تقدم شرح ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم والظاهر عود الضمير في بينهم على قوم موسى عليه السلام اذ هم المختلفون فيه أو في الكتاب * وقيل يعود على المختلفين في الرسول من معاصريه * قال ابن عطية وأن يعمهم اللفظ أحسن عندي وهذه الجملة من جملة تسليمة أيضاً * وان كلاهما ليوفيهما ربك أعمالهم انه بما يعملون خبير * الظاهر عموم كل وشموله للمؤمن والكافر * وقال الزنجشري التنوين عوض من المضاف اليه يعني وان كلهم وان جميع المختلفين فيه * وقال مقاتل يعني به كفار هذه الأمة * وقرأ الحرميان وأبو بكر وان كلا بتخفيف النون ساكنة * وقرأ ابن عامر وعاصم وحزرة لما بالتشديد هنا وفي يس والطارق وأجمعت السبعة على نصب كلا فتصور في قراءتهم أربع قراءات احداها تخفيف ان ولما وهي قراءة الحرمين والثانية تشديد هما وهي قراءة ابن عامر وحزرة وحفص والثالثة تخفيف ان وتشديد لما وهي قراءة أبي بكر والرابعة تشديد ان وتخفيف لما وهي قراءة الكسائي وأبي عمرو * وقرأ أبي والحسن بخلاف عنه وابان بن ثعلب وان بالتخفيف كل بالرفع لما مشدداً * وقرأ الزهري وسليمان بن أرقم وان كلا لما بتشديد الميم وتنوينها ولم يتعروا للتخفيف ان ولا تشديد لها * وقال أبو حاتم الذي في مصحف أبي وان من كل الا ليوفيهما * وقرأ الأعمش وان كل الا وهو حرف ابن مسعود فهذه أربعة وجوه في الساذفاما القراءة الاولى فاعمال ان مخففة كاعمالها مشددة وهذه المسألة فيها خلاف ذهب الكوفيون الى أن تخفيف ان يبطل عملها ولا يجوز أن تعمل وذهب البصريون الى ان اعمالها جائز لكنه قليل الامع المضمر فلا يجوز الا ان ورد في شعر وهذا هو الصحيح لثبوت ذلك في لسان العرب * حكى سيبويه أن الثقة أخبره أنه سمع بعض العرب أن عمر المنطلق وثبوت هذه القراءة المتواترة وقد تأولها الكوفيون وأما لما فقال الفراء فاللام فيها هي اللام الداخلة على خبر ان وما موصولة بمعنى الذي كما جاء فانك جواما طاب لكم والجملة من القسم المحذوف وجوابه

لما أخبر بانتم خاص جزاء أعمالهم كد بالقسم قالت العرب قاربت المدينة ولما يريدون ولما أدخلها الدلالة المعنى عليه

الذي هو ليو فينهم صلة لما نحو قوله تعالى وان منكم لمن ليبطئن وهذا وجه حسن ومن ايقاع ما على من يعقل قولهم لاسيا زيدا بالرفع أى لاسى الذي هو زيد * وقيل ما نكرة موصوفة وهى لمن يعقل والجملة القسمية وجوابها قامت مقام الصفة لان المعنى وان كلا خلق موفى عمله ورجح الطبرى هذا القول واختاره * وقال أبو على العرف أن تدخل لام الابتداء على الخبر والخبر هنا هو القسم وفيه لام تدخل على جوابه فاما اجتمع اللامان والقسم مخدوف واتفقا فى اللفظ وفى تلقى القسم فصل بينهما كما فصلوا بين أن واللام انتهى ويظهر من كلامه أن اللام فى لماهى اللام التى تدخل فى الخبر ونص الحوفى على أنها لام ان الا أن المنقول عن أبى على أن الخبر هو ليو فينهم وتحريره ما ذكرنا وهو القسم وجوابه * وقيل اللام فى لما موطئة للقسم وما مضى بده والخبر الجملة القسمية وجوابها والى هذا القول فى التحقيق يؤول قول أبى على * وأما القراءة الثانية فتشديدان واعمالها فى كل واضح وأما تشديد لما فقال المبرد هذا لحن لا تقول العرب ان زيدا ما خارج وهذه جسارة من المبرد على عادته وكيف تكون قراءة متواترة لحناء وليس تركيب الآية كتركيب المثال الذى قال وهو ان زيدا ما خارج هذا المثال لحن وأما فى الآية فليس لحناء ولو سكت وقال كما قال الكسائى ما أدري ما وجه هذه القراءة لكان قد وفق وأما غير هذين من الحواريين فاختلفوا فى تخريجها * فقال أبو عبيد أصله لما منونا وقد قرئ كذلك ثم بنى منه فعلى فصار كترى نون اذ جعلت ألفه للالحاق كارطى ومنع الصرف اذ جعلت ألف تأنيث وهو مأخوذ من لممة أى جمعة والتقدير وان كلا جميعا ليو فينهم ويكون جميعا فيه معنى التوكيد ككل ولا يقال لما هذه هى لما المنونة وقف عليها بالألف لأنها بدل من التسوين وأجرى الاصل مجرى الوقف لأن ذلك انما يكون فى الشعر وما قاله أبو عبيد بعيد إذ لا يعرف بناء فعلى من اللم ولما يلزم من أفعال ان يميلها ولم يعلمها أحد بالاجماع ومن كتابتها بالياء ولم تسكتب بها * وقيل لما المشددة هى لما المخففة وشدها فى الوقف كقولك رأيت فرحاً يريد فرحاً وأجرى الوصل مجرى الوقف وهذا بعيد جداً * وروى عن المازنى * وقال ابن جنى وغيره تقع الزائدة فلا يبعد أن تقع لما بمعناها زائدة انتهى وهذا وجه ضعيف مبنى على وجهه ضعيف فى الا * وقال المازنى ان هى المخففة ثقلت وهى نافية بمعنى ما كما خففت ان ومعناها المثقلة ولما بمعنى الا وهذا باطل لأنه لم يبعد تثقيب ان النافية ولنصب كل وان النافية لاتنصب * وقيل لما بمعنى الا كقولك نشدتك بالله لما فعلت تريد الافعلت وقاله الحوفى وضعفه أبو على قال لأن لما هذه لا تفارق القسم انتهى وليس كما ذكر قد تفارق القسم وانما يبطل هذا الوجه لأنه ليس موضع دخول الا لو قلت ان زيدا الاضر بته لم يكن تركيباً عربياً * وقيل لما أصلها من ما ومن هى الموصولة وما بعد هازائدة واللام فى لماهى داخله فى خبر ان والصلة الجملة القسمية فاه أدغمت ميم من فى ما الزائدة اجتمعت ثلاث ميمات فحذفت الوسطى منهن وهى المبدلة من النون فاجتمع المثالان فأدغمت ميم من فى ميم ما فصار لما وقاله المهدي * وقال الفراء وتبعه جماعة منهم نصر الشيرازى أصل لما من ما دخلت من الجارة على ما كفى قول الشاعر وإن لمن ما يضرب الكبش ضربة * على رأسه تلقى اللسان من الفم

فعمل بها ما عمل فى الوجه الذى قبله وهذا ان الوجهان ضعيفان جداً لم يعمد حذف نون من ولا حذف نون من الا فى الشعر اذ القيت لام التعريف أو شبهها غير المدغمة نحو قولهم ما مال يريدون من المال وهذه كلها تحريك بجات ضعيفة جداً ينزه القرآن عنها وكتب قد ظهر لى فيها وجه جار على قواعد العربية وهو ان لما هذه هى لما الجازمة حذف فعلها الجز وملا لالة المعنى عليه كما حذفوه فى قولهم

قاربت المدينة ولما يريدون ولما أدخلها وكذلك هنا التقدير وان كلاً لما ينقص من جزاء عمله ويدل عليه قوله تعالى ليوفينهم ربك أعمالهم لما أخبر بانتفاء نقص جزاء أعمالهم أكد بالقسم فقال ليوفينهم ربك أعمالهم وكنت اعتقدت اني سبقت الى هذا التخرج السائق العارى من التكلف وذكرت ذلك لبعض من يقرأ على فقال قد ذكر ذلك أبو عمرو وبن الحاجب ولتركي النظر في كلام هذا الرجل لم أقف عليه ثم رأيت في كتاب التحرير نقل هذا التخرج عن ابن الحاجب قال لما هذه هي الجازمة حذف فعلها للدلالة عليه لما ثبت من جواز حذف فعلها في قولهم خرجت ولما سافرت ولما ونحوه وهو سائق فصيح فيكون التقدير لما يترك كوالما تقدم من الدلالة عليه من تفصيل المجموعين في قوله فثم شق وسعيد ثم ذكر الاشقياء والسعداء ومجازاتهم ثم بين ذلك بقوله ليوفينهم ربك أعمالهم قال وما أعرف وجهاً أشبه من هذا وان كان النفوس تستبعد من جهة ان مثله لم يقع في القرآن وأما القراءة الثالثة والرابعة فتخرج ما مفهوم من تخرج القراءتين قبلهما وأما قراءة أبي ومن ذكر معه فان نافية ولما بمعنى الا والتقدير ما كل الا والله ليوفينهم وكل مبتدأ الخبر الجملة القسمية وجوابها التي بعد لما كقراءة من قرأ وان كل لما جميع ان كل نفس لما عليها حافظ ولا التفات الى قول أبي عبيد والقراء من انكارهما ان لما تكون بمعنى الا * قال أبو عبيد لم نجد هذا في كلام العرب ومن قال هذا لزمه ان يقول رأيت القوم لما أخاك يريد الأخاك وهذا غير موجود * وقال القراء اما من جعل لما بمعنى الا فانه وجه لا نعرفه وقد قالت العرب مع المؤمنين بالله لما قت عنا فاما في الاستثناء فلم تنقله في شعر الا ترى ان ذلك لو جاز لمع في الكلام ذهب الناس لما زيدا والقراءة المتواترة في قوله وان كل لما وان كل نفس لما حاجة عليهما وكون لما بمعنى الانقله الخليل وسيبويه والكسائي وكون العرب خصت مجيئها ببعض التراكيب لا يقدح ولا يلزم اطرافها في باب الاستثناء فكم من شيء خص بتركيب دون ما أشبهه وأما قراءة الزهري وابن أرقم لما بالتثوين والتشديد فاما مصدر من قولهم لمت الشيء جمعه وخرج نصبه على وجهين أحدهما ان يكون صفة لكلا وصف بالمصدر وقدر كل مضافا الى نكرة حتى يصح الوصف بالنكرة كما وصف به في قوله أكلما وهذا التخرج أبي على والوجه الثاني ان يكون منصوباً بقوله ليوفينهم على حد قولهم قياما لا قوم من وقوعه لا قعدن فالتقدير نافية جامعة لأعمالهم ليوفينهم وهذا تخرج ابن جني وخبر ان على هذين الوجهين هو جملة القسم وجوابه وأما ما في مصنف أبي فان نافية ومن زائدة وأما قراءة الاعمش فواضحة والمعنى جميع ما لهم * قيل وهذه الجملة تضمنت توكيدات بان وبكل وباللام في الخبر وبالقسم وبما اذا كانت زائدة ونون التوكيد وباللام قبلها وذلك مبالغة في وعد الطائع ووعد العاصي وأردف ذلك بالجملة المؤكدة وهي انه بما يعملون خبير وهذا الوصف يقتضي علم ما خفي * وقرأ ابن هرمز بما يعملون على الخطاب * فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا انه بما يعملون بصير * قال ابن عيينة وجماعة معناه استقم على القرآن * وقال الضحاك استقم بالجماد * وقال مقاتل امض على التوحيد * وقال جماعة استقم على أمر ربك بالدعاء اليه * وقال جعفر الصادق استقم في الاخبار عن الله بصحة العزم * وقال الزمخشري فاستقم استقامة مثل الاستقامة التي أمرت بها على جادة الحق غير عادل عنها * وقال ابن عطية أمر بالاستقامة وهو عليها وهو أمر بالدوام والثبوت والخطاب للرسول وأصحابه الذين تابوا من الكفر ولسائر الامة فالمعنى وأمرت مخاطبة تعظيم انتهى * وقيل استعمل هنا للطلب أي اطلب الاقامة على الدين كما تقول استغفر أي

فاستقم كما أمرت * الآية
أمر بالاستقامة وهو عليها
وهو أمر بالدوام والثبوت
والخطاب للرسول صلى الله
عليه وسلم وأصحابه الذين
تابوا من الكفر ولسائر
الامة بالمعنى وأمرت مخاطبة
تعظيم واستعمل هنا للطلب
أي اطلب الاقامة على الدين
كما تقول استغفر أي اطلب
الغفران ومن تاب معك
معطوف على الضمير
المستكن في فاستقم
وأغنى الفاصل عن التوكيد
* ولا تطغوا * قال ابن
عباس في القرآن فتحلوا
وتحرموا ما لم آمركم به

﴿ولا تركنوا إلى الذين ظلموا﴾ قال ابن عباس معنى (٢٦٩) الركون الميل ﴿فتمسك﴾ جواب للنهي منصوب بأخبار أن بعد الفاء كقوله ولا

تفترؤا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب انتهى ﴿وأقم الصلاة طرفي النهار﴾ الآية سبب نزولها ما في صحيح مسلم من حديث الرجل الذي عالج امرأة أجنبية منه فأصاب منها ما سوى أتيانها فنزلت وانظر إلى الأمر والنهي في هذه الآيات حيث جاء الخطاب في الأمر ولا تطفؤا ولا تركنوا موجها إلى غير الرسول صلى الله عليه وسلم مخاطبا به أمته فحيث كان الأمر بأفعال الخير توجه الخطاب إليه وحيث كان النهي عن المحظورات عدل عن الخطاب عنه إلى غيره من أمته وهذا من جليل علم الفصاحة ولا خلاف أن المأمور بإقامتها هي الصلاة المكتوبة وإقامتها دوامها وانتصب طرفي النهي على الطرفين وطرف الشيء يقتضي أن يكون من الشيء فالذي يظهر أنهما الصبح والعصر لأنهما طرفا النهار والزلف قيل المغرب والعشاء والظاهر أن الإشارة بقوله ذلك إلى أقرب مذكور وهو قوله أقم الصلاة أي أقامتها في هذه الأوقات

اطلب الغفران ومن تاب معطوف على الضمير المستكن في فاستقم وأغنى الفاصل عن التوكيد ﴿ولا تطفؤا﴾ قال ابن عباس في القرآن فتحلوا وتحرموا ما لم آمركم به ﴿وقال ابن زيد لا تعصوا ربكم﴾ وقال مقاتل لا تخطوا التوحيد بالشك ﴿وقال الزمخشري لا تخرجوا عن حدود الله﴾ وقرأ الحسن والاعمش بما يعملون بالياء على الغيبة ورويت عن عيسى الثقفي بصير مطلع على أعمالهم يراها ويجازي عليها ﴿ولا تركنوا إلى الذين ظلموا﴾ فتمسك النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون ﴿قال ابن عباس معنى الركون الميل﴾ وقال السدي وابن زيد لا تداهنوا الظلمة ﴿وقال قتادة لا تلحقوا بهم﴾ وقال سفيان لا تدنوا إلى الذين ظلموا ﴿وقال أبو العالية لا ترضوا أعمالهم﴾ وقيل لا تجالسوهم ﴿وقال جعفر الصادق إلى الذين ظلموا إلى أنفسكم فانها ظالمات وهذا تشبيه بتفسير الباطنية﴾ وقيل لا تشبهوا بهم ﴿وقرأ الجمهور تركنوا بفتح الكاف والماضي ركن بكسرها وهي لغة قریش﴾ وقال الأزهرى هي اللغة الفصحى وعن أبي عمرو بكسر التاء على لغة تميم في مضارع علم غير الياء ﴿وقرأ قتادة وطلحة والاشهب ورويت عن أبي عمر وتركنوا بضم الكاف ماضى ركن بفتحها وهي لغة قيس وتميم﴾ وقال الكسائي وأهل نجد وشذيركن بفتح الكاف مضارع ركن بفتحها ﴿وقرأ ابن أبي عبلة ولا تركنوا مبتدأ للمفعول من أركنه إذا أماله والنهي متناول لا تخطا في هواهم والانقطاع إليهم ومصاحبهم ومجالستهم وزيارتهم ومداهنتهم والرضا بأعمالهم والتشبه بهم والترى بهم ومد العين إلى زهرتهم وذكرهم بما فيه تعظيم لهم وتأمل قوله ولا تركنوا فان الركون هو الميل اليسير وقوله إلى الذين ظلموا أي الذين وجد منهم الظلم ولم يقل الظالمين قاله الزمخشري ﴿وقال ابن عطية ومعناه السكون إلى الشيء والرضاه﴾ قال أبو العالية الركون الرضا ﴿وقال ابن زيد الركون الادهان والركون يقع في قليل هذا وكثيره والنهي هنا يترتب من معنى الركون عن الميل إليهم بالشرك معهم إلى أقل الرتب من ترك التعيير عليهم مع القدرة والذين ظلموا هنا هم الكفرة وهو النص للتأولين ويدخل بالمعنى أهل المعاصي انتهى﴾ وقال سفيان الثوري في جهنم واد لا يسكنه إلا القراء الزائرون الملوك ﴿وسئل سفيان عن ظالم أشرف على الهلاك في برية هل يسقى شربة ماء فقال لا فقيل له يموت فقال دع يموت وفي الحديث من دعا الظالم بالبقاء فقد أحب أن يعصى الله في أرضه وكتب إلى الزهرى حين خالط السلاطين أخ له في الدين كتابا طويلا فقرأه فيه أشد التقريع يوقف عليه في تفسير الزمخشري ﴿وقرأ ابن وثاب وعلقمة والأعشى وابن مصرف وحزرة فيأروى عنه فتمسك بكسر التاء على لغة تميم والمس كناية عن الإصابة وانتصب الفعل في جواب النهي والجملة بعدها حال ومعنى من أولياء من أنصار يقدر على منعكم من عذابه﴾ ثم لا تنصرون قال الزمخشري ثم لا ينصركم هو لانه وجب في حكمته تعذيبكم وترك الإبقاء عليكم (فان قلت) ما معنى ثم قلت معناها الاستبعاد لان النصرة من الله مستبعدة مع استيجابهم العذاب وقضاء حكمته له انتهى وهي ألفاظ المعتزلة ﴿وقرأ زيد بن علي ثم لا تنصروا بخندق النون والفعل منصوب عطفا على قوله فتمسك والجملة حال أو اعتراض بين المتعاطفين﴾ وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين ﴿واصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين﴾ سبب نزولها ما في صحيح مسلم من حديث الرجل الذي عالج امرأة أجنبية منه فأصاب منها ما سوى أتيانها فنزلت ﴿وقيل نزلت قبل ذلك واستعملها الرسول صلى الله عليه وسلم في قصة هذا

ذكرى أي سبب عطف قوله ذلك ذكرى للذاكرين أي المتعطين

الرجل فقال رجل أله خاصة قال لا بل للناس عامة وانظر الى الأمر والنهي في هذه الآيات حيث جاء الخطاب في الأمر فاستقم كما أمرت وأقم الصلاة موحدًا في الظاهر وإن كان المأمور به من حيث المعنى عامًا وجاء الخطاب في النهي ولا تركنوا موجهًا الى غير الرسول صلى الله عليه وسلم مخاطبًا به أمته بحيث كان بأفعال الخير توجه الخطاب اليه وحيث كان النهي عن المخطورات عدل عن الخطاب عنه الى غيره من أمته وهذا من جليل الفصاحة ولا خلاف ان المأمور بأقامتها هي الصلوات المكتوبة وأقامتها دوامها * وقيل أدائها على تمامها * وقيل فعلها في أفضل أوقاتها وهي ثلاثة الأقوال التي في قوله تعالى وأقيموا الصلاة وانتصب طرف في النهار على الظرف وطرف الشيء يقتضي أن يكون من الشيء فالذي يظهر أنهم الصبح والعصر لأنهما طرفا النهار ولذلك وقع الاجتماع الا من شذ على أن من أكل أو جامع بعد طلوع الفجر متعمدا ان يومه يوم فطر وعليه القضاء والكفارة وما بعد طلوع الفجر من النهار وقد ادعى الطبري والماوردي الاجتماع على أن أحدا الطرفين الصبح والخلاف في ذلك على ما نذكره ومن قال هما الصبح والعصر الحسن وقتادة والضحاك * وقال الزلف المغرب والعشاء وليست الظهر في هذه الآية على هذا القول بل هي في غيرها * وقال مجاهد ومحمد بن كعب الطرف الأول الصبح والثاني الظهر والعصر والزلف المغرب والعشاء وليست الصبح في هذه الآية * وقال ابن عباس والحسن أيضا هما الصبح والمغرب والزلف العشاء وليست الظهر والعصر في الآية * وقيل هما الظهر والعصر والزلف المغرب والعشاء والصبح وكان هذا القائل راعى الجهر بالقراءة والاخفاء واختار ابن عطية قول مجاهد وجعل الظهر من الطرفين الثاني ليس بواضح انما الظهر نصف النهار والنصف لا يسمى طرفا إلا بجاز بعيدورجح الطبري قول ابن عباس وهو ان الطرفين هما الصبح والمغرب ولا يجعل المغرب طرفا للنهار إلا بجاز انما هو طرف الليل * وقال الرخشي غدوة وعشية قال وصلاة الغدوة الصبح وصلاة العشية الظهر والعصر لان ما بعد الزوال عشي وصلاة الزلف المغرب والعشاء انتهى ولا يلزم من اطلاق العشي على ما بعد الزوال أن يكون الظهر طرفا للنهار لان الأمر انما جاء بالاقامة للصلاة في طرفي النهار لا في الغدوة والعشي * وقرأ الجمهور وزلفا بفتح اللام وطمحة وعيسى البصرة وابن أبي اسحق وأبو جعفر بضمها كأنه اسم مفرد * وقرأ ابن محيصن ومجاهد باسكانها وروى عنهما وزلفي على وزن فعلى على صفة الواحد من المؤنث لما كانت بمعنى المنزلة وأما القراآت الأخر من الجوع فنزلة بعد منزلة فزلف جمع كظم وزلف كبسر في بسر وزلف كبسر في بسرة فهما اسم جنس وزلفي بمنزلة الزلفة والظاهر عطف وزلفا من الليل على طرفي النهار عطف طرفا على طرف * وقال الرخشي وقد ذكر هذه القراآت وهو ما يقرب من آخر النهار من الليل * وقيل زلفا من الليل وقربا من الليل وحقها على هذا التفسير ان تعطف على الصلاة أي أقم الصلاة في النهار وأقم زلفي من الليل على معنى صلوات يتقرب بها الى الله عز وجل في بعض الليل والظاهر عموم الحسنات من الصلوات المفروضة وصيام رمضان وما أشبههما من فرائض الاسلام وخصوص السيات وهي الصغائر ويدل عليه الحديث الصحيح ما جئنا به من الكبار وذهب جمهور المتأولين من الصحابة والتابعين الى ان الحسنات يراد بها الصلوات الخمس واليه ذهب عثمان عند وضوءه على المقاعد وهو تأويل مالك * وقال مجاهد الحسنات قول الرجل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وينبغي أن يحمل هذا كله على جهة المثال في الحسنات ومن أجل ان الصلوات الخمس هي أعظم الأعمال والصغائر التي تذهب هي

(الدر)

(غدوة وعشية)
 صلاة الغدوة الصبح وصلاة
 العشية الظهر والعصر
 ما بعد الزوال عشي
 صلاة الزلف المغرب
 العشاء انتهى (ح) لا
 من اطلاق العشي
 ما بعد الزوال أن
 من الظهر طرفا للنهار
 الأمر انما جاء بالاقامة
 في النهار لا في الغدوة
 العشي

﴿فلولا كان من القرون﴾ الآية لولا هذا التحضيض عنهما معنى (٢٧١) التضعيع والتأسف الذي ينبغي أن يقع من البشر على هذه

الأمم التي لم تهتدوا للقرون
قوم نوح وعاد وحمود ومن
تقدم ذكره والبقية يراد
بها الخير والنظر الا قليلا
استثناء منقطع أي لكن
قليلا ممن أنجينا منهم فهو
عن الفساد وهم قليل
بالإضافة الى جماعاتهم
والظاهر أن الذين ظلموا
هم تاركوا النهي عن الفساد
وما أترفوا فيه أي ما نعموا
فيه من حب الرياسة والثروة
وطلب أسباب العيش
الهنيئ ورفضوا ما فيه
صلاح دينهم ﴿وكانوا
مجرمين﴾ أي ذوى جرائم
غير ذلك قال الزمخشري
ان كان معناه واتبعوا
الشهوات كان معطوفا
على مضمحل لان المعنى الا
قليلا ممن أنجينا منهم فهو
عن الفساد في الارض
واتبع الذين ظلموا
شهواتهم فهو عطف على
هو وان كان معناه واتبعوا
جزاء الاتراف فالواو للحال
كأنه قيل أنجينا القليل
وقد اتبع الذين ظلموا
جزاءهم وكانوا مجرمين
لان تابع الشهوات مغفور
بالآثام انتهى جعل ما في
قوله ما أترفوا فيه مصدرية
ولهذا قدره اتبعوا الاتراف

بشرط التوبة منها وعدم الاصرار عليها وهذا نص حذاق الأصوليين ومعنى إذهابها تكفيرا للصغار
والصغار قد وجدت وأذهبت الحسنات ما كان يترتب عليها الا انها تذهب حقائقها اذهى قد وجدت
﴿وقيل المعنى ان فعل الحسنات يكون لطفا في ترك السيئات لانها واقعة كقوله ان الصلاة تنهى
عن الفحشاء والمنكر والظاهر ان الإشارة بقوله ذلك الى أقرب مذكور وهو قوله أقم الصلاة أي
اقامتها في هذه الأوقات ذكرى أي سبب عظة وتذكير للذاكرين أي المتعظين ﴾ وقيل إشارة الى
الاخبار بأن الحسنات يذهبن السيئات فيكون في هذه الذكورية حضا على فعل الحسنات ﴿وقيل
إشارة الى ما تقدم من الوصية بالاستقامة واقامة الصلاة والنهي عن الطغيان والركون الى الظالمين
وهو قول الزمخشري ﴾ وقال الطبري إشارة الى الأوامر والنواهي في هذه السورة ﴿وقيل
إشارة الى القرآن ﴾ وقيل ذكرى معناها توبة ثم أمر تعالى بالصبر على التبليغ والمكاره في ذات
الله بعد ما تقدم من الأوامر والنواهي ومنها على محل الصبر اذا لا يتم شيء مما وقع الأمر به والنهي عنه الا
به واتي بعام وهو قوله أجز المحسنين ليندرج فيه كل من أحسن بسائر خصال الاحسان مما يحتاج الى
الصبر فيه وما قد لا يحتاج كطبع من خلق كريم فلا يتكلف الاحسان اذ هو من كوز في طبعه ﴿وقال
ابن عباس المحسنون هم المصلون كأنه نظر الى سياق الكلام ﴾ وقال مقاتل هم المخلصون ﴿وقال
أبو سليمان المحسنون في أعمالهم﴾ فلولا كان من القرون من قبلكم أولوا بقية ينهون عن الفساد في
الارض الا قليلا ممن أنجينا منهم واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين ﴿لولا هذا التحضيض
عنهما معنى التفجع والتأسف الذي ينبغي أن يقع من البشر على هذه الأمم التي لم تهتدوا لهذا
قوله يا حسرة على العباد والقرون قوم نوح وعاد وحمود ومن تقدم ذكره والبقية هنا يراد بها الخير
والنظر والجزم في الدين وسمى الفضل والجود بقية لان الرجل يستبقى مما يخرج له أجوده وأفضله
فصار مثالا في الجودة والفضل ويقال فلان من بقية القوم أي من خيارهم وبه فسر بيت الحماسة
﴿ان تذبوا ثم يأتيني بقتيتكم ﴾ ومنه قولهم في الروايات يا بني الرجال بقايا وانما قيل بقية لان
الشرائع والدول ونحوها قوتها في أولها ثم لا تزال تضعف حتى تثبت في وقت الضعف فهو بقية الصدر
الأول وبقية فاعله اسم فاعل للبالغة ﴾ وقال الزمخشري ويجوز أن تكون البقية بمعنى البقوى
كالبقية بمعنى التقوى أي فلا كان منهم ذوو بقاء على أنفسهم وصيانة لها من سخط الله وعقابه ﴿
وقرأت فرقة بقية بتخفيف الباء اسم فاعل من بقي نحو شجيت فهي شجيرة ﴾ وقرأ أبو جعفر وشيبة
بقية بضم الباء وسكون القاف وزن فعلة ﴿وقرى بقية على وزن فعلة للمرة من بقاء ببقية اذا رقبه
وانتظره والمعنى فلولا كان منهم أولو مرأفة وخشية من انتقام الله كانوا ينتظرون ايقاعهم
لاشفاقهم والفساد هنا الكفر وما اقترن به من المعاصي وفي ذلك تنبيه لهذه الأمة وحض لها على تغيير
المنكر الا قليلا استثناء منقطع أي لكن قليلا ممن أنجينا منهم وهو عن الفساد وهم قليل بالإضافة الى
جماعاتهم ولا يصح أن يكون استثناء متصلا مع بقاء التحضيض على ظاهره لفساد المعنى وصيرورته
الى أن الناجين لم يحرضوا على النهي عن الفساد والكلام عند سيبويه بالتحضيض واجب وغيره
يراه منفيان من حيث معناه انه لم يكن فيهم أولو بقية ولهذا قال الزمخشري بعد أن منع أن يكون
متصلا (فان قلت) في تحضيضهم على النهي عن الفساد معنى نفيسه عنهم فكأنه قيل ما كان من

والظاهر أنها بمعنى الذي لعود الضمير في فيه عليها وأجاز أيضا أن يكون معطوفا على اتبعوا أي اتبعوا شهواتهم وكانوا
مجرمين بذلك وأجاز أيضا أن يكون اعتراضا وحكا عليهم بأنهم قوم مجرمون انتهى ولا يسمى هذا اعتراضا في اصطلاح النحويين

لانه آخر آية فليس بين شيئين يحتاج أحدهما الى الآخر * وما كان ربك ليهلك القرى * الآية تقدم تفسير شبه هذه الآية في الانعام
الأن هنا ليهلك وهي آ كد في النفي لانه على مذهب الكوفيين زبدت اللام في خبر كان على سبيل التوكيد وعلى مذهب البصريين
توجه النفي الى الخبر المحذوف المتعلق به اللام تقديره يريد (٢٧٢) الاهلاك للقرى قال ابن عطية المعنى وما كان ربك ليهلك القرى

بظلم منه تعالى الله عن ذلك
وأهلها مصلحون بالآيمان
به تعالى وقال الزمخشري
وأهلها مصلحون تنزيها
لذاته عن الظلم وايدانابان
اهلاك المصلحين من الظلم
انتهى وهو مصادم للحديث
أنهم لك وفيما الصالحون
قال نعم اذا كثرت الخبث
وللاية واتقوا فتنة لا تصيب
الذين ظلموا منكم خاصة

(الدر)

(ش) ان كان معناه
واتبعوا الشهوات كان
معطوفا على مضمحل لان
المعنى الا قليلا ممن أنجينا
منهم نهوا عن الفساد في
الارض واتبع الذين
ظلموا شهواتهم فهو عطف
على نهوا وأن كان معناه
واتبعوا جزاء الاتراف
فالواو للحال كانه قيل
أنجينا القليل وقد اتبع
الذين ظلموا جزاءهم
وكانوا مجرمين عطف على
أترفوا أى اتبعوا الاتراف
وكونهم مجرمين لان تابع
الشهوات مغمور بالآثم
انتهى (ح) جعل مافى

القرون أولوا بقية الا قليلا كان استثناء متصلا ومعنى صحيحا وكان انتصابه على أصل الاستثناء وان
كان الأفضح أن يرجع على البديل انتهى * وقرأ زيد بن علي الا قليلا بالرفع لحظ أن التخصيص
تضمن النفي فابدل كما بديل في صريح النفي * وقال الفراء المعنى فلم يكن لان في الاستفهام ضربا
من الجحد وأبى الأخفش كون الاستثناء منقطعا والظاهر ان الذين ظلموا هم تاركوا النهى عن
الفساد وما أترفوا فيه أى ما نعموا فيه من حب الرياسة والثروة وطلب أسباب العيش الهني ورفضوا
ما فيه صلاح دينهم واتبع استثناء في اخبار عن حال هؤلاء الذين ظلموا واخبار عنهم أنهم مع كونهم
تاركوا النهى عن الفساد كانوا مجرمين أى ذوى جرائم غير ذلك * وقال الزمخشري ان كان معناه
واتبعوا الشهوات كان معطوفا على مضمحل لان المعنى الا قليلا ممن أنجينا منهم نهوا عن الفساد في
الأرض واتبع الذين ظلموا شهواتهم فهو عطف على نهوا وان كان معناه واتبعوا جزاء الاتراف
فالواو للحال كانه قيل أنجينا القليل وقد اتبع الذين ظلموا جزاءهم وقال وكانوا مجرمين عطف
على أترفوا أى اتبعوا الاتراف وكونهم مجرمين لان تابع الشهوات مغمور بالآثم انتهى فجعل مافى
قوله ما أترفوا فيه مصدرية ولهذا قدره اتبعوا الاتراف والظاهر أنها بمعنى الذى يعود الضمير في فيه
عليها وأجاز أيضا أن يكون معطوفا على اتبعوا أى اتبعوا شهواتهم وكانوا مجرمين بذلك قال ويجوز
أن يكون اعتراضا وحكا عليهم بأنهم قوم مجرمون انتهى ولا يسمى هذا اعتراضا في اصطلاح النحو
لانه آخر آية فليس بين شيئين يحتاج أحدهما الى الآخر * وقرأ جعفر بن محمد والعلاء بن سبابة كذا
في كتاب اللوامح وأبو عمر في رواية الجعفي واتبعوا ما كنة التاء مبنية للمفعول على حذف مضاف لانه
نما يتعدى الى مفعولين أى جزاء ما أترفوا فيه * وقال الزمخشري ويجوز أن يكون المعنى في القراءة
المشهورة أنهم اتبعوا جزاء اترافهم وهذا معنى قوى لتقدم الانجاء كانه قيل الا قليلا ممن أنجينا منهم
وهلك السائر * وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون * تقدم تفسير شبه هذه الآية
في الانعام الآن هنا ليهلك وهي آ كد في النفي لانه على مذهب الكوفيين زبدت اللام في خبر كان
على سبيل التوكيد وعلى مذهب البصريين توجه النفي الى الخبر المحذوف المتعلق به اللام وهنا
وأهلها مصلحون * قال الطبري بشرط منهم وهم مصلحون أى مصلحون في أعمالهم وسيرهم وعدل
بعضهم في بعض أى أنه لا بد من معصية تقترب بكفرهم قاله الطبري ناقلا * قال ابن عطية وهذا
ضعيف وانما ذهب قائله الى نحو ما قال ان الله يهمل الدول على الكفر ولا يهلكها على الظلم والجور
ولو عكس لكان ذلك منجها أى ما كان الله لعذب أمة بظلمهم في معاصيهم وهم مصلحون في الآيمان
والذى رجح ابن عطية أن يكون التأويل بظلم منه تعالى عن ذلك * وقال الزمخشري وأهلها
مصلحون تنزيها لذاته عن الظلم وايدانابان اهلاك المصلحين من الظلم انتهى وهو مصادم للحديث
أنهم لك وفيما الصالحون قال نعم اذا كثرت الخبث وللآية واتقوا فتنة لا تصيب الذين ظلموا منكم خاصة

قوله ما أترفوا فيه مصدرية ولهذا قدره الاتراف الظاهر أنها بمعنى الذى يعود الضمير في فيه عليها وأجاز أيضا أن يكون معطوفا على
اتبعتوا أى اتبعوا شهواتهم وكانوا مجرمين بذلك وأجاز أيضا أن يكون اعتراضا وحكا عليهم بأنهم قوم مجرمون انتهى ولا يسمى هذا
اعتراضا في اصطلاح النحو لانه آخر آية فليس بين شيئين يحتاج أحدهما الى الآخر

﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة﴾ قال الزمخشري على دين الحق ولكنه مكنهم من الاختيار الذي هو أساس التكليف فاختر بعضهم الحق وبعضهم الباطل فاختلفوا ولا يزالون مختلفين الامن رحم ربك الا ماشاء هداهم الله ولطف بهم فانفقوا على دين الحق غير مختلفين فيه انتهى وهو طريقة الاعتزال (٢٧٣) وقال ابن عباس وقتادة أمة واحدة مؤمنة حتى لا يقع

منهم كفر لكنه تعالى لم يشأ ذلك ﴿الامن رحم ربك﴾ استثناء من قوله ولا يزالون مختلفين الامن رحم ربك فلا يقع منهم اختلاف والاشارة بقوله ﴿ولذلك خلقهم﴾ الى المصدر المفهوم من قوله مختلفين كما قال

﴿اذ انتهى السفيه جري اليه﴾ فعاد الضمير على المصدر المفهوم من اسم الفاعل كانه قيل وللأختلاف خلقهم ويكون على حذف مضاف أي لثمره الاختلاف من الشقاوة والسعادة خلقهم وقال الزمخشري ولذلك اشارة الى ما دل عليه الكلام أولاً من التمكن والاختيار الذي عنه الاختلاف خلقهم ليثبت مختار الحق بحسن اختياره ويعاقب مختار الباطل بسوء اختياره انتهى وهذا على طريقة الاعتزال ﴿ومت كلمه ربك﴾ أي نفذ قضاؤه وحق أمره واللام في لأملأن هي التي يتلقى

﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين الامن رحم ربك ولذلك خلقهم﴾ وتمت كلمه ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين ﴿قال الزمخشري يعني لا يضطرارهم الى أن يكونوا أهل ملة واحدة وهي ملة الاسلام كقوله وان هذه أمةكم أمة واحدة وهذا كلام يتضمن نفى الاضطرار وانه لم يقهرهم على الاتفاق على دين الحق ولكنه مكنهم من الاختيار الذي هو أساس التكليف فاختر بعضهم الحق وبعضهم الباطل فاختلفوا ولا يزالون مختلفين الامن رحم ربك الا ماشاء هداهم الله ولطف بهم فانفقوا على دين الحق غير مختلفين فيه انتهى وهو على طريقة الاعتزال * وقال ابن عباس وقتادة أمة واحدة مؤمنة حتى لا يقع منهم كفر لكنه تعالى لم يشأ ذلك * وقال الضحاك لو شاء لجعلهم على هدى أو ضلالة والظاهر أن قوله ولا يزالون مختلفين هو من الاختلاف الذي هو ضد الاتفاق وان المعنى في الحق والباطل قاله ابن عباس وقال مجاهد في الاديان * وقال الحسن في الارزاق والاحوال من تسخير بعضهم لبعض * وقال عكرمة في الأهواء * وقال ابن بحر المراد أن بعضهم يخلف بعضا فيكون الآتي خلفا لماضي قال ومنه قولهم ما اختلف الجديدان أي خلف أحدهما صاحبه والامن رحم استثناء متصل من قوله ولا يزالون مختلفين ولا ضرورة تدعو الى انه بمعنى لكن فيكون استثناء منقطعا كما ذهب اليه الحوفي والاشارة بقوله ولذلك خلقهم الى المصدر المفهوم من قوله مختلفين كما قال * اذ انتهى السفيه جري اليه * فعاد الضمير الى المصدر المفهوم من اسم الفاعل كانه قيل وللأختلاف خلقهم ويكون على حذف مضاف أي لثمره الاختلاف من الشقاوة والسعادة خلقهم ودل على هذا المحذوف أنه قد تقرر من قاعدة الشريعة ان الله تعالى خلق خلقا للسعادة وخلقا للشقاوة ثم يسر كلاما خلق له وهذا نص في الحديث الصحيح وهذه اللام في التحقيق هي لام الصيرورة في ذلك المحذوف أو تكون لام الصيرورة بغير ذلك المحذوف أي خلقهم ليصير أمرهم الى الاختلاف ولا يتعارض هذا مع قوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون لأن معنى هذا الأمر بالعبادة * وقال مجاهد وقتادة ذلك اشارة الى الرحمة التي تضمنها قوله الامن رحم ربك والضمير في خلقهم عائد على المرحومين * وقال ابن عباس واختاره الطبري الاشارة بذلك الى الاختلاف والرحمة معا فيكون على هذا أشير بالمفرد الى اثنين كقوله عوان بين ذلك أي بين الفارض والسكر والضمير في خلقهم عائد على الصنفين المستثنى والمستثنى منه وليس في هذه الجملة ما يمكن أن يعود عليه الضمير الا الاختلاف كما قال الحسن وعطاء أو الرحمة كما قال مجاهد وقتادة أو كلاهما كما قال ابن عباس وقد أبعاد المتأولون في تقدير غير هذه الثلاث فروى انه اشارة الى ما بعده وفيه تقديم وتأخير أي وتمت كلمه ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين ولذلك خلقهم أي ملأ جهنم منهم وهذا بعيد جدا من ترا كيب كلام العرب * وقيل اشارة الى شهود ذلك اليوم المشهود * وقيل الى قوله فنفخ في الصور وسعيد * وقيل اشارة الى أن يكون فريق في الجنة وفريق في السعير * وقيل اشارة الى قوله ينهون عن الفساد في الأرض * وقيل اشارة الى العبادة * وقيل

(٣٥ - تفسير البحر المحيط لابي حيان - خامس) بها القسم إذا الجملة قبلها ضمنت معنى القسم كقوله تعالى واذا أخذ الله ميثاق النبين ثم قال لتؤمنن به والجنة والجن بمعنى واحد قال ابن عطية والهاء فيه للبالغين وان كان الجن يقع على الواحد فالجنة جمعها انتهى فيكون مما يكون فيه الواحد بغير هاء وجمعه بالهاء كقول بعض العرب كمءلوا واحد وكأمة للجمع

﴿وكلا نقص عليك من أنباء الرسل﴾ في (٢٧٤) موضع الصفة لقوله وكلا إذ هي مضافة في التقدير إلى نكرة ومازائدة

كما هي في قوله قلب لا ما
تذكرون ﴿ما ثبت به
فؤادك﴾ قال ابن عباس
ما سكن به فؤادك وتثبت
الفؤاد هو ما جرى للأنبياء
عليهم السلام ولا يتابعهم
المؤمنين وما لقوا من
تكذيبهم من الأذى في هذا
كله أسوة بهم إذا المشاركة
في الأمور الصعبة تهون
ما يلقي الإنسان من الأذى ثم
الاعلام بما جرى على مكذبهم
من العقوبات المستأصلة
بأنواع العذاب من العرق
والريح والرجفة والخسف
وغير ذلك فيه طمأنينة
النفس وتأنيس والاشارة
بقوله في هذه إلى أنباء
الرسل التي قصها الله عليه
أي النبأ الصدق الحق الذي
هو مطابق لما جرى ليس
فيه تغيير ولا تحريف كما
يفعل شيئا من ذلك
المؤرخون ﴿وموعظة﴾
أي أتعاض وازدجار
لسماعه ﴿وذكري﴾ لمن
آمن إذا الموعظة والذكري
لا ينتفع بهما إلا المؤمن
لقوله تعالى وذكري فإن
الذكري تنفع المؤمنين
﴿وقل للذين لا يؤمنون﴾
الآية اعملوا صيغة أمر
ومعناه التهديد والوعيد
والخطاب لأهل مكة وغيرها

إلى الجنة والنار ﴿وقيل للسعادة والشقاوة﴾ وقال الزمخشري ولذلك إشارة إلى ما دل عليه الكلام
أولاً من التمكن والاختيار الذي عنه الاختلاف خلقهم لينيب مختار الحق بحسن اختياره
ويعاقب مختار الباطل بسوء اختياره انتهى وهو على طريقة الاعتزال ولولا أن هذه الأقوال
سطرت في كتب التفسير لضربت عن ذكرها صفا وحتمت كلمة بك أي نفذ قضاؤه وحق أمره
واللام في أملاً أن هي التي يتلقى بها القسم أو الجملة قبلها ضمنت معنى القسم كقوله وإذا أخذ الله
ميثاق النبين ثم قال لتؤمنن به والجنة والجن بمعنى واحد ﴿قال ابن عطية والهاء فيه للمبالغة وإن كان
الجن يقع على الواحد فالجنة جمعه انتهى فيكون مما يكون فيه الواحد بغير هاء وجمعه بالهاء لقول
بعض العرب كمء للواحد وكاء للجمع﴾ وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك
وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكري للمؤمنين ﴿الظاهر أن كلا مفعول به والعامل فيه نقص
والتنوين عوض من المحذوف والتقدير وكل نبأ نقص عليك ومن أنباء الرسل في موضع الصفة
لقوله وكلا إذ هي مضافة في التقدير إلى نكرة وماصلة كما هي في قوله قليلاً ما تذكرون قيل أو بدل
أو خبر مبتدأ محذوف أي هو ما نثبت فتكون ما بمعنى الذي أو مصدرية وأجازوا أن ينتصب كلا على
المصدر وما نثبت مفعول به بقولك نقص كأنه قيل ونقص عليك الشيء الذي نثبت به فؤادك كل
قص وأجازوا أن يكون كلا نكرة بمعنى جميعاً وينتصب على الحال من المفعول الذي هو ما أو من
المجرور الذي هو الضمير في به على مذهب من يجوز تقديم حال المجرور بالحرف عليه التقدير ونقص
عليك من أنباء الرسل الأشياء التي نثبت بها فؤادك جميعاً أي المثبتة فؤادك جميعاً ﴿قال ابن
عباس نثبت نسكن﴾ وقال الضحاك نشد ﴿وقال ابن جريج تقوى وتثبت الفؤاد هو ما جرى
للأنبياء عليهم الصلاة والسلام ولا يتابعهم المؤمنين وما لقوا من مكذبهم من الأذى في هذا كله أسوة
بهم إذا المشاركة في الأمور الصعبة تهون ما يلقي الإنسان من الأذى ثم الاعلام بما جرى على مكذبهم
من العقوبات المستأصلة بأنواع من العذاب من عرق وريح ورجفة وخسف وغير ذلك فيه طمأنينة
لنفس وتأنيس بأن يصيب الله من كذب الرسول صلى الله عليه وسلم بالعذاب كما جرى لمكذبي
الرسل وأنباءه عليه الصلاة والسلام بحسن العاقبة ولا يتابعه كما اتفق للرسل واتباعهم والاشارة
بقوله في هذه إلى أنباء الرسل التي قصها الله تعالى عليه أي النبأ الصدق الحق الذي هو مطابق لما جرى
ليس فيه تغيير ولا تحريف كما ينقل شيئا من ذلك المؤرخون وموعظة أي أتعاض وازدجار لسماعه
وذكري لمن آمن إذا الموعظة والذكري لا ينتفع بهما إلا المؤمن كقوله وذكري فإن
المؤمنين وقوله سيدكر من يخشى ويتجنبها الاشقي ﴿وقال ابن عباس الاشارة إلى السورة والآيات
التي فيها تذكري قصص الأمم وهذا قول الجمهور ووجه تخصيص هذه السورة بوصفها بالحق والقرآن
كله حق أن ذلك يتضمن معنى الوعيد للكفرة والتنبيه للناظر أي جاءك في هذه السورة الحق
الذي أصاب الأمم الظلمة وهذا كما يقال عند الشدائد جاء الحق وإن كان الحق يأتي في غير شديدة
وغير ما وجه ولا تستعمل في ذلك جاء الحق ﴿وقال الحسن وقتادة الاشارة إلى دار الدنيا﴾ قال قتادة
والحق النبوة ﴿وقيل اشارة إلى السورة مع نظائرها﴾ وقيل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكاتبتكم
انا عاملون ﴿وانتظروا انا منتظرون﴾ اعملوا صيغة أمر ومعناه التهديد والوعيد والخطاب لأهل
مكة وغيرها على مكاتبتكم أي جهتكم وحالكم التي أتم عليها ﴿وقيل اعملوا في هلاكى على امكانكم

﴿على مكاتبتكم﴾ أي جهتكم وحالكم التي أتم عليها ﴿وانتظروا﴾ بنا للدوائر ﴿انا منتظرون﴾ أن ينزل بكم نحو ما اقتض الله

من النعم النازلة بأشباهم ﴿ ولله غيب السموات والارض ﴾ (٢٧٥) الآية أضاف تعالى علم الغيب بما في السموات والارض

توسعا لا يخفى عليه شيء من أعمالكم ولا حظ لمخلوق في علم الغيب فالجملة الأولى دلت على أن علمه محيط بجميع الكائنات كلها وجزئها حاضر هاو غائبا لانه اذا أحاط علمه بما غاب فهو بما حضر محيط إذ علمه تعالى لا يتفاوت والجملة الثانية دلت على القدرة الثالثة دلت على القدرة النافذة والمشئمة * والجملة الثالثة دلت على الامر بالتوكل وهي آخره الرتبة الأولى العبادات الأربع دلت على ما يتوهم انه سبب في شيء منها والجملة الخامسة تضمنت التنبيه على المجازاة فلا يضيع طاعة مطيع ولا يهمل حال مقرد * وقرأ الصاحبان وحفص وقتادة والاعرج وشيبة وأبو جعفر والجحدري يعملون ببناء الخطاب لأن قبله أعمالوا على مكانكم * وقرأ باقي السبعة بالياء على الغيبة واختلف عن الحسن وعيسى بن عمر

وانتظروا بناء الدوائر انما منتظرون أن ينزل بكم نحو ما اقتض الله من النعم النازلة بأشباهم ويشبه أن يكون ابتداء موادعة فلذلك قيل انهما منسوختان * وقيل محكمتان وهما التهديد والوعيد والحرب قائمة ﴿ ولله غيب السموات والارض واليه يرجع الأمر كله فاعبده وتوكل عليه ومار بك بغافل عما تعملون ﴾ لا يخفى عليه شيء من أعمالكم ولا حظ لمخلوق في علم الغيب * وقرأ أنافع وحفص يرجع مبنيا للمفعول الأمر كله أمرهم وأمرنا فينتقم لك منهم * وقال أبو علي الفارسي علم ما غاب في السموات والارض أضاف الغيب اليها توسعا انتهى والجملة الأولى دلت على أن علمه محيط بجميع الكائنات كلها وجزئها حاضر هاو غائبا لانه اذا أحاط علمه بما غاب فهو بما حضر محيط إذ علمه تعالى لا يتفاوت والجملة الثانية دلت على القدرة النافذة والمشئمة والجملة الثالثة دلت على الامر بالتوكل وهي آخره الرتبة الأولى العبادات الأربع دلت على ما يتوهم انه سبب في شيء منها والجملة الخامسة تضمنت التنبيه على المجازاة فلا يضيع طاعة مطيع ولا يهمل حال مقرد * وقرأ الصاحبان وحفص وقتادة والاعرج وشيبة وأبو جعفر والجحدري يعملون ببناء الخطاب لأن قبله أعمالوا على مكانكم * وقرأ باقي السبعة بالياء على الغيبة واختلف عن الحسن وعيسى بن عمر

﴿ سورة يوسف مائة واحدى عشرة آية مكية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ الر تلك آيات الكتاب المبين ﴾ انا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون * نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وان كنت من قبله لمن الغافلين * إذ قال يوسف لأبيه يا أبت اني رأيت أحدهم كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين * قال يابني لا تتقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا ان الشيطان للانسان عدو مبين * وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الاحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبويك من قبل ابراهيم واسحاق ان ربك عليم حكيم * لقد كان في يوسف واخوته آيات للسائلين * إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب الى أبينا منا ونحن عصبة ان أبانا في ضلال مبين * اقنوا يوسف وأطرحوه أرضا يحمل لكم وجهه أبيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين * قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف وألقوه في غيابة الجب يلتقطه بعض السيارة ان كنتم فاعلين * قالوا يا أبانا مالك لا تأمنا على يوسف واناله لنا صحنون * أرسله معنا غدا يرتع ويلعب واناله لحافظون * قال اني لبحرزن ان تذهبوا به وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون * قالوا لنأكله الذئب ونحن عصبة انا اذا خاسرون * فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب وأوحينا اليه لتنبئهم بأمرهم هداوهم لا يشعرون * وجاءوا أباهم عشاء يبكون قالوا يا أبانا انا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين * وجاءوا على قميصه بدم كذب قال بل سئلتكم أنفسكم أمرا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون * وجاءت سيارة فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه قال يا بشرى هذا غلام وأسروه بضاعة والله عليم بما يعملون * وشروا به بن محسن دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين * وقال الذي

﴿ سورة يوسف عليه السلام ﴾
﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿الرتك آيات الكتاب المبين انا أنزلناه قرآنا عربيا﴾ (٢٧٦) لعلمكم بعقولكم * هذه السورة مكية كلها وقال

ابن عباس وقتادة الاثلاث آيات من أولها وسبب نزولها ان كفار مكة أمرتهم اليهود أن يسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن السبب الذي أحل بني اسرائيل بمصر ووجه مناسبتهم لما قبلها وارتباطها أن في آخر السورة التي قبلها وكلا نقص عليك الآية وكان في تلك الانباء المقصودة فيها مالاقي الانبياء عليهم السلام من قومهم فاتبع ذلك بقصة يوسف صلى الله عليه وسلم ومالاقاه من اخوته وما آلت اليه حاله من حسن العاقبة ليحصل رسول الله صلى الله عليه وسلم التسليمه الجامعة لما يلاقيه من أذى البعيد والقريب وجاءت هذه القصة طولة مستوفاة فلهذا لم يتكرر في القرآن الا ما أخبر به مؤمن آل فرعون في سورة غافر والاشارة بتلك آيات الى الرؤساء وحرور المعجم التي تركبت منها آيات القرآن والظاهر أن المراد بالكتاب القرآن والمبين اما المبين في نفسه الظاهر أمره في اعجاز العرب وتبكيهم

اشتراه من مصر لامرأته أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولذا وكذلك مكنا ليوسف في الارض ولنعم له من تأويل الاحاديث والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون * ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين * وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الابواب وقالت هيت لك قال معاذ الله انه ربي أحسن مثواي انه لا يفلح الظالمون * ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين * واستبقا الباب وقدت قميصه من دبر وألفياسيد هالد الباب قالت ماجزاء من أراد بأهلك سوءا إلا أن يسجن أو عذاب أليم * الطرح للشئ رميه والقائه وطرح عليه الثوب ألقاه وطرح الشئ أبعدته ومنه قول عروة بن الورد

ومن يك مثلي ذا عيال ومقترا * من المال يطرح نفسه كل مطرح والنوى الطروح البعيدة * الحب الركية التي لم تطوفاذا طويت فهي بئر قال الاعشى لأن كنت في جب ثمانين قامة * ورقيت أسباب السماء بسلم ويجمع على جيب وجباب وأجباب وسمى جبا لأنه قطع في الارض من جيب أي قطعت * الالتقاط تناول الشئ من الطريق يقال لقطه والتقطه وقال * ومنهل لقطه التقاطا * ومنه اللقطة واللقيط * ارتعى أفتعل من الرعى بمعنى المراعاة وهي الحفظ للشئ أو من الرعى وهو أكل الحشيش والنبات يقال رعت الماشية الكلاء ترعاه رعيا أكلته والرعى بالكسر الكلاء ومثله ارتعى قال الاعشى

ترتعى السفح فالكتيب فذاقا * رفروض القطا قذات الرمال رقع أقام في خصب وتنعم ومنه قول الغضبان بن القبعثرى القيد والمتعة وقوله الرعة وقول الشاعر أ كفرا بعدد الموت غنى * وبعد عطائك المائة الرناعا الذئب سبع معروف وليس في صقعنا الاندلسي ويجمع على أذوب وذئاب وذؤبان قال وأزور بمطوفى بلاد بعيدة * تعاوى به ذؤبانه ونعالبه وأرض مذابة كثيرة الذئاب وتذاءبت الريح جاءت من هنا ومن هنا فعل الذئب ومنه الذؤابة من الشعر لكونها تنسوس الى هنا والى هنا * الكذب بالبدال المهملة الكدر * وقيل الطرى * سول من السول ومعناه سهل * وقيل زين * أدلى الدلو أرسلها ليلها هاودلاها بدلوها جذبها وأخرجها من البئر * قال * لا تعقلوها وادلوها دلوها * والدهر معروف وهي مؤنثة فتصغر على دلية وتجمع على أدل ودلاء ودلى * البضاعة القطعة من المال تجعل للتجارة من بضعته اذا قطعت ومنه المبيع * المرادة الطلب برفق ولين القول والرود الثاني يقال أرودنى أمهاني والريادة طلب النكاح ومشى رويدا أي برفق أغلق الباب وأصفده وأقفله بمعنى وقال الفرزدق

ما زالت أغلق أبوابا وأقفلتها * حتى أتيت أبا عمرو بن عمار هيت اسم فعل بمعنى أسرع * قد الثوب شقه * السيد في فعل من ساديسود يطلق على المالك وعلى رئيس القوم وفي فعل بناء مختص بالمعتل وشذبيثس وصيقل اسم امرأة * السجن الحبس * الرتك آيات الكتاب المبين انا أنزلناه قرآنا عربيا لعلمكم بعقولكم * هذه السورة مكية كلها وقال ابن

واما المبين الحلال والحرام والحدود والاحكام وما يحتاج اليه من أمر الدين قاله ابن عباس والضمير في أنزلناه عائدا على الكتاب الذي فيه قصة يوسف صلى الله عليه وسلم وانتصب قرآنا على البدل من الضمير وعربيا صفة له وهو منسوب الى العرب والعرب

جمع عربي كروم ورومي اعلمكم تعقلون ما تضمن من المعاني واحتوى عليه من البلاغة والعجاز فيؤمنون ولعل ترج فيه معنى التعليل لقوله أنزلنا نحن نقص عليك أحسن القصص * انقصص مصدر قص والمراد بكونه أحسن أنه اقتصص على أبداع طريقة وأحسن أسلوب ألا ترى أن هذا الحديث مقتصص في كتب (٢٧٧) الأولين وفي كتب التواريخ ولا ترى اقتصاصه في كتاب

منها مقارنا لاقتصاصه في القرآن وانتصب أحسن على المصدرية لضافته إلى المصدر ﴿بما أوحينا﴾ الباء للسبب وما مصدرية وهذا القرآن تنازعه عاملان أحدهما نقص والثاني أوحينا وأعمل الثاني جريا على الإفصح في باب التنازع والضمير في من قبله يعود على الإيحاء ومعنى من الغافلين لم يكن لك شعور بهذه القصة ولا سبق لك فيها علم العامل في اذ قال يا بني كما تقول اذ قام زيد قام عمرو وتبقى اذ على وضعها الأصلي من كونها ظرفا لما مضى وللزحشري وابن عطية أقوال في اذ ردت في البحر لضعفها ويوسف اسم عبراني وامتنع الصرف للعلمية والعجمة وتقدمت فيه لغات وقرى

﴿يا أبت﴾ بفتح التاء وجهور القراء على كسرهما وهي عوض من باء الإضافة فلا يجتمعان لا يقال يا أبتى ﴿اني رأيت﴾ معمول للقول فهو في موضع

عباس وقتادة الاثلاث آيات من أولها * وسبب نزولها أن كفار مكة أمرتهم اليهود أن يسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن السبب الذي أحل بني إسرائيل بمصر فنزلت * وقيل سببه تسليمة الرسول صلى الله عليه وسلم عما كان يفعل به قومه بما فعل اخوة يوسف به * وقيل سألت اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحدثهم أمر يعقوب وولده وشأن يوسف * وقال سعد بن أبي وقاص أنزل القرآن قتلاه عليهم زمانا فقالوا يا رسول الله لو قصصت علينا فنزلت * ووجه مناسبتها لما قبلها وارتباطها أن في آخر السورة التي قبلها وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وكان في تلك الأنبياء المقصودة فيها ما لاقي الأنبياء من قومهم فاتبع ذلك بقصة يوسف وما لاقاه من اخوته وما آلت إليه حاله من حسن العاقبة ليحصل للرسول صلى الله عليه وسلم التسليمة الجامعة لما لاقيه من أذى البعيد والقريب وجاءت هذه القصة مطولة مستوفاة فلذلك لم يتكرر في القرآن إلا ما أخبر به مؤمن آل فرعون في سورة غافر والاشارة بتلك آيات إلى الر وسائر حروف المعجم التي تركبت منها آيات القرآن وأولى التوراة والانجيل أو الآيات التي ذكرت في سورة هود أو آيات السورة والكتاب المبين السورة أي تلك الآيات التي أنزلت إليك في هذه السورة أقوال والظاهر أن المراد بالكتاب القرآن والمبين أما المبين في نفسه الظاهر أمره في عجاز العرب وتبكيهم وأما المبين الحلال والحرام والحدود والأحكام وما يحتاج اليه من أمر الدين قاله ابن عباس ومجاهد والمبين الهدى والرشد والبركة قاله قتادة أو المبين ما سألت عنه اليهود أو ما أمرت أن يسأل من حال انتقال يعقوب من الشام إلى مصر وعن قصة يوسف أو المبين من جهة بيان اللسان العربي وجودته اذ فيه ستة أحرف لم تجتمع في لسان روى هذا عن معاذ بن جبل * قال المفسرون وهي الطاء والظاء والصاد والعين والحاء انتهى والضمير في أنا أنزلناه عائد على الكتاب الذي فيه قصة يوسف * وقيل على القرآن * وقيل على نبأ يوسف قاله الزجاج وابن الأنباري * وقيل هو ضمير الانزال وقرأناه المعطوف به وهذان ضعيفان وانتصب قرآنا * قيل على البديل من الضمير * وقيل على الحال الموطئة وسمى القرآن قرآنا لأنه اسم جنس يقع على القليل والكثير وعربيا منسوب إلى العرب والعرب جمع عربي كروم ورومي وعربة ناحية دار اسماعيل بن ابراهيم عليهما الصلاة والسلام قال الشاعر

وعربة أرض ما يحل حرامها * من الناس إلا اللوذعي الحلال

ويعني النبي صلى الله عليه وسلم أحلت مكة وسكن راء عربة الشاعر ضرورة * وقيل وان شئت نسبت القرآن إليها ابتداء أي على لغة أهل هذه الناحية لعلكم تعقلون ما تضمن من المعاني واحتوى عليه من البلاغة والعجاز فتؤمنون اذ لو كان بغير العربية لقليل لو لا فصلت آياته ﴿نحن نقص عليك أحسن القصص﴾ بما أوحينا إليك هذا القرآن وان كنت من قبله لمن الغافلين اذ قال يوسف لأبيه يا أبت اني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين قال يا بني لا تقصص

نصب ورأيت هي حامية لدلالة متعلقها على أنه منام والظاهر أنه رأى في منامه كواكب والشمس والقمر ومن حديث جابر بن عبد الله أن يهوديا جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد أخبرني عن أسماء الكواكب التي رأى يوسف فسكت عنه ونزل جبريل فأخبره بأسمائها فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهودي فقال هل أنت مؤمن ان أخبرك قال نعم فقال حر يا بن الطارق

والذيال وذو الكتفين وقابس ووثاب وعمودان والفليق والمصح والضر وروح والفرغ والضياء والنور فقال اليهودي اى والله انها الاسماء قال الزمخشري فان قلت لم آخر الشمس والقمر قلت اخرهما العطفهما على الكواكب على طريق الاختصاص بيانا لفضلهما واستبدادهما بالزينة على غيرهما من الطوالع كما آخر جبريل وميكائيل عن الملائكة ثم عطفهم ما عليهم لذلك ويجوز أن يكون الواو بمعنى مع أى أرأيت الكواكب مع الشمس والقمر انتهى الذي يظهر أن التأخر انما هو من باب الترتي من الأدنى الى الأعلى ولم يقع الترتي في الشمس والقمر جريا على ما استقر في القرآن من أنه اذا اجتمع اقدمت عليه ولا متناع أن يمتنع الشمس والقمر في أحد عشر كوكبا لأنهم اخوته فليس المكني بالشمس والقمر داخل فيهم والظاهر أن رأيتم كرر على سبيل التوكيد للطول بالمفاعيل وجاء الضمير ضمير من يعقل لانه صدر منهم السجود لانه من صفات من يعقل ولي متعلق بساجدين وساجدين منصوب على الحال ولما خاطب يوسف صلى الله عليه وسلم أباه بقوله يا أبت وفيه اظهار الطواعية والبر والتنبيه على محل الشفقة بطبع الابوة خاطبه أبوه يا بني تصغير التحبيب والتقريب والشفقة فيكيده واللك منصوب باظهار أن على جواب النهي وعدى فيكيدها باللام وفي فيكيدها بنفسه فاحتمل أن يكون (٢٧٨) من باب التضمين ضمن فيكيدها معنى ما يتعدى باللام

فكانه قال فيحتمل واللك بالكيد والتضمن أبلغ لدلالته على معنى الفعلين والمبالغة كد بالمصدر ونبه يعقوب صلى الله عليه وسلم على سبب الكيد وهو ما يزينه الشيطان للانسان ويسوله وذلك للعداوة التي بينهما فهو يجتهد دائما أن يوقعه في المعاصي ويدخله فيها ويحضه عليها وكان يعقوب دلتة رؤيا يوسف عليه السلام على أن الله تعالى يبلغه مبالغ من الحكمة

رؤياك على اخوتك فيكيدها لك كيد ان الشيطان للانسان عدو مبين * وكذلك يجتبيك ربك ويعاملك من تأويل الأحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبويك من قبل ابراهيم اسحق ان ربك عليم حكيم * القصص مصدر قص واسم مفعول اما التسمية بالمصدر واما لكون الفعل يكون للمفعول كالقبض والنقص والقصص هنا يحتمل الالوجه الثلاثة فان كان المصدر فالمراد بكونه أحسن انه اقتصص على أبداع طريقة وأحسن أسلوب ألا ترى ان هذا الحديث مقتصص في كتب الأولين وفي كتب التواريخ ولا ترى اقتصاصه في كتاب منها مقار بالاقصاصه في القرآن وان كان المفعول فكان أحسنه لما يتضمن من العبر والحكم والنسك والعجائب التي ليست في غيره والظاهر أنه أحسن ما يقص في بابيه كما يقال للرجل هو أعلم الناس وأفضلهم يراد في فنه * وقيل كانت هذه السورة أحسن القصص لانفرادها عن سائر ما فيها من ذكر الأنبياء والصالحين والملائكة والشیاطين والجن والانس والالعام والطيور وسير الملوك والممالك والتجار والعلماء والرجال والنساء وكيدهم ومكرهم مع ما فيها من ذكر التوحيد والفقهاء والسياسة وحسن الملائكة والعفو عند المقدرة وحسن المعاشرة والحيل وتدبير المعاش والمعاد وحسن العاقبة في العقبة والجهاد والخلاص من المهروب الى المرغوب وذكر الحبيب والمحبوب ومرأى السنين وتعبير الرؤيا والعجائب التي تصلح للدين والدنيا * وقيل كانت أحسن القصص لأن كل من ذكر

ويصطفيه للنبوته وينعم عليه بشرف الدارين كما فعل بآبائه فخاف عليه من حسد اخوته فنهأ عن أن يقص رؤياه لهم وفي خطاب يعقوب ليوسف تنبيه عن أن يقص ما لا يليق ولا يكون ذلك داخل في باب الغيبة * وكذلك يجتبيك * أى مثل ذلك الاجتناء وهو ما أراه من تلك الرؤية التي دلت على جليل قدره وشره فبمنصبه وما له الى النبوته والرسالة والمالك ويجتبيك يختارك ربك للنبوته والمالك وما أحسن لفظة ربك هنا لانه المالك لا مرده الناظر في مصلحته ويعاملك كلام مستأنف ليس داخل في النسبة كأنه قال وهو يعاملك * تأويل الأحاديث * عبارة عن مآل الرؤيا وعاقبة أمرها وهي اسم جمع للحديث وليس بجمع أحدونه * ويتم نعمته عليك * واتمامها بأنه تعالى وصل لهم نعمة الدنيا بأن جعلهم أنبياء وماوكاو بنعمة الآخرة بأن نقلهم الى أعلى الدرجات في الجنة وآل يعقوب هم أولادهم ونسلهم اذ جعل النبوته فيهم واتمام النعمة على ابراهيم صلى الله عليه وسلم باخلة والانجاء من النار واهلاك عدوه ثم وذو على اسحق اخراجه يعقوب والاسباط من صلبه وسمى الجدو أب الجد أبوين لانهم في عمود النسب كما قال وإله آبائك ولهذا يقولون ابن فلان وكان بينهما مائدة في عمود النسب * إن ربك عليم * بمن يستحق الاجتناء * حكيم * ينع الأشياء ومواضعها وحيات الوصفان مناسبا لهذا الوعد الذي وعده يعقوب يوسف في قوله وكذلك يجتبيك ربك

فيها كان ما له الى السعادة انظر الى يوسف وأبيه واخوته وامرأة العزيز والملاك أسلم بيوسف
 وحسن اسلامه ومعبر الرؤيا الساقى والشاهد فيما يقال * وقيل أحسن هنا ليست أفعل التفضيل
 بل هي بمعنى حسن كانه قيل حسن القصص من باب اضافة الصفة الى الموصوف أى القصص
 الحسن وما فى بما أو حينما مصدرية أى باجرائنا وإذا كان القصص مصدرا ففعل نقص من حيث
 المعنى هو هذا القرآن الا انه من باب الاعمال اذ تنازعه نقص وأوحينا فاعمل الثانى على الأكثر
 والضمير فى من قبله يعود على الأبحاء وتقدمت مذاهب النحاة فى ان الخففة ومجىء اللام فى ثانى
 الجزءين ومعنى من الغافلين لم يكن لك شعور بهذه القصة ولا سبق لك علم فيها ولا طرق سمعت طرف
 منها والعامل فى اذ قال الزمخشري وابن عطية اذكر وأجاز الزمخشري أن تكون بدلا من
 أحسن القصص قال وهو بدل اشتغال لأن الوقت يشتمل على القصص وهو المقصود فاذا نقص
 وقته فقد نقص * وقال ابن عطية ويجوز أن يعمل فيه نقص كان المعنى نقص عليك الحال اذ وهذه
 التقديرات لا تنجى حتى تخلع اذ من دلالتها على الوقت الماضى وتجرد الوقت المطلق الصالح للار زمان
 كلها على جهة البدلية * وحكى مكى أن العامل فى اذ الغافلين والذي يظهر أن العامل فيه قال يابنى
 كما تقول اذ قام زيد قام عمرو وتبقى اذ على وضعها الاصل من كونها ظرفا لما مضى ويوسف اسم
 عبرانى وتقدمت ست لغات فيه ومنعه الصرف دليل على بطلان قول من ذهب الى انه عربى مشتق
 من الاسف وان كان فى بعض لغاته يكون فيه الوزن الغالب لا متناع أن يكون أعجميا غير أعجمى
 * وقرأ طلحة بن مصرف بالهمز وفتح السين * وقرأ ابن عامر وأبو جعفر والاعرج ياءت بفتح
 التاء وباقي السبعة والجمهور بكسرها ووقف الابن ان عليها بالتاء وهذه التاء عوض من ياء الاضافة
 فلا يجتمعان وتجامع الألف التى هى بدل من التاء قال * ياءت بفتح أو عسا كما * ووجه الاختصار على
 التاء مفتوحة انه اجتزأ بالفتحة عن الألف أو رخم بحذف التاء ثم أقحمت قاله أبو على أو الألف فى
 ابتداء الندبة فحذفها قاله الفراء وأبو عبيد وأبو حاتم وقطرب وردبانه ليس موضع ندبة أو الأصل ياءبة
 بالتنوين فحذف والنداء ناد حذف (٣) قاله قطرب وردبان التنوين لا يحذف من المنادى المنصوب
 نحو يا ضارب بار جلا وفتح أبو جعفر ياء انى * وقرأ الحسن وأبو جعفر وطلحة بن سليمان أحد عشر
 بسكون العين لتو الى آخر كات وليظهر جعل الاسمين اسما واحدا ورأيت هى حامية للدلالة متعلقها
 على أنه منام والظاهر انه رأى فى منامه كواكب الشمس والقمر * وقيل رأى اخوته وأبويه فعبر
 عنهم بذلك وعبر عن الشمس عن أمه * وقيل عن خالته راحيل لان أمه كانت ماتت ومن حديث جابر
 بن عبد الله أن يهوديا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد أخبرنى عن أسماء الكواكب
 التى رآها يوسف فسكت عنه ونزل جبريل فأخبره بأسمائها فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم
 اليهودى فقال هل أنت مؤمن ان أخبرتك بذلك فقال نعم قال جريان والطارق والذبال وذو
 الكتفين وقابس ووثاب وعمودان والفليق والمصج والضروح والفرغ والضياء والنور
 فقال اليهودى إى والله انها الاسماء وأما ذكر السهيل مستندا الى الحرب بن أبى أسامة فقد كره الحديث
 وفيه بعض اختلاف وذكر النطح عوضا عن المصج وعن وهب بن يوسف رأى وهو ابن سبع سنين
 ان إحدى عشرة عصا طولا كانت مرسومة فى الأرض كهيئة الدارة واذا عصا صغيرة تثب عليها
 حتى اقتلعتها وغلبتها فوصف ذلك لأبيه فقال إياك أن تذكر هذا لاخوتك ثم رأى وهو ابن ثنتي
 عشرة سنة الشمس والقمر والكواكب سجودا له فقصها على أبيه فقال له لا تقصها عليهم فيبغوا

لك الغوائل وكان بين رؤيا يوسف ومسير اخوته اليه أربعون سنة * وقيل ثمانون * وروى ان رؤيا يوسف كانت ليلة القدر ليلة جمعة والظاهر ان الشمس والقمر ليسا مندرجين في الأحد عشر كوكبا ولذلك حين عد هما الرسول لليهودي ذكر الأحد عشر كوكبا غير الشمس والقمر ويظهر من كلام الزمخشري انهما مندرجان في الأحد عشر * قال الزمخشري (فان قلت) لم أخرج الشمس والقمر (قلت) أخرهما ليعطفهما على الكواكب على طريق الاختصاص اثباتا لفضلهما واستبدادهما بالمرزية على غيرهما من الطوالع كما أخرج جبريل وميكائيل عن الملائكة ثم عطفهما عليهما لذلك ويجوز أن تكون الواو بمعنى مع أي رأيت الكواكب مع الشمس والقمر انتهى والذي يظهر أن التأخير انما هو من باب الترقى من الأدنى الى الأعلى ولم يقع الترقى في الشمس والقمر جريا على ما استقر في القرآن من انه اذا اجتمعا قدمت عليه * قال تعالى الشمس والقمر بحسبان * وقال وجع الشمس والقمر هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدمت عليه لسطوع نورها وكبر جرمها وغرابة سيرها واستبدادها من علو مكانها والظاهر ان رأيتهم كرر على سبيل التوكيد للطول بالمفاعيل كما كرر انكم في قوله انكم مخرجون لطول الفصل بالظرف وما تعلق به * وقال الزمخشري (فان قلت) ما معنى تكرار رأيتهم (قلت) ليس بتكرار انما هو كلام مستأنف على تقدير سؤال وقع جوابا له كان يعقوب عليه السلام قال له عند قوله اني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر كيف رأيتهم سائلا عن حال رؤيتهم فقال رأيتهم لي ساجدين انتهى وجمعهم جمع من يعقل لصدور السجود له وهو صفة من يعقل وهذا سائغ في كلام العرب وهو أن يعطى الشيء حكم الشيء للاشتراك في وصف ما وان كان ذلك الوصف أصله أن يخص أحدهما والسجود سجود كرامة كما سجدت الملائكة لآدم * وقيل كان في ذلك الوقت السجود تحية بعضهم لبعض ولما خاطب يوسف أباه بقوله يا أبت وفيه إظهار الطواعية والبر والتبعية على محل الشفقة بطبع الابوة خاطبه أبوه بقوله يا بني تصغير التحبيب والتقريب والشفقة * وقرأ حفص هنا وفي لقمان والصفات يا بني بفتح الياء وابن كثير في لقمان يا بني لا تشرك وقبيل يا بني أقم بأسكانها وباقي السبعة بالكسر * وقرأ زيد بن علي لا تقص مدغما وهي لغة تميم والجمهور بالفك وهي لغة الحجاز والرؤيا مصدر كالبقايا * وقال الزمخشري الرؤيا بمعنى الرؤية لانها مختصة بما كان في النوم دون اليقظة فرق بينهما بحر في التأنيت كما قيل القرية والقربى انتهى * وقرأ الجمهور رؤياك والرؤيا حيث وقعت بالهمز من غير امالة * وقرأ الكسائي بالامالة وبغير الهمز وهي لغة أهل الحجاز واخوة يوسف هم كاذ * وبنيامين * ويهوذا * ونفثالي * وزبولون * وشمعون * وروبن * ويقال باللام كجبريل وجبرين * ويساخا * ولاوي * وذان * ويشير * فيكيدي والكمصوب باضمار أن على جواب النهي وعدي فيكيدي وباللام وفي فيكيدي بنفسه فاحتمل أن يكون من باب شكرت زيدا وشكرت لزيد واحتمل أن يكون من باب التضمنين ضمن فيكيدي ومعنى ما يتعدى باللام فكانه قال فيحتملوا لك بالكيد والتضمنين أبلغ لدلالته على معنى الفعلين واللبا لغة كد بالمصدر ونبه يعقوب على سبب الكيد وهو ما يزينه الشيطان للإنسان ويسوله له وذلك للعداوة التي بينهما فهو يجتهد دائما أن يوقعه في المعاصي ويدخله فيها ويحضه علمه او كان يعقوب دلته رؤيا يوسف عليهما السلام على ان الله تعالى يبلغه مبلغا من الحكمة ويصطفيه للنبوته وينعم عليه بشرف الدارين كما فعل بآبائه فخاف عليه من حسد اخوته فنهاه من أن يقص رؤياه لهم وفي خطاب يعقوب ليوسف تنهية عن أن

(الدر)

﴿ سورة يوسف عليه

السلام ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(ش) فان قلت لم أخرج

الشمس والقمر قلت

أخرهما ليعطفهما على

الكواكب على طريق

الاختصاص ببيان فضلها

واستبدادها بالمرزية على

غيرهما من الطوالع كما

أخرج جبريل وميكائيل ثم

عطفهما عليهما لذلك

ويجوز أن تكون الواو

بمعنى مع أي رأيت

الكواكب مع الشمس

والقمر انتهى (ح) الذي

يظهر أن التأخير انما هو

من باب الترقى من الأدنى

الى الأعلى ولم يقع الترقى

في الشمس والقمر جريا

على ما استقر في القرآن

من انه اذا اجتمعا قدمت

عليه

﴿ لقد كان في يوسف ﴾ الآية آيات على نبوة النبي صلى الله عليه وسلم للذين سألوهم من اليهود عنها فاخبرهم بالصحة من غير سماع من أحد ولا قراءة كتاب والذي يظهر ان الآيات الدلالات على صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى ما أظهره الله في قصة يوسف من البغي عليه وصدق رؤياه وصحة تأويله وضبط نفسه وقهرها حتى قام بحق الامامة وحدث السرور بعد اليأس والضمير في قالوا عائد على اخوة يوسف وأخوه هذان بنيا مين (٢٨١) ولما كانا شقيقين أضافوه ليوسف واللام في ليوسف لأم

الابتداء وفيها تأكيد وتحقيق لمضمون الجملة أي كثرة حبه لها ثابت لا شبهة فيه وأحب أفعّل تفضيل وهو مبنى من المفعول شذوذا ولذلك عدي بالي لأنه اذا كان ما يتعلق به فاعلا من حيث المعنى عدي اليه بالي واذا كان مفعولا عدي إليه بفي تقول زيد أحب الي عمرو من خالد فالضمير في أحب مفعول من حيث المعنى وعمرو هو المحب واذا قلت زيد أحب في عمرو من خالد كان الضمير فاعلا وعمرو هو المحبوب ومن خالد في المثال الأول محبوب وفي الثاني فاعل ولم بين أحب لتعديه بمن وكان بنيامين أصغر من يوسف فكان يعقوب يحبهما بسبب صغرهما وموت أمهما وحب الصغير والشفقة عليه مر كوز في فطرة البشر وقد نظم الشعراء في محبة الولد الصغير قديما وحديثا ومن ذلك

يقص على اخوته مخافة كيدهم دلالة على تحذير المسلم أخاه المسلم ممن يخافه عليه والتنبية على بعض ما لا يليق ولا يكون ذلك داخل في باب الغيبة وكذلك يجتنبك ربك أي مثل ذلك الاجتناب وهو ما أراه من تلك الرؤيا التي دلت على جليل قدره وشريف منصبه وما آله الى النبوة والرسالة والملك ويجتنبك يجتنبك ربك للنبوة والملك * قال الحسن للنبوة * وقال مقاتل للسجود لك * وقال الزمخشري لامور عظام ويعلمك من تأويل الأحاديث كلام مستأنف ليس داخل في التشبيه كأنه قال وهو يعلمك * قال مجاهد والسدي تأويل الأحاديث عبارة الرؤيا * وقال الحسن عواقب الأمور * وقيل عامة لذلك وغيره من المغيبات * وقال مقاتل غرائب الرؤيا * وقال ابن زيد العلم والحكمة * وقال الزمخشري الأحاديث الرؤى لان الرؤى اما حديث نفس أو ملك أو شيطان وتأويلها عبارتها وتفسيرها فكان يوسف عليه السلام أعبر الناس للرؤيا وأصحهم عبارة ويجوز أن يراد بتأويل الأحاديث معاني كتب الله وسير الأنبياء وما غمض واشتبه على الناس في أغراضها ومقاصدها يفسرها لهم ويشرحها ويدهم على مودعات حكمها وسميت أحاديث لانها تحدث بها عن الله ورسوله فيقال قال الله وقال الرسول كذا وكذا ألا ترى الى قوله فبأي حديث بعده يؤمنون الله نزل أحسن الحديث كتابا وهي اسم جمع للحديث وليس بجمع أحد وثمة انتهى وليس باسم جمع كذا كر بل هو جمع تكسير لحديث على غير قياس كما قالوا أباطل وأباطيل ولم يأت اسم جمع على هذا الوزن واذا كانوا يقولون في عباد يدوين أذيانهم ما جمعوا تكسير ولم يلفظ لهما بمفرد فكيف لا يكون أحاديث وأباطيل جمعي تكسير ويتم نعمته عليك واتمامها بأنه تعالى وصل لهم نعمته الدنيا بأن جعلهم أنبياء ومالوكا بنعمة الآخرة بأن نقلهم الى أعلى الدرجات في الجنة * وقال مقاتل باعلاء كلمتك وتحقيق رؤياك * وقال الحسن هذا شيء أعاده الله يعقوب من أنه سيعطى يوسف النبوة * وقيل بأن يحوج اخوتك اليك فتقابل الذنب بالغفران والاساءة بالاحسان * وقيل بانجائك من كل مكروه وآل يعقوب الظاهر انهم أولاده ونسلهم أي نجعل النبوة فيهم * وقال الزمخشري هم نسلهم وغيرهم * وقيل أهل دينه وأتباعهم كما جاء في الحديث من آلك فقال كل تقى * وقيل امرأته وأولاده الا حد عشر * وقيل المراد يعقوب نفسه خاصة واتمام النعمة على ابراهيم بالخلة والانجاء من النار واهلاك عدوه ثم روى وعلى اسحق باخراجه يعقوب والأسباط من صلبه وسمي الجد وأبا الجد ابوين لانهم في عمود النسب كما قال والده آبائك ولهذا يقولون ابن فلان وان كان بينهما عدة في عمود النسب ان ربك عليهم من يستحق الاجتناب حكيم يضع الاشياء مواضعها وهذا الوصفان مناسبان لهذا الوعد الذي وعده يعقوب ويوسف عليهما الصلاة والسلام في قوله وكذلك يجتنبك ربك قيل وعلم يعقوب عليه السلام ذلك من دعوة اسحق عليه السلام حين تشبه له بعيمصو ﴿ لقد كان في يوسف واخوته آيات للسائلين

(٣٦ - تفسير البحر المحيط لابي حيان - خامس) مقاله الوزير أبو مروان عبد الملك بن ادريس الخريزي في قصيدته

التي بعث بها الى أولاده وهو في السجن يقول وصغيركم عبد العزيز فاني * أطوى لفرقتك جوى لم يصغر
ذاك المقدم في الفؤاد وان عدا * كفؤا السكم في المبتنى والعنصر ان البنان الخمس أ كفاء معا *
والخلي دون جميعها للخنصر واذا الفتى فقد الشباب سماله * حب البنين ولا تحب الأصغر

ونحن عصبه * جملة حالية أي يفضلهما علينا في المحبة وهما لا كفاية فيهما ونحن جماعة نقوم بمرافقه فنحن أحق بزيادة المحبة منهما وعن ابن عباس العصبه ما زاد على العشرة وعنه أيضا ما بين العشرة إلى الأربعين والضللال هنا هو الهوى قاله ابن عباس والظاهر أن * قتلوا يوسف * من جملة قولهم والظاهر أن * أوطر حوه * هو من قولهم أن يفعلوا به أحد الأمرين وانتصب * أرضا * على إسقاط حرف الجر (٢٨٢) أي في أرض بعيدة من الأرض التي هو فيها قريب من أرض

يعقوب * قال الزمخشري أرضا منكرة مجهولة بعيدة من العمران وهو معنى تنكرها وإخلائها من الناس ولا بهامها من هذا الوجه نصبت نصب النظر وفي المهمة * قال ابن عطية وذلك خطأ يعني كونها منصوبة على الظرف قال لان الظرف ينبغي أن يكون مبهما وهذه ليست كذلك بل هي أرض مقيدة بانها بعيدة أو قاصية ونحو ذلك فزال بذلك إبهامها ومعلوم أن يوسف لم يخل من الكون في أرض فتبين أنهم أرادوا أرضا بعيدة غير التي هو فيها قريب من أبيه انتهى هذا الرد صحيح لو قلت جلست دارا بعيدة أو وقعت مكانا بعيدا لم يصح إلا بواسطة في ولا يجوز حذفها إلا في ضرورة الشعر أو مع دخلت على الخلاف في دخلت أهى لازمة أم متعديّة والضمير في بعده عائدا على يوسف

اذقلوا ليوسف وأخوه أحب إلى أيينا منا ونحن عصبه ان أبانا في ضلال مبين اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين * آيات أي علامات ودلائل على قدرة الله تعالى وحكمته في كل شيء للسائلين لمن سأل عنهم وعرف قصتهم * وقيل آيات على نبوة النبي صلى الله عليه وسلم للذين سألوهم من اليهود عنها فاخبرهم بالصحة من غير سماع من أحد ولا قراءة كتاب والذي يظهر أن الآيات الدلالات على صدق الرسول وعلى ما أظهر الله في قصة يوسف من عواقب البغي عليه وصدق رؤياه وصحة تأويله وضبط نفسه وقهرها حتى قام بحق الأمانة وحدث السرور بعد اليأس * وقيل المعنى لمن سأل ولم يسأل لقوله سواء للسائلين أي سواء لمن سأل ولم يسأل وحسن الحذف لدلالة قوة الكلام عليه لقوله سراويل تقيمكم الحرأى والبرد * وقال ابن عطية وقوله للسائلين يقتضي تحضيضا للناس على تعلم هذه الأنباء لانه انما المراد آيات للناس فوصفهم بالسؤال اذ كل أحد ينبغي أن يسأل عن مثل هذه القصص اذهى مقر العبر والاتعاظ وتقدم لنا ذكر أسماء أخوة يوسف منقول من خط الحسين بن أحمد بن القاضي الفاضل عبد الرحيم البيهقي ونقلها من خط الشريف النقيب النسابة أبي البركات محمد بن أسعد الحسيني الجواني محررة بالنقط وتوجد في كتب التفسير محرفة مختلفة وكان روييل أكبرهم وهو يهودا وشمعون ولاوى وزبولون ويسا خاشقائى أمهم ليا بنت ليان بن ناهر بن آزر وهى بنت خال يعقوب وذان ونفتالى وكاذو ياشير أربعة من سريتين كانتا للنيا وأختها راحيل فوهبتاها ليعقوب فجمع بينهما ولم يخل الجمع بين الاختين لأحد بعده وأسماء السريتين فيما قيل ليا وتلتا ونوفيت أم السبعة فزوج بعدها يعقوب أختها راحيل فولدت له يوسف وبنيامين وماتت من نفاسه * وقرأ مجاهد وشبل وأهل مكة وابن كثير آية على الأفراد * والجمهور آيات وفي مصحف أبي عتبة للسائلين مكان آية والضمير في قالوا عائدا على أخوة يوسف وأخوه هو بنيامين ولما كانا شقيقين أضافوه إلى يوسف واللام في ليوسف لام الابتداء وفيها تأكيد وتحقيق لمضمون الجملة أي كثرة حبه لها ثابت لا شبهة فيه وأحب أفعل تفضيل وهى مبنى من المفعول شذوذ ولذلك عدى بالى لانه اذا كان متعلق به فاعلا من حيث المعنى عدى اليه بالى واذا كان مفعولا عدى اليه بى تقول زيد أحب إلى عمرو من خالد فالضمير في أحب مفعول من حيث المعنى وعمرو هو المحب واذا قلت زيد أحب إلى عمرو من خالد كان الضمير فاعلا وعمرو هو المحبوب ومن خالد في المثال الأول محبوب وفي الثانى فاعل ولم يكن أحب لتعديته من وكان بنيامين أصغر من يوسف فكان يعقوب يحبهما بسبب صغرهما وموت أمهما وحب الصغير والشفقة عليه من كوز في فطرة البشر * وقيل لابنة الحسن أي بنيك أحب

أو قتله أو طر حوه صلاحهم هو بالتوبة والتنصل من هذا الفعل والقائل لا تقتلوا يوسف هو يهودا وكان أحامهم وأحسنهم فيه رايوا وهو الذى قال فلن أبرح الأرض حتى يأذن لي أبى وقال لهم القتل عظيم وهذا عطف منهم على أخيه لما أراد الله من إنفاذ قضائه

(الدر) (ح) اذا كان متعلقا بفعل التفضيل فاعلا من حيث المعنى عدى اليه بالى واذا كان مفعولا عدى اليه بى تقول زيد أحب إلى عمرو من خالد فالضمير في أحب مفعول من حيث المعنى وعمرو هو المحب واذا قلت زيد أحب في عمرو من خالد كان الضمير في أحب فاعلا وعمرو هو المحبوب ومن خالد في المثال الأول محبوب وفي الثانى فاعل

الهروى الغيابة في
الجب شبه لحف أو
طاق في البئر فويق الماء

يغيب ما فيه عن العيون
والسيارة جمع سيار
وهو الكثير السبر في
الارض ومفعول فاعلين
مخدوف أى فاعلين ما يحصل

به غرضهم من التفريق
بينه وبين أبيه

(الدر)

(ش) أرضاً منكورة مجهولة

بعيدة من العمران وهو

معنى تنكيرها واخلاقها

من الناس ولا بهامها من

هذا الوجه نصبت نصب

الظروف المبهمة (ع) وذلك

خطأ يعنى كونها منصوبة

على الظرف قال لأن

الظرف ينبغي أن يكون

مبهماً وهذه ليست كذلك

بل هي أرض مقيمة

بكونها بعيدة أو قاصية

ونحو ذلك فزال بذلك

إبهامها ومعلوم أن يوسف

لم يخل من الكون في

أرض فتبين أنهم أرادوا

أرضاً بعيدة عن التي هو

فيها قريب من أبيه انتهى

(ح) هذا الرد صحيح لو قلت

جلست داراً بعيدة أو

قعدت مكاناً بعيداً لم يصح

الا بواسطة في ولا يجوز

حذفها إلا في ضرورة

اليك قالت الصغير حتى يكبر والغائب حتى يقدّم والمريض حتى يفيق وقد نظم الشعراء في محبة
الولد الصغير قديماً وحديثاً ومن ذلك ما قاله الوزير أبو عمرو بن عبد الملك بن ادريس الجزيري في
قصيدته التي بعث بها إلى أولاده وهو في السجن

وصغيركم عبد العزيز فأننى * أطوى لفرقة جوى لم يصغر
ذاك المقدم في الفؤاد وان غدا * كفؤا لكم في المنفى والعنصر
ان البنان الخمس أكفاء معا * والحلى دون جميعها للخنصر
واذا الفتى بعد الشباب سما له * حب البنين ولا كتب الا صغر

ونحن عصابة جملة حالية أى تفضلهم ما علينا في المحبة وهما ابنان صغيران لا كفاية فيهما ولا منفعة ونحن
جماعة عشرة رجال كفاة نقوم بمرافقة فتحن أحق بزيادة المحبة منهما وروى النزال بن سبرة عن علي

ابن أبي طالب رضى الله عنه ونحن عصابة * وقيل معناه ونحن نجتمع عصابة فيكون الخبر مخدوفاً

وهو عامل في عصابة وانتصب عصابة على الحال وهذا كقول العرب حكمك مسقطا حذف الخبر *
قال المبرد قال الفرزدق * يالهدم حكمك مسقطا * أراد لك حكمك مسقطا واستعمل هذا

فكثر حتى حذف استخفاً قاله السامع ما يريد القائل كقولك الهلال والله أى هذا الهلال والمسمط

المرسل غير المردود * وقال ابن الأنباري هذا كما تقول العرب إنما العامري عمتة أى يتعمم عمتة

انتهى وليس مثله لأن عصابة ليس مصدر ولا هيئة فالأجود أن يكون من باب حكمك مسقطاً وقدره

بعضهم حكمك ثبت مسقطاً * وعن ابن عباس العصابة ما زاد على العشرة وعنه ما بين العشرة إلى

الأربعين * وعن قتادة ما فوق العشرة إلى الأربعين * وعن مجاهد من عشرة إلى خمسة عشر *
وعن مقاتل عشرة * وعن ابن جبير ستة أو سبعة * وقيل ما بين الواحد إلى العشرة * وقيل إلى

خمس عشرة * وعن الفراء عشرة فزاد * وعن ابن زيد والزجاج وابن قتيبة العصابة ثلاثة نفر فإذا

زادوا فهم رهط إلى التسعة فإذا زادوا فهم عصابة ولا يقال لأقل من عشرة عصابة والضلال هنا هو

الهموى قاله ابن عباس أو الخطأ من رأى قاله ابن زيد أو الجور في الفعل قاله ابن كامل أو الغلط في أمر

الديناروى أنه بعد أخباره لا يمه بالرويا كان يضعه كل ساعة إلى صدره وكان قلبه أيقن بالفراق

فلا يكاد يصبر عنه والظاهر أن اقتلوا يوسف من جملة قولهم * وقيل هو من قول قوم استشارهم

أخوة يوسف فيما يفعل به فقالوا ذلك والظاهر أن أو اطرحوه هو من قولهم أن يفعلوا به أحد

الأميرين ويجوز أن تكون أول التنوين أى قال بعض اقتلوا يوسف وبعض اطرحوه وانتصب

أرضاً على إسقاط حرف الجر قاله الخوفاً وابن عطية أى في أرض بعيدة من الأرض التي هو فيها

قريب من أرض يعقوب * وقيل مفعول ثان على تضمنين اطرحوه معنى أنزلوه كما تقول أنزلت

زيداً الدار * وقالت فرقة ظرف واختاره الزمخشري وتبعه أبو البقاء * قال الزمخشري أرضاً

منكورة مجهولة بعيدة من العمران وهو معنى تنكيرها واخلاقها من الناس ولا بهامها من هذا الوجه

نصبت نصب الظروف المبهمة * وقال ابن عطية وذلك خطأ بمعنى كونها منصوبة على الظرف قال

لأن الظرف ينبغي أن يكون مبهماً وهذه ليست كذلك بل هي أرض مقيمة بأنها بعيدة أو قاصية

ونحو ذلك فزال بذلك إبهامها ومعلوم أن يوسف لم يخل من الكون في أرض فتبين أنهم أرادوا

أرضاً بعيدة غير التي هو فيها قريب من أبيه انتهى وهذا الرد صحيح لو قلت جلست داراً بعيدة أو قعدت

شعراً أو مع دخلت على الخلاف في دخلت أى لازمة أم متعدي

﴿ قالوا يا أبا ناس ﴾ الآية لما تقرر في أذهانهم التفريق بين يوسف (٢٨٤) وأبيه عما لو الحيلة على يعقوب وتلفظوا في إخراجه معهم

مكانا بعيدا لم يصح الا بواسطة في ولا يجوز حذفها الا في ضرورة شعر أو مع دخلت على الخلاف في دخلت أي لازمة أو متعدية والوجه هنا قيل الذات أي يخل لكم أبوكم * وقيل هو استعارة عن شغلهم وصرف مودته إليهم لأن من أقبل عليك صرف وجهه إليك وهذا كقول نعامه حين أحبته أمه لما قتل اخوته وكانت قبل لا تحبه * قال الشكل أرامها أي عطفها والضمير في بعده عائد على يوسف أو قتله أو طرحه وصلاحيهم اما صلاح حالهم عند أبيهم وهو قول مقاتل أو صلاحهم بالتوبة والتصل من هذا الفعل وهذا أظهر وهو قول الجمهور منهم السكبي واحتمل تكونوا أن يكون مجزوما عطفا على مجزوم أو منصوبا على اضمار أن والفائل لا تقتلوا يوسف ويبل قاله قتادة وابن السكبي أو شمعون قاله مجاهد أو يهوذا وكان أحلمهم وأحسنهم فيه راي وهو الذي قال فلن أبرح الارض قال لهم القتل عظيم قاله السدي أو ذان أربعة أقوال وهذا عطف منهم على أخيهم لما أراد الله من انفاذ قضائه وابقاء على نفسه وسبب لنجاتهم من الوقوع في هذه الكبيرة وهو اتلاف النفس بالقتل * قال المروى الغيبة في الحب شبه لحف أو طاق في البئر فويق الماء يغيب ما فيه عن العيون * وقال السكبي الغيبة كمن في قعر الحب لأن أسفله واسع ورأسه ضيق فلا يكاد الناظر يرى ما في جوانبه * وقال الزخشري غوره وهو ما غاب منه عن عين الناظر وأظلم من أسفله انتهى منه قيل للقبر غيبة قال المتحل السعدي

فإن أنا يوما غيبته غيبتني * فسير وابسيري في العشرة والاهل

* وقرأ الجمهور غيبة على الافراد ونافع غيبات على الجمع جعل كل جزء مما يغيب فيه غيبة * وقرأ ابن هرير غيبات بالتشديد والجمع والذي يظهر انه سمي باسم الفاعل الذي للبالغة فهو وصف في الاصل وألحقه أبو علي بالاسم الجائي على فعال نحو ما ذكر سيبويه من الغياد * قال أبو الفتح ووجدت من ذلك المبار المبرح (٣) والفخار الخرف * وقال صاحب اللوامح يجوز أن يكون على فعالات كهمات ويجوز أن يكون على فيعالات كشيطنات في جمع شيطانة وكل للبالغة * وقرأ الحسن في غيبة فاحتمل أن يكون في الاصل مصدرا كالغلبة واحتمل أن يكون جمع غائب كصانع وصنعة وفي حرف أبي في غيبة بسكون الياء وهي ظامة الركية * وقال قتادة في جماعة الحب بئر بيت المقدس * وقال وهب بأرض الاردن * وقال مقاتل على ثلاث فرائخ من منزل يعقوب * وقيل بين مدين ومصر * وقرأ الحسن ومجاهد وقيادة وأبور جاء تلتقطه بقاء التائيت أنت على المعنى كما قال

إذا بعض السنين تعرفتنا * كفى الايتام فقد أبي اليتيم

والسيارة جمع سيار وهو الكثير السير في الأرض والظاهر ان الحب كان فيه ماء ولذلك قالوا يلتقط بعض السيارة * وقيل كان فيه ماء كثير يغرق يوسف فتشز حجر من أسفل الحب حتى ثبت يوسف عليه * وقيل لم يكن ماء فأخرج الله فيه حتى قصده الناس وروى انهم رموه بحبل في الحب فمسل بيديه حتى ربطوا يديه ونزعوا قيصره ورموه حينئذ وهو بعد برضخه بالحجارة فذهبهم أخوهم المشير بطرحه من ذلك وفعول فاعلين محذوف أي فاعلين ما يحصل به غرضكم من التفریق بينهم وبين أبيهم ﴿ قالوا يا أبا ناس ما لك لا تأمننا على يوسف واناله لنا يحون ﴾ أرسله معنا غدا يرتع ويلعب واناله الحافظون * قال اني ليخزنني أن تذهبوا به وأخاف أن يأكله الله تب وأنتم عنه غافلون قالوا اننا كرهنا الله تب ونحن عصبة اننا اذا خسرنا ﴿ لما تقرر في أذهانهم التفريق بين يوسف

وذكر وانصحبهم له وما في رساله معهم من انشراح صدره بالارتعاء واللعب اذ هو مما يشرح الصبيان وذكروا وحفظهم له مما يسوؤه وفي قولهم مالك لا تأمننا دليل على أنهم تقدم منهم سؤال في أن يخرج معهم وذكروا سبب الامن وهو الصبح أي لم تأمننا عليه وحالتنا هذه والنصح دليل على الامانة ولهذا قرنا في قوله ناصح أمين وكان قد أحسن منهم قبل ما أوجب الاباء منهم عليه ولا تأمننا جملة حالته وهذا الاستفهام صعبه معنى التعجب وقرى لا تأمننا باختلاس الحركة والادغام في لفظة أرسله دليل على أنه كان بمسكه ويصحبه دائما وانتصب ندا على الفرف وهو ظرف مستقبل يطلق على اليوم الذي يلي يومك وعلى الزمن المستقبل من غير تقييد باليوم الذي يلي يومك وأصله غدو فحذفت لاءه وقد جاء فلما وفري * يرتع ويلعب بالياء وقرى بالنون واللعب هنا هو الاستباق والانتقال يفترون بذلك القتال العدو وهو لعل الأنة بصورة اللعب ولم يكن ذلك للهو بدليل قولهم اننا ذهبنا

وأبيه أعمالوا الحيلة على يعقوب وتلطفوا في اخراجه معهم وذكروا نصيحهم له وما في رساله معهم من
 انشراح صدره بالارتقاء واللعب اذ هو مما يشرح الصبيان وذكروا حفظهم له مما يسوؤه وفي
 قولهم مالك لا تأمنادليل على انهم تقدم منهم سؤال في أن يخرج معهم وذكروا سبب الأمن وهو
 النصيح أي لم لا تأمناد عليه وحال تناهذه والنصح دليل على الأمانة ولهذا قرنا في قوله ناصح أيين وكان قد
 أحس منهم قبل ما أوجب أن لا يأمنهم عليه ولا تأمناجلة حاله وهذا الاستفهام ضربه التعجب * وقرأ
 زيد بن علي وأبو جعفر والزهرى وعمر بن عبيد بادغام نون تأمن في نون الضمير من غير اشباع
 ومجئ به بعد مالك والمعنى يرشد الى انه نفى لانهم ليس كقولهم ما أحسننا في التعجب لانه لو أدغم
 لالتبس بالنفي * وقرأ الجمهور بالادغام والاشباع للضم وعنه اخفاء الحركة فلا يكون ادغاما محضا
 * وقرأ ابن هرمرز بضم الميم فتكون الضمة منقولة الى الميم من النون الأولى بعد سلب الميم حركتها
 وادغام النون في النون * وقرأ أبي والحسن وطلحة بن مصرف والأعمش لا تأمننا بالاظهار وضم
 النون على الأصل وخط المصحف بنون واحدة * وقرأ ابن وثاب وأبو رزين لا يتنا على لغة تميم
 وسهل الهزرة بعد الكسرة ابن وثاب وفي لفظة أرسله دليل على انه كان يمسكه ويصحبه دائما وانتصب
 غدا على الظرف وهو ظرف مستقبل يطابق على اليوم الذي يلي يومك وعلى الزمن المستقبل
 من غير تقييد باليوم الذي يلي يومك وأصله غدو فحذفت لامه وقد جاء تاما * وقرأ الجمهور يرتع
 ويلعب بالياء والحزم والابنابن وأبو عمر وبالنون والحزم وكسر العين الحزميان واختلف عن قبل
 في اثبات الياء وحذفها * وروى عن ابن كثير ويلعب بالياء وهي قراءة جعفر بن محمد * وقرأ
 العلاء بن سبيبة يرتع بالياء وكسر العين محزو ما محذوف اللام ويلعب بالياء وضم الباء خبر مبتدأ
 محذوف أي وهو يلعب * وقرأ مجاهد وقتادة وابن محيص بنون مضمومة من ارتعنا ونلعب بالنون
 وكذلك أبو رجاء الا انه بالياء فيهما يرتع ويلعب والقراءتان على حذف المفعول أي يرتع المواشي أو
 غيرها * وقرأ النخعي يرتع بنون ويلعب بياء باسناد اللعب الى يوسف وحده لصابه وجاء كذلك عن
 أبي اسحق ويعقوب وكل هذه القراءات الفعلان فيها مبنيان للفاعل * وقرأ زيد بن علي يرتع ويلعب
 بضم الياء مبنيا للمفعول ويخرجها على انه أضر المفعول الذي لم يسم فاعله وهو ضمير غد وكان
 أصله يرتع فيه ويلعب فيه ثم حذف واتسع فعدي الفعل للضمير فكان التقدير يرتعه ويلعبه ثم بناء
 للمفعول فاستكن الضمير الذي كان منصوبا لكونه نائب عن الفاعل واللعب هنا هو الاستباق
 والاتصال فيدربون بذلك لقتال العدو سموه لعبا لانه بصورة اللعب ولم يكن ذلك لهو بدليل
 قولهم اتاهبنا ذنبتى ولو كان لعب لهو ما أقرهم عليه يعقوب ومن كسر العين من يرتع فهو يفتعل
 * قال مجاهد هي من المراعاة أي براعى بعضنا بعضا وبحرسه * وقال ابن زيد من رعى الابل أي يتدرب
 في الرعى وحفظ المال أو من رعى النبات والكلأ أي يرتع على حذف مضاف أي مواشينا ومن أثبت
 الياء * فقال ابن عطية هي قراءة ضعيفة لا تجوز الا في الشعر كقول الشاعر
 ألم يأتيك والانباء تنمى * بما لاقت لبون بني زياد

انتهى * وقيل تقدير حذف الحركة في الياء لغة فعلى هذا لا يكون ضرورة ومن قرأ بسكون العين
 فالمعنى نغم في خصب وسعة ويعنون من الاكل والشرب واناله حافظون جملة حاله والعامل فيه
 الامر أو الجواب ولا يكون ذلك من باب الاعمال لان الحال لا تضمر وبان الاعمال لا بد فيه من الاضمار
 اذا عمل الأول ثم اعتذر لهم يعقوب بشيئين أحدهما عاجل في الحال وهو ما يلحقه من الحزن

نستبق ولو كان لعب لهو
 ما أقرهم عليه يعقوب ومن
 كسر العين من يرتع فهو
 يفتعل قال مجاهد من
 المراعاة أي براعى بعضنا بعضا
 وبحرسه ثم اعتذر لهم يعقوب
 بشيئين أحدهما عاجل في
 الحال وهو ما يلحقه من
 الحزن لمفارقه وكان
 لا يصبر عنه والثاني خوفه
 عليه من الذئب ان غفلوا
 عنه برعيهم ولعبهم وعادل
 اخوة يوسف عن أحد
 الشيئين وهو حزنه على
 ذهابهم به لقصر مدة
 الحزن وإيهامهم أنهم
 يرجعون به اليه عن
 قريب وعدلوا الى قصة
 الذئب وهو السبب
 الأقوى في منه أن يذهبوا
 به فحلفوا له لئن كان ماخافه
 من خطفة الذئب أخاهم
 من بينهم وحالهم أنهم عشرة
 رجال يمثلهم تعصب الأمور
 وتكفي الخطوب أنهم اذا
 لقوم خاسرون أي هالكون
 ضعفا وخورا وعجزا

﴿فما ذهبوا به﴾ الآية بين هذه الجملة والجملة التي قبلها محذوف يدل عليه المعنى تقديره فأجابهم الى ما سألوه وأرسل معهم يوسف فلما ذهبوا به وأجمعوا أى عزموا واتفقوا على إلقائه في الحب وأن يجعلوه مفعول أجمعوا يقال أجمع الأمر وأزمعه بمعنى العزم عليه واحتمل أن يكون الجعل هنا بمعنى الإلقاء وبمعنى التصيير وجواب لما هو قولهم قالوا يا أبانا انا ذهبنا نستبق أى لما كان كيت وكيت قالوا والظاهر أن (٢٨٦) الضمير في وأوحينا اليه عائداً على يوسف وهو وحي الهام قال ابن

لفارقه وكان لا يصبر عنه والثاني خوفه عليه من الذنب ان غفلوا عنه برعيهم ولعبهم أو بقله اهتمامهم بحفظه وعنايتهم فيأكله ويحزن عليه الحزن المؤبد وخص الذنب لانه كان السبع الغالب على قطره أو لصغر يوسف فخاف عليه هذا السبع الحقيق وكان تنبيهه على خوفه عليه ما هو أعظم افتراسا ولحقارة الذنب خصه الربيع بن ضبع الفزاري في كونه يخشاه لما بلغ من السن في قوله

والذنب أخشاه ان مررت به * وحدى وأخشى الرياح والمطر

وكان يعقوب بقوله وأخاف أن يأكله الذنب لقنهم ما يقولون من العذر اذا جاؤا وليس معهم يوسف فلقنوا ذلك وجعلوه عدة للجواب وتقدم خلاف القراء في يحزن * وقرأ زيد بن علي وابن هرمز وابن محيصن ليحزني بتشديد النون والجمهور بالفك وليحزني مضارع مستقبل لالحال لان المضارع اذا أسند الى متوقع تخلص للاستقبال لان ذلك المتوقع مستقبل وهو المسبب لآثره فحال أن يتقدم الأثر عليه فالذهاب لم يقع فالحزن لم يقع كما قال

يهولك أن تموت وأنت ملغ * لما فيه النجاة من العذاب

* وقرأ زيد بن علي تذهبوا به من أذهب ربا عيا ويخرج على زيادة الباء في به كما خرج بعضهم تثبت بالدهن في قراءة من ضم التاء وكسر الباء أى تثبت الدهن وتذهبوه * وقرأ الجمهور والذنب بالهمز وهى لغة الحجاز * وقرأ الكسائي وورش وحزرة اذا وقف بغير همز * وقال نصر سمعت أبا عمر ولا يهزم وعدل اخوة يوسف عن أحد الشيعيين وهو حزنه على ذهابهم به لقصر مدة الحزن وإيهاهم انهم يرجعون به اليه عن قريب وعدلوا الى قضية الذنب وهو السبب الأقوى في منعه أن تذهبوا به فلقنوا له لئن كان ما خافه من خطفة الذنب أخاهم من بينهم وحالهم انهم عشرة رجال يمثلهم تعصب الأمور وتكفي الخطوب انهم اذا لقوم خسر ون أى هالكون ضعفا وخورا وعجزا أو مستحقون أن يهلكوا لانهم لا غنى عندهم ولا جدوى في حياتهم أو مستحقون بان يدعى عليهم بالخسار والدمار وأن يقال خسرهم الله ودمرهم حين أكل الذنب بعضهم وهم حاضرون * وقيل ان لم نقدر على حفظ بعضنا فقد هلكتم مواثينا اذا خسرنا * وروى أن يعقوب رأى في منامه كأنه على ذروة جبل وكان يوسف في بطن الوادي فاذا عشرة من الذئاب قد احتوشته يردن أكله فدرأ عنه واحد ثم انشقت الارض فتوارى يوسف فيها ثلاثة أيام ﴿فما ذهبوا به﴾ وجمعوا أن يجعلوه في غيابة الحب وأوحينا اليه لتنبيههم باصرهم هذا وهم لا يشعرون * و جاؤا أباهم عشاء يسكون * قالوا يا أبانا انا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فاكله الذنب وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين * و جاؤا على قميصه بدم كذب قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل والله

عباس هو وحي منام ويدل على ان الضمير عائداً على يوسف قوله لم قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه اذ أنتم جاهلون وتقدم أن جواب لما هو قولهم قالوا ونختار أن يكون الجواب محذوفاً لدلالة المعنى عليه تقديره لسروا بذلك أى بذهابهم به واجماعهم على ما يريدون أن يفعلوا به ويكون قوله وأوحينا اليه ليس داخلاً تحت جواب لما بل هو استئناف اخبار بأخبار الله الى يوسف وانتصب عشاء على الظرف ويكون حال أى باكين قيل وانما جاؤا عشاء ليكونوا أقدر على الاعتدال في الظامة ولذلك قيل لا تطلب الحاجة بالليل فان الحياة في العيين ولا تعتذر بالهار من ذنب فتمتلجج في الاعتدال وفي الكلام حذف تقديره و جاؤا أباهم دون يوسف عشاء ليكون

فقال أين يوسف فقالوا انا ذهبنا نستبق * وما أنت بمؤمن لنا * أى بمصدق الآن * ولو كنا صادقين * فما أنت بمؤمن لنا على كل حال ولو في حالة الصدق روى أنهم أخذوا جدياً وسخلة قد نبجوه ولطخوا قميص يوسف بدمه وقالوا ليعقوب هذا قميص يوسف فأخذه ولطخ به وجهه وبكى ثم تأمله فلم ير خرقاً ولا ارباباً فاستدل بذلك على خلاف ما زعموا وقال لهم متى كان الذنب حليماً يأكل كل يوسف ولا يخرق قميصه قيل كان في قميص يوسف صلى الله عليه وسلم ثلاث آيات كانت دليلاً ليعقوب على أن يوسف لم يأكله الذنب وألقاه على وجهه فارادى برأيه ودليلاً على براءة يوسف حين قد نذر قال الزمخشري وسبقه اليه الخوفى * فان

قلت على قيصه ما محله * قلت محله النصب على الظرف كأنه قيل وجاؤا فوق قيصه بدم كما يقول جاء على جماله باجمال * فان قلت هل يجوز أن يكون حالا متقدمة * قلت لا لان حال المجزور لا يتقدم عليه انتهى ولا يساعده المعنى على نصب على الظرف بمعنى فوق لأن العامل فيه اذا جاءوا وليس الفوق ظرفا لهم بل يستحيل أن يكون ظرفا لهم وقال أبو البقاء على قيصه في موضع نصب حالا من الدم لأن التقدير وجاؤا بدم كذب على قيصه انتهى وتقديم الحال على المجزور بالحرف غير الزائد في جوارحه خلاف ومن أجاز استدلال على ذلك بأنه موجود في لسان العرب وأنشد على ذلك شواهد هي مذكورة في علم النحو والمعنى يرشد الى ما قاله أبو البقاء قال بل سؤلت هنا مخدوف تقديره لم يأكله الذئب بل (٢٨٧) سؤلت وقال قتادة معنى سؤلت زينت * فصر جميل *

أى فأمرى صبر جميل أو فصر جميل أمثل * والله المستعان * أى المطلوب منه العون على احتمال ما تصفون من هلاك يوسف فالصبر على الرزية * وجاءت سياره * قيل كانوا من مدين قاصدين الى مصر * فأرسلوا واردهم * وهو مالك بن دعر الخزاعي فأرسلوه ليطلب لهم الماء والوارد الذي يرد الماء ليستقي للقوم وإضافة الوارد للضمير ليست إضافة الى المفعول بل المعنى الذى يردهم الماء * فأدلى دلوه * أى أرسلها ليستقي الماء * قال يا بشرى * فى الكلام حذف تقديره فتعلق يوسف بحبل الدلو فلما بصر به المدلى قال يا بشرى وتعلقه بالحبل يدل على صغره اذ لو كان ابن ثمانية عشر أو سبعة

المستعان على ما تصفون * وجاءت سياره فارسلوا واردهم فأدلى دلوه قال يا بشرى هذا غلام وأسروه بضاعة والله عليم بما يعملون * حكى أنهم قالوا ليوسف اطلب من أيمنك أن يبعثك معنا فاقبل على يوسف فقال أحب ذلك قال نعم قال يعقوب اذا كان غدا أذنت لك فلما أصبح يوسف لبس ثيابه وشده عليه منقطته وخرج مع اخوته فشييعهم يعقوب وقال يا بني أوصيكم بتقوى الله وبحببي يوسف ثم أقبل على يوسف وضحه الى صدره وقبل بين عينيه ثم قال استودعتك الله رب العالمين وانصرف فحملوا يوسف على أكتافهم مادام يعقوب يراهم ثم لما غابوا عن عينه طرحوه ليعبدوا معهم اضرار ابهوذ كر المفسرون أشياء كثيرة تتضمن كيفية القائه في غيابة الحب ومحاورته لهم بما يلين الصخر وهم لا يزدادون الا قساوة ولم يتعرض القرآن ولا الحديث الصحيح لشيء منها فيوقف عليهم فى كتب التفسير وبين هذه الجملة والجل التي قبلها مخدوف يدل عليه المعنى تقديره فاجابهم الى ما سألوه وأرسل معهم يوسف فاما ذهبوا به وأجمعوا أى عزموا واتفقوا على القائه في الحب وأن يجعلوه مفعول أجمعوا يقال أجمع الامر وأزمعه بمعنى العزم عليه واحتمل أن يكون الجعل هنا بمعنى الالتقاء وبمعنى التصيير واختلفوا في جواب لما هو مثبت أم مخدوف فن قال مثبت قال هو قولهم قالوا يا أبانا ان اذهبنا نستبق أى لما كان كيت وكيت قالوا وهو نخرج حسن * وقيل هو أوحينا والواوزا دة وعلى هذا مذهب الكوفيين يزداد عندهم بعد لما وحتى اذا وعلى ذلك خر جوا قوله فلما أسلموا وتله للجين ونادىناه أى نادىناه وقوله حتى اذا جاؤا هو ففتحت أى فتحت وقول امرئ القيس * فداأحر باساحة الحى وانتحى * أى انتحى ومن قال هو مخدوف وهو رأى البصر بين فقدرة الزخشرى فعلاوا به ما فعلاوا من الاذى وحكى الحكاية الطويلة فيما فعلاوا به وما حاوروه وحاورهم به قدره بعضهم فاه اذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الحب عظمت فتنتهم وقدره بعضهم جعلوه فيها وهذا أولى اذ يدل عليه قوله وأجمعوا أن يجعلوه والظاهر أن الضمير فى وأوحينا اليه عائدا على يوسف وهو وحي الهام فاه مجاهد * وروى عن ابن عباس أو منام * وقال الضحاك وقتادة نزل عليه جبريل فى البئر * وقال الحسن أعطاه الله النبوة فى الحب وكان صغيرا كما أوحى الى يحيى وعيسى عليهما السلام وهو ظاهر أوحينا ويدل على أن الضمير عائدا على يوسف قوله لم قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه اذ أنتم جاهلون * وقيل الضمير فى اليه عائدا على يعقوب وانما أوحى اليه

عشر لم يحمله الحب غالبا ولفظة غلام ترجح ذلك اذ يطلق عليه ما بين الحولين الى البلوغ حقيقة وقد يطلق على الرجل الكامل وقوله يا بشرى هو على سبيل السرور والفرح بيوسف صلى الله عليه وسلم اذ رأى أحسن ما خلق وأضاف البشرى الى نفسه وقرى يا بشرى بياء الإضافة وببشرى قيل ذهب به الوارد الى أصحابه فبشرهم به * وأسروه * أى أخفوه وكنفوا أمره من وجدانهم له فى الحب وقالوا دفعه اليها أهل الماء لنبيعه لهم بمصر وقال ابن عباس الضمير فى وأسروه لاخوة يوسف صلى الله عليه وسلم وأنهم قالوا للرفقة هذا غلام قد أبقي لنا فاشتروه منا وسكت يوسف مخافة أن يقتلوه وانعصب * بضاعة * على الحال أى متجر لهم ومكسبا * والله عليم بما يعملون * أى لم يخف عليه أسرارهم أو هو وعيد لهم حيث استبضعوا ما ليس لهم

ليأنس في الظلمة من الوحدة وليبشر بما يوعد اليه أمر دوماً ومعناه لتخلص مما أنت فيه وتحدثن
 اخوتك بما فعلوا بك وهم لا يشعرون جملة حالية من قوله لتنبئهم بهذا أي غير عالين انك يوسف وقت
 التنبئة قاله ابن جريج وذلك لعلو شأنك وعظمة سلطانك وبعد حالك عن أذهانهم ولطول العمر
 المبديل للهيئات والاشكال وذكريتهم حين دخلوا عليه ممتارين فعرفهم وهم له منكرون دعا
 بالصواع فوضعه على يده ثم نقره فطن فقال انه ليخبرني هذا الجام انه كان أخ من أبيكم يقال له
 يوسف وكان يدينه دونكم وأنكم انطلقتم به وألقيتموه في غيابة الجب وقام لأبيكم أكل الذئب وبيع
 بثمن بخس ويجوز أن يكون وهم لا يشعرون حالاً من قوله وأوحينا أي وهم لا يشعرون قاله قتادة
 أي بأحساننا إليك وما أخبرناك به من نجاتك وطول عمرنا إلى أن تنبئهم بما فعلوا بك * وقرأ الجمهور
 لتنبئهم بناءً الخطاب وابن عمر بن الخطاب الغيبة وكذا في بعض مصاحف البصرة * وقرأ أسلام بالنون والذي
 يظهر من سياق الاخبار والقصص أن يوسف كان صغيراً * فقيل كان عمره اذ ذاك سبع سنين *
 وقيل ست قاله الضحاك وأبعد من ذهب إلى أنه اثنتا عشرة سنة وثمان عشرة سنة وكلاهما عن
 الحسن أو سبع عشرة سنة قاله ابن السائب ويدل على أنه كان صغيراً بحيث لا يدفع نفسه قوله وأخاف
 أن يأكل الذئب ويرتفع ويلعب وإناله الحافظون وأخذ السيارته وقول الوارد هذا غلام وقول
 العزيز عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولد أو ما حكى من حلمه إياه واحد بعد واحد ومن كلامه لأخيه هوذا
 أرحم ضعفي وعجزي وحادثة سني وارحم قلب أبيك يعقوب ومن هو ابن ثمان عشرة سنة لا يخاف
 عليه من الذئب ولا سيما إن كان في رفقة ولا يقال فيه وإناله الحافظون لأنه إذ ذاك قادر على التحيل
 في نجاته نفسه ولا يسمى غلاماً إلا بمجاز ولا يقال فيه أو نتخذه ولد أو عشاء نصب على الظرف أو من
 العشوة والعشوة الظلام فجمع على فعال مثل راع ورعاء ويكون انتصابه على الحال كقراءة الحسن
 عشاء على وزن دجى جمع عاش حذف منه الهاء كما حذف في مالك وأصله مالكة وعن الحسن عشيها
 على التصغير * قيل وإنما جاؤا عشاء ليكون أقدر على الاعتذار في الظلمة ولذا قيل لا تطلب الحاجة
 بالليل فإن الحياء في العيين ولا تعتذر في النهار من ذنب فتتلجلج في الاعتذار وفي الكلام حذف
 تقديره وجاؤا أباهم دون يوسف عشاء ليكون * فقال أين يوسف قالوا انا ذهبنا * وروى ان يعقوب
 لما سمع بكاءهم قال مالكم أجرى في الغنم شيء قالوا لا قال فأين يوسف قالوا انا ذهبنا نستبق فأكل
 الذئب فبكى وصاح وخر مغشياً عليه فأفاضوا عليه الماء فلم يتحرك ونادوه فلم يجب ووضع يده
 على مخارج نفسه فلم يحس بنفسه ولا تحرك له عرق فقال ويل لنا من ديان يوم الدين الذي ضيعنا
 أخانا وقتلنا أبانا فلم يبق الا بيرد السحر * قال الاعمش لا يصدق بالك بعد اخوة يوسف ونستبق أي
 نترامى بالسهم أو نتجاري على الاقدام أينما أشدعدوا أو نستبق في أعمال نتموزعها من سقي ورعي
 واحتطاب أو نتصيد أربعة أقوال عند متاعنا أي عند ثيابنا وما تجردنا له حالة الاستباق وهذا أيضاً
 يدل على صغر يوسف إذ لو كان ابن ثمان عشرة سنة أو سبع عشرة لكان يستبق معهم فأكل
 الذئب قد ذكرنا أنهم تلقوا هذا الجواب من قول أبيهم وأخاف أن يأكل الذئب لأن أكل الذئب
 إياه كان أغلب ما كان خاف عليه وما أنت بمؤمن لنا أي بصدق لنا الآن ولو كنا صادقين أو لست
 مصداقاً لنا على كل حال حتى في حالة الصدق لما غلب عليك من تهمتنا وكرهتنا في يوسف وانا نرتاده
 الغوائل ونكيد له المكائد وأوهموه بقولهم ولو كنا صادقين أنهم صادقون في أكل الذئب يوسف
 فيكون صدقهم مقيداً بهذه النازلة أو من أهل الصدق والثقة عند يعقوب قبل هذه النازلة لشدة

(ش) فان قلت على قيص
ما محله قلت محله نصب
على الظرف كانه قيص
وجاؤا فوق قيصه بدم
تقول جاء على جماله باجمال
* فان قلت هل يجوز أن
يكون حالاً متقدمة * قلنا
لأن حال المجرور لا يتقدم
عليه انتهى (ح) لا يساء
المعنى على نصب على قيص
على الظرف بمعنى فوق لا
العامل فيه اذ ذلك جاز
وليس الفوق ظرفاً لهم
بل يستحيل أن يكون
ظرفاً لهم وأما المثال الذي
ذكره (ش) وهو
على جماله باجمال فيمكن
أن يكون ظرفاً للجائي لأن
يمكن الظرفية فيه بمعنى
تبدله من جل على جـ
ويكون باجمال في موضع
الحال أي مصحوباً باجمال
وقال أبو البقاء على قيصه
موضع نصب حالاً من الله
لأن التقدير جاؤا بدم كذا
على قيصه انتهى وتقدم
الحال على المجرور بالخرف
غير الزائد في جواز خلا
ومن أجاز استدل على ذلك
بأنه موجود في لسان
العرب وأنشد على ذلك
شواهد هي مذكور
في علم النحو والمعنى يرشد
إلى ما قاله أبو البقاء

محبك ليوسف فكيف وأنت سيء الظن بنا في هذه النازلة غير واثق بقولنا فيه * روى أنهم
أخذوا سخله أو جدياً فذبحوه ولطخوا قيص يوسف بدمه وقالوا ليعقوب هذا قيص يوسف فأخذه
ولطخ به وجهه وبكى ثم تأمله فلم ير خرقاً ولا رتاباً فاستدل بذلك على خلاف ما زعموا وقال لهم متى
كان الذئب حليماً يأكل يوسف ولا يخرق قيصه * قيل كان في قيص يوسف ثلاث آيات كان دليلاً
ليعقوب على أن يوسف لم يأكل الذئب وألقاه على وجهه فارتد بصيراً ودليلاً على براءة يوسف حين
قدم دبر * قال الزمخشري (فان قلت) على قيصه ما محله (قلت) محله النصب على الظرف
كأنه قيل وجاؤا فوق قيصه بدم كما تقول جاء على جماله باجمال (فان قلت) هل يجوز أن يكون حالاً
مقدمة (قلت) لا لأن حال المجرور لا يتقدم عليه انتهى ولا يساء المعنى على نصب على على الظرف
بمعنى فوق لأن العامل فيه اذ ذلك جاز وأوليس الفوق ظرفاً لهم بل يستحيل أن يكون ظرفاً لهم * وقال
الخوفي على متعلق بجاؤا ولا يصح أيضاً وأما المثال الذي ذكره الزمخشري وهو جاء على جماله باجمال
فيمكن أن يكون ظرفاً للجائي لأنه يمكن الظرفية فيه باعتبار تبدله من جل على جل ويكون باجمال
في موضع الحال أي مصحوباً باجمال * وقال أبو البقاء على قيصه في موضع نصب حالاً من الدم لأن
التقدير جاؤا بدم كذب على قيصه انتهى وتقديم الحال على المجرور بالحرف غير الزائد في جواز
خلاف ومن أجاز استدل على ذلك بأنه موجود في لسان العرب وأنشد على ذلك شواهد هي
مذكورة في علم النحو والمعنى يرشد إلى ما قاله أبو البقاء * وقرأ الجمهور ركذب وصف لدم على
سبيل المبالغة أو على حذف مضاف أي ذى كذب لما كان دالاً على الكذب وصف به وان كان
الكذب صادراً من غيره * وقرأ زيد بن علي كذباً بالنصب فاحتمل أن يكون مصدراً في موضع
الحال وأن يكون مفعولاً من أجله * وقرأت عائشة والحسن كذباً بالدال غير معجمة وفسر بالكدر
* وقيل الطرى * وقيل اليابس * وقال صاحب اللوامح ومعناه ذى كذب أي أثر لان الكذب
هو بياض يخرج في أطراف الشبان ويؤثر فيها فهو كالنقش ويسمى ذلك البياض الفوف
فيكون هذا استعارة لتأثيره في القميص كمثل ذلك في الاظفار قال بل سولت هنا محذوف تقديره
لم يأكل الذئب بل سولت * قال ابن عباس أمر تكلم أمراً * وقال قتادة زينت * وقيل رضيت
أمراً أي صنيعاً قبيحاً * وقيل سهلت * فصر جميل أي فامرئ صبر جميل أو فصر جميل أمثل * وقرأ
أبي والاشهب وعيسى بن عمر فصرراً جميلاً بنصبهما وكذا هي في مصحف أبي ومصحف أنس بن مالك
* وروى كذلك عن الكسائي ونصبه على المصدر الخبر أي فاصبر صبراً جميلاً * قيل وهي قراءة
ضعيفة عند سيويوه ولا يصلح النصب في مثل هذا الامع الأمر وكذلك يحسن النصب في قوله

شكالي جلي طول السرى * صبراً جميلاً فلا تكلنا مبتلى

ويروى صبر جميل في البيت وإنما تصح قراءة النصب على أن يقدر أن يعقوب رجع إلى مخاطبة
نفسه فكانه قال فاصبري يا نفس صبراً جميلاً * وفي الحديث ان الصبر الجميل انه الذي لا شكوى
فيه أي إلى الخلق ألا ترى إلى قوله انما أشكو بثي وحزني إلى الله * وقيل أنجم لكم في صبري
فلا أعاشركم على كآبة الوجه وعبوس الجبين بل على ما كنت عليه معكم * وقال الثوري من
الصبر أن لا تحدث بما يؤجلك ولا بمصبتك ولا تبكي نفسك * والله المستعان أي المطلوب منه العون
على احتمال ما تصفون من هلاك يوسف والصبر على الرزية * وجاءت سيارة قيل كانوا من مدين
قاصدين إلى مصر * وقيل في الكلام حذف تقديره وأقام يوسف في الحب ثلاثة أيام وكان أخوه

﴿وشروه بثمن بخس﴾ الآية وشروه أى باعوه والظاهر أن الضمير فى وشروه عائداً على السيارة أى وباعوا يوسف ومن قال ان الضمير فى وأسروه عائداً على اخوة يوسف جعله هنا عائداً عليهم أى وباعوا أخاهم يوسف بثمن بخس وبخس مصدر وصف به معنى بخس أى (٢٩٠) زيف ناقص العيار ودراهم بدل من ثمن فلم يبيعه بدينارين

يهوداً يأتية بالطعام خفية من اخوته * وقيل جاءت السيارة فى اليوم الثانى من طرحه فى الحب * وقيل كان التسبيح غداء فى الحب * قيل وكانت السيارة تأتية تسير من أرض الى أرض وقيل سياراة فى الطريق أخطوه فزولوا قريبا من الحب وكان فى قفرة بعيدة من العمران لم تكن الا للرعاة وفيهم مالك بن دعر الخزاعى فارساه ليطلب لهم الماء والوارد الذى يرد الماء ليستقى للقوم واضافة الوارد للضمير كاضافته فى قوله * ألقيت كأسهم * ليست اضافة الى المفعول بل المعنى الذى يرد عليهم والذى يكسب لهم والظاهر ان الوارد واحد * وقال ابن عطية والوارد هنا يمكن أن يقع على الواحد وعلى جماعة انتهى وحمل على معنى السيارة فى قوله فارساه ولو حمل على اللفظ لكان الترتيب فارساه وادها فادلى دلوه أى أرسلها ليستقى الماء قال يابشرى فى الكلام حذف تقديره فمعلق يوسف بحبل الدلو فادها بصر به المدلى قال يابشرى وتعلقه بالحبل يدل على صغره اذ لو كان ابن ثمانية عشر أو سبعة عشر لم يحمله الحبل غالباً ولفظة غلام ترجح ذلك اذ يطلق عليه ما بين الحولين الى البلوغ حقيقة وقديراً على الرجل الكامل لقول للملأ الأخيلىة فى الحجاج ابن يوسف * غلام اذا هز القنأه سقاها * وقوله يابشرى هو على سبيل السرور والفرح بيوسف اذ رأى أحسن ما خلق وأبعد السدى فى زعمه ان بشرى اسم رجل وأضاف البشرى الى نفسه فكأنه قال تعالى فهنا من آونتك * وقرأ يابشرى بغير اضافة الكوفيون * وروى ورش عن نافع يابشرى بسكون ياء الاضافة وهو جمع بين ساكنين على غير حده وتقدم تقرير مثله فى ومحياى * وقرأ أبو الطفيل والحسن وابن أبى اسحق والجحدري يابشرى بقلب الالف ياء واذا غامها فى ياء الاضافة وهى لغة لهنديل ولناس غيرهم تقدم الكلام عليها فى البقرة فى فن تبع هداى * قيل ذهب به الوارد فادها من استحبابه صاحب بذلك فبشرهم به وأسروه الظاهر ان الضمير للسيارة التى الوارد منهم أى أخفوه من الرفقة أو كفوا أمره من وجدانهم له فى الحب وقالوا دفعه اليها أهل الماء لنبيعه لهم بمصر * وقال ابن عباس الضمير فى وأسروه وشروه لاختوة يوسف وانهم قالوا للرفقة هداى غلام قد أبى لنا فاشترروه منا وسكت يوسف مخافة أن يقتلوه وذلك انه روى ان بعضهم رجع الى الحب ليتحققوا أمر يوسف ويقفوا على الحقيقة من فقده فاماعاهوا ان الوارد قد أخذوه جاؤهم وقالوا تلك المقالة وانتصب بضاعة على الحال أى متجرأهم ومكسباً * والله عليم بما يعملون أى لم تخف عليه أسراره وهو وعيد لهم حيث استبضعوا ما ليس لهم أو والله عليم بعمل اخوة يوسف بأنهم وأخيه من سوء الصنع وفى ذلك أعظم تذكار بما فعلوا بيوسف * قيل أوحى الله اليه فى الحب أن لا يطلع أباه ولا غيره على حاله لحكمة أراد امضاءها وظهر بعد ذلك ما جرى له من جعله على خزائن الأرض واحواج اخوته اليه ورفع أبويه على العرش وما جرى مجرى ذلك مما كان مكتوباً فى القدر ﴿وشروه بثمن بخس﴾ دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين * وقال الذى اشتراه من مصر لأمراهة أكرهى مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولذا وكذلك

ومعدودة إشارة الى القلة وكانت عادتهم أنهم لا يزنون الا ما بلغ أوقية وهى أربعون درهماً لأن الكثرة يعسر فيها العدد بخلاف القليلة قال ابن عباس أربعون درهماً ﴿وكانوا فيه﴾ الضمير عائداً على يوسف وفيه الأجود أن يكون متعلقاً بالزاهدين وان كان فى صلة الألف واللام لان الظرف والمجرور يتسع فيه ما لا يتسع فى غيرهما بخلاف المفعول به وتقدم الخلاف فى ذلك فى قوله انى لك لمن الناصحين ﴿وقال الذى اشتراه﴾ لم تتعرض الآية لاسم من اشتراه وذكر المفسرون فيه اختلافاً كثيراً ومثواه مكان اقامته وهو كناية عن الاحسان اليه فى مأكل ومشرب وملبس ولا ملامر أنه يتعاقب قال فى التبليغ نحو قلت لك لا باشتراه ﴿عسى أن ينفعنا﴾ لعله اذا تدرب وراض الامور وعرف

مجارىها نستعين به على بعض ما نحن بصدده فينفعنا بكفايته أو يتبيناه ونقيم مقام الولد وقيل كان عقيلاً لا يولد له ففقرس فيه الرشيد فقال ذلك * وكذلك * أى مثل ذلك التمكن من قلب العزيز حتى عطف عليه وأمر امرأته باكرام مثواه

مكننا ليوسف في الأرض ولنعلمه من تأويل الأحاديث والله غالب على أمره ولكن أكثر
الناس لا يعلمون * ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين * شري بمعنى باع و بمعنى
اشترى قال يزيد بن مفرع الحميري

وشريت بردا ليتنى * من بعد برد كنت هاه

أي بعث بردا و برد غلامه وقال الآخر

ولو أن هذا الموت يقبل فدية * شريت أبا زيد بما ملكت يدي

أي اشتريت أبا زيد والظاهر أن الضمير في وشروه عائدا على السيارة أي وباعوا يوسف ومن قال
أن الضمير في وأسر وه عائدا على أخوة يوسف جعله عائدا عليهم أي باعوا أخاهم يوسف بثمن بخس
وبخس مصادر وصف به بمعنى بخوس * وقال مقاتل زيف ناقص العيار * وقال عكرمة والشعبي
قليل وهو معنى الزخشرى ناقص عن القيمة نقصا ظاهرا * وقال ابن قتيبة البخس الخسيس الذي
بخس به البائع * وقال قتادة بخس ظلم لأنهم ظلموه في بيعه * وقال ابن عباس وقتادة أيضا في
آخرين بخس حرام * وقال ابن عطاء إنما جعله بخسا لأنه عوض نفس شريفة لا تقابل بعوض
وإن جل انتهى وذلك أن الذين باعوه إن كانوا الواردة فإنهم لم يعطوا به ثمنيا فاشترى أخوه يوسف
وإن كانوا أخوته فالقصد خلوه وجه أبيهم منه لا ثمنه ودرهم بدل من ثمن فلم يبيعه به بدنا خير وهو مدودة
إشارة إلى القلة وكانت عادتهم أنهم لا يزنون إلا ما بلغ أوقية وهي أربعون درهما لأن الكثرة يعسر
فيها العد بخلاف القليلة * قال عكرمة في رواية عن ابن عباس وابن اسحق أربعون درهما * وقيل
ثلاثون درهما ونعلان وحلة * وقال السدي كانت اثنين وعشرين درهما كذا نقله الزخشرى
عنه ونقله ابن عطية عن مجاهد أخذها أخوته درهمين درهمين وصاحب الخبر رغب عنه وعن ابن
عباس * وقال ابن مسعود وابن عباس في رواية وعكرمة في رواية ونوف الشامي ووهب والشعبي
وعطية والسدي ومقاتل في آخرين عشرون درهما وعن ابن عباس أيضا عشرون وحلة ونعلان *
وقيل ثمانية عشر درهما واشترى بها أخفاق ونعلان * وقيل عشرة دراهم والظاهر عود الضمير في
فيه إلى يوسف أي لم يعلموا مكانه من الله تعالى قاله الضحالك وابن جريج * وقيل يعود على الثمن
وزهدهم فيه لرداءة الثمن أول قصد اباع يوسف لا الثمن وهذا إذا كان الضمير في وشروه وكانوا عائدا
على أخوة يوسف فاما إذا كان عائدا على السيارة فزهدهم فيه لكونهم ارتابوا فيه أو لوصف
أخوته له بالخيانة والاباق أول علمهم أنه حر * وقال الزخشرى من الزاهدين ممن يرغب عما في يده
فيبيعه بما طف من الثمن لأنهم التقطوه والمثقت للشئ متهاون به لا يبالي بما باعه ولأنه يخاف أن يعرض
له مستحق فينزعه من يده فيبيعه من أول مساوم بأوكس الثمن ويجوز أن يكون معنى وشروه اشتروا
يعني الرفقة من أخوته وكانوا فيه من الزاهدين لأنهم اعتقدوا فيه أنه آبق فخافوا أن يخاطروا بمالهم
فيه ويروى أن أخوته اتبعوههم يقولون استوثقوا منه لا باق انتهى وفيه تقدم نظيره في أنى لك
لن الناصحين وأنه خرج تعلق الجار بما باعني مضمرة أو بمحذوف يدل عليه من الزاهدين أي وكانوا
زاهدين فيه من الزاهدين أو بالزاهدين لأنه يتسامح في الجار والطرف فجوز فيه ماما لا يجوز في
غيرهما وقال الذي اشتراه من مصر ذكر وأقوالا متعارضة فيمن اشتراه وفي الثمن الذي اشتراه
به ولا يتوقف نفسه بكتاب الله على تلك الأقوال المتعارضة * فقيل اشتراه رجل من العماليق
وقد آمن بيوسف ومات في حياة يوسف * قيل وهو أذاك الملك بمصر واسمه الريان بن الوليد

* مكننا ليوسف
الأرض * أي أرض
مصر يتصرف فيها بأمر
ونهي أي حكمناه فيها
لنعلمه متعاقبة بمحذوف
ما قبله أي لملكه واما
أي ولنعلمه * من تأويل
الأحاديث * كان ذ
الأنبياء والتمكين والاح
الرؤيا والضمير في
أمره عائدا على يوسف
ندبره ولا نكاه إلى غ
والأشد عند سيبويه
واحدة شدة وأشد كنه
وأنعم وقال الكسائي
وأشد نحو صك وأص
والأشد بلوع الحلم والحد
الحكمة والعلم النبوة و
الحكم بين الناس والع
الفقه في الدين وهذا
لمجيء قصة المراو
* وكذلك أي مثل ذ
الجزاء لمن صبر ور
بالمقادير * نجزي المحسنين
وفيه تنبيه على أن يوسف
كان حسنا في عتق
شبابه وآتاه الله الحك
والعلم على جزاء حس

ابن بروان بن أراشه بن فاران بن عمرو بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح فلك بعده قابوس بن مصعب بن تمر بن السلواس بن فاران بن عمرو المذكور في نسب الريان فدعاه يوسف إلى الإيمان فابى فاشتراه العزيز وهو ابن سبع عشرة سنة وأقام في منزله ثلاث عشرة سنة واستوزره الريان ابن الوليد وهو ابن ثلاثين سنة وآتاه الله الحكمة والعلم وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وتوفي وهو ابن مائة وعشرين سنة * وقيل كان الملك في أيامه فرعون موسى عاش أربع مائة سنة بدليل قوله ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات * وقيل فرعون موسى من أولاد فرعون يوسف * وقيل عرض في السوق وكان أجمل الناس ف وقعت فيه مزايدة حتى بلغ ثمنه عظيما * فقيل وزنه من ذهب ومن فضة ومن حرير فاشتراه العزيز وهو كان صاحب الملك وخازنه واسم الملك الريان بن الوليد * وقيل مصعب بن الريان وهو أحد الفرعنة واسم العزيز قطفير قاله ابن عباس * وقيل اطفير * وقيل قنطور واسم امرأته راعيل * وقيل زليخا * قال ابن عطية وظاهر أمر العزيز أنه كان كافرا ويدل على ذلك كون الصنم في بيته حسب ما يذكر * وقال مجاهد كان مسلما واسم امرأة العزيز راعيل بنت راعيل * وقال السدي العزيز هو الملك واسم امرأته زليخا بنت تماخو ومثواه مكان إقامة وهو كناية عن الاحسان اليه في مأكل ومشرب وملبس ولا ملامر لأنه تتعلق بقال فهي للتبليغ نحو قلت لك لا بشاره عسى أن ينفعنا عمله إذا تدرب وراض الأمور وعرف مجاريها نستعين به على بعض ما نحن بصدده فينفعنا بكفائته أو تنبيهه ونقيم مقام الولد وكان قطفير عقيلا يولده فتفرس فيه الرشيد فقال ذلك وكذلك أي مثل ذلك التمكن من قلب العزيز حتى عطف عليه وأمر امرأته بكراهة مكنا ليوسف في الأرض أي أرض مصر يتصرف فيها بأمره ونهيه أي حكمناه فيها ولا م ولنعمه متعلقة بخذوف اما قبله لنعمه ولنعمه وإما بعده أي ولنعمه من تأويل الأحاديث كان ذلك الانجاء والتكسين أو الواو مقحمة أي مكنا ليوسف في الأرض لنعمه وكل مقول والأحاديث الرتبة ياقاله مجاهد * وقيل أحاديث الانبياء والامم والضمير في على أمره الظاهر عوده على الله قاله ابن جبير لا يمنع عما يشاء ولا ينزع فيما يريد ويقضى أو على يوسف قاله الطبري أي يدبره ولا يكاهل غير قد أراد اخوته به ما أرادوا ولم يكن الا ما أراد الله ودبره وأكثر الناس المنفي عنهم العلم هم الكفار قاله ابن عطية * وقال الزمخشري لا يعامون ان الامر بيد الله * وقيل المراد بالاكثر الجميع أي لا يطاعون على غيبه * وقيل المراد بأكثر الناس أهل مصر * وقيل أهل مكة والاشد عند سيبويه جمع واحدة شدة وأشد كنعمة وأنعم * وقال الكسائي شداً وأشد نحو صك وأصلك وقال الشاعر

عهدى به شد النهار كأنما * خضب البنان ورأسه بالعظم

وزعم أبو عبيدة أنه لا واحد له من لفظه عند العرب والاشد بلوع الحلم قاله الشعبي وربيعة وزيد بن أسلم أو سبعة عشر عاماً إلى نحو الأربعين قاله الزجاج أو ثمانية عشر إلى ستين أو ثمانية عشر قاله عكرمة ورواه أبو صالح عن ابن عباس أو عشرون قاله الضحاك أو إحدى وعشرون سنة أو ثلاثون أو ثلاثة وثلاثون قاله مجاهد وقتادة ورواه ابن جبير عن ابن عباس أو ثمان وثلاثون حكاه ابن قتيبة أو أربعون قاله الحسن * وسئل الفاضل النحوي مذهب الدين محمد بن علي بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه الخبي عن الاشد فقال هو خمس وثلاثون وتامه أربعون * وقيل أقصاه اثنان وستون والحلم الحكم والعلم النبوة * وقيل الحكم بين الناس والعلم الفقه في الدين وهذا أشبه لمجيء

﴿ورأوته التي هو في بيتها﴾ الآية المرادة المطالبة برفق من رادبرود اذا ذهب وجاء وهي مفاعلة من واحد نحو داوود المريض وكفى به عن طلب النكاح والمخادعة لأجله كان المعنى وخادعته عن نفسه ولذلك عداه بعن وقال التي هو في بيتها ولم يصرح باسمها ولا بأمرأة العزيز ستر على الحرم والعرب تضيف البيوت الى النساء فتقول ربة البيت وصاحبة البيت قال الشاعر * ياربة البيت قومي غير صاغرة * ﴿وغلقت الابواب﴾ هو تضعيف تكثير بالنسبة الى وقوع الفعل بكل باب باب قيل وكانت سبعة أبواب ﴿هيت﴾ اسم فعل بمعنى أسرع ولكل التبيين أى لك أقول أمرته بأن يسرع اليها وزعم الكسائي والفراء أنها لغة حورانية وقعت لأهل الحجاز فتكلموا بها ومعناها تعال وانتصب ﴿معاذ الله﴾ على المصدر أى عياذ بالله من فعل السوء والضمير في انه الأصح أنه يعود على الله تعالى أى ان الله ربى أحسن مثواى أى نجاني من الحب وأقامنى في أحسن مقام ﴿انه لا يفلح الظالمون﴾ أى المجازون الاحسان بالسوء وما أحسن هذا التمثل من الوقوع في السوء استعاذوا بالله تعالى الذى بيده العصمة وملكت كل (٢٩٣) شئ ثم نبه على أن احسان الله اليه لا يناسب أن

يجازى بالسوء ثم نفى الفلاح عن الظالمين وهو الظفر والفوز بالبغيه فلا يناسب أن أكون ظالما أضع الشئ غير موضعه ﴿ولقد همت به وهم بها﴾ الذى نقوله ان يوسف صلى الله عليه وسلم لم يقع منه هم بها البتة بل هو منفي لوجود رؤية البرهان كما تقول لقد قارفت لولا أن عصمك الله * قال ابن عطية قول من قال ان الكلام قد تم في قوله ولقد همت به وأن جواب لولا في قوله وهم بها وأن المعنى لولا أن رأى البرهان لهم

قصة المرادة بهذه القصة وكذلك أى مثل ذلك الجزاء لمن صبر ورضى بالمقادير نجزي المحسنين وفيه تنبيه على أن يوسف كان محسنا في عنفوان شبابه فآتاه الله الحكيم والعلم جزاء على احسانه * وعن الحسن من أحسن عبادة الله في شبابه آتاه الله الحكمة في كهاله * وقال ابن عباس المحسنين المهتدين * وقال الضحاك الصابر بن علي النوائب ﴿ورأوته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الابواب وقالت هيت لك قال معاذ الله انه ربى أحسن مثواى انه لا يفلح الظالمون * ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا الخالصين﴾ المرادة المطالبة برفق من رادبرود اذا ذهب وجاء وهي مفاعلة من واحد نحو داوود المريض وكفى به عن طلب النكاح والمخادعة لأجله كان المعنى وخادعته عن نفسه ولذلك عداه بعن وقال التي هو في بيتها ولم يصرح باسمها ولا بأمرأة العزيز ستر على الحرم والعرب تضيف البيوت الى النساء فتقول ربة البيت وصاحبة البيت قال الشاعر * ياربة البيت قومي غير صاغرة * ﴿وغلقت الابواب﴾ هو تضعيف تكثير بالنسبة الى وقوع الفعل بكل باب باب * قيل وكانت سبعة أبواب هيت اسم فعل بمعنى أسرع ولكل التبيين أى لك أقول أمرته بأن يسرع اليها وزعم الكسائي والفراء أنها لغة حورانية وقعت الى أهل الحجاز فتكلموا بها ومعناها تعال وقاله عكرمة وقال أبو زيد هي عبرانية هيتلخ أى تعاله فأعر به القرآن * وقال ابن عباس والحسن بالسريانية * وقال السدي بالقبطية همت لك * وقال مجاهد وغيره عربية تدعو به الى نفسها وهي كلمة حث واقبال انتهى ولا يبعد اتفاق اللغات في لفظ فقد وجد ذلك في كلام العرب مع لغات غيرهم * وقال الجوهرى

بها فلم بهم يوسف صلى الله عليه وسلم برده لسان العرب فليس كاذكرو وقد استدلل من ذهب الى جواز ذلك بوجوده في لسان العرب قال الله تعالى ان كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين فقوله ان كادت لتبدي به اما أن يتخرج على أنه الجواب على ما ذهب اليه ذلك القائل وإما أن يتخرج على ما ذهبنا إليه من أنه دليل الجواب والتقدير لولا أن ربطنا على قلبها كادت تبدي به وأما أقوال السلف فنعتقد أنه لا يصح عن أحد منهم شئ من ذلك لأنها أقوال متكاذبة يناقض بعضها بعضا مع كونها قادمة في بعض المسامين فضلا عن المقطوع لهم بالعصمة والذى روى عن السلف لا يساعد عليه كلام العرب لأنهم قدروا جواب لولا محذوفا ولا يدل عليه دليل لأنهم لم يقدروا لهم بها ولا يدل كلام العرب الا أن يكون المحذوف من معنى ما قبل الشرط لان ما قبل الشرط دليل عليه ولا يحذف الشئ لغير دليل والبرهان الذى رآه هو ما آتاه الله من العلم الدال على تحريم ما حرمه الله تعالى ولا يمكن الهم به فضلا عن الوقوع به * كذلك لنصرف ﴿التقدير مثل ذلك الرؤية ترى براهيننا لنصرف عنه فتجعل الإشارة الى الرؤية والناصب للكافي مما دل عليه قوله لولا أن رأى برهان ربه ولنصرف متعلق بذلك الفعل الناصب للكافي

المفسرون في تفسير هذين الهمين ونسب بعضهم ليوسف مالا يجوز نسبتة لآحاد الفساق والذي
أختاره ان يوسف عليه السلام لم يقع منه هم بها البتة بل هو منفي لوجود رؤية البرهان كما تقول
لقد قارفت لولا ان عصمتك الله ولا تقول ان جواب لولا متقدم عليها وان كان لا يقوم دليل على
امتناع ذلك بل صريح أدوات الشرط العاملة مختلف في جواز تقديم أجوبتها عليها وقد ذهب الى
ذلك الكوفيون ومن اعلام البصريين أبو زيد الانصاري وأبو العباس المبرد بل نقول ان جواب
لولا مخدوف لدلالة ما قبله عليه كما تقول جمهور البصريين في قول العرب أنت ظالم ان فعلت
فيقدرونه ان فعلت فانت ظالم ولا يدل قوله أنت ظالم على ثبوت الظلم بل هو مثبت على تقدير وجود
الفعل وكذلك هنا التقدير لولا أن رأى برهان ربه لم بهم بها فكان موجودا لهم على تقدير انتفاء رؤية
البرهان لكنه وجدرؤية البرهان فانتفى الهم ولا التفات الى قول الزاج ولو كان الكلام ولهم بها
كان بعيدا فكيف مع سقوط اللام لانه يوهم ان قوله وهم بها هو جواب لولا ونحن لم نقل بذلك
وانما هو دليل الجواب وعلى تقدير أن يكون نفس الجواب فاللام ليست بلازمة لجواز ان ما يأتي
جواب لولا اذا كان بصيغة الماضي باللام وبغير لام تقول لولا زيد لا كرمتهك ولولا زيداً كرمتهك
فن ذهب الى أن قوله وهم بها هو نفس الجواب لم يبعد ولا التفات لقول ابن عطية ان قول من قال
ان الكلام قد تم في قوله ولقد همت به وان جواب لولا في قوله وهم بها وان المعنى لولا أن رأى
البرهان لم بهم بها فلم بهم يوسف عليه السلام قال وهذا قول يرد لسان العرب وأقوال السلف انتهى
أما قوله يرد لسان العرب فليس كما ذكر وقد استدل من ذهب الى جواز ذلك بوجوده في لسان
العرب قال الله تعالى ان كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين فقوله ان
كادت لتبدي به اما أن يتخرج على أنه الجواب على ما ذهب اليه ذلك القائل واما أن يتخرج على
ما ذهبنا اليه من انه دليل الجواب والتقدير لولا أن ربطنا على قلبها كادت تبدي به واما أقوال
السلف فنعتقد انه لا يصح عن أحد منهم شيء من ذلك لانها أقوال متكاذبة يناقض بعضها بعضا
كونها قاذوة في بعض فساق المسامحة فضلا عن المقطوع لهم بالعصمة والذي روى عن السلف
لا يساعد عليه كلام العرب لأنهم قدروا جواب لولا مخدوف ولا يدل عليه دليل لانهم لم يقدر والهم بها
ولا يدل كلام العرب الا على أن يكون المخدوف من معنى ما قبل الشرط لان ما قبل الشرط دليل
عليه ولا يخدوف الشيء لغير دليل عليه وقد ظهرنا كتابا هنا عن نقل ما في كتب التفسير مما لا يليق
ذكره واقتصرنا على ما دل عليه لسان العرب ومساق الآيات التي في هذه السورة مما يدل على
العصمة وبراءة يوسف عليه السلام من كل ما يشين ومن أراد أن يقف على ما نقل عن المفسرين في
هذه الآية فليطالع ذلك في تفسير الزمخشري وابن عطية وغيرهما والبرهان الذي رآه يوسف هو
ما آناه الله تعالى من العلم الدال على تحريم ما حرمة الله والله لا يمكن الهم به فضلا عن الوقوع فيه كذلك
لنصرف عنه السوء والفحشاء * قال الزمخشري الكاف منصوب المحل أي مثل ذلك التثبيت
بآناه أو مرفوعة أي الامر مثل ذلك * وقال ابن عطية والكاف من قوله كذلك متعلقة بضمير
تقديره جرت أفعالنا وأقدارنا كذلك لنصرف ويصح أن تكون الكاف في موضع رفع بتقدير
عصمته كذلك لنصرف * وقيل في الكلام تقديم وتأخير تقديره همت به وهم بها كذلك ثم قال
لولا أن رأى برهان ربه لنصرف عنه ما هم به انتهى * وقال الحوفي كذلك الكاف للتشبيه في
موضع نصب أي أريناه البراهين كذلك * وقيل في موضع رفع أي أمر البراهين كذلك والنصب

(الدر)

لأنهم قدروا جواب لولا
مخدوف ولم يدل عليه دليل
لأنهم لم يقدروا لهم بها ولا
يدل كلام العرب الا على أن
المخدوف من معنى ما قبل
الشرط لان ما قبل الشرط
دليل عليه ولا يخدوف
الشيء لغير دليل عليه
والبرهان الذي رآه يوسف
هو ما آناه الله تعالى من
العلم الدال على تحريم
ما حرمة الله والله لا يمكن
الهم فضلا عن الوقوع فيه

﴿ واستبقا الباب وقدت قيصة ﴾ الآية أي واستبق يوسف وامرأة العزيز إلى الباب هذا للهروب والخروج منها وهذه لمنعه
 ومرادونه وأصل استبق أن يتعدى إلى خذف اتساعا وقدت قيصة أي قطعه والقيد القطع والشق وأكثر استعماله فيما كان طولا
 ﴿ من دبر ﴾ أي من وراء وألفيا أي وجدا وصادفا زوجها والمرأة تقول لبعها سيدي ولم يصف اليه إلا أن زوجها ليس سيدي
 ليوسف على الحقيقة ﴿ ماجزاء ﴾ ما نافية وبدأت بالسجن إبقاء على محبوسها ثم نزلت إلى العذاب الأليم قيل وهو الضرب بالسوط
 وقولها ماجزاء أي أن الذنب ثابت متقرر في حقه وأنت بلفظة سوء أي مما يسوؤها وليس نصافي معصية كبرى إذ يحتمل خطابها
 لها بما يسوؤها أو ضربها بآياها وقولهم إلا أن يسجن أو عذاب أليم يدل على عظم موقع السجن من ذوى الأقدار حيث قرنته بالعذاب
 الأليم ولما أغرت بيوسف صلى الله عليه وسلم وأظهرت تهمة احتاج إلى إزالة التهمة عن نفسه فقال ﴿ هي راودتني عن نفسي ﴾
 ولم يسبق أولا إلى القول سترها عليها فلما خاف على نفسه (٢٩٦) وعلى عرضه الطاهر قال هي راودتني وأتى بضمير الغيبة

اذ كان غلب عليه الحياء
 أن يشير إليها ويعينها
 بالإشارة فيقول هذه
 راودتني أولئك راودتني
 لأن في المواجهة بالقبح ما
 ليس في الغيبة ولما تعارض
 قولها عند العزيز وكان
 رجلا فيه إناة ونصفة
 طلب الشاهد من كل منهما
 فشهد شاهد من أهلها
 فقيل كان بن أخاتها طفلا
 في المهد أنطقه الله ليكون
 أدل على الحجة وجواب
 الشرط فصدقت وفكذبت
 وهو على اضمحلال أي فقد
 صدقت وفقد كذبت فلما
 رأى ﴿ أي زوجها ﴾
 ﴿ قيصة قدم دبر قال
 انه ﴾ أي أن قولك ماجزاء

أجود لمطالبة حروف الجر للأفعال أو معانيها * وقال أبو البقاء كذلك في موضع رفع أي الأمر
 كذلك * وقيل في موضع نصب أي نراعيه كذلك انتهى * وأقول إن التقدير مثل تلك الرؤية
 أو مثل ذلك الرأي نرى براهيننا لنصرف عنه فتجعل الإشارة إلى الرأي أو الرؤية والناسب للكاف
 ما دل عليه قوله لولا أن رأي برهان ربه ولنصرف متعلق بذلك الفعل الناصب للكاف ومصدر
 رأي رؤية ورأي قال

ورأي عيني الفتى أباكا * يعطى الجزيل فعليك ذاكا

* وقرأ الأعمش ليصرف بياء الغيبة عائدا على ربه * وقرأ العربيان وابن كثير المخلصين إذا كان
 فيه إلى حيث وقع بكسر اللام وباقي السبعة بفتحها وفي صرف السوء والفحشاء عنه وكونه من
 المخلصين دليل على عصمته ﴿ واستبقا الباب وقدت قيصة من دبر ﴾ وألفيا سيدها إلى الباب قالت
 ماجزاء من أراد بآهلهك سوءا إلا أن يسجن أو عذاب أليم * قال هي راودتني عن نفسي وشهد شاهد
 من أهلها إن كان قيصة قدم قبل فصدقت وهو من الكاذبين * وإن كان قيصة قدم دبر فكذبت
 وهو من الصادقين * فلما رأى قيصة قدم دبر قال انه من كيدكن إن كيدكن عظيم * يوسف
 أعرض عن هذا واستغفري لذنبك إنك كنت من الخاطئين ﴿ أي واستبق يوسف وامرأة العزيز
 إلى الباب هذا للخروج والهروب منها وهذه لمنعه ومرادونه وأصل استبق أن يتعدى إلى خذف
 اتساعا وتقدم أن الأبواب سبعة فكان تنفتح له الأبواب بابا بابا من غير مفتاح على ما نقل عن كعب
 أن فراس القفل كان يتناثر ويسقط حتى خرج من الأبواب ويحتمل أن تكون الأبواب المغلقة
 ليست على الترتيب بابا بابا بل تكون في جهات مختلفة كلها مغلقة كان الذي كان فيه فاستبقا إلى
 باب يخرج منه ولا يكون السابع على الترتيب بل أحدها وقد يحتمل أن يكون معطوفا على

إلى آخره أو أن هذا الأمر وهو طمعها في يوسف والخطاب في ﴿ كيدكن ﴾ لها ولجوارها أولها والنساء ووصف كيد النساء بالعظم
 وإن كان قد يوجد في الرجال لأنهن أطف كيدا بما جبلن عليه وبتأثر غن لهوا اكتسب بعضهن من بعض وهن أنفذ حيلة وقال تعالى
 ومن شر النفاثات في العقد وأما اللواتي في القصور فبعضهن من ذلك مالا يوجد لغيرهن لكونهن أكثر تغرغا من غيرهن وأكثر
 تأنسا بمثلهن ﴿ يوسف أعرض عن هذا ﴾ أي هذا الأمر واكتفوا ولا تتحدث به وفي ندائه باسمه تقيير له وتلطف ثم أقبل عليها
 فقال ﴿ واستغفري ﴾ ثم ذكر سبب الاستغفار وهو قوله ﴿ لذنبك ﴾ ثم أكد ذلك بقوله ﴿ إنك كنت من الخاطئين ﴾ ولم يقل من
 الخاطئات لأن الخاطئين أعم لأنه ينطلق على الذكور والإناث بالتعليب خطي إذا أذنب متعمدا وقال الزمخشري وما كان العزيز
 الأحليم وروى أنه كان قليل الغيرة انتهى وترتبة إقليم مصر اقتضت هذا وإن هذا مما جرى لبعض ملوكنا أنه كان مع ندائه المختصين
 به في مجلس أنس وجارية تغنيهم من وراء سترا فاستعداد بعض خالصته ببيتين من الجارية كانت قد غنت بهما فالبث أن جرى برأس
 الجارية مقطوعا في طشت وقال له الملك استعد البيتين من هذا الرأس فسقط في يد ذلك المستعبد ومضى مدة حياة ذلك الملك

واستبقوا ويحتمل أن يكون حالا أي وقد قدت جذبتهم من خلفه بأعلى القميص من طوقه فالتحقوا إلى أسفله والقدالقطع والشق وأكثر استعماله فيما كان طولا قال

تقد السلوقي المضاعف نسجه * وتوقد بالصفاح نار الجباب

والقط يستعمل فيما كان عرضا * وقال المفضل بن حرب رأيت في معصيف قط من دبر أي شق * قال يعقوب الشق في الجلد في الصحيح والثوب الصحيح * وقال ابن عطية وقرأت فرقة قط وألفيا سيدها أي وجدا وصاد فاز وجهها وهو قطفير والمرأة تقول لبعلمها سيدي ولم يصف اليهما لأن قطفير ليس سيدي يوسف على الحقيقة ويقال ألفاه ووارطه وصادفه ووالطه ولاطه كله بمعنى واحد * قيل ألفياه مقبلان يد أن يدخل * وقيل مع ابن عم المرأة وفي الكلام حذف تقديره فراه أمرهما وقال مالك كما سأله ما سأل وقد خافت لومه أو سبق يوسف بالقول بادرت أن جاءت بحيلة جمعت فيها بين تبرئة ساحتهما من الريبة وغضبها على يوسف وتخوفه طمعا في موافقتها خيفة من مكرها كرها لما آتت أن يواقعها طوعا لا تريا إلى قولها ولئن لم يفعل ما أمره ليس يجن ولم تصرح باسم يوسف بل آتت بلفظ عام وهو قولها ما جزاء من أراد وهو أبلغ في التخويف وما الظاهر أنها نافية ويجوز أن تكون استفهامية أي أي شيء جزاؤه إلا السجن وبدأت بالسجن إبقاء على محبوبها ثم ترقى إلى العذاب الأليم * قيل وهو الضرب بالسوط وقولها ما جزاء أي إن الذنب ثابت متقرر في حقه وآتت بلفظ بسوء أي بما يسوء وليس نصافي معصية كبرى إذ يحتمل خطابها بما يسوءها أو ضرب به إياها وقولها إلا أن يسجن أو عذاب يدل على عظم موقع السجن من ذوى الأقدار حيث قرنته بالعذاب الأليم * وقرأ زيد بن علي أو عذابا أليما وقديس الكسائي أو يعذب عذابا أليما ولما أغرت بيوسف وأظهرت تهمة احتاج إلى إزالة التهمة عن نفسه فقال هي راودتني عن نفسي ولم يسبق إلى القول أو لاستراعتها فافاه ما خلف على نفسه وعلى عرضه الظاهر قال هي وآتت بضمير الغيبة إذ كان غلب عليه الحياء أن يشير إليها ويعينها بالشارة فيقول هذه راودتني أو تلك راودتني لأن في المواجهة بالقبح ما ليس في الغيبة ولما تعارض قولاهما عند العزيز وكان رجلا فيه اناء ونصفه طلب الشاهد من كل منهما فشهد شاهد من أهلها * فقال أبو هريرة وابن عباس والحسن وابن جبير وهلال بن يساف والضحاك كان ابن خالها طفلا في المهد أنطقه الله تعالى ليكون أدل على الحق وروى في الحديث أنه من الصغار الذين تكلموا في المهد وأسند الطبري وفي صحيح البخاري وصحيح مسلم لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة عيسى بن مريم وصاحب جريج وابن السوداء * وقيل كان ابن عمها الذي كان مع زوجها الذي الباب ولا ينافي هذا قول قتادة كان رجلا حليما من أهلها إذ رأى يأخذ المالك برأيه ويستشير * وقيل كان حاكما حكمه زوجها فحكم بينهما وكان الشاهد من أهلها ليكون أوجب للحجة عليها وأوثق لبراءة يوسف وأتقى للنهمة ويحتمل أن يكون معهم في الدار بحيث لا يشهر به فبصر بما جرى بينهما فأغضبه الله ليوسف وشهد بالحق وبعده قول مجاهد وابن حبيب أن الشاهد هو القميص المقدود لقوله شاهد من أهلها ولا يوصف القميص بكونه شاهدا من أهل المرأة وسمى الرجل شاهدا من حيث دل على الشاهد وهو تخريق القميص * وقال الزخشي سمي قوله شهادة لأنه أدى تأديتها في أن ثبت قول يوسف وبطل قولها وإن كان قيمه محكي أما بقال مضمرة على مذهب البصريين وأما بشهد لأن الشهادة قول من الأقوال على مذهب الكوفيين وكان هذا دخلت عليها أداة الشرط وتقدم خالف المبرد والجمهور

فيها هل هي باقية على مضيقها ولم تقلبها أداة الشرط أو المعنى ان يتبين كونها أداة الشرط في الحقيقة
انما دخلت على هذا المقدر وجواب الشرط فصدقته فكذبت وهو على اضمار قد أي فقد صدقت
وفقد كذبت ولو كان فعلا جامدا أو دعاء لم يحجج الى تقدير قد * وقرأ الجمهور من قبل ومن دبر بضم
الباء فيهما والتنوين * وقرأ الحسن وأبو عمر وفي رواية بتسكينها والتنوين وهي لغة الحجاز وأسد
* وقرأ ابن يعمر وابن أبي اسحق والطاردي وأبو الزناد ونوح القاري والجار ودبن أبي سبرة
بخلاف عنه من قبل ومن دبر بثلاث ضمات * وقرأ ابن يعمر وابن أبي اسحق والجار ودبن أبي سبرة
رواية عنهم بإسكان الباء مع بناءهما على الضم جعلوهما غاية نحو من قبل ومعنى الغاية أن يصير المضاف
غاية نفسه بعدما كان المضاف اليه غاية والأصل اعرابهما لانهما اسمان متكلمان وليسا بظرفين
* وقال أبو حاتم وهذا ردي في العربية وانما يقع هذا البناء في الظروف * وقال الزمخشري
والمعنى من قبل القميص ومن دبره وأما التنكير فبعناه من جهة يقال لها قبل ومن جهة يقال لها دبر
وعن ابن أبي اسحق انه قرأ من قبل ومن دبر بالفتح كان جعلهما معنيين للجهتين فنعنهما الصرف
للعمامة والتأنيث وقال أيضا (فان قلت) ان دل قد قيصة من دبر على انها كاذبة وانما هي التي تتبعته
واجتذبت ثوبه اليها فذنته من أين دل قد من قبل على انها صادقة وان كان تابعها (قلت) من وجهين
أحدهما انه اذا كان تابعها وهي دافعة عن نفسها فقدت قيمته من قدامه بالرفع واثنائي أن يسرع
خلفها اليها فتيغثر في قدام قيمته فيشقه انتهى وقوله وهو من الكاذبين وهو من الصادقين جملتان
مؤكدتان لان من قوله فصدقته يعلم كذبه ومن قوله فكذبت يعلم صدقه وفي بناء قد للمفعول ستر
على من قدمه ولما كان الشاهد من أهلها راعى جهة المرأة فبدأ بتعليق صدقها على تبين كون
القميص قد من قبل ولما كانت كل جملة مستقلة بنفسها أبرز اسم كان بلفظ المظهر ولم يضم ليدل
على الاستقلال ولكون التصريح به أوضح وهو نظير قوله من يطع الله نور سوله فقد شد ومن يعص
الله نور سوله فقد غوى فإما رأى العزيز * وقيل الشاهد قيمته قد من دبر قال انه أي ان قولك ما جزاء
الى آخره قاله الزجاج أو أن هذا الأمر وهو طمعها في يوسف ذكره الماوردي والزمخشري أو الى
تمزيق القميص قاله مقاتل والخطاب في من كيد كن لها وجواربها أو لها وللنساء ووصف كيد النساء
بالعظم وان كان قد يوجد في الرجال لانهم ألطف كيدا بما جبلن عليه وبما تفرغن له واكتسب
بعضهن من بعض وهن أنفذ حيلة * وقال تعالى ومن شر النفاثات في العقد وأما اللواتي في القصور
فمعهن من ذلك ما لا يوجد لغيرهن لكونهن أكثر تفرغا من غيرهن وأكثر تأنسا بأمثالهن يوسف
أعرض عن هذا أي عن هذا الأمر واكتفه ولا يتحدث به وفي تدان به بأسه تقريبه له وتلطيف ثم
أقبل عليها وقال واستغفر لي ذنبك والظاهر ان المتكلم به نداء هو العزيز * وقال ابن عباس ناداه
الشاهد وهو الرجل الذي كان مع العزيز وقال استغفر لي ذنبك أي لزواجك وسيدك انتهى ثم ذكر
سبب الاستغفار وهو قوله لذنبك ثم أكد ذلك بقوله انك كنت من الخاطئين ولم يقل من
الخطائات لان الخاطئين أعم لانه ينطلق على الذكور والاناث بالتغليب يقال خطي اذا أذنب
متعمدا * قال الزمخشري وما كان العزيز الاحلياء روى انه كان قليل الغيرة انتهى وتربة اقليم قطيف
اقتضت هذا وأين هذا مما جرى لبعض ملوكنا انه كان مع ندماثة المختصين به في مجلس أنس وجارية
تغنيهم من وراء ستر فاستعاد بعض خلاصاته بيتين من الجارية كانت قد غنت بهما فالبث أن جرى
برأس الجارية مقطوعا في طست وقال له الملك استعد البيتين من هذا الرأس فسقط في يد ذلك

(ش) وما كان العزيز
الاحلياء وروى انه كان
قليل الغيرة (ح) وتربة
اقليم قطيف اقتضت هذا
وأين هذا مما جرى لبعض
ملوكنا وهو انه كان مع
ندماثة المختصين به في مجلس
أنس وجارية تغنيهم من
وراء ستر فاستعاد بعض
خلاصاته بيتين من الجارية
كانت قد غنت بهما فالبث
أن جرى برأس الجارية
مقطوعا في طست وقال
له الملك استعد البيتين من
هذا الرأس فسقط في
يد ذلك الرجل المستعيد
ومرض مدة حياة ذلك
الملك قال جامع الملك المشار
اليه هو المنصور ابن أبي
عاصم الاجدي المنقلب
على دولة هشام بن الحكم
المستنصر بن عبد الرحمن
الناصر الاموي أمير
الاندلس الملقب بالمويد
وكان المنصور جبارا وله
في ذلك أخبار

المستعبد ومضى مدة حياة ذلك الملك * وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبا انا لنراه في ضلال مبين * فلما سمعت بمكرهن أرسلت اليهن وأعتدت لهن متكأ وآتت كل واحدة منهن سكينا وقالت اخرج عليهن فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن وقلبن حاشا لله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم * قالت فذلك الذي لم تني فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما أمره لیسجنن وليكونا من الصاغرين * قال رب السجن أحب الي مما يدعونني اليه والأتصرف عني كيدهن أصاب اليهن وأكن من الجاهلين * فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن انه هو السميع العليم * ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين * ودخل معه السجن فتيان قال أحدهما اني أراني أعصر خمرا وقال الآخر اني أراني أحمل فوق رأسي خبزات كل الطير منه نبثنا بتأويله انا نزالك من المحسنين * قال لا يأتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما ذلك كما علمني ربي اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون * واتبع ملة آباءي ابراهيم واسحق ويعقوب ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون * يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار * ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله به من سلطان إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا الاياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون * يا صاحبي السجن أما أحدكما فيسقى ربه خرا وأما الآخر فيمصلب فتأكل الطير من رأسه قضى الامر الذي فيه تستفتيان * وقال للذي ظن أنه ناج منهم اذ كرتي عند ربك فأفساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين وقال الملك اني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وآخر يابسات يأكلها الملا أفقتوني في رؤياي ان كنتم للرؤيا تعبرون * قالوا أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين * النسوة بكسرنون فعلة وهو جمع تكسير للقلة لا واحده من لفظه وزعم ابن السراج انه اسم جمع * وقال الزمخشري النسوة اسم مفرد لجمع المرأة وتأنيثه غير حقيقي ولذا لم تلحق فعلة ناء التأنيث انتهى وعلى أنه جمع تكسير لا يلحق التاء لانه يجوز قامت الهنود وقام الهنود وقد تضم نونه فتكون اذ ذلك اسم جمع وتكسيره للكثرة على نسوان والنساء جمع تكسير للكثرة أيضا ولا واحده من لفظه * شغف خرق الشغاف وهو حجاب القلب * وقيل سويداؤه * وقيل داء يصل الى القلب فينفذ الى القلب وكسر العين لغة تميم * وقيل الشغاف جلدة رقيقة يقال لها لسان القلب شغف وصلت الحدة الى القلب فكان يحترق من شغف البعير اذا هناه فاحرقه بالقطران والمشغوف الذي أحرق الحب قلبه ومنه قول الأعشى يعصى الوشاة وكان الحب آونة * مما يزين للمشغوف ما صنعنا

وقد تكسر غينه * المتكأ الوسادة والخرقة * المتك الاترج والواحد متكأ قال الشاعر
 * فاهت متكأ لى أبيها * وقيل اسم يعم جميع ما يقطع بالسكين الاترج وغيره من الفواكه قال
 يشرب الاثم بالصواع جهارا * ونرى المتك بيننا مستعارا

وهو من متك بمعنى بشك الشيء أى قطعه * وقال صاحب اللوامح المتك بالضم عند الخليل العسل وعند الأصمعي الاترج * وقال أبو عمر والشراب الخالص وقال أبو عمر وفيه ثلاث لغات المتك بالحرركات الثلاث * وقيل بالكسر الخلال * وقيل بل المسك وقال الكسائي أيضا فيه اللغات الثلاث وقد يكون بالفح المحر عند قضاة وقال أيضا قد يكون في اللغات الثلاث الفالوذ المعقد

﴿وقال نسوة في المدينة﴾ لم تلحق ناء التأنيث لأنه جمع تكسير المؤنث ويجوز فيه الوجهان ونسوة كذا كرنا جمع قلة وكن على ما نقل خسا امرأة خبازه وامرأة ساقية وامرأة بوابه وامرأة سجانته وامرأة صاحب دوابه في المدينة هي مصر ومعنى في المدينة أنهم أشاعوا هذا الأمر من حب امرأة العزيز ليوسف وصرحوا بإضافتها إلى العزيز مبالغة في التشنيع لأن النفوس أميل لسماع أخبار ذوى الأخطار وما يجري لهم وعبرن بترادوهو (٣٠٠) المضارع الدال على أنه صار ذلك سجية لها اتخذته دائماً عن نفسه

كما تقول زيد يعطى ويمنع ولم يقن راودت فتاها ثم نبهن على علة ديمومة المراودة وهي كونها قد شغفها حباً أى بلغ حبه شغاف قلبها الشغاف حجاب القلب وقيل سويداؤه قال امرؤ القيس * أتقتلنى أنى شغفت فؤادها كما شغف المهنوءة الرجل الطالى *

وانتصب حباً على التمييز المنقول من الفاعل والفتى الغلام وعرفه في المملوك وفي الحديث لا يقل أحدكم عبدى وأمتى وليقل فتاى وفتاتى وقد قيل فى غير المملوك وأصل الفتى فى اللغة الشاب ولكنه لما كان جل الخدمة شبانا (الدر)

(ش) حاشى كلمة تفيد معنى التنزيه فى باب الاستثناء تقول أساء القوم حاشى زيد قال حاشى أبى ثوبان ان به *

* وقال الفضل فى اللغات الثلاث هو البر ماورد وكل ملفوف بلحم ورقاق وقال أيضاً المثلث بالضم المائدة أو الجرف فى لغة كندة * السكين تذكر وتؤنث قاله الفراء والكسائى ولم يعرف الأصمعى فيه إلا التذكير * حاشى قال الفراء من العرب من يتقها وفى لغة الحجاز حاش لك وبعض العرب حشى زيد كأنه أراد حشى لزيد وهى فى أهل الحجاز انتهى * وقال الزنجشبرى حاشى كلمة تفيد معنى التنزيه فى الاستثناء تقول أساء القوم حاشى زيد قال

حاشى أبى ثوبان ان لنا * ضناعن الملحاة والشم

وهى حرف من حروف الجر فوضعت موضع التنزيه والبراءة فعنى حاش الله براءة الله وتنزيهه الله انتهى وما ذكرناه تفيد معنى التنزيه فى باب الاستثناء غير معروف عند النحويين لافرق بين قولك قام القوم الا زيدا وقام القوم حاشى زيد ولما مثل بقوله أساء القوم حاشى زيد وفهم من هذا التمثيل براءة زيد من الاساءة جعل ذلك مستفاداً منها فى كل موضع وأماماً أنشده من قوله حاشى أبى ثوبان فكذا ينشده ابن عطية وأكثر النحاة وهو بيت ركبوا فيه صدر بيت على عجز آخر وهما من بيتين وهما

حاشى أبى ثوبان ان أبأ ثوبان ليس بكمة قدم

عمرو بن عبد الله ان به * ضناعن الملحاة والشم

عصر العنب وغيره أخرجه ما فيه من المائع بقوة * الخبز معروف وجمعه خباز ومعانيه خباز * البضع ما بين الثلاث إلى التسع قاله قتادة * وقال مجاهد من الثلاثة إلى السبعة * وقال أبو عبيدة البضع لا يبلغ العقد ولا نصف العقد وإنما هو من الواحد إلى العشرة * وقال الفراء ولا يذكر البضع إلا مع العشرات ولا يذكر مع مائة ولا ألف * السمن معروف وهو مصدر سمن يسمن واسم الفاعل سمين والمصدر واسم الفاعل على غير قياس * العجفاء المهنوءة جداً قال

* ورجال مكة مستنون عجاف * الفنغت أقل من الخزمة وأكثر من القبضة من النبات والعشب من جنس واحد أو من اخلاط النبات والعشب فن جنس واحد ما روى فى قوله وخذيديك ضغفا فاضرب به انه أخذ عشك كالامن النخل وروى ان الرسول صلى الله عليه وسلم فعل نحو هذا فى إقامة حد على رجل * وقال ابن مقبل

خود كان فراشها وضعت به * أضعاث ريمحان غداة شمال

ومن الاخلاط قول العرب فى أمثالها ضغت على إمالة * وقال نسوة فى المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حباً انالزها فى ضلال مبين * لم تلحق ناء التأنيث لأنه جمع تكسير

ضناعن الملحاة والشم وهى حرف من حروف الجر فوضعت موضع التنزيه والبراءة فعنى حاشى الله براءة الله وتنزيهه الله (ح) ما ذكره من انها تفيد معنى التنزيه فى باب الاستثناء غير معروف عند النحويين لافرق بين قولك قام القوم الا زيدا وقام القوم حاشى زيد ولما مثل بقوله أساء القوم حاشى زيد وفهم من هذا التمثيل براءة زيد من الاساءة جعل ذلك مستفاداً منها فى كل موضع وأماماً أنشده من قوله حاشى أبى ثوبان البيت فكذا أنشده (ع) وأكثر النحاة وهو بيت ركبوا فيه صدر بيت على عجز بيت آخر وهما من بيتين وهما حاشى أبى ثوبان ان أبأ ثوبان ليس بكمة قدم عمرو بن عبد الله ان به * ضناعن الملحاة والشم

استعير لهم اسم الفتى ثم نقمن ذلك عليها فقلن انالزاهافي ضلال مبين أى تحير واضح للناس ﴿ فلما سمعت بمكرهن ﴾ روى أن تلك المقالة الصادرة عن النسوة إنما قصدن بها المكر بامرأة العزيز ومكرهن هو اغتيابهن اياها وسوء مقالتهن فيها أنها عشت يوسف وسمى الاغتياب مكرًا لأنه في خفية وحال غيبة كما يخفى الما كرمكره ﴿ أرسلت اليهن ﴾ الضمير عائدة على تلك النسوة القائلة ما قلن عنها ﴿ وأعدت ﴾ أى عدت ﴿ لهن متكنا ﴾ أى يسرت وهيات لهن ما يتكئن عليه من الخمارق والمخاد والوسائد وغير ذلك ﴿ وآتت كل واحدة منهن سكينًا ﴾ ومعلوم أن مثل هذا المجلس لا بد فيه من طعام وشراب فيكون في جملة الطعام ما يقطع بالسكا كين فليل كان لهما وكانوا لا ينشون اللحم إنما كانوا يأكلونه حزابا بالسكا كين ﴿ وقالت اخرج عليهن ﴾ هذا الخطاب ليوسف وخروجه يدل على طواعيتهما فيما لا يعصى الله فيه وفي الكلام حذف تقديره فخرج عليهن ومعنى أكبرنه أعظم منه ودهشن برؤية ذلك الجمال الفائق الرائع قيل كان (٣٠١) فضل يوسف على الناس في الحسن كفضل القمر ليلة البدر

على نجوم السماء ﴿ وقطعن أيديهن ﴾ أى جرحنها كما تقول كنت أقطع اللحم فقطعت يدي والتضعيف للتكثير فالجرح كانه وقع مرارا في اليد الواحدة وصاحبها لا تشعر لما ذهلت بماراعها من جمال يوسف فكانها غابت عن حسها والظاهر أن الأيدي هي الجوارح المسماة بهذا الاسم ولما فعلن هذا الفعل الصعب من جرح أيديهن وغلب عليهن مارأين من يوسف وحسنه ﴿ قلن حاشا لله ﴾ أى حاشا يوسف أن يقارف مارمته به ومعنى لله لطاعة الله أو لمكانته من الله أولترفع الله أن

المؤنت ويجوز فيه الوجهان ونسوة كاذكر ناجع قلة وكن على ما نقل خمسا امرأة خبازة وامرأة ساقية وامرأة بوابه وامرأة سجانة وامرأة صاحب دوابه في المدينة هي مصر ومعنى في المدينة أنهم أشاعوا هذا الأمر من حب امرأة العزيز ليوسف وصرحوا بإضافتها الى العزيز بمبالغة في التشنيع لأن النفوس أقبل لسماع ذوى الاخطار وما يجرى لهم وعبرت بترادوه وهو المضارع الدال على انه صار ذلك سجية لها اتخذاده دائما عن نفسه كما تقول زيد يعطى ويمنع ولم يقلن راودت فتاها ثم نهبن على علة ديمومة المرادة وهي كونه قد شغفها حبا أى بلغ حبه شغاف قلبها وانتصب حبا على التمييز المنقول من الفاعل كقوله ملأت الاناء ماء أصله ملأ الماء الاناء وأصل هذا شغفها حبه والفتى الغلام وعرف في المملوك وفي الحديث لا يقل أحدكم عبيد وأمتى وليقل فتاى وفتاى * وقد قيل في غير المملوك وأصل الفتى في اللغة الشاب ولكنه لما كان جل الخدمة شبانا استعير لهم اسم الفتى * وقرأنابت البناتى شغفها بكسر الغين المعجمة والجمهور بالفتح * وقرأعلى بن أبى طالب وعلى بن الحسين وابنه محمد بن على وابنه جعفر بن محمد والشعبي وعوف الأعرابي بفتح العين المهملة وكذلك قتادة وابن هرمز ومجاهد وحيد والزهرى بخلاف عنهم وروى عن ثابت البناني وابن رجاء كسر العين المهملة * قال ابن زيد الشغف في الحب والشغف في البغض * وقال الشعبي الشغف والمشغوف بالعين منقوطة في الحب والشغف الجنون والمشغوف المجنون وأدغم النحويان وحزرة وهشام وابن عحيصن دال قد في شين شغفها ثم نقمن عليها ذلك فقلن انالزاهافي ضلال مبين أى في تحير واضح للناس ﴿ فلما سمعت بمكرهن أرسلت اليهن وأعدت لهن متكنا وآتت كل واحدة منهن سكينًا ﴾ وقالت اخرج عليهن فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن وقلن حاشا لله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم ﴿ روى ان تلك المقالة الصادرة عن النسوة إنما قصدن بها المكر بامرأة العزيز ليغضبنها

يرى بمارمته به أو يدعن الى مثله لان تلك أفعال البشر وهو ليس منهم إنما هو ملك فعلى هذا تكون اللام في لله للتعليل أى جانب يوسف المعصية لأجل طاعة الله قال الزمخشري حاشا كلمة تفيد معنى التنزيه في باب الاستثناء تقول أساء القوم حاشى زيد * قال حاشا أبى ثوبان ان به * ضناعن الملحاة والشم * وهى حرف من حروف الجر فوضعت موضع التنزيه والبراءة فغنى حاشا الله أى براءة الله وتنزيهه انتهى ما ذكره من أنها تفيد معنى التنزيه في باب الاستثناء غير معروف عند النحويين لافرق بين قولك قام القوم الازيدوا قام القوم حاشى زيد ولما مثل بقوله أساء القوم حاشا زيد وفهم هو من التمثيل براءة زيد من الاساءة جعل ذلك مستفادا منها في كل موضع وأما ما أنشد حاشا أبى ثوبان البيت فهكذا أنشد أيضا ابن عطية وآثار النحاة وهو بيت ركبوا فيه صدر بيت على محز بيت آخر وهما من بيتين وهما حاشا أبى ثوبان أن أبى * ثوبان ليس بكنة قدم * عمرو بن عبد الله ن به * ضناعن الملحاة والشم * ما هذا بشرا * ولما كان غريب الجمال فائق الحسن عما عليه حسن صورة الانسان نفين عنه البشرية وأثبتن له الملائكية لما كان مكرورا في الطباع حسن المالك وان كان لا يرى وقد نطق بذلك شعراء العرب والمحدثون قال بعض العرب

حتى تعرض عليهم يوسف لبين عذرها أو يحق لومها ومكرهن هو اغتيابهن أياها وسوء مقاتلتهن فيها انها عشت يوسف ومعنى الاغتياب مكر الأنفة في خفية وحال غيبة كما يخفى الما كرم مكره * وقيل كانت استكتمهن سرها فأفشيته عليها أرسلت اليهن ليحضرن * قيل دعت أربعين امرأة منهن الخمس المذكورات والظاهر عود الغيبة على تلك النسوة القائلة ما قلن عنها وأعدت لهن متكئا أي يسمرت وهيات لهن ما يتكئن عليه من الخارق والخاد والوسائد وغير ذلك مما يكون في مجلس أعد الكرامته ومن المعلوم ان هذا النوع من الاكرام لا يخلو من طعام وشراب وهنا حذف تقديره بخفن واتكأن ومتكئنا إما أن يراد به الجنس وإما أن يكون المراد وأعدت لكل واحدة منهن متكئا كما جاءت وآتت كل واحدة منهن سكيناً * قال ابن عباس متكئنا مجلساً ذكره الزهراوى ويكون متكئنا طرف مكان أي مكاناً يتكئن فيه وعلى ما تقدم تكون الآلات التي يتكأ عليها * وقال مجاهد المتكأ الطعام يحز حزا * قال القتيبي يقال اتكأنا عند فلان أي أكلنا ويكون هذا من المجاز عبر بالهيئة التي يكون عليها الآكل المترف بالمتكأ وهي عادة المترفين ألا ترى الى قوله صلى الله عليه وسلم أما أنا فلا آكل متكئاً وكما قال وإذا كان المتكأ ليس معبراً به عما يؤكل فمعلوم ان مثل هذا المجلس لا بد فيه من طعام وشراب فيكون في جملة الطعام ما يقطع بالسكاكين * فقيل كان لحماً وكانوا لا ينشون اللحم إنما كانوا يأكلونه حزاً بالسكاكين * وقيل كان أترجاً * وقيل كان برماورد وهو شبيه بالآترج موجود في تلك البلاد * وقيل هو مصنوع من سكر ولوز وأخلط ومضغونه انه يحتاج الى أن يقطع بالسكين وعادة من يقطع شيئاً أن يعتد عليه فيكون متكئاً عليه * قيل وكان قصدها في بروزهن على هذه الهيئات متكئات في أيديهن سكاكين يحزرن بها شئين أحدهما دهشهن عند رؤيتهن وشئلهن بأنفسهن فتقع أيديهن على أيديهن فيقطعنها فبكتن ويكون ذلك مكرهن إذ ذهبن عما أصابهن من تقطيع أيديهن وما أحسن به مع الألم الشديد لفرط ما غلب عليهن من استحسان يوسف وسلبه فقولهن والثاني التحويل على يوسف بمكرها إذا خرج على نساء مجتمعات في أيديهن الخناجر توهمه أنهن يشن عليه فيكون يحذر مكرها إذا ماؤلعه يجمعها الى مرادها على زعمها ذلك ويوسف قد عمدته الله من كل ما تريد به من السوء * وقرأ الزهري وأبو جعفر وشيعة متسكى مشدد التاء من غير همز بوزن متقى فاحتمل ذلك وجهين أحدهما أن يكون من الاتكأ وفيه تخفيف الهمز كما قالوا في توصات توصته والثاني يكون مفتعلاً من أوكيت السقاء إذا شدته أي ما يشتد من عليه ما بالالاتكأ واما بالقطع بالسكين * وقرأ الأعرج متكئاً مفتعلاً من تكأ * إذا اتكأ * وقرأ الحسن وابن هرمة متكأ بالمد والهمز وهو مفتعل من الاتكأ الأندلسية الفتحة فتولد منها الألف كما قالوا * ومن دم الرجال بمنزاج * وقالوا أعوذ بالله من العقرب * الشائلات عقد الأذنان

* وقرأ ابن عباس وابن عمرو مجاهد وفناد ذو الضحان والجحدري والكاسي وابن بن تغلب متكئاً بضم الميم وسكون التاء وتنوين السكاف وجاء كذلك عن ابن هرمة * وقرأ عبد الله ومعاذ وكذلك لأنهم ما فتحوا الميم وتقدم تنوين السكاف وتمت في المفردات وقالت اخرج عليهن هذا الخطاب ليوسف عليه السلام وخر وجهه ديل على طواعيتها فيما لا يعصى الله فيه وفي الكلام حذف تقديره نخرج عليهن ومعنى أكبرنه أعظمته ودهش برؤية ذلك الجمال الفائق الرائع * قيل كان فضل يوسف على الناس في الحسن كفضل القمر ليلة الدر على نجوم السماء وفي حديث الاسراء ان الرسول صلى الله

فلمست لانسى ولكن ملأك
تنزل من جوف السماء يصب
وقال بعض المحدثين *
قوم اذا قوبلوا كانوا
ملأكة *
حسنا وان قوتلوا كانوا
غفاريين *
وانتصاب بشرا على لغة
الحجاز وكذا جاء ما هن
أهاتهم فامسك من
أحد عنه حاجزين ولغة
تميم الرفع قال ابن عطية
ولم يقرأ به وقال الزمخشري
ومن قرأ على سليقته من
بنى تميم قرأ بشر بالرفع
وهي قراءة ابن مسعود
انتهى

عليه وسلم لما أخبر بلقياس يوسف قيل يارسول الله كيف رأيته قال كالقمر ليلة البدر * وقيل كان اذا سار في أزقة مصر يرى تلالاً ووجهه على الجدران كما يرى نور الشمس * وقيل كان يشبه آدم يوم خلقه ربه * وقيل ورث الجمال عن جدته سارة * وقال عبد الصمد بن علي الهالشي عن أبيه عن جده معناه حضن وأنشد بعض النساء حجة لهذا التأويل

يأتى النساء على اطهارهن ولا * يأتى النساء اذا كبرن اكبارا

قال ابن عطية وهذا قول ضعيف والبيت مصنوع مخلق كذلك قال الطبري وغيره من المحققين وليس عبد الصمد من رواة العلم رحمه الله * وقال الزمخشري وقيل أكبرن بمعنى حضن والهاء للسكت يقال أكبرت المرأة اذا حاضت وحقيقة من الكبر لانها بالحوض تخرج عن حد الصغر الى حد الكبر وكان أبنا الطيب أخذ من هذا التفسير قوله

خف الله واستر ذالجمال يبرقع * فان لح حاضت في الخدور العواتق

انتهى واجماع القراء على ضم الهاء في الوصل دليل على انها ليست هاء السكت اذ لو كانت هاء السكت وكان من أجرى الوصل مجرى الوقف لم يضم الهاء والظاهر ان الضمير يعود في أكبرنه على يوسف ان ثبت ان أكبر بمعنى حاض فتكون الهاء عائدة على المصدر أى أكبرن الا كبر وقطعن أيديهم أى جرحها كما تقول كنت أقطع اللحم فقطعت يدي والتضعيف لكثيرا ما بالنسبة لكثرة القاطعات واما بالنسبة لكثير الحز في يد كل واحدة منهم فالجرح كانه وقع مرارا في اليد الواحدة وصاحبته لا تشعر لما ذهلت بما راعها من جمال يوسف فكانها غابت عن حسها والظاهر ان الأيدي هي الجوارح المسماة بهذا الاسم * وقال عكرمة الأيدي هنا الا كما ولم يفعل هذا الفعل الصعب من جرح أيديهم وغلب عليهم ما رأين من يوسف وحسنه قلن حاش لله * قرأ الجمهور حاش لله بغير ألف بعد الشين والله بلام الجر * وقرأ أبو عمر وحاشا لله بغير ألف ولام الجر * وقرأت فرقة منهم الاعمش حشى على وزن رعى لله بلام الجر * وقرأ الحسن حاش بسكون الشين وصلا ووقف بلام الجر * وقرأ أبي وعبد الله حاشى الله بالاضافة وعنهما كقراءة أبي عمر وقاله صاحب اللوامح * وقرأ الحسن حاش الاله * قال ابن عطية محذوف من حاشى * وقال صاحب اللوامح يحذف الألف وهذه ندل على كونه حرف جر يجر ما بعده فاما الاله فانه فكاه عن الادغام وهو مصدر أقيم مقام المفعول ومعناه المألوه بمعنى المعبود قال وحذفت الألف من حاش للتخفيف انتهى وهذا الذي قاله ابن عطية وصاحب اللوامح من أن الألف في حاشى في قراءة الحسن محذوفة لاتعين الان نقل عنه أنه يقف في هذه القراءة بسكون الشين فان لم ينقل عنه في ذلك شيء فاحتمل أن تكون الألف حذفت لالتقاء الساكنين اذا وصل حاشى الاله ثم نقل فحذف الهمزة وحرك اللام بحركتها ولم يعتد بهذا التحريك لانه عارض كما تحذف في يحشى الاله ولو اعتد بالحركة لم تحذف الألف * وقرأ أبو السمال حاشا لله بالتنوين كرمي الله فاما القرأت لله بلام الجر في غير قراءة أبي السمال فلا يجوز أن يكون ما قبلها من حاشى أو حاش أو حشى أو حاش حرف جر لان حرف الجر لا يدخل على حرف الجر ولانه تصرف فيهما بالخذف وأصل التصرف بالخذف أن لا يكون في الحروف وزعم المبرد وغيره كابن عطية انه يتعين فعليتها ويكون الفاعل ضمير يوسف أى حاشى يوسف أن يقارف مارمته به ومعنى لله لطاعة الله أولا كانه من الله أو لترفع الله أن يرمى بمارمته به أو يدعن الى مثله لان تلك أفعال البشر وهو ليس منهم انما هو ملك وعلى هذا تكون اللام في لله

(الدر)

(ش) وأعمال ما عمل ليس
هي اللغة القدي الحجازية
وبها ورد القرآن انتهى
(ح) انما قال القدي لان
الكثير في لغة الحجاز انما
هو جرح الخبر بالباء فتقول
ما زيد بقاءم وعليه أكثر ما
جاء في القرآن وأما نصب
الخبر فن لغة الحجاز
القديمة حتى ان النحويين
لم يجدوا شاهدا على نصب
الخبر في أشعار الحجازيين
غير قول الشاعر

«وأنا النذير بحرة مسودة
يصل الجيوش اليكم
أقوادها»
«أبناءؤها متكنفون أباهم
حنقو الصدور وما هم
أولادها»
وقال الفراء وهو سامع لغة
حافظ ثقة لا يكاد أهل
الحجاز ينطقون الا بالباء
فما غلب على أهل الحجاز
النطق بالباء قال (ش)
اللغة القدي الحجازية
فالقرآن جاء باللغتين القدي
وغيرها

للتعليل أي جانب يوسف المعصية لاجل طاعة الله أو لما ذهب قبل وذهب غير المبرد إلى انها اسم
وانتصابها انتصاب المصدر الواقع بدلا من اللفظ بالفعل كانه قال تنزيها لله ويدل على اسميتها قراءة
أبي السمال حاشا منونا وعلى هذا القول يتعلق لله محذوف على البيان كلك بعد سقيا ولم ينون في
القرآن المشهورة مراعاة لاصله الذي نقل منه وهو الحرف ألا تراهم قالوا من عن يمينه فجعلوا
عن اسماء لم يعرفوه وقالوا من عليه فلم يثبتوا ألفه مع المضمهر بل أبقوا عن على بناءه وقلبوا ألف على
مع الضمير مراعاة لأصلها وأما قراءة الحسن وقراءة أبي بالاضافة فهو مصدر مضاف إلى ألفه كما قالوا
سبحان الله وهذا اختيار الزمخشري * وقال ابن عطية وأما قراءة أبي بن كعب وابن مسعود فقال
أبو على ان حاشي حرف استثناء كما قال الشاعر * حاشي أبي ثوبان * انتهى وأما قراءة الحسن حاش
بالتسكين ففيها جمع بين ساكنين وقد ضعفوا ذلك * قال الزمخشري والمعنى تنزيه الله من صفات
العجز والتعجب من قدرته على خلق جميل مثله وأما قوله حاشي لله ما عاينا عليه من سوء فالتعجب
من قدرته على خلق عفيف مثله ما هذا بشرا لما كان غريب الجلال فائق الحسن عما عليه حسن
صور الانسان نفين عنه البشرية وأثبت له الملكية لما كان مركزا في الطباع حسن الملك وان
كان لا يرى وقد نطق بذلك شعراء العرب والمحدثون قال بعض العرب

فلمست لأنسى ولكن لملك * تنزل من جوال السماء يصب

«وقال بعض المحدثين»

قوم اذا قوبلوا كانوا ملائكة * حسنا وان قوتلوا كانوا عفاريتا

وانتصاب بشرا على لغة الحجاز ولذا جاء ما هن أمهاتهن وما منكم من أحد عنه حاجز بن ولغة تميم الرفع
* قال ابن عطية ولم يقرأ به * وقال الزمخشري ومن قرأ على سليقته من بني تميم قرأ بشرا بالرفع وهي
قراءة ابن مسعود انتهى * وقرأ الحسن وأبو الحويرث الحنفي ما هذا بشري قال صاحب اللوامح
فيحتمل أن يكون معناه بمبيع أو بشري أي ليس هذا مما يشترى ويباع ويجوز أن يكون ليس
بتمن كانه قال هو أرفع من أن يجري عليه شيء من هذه الأشياء فالشراء هو مصدر أقيم مقام المفعول
به وتابعهم ما عبد الوارث عن أبي عمرو على ذلك وزاد عليهم ما لا ملك بكسر اللام واحدا للملوك فهم
نفوا بذلك عنه ذل الممالك وجمعواوه في حيز الملوك والله أعلم انتهى ونسب ابن عطية كسر اللام
للحسن وأبي الحويرث اللذين قرأ بشري قال لما استعظم من حسن صورته قلن هذا ما يصلح أن
يكون عبدا بشري ان هذا الا يصلح أن يكون ملكا كريما * وقال الزمخشري وقرئ ما هذا
بشري أي بعبد مملوك لئيم ان هذا الاملك كريم تقول هذا بشري أي حاصل بشري بمعنى هذا
مستري وتقول هذا لك بشري أي بكرا * وقال وأعمال ما عمل ليس هي اللغة القدي الحجازية
وبها ورد القرآن انتهى وانما قال القدي لان الكثير في لغة الحجاز انما هو جرح الخبر بالباء فتقول
ما زيد بقاءم وعليه أكثر ما جاء في القرآن وأما نصب الخبر فن لغة الحجاز القديمة حتى ان النحويين
لم يجدوا شاهدا على نصب الخبر في أشعار الحجاز بين غير قول الشاعر

«وأنا النذير بحرة مسودة * تصل الجيوش اليكم أقوادها

أبناءؤها متكنفون أباهم * حنقو الصدور وما هم أولادها

* وقال الفراء وهو سامع لغة حافظ ثقة لا يكاد أهل الحجاز ينطقون الا بالباء فاما غلب على أهل
الحجاز النطق بالباء قال الزمخشري اللغة القدي الحجازية فالقرآن جاء باللغتين القدي وغيرها

﴿ قالت فذلكن الذي لمتنني فيه ﴾ ذا اسم إشارة واللام لبعدها المشار وكن خطاب لتلك النسوة والمعنى ان هذا الذي صدر منك من الاكبار وتقطيع الايدي ونفى البشرية عنه واثبات الملكية له هو الذي لمتنني فيه أى فى محبته ثم جعلت تنوعه مقسمة على ذلك وهو يسمع قولها ﴿ ولئن لم يفعل ما أمره ﴾ ومما موصولة والضمير فى ما أمره عائد على يوسف والعائد على الموصول محذوف تقديره ما أمره به أى من الموافقة لى فيما أريد واللام فى لئن مؤذنة بقسم محذوف وجوابه ﴿ ليسجنن ﴾ وجاءت النون المشددة لانها آكد من المخففة ثم عطف عليه ﴿ وليكونن ﴾ بالنون الخفيفة لان الصغار أخف من السجن فقالت له النسوة أطع وافعل ما أمرتك به فقال ﴿ رب السجن أحب الى مما يدعوننى اليه ﴾ فاستند الفعل اليهن كلهن لما نصحن له وزين له مطاوعته وانهيته عن القاء نفسه فى السجن والصغار الذل فالتجأ الى الله والتقدير دخول السجن أحب الى وقرأ يعقوب وجماعة السجن بفتح السين وهو مصدر سجن أى حبسهم أى فى السجن أحب الى وأحب هنا ليست على بابها من التفضيل لانه لم يحب ما يدعون به اليه قط وانما هذان شران فآثر أحدا الشرين على الآخر وان كان فى أحدهما مشقة وفى الآخر لذة لكن لما ترتب على تلك اللذة من معصية الله تعالى وسوء العاقبة لم يخطر له ببال ولما فى الآخر من احتمال المشقة فى ذات الله والصبر على النوائب وانتظار الفرج والحضور مع الله فى كل وقت داعياله فى تخليصه آثره ثم ناط العصمة بالله واستسلم له كعبادة الانبياء والصالحين وأنه تعالى لا يصرف السوء الا هو فقال ﴿ والآنصرف عني كيدهن أصب اليهن ﴾ أى أمل الى ما دعوننى اليه وجعل جواب الشرط قوله اليهن وهى كلمة مشعرة بالليل فقط لا بمباشرة (٣٠٥) المعصية ﴿ وأكن من الجاهلين ﴾ أى من الذين لا يعملون بما يعملون لان من لا جدوى

لعماله فهو ومن لا يعلم سواء وذكرا استحابة الله ولم يتقدم لفظ دعاء لان قوله والآنصرف عني فيه معنى طلب الصبر والدعاء وكأنه قال رب اصرف عني كيدهن ﴿ فصرف عنه كيدهن ﴾ أى حال

﴿ قالت فذلكن الذي لمتنني فيه ولقد رادته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما أمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين ﴾ قال رب السجن أحب الى مما يدعوننى اليه والآنصرف عني كيدهن أصب اليهن وأكن من الجاهلين ﴿ فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن انه هو السميع العليم ثم بداهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين ﴾ ذا اسم الإشارة واللام لبعدها المشار وكن خطاب لتلك النسوة واحتمل أن يكون لما رأى دهشهن وتقطيع أيدهن بالسكاكين وقولهن ما هذا بشرا بعد عنهن ابقاء عليهم فى أن لاتزداد فتنتهن وفى أن يرجعن الى حسنهن فأشارت اليه باسم الإشارة الذى للبعيد ويحتمل أن تكون أشارت اليه وهو للبعد قريب بلفظ البعيد فعا لمنزلته فى الحسن واستبعادا لمحل فيه وانه لغرابته بعيد أن يوجد منه واسم الإشارة تضمن الاوصاف السابقة

(٣٩ - تفسير البحر المحيط لابي حيان - خامس) بينه وبين المعصية ﴿ انه هو السميع ﴾ بدعاء المتلجئ اليه ﴿ العليم ﴾ بأحواله وما انطوت عليه نيانه ﴿ ثم بداهم من بعد ﴾ أى ظهر والفاعل ابداهم يفسره ما يدل عليه المعنى أى بداهم هو أى رأى وبدا كما قال الشاعر ﴿ بدالك من تلك القلوص بداء ﴾ هكذا قاله النحاة والمفسرون الامن أجاز أن يكون الجملة فاعلة فانه زعم أن قوله ليسجننه فى موضع الفاعل لبدا أى سجنه حتى حين والرد على هذا المذهب مذكور فى النحو والذى أذهب اليه أن الفاعل ضمير يعود على السجن المفهوم من قوله ليسجنن أو من قوله السجن على قراءة الجمهور أو السجن على قراءة من قرأ بفتح السين والضمير فى لهم للعزير وأهله والآيات هى الشواهد الدالة على براءة يوسف وليسجننه جواب قسم محذوف والقسم وجوابه معمول لقول محذوف تقديره قائلين حتى حين والمعنى الى زمان والحين يدل على مطلق الوقت ومن عين له هنا زمانا فاما كان ذلك باعتبار مدة سجن يوسف لأنه موضوع فى اللغة لذلك وكانها اقترحت زمانا حتى تبصر ما يكون منه وفى سجنهم ليوسف دليل على مكيدة النساء واستئزال المرأة لزوجه ومطاوعته لها وعشقه لها وجعله زمام أمره بيدها هذا مع ظهور خيانتها وبراءة يوسف صلى الله عليه وسلم وروى أنه لما امتنع يوسف من المعصية ويئست منه امرأة العزيز قالت لزوجه ان هذا الغلام العبرانى قد فضحنى فى الناس وهو يعتذر اليهم ويصف الامر بحسب اختياره وأنا محبوسة محجوبة فاما أذنت لى فخرجت الى الناس فاعتذرت وكذبتة والاحبسته كما أنا محبوسة فحينئذ بداهم سجنه قال ابن عباس فأمر به فحمل على حمار وضرب امامه بالطبل ونودى عليه فى أسواق مصر أن يوسف العبرانى أراد سيده فهذا جزاؤه أن يسجن قال أبو صالح ماذكر ابن عباس هذا الحديث الا بكى

فيه كانه قيل الذي قطعن أيديكن بسببه وأكبرته وقلتن فيه ما قلتن من نفي البشرية عنه واثبات الملكية له هو الذي لمتني فيه أي في محبته وشغفي به * قال الزمخشري ويجوز أن يكون إشارة الى المعنى بقولهن عشقت عبدها الكنعاني تقول هذا ذلك العبد الكنعاني الذي صورتن في أنفسكن ثم لمتني فيه يعني انكن لو تصورنه بحق صورته ولو صورته بما عاينتن لعذرتنني في الافتتان به انتهى والضمير في فيه عائذ علي يوسف * وقال ابن عطية ويجوز أن تكون الإشارة الى حب يوسف والضمير عائذ علي الحب فيكون ذلك إشارة الى غائب علي بابا انتهى ثم أقرت امرأة العزيز للنسوة بالمرأودة واستنابت اليهن في ذلك اذ علمت انهن قد عذرنها * فاستعصم قال ابن عطية معناه طلب العصمة وتمسك بها وعصاني * وقال الزمخشري والاستعصام بناء مبالغة يدل على الامتناع البليغ والتحفظ الشديد كأنه في عصمة وهو يجتهد في الاستزادة منها ونحو استمسك واستوسع واستجمع الرأي واستفحل الخطب وهذا بيان لما كان من يوسف عليه السلام لا يريد عليه وبرهان لاشئ أنور منه على أنه يرى مما أضاف اليه أهل الحشو مفسر وابه اللهم والبرهان انتهى والذي ذكره النصر يفيون في استعصم أنه موافق لاعتصم فاستفعل فيه موافق لافتعل وهذا أجود من جعل استفعل فيه للطلب لان اعتصم يدل على وجود اعتصامه وطلب العصمة لا يدل على حصولها وأما أنه بناء مبالغة يدل على الاجتهاد في الاستزادة من العصمة فلم يذكر النصر يفيون هذا المعنى لاستفعل وأما استمسك واستوسع واستجمع الرأي فاستفعل فيه موافقة لافتعل والمعنى امتسك واتسع واجتمع الرأي وأما استفحل الخطب فاستفعل فيه موافقة لتفعل أي تفحل الخطب نحو استكبر وتكبر ثم جعلت تنوعه مقسمة على ذلك وهو يسمع قولها بقولها ولئن لم يفعل ما أمره والضمير في أمره عائذ علي الموصول أي ما أمر به فحذف الجار كما حذف في أمرتك الخير ومفعول أمر الاول محذوف وكان التقدير ما أمره به وان جعلت ماصدرية جاز فيعود الضمير على يوسف أي أمرى اياه ومعناه موجب امرى * وقرأت فرقة وليكونن بالنون المشددة وكتبها في المصحف بالألف مراعاة لقراءة الجمهور بالنون الخفيفة ويوقف عليها بالألف كقول الأعشى * ولا تعبد الشيطان والله فاعبدا * ومن الصاغرين من الاذلاء ولم يذكر هنا العذاب الأليم الذي ذكرته في ماجزاء من أراد باهلك سوءا لانها اذذاك كانت في طراوة غيظها ومتصلة من أنها هي التي راودته فناسب هناك التغليظ بالعقوبة وأما هنا فانها في طمأنينة ورجاء وأقامت عذرها عند النسوة فرقت عليه فتوعدته بالسجن وقال له النسوة أطع وافعل ما أمرتك به فقال رب السجن أحب الي مما يدعونني اليه فاستند الفعل اليهن لما ينصحن له وزين له مطاوعتها ونهينه عن القاء نفسه في السجن والصغار فالتجأ الى الله تعالى والتقدير دخول السجن * وقرأ عثمان ومولاه طارق وزيد بن علي والزهرى وابن أبي اسحاق وابن هرمز ويعقوب السجن بفتح السين وهو مصدر سجن أي حبسهم اياي في السجن أحب الي وأحب هنا ليست على بابها من التفضيل لانه لم يحب ما يدعونه اليه قط وانما هذان شران فاستأخذ الشرين على الآخروان كان في أحدهما مشقة وفي الآخر لذة لكن لما يترتب على تلك اللذة من معصية الله وسوء العاقبة لم يخطر له ببال ولما في الآخر من احتمال المشقة في ذات الله والصبر على النوائب وانتظار الفرج والحضور مع الله تعالى في كل وقت داعياله في تخليصه أثره ثم ناطا العصمة بالله واستسلم لله كعادة الانبياء والصالحين وأنه تعالى لا يصرف في سوء الا هو فقال والآنصرف عني كيدهن أصب اليهن أي أمل الى ما

﴿ودخل معه السجن فتيان﴾ الآية في الكلام حذف تقديره (٣٠٧) فسجنوه فدخل معه السجن فتيان روى أنهما كانا للملك

الاعظم الوليد بن الريان
أحدهما خبازه والآخر
ساقيه واتهمهما الملك بأن
الخباز منهما أراد سمه
ووافقه على ذلك الساق
فسجنهما ومع تدل على
الصحة واستحداثها فدل
على أنهم سجنوا الثلاثة
في ساعة واحدة ولما
دخل يوسف السجن
استقال الناس بحسن
حديثه وفضله ونبله وكان
يسلى حزينهم ويعود
همريضهم ويسأل لفقيرهم
ويهديهم إلى الخير فأحبه
الفتيان ولزمه وأحبه
صاحب السجن والقيم
عليه وقال له كن في أي
البيوت شئت وكان

(الر)

ثم بدا لهم من بعد ما رأوا
الآيات ليسجننه حتى
حين (ح) الفاعل
لبدا ضمير يفسره ما يدل
عليه المعنى أي بدا لهم هو
أي رأى أو بدا كما قال
الشاعر
* بدا لك في تلك القلوص
بدا *

هكذا قال النحاة والمفسرون
الامن أجاز أن تكون الجملة
فاعلة فانه زعم أن قوله
ليسجننه في موضع الفاعل

يدعونني إليه وجعل جواب الشرط قوله أصب وهي كلمة مشعرة بالليل فقط لا بمباشرة المعصية *
وقرى أصب اليهن من صببت صباية فأنصب والصبابة إفراط الشوق كأنه ينصب فيما هو ي
وقراءة الجمهور أصب من صبا إلى اللهو يصبو صبا وصبوا ويقال صبا يصبو صبا والصباء بالكسر
اللهو واللعب وأكن من الجاهلين من الذين لا يعملون بما يعلمون لأن من لا جدوى لعلمه فهو ومن
لا يعلم سواء أو من السفهاء لأن الوقوع في موافقة النساء والميل اليهن سفاهة قال الشاعر
أحدي بليلي وما هام الفؤاد بها * إلا السفاهة والأذكرة حاما

وذكر استجابة الله له ولم يتقدم لفظ دعاء لأن قوله والأتصرف عني فيه معنى طلب الصرف والدعاء
وكأنه قال رب اصرف عني كيدهن فصرف عنه كيدهن أي حال بينه وبين المعصية انه هو
السميع لدعاء المتجئين إليه العليم بأحوالهم وما انطوت عليه نياتهم ثم بدا لهم أي ظهر لهم والفاعل
لبدا ضمير يفسره ما يدل عليه المعنى أي بدا لهم هو أي رأى أو بدا كما قال

* بدا لك من تلك القلوص بداء * هكذا قاله النحاة والمفسرون الامن أجاز أن تكون الجملة
فاعلة فانه زعم أن قوله ليسجننه في موضع الفاعل لبدا أي سجنه حتى حين والرد على هذا المذهب
مذكور في علم النحو والذي أذهب إليه أن الفاعل ضمير يعود على السجن المفهوم من قوله
ليسجنن أو من قوله السجن على قراءة الجمهور أو على السجن على قراءة من فتح السين والضمير
في لهم للعزير وأهله والآيات هي الشواهد الدالة على براءة يوسف * قال مجاهد وغيره قد القميص
فإن كان الشاهد طفلا فهي آية عظيمة وإن كان رجلا فيكون استدلالا بالعادة والذي يظهر أن
الآية إنما يعبر بها عن الواضح الجلي وجمعها يدل على ظهور أمور واضحة دلت على براءته وقد
تكون الآيات التي رأوها لم ينص على جميعها في القرآن بل رأوا قول الشاهد وقد القميص وغير
ذلك مما لم يذكره وأما ما ذكره عكرمة أن من الآيات خش وجهها والسدى من حزن أيديهم فليس
في ذلك دلالة على البراءة فلا يكون آية وليسجننه جواب قسم محذوف والقسم وجوابه معمول
لقول محذوف تقديره قائلين * وقرأ الحسن لتسجننه بالناء على خطاب بعضهم العزيز ومن يليه
أو العزيز وحده على وجه التعظيم * وقرأ ابن مسعود عني بإبدال حاء حتى عينا وهي لغة هذيل
وأقرأ بذلك فكتب إليه يأمره أن يقرى بلغة قريش حتى لا بلغه هذيل والمعنى إلى زمان
والحين يدل على مطلق الوقت ومن عين له هنا زمانا قائما كان ذلك باعتبار مدة سجن يوسف لانه
موضوع في اللغة كذلك وكانها اقترحت زمانا حتى تبصر ما يكون منه وفي سجنهم ليوسف دليل
على مكيدة النساء واستئزال المرأة لوجهها ومطاوغة لها وعشقه لها وجعله زمام أمره بيدها هذا
مع ظهور خيانتها وبراءة يوسف * روى أنه لما امتنع يوسف من المعصية ويشت منه امرأة العزيز
قالت لزوجها إن هذا الغلام العبراني قد فضحني في الناس وهو يعتذر إليهم ويصف الأمر بحسب
اختياره وأنا محبوسة محجوبة فاما أذنت لي فخرجت إلى الناس فاعتذرت وكذبت له والاحبسته كما
أنا محبوسة فحينئذ بدا لهم سجنه * قال ابن عباس فامر به فحمل على تجار وضرب بالطبل ونودي
عليه في أسواق مصر أن يوسف العبراني أراد سيده فهدأ جزاؤه أن يسجن * قال أبو صالح ما ذكر
ابن عباس هذا الحديث إلا بكى ﴿ودخل معه السجن فتيان﴾ قال أحدهما إنى أرانى أعصر خرا

لبدا أي سجنه حتى حين والرد على هذا المذهب المذكور في علم النحو والذي أذهب إليه أن الفاعل ضمير يعود على السجن
المفهوم من قوله ليسجنن أو من قوله السجن على قراءة الجمهور أو على السجن على قراءة من فتح السين

يوسف صلى الله عليه وسلم قال لاهل السجن اني أعبر الرؤيا وأجيد ورأى الحلمية جرت مجرى أفعال القلوب في جواز كون فاعلها ومفعولها ضميرين متعدي المعنى فأراني فيه (٣٠٨) ضمير الفاعل المستكن وقد تعدى الفعل الى الضمير المتصل

وقال الآخر اني أراني أحمل فوق رأسي خبزاً تأكل الطير منه نبئاً تأويله ان اترك من المحسنين * في الكلام حذف تقديره فسجنوه فدخل معه السجن غلامان * وروى انهما كانا للملك الاعظم الوليد بن الربيع أحدهما خبازه والآخر ساقيه * وروى ان الملك اتهمهما بان الخبز منهما أراد سمه ووافقه على ذلك الساقى فسجنهما قاله السدي ومع تدل على الصحة واستحداثها فدل على انهم سجنوا الثلاثة في ساعة واحدة ولما دخل يوسف السجن استمال الناس بحسن حديثه وفضله ونبأه وكان يسلي حزينهم ويعودهم ويسال لفقيرهم ويندبهم الى الخير فاحبه الفتيان ولزمه وأحبه صاحب السجن والقيم عليه وقال له كن في أي البيوت شئت فقال له يوسف لا تحبني يرحمك الله فلقد أدخلت على المحبة مضرات أحبتي عمتي فامتحنبت بمحبتي وأحبتي ابني فامتحنبت بمحبته وأحبتي امرأة العزيز فامتحنبت بمحبته بما تری وكان يوسف عليه السلام قد قال لاهل السجن اني أعبر الرؤيا وأجيد * وروى ان الفتيين قالاه اننا لنحبك من حين رأيناك فقال أنشدكما الله أن لا تحباني وذكرا متقدم * وعن قتادة كان في السجن ناس قد انقطع رجائهم وطال حزنهم فجعل يقول اصبر واوابشر واتو جروا ان لهذا اجر افقالوا بارك الله عليك ما أحسن وجهك وما أحسن خلقك لقد بورك لنا في جوارك فن أنت يا فتى قال يوسف ابن صفي الله يعقوب ابن ذبيح الله اسحق ابن خليل الله ابراهيم فقال له عامل السجن لو استطعت خليت سبيلك وهذه الرؤيا التي للفتيين قال مجاهد رأيا بذلك حقيقة فاراداسؤاله وقال ابن مسعود والنسعي استعمالها ليجرباه والذي رأى عصر الخمر اسمه بنو قال رأيت حيلة من كرم لها ثلاثة اغصان حسان فيها عناقيد عنب حسان فكنت اعصرها وأسقى الملك والذي رأى الخبز اسمه ملجوب قال كنت أرى أن أخرج من مطبخة الملك وعلى رأسي ثلاث سلال فيها خبز والطير تأكل من أعلاه ورأى الحلمية جرت مجرى أفعال القلوب في جواز كون فاعلها ومفعولها ضميرين متعدي المعنى فأراني فيه ضمير الفاعل المستكن وقد تعدى الفعل الى الضمير المتصل وهو رافع للضمير المتصل وكلاهما ملول واحد ولا يجوز أن يقول اضربني ولا أكرمني وسمى العنب خمر باعتبار ما يؤول اليه * وقيل الخمر بلغة غسان اسم العنب * وقيل في لغة ازديمان * وقال المصنف لقيت اعرابيا يحمل عنباً في وعاء فقلت ما تحمل قال خمر اأراد العنب * وقرأ أبي وعبد الله أعصر عنباً وينبغي أن يحمل ذلك على التفسير لمخالفة سواد المصحف وللثابت عنهما بالتواتر قراءتهما أعصر خمر * قال ابن عطية ويجوز أن يكون وصف الخمر بأنها معصورة اذ العصر لها ومن أجلها وفي مصحف عبد الله فوق رأسي ثريداتاً كل الطير منه وهو أيضاً تفسير لا قراءة والضمير في تأويله عائد الى ما فاعل عليه أجرى مجرى اسم الإشارة كأنه قيل بتأويل ذلك * وقال الجمهور من المحسنين أي في العلم لانهم رأوا ما آمنه ما علم به انه عالم * وقال الضحاك وقتادة من المحسنين في حديثه مع أهل السجن واجماله معهم * وقال ابن اسحق اراد اإخباره انهما يريان له احساناً عليهما ويذا اذا تناول لهما ما رآياه * قال لا يأتى طعاماً ترزقانه الانبأ تكلماً بتأويله قبل أن يأتى كما ذكرنا مما علمني ربي اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كفرون *

وهو رافع للضمير المتصل وكلاهما ملول واحد ولا يجوز أن يقول اضربني ولا أكرمني وأعصر في موضع المفعول الثاني وخراً ليس المعصورانما عصر ما يؤول ماؤه الى الخمر فعبر عنه بما يكون ماؤه الى الخمرية نبئاً يدل على أنه كان نبأهم على أنه كان يحسن تعبیر الرؤيا * قال لا يأتى طعاماً * الآية لما استعبراه ووصفاه بالاحسان افترض ذلك فوصف يوسف نفسه بما هو فوق علم العامة وهو الاخبار بالغيب وأنه ينبئهم بما يجعل لهما من الطعام قبل أن يأتى بهما ويصفه لهما وقيل كان ذلك في اللحظة وقيل كان في النوم فقال له ومن أين لك ما تدعيه من العلم وأنت لست بكاهن ولا منجم فقال لهما * ذلك مما علمني ربي * وجعل ذلك تخليصاً الى أن يذكر لهما التوحيد ويعرض عليهما الايمان ويزينه لهما ويقع لهما الشك بالله تعالى وروى أنه نبى في السجن

والظاهر أن قوله * اني تركت * استئناف اخبار بما هو عليه اذ كان قد أحياه وكفاهه وبحسن أخلاقه ليعامهما ما هو عليه من مخالفة قومهما في تبعاه وفي الحديث لان يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم وعبر بترك مع أنه لم يتشبث بتلك الملة قط اجراء للترك مجرى التجنب من أول حاله واستجلابها لان يترك تلك الملة التي كان فيها والذين لا يؤمنون هم أهل مصر

ونبه على أصليين عظيمين الايمان بالله والايمان بدار الجزاء وكرر لفظة هم على سبيل التوكيد وحسن ذلك الفصل قال الزمخشري وتكريرهم للدلالة على أنهم خصوصا كافرون بالآخرة وأن (٣٠٩) غيرهم مؤمنون بها ولتوكيد كفرهم بالجزاء تنبيها على

ماهم عليه من الظلم والكبائر التي لا يرتكبها الا كافر بدار الجزاء انتهى ليست عندناهم تدل على الخصوص وباقي ألفاظه ألفاظ المعتزلة

﴿ واتبع ملة آباءى ﴾ واتبع ملة آباءى ﴿ لما ذكر أنه رفض ملة أولئك ﴾ ذكر اتباعه ملة آباءه ليرى ما أنه من بيت النبوة بعد أن عرفها أنه نبي بما ذكره من اخباره بالغيوب لتقوى رغبتهما في الاستماع اليه وإيقاع قوله ﴿ ما كان لنا ﴾ ما صح وما استقام لنا عشر الأنبياء ﴿ أن نشرك بالله من شيء ﴾ عموم في الملك والجنى والانسي فكيف بالضم الذي لا يسمع ولا يبصر فشيء يراد به المشركون ويجوز أن يراد به المصدر أى شيء من الاشرار فيعم الاشرار ويلزم عموم متعلقاته ومن زائدة لانها في حيز النفي اذ المعنى ما نشرك بالله شيئا والاشارة بذلك الى شرعهم وملتهم

(الدر)

(ش) وتكريرهم للدلالة على أنهم خصوصا كافرون بالآخرة وان غيرهم مؤمنون بها

ولتوكيد كفرهم بالجزاء تنبيها على ماهم عليه من الظلم والكبائر التي لا يرتكبها الا من هو كافر بدار الجزاء (ح) ليست عندناهم تدل على الخصوص وباقي ألفاظه ألفاظ المعتزلة

واتبع ملة آباءى ابراهيم واسحق ويعقوب ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون ﴿ قال الزمخشري لما استعداه ووصفاه بالا حسان افترض ذلك فوصف يوسف نفسه بما هو فوق علم العلماء وهو الاخبار بالغيب وانه ينبغي ما يحمل اليهما من الطعام في السجن قبل أن يأتيهما ويصفه لهما ويقول اليوم يأتيكما طعام من صفة كيت وكيت فيجدانه كما أخبرهما ويجعل ذلك تخليصا الى أن يذكر لهما التوحيد ويعرض عليهما الايمان ويزينه لهما ويقع لهما الشرك بالله وهذه طريقة على كل ذي علم أن يسلكها مع الجهال والفسقة اذا استفادوا واحد منهم أن يقدم الارشاد والموعظة والنصيحة أولا ويدعوه الى ما هو أولى به وأوجب عليه مما استفتى فيه ثم يفتيه بعد ذلك وفيه ان العالم اذا جهلت منزلته في العلم فوصف نفسه بما هو بصدده وغرضه أن يقتبس منه وينتفع به في الدين لم يكن من باب التركية بتأويله ببيان ماهيته وكيفيته لان ذلك يشبه تفسير المشكل والاعراب عن معارضة انتهى وهذا الذي قاله الزمخشري يدل على ان اتيان الطعام يكون في اليقظة وهو قول ابن جريج قال أراد يوسف لا يأتيكما في اليقظة ترزقانه الانبات كما منه يعلم بما يؤول اليه أمر كما قبل أن يأتيكما فعلى هذا أراد أن يعاينهم أنه يعلم مغيبات لا تتعلق بالرؤيا وهذا على ما روى أنه نبي في السجن ﴿ وقال السدي وابن اسحق لما علم من تعبير منامه رأى الخبز أنها تؤذن بقتله أخذ في غير ذلك الحديث تنسية لها أمر المنام وطعامية في ايمانها ليأخذ المقتول بحظه من الايمان وتسلم له آخرته فقال لهما معلنا بعظيم عاهه للتعبير انه لا يجيء كما طعام في يومك ان كان انكار رزقناه الا اعامت كما بتأويل ذلك الطعام أى بما يؤول اليه أمره في اليقظة قبل أن يظهر ذلك التأويل الذي أعاه كما به فروى انهما قالاه ومن أين لك ما تدعيه من العلم وأنت لست بكاهن ولا منجم فقال لهما ذلك مما عانى ربي والظاهر ان قوله لا يأتيكما الى آخره انه في اليقظة وان قوله مما عانى ربي دليل على انه إذ ذاك كان نبيا يوحى اليه والظاهر أن قوله انى تركت استئناس اخبار بما هو عليه إذ كانا قد أحياه وكفنا بحبه وبحسن أخلاقه ليعاينهما ما هو عليه من مخالفة قورمها فيتعاد وفي الحديث لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم وعبر بتركت مع انه لم يتشبث بملك الملة قط اجراء للترك مجرى التجنب من أول حالة واستجلا بالهما لأن يترك تلك الملة التي كانا فيها ويجوز أن يكون انى تركت تعليلا لما قبله أى علمنى ذلك وأوحى الى لاني رفضت ملة أولئك واتبع ملة الانبياء وهى الملة الخفيفة وهؤلاء الذين لا يؤمنون هم أهل مصر ومن كان الفتيان على دينهم ونبه على أصليين عظيمين وهما الايمان بالله والايمان بدار الجزاء وكررهم على سبيل التوكيد وحسن ذلك الفصل ﴿ وقال الزمخشري وتكريرهم للدلالة على أنهم خصوصا كافرون بالآخرة وان غيرهم مؤمنون بها ولتوكيد كفرهم بالجزاء تنبيها على ماهم عليه من الظلم والكبائر التي لا يرتكبها الا من هو كافر بدار الجزاء انتهى وليست عندناهم تدل على الخصوص وباقي ألفاظه ألفاظ المعتزلة ولما ذكر أنه رفض ملة أولئك ذكر اتباعه ملة آباءه ليرى ما أنه من بيت النبوة بعد أن عرفها أنه نبي بما ذكره من اخباره بالغيوب لتقوى رغبتهما في الاستماع اليه وإيقاع قوله ﴿ وقراء الاشهب العقيلي والكوفيون آباءى باسكان الياء وهى صروية عن أبى عمرو ﴾ ما كان لنا ما صح

﴿ يا صاحبي السجن ﴾ أرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ﴿ لماذا كرم ما هو عليه من الدين الحنيفي تطف في حسن الاستدلال على فساد ما عليه قوم الفئتين من عبادة الاصنام فناداهما باسم الصحبة في المكان الشاق الذي تخلص فيه المودة وتمحض فيه النصيحة واحتمل قوله يا صاحبي السجن أن يكون من باب الاضافة الى الظرف والمعنى يا صاحبي في السجن واحتمل أن يكون من باب اضافة الى شبه المفعول، كأنه قيل ياسا كني (٣١٠) السجن كقوله تعالى أصحاب النار وأصحاب الجنة ثم

أورد الدليل على بطلان مله قومهما بقوله أرباب فبرز ذلك في صورة الاستفهام حتى لا ينفر طباعهم من المفاجأة بالدليل من غير استفهام وهكذا الوجه في محاجة الجاهل أن يؤخذ بدرجة يسيرة من الاحتجاج يقبلها فاذا قبلها لزمته عناد رجة أخرى فوقها ثم كذلك حتى يصل الى الاذعان بالحق وقابل تفرق آباؤهم بالوحداية وجاء بصفة القهار تنبيها على أنه تعالى له هذا الوصف الذي معناه الغلبة والقدرة التامة واعلاما بعمر وأصنامهم عن هذا الوصف الذي لا ينبغي أن يعبد الا المتصف به وهم عالمون بأن تلك الاصنام جاد والمعنى أعبادة أرباب متكاثرة في العدد خير أم عبادة واحد قهار وهو الله تعالى فمن ضرورة العاقل يرى خيرية عبادة الله تعالى ثم استطرده بعد هذا الاستفهام الى الاخبار

ولا استقام لنا معشر الانبياء ان نشرك بالله من شيء عموم في الملك والجنى والانسي فكيف بالضم الذي لا يسمع ولا يبصر فشيئ راد به المشرك ويجوز أن يراد به المصدر أى من شيء من الاشراك فيعم الاشراك ويلزم عموم متعلقاته ومن زائدة لأنها في حيز النفي إذ المعنى ما نشرك بالله شيئا والاشارة بذلك الى شركهم وملتهم أى ذلك الدين والشرع الحنيفي الذي انتفى فيه الاشراك بالله من فضل الله علينا أى على الرسل إذ خصوصاً بأن كانوا سائط بين الله وعباده وعلى الناس أى على المرسل اليهم إذ يساقون به الى النجاة حيث أرشدوهم اليه وقوله لا يشكرون أى لا يشكرون فضل الله فيشركون ولا ينتبهون * وقيل ذلك من فضل الله علينا لأنه نصب لنا الادلة التي ننظر فيها ونستدل بها وقد نصب مثل ذلك لسائر الناس من غير تفاوت ولكن أكثر الناس لا ينظرون ولا يشكرون اتباعا لاهوائهم فيبقون كافرين غير شاكرين ﴿ يا صاحبي السجن ﴾ أرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ما يعبدون من دونه الأسماء سميتوها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان ان الحكم الله أمر أن لا تعبدوا الاياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴿ لماذا كرم ما هو عليه من الدين الحنيفي تطف في حسن الاستدلال على فساد ما عليه قوم الفئتين من عبادة الاصنام فناداهما باسم الصحبة في المكان الشاق الذي تخلص فيه المودة وتمحض فيه النصيحة واحتمل قوله يا صاحبي السجن ان يكون من باب الاضافة الى الظرف والمعنى يا صاحبي في السجن واحتمل أن يكون من اضافة الى شبه المفعول كأنه قيل ياسا كني السجن كقوله أصحاب النار وأصحاب الجنة ثم أورد الدليل على بطلان مله قومهما بقوله أرباب فبرز ذلك في صورة الاستفهام حتى لا تنفر طباعهما من المفاجأة بالدليل من غير استفهام وهكذا الوجه في محاجة الجاهل ان يؤخذ بدرجة يسيرة من الاحتجاج يقبلها فاذا قبلها لزمته عناد رجة أخرى فوقها ثم كذلك الى ان يصل الى الاذعان بالحق وقابل تفرق آباؤهم بالوحاد وجاء بصفة القهار تنبيها على أنه تعالى له هذا الوصف الذي معناه الغلبة والقدرة التامة واعلاما بعمر وأصنامهم عن هذا الوصف الذي لا ينبغي أن يعبد الا المتصف به وهم عالمون بأن تلك الاصنام جاد والمعنى أعبادة أرباب متكاثرة في العدد خير أم عبادة واحد قهار وهو الله فمن ضرورة العاقل يرى خيرية عبادة الله تعالى ثم استطرده بعد هذا الاستفهام الى الاخبار عن حقيقة ما يعبدون والخطاب بقوله ما تعبدون لهما ولقومهما من أهل مصر ومعنى ﴿ الأسماء ﴾ الألفاظ أحدثتوها أنتم وآباؤكم فهي فارغة لا مسميات تحتها وتقدم تفسير مثل هذه الجملة في الأعراف ان الحكم الله أى ليس لكم ولا لأصنامكم حكم ما الحكم في العبادة والدين الا الله ثم بين ما حكم به فقال أمر ان لا تعبدوا الاياه ومعنى القيم الثابت الذي دلت عليه البراهين لا يعامون بجهالاتهم وغلبة الكفر عليهم ﴿ يا صاحبي السجن ﴾ أما أحد كما فيسقى ربه خرا وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه قضى

عن حقيقة ما يعبدون والخطاب بقوله ما تعبدون لهما ولقومهما من أهل مصر ومعنى ﴿ الأسماء ﴾ الألفاظ أحدثتوها أنتم وآباؤكم فهي فارغة لا مسميات تحتها وتقدم تفسير مثل هذه الجملة في الأعراف ان الحكم الله أى ليس لكم ولا لأصنامكم حكم ما الحكم في العبادة والدين الا الله ثم بين ما حكم به فقال أمر أن لا تعبدوا الاياه ومعنى القيم الثابت الذي دلت عليه البراهين لا يعامون بجهالاتهم وغلبة الكفر عليهم ﴿ يا صاحبي السجن ﴾ أما أحد كما فيسقى ربه خرا وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه قضى

قالا مارأينا شيئا وانما تحالما
 لنجر بك فاخبرهما يوسف
 صلى الله عليه وسلم عن غيب
 علمه من قبل الله أن الأمر
 قد قضى ووافق القدرة
 وسواء كان ذلك منك
 حاملا أم تحالما وأفرد الامر
 وان كان أمر هذا غير أمر
 هذا لان المقصود انما هو
 عاقبة أمرهما الذي أدخل به
 السجن وهو اتهام الملك
 بإيهام بسبه فرأيا مارأيا أو
 تحالما بذلك * وقال * أي
 يوسف * للذي ظن * أي
 أيقن هو أي يوسف * أنه
 ناج * هو الساقى والذي
 يظهر أن يوسف صلى الله
 عليه وسلم انما قال لساقى الملك
 * اذ كرنى عند ربك *
 ليتوصل الى هدايته وإيمانه
 بالله كما توصل الى ايضاح
 الحق للساقى ورفيقه
 والضمير في فأنساه عائد
 على الساقى ومعنى ذكر
 ربه أي ذكر يوسف لربه
 والاضافة تكون بأدنى
 ملائسة وإنشاء الشيطان
 له بما يوسوس اليه من
 اشتغاله حتى يذهل عما قال
 له يوسف لما أراد الله بيوسف
 من اجزال أجره بطول
 مقامه في السجن و * بضع
 سنين * مجمل ف قيل سبع
 وقيل اثنا عشر والظاهر

الأمر الذي فيه تستفتيان * وقال للذي ظن أنه ناج منهما اذ كرنى عند ربك فأنساه الشيطان ذكر
 ربه فلبث في السجن بضع سنين * لما ألقى اليهما ما كان أهم وهو أمر الدين رجاء في إيمانهم ناداهما
 ثانيا لتجتمع أنفسهما السماع الجواب فروى انه قال لبنو أم أنت فتعود الى مرتبتك وسقاية ربك وما
 رأيت من الكرامة وحسنها هو الملك وحسن حاله عنده وأما القضيان الثلاثة فانها ثلاثة أيام
 تمضي في السجن ثم تخرج وتعود الى ما كنت عليه * وقال للمحب أم أنت فإريت من السلالة ثلاثة
 أيام ثم تخرج فتصلب فروى انهما قالا مارأينا شيئا وانما تحالما لنجر بك * وروى انه لم يقل ذلك الا
 الذي حدثه بالصلب * وروى انهما رأيا ثم أنكر * وقرأ الجمهور فيسقى ربه من سقى وفرقة فيسقى
 من أسقى وهما الغتان بمعنى واحد * وقرئ في السبعة نسقيكم ونسقيكم * وقال صاحب اللوامح
 سقى وأسقى بمعنى واحد في اللغة والمعروف ان سقاه ناوله ليشرب وأسقاه جعل له سقيا ونسب ضم
 الفاء لعكرمة والجحدرى ومعنى ربه سيده * وقال ابن عطية وقرأ عكرمة والجحدرى فيسقى ربه
 خرابضم الياء وفتح القاف أي ما يرويه * وقال الزمخشري وقرأ عكرمة فيسقى ربه فيسقى ما يروى به
 على البناء للمفعول ثم أخبرهما يوسف عليه السلام عن غيب علمه من قبل الله ان الامر قد قضى
 ووافق القدر وسواء كان ذلك منك حالم أو تحالم وأفرد الامر وان كان أمر هذا لأن المقصود انما هو
 عاقبة أمرهما الذي أدخل به السجن وهو اتهام الملك إيهام بسبه فرأيا مارأيا أو تحالما بذلك فقضيت
 وأمضيت تلك العاقبة من نجاة أحدهما وهلاك الآخر * وقال أي يوسف للذي ظن أي أيقن هو أي
 يوسف انه ناج وهو الساقى ويحتمل أن يكون ظن على بابه والضمير عائد على الذي وهو الساقى أي
 لما أخبره يوسف بما أخبره ترجع عنده أنه ينجو ويبعد أن يكون الظن على بابه ويكون مسندا الى
 يوسف على ما ذهب اليه قتادة والزمخشري * قال قتادة الظن هنا على بابه لأن عبارة الرؤيا ظن
 * وقال الزمخشري الظان هو يوسف عليه السلام ان كان تأويله بطريق الاجتهاد فيبعد لأن قوله
 قضى الامر فيه تحتم ما جرى به القدر وامضاؤه فيظهر ان ذلك بطريق الوحي الآن حل قضى الامر
 على قضى كلامي وقلت ما عندي فيجوز أن يعود على يوسف فالمعنى أن يوسف عليه السلام قال
 لساقى الملك حين علم انه سيعود الى حالته الأولى مع الملك اذ كرنى عند الملك أي بعلمي ومكانتي وما أنا
 عليه مما آتاني الله أو اذ كرنى بمظلمتي وما امتحنت به بغير حق وهذا من يوسف على سبيل الاستعانة
 والتعاون في تفريج كربته وجعله باذن الله وتقديره سببا للخلاص كما جاء عن عيسى عليه السلام من
 انصاري الى الله وكما كان الرسول يطلب من يحرسه والذي اختاره أن يوسف انما قال لساقى الملك
 اذ كرنى عند ربك ليتوصل الى هدايته وإيمانه بالله كما توصل الى ايضاح الحق للساقى ورفيقه
 والضمير في فأنساه عائد على الساقى ومعنى ذكر ربه ذكر يوسف لربه والاضافة تكون بأدنى
 ملائسة وإنشاء الشيطان له بما يوسوس اليه من اشتغاله حتى يذهل عما قال له يوسف لما أراد الله
 بيوسف من اجزال أجره بطول مقامه في السجن و بضع سنين مجمل * ف قيل سبع * وقيل اثنا
 عشر والظاهر أن قوله فلبث في السجن اخبار عن مدة مقامه في السجن منذ سجن الى أن أخرج *
 وقيل هذا اللبث هو ما بعد خروج الفتيين وذلك سبع * وقيل سنتان * وقيل الضمير في
 انساه عائد على يوسف ورتبوا على ذلك اخبارا لاتليق نسبتها الى الانبياء عليهم الصلاة والسلام

أن قوله فلبث في السجن اخبار عن مدة مقامه في السجن منذ سجن الى أن أخرج

﴿وقال الملك انى أرى سبع بقرات﴾ الآية لمادنا فرج يوسف (٣١٢) صلى الله عليه وسلم رأى ملك مصر الريان بن الوليد

رؤيا عجيبة هالته فرأى
سبع بقرات سمان خرجن
من نهر يابس وسبع
بقرات عجاف فابتلعت
العجاف السمان ورأى
سبع سنبلات خضر قد
انعدت حبا وسبعاً آخر
يابسات قد استحصدت
وأدركت فالتوت اليابسات
على الخضر حتى غلبن عليها
فلم يجد في قومه من يحسن
عبارتها أرى يعنى في منامه
ودل على ذلك أفتونى
في رؤياى وأرى حكاية
حال فلذلك جاء بالمضارع
دون رأيت وجاء لفظ بقرات
وسنبلات مجعوجا جمع سلامة
في المؤنث لانه موضوع
في القلة فناسب لفظ سبع
وللرؤيا مفعول تعبرون
قوى تعدى الفعل باللام
لتأخره فتقول زيدا
ضربت ولزيد ضربت
فلو تأخر المفعول عن
الفعل لم يجئ باللام الا
قليلا كقول الشاعر
فاما أن نوافقنا قليلا *
أنخنا للكل كل فارمينا
يريد أنخنا الكلا كل
وأضغاث خبر مبتدأ محذوف
تقديره هي أى تلك الرؤيا
أضغاث أحلام والأضغاث
جمع ضغت أى تخالط أحلام

﴿وقال الملك انى أرى سبع بقرات سمان﴾ كلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وآخر يابسات
يا أيها الملا أفتونى في رؤياى ان كنتم للرؤيا تعبرون * قالوا أضغاث أحلام وما نحن بتأويل
الأحلام بعالمين ﴿لمادنا فرج يوسف عليه السلام رأى ملك مصر الريان بن الوليد رؤيا عجيبة هالته
فرأى سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وسبع بقرات عجاف فابتلعت العجاف السمان ورأى
سبع سنبلات خضر قد انعدت حبا وسبعاً آخر يابسات قد استحصدت وأدركت فالتوت اليابسات
على الخضر حتى غلبن عليها فلم يجد في قومه من يحسن عبارتها أرى يعنى في منامه ودل على ذلك
أفتونى في رؤياى وأرى حكاية حال فلذلك جاء بالمضارع دون رأيت وسمان صفة لقوله بقرات
ميز العدد بنوع من البقرات وهى السمان منهن لا يحسنهن ولو نصب صفة لسبع لكان التمييز
بالجنس لا بالنوع ولا يلزم من وصف البقرات بالسمان وصف السبع به ولا يلزم من وصف السبع به
وصف الجنس به لانه يصير المعنى سبعاً من البقرات سماناً ولفظ سبع عند ثلاث رجال كرام
وثلاثة رجال كرام لان المعنى في الاول ثلاثة من الرجال الكرام فيلزم كرم الثلاثة لانهم بعض من
الرجال الكرام والمعنى في الثانى ثلاثة من الرجال كرام فلا يدل على وصف الرجال بالكرم ولم
يضاف سبع الى عجاف لان اسم العدد لا يضاف الى الصفة الا فى الشعر انما تتبعه الصفة وثلاثة فرسان
وخسة أصحاب من الصفات التى أجريت مجرى الاسماء ودل قوله سبع بقرات على ان السبع
العجاف بقرات كانه قيل سبع بقرات عجاف أو بقرات سبع عجاف وجاء جمع عجاف على عجاف
وقياسه عجب كخضراء أو خضر حملا على سمان لانه نقيضه وقد يحمل النقيض على النقيض كما يحمل
النظير على النظير والتقسيم فى البقرات يقتضى التقسيم فى السنبلات فيكون قد حذف اسم
العدد من قوله وآخر يابسات لدلالة قسميه وما قبله عليه فيكون التقدير وسبعاً آخر يابسات
ولا يصح أن يكون وآخر مجرور اعطفا على سنبلات خضر لانه من حيث العطف عليه كان من جملة
ميز سبع ومن جهة كونه آخر كان مبينا للسبع فتدافعاً بخلاف ان لو كان التركيب سبع سنبلات
خضر ويابسات فانه كان يصح العطف ويكون من توزيع السنبلات الى خضر ويابسات
والملا أشرف دولته وأعيانهم الذين يحضرون عند الملك * وقرأ أبو جعفر بالادغام فى الرؤيا
وبابه بعد قلب الهزمة واواثم قلبها ياء لا اجتماع الواو والياء وقد سبقت احدهما بالسكون ونصوا على
شدوده لان الواو هى بدل غير لازم واللام فى الرؤيا مقوية لوصول الفعل الى مفعوله اذا تقدم عليه
فلو تأخر لم يحسن ذلك بخلاف اسم الفاعل فانه لضعفه قد تقوى بها فتقول زيد ضارب لعمر ووصيحا
والظاهر ان خبر كنتم هو قوله تعبرون * وأجاز الزمخشري فيه وجوها متكافئة أحدها أن
تكون الرؤيا للبيان قال كقوله وكانوا فيه من الزاهدين فتعلق بمحذوف تقديره أعنى فيه وكذلك
تقدير هذا ان كنتم أعنى الرؤيا تعبرون ويكون مفعول تعبرون محذوف تقديره تعبرونها * والثانى
أن تكون الرؤيا خبر كان قال كما تقول كان فلان لهذا الامر اذا كان مستقبلا به متكنا منه
وتعبرون خبرا آخر أو حالا * والثالث أن يضمن تعبرون معنى فعل يتعدى باللام كانه قيل ان كنتم
تتدبون لعبارة الرؤيا أو عبارة الرؤيا مأخوذة من عبر النهر اذا جازه من شط الى شط فكان عابر
الرؤيا ينتهى الى آخر تأويلها وعبر الرؤيا بتخفيف الباء ثلاثيا وهو المشهور وأنكر بعضهم

وهو ما يكون من حديث النفس أو وسوسة الشيطان أو مزاج الانسان وأصله اخلاط النبات استعير للأحلام وجمعوا الأحلام
وان كانت رؤياه واحدة اما باعتبار متعلقاتها اذهى أشياء ونفخوا عن أنفسهم العلم بتأويل الأحلام أى لسانهم أهل تعبیر الرؤيا

التشديد وأنشد المبرد في الكامل قول الشاعر

رأيت رؤيا ثم عبرتها * وكنت للاحلام عبارا

وأضغاث جمع ضغت أى تخالط أحلام وهى ما يكون من حديث النفس أو وسوسة الشيطان أو مزاج الانسان وأصله اخلاط النبات استعير للاحلام وجعوا الاحلام وان رؤياه واحدة اما باعتبار متعلقاتها اذ هى أشياء واما باعتبار جواز ذلك كما تقول فلان يركب الخيل وان لم يركب الا فرسا واحدا تعلقا بالجنس واما بكونه قص عليهم مع هذه الرؤيا غير ها والاحلام جمع حلم وأضغاث خبر مبتدأ محذوف أى هى أضغاث أحلام والظاهر أنهم نفوا عن أنفسهم العلم بتأويل الاحلام أى لسنا من أهل تعبیر الرؤيا ويجوز أن تكون الاحلام المنفى عامها أرادوا بها الموصوفة بالتخليط والاباطيل أى وما نحن بتأويل الاحلام اننى هى أضغاث بعالمين أى لا يتعلق علم لنا بتأويل تلك لانه لا تأويل لها انما التأويل للنمام الصحيح فلا يكون فى ذلك نفي للعلم بتأويل النمام الصحيح ولا تصور عامهم والباء فى تأويل متعلقة بقوله بعالمين * وقال الذى نجاهم ما وادّكر بعد أمة أنا نبشكم بتأويله فأرسلون * يوسف أيها الصديق أفتنا فى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وآخر يابسات لعلى أرجع الى الناس لعلهم يعلمون * قال تزرعون سبع سنين دأبا فاحصدتم فذروه فى سنبله الا قليلا مما تأكلون ثم يأتى من بعد ذلك سبع شداديا كلن ما قدمتم لهن الا قليلا مما تحصنون * ثم يأتى من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون * وقال الملك ائتوني به فاه اجاءه الرسول قال ارجع الى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن ان ربي بكيدهن عليم * قال ما خطبك كن اذ راودتني يوسف عن نفسه قلن حاش لله ما عايناه عليه من سوء قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين * ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب وأن الله لا يهدى كيدا الخائنين * وما أبرئ نفسي ان النفس لأماراة بالسوء الا ما رحم ربي ان ربي غفور رحيم * وقال الملك ائتوني به أستخلصه لنفسي فاما كلمه قال انك اليوم لدينا مكين أمين * قال اجعلني على خزائن الأرض انى حفظ عليم * وكذلك مكنا ليوسف فى الأرض يتبوأمنها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين * ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون * وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون * ولما جهزهم بجهازهم قال ائتوني بأخ لكم من أبيكم ألا ترون أنى أوفى الكيل وأنا خير المنزلين * فان لم تأتوني به فلا كيل لكم عندى ولا تقربون * قالوا سنراود عنه أباه وانالفاعلون * وقال لفتياناه اجمعوا بضاعتهم فى رحالهم لعلهم يعرفونها اذا انقلبوا الى أهلهم لعلهم يرجعون * فاما ما رجعوا الى أبيهم قالوا يا أبانا منع منا الكيل فأرسل معنا أخانا نكتل واناله لحافظون * قال هل آمنكم عليه الا كما آمنكم على أخيه من قبل فالتة خير حافظا وهو أرحم الراحمين * ولما فتحو امتاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم قالوا يا أبانا ما نبغى هذه بضاعتنا ردت الينا ونغير أهلنا ونحفظ أخانا ونزداد كيل بعير ذلك كيل يسير * أمه يأمه أمها وأمها نسي * يغاث يحتمل أن يكون من الغوث وهو الفرج يقال أغاثهم الله فرج عنهم ويحتمل أن يكون من الغيث تقول غيثت البلاد اذا أمطرت ومنه قول الاعرابية * غثنا ما شئنا * الخطب الشأن والامر الذى فيه خطر ويجمع على خطوب قال

وما المرء مادامت حشاشة نفسه * بمدرك أطراف الخطوب ولا آل

حصحص تبين بعد الخفاء قاله الخليل * وقيل مأخوذ من الحصاة حصحص الحق بانته حصته من

﴿ وقال الذي نجا منهما ﴾ أي تذكر ما سبق له مع يوسف ﴿ بعد أمة ﴾ أي مدة طويلة والجملة من قوله وادكر حالته وأصله
اذتكر أبدلت التاء دالا وأدغمت الدال فيها فصار اذكر ﴿ أنا أنبئكم بتأويله ﴾ أي أخبركم عن عنده علمه ﴿ فأرسلون ﴾
أي ابعثوني وفي الكلام حذف تقديره فأرسلوه (٣١٤) إلى يوسف فأتاه فقص عليه رؤيا الملك قال تزرعون إلى آخره

حصه الباطل ﴿ وقيل ثبت واستقر ويكون متعديا من حصص البعير ألقى ثفثاته للناخه قال
﴿ حصص في صم الصفائف ثفثاته ﴾ الجهاز ما يحتاج اليه المسافر من زاد ومتاع وكل ما يحمل وجهاز
العروس ما يكون معها من الاثاث والشورة وجهاز الميت ما يحتاج اليه في دفنه ﴿ الرحل ما على ظهر
المركوب من متاع الراكب أو غيره وجعه حال في السكثرة وأرحل في القلة ﴾ ماريم وأماريم
إذا جلب الخير وهي الميرة قال

بعثك ما رأيت فكنت حولا ﴿ متى يأتي غياثك من نغيث

البعير في الاشهر الجمل مقابل الناقة وقد يطلق على الناقة كما يطلق على الجمل فيقول على هذا نعم
البعير الجمل لعمومه ويمتنع على الأشهر لترادفه وفي لغة تكسر باؤه ويجمع في القلة على أبعرة وفي
السكثرة على بعيران ﴿ وقال الذي نجا منهما وادكر بعد أمة أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون يوسف
أيها الصديق أفتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وآخر بابسات
لعلني أرجع إلى الناس لعلهم يعلمون ﴾ قال تزرعون سبع سنين دأبأ فاحصدتم قدروه في سنبله الا
قليلا مماتاً كلون ﴿ ثم يأتي من بعد ذلك سبع شدادياً كان ما قدمتم له الا قليلا منكم تحصنون ﴾ ثم
يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون ﴿ لما استثنى الملك في رؤياه وأعضل على الملا
تأويلها ندكر الناجي من القتل وهو ساقى الملك يوسف وتأويل رؤياه ورؤيا صاحبه وطلبه
اليه ليندكره عند الملك وادكر أي تذكر ما سبق له مع يوسف بعد أمة أي مدة طويلة والجملة من قوله
وادكر حالته وأصله واذتكر أبدلت التاء دالا وأدغمت الدال فيها فصار اذكر وهي قراءة الجمهور ﴿
وقرأ الحسن وادكر بابدال التاء ذالا وادغام الدال فيها ﴾ وقرأ الاشهب العقيلي بعد أمة بكسر
الهمزة أي بعد نعمة أنعم عليه بالنجاة من القتل ﴿ وقال ابن عطية بعد نعمة أنعم الله بها على
يوسف في تقريب اطلاقه والامنة النعمة قال

ألا أرى ذا إمة أصبحت به ﴿ فمتركه الأيام وهي كاهيا

﴿ قال الاعلم الامنة النعمة والخال الحسنة ﴾ وقرأ ابن عباس وزيد بن علي والضحاك وقتادة وأبو
رجاء وشبيل بن عزرة الضبي وربيعة بن عمرو بعد أمة بفتح الهمزة والميم مخففة وهاء وكذلك قرأ ابن
عمرو ومجاهد وعكرمة واختلف عنهم ﴿ وقرأ عكرمة وأيضاً مجاهد وشبيل بن عزرة بعد أمة بسكون
الميم مصدر أمة على غير قياس ﴾ وقال الزمخشري ومن قرأ بسكون الميم فقد أخطأ انتهى وهذا على
عادته في نسبه الخطأ إلى القراء ﴿ أنا أنبئكم بتأويله أي أخبركم به عن عنده علمه لا من جهتي ﴾ وقرأ
الحسن أنا أنبئكم مضارع أتى من الاتيان وكذا في الامام وفي مصحف أبي فأرسلون أي ابعثوني اليه
لأسأله ومروني باستعباره استأذن في المضى إلى يوسف ﴿ فقال ابن عباس كان في السجن في غير

تضمن هذا الكلام من
يوسف عليه السلام ثلاثة
أنواع من القول أحدهما
تعبير بالمعنى لا باللفظ الثاني
عرض رأي وأمر به وهو
قوله فذروه في سنبله
والثالث الاعلام بالغيب
في أمر العام الثامن
والظاهر أن قوله تزرعون
سبع سنين دأبا خبر أخبر
أنهم تتوالى لهم هذه
السنون السبع لا ينقطع
فيها زرعهم للرى الذي
يوجد ﴿ قدروه في سنبله ﴾
إشارة برأي نافع بحسب
طعام مصر وخطتها التي
لا تبقى عامين بوجه الإجملة
إبقائها في السنبيل فإذا
بقيت فيها انحفظت والمعنى
اتركوا الزرع في السنبيل
الا ما لا غنى عنه للراكل
فيجمع الطعام ويتركب
ويؤكل الاقدم فالأقدم
فإذا جاءت السنون الجديدة
تقوت الاقدم فالأقدم
من ذلك المدخر وحذف
المميز في قوله سبع شداد
أي سبع سنين شداد

لدلالة قوله سبع سنين عليه وأسند الاكل اليه في قوله يأكلهن سبع سنين المجاز من حيث انه يؤكل فيها كما قال تعالى والنهار
مبصر او معنى تحصنون تحرزون وتخبنون مأخوذ من الحصن وهو الحرز والمليء وقرىء دأبأ بفتح الهمزة وسكونها وما شرطية
وجوابه فذروه قال ابن عباس ﴿ يغاث ﴾ من الغيث وقيل من الغوث وهو الفرج ففي الاول بيني من ثلاثي وفي الثاني من
رباعي تقول غاثنا الله من الغيث وأغاثنا من الغوث وقرىء تعصرون بالتاء على الخطاب وقرىء بالياء على الغيبة والجمهور
على انه من عصر النبات كالعنب والقصب والزيتون والسهم والفجل وجميع ما يعصر ومصر بلد عسير لأشياء كثيرة وفي الكلام

حذف تقديره فأتى المستقنى يوسف الى الملك وأخبره بفتيا (٣١٥) يوسف صلى الله عليه وسلم فقال الملك ائتوني به فاجاء الرسول

يوسف قال له ارجع الى ربك وهو الملك فسنله ما بال النسوة ليعلم الملك براءة يوسف صلى الله عليه وسلم مما نسب اليه فأحضر الملك النسوة وقال الملك ما خطبكن ومن كرم يوسف صلى الله عليه وسلم أنه سكت عن زوج العزيز مع ما صنعت به ودسبت فيه من السجن والعذاب (الدر)

(ش) تزرعون خبر في معنى الأمر كقوله تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون وإنما يخرج الأمر في صورة الخبر للبالغة في إيجاب انجاز الأمور به فيجعل كأنه قد وجد فهو يخبر عنه والدليل على كونه في معنى الأمر قوله قدره في سنبله انتهى (ح) لا يدل الأمر بتركه في سنبله على أن تزرعون في معنى ازرعوا بل تزرعون اخبار غيب عما يكون منهم من تولى الزرع سبع سنين وأما قوله قدره فهو أمر إشارة بما ينبغي أن يفعلوه قال جامع الذي أراده (ش) أنهم أمروا بترك المحسود في سنبله ولا يمكن ذلك إلا بالزرع فكانهم أمروا بالزرع

مدينة الملك * وقيل كان فيها ويرسم الناس اليوم سجن يوسف في موضع على النيل بينه وبين الفسطاط ثمانية أميال وفي الكلام حذف التقدير فأرسلوه الى يوسف فأتاه فقال والصديق بناء مبالغة كالشريب والسكير وكان قد صحبه زمانا وجرب صدقه في غير مائتي كتأويل رؤياه ورؤيا صاحبه وقوله لعلي أرجع الى الناس أي بتفه سير هذه الرؤيا واختار بلفظة لعلي لأنه ليس على يقين من الرجوع اليهم إذ من الجائز أن يحترم دون بلوغه اليهم وقوله لعلمهم يعلمون كالتعليل لرجوعه اليهم بتأويل الرؤيا * وقيل لعلمهم يعلمون فضلك ومكانك من العلم فيطلبونك ويخاضونك من محنتك فتكون لعلي كالتعليل لقوله أفتناب * قال تزرعون الى آخره تضمن هذا الكلام من يوسف ثلاثة أنواع من القول * أحدها تعبير بالمعنى لا باللفظ * والثاني عرض رأى وأمر به وهو قوله قدره في سنبله * والثالث الاعلام بالغيب في أمر العام الثامن قاله فتادة * قال ابن عطية ويحتمل هذا أن لا يكون غيبا بل علم العبارة أعطى انقطاع الخوف بعد سبع ومعلوم أنه الأخصب انتهى والظاهر أن قوله تزرعون سبع سنين دأبا خبر أخبر أنهم تتوالى لهم هذه السنين السبع لا ينقطع فيها زرعهم للرؤيا الذي يوجد * وقال الزمخشري تزرعون خبر في معنى الأمر كقوله تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون وإنما يخرج الأمر في صورة الخبر للبالغة في إيجاب انجاز الأمور به فيجعل كأنه وجد فهو يخبر عنه والدليل على كونه في معنى الأمن قوله قدره في سنبله انتهى ولا يدل الأمر بتركه في سنبله على أن تزرعون في معنى ازرعوا بل تزرعون اخبار غيب بما يكون منهم من تولى الزرع سبع سنين وأما قوله قدره فهو أمر إشارة بما ينبغي أن يفعلوه ومعنى دأبا ملازمة كعادتكم في المزارعة * وقرأ حفص دأبا بفتح الهمة والجمهور بإسكانها وهما مصدران لدأب وانتصابه بفعل محذوف من لفظة أي تدأبون دأبا فهو منصوب على المصدر وعند المبرد تزرعون بمعنى تدأبون وهي عنده مثل قعد القرفصاء * وقيل مصدر في موضع الحال أي دأبين أو ذوى دأب حالا من ضمير تزرعون وما في قوله فاحصم شرطية أو موصولة بذروه في سنبله إشارة برأى نافع بحسب طعام مصر وحنطتها التي لا تبقى عامين بوجه الأبحيلة إبقائها في السنبل فإذا بقيت فيها انحفظت والمعنى اتركوا الزرع في السنبل إلا ما لا غنى عنه للكل فيجتمع الطعام ويتركب ويؤكل كل الأقدم فالأقدم فإذا جاءت السنين الجديدة تقوت الأقدم فالأقدم من ذلك المدخر * وقرأ السامى مما ياء كلون بالياء على الغيبة أي ياء كل الناس وحذف المميز في قوله سبع شداد أي سبع سنين شداد لدلالة قوله سبع سنين عليه وأسند الأكل الذي في قوله ياء كل على سبيل المجاز من حيث أنه يؤكل فيهما كما قال والنهار مبصرا ومعنى تحصنون تحرزون وتخبئون مأخوذ من الحصن وهو الخرز والملجأ * وقال ابن عباس ومجاهد والجمهور يغاث من الغيث * وقيل من الغوث وهو الفرج ففي الأول بنى من ثلاثي وفي الثاني من رباعي تقول غائنا الله من الغيث وأغائنا من الغوث * وقرأ الاخوان تعصرون بالياء على الخطاب وباقي السبعة بالياء على الغيبة والجمهور على انه من عصر النبات كالعنب والقصب والزيتون والسهم والفجل وجميع ما يعصر ومصر بادعصير لا شياء كثيرة والحاب منه لأنه عصر للضروع وروى أنهم لم يعصروا شيئا مدة الجذب * وقال أبو عبيدة وغيره مأخوذ من العصرة والعصر وهو المنجى ومنه قول أبي زيد في عثمان رضى الله عنه

صا ديا يستغيث غير مغاث * ولقد كان عصره المنجود

عظيم لا يعمله إلا الله لبعده غوره واستشهاده بعلم الله تعالى على أنهن كدنه وأنه برى مما قدفى به فالضمير فى بكيدهن عائد على النسوة المذكورات لا للجنس لأنها حالة توقيف على ذنب وجاء النسوة بالالف واللام للعهد فى قوله وقال نسوة كما قال تعالى فأرسلنا إلى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول ﴿ قال ما خطبكن ﴾ فى الكلام حذف تقديره فرجع إليه الرسول فاخبره بما قال يوسف فجمع الملك النسوة وامرأة العزيز وقال لهن ما خطبكن وهذا استدعاء منه أن يعامنه بالقصة ونزه جانب يوسف بقوله ﴿ إذا رآه رأتين يوسف عن نفسه ﴾ ومراودتهن له فوهن له أطع مولاتك فأجاب النسوة بحجاب جيد تظهر منه براءة أنفسهن جملة وتنزيه يوسف بقوله ﴿ ما علمنا عليه من سوء ﴾ فلما سمعت امرأة العزيز مقالتهن فى براءة يوسف أقرت بأعظم ما أقررن به إذ كانت هى من أقوى سبب فيما جرى من المراودة ومن سجن يوسف ﴿ قالت الآن حصص الحق ﴾

فالغنى ينجون بالعصرة ﴿ وقرأ جعفر بن محمد والاعرج وعيسى البصرة يعصرون بضم الياء وفتح الصاد مبنيا للمفعول وعن عيسى أيضا تعصرون بالتاء على الخطاب مبنيا للمفعول ومعناه ينجون من عصره إذا أتجأه وهو مناسب لقوله يغاث الناس ﴿ وقال ابن المستنير معناه يطررون من أعصرت السحابة ماءها عليهم فجعلوا معصرين مجازا باسناد ذلك اليهم وهو الماء الذى يطررون به ﴿ وحكى النقاش أنه قرئ يعصرون بضم الياء وكسر الصاد وشدها من عصر مشددا للتكثير ﴿ وقرأ زيد بن علي وفيه تعصرون بكسر التاء والعين والصاد وشدها وأصله تعصرون فادغم التاء فى الصاد ونقل حركتها إلى العين واتبع حركة التاء لحركة العين واحتمل أن يكون من اعتصر العنب ونحوه ومن اعتصر بمعنى نجى قال الشاعر

لو بغير الماء خلق شرق ﴿ كنت كالغصان بالماء اعتصارى

أى نجأتى لأول يوسف عليه السلام البقرات السمان والسنبلات الخضر بسنين مخصبة والعجاف واليابسات بسنين مجربة ثم بشرهم بعد الفراغ من تأويل الرؤيا بمجيء العام الثامن مباركاً خصيباً كثير الخير غزير النعم وذلك من جهة الوحى وعن قتادة زاده الله علم سنة والذى من جهة الوحى هو التفضيل بحال العام بأنه فيه يغاث الناس وفيه يعصرون والافعلوم بانتهاء السبع الشداد مجيىء الخصب ﴿ وقال الملك ائتوني به فلما جاءه الرسول قال ارجع إلى ربك فأسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن إن ربي بكيدهن علم ﴿ قال ما خطبكن إذا رآه رأتين يوسف عن نفسه قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء قالت امرأة العزيز الآن حصص الحق أنا رآه عن نفسه وإنه لمن الصادقين ﴿ فى الكلام حذف تقديره فحفظ الرسول ما أول به يوسف الرؤيا وجاء إلى الملك ومن أرسله وأخبرهم بذلك وقال الملك ﴿ وقال ابن عطية فى تضايف هذه الآيات محذوفات يعطيهما ظاهر الكلام ويدل عليها والمعنى فرجع الرسول إلى الملك ومن مع الملك فنص عليهم مقالة يوسف فرأى الملك وحاضره نبيل التعبير وحسن الرأى وتضمن الغيب فى أمر العام الثامن مع ما وصف به الرسول من الصدق فى المنام المتقدم فعظم يوسف فى نفس الملك وقال ائتوني به فلما وصل الرسول فى إخراجه إليه وقال إن الملك قد أمر بان يخرج إليه قال له ارجع إلى ربك أى إلى الملك وقل له ما بال النسوة ومقصد يوسف عليه السلام إنما كان وقل له يستقصى عن ذنبى وينظر فى أمرى هل سجنحت بحق أو بظلم وكان هذا الفعل من يوسف اناء وصبراً وطلباً لبراءة الساحة وذلك أنه فيما روى خشى أن يخرج وينال من الملك مرتبة ويسكت عن أمر دينه صفحا فيراه الناس بملك العين أبداً ويقولون هذا الذى راود امرأة مولاه فأراد يوسف عليه السلام أن يبين براءته ويتحقق منزلته من العفة والخير وحينئذ يخرج للاخطاء والمنزلة ﴿ وقال الزمخشري انما تأتى وتثبت فى اجابة الملك وقدم سؤال النسوة لتظهر براءة ساحته عما فرق به وسجن فيه لئلا يتسلى به الحاسدون إلى تقبيح أمره عنده ويجعلوه ساءاً إلى حط منزلته لديه ولئلا يقولوا ما خلد فى السجن سبع سنين إلا امر عظيم وجرم كبير حق به أن يسجن ويعذب ويكشف سره وفيه دليل على أن الاجتهاد فى نفي التهم واجبة وجوب ابقاء الوقوف فى مواقفها قال عليه السلام من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقفن مواقف التهم انتهى ولاجل هذا كان الزمخشري وكان مقطوع الرجل قد أثبت على القضاة أن رجله لم تقطع فى خيانة ولا فساد وكان يظهر ذلك المكتوب فى كل بلد دخله خوفاً من تهمة السوء وانما قال سل الملك عن

شأن النسوة ولم يقل سله أن يفتش عنهن لأن السؤال مما يهيج الإنسان ويحركه للبعث عنا مثل عنه
 فأراد أن يورد عليه السؤال ليحجرى التفتيش عن حقيقة القصة وقص الحديث حتى يتبين له براءته
 بيانا مكشوفاً يميز فيه الحق من الباطل ومن كرم يوسف عليه السلام أنه لم يذ كر زوج العزيز مع
 ما صنعت به وتثبت فيه من السجن والعذاب واقتصر على ذكر المقطعات الأيدي * وقرأ أبو حيوة
 وأبو بكر عن عاصم في رواية النسوة بضم النون وقرأت فرقة اللآي بالياء وكلاهما جمع التي ان ربي
 أي ان الله بكيدهن عليم أراد أن يكيدهن عظيم لا يعلمه الا الله لبعده عوده واستشهاده بعلم الله على انهن
 كدنه وأنه برى بما قدفى به أو أراد الوعيد لهن أو هو عليم بكيدهن فيجازين عليه * وقال ابن
 عطية ويحتمل أن يريد بالرب العزيز مولاه ففي ذلك استشهاد به وتقرير وما ذكره ابن عطية من
 هذا الاحتمال لا يسوغ والضمير في بكيدهن عائده على النسوة المذكورات لا للجنس لانها حالة
 توقيف على ذنب قال ما خطبكن في الكلام حذف تقديره فرجع الرسول فاخبره بما قال يوسف
 فجمع الملك النسوة وامرأة العزيز وقال لمن ما خطبكن وهذا استدعاء منه أن يعامنه بالقصة ونزه
 جانب يوسف بقوله اذ راودتن يوسف عن نفسه ومر اودتن له قولهن ليوسف أطع مولاتك * وقال
 الزمخشري هل وجدت منهن ميل لكن قلن حاش لله تعجبنا من عفته وذها به بنفسه عن شيء من الريبة
 ومن نزاعته عنها * وقال ابن عطية أجاب النساء بجواب جيد تظهر منه براءة أنفسهن جملة وأعطين
 يوسف بعض براءة وذلك ان الملك لما قرر عن انهن راودنه قلن جوابا عن ذلك حاش لله ويحتمل أن
 يكون قولهن حاش لله في جهة يوسف عليه السلام وقولهن ما علمنا عليه من سوء ليس ببراء تام وإنما
 كان البراء التام وصف القصة على وجهها حتى يتقرر الخطأ في جهتهن فله سمعت امرأة العزيز
 مقاتلن وحيدتهن عن الوقوع في الخزي قالت الآن حصص الحق وقرى حصص على البناء
 للمفعول أقرت على نفسها بالمر اودة والتزمت الذنب وأبرأت يوسف البراءة التامة * ذلك ليعلم اني لم
 أخنه بالغيب وان الله لا يهدي كيد الخائنين * وما أبرى نفسي ان النفس لأماره بالسوء الامارحم
 ربي ان ربي غفور رحيم * الظاهر أن هذا من كلام امرأة العزيز وهو داخل تحت قوله قالت
 والمعنى ذلك الاقرار والاعتراف بالحق ليعلم يوسف اني لم أخنه في عيبيته والذب عنه وأرميه بذب
 هو منه برى ثم اعترت عما وقعت فيه مما يقع فيه البشر من الشهوات بقولها وما أبرى نفسي
 والنفوس مائلة الى الشهوات اماره بالسوء * وقال الزمخشري وما أبرى نفسي مع ذلك من الخيانة
 فاني قد خنته حين قدفته وقلت ماجزاء من أراد بأهلك سوءا الا أن يسجن وأودعته السجن تريد
 الاعتذار لما كان منها ان كل نفس لأماره بالسوء الانفسارحها الله بالعصاة ان ربي غفور رحيم
 استغفرت ربه واسترحمته مما ارتكبت ومن ذهب الى أن قوله ذلك ليعلم الى آخره من كلام يوسف
 يحتاج الى تكافؤ بينه وبين ما قبله ولا دليل يدل على أنه من كلام يوسف فقال ابن جريج في
 الكلام تقديم وتأخير وهذا الكلام متصل بقول يوسف ان ربي بكيدهن عليم وعلى هذا فلا إشارة
 بقوله ذلك الى القائه في السجن والتماسه البراءة أي هذا ليعلم سيدي اني لم أخنه وقال بعضهم انما قال
 يوسف هذه المقالة حين قالت امرأة العزيز كلامها الى قولها وانتهى الصادقين فلا إشارة على هذا الى
 قولها وصنع الله فيه وهذا اضعف لأنه يقتضي حضوره مع النسوة عند الملك فكيف يقول الملك بعد
 ذلك اتوني به وفسر الزمخشري الآية أولا على أنها من كلام يوسف فقال أي ذلك التثبت والتشهر
 لظهور البراءة ليعلم العزيز اني لم أخنه بظهر الغيب في حرمة وان الله لا يهدي كيد الخائنين لا ينفذه

(الدر)

(ع) ويحتمل أن يريد
 بالرب مولاه العزيز ففي
 ذلك استشهاد به وتقرير
 له انتهى (ح) ما ذكره (ع)
 من هذا الاحتمال لا يسوغ

﴿ وقال الملك ائتوني به أستخلصه لنفسي ﴾ الآية روى أن الرسول جاءه فقال أجيب الملك فخرج من السجن ودعا لأهله فلما دخل على الملك قال اللهم اني أسئلك بخيرك من خيره وأعوذ بعزتك وقدرتك من شره ثم سلم عليه ودعاه بالعبودية فقال ما هذا اللسان قال لسان آبائي وكان الملك يتكلم بسبعين لساناً فكلّمه بها فأجابه يوسف عليه السلام بجميعها فتعجب منه ومعنى أستخلصه أجعله خالصاً لنفسي وخاصاً لي وفي الكلام حذف تقديره فأتوه به والظاهر أن الفاعل بكلمه ضمير يوسف أي فلما كلم يوسف الملك ورأى الملك حسن منطقته بما صدق به الخبر ﴿ قال انك اليوم لدينا مكين ﴾ أي ذو مكانة ومنزلة ﴿ آمين ﴾ مؤتمن على كل شيء ولما وصفه الملك بالتمكين عنده والامانة طلب من الاعمال (٣١٨) ما يناسب هذين الوصفين ﴿ فقال اجعلني على خزان

الارض ﴾ أي ولى خزان ارضك ﴿ اني حفيظ ﴾ أحفظ ما تستحفظه ﴿ عليم ﴾ بوجوه التصرف وصف نفسه بالامانة والكفاءة وهما مقصود الملوك ممن يولونه اذ هما يعمان وجوه التثقيف والحياطة ولا خلل معهما لعمال وجاء حفيظ بصفة المبالغة وهي مقصودة وللمناسبة قوله عليم وكان الملك لا يصدر عن رأى يوسف ولا يعترض عليه في كل ما رأى وكان في حكم التابع ﴿ وكذلك ﴾ أي مثل ذلك التمكن في نفس الملك ﴿ مكنا ليوسف في الارض ﴾ مصر ﴿ يتبوأ منها حيث يشاء ﴾ أي يتخذ منها مباءة ومنزلاً لكل مكان أراد فاستولى على جميعها ودخلت تحت سلطانه روى أن الملك توجه بتاجه

ولا يسدده وكأنه تعريض بامر أنه في خيانتها في امانة زوجها وبه في خيانتها امانة الله حين ساعد بعد ظهور الآيات على حبسه ويجوز أن يكون توكيداً لأمانته وأنه لو كان خائناً لما هدى الله كيده ولا سدده ثم أراد أن يتواضع لله ويضم نفسه لئلا يكون لها مزيكاً ولحاله في الامانة معجبا كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم ولا فخر ولبيان ان مافيه من الامانة ليس به وحده وإنما هو بتوفيق الله ولطفه وعصمته فقال وما أبرى نفسي من الزلل وما أشهد لها بالبراءة الكمية ولا أزيكها ان النفس لأماراة بالسوء أراد الجنس أي هذا الجنس يأمر بالسوء ويحمل على مافيه من الشهوات انتهى وفيه تكثير وتحميل للفظ ما ليس فيه ويريد على عادته في خطابه ولما أحس الخشعي باشكال قول من قال انه من كلام يوسف قال (فان قلت) كيف صح أن يجعل من كلام يوسف ولا دليل على ذلك (قلت) كفي بالمعنى دليلاً قائداً الى أن يجعل من كلامه ونحوه قوله قال الملاء من قوم فرعون ان هذا الساحر عليم يريد أن يخرجكم من ارضكم بسحره فاذا تأمرون وهو من كلام فرعون يخاطبهم ويستشيرهم انتهى وهذا ليس كما ذكر إذ لا يتعين في هذا التركيب أن يكون من كلام فرعون بل هو من كلام الملاء تقدمهم فرعون الى هذه المقالة فقالوا ذلك بعض لبعض فيكون في قول فرعون يريد أن يخرجكم خطاباً للملاء من فرعون ويكون في هذا التركيب خطاباً من بعضهم لبعض ولا يتنافى اجتماع المقالتين وبالعيب يحتمل أن يكون حالا من الفاعل أي غائباً عنه أو من المفعول أي غائباً عن أي أوظرفاً أي يمكن الغيب والظاهر ان الامار حرم ربي استثناء متصل من قوله لأماراة بالسوء لأنه أراد الجنس بقوله ان النفس فكأنه قال الا النفس التي رحمتها ربي فلا تأمر بالسوء فيكون استثناء من الضمير المستكن في أماراة ويجوز أن يكون مستثنى من مفعول أماراة المحذوف إذ التقدير لأماراة بالسوء صاحبها الذي رحمتها ربي فلا تأمره بالسوء وجوزوا أن يكون مستثنى من ظرف الزمان المفهوم عمومهم من ما قبل الاستثناء وما ظرفية إذ التقدير لأماراة بالسوء مدة بقائها الا وقت رحمة الله العبد وذهابها عن اشتاء المعاصي وجوزوا أن يكون استثناء منقطعاً وما مصدرية وذكر ابن عطية انه قول الجمهور أي ولكن رحمة ربي هي التي تصرف الاساءة ﴿ وقال الملك ائتوني به أستخلصه لنفسي فاما ﴾ كنه قال انك اليوم لدينا مكين آمين ﴿ قال اجعلني على خزان الارض اني حفيظ عليم ﴾ وكذلك مكنا ليوسف في الارض يتبوأ منها حيث

وختمه بخاتم ورده بسيفه وجعل له سريراً من ذهب مكالاً بالدر والياقوت فجلس على السرير ودانت له الملوك وفوض الملك اليه

(الدر) (ش) فان فات كيف صح ان يجعل من كلام يوسف ولا دليل على ذلك ﴿ قلت كفي بالمعنى دليلاً قائداً الى أن يجعل من كلامه ونحوه قوله قال الملاء من قوم فرعون ان هذا الساحر عليم يريد أن يخرجكم من ارضكم بسحره فاذا تأمرون وهو من كلام فرعون يخاطبهم ويستشيرهم انتهى (ح) هذا ليس كما ذكر إذ لا يتعين في هذا التركيب أن يكون من كلام فرعون بل هو من كلام الملاء تقدمهم فرعون الى هذه المقالة فقالوا ذلك بعض لبعض فيكون في قول فرعون يريد أن يخرجكم خطاباً للملاء من فرعون ويكون في هذا التركيب خطاباً من بعضهم لبعض ولا يتنافى اجتماع المقالتين

فوجدها عند راء لان العزيز كان لا يبطأها فولدت له ولدين أفرائيم ومنشا وأقام العدل بمصر وأحبه الرجال والنساء وأسلم على يده الملك وكثير من الناس وباع من أهل مصر في سنى القحط الطعام بالدراهم والدنانير في السنة الأولى حتى لم يبق معهم شئ ثم بالخلي والجواهر ثم بالدواب ثم بالضياع والعقار ثم برقابهم ثم استرقهم جميعا فقالوا والله ما رأينا كاليوم ملكا أجبل ولا أعظم منه فقال للملك كيف رأيت صنع الله في وفيما خولني فتأري قال الرأي رأيك قال فاني أشهد الله وأشهدك أني أعنت أهل مصر عن آخرهم ورددت عليهم أملا كههم وكان لا يبيع من أحسن الممتارين أكثر من حمل بعير تقسيطابين الناس وأصاب أرض كنعان وبلاد الشام نحو ما أصاب مصر فارسا يعقوب بنيه ليمتاروا واحبس بنيامين نصيب برحمتنا أي بنعمتنا الملك والغني وغيرهما ولا نضيع في الدنيا أجر من

نشأ نصيب برحمتنا من نشأ ولا نضيع أجر المحسنين * ولا أجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا ينفقون * روى ان الرسول جاءه فقال أجب الملك فخرج من السجن ودعا لأهله اللهم عطف عليهم قلوب الاخيار ولا تعم عليهم الاخبار فهم أعلم الناس بالاخبار في الواقعات وكتب على باب السجن هذه منازل البلى وقيور الاحياء وشهامة الاعداء وتجربة الاصدقاء ثم اغتسل وتنظف من درن السجن وليس ثيما باجداد فامادخل على الملك قال اللهم اني أسألك بخيرك من خبره وأعوذ بعزتك وقدرتك من شره ثم سلم عليه ودعاه بالعبرانية فقال ما هذا اللسان فقال لسان آبائي وكان الملك يتكلم بسبعين لسانا فكلمه بها فأجابهم بجميعها فتعجب منه وقال أيها الصديق اني أحب أن أسمع رؤياي منك قال رأيت بقرات سمان فوصف لونهن وأحوالهن وما كان خروجهن ووصف السنايل وما كان منها على الهيئة التي رآها الملك لا يخرم منها حرفا وقال له من حفظك أن تجعل الطعام في الاهراء فيأتيتك الخلق من النواحي يمتارون منك ويجمع لك من المكنون ما لم يجمع لحد قبلك وكان يوسف قدعدا أولا بتنبه في السجن أن يرتقى الى أعلى المنازل فكان استدعاء الملك اياه أولا بسبب علم الرؤيا فذلك قال ائتوني به فقط فلما فعل يوسف ما فعل فظهرت أمانته وصبره وهمة وجودة نظره وتأنيه في عدم التسرع اليه بأول طلب عظمت منزلته عنده فطلبه ثانيا ومقصوده استخلاصه لنفسه ومعنى استخاضه أجعله خالصا للنفسى وخاصا بي وسمى الله فرعون مصر ملكا إلهي حكاية اسم مضي حكمه وتصرم منه فلو كان حيالا كان حكاية اذا قيل لكافر ملك أو أمير ولهذا كتب النبي صلى الله عليه وسلم الى هرقل عظيم الروم ولم يقل ملكا ولا أميرا لأن ذلك حكم والجواب مسلم وتساموا وأما كونه عظيمهم فذلك صفة لا تفارقه كيف مات قلب وفي الكلام حذف التقدير فسمع الملك كلام النسوة وبراءة يوسف مما رمى به فأراد رؤيته وقال ائتوني به فأتاه فلما كلمه والظاهر أن الفاعل بكلمه هو ضمير الملك أي فلما كلمه الملك ورأى حسن جوابه ومحاورته ويحتمل أن يكون الفاعل ضمير يوسف أي فلما كلم يوسف الملك ورأى الملك حسن منطقته بما صدق به الخبر الخبر والمرء مخبوء تحت لسانه قال انك اليوم لدينا مكين أي ذو مكانة ومنزلة أمين مؤتمن على كل شئ * وقيل أمين أمين والوصف بالامانة هو الابلغ في الاكرام وبالامن يحط من اكرام يوسف ولما وصفه الملك بالتمكن عنده والامانة طلب من الاعمال ما يناسب هذين الوصفين فقال اجمعاني على خزان الارض أي ولني خزان أرضك اني حفيظ أحفظ ما استخفظه عليم بوجوه التصرف وصف نفسه بالامانة والكفاءة وهما مقصود الملوك ممن يولونه إذ هما يعلمان وجوه التثقيف والحياطة ولا خلل معهما لقائل * وقيل حفيظ للحساب عليم بالاسن * وقيل حفيظ لما استودعته عليم بسنى الجوع وهذا التخصيص لا وجه له ودل إنشاء يوسف على نفسه انه يجوز للانسان ان يثني على نفسه بالحق إذا جهل أمره ولا يكون ذلك التزكية المنهى عنها وعلى جواز عمل الرجل الصالح للرجل الناجر بما يقتضيه الشرع والعدل لا بما يختاره ويشتهيه مما لا يسيغه الشرع وانما طلب يوسف هذه الولاية ليمتوصل الى امضاء حكم الله واقامة الحق وبسط العدل والتمكن مما لا جله تبعث الانبياء الى العباد ولعمري ان غيره لا يقوم مقامه في ذلك فان كان الملك قد أسلم كما روى مجاهد فلا كلام وان كان كافرا ولا سبيل الى الحكم بأمر الله ودفع الظلم الا بتمكينه فلما متولى أن يستظهر به * وقيل كان الملك يصدر عن رأي يوسف ولا

أحسن ثم ذكر ان أجر الآخرة خير لانه الدائم الذي لا يفنى وفي الآية إشارة الى أن حال يوسف في الآخرة خير من حاله العظيمة في الدنيا

﴿ وجاء اخوة يوسف ﴾ الآية أى جاؤا من القرىات من أرض فلسطين بغور الشام الى مصر ليمتاروا منها فتوصلوا الى يوسف
 للميرة فعرفهم لانه فارقهم وهم رجال ورأى زيمهم قريبان من زيه اذ ذلك ولان همته كانت معمورة بهم وبمعرفتهم وكان يتأمل ويتفطن
 وانكارهم اياه كان لطول العهد ومفارقة اياهم فى سن الحداثة ولا اعتقادهم انه قد هلك ولذا هاب عنه قله أفكارهم فيه ولبعد حاله
 التى بلغها من الملك والسلطان عن حالته التى فارقوه عليه اطرا يحافى البئر مشربا بدرهم معدودة حتى لو تحيل لهم انه هولاء كذبوا
 أنفسهم ولان الملك مما يبدل الرى ويلبس صاحبه من التهيّب والاستعظام ما ينكر منه المعروف ﴿ ولما جهزهم بجهازهم ﴾
 وكان الجهاز الذى لهم هو الطعام الذى امتاروه (٣٢٠) وفى الكلام حذف تقدير دو قد كان استوضح منهم

أنه لهم أخ فقد عند أبيه
 روى أنه لما عرفهم أراد
 أن يخبر به بجميع أمرهم
 فباحثهم بأن قال لهم
 ترجمانه أظنكم جواسيس
 فاحتاجوا الى التعريف
 بأنفسهم فقالوا نعم أبناء
 رجل صديق وكنا اثني
 عشرة ذهب به منا واحد فى
 البر يتوبقى أصغرنا عند
 أبنينا ونحن جئنا للميرة
 وسقنا بعير الباقى منا
 وكانوا عشرة ولهم أحد
 عشر بعيرا فقال لهم يوسف
 ولم تخلف أحدكم قالوا المحبة
 أبنينا فيه قال فأتوني بهذا
 الاخ حتى أعلم حقيقة قولكم
 وأرى لم أحبه أبوكم أكثر
 منكم ان كنتم صادقين
 ثم ذكر ما يحرضهم به
 على الاتيان بأخيهم بقوله
 ﴿ ألا ترون أنى أوف
 الكيل وأنا خير المنزلين ﴾
 أى المضيفين يعنى فى قطره
 وفى زمانه يؤنسهم بذلك ويستقيمهم ثم توعدهم ان لم يأتوا اليه بمجر منهم من الميرة فى المستقبل واحتفل قوله ﴿ ولا تقر بون ﴾
 أن يكون نبيا وأن يكون نبيا مستقلا ومعناه النهى وحذف النون وهو مرفوع كما حذف فى قوله فم تبشرون وأن يكون نبيا
 داخل فى الجزاء معطوفا على محل فلا كيل لكم عندى فيكون مجزوما والمعنى أنهم لا يقر بون له بلدا ولا طاعة وظاهر كل ما فعله
 يوسف صلى الله عليه وسلم معهم أنه يوحى من الله والا فانه كان مقتضى البر أن يبادر الى أبيه ويستدعيه لكن الله أراد تكميل
 أجر يعقوب ومحنة وليمس الرؤيا الاولى ﴿ قالوا سنراود عنه أباه ﴾ أى سنخادعه ونسقيه فى رفق الى أن يتركه يأتى معنا
 اليك ثم أكدوا ذلك الوعد بأنهم فاعلوا ذلك لا محالة لانفرط فيه ولا نتوانى وقرئ ﴿ لفتياناه ﴾ ولفتيته فالكثرة على مرعاة

يعترض عليه فى كل ما رأى فكان فى حكم التابع وما زال قضاة الاسلام يتولون القضاء من جهة من
 ليس بصالح ولو لا ذلك لبطلت أحكام الشرع فمما يوجبون على ذلك اذا عدلوا وكذلك أى مثل ذلك
 المتكئين فى نفس الملك مكنيا ليوسف فى أرض مصر يتبوأ منها حيث يشاء أى يتخذ منها مباءة ومزلا
 كل مكان أراد فاستولى على جميعه وادخلت تحت سلطانه روى ان الملك توجه بتاجه وختمه بخاتمه
 ورداه بسيفه ووضع له سريرا من ذهب مكالا بالدر والياقوت فجلس على السرير ودانت له
 الملوك وفوض الملك اليه امره وعزل قطفير ثم مات بعد فزوجه الملك امرأته فاماد دخل عليها قال
 أليس هذا خيرا مما طالبت فوجدت اندراء لان العزى كان لا يطأ فولدت له ولدين افرائيم ومنشا
 وأقام العدل بمصر وأحبته الرجال والنساء وأسلم على يده الملك وكثير من الناس وباع من أهل مصر
 فى سنى القحط الطعام بالدنانير والدرهم فى السنة الاولى حتى لم يبق معهم شئ منها ثم بالخلى والجواهر
 ثم بالدواب ثم بالضياع والعقار ثم برقابهم ثم استرقبهم جميعا فقالوا والله ما رأينا كاليوم ملكا أجلا ولا
 أعظم منه فقال للملك كيف رأيت صنع الله بى فيما خولنى فأتى ﴿ قال رأى رأيتك قال فأتى أشهد الله
 وأشهدك انى أعتقت أهل مصر عن آخرهم ورددت عليهم أملا كههم وكان لا يبيع من أحدهم
 الممتارين أكثر من حمل بعير تقسيط بين الناس وأصاب أرض كنعان وبلاد الشام نحو ما أصاب
 مصر فارسل يعقوب بنبيه ليمتاروا واحبس بنيامين ﴿ وقرأ الحسن وابن كثير بخلاف عنهم أبو
 جعفر وشيبة ونافع حيث نشاء بالنون ﴾ والجهر بالياء والظاهر ان قراءة الياء يكون فاعل نشاء
 ضميرا يعود على يوسف ومشيئته معنوفة بمشيئة الله اذ هو نبيه ورسوله واما أن يكون الضمير عائدا
 على الله أى حيث يشاء الله فيكون التفاتنا نصيب برحمتنا أى بنعمتنا من الملك والغنى وغيرهما ولا
 نضيع فى الدنيا أجر من أحسن ثم ذكر ان أجر الآخرة خير لاند الدائم الذى لا يفنى وقال سفيان بن
 عيينة المؤمن يثاب على حسناته فى الدنيا والآخرة والفاجر يعجل له الخير فى الدنيا وماله فى الآخرة
 من خلاق وتلاه هذه الآية وفى الحديث ما وافق ما قال سفيان وفى الآية اشارة الى أن حال يوسف فى
 الآخرة خير من حاله العظيمة فى الدنيا ﴿ وجاء اخوة يوسف ﴾ فدخاوا عليه فعرفهم وهم له منكرون
 ﴿ ولما جهزهم بجهازهم قل اتوني باخ لكم من أيكم ﴾ ألا ترون أنى أوف الكيل وأنا خير المنزلين ﴿
 فان لم تأتوني بدفلا كيل لكم عندى ولا تقر بون ﴾ قالوا سنراود عنه أباه وانا لفاعلون ﴿ وقال لفتياناه

اجعلوا بضاعتهم في رحالهم لعلهم يعرفونها اذا انقلبوا الى اهلهم لعلهم يرجعون ﴿١﴾ أي جاؤا من
 القرى من أرض فلسطين بارض الشام * وقيل من الاولاج من ناحية الشعب الى مصر ليمتاروا
 منها فتوصلوا الى يوسف للميرة فعرفهم لانه فارقه وهم رجال ورأى زبهم قريبا من زبهم اذ ذاك ولان
 همته كانت معمورة بهم وبمعرفتهم فكان يتأمل ويتفطن * وروى انهم انتسبوا في الاستئذان
 عليه فعرفهم وأمر بانزالهم ولذلك قال الحسن ما عرفهم حتى تعرفوا له وانكارهم اياه كان قال
 الزمخشري لطول العهد ومفارقة اياهم في سن الحداثة ولا اعتقادهم انه قد هلك ولذهابه عن أوهامهم
 لقلته فكبرهم فيه ولبعد حاله التي بلغها من الملك والسلطان عن حالته التي فارقه عليها طر يحافي البئر
 مشر يابدهم معدودة حتى لو تخيل لهم انه هو لكانوا انفسهم ولان الملك مما يبدل الزي ويلبس
 صاحبه من الثياب والاستعظام ما ينكر منه المعروف * وقيل رأوه على زى فرعون عليه ثياب
 الحرير جالس على سرير في عنقه طوق من ذهب وعلى رأسه تاج فاخطر لهم انه هو * وقيل مارأوه
 الا من بعيد بينهم وبينه مسافة وحجاب وما وقفوا الا حيث يقف طلاب الحوائج * ولما جهزهم
 بجهازهم وكان الجهاز الذي لهم هو الطعام الذي امتاروه وفي الكلام حذف تقديره وقد كان
 استوضح منهم انهم لهم أخ قعد عند أبيهم * روى انه لما عرفهم أراد أن يخبروه بجميع أمرهم فباحثهم
 بان قال لهم ترجمانه أظنكم جواسيس فاحتاجوا الى التعريف بانفسهم فقالوا نحن أبناء رجل
 صديق وكنا اثني عشر ذهب منا واحد في البرية وبقى أصغرنا عند أبنينا وجئنا نحن للميرة وسقنا
 بغير الباقي منا وكانوا عشرة ولهم أحد عشر بغير اقل قال لهم يوسف ولم تخاف أحدكم قالوا المحبة أينا فية
 قال فأتوني بهذا الأخ حتى أعلم حقيقة قولكم وأرى لم أحبه أبوكم أكثر منكم ان كنتم صادقين
 * وأورد الزمخشري هذا القصص بالفاظ أخر تقارب هذه في المعنى وفي آخره قال فمن يشهد لكم
 انكم لستم بعيون وان الذي تقولون حق قالوا اننا بلاد لا يعرفنا فيها أحديش ههنا * قال فدعوا
 بعضكم عندى رهينة وأتوني بأخيك من أبيكم وهو يحمل رسالة من أبيكم حتى أصدقكم فافترعوا
 فأصاب القرعة شمعون وكان أحسنهم رأيا في يوسف فخلفوه عنده وكان قد أحسن الزالهم
 وضياقتهم * وقيل لم يرتحن أحدا * وروى غير هذا في طلب الأخ من أبيهم * قيل كان يوسف ملثما
 أبدا سرا الجماله وكان ينقر في الصواع فيفهم من طينته صدق الحديث أو كذبه فسلوا عن أخبارهم
 فكما صدقوا قال لهم صدقتم فلما قالوا وكان لنا أخ أكله الذئب أظن يوسف الصواع وقال كذبتم ثم
 تغير لهم وقال أراكم جواسيس وكلفهم سوق الأخ الباقي ليظهر صدقهم * وقرى بجهازهم بكسر
 الجيم وتنكير أخ ولم يقل بأخيك وان كان قد عرفه وعرفهم بمبالغة في كونه لا يريد أن يتعرف لهم ولا
 انه يدري من هو الا ترى فرقا بين مرت بغلامك ومرت بغلامك انك في التعريف تكون عارفا
 بالغلام وفي التنكير أنت جاهل به فالتعريف يفيد نوع عهد في الغلام بينك وبين المخاطب والتنكير
 لا عهد فيه البتة وجائز أن تخبر عن تعرفه اخبار النكرة فتقول قال رجل لنا وأنت تعرفه لصدق
 اطلاق النكرة على المعرفة ثم ذكر ما يحرضهم به على الاتيان بأخيه بمقوله ألا ترون أني أوف
 الكيل وأنا خير المنزلين أي المضيفين يعني في قطره وفي زمانه يؤنسهم بذلك ويستقبلهم ثم نوءدهم
 ان لم يأتوا به اليه بحرمانهم من الميرة في المستقبل واحتمل قوله ولا تقر بون أن يكون نهيما وأن يكون
 نفيما مستقلا ومعناه النهي وحذف النون وهو مرفوع كما حذف في فهم تبشرون أن يكون نفيما
 داخلا في الجزاء معطوفا على محل فلا كيل لكم عندى فيكون مجزوما والمعنى انهم لا يقر بون له

المأمورين والقلعة على
 مراعاة المتناولين فهم الخدم
 السكاكولون أمرهم بعمل
 المال الذي اشتروا به
 الطعام في رحالهم بمبالغة في
 استعمالهم لعلهم يعرفونها
 أي يعرفون حق ردها
 وحق التكريم باعطاء
 البدلين فيرغبون فيها
 ﴿١﴾ اذا انقلبوا الى اهلهم
 وفرغوا طر وفهم ولعلهم
 يعرفونها تعليق بالجعل
 و﴿٢﴾ لعلهم يرجعون
 تعليق بترجي معرفة
 البضاعة للرجوع الى
 يوسف قيل وكانت
 بضاعتهم النعال والادم

﴿ فلهما رجعا الى أبيهم قالوا يا أبانا منع منا الكيل ﴾ الآية أي رجعوا من مصر مختارين بادروا بما كان أهم الأشياء عندهم من التوطئة لارسال أخيه معهم وذلك قبل فتح متاعهم وعلمهم إحسان العزيز إليهم من رد بضاعتهم وأخبروا بما جرى لهم مع العزيز الذي على أهرام مصر وأنه استدعى منهم العزيز أن (٣٢٢) يأتوا بأخيهم حتى يتبين له صدقهم أنهم ليسوا جواسيس وقولهم منع

منا الكيل إشارة الى قول يوسف قال فان لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ويكون منع برادبه في المستأنف والافقد كيل لهم وجاؤا بالميرة لكن لما أئذروا بمنع الكيل قالوا ومنع وقيل أشاروا الى بغير بنيامين الذي منع من الميرة وهذا أولى بحمل منع على الماضي حقيقة ولقولهم فأرسل معنا أخانا نكتل ويقويه قراءة يكتل بالياء أي يكتل أخونا فاما منع كيل بغيره لغيبته ﴿ قال هل آمنكم عليه ﴾ هذا تقرير وتوقيف وتألم من فراقه بنيامين ولم يصرح بمنعه من حمله لما رأى في ذلك من المصلحة وشبه هذا الاثنان في ابنه هذابائنه إياهم في حق يوسف قاتم فيه وإناله لحافظون كما قاتم في هذا فإخاف أن تكيدوا له كما كدتم لذلك لكن يعقوب لم يخف عليه كما خاف على يوسف واستسلم لله فقال ﴿ فالتة خير حفظا ﴾ وقرى حفظا اسم فاعل وانتصب حفظا وحافظا على التمييز والمنسوب له الخير هو حفظ الله والحافظ الذي من جهة الله وجاز الزمخشري أن يكون حافط حالا وليس بجيد لان فيه تقييد خبر بهذه الحالة ﴿ وهو أرحم الراحمين ﴾ اعتراف بان الله تعالى هو ذو الرحمة الواسعة فارجو منه حفظه ولا يجمع على مصيبته ومصيبه أخيه

بكذا ولا طاعة وظاهر كل ما فعله يوسف عليه السلام معهم انه بوحى والا فانه كان مقتضى البر أن يبادر الى أبيهم ويستدعيه لكن الله تعالى أراد تكميل أجر يعقوب ومحنته ولتفسر الرؤيا الأولى قالوا سنراود عنه أباه أي سنخادعه ونستقيه في رفق الى أن يتركه يأتي معنا اليك ثم أكدوا ذلك الوعد بأنهم فاعلوا ذلك لا محالة لانفرط فيه ولا نتوانى ﴿ وقرأ الأخوان وحفص لفتيانه وباقي السبعة لفتيته فالكثرة على مراعاة المأمورين والقللة على مراعاة المتأولين فهم الخدمة الكائنون أمرهم يجعل المال الذي اشتروا به الطعام في رحالهم مبالغته في استمالتهم لعلمهم يعرفونها أي يعرفون حق ردها وحق التكرم بإعطاء البدلين فيرغبون فينا إذا انقلبوا الى أهلهم وفرغوا ظروفهم ولعلمهم يعرفونها تعليق بالجعل ولعلمهم يرجعون تعليق بترجي معرفة البضاعة للرجوع الى يوسف ﴿ قيل وكانت بضاعتهم انعمال والادم ﴾ وقيل يرجعون متعد فاعني لعلمهم ردون البضاعة ﴿ وقيل تخوف أن لا يكون عند أبيه من المتاع ما يرجعون به ﴾ وقيل علم ان ديانتهم تحمهم على رد البضاعة لا يستحلون أمسا كهافيرجعون لأجلها ﴿ وقيل جعلها توطئة لجعل السقاية في رحل أخيه بعد ذلك ليتبين انه لم يسرق لمن يتأمل القصة ﴾ قال ابن عطية ويظهر ان ما فعله يوسف من صلتهم وجبرهم في تلك الشدة كان واجبا عليه اذ هو ملك عادل وهم أهل ايمان ونبوة ﴿ فلهما رجعا الى أبيهم قالوا يا أبانا منع منا الكيل فأرسل معنا أخانا نكتل وإناله لحافظون ﴾ قال هل آمنكم عليه الا كما آمنتمكم على أخيه من قبل فالتة خير حافظا وهو أرحم الراحمين ﴿ أي رجعوا من مصر مختارين بادروا بما كان أهم الأشياء عندهم من التوطئة لارسال أخيه معهم وذلك قبل فتح متاعهم وعلمهم باحسان العزيز إليهم من رد بضاعتهم وأخبروا بما جرى لهم مع العزيز الذي على أهرام مصر وانهم استدعى منهم العزيز أن يأتوا بأخيهم حتى يتبين صدقهم أنهم ليسوا جواسيس وقولهم منع منا الكيل إشارة الى قول يوسف قال فان لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ويكون منع برادبه في المستأنف والافقد كيل لهم وجاؤا بأباهم بالميرة لكن لما أئذروا بمنع الكيل قالوا ومنع ﴿ وقيل أشاروا الى بغير بنيامين الذي منع من الميرة وهذا أولى بحمل منع على الماضي حقيقة ولقولهم فأرسل معنا أخانا نكتل ويقويه قراءة يكتل بالياء أي يكتل أخونا فاما منع كيل بغيره لغيبته أو يكن سبب اللالكتمال فان امتناعه في المستقبل تشبيهه وهي قراءة الأخوين وقرأ باقي السبعة بالنون أي زرع المانع من الكيل أو نكتل من الطعام ما يحتاج اليه وضمنوا له حفظه وحياطته قال هل آمنكم هذا توقيف وتقرير وتألم من فراقه بنيامين ولم يصرح بمنعه من حمله لما رأى في ذلك من المصلحة وشبه هذا الاثنان في ابنه هذابائنه إياهم في حق يوسف قاتم فيه وإناله لحافظون كما قاتم في هذا فإخاف أن تكيدوا له كما كدتم لذلك لكن يعقوب لم يخف عليه كما خاف على يوسف واستسلم لله وقال فالتة خير حفظا ﴿ وقرأ الأخوان وحفص حفظا اسم فاعل وانتصب حفظا وحافظا على التمييز والمنسوب له الخير هو حفظ الله والحافظ الذي من جهة الله ﴾ وأجاز الزمخشري أن يكون حافط حالا وليس بجيد

والمنسوب له الخير هو حفظ الله والحافظ الذي من جهة الله وجاز الزمخشري أن يكون حافط حالا وليس بجيد لان فيه تقييد خبر بهذه الحالة ﴿ وهو أرحم الراحمين ﴾ اعتراف بان الله تعالى هو ذو الرحمة الواسعة فارجو منه حفظه ولا يجمع على مصيبته ومصيبه أخيه

﴿ولما فتحوا متاعهم﴾ الآية ما ينبغي استفهامية أي شيء ينبغي ونطلب من الكرامة هذه أم النار دت الينا وكانوا قالوا لا يهيم قد مناعلى خير رجل أنزلنا وأكرمنا كرامة لو كان رجلا من آل يعقوب ما أكرمنا كرامته والجملة من قوله هذه بضاعتهم ردت الينا موضحة لقولهم ما ينبغي والجل بعد ما عطوفة عليها على تقدير فنستظهر بها أو نستعين بها ﴿ونيرأهنا﴾ في رجوعنا الى الملك ﴿ونحفظ أمانا﴾ فلا يصيبه شيء مما تخافه وكرر حفظ الأخ مبالغة في الحض على ارساله ﴿وزداد﴾ باستصحاب أخينا وسق بعير على أوساق بعير نالناه انما كان حمل لهم عشرة أبخرة ولم يحمل الحادى عشر لغلبة صاحبه والاشارة بذلك الظاهر اما الى كيل بعير أى يسير بمعنى قليل يجبنا اليه الملك ولا يضايقنا فيه قال الزحشرى أى ذلك مكيل قليل لا يكفيناي معنى ما يكال لهم فازدادوا اليه ما يكال لأخيههم ويجوز أن يكون من كلام يعقوب أى حمل بعير واحد شئ يسير لا يخاطر لمثله بالولد كقوله ذلك ليعلم انتهى يعنى ظاهر الكلام انه من كلامهم وهو من كلام يعقوب كما أن قوله ذلك ليعلم ظاهر أنه من كلام امرأه العزيز وهو من كلام يوسف وهذا كله تحمیل للفظ القرآن ما يبعد تحميلة وفيه مخالفة الظاهر لغير دليل ولما كان يعقوب غير مختار لارسال ابنه وألحوا عليه في ذلك علق ارساله باخذ الموثق عليهم وهو الحلف (٣٢٣) بالله إذ به تؤكدا العهد وتشدد ﴿لثأنتنى به﴾ جواب

للحلف لان معنى حتى تؤتون موثقا حتى تحلفوا الى لثأنتنى به وقوله ﴿الا أن يحاط بكم﴾ لفظ عام لجميع وجوه الغلبة والمعنى تعمكم الغلبة عن جميع الجهات حتى لا تكون لكم حياة ولا وجه مخلص وهذا الاستثناء من المفعول من أجله مراعى في قوله لثأنتنى وان كان مثبتا بمعنى النفي لان المعنى لا تمتنعون من الاتيان به لشيء من الاشياء الا أن يحاط بكم ومثاله من المثبت في اللفظ ومعناه النفي

لان فيه تقييد خير بهذه الحال * وقرأ الأعمش خير حافظ على الاضافة فالله تعالى متصف بالحفظ وزيادته على كل حافظ * وقرأ أبوهريرة خير الحافظين كذا نقل الزحشرى * وقال ابن عطية وقرأ ابن مسعود فالله خير حافظا وهو خير الحافظين وينبغي أن تجعل هذه الجملة تفسيرا لقوله فالله خير حافظا لانها قرآن وهو أرحم الراحمين اعتراف بان الله هو ذو الرحمة الواسعة فارجو منه حفظه وأن لا يجمع على مصيبتة ومصيبة أخيه ﴿ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم قالوا يا أبا ناس ما ينبغي هذه بضاعتهم ردت الينا ونيرأهنا ونحفظ أمانا وزداد كيل بعير ذلك كيل يسير قال لن أرسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله لثأنتنى به الا أن يحاط بكم فلما آتوه موثقهم قال الله على ما نقول وكيل * وقال يابى لا تدخلوا من باب واحد ودخلوا من أبواب متفرقة وما أغنى عنكم من الله من شئ ان الحكم الله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم ما كان يغنى عنهم من الله من شئ الا حاجة في نفس يعقوب قضاها وانها لدواعي لما عناه ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ قرأ علقمة ويحيى بن وثاب والاعمش ردت بكسر الراء نقل حركة الدال المدغمة الى الراء بعد توهم خلوها من الضمة وهى لغة لبنى ضبة كما نقلت العرب في قيل وبيع * وحكى قطرب النقل في الحرف الصحيح غير المدغم نحو ضرب زيد سهو المشدود المربوط بجملة متاعا فلذلك حسن الفتح فيه وما ينبغي ما فيه استفهامية أى شيء ينبغي ونطلب من الكرامة هذه

قولهم أنشدك الله الا فعلت أى ما أنشدك الا الفعل وفي الكلام حذف تقديره فأجابه الى ما طلب ﴿فلما آتوه موثقهم قال﴾ يعقوب ﴿الله على ما نقول﴾ من طلب الموثق واعطائه ﴿وكيل﴾ رقيب مطلع ونهيه اياهم أن يدخلوا من باب واحد هو خشية العين وكانوا أحد عشر كر جل واحد أهل جمال وبسطة قاله ابن عباس والعين حق وفي الحديث ان العين لتدخل الرجل القبر والجل القدر وفي التعوذ من كل عين لامة ويظهر أن خوفه عليهم من العين في هذه الكرامة بحسب أن محبوبه فيهم وهو بنيامين الذى كان يتسلى به عن شقيقه يوسف ولم يكن فيهم في الكرامة الأولى فأهمل أمرهم ولم يحتفل بهم لسوء صنيعهم في يوسف ﴿ان الحكم الا الله﴾ أى هو الذى يحكم وحده وينفذ ما يريد فعله وحده توكلت ومن حيث أمرهم أبوهم أى من أبواب متفرقة روى أنهم لما ودعوا أباهم قال لهم بلغوا ملك مصر سلامي وقولوا له ان أبانا يصلى عليك ويدعو لك ويشكر صنعك معنا وفي كتاب أبى منصور الهمدانى أنه خاطبه بكتاب قرئ على يوسف صلى الله عليه وسلم فبكى وجواب لما قوله ﴿ما كان يغنى عنهم من الله من شئ﴾ وفيه حجة لمن زعم أن لما حرف وجوب لوجوب لا طرف زمان بمعنى حين اذ لو كان طرف زمان جاز أن يكون معمولا لما بعد ما النافية لا يجوز حين قام زيد ما قام عمرو ويجوز لما قام زيد ما قام عمرو وفعل ذلك على أن لما حرف يترتب جوابه على ما بعده ﴿وانه لدواعي﴾ يعنى لقوله ان الحكم الا لله وما بعده وعلمه بأن القدر لا يرفعه الحذر وهذا

(الدر) (ش) أى ذلك مكمل قليل لا يكفيننا يعنى ما يكال لهم فازدادوا اليه ما يكال لأخيههم ويجوز أن يكون من كلام يعقوب أى حل بعير واحد شئ يسير لا يخاطر مثله بالولد كقوله ذلك ليعلم (ح) يعنى ان ظاهر الكلام أنه من كلامهم وهو من كلام يعقوب كما ان قوله ذلك ليعلم ظاهره انه من كلام امرأة العزيز وهو من كلام يوسف وهذا كله تحمیل للفظ القرآن ما بعد تحميلة وفيه مخالفة الظاهر بغير دليل (ح) ظاهر قوله (٣٢٤) لتأتني به الآن يحاط بكم ان هذا الاستثناء من المفعول من أجله

مراعى فى قوله لتأتني وان كان مثبتا بمعنى النفي لان المعنى لا تمتنعون من الاتيان به لشيء من الاشياء الا لان يحاط بكم ومثاله من المثبت فى اللفظ ومعناه النفي قولهم أنشدك الله الافعلت أى ما أنشدك الا الفعل ولا يجوز أن يكون مستثنى من الاحوال مقدرا بالمصدر الواقع حالا وان كان صريح المصدر قد يقع حالا فيكون التقدير لتأتني به على كل حال الا احاطة بكم أى محاطا بكم لانهم نصوا على ان الناصبة للفعل لا تقع حالا وان كانت ظرف زمان ويكون التقدير لتأتني به فى كل وقت الا احاطة بكم أى الا وقت احاطة بكم * قلت منع من ذلك ابن الانبارى فقال ما معناه يجوز خروجنا صياح الديك أى وقت صياح الديك ولا يجوز خروجنا

أموالنا ردت اليها قاله قتادة وكانوا قالوا لا يهيم قدمنا على خير رجل أنزلنا وأكرمنا كرامة لو كان رجلا من آل يعقوب ما أكرمنا كرامته * وقال الزجاج يحتمل أن تكون مانافية أى مابق لنا ما نطلب ويحتمل أيضا أن تكون نافية من البغى أى ما فترينا فكذا بنا على هذا الملك ولا فى وصف اجماله واكرامه هذه البضاعة مردودة وهذا معنى قول الزمخشري مانبغى فى القول ماتز يدفيا وصفنا لك من احسان الملك والكرامة * وقيل معناه ما نريد منك بضاعة أخرى * وقرأ عبد الله وأبو حيوة ماتبغى بالياء على خطاب يعقوب وروثها عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم ويحتمل ما فى هذه القراءة الاستفهام والنفي كقراءة النون * وقرأ أبو عبد الرحمن السامى وغير بضم النون والجملة من قولهم هذه بضاعتنا ردت اليها فخذوها لقولهم مانبغى والجملة بعدها معطوفة عليها على تقدير فستظهر بها ونستعين بها ونمير أهلنا فى رجوعنا الى الملك ونحفظ أمانا فلا يصيبه شئ مما تخافه واذا كان مانبغى بمعنى ماتز يدومنا كذب جاز أن يكون وغير معطوفا على مانبغى أى لانبغى فيما نقول ونمير أهلنا ونفعل كيت وكيت وجاز أن يكون كلاما مبتدأ أو كرروا حفظ الاخ مبالغة فى الخس على ارساله ونزداد باستصحاب أخينا وسق بعير على أوساق بعير لانه انما كان حمل لهم عشرة أبعرة ولم يحمل الحادى عشر لغيبه صاحبه والظاهر ان البعير هو من الابل * وقال مجاهد كيل حمار قال وبعض العرب تقول للحمار بعير وهذا شاذ والظاهر ان قوله ذلك كيل يسير من كلامهم لان كلام يعقوب والاشارة بذلك الظاهر انها الى كيل بعير أى يسير بمعنى قليل يجميننا اليه الملك ولا يضايقنا فيه أو يسير بمعنى سهل عليه متيسر لا يتعاطمه * وقيل يسير عليه أن يعطيه * وقال الحسن وقد كان يوسف عليه السلام وعدهم أن يزبد لهم حمل بعير بغير ثمن * قال الزمخشري أى ذلك مكمل قليل لا يكفيننا يعنى ما يكال لهم فازدادوا اليه ما يكال لأخيههم ويجوز أن يكون من كلام يعقوب أى حل بعير واحد شئ يسير لا يخاطر مثله بالولد كقوله ذلك ليعلم انتهى ويعنى ان ظاهر الكلام انه من كلامهم وهو من كلام يعقوب كما ان قوله ذلك ليعلم ظاهره انه من كلام امرأة العزيز وهو من كلام يوسف وهذا كله تحمیل للفظ القرآن ما بعد تحميلة وفيه مخالفة الظاهر بغير دليل ولما كان يعقوب غير مختار لارسال ابنه وأحواله عليه فى ذلك علق ارساله بأخذ الموثق عليهم وهو الحلف بالله اذ به تؤكدهم ودوتشدد وتأتني به جواب للحلف لان معنى حتى تؤتون موثقا حتى تخافوا الى لتأتني به وقوله الآن يحاط بكم لفظ عام لجميع وجوه الغلبة والمعنى نعمكم الغلبة من جميع الجهات حتى لا يكون لكم حيلة ولا وجه تخلص * وقال مجاهد الا أن تهلكوا وعنه أيضا الا أن لا تطيقوا ذلك وهذا الاستثناء من المفعول من أجله مراعى فى قوله لتأتني وان كان

أن يصح الديك وان كانت ان وما مصدريتين وانما يقع ظرفا المصدر المصرح به بلفظه وأجاز ابن جنى أن تقع ان ظرفا كما يقع صريح المصدر فأجاز فى قول تأبط شرا وقالوا لها لا تنكحيه فانه * لا اول نصل أن يلاقى مجعاً وبالله ما ان شهلة أم واحداً * وجد منى أن يهان صغيراً أن يكون أن يلاقى تقديره وقت لقائه الجمع وان يكون ان يهان تقديره وقت اهانة صغيره فاعلى ما أجاز ابن جنى يجوز أن تخرج الآية ويبقى لتأتني به على ظاهره من الاثبات ولا يقدر فيه معنى النفي

مثبتا معنى النفي لان المعنى لا تمتنعون من الاتيان به لشيء من الأشياء الا لأن يحاط بكم ومثاله من
المثبت في اللفظ ومعناه النفي قولهم أنشدك الله الافعلت أى ما أنشدك الا الفعل ولا يجوز أن يكون
مستثنى من الاحوال مقدر بالمصدر الواقع حالا وان كان صريح المصدر قد يقع حالا فيكون التقدير
لتأنتنى به على كل حال الا احاطة بكم أى مخاطابكم لانهم نصوا على ان ان الناصبة للفعل لا تقع حالا
وان كانت مقدرة بالمصدر الذى قد يقع بنفسه حالا فان جعلت ان والفعل واقعة موقع المصدر الواقع
ظرف زمان ويكون التقدير لتأنتنى به في كل وقت الا احاطة بكم أى الا وقت احاطة بكم * قلت
منع ذلك ابن الانبارى فقال ما معناه يجوز خروجا صياح الديك أى وقت صياح الديك ولا
يجوز خروجا أن يصبح الديك ولا ما يصبح الديك وان كانت ان وما مصدريتين وانما يقع ظرفا
المصدر المصريح بلفظه وأجاز ابن جنى أن تقع ان ظرفا كما يقع صريح المصدر فجاز في قول تابط شرا
وقالوا لها لا تنكحيه فانه * لاول فصل أن يلاقى مجعما

وقول أبي ذؤيب الهذلى

وتالله ما ان شهلة أم واحد * باوجد منى أن يهان صغيرها

أن يكون أن تلاقى تقديره وقت لقائه الجمع وأن يكون أن يهان تقديره وقت اهانة صغيرها فعلى
ما أجاز ابن جنى يجوز أن تخرج الآية ويبقى لتأنتنى به على ظاهره من الاثبات ولا يقدر فيه معنى
النفي وفي الكلام حذف تقديره فاجابوه الى ما طلبه فلما آتوه موثقهم قال يعقوب الله على ما نقول
من طلب الموثق واعطائه وكيل رقيب مطلع ونهيه اياهم أن يدخلوا من باب واحد هو خشية العين
وكانوا أحد عشر لرجل واحد اهل جمال وبسطة قاله ابن عباس والضحاك وقتادة وغيرهم والعين
حق وفي الحديث ان العين لتدخل الرجل القبر والجل القدر وفي التعوذ ومن كل عين لامة وخطب
الزخشرى فقال لانهم كانوا ذوى بهاء وشارة حسنة وقد أشهرهم أهل مصر بالقربة عند الملك
والكرامة الخاصة التى لم تكن لغيرهم فكانوا مظنة لطموح الابصار اليهم من الوفود وان يشار
اليهم بالاصابع ويقال هؤلاء أضياف الملك انظروا اليهم ما أحسنهم من فتيان وما أحقهم بالاكرام
لامرهم أكرمهم الملك وقر بهم وفضلهم على الوافدين عليه فخاف لذلك أن يدخلوا كوكبة واحدة
فيعانوا الجاهل وجماله امرهم فى الصدور ويصيبهم ما يسوءهم ولذلك لم يوصهم بالتفريق فى المرة الأولى
لانهم كانوا محبوسين معمورين بين الناس انتهى ويظهر ان خوفه عليهم من العين فى هذه الكرة
بحسب ان محبو به فيهم وهو بنيامين الذى كان يتسلى به عن شقيقه يوسف ولم يكن فيهم فى الكرة
الأولى فاهمل أمرهم ولم يحتفل بهم لسوء صنيعهم فى يوسف * وقيل نهاهم خشية أن يستراب بهم
لقول يوسف أنتم جواسيس * وقيل طمع بافتراقهم أن يتسمعوا خبر يوسف ثم نفي عن نفسه أن
يعنى عنهم شيأ يعنى بوصاته ان الحكم الله أى هو الذى يحكم وحده وينفذ ما يريد فعليه وحده توكلت
ومن حيث أمرهم أبوهم أى من أبواب متفرقة * روى انهم لما ودعوا أباهم قال لهم بلغوا ملك مصر
سلامي وقولوا له ان أبانا يصلى عليك ويدعوك ويشكر صنعك معنا وفى كتاب أبي منصور
المهراني انه خاطبه بكتاب قرى على يوسف فبكى وجواب لما قوله ما كان يعنى عنهم من الله من
شيء وفيه حجة لمن زعم ان لما حرف وجوب لوجوب لا ظرف زمان بمعنى حين اذ لو كانت ظرف
زمان ما جاز أن تكون معمولة لما بعد ما النافية لا يجوز حين قام زيد ما قام عمرو ويجوز لما قام
زيد ما قام عمرو فدل ذلك على ان لما حرف يترتب جوابه على ما بعده * وقال ابن عطية ويجوز أن

يكون جواب لما أخذوا قدر اثم يخبر عن دخولهم انه ما كان يغنى ومعنى الجملة لم يكن في دخولهم متفرقين دفع قدر الله الذي قضاء عليهم من نشر يفهم واقتضاهم بذلك وأخذ أخيهم بوجدان الصاع في رحله وتزايد مصيبتهم على أبيهم بل كان ارباب يعقوب قضاء وتطيبيا لنفسه * وقيل معنى ما كان يغنى عنهم من الله من شيء ما برد عنهم قدر الاله لو قضى أن يصيبهم عين لا صابتهم متفرقين أو مجتمعين وانما طمع يعقوب أن تصادف وصيته قدر السلامة فوصى وقضى بذلك حاجة نفسه في أن يبقى يتنعم برجائه أن يصادف وصيته القدر في سلامتهم وانه لذنو علم يعني لقوله ان الحكم الا لله وما بعده وعلمه بان القدر لا يدفعه الخذر وهذا نداء من الله على يعقوب عليه السلام * وقال قتادة لعامل بماعلمناه * وقال سفيان من لا يعمل لا يكون عالما ولقطة ذ وعلم لا تساعد على هذا التفسير وان كان صحيحا في نفسه * وقرأ الأعمش بماعلمناه * ولما دخلوا على يوسف آوى اليه أخاه قال انى أنا أخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون * فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل أخيه ثم أذن مؤذن أيتها العير انكم لسارقون * قالوا وأقبلوا عليهم ماذا تفقدون * قالوا نفقد صواع الملك ولمن جاء به حمل بعير وأتابه زعيم * قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض وما كنا سارقين * قالوا فاجزأوه ان كنتم كاذبين * قالوا جزأوه من وجد في رحله فهو جزأوه كذلك نجزي الظالمين * فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ثم استخرجهم من وعاء أخيه كذلك كدنا يوسف ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك الا أن يشاء الله نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذي علم عليم * قالوا ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل فأسرهما يوسف في نفسه ولم يبدها لهم قال أنتم سمر مكانا والله أعلم بما تصفون * قالوا يا أيها العزيز ان له أبا شيخا كبيرا فخذنا فإحدنا مكانه فإنا نراك من المحسنين * قال معاذ الله أن نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده إنا اذا الظالمون * فلما استئمنوا منه خلصوا نجيا قال كبيرهم ألم تعلموا أن أباكم قد أخذنا عليكم موثقا من الله ومن قبل ما فرطتم في يوسف فلن أبرح الأرض حتى يأذن لي أبي أو يحكم الله لي وهو خير الحاكمين * ارجعوا الى أبيكم فقولوا يا أبا نانا ابنك سرق وما شهدنا الا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين * واسئلكم القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها وانا لصادقون * قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل عسى الله أن ياتيني بهم جميعا انه هو العليم الحكيم * وتولى عنهم وقال يا أسفى على يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم * قالوا تالله تفتؤنذ كرى يوسف حتى تكون حرضا أو تكون من الهالكين * العير الابل التي عليها الاحمال سميت بذلك لانها تعير أى تذهب وتجيء وقيل هى قافلة الجبر ثم كثر حتى قيل لكل قافلة عير كانها جمع عير وأصلها فعل كسقف وسقف فعل به ما فعل ببيض وعيدوا العير مؤنث وقالوا فى الجمع عيرات فشذوا فى جمعه بالالف والتاء وفى فتح بانه وقال الشاعر

غشيت ديار الحى بالبكرات * فعارمة فبرقة العيرات

قال الاعلم العيرات هنا مواضع الاعيار وهى الجبر * الصواع الصاع وفيه لغات تأتي فى القرآن ويؤنث ويذكر * الوعاء الظرف الذى يحفظ فيه الشيء وتضم واوه ويجوز أن تبدل واوه همزة * فتى من أخوات كان الناقصة قال أوس بن حجر

فافتت حتى كان غبارها * سرادق يوم ذى رباح يرفع

وقال أيضا

فافتت خيل تشوب وتدعى * ويلحق منها لاحق وتقطع

ثناء من الله تعالى على يعقوب عليه السلام ﴿ ولما دخلوا على يوسف آوى إليه أخاه ﴾ روى أنهم قالوا له هذا أخونا قد جئناك به فقال أحسنتم وأصبتم وستجدون ذلك عندي فأنزلهم وأكرمهم ثم أضافهم وأجلس كل اثنين منهم على مائدة فبقى بنيامين وحده فبكى وقال لو كان أخى يوسف حيا لاجلسنى معه فقال يوسف صلى الله عليه وسلم بقى أخوكم وحيدا فأجلسه معه على مائدة وجعل يؤاكلهم وقال أنتم عشرة فلينزل كل اثنين منكم بيتا وهذا الثانى معه فيكون معى وبات يوسف يضطج إليه ويشم رائحته حتى أصبح وسأله عن ولده فقال لى عشرة بنين اشتققت أسماءهم من اسم أخى هلك فقال أنجب أن أكون أخاك بدل أخيك الهالك قال من بعد أخامثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف صلى الله عليه وسلم وقام إليه وعانقه وقال أنا أخوك يوسف ﴿ فلا تبتئس ﴾ فلا تحزن ﴿ بما كانوا يعملون ﴾ بنا فيما مضى فإن الله قد أحسن الينا وجعنا على خير فلا تعلمهم بما أعلمتك وعن ابن عباس تعرف إليه أنه أخوه وهو الظاهر ﴿ قال ابن عطية ويحتمل أن يشير بقوله بما كانوا يعملون إلى ما عمله فتيان يوسف من أمر السقاية ونحو ذلك انتهى ﴾ (٣٢٧) ولا يحتمل ذلك لأنه لو كان التركيب بما يعملون بغير كانوا لا يمكن على بعده لأن الكلام إنما هو مع أخوة يوسف وأما ذكر فتيانه فبعيد جدا لأنه لم يتقدم لهم ذكر إلا فى قوله وقال لفتيانه وقد حال بينهما قصص وأتسق الكلام مع الأخوة اتساقا لا ينبغي أن يعدل عن أن الضمير عائذ إليهم وأن ذلك إشارة إلى ما كان يلقى منهم قبل ما من الأذى إذ قد آمن من ذلك باجتماعه بأخيه يوسف والظاهر أن الذى جعل

ويقال فيما فتى على وزن ضرب وأفنى على وزن أكرم وزعم ابن مالك أنها تكون بمعنى سكن وأطفأ فتكون تامة ورددنا عليه ذلك فى شرح التسهيل وبيننا أن ذلك تصحيف منه صحف الناء بثلاث بالياء بثنتين من فوق وشرحا بسكن وأطفأ * الحرض المشفى على الهلاك يقال حرض فهو حرض بكسر الراء حرضا بفتحها وهو المصدر ولذلك يستوى فيه المذكر والمؤنث والمفرد والجمع وأحرضه المرض فهو محرض قال

أرى المرء كالزواد يصبح محرضا * كاحراض بكر فى الديار مريض

﴿ وقال الآخر ﴾

انى امرؤ لى حب فأحرضنى * حتى بليت وحتى شفى السقم

وقال رجل حرض بضمتين كجنب وشلل ﴿ ولما دخلوا على يوسف آوى إليه أخاه قال انى أنا أخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون ﴾ فاهأجهزهم بجهازهم جعل السقاية فى رحل أخيه ثم أذن مؤذن أيتها العير انكم لسارقون ﴿ قالوا وأقبلوا عليهم ماذا تفقدون ﴾ قالوا نفقد صواع الملك ولما جاء به حمل بعير وأنا به زعيم ﴿ قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد فى الارض وما كنا سارقين ﴾ قالوا فما جزاؤه ان

السقاية فى رحل أخيه هو يوسف ويظهر من حيث كونه ملكا أنه لم يباشر ذلك بنفسه بل أمر غير من فتيانه أو غيرهم أن يجعلها وقال ابن عمر وابن عباس وجماعة السقاية ناء يشرب به الملك وبه كان يكال الطعام للناس ﴿ ثم أذن مؤذن ﴾ أى نادى مناد أذن أعلم وأذن أكثر الاعلام ومنه المؤذن لكثرة ذلك منه وثم تقتضى مهلة بين جعل السقاية والتأذين فروى أنه لما فصلت العير بأوقارها وخرجوا من مصر أدركوها وقيل لهم ذلك والظاهر أن العير الابل وقال مجاهد كانت دوابهم حميرا ومناداة العير والمراد أحسابها كقوله يا خيل الله اركبى ولذلك جاء الخطاب ﴿ انكم لسارقون ﴾ فروعى المخدوف ولم يراع العير كما روعى فى اركبى وفى قوله ﴿ والعير التى أقبلنا فيها ﴾ ويجوز أن يطابق العير على القافلة أو الرفقة فلا يكون من مجاز الحنفى ﴿ قالوا ﴾ أى إخوة يوسف ﴿ وأقبلوا ﴾ جملة حالة أى وقد أقبلوا ﴿ عليهم ﴾ أى على طالبي السقاية أو على المؤذن إن كان أريد به جمع كأنه جعل مؤذنين ينادون وساء لهم ان يرموا بهذه المشلبة العظيمة وقالوا ﴿ ماذا تفقدون ﴾ ليقع التفتيش فمظهر براءتهم واحتتمل أن تكون ماذا استفهاما فى موضع نصب بتفقدون واحتتمل أن يكون ما وحدها استفهاما مبتدأ وذا موصولة بمعنى الذى خبر عن ما وتفقدون صله لذا والعائد مخدوف أى تفقدونه ﴿ صواع الملك ﴾ هو المكىال وهو السقاية سماه أولا باحدى جهتيه وآخرها بالثانية ﴿ ولما جاء به ﴾ أى لمن دل على سارقته وفضضه وهذا جعل ﴿ وأنا به زعيم ﴾ من كلام المؤذن أى وأنا بحمل البعير كفيل أو دبه إلى من جاء به وأراد به وسق بعير من طعام جعل لمن حصله ﴿ قالوا تالله ﴾ أقسموا بالياء من حروف القسم لأنها يكون فيها التعجب غالبا كأنهم عجبوا من رعيهم هذا الامر العظيم وروى أنهم ردوا البضاعة التى وجدوها فى الرحل وتخرجوا من أخذ الطعام بثلاثين وكانوا قد اشتروا وبمصر بصلاح وعفة وكانوا يجعلون الاكمة فى أفواه ابلهم لئلا تنال زرع الناس فأقسموا على اثبات شئ قد علموه منهم وهو انكم قد علمتم

ان مجيئنا لم يكن لفساد ثم استأنفوا الاخبار عن نفي صفة السرقة عنهم وأن ذلك لم يوجد منهم قط * قال ابن عطية والتاء في
 نالته بدل مما وكما أبدلت في تراث وفي التوراة والتخمة ولا تدخل التاء في القسم الا في الله من بين أسمائه تعالى وغير ذلك
 لا تقولنا الرحمن وتا الرحيم انتهى أما قوله والتاء في تالته بدل من واو فهو قول أكثر النحويين وقال السهيلي انها أصل
 بنفسها وليست بدلا من واو وأما قوله وفي التوراة فعلى مذهب البصريين اذ زعموا أن الأصل ووراه من وري الزند ومن
 النحويين من زعم أن التاء زائدة وذلك مذكور في النحو وأما قوله فلاندخل الى آخره فقد حكى عن العرب دخولها على
 الرب وعلى الرحمن وعلى حياتك قالوا رب الكعبة وتالرحمن وتحياتك والظاهر اتحاد الضائر في قوله قالوا جزاؤه من وجد
 في رحله * اذ التقدير اذ ذلك قالوا جزاء الصاع أي سرقة من وجد الصاع في رحله وقولهم جزاؤه من وجد في رحله كلام من لم
 يشك انهم برآء مما رموا به ولا اعتقادهم البراءة علقوا الحكم على وجدان الصاع لا على سرقة وجزاؤه مبتدأ ومن مبتدأ فان
 كانت شرطية فوجد في رحله الخبر وجواب الشرط فهو جزاؤه وان كانت موصولة فوجد في رحله صلتها وهو جزاؤه
 في موضع خبرها قال ابن عطية والضهير (٣٢٨) في قالوا جزاؤه للسارق وهذا لا يصح لخلو الجملة الواقعة

خبر جزاؤه من رابط وقال
 الزمخشري المعنى قالوا
 جزاء سرقة ويكون
 جزاؤه مبتدأ أو الجملة
 الشرطية كما هي خبره
 على اقامة الظاهر في مقام
 المضمر والأصل جزاؤه
 من وضع في رحله فهو هو
 فوضع الجزاء موضع هو
 كما تقول لصاحبك من
 أخوزيد فتقول أخوه
 من يقعد الى جنبه فهو هو
 يرجع الضمير الاول الى من
 والثاني الى الاخ ثم تقول

ان كنتم كاذبين * قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه كذلك نجزي الظالمين * روى انهم
 قالوا له هذا أخونا قد جئناك به فقال أحسنتم وأصبتم وتستجدون ذلك عندي فأنزلهم وأكرمهم ثم
 أضافهم وأجلس كل اثنين منهم على مائدة فبقى بنيامين وحده فبكى وقال لو كان أخي يوسف حيا
 لأجلسني معه * فقال يوسف بقي أخوك وحيدا فأجلسه معه على مائدته وجعل يؤاكلهم وقال أأنتم
 عشرة فليزل كل اثنين منكم بيتا وهذا الثاني له فيكون معي فبات يوسف يضمه اليه ويشم رائحته
 حتى أصبح وسأله عن ولده فقال لي عشرة بنين اشتقت أسماءهم من اسم أخي له فقال له أأحب أن
 أكون أخاك بدل أخيك الها لك قال من يجسد أخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى
 يوسف وقام اليه وعانقه وقال له أنا أخوك يوسف فلا تبتئس فلا تحزن بما كانوا يعملون بنا فيما مضى
 فان الله قد أحسن الينا وجعلنا على خير ولا تعامهم بما أعامتكم * وعن ابن عباس تعرف اليه انه
 أخوه وهو الظاهر وهو قول ابن اسحاق وغيره أعلمه انه أخوه حقيقة واستكتمه وقال له لا تبالي
 بكل ما نراه من المكر وفي تحميلي في أخذك منهم * قال ابن عطية وعلى هذا التأويل يحتمل أن
 يشير بقوله بما كانوا يعملون الى ما يعمله فتيان يوسف من أمر السقاية ونحو ذلك انتهى ولا يحتمل
 ذلك لأنه لو كان التركيب بما يعملون بغير كانوا لا يمكن على بعده لأن الكلام انما هو مع اخوة يوسف
 وأما ذكر فتنيانه فبعيد جدا لأنهم لم يتقدم لهم ذكر الا في قوله وقال لفتنيانه وقد حال بينهما قصص

فهو أخوه مقبلا للظهور مقام المضمر ووضع الظاهر موضع المضمر للربط انما هو فصيح في مواضع التفعيم والتحويل وغير فصيح فيما
 سوى ذلك نحو زيد قام زيد وينزه القرآن عنه وقال الزمخشري أيضا جزاؤه خبر مبتدأ محذوف أي المسئول عنه جزاؤه ثم أفتوا
 بقولهم من وجد في رحله فهو جزاؤه كما تقول من يستفتي في جزاء صيد الحرم جزاء صيد الحرم ثم تقول ومن قتله منكم
 متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم وهو متكافئ لتصير الجملة من قوله المسئول عنه جزاؤه وعلى هذا التقدير ليس فيه كبير
 فائدة اذ قد علم من قوله فجزاؤه ان الشيء المسئول عنه جزاء سرقة فأى فائدة في نطقهم بذلك وكذلك القول في المثال
 الذي مثل به من قول المستفتي ومعنى فهو جزاؤه أي فاستعباده اذ كانت عادتهم استعباد السارق * كذلك أي مثل ذلك
 الجزاء وهو الاسترقاق * نجزي الظالمين * أي بالسرقة وهو ديننا وسنتنا في أهل السرقة

(الدر) (ع) وعلى هذا التأويل يحتمل أن يشير بقوله بما كانوا يعملون الى ما يعمله فتيان يوسف من أمر السقاية ونحو ذلك
 انتهى (ح) لا يحتمل ذلك لأنه لو كان التركيب بما يعملون بغير كانوا لا يمكن على بعد لان الكلام انما هو مع اخوة يوسف وأما ذكر
 فتنيانه فبعيد جدا لأنه لم يتقدم لهم ذكر الا في قوله وقال لفتنيانه وقد قال بينهما قصص واتسق الكلام مع الاخوة اتساقا لا ينبغي
 أن يعدل عن أن الضمير عائد اليهم وان كان ذلك اشارة الى ما كان يلقى منهم قد يمان الاذى اذ قد آمن من ذلك باجتماعه بأخيه يوسف

واتسق الكلام مع الاخوة انسا قالا ينبغي أن يعدل عن الضمير عائدا اليهم وان ذلك اشارة الى ما كان يلقى منهم قديما من الاذى إذ قد آمن من ذلك باجتماعه بأخيه يوسف * وقال وهب انما أخبرانه أخوه في الود مقام أخيه الذاهب ولم يكشف اليه الأمر بل تركه تجوز عليه الحيلة كسائر اخوته والظاهر ان الذي جعل السقاية في رحل أخيه هو يوسف ويظهر من حيث كونه مملوكا انه لم يباشر ذلك بنفسه بل جعل غيره من قتيانه أو غيرهم ان يجعلها وتقدم قول وهب انه لم يكشف له انه أخوه وانه تركه تجوز عليه الحيلة * وروى انه قال ليوسف اننا لأفارقك قال قد عانت اغتمام والدي فاذا حبستك ازداد غمه ولا سبيل الى ذلك الا أن أنسبك الى ما لا يحمل قال لأبالي فافعل ما بدالك قال فاني أدرس صاعى في رحلك ثم أنادى عليك بأنك سرقتك ليهنيألى ردك بعد تسريحك معهم قال فافعل * وقرأ عبد الله فيما نقل الزمخشري وجعل السقاية في رحل أخيه أمهم لهم حتى انطلقوا ثم أذن وفي نقل ابن عطية وجعل السقاية زيادة واو في جعل دون الزيادة التي زادها الزمخشري بعد قوله في رحل أخيه فاحتمل أن تكون الواو زائدة على مذهب الكوفيين واحتمل أن يكون جواب لما حذفوا فتدبره فقد حافظها كما قيل انما أوحى الى يوسف أن يجعل السقاية فقط ثم ان حافظها فقدها فنأدى برأيه على ما ظهر له ووجه الطبرى وتفتيش الاوعية بردها القول والذي يظهر ان تأذين المؤذن كان عن أمر يوسف * وقال السدي كان هذا الجعل من غير علم من بنيامين وما تقدم يدل على انه كان بعلم منه * وقال الجمهور وابن عمرو وابن عباس والحسن ومجاهد والضحاك وابن زيد السقاية إناء يشرب به الملك و به كان يكال الطعام للناس * وقيل كان يسقى بها الملك ثم جعلت صاعا يكال به وقيل كانت الدواب تسقى بها ويكال بها * وقال ابن جبير الصواع هو مثل المكوك الفارسي وكان اناء يوسف الذي يشرب فيه وكان الى الطول ماهر (٣) قال وحدثني ابن عباس انه كان للعباس مثله يشرب به في الجاهلية وقال ابن جبير أيضا الصواع المكوك الفارسي الذي يلتقي طرفاه كانت تشرب به الاعاجم والسقاية من فضة أو ذهب أو فضة مموهة بالذهب أو نحاس أو مسك أو كانت مرصعة بالجواهر أقوال أولها للجمهور ولعزة الطعام في تلك الاعوام قصر كيله على ذلك الاناء * ثم أذن مؤذن أى نادى مناد أذن أعلم وآذن أكثر الاعلام ومنه المؤذن لكثرة ذلك منه * ثم تقتضى مهلة بين جعل السقاية والتأذين فروى انه لما فصلت العير بأوقارها ونزحوا من مصر أدر كوا وقيل لهم ذلك * وقيل قبل الخروج من مصر أمرهم فحسبوا وأذن مؤذن والظاهر وقول الجمهور ان العير الابل * وقال مجاهد كانت دوابهم حير او مناداة العير والمراد أصحابها كقوله يا خيل الله اركبي ولذلك جاء الخطاب انكم لسارقون فروعى المخذوف ولم يراع العير كما روى في اركبي وفي قوله والعير التي أقبلنا فيها ويجوز أن تطلق العير على القافلة أو الرفقة فلا يكون من مجاز الخذف والذي يظهر أن هذا التحميل ورمى أبرياء بالسرقه وادخال لهم على يعقوب بوحي من الله لما علم تعالى في ذلك من الصلاح ولما أراد من محنتهم بذلك ويقويه قوله كذلك كدنا ليوسف * وقيل لما كانوا باعوا يوسف استجيز أن يقال لهم هذا ونسبة السرقة اليهم جميعا وان كان الصواع انما وجد في رحل واحد منهم كما تقول بنو فلان قتلوا فلانا والقاتل واحد منهم قالوا أى أخوة يوسف وأقبلوا جملة حالية أى وقد أقبلوا عليهم أى على طالبي السقاية أو على المؤذن ان كان أريد به جمع كأنه جعل مؤذنين ينادون وساء لهم أن يرموا به هذه المثلية وقالوا ما ذات فقد دون ليقع التفتيش فتظهر براءتهم ولم يلوذوا بالانكار من أول بل سألوا كمال الدعوى رجاء أن يكون فيهما

(الدر) (ع) والتاء في تالله بدل من واو كما أبدلت في تراث وفي التوراة والتخمة ولا تدخل التاء في القسم الا في المكتوبة من أسماء الله تعالى وغير ذلك لا تقول تالرحن وتالرحيم انتهى (ح) أما قوله والتاء في تالله بدل من واو فهو قول أكثر النحويين وخالفهم السهيلي فزعم انها أصل بنفسها وليست بدلا من واو وهو الصحيح على ما قررناه في النحو وأما قوله وفي التوراة فعلى مذهب البصريين الاصل اذ زعموا ان ووراة بن وري الزندومن (٣٣٠) النحويين من زعم ان التاء زائدة وذلك مذكور في النحو وأما

قوله ولا تدخل الى آخره فقد حكى عن العرب دخولها على الرب وعلى الرحمن وعلى حياتك فقال ترب الكعبة وتالرحن وتحياتك (ش) فاجزأؤه الضمير للصواع فما جزاء سرقته ان كنتم كاذبين في جحودكم وادعائكم البراءة منه (ح) وجعله ع للسارق أي فما جزاء السارق ان كنتم كاذبين في قولكم وما كنا سارقين والظاهر هو قول (ش) لاتحاد الضمائر في قوله قالوا جزأؤه من وجد في رحله فهو جزأؤه اذ التقدير اذ ذاك قالوا جزاء الصاع أي سرقته من وجد الصاع في رحله (ح) جوزوا في اعراب هذا الكلام وجوها أحدها أن يكون جزأؤه مبتدأ ومن شرطية أو موصولة مبتدأ ثان وهو جزأؤه جواب الشرط أو خبر من الموصولة والجملة من قوله من وجد الى آخر خبر المبتدأ الأول والضمير في قوله جزأؤه للسارق

تبطل به فلا يحتاج الى خصام واحتمل أن يكون ما إذا استفهاما في موضع نصب بتفقدون ويحتمل أن يكون ما وحدها استفهاما مبتدأ وذا موصولة بمعنى الذي خبر عن ما وتفقدون صلة لذا والعائد محذوف أي تفقدونه * وقرأ السامعي تفقدون بضم التاء من أفقدته اذا وجدته فقيدا نحو أجدته اذا أصبته محمودا وضعف هذه القراءة أبو حاتم وجهها ما ذكرناه وصواع الملك هو المكيا وهو السقاية سماه أولا باحدى جهتيه وآخرها الثانية * وقرأ الجمهور صواع بضم الصاد بعدها واو مفتوحة بعدها ألف بعدها عين مهملة * وقرأ أبو حنيفة والحسن وابن جبير فيما نقل ابن عطية كذلك الا انه كسر الصاد * وقرأ أبو هريرة ومجاهد صاع بغير واو على وزن فعل ذالاف فيها بدل من الواو المفتوحة * وقرأ أبو رجاء صوع على وزن قوس * وقرأ عبد الله بن عون بن أبي أرتبيان صوع بضم الصاد وكلها لغات في الصاع * وقرأ الحسن وابن جبير فيما نقل عنها صاحب اللوامح صواع بالعين المعجمة على وزن غراب * وقرأ يحيى بن يعمر كذلك الا انه يحذف الألف ويسكن الواو * وقرأ زيد بن علي صوع مصدر صاع وصواع وصوغ مشتقان من الصوغ مصدر صاغ يصوغ أقما مقام المفعول بمعنى مصوغ الملك ولمن جاء به أي ولمن دل على سارقه وفضحه وهذا جعل وأنا به زعيم من كلام المؤذن وأنا بحمل البعير كفيل أؤديه الى من جاء به وأراد به وسق بغير من طعام جعلان حمله قالوا تالله أقسموا بالتاء من حروف القسم لانها تكون فيها التعجب غالبا كأنهم عجبوا من رميهم بهذا الأمر * وروى انهم ردوا البضاعة التي وجدوها في الطعام ونخرجوا من أكل الطعام بلائمن وكانوا يجعلون الأكمة في أفواه ابلهم لثلاثين زروع الناس فأقسموا على اثبات شيء قد علموه منهم وهو انكم قد علمتم ان مجيئنا لم يكن لفساد ثم استأنفوا الاخبار عن نفي صفة السرقة عنهم وان ذلك لم يوجد منهم قط ويحتمل أن يكون في حيز جواب القسم فيكون معطوفا على قوله لقد علمتم * قال ابن عطية والتاء في تالله بدل من واو كما أبدلت في تراث وفي التوراة والتخمة ولا تدخل التاء في القسم الا في المكتوبة من بين أسماء الله تعالى وغير ذلك لا تقول تالرحن وتالرحيم انتهى أما قوله والتاء في تالله بدل من واو فهو قول أكثر النحويين وخالفهم السهيلي فزعم انها أصل بنفسها وليست بدلا من واو وهو الصحيح على ما قررناه في النحو وأما قوله وفي التوراة فعلى مذهب البصريين اذ زعموا ان الأصل ووراه من وري الزند ومن النحويين من زعم ان التاء زائدة وذلك مذكور في النحو وأما قوله ولا تدخل الى آخره فقد حكى عن العرب دخولها على الرب وعلى الرحمن وعلى حياتك قالوا ترب الكعبة وتالرحن وتحياتك والخطاب في لقد علمتم لطالبي الصواع والضمير في جزأؤه عائدا على السارق فاجزاء السارق ان كنتم كاذبين في قولكم وما كنا سارقين له قاله ابن عطية * وقال الزمخشري فاجزأؤه الضمير

قاله (ع) وهذا لا يصح لخوا الجملة الواقعة خبر جزأؤه من رابط الثاني ان المعنى قالوا جزاء سرقته ويكون جزأؤه مبتدأ والجملة الشرطية كما هي خبره على اقامة الظاهر فيها مقام المضمرة والأصل جزأؤه من وجد في رحله فهو هو فوضع الجزاء موضع هو كما تقول لصاحبك من أخوزيد فيقول أخوه من يقعد الى جنبه فهو هو يرجع الضمير الاول الى من والثاني الى الاخ ثم تقول فهو أخوه مقبلا للظهور مقام المضمرة قاله (ش) ووضع الظاهر موضع المضمرة للربط انما هو فصيح في مواضع التفتيح والتحويل وغير فصيح فيما

﴿فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه﴾ قيل قال لهم من وكل بهم لا بد من تفتيش أوعيتكم فانطلق بهم الى يوسف صلى الله عليه وسلم فبدأ بتفتيش أوعيتهم قبل وعاء بنيامين لنفي التهمة وتمكين الحيلة (٣٣١) واتقاء ظهورها حتى بلغ وعاءه فقال ما أظن هذا أخذ

شيئا فقالوا والله لا تتركه حتى تنظر في رحله فانه أطيب لنفسك وأنفسنا فاستخرجهم منه ﴿كذلك كدنا ليوسف﴾ يعني علمناه إياه وأوحينا به إليه وقولهم

(الدر)

سوى ذلك نحو زيد قام زيد وينزه القرآن عنه قال سيبويه لو قلت كان زيد منطلقا زيد لم يكن حد الكلام وكان هاهنا ضعيفا ولم يكن كقولك ما زيد منطلقا هو لانك قد استغنيت عن إظهاره وانما ينبغي لك أن تضره الثالث أن يكون جزاؤه خبر مبتدأ محذوف أي المسئول عنه جزاؤه ثم أفتوا بقولهم من وجد في رحله فهو جزاؤه كما تقول من يستفتي في جزاء صيد الحرم جزاء صيد الحرم ثم تقول ومن قتله منكم متعمدا جزاء مثل ما قتل من النعم قاله الزمخشري وهو متكف اذا تصير الجملة من قوله المسئول عنه جزاؤه على هذا التقدير ليس فيه كثير فائدة اذ قد علم من قوله فاجزأه ان الشيء المسئول عنه جزاء سرقة فأى فائدة في نطقهم بذلك وكذلك القول في المثال الذي مثل به من قول المستفتي ﴿الرابع أن يكون جزاؤه مبتدأ أي جزاء سرقة الصاع والخبر من وجد في رحله وقولهم فهو جزاؤه تقرير الحكم أي فأخذ السارق نفسه هو جزاؤه لا غير كقولك حق زيد أن يكسى ويطعم وينعم عليه فذلك جزاؤه أو فهو حقه لتقرر ما ذكرته من استحقاقه قاله الزمخشري وقال معناه ابن عطية الا انه جعل القول الواحد قولين قال ويصح أن يكون من خبر اعلی ان المعنى جزاء السارق من وجد في رحله عائد على من ويكون قوله فهو جزاؤه زيادة بيان وتأكيده ثم قال ويحتمل أن يكون التقدير جزاؤه استرقاق من وجد في رحله ثم يؤكده بقوله فهو جزاؤه وهذا القول هو الذي قبله غير انه أبرز المضاف المحذوف في قوله استرقاق من وجد في رحله وفيما قبله لا بد من تقديره لان الذات لا تكون خبرا عن المصدر فالتقدير في القول قبله جزاؤه أخذ من وجد في رحله أو استرقاق هذا لا بد منه على هذا الاعراب وهذا الوجه هو أحسن الوجوه وأبعدها من التكلف كذلك أي مثل ذلك الجزاء وهو الاسترقاق نجزي الظالمين أي بالسرقة وهو ديننا وسنتنا في أهل السرقة ﴿فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه﴾ ثم استخرجها من وعاء أخيه كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ

للصواع أي فاجزاء سرقة ان كنتم كاذبين في جحدكم وادعائكم البراءة منه انتهى وقوله هو الظاهر لاتحاد الضمائر في قوله قالوا جزاؤه من وجد في رحله اذا التقدير اذ ذلك قال جزاء الصاع أي سرقة من وجد الصاع في رحله وقولهم جزاؤه من وجد في رحله كلام من لم يشك أنهم برآء مما رموا به ولا اعتقادهم البراءة علقوا الحكم على وجدان الصاع لا على سرقة فكأنهم يقولون لا يمكن أن نسرق الا يمكن أن يوجد الصاع في رحلنا وكان في دين يعقوب استعباد السارق ﴿قال الزمخشري سنة وكان في دين مصر أن يضرب ويضعف عليه الغرم ولذلك أجابوا على شريعتهم وجوزوا في اعراب هذا الكلام وجوها﴾ أحدها أن يكون جزاؤه مبتدأ أو من شرطية أو موصولة مبتدأ ثان مهو جزاؤه جواب الشرط أو خبر ما الموصولة والجملة من قوله من وجد في رحله خبر المبتدأ الأول والضمير في قالوا جزاؤه للسارق قاله ابن عطية وهو هذا لا يصح خلوا الجملة الواقعة خبر جزاؤه من رابط ﴿الثاني ان المعنى قالوا جزاء سرقة ويكون جزاؤه مبتدأ والجملة الشرطية كلها خبره على اقامة الظاهر فيها مقام المضمرة والأصل جزاؤه من وجد في رحله فهو فوضع الجزاء موضع هو كما تقول لصاحبك من أخو زيد فتقول أخوه من يقعد الى جنبه فهو هو يرجع الضمير الاول الى من والثاني الى الاخ ثم تقول فهو أخوه مقبلا المظهر مقام المضمرة قاله الزمخشري ووضع الظاهر موضع المضمرة للرابط انما هو فصيح في مواضع التفتيح والتهويل وغير فصيح فيما سوى ذلك نحو زيد قام زيد وينزه القرآن عنه ﴿قال سيبويه لو قلت كان زيد منطلقا زيد لم يكن ضد الكلام وكان ههنا ضعيفا ولم يكن كقولك ما زيد منطلقا هو لانك قد استغنيت عن إظهاره وانما ينبغي لك أن تضره الثالث أن يكون جزاؤه خبر مبتدأ محذوف أي المسئول عنه جزاؤه ثم أفتوا بقولهم من وجد في رحله فهو جزاؤه كما تقول من يستفتي في جزاء صيد الحرم جزاء صيد الحرم ثم تقول ومن قتله منكم متعمدا جزاء مثل ما قتل من النعم قاله الزمخشري وهو متكف اذا تصير الجملة من قوله المسئول عنه جزاؤه على هذا التقدير ليس فيه كثير فائدة اذ قد علم من قوله فاجزأه ان الشيء المسئول عنه جزاء سرقة فأى فائدة في نطقهم بذلك وكذلك القول في المثال الذي مثل به من قول المستفتي ﴿الرابع أن يكون جزاؤه مبتدأ أي جزاء سرقة الصاع والخبر من وجد في رحله وقولهم فهو جزاؤه تقرير الحكم أي فأخذ السارق نفسه هو جزاؤه لا غير كقولك حق زيد أن يكسى ويطعم وينعم عليه فذلك جزاؤه أو فهو حقه لتقرر ما ذكرته من استحقاقه قاله الزمخشري وقال معناه ابن عطية الا انه جعل القول الواحد قولين قال ويصح أن يكون من خبر اعلی ان المعنى جزاء السارق من وجد في رحله عائد على من ويكون قوله فهو جزاؤه زيادة بيان وتأكيده ثم قال ويحتمل أن يكون التقدير جزاؤه استرقاق من وجد في رحله ثم يؤكده بقوله فهو جزاؤه وهذا القول هو الذي قبله غير انه أبرز المضاف المحذوف في قوله استرقاق من وجد في رحله وفيما قبله لا بد من تقديره لان الذات لا تكون خبرا عن المصدر فالتقدير في القول قبله جزاؤه أخذ من وجد في رحله أو استرقاق هذا لا بد منه على هذا الاعراب وهذا الوجه هو أحسن الوجوه وأبعدها من التكلف كذلك أي مثل ذلك الجزاء وهو الاسترقاق نجزي الظالمين أي بالسرقة وهو ديننا وسنتنا في أهل السرقة ﴿فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه﴾ ثم استخرجها من وعاء أخيه كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ

بذلك وكذلك القول في المثال الذي مثل به من قول المستفتي الرابع أن يكون جزاء مبتدأ أي جزاء سرقة الصاع والخبر من وجد في رحله أي أخذ من وجد في رحله وقولهم فهو جزاؤه تقرير الحكم أي فأخذ السارق نفسه وهو جزاؤه لا غير كقولك حق زيد أن

﴿ ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل ﴾ لا يدل على الجزم بأنه سرق بل أخرجوا ذلك مخرج الشرط أي ان كان وقع منه سرقة فهو تأسي بمن سرق قبله فقد سرق أخ له من قبل والتعليق على الشرط على أن السرقة في حق بنيامين وأخيه ليست مجزوما بها كأنهم قالوا ان كان هذا الذي روي به بنيامين حقا فالذي روي به يوسف من قبل حق لكنه قوى الظن عندهم في حق يوسف بما ظهر لهم أنه جرى من بنيامين ولذلك قالوا إن (٣٣٣) ابنك سرق وقيل حققوا السرقة في جانب بنيامين

وأخيه بحسب ظاهر الامر فكأنهم قالوا ان كان قد سرق فغير بدع من ابني راحيل لان أخاه يوسف قد كان قد سرق فعلى هذا القول يكون قولهم انحاء على يوسف وبنيامين وقولهم هذا هو بحسب الظاهر والاخبار بامر جرى انزول المعرفة عنهم وتخص بالشقيقين وتنكير أخ في قولهم فقد سرق أخ له من قبل لان الحاضر من لاعلم لهم به وقالوا له لانه كان شقيقه والجهر على أن السرقة التي نسبت الى يوسف صلى الله عليه وسلم هي أن عمته ربته وشب عندها وأراد يعقوب أخذه فاشفقت من فراقه فاخذت منطقة اسحق وكانت متوارثة عندهم فنطقته بهامن تحت ثيابه ثم صاحت وقالت فقدت المنطقة ففتشت فوجدت عند يوسف فاسترقته حسبا كان عندهم في شرعهم

أخاه في دين الملك الا أن يشاء الله نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذي علم عليم * قالوا ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل فاسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم قال أنتم شر مكانا والله أعلم بما تصفون * قيل قال لهم من وكل بهم لئلا بد من تفتيش أو عيتكم فانصرف بهم الى يوسف فبدأ بتفتيش أو عيتهم قبل وعاء بنيامين لنفي التهمة وتمكين الخيلة وابقاء ظهورها حتى بلغ وعاءه فقال ما أظن هذا أخذ شيئا فقالوا والله ما تركه حتى تنظر في رحله فانه أطيّب لنفسك وأنفسنا فاستخرجوه منه * وقرأ الحسن من وعاء بضم الواو وجاء كذلك عن نافع * وقرأ ابن جبير من إعاء بابدال الواو المكسورة همزة كما قالوا إشاح وإسادة في وشاح ووسادة وذلك مطرد في لغة هذيل يبدلون من الواو المكسورة الواقعة أولا همزة وأنت في قوله ثم استخرجها على معنى السقاية أو لكون الصواع يذكر ويؤنث * وقال أبو عبيد يوث الصواع من حيث سمي سقاية ويذكر من حيث هو صاع وكان أبا عبيد لم يحفظ تأنيث الصواع * وقيل الضمير في قوله ثم استخرجها عائدا على السرقة كذلك أي مثل ذلك الكيد العظيم كدنا ليوسف يعني علمناه إياه وأوحينا به اليه * وقال الضحاك والسدي كدنا صنعنا * قال ابن عطية وأضاف الله تعالى الكيد الى ضميره لما أخرج القدر الذي أباح ليوسف أخذه أخيه مخرج ما هو في اعتياد الناس كيد وفسر ابن عباس في دين الملك بسلطانه وفسره قتادة بالقضاء والحكم انتهى وقال الزمخشري ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك تفسيره للكيد وبيان له لانه كان في دين ملك مصر وما كان يحكم به في السارق أن يغرم مثلي مأخذا لا أن يلزم ويستعبد الا ان يشاء الله لا بمشيئته واذنه وقال ابن عطية والاستثناء حكاية حال التقدير الا ان يشاء الله ما وقع من هذه الخيلة انتهى والذي يظهر انه استثناء منقطع أي لكن بمشيئة الله أخذه في دين غير الملك وهو دين آل يعقوب ان الاسترقاق جزاء السارق * وقرأ الكوفيون وابن محيصن نرفع بنون درجات من نشاء بالنون وباقي السبعة كذلك الا أنهم أضافوا درجات * وقرأ يعقوب بالياء في يرفع ويشاء أي يرفع الله درجات من يشاء رفع درجاته وقرأ عيسى البصرة نرفع بالنون درجات من نشاء بالياء * قال صاحب اللوامح وهذه قراءة مرغوب عنها تلاوة وجلة وان لم يمكن انكارها * وقال ابن عطية وقرأ الجمهور نرفع على ضمير المعظم وكذلك نشاء * وقرأ الحسن وعيسى ويعقوب بالياء أي الله تعالى انتهى ومعناه في العلم كما رفعنا درجة يوسف فيه وعلم صفة مبالغة وقوله ذي علم أي عالم فالمعنى ان فوقه أرفع منه درجة في عامه وهذا معنى قول الحسن وفتادة وابن عباس وعنه ان العليم هو الله عز وجل * قيل روى عنه انه حدث بحديث عجيب فتعجب منه رجل ممن حضر فقال الحمد لله وفوق كل ذي علم عليم فقال له

وبقي عندها حتى ماتت فصار عند أبيه والضمير في فاسرها يفسره سياق الكلام أي الخرازة التي حدثت في نفسه من قولهم والظاهر من قوله ﴿ أنتم شر مكانا ﴾ خطابهم بهذا القول في الوجه فكأنه أسر كراهية مقالهم ثم وبخهم بقوله أنتم شر مكانا وفيه إشارة الى تكذيبهم ومعنى ﴿ أعلم بما تصفون ﴾ يعني هو أعلم بما تصفون منكم لانه عالم بحقائق الامور وكيف كانت سرقة أخيه التي

(الدر) يكسى ويظم وينعم عليه فذلك جزاؤه وأوفى حقه لتقرر بما ذكرته من استحقاقه قاله (ش) وقال معناه (ع) وهذا الوجه هو أحسن الوجوه وأبعد هاهنا التكلف

ابن عباس بنس ماقلت انما العليم الله وهو فوق كل ذي علم * وقرأ عبد الله وفوق كل ذي عالم
نخرجت على زيادة ذي أو على ان قوله عالم مصدر بمعنى علم كالباطل أو على ان التقدير وفوق كل
ذي شخص عالم * روى ان اخوة يوسف عليه السلام لما رأوا اخراج الصواع من رحل أخيه
بنيامين قالوا يا بنيامين ابن راحيل قبحك الله ولدت أمك أخوين لصين كيف سرقت هذه السقاية
فرفع يديه الى السماء وقال والله ما فعلت فقالوا نحن وضعناها في رحلك قال الذي وضع البضاعة في
رحالكم * وقال الزمخشري ما معناه رموا بالسرقه تورية عما جرى مجرى السرقة من فعلهم بيوسف
وان كنتم كاذبين فرض لا تتفاء براءتهم وفرض التكذيب لا يكون تكذيبا على انه لو صرح به
كما صرح بالتسريق لكان له وجه لانهم قالوا وتر كنا يوسف عند متاعنا فكله الذئب والكميد
حكم الحيل الشرعية التي يتوصل بها الى مصالح ومنافع دينية كقوله وخديبك ضغثا فيخلص من
جدها ولا يحنث وقول ابراهيم عليه السلام هي أختي لتسلم من يد الكافر وعلم الله في هذه الحيلة
التي لقنها ليوسف مصاح عظيمة فجعلها ساما وذريعة اليها فكانت حسنة جميلة انتهى وقولهم ان
يسرق فقد سرق أخ له من قبل لا يدل على الجزم بانه سرق بل أخرجوا ذلك مخرج الشرط أي ان
كان وقعت منه سرقة فهو يتأسي ممن سرق قبله فقد سرق أخ له من قبل والتعليق على الشرط
على ان السرقة في حق بنيامين وأخيه ليس مجزوما بها كانهم قالوا ان كان هذا الذي روى به بنيامين
حقا فالذي روى به يوسف من قبل حق لكنه قوى الظن عندهم في حق يوسف بما ظهر لهم انه جرى
من بنيامين ولذلك قالوا ان ابنك سرق * وقيل حققوا السرقة في جانب بنيامين وأخيه بحسب
ظاهر الامر فكانهم قالوا ان كان قد سرق فغير بدع من ابني راحيل لان أخاه يوسف قد كان سرق
فعلى هذا القول يكون قولهم انحاء على يوسف وبنيامين * وقيل التقدير فقد قيل عن يوسف انه
سرق وقولهم هذا هو بحسب الظاهر والاخبار بامر جرى لتزول المعرفة عنهم وتختص بالشقيقتين
وتسكير أخ في قوله فقد سرق أخ له من قبل لان الحاضر ين لا علم لهم به وقالوا له لانه كان شقيقه
والجهمو روى ان السرقة التي نسبت هي ان عمته ربه وشب وأراد يعقوب أخذه فاشفقت من
فراقه فاخذت منطقة اسحق وكانت متوارثة عندهم فنطقته بها من تحت ثيابه ثم صاحت وقالت
فقدت المنطقة ففتشت فوجدت عند يوسف فاسترقته حسبها كان في شرعهم وبقي عندها حتى
ماتت فصار عند أبيه * وقال قتادة وابن جبير أمرت أمه أن يسرق صنعا في كتاب الزجاج من ذهب
لا يها سرقه وكسره وكان ذلك منها تغير المنكر * وقال ابن ادريس عن أبيه انما أكل بنو
يعقوب طعاما فاخذ يوسف عرقا ففخاه * وقيل كان في البيت غاق أو دجاجة فاعطاها السائل *
وقرأ أحمد بن جبير الانطاكي وابن أبي شريح عن الكسائي والوليد بن حسان عن يعقوب وغيرهم
فقد سرق بالتشديد مبني للفعول بمعنى نسب الى السرقة بمعنى جعل سارقا ولم يكن كذلك حقيقة
والضمير في قوله فاسرها يفسره سياق الكلام أي الحزاة التي حدثت في نفسه من قولهم كما فسر
في قول حاتم

لعمرك ما يعني الثراء عن الفتى * اذا حشر جت نفس وضاق بها الصدر

* وقيل اسر المجازاة * وقيل الحجة * وقال الزمخشري اختار على شريطة التفسير تفسيره أنتم
سرها كانوا أنتم لان قوله أنتم سر مكانا جملة أو كلمة على تسميتهم الطائفة من الكلام كلمة كانه
قيل فاسر الجملة أو الكلمة التي هي قوله * وقرأ عبد الله وابن أبي عتبة فاسرها بضمير تذكير * قال

أحلتهم سرقة عليه ﴿قالوا يا أيها العزيز﴾ الآية استعطفوا يوسف إذ كان قد أخذ عليهم الميثاق ومعنى كبيرا في السن أو القدر
وكانوا قد أعلموا يوسف بأنه كان له ابن هلك وهذا شقيقه ليستأنس به وخطبوه بالعزير إذ كان في تلك الخطة بعزل قطفير وموته على
ما سبق ومعنى مكانه أي بدله على جهة الاسترهان والاستعباد (٣٣٤) وقوله من الحسين وصفوه بما شاهدوه من احسانه لهم

ولغيرهم أو من الحسين
الينا في هذه اليد ان
أسديتها إلينا ﴿معاذ الله﴾
تقدم الكلام عليه في معاذ
الله انه ربى ﴿فلما استئسوا
منه خالصا نجيا﴾ استعمل
هنا بمعنى المجرد يتأس
واستئس بمعنى واحد
نحو سخر واستسخر وعجب
واستعجب ومعنى خلصوا
نجيا انفردوا من غيرهم
يناجي بعضهم بعضا والنجى
فعل بمعنى مفاعل كالخيلط
والعشير وبمعنى المصدر
الذى هو التناجي كما قيل
النجوى بمعنى التناجي
وهو لفظ يوصف به من له
نجوى واحدا كان أو جماعة
مؤثرا أو مذكرا ﴿قال
كبيرهم﴾ في السن وهو
روبيلا ذكرهم الميثاق في
قول يعقوب لتأتنى به الا
أن يحاط بكم وما زائدة أي
ومن قبل هذا فرطتم في
يوسف ومن قبل متعلق
بفرطتم وقد جوزوا في
اعرابه وجوها أحدها
أن تكون ما مصدرية

الزخشرى يريد القول أو الكلام انتهى والظاهر من قوله أنتم شر مكانا خطابهم بهذا القول في
الوجه فكانه أسر كراهية مقالهم ثم وبخهم بقوله أنتم شر مكانا وفيه إشارة إلى تكذيبهم وتقوية
أنهم تركوا أن يشفعوا بانفسهم وعدلوا إلى الشفاعة بابيه الشيخ يعقوب عليه السلام * وقال قوم
لم يقل يوسف هذا الكلام لهم مواجهة إنما قاله في نفسه وهو تفسير قوله الذي أسر في نفسه وهو
قول الزخشرى المتقدم ومعنى شر مكانا أي منزلة في السرقة لانكم سارقون بالصحة لسرقتكم
أخاكم من أبيكم ومعنى أعلم بما تصفون يعني هو أعلم بما تصفون منكم لانه عالم بحقائق الامور وكيف
كانت سرقة أخيه التي أحلتهم سرقة عليه * وروى ان روييل غصب ووقف شعره حتى خرج
من ثيابه فامر يوسف ابنه له يسه فسكن غضبه فقال روييل لقد مسني أحد من ولد يعقوب ثم انهم
تشاوروا في محاربة يوسف وكانوا أهمل قوة لا يدانون في ذلك فلهذا أحس يوسف بذلك قام إلى
روييل فلبسه وصرعه فقرأوا من قوته ما استعظموه وعند ذلك ﴿قالوا يا أيها العزيز ان له أباشيخا
كبيرا فخذ أحدا مكانه اننا نراك من الحسين﴾ قال معاذ الله أن نأخذ الامن وجدنا متاعنا عنده انا
اذ الظالمون ﴿استعطفوا يوسف﴾ إذ كان قد أخذ عليهم الميثاق ومعنى كبيرا في السن أو القدر
وكانوا قد أعلموا يوسف بأنه كان له ابن قد هلك وهذا شقيقه ليستأنس به وخطبوه بالعزير إذ كان في
تلك الخطة بعزل قطفير أو موته على ما سبق ومعنى مكانه أي بدله على جهة الاسترهان أو الاستعباد
قاله الزخشرى * وقال ابن عطية يحتمل قولهم أن يكون مجازا وهم يعلمون انه لا يصح أخذ حر
بسارق بدل من قد أحكمت السنة رقه وانما هذا كمن يقول لمن يكره فعله اقتلني ولا تفعل كذا وكذا
وأنت لا تريد أن يقتلك ولا كنت تبالي في استمراله وعلى هذا يتجه قول يوسف معاذ الله لانه تعود
من غير جائز ويحتمل أن يكون قولهم حقيقة وبعيد عليهم وهم أنبياء أن يريدوا استرقاق حر فلم يبق
الا ان يريدوا بذلك طريق الجماله أي خذ أحدا حتى ينصرف اليك صاحبك ومقصدهم بذلك ان
يصل بنيامين إلى أبيه ويعرف يعقوب جليته الامر وقوله من الحسين وصفوه بما شاهدوه من
احسانه لهم ولغيرهم أو من الحسين الينا في هذه اليد ان أسديتها إلينا وهذا تأويل ابن اسحق ومعاذ
الله تقدم الكلام فيه في قوله معاذ الله انه ربى والمعنى وجب على قضية فتواكم أخذ من وجد الصواع
في رحله واستعباده فلو أخذنا غيره كان ذلك ظاما في منذهبكم فلم تطلبون ما عرفتم انه ظلم وباطنه
ان الله أمرني وأوحى إلى بأخذ بنيامين واحتباسه لمصلحة أو مصالح جهة علمه في ذلك فلو أخذت غير
من أمرني بأخذ كنت ظالما وعاملا على خلاف الوحي وأن أخذت تقديره من أن نأخذوا ذن جواب
وجزاء أي ان أخذنا بدله ظالما * وروى انه قال لما أيأسهم من حمله معهم إذا أتيتم أباكم فاقروا عليه
السلام وقولوا له ان ملك مصر يدعوك أن لا تموت حتى ترى ولدك يوسف ليعلم ان في أرض مصر
صديقين مثله ﴿فاما استئسوا منه خالصا نجيا﴾ قال كبيرهم ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم

أي ومن قبل تقريطكم قال الزخشرى على أن محل المصدر الرفع على الابتداء وخبره الظرف وهو من قبل ومعناه ووقع من
قبل تقريطكم في يوسف وتال ابن عطية ولا يجوز أن يكون قوله من قبل متعلقا بفرطتم وانما يكون ما على هذا مصدرية
التقدير من قبل تقريطكم في يوسف واقع ومستقر وبهذا المقدر يتعلق قوله من قبل انتهى وهذا قول الزخشرى راجع إلى
معنى واحد وهو أن ما فرطتم يقدر بمصدر مرفوع بالابتداء ومن قبل في موضع الخبر وذها لعن قاعدة عربية وحق لها أن
يذها وهو أن هذه الظروف التي هي غايات اذا بنيت لاتقع أخبارا للمبتدأ جرت أولم تجر

تقول يوم السبت مبارك والسفر بعده ولا يجوز والسفر بعد وعمر وجاء وزيد خلقه ولا يجوز أن يقال وزيد خلف وعلى
 ماذا كرام يكون تفريطكم مبتدأ ومن قبل خبر وهو مبنى وذلك لا يجوز وهو مقرر في علم العربية ولهذا ذهب أبو علي إلى أن
 المصدر مرفوع بالابتداء وفي يوسف هو الخبر أي كائن أو مستقر في يوسف والظاهر أن في يوسف معمول لقوله فرطم لأنه في
 موضع خبر وأجاز الزخشي وابن عطية أن تكون ماصدرية والمصدر المسبوك في موضع نصب والتقدير ألم تعلموا أخذ أيكم
 عليكم موثقا ومن قبل تفريطكم في يوسف وقدره الزخشي وتفريطكم من قبل في يوسف وهذا الذي ذهب إليه ليس بجيد
 لأن فيه الفصل بالجار والمجرور بين حرف العطف الذي هو على حرف واحد وبين المعطوف فصار نظير ضربت زيدا بسيف عمرا
 وقد زعم أبو علي الفارسي أنه لا يجوز ذلك إلا في ضرورة الشعر وأما تقدير الزخشي وتفريطكم من قبل في يوسف فلا يجوز
 لأن فيه تقديم معمول المصدر المنحل لحرف مصدرى والفعل عليه وهو لا يجوز وأجاز أيضا أن تكون موصولة بمعنى الذي قال
 الزخشي ومحل الرفع أو النصب على الوجهين (٣٣٥) انتهى يعني بالرفع أن يرتفع على الابتداء ومن قبل الخبر وقد

ذكرنا أن ذلك لا يجوز
 ومعنى بالنصب أن يكون
 عطفًا على المصدر المنسبك
 من قوله ان أباكم قد
 أخذ عليكم وفيه الفصل
 بين حرف العطف الذي
 هو الواو وبين المعطوف
 فأحسن هذه الأوجه
 ما بدأنا به من كون ما زائدة
 وروح التامة تكون بمعنى
 ذهب وبمعنى ظهر ومنه
 روح الخفاء أي ظهر وذهب
 لا ينتصب الظرف المكنى
 المختص بها إنما يصل إليه
 بواسطة في فاحتج إلى
 اعتقاد تضمنين روح معنى
 فارق وعنى بالارض أرض

موثقا من الله ومن قبل ما فرطم في يوسف فلن أرح الأرض حتى يأذن لي أو يحكم الله لي وهو خير
 الحاكمين * ارجعوا إلى أبيكم فقولوا يا أبانا ان ابنك سرق وما شهدنا إلا بما علمنا وما كنا للغيب
 حافظين * واسأل القرية التي كنافها والعيير التي أقبلنا فيها وأنا لصادقون * قال بل سولت
 لكم أنفسكم أم أمر أفصبر جميل عسى الله أن يأتيني بهم جميعا انه هو العليم الحكيم * استفعل هنا بمعنى
 المجرديئس واستيأس بمعنى واحد نحو سخر واستسخر وعجب واستعجب وزعم الزخشي أن
 زيادة السين والتاء في المبالغة قال نحو ما صر في استعصم انتهى * وقرأ ابن كثير استأيسوا استفعلوا
 من أيس مقولاً بمن يئس ودليل القلب كون ياء أيس لم تنقلب ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها ومعنى
 خلصوا نجيا انقروا ومن غيرهم ينجى بعضهم بعضا والنجى فعمل بمعنى مفاعل كالخليط والعشير
 ومعنى المصدر الذي هو التناجى كما قيل النجوى بمعنى التناجى وهو لفظ يوصف به من له نجوى
 واحدا كان أو جماعة مؤنثا أو مذكرا فهو كعدل ويجمع على أنجية قال لبيد
 وشهدت أنجية الافاق عاليا * كعبى وأرداف الملوك شهود

وقال آخر * انى اذا ما القوم كانوا أنجيه * ويقول قوم نجى وهم نجوى تنزيلا للمصدر منزلة
 الأوصاف ويجوز أن يكون هم نجى من باب هم صديق لأنه زنة المصادر محصوا للتناجى ينظرون
 ماذا يقولون لا يهتم في شأن أخيه لهذا الذى دهمهم من الخطب فيه فاحتاجوا إلى التشاور وكبيرهم
 أى رأيا وتديرا وعلموا وهو شمعون قاله مجاهد أو كبيرهم فى السن وهو روييل قاله قتادة وقيل فى
 العقل والرأى وهو يهوذا ذكرهم الميثاق فى قول يعقوب لتأتني به الآن يحاط بكم وما زائدة أى

مصر التي فيها الواقعة ثم غيا ذلك بغاية بين احدهما خاصة وهى قوله حتى يأذن لي أبى فى الانصراف اليه والثانية عامة وهى قوله
 أو يحكم الله لي لأن إذن أبيه له هو من حكم الله تعالى له فى مفارقة أرض مصر وكأنه لما علق الأمر بالغاية الخاصة رجع إلى نفسه
 فأتى بغاية عامة تفويض الحكم لله وجوعا إلى من له الحكم حقيقة ومقصوده التضييق على نفسه كأنه سجنها فى القطار الذى
 أداه إلى سخط أبيه وفى الكلام حذف تقديره فرجعوا إلى أبيهم وأخبروه بالقصة وقول من قال ارجعوا ثم استشهدوا بأهل
 القرية التي كانوا فيها وهى مصر قاله ابن عباس وبل للأضراب فيقتضى كلاما محذوفا قبلها حتى يصح الأضراب فيها وتقديره
 ليس الأمر حقيقة كما أخبر ثم بل سولت وتقدم شرح سولت وأعراب فصر جميل ثم ترجى من الله تعالى أن يأتيه بهم وهم يوسف
 وبنيامين وكبيرهم على الخلاف الذى فيه وترجى يعقوب لرؤيا التي رآها يوسف وكان ينتظرها وحسن ظنه بالله فى كل حال
 ولما أخبر به عن ملك مصر أنه يدعو له برؤية ابنه ووصفه الله تعالى بهاتين الصفتين لاثق بما يؤخره تعالى من لقاء بنيه وتسليم حكم
 الله فيما جرى عليه والضمير فى بهم عائدا على يوسف وأخيه وعلى كبيرهم الذى امتنع أن يسير معهم إلى أبيهم وباقي الأخوة كانوا
 عند يعقوب صلى الله عليه وسلم

(الدر) ومن قبل ما فرطتم في يوسف (ح) ما زائدة أي ومن قبل هذا فرطتم في يوسف ومن قبل فرطتم في يوسف وقد جوزوا في اعرابه وجوهاً أحدها أن تكون (٣٣٦) ما مصدرية أي ومن قبل تفريطكم قاله (ش) على

ان محل المصدر الرفع على الابتداء وخبره الظرف وهو من قبل ومعناه ووقع من تفريطكم في يوسف وقال (ع) ولا يجوز أن يكون قوله من قبل متعلقاً بما فرطتم وان ما تكون على هذا مصدرية التقدير من قبل تفريطكم في يوسف واقع ومستقر وهذا التقدير يتعلق بقوله من قبل انتهى وهذا وقول (س) راجع الى معنى واحد وهو ان ما فرطتم يقدر بمصدر مرفوع بالابتداء ومن قبل في موضع الخبر وذها عن قاعدة عربية وحق لها أن يذها عنها وهي أن هذه الظروف التي هي غايات اذا ثبتت لا تقع أخباراً للببتأجرت أولم تجر تقول يوم السبت مبارك والسفر بعده ولا يجوز والسفر بعده وعمر وزيد خلفه ولا يقال عمرو زيد خلف وعلى ما ذكره يكون تفريطكم مبتدأ ومن قبل خبر وهو مبني وذلك لا يجوز وهذا مقرر في علم العربية ولهذا ذهب أبو علي الى ان المصدر مرفوع بالابتداء وفي

ومن قبل هذا فرطتم في يوسف ومن قبل متعلق بفرطتم وقد جوزوا في اعرابه وجوهاً أحدها أن تكون ما مصدرية أي ومن قبل تفريطكم * قال الزمخشري على أن محل المصدر الرفع على الابتداء وخبره الظرف وهو من قبل ومعناه ووقع من قبل تفريطكم في يوسف وقال ابن عطية ولا يجوز أن يكون قوله من قبل متعلقاً بما فرطتم وان ما تكون على هذا مصدرية التقدير من قبل تفريطكم في يوسف واقع ومستقر وهذا التقدير يتعلق بقوله من قبل انتهى وهذا وقول الزمخشري راجع الى معنى واحد وهو ان ما فرطتم يقدر بمصدر مرفوع بالابتداء ومن قبل في موضع الخبر وذها عن قاعدة عربية وحق لها أن يذها عنها وهي أن هذه الظروف التي هي غايات اذا ثبتت لا تقع أخباراً للببتأجرت أولم تجر تقول يوم السبت مبارك والسفر بعده ولا يجوز والسفر بعده وعمر وزيد خلفه ولا يقال عمرو زيد خلف وعلى ما ذكره يكون تفريطكم مبتدأ ومن قبل خبر وهو مبني وذلك لا يجوز وهذا مقرر في علم العربية ولهذا ذهب أبو علي الى ان المصدر مرفوع بالابتداء وفي يوسف هو الخبر أي كأن أو مستقر في يوسف والظاهر ان في يوسف معمول لقوله فرطتم لأنه في موضع خبر وأجاز (ش) أن تكون ما مصدرية والمصدر المسبوك في موضع نصب والتقدير ألم تعلموا أخذ أيكم عليكم موثقاً من قبل وتفريطكم في يوسف وقدره الزمخشري وتفريطكم من قبل في يوسف وهذا الذي ذهب اليه ليس بجيد لأن فيه الفصل بالجار والمجرور بين حرف العطف الذي هو على حرف واحد وبين المعطوف فصار نظير ضربت زيداً وبسيف عمر أو قدز عم أبو علي الفارسي انه لا يجوز ذلك إلا في ضرورة الشعر وأما تقدير الزمخشري وتفريطكم من قبل في يوسف فلا يجوز لأن فيه تقديم معمول المصدر المحل لحرف مصدرى والفعل عليه وهو لا يجوز وأجاز أيضاً أن تكون موصولة بمعنى الذي * قال الزمخشري ومحل الرفع أو النصب على الوجهين انتهى يعني بالرفع أن يرتفع على الابتداء ومن قبل الخبر وقد ذكرنا أن ذلك لا يجوز ويعني بالنصب أن يكون عطفاً على المصدر المنسبك من قوله ان أباكم قد أخذ وفيه الفصل بين حرف العطف الذي هو الواو وبين المعطوف وأحسن هذه الأوجه ما بدأ به من كون ما زائدة ورح التامة تكون بمعنى ذهب وبمعنى ظهر ومنه برح الخفاء أي ظهر وذهب لا ينتصب الظرف المكاني المختص بها إنما يصل اليه بواسطة في فاحتج الى اعتقاد نضمين برح بمعنى فارق فانتصب الارض على أنه مفعول به ولا يجوز أن تكون ناقصة لأنه لا ينعقد من اسمها والارض المنصوب على الظرف مبتدأ وخبر لأنه لا يصل الى البحر في لو قلت زيد الارض لم يجز وعنى بالارض أرض مصر التي فيها الواقعة ثم غيا ذلك بغايتين احدهما خاصة وهي قوله حتى يأذن لي أبي يعني في الانصراف اليه والثانية عامة وهي قوله أو يحكم الله لي لأن اذن الله هو من حكم الله في مفارقة أرض مصر وكان له ما علق الأمر بالغاية الخاصة رجع الى نفسه فأتى بغاية عامة تقوى يحكم الله تعالى ورجوعاً الى من له الحكم حقيقة ومقصوده التضييق على نفسه كأنه سبحانه في القطر الذي أداه الى سخط أبيه ابلاء لعذره وحكم الله تعالى له بجميع أنواع العذر كالموت وخلص أخيه أو انتصافه من أخذ أخيه * وقال أبو صالح أو يحكم الله لي بالسيف أو

يوسف هو الخبر أي كأن أو مستقر في يوسف والظاهر ان في يوسف معمول لقوله فرطتم لأنه في موضع خبر وأجاز (ش) و (ع) أن تكون ما مصدرية والمصدر المسبوك في موضع نصب والتقدير ألم تعلموا أخذ أيكم عليكم موثقاً ومن قبل تفريطكم في يوسف وقدره (ش) وتفريطكم من قبل في يوسف وهذا الذي ذهب اليه ليس بجيد لأن فيه الفصل بالجار والمجرور

غير ذلك والظاهر ان ويحكم معطوف على يأذن وجوز أن يكون منصوباً بـ «أما» ان بعد أو في جواب
النفي وهو فلن أرح الأرض أى الآن بحكم الله كقولك لا لزمنك أو تقضيني حتى أى الآن
تقضيني ومعناها ومعنى الغاية متقاربان روى انهم لما وصلوا الى يعقوب أخبروه بالقصة فبكى وقال
يا بني ما تذهبون عني مرة الانقصتم ذهبتم فنقصتم شععون حيث ارتهنتم ذهبتم فنقصتم بنيامين
وروييل والظاهر ان الأمر بالرجوع هو من قول كبيرهم * وقيل من قول يوسف لهم * وقرأ
الجمهور سرق ثلاثاً بمبنى الفاعل إخباراً بظاهر الحال * وقرأ ابن عباس وأبو رزين والكسائي
في رواية سرق بتشديد الراء بمبنى المفعول لم يقطعوا عليه بالسرق بل ذكره وانه نسب الى السرقه
ويكون معنى وما شهدنا الا بما علمنا من التسريق وما كنا للغيب أى للامر الخفي حافظين أسرق
بالصحة أم دس الصلح في رحله ولم يشعر * وقرأ الضحاك سارق اسم فاعل وعلى قراءة سرق
وسارق اختلف التأويل في قوله الا بما علمنا * قال الزمخشري بما علمنا من سرقته وتيقنا
لأن الصواع أخرج من وعائه ولا شيء أبين من هذا * وقال ابن عطية أى وقولنا لك ان ابنك سرق انما
هى شهادة عندك بما علمناه من ظاهر ما جرى والعلم في الغيب الى الله تعالى ليس ذلك في حفظنا هذا
قول ابن اسحاق * وقال ابن زيد أرادوا وما شهدنا به عند يوسف ان السارق يسترق في شرعك الا
بما علمنا من ذلك وما كنا للغيب حافظين ان السرقه تخرج من رحل أحدنا بل حسبنا ان ذلك لا
يكون البتة فشهدنا عنده حين سألنا بـ «أما» ما يحتمل قوله وما كنا للغيب حافظين أى حين واثقنا
انما قصدنا أن لا يقع منا نحن في جهته شيء يكرهه ولم نعلم الغيب في أنه سيأتى هو بما يوجب رقه * وقال
الزمخشري وما كنا للغيب حافظين وما علمنا أنه يسترق حين أعطيناك الموثق أو بـ «أما» انك
تصاب كما أصبت بيوسف ومن غريب التفسير ان المعنى قولهم للغيب الليل والغيب الليل بلغة حير
وكأنهم قالوا وما شهدنا الا بما علمنا من ظاهر حاله وما كنا بالليل حافظين لما يقع من سرقته هو أو
التدليس عليه وفي الكلام حذف تقديره رجعوا الى أبيهم وأخبروه بالقصة وقول من قال ارجعوا
ثم استشهدوا بأهل القرية التي كانوا فيها وهى مصر قاله ابن عباس أى أرسل الى القرية واسأل عن
كنه القصة والعير كانوا قوم من كنعان من جران يعقوب * وقيل من أهل صنعاء فالظاهر ان
ذلك على اضممار أهل كانه قيل وسل أهل القرية وأهل العير الا ان أريد بالعير القافلة فلا اضممار في
قوله والعير وأحالوا في توضيح القصة على ناس حاضرين الحال فيشهدون بما سمعوا وعلى ناس غيب
يرسل اليهم فيسألون * وقالت فرقة بل أحالوه على سؤال الجمادات والبهائم حقيقة ومن حيث هو
نبي ولا يبعد أن يخبره بالحقيقة وحذف المضاف هو قول الجمهور * قال ابن عطية وهذا مجاز * وحكى
أبو المعالى عن بعض المتكلمين انه قال هذا من الحذف وليس من المجاز قال وانما المجاز لفظة استعيرت
لغير ما هى له قال وحذف المضاف هو عين المجاز وعظمه هذا مذهب سيبويه وغيره * وحكى انه قول
الجمهور أو نحو هذا انتهى وفي المحصول لأبي عبد الله محمد الرازى وفي مختصره انه ان الاضممار والمجاز
متباينان ليس أحدهما قسم من الآخر بل للاضرب فيقتضى كلاماً محذوفاً قبلها حتى يصح
الاضرب فيها وتقديره ليس الامر حقيقة كما أخبرتم بل سولت * قال ابن عطية والظاهر ان قوله
بل سولت لكم أنفسكم أمر انما هو ظن سوء بهم كما كان في قصة يوسف قبل فائق ان صدق ظنه
هناك ولم يتحقق هنا * وقال الزمخشري بل سولت لكم أنفسكم أمراً أردتموه والاغادري ذلك
الرجل ان السارق يؤخذ بسرقته لولا فتواكم وتعليمكم وتقدم شرح سولت واعراب فصر جيل ثم

(الدر)

بين حرف العطف الذى
هو على حرف واحد بين
المعطوف فصار نظير
ضربت زيدا وبسيف
عمر أو قد زعم أبو على
الفارسي انه لا يجوز
ذلك الا في ضرورة
الشعر وأما تقدير (ش)
وتفريطكم من قبل في
يوسف فلا يجوز لأن فيه
تقديم معمول المصدر
المحل بحرف مصدرى
والفعل عليه وهو لا يجوز
وأجاز أيضاً أن تكون
موصولة بمعنى الذى قال (ش)
ومحله الرفع أو النصب على
الوجهين انتهى يعنى بالرفع
أن يرتفع على الابتداء ومن
قبل الخبر وقد ذكرنا ان
ذلك لا يجوز ويعنى بالنصب
أن يكون عطفاً على المصدر
المنسب من قوله ان اباكم
قد أخذ وفيه الفصل بين
حرف العطف الذى هو
الواو وبين المعطوف
فأحسن الوجوه ما بدأنا
به من كون ما زائدة

﴿وتولى عنهم وقال يا أسفى على يوسف﴾ الآية وتولى عنهم أى أعرض عنهم كراهة لما جاؤا به وأنه ساء ظنه بهم ولم يصدق قولهم وجعل يتفجع ويتأسف ونادى يعقوب الأسف على سبيل المجاز على معنى هذا زمانك فاحضر والظاهر انه مضاف الى ياء المتكلم قلبت الياء ألفا كما قالوا فى يا غلاما وذكر يعقوب مادهاه من امر بنيامين والقائل فلن أبرح الارض فقدانه يوسف فتأسف عليه وحده ولم يتأسف عليهما لانه هو الذى لا يعلم أحمى هو أم ميت (٣٣٨) بخلاف أخويه ولانه كان أصل الرزايا عنده اذ ترتبت

عليه وكان أحب أولاده اليه وكان دائما يذكره ولا ينساه وايضا عينيه من توالى العبرة عليهما فينقلب سواد العين الى بياض كدر والظاهر انه كان عمى لقوله تعالى فارتد بصيرا وقال وما يستوى الأعمى والبصير فقابل البصير بالأعمى وعلل اليباض بالخرن وانما هو من البكاء المتوالى وهو ثمرة الخزن فعلل بالاصل الذى نشأ منه البكاء وهو الخزن والكظيم إما اللبالة وهو الظاهر اللائق بحال يعقوب أى شديد الكظم كما قال والكظمين الغيظ ولم يشك يعقوب الى أحد وانما كان يكتفه فى نفسه ويمسك همه فى صدره فكان يكظمه أى يرده الى قلبه ولا يرسله بالشكوى والغضب والضجر واما أن يكون فعلا بمعنى مفعول وهو لا ينقاس وقاله قوم كما قال تعالى اذ نادى

ترجى ان الله يجمعهم عليه وهم يوسف وبنيامين وكبيرهم على الخلاف الذى فيه وترجى يعقوب للرؤيا التى رآها يوسف فكان ينتظرها ويحسن ظنه بالله فى كل حال ولما أخبر به عن ملك مصر انه يدعوه برؤية ابنه ووصفه الله بهاتين الصفتين لاثق بما يؤخره تعالى من لقاء ابنه وتسليم لحكمة الله فيما جرى عليه ﴿وتولى عنهم وقال يا أسفى على يوسف وايضت عيناه من الحزن فهو كظيم﴾ قالوا تالله تفتؤ تذكر يوسف حتى تكون حرضا أو تكون من الهالكين * قال انما أشكو بثى وحزنى الى الله وأعلم من الله ما لا أعلمون * يا بنى اذهبوا فتسلسلوا من يوسف وأخيه ولا تبأسوا من روح الله انه لا يبأس من روح الله الا القوم الكافرون * وتولى عنهم أى أعرض عنهم كراهة لما جاؤا به وأنه ساء ظنه بهم ولم يصدق قولهم وجعل يتفجع ويتأسف * قال الحسن خست هذه الامة بالاسترجاع ألا ترى الى قول يعقوب يا أسفى ونادى الأسف على سبيل المجاز على معنى هذا زمانك فاحضر والظاهر انه يضاف الى ياء المتكلم قلبت ألفا كما قالوا فى يا غلاما * وقيل هو على الندبة وحذف الهاء التى للسكت * قال الزمخشري والتجانس بين لفظتى الأسف ويوسف مما يقع مطبوعا غير مستعمل فيملح ويبعد ونحوه انا قلتم الى الارض أراضتم وهم ينهون عنه وينأون عنه يحسبون انهم يحسنون صنعا من سبأ نبأ انتهى ويسمى هذا تجنيس التصريف وهو ان تنفرد كل كلمة من الكلمتين عن الأخرى بحرف وذكر يعقوب مادهاه من امر بنيامين والقائل لن أبرح الارض فقدانه يوسف فتأسف عليه وحده ولم يتأسف عليهما لانه هو الذى لا يعلم أحمى هو أم ميت بخلاف أخوته ولأنه كان أصل الرزايا عنده اذ ترتبت عليه وكان أحب أولاده اليه وكان دائما يذكره ولا ينساه وايضا عينيه من توالى العبرة فينقلب سواد العين الى بياض كدر والظاهر انه كان عمى لقوله فارتد بصيرا وقال وما يستوى الأعمى والبصير فقابل البصير بالأعمى * وقيل كان يدرك ادرا كاضعيفا وعلل اليباض بالخرن وانما هو من البكاء المتوالى وهو ثمرة الخزن فعلل بالاصل الذى نشأ منه البكاء وهو الخزن * وقرأ ابن عباس ومجاهد من الخزن بفتح الحاء والراءى وقتادة بضمها والجمهور بضم الحاء واسكان الزاى والكظيم إما اللبالة وهو الظاهر اللائق بحال يعقوب أى شديد الكظم كما قال والكظمين الغيظ ولم يشك يعقوب الى أحد وانما كان يكتفه فى نفسه ويمسك همه فى صدره فكان يكظمه أى يرده الى قلبه ولا يرسله بالشكوى والغضب والضجر واما أن يكون فعلا بمعنى مفعول وهو لا ينقاس وقاله قوم كما قال فى يونس اذ نادى وهو مكظوم * قال ابن عطية وانما يتجه على تقدير انه ملئ بحزنه فكأنه كظم حزنه فى صدره وفسر ناس الكظيم بالمكروب وبالمكمود * وروى انه ماجفت عيناه من فراق يوسف الى لقاءه ثمانين عاما وان وجدته عليه وجد سبعين ثكلى وأجره

وهو مكظوم وجواب القسم تفتؤ حذفت منه لا وحذفها جائز والمعنى لا تزال واسمها ضمير الخطاب وتذكر خبر تفتؤ وحتى للغاية بمعنى الى أن فكأنهم قالوا له ذلك على جهة تفنيد الرأى أى لا تزال تذكر يوسف الى حال القرب من الهلاك أو الى أن تهلك فقال هو ﴿انما أشكو بثى وحزنى الى الله﴾ أى لا أشكو الى أحد منكم ولا غيركم قال أبو عبيدة وغيره البت أشد الخزن سمي بذلك لانه من صعوبته لا يطيق حمله فيبشيه أى ينشره ﴿وأعلم من الله ما لا أعلمون﴾ أى أعلم من صنعة الله ورحمته وحسن ظنى به أنه يأتى بالفرج من حيث لا أحسب ﴿اذهبوا﴾ أمر بالذهاب الى أرض مصر التى جاؤا منها وتركوا بها إخوانهم بنيامين والمقيم بها وأمرهم بالتحسس

أجر مائة شهيد * وقال الزمخشري فهو كظيم فهو مملوء من الغيظ على أولاده ولا يظهر ما يسوؤهم انتهى وقد ذكرنا ان فعلا بمعنى مفعول لا ينقص وجواب القسم تفتؤ حذف منه لأن حذفها جائز والمعنى لا تزال * وقال مجاهد لا تفتؤ من حبه كأنه جعل الفتوة والفتور أخوين والحرص الذي قدر ناموته * قال مجاهد مادون الموت * وقال قتادة البالي الهرم وقال نحوه الضحالك والحسن * وقال ابن اسحاق الفاسد الذي لا عقل له وكانهم قالوا له ذلك على جهة تفنيد الرأي أي لا تزال تذكر يوسف الى حال القرب من الهلاك أو الى أن تهلك فقال هو انما أشكو بثي وحزني الى الله أي لا أشكو الى أحد منكم ولا غيركم * وقال أبو عبيدة وغيره البث أشد الحزن سمي بذلك لأنه من صعوبته لا يطيق حمله فينبه أي ينشره * وقرأ الحسن وعيسى وحزني بفتحيتين * وقرأ قتادة بضميتين وأعلم من الله ما لا تعلمون أي أعلم من صنعه ورحمته وحسن ظني به انه يأتي بالفرج من حيث لا احتسب قاله الزمخشري * وقال ابن عطية ويحتمل انه أشار الى الرؤيا المنتظرة أو الى ما وقع في نفسه من قول ملك مصر اني أدعوله برؤيته ابنه قبل الموت * وقيل رأى ملك الموت في منامه فسأله هل قبضت روح يوسف فقال لا هو حي فاطلبه * اذهبوا أمر بالذهاب الى الارض التي جاؤا منها وتركوها أخويهم بنيامين والمقيم بها وأمرهم بالتعسس وهو الاستقصاء والطلب بالحواس ويستعمل في الخير والشر * وقرىء بالجيم كالذي في الحجرات ولا تجسسوا والمعنى فتعسسوا انبأ من أمر يوسف وأخيه وانما خصهما لأن الذي أقام وقال فلن أبرح الارض انما أقام مختارا * وقرأ الجمهور تياسوا وفرقة تياسوا * وقرأ الاعرج تئسوا بكسر التاء وروح الله رحمته وفرجه وتنفيسه * وقرأ عمر بن عبد العزيز والحسن وقتادة من روح الله بضم الراء * قال ابن عطية وكان معنى هذه القراءة لا تياسوا من حي مع روح الله الذي وهبه فان من بقي روحه يرجى ومن هذا قول الشاعر * وفي غير من قد وارت الارض فاطمع * ومن هذا قول عبيد بن الابصر

وكل ذي غيبة يؤوب * وغائب الموت لا يؤوب

* وقال الزمخشري من روح الله بالضم أي من رحمته التي تحياها العباد انتهى * وقرأ أبي من رحمة الله من صفات الكافر إذ فيه التكذيب بالرؤية أو الجهل بصفات الله * فلما دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة فوف لنا الكيل وتصدق علينا ان الله يجزي المتصدقين * قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون قالوا أإِنَّكَ لَأَنْتَ يوسف قال أنا يوسف وهذا أخى قد من الله علينا انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين * قالوا تالله لقد آثر الله علينا وان كنا خاطئين * قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين * اذهبوا بقميصي هذا فالقوه على وجهه أبي يأت بصيرا وأتوني باهلكم أجمعين * ولما فصلت العير قال أبوهم اني لا جدر يح يوسف لولا أن تفندون * قالوا تالله انك لفي ضلالك القديم * فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه فارتد بصيرا قال ألم أقل لكم اني أعلم من الله ما لا تعلمون * قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين * قال سوف أسْتَغْفِرَ لَكُمْ رَبِّي انه هو الغفور الرحيم * فلما دخلوا على يوسف آوى اليه أبويه وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمين * ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلنا ربي حقا وقد أحسن بي اذا أخرجني من السجن وجاء بكم من البدن من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي ان ربي لطيف لما يشاء انه هو العليم الحكيم * المزجاة المدفوعة بدفعها كل تاجر رغبة عنها واحتقارا

وهو الاستقصاء والطلب بالحواس ويستعمل في الخير والشر وقرىء بالجيم والمعنى فتعسسوا انبأ من أمر يوسف وأخيه وانما خصهما لأن الذي أقام وقال فلن أبرح الارض انما أقام مختارا وروح الله رحمته وفرجه وتنفيسه

عليه والضمير في عليه
عائد على يوسف وكان
آ كدما حدثوه فيه شكوى
ما أصابهم من الجهد قبل
ما وصاهم به من تحسيس
نبا يوسف وأخيه والضر
الهزال من الشدة والجوع
والبضاعة كانت زيوا
قاله ابن عباس ثم التمسوا
منه ايفاء الكيل وقد
استدل بهذا على أن الكيل
على البائع ولادليل فيه
﴿ وتصدق علينا ﴾ أى
بالمساحة والانخفاض عن
رداءة البضاعة أو زدنا على
حقنا فسمعوا ما هو فضل
وزيادة لا تلزمه صدقة
﴿ قال هل علمتم ما فعلتم ﴾
الآية نسبهم إما الى جهل
المعصية وإما الى جهل
الشباب وقلة الحسكة وقيل
أنهم من جهة الدين وكان
عليه السلام حلما موفقا
فكلمهم مستفهما عن
معرفة وجه القبح الذي
يجب أن يراعيه التائب
فقال هل علمتم أى
قبح ما فعلتم بيوسف
وأخيه إذ أنتم جاهلون
لانعصامون قبحه فلذلك
أقدمتم عليه يعنى هل علمتم
قبحه فبتم الى الله منه لان
علم القبح يدعو الى
الاستقباح والاستقباح
يجري التوبة فكان كلامه شفقة عليهم ونصها لهم في الدين وإيثار حق الله على حق نفسه في ذلك المقام الذى يتنفس فيه المكروب

من أزجيته اذ ادفعته وطرده والريح تزجى السحاب وقال حاتم الطائي
لبيلك على ملحان ضيف مدفع * وأرملة تزجى مع الليل ارملا
الايثار لفظ يجمع جميع النفضل وأنواع العطايا * التريب التأنيب والعتب وعبر بعضهم عنه بالتعير
ومنه اذ انت أمة أحدكم فليجلدها ولا يثرب أى لا يعير وأصله من الثرب وهو الشحم الذى هو غاشية
الكرش ومعناه ازالة الثرب كما ان التجليد والتقر يع ازالة الجلد والقرع لانه اذا ذهب كان ذلك
غاية الهزال فضرر بمثلا للتقر يع الذى يمزق الاعراض ويذهب بهاء الوجه * الفند الفساد قال
ألا سليمان اذ قال الاله له * قم فى البرية فاحددها عن الفند
وفندت الرجل أفسدت رأيه ورددته قال
يا عاذلى دعا لومى وتفنيدى * فليس ما قلت من أمر بمردود
وأفند الدهر فلانا أفسده قال ابن مقبل
دع الدهر يفعل ما أراد فانه * اذا كلف الافناد بالناس أفندا
القديم الذى مرت عليه اعصار وهو أمر نسبي * البدو والبادية وهى خلاف الحاضرة ﴿ فلما دخلوا
عليه قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة فاوف لنا الكيل وتصدق علينا
ان الله يجزى المتصدقين ﴾ قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون ﴿ فى الكلام
حنف تقديره فذهبوا من الشام الى مصر ودخلوها فلما دخلوا عليه والضمير في عليه عائد على
يوسف وكان آ كدما حدثوه فيه شكوى ما أصابهم من الجهد قبل ما وصاهم به من تحسيس نبا
يوسف وأخيه والضر الهزال من الشدة والجوع والبضاعة كانت زيوا قاله ابن عباس * وقال
الحسن قليلة * وقال ابن جبير ناقصة * وقيل كانت عروضا * قيل كانت صوفا وسعنا * وقيل
صنوبرا وحب الخضر وهى الفستق قاله أبو صالح وزيد بن أسلم * وقيل سويق المقل والاقط
وقيل قديد وحش * وقيل حبلا واعدالا واقنابا ثم التمسوا منه ايفاء الكيل وقد استدل بهذا على
ان الكيل على البائع ولادليل فيه وتصدق علينا أى بالمساحة والانخفاض عن رداءة البضاعة
أو زدنا على حقنا فسمعوا ما هو فضل وزيادة لا تلزمه صدقة * قيل لان الصدقات محرمة على الانبياء
عليهم الصلاة والسلام * وقيل كانت تحل لغير نبينا صلى الله عليه وسلم * وسئل ابن عيينة عن ذلك
فقال ألم تسمع وتصدق علينا أراد أنها كانت حلالا لهم * وقال الزمخشري والظاهر أنهم تمسكوا
له وطلبوا أن يتصدق عليهم ومن ثم رفق لهم وملكتهم الرحمة عليهم فلم يقل ان عرفهم نفسه وقوله ان
الله يجزى المتصدقين شاهد لذلك ذكر الله جزائه انتهى * وقيل كانت الصدقة محرمة ولكن
قالوها تجوزا استعطا فانهم له فى المبايعة كما تقول لمن ساومتهم فى سلعة هبني من ثمنها كذا فلم يقصد
أن يهبك وانما حسنت معه الافعال حتى يرجع منك الى سومك * وقال ابن جريج انما خصوا بقولهم
وتصدق علينا أمر أخيه بنيامين أى أوف لنا الكيل فى المبايعة وتصدق علينا برداً خينا على أبيه
* وقال النقاش فى قوله ان الله يجزى المتصدقين هى من المعاريض التى هى مندوحة عن الكذب
وذلك أنهم كانوا يعتقدونه ملكا كافرا على غير دينهم ولو قالوا ان الله يجزى بك بصدقك فى الآخرة
كذبوا فقالوا له لفظا يوهم أنهم أرادوه وهم يصح لهم اخراجه منه بالتأويل * وروى أنهم
لما قالوا له مسنا وأهلنا الضر واستعطفوه رفق لهم ورحمهم * قال ابن اسحق وارفض دمعها كيا

وينفث المصدور ويشتفي المغيظ المحقق ويدرك ثار الموتر ﴿ قالوا أإنك لأنت يوسف قال أنا يوسف ﴾ الآية لما خاطبهم بقوله هل علمتم أدركوا أنه لا يستفهم ملك لم ينشأ عندهم ولا تتبع أحوالهم وليس منهم فبايظهر الاوعنده علم منهم بحالهم فيقال انه كان يكلمهم من وراء حجاب فرفعوه ووضع التاج وتبسم وكان يضيء ما حوله من نور تبسمه ورأوا المعنى بضاء كالشامة في فرقته حين وضع التاج وكان مثلها لابيهم وجده وسارة فتوسموا أنه يوسف واستفهموه واستفهام استخبار وقيل استفهام تقرير لانهم كانوا عرفوه بتلك العلامات التي سبق ذكرها ولما استفهموه أجابهم (٣٤١) فقال أنا يوسف كاشفاهم أمره وزادهم في

الجواب قوله وهذا أخى لانه سبق قوله هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه وكان في ذكر أخيه بيان لما سألوا عنه وان كان معلوما عندهم وتوطئة لما ذكر بعده من قوله ﴿ قد من الله علينا ﴾ أي بالاجتماع بعد الفارقة والانس بعد الوحشة ثم ذكر ان سبب من الله تعالى هو بالتقوى والصبر والاحسن أن لا يخلص التقوى بحالة ولا الصبر وقرأ قبل ويتقى ففيل هو مجزوم بحذف الياء التي هي لام الكامة وقيل جزمه بحذف الحركة على لغة من يقول لم يربى زيد وقد حكوا ذلك لغة وقيل هو مرفوع ومن موصولة بمعنى الذي وعطف عليه مجزوم وهو يصبر وذلك على التوهم كأنه توهم أن من شرطية ويتقى مجزوم والمحسنين عام يندرج فيه من تقدم

فشرع في كشف أمره اليهم فيرى انه حسر قناعه وقال لهم هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه أي من التفريق بينهم ما في الصغر واذا به بنيامين بعد مغيب يوسف وكانوا يدلون به ويشتمونه ﴿ قال ابن عطية ونسبهم اما الى جهل المعصية واما الى جهل السيئات وقلة الحكمة ﴾ وقال الزمخشري أتاهم من جهة الدين وكان حليما موافقا فكلمهم مستفهما عن معرفته وجه القبح الذي يجب أن يراعيه التائب فقال هل علمتم قبح ما فعلتم بيوسف وأخيه اذا كنتم جاهلون لا تعلمون قبحه فلذلك أقدمتم عليه يعني هل علمتم قبحه فقبتم الى الله منه لان علم القبح يدعو الى الاستقباح والاستقباح يجزى التوبة فكان كلامه شفقة عليهم وتنصيحهم في الدين وايشار الحق الله على حق نفسه في ذلك المقام الذي يتنفس فيه المكروب وينفث المصدور ويشتفي المغيظ المحقق ويدرك ثاره الموتر فلله أخلاق الانبياء ما أوطاها وأسعد بها والله حصى عقولهم ما أرزها وأرجحها انتهى ﴿ وقيل لم يردنفي العلم عنهم لانهم كانوا اعماء ولكنهم لما فعلوا ما لا يقتضيه العلم وتقدم عليه الاجاهل منهم جاهلين وفي التحرير ما لخص منه وهو أن قول الجمهور هل علمتم استفهام معناه التقرير مع والتوبيخ ومراده تعظيم الواقعة أي ما أعظم ما ارتكبتم من يوسف كما يقال هل تدري من عصيت ﴿ وقيل هل بمعنى قد لانهم كانوا عالمين وفعلتم بيوسف افراده من أبيهم وقولهم بان الذنب أكله والقائمة في الجب وبيعه بثمن بخس ان كانوا هم الذين باعوه وقولهم ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل والذي فعلوا بأخيه أذا هم له وجفاؤهم له واتهامه بسرقة الصاع ونصرهم بأنه سرق ولم يذكروا لهم ما ذواجه أباهم تعظيما لقدمه وتفخيما لشأنه أن يذكره مع نفسه وأخيه ﴿ قال ابن عباس والحسن جاهلون صبيان ﴾ وقال مقاتل مذنبون ﴿ وقيل جاهلون بما يجب من بر الأب وصلة الرحم وترك الهوى ﴾ وقيل جاهلون بما يؤول اليه أمر يوسف ﴿ وقيل جاهلون بالفكر في العاقبة وعدم النظر الى المصلحة ﴾ وقال المفسرون وغرض يوسف توبيخ اخوته وتأنيبهم على ما فعلوا في حق أبيهم وفي حق أخوهم قال والصحيح انه قال ذلك تأنيبا لقلوبهم وبسط عند ركانه قال انما أقدمكم على ذلك الفعل القبيح جهالة الصبا والغرور وركانه لقهم الحجة كقوله ما غرك بربك الكريم وما حكا ابن الهيصم في قصة من انه صلبهم والتعلي في حكايته انه غضب عليهم فأمر بقتلهم فبكوا وجزعوا ففرق لهم وقال هل علمتم الآية لا يصح البتة وكان يوسف من أرق خلق الله وأشفقهم على الجانب فكيف مع اخوته ولما اعترفوا بالخطأ قال لا تثريب عليكم الآية ﴿ قالوا أأنك لأنت يوسف قال أنا يوسف وهذا أخى قد من الله علينا انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين ﴾ قالوا ان الله لقد آثر الله علينا وان كنا لخاطئين ﴿ قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين ﴾ اذهبوا

أو وضع موضع الضمير لاشتماله على المتقين والصابرين فكأنه قيل لا يضيع أجر كل من ترك الله فضلا بالملك أو بالصبر والعلم قالهما ابن عباس ﴿ لا تثريب عليكم ﴾ الآية التثريب التأنيب والعتب وعبر بعضهم عنه بالتعيير ومنه اذا زنت أمة أحدكم فاجلدوها ولا تثرب عليها أي لا يعيرها وأصله من الثرب وهو الشحم الذي هو غاشية الكرش ومعناه إزالة الثرب كما أن التجليد والتقرير إزالته الجلد فضرر مثل التثريب الذي يترك العرض ويذهب بهاء الوجه وتثريب اسم لا عليكم الخبر واليوم منصوب بالعمل في الخبر أي لا تثريب مستقر عليكم اليوم قال الزمخشري ﴿ فان قلت لم تعلق اليوم ﴾ قلت بالتثريب أو المقدر عليكم من معنى الاستقرار أو يغفر والمعنى لا أثر لكم اليوم وهو اليوم الذي هو مظنة التثريب فإظنه يغفره من الأيام ثم ابتدأ قوله ﴿ يغفر الله لكم ﴾ فغفر الله لهم يغفره

ما فرط منهم يقال غفر الله لك ويغفر الله لك على لفظ الماضي والمضارع جميعا ومنه قول المشعث يغفر الله لكم ويصلح بالكم أو اليوم يغفر الله لكم بشاره بعاجل الغفران لما تجد يومئذ من توبتهم وندمهم على خطيئتهم انتهى أما قوله إن اليوم متعلق بالتثريب فهذا لا يجوز لأن التثريب مصدر وقد فصل بينه وبين معموله بقوله عليكم وعليكم إيمان أن يكون خبرا أو صفة لتثريب ولا يجوز الفصل بينهما لأن معمول المصدر من (٣٤٢) تامه وأيضا لو كان اليوم متعلقا بتثريب لم يجز بناؤه وكان

يكون من قبيل المشبه بالمضاف وهو الذي يسمى الممتول ويسمى الممتول وكان يكون معربا منونا وأما تقديره الثاني فتقدير حسن ولذلك وقف على قوله اليوم أكثر القراء وابتدؤا بيغفر الله لكم على جهة الدعاء وهو تأويل ابن اسحاق والطبري وأما تقديره الثالث وهو أن يكون اليوم متعلقا بيغفر فقول وقد وقف بعض القراء على عليكم وابتدأ اليوم يغفر الله لكم ولما دعاهم بالمغفرة أخبر عن الله تعالى بالصفة التي هي سبب الغفران وهو أنه تعالى أرحم الراحمين فهو يرجو منه قبول دعائه لهم بالمغفرة والباء في بقميصي الظاهر أنها الحال أي مصحوبين أو ملتبسين به والظاهر أنه قميص من ملبوس يوسف صلى الله عليه وسلم منزلة قميص كل أحد قال ابن عطية وهكذا تبين الغرابة في أن وجود يعقوب ريج

بقميصي هذا فالقوله على وجه أبي يأت بصيرا وأتوني باهلاكم أجمعين * لما خاطبهم بقوله هل علمتم أدركوا أنه لا يستفهم ذلك لم ينشأ عندهم ولا تتبع أحوالهم وليس منهم فيما يظهر إلا وعنده علم بحالهم فيقال أنه كان يكلمهم من وراء حجاب فرفعه ووضع التاج وتبسم وكان يضيء ماحوله من نور تبسمه أو أوالمة بيضاء كالشامة في فرقه حين وضع التاج وكان مثلها لأبيه وجده وسارة فتوسموا أنه يوسف واستفهموه استفهام استخبار * وقيل استفهام تقرير لأنهم كانوا عرفوه بتلك العلامات التي سبق ذكرها * وقال الزمخشري (فان قلت) كيف عرفوه (قلت) رأوا في روائه وشأله حين كلمهم بذلك ما شعروا به أنه هو مع عامهم بان ما خاطبهم به لا يصدر إلا عن حنيف مسلم من نسل إبراهيم عليه السلام لا عن بعض أعزاء مصر * وقرأ الجمهور أنثك على الاستفهام والخلاف في تحقيق الهمزتين أو تليين الثانية وادخال ألف في التليين أو التحقيق مذكور في القراءات السبع * وقرأ قتادة وابن جحيم وابن كثير أنك بغير همزة استفهام والظاهر أنها مرادة وبعده جملة على الخبر المحض وقد قاله بعضهم لتعارض الاستفهام والخبر أن اتحاد القائمون في القول وهو الظاهر فإن قدر أن بعضا استفهم وبعضا أخبر ونسب في كل من القراءتين إلى المجموع قول بعضهم أمكن وهو مع ذلك بعيد وقرأ أبي أنثك وأنت يوسف وخرجه ابن جني على حذف خبر أن وقدره أنثك لأنث يوسف وأنت يوسف وقدره الزمخشري أنثك يوسف وأنت يوسف فحذف الأول لدلالة الثاني عليه قال وهذا كلام مستعجب مستغرب لما يسمع فهو يكرر الاستثبات انتهى * وحكى أبو عمر والدا في قراءة أبي بن كعب قالوا أو أنت يوسف وفي قراءة الجمهور أنثك لأنث يجوز أن تكون اللام دخلت على أنت وهو فصل وخبر أن يوسف كما تقول أن كان زيد لهو الفاضل ويجوز أن تكون دخلت على أنت وهو مبتدأ أو يوسف خبره والجملة في موضع خبر أن ولا يجوز أن يكون أنت توكيد للضمير الذي هو اسم الحيولة اللام بينهما ولما استفهموه أجابهم فقال أنا يوسف كاشفا لهم أمره وزادهم في الجواب قوله وهذا أخى لانه سبق قوله هل علمتم ما فعلتم بي يوسف وأخيه وكان في ذكر أخيه بيان لما سألو عنه وإن كان معلوما عندهم ونوطئة لما ذكر بعد من قوله قد من الله علينا أي بالاجتماع بعد الفرقة والانس بعد الوحشة ثم ذكر أن سبب من الله عليه هو بالتقوى والصبر والأحسن أن لا تختص التقوى بحالة ولا الصبر * وقال مجاهد من يتقى في تركه المعصية ويصبر في السجن * وقال النخعي من يتقى الزنا ويصبر على العزوبة * وقيل ومن يتقى الله ويصبر على المصائب * وقال الزمخشري من يتقى من يخف الله وعقابه ويصبر عن المعاصي وعلى الطاعات * وقيل من يتقى معاصي الله ويصبر على أذى الناس وهذه كلها تخصيصات بحسب حالة يوسف ونوازله * وقرأ قبل من يتقى فقيل هو مجزوم بحذف الياء التي هي لام الكلمة وهذه

من بعد ولو كان من قص الجنة كما قيل ما كان في ذلك غرابة ولو جده كل أحد وقوله فالتقوى على وجه أبي يأت بصيرا يدل على أنه علم أنه عصى من الحزن لما باعلامهم وأما بوحى من الله تعالى وقوله يأت بصيرا يظهر أنه بوحى من الله تعالى وأهلوه الذين أمر أن يؤتى بهم سبعون وقيل غير ذلك وفي واحد من هذا العدد حلوا بمصر ونحوها حتى خرج من ذريتهم مع موسى ستمائة ألف مع قرب الله عجب عظيم ومعنى يأت أي أتى والحق أني لم أسمع من أحد من أهلها بقميصه إذ كان أسرا إليه ارتداد

بصر أبيه بالقاء قميصه على وجهه والامر الثاني اتيانهم بأهلهم جميعا لتكمل مسرته بذلك ﴿ولما فصلت العير قال أبوهم اني لاجد ريح يوسف﴾ الآية يقال فصل من البلد يفصل فصولا انفصل منه وجاوز حيطانه وهو لازم وفصل الشيء فصلا فرقا وهو متعد ومعنى فصلت العير انفصلت من عريش مصر قاصدة مكان يعقوب صلى الله عليه وسلم وكان قريبا من بيت المقدس وهو الصحيح لان آثارهم وقبورهم هناك الى الآن وقرأ ابن عباس وجديره من مسيرة ثمانية أيام هاجت ريح فحملت عرفه وقيل غير ذلك ومعنى لأجد لاشم فهو وجود حاسة الشم وقال الشاعر
 واني لاستشفي بكل غمامة *
 يهب بها من نحو أرضك ريح * ومعنى ﴿تفندون﴾ قال ابن عباس تسفهون وتجهلون وقال منذر بن سعيد البلوطي يقال شيخ مفند أي قد فسد رأيه ولا يقال عجوز مفندة (٣٤٤) لان المرأة لم يكن لها قط رأى أصيل فيدخله التفنيد ولولا هنا

حرف امتناع لوجود وأن تفندون في موضع المبتدأ تقديره لولا تفنيدكم وجوابها محذوف قال الزمخشري المعنى لولا تفنيدكم إياي لصدقوني انتهى وقد يقال تقديره لولا أن تفندون لا خبرتكم بكونه حيا لم تمت لان وجدان ريحه دال على حياته والمخاطب بقوله تفندون الظاهر انه من تناسق الضمائر انه عائد على من كان بقي عنده من أولاده غير الذين راحوا يمتارون اذ كان أولاده جماعة وقيل المخاطب ولدوله ومن كان بحضرته من قرابته والضلال هنا لا يراد به ضد الهدى والرشاد قال ابن عباس

سقيالك فيمتعلق بمحذوف ونصوا على انه لا يجوز أن يتعلق عليكم بثريب لأنه كان يعرب فيكون منونا لأنه يصير من باب المشبه بالمضاف ولو قيل ان الخبر محذوف وعليكم متعلق بمحذوف بدل عليه تثريب وذلك المحذوف هو العامل في اليوم وتقديره لا تثريب عليكم اليوم كما قدر وافي لا عاصم اليوم من أمر الله أي يعصم اليوم لكان وجهها قوي لأن خبر لا اذا علم كثر حذفه عند أهل الحجاز ولم يلفظ به بنو تميم ولما دعاهم بالمغفرة أخبر عن الله بالصفة التي هي سبب الغفران وهو انه تعالى أرحم الرحماء فهو يرجو منه قبول دعائه لهم بالمغفرة والباء في بقميصي الظاهر انها للرجال أي مصحوبين أو ملتبسين به * وقيل للتعدي أي اذهبوا قميصي أي احموا قميصي * قيل هو القميص الذي توارثه يوسف وكان في عنقه وكان من الجنة أمره جبريل عليه السلام أن يرسله اليه فان فيدرج الجنة لا يقع على مبتلى ولا سقيم الا عوفي * وقيل كان لبراهيم كساء الله إياه من الجنة حين خرج من النار ثم لاسحاق ثم ليعقوب ثم ليوسف * وقيل هو القميص الذي قدم من دبر أرسله ليعلم يعقوب انه عصم من الفاحشة والظاهر أنه قميص من ملبوس يوسف بمنزلة قميص كل واحد * قال ذلك ابن عطية وهكذا تبين الغرابة في ان وجد يعقوب ريحه من بعد ولو كان من قص الجنة ما كان في ذلك غرابة ولو جده كل أحد وقوله فألقوه على وجه أبي يأت بصيرا يدل على انه علم انه عمي من الحزن اسبابا عليهم واما بوحى وقوله يأت بصيرا يظهر انه بوحى وأهلوه الذين أمر بأن يؤتى بهم سبعون أو ثمانون أو ثلثة وتسعون أو ستة وتسعون أقوال أولها للكلبي وثالثها للمسروق وفي واحد من هذا العدد حلوا بمصر ونما حتى خرج من ذريتهم مع موسى عليه السلام ستمائة ألف ومعنى يأت يأتيني وانتصب بصيرا على الحال ﴿ولما فصلت العير قال أبوهم اني لأجدر ريح يوسف لولا ان تفندون﴾ قالوا تالله انك لفي ضلالك القديم * فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه فارتد بصيرا قال ألم أقل لكم اني أعلم من الله ما لا تعلمون * قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا اننا كنا خاطئين * قال سوف أستغفر لكم ربى انه هو الغفور الرحيم ﴿فصل من البلد يفصل فصولا انفصل منه وجاوز حيطانه وهو لازم

المعنى انك لفي خطاك وكان حزن يعقوب قد تجدد بقصة بنيامين ﴿فلما أن جاء البشير﴾ أن زائدة للتأكيذ وزيادتها بعد ما قياس مطرد قال ابن عباس البشير كان يهودا لانه كان جاء بقميص الدم والضمير المستكن في ألقاه عائد على البشير وقوله ﴿انني أعلم من الله ما لا تعلمون﴾ من حياة يوسف وان الله تعالى يجمع بيننا ولما رجع اليه بصره وقرت عينه بالمسير الى ابنه يوسف وقرره على قوله ﴿ألم أقل لكم﴾ طلبوا منه أن يستغفر لهم الله لذنوبهم واعترفوا بالخطأ السابق منهم وسوف أستغفر لكم عدة لهم بالاستغفار بسوف وهي أبلغ في التنفيس من السين فعن ابن مسعود أنه أخر الاستغفار لهم الى السحرة عن ابن عباس الى ليلة الجمعة وعنه الى سحرها ولما وعدهم بالاستغفار رجاهم بحصول الغفران بقوله انه هو الغفور الرحيم وفي الكلام حذف تقديره فامتلوا ما أمرهم به يوسف من الذهاب والاتيان بأهلهم

(الدر) كما قدر وافي لا عاصم اليوم من أمر الله أي يعصم لكان وجهها قوي لأن خبر لا اذا علم كثر حذفه عند أهل الحجاز ولم يلفظ به بنو تميم

وفصل الشئ فصلا فرقا وهو متعمد ومعنى فصلت العير انفصلت من عريش مصر قاصدة مكان يعقوب وكان قريبا من بيت المقدس وقيل بالجزيرة وبيت المقدس هو الصحيح لأن آثارهم وقبورهم هناك إلى الآن * وقرأ ابن عباس ولما انفصل العير * قال ابن عباس وجدر يحمن مسيرة ثمانية أيام هاجت ريح فحملت عرفه * وقال الحسن وابن جرير من ثمانين فرسخا وكان مدة فراقه منه سبعة وسبعين سنة وعن الحسن أيضا وجدته من مسيرة ثلاثين يوما وعنه مسيرة عشر ليال وعن أبي أيوب المهروري أن الريح استأذنت في إيصال عرفي يوسف إلى يعقوب فأذن لها في ذلك * وقال مجاهد صفقت الريح القميص ف راحت روائح الجنة في الدنيا واتصلت بـيعقوب فوجد ريح الجنة فعلم أنه ليس في الدنيا من ريح الجنة إلا ما كان من ذلك القميص ومعنى لأجل اسم فهو وجود حاسة الشم وقال الشاعر

واني لاستشفى بكل غمامة * يهب بها من نحو أرضك ريح

ومعنى تفندون قال ابن عباس ومجاهد وقتادة تسفهون وعن ابن عباس أيضا تجهلون وعنه أيضا تضعفون * وقال عطاء وابن جبير تكذبون * وقال الحسن تهرمون * وقال ابن زيد والضحاك ومجاهد أيضا تقولون ذهب عقلك وخرفت * وقال أبو عمر وتقهحون * وقال الكسائي تعجزون * وقال أبو عبيد تضللون * وقيل تخطئون وهذه كلها مقاربة في المعنى وهي راجعة لاعتقاد فساد رأي المفند إما لجهله أو لهوى غالب عليه أو لكذبه أو لضعفه وعجزه لذهاب عقله بهرمة * وقال منذر ابن سعيد البلوطي يقال شيخ مفند أي قد فسد رأيه ولا يقال عجوز مفند لأن المرأة لم يكن لها رأي قط أصيل فيدخله التفنيد * وقال معناه الزمخشري قال التفنيد النسبة إلى الفند وهو الخوف وانكار العقل من هرم يقال شيخ مفند ولا يقال عجوز مفند لأنها لم تكن في شببتها ذات رأي فتفند في كبرها ولولا هنا حرف امتناع لوجود وجوابها مخدوف * قال الزمخشري المعنى لولا تفنيدكم إياي لصدقتوني انتهى وفيد يقال تقديره لولا أن تفندوني لأخبرتكم بكونه حيا لم يموت لأن وجداني ريحه دال على حيائه والمخاطب بقوله تفندون الظاهر من تناسق الضمائر أنه عائد على من كان بقي عنده من أولاده غير الذين را حوا يمتارون إذ كان أولاده جماعة * وقيل المخاطب ولد ولده ومن كان يحضرته من قرابته والضلال هنا لا يراد به ضلاله في الرشاد * قال ابن عباس المعنى أنك لفي خطئك وكان حزن يعقوب قد تجدد بقصة بنيامين ولذلك يقال له ذوا الحزنين * وقال مقاتل الشقاء والعناء * وقال ابن جبير الجنون ويعنى والله أعلم غلبة المحبة * وقيل الهلاك والذهاب من قولهم ضل الماء في اللبن أي ذهب فيه * وقيل الحب ويطلق الضلال على المحبة * وقال ابن عطية ذلك من الجفاء الذي لا يسوغ لهم مواجهته به وقد تأوله بعض الناس على ذلك ولهذا قال قتادة قالوا والدمهم كلمة غليظة لم يكن ينبغي لهم أن يقولوها والدم ولا النبي الله صلى الله عليه وسلم * وقال الزمخشري لفي ذهابك عن الصواب قدما في افراط محبتك ليوسف ولهجك بذكره ورجائك لقاءه وكان عندهم أنه قد مات روى عن ابن عباس أن البشير كان يهودا لأنه كان جاء بقميص الدم * وقال أبو الفضل الجوهري قال يهودا لاخوته قد علمتم أني ذهبت إليه بقميص القرحة فدعوني أذهب إليه بقميص الفرحة فتركوه وقال هذا المعنى السدى وأن تطرد زيادتها بعد ما والضمير المستكن في اللقاء عائد على البشير وهو الظاهر هو لقوله فألقوه * وقيل يعود على يعقوب والظاهر أنه أريد الوجه كله كما جرت العادة أنه متى وجد الإنسان شيئا يعتقد فيه البركة مسح به وجهه * وقيل عبر بالوجه عن العينين

فاما دخلا على يوسف آوى اليه أبويه ﴿ الآية ذكروا أن يوسف جهز الى أبيه جهازا ومائتي راحلة ليتجهز اليه بمن معه وخرج يوسف عليه السلام قسلا والملك في أربعة آلاف من الجند والعظماء وأهل مصر بأجمعهم فتلقوا يعقوب صلى الله عليه وسلم وهو مشى يتوكأ على يهودا فنظر الى الخيل والناس فقال يا يهودا أهذا فرعون مصر قال لا ولكن هذا ولدك فاما لقيه يعقوب قال السلام عليك يا مذهب الاحزان آوى اليه أبويه أى ضدهما اليه وعانقهما والظاهر أنهما أبوه وأمه راحيل فقال الحسن وابن اسحاق كانت أمه بالحيا وظاهر قوله ادخلوا (٣٤٦) مصر أنه أمر بإنشاء دخول مصر قال السدي قال لهم ذلك وهم في

الطريق حين تلقاهم انتهى فيبقى قوله فاما دخلا على يوسف كانه ضرب لهم مضرب أو بيت حالة التلقى في الطريق فدخلا عليه فيه ومعنى ادخلوا أى تمكنوا واستقروا فيها والظاهر تعليق الدخول على مشيئة الله تعالى لما أمرهم بالدخول علق ذلك على مشيئة الله لان جميع الكائنات انما تكون بمشيئته تعالى وما لم يشأ لم يكن ﴿ ورفع أبويه على العرش والعرش سرير الملك ولما دخل يوسف مصر وجلس في مجلسه على سريرته واجتمعوا اليه أكرم أبويه فرفعهما على السرير وخصهما بذلك تكرر بما لهما دون اخوته والضمير في ﴿ وخرأ ﴾ عائد على أبويه واخوته وظاهر قوله وخرأ له سجدا انه السجود المعهود وان الضمير في له عائد على يوسف لمطابقة الرؤيا في قوله انى رأيت أحد عشر كوكبا الآية وكان السجود اذا جازا من باب التكرير بالمصاحفة وتقبيلا اليد والقيام مما شهر بين الناس من باب التعظيم والتقوير ﴿ وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل ﴿ أى سجدكم هذا تأويل أى عاقبة رؤياي ان تلك الكواكب والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين ومن متعلق برؤياي والحنوف في من قبل تقديره من قبل هذه الكواكب والحوادث التي جرت بعد رؤياي ثم ابتداء يوسف بتعديدهم الله تعالى عليه فقال ﴿ قد

لأنهم ما فيه * وقيل عبر بالكل عن البعض وارتد عدد بعضهم في أخوات كان والصحيح انها ليست من أخواتها فانتصب بصيرا على الحال والمعنى انه رجع الى حاله الأولى من سلامة البصر ففي الكلام ما يشعر أن بصره عاد أقوى مما كان عليه وأحسن لأن فعلا من صيغ المبالغة وما عدل من مفعل الى فاعل لهذا المعنى انتهى وليس كذلك لأن فعلا هنا ليس للمبالغة إذ فاعل الذى للمبالغة هو معدول عن فاعل لهذا المعنى وأما بصيراهنا فهو واسم فاعل من بصر بالشئ فهو جار على قياس فعل نحو ظرف فهو ظرف ولو كان كذا زعم بمعنى مبصر لم يكن للمبالغة أيضا لأن فعلا بمعنى مفعول ليس للمبالغة نحو أليم وسديع بمعنى مؤلم ومسمع * وروى ان يعقوب سأل البشير كيف يوسف قال ملك مصر قال ما صنع بالملك قال على أى دين تركته قال على الاسلام قال الآن تمت النعمة * وقال الحسن لم يجد البشير عند يعقوب شيئا يبيته به وقال ما خبرنا شيئا منذ سبع ليال ولكن هون الله عليك سكرات الموت * وقال الضحاك رجع اليه بصره بعد العمى والقوة بعد الضعف والشباب بعد الهرم والسرور بعد الكرب والظاهر ان قوله انى أعلم محكى بالقول ويريد به انما أشكو وبشئ وحزنى الى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون * فقيل ما لا تعلمون من حياة يوسف وان الله يجمع بيننا وبينه * وقيل من صحة رؤيا يوسف عليه السلام * وقيل من بلوى الانبياء بالحزن ونزول الفرج * وقيل من أخبار ملك الموت إياى وكان أخبره انه لم يقبض روحه * وقال ابن عطية ما لا تعلمون هو انتظاره لتأويل الرؤيا يحتمل أن يشير الى حسن ظنه بالله فقط * وقال الزمخشري ألم أقل لكم يعنى قوله انى لأجدر بخ يوسف أو قوله ولا تيأسوا من روح الله وقوله انى أعلم كلام مبتدأ لم يقع عليه القول انتهى وهو خلاف الظاهر الذى قدمناه ولما رجع اليه بصره وقرت عينه بالسير الى ابنه يوسف وقررهم على قوله ألم أقل لكم طلبوا منه ان يستغفر لهم الله لذنوبهم واعترفوا باخطأ السابق منهم وسوف أستغفر لكم عدة لهم بالاستغفار بسوف وهى أبلغ في التنفيس من السين * فعن ابن مسعود انه أخر الاستغفار لهم الى السحر * وعن ابن عباس الى ليلة الجمعة وعنه الى سحرها * قال السدي ومقاتل والزجاج أخر لاجابة الدعاء لاضنة عليهم بالاستغفار وقالت فرقة سوف الى قيام الليل * وقال ابن جبير وفرقة الى الليالى البيض فان الدعاء فيها يستجاب * وقال الشعبي أخره حتى يسأل يوسف فان عفا عنهم استغفر لهم * وقيل أخرهم ليعلم حالهم في صدق التوبة واخلاصها * وقيل أراد الدوام على الاستغفار لهم ولما وعدهم بالاستغفار رجاءهم بحصول الغفران بقوله انه هو الغفور الرحيم ﴿ فاما دخلا على يوسف آوى اليه أبويه وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمين * ورفع أبويه على العرش وخرأ له سجدا وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد

الضمير في له عائد على يوسف لمطابقة الرؤيا في قوله انى رأيت أحد عشر كوكبا الآية وكان السجود اذا جازا من باب التكرير بالمصاحفة وتقبيلا اليد والقيام مما شهر بين الناس من باب التعظيم والتقوير ﴿ وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل ﴿ أى سجدكم هذا تأويل أى عاقبة رؤياي ان تلك الكواكب والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين ومن متعلق برؤياي والحنوف في من قبل تقديره من قبل هذه الكواكب والحوادث التي جرت بعد رؤياي ثم ابتداء يوسف بتعديدهم الله تعالى عليه فقال ﴿ قد

جعلها ربي حقا * أي صادقة رأيت ما وقع لي في المنام يقظة حقيقة لا باطل فيها ولا لغو وفي المدة التي كانت بين رؤياه وسجودهم خلاف متناقض وأحسن أصله أن يتعدى بآلى قال تعالى وأحسن كما أحسن الله اليك وقد يتعدى بالباء قال تعالى وبالوالدين أحسانا وقد يكون ضمن أحسن معنى لطف فعداه بالباء وذكر إخراجه من السجن وعدل عن إخراجه من الحب صفحا عن ذكر ما يتعلق بفعل أخوته وتناسيا لما جرى منهم إذ قال لا تريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وتنبها على طهارته نفسه وبرائتها مما نسب إليه من المرادوة وعلى ما تنقل إليه من الرياسة في الدنيا بعد خروجه من السجن بخلاف ما تنقل إليه بالخروج من الحب إلى أن يبيع بيع العبيد * وجاء بكم من البدو * أي من البادية وكان منزل (٣٤٧) يعقوب باطراف الشام بالبادية بادية فلسطين

وكان ربا بل وغنم وبادية وقابل يوسف نعمة إخراجه من السجن بجميعهم من البدو والاشارة بذلك إلى الاجتماع بابيه وأخوته وزوال حزن أبيه وفي الحديث من يرد الله به خيرا ينقله من البادية إلى الحاضرة * من بعد أن نزع الشيطان * أي أفسد وتقدم الكلام على نزع وأسند النزوع إلى الشيطان لانه هو الموسوس كما قال تعالى فازلها الشيطان عنها وذكر هذا القدر من أمر إخوته لان النعمة اذا جاءت اثر بلاء وشدة كانت أحسن موقعا * إن ربي لطيف * أي لطيف التدبير * لما يشاء * من الأمور رفيق ومن في قوله من الملك وفي من تأويل التبعيض لأنه لم

جعلها ربي حقا وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن وجاء بكم من البدو من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين أخوتي إن ربي لطيف لما يشاء انه هو العليم الحكيم * رب قد آتيتني من الملك وعامتني من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت ولي في الدنيا والآخرة توفني مسلما وألحقني بالصالحين * في الكلام حذف تقديره فرحل يعقوب بأهله أجمعين وساروا حتى تلقوا يوسف * قيل وجهر يوسف إلى أبيه جهازا ومائتي راحلة ليمتجهز إليه بمن معه وخروج يوسف قيل والملك في أربعة آلاف من الجند والعظماء وأهل مصر بأجمعهم فلتقوا يعقوب عليه السلام وهو يمشي يتوكأ على يهودا فنظر إلى الخيل والناس فقال يا يهودا أهذا فرعون مصر فقال لا هذا ولدك فاما لقيه يعقوب عليه السلام قال السلام عليك يا منذهب الاحزان * وقيل ان يوسف قال له لما التقيا يا أبت بكيت علي حتى ذهب بصرك ألم تعلم ان القيامة تجمعنا قال بلى ولكن خشيت أن تسلب دينك فيحال بيني وبينك * آوى إليه آوى به أي ضمهما إليه وعانقهما والظاهر انهما أبوه وأمه راحيل * فقال الحسن وابن اسحق كانت أمه بالحياة * وقيل كانت ماتت من نفاس بنيامين وأحيها له ليصدق رؤياه في قوله والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين * حكى هذا عن الحسن وابن اسحق أيضا * وقيل أبوه وخالته وكان يعقوب تزوجها بعد موت راحيل والخالة أم روى عن ابن عباس وكانت ربت يوسف والراية تدعى أما وقال بعضهم أبوه وجدته أم أمه حكاه الزهراوى وفي مصحف عبد الله آوى إليه أبوه وأخوته وظاهر قوله ادخلوا مصر انه أمر بانشاء دخول مصر * قال السدى قال لهم ذلك وهم في الطريق حين تلقاهم انتهى فيبقى قوله فادخلوا على يوسف كانه ضرب له مضرب أو بيت حالة التلقى في الطريق فدخلوا عليه فيه * وقيل دخلوا عليه في مصر ومعنى ادخلوا مصر أي تمكنوا منها واستقروا فيها والظاهر تعلق الدخول على مشيئة الله لما أمرهم بالدخول لملق ذلك على مشيئة الله لان جميع الكائنات انما تكون بمشيئة الله ومالا يشاء لا يكون * وقال الزمخشري التقدير ادخلوا مصر ان شاء الله آمين ان شاء الله دخلتم آمين ثم حذف الجزاء لدلالة الكلام ثم اعترض بالجملة الجزائية بين الحال وذى الحال ومن بدع التفسير أن قوله ان شاء الله من باب التقديم والتأخير وان موضعه بعد قوله سوف أستغفر لكم ربي في كلام يعقوب انتهى

يؤته البعض ملك الدنيا ولا علم البعض التأويل وانتصب فاطر على الصفة أو على النداء * أنت ولي * تتولاني بالنعمة في الدارين وتوصل الملك الفاني بالملك الباقي وذكر كثير من المفسرين أنه لما عدد نعم الله عليه تشوف إلى لقاء ربه ولحقه بصالح سلفه ورأى أن الدنيا كلها فانية فتقضى الموت والذي يظهر أنه ليس في الآية معنى الموت وانما عدد نعمه تعالى عليه ثم دعاء أن يتم عليه النعم في باقى أمره أي توفني اذا حان أجلي على الاسلام واجعل لحاقى بالصالحين وانما معنى الوفاة على الاسلام لا الموت والصالحين أهل الجنة وقيل غير ذلك وعلماء التارخ يزعمون أن يوسف صلى الله عليه وسلم عاش مائة عام وسبعة أعوام وله من الولد أفرأيم ومنشا

(الدر) (س) ومن بدع التفسير ان قوله ان شاء الله من باب التقديم والتأخير وان موضعه بعد قوله سوف أستغفر لكم ربي من كلام يعقوب انتهى (ح) هذا البدع من التفسير مروى عن ابن جريح وهو في غاية البعد بل في غاية الامتناع

وهذا البدع من التفسير مروي عن ابن جريج وهو في غاية البعد بل في غاية الامتناع والعرش
سري الملك ولما دخل يوسف مصر وجلس في مجلسه على سريرته واجتمعوا اليه أكرم أبويه
فرفعهما معه على السرير ويحتمل أن يكون الرفع والخروج قبل دخول مصر بعد قوله ادخلوا
مصر فكان يكون في قبة من قباب الملوك التي تحمل على البغال أو الابل فحين دخلوا اليه آوى اليه
أبويه وقال ادخلوا مصر ورفع أبويه وخر والده والضمير في وخر عائد على أبويه وعلى اخوته
* وقيل الضمير في وخر وعائد على اخوته وسائر من كان يدخل عليه لاجل هيئته ولم يدخل
في الضمير أبواه بل رفعهما على سرير ملكه تعظيما لهما وظاهر قوله وخر والده سجدا انه السجود
المعهود وان الضمير في له عائد على يوسف لمطابقة الرؤيا في قوله اني رأيت أحد عشر كوكبا الآية
وكان السجود اذ ذاك جائزا من باب التكريم بالمصافحة وتقبيل اليد والقيام بماشى بين الناس في
باب التعظيم والتوقير * وقال قتادة كانت تحية الملوك عندهم وأعطى الله هذه الأمة السلام تحية
أهل الجنة * وقيل هذا السجود كان ايماء بالرأس فقط * وقيل كان كالركوع البالغ دون وضع
الجنبه على الأرض ولفظة وخر واتأى هذين التفسيرين * قال الحسن الضمير في له عائد على الله
أى خروا لله سجدا شكر اعلى ما أوزعهم من هذه النعمة وقد تأول قوله رأيتهم لى ساجدين على ان
معناه رأيتهم لاجلى ساجدين واذا كان الضمير ليوسف فقال المفسرون كان السجود تحية
للعادة * وقال أبو عبد الله الداراني لا يكون السجود الا لله لا ليوسف ويعد من عقله ودينه أن
يرضى بأن يسجد له أبوه مع سابقته من صون أولاده والشيخوخة والعلم والدين وكمال النبوة * وقيل
الضمير وان عاد على يوسف فالسجود كان لله تعالى وجعلوا يوسف قبله كما تقول صليت للكعبة
وصليت الى الكعبة وقال حسان

ما كنت أعرف ان الدهر منصرف * عن هاشم ثم عنها عن أبي حسن
أليس أول من صلى لقبلكم * وأعرف الناس بالاشياء والسنن

* وقيل السجود هنا التواضع والخروج بمعنى المرور لا السقوط على الأرض لقوله والذين اذا
ذكروا آيات ربهم لم يخروا عليها صاومعيانا أى لم يمرروا عليها * وقال ثابت هذا تأويل رؤياي
من قبل أى سجدتكم هذا تأويل أى عاقبة رؤياي أن تلك الكواكب والشمس والقمر رأيتهم لى
ساجدين ومن قبل متعلق برؤياي والمخدوف في من قبل تقديره من قبل هذه الكوائن والحوادث
التي جرت بعد رؤياي ومن تأول ان أبويه لم يسجدوا له زعم أن تعبيرا للرؤيا لا يلزم أن يكون مطابقا
لرؤيا من كل الوجوه فسجدوا الكواكب والشمس والقمر يعبر بتعظيم الاكابر من الناس ولا
شك أن ذهاب يعقوب عليه السلام مع ولده من كنعان الى مصر لاجل يوسف نهاية في التعظيم له
فكفى هذا القدر في حجة الرؤيا وعن ابن عباس انه لما رأى سجدوا أبويه واخوته هاله ذلك واقشعر
جلده منه * وقال ليعقوب هذا تأويل رؤياي من قبل ثم ابتداء يوسف عليه السلام بتعديده نعم الله
عليه فقال قد جعلها ربى حقا أى صادقة رأيت ما يقع لى في المنام يقظة لا باطل فيها ولا لغو وفي المدة
التي كانت بين رؤياه وسجودهم خلاف متناقض * قيل ثمانون سنة * وقيل ثمانية عشر عاما
* وقيل غير ذلك من رتب العدد وكذا المدة التي أقام يعقوب فيها بمصر عند ابنه يوسف خلاف
متناقض وأحسن أصله أن يتعدي بالى قال وأحسن كما أحسن الله اليك وقد يتعدي بالباء قال تعالى
وبالوالدين احسانا كما يقال أساء اليه وبه قال الشاعر

ورحمة زوجة أيوب قال
الزهري وولد لافرائيم نون
ولنون يوشع وهو فتى
موسى وولد لئيشا موسى
وهو قبل موسى بن عمران
ويزعم أهل التوراة أنه
صاحب الخضر وكان ابن
عباس ينكر ذلك وثبت
في الحديث الصحيح أن
صاحب الخضر موسى بن
عمران وتوارثت الفراعنة
ملك مصر ولم تزل بنو
اسرائيل تحت أيديهم
على بقايا دين يوسف عليه
السلام وأبيه الى أن بعث
الله محمدا صلى الله عليه وسلم

أسيئ بنا أو أحسن لا ملومة * لدينا ولا مقلية ان تقلت
وقد يكون ضمن أحسن معنى لطف فعداهم بالبلاء وذكر أخرجه من السجن وعدل عن أخرجه
من الحب صفحا عن ذكر ما تعلق بقول اخوته وتناسيا لما جرى منهم اذ قال لا تثرىب عليكم اليوم
يغفر الله لكم وتنبها على طهارة نفسه وبراءتها مما نسب اليه من المراودة وعلى ما تنقل اليه من
الرياسة في الدنيا بعد خروجه من السجن بخلاف ما تنقل اليه بالخروج من الحب الى أن يبيع مع
العبيد وجاء بهم من البدو من البادية وكان ينزل يعقوب عليه السلام بأطراف الشام ببادية فلسطين
وكان رب ابل وغنم وبادية * وقال الزخشي كانوا أهل عمد وأصحاب مواش يتنقلون في المياه
والمناجع * قيل كان تحول الى بادية وسكنها فان الله لم يبعث نبيا من أهل البادية * وفيه كان
خرج الى بدا وهو موضع وياه عنى جميل بقوله

وأنت التي حبت شعبا الى بدا * الى وأوطاني بلاد سواها

ولي يعقوب عليه السلام بهذا الموضع مسجد تحت جبل * يقال بدا القوم بدوا اذا أتوا بدا كما يقال
غاروا غورا اذا أتوا الغور والمعنى وجاء بهم من مكان بدا ذكره القشيري وحكاها الماوردي عن
الضحاك وعن ابن عباس وقابل يوسف عليه السلام نعمة أخرجه من السجن بمجيئهم من البدو
والاشارة بذلك الى الاجتماع بابيه واخوته وزوال حزن أبيه ففي الحديث من برد الله به خيرا ينقله من
البادية الى الحاضرة * من بعد أن نزع أي أفسد وتقدم الكلام على نزع وأسند النزغ الى الشيطان
لانه الموسوس كما قال فازلها الشيطان عنها ودكر هذا القدر من أمر اخوته لان النعمة اذا جاءت إثر
شدة وبلاء كانت أحسن موقعا * ان ربي لطيف أي لطيف التدبير لما يشاء من الامور رفيق ومن
في قوله من الملك وفي من تأويل للتبعيض لانه لم يؤته الا بعض ملك الدنيا ولا عامه الا بعض التأويل
ويبعد قول من جعل من زائدة أو جعلها البيان الجنس والظاهر ان الملك هنا ملك مصر * وقيل
ملك نفسه من انفاذ شهوته * وقال عطاء ملك حساده بالطاعة ونيل الاماني من الملك * وقرأ عبد
الله وعمر وبن ذر آيتين وعلمتني بحذف الياء منهما اكتفاء بالكسرة عنهما مع كونهما ثابتتين
خطا * وحكي ابن عطية عن ابن ذر انه قرأ رب آيتني بغير قد وانتصب فاطر على الصفة أو على
النداء وأنت ولي تتولاني بالنعمة في الدارين وتوصل الملك الفاني بالملك الباقي وذكر كثير من

المفسرين انه لما عدنم الله عنده تشوق الى لقاء ربه ولحاقه بصالحى سلفه ورأى أن الدنيا كلها فانية
فتمنى الموت * وقال ابن عباس لم يمتن الموت حتى غير يوسف والذي يظهر انه ليس في الآية بمعنى
الموت وانما عدد نعمة عليه ثم دعا أن يتم عليه النعم في باقي أمره أي توفي اذا حان أجله على الاسلام
واجعل لحاقى بالصالحين وانما معنى الوفاة على الاسلام لا الموت والصالحين أهل الجنة أو الانبياء أو آبائهم
ابراهيم واسحق ويعقوب وعلماء التاريخ يزعمون أن يوسف عليه السلام عاش مائة عام وسبعة أعوام
وله من الولد افرائيم ومنشاور حمة زوجة أيوب عليه السلام * قال الذهبي وولد لافرائيم نون
ولنون يوشع وهو فتى موسى عليه السلام وولد لمثاشاموسى وهو قبل موسى بن عمران عليه السلام
وزعم أهل التوراة انه صاحب الخضر وكان ابن عباس ينكر ذلك وثبت في الصحيح ان صاحب
الخضر هو موسى بن عمران وتوارثت الفرعنة ملك مصر ولم تزل بنو اسرائيل تحت أيديهم على
بقايا دين يوسف عليه السلام الى أن بعث موسى عليه السلام * ذلك من أنباء العيب نوحيه اليك

* ذلك من أنباء الغيب
نوحيه اليك * قال ابن
الانباري سألت قريش
واليهود رسول الله صلى
الله عليه وسلم عن قصة
يوسف فنزلت مشروحة
شرحها شافيا وأمل صلى
الله عليه وسلم أن يكون
سببا لاسلامهم فخالفوا
تأمله فعزاه الله بقوله
وما أكره الناس الآيات
والاشارة بذلك الى ما قصه
الله تعالى من قصة يوسف
واخوته

﴿ وما كنت لديهم ﴾ أي عند بني يعقوب حين أجمعوا أمرهم على أن يجعلوه في الحب ولا حين ألقوه فيه ولا حين التقطته السيارة ولا حين بيع ﴿ وهم يكررون ﴾ أي يبيعون الغوائل ليوسف ويتشاورون فيما يفعلون به أو يكررون بيع يعقوب حين أتوا بالقميص ملطخا بالدم وفي هذا تصريح لقريش بصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا النوع في علم البيان يسمى بالاحتجاج النظري وبعضهم يسميه المذهب الكلامي وهو أن يلزم الخصم ما هو لازم لهذا الاحتجاج وتقدم نظير ذلك في آل عمران وفي هود وهذا أنهم يقرش وبمن كذبه لأنه لا يخفى على أحد أنه لم يكن من جملة هذا الحديث وأشباهه ولا لقي فيه أحد ايعلمه بشئ من ذلك ولم يسمع منه ولم يكن من علم قومه فاذا أخبر به وقصه هذا القصص الذي أعجز حمله ورواته لم تقع شبهة في أنه ليس منه وأنه من جهة الوحي فاذا أنكره تهكم بهم وقيل لهم قد علمتم أنه لم يكن مشاهدا من مضى من القرون الخالية ونحوه وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر بقوله (٣٥٠) وما كنت هناك على جهة التهكم بهم لأنه قد علم كل أحد أن محمدا

صلى الله عليه وسلم ما كان معهم وأجمعوا أمرهم أي عزموا على إلقاء يوسف في الحب وهم يكررون جملة حاله والمكر أن يدبر على الإنسان تدبير يضره ويؤذيه والناس الظاهر العموم لقوله تعالى ولا يكن أكثر الناس لا يؤمنون وعن ابن عباس أنهم أهل مكة ﴿ ولو حرصت ﴾ ولو بالغت في طلب إيمانهم لا يؤمنون لفرط عنادهم وتصميمهم على الكفر وجواب لو محذوف أي ولو حرصت لم يؤمنوا إنما يؤمن من يشاء الله إيمانه والضمير في عليه عائدا على ما يحدثهم به وبذكرهم أن ينيلوا منفعة

وما كنت لديهم إذا جمعوا أمرهم وهم يكررون * وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين * وما تسألهم عليه من أجر إن هو الا ذكر للعالمين * وكأين من آية في السموات والارض يمررون عليها وهم عنها معرضون * وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون * أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله أو تأتيهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون * قال ابن الأنباري سألت قريش واليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قصة يوسف فنزلت مشروحة شرحا وافيًا وأمل أن يكون ذلك سببا لسلامهم فخالفوا تأميله فعزاه الله تعالى بقوله وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين الآيات وقيل في المنافقين وقيل الثنوية * وقيل في النصاري * وقال ابن عباس في تلبية المشركين * وقيل في أهل الكتاب آمنوا ببعض وكفروا ببعض فجاءوا بين الإيمان والشرك والاشارة بذلك الى ما قصه الله من قصة يوسف واخوته وما كنت لديهم أي عند بني يعقوب حين أجمعوا أمرهم على أن يجعلوه في الحب ولا حين ألقوه فيه ولا حين التقطته السيارة ولا حين بيع وهم يكررون أي يبيعون الغوائل ليوسف ويتشاورون فيما يفعلون به أو يكررون بيع يعقوب حين أتوا بالقميص ملطخا بالدم وفي هذا تصريح لقريش بصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا النوع من علم البيان يسمى بالاحتجاج النظري وبعضهم يسميه المذهب الكلامي وهو أن يلزم الخصم ما هو لازم لهذا الاحتجاج وتقدم نظير ذلك في آل عمران وفي هود وهذا أنهم يقرش وبمن كذبه لأنه لا يخفى على أحد أنه لم يكن من جملة هذا الحديث وأشباهه ولا لقي فيها أحد اولا يسمع منه ولم يكن من علم قومه فاذا أخبر به وقصه هذا القصص الذي أعجز حمله ورواته لم تقع شبهة في أنه ليس منه وإنما هو من جهة القرون الخالية ونحوه وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر بقوله وما كنت هناك على جهة التهكم بهم لأنه قد علم كل أحد أن محمدا ان محمد ا صلى الله عليه وسلم ما كان معهم وأجمعوا أمرهم أي عزموا على إلقاء يوسف في الحب وهم

وجدوى كما يعطى جملة الأحاديث والأخبار ان هو الاعطة وذكر من الله تعالى للعالمين عامة وحث على طلب النجاة على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أخبر تعالى أنهم لفرط كفرهم يمررون على الآيات التي تكون سببا للإيمان فيعرضون عنها ولا تفيد عندهم شيئا ولا تؤثر فيهم وان تلك الآيات هي في العالم العلوي وفي العالم السفلي ومعنى يمررون عليها أي يمشون عليها والمراد ما يرون من آثار الامم الهالكة وغير ذلك من العبر ﴿ وهم مشركون ﴾ جملة حاله أي إيمانهم ملتبس بالشرك قال ابن عباس هم أهل الكتاب أشركوا بالله من حيث كفروا بآبائه صلى الله عليه وسلم ﴿ أفأمنوا ﴾ استفهام انكار في معنى التوبيخ والتهديد ﴿ غاشية ﴾ نقمة تعشاها أي تعطيهم كقوله تعالى يوم يغشاها العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم وقال الضحاك يعني الصواعق والقوارع انتهى وإتيان الماشية يعني في الدنيا وذلك لمقابلته بقوله ﴿ أو تأتيهم الساعة ﴾ أي يوم القيامة ﴿ بغتة ﴾ فجأة في الزمان ومن حيث لا يتوقع ﴿ وهم لا يشعرون ﴾ تأكيد لقوله بغتة قال السكرماني لا يشعر بآياتها أي وهم غير مستعدين لها قال ابن عباس تأخذهم السجدة وهم على أسواقهم ومواضعهم

يكرهون جملة حالية والمكر أن يدبر على الإنسان تدبيراً يضره ويؤذيه والناس الظاهر العموم
 لقوله ولكن أكثر الناس لا يؤمنون * وعن ابن عباس أنهم أهل مكة ولو حرصت ولو بالغت في
 طلب إيمانهم لا يؤمنون لفرط عنادهم وتصميمهم على الكفر وجواب لو محذوف أي ولو حرصت
 لم يؤمنوا أنما يؤمن من يشاء الله إيمانه والضمير في عليه عائد على دين الله أي ما تبتغي عليه أجراء على
 دين الله * وقيل على القرآن * وقيل على التبليغ * وقيل على الانباء بمعنى القول وفيه توبيخ
 للكفرة وإقامة الحجة عليهم أو وما نسألهم على ما تحدثهم به وتذكرهم أن ينيلوك منفعة وجدوى كما
 يعطى جملة الأحاديث والأخبار أن هو الأمر عظة وذكر من الله للعالمين عامة وحث على طلب النجاة
 على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم * وقرأ بشر بن عبيد وما نسألهم بالنون ثم أخبر تعالى أنهم
 لفرط كفرهم يمررون على الآيات التي تكون سبب للإيمان ولا تؤثر فيهم وإن تلك الآيات هي في العالم
 العلوي وفي العالم السفلي وتقدم قراءة ابن كثير وكأين * قال ابن عطية وهو اسم فاعل من كان
 فهو كأين ومعناها معنى كم في التكثير انتهى وهذا شئ يروى عن يونس وهو قول مرجوح في
 النحو والمشهور عندهم أنه مركب من كاف التشبيه ومن أي وتلاعبت العرب به فجاءت به لغات
 وذكر صاحب اللوامح أن الحسن قرأ وكى يباء مكسورة من غير همز ولا ألف ولا تشديد وجاء
 كذلك عن ابن محيصن فهي لغة انتهى من آية علامة على توحيد الله وصفاته وصدق ما جرى به عنه
 وقرأ عكرمة وعمر بن قائد والارض بالرفع على الابتداء وما بعده خبر ومعنى يمررون عليها
 فيشاهدون ما فيها من الآيات * وقرأ السدي والارض بالنصب وهو من باب الاشتغال أي ويطوون
 الارض يمررون عليها على آياتها وما أودع فيها من الدلالات والضمير في عليها وعنها في هاتين القراءتين
 يعود على الارض وفي قراءة الجمهور وهي بحر الارض يعود الضمير على آية أي يمررون على تلك
 الآيات ويشاهدون تلك الدلالات ومع ذلك لا يعتبرون * وقرأ عبد الله والارض برفع الضاد ومكان
 يمررون يشون والمراد ما يرون من آثار الأمم المهلكة وغير ذلك من العبر وهم مشركون جملة حالية
 أي إيمانهم ملتبس بالشرك * وقال ابن عباس هم أهل الكتاب أشركوا بالله من حيث كفروا بنبيه
 أو من حيث ما قالوا في عزيز والمسيح * وقال عكرمة ومجاهد وقتادة وابن زيد هم كفار العرب أقروا
 بالخالق الرازي المحي المميت وكفروا بعبادة الأوثان والأصنام * وقال ابن عباس هم الذين يشبهون
 الله بخلقه * وقيل هم أهل مكة قالوا الله ربنا لا شريك له والملائكة بناته فاشركوا ولم يوحدا *
 وعن ابن عباس ومجاهد وعكرمة والشعبي وقتادة أيضاً ذلك في تلييتهم يقولون لبيك لا شريك لك
 لا شريك هو لك تملكه وما ملك وفي الحديث كان صلى الله عليه وسلم إذا سمع أحدهم يقول لبيك
 لا شريك لك يقول له فقطط أي قف هنا ولا تزد لا شريك هو لك * وقيل هم الثنوية قالوا بالنور
 والظلمة * وقال عطاء هذا في الدعاء ينسى الكفار ربهم في الرخاء فإذا أصابهم البلاء أخلصوا في
 الدعاء * وقيل هم المنافقون جهروا بالإيمان وأخفوا الكفر * وقيل على بعض اليهود عبدوا عزيزاً
 والنصارى عبدوا الكواكب * وقيل قريش لما غشيهم الدخان في سنى القحط قالوا نامؤمنون ثم
 عادوا إلى الشرك بعد كشفه * وقيل جميع الخلق مؤمنهم بالرسول وكافرهم بالكفر تقدم شركهم
 والمؤمنون فيهم الشرك الخفي وأقر بهم إلى الكفر المشبهة ولذلك قال ابن عباس آمنوا مجملاً وكفروا
 مفصلاً وثانها من يطيع الخلق بمعصية الخالق وثالثها من يقول نفعني فلان وضرني فلان * أفأمنوا
 استفهام إنكار فيه توبيخ وتهديد غاشية نقمة تغشاهم أي تغطيهم كقوله يوم يغشاهم العذاب من
 فوقهم ومن تحت أرجلهم * وقال الضحاك يعني الصواعق والقوارع انتهى وإتيان الغاشية يعني في

(الدر)

(ع) وهو أي كائن اسم
 فاعل من كان فهو كائن
 ومعناها معنى التكثير
 (ح) هذا شئ يروى عن
 يونس وهو قول مرجوح
 في النحو والمشهور عندهم
 أنه مركب من كاف التشبيه
 ومن أي وتلاعبت العرب
 به فجاءت فيه لغات

﴿ قل هذه سبيلي أدعوا ﴾ الآية لما تقدم من قول يوسف صلى الله عليه وسلم توفي مسامحا وكان قوله وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين
 دال على أنه حارص على إيمانهم مجتهد في ذلك داع اليه مثابر عليه وذكروا ما أسألهم عليه من أجر إشارة إلى ما فهم من ذلك وهو شريعة
 الاسلام والايمان وتوحيد الله تعالى فقال قل يا محمد هذه الطريقة والدعوة طريق التي سلكوها وأنا عليها ثم فسر تلك السبيل فقال
 أدعوا إلى الله تعالى يعني لا إلى غيره من ملك أو إنسان أو كوكب أو صنم انما دعائي إلى الله وحده قال الجمهور سبيلي ديني ومفعول أدعوا
 هو محذوف تقديره أدعوا الناس والظاهر تعلق على بصيرة بأدعوا وأنا تو كيد للضمير المستكن في أدعوا ومن معطوف على ذلك
 الضمير والمعنى أدعوا أنا إليها أو يدعوا إليهم من اتبعني ويجوز أن يكون على بصيرة خبرا مقدما وأنا مبتدأ ومن معطوف عليه ويجوز
 أن يكون على بصيرة حالا من ضمير أدعوا فيمتعلق بمحذوف ويكون أنا فاعلا بالجار والمجرور النائب عن ذلك المحذوف ومن
 اتبعني ﴿ معطوف على أنا وأجاز أبو البقاء أن يكون ومن اتبعني مبتدأ خبره محذوف تقديره كذلك أي داع إلى الله على بصيرة
 ومعنى بصيرة حجة واضحة وبرهان متيقن من قوله قد جاءكم بآيات من ربكم ﴾ وسبحان الله ﴿ داخل تحت قوله قل أي قل وتزويه الله
 من الشركاء أي براءة الله من أن يكون له شريك ولما أمر بأن يخبر عن نفسه صلى الله عليه وسلم أنه يدعو وهو من اتبعه إلى الله وأمر
 أن يخبر أنه تنزه الله تعالى عن الشركاء أمر أيضا أن يخبر أنه في خاصية نفسه منتف عن الشرك وأنه ليس بمن أشرك وهو نفي
 عام في الأزمان لم يكن منه ولا في وقت من الأوقات ﴾ (الرجال) ﴿ حصر في المرسل دعاة إلى الله فلا يكون ملكا قال ابن عباس رجلا
 يعني لانساء فلا رسول أمر أنوال القرى المدن ﴾ أفلم يسيروا ﴿ الضمير في أفلم يسيروا عائد على من أنكر إرسال الرسل من البشر ومن
 عاند الرسول وأنكر رسالته وكفر أي هلا يسرون (٣٥٢) في الأرض فيعلمون بالتواتر أخبار الرسل السابقة ويرون

الدينا وذلك لمقابلته بقوله أو تأتيهم الساعة أي يوم القيامة بغتة أي فجأة في الزمان من حيث لا يتوقع
 وهم لا يشعرون تأ كيد لقوله بغتة * قال الكرماني لا يشعرون بانبيائها أي وهم غير مستعدين لها *
 قال ابن عباس تأخذهم الصيحة على أسواقهم ومواضعهم * وقرأ أبو حفص وبشر بن عبيد أو
 يأتيهم الساعة ﴿ قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من
 المشركين وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحى إليهم من أهل القرى أفلم يسيروا في الأرض فينظروا
 كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولدار الآخرة خير للذين اتقوا أفلا تعقلون * حتى إذا استيأس
 الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين * لما

مصارع الأمم المكذبة
 فيعتبرون بذلك ﴿ ولدار
 الآخرة خير ﴾ هذا حاض
 على العمل لدار الآخرة
 والاستعداد لها واتقاء
 المهلكات وفي هذه الاضافة
 تخرج بيان أحدهما أنها من
 اضافة الموصوف إلى

صفته وأصله وللدار الآخرة خير وهو تخرج كوفي والثاني أن يكون من حذف الموصوف واقامة صفته مقامه وأصله ولدار المدة
 الاخيرة أو النشأة الاخيرة خير وهو تخرج بصري وحتى غاية لما قبلها وليس في اللفظ ما يكون له غاية فاحتج إلى تقديره فقد رده
 الزمخشري وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا فتراخي نصرهم حتى إذا استيأسوا عن النصر وقال ابن عطية ويتضمن قوله أفلم يسيروا
 إلى من قبلهم أن الرسل الذين بعثهم الله من أهل القرى دعواهم فلم يؤمنوا بهم حتى نزلت بهم المثلث فصاروا في حيز من يعتبر بعاقبته
 فلهم المصير حسن أن يدخل حتى في قوله حتى إذا استيأس الرسل انتهى ولم يتلخص لنا من كلامه شيء يكون ما بعد حتى غاية له لانه
 علق الغاية بما دعي أنه فهم ذلك من قوله أفلم يسيروا الآية وقال أبو الفرج بن الجوزي المعنى متعلق بالآية الاولى فتقديره وما أرسلنا
 من قبلك إلا رجالا فدعواهم فكذبوهم وصبروا وطال دعاؤهم وتكذيب قومهم حتى إذا استيأس الرسل وهو نوع من كلام
 الزمخشري وقال القرطبي في تفسيره المعنى وما أرسلنا من قبلك يا محمد إلا رجالا ثم لم يعاقب أممهم بالعقاب حتى إذا استيأس الرسل
 وقرى كذبوا بالتشديد مبني للمفعول والضمير في وظنوا وفي أنهم عائد على الرسل والظن بمعنى اليقين والمعنى وأيقنت الرسل أنهم قد
 كذبهم قومهم وقرى كذبوا بالتخفيف في الدال مبني للمفعول أيضا والضمائر في ظنوا وفي أنهم عائدة على المرسل إليهم والمعنى وظن
 المرسل إليهم أن الرسل قد كذبهم من جاءهم بالوحي وقرى فننجي بنونين مضارع أنجي وقرى فننجي بنون واحدة وشدا الجيم وقع
 الياء مبني للمفعول وقرأت فرقة فننجي بنونين مضارع أنجي وقع الياء قال ابن عطية رواها هبيرة عن حفص عن عاصم وهي غلط
 من هبيرة انتهى وليست غلطا ولها وجه في العربية وهو أن الشرط والجزاء يجوز أن يأتي بعدهما المضارع منصوبا باضمار أن بعد الفاء
 كقراءة من قرأ وأن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر بنصب فيغفر باضمار أن بعد الفاء ولا فرق في ذلك بين أن تكون
 أداة الشرط جازمة أو غير جازمة ومفعول نشاء محذوف تقديره ننجيه ﴿ ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين ﴾ والبأس هنا الهلاك

تقدم من قول يوسف عليه السلام توفي مساموا كان قوله تعالى وما أكره الناس ولو حرصت
بمؤمنين دال على أنه حارص على إيمانهم مجتهد في ذلك داع اليه مثابر عليه وذكروا تسألهم عليه من
أجر أشار إلى ما فيهم من ذلك وهو شريعة الاسلام والايمان وتوحيد الله * فقال قل يا محمد هذه
الطريقة والدعوة طريق التي سلكتها وأنا عليها فمفسر تلك السبيل فقال أدعو إلى الله يعني لا إلى
غيره من ملك أو انسان أو كوكب أو صنم انما دعائي إلى الله وحده * قال ابن عباس سبيلي أي دعوتي
* وقال عكرمة صلاتي * وقال ابن زيد سنتي * وقال مقاتل والجمهور ديني * وقرأ عبد الله قل هذا
سبيلي على التذكير والسبيل يذكر ويؤنث ومفعول أدعوه هو محذوف تقديره أدعو الناس
والظاهر تعلق على بصيرة بأدعوا وانما توكيد للضمير المستكن في ادعو ومن معطوف على ذلك
الضمير والمعنى أدعوا أنا اليها من اتبعني ويجوز أن يكون على بصيرة خبر امقدم ما وانا مبتدا ومن
معطوف عليه ويجوز أن يكون على بصيرة حال من ضمير ادعو فيمتعلق بمحذوف ويكون أنا
فاعلا بالجار والمجرور النائب عن ذلك المحذوف ومن اتبعني معطوف على أنا وأجاز أبو البقاء أن
يكون ومن اتبعني مبتدا خبره محذوف تقديره كذلك أي داع إلى الله على بصيرة ومعنى بصيرة حجة
واضحة وبرهان متيقن من قوله قد جاءكم بصائر من ربكم وسبحان الله داخل تحت قوله قل أي قل
وتبرئة الله من الشركاء أي براءة الله من أن يكون له شريك ولما أمر بان يخبر عن نفسه أنه يدعو
هو ومن اتبعه إلى الله وأمر أن يخبر أنه ينزه الله عن الشركاء أمر أن يخبر أنه في خاصة نفسه منتف
عن الشرك وأنه ليس بمن أشرك وهو نفي عام في الزمان لم يكن منهم ولا في وقت من الأوقات *
الارجال احصر في الرسل دعاة إلى الله فلا يكون ملكا وهذا رد على من قال لو شاء ربنا لآتزل ملائكة
وكذلك قال ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا * وقال ابن عباس يعني رجلا لانساء فالرسول لا يكون
امراة وهل كان في النساء نبية فيه خلاف والنبي أعظم من الرسول لانه منطلق على من يأتيه الوحي
سواء أرسل أو لم يرسل قال الشاعر في سجاح المتنبئة

أمت نبيتنا أنثى نطيف بها * ولم تزل أنبياء الله ذكرا
فلعنة الله والاقوام كلهم * على سجاح ومن بالافك أغرانا
أعنى مسيئة الكذاب لا سقيت * أصداؤه ماء مزنت أينما كانا

وقرأ أبو عبد الرحمن وطلحة وحفص نوحى بالنسوة وكسر الحاء موافقا لقوله وما أرسلنا * وقرأ
الجمهور بالياء وقع الحاء مبنيا للمفعول والقرى المدن * قال ابن زيد أهل القرى أعلم وأحلم من أهل
البادية فانهم قليل نبلهم ولم ينشئ الله قط منهم رسولا وقال الحسن لم يبعث الله رسولا من أهل البادية
ولا من النساء ولا من الجن والتبدي مكروه الا في الفتن ففي الحديث من بدا جفائهم استفهم استفهام
توبيخ وتقريع والضمير في يسير واعاد على من أنكر ارسال الرسل من البشر ومن عاند الرسول
وأنكر رسالته كفر أي هلا يسرون في الأرض فيعمون بالتواتر أخبار الرسل السابقة ويرون
مصارع الأمم المكذبة فيعتبرون بذلك ولدار الآخرة خير هذا حض على العمل لدار الآخرة
والاستعداد لها واتقاء المهلكات في هذه الاضافة تخريجان * أحدهما انها من اضافة الموصوف
إلى صفته وأصله ولدار الآخرة * والثاني ان يكون من حذف الموصوف واقامة صفته مقامه وأصله
ولدار المدة الآخرة أو النساء الآخرة والأول تخريج كوفي والثاني تخريج بصري * وقرأ الجمهور
أفلا يعقلون بالياء عيا لقوله أفلم يسيرا * وقرأ الحسن وعلقمة والاعرج وعاصم وابن عامر ونافع

بالثناء على خطاب هذه الأمة تحذير لهم مما وقع فيه أولئك فيصيبهم ما أصابهم * قال الكرماني أفلا
 يعقلون أنها خير فيتمسكوا بها بالآيمان انتهى والاستيئاس من النصر أو من آيمان قومهم قولان
 وحتى غاية لما قبلها وليس في اللفظ ما يكون له غاية فاحتج إلى تقدير فقدره الزمخشري وما أرسلنا
 من قبلك إلا رجالا فخى نصرهم حتى إذا استيأسوا عن النصر * وقال ابن عطية ويتضمن قوله
 أفلم يسيروا إلى ما قبلهم أن الرسل الذين بعثهم الله من أهل القرى دعواهم فلم يؤمنوا بهم حتى نزلت
 بهم الملائكة فصاروا في حيز من يعتبر بعاقبته فلماذا المضمن حسن أن يدخل حتى في قوله حتى إذا
 استيأس الرسل انتهى ولم يتحصل لنا من كلامه شيء يكون ما بعده حتى غاية لأنه علق الغاية بما
 ادعى اندفعهم ذلك من قوله أفلم يسيروا الآية * وقال أبو الفرج بن الجوزي المعنى متعلق بالآية الأولى
 فتقديره وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا يدعوا قومهم فكذبوهم وصبروا واطال دعائهم وتكذيب
 قومهم حتى إذا استيأس الرسل * وقال القرطبي في تفسيره المعنى وما أرسلنا من قبلك إلا محمد
 ثم لم يعاقب أممهم بالعقاب حتى إذا استيأس الرسل * وقرأ أبي وعلى وابن مسعود وابن عباس
 ومجاهد وطاعة والأعمش والكوفيون كذبوا بتخفيف الذال وباقي السبعة والحسن وقتادة ومحمد
 ابن كعب وأبو رجاء وابن أبي مليكة والأعرح وعائشة بخلاف عنها بتشديد هاو هما مبنيان للمفعول
 فالضمائر على قراءة التشديد عائدة كلها على الرسل والمعنى أن الرسل أيقنوا أنهم كذبهم قومهم
 المشركون * قال ابن عطية ويحتمل أن يكون الظن على بابه يعني من ترجح أحد الجائزين قال
 والضمير للرسل والمكذبون مؤمنون أرسل إليه أي لما طالت المواعيد حسبت الرسل أن المؤمنين
 أولاد قد كذبوهم وارتابوا بقولهم وعلى قراءة التخفيف فالضمير في وظنوا عائدة على المرسل إليهم
 لتقدمهم في الذكر في قوله كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولأن الرسل تستدعي مرسل إليهم وفي
 أنهم وفي قد كذبوا عائدة على الرسل والمعنى وظن المرسل إليهم أن الرسل قد كذبهم من ادعوا أنه
 جاءهم بالوحي عن الله وينصرونهم إذ لم يؤمنوا به ويجوز في هذه القراءة أن تكون الضمائر الثلاثة
 عائدة على المرسل إليهم أي وظن المرسل إليهم أنهم قد كذبهم الرسل فيما ادعوا من النبوة وفيما
 يوعدون به من لم يؤمن بهم من العذاب وهذا مشهور قول ابن عباس وتأويل عبد الله وابن جبير
 ومجاهد ولا يجوز أن تكون الضمائر في هذه القراءة عائدة على الرسل لأنهم معصومون فلا يمكن
 أن يظن أحدهم أنه قد كذبه من جاءه بالوحي عن الله * وقال الزمخشري في هذه القراءة حتى
 إذا استيأسوا من النصر وظنوا أنهم قد كذبوا أي كذبهم أنفسهم حين حدثتهم أنهم ينصرون
 أو رجاءهم كقوله رجاء صادق ورجاء كاذب والمعنى أن مدة التكذيب والعداوة من الكفار
 وانتظار النصر من الله وتأمله قد تطاولت عليهم وتمادت حتى استشعروا القنوط وتوهموا أن
 لأنصر لهم في الدنيا فجاءهم نصر ناجية من غير احتساب انتهى بفعل الضمائر كلها للرسل وجعل
 الفاعل الذي صرف من قوله قد كذبوا أما أنفسهم وأما رجاءهم وفي قوله أخرج الظن عن معنى
 الترجيح وعن معنى اليقين إلى معنى التوهم حتى تجري الضمائر كلها في القراءةتين على سنن واحد *
 وروى عن ابن مسعود وابن عباس وابن جبير أن الضمير في وظنوا وفي قد كذبوا عائدة على
 الرسل والمعنى كذبهم من أخبرهم عن الله والظن على بابه قالوا والرسل بشر فضعفوا وساء ظنهم *
 وردت عائشة وجماعة من أهل العلم هذا التأويل وأعظموا أن يوصف الرسل بهذا * قال الزمخشري
 إن صح هذا عن ابن عباس فقد أراد بالظن ما يخطر بالبال ويهيج في القلب من شبهة الوسوسة

﴿لقد كان في قصصهم﴾ الآية الضمير في قصصهم عائداً على الرسل والمرسل اليهم واندرجت فيه قصة يوسف وغيره وقرأ في قصصهم بكسر القاف أحمد بن جبير الانطاكي عن الكسائي والقصبى عن عبد الوارث عن أبي عمرو جمع قصة والعبرة الدلالة التي يعبر بها الى العلم والعبرة الاتعاظ والظاهر أن اسم كان ضمير يعود على القصص أى ما كان القصص حديثاً مختلفاً بل هو حديث صدق ناطق بالحق جاء به من لم يقرأ الكتب ولا تتلمذ (٣٥٥) لأحد ولا خالط العلماء وانتصب تصديق على أنه خبر كان

المحدوفة تقديره ولكن كان أى الحديث المشتمل على قصص الأنبياء تصديق الذى بين يديه أى بين يدي الحديث ومعنى بين يديه أى الكتب المنزلة الالهية وتفصيل كل شئ مما يحتاج إليه في الشريعة وقرأ حمدان بن أعين وعيسى الكوفي تصديق وتفصيل وهدي ورجة برفع الاربعة أى ولكن هو تصديق والجمهور بنصب الاربعة وقال ذو الرمة *

وما كان لي من تراث ورثته ولاديه كانت ولا كسب مأثم ولكن عطاء الله من كل رحلة *

الى كل محجوب السرادق خضرم

برفع اعطاء على اضمار هو نصبه على اضمار كان وهدي

ورجة أى سبب هداية في الدنيا وسبب حصول الرحمة في الآخرة وخص

للمؤمنون بذلك لانهم هم الذين ينتفعون بذلك كما

وحديث النفس على ما عليه البشرية وأما الظن الذى هو ترجيح أحد الجانبين على الآخر فغير جائز على رجل من المسامحين فبالرسل الله الذين هم أعرف برهم وأنه متعال عن خلف الميعاد منزله عن كل قببح انتهى وآخره مذهب الاعتزال * فقال أبو علي ان ذهب ذاهب الى أن المعنى ظن الرسل ان الذى وعد الله أممهم على لسانهم قد كذبوا فيه فقد أتى عظماء لا يجوز أن ينسب مثله الى الانبياء ولا الى صالحى عباد الله قال وكذلك من زعم ان ابن عباس ذهب الى أن الرسل قد ضعفوا وظنوا انهم قد أخلفوا لأن الله لا يخلف الميعاد ولا مبدل لكلماته * وقرأ ابن عباس ومجاهد والضحاك قد كذبوا بتخفيف الذال مبنيًا للفاعل أى وظن المرسل اليهم ان الرسل قد كذبواهم فيما قالوا عن الله من العذاب والظن على بابه وجواب إذ جاءهم نصرنا والظاهر ان الضمير في جاءهم عائداً على الرسل * وقيل عائداً عليهم وعلى من آمن بهم * وقرأ عاصم وابن عامر فنجى بنون واحدة وشد الجيم وفتح الياء مبنيًا للمفعول * وقرأ مجاهد والحسن والجحدري وطلحة بن هرم كذلك الا أنهم سكنوا الياء وخرج على انه مضارع ادغمت فيه النون في الجيم وهذا ليس بشئ لأنه لا تدغم النون في الجيم وتخريجها على انه ماض كالقراءة التي قبلها سكنت الياء فيه لغة من يستقل الحركة صلة على الياء كقراءة من قرأ ما تطعمون أهاليكم بسكون الياء ورويت هذه القراءة عن الكسائي ونافع وقرأهما في المشهور وباقي السبعة فنجى بنونين مضارع أنجى * وقرأت فرقة كذلك الا أنهم فتحوا الياء * قال ابن عطية رواها هبيرة عن حفص عن عاصم وهي غلط من هبيرة انتهى وليست غلطاً ولها وجه في العربية وهو ان الشرط والجزاء يجوز أن يأتي بعدهما المضارع منصوباً باضمار ان بعد الفاء كقراءة من قرأ وان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر بنصب يغفر باضمار ان بعد الفاء ولا فرق في ذلك بين أن تكون اداة الشرط جازمة أو غير جازمة * وقرأ نصر بن عاصم والحسن وأبو حيوة وابن السميعة ومجاهد وعيسى وابن محيص فنجى جعلوه فعلاً ماضياً مخفف الجيم * وقال أبو عمرو الداني وقرأت لابن محيص فنجى بشد الجيم فعلاً ماضياً على معنى فنجى النصر * وذكر الداني ان المصاحف متفقة على كتب بنون واحدة وفي التعبير ان الحسن قرأ فنجى بنونين الثانية مفتوحة والجيم مشددة والياء ساكنة * وقرأ أبو حيوة من يشاء بالياء أى فنجى من يشاء الله نجاته ومن يشاء هم المؤمنون لقوله ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين والباس هنا الهلاك * وقرأ الحسن بأسه بضم الغائب أى بأس الله وهذه الجملة فيها وعيد وتهديد لما صرى الرسول صلى الله عليه وسلم ﴿لقد كان في قصصهم عبرة لاولى الالباب ما كان حديثاً يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شئ﴾

قال تعالى هدى للمتقين وتقدم أول السورة قوله تعالى انا أنزلناه قرأ ناعربيا وقوله نحن نقص عليك أحسن القصص وفي آخرها ما كان حديثاً يفترى فاندلج احتمال أن يعود الضمير على القرآن وأن يعود على القصص والله تعالى أعلم

(الدر) (ح) قرأت فرقة فنسخي من نشاء بنونين مضارع أنجى وفتح الياء (ع) رواها هبيرة عن حفص عن عاصم وهي غلط من هبيرة انتهى (ح) ليست غلطاً ولها وجه في العربية وهو ان الشرط والجزاء يجوز أن يأتي بعدهما المضارع منصوباً باضمار ان بعد الفاء كقراءة من قرأ وان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر بنصب يغفر باضمار ان بعد الفاء ولا فرق في ذلك بين أن

وهدى ورجه لقوم يؤمنون ﴿ الضمير في قصصهم عائداً على الرسل أو على يوسف وأبويه وأخوته أو عليهم وعلى الرسل ثلاثة أقوال الأول اختاره الزمخشري قال وينصره قراءة من قرأ قصصهم بكسر القاف انتهى ولا ينصره اذ قصص يوسف وأبويه وأخوته مشتق على قصص كثيرة وأنباء مختلفة والذي قرأ بكسر القاف هو أحمد بن جبير الانطاكي عن الكسائي والقصي عن عبد الوارث عن أبي عمرو جمع قصة واختار ابن عطية الثالث بل لم يذكره غيره والعبارة الدالة التي يعبر بها عن العلم واذا عاد الضمير على يوسف عليه السلام وأبويه وأخوته فلا اعتبار بقصصهم من وجوه اعزاز يوسف عليه السلام بعد لقائه في الحب واعلاؤه بعد حبسه في السجن وتلك مصر بعد استعباده واجتماعه مع والديه وأخوته على ما أحب بعد الفرقة الطويلة والاخبار بهذا القصص اخبار عن الغيب والاعلام بالله تعالى من العلم والقدرة والتصرف في الأشياء على ما لا يحيط بال ولا يحول في فكر وانما خص أولو الألباب لانهم هم الذين ينتفعون بالعبر ومن له لب وأجاد النظر ورأى ما فيها من امتحان ولطف واحسان علم انه أمر من الله تعالى ومن عنده تعالى والظاهر ان اسم كان مضمراً يعود على القصص أي ما كان القصص حديثاً مختلفاً بل هو حديث صدق ناطق بالحق جاء به من لم يقرأ الكتب ولا تتادأ حدولا خالط العلماء فحال أن يفترى هذه القصة بحيث تطابق ما ورد في التوراة من غير تفاوت * وقيل يعود على القرآن أي ما كان القرآن الذي تضمن قصص يوسف عليه السلام وغيره حديثاً مختلفاً ولكن كان تصديق الكتب المتقدمة الالهية وتفصيل كل شيء واقع ليوسف مع أبويه وأخوته ان كان الضمير عائداً على قصص يوسف أو كل شيء مما يحتاج الى تفصيله في الشريعة ان عاد على القرآن * وقرأ جرير بن أعين وعيسى الكوفي فيما ذكر صاحب اللوامح وعيسى الثقفي فيما ذكر ابن عطية تصديق وتفصيل وهدي ورجه برفع الأربعة أي ولكن هو تصديق والجمهور بالنصب على اضمار كان أي ولكن تصديق أي كان هو أي الحديث ذات تصديق الذي بين يديه وينشد قول ذي الرمة

وما كان مالي من تراث ورثته * ولادية كانت ولا كسب ماثم
ولكن عطاء الله من كل رحلة * الى كل محجوب السوارق خضرم
بالرفع في عطاء ونصبه أي ولكن هو عطاء الله أو ولكن كان عطاء الله ومثله قول لوط بن عبيد الغائي اللص

واني بحمد الله لآمال مسلم * أخذت ولا معطي الممين محالف
ولكن عطاء الله من مال فاجر * قصي المحل معور للمقارف
وهدي أي سبب هداية في الدنيا ورحمة أي سبب لحصول الرحمة في الآخرة وخص المؤمنون بذلك لانهم هم الذين ينتفعون بذلك كما قال تعالى هدي للمتقين وتقدم أول السورة قوله تعالى انا أنزلناه قرآناً عربياً وقوله تعالى نحن نقص عليك أحسن القصص وفي آخرها ما كان حديثاً يفترى الى آخره فلذلك احتمل أن يعود الضمير على القرآن وأن يعود على القصص والله تعالى أعلم

﴿ سورة الرعد ثلاث وأربعون آية مكية ومدنية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ المرآتلك آيات الكتاب والذي أنزل اليك من ربك الحق ولكن أكثر الناس لا يؤمنون ﴾

﴿ سورة الرعد ﴾
بسم الله الرحمن الرحيم
(الدر)

تكون أداة الشرط جازمة
أو غير جازمة (ش) الضمير
في قصصهم عائداً على الرسل
وينصره قراءة من قرأ
في قصصهم بكسر القاف
انتهى (ح) وقيل على
يوسف وعلى أبويه وأخوته
وقيل عليهم وعلى الرسل
وقوله وينصره لا ينصره
ذلك اذ قصص يوسف
وأبويه وأخوته مشتق
على قصص كثيرة وأنباء
مختلفة والذي قرأ بكسر
القاف هو أحمد بن جبير
الانطاكي عن الكسائي
والقصي عن عبد الوارث
عن أبي عمرو جمع قصة
واختار (ع) الثالث بل لم
يذكر غيره

الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم تلتقون * وهو الذي مده الأرض وجعل فيها رواسي وأنهاراً ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشى الليل النهار إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون * وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون * وإن تعجب فعجب قولهم أءذا كنا تراباً أنا لفي خلق جديد * أولئك الذين كفروا ببرهم وأولئك الأغلال في أعناقهم وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون * ويستعجلونك بالسنة قبل الحسنة وقد خلت من قبلهم المثالات وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وإن ربك لشديد العقاب * ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه انما أنت منذر ولكل قوم هاد * الله يعلم ما تحمّل كل أنثى وما تفيض الأرحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار * عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال سواء منكم من أسر النول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسار بالهار * له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا وما بانفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له وما لهم من دونه من وال * هو الذي يرى البرق خوفاً وطمعاً وينشئ السحاب الثقال * ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال * له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو بباله وما دعاء الكافرين إلا في ضلال * ولله يسجد من في السموات والأرض طوعاً وكرها وظلالهم بالغدو والآصال * قل من رب السموات والأرض قل الله قل الله قل أقتضتكم من دونه أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضرراً قل هل يستوى الأعمى والبصير أم هل تستوى الظلمات والنور أم جعلوا لله شركاء خلقوا تخلفه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار * أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبداً رابياً وما يؤمنون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فلما الزبد فاض هب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال * للذين استجابوا لربهم الحسنى والذين لم يستجيبوا له لو أن لهم ما في الأرض جميعاً ومثله معه لا فتدوا به أولئك لهم سوء الحساب ومأواهم جهنم وبئس المهاد * العمد اسم جمع ومن أطلق عليه جمعاً فليسكونه يفتح منه ما يفهم من الجمع وهي الأساطين قال الشاعر

وجيش الجن انى قد أذنت لهم * يبعون ندمر بالصفاح والعمد

والمفرد عماد وعمد كاهاب وأهب * وقيل عمود وعمد كاديم وأدم وقضم وقضم والعماد والعمود ما يعمد به يقال عمدت الحائط أعمده عمداً إذا دأبته فاعند الحائط على العماد أى امتسك بها ويقال فلان عمدة قومه إذا كانوا يعتمدون فيه يماجز بهم ويجمع عماد على عمد بضمتين كشهاب وشهب وعمود على عمد أيضاً كرسل ورسل وزبور وزبور هذا في الكثرة ويجمعان في القلة على أعمدة * الصنوا الفرع يجمعه وآخر أصل واحد وأصله المثل ومنه قيل للعم صنوو جمعه في لغة الحجاز صنوان بكسر الصاد كقنو وقنوا وبضمها في لغة تميم وقيس كدئب وذؤبان ويقال صنوان بفتح الصاد وهو اسم جمع لا جمع تكسير لانه ليس من أبنية * الجديد ضد الخلق والبال ويقال ثوب جديد أى كافر غ من عمله وهو فعيل بمعنى فاعول كانه كما قطع من النسج * المثلة العقوبة ويجمع بالالف

المرتلك آيات الكتاب والذي أنزل اليك من ربك الحق * الآية هذه السورة مكية في قول وقيل مدنية واستثنى في كل قول آيات ذكرت في البحر وتقدم الكلام في الحروف المقطعة في أوائل السور في أول البقرة فليطالع هناك قال الزمخشري تلك اشارة الى آيات السورة والمراد بالكتاب السورة (٣٥٨) أى تلك آيات السورة الكاملة العجيبة في بابها

وقيل تلك اشارة الى جميع كتب الله المنزلة ويكون المعنى تلك الآيات التي قصصت عليك خبرها هي آيات الكتاب الذي أنزلته قبل هذا الكتاب الذي أنزلته اليك والظاهر أن قوله والذي مبتدأ والحق خبره ومن ربك متعلق بأنزل وأكثر الناس عام في كفار مكة وغيرهم ولما ذكر انتفاء الايمان عن أكثر الناس ذكر عقيبها ما يدل على صحة التوحيد والمعاد وما يجذبهم الى الايمان مما يفيكر فيه العاقل ويشاهده من عظيم القدرة وبديع الصنع والجلالة مبتدأ والذي هو الخبر والضمير في ترونها عائد على السموات أى تشاهدون السموات خالية عن عمد واحتفل هذا الوجه أن يكون ترونها كلاما مستأنفا واحتفل أن يكون جملة حالية أى رفعها مربية لكم بغير عمد وهي حال مقدرة لانه حين رفعها لم تكن مخلوقين وقيل ضمير النصب في

والتاء كسموة وسماوات ولغة الحجاز مثلة بفتح الميم وسكون التاء ولغة تميم بضم الميم وسكون التاء وسميت العقوبة بذلك لما بين العقاب والمعاقب من الممانلة كقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها أو لانها من المثل بمعنى القصاص يقال أمثلت الرجل من صاحبه وأقصصته أو لانها العظم نكاتها يضرب بها المثل * السارب اسم فاعل من سرب أى تصرف كيف شاء قال الشاعر
انى سربت وكنت غير سرروب * وتقرب الاحلام غير قريب
وقال الآخر

وكل أناس قاربوا قيد فخلهم * ونحن حللنا قيدهم وسارب
أى فهو منصرف كيف شاء لا يدفع عن جهة يفتخر بعزة قومهم * المحال القوة والاهلاك قال الأعشى
فرع نبع بهش في غصن الحج * غزير الندى شديد المحال
وقال عبد المطلب

لا يغلبن صليهم * ومحالمهم أبدا محالك
ويقال محل الرجل بالرجل مكر به وأخذ به سعاية شديدة والمحاللة المسكيدة والمماكرة ومنه تمحل السكدا أى تكاف استعمال الحيلة واجتهاد فيه * وقال أبو زيد انحال النعمة * وقال ابن عرفة المحال الجدال ما حل عن أمره أى جادل * وقال القتيبي أى شديد الكيد وأصله من الحيلة جعل ميمه كيم مكان وأصله من السكون ثم يقال تمكنت وغلطه الازهرى في زيادة الميم قال ولو كان مفعلا لظهر من الواو مثل مرود ومحول ومحور وانما هو مثال كمها دمر اس * الكف عضو معروف وجمعه في القلة أ كف كصك وأصله وفي الكثرة كفوف كصكوك وأصله مصدر كف * ظل الشيء ما يظهر من خياله في النور وبمثله في الضوء * الزبد قال أبو الحجاج الاغم هو ما يطر حه الوادى اذا جاش ماؤه واضطر بت أمواجه * وقال ابن عطية هو ما يحمله السيل من غناء ونحوه وما يرى به على صفته من الحباب الملتبك * وقال ابن عيسى الزبد وضمر الغليان وخبثه قال الشاعر
فما الفرات اذا هب الرياح له * ترمى غواربه العبرين بالزبد

الجفاء اسم لما يجفاه السيل أى يرمى يقال جفأت القدر بزبدها وجفأ السيل بزبده وأجفأ وأجفل وقال ابن الأنبارى جفأ أى متفرقا من جفأت الريح الغيم اذا قطعت وجفأت الرجل صرخته ويقال جف الوادى اذا نشف * المرتلك آيات الكتاب والذي أنزل اليك من ربك الحق ولكن أكثر الناس لا يؤمنون * الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل مجرى لأجل مسمى يدبر الامر يفصل الآيات لعلكم بقاء ربكم توقنون * هذه السورة مكية في قول الحسن وعكرمة وعطاء وابن جبير وعن عطاء الا قوله ويقول الذين كفروا لست برسالا وعن غيره الا قوله هو الذي يريكم البرق انى قوله له دعوة الحق ومدنية في قول الكلبي ومقاتل وابن عباس وقتادة واستثنيا آيتين قالوا نزلت بمكة وهما ولو أن قرآن سبغت به الجبال الى

ترونها عائد على عمد أى بغير عمد مربية لكم بغير عمد وتقدم تفسير ثم استوى على العرش في الاعراف * كل مجرى * قال ابن عباس عنازل الشمس والقمر وهى الحدود التى لا تعداها قدر لكل منهما سيرا خاصا الى جهة خاصة بمقدار خاص من السرعة والبطء انتهى والاجل المسمى هو يوم القيامة فعند مجيئه ينقطع ذلك الجريان والتسيير كما قال تعالى اذا الشمس كورت وقال وجع

الشمس والقمر ومعنى
تدبير الامر انفاذه وابعاده
وعبر بالتدبير تقريراً
للفهم اذ التدبير انما
هو النظر في ادبار
الامور وعواقبها وذلك
من صفات البشر والامر
امر ملكوته وربوبيته
وهو عام في جميع الامور
من ايجاد واعداد واحياء
وامانة وانزال وحى وبعث
رسل وتكليف وغير ذلك
وتفصيل الآيات جعلها
فصولاً مبنية بميزا بعضها
عن بعض والآيات هنا
دلالاته وعلاماته في سمواته
على وحدانيته وهاتان
الجلتان استئناف اخبار
عن الله تعالى والخطاب
في لعنكم للكفرة
وتوقفون بالجزاء
وبان هذا المدبر والمفصل
لا بد لكم من الرجوع
اليه

(الدر)

﴿ سورة الرعد ﴾
﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾
(ع) عمد اسم جمع عمود
والباب في جمعه عمد يضم
الحروف الثلاثة كرسول
ورسل انتهى (ح) هذا
وهم وصوابه بضم الحرفين
لان الثالث هو حرف
الاعراب فلا يعتبر ضمّه في
كيفية الجمع

آخرهما وعن ابن عباس الا قوله ولا يزال الدين كفروا الى آخر الآية وعن قتادة مكية الا قوله ولا
يزال الذين كفروا الآية حكاه المهدوي وقيل السورة مدنية حكاه القاضي منذر بن سعد البلوطي
ومكي بن أبي طالب * قال الزمخشري تلك اشارة الى آيات السورة والمراد بالكتاب السورة
أي تلك آيات السورة الكاملة العجيبة في بابها * وقال ابن عطية من قال حروف أوائل السور
مثال لحروف المعجم قال الاشارة هنا بتلك هي الى حروف المعجم ويصح على هذا أن يكون الكتاب
يراد به القرآن ويصح أن يراد به التوراة والانجيل والمراد على هذا ابتداء وتلك ابتداء ثان وآيات
خبر الثاني والجملة خبر الأول انتهى ويكون الرابط اسم الاشارة وهو تلك * وقيل الاشارة بتلك
الى ما قص عليه من أنباء الرسل المشار اليها بقوله تلك من أنباء القريب والذي قال ويصح أن يراد به
التوراة والانجيل هو قريب من قول مجاهد وقتادة والاشارة بتلك الى جميع كتب الله تعالى المنزلة
ويكون المعنى تلك الآيات التي قصصت عليك خبرها هي آيات الكتاب الذي أنزلته قبل هذا
الكتاب الذي أنزلته اليك والظاهر أن قوله والذي مبتدأ والحق خبره ومن ربك متعلق بانزل وأجاز
الحو في أن يكون من ربك الخبر والحق مبتدأ محذوف أو هو خبر بعد خبر أو كلاهما خبر واحد انتهى
وهو اعراب متكاف وأجاز الحوفي أيضا أن يكون والذي في موضع رفع عطفا على آيات وأجاز هو
وابن عطية أن يكون والذي في موضع خفض وعلى هذين الاعرابين يكون الحق خبر مبتدأ محذوف
أي هو الحق ويكون والذي أنزل مما عطف فيه الوصف على الوصف وهما شئ واحد كما تقول
جاءني الظريف العاقل وأنت تريد شخصا واحدا ومن ذلك قول الشاعر

الى الملك القرم وابن الهمام * وليث الكتيبة في المزدحم

وأجاز الحوفي أن يكون الحق صفة الذي يعني اذا جعلت والذي معطوفا على آيات وأكثر الناس
قيل كفار مكة لا يصدقون ان القرآن منزل من عند الله تعالى * وقيل المراد به اليهود والنصارى
والاولى انه عام ولما ذكر انتفاء الايمان عن أكثر الناس ذكر عقيب ما يدل على صحة التوحيد والمعاد
وما يجذبهم الى الايمان فيما يفسر فيه العاقل ويشاهده من عظيم القدرة وبيد الصنع والجلالة
مبتدأ والذي هو الخبر بدليل قوله تعالى وهو الذي مد الارض ويجوز أن يكون صفة وقوله يدبر
الامر يفصل الآيات خبرا بعد خبر وينصره ما تقدم من ذكر الآيات قاله الزمخشري * وقرأ الجمهور
عمد بفتحتين * وقرأ أبو حيوثة ويحيى بن وثاب بضمتين وبغير عمد في موضع الحال أي خالية عن عمد
والضمير في ترونها عائدا على السموات أي تشهدون السموات خالية عن عمد واحتمل هذا الوجه
أن يكون ترونها كلاما مستأنفا واحتمل أن يكون جملة خالية أي رفعها امرئمة لكم بغير عمد وهي حال
مقدرة لانه حين رفعها لم تكن مخلوقين * وقيل ضمير النصب في ترونها عائدا على عمد أي بغير عمد
مرئية فترونها صفة للعمد يدل على كونه صفة للعمد قراءة أبي ترونها فعاد الضمير مذكرا على لفظ
عمد اذ هو اسم جمع * قال أي ابن عطية اسم جمع عمود والباب في جمعه عمد بضم الحروف الثلاثة
كرسول ورسل انتهى وهو وهم وصوابه بضم الحرفين لان الثالث هو حرف الاعراب فلا يعتبر ضمّه
في كيفية الجمع هذا التحريج محتمل وجهين أحدهما انها لها عمد ولا ترى تلك العمد وهذا ذهب اليه
مجاهد وقتادة * وقال ابن عباس وما يدريك انها بعمد لا ترى * وحكى بعضهم أن العمد جبل قاف
المحيط بالارض والسماء عليه كالقبة والوجه الثاني أن يكون نفي العمد والمقصود نفي الرؤية عن العمد
فلا عمد ولا رؤية أي لا عمد لها فترى والجمهور على أن السموات لا عمد لها البتة ولو كان لها عمد

﴿وهو الذي مد الأرض﴾ الآية لما قرر الدلائل السماوية أردفها بتقرير الدلائل الأرضية وقوله مد الأرض يقتضي أنها بسيطة لا كروية وهذا هو ظاهر الشريعة قال أبو عبد الله (٣٦٠) الرازي ثبت بالدليل أن الأرض كرة ولا ينافي ذلك قوله مد

الأرض وذلك أن الأرض جسم عظيم والكرة إذا كانت في غاية الكبر كانت كل قطعة منها تشاهد كالسطح والتفاوت بينه وبين السطح لا يحصل إلا في علم الله تعالى ألا ترى أنه قال والجبال أوتادا مع أن العالم والناس عليها يستقرون فكذلك هنا وأيضا أنما ذكر مد الأرض ليستدل به على وجود الصانع وكونها مجتمعة تحت البيت على ما قيل أمر غير مشاهد ولا محسوس فلا يمكن الاستدلال به على وجود الصانع فتأويل مد الأرض أنه جعلها مختصة بمقدار معين وكونها تقبل الزيادة والنقص أمر جائز ممكن في نفسه والاختصاص بذلك المقدار المعنى لا بد أن يكون بتخصيص مخصص وتقدير مقدر وبهذا يحصل الاستدلال على وجود الصانع انتهى ملخصا والرواسي الثوابت والمعنى جبلا رواسي وأيضا فقد غلب على الجبال وصفها بالرواسي وصارت الصفة تغني عن الموصوف فجمع الاسم كحائط

لاحتاجت تلك العمدة إلى عمد ويتسلسل الأمر فالظاهر أنها ممسكة بالقدرة الإلهية ألا ترى إلى قوله تعالى ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بذنه ونحو هذا من الآيات * وقال أبو عبد الله الرازي العماد ما يعتمد عليه وهذه الأجسام واقفة في الحيز العالي بقدرة الله تعالى فعمدها قدرة الله تعالى فلها عماد في الحقيقة إلا أن تلك العمدة مسالك الله تعالى وحفظه وتديره وبقاؤه أيها في الحيز العالي وأنتم لا ترون ذلك التدبير ولا تعرفون كيفية ذلك المسالك انتهى وعن ابن عباس ليست من دونها دعامة تدعّمها ولا فوقها علافة تمسكها وأبعد من ذهب إلى أن ترونها خبير في اللفظ ومعناه الأمر أي رها وانظر واهل لها من عمد وتقدم تفسير ثم استوى على العرش * قال ابن عطية ثم هنا العطف الجمل لا للترتيب لأن الاستواء على العرش قبل رفع السموات وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال كان الله ولم يكن شيء قبله وكان عرشه على الماء ثم خلق السموات والأرض انتهى وسخر الشمس والقمر أي ذلّلهم لما يريد منهما * وقيل لمنافع العباد وعبر بالجرى عن السير الذي فيه سرعة وكل مضافة في التقدير والظاهر أن المحذوف هو ضمير الشمس والقمر أي كليهما يجري إلى أجل مسمى * وقال ابن عطية والشمس والقمر في ضمن ذكرهما ذكر الكواكب ولذلك قال كل يجري لأجل مسمى أي كل ماهو في معنى الشمس والقمر من المسخر وكل لفظة تقتضي الإضافة ظاهرة أو مقدرة انتهى وشرح كل بقوله أي كل ماهو في معنى الشمس والقمر ما أخرج الشمس والقمر من ذكر جرّيانهما إلى أجل مسمى وتحريره أن يقول على زعمه أن الكواكب في ضمن ذكرهما أي ومما هو في معناهما إلى أجل مسمى * وقال ابن عباس منازل الشمس والقمر وهي الحدود التي لا تتعداها قدر لكل منهما سيرا خاصا إلى جهة خاصة بمقدار خاص من السرعة والبطء * وقيل الأجل المسمى هو يوم القيامة فعند مجيئه ينقطع ذلك الجريان والتسيير كما قال تعالى إذا الشمس كورت وقال جمع الشمس والقمر ومعنى تدبير الأمر إنفاذه وإبرامه وعبر بالتدبير تقريرا للافهام إذ التدبير إنما هو النظر في ادبار الأمور وعواقبها وذلك من صفات البشر والأمر أمر ملكوته وربوبيته وهو عام في جميع الأمور من إيجاد وإعدام وإحياء وماتة وإزال وحي وبعث رسل وتكليف وغير ذلك * وقال مجاهد يدبر الأمر يقضيه وحده ويفصل الآيات يجعلها فصولا مبينة مميزات بعضها من بعض والآيات هنا دلائله وعلاماته في سمواته على وحدانيته أو آيات الكتب المنزلة أو آيات القرآن أقوال * وقرأ النخعي وأبو رزين وأبان بن ثعلب عن قتادة تدبر الأمر يفصل بالنون فهما وكذا قال أبو عمرو الداني عن الحسن فهما وافق في انفصل بالنون الخفاف وعبد الواحد عن أبي عمرو وهيرة عن حفص * وقال صاحب اللوامح جاء عن الحسن والأعمش انفصل بالنون فقط * وقال المهدوي لم يختلف في يدبر أو ليس كما قال إذ قد تقدمت قراءة أبان ونقل الداني عن الحسن والذي تقتضيه الفصاحة أن هاتين الجملتين استفهام أخبار عن الله تعالى * وقيل يدبر حال من الضمير في وسخر ونفصل حال من الضمير في يدبر والخطاب في لعنكم للكفرة وتوقفون بالجزاء أو بان هذا المدبر والمفصل لا بد لكم من الرجوع إليه ﴿وهو الذي مد الأرض﴾

وحوائط وكواهل وكانت الأرض مضطربة فثقلها الله بالجبال في أحيازها فزال اضطرابها والاستدلال بوجود الجبال على وجود الصانع القادر الحكيم قيل من جهة أن طبيعة الأرض واحدة فصول الجبل في بعض جوانبها دون بعض لا بد

وجعل فيها رواسي وأنهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشى الليل النهار ان في ذلك
 آيات لقوم يتفكرون * لما قرر الدلائل السماوية وأردفها بتقرير الدلائل الارضية ومد الارض
 بسطها طولاً وعرضاً ليتمكن التصرف فيها والاستقرار عليها * قيل مدها ودحاها من مكة من
 تحت البيت فذهبت كذا وكذا * وقيل كانت مجتمعة عند بيت المقدس فقال لها اذهبي كذا وكذا *
 قال ابن عطية وقوله مد الارض يقتضي انها بسيطة لا كرة وهذا هو ظاهر الشريعة * قال أبو عبد
 الله الداراني ثبت بالدليل ان الارض كرة ولا ينافي ذلك قوله مد الارض وذلك ان الارض جسم
 عظيم والكرة اذا كانت في غاية الكبر كان كل قطعة منها شاهدة كالسطح والتفاوت بينه وبين
 السطح لا يحصل الا في علم الله تعالى ألا ترى انه قال والجبال أوتادا مع أن العالم والناس يسرون عليها
 فكذلك هنا وأيضا لما ذكر مد الارض ليستدل به على وجود الصانع وكونها مجتمعة تحت البيت
 أمر غير مشاهد ولا محسوس فلا يمكن الاستدلال به على وجود الصانع فتأويل مد الارض انه جعلها
 بمقدار معين وكونها تقبل الزيادة والنقص أمر جائز يمكن في نفسه فلا اختصاص بذلك المقدار المعين
 لا بد أن يكون بتخصيص محض وتقدير مقدر وهذا يحصل الاستدلال على وجود الصانع انتهى
 ملخصا * وقال أبو بكر الاصم المدا البسط الى ما لا يرى منتهاه فالمعنى جعل الارض حجما يسيرا
 لا يقع البصر على منتهاه فان الارض لو كانت أصغر حجما ما هي الآن عليه لما كمل الانتفاع به انتهى
 وهذا الذي ذكره من انها لو كانت أصغر الى آخره غير مسلم لان المنتفع به من الارض المعمور
 والمعمور أقل من غير المعمور بكثير فلو أراد تعالى ان يجعلها بمقدار المعمور المنتفع به لم يكن ذلك
 متمعنا فحصل في قوله مد الارض ثلاث تأويلات بسطها بعد أن كانت مجتمعة واختصاصها بمقدار
 معين وجعل حجمها كبيرا لا يرى منتهاه والرواسي الثوابت ومنه قول الشاعر
 به خاللات ما يرمن وهامد * وأسعت أرسه الوليدة بالقهر

والمعنى جبالا رواسي وفواعل الوصف لا يطر دالا في الاناث الا ان جمع التكسير من المذكر الذي
 لا يعقل يجري مجرى جمع الاناث وأيضا فقد غلب على الجبال وصفها بالرواسي وصارت الصفة تغني
 عن الموصوف فجمع الاسم ككائنات وحوائط وكاهل وكواهل * وقيل رواسي جمع راسية
 والهاء للبالغة وهو وصف الجبل كانت الارض مضطربة فثقلها الله بالجبال في أحيازها فزال
 اضطرابها والاستدلال بوجود الجبال على وجود الصانع القادر الحكيم * قيل من جهة ان طبيعة
 الارض واحدة فحصل الجبل في بعض جوانبها دون بعض لا بد أن يكون بتخليق قادر حكيم ومن
 جهة ما يحصل منها من المعادن الجوهرية والرخامية وغيرها كالنفط والكبريت يكون الجبل
 واحدا في الطبع وتأثير الشمس واحد دليل على أن ذلك بتقدير قادر قاهر متعال عن مشابهة
 الممكنات ومن جهة تولد الانهار منها * قيل وذلك لأن الجبل جسم صلب ويتصاعد بخار من قعر
 الارض اليه ويحتبس هناك فلا يزال يتكامل فيه فيحصل بسببه مياه كثيرة فلقوتها تنشق وتخرج
 وتسيل على وجه الارض ولهذا في أكثر الامور اذ ذكر الله تعالى الجبال ذكر الانهار كقوله هذه الآية
 وكقوله وجعلنا فيها رواسي شاهات وأسقينكم ماء فرانا وألقى في الارض رواسي أن تميزكم
 وأنهارا فقال المفسرون الانهار المياه الجارية في الارض * وقال الكرماني مسيل الماء وتقدم
 الكلام في الانهار في أوائل سورة البقرة والظاهر ان قوله من كل الثمرات متعلق بجعل ولما ذكر
 الأنهار ذكر ما ينشأ عنها وهو الثمرات والزوج هنا الصنف الواحد الذي هو نقيض الاثنين يعني انه

أن يكون بتخليق قادر
 حكيم ومن جهة ما يحصل
 منها من المعادن الجوهرية
 والرخامية وغيرها كالنفط
 والكبريت يكون
 الجبل واحدا في الطبع
 وتأثير الشمس واحد دليل
 على أن ذلك بتقدير قادر
 قاهر متعال عن مشابهة
 الممكنات ومن جهة تولد
 الانهار منها قيل وذلك لان
 الجبل جسم صلب
 وتتصاعد أبخار من قعر
 الارض اليه ويحتبس
 هناك فلا يزال يتكامل
 فيه فيحصل بسببه مياه
 كثيرة فلقوتها تنشق
 الارض وتخرج وتسيل
 على وجه الارض ولهذا
 في أكثر الامور اذ ذكر الله
 الجبال ذكر الانهار كقوله
 هذه الآية وكقوله وجعلنا
 فيها رواسي شاهات
 وأسقينكم ماء فرانا
 وألقى في الارض رواسي
 أن تميزكم وأنهارا قال
 المفسرون الانهار المياه
 الجارية في الارض وتقدم
 الكلام في الانهار في
 أوائل البقرة * ومن كل
 الثمرات متعلق بجعل
 ولما ذكر الانهار الجارية
 في الارض ذكر ما ينشأ
 عنها وهو الثمرات والزوج
 هنا الصنف الواحد الذي هو

نقيض الاثنين يعني أنه حين مد الأرض جعل ذلك ثم تكثرت وتنوعت ﴿ وفي الأرض قطع متجاورات ﴾ الآية قطع جمع قطعة وهي الجزء متجاورات متلاصقة متدانية قريب بعضها من بعض قال ابن عباس أرض طيبة وأرض سبخة تنبت هذه وهذه إلى جنبها لا تنبت وقرى وزرع ونخيل صنوان برفع الأربعة عطفًا على جنات وبالجر عطفًا على من أعناب الصنوا الفرع بجمعه وآخر أصل واحد وأصله المثل ومنه قيل للعلم صنو وجمعه (٣٦٢) في لغة الحجاز صنوان بكسر الصاد كقنؤ وقنوان وبضمها

في لغة بني تميم وقيس كذئب وذؤبان ويقال صنوان بفتح الصاد وهو اسم جمع لاجمع تكسير لانه ليس من أبنيته ﴿ يسقى بماء واحد ﴾ ماء مطر أو ماء بحر أو ماء نهر أو ماء عين أو ماء نبع لا يسيل على وجه الأرض وخص التفضيل في الاكل وان كانت متفاضلة في غيره لانه غالب وجوه الاتقاعات من الثمرات ألا ترى إلى تفاوتها في الاشكال والالوان والروائح والمنافع وما يجري مجرى ذلك قيل نبه تعالى في هذه الآية على قدرته وحكمته وأنه المدبر للاشياء كلها ذلك أن الشجر تخرج أغصانها وثمراتها في وقت معلوم لا يتأخر عنه ولا يتقدم ثم يتصعد الماء في ذلك الوقت علوا علوا وليس من طبعه الا التسفل ثم يتفرق ذلك الماء في الورق والأغصان والثمر كل بقسط وبقدر ما فيه صلاحه ثم تختلف طعوم الثمار والماء واحد والشجر جنس واحد وكل ذلك دليل على مدبر دبره وأحكمه لا يشبه المخلوقات ﴿ ان في ذلك ﴾ قال ابن عباس في اختلاف الألوان والروائح والطعوم ﴿ آيات ﴾ الحجج والودالات ﴿ لقوم يعقلون ﴾ يعامون الأدلة فيستدلون بها على وحدانية الصانع القادر ولما كان الاستدلال في هذه الآية بأشياء في غاية الوضوح من مشاهدة تجاور القطع والجنات وسقيها وتقصيلها جاء ختمها بقوله لقوم يعقلون بخلاف الآية التي قبلها فان الاستدلال بها يحتاج إلى تأمل وتدبر نظر جاء ختمها بقوله لقوم يتفكرون

حين مد الأرض جعل ذلك ثم تكثرت وتنوعت * وقيل أراد بالزوجين الأسود والأبيض والحلو والحامض والصغير والكبير وما أشبه ذلك من الاصناف المختلفة * وقال ابن عطية وهذه الآية تقتضي ان كل ثمرة موجودة فيها نوعان فان اتفق أن يوجد من ثمرة أكثر من نوعين فغير ضار في معنى الآية * وقال الكرماني الزوج واحد والزوج اثنان ولهذا قيد ليعلم ان المراد بالزوج هنا الفرد لا التثنية فيكون أربعة اخص اثنين بالذكور وان كان من أجناس الثمار ما يزيد على ذلك لأنه الأقل ادل انواع تنقص أصنافه عن اثنين انتهى ويقال ان في كل ثمرة ذكر وأنثى وأشار إلى ذلك الفراء * وقال أبو عبد الله الرازي لما خلق الله تعالى العالم وخلق فيه الاشجار خلق من كل نوع من الأنواع اثنين فقط فلو قال خلق زوجين لم يعلم ان المراد النوع أو الشخص فلما قال اثنين علمنا انه أول ما خلق من كل زوجين اثنين لأن أقل ولا يزيد فالشجر والزروع كبنى آدم حصل منهم كثرة وابتدأوهم من زوجين اثنين بالشخص وهما آدم وحواء والاستدلال بخلق الثمرات على ما ذكر تعالى من جهة رب الجنة في الأرض وشق أعلاهما وأسفلها من الشق الأعلى الشجرة الصاعدة ومن الأسفل العروق الغائصة وطبيعة تلك الجنة واحدة وتأثيرات الطبائع والأفلاك والكواكب فيها واحد ثم يخرج من الأعلى ما يذهب صعودا في الهواء ومن الأسفل ما يغوص في الثرى ومن المحال ان يتولد من الطبيعة الواحدة طبيعتان متضادتان فعلمنا ان ذلك بتقدير قادر حكيم ثم تلك الشجرة يكون بعضها خشبا وبعضها لوزا وبعضها تمر اثم تلك الثمرة يحصل فيها أجسام مختلفة الطبائع وذلك بتقدير القادر الحكيم انتهى وفيه تلخيص * وقيل تم الكلام عند قوله ومن كل الثمرات فيكون معطوفا على ما قبله من عطف المفردات ويتعلق بقوله وجعل فيها راسي فالفعل انه جعل في الأرض من كل ذكر وأنثى اثنين وقيل الزوجان الشمس والقمر * وقيل الليل والنهار يغشى الليل النهار تقدم تفسير هذه الجملة وقرا آياتها في الأعراف وخص المتفكرين لأن ما احتوت عليه هذه الآيات من الصنيع العجيب لا يدرك الا بالتفكير ﴿ وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل ان في ذلك آيات لقوم يعقلون ﴾ قطع جمع قطعة وهي الجزء ومتجاورات متلاصقة متدانية قريبة بعضها من بعض * قال ابن عباس ومجاهد وأبو العالية والضحاك أرض طيبة وأرض سبخة تنبت هذه وهذه إلى جنبها لا تنبت * وقال ابن قتيبة وقتادة يعني القرى المتجاورة * وقيل متجاورة في المكان مختلفة في الصفة صلبة إلى رخوة وسحرا إلى مرد (٣) أو مخصصة إلى مجدية وصالحة للزراع للشجر وعكسها مع انتظام جميعها في الأرضية * وقيل في الكلام حذف معطوف أي وغير متجاورات

تختلف طعوم الثمار والماء واحد والشجر جنس واحد وكل ذلك دليل على مدبر دبره وأحكمه لا يشبه المخلوقات ﴿ ان في ذلك ﴾ قال ابن عباس في اختلاف الألوان والروائح والطعوم ﴿ آيات ﴾ الحجج والودالات ﴿ لقوم يعقلون ﴾ يعامون الأدلة فيستدلون بها على وحدانية الصانع القادر ولما كان الاستدلال في هذه الآية بأشياء في غاية الوضوح من مشاهدة تجاور القطع والجنات وسقيها وتقصيلها جاء ختمها بقوله لقوم يعقلون بخلاف الآية التي قبلها فان الاستدلال بها يحتاج إلى تأمل وتدبر نظر جاء ختمها بقوله لقوم يتفكرون

والتجاورات المدن وما كان عامراً وغير المتجاورات الصحارى وما كان غير عامراً * قال ابن عطية والذي يظهر من وصفه لها بالتجاور انها هوم من تربة واحدة ونوع واحد وموضع العبرة في هذا أبين لانهم مع اتفاقها في التربة والماء تفضل القدرة والارادة بعضاً كلها على بعض كما قال النبي صلى الله عليه وسلم حين سئل عن هذه الآية فقال الدقل والفارس والخلو والحامض * وقال ابن عطية وقيد منها في هذا المثال ما جاور وقرب بعضه من بعض لان اختلاف ذلك في الأكل أغرب وفي بعض المصاحف قطعاً متجاورات بالنصب على جعل * وقرأ الجمهور وجنات بالرفع * وقرأ الحسن بالنصب باضمار فعل * وقيل عطفاً على رواسي * وقال الزخشي بالعطف على زوجين اثنين أو بالجر على كل الثمرات انتهى والاولى اضرار فعل لبعدهما بين المتعاطفين في هذه التواريخ والفصل بينهما بجمل كثيرة * وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحفص وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان بالرفع في الجميع على مراعاة قطع * وقال ابن عطية عطفاً على أعناب وليست عبارة محررة أيضاً لان فيها ما ليس بعطف وهو قوله صنوان وقرأ باقي السبعة بخفض الأربعة على مراعاة من أعناب قال وجعل الجنة من الأعناب من رفع الزرع والجنة حقيقة انما هي الأرض التي فيها الأعناب وفي ذلك تجوز ومنه قول الشاعر

كان عيني في غربى مقبله * من النواضح تسقى جنة سمحة

أى نخيل جنة اذا لا يوصف بالسحق الا النخل ومن خفض الزرع فالجنات من مجموع ذلك لا من الزرع وحده لانه لا يقال للزرعة جنة الا اذا خالطها ثمرات * وقرأ الجمهور صنوان بكسر الصاد فيها ما ابن مصر في والسامى وزيد بن علي بضمها والحسن وقتادة بفتحها وبالفتح هو اسم للجمع كالسعدان * وقرأ عاصم وابن عامر وزيد بن علي يسقى بالياء أى يسقى ما ذكر وباقي السبعة بالتاء وهى قراءة الحسن وأبى جعفر وأهل مكة أنشوا لعود الضمير على لفظ ما تقدم واقلوه ونفضل بالنون وحزة والكسائي بالياء وابن محيصن بالياء فى تسقى وفى نفضل * وقرأ يحيى بن يعمر وأبو حيوة والخابي عن عبد الوارث ويفضل بالياء وفتح الضاد بعضها بالرفع * قال أبو حاتم وجده كذا في مصحف يحيى بن يعمر وهو أول من نقط المصاحف وتقدم في البقرة خلاف القراء في ضم الكاف من الأكل وسكونها والاول كل بضم الهمزة الماء كقول كاتبة بضم معنى المنقوض وفتحها المصدر والظاهر من تفسير أكثر المفسرين للصنوان أن يكون قوله صنوان صفة لقوله ونخيل ومن فسره منهم بالنخل جعله وصفاً لجميع ما تقدم أى اشكال وغير اشكال * قيل ونظير هذه الكلمة فنو وقنوان ولا يوجد لهما ثالث ونص على الصنوان لانها بمثال التجاور في القطع فظهر فيها غرابة اختلاف الأكل ومعنى بماء واحد ماء مطر أو ماء ببحر أو ماء نهر أو ماء عين أو ماء نبع لا يسيل على وجه الأرض وخص التفضيل في الأكل وان كانت متفاضلة في غيره لانه غالب وجوه الانتفاع من الثمرات ألا ترى الى تقاربها في الأشكال والألوان والرائحة والمنافع وما يجرى مجرى ذلك * قيل نبه الله تعالى في هذه الآية على قدرته وحكمته وانه المدبر للاشياء كلها وذلك أن الشجرة تخرج أغصانها وثمراتها في وقت معلوم لا تتأخر عنه ولا تتقدم ثم تصعد الماء في ذلك الوقت عاوا علوا وليس من طبعه الا التسفل يتفرق ذلك الماء في الورق والأغصان والثمر كل بقسطه وبقدر ما فيه صلاحه ثم تختلف طعوم الثمار والماء واحد والشجر جنس واحد وكل ذلك دليل على مدبره وأحكمه لا يشبه المخلوقات قال الراجز

والأرض فيها عبرة للمعتبر * تخبر عن صنع مليك مقدر

﴿ وان تعجب فعجب قولهم ﴾ الآية لما أقام الدليل على عظيم قدرته بما أودعه من الغرائب في ملكوته التي لا يقدر عليها سواه عجب رسول الله صلى الله عليه وسلم من انكار المشركين وحدانيته وتوحيدهم قدرته لضعف عقولهم فنزل وان تعجب قال ابن عباس وان تعجب من تكذيبهم اياك بعدما كانوا يحكموا عليك انك من الصادقين فهذا أعجب وقال الزمخشري وان تعجب يا محمد في قولهم في انكار البعث فقولهم عجيب حقيق بأن يتعجب منه لان من قدر على انشاء ما عدد عليك من الفطر العظيمة ولم يعي بخلقهن كانت الاعادة أهون شيء عليه وأيسره فكان انكارهم أعجوبة من الاعاجيب انتهى وليس مدلول اللفظ ما ذكر لانه جعل متعلق عجزه صلى الله عليه وسلم هو قولهم في انكار البعث فاتحد الشرط والجزاء اذ صار التقدير وان تعجب من قولهم في انكار البعث فاعجب من قولهم في انكار البعث وانما مدلول اللفظ ان يقع منك عجب فليكن من قولهم انما امتنا الآية وكان المعنى الذي ينبغي أن يتعجب منه هو (٣٦٤) انكار البعث لانه تعالى المخترع للاشياء ومن كان قادرا على

ابرارها من العدم الصرف كان قادرا على الاعادة كما قال تعالى وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه أي هين عليه وقوله فعجب خير مقدم واجب التقديم واختلف القراء في الاستفهامين اذا اجتمعا في أحد عشر موضعا منها هذا الموضع والظاهر ان انما معمول لقولهم محكي به وقال الزمخشري انما امتنا الى آخر قولهم يجوز ان يكون في محل الرفع بدلا من قولهم انتهى وهذا اعراب متكلف وعدول عن الظاهر واذا متحضة للظرف وليس فيها معنى الشرط فالعامل فيها محذوف يفسره ما يدل

تسقي بماء واحد أشجارها * وبقعة واحدة قرارها والشمس والهواء ليس يختلف * وأكلها مختلف لا يتلف لو أن دامن عمل الطبائع * أو أنه صنعة غير صانع لم يختلف وكان شيئا واحدا * هل يشبه الأولاد الا الوالد الشمس والهواء يامعاندا * والماء والتراب شيء واحد فالذي أوجب هذا التفاضلا * الا حكمكم لم يرد باطلا * وقال الحسن هذا مثل ضرب به الله تعالى اقلوب بني آدم كانت الأرض طينة واحدة فسطحها فصارت قطعاً متجاورات فنزل عليها ماء واحد من السماء فتخرج هذه زهرة وثمرة وتخرج هذه سبخة وملحاً وخبثاً وكذلك الناس خلقوا من آدم فنزلت عليهم من السماء مذكرة فربت قلوب وخشعت قلوب وقست قلوب ولهت قلوب * وقال الحسن ما جالس أحد القرآن الا قام عنه بزيادة أو نقصان قال تعالى ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خساراً انتهى وهو شبيه بكلام الصوفية * ان في ذلك قال ابن عباس في اختلاف الألوان والروائح والطعوم آيات لحججها ودلالات لقوم يعقلون يعامون الأدلة فيستدلون بها على وحدانية الصانع القادر ولما كان الاستدلال في هذه الآية بأشياء في غاية الوضوح من مشاهدة تجاور القطع والجنات وسقيها وتفضيلها جاء ختمها بقوله لقوم يعقلون بخلاف الآية التي قبلها فان الاستدلال بها يحتاج الى تأمل ومزيد نظر جاء ختمها بقوله لقوم يتفكرون ﴿ وان تعجب فعجب قولهم انما كنا تراباً انما نحن خلق جديد * أولئك الذين كفروا بربهم وأولئك الأغلال في أعناقهم وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون * ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة وقد خلت من قبلهم المثلثات وان ربك لذو مغفرة للناس على

عليه الجملة الثانية وتقديره أنبعث أو نحشر ﴿ أولئك ﴾ إشارة الى قائل تلك المقالة وهي تقدير مصمم على انكار البعث فلذلك حكم عليهم بالكفر إذ عجزوا وقدرته عن اعادة ما أنشأوا اخترع ابتداء ولما حكم عليهم بالكفر في الدنيا اذ كرم ما يؤولون اليه في الآخرة على سبيل الوعيد وأبرز ذلك في جملة مستقلة مشار اليهم والظاهر أن الأغلال تكون في أعناقهم حقيقة في الآخرة كما قال تعالى اذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون ولما كانوا متوعدين بالعذاب ان أصر واعلى الكفر وكانوا مكذبين بما أنذروا به من العذاب سألو واستعجلوا في الطلب أن يأتيهم العذاب وذلك على سبيل الاستهزاء كما قالوا فامطر علينا حجارة وقلوا أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا قال ابن عباس السيئة العذاب والحسنة العافية ﴿ وقد خلت من قبلهم المثلثات ﴾ أي يستعجلونك بالسيئة مع علمهم بما حل بغيرهم من مكذبي الرسل في الأمم السالفة وهذا يدل على تخفف عقولهم اذ يستعجلون بالعذاب والحالة هذه فلأنه لم يسبق تعذيب أمثالهم لكانوا رمايكون لهم عذر ولكنهم لا يعتبرون فيستهزئون قال ابن عباس المثلثات العقوبات المستأصلات كمثل قطع الانف والاذن ونحوهما ﴿ وان ربك لذو مغفرة للناس على

ظلمهم ﴿ترجية للغفران وعلى ظلمهم في موضع الحال والمعنى أنه يغفر لهم مع ظلمهم بأنفسهم﴾ يا كاسب الذنوب أي ظالمين أنفسهم قال ابن عباس ليس في القرآن آية أرجى من هذه ﴿لشديد العقاب﴾ تخويف وارهاب بعد ترجية وقال سعيد بن المسيب لما نزلت هذه الآية قال صلى الله عليه وسلم لولا عفو الله ومغفرته لما غنا لأحد عيش ولولا عقابه لا تسلك كل أحد في حديث آخر ان

(الدر) (ش) وان تعجب يا محمد من قولهم في انكار البعث فقولهم عجيب حقيق بأن تتعجب منه لان من قدر على انشاء ما عدد عليك من الفطر العظيمة ولم يعي بخلقهم كانت الاعادة أهون شيء عليه وأيسره فكان انكارهم أعجوبة من الاعاجيب انتهى (ح) ليس مدلول اللفظ ما ذكر لأنه جعل متعلق بعجبه (٣٦٥) صلى الله عليه وسلم هو قولهم في انكار البعث وجواب

الشرط هو قولهم في انكار البعث فاتحد الجزاء والشرط اذ صار التقدير وان تعجب من قولهم في انكار البعث فاعجب من قولهم في انكار البعث وان تعجب من قولهم في انكار البعث فاعجب من قولهم في انكار البعث وانما مدلول اللفظ ان يقع منك عجب فليكن من قولهم أنما متنا الآية وكان المعنى الذي ينبغي أن يتعجب منه هو انكار البعث لانه تعالى هو المخترع للامور ومن كان قادرا على ابرازها من العدم الى ابرازها من الوجود كان قادرا على ابرازها من العدم الى ابرازها من الوجود كما قال تعالى وهو الذي يبدؤ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه (ح) وان تعجب فعجب قولهم فعجب خبر مقدم ولا بد فيه من تقدير صفة لانه لا يمكن المعنى بطلق فلا بد من قيد وتقديره والله أعلم فعجب أي عجب أو

ظلمهم وان ربك لشديد العقاب ﴿ولما أقام الدلائل على عظيم قدرته بما أودعه من الفرائب في ملكوته التي لا يقدر عليها سواه عجب الرسول عليه الصلاة والسلام من انكار المشركين وحدايته وتوهينهم قدرته لضعف عقولهم فنزل وان تعجب قال ابن عباس وان تعجب من تكذيبهم اياك بعدما كانوا يحكموا عليك انك من الصادقين فهذا أعجب﴾ وقيل وان تعجب يا محمد من عبادتهم ما لا يملك لهم ضرا ولا نفعا بعد ما عرفوا الدلائل الدالة على التوحيد فهذا أعجب ﴿قال الزمخشري وان تعجب من قولهم يا محمد في انكار البعث فقولهم عجيب حقيق بأن يتعجب منه لان من قدر على انشاء ما عدد عليك من الفطر العظيمة ولم يعي بخلقهم كانت الاعادة أهون شيء عليه وأيسره فكان انكارهم أعجوبة من الاعاجيب انتهى وليس مدلول اللفظ ما ذكر لأنه جعل متعلق بعجبه صلى الله عليه وسلم هو قولهم في انكار البعث فاتحد الجزاء والشرط اذ صار التقدير وان تعجب من قولهم في انكار البعث فاعجب من قولهم في انكار البعث وانما مدلول اللفظ ان يقع منك عجب فليكن من قولهم أنما كذا الآية وكان المعنى الذي ينبغي أن يتعجب منه هو انكار البعث لانه تعالى هو المخترع للامور ومن كان قادرا على ابرازها من العدم الى ابرازها من الوجود كان قادرا على الاعادة كما قال تعالى وهو الذي يبدؤ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه﴾ وقال ابن عطية هذه الآية توجب للكفرة أي ان تعجب يا محمد من جهالتهم واعراضهم عن الحق فهم أهل لذلك وعجيب وغريب أن تسكر قلوبهم العود بعد كوننا خلقا جديدا ويحتمل اللفظ نزعاً آخر ان كنت تريد عجباً فليكن فان من أعجب العجب قولهم انتهى ﴿واختلف القراء في الاستفهامين اذا اجتمع في أحد عشر موضعاً ههنا موضع وكذا في المؤمنين وفي العنكبوت وفي النمل وفي السجدة وفي الواقعة وفي النازعات وفي بني اسرائيل موضعان وكذا في الصافات﴾ وقرأ نافع والكسائي يجعل الأول استفهاماً والثاني خبراً الا في العنكبوت والنمل يعكس نافع وجع الكسائي بين الاستفهامين في العنكبوت وأما في النمل فعلى أصله الا انه زاد نونا فقرأ إنا نخرجون ﴿وقرأ ابن عامر بجعل الاول خبراً والثاني استفهاماً الا في النمل والنازعات فعكس وزاد في النمل نونا كالكسائي والا في الواقعة فقرأهما باستفهامين وهي قراءة باقي السبعة في هذا الباب الا ابن كثير وحفصا قرأ في العنكبوت بالخبر في الاول والاستفهام في الثاني وهم على أصولهم في اجتماع الهمزتين من تخفيف

فعجب غريب واذا قدرناه موصوفاً جاز أن يعرب مبتدأ لانه منكرة فيها مسوع الابتداء وهو الوصف وقد وقعت موقع الابتداء ولا يضر كون الخبر معرفة وذلك كما أجاز سيبويه ذلك في كم مالك مسوع الابتداء فيه أيضاً وهو كونه عاملاً فيما بعده وقال أبو البقاء وقيل عجب بمعنى متعجب قال فعلى هذا يجوز أن يرتفع قولهم به انتهى وهذا الذي أجاز له لا يجوز لانه لا يلزم من كون الشيء بمعنى الشيء أن يكون حكمه في العمل حكمه فعجب يعمل وعجب لا يعمل ألا ترى ان فعلاً كذبح وفعلاً كقبض وفعلاً كغرفة هي بمعنى مفعول ولا تعمل عمله فلا تقول مررت برجل ذبح كبشه ولا برجل قبض ماله ولا برجل غرفة مأوه بمعنى مذبوح كبشه ومقبوض ماله ومغروف مأوه وقد نصوا على ان هذه تنوب في الدلالة في العمل عن المفعول وقد خص الهويون ما يرفع الفاعل

وتحقيق وفصل بين الهمزتين وتر كهموقولهم فمعجب هو خبره مقدم ولا بد فيه من تقدير صفة لانه لا يمكن المعنى بطلق فلا بد من قيد وتقديره والله أعلم فمعجب أى عجب أو فمعجب غريب وإذا قدرناه موصوفاً جاز أن يعرب مبتدأ لانه نكرة فيها مسوغ الابتداء وهو الوصف وقد وقعت موقع الابتداء ولا يضر كون الخبر معرفة ذلك كما أجاز سيبويه ذلك في كم مالك مسوغ الابتداء فيه وهو الاستفهام وفي نحو اقصد جلا خير منه أبوه مسوغ الابتداء أيضاً وهو كونه عاملاً فيما بعده * وقال أبو البقاء وقيل عجب بمعنى معجب قال فعلى هذا يجوز أن يرتفع قولهم به انتهى وهذا الذى أجازهم لا يجوز لانه لا يارزم من كون الشيء بمعنى الشيء أن يكون حكمه في العمل حكمه فمعجب يعمل وعجب لا يعمل ألا ترى أن فعلاً كذبح وفعلاً كقبض وفعلاً كغرفه هي بمعنى مفعول ولا يعمل عمله فلا تقول مررت برجل ذبح كبشه ولا برجل قبض ماله ولا برجل غرف مائه بمعنى مذبح كبشه ومقبوض ماله ومغروف مائه وقد نصوا على أن هذه تنوب في الدلالة لافي العمل عن المفعول وقد حصر النحويون ما يرفع الفاعل والظاهر أن أنداء معمول لقولهم محكي به * وقال الزمخشري أنذا كنا الى آخر قولهم يجوز أن يكون في محل الرفع بدلاً من قولهم انتهى هذا اعراب متكاف وعَدول عن الظاهر وأدامت حصة النظر وليس فيها معنى الشرط فالعامل فيها محذوف يفسره ما يدل عليه الجملة الثانية وتقريره أنبعث أو أنمشر أولئك اشارة الى قائل تلك المقالة وهو تقرير مصمم على انكار البعث فأن ذلك حكم عليهم بالكفر إذ عجزوا قدرته عن اعادته ما أنشأوا اخترع ابتداء ولما حكم عليهم بالكفر في الدنيا إذ كرم ما يؤولون اليه في الآخرة على سبيل الوعيد وأبرز ذلك في جملة مستقلة مشار اليهم والظاهر ان الاغلال تكون حقيقة في أعناقهم كالاغلال ثم ذكر ما يستقرون عليه في الآخرة كما قال اذا اغلال في أعناقهم والسلاسل * وقيل يحتمل أن يكون مجازاً أى هم مغلولون عن الايمان فتجربى اذا جرى الطبع والختم على القلوب كما قال تعالى انا جعلنا في أعناقهم أغلالاً وكما قال الشاعر * لهم عن الرشداً غلال وأقياد * وقيل الاغلال هنا عبارة عن أعمالهم الفاسدة في أعناقهم كالاغلال ثم ذكر ما يستقرون عليه في الآخرة وأبرز ذلك في جملة مستقلة مشار اليهم رادة عليهم ما أنكروه من البعث إذ لا يكون انتخاب النار إلا بعد الحشر ولما كانوا متوعدين بالعذاب أن أصرواعلى الكفر وكانوا مكذبين بما أنذروابه من العذاب سألوا واستعجلوا في الطلب أن يأتهم العذاب وذلك على سبيل الاستهزاء كما قالوا فامطر علينا حجارة وقالوا أو تسقط السماء كازعمت علينا كسفا * قال ابن عباس السيئة العذاب والحسنة العافية * وقال قتادة بالشر قبل الخير * وقيل بالبلاء والعقوبة قبل الرخاء والعافية وهذه الاقوال متقاربة وقد خلت من قبلهم المثلثات أى يستعجلونك بالسيئة مع علمهم بما حل بغيرهم من مكذبى الرسل في الامم السالفة وهذا يدل على سخف عقولهم اذ يستعجلون بالعذاب والحالة هذه فلو أنهم يسبق تعذيب أمثالهم لكانوا ر بما يكون لهم عذر وانكهم لا يعتبرون فيستهزئون * قال ابن عباس المثلثات العقوبات المستأصلات كمثلثات قطع الانف والاذن ونحوها * وقال السدى النقمات * وقال قتادة وقائع الله الفاضحة كسخن القرودة والخنازير * وقال مجاهد الامثال المضروبة * وقرأ الجمهور بفتح الميم وضم التاء ومجاهد والاعمش بفتحهما * وقرأ عيسى ابن عمير وفي رواية الاعمش وأبو بكر بضمهما وابن وثاب بضم الميم وسكون التاء وابن مصرف بفتح الميم وسكون التاء ولدومغفرة للناس على ظلمهم ترجية للغفران وعلى ظلمهم في موضع الحال والمعنى انه يغفر لهم مع ظلمهم أنفسهم بما اكتسب الذنوب أى ظالمين أنفسهم * قال ابن عباس ليس في القرآن

العبد لو علم قدر عفو
الله ما أمسك عن ذنب
ولو علم قدر عقوبته لقمع
نفسه في عبادة الله

(الدر)

وليس منها المصدر اذا كان
معنى اسم الفاعل (ش)
أنذا امتنا الى آخر قولهم
يجوز أن يكون في محل
رفع بدلاً من قولهم (ح)
هذا اعراب متكاف
وعَدول عن الظاهر
والظاهر أن أنداء معمول
لقولهم محكي به

آية أرجى من هذه * وقال الطبري ليغفر لهم في الآخرة * وقال القاسم بن يحيى وقوم ليغفر لهم
الظلم السالف بتوبتهم في الآنف * وقيل ليغفر السيئات الصغيرة لمجتنب الكبائر * وقيل ليغفر
لهم بسبب توبتهم وإمهاله فلا يعجل لهم العذاب مع تعجيلهم بالمعصية * قال ابن عطية والظاهر من معنى
المغفرة هنا هو ستره في الدنيا وإمهاله للكفرة ألا ترى التيسير في لفظ مغفرة وانها منكورة مقلدة
وليس فيها مبالغة كما في قوله تعالى وإني لغفار لمن تاب ومحط الآية يعطى هذا حكمه عليهم بالنار ثم قال
ويستعجلونك فما ظهر سوء فعلهم وجب في نفس السامع تعذيبهم فاخبر بسيرته في الأمم وأنه مهمل
مع ظلم الكفرة انتهى ولشديد العقاب تخويف وارتياب بعد ترجية * وقال سعيد بن المسيب لما
نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا عفو الله وغفرته لما هلك أحد عيش ولولا
عقابه لا تكل كل أحد في حديث آخر أن العبد إذا علم قدر عفو الله لما مسك عن ذنب ولو علم قدر
عقوبته لقمع نفسه في عبادة الله عز وجل * ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه إنما
أنت منذر ولكل قوم هاد * عن ابن عباس لما نزلت وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على
صدره فقال أنا منذر وأوماً بيده إلى منكب عليّ * وقال أنت الهادي يا عليّ بك يهتدى من بعدي
* وقال القشيري نزلت في النبي صلى الله عليه وسلم وعلى بن أبي طالب والذين كفروا مشركو
العرب أو من أنكروا نبوته من مشركيهم والكفار ولم يعتدوا بالآيات الخارقة للمنزلة كأنشقاق القمر
وانقياد الشجر وانقلاب العصا سيفا ونبع الماء من بين الأصابع وأمثال هذه فترحوا عند آيات
كالدعوة في سحابة وفي الفرقان كالتفجير للينبوع والرقى في السماء والمك والكنز فقال تعالى
لنبيه صلى الله عليه وسلم إنما أنت منذر تخوفهم من سوء العاقبة وناصح كغيرك من الرسل ليس لك
الاتيان بما اقترحوا إذ قد أتى بآيات عدد الحاصل والآيات كلها متماثلة في صحة الدعوى لا تفاوت فيها
فلا اقتراح إنما هو عند أول مجر الله العادة بآياتها والآيات المقترحة لا إلا التي حتم بعذابها واستئصالها
وهاد يهتمل أن يكون قد عطف على منذر وفصل بينهما بما يقوله لكل قوم وبه قال عكرمة وأبو
الضحى فإن أخذت ولكل قوم هاد على العموم فغناه وداع إلى الهدى كما قال بعثت إلى الأسود
والأحمر فإن أخذت هاد على حقيقة فلكل قوم مخصوص أي ولكل قوم قائم هاد * وقيل ولكل
أمة سلفت هاد أي نبي يدعوهم والقصد فليس أمرك ببدع ولا منكروا بدع قال مجاهد وابن زيد
والزجاج قال نبي يدعوهم بما يعطى من الآيات لا بما يتحكمون فيه من الاقتراحات وتبعهم الرخصى
* فقال هاد من الأنبياء هاديهم إلى الدين ويدعوهم إلى الله بوجه من الهداية وبآية خص بها ولم
يجعل الأشياء شرعا واحداً في آيات مخصوصة وقالت فرقة الهادي في هذه الآية هو الله تعالى
* روى أن ذلك عن ابن عباس ومجاهد وابن جبير وهاد على هذا مخترع للارشاد * قال ابن عطية
وألفاظ تتعلق بهذا المعنى وتعرف أن الله تعالى هو الهادي من غير هذا الموضع * وقال الزمخشري
في هذا القول وجه آخر وهو أن يكون المعنى أنهم يجحدون كون ما أنزل عليك آيات ويعاندون
فلا يهمنك ذلك إنما أنت منذر فاعلمك الآن تنذر لأن تثبت الإيمان بالآلاء والذى يثبت بالآلاء
هو الله تعالى انتهى ودل كلامه على الاعتزال * وقال في معنى القول الذي تبع فيه مجاهد وابن
زيد مانصه ولقد دل بما أوردته من ذكر آيات عامة وتقديره الأشياء على قضايا حكمته أن إعطاء كل
منذر آيات أمر مدبر بالعالم النافذ بمقدر بالحكمة الربانية ولو علم في أجابته إلى مقتضاهم خيراً أو
مصلحة لأجابهم إليه * وقال الزمخشري أيضاً في معنى أن الهادي هو الله تعالى أي بالآلاء على زعمه

* ويقول الذين كفروا
لولا أنزل عليه آية من ربه
الآية عن ابن عباس لما
نزلت وضع رسول الله
صلى الله عليه وسلم يده على
صدره وقال أنا المنذر وأوماً
بيده إلى منكب علي
رضي الله عنه وقال أنت
الهادي يا علي بك يهتدى
من بعدي

﴿الله يعلم ما تحمل كل أنثى﴾ الآية مناسبة هذه الآية لما قبلها أنه لما تقدم انكارهم البعث لتفرق الأجزاء واختلاط بعضها ببعض بحيث لا ينهياً الامتياز بينها به على احاطة عامه تعالى وان من كان عالماً بجميع المعلومات هو قادر على إعادة ما أنشأ أولاً الله يعلم كلام مستأنف مبتدأ وخبر ومأموصولة والعائد عليها محذوف تقديره تحمله وهو هنا من حمل البطن لا من حمل الظهر ﴿وما تغيض﴾ قال ابن عباس تنقص من الخلقة وتزدادتم وظاهر عموم قوله ﴿وكل شيء عنده بمقدار﴾ أي بحسب حاجته ولا يقصر عنه والمراد من العندية العلم أي هو عالم بكمية كل شيء وكيفيته على الوجه المفصل المبين فامتنع وقوع اللبس في تلك المعلومات ولما ذكر تعالى أنه عالم بأشياء خفية لا يعلمها الا هو وكانت أشياء جزئية من خفايا علمه ذكر أن علمه محيط بجميع الأشياء فعلمه تعالى متعلق بما يشاهده العالم تعلقه بما يغيب عنهم والكبير العظيم الشأن الذي كل شيء دونه المتعال المستعلي على كل شيء بقدرته أو الذي كبر عن صفات المحدثين وتعالى عنها ولما ذكر تعالى (٣٦٨) أنه عالم الغيب والشهادة على العموم ذكر تعالى تعلق

علمه بشئ خاص من أحوال المكافين فقال ﴿سواء منكم﴾ الآية والمعنى سواء في علمه المسر بالقول والجاهر به لا يخفى عليه شيء من أقواله وسواء تقدم الكلام فيه وفي معانيه وهو هنا بمعنى مستو وأعر بوا سواء خبراً مقدماً ومن أسر والمعطوف عليه مبتدأ مؤخر أو يجوز أن يكون سواء مبتدأ لأنه موصوف بقوله منكم المعطوف عليه الخبر قال ابن عباس مستخف مستتر وسارب ظاهر وسارب معطوف على مستخف ومن موصول يراد به التثنية وحمل على المعنى في تقسيم خبر المبتدأ الذي هو هو وعلى لفظ من في افراد هو والمعنى سواء اللذان هما مستخف بالليل وسارب بالنهار وانظر الى حسن هذه المقابلات في قوله تعالى تغيض وتزداد والغيب والشهادة وأسر وجهه ومستخف وسارب والليل والنهار ﴿له معقبات﴾ الضمير في له عائد على الله تعالى أي لله معقبات ملائكة من بين يدي العبد ومن خلفه والمعقبات على هذه الملائكة الحفظة على العباد أعمالهم والحفظة لهم أيضاً قاله الحسن وروى فيه حديث عن عثمان عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الزمخشري والاصل معتقات فأدغم التاء في القاف كقوله وجاء المعذرون بمعنى المعتذرون ويجوز معقبات بكسر العين ولم يقرأ به انتهى وهذا وهم فاحش لا ندغم التاء في القاف ولا القاف في التاء لامن كلمتين ولا من كلمة وقد نص التصريفيون على أن القاف والكاف كل منهما يدغم في الآخر ولا يدغمان في غيرهما ولا يدغم غيرهما فيهما أو ما تشبهه بقوله وجاء المعذرون فلا يتعين أن يكون أصله المعتذرون وأما قوله ويجوز معقبات بكسر العين فهذا لا يجوز لانه بناء على أن أصله معقبات فأدغم التاء في القاف وقد ذكرنا أن ذلك وهم فاحش ولما ذكر تعالى احاطة علمه بخفايا الأشياء وجلالها وأن الملائكة تعتقب على المكافين لحفظ ما يصدر منهم كان الصادر منهم خيراً أو

علمه بشئ خاص من أحوال المكافين فقال ﴿سواء منكم﴾ الآية والمعنى سواء في علمه المسر بالقول والجاهر به لا يخفى عليه شيء من أقواله وسواء تقدم الكلام فيه وفي معانيه وهو هنا بمعنى مستو وأعر بوا سواء خبراً مقدماً ومن أسر والمعطوف عليه مبتدأ مؤخر أو يجوز أن يكون سواء مبتدأ لأنه موصوف بقوله منكم المعطوف عليه الخبر قال ابن عباس مستخف مستتر وسارب ظاهر وسارب معطوف على مستخف ومن موصول يراد به التثنية وحمل على المعنى في تقسيم

خبر المبتدأ الذي هو هو وعلى لفظ من في افراد هو والمعنى سواء اللذان هما مستخف بالليل وسارب بالنهار وانظر الى حسن هذه المقابلات في قوله تعالى تغيض وتزداد والغيب والشهادة وأسر وجهه ومستخف وسارب والليل والنهار ﴿له معقبات﴾ الضمير في له عائد على الله تعالى أي لله معقبات ملائكة من بين يدي العبد ومن خلفه والمعقبات على هذه الملائكة الحفظة على العباد أعمالهم والحفظة لهم أيضاً قاله الحسن وروى فيه حديث عن عثمان عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الزمخشري والاصل معتقات فأدغم التاء في القاف كقوله وجاء المعذرون بمعنى المعتذرون ويجوز معقبات بكسر العين ولم يقرأ به انتهى وهذا وهم فاحش لا ندغم التاء في القاف ولا القاف في التاء لامن كلمتين ولا من كلمة وقد نص التصريفيون على أن القاف والكاف كل منهما يدغم في الآخر ولا يدغمان في غيرهما ولا يدغم غيرهما فيهما أو ما تشبهه بقوله وجاء المعذرون فلا يتعين أن يكون أصله المعتذرون وأما قوله ويجوز معقبات بكسر العين فهذا لا يجوز لانه بناء على أن أصله معقبات فأدغم التاء في القاف وقد ذكرنا أن ذلك وهم فاحش ولما ذكر تعالى احاطة علمه بخفايا الأشياء وجلالها وأن الملائكة تعتقب على المكافين لحفظ ما يصدر منهم كان الصادر منهم خيراً أو

عالمه الباهر وقدرته النافذة وحكمته البليغة وان ما نزل عليه من الآيات كافية لمن تبصر فلا يقترحون غيرها وان نزول الآيات انما هو على ما يقدره الله تعالى * وقيل مناسبة ذلك انه لما تقدم انكارهم البعث لتفريق الأجزاء واختلاط بعضها ببعض بحيث لا يتبين الامتياز بينها بنسبه على احاطة علمه وان من كان عالما بجميع المعلومات هو قادر على اعادة ما أنشأ * وقيل مناسبة ذلك انهم لما استعجلوا بالسيئة نبه على علمه بجميع المعلومات وانه انما نزل العذاب بحسب ما يعلم كونه مصلحة * قال ابن عطية قص في هذا المثل المنبه على قدرة الله القاضية بتجوز البعث فن ذلك الواحدة من الجنس التي هي مفاتيح الغيب يعني التي لا يعلمها الا هو وما تحمله الاناث من النطفة من كل نوع من الحيوان وهذا البدء يبين انه لا يتعذر على القادر علمه الاعادة والله يعلم كلام مستأنف مبتدأ وخبر ومن فسر الهادي بالله جاز أن يكون الله خبر مبتدأ محذوف أي هو الله تعالى ثم ابتداء اخبار اعنه فقال يعلم ويعلم هنامتعدية الى واحد لانه لا يراد هنا النسبة انما المراد تعلق العلم بالمفردات وما يجوز وأن تكون بمعنى الذي والعائد عليها في صلاتها محذوف ويكون تغيض متعديا وأن تكون مصدرية فيكون تغيض وتزداد لازمان وسماح تعديتهما ولزوم ما ثابت من كلام العرب وأن تكون استفهاما مبتدأ وتحمل خبره ويعلم متعلقة والجملة في موضع المفعول وتحمل هنامن حمل البطن لان الحمل على الظهر وفي مصحف أبي ما تحمل كل أنثى وما تضع وتحمل على التفسير لانها زيادة لم تثبت في سواد المصحف * قال ابن عباس تغيض تنقص من الخلقة وتزداد تتم * وقال مجاهد غيض الرحم أن ينهرق دما على الحمل فيضعف الولد في البطن ويسحب فاذا بقي الولد في بطنها بعد تسعة أشهر مدة كمل فيها من خمسة وصحبه ما تنقص من هراقة الدم انتهى كلام ابن عباس * وقال عكرمة تغيض بطهور الحيض في الحمل وتزداد بدم النفس بعد الوضع * وقال قتادة الغيض السقط والزياة البقاء فوق تسعة أشهر * وقال الضحاك غيض الرحم ان تسقط المرأة الولد والزياة ان تضعه لمدة كاملة تامة وعن الضحاك أيضا الغيض النقص من تسعة أشهر والزياة الى سنتين * وقيل من عدد الاولاد فقد تحمّل واحدا وقد تحمّل أكثر * وقال الجمهور غيض الرحم الدم على الحمل * قال الزمخشري ان كانت ما موصولة فالمعنى ان يعلم ما تحمّل من الولد على أي حال هو من ذكورة وأنوثة وتام وخدج وحسن وقبح وطول وقصر وغير ذلك من الاحوال الحاضرة المترتبة ويعلم ما تغيضه الارحام تنقصه وما تزداد أي تأخذه زائدا تقول أخذت منه حق وازددت منه كذا ومنه وازدادوا تسعا ويقال زدته فزاد بنفسه وازداد وما تنقصه الرحم وتزداده عدد الولد فانها تشتغل على واحد وقد تشتغل على اثنين وثلاثة وأربعة * وروي ان شريكا كان رابع أربعة في بطن أمه ومنه جسد الولد فانه يكون تاما ومخدجا ومنه مدة ولادته فانها تكون أقل من تسعة أشهر فاذا اد عليها الى سنة عند أبي حنيفة والى أربع عند الشافعي والى خمس عند مالك * وقيل ان الضحاك ولد لستين وهرم بن حبان بقي في بطن أمه أربع سنين ولذلك سمي هرما ومنه الدم فانه يقل ويكثر وان كانت مصدرية فالمعنى انه يعلم حمل كل أنثى ويعلم غيض الارحام وازديادها فلا يخفى عليه شيء من ذلك من أوقاته وأحواله ويجوز أن يراد غيوض ما في الارحام وزيادته فأسند الفعل الى الارحام وهو لما فيها على ان الفعل غير متعد وبعضه قول الحسن الغيوضة أن يقع لثمانية أشهر أو أقل من ذلك والازدياد أن يزيد على تسعة أشهر وعنه الغيض الذي يكون سقطا غير تمام والازدياد ولد التام انتهى وهو جمع ما قاله المفسرون مفرقا وبمقدار يقدر ويطلق المقدار على القدر وعلى ما يقدر به الشيء والظاهر عموم قوله وكل شيء

شراذ كر تعالى أن ما خور
فيه من النعم وأسبغ عليهم
من الاحسان لا يزال
عنهم الى الانتقام منهم الا
بكفر تلك النعمة واهمال
أمره بالطاعة واستبداله
بالمعصية فكان في ذكرك
ذلك تنبيه على لزوم الطاعة
وتحذير لوبال المعصية
والظاهر أنه لا يقع تغيير
النعم بقوم حتى يقع تغيير
منهم بالمعاصي والسوء
يجمع كل ما يسوء من
مرض وفقير وعذاب
 وغير ذلك من البلاء ومن
وال أي من ملجأ

عنده بمقدار أى بحد لا يتجاوزه ولا يقتصر عنه * وقال ابن عباس وكل شئ من الثواب والعقاب
عنده بمقدار أى بقدر الطاعة والمعصية * وقال الضحاك من الغيظ والازدياد * وقال قتادة من
الرزق والاجل * وقيل صحة الجنين ومريضه وموته وحياته ورزقه وأجله والاحسن حل هذه
الاقوال على التمثيل لاعلى التخصيص لأنه لا دليل عليه والمراد من العندية العلم أى هو تعالى عالم
بكمية كل شئ وكيفيته على الوجه المفصل المبين فامتنع وقوع اللبس فى تلك المعلومات * وقيل
المراد بالعندية أنه تعالى خصص كل حادث بوقته بعينه وحالة معينة بمشيئته لازلية وارادته السرمدية
ولما ذكر انه عالم بأشياء خفية لا يعلمها الا هو وكانت أشياء جزئية من خفايا عامه ذكر أن عامه
محيط بجميع الاشياء فعلمه تعالى متعلق بما يشاهده العالم تعلقه بما يغيب عنهم * وقيل الغائب
المعدوم والشاهد الموجود * وقيل الغائب ما غاب عن الحس والشاهد ما حضر للحس * وقرأ
زيد بن على عالم الغيب بالنصب الكبير العظيم الشأن الذى كل شئ دونه المتعال المستعلى على كل
شئ بقدرته أو الذى كبر عن صفات المحدثين وتعالى عنها وأثبت ابن كثير وأبو عمر وفى رواية ياء
المتعال ووقفا وهو الكثير فى لسان العرب وحذفها الباقون وصلا ووقفا لأنها كذلك
رسمت فى الخط واستشهد سيبويه بحذفها فى الفواصل ومن القوافى وأجاز غيره حذفها مطلقا
ووجه حذفها مع أنها تحذف مع التنوين وان تعاقب التنوين لحذفت مع المعاقب اجراء له مجرى
المعاقب ولما ذكر انه تعالى عالم الغيب والشهادة على العموم ذكر تعالى تعلق عامه بشئ خاص من
أحوال المكلفين * فقال سواء منكم الآية والمعنى سواء فى عامه السر القول والظاهر به لا يخفى
عليه شئ من أقواله وسواء تقدم الكلام فيه وفى معانيه وهو هنا بمعنى مستو وهو لا يثنى فى أشهر
اللغات * وحكى أبو زيد تنيئة فتقول هماسوا آن * وقيل هو على حذف أى سواء منكم سر من
أسر القول وجهه من جهر به وأعر بوا سواء خبر مبتدأ ومن أسر والمعطوف عليه مبتدأ ويجوز
أن يكون سواء مبتدأ لأنه موصوف بقوله منكم ومن المعطوف الخبر وكذا أعرب سيبويه قول
العرب سواء عليه الخير والشر وقول ابن عطية ان سيبويه ضعف ذلك بأنه ابتداء بنكرة وهو لا
يصح * وقال ابن عباس مستخف مستتر وسارب ظاهر * وقال مجاهد مستخف بالمعاصى وتفسير
الاخفش وقطرب المستخفى هنا بالظاهر وان كان موجودا فى اللغة ينبوع عنه اقترانه بالليل واقتران
السارب بالنهار وتقابل الوصفان فى قوله ومن هو مستخف إذ قابل من أسر القول وفى قوله سارب
بالنهار إذ قابل ومن جهر به والمعنى والله أعلم انه تعالى محيط عامه بأقوال المكلفين وأفعالهم لا يعزب
عنه شئ من ذلك وظاهر التقسيم يقتضى تكرار من لكنه حذف العلم به إذ تقدم قوله من أسر
القول ومن جهر به لكن ذلك لا يجوز على مذهب البصريين وأجازوه الكوفيون ويجوز أن
يكون وسارب معطوفا على من لا على مستخف فيصح التقسيم كأنه قيل سواء شخص هو مستخف
بالليل وشخص هو سارب بالنهار ويجوز أن يكون معطوفا على مستخف وأريد بمن اثنان وحمل على
المعنى فى تقسيم خبر المبتدأ الذى هو هو وعلى لفظ من فى افراد هو والمعنى سواء اللذان هما مستخف
بالليل والسارب بالنهار هو رجل واحد يستخفى بالليل ويسرب بالنهار ويرى نصرته فى الناس * قال
ابن عطية فهذا قسم واحد جعل الله نهار راحته والمعنى هذا الذى أمره كله واحدى من الريب
سواء فى اطلاع الله تعالى على الكل ويؤيد هذا التأويل عطف السارب دون تكرار من ولا يأتى
حذفها الا فى الشعر وتحذف الآية أن تتضمن ثلاثة أصناف فالذى يسر طرفه والذى يجهر طرفه

مضاد للأول والثالث متوسط متلون يعصى بالليل مستخفيا ويظهر البراءة بالنهار انتهى * وقيل
ومن هو مستخف بالليل بظلمته يريد إخفاء عمله فيه كما قال * أزورهم وسواد الليل يشفع لي *
وقال * وكلم لظلام الليل عندي من يد * والظاهر عود الضمير في له على من كأنه قيل لمن
أسر ومن جهر ومن استخفى ومن سرب معقبات * وقال ابن عباس هو عائذ على من في قوله ومن
هو مستخف وكذلك في باقي الضمائر التي في الآية * قال ابن عطية والمعقبات على هذا حرس الرجل
وجلاوزته الذين يحفظونه قال والآية على هذا في الرؤساء الكافرين واختار هذا القول الطبري
وهو قول عكرمة وجماعة * وقال الضحاك هو السلطان المحرس من أمر الله وذكر الماوردي أن
الكلام على هذا التأويل نفي تقريره لا يحفظونه من أمر الله انتهى وحذف لا في الجواب قسم بعيد
* قال المهدوي ومن جعل المعقبات الحرس فالمعنى يحفظونه من الله على ظنه وزعمه * وقيل الضمير
في له عائذ على الله تعالى أي لله معقبات ملائكة من بين يدي العبد ومن خلفه والمعقبات على هذا
الملائكة الحفظة على العباد وأعمالهم والحفظة لهم أيضا * وروى فيه حديث عن عثمان عن النبي صلى
الله عليه وسلم وهو قول مجاهد والنخعي * وقيل الضمير في له عائذ على الرسول صلى الله عليه وسلم
وان لم يجز له ذكر قريب وقد جرى ذكره في قوله ويقولون لولا أنزل عليه آية من ربه والمعنى ان
الله تعالى جعل لنبيه صلى الله عليه وسلم حفظة من متردي الجن والانس * قال أبو زيد الآية في النبي
صلى الله عليه وسلم زالت في حفظ الله من أرب بن قيس وعامر بن الطفيل من القصة التي سنشير
إليها بعد في ذكر الصواعق والقول الأول في عود الضمير هو الأولى الذي ينبغي أن يحمل عليه
وعليه يفسر ويقول لما تقدم أن من أسر القول ومن جهر به ومن استخفى بالليل وسرب بالنهار
مستوفى علم الله تعالى لا يخفى عليه من أحوالهم شيء ذكر أيضا أن لذلك المذكور معقبات جماعات من
الملائكة تعقب في حفظه وكلاءه وهم معقبون نه فعل من عقب الرجل إذا جاء على عقب الآخر لأن
بعضهم يعقب بعضا ولأنهم يعقبون ما يتكلمون به فيكتبونه * وقال الزمخشري والأصل معقبات
فأدغمت التاء في القاف كقوله وجاء المعتذرون يعني المعتذرون ويجوز معقبات بكسر العين ولم
يقرأ به انتهى وهذا وهم فاحش لا ندغم التاء في القاف ولا القاف في التاء لا من كلمة ولا من كلمتين وقد
نص التصريفيون على أن القاف والكاف يدغم كل منهما في الآخر ولا يدغمان في غيرهما ولا يدغم
غيرهما فيهما وأما تشبيهه بقوله وجاء المعتذرون فلا يتعين أن يكون أصله المعتذرون وقد تقدم في براءة
توجيهه وأنه لا يتعين ذلك فيه وأما قوله ويجوز معقبات بكسر العين فهذا لا يجوز لأنه بناء على أن
أصله معقبات فأدغمت التاء في القاف وقد ذكرنا أن ذلك وهم فاحش والمعقبات جمع معقبة * وقيل
الهاء في معقبة للبالغة فيكون كرجل نسابة * وقيل جمع معقبة وهي الجماعة التي تأتي بعد الأخرى
جمعت باعتبار كثرة الجماعات ومعقبة ليست جمع معقب كما ذكر الطبري وشبه ذلك برجل ورجل
ورجالات وليس الأمر كما ذكر لأن ذلك كجمل وجمال وجمالات ومعقبة ومعقبات انما هي كضارب
وضاربات قاله ابن عطية وينبغي أن يتأول كلام الطبري على أنه أراد بقوله جمع معقب أنه أطلق من
حيث الاستعمال على جمع معقب وان كان أصله ان يطلق على مؤنث معقب وصار مثل الواردة
للجماعة الذين يردون وان كان أصله أن يطلق على مؤنث وارد من حيث أن يجمع جوع التكسير
للعامل يجوز أن يعامل معاملة المفردة المؤنثة في الاخبار وفي عود الضمير لقوله العلماء قائله كذا
وقولهم الرجال وأعضادهما وتشبيهه الطبري ذلك برجل ورجل ورجالات من حيث المعنى لا من حيث

(الدر)

(ش) والأصل معقبات
فأدغمت التاء في القاف
كقوله وجاء المعتذرون
يعني المعتذرون ويجوز
معقبات بكسر العين ولم
يقرأ به انتهى (ح) هذا وهم
فاحش لا ندغم التاء في
القاف ولا القاف في التاء
لا من كلمة ولا من كلمتين
وقد نص التصريفيون
على أن القاف والكاف
كل منهما يدغم في الآخر
ولا يدغمان في غيرهما ولا
يدغم غيرهما فيهما وأما تشبيه
بقوله وجاء المعتذرون فلا
يتعين أن يكون أصله
المعتذرون وقد تقدم في
براءة توجيهه وأنه لا يتعين
ذلك فيه وأما قوله ويجوز
معقبات بكسر العين فهذا
لا يجوز لأنه بناء على أن
أصله معقبات فأدغمت
التاء في القاف وقد ذكرنا
أن ذلك وهم فاحش

صناعة النحو بين فبين أن معقبة من حيث أريد به الجمع كرجال من حيث وضع للجمع وأن معقبات من حيث استعمال جعل المعقبة المستعمل للجمع كرجالات الذي هو جمع رجال * وقرأ عبيد بن زياد على المنبر له المعاقب وهي قراءة أبي وإبراهيم * وقال الزخشي وقرئ له معاقب * قال أبو الفتح هو تكسير معقب بسكون العين وكسر القاف كطعم ومطاعم ومقدم ومقاديم وكان معقبا جمع على معاقبة ثم جعلت الياء في معاقب عوضا من الهاء المحذوفة في معاقبة * وقال الزخشي جمع معقب أو معقبة والياء عوض من حذف أحد القافين في التكسير * وقرئ له معقبات من اعتقب * وقرأ أبي من بين يديه ورفيق من خلفه * وقرأ ابن عباس ورفقاء من خلفه وذكر عنه أبو حاتم أنه قرأ له معقبات من خلفه ورفيق من بين يديه وينبغي حمل هذه القراءة على التفسير لأنهم قرأوا لخالفها سواد المصحف الذي أجمع عليه المسلمون والظاهر أن قوله تعالى من أمر الله متعلق بقوله يحفظونه * قيل من السبب كقولك كسرتة من عري ويكون معناها ومعنى الباء سواء كأنه قيل يحفظونه بأمر الله وبأذنه فيحفظهم إياه متسبب عن أمر الله لهم بذلك * قال ابن جريح يحفظون عليه عمله فيحذف المضاف * وقل فتادة يكتبون أقواله وأفعاله وقراءة على وابن عباس وعكرمة وزيد بن علي وجعفر بن محمد يحفظونه بأمر الله يؤيد تأويل السببية في من وفي هذا التأويل قال الزخشي يحفظونه من أجل أمر الله تعالى أي من أجل أن الله تعالى أمرهم بحفظه * وقال ابن عطية وقتادة معنى من أمر الله بأمر الله أي يحفظونه بما أمر الله وهذا تحكم في التأويل انتهى وليس بتحكم وورود من السبب ثابت من لسان العرب * وقيل يحفظونه من بأس الله ونقمته كقولك حرس زيد من الأسد ومعنى ذلك إذا أذن الله لهم في دعائهم أن يمهله رجا أن يتوب عليه وينيب كقوله تعالى قل من يكلمكم بالليل والنهار من الرحمن يصير معنى الكلام إلى التضمن أي يدعون له بالحفظ من نقمات الله رجا أن يتوب منه ومن جعل المعقبات الحرس وجعلها في رؤساء الكفار فيحفظونه معناه في زعمه وتوهمه من هلاك الله ويدفعون قضاءه في ظنه وذلك لجهالة الله تعالى أو يكون ذلك على معنى التكميم به وحقيقة التكميم هو أن يخبر بشئ ظاهره مثلا الثبوت في ذلك الوصف وفي الحقيقة هو منتصف ولذلك حمل بعضهم يحفظونه على أنه مراد به لا يحفظونه فيحذف لا وعلى هذا التأويل في من تكون متعلقة كذا كرنا يحفظونه وهي في موضع نصب * وقال الفراء وجاعة في الكلام تقديم وتأخير أي له معقبات من أمر الله يحفظونه من بين يديه ومن خلفه * وروى هذا عن مجاهد والنخعي وابن جريح فيكون من أمر الله في موضع رفع لانه صفة لمفعول ويتعلق بذلك بحذوف أي كائنه من أمر الله تعالى ولا يحتاج في هذا المعنى إلى تقدير تقديم وتأخير بل وصفت المعقبات بثلاث صفات في الظاهر أحدها من بين يديه ومن خلفه أي كائنه من بين يديه والثانية يحفظونه أي حافظات له والثالثة كونها من أمر الله وأن جعلنا من بين يديه ومن خلفه يتعلق بقوله يحفظونه فيكون إذا ذلك معقبات وصفت بصفتين أحدهما يحفظونه من بين يديه ومن خلفه والثانية قوله من أمر الله أي كائنه من أمر الله غاية ما في ذلك أنه بدىء بالوصف بالجملة قبل الوصف بالجار والمجرور وذلك شائع فصيح وكان الوصف بالجملة الدالة على الديمومة في الحفظ آكد فلذلك قدم الوصف بها وذكر أبو عبد الله الرازي في الملائكة الموكلين علينا وفي الكتب منهم أقوالا عن المنجمين وأصحاب الطامسات وناس سبهم حكماء الاسلام يوقف على ذلك من تفسيره ولما ذكر تعالى احاطة علمه بخفايا الاشياء وجلالها وأن الملائكة تعقب على المكلفين لضبط ما يصدر منهم وإن كان الصادر منهم

هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا وينشئ السحاب الثقال * لما خوف تعالى العباد بقوله واذا اراد الله بقوم سوءا فزمرده
له أتبعه بما يشغل على أمور دالة على قدرة الله تعالى وحكمته تشبه النعم من وجهه والنقم من وجهه وتقدم الكلام في البرق والرعد
والصواعق والسحاب في البقرة قال ابن عباس خوفا من الصواعق وطمعا في الغيث وقال أبو عبد الله الرازي اعلم أن المحققين من
الحكماء يذكرون أن هذه الآثار العلوية إنما تتم بقوى روحانية فلكية والسحاب روح معين من الأرواح الفلكية يدبره
وكذا القول في الرياح وفي سائر الآثار العلوية وهذا عين ما قلناه ان الرعد اسم الملك من الملائكة يسبح الله تعالى فهذا الذي قاله
المفسرون بهذه العبارة هو عين ما ذكره المحققون من الحكماء فكيف بالعاقل الانكار انتهى وهذا الرجل غرضه جريان
ماتنتحله الفلاسفة على مناهج الشريعة ولن يكون (٣٧٣) ذلك أبدا وقد تقدم أقوال المفسرين في الرعد في
البقرة ولم يجمعوا على أن

خبر او شراد كر تعالى أن ما خولهم فيه من النعم وأسبغ عليهم من الاحسان لا يزيله عنهم الى الانتقام
منهم الا بكفر تلك النعم واهمال أمره بالطاعة واستبدالها بالمعصية فكان في ذلك تنبيه على
لزوم الطاعة وتحذير لو بال المعصية والظاهر أن لا يقع تغيير النعم بقوم حتى يقع تغييرهم بالمعاصي *
قال ابن عطية وهذا الموضع مؤول لانه صرح الخبر بما قدرت الشريعة من أخذ العامة بذنوب الخاصة
وبالعكس ومنه قوله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الآيات وسؤالهم للرسول صلى الله عليه وسلم أنهم لا وفينا
الصالحون قال نعم اذا كثرت الخبث في أشياء كثيرة فعنى الآية حتى يقع تغيير إيمانهم وإيمان الناظر
لهم أو ممن هو منهم تسبب كما غير الله تعالى المنهزمين يوم أحد بسبب تغيير الرماة ما بأنفسهم الى غير
هذا في أمثلة البشر رعدة فليس معنى الآية أنه ليس ينزل بأحد عقوبة الا بان يتقدم منه ذنب بل قد تنزل
المصائب بذنوب الغير وتم أيضا مصائب يزيد الله بها أجر المصاب فلكل ليست تغييرا انتهى وفي الحديث
اذا رأوا الظالم ولم يأخذوا على يديه يوشك أن يعمهم الله بعقاب * وقيل هذا يرجع الى قوله
ويستعجلونك بالسنة قبل الحسنة فبين تعالى أنه لا ينزل بهم عذاب الاستئصال الا والمعلوم منهم
الاصرار على الكفر والمعاصي الا ان علم الله تعالى أن فيهم أوفى عقوبتهم من يؤمن فانه تعالى لا ينزل بهم
عذاب الاستئصال وما موصولة صلتهما بقوم وكذا ما بأنفسهم وفي ما بهام لا يتغير المراد منها الا بسياق
الكلام واعتقاد محذوف يتبين به المعنى والتقدير لا يغير ما بقوم من نعمة وخير الى ضد ذلك حتى
يغير وما بأنفسهم من طاعته الى توالي معصيته والسوء يجمع على كل ما يسوء من مرض وخير
وعذاب وغير ذلك من البلاء ولما كان سياق الكلام في الانتقام من العصاة اقتصر على قوله سوء
والا فالسوء والخير اذا اراد الله تعالى شيئا منها فلا مرد له قد كرر السوء مبالغة في التخويف * وقال
السدي من وال من ملجأ * وقال الزمخشري ممن يلي أمرهم ويدفع عنهم * وقيل من ناصر يمنع من
عذابه هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا وينشئ السحاب الثقال * ويسبح الرعد بحمده
والملائكة من خيفته ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال

البقرة ولم يجمعوا على أن
الرعد اسم الملك وعلى تقدير
أن يكون اسما للملك لا يلزم
أن يكون ذلك الملك يدبر
لا السحاب ولا غير ما ذلا
يستفاد مثل هذا الامن
النبي المشهود له بالعصمة
لامن الفلاسفة الضلال
والظاهر عود الضمير
في قوله من خيفته على
الله تعالى كما عاد عليه في
قوله بحمده ومعنى من
خيفته من هيئته واجلاله
ومن مفعول يصاب وهو
من باب الاعمال أعمل فيه
الثاني اذ يرسل يطلب من
وفى يصيب يطلبه ولو أعمل
الأول لكان التركيب
في غير القرآن ويرسل
الصواعق فيصيب بها على
من يشاء لكن جاء على

الكثير في لسان العرب المختار عند البصريين وهو اعمال الثاني ومفعول يشاء محذوف تقديره من يشاء اصابته والضمير في وهم
عائد على الكفار المكذبين الرسول عليه السلام المنكرين الآيات يجادلون في قدرة الله تعالى على البعث واعادة الخلق بقولهم من
يجي العظام وهي رميم وفي وحدانيته باتخاذ الشركاء ولانداد ونسبة التوالد اليه بقولهم الملائكة بنات الله والمحال بكسر الميم
العداوة يعنى ان جادل في الله قاله ابن عباس والضمير في له عائد على الله ودعوة الحق قال ابن عباس دعوة الحق لا اله الا هو وما
كان من الشريعة في معناها قال الزمخشري له دعوة الحق فيه وجهان أحدهما أن تضاف الدعوة الى الحق الذي هو نقيض
الباطل كما يضاف الكرامة اليه في قوله كلمة الحق للدلالة على أن الدعوة ملازمة للحق مختصة به فأنزل من الباطل والمعنى ان
الله تعالى يدعى فيستجيب الدعوة ويعطى الداعي سؤاله إن كان مصلحة له وكانت دعوة ملازمة للحق لكونه حقيقا بان يوجه
اليه الدعاء لما في دعوته من الجدوى والنفع بخلاف ما لا ينفع ولا يجدي دعاؤه والثاني أن تضاف الى الحق الذي هو الله عز وجل

على من دعا إلى الدعوة الحق الذي يسمع فيجيب وعن (٣٧٤) الحسن الحق هو الله وكل دعاء إليه دعوة الحق انتهى هذا

الوجه الثاني الذي ذكره
الزحشرى لا يظهر والظاهر
أن هذه الإضافة من باب
إضافة الموصوف إلى الصفة
كقوله تعالى ولدار الآخرة
خبر على أحد الوجهين
والتقدير لله الدعوة الحق
بخلاف غيره فإن دعوته
باطلة والمعنى أن الله تعالى
الدعوة له هي الدعوة الحق
ولما ذكر تعالى جدال
الكفار لله تعالى وكان
جدالهم في إثبات آلهة معه
ذكر تعالى أن له الدعوة
الحق أي من يدعو له
فدعونه هي الحق بخلاف
أصنامهم التي جادلوا في الله
لأجلها فإن دعاءها باطل
لا يتحصل منه شيء فقال
والذين تدعون والضمير
في تدعون عائذ على
الكفار والعائذ على
الذين يحذون أي تدعونهم
من دونه أي الله * لا
كباسط كفيه * شبهوا في
قله جدوى دعائهم لألهتهم
من أراد أن يعرف الماء
بيديه ليشربه فبسطهما
ناشرا أصابعه فلم يتبق كفاه
منه شيئا ولم يبلغ مراده
من شربه وهذا مبالغة
عظيمة في الخيبة لدعائهم
آلهتهم * وما دعاء
الكافرين * آلهتهم * لا
في ضلال * أي حيرة

له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه
وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين إلا في ضلال * لما خوف تعالى العباد بقوله تعالى وإذا أراد الله
بقوم سوء أفلامرده أتبعه بما يشتمل على أمور دالة على قدرة الله تعالى وحكمته تشبه النعم من وجه
والنقم من وجه وتقدم الكلام في البرق والرعد والصواعق والسحاب في البقرة * قال ابن عباس
والحسن خوفا من الصواعق وطمعا في الغيث * وتل قتادة خوفا للمسافر من أذى المطر وطمعا
للمقيم في نفعه وقريب منه ما ذكره الزجاج وهو خوفا للبلد الذي يخاف ضرر المطر له وطمعا لمن
يرجو الانتفاع بدو ذلك ما وردى خوفا من العقاب وطمعا في الثواب * وعن ابن عباس وغيره
أنه كنى بالبرق عن الماء لما كان المطر يقار به غالبا وذلك من باب إطلاق الشيء مجازا على ما يقار به
غالبا * قال الحوفي خوفا وطمعا مع مصدران في موضع الحال من ضمير الخطاب وجوز الزحشرى
أي خائفين وطماعين * قال ومعنى الخوف والطمع أن رقوط الصواعق يخوف عند ملع البرق
ويطمع في الغيث * قال أبو الطيب

ففي كالسحاب الجون يخشى ويرتجى * يرجي الحيامنه وتخشى الصواعق
* وقيل يخاف البرق المطر من له منه ضرر كالمسافر ومن في جريته الخمر والزبيب ومن له بيت يكف
ومن البلاد ما لا ينتفع أهله بالمطر كأهل مصر انتهى وقوله الأول في تفسير الخوف والطمع هو قول
ابن عباس والحسن الذي تقدم وقوله كأهل مصر ليس كذا كبر بل ينتفعون بالمطر في كثير
من أوقات نمو الزرع وأنه به ينمو ويجود بل تمر على الزرع أوقات يتضرر وينقص نموه بامتناع
المطر * وأجاز الزحشرى أن يكونا منصوبين على الحال من البرق كأنه في نفسه خوف وطمع
أو على ذا خوف وطمع * وقال أبو البقاء خوفا وطمعا مع قول من أجله * وقال الزحشرى لا يصح
أن يكون مفعولا لهما لأنهما ليسا بفعل الفاعل المفعول الأعلى تقدير حذف المضاعف أي إرادة
خوف وطمع أو على معنى أخافة وإطاعا انتهى وإنما يكونا على ظاهرهما بفعل الفاعل المفعول
لأن الإرادة فعل الله والخوف والطمع فعل للخاطبين فلم يتحد الفاعل في الفعل في المصدر وهذا
الذي ذكره الزحشرى من شرط اتحاد الفاعل فيهما ليس مجمعا عليه بل من الخويين من لا يشترط
ذلك وهو مذهب ابن خروف والسحاب اسم جنس يذكروا ويؤنثون ويفردو يجمع قال والتخل
باسقات ولذلك جمع في قوله الثقال ويعني بالماء وهو جمع ثقيلة * قال مجاهد وقتادة معناه تحمل
الماء والعرب تصفها بذلك قال قيس بن أخطم

فاروضة من رياض القطا * كان المصابيح جوداتها

بأحسن منها ولا مزنة * ولوح يكشف أوجانها

والدلو ج المثقلة والظاهر اسناد التسبيح إلى الرعد فإن كان مما يصح منه التسبيح فهو اسناد حقيقي
وان كان مما لا يصح منه فهو اسناد مجازي وتنكيره في قوله فيه ظلمات ورعدو برق ينبغي أن يكون
علا الملك * وقال ابن الأنباري الأخبار بالصوت عن التسبيح مجاز كما يقول القائل قد غنى كلامك
* وقال الزحشرى ويسبح سامعو الرعد من العباد الراجلين للمطر حامدين له أي يضجون بسبحان
الله والحمد لله وفي الحديث سبحان من يسبح الرعد بحمده * وعن علي سبحان من سبحت له إذا
اشتد الرعد * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم لا تقم لنا بغيضك ولا تهلكنا بعداك وعافنا

واضح لال لأنه لا يجدي شيئا ولا يفيد فقد ضل ذلك الدعاء عنهم كإضل المدعون قال تعالى أينما كنتم تدعون من دون الله قالوا أضلوا عنا

قبل ذلك ومن يدع المتصوفة الرعد صعقات الملائكة والبرق زفرات أفئدتهم والمطر بكائهم انتهى
 * وقال ابن عطية وقيل في الرعد أنه ريح يختنق بين السحاب روى ذلك عن ابن عباس وهذا
 عندي لا يصح لأن هذا نزغات الطبيعيين وغيرهم من الملاحدة * وقال أبو عبد الله الرازي اعلم
 أن المحققين من الحكماء يذكرون أن هذه الآثار العلوية إنما تتم بقوى روحانية فلكية والسحاب
 روح معين من الأرواح الفلكية يدبره وكذا القول في الرياح وفي سائر الآثار العلوية وهذا عين
 ما قلناه أن الرعد اسم للملك من الملائكة يسبح الله تعالى فهذا الذي قاله المفسرون بهذه العبارة هو
 عين ما ذكره المحققون من الحكماء فكيف بالعاقل الانكار انتهى وهذا الرجل غرضه جريان
 ما تنتحلّه الفلاسفة على مناهج الشريعة وذلك لا يكون أبدا وقد تقدمت أقوال المفسرين في الرعد في
 البقرة فلم يجمعوا على أن الرعد اسم للملك وعلى تقدير أن يكون اسم الملك لا يلزم أن يكون ذلك الملك
 يدبر السحاب ولا غيره اذ لا يستفاد مثل هذا الا من النبي صلى الله عليه وسلم المشهود له بالعصمة
 لا من الفلاسفة الضلال والظاهر عود الضمير في قوله من خيفته على الله تعالى كما عاد عليه في قوله
 بحمده ومعنى خيفته من هيئته واجلاله * وقيل يعود على الرعد والملائكة أعوانه جعل الله له
 ذلك فهم خائفون خاضعون طائعون له والرعد وان كان مندرجات تحت لفظ الملائكة فهو تعميم
 بعد تخصيص انتهى وهو قول ضعيف ومن مفعول فيصيب وهو من باب الاعمال أعمل فيه الثاني
 اذ يرسل يطلب من وفيصيب يطلبه ولو أعمل الأول لكان التركيب ويرسل الصواعق فيصيب بها
 على من يشاء لكن جاء على الكثير في لسان العرب المختار عند البصريين وهو أعمال الثاني
 ومفعول يشاء محذوف تقديره من يشاء اصابته وفي الخبر أن الرسول صلى الله عليه وسلم بعث الى
 جبار من العرب ليسلم فقال أخبرني عن إله محمد أم من لؤلؤ هو أم من ذهب فنزلت عليه صاعقة
 ونزلت الآية فيه * وقال مجاهد ناظر يهودى الرسول صلى الله عليه وسلم فيبينا هو كذلك نزلت
 صاعقة فأخذت قحف رأسه فنزلت الآية فيه * وقال ابن جريج سبب نزولها قصة أريد بن ربيعة
 وعامر بن الطفيل وذكر قصتهما المشهورة مضمونها أن عامر اتوعد الرسول صلى الله عليه وسلم
 اذ ألم بحبه الى ما طلب وأنه وأريد اراما القتل به فعصمه الله تعالى وأصاب عامر ابغدة فمات غريبا
 وأريد بصاعقة فقتلته ولا خيه لم يد فيه عدة مرات منها قوله

أخشى على أريد الختوف ولا * أرب نوء السماء والأسد

لجعى البرق والصواعق بالفا * رس يوم الكربة النجد

وهذه الصلوات الأربع التي وصلت بها الذي تدل على القدرة الباهرة والتصرف التام في العالم
 العلوى والسفلى فالمتصف بها ينبغي أن لا يجادل فيه وأن يعتقدها هو عليه من الصفات العلوية
 والضمير في وهم يجادلون عائد على الكفار المكذبين للرسول صلى الله عليه وسلم المنكرين
 الآيات يجادلون في قدرة الله على البعث واعادة الخلق بقولهم من يحيى العظام وهى رميم وفى
 وحدانيته بالتخاذل شركاء والانداد ونسبة التوالد اليه بقولهم الملائكة بنات الله تعالى والمعنى أنه
 عز وجل متصف بهذه الأوصاف ومع ذلك رتبوا عليها غير مقتضاها من المجادلة فيه وفى أوصافه تعالى
 وكان مقتضاها التسليم لما جاءت به الأنبياء * وقيل وهم يجادلون حال من مفعول يشاء أى فيصيب
 به من يشاء فى حال جدالهم كما جرى لليهودى وكذلك الجبار ولا يريد وهو شديد الحال جملة حاله من
 الجلالة * وقرأ الجمهور المحال بكسر الميم فمن ابن عباس المحال العداوة وعنه الحق ذو عن على الأخذ

نقيض الباطل كما تضاف الكلمة اليه في قوله كلمة الحق للدلالة على أن الدعوة ملازمة للحق مختصة به وانها بمنزل عن الباطل والمعنى أن الله سبحانه يدعى فيستجيب الدعوة ويعطى الداعي سؤله ان كان مصلحة له وكانت دعوة ملازمة للحق لكونه حقيقا بأن يوجه اليه الدعاء لما في دعوته من الجدوى والنفع بخلاف ما لا ينفع ولا يجدى دعاؤه والثاني أن يضاف الى الحق الذي هو الله عز وجل على معنى دعوة المدعو الحق الذي يسمع فيجيب وعن الحسن رحمه الله الحق هو الله تعالى وكل دعاء اليه دعوة الحق انتهى وهذا الوجه الذي ذكره (ش) لا يظهر لان ما له الى تقدير الله دعوة الله كما تقول لزيد دعوة زيد وهذا التركيب لا يصح والذي يظهر ان هذه الاضافة من باب اضافة الموصوف الى الصفة كقوله ولدار الآخرة على أحد الوجهين والتقدير لله الدعوة الحق بخلاف غيره فان دعوتهم باطلة والمعنى ان الله تعالى الدعوة له هي الدعوة الحق ولما ذكر تعالى جدال الكفار في الله تعالى وكان جدهم في اثبات آلهة معه ذكر تعالى انه له الدعوة الحق أى من يدعوه فدعوته هي الحق بخلاف أصنامهم التي جادلوا في الله لأجلها فان دعاءها باطل لا يتحصل منه شيء فقال والذين يدعون * قال الزمخشري والآلهة الذين يدعونهم الكفار من دون الله لا يستجيبون لهم بشيء من طلباتهم الاستجابة كاستجابة باسط كفيه أى كاستجابة الماء من بسط كفيه اليه يطلب منه أن يبلغ فاه والماء جاد لا يشعر بسط كفيه ولا يعطشه وحاجته اليه ولا يقدر أن يجيب دعاءه ويبلغ فاه وكذلك ما يدعونه جاد لا يحس بدعائهم ولا يستطيع اجابته ولا يقدر على نفعهم * وقيل شبهوا في قلة جدوى دعائهم لآلهتهم بمن أراد أن يغرف الماء بيديه ليشربه فبسط يدهما نائرا أصابعه فلم يتبق كفاه منه شيئا ولم يبلغ طلبته من شربه انتهى فالضمير في يدعون عائد على الكفار والعائد على الذين مخدوف أى يدعونهم ويؤيده قراءة من قرأ بالتاء في تدعون وهي قراءة اليزيدي عن أبي عمر * وقيل الذين أى الكفار الذين يدعون ومفعول يدعون مخدوف أى يدعون الأصنام والعائد على الذين الواو في يدعون والواو في لا يستجيبون عائد في هذا القول على مفعول يدعون المخدوف وعلى القول الأول على الذين * قال ابن عباس كالناظر الى خياله في الماء يريد تناوله فكندا المحتاج يخيل اليه في الاحتياج اليه خيال الاحتياج اليه * وقال الضحاك كمن بسط يديه الى الماء ليصل اليه بلا غتراف * وقال أبو عبيدة أى كالمقابض على الماء ليس على شيء قال والعرب تضرب المثل في هي الدعوة الحق

* وعن مجاهد القوة * وعن قطرب الغضب * وعن الحسن الهالك بالحمل وهو القحط * وقرأ الضحاك والأعرج المحال بفتح الميم فعن ابن عباس الحول وعن عبيدة الحيلة يقال المحال والمحالة وهي الحيلة ومنه قول العرب في مثل * المرء يعجز لا المحالة * قال الزمخشري ويجوز أن يكون المعنى شديد العقاب ويكون مثالا في القوة والقدرة كما جاء فساعد الله أشدوموساه أحد لأن الحيوان اذا اشتد غايه كان منعوتابسة القوة والاضطلاع بما يعجز عنه غيره ألا ترى الى قولهم فقرته الفواقر وذلك ان الفقار عمود الظهر وقوامه والضمير في له عائد على الله تعالى ودعوة الحق قال ابن عباس دعوة الحق لا اله الا الله وما كان من الشريعة في معناها * وقال علي بن أبي طالب دعوة الحق التوحيد * وقال الحسن ان الله هو الحق فدعاؤه دعوة الحق * وقيل دعوة الحق دعاؤه عند الخوف فانه لا يدعى فيه الا هو كما قال ضل من تدعون الاياه * قال الماوردي وهو أشبه بسياق الآية * وقيل دعوة الطلب الحق أى مرجو الاجابة ودعاء غير الله لا يجاب * وقال الزمخشري فيه وجهان أحدهما أن تضاف الدعوة الى الحق الذي هو نقيض الباطل كما تضاف الكلمة اليه في قوله كلمة الحق للدلالة على ان الدعوة ملازمة للحق مختصة به وانها بمنزل عن الباطل والمعنى ان الله سبحانه يدعى فيستجيب الدعوة ويعطى الداعي سؤله ان كانت مصلحة له وكانت دعوة ملازمة للحق لكونه حقيقا بأن يوجه اليه الدعاء لما في دعوته من الجدوى والنفع بخلاف ما لا ينفع ولا يجدى دعاؤه والثاني أن يضاف الى الحق الذي هو الله عز وجل على معنى دعوة المدعو الحق الذي يسمع فيجيب وعن الحسن رحمه الله الحق هو الله تعالى وكل دعاء اليه دعوة الحق انتهى وهذا الوجه الذي ذكره الزمخشري لا يظهر لأن ما له الى تقدير لله دعوة الله كما تقول لزيد دعوة زيد وهذا التركيب لا يصح والذي يظهر ان هذه الاضافة من باب اضافة الموصوف الى الصفة كقوله ولدار الآخرة على أحد الوجهين والتقدير لله الدعوة الحق بخلاف غيره فان دعوتهم باطلة والمعنى ان الله تعالى الدعوة له هي الدعوة الحق ولما ذكر تعالى جدال الكفار في الله تعالى وكان جدهم في اثبات آلهة معه ذكر تعالى انه له الدعوة الحق أى من يدعوه فدعوته هي الحق بخلاف أصنامهم التي جادلوا في الله لأجلها فان دعاءها باطل لا يتحصل منه شيء فقال والذين يدعون * قال الزمخشري والآلهة الذين يدعونهم الكفار من دون الله لا يستجيبون لهم بشيء من طلباتهم الاستجابة كاستجابة باسط كفيه أى كاستجابة الماء من بسط كفيه اليه يطلب منه أن يبلغ فاه والماء جاد لا يشعر بسط كفيه ولا يعطشه وحاجته اليه ولا يقدر أن يجيب دعاءه ويبلغ فاه وكذلك ما يدعونه جاد لا يحس بدعائهم ولا يستطيع اجابته ولا يقدر على نفعهم * وقيل شبهوا في قلة جدوى دعائهم لآلهتهم بمن أراد أن يغرف الماء بيديه ليشربه فبسط يدهما نائرا أصابعه فلم يتبق كفاه منه شيئا ولم يبلغ طلبته من شربه انتهى فالضمير في يدعون عائد على الكفار والعائد على الذين مخدوف أى يدعونهم ويؤيده قراءة من قرأ بالتاء في تدعون وهي قراءة اليزيدي عن أبي عمر * وقيل الذين أى الكفار الذين يدعون ومفعول يدعون مخدوف أى يدعون الأصنام والعائد على الذين الواو في يدعون والواو في لا يستجيبون عائد في هذا القول على مفعول يدعون المخدوف وعلى القول الأول على الذين * قال ابن عباس كالناظر الى خياله في الماء يريد تناوله فكندا المحتاج يخيل اليه في الاحتياج اليه خيال الاحتياج اليه * وقال الضحاك كمن بسط يديه الى الماء ليصل اليه بلا غتراف * وقال أبو عبيدة أى كالمقابض على الماء ليس على شيء قال والعرب تضرب المثل في

﴿ ولله يسجد من في السموات والارض ﴾ الآية ان كان السجود بمعنى الخضوع والانقياد فن على عمومها ينقاد كلهم لما أَرَادَهُ تعالى بهم شأوا أو أبوا وينقاد له تعالى ظلالم حيث هي على مشيئته من الامتداد والتقلص والقي والزوال وان كان السجود عبارة عن الهيئة المخصوصة وهو وضع الجبهة بالمكان الذي يكون فيه الواضع فيكون عاما مخصوصا اذ يخرج منه من لا يسجد ويكون قد عبر بالطلوع عن سجود الملائكة والمؤمنين وبالكره عن سجود من ضعه السيف الى الاسلام والذي يظهر أن مساق هذه الآية انما هو أن العالم كله مقهور لله تعالى خاضع لما أَرَادَ منه مقصور على مشيئته لا يكون منه الا ما قدر تعالى فالذين يعبدونهم كائنما كانوا داخلون تحت القهر ويدل على هذا (٣٧٧) المعنى تشريك الظلال في السجود والظلال ليست أشخاصا

يتصور منها السجود

بالهيئة المخصوصة ولكنها

داخله تحت مشيئته يصرفها

على ما أَرَادَ اذ هي من

العالم والعالم جواهره

واعراضه داخله تحت

ارادته كما قال تعالى أولم يروا

الى ما خلق الله من شيء

الآية قال الفراء الظل

مصدر يعني في الاصل

ثم أطلق على الخيال الذي

يظهر للجرم وطوله بسبب

انحطاط الشمس وقصره

بسبب ارتفاعها فهو

مقادله في طوله وقصره

وميله من جانب الى جانب

وخص هذان الوقتان

بالذكر لان الظلال انما

تعظم وتكبر فيهما وتقدم

شرح الغدو والآصال

في آخر الاعراف ﴿ قل

من رب السموات

والارض ﴾ أى قل

يا محمد لكفار من رب

الساعى فيما لا يدركه بالقابض على الماء وأشد سبويه

فأصبحت فيما كان بينى وبينها * من الود مثل القابض الماء في اليد

﴿ وقال آخر ﴾

وانى واياكم وشوقا اليكم * كقابض ماء لم تسعه أنامله

* وقيل شبه الكفار في دعائهم لأصنامهم عند ضرورتهم برجل عطشان لا يقدر على الماء جلس

على شفير بئر يدعوا الماء ليميل غلته فلا هو يبلغ قعر البئر الى الماء ولا الماء يرتفع اليه لأنه جاد ولا يحس

بعطشه ودعائه كذلك ما يدعوا الكفار من الاوثان جادا لا يحس بدعائهم ولا يستطيع اجابتهم ولا

يقدر على نفعهم انتهى والكاف في موضع نصب أى مثل استجابة واستجابة مضافة في التقدير الى

باسط وهي اضافة المصدر الى المفعول وفاعل المصدر محذوف تقديره كاجابة الماء من يبسط كفيه اليه

فما حذف أظهر في قوله الى الماء واو كان ملفوظا به لعماد الضمير اليه فكان يكون التركيب كفيه

اليه هذا الذي يقدر من كلام الزمخشري في هذا التشبيه وتبعه أبو البقاء * وقال ابن عطية ومعنى

الكلام الذي يدعونهم الكفار الى حوائجهم ومنافعهم لا يجيبون ثم مثل تعالى مثالا لاجابتهم بالذى

يبسط كفيه الى الماء ويشير اليه بالاقبال فهو لا يبلغ فيه أبدا فكذلك اجابة هؤلاء والانتفاع بهم لا يقع

انتهى وفاعل ليلبغ ضمير الماء وليبلغ متعلق بباسط وما هو أى وما الماء ببالغة أى ببالغ الفم ويجوز أن

يكون هو ضمير الفم والهاء في ببالغة لاء أى وما الفم ببالغ الماء لأن كلامهم لا يبلغ الآخر على هذه

الحالة * وقرئ كباسط كفيه بتثوين باسط ومادعاء الكافرين الا في ضلال أى في حيرة أو في

اضمحلال لأنه لا يجدى شيأ ولا يفيد فقد ضل ذلك الدعاء عنهم كما ضل المدعون قال تعالى أينما كنتم

تدعون من دون الله قالوا اضلوا * قال الزمخشري الا في ضياع لا منفعة فيه لأنهم ان دعوا الله لم

يجبهم وان دعوا الالهة لم تستطع اجابتهم * وقال ابن عباس أصوات الكافرين محجوبة عن الله

فلا يسمع دعائهم ﴿ ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال

قل من رب السموات والارض قل الله قل أفأخذتم من دونه أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا

ضرا قل هل يستوى الاعمى والبصير أم هل تستوى الظلمات والنور أم جعلوا لله شركاء خلقوا

تخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار ﴾ ان كان السجود بمعنى

(٤٨ - تفسير البحر المحيط لابي حيان - خامس) السموات والارض استفهام تقرير واستنطاق فانهم يقولون الله

فاذا قالوها قل الله أى هو كما قلتم وروى أنه لما قال هذا للمشركين عطفوا عليه فقالوا أجب أنت فأمره الله فقال قل الله واستفهم

بقوله قل أفأخذتم على سبيل التوبيخ والانكار أى بعد أن علمتم أنه تعالى هو رب السموات والارض تتخذون من دونه أولياء

وتتركونه فجعلتم ما كان يجب أن يكون سببا للتوحيد من علمكم واقراركم سببا للاشراك ثم وصف تلك الاولياء بصفة العجز

وهي كونها لا تملك لأنفسها نفعا ولا ضرا ومن هذه المثابة فكيف يملك لكم نفعا أو ضرا ثم مثل ذلك حالة الكافر والمؤمن ثم حالة

الكفر والايمان وأبرز ذلك في صورة الاستفهام الذى يبادر المخاطب الى الجواب فيه من غير فكر ولا روية بقوله ﴿ قل هل يستوى

الاعمى والبصير ﴾ ثم انتقل الى الاستفهام عن الوصفين القائمين بالكافر وهو الظلمات وبالمؤمن وهو النور وتقدم الكلام

في جمع الظلمات وافراد النور في البقرة وأم في قوله أم هل منقطعة تتقدر ببل والهمزة على المختار والتقدير بل أهل يستوى وهل وان نابت عن همزة الاستفهام (٣٧٨) في كثير من المواضع فقد جامعها في قول الشاعر

* أهل رأونا بواد القفر
ذى الاكم
ومثال قوله تعالى أم هل
في الجمع بين أم وهل قول
علامة
* أم هل كثير بكي لم تقض
عبرته *

الخضوع والانقياد من عمومها ينقاد كلهم الى ما أراده تعالى بهم شاؤا أو أبوا وتنقاد له تعالى ظلالهم حيث هي على مشيئته من الامتداد والتخلص والنق، والزوال وان كان السجود عبارة عن الهيئة المخصوصة وهو وضع الجبهة بالمكان الذي يكون فيه الواضع فيكون عاما مخصوصا إذ يخرج منه من لا يسجد ويكون قد عبر بالطوع عن سجود الملائكة والمؤمنين وبالكره عن سجود من ضمنه السيف الى الاسلام كما قاله قتادة فيسجد كرها واما منافقا أو يكون الكره أول حاله فتستقر عليه الصفة وان صح ايمانه بعد * وقيل طوعا لا يشغل عليه السجود وكرها يشغل عليه لأن الزام التكليف مشقة * وقيل من طالت مدة اسلامه فألف السجود وكرها من بدأ بالاسلام الى أن يألف السجود قاله ابن الانباري * وقيل هو عام على تقدير كون السجود عبارة عن الهيئة المخصوصة وذلك بأن يكون يسجد صيغته صيغة الخبر ومدلوله أثر أو يكون معناه يجب أن يسجد له كل من في السموات والارض فعبر عن الوجوب بالوقوع والذي يظهر ان مساق هذه الآية انما هو ان العالم كله مقهور لله تعالى خاضع لما أراده من مقصور على مشيئته لا يكون منه الا ما قدر تعالى فالذين تعبدونهم كأنما كانوا داخلون تحت القهر ويدل على هذا المعنى تشريك الظلال في السجود والظلال ليست أشخاصا يتصور منها السجود بالهيئة المخصوصة ولكنها داخلية تحت مشيئته تعالى يصرفها على ما أراد اذ هي من العالم فالعالم جواهره وأعراضه داخلية تحت ارادته كما قال تعالى أولم يروا الى ما خلق الله من شيء يتقيو ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وكون الظلال يراد بها الأشخاص كما قال بعضهم ضعيف وأضعف منه قول ابن الانباري انه تعالى جعل للظلال عقولا تسجد بها وتخضع بها كما جعل للجبال أفهاما حتى خاطبت وخوطبت لان الجبل يمكن أن يكون له عقل بشرط تقدير الحياة وأما الظل فعرض لا يتصور قيام الحياة به وانما معنى سجود الظلال ميلها من جانب الى جانب كما أراد تعالى * وقال الفراء الظل مصدر يعني في الأصل ثم أطلق على الخيال الذي يظهر للجرم وطوله بسبب انحطاط الشمس وقصره بسبب ارتفاعها فهو منقاد لله تعالى في طوله وقصره وميله من جانب الى جانب وخص هذا الوقتان بالذكر لان الظلال انما تعظم وتكثر فيهما وتقدم شرح الغدو والآصال في آخر الاعراف * روى ان الكافر اذا سجد لصنعه كان ظله يسجد لله حينئذ * وقرأ أبو مجلز والايصال * قال ابن جنى هو مصدر أصل أي دخل في الأصل كما تقول أصح أي دخل في الاصباح ولما كان السؤال عن أمر واضح لا يمكن أن يدفع منه أحد كان جوابه من السائل فكان السبق اليه أفصح في الاحتجاج اليهم وأسرع في قطعهم في انتظار الجواب منهم اذ لا جواب الا هذا الذي وقعت المبادرة اليه كما قال تعالى قل من يرزقكم من السموات والارض قل الله ويبيعهما قال مكي من انهم جهلوا الجواب فطلبوه من جهة السائل فاعامهم به السائل لانه قال تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله فاذا كانوا مقرين بأن منشي السموات والارض ومخترعها هو الله فكيف يقال بأنهم جهلوا الجواب فطلبوه من السائل وقال الزمخشري قل الله حكاية لا اعتراضا منهم وتأكيده عليهم لانه اذا اتاهم من رب السموات والارض لم يكن لهم بد من

ثم انتقل من خطابهم الى
الاخبار عنهم غائبا اعراضا
عنهم وتنبها على توبيخهم
في جعلهم شركاء وتعجبا
منهم وانكار اعليهم وتضمن
هذا الاستفهام التهمك
بهم لانه معلوم بالضرورة
أن هذه الاصنام وما
اتخذوا من دون الله أولياء
وجعلوا هم شركاء لا يقدر على
خلق ذرة ولا ايجاد شيء
البته والمعنى أن هؤلاء
الشركاء هم خالقون
شيئا حتى يستحقوا العبادة
وجعلهم شركاء لله تعالى
أي جعلوا لله شركاء
موصوفين بالخلق مثل
خلق الله في تشابه ذلك عليهم
في عبدونهم ومعلوم أنهم لا
يخلقون شيئا وهم يخلقون
فكيف يشركون في
العبادة أفن يخلق كمن
لا يخلق ثم أمره تعالى
فقال قل الله خالق كل شيء
أي موجد الاشياء كلها

معبدونهم وغيرها وهم أينما مرون بذلك ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله واحتمل أن يكون قوله وهو الواحد القهار داخل تحت الأمر بقل فيكون قد أمر أن يخبر بانه تعالى الواحد المنفرد بالألوهية القهار الذي جميع الاشياء تحت قدرته وقهره واحتمل أن يكون استئناف اخبار منه تعالى بهذين الوصفين الوحدانية والقهر فهو تعالى لا يغالب وما سواه مقهور

(ح) أم في قوله أم هل
منقطعة تتقدير ببل
والهمزة على المختار
والتقدير بل أهل تستوي
وهل نابت عن همزة
الاستفهام في كثير من
المواضع فقد جامعها في
قول الشاعر
* أحل رأونا بوادي القفر
ذي الأكم *

وإذا جامعتهما مع التصريح
بها فلان تجامعها مع أم
المتضمنة لها أولى وهل بعد
أم المنقطعة يجوز أن يؤتى
بها لشبهها بالادوات الاسمية
التي للاستفهام في عدم
الاصالة فيه كقوله أم من
يملك السمع والابصار
ويجوز أن لا يؤتى بها
بعدها وذلك لشبهها
بالهمزة في الحرفية فان
الهمزة لا يؤتى بها بعد أم
المنقطعة لان أم تتضمنها
فلم يكونوا ليجمعوا بين
أم والهمزة لذلك وقال
الشاعر في عدم الاتيان
بهل بعد أم والاتيان بها
* هل ما علمت وما
استودعت مكثوم

أم حبليها اذ نأتك اليوم
مصر وم *
* أم هل كبير بكى لم يقض
عبرته
أثر الاحبة يوم البين
مشكوم *

أن يقولوا الله كقوله قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون الله وهذا كما
يقول المناظر لصاحبه أم هذا قولك فاذا قال هذا قولي قال هذا قولك فيمكن اقراره بتقريره عليه
واستئنافا منه ثم يقول له فيلزمك على هذا القول كيت وكيت ويجوز أن يكون تلقينا أي ان كفوا
عن الجواب فلقنهم فانهم يتلقنونه ولا يقدر أن ينكروه * وقال الكرماني قل يا محمد لك كفر
من رب السموات والأرض استفهام تقرير واستنطاق بأنهم يقولون الله فاذا قالوا قل الله أي هو
كما قلتم * وقيل فان أجابوك والاقول الله اذ لا جواب غير هذا انتهى وهو تلخيص القولين اللذين
قالهما الزمخشري * وقال البغوي روى انه لما قل هذا للمشركين عطفوا عليه فقالوا أجب أنت
فأمره الله فقال قل الله انتهى واستفهم بقوله قل أنت تخدعهم على سبيل النوبخ والانسكار أي بعد ان
علمتم انه تعالى هو رب السموات والأرض تتخذون من دونه أولياء وتتركونه فعملتم ما كان يجب
أن يكون سببا للتوحيد من علمكم واقراركم سببا للشر الك ثم وصف تلك الأولياء بصفة العجز وهي
كونها الاتك لانفسها انفعها ولا ضرر او من بهذه المثابة فكيف يملك لهم نفعا أو ضرا ثم مثل ذلك حالة
الكافر والمؤمن ثم حالة الكفر والايان وأبرز ذلك في صورة الاستفهام الذي يبادر الخلق الى
الجواب فيه من غير فكر ولا روية بقوله قل هل يستوي الاعمي والبصير ثم انتقل الى الاستفهام عن
الوصفين القائمين بالكفر وهو الظلمات وبالمؤمن وهو النور وتقدم الكلام في جمع الظلمات
وافراد النور في سورة البقرة * وقرأ الاخوان وأبو بكر أم هل يستوي بالياء والجمهور بالناء
أم في قوله أم هل منقطعة تتقدير ببل والهمزة على المختار والتقدير بل أهل تستوي وهل وان نابت
عن همزة الاستفهام في كثير من المواضع فقد جامعها في قول الشاعر

* أهل رأونا بوادي القفر ذي الأكم * وإذا جامعتهما مع التصريح بها فلان تجامعها مع أم
المتضمنة لها أولى وهل بعد أم المنقطعة يجوز أن يؤتى بها لشبهها بالادوات الاسمية التي للاستفهام
في عدم الاصالة فيه كقوله أم من يملك السمع والابصار ويجوز أن لا يؤتى بها بعد أم المنقطعة
لان أم تتضمنها فلم يكونوا ليجمعوا بين أم والهمزة لذلك وقال الشاعر في عدم الاتيان بهل بعد أم
والاتيان بها

هل ما علمت وما استودعت مكثوم * أم حبليها اذ نأتك اليوم مصر وم
أم هل كبير بكى لم يقض عبرته * أثر الاحبة يوم البين مشكوم
ثم انتقل من خطابهم الى الاخبار عنهم غائبا اعراضا عنهم وتنبها على توخيهم في جعل شركاء لله
وتعجيبا منهم وانكارا عليهم وتضمن هذا الاستفهام التمسك بهم لانه معلوم بالضرورة ان هذه
الاصنام وما اتخذوها من دون الله أولياء وجعلوهم شركاء لا تقدر على خلق ذرة ولا إيجاد شيء البتة
والمعنى ان هؤلاء الشركاء هم خالقون شيئا حتى يستحقوا العبادة وجعلهم شركاء لله أي جعلوا لله
شركاء موصوفين بالخلق مثل خلق الله فتشابه ذلك عليهم في عبدونهم ومعلوم انهم لا يخلقون شيئا وهم
يخلقون فكيف يشركون في العبادة أفن يخلق كمن لا يخلق ثم أمره تعالى فقال قل الله خالق كل
شيء أي موجد الاشياء كلها معبوداتهم وغيرها وهم أيضا مقرون بذلك ولئن سألتهم من خلق
السموات والأرض ليقولن الله واحتمل أن يكون قوله وهو الواحد القهار داخلا تحت الأمر
بقول فيكون قد أمر أن يخبر بأنه تعالى هو الواحد المنفرد بالالوهية القهار الذي جميع الاشياء تحت
قدرته وقهره واحتمل أن يكون استئنافا اخبار فيه يقال بهذين الوصفين الوحدانية والقهر فهو

مر بوب له تعالى ﴿ أنزل من السماء ماء ﴾ الآية هذا مثل ضرب به الله للقرآن والقلوب والحق والباطل فالماء مثل القرآن لما فيه من حياة القلوب وبقاء الشرع والدين والأودية مثل القلوب ومعنى بقدرها على سعة القلوب وضيقها فما انتفع به تحفظه ووعاه فتدبر فيه فظهرت ثمرته وأدركت تأويله ومعناه ومنها دون ذلك بطبقة ومنها دون طبقات والربد مثل الشكوك والشبه وأنكار الكافرين أنه كلام الله تعالى ودفعهم إياه والماء الصافي المنتفع به مثل الحق وفي الحديث الصحيح ما يؤيد هذا التأويل وهو قوله صلى الله عليه وسلم مثل ما بعثت به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضا وكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبثت الكلأ والعشب الكثير وكانت منها طائفة أجاب فأمسكت الماء فانتفع الناس به وسقوا ورعوا وكانت منها قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ فذلك مثل ما جئت به من العلم والهدى ومثل من لم يقبل هدى الله الذي أرسلت به والماء المطر ونكر أودية لأن المطر إنما ينزل على طريق المناوبة فيسيل بعض الأودية ودون بعض وأودية جمع قلة كقولهم نادوا ندية والربد قال الرماني وضر الغليان وخبثه قال الشاعر في الفرات إذا هب الرياح له * ترمى غوار به العبرين بالربد ومعنى بقدرها أي على قدر صغرها وكبرها أو بما قدر لها من السماء بسبب نفع المطر عليهم لا ضررهم ألا ترى إلى قوله تعالى وأما ما ينفع الناس فالمطر مثل الحق فهو نافع خال من الضرر وعرف السيل لأنه غنى بما فهم من الفعل والذي يتضمنه الفعل من المصدر هو نكرة فاذا عاد عليه الظاهر كان معرفة كما كان لو صرح به نكرة ولذلك يضمن إذا عاد على ما دل عليه الفعل من المصدر نحو من كذب كان شره أي كان الكذب ولو جاء هنا مضمرا لكان جائزا عابدا على المصدر المفهوم من فسالت واحتمل بمعنى حمل جاء فيه افتعل بمعنى المجرى كافتدر وقدر ورايما منتفخا عاليا على وجه السيل ومنه البرودة (٣٨٠) ﴿ ومما توقدون ﴾ أي ومن الأشياء التي توقدون عليها وهي الذهب

والفضة والحديد والنحاس والرصاص والقصدير ونحوها مما يوقد عليه وله زبد وانتصب ابتغاء على أنه مفعول من أجلسه والحلية ما يعمل للنساء مما يزين به من الذهب

تعالى لا يغالب وما سواه مقهور مر بوب له عز وجل ﴿ أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال ﴾ للذين استجابوا لربهم الحسنى والذين لم يستجيبوا له لو أن لهم ما في الأرض جميعا ومثله معه لا فتدوا به أولئك لهم سوء الحساب ومأواهم جهنم وبئس المهاد ﴿ قال الزمخشري هذا مثل ضرب به الله للحق وأهله والباطل وحزبه كما ضرب الاعمى والبصير والظلمات والنور مثلا لها مثل الحق

والفضة والمتاع ما يتخذ من الحديد والنحاس وما أشبههما من الآلات التي هي قوام العيش كالآواني والمساحي وآلات الحرث وقطاعات الأشجار والسكاك وغير ذلك وزبد مر فوع بالابتداء وخبره في قوله ومما يوقدون ومن الظاهر أنها للتبويض لأن ذلك الزبد هو بعض ما يوقد عليه من تلك المعادن ومن أيساتكون لا ابتداء الغاية أي ومنه ينشأ زبد مثل زبد الماء والمماثلة في كونها يتولدان من الأوساخ والأكدار والحق والباطل على حذف مضاف أي مثل الحق والباطل شبه الحق بما يخلص من جرم هذه المعادن من الأقدار والخبث ودوام الانتفاع بها وشبه الباطل بالزبد المجتمع من الخبث والأقدار ولا بقاء له ولا قيمة وفصل ما سبق ذكره مما ينتفع به ومن الزبد فبدأ بالزبد هو المتأخر في قوله زبد رابيا وفي قوله زبد مثله ولكون الباطل كناية عنه وهو متأخر وهي طريقة فصحة يبدأ في التقسيم بما ذكر آخره كقوله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودت وجوههم والبدء بالسابق فصحة مثل قوله تعالى فمنهم شقي وسعيد فاما الذين شقوا وكان الله أعلم يبدأ في التفصيل بما هو أهم في الذكر وانتصب جفاء على الحال أي مضمحل ممتلا شيئا لا منفعة فيه ولا بقاء له والجفاء اسم لما يجفاه السيل أي يرمى به يقال جفأت القدر بزبداء وجفأ السيل بزبداء وأجفأ وأجفل وقال ابن الأنباري جفاء متفرق من جفأت الريح الغيم إذا قطعت وجفأت الرجل صرعه ويقال جفأ الوادي وأجفأ إذا نشف والزبد يراد به ما سبق مما احتله السيل وما خرج من خبث المعادن وأقرد الزبد ولم يشن وان تقدم زبدان لا شترا كهما في مطلق الزبدية فهما واحد باعتبار القدر المشترك ﴿ وأما ما ينفع الناس ﴾ أي من الماء الخالص من الغناء ومن الجوهر المعدني الخالص من الخبث ﴿ فيمكث في الأرض ﴾ لا انتفاع الناس به والكاف في موضع نصب أي مثل ذلك الضرب كمثل الحق والباطل يضرب الله الأمثال والظاهر أنه لما ضرب هذا المثل للحق والباطل انتقل إلى ما لاهل الحق من الثواب وأهل الباطل من العقاب فقال للذين استجابوا لربهم الحسنى ﴿ أي للذين دعاهم الله على لسان رسوله فأجابوه إلى ما دعاهم إليه من اتباع دينه الحالة الحسنى

وأهله بالماء الذي ينزل من السماء فتسيل به أودية للناس فيعمون به وينفعهم أنواع المنافع وبالفلز الذي
 ينتفعون به في صوغ الحلي منه واتخاذ الأواني والآلات المختلفة ولولم يكن الحديد الذي فيه البأس
 الشديد لكفى فيه وان ذلك ما كثر في الارض باق بقاء ظاهر ايثبت الماء في منافعه وتبقى آثاره في
 العيون والبنار والحبوب والثمار التي تنبت به مما يدخر ويكثر وكذلك الجواهر تبقى أزمنة متطاولة
 وشبه الباطل في سرعة اضمحلاله ووشك زواله وانسلاخه عن المنفعة بزبد السيل الذي يرمى به
 و بزبد الفلز الذي يطغى فوقه اذا ذيب * وقال ابن عطية صدر هذه الآية تنبيه على قدرة الله تعالى
 واقامة الحجة على الكفرة به فامارع ذكر ذلك جعله مثالا للحق والباطل والايمان والكفر
 والشك في الشرع واليقين به انتهى * وقيل هذا مثل ضرب به الله تعالى للقرآن والقلوب والحق
 والباطل فللماء مثل القرآن لما فيه من حياة القلوب وبقاء الشرع والدين والادوية مثل القلوب
 ومعنى بقدرها على سعة القلوب وضيقها فيها ما انتفع به فحفظه ووعاه وتدبر فيه فظهرت ثمرته
 وأدرك تأويله ومعناه ومنه أدون ذلك بطبقة ومنها دونه بطبقات والزم مثل الشكوك والشبه
 وانكار الكافرين انه كلام الله ودفعهم إياه بالباطل والماء الصافي المنتفع به مثل الحق انتهى وفي
 الحديث الصحيح ما يؤيد هذا التأويل وهو قوله صلى الله عليه وسلم مثل ما بعثت به من الهدى والعلم
 كمثل غيث أصاب أرضا وكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء وأنبتت الكلا والعشب الكثير
 وكانت منها طائفة أجادب فأمسكت الماء فانتفع الناس به وسقوا ورعوا وكانت منها قيعان لا تمسك
 ماء ولا تنبت كلا فذلك مثل ما جئت به من العلم والهدى ومثل من لم يقبل هدى الله الذي أرسلت به *
 وقال ابن عطية وروى عن ابن عباس انه قال قوله تعالى أنزل من السماء ماء يرديه الشرع والدين
 فسالت أودية ير يد القلوب أى أخذ النبيل بحظه والبلد بحظه وهذا قول لا يصح والله أعلم عن ابن
 عباس لأنه ينحو الى أقوال أصحاب الرموز وقد تمسك به الغزالي وأهل تلك الطريق ولا توجيه
 لاخراج اللفظ عن مفهوم كلام العرب بغير علة تدعو الى ذلك والله الموفق للصواب وان صح هذا
 القول عن ابن عباس فانما قصد ان قوله تعالى كذلك يضرب الله الحق والباطل معناه الحق الذي
 يتقرر في القلوب والباطل الذي يعتريها أيضا انتهى والماء المطر ونكر أودية لأن المطر انما يدل على
 طريق المناوبة فتسيل بعض الاودية دون بعض ومعنى بقدرها أى على قدر صغرها وكبرها أو بما
 قدر لها من الماء بسبب نفع المطر عليهم لا ضررهم ألا ترى الى قوله وأما ما ينفع الناس فالمطر مثل
 للحق فهو نافع خال من الضرر * وقرأ الجمهور بقدرها بفتح الدال * وقرأ الأشهب العقيلي وزيد
 ابن علي وأبو عمرو في رواية بسكونها * وقال الخوفي بقدرها متعلق بسالت * وقال أبو البقاء
 بقدرها صفة لاودية وعرف السيل لأنه غنى به ما فهم من الفعل والذي يتضمنه الفعل من المصدر هو
 نكرة فاذا عاد عليه الظاهر كان معرفة كما كان لو صرح به نكرة ولذلك تضمن اذا عاد ما دل عليه
 الفعل من المصدر نحو من كذب كان شره أى كان الكذب شره ولو جاء هنا مضمر المكان جائزا
 عائدا على المصدر المفهوم من فسالت واحتمل بمعنى حمل جاء فيه افتعل بمعنى المجرى كاقندر وقدر
 ورايما منتفخا عاليا على وجه السيل ومنه البروة ومما توقدون عليه أى ومن الاشياء التي توقدون
 عليها وهى الذهب والفضة والحديد والنحاس والرصاص والقصدير ونحوها مما توقد عليه وله زيد *
 وقرأ أجرة والكسائي وحفص وابن محيصن ومجاهد وطلحة ويحيى وأهل الكوفة توقدون بالياء
 على الغيبة أى توقد الناس * وقرأ باقي السبعة والحسن وأبو جعفر والاعرج وشيبة بالياء على الخطاب

وذلك هو النصر في الدنيا
 وما اختصوا به من نعمه
 تعالى ودخول الجنة في
 الآخرة فالحسن مبتدأ
 وخبره في قوله للذين قال
 الزمخشري للذين استجابوا
 متعلق بيضرب أى كذلك
 يضرب الله الامثال للمؤمنين
 الذين استجابوا والكافرين
 الذين لم يستجيبوا أى
 هم امثالا للذين يقين فالحسن
 صفة لمصدر استجابوا أى
 استجابوا الاستجابة وقوله
 لو أن لهم كلام مبتدأ ذكر
 ما أعد للغير المستجيبين
 انتهى التفسير الاول أولى
 لانه فيه ضرب الامثال غير
 مقيّد بمثل هذين والله
 تعالى قد ضرب أمثالا
 كثيرة في هذين وفي غيرها
 ولانه فيه ذكر ثواب
 المستجيبين بخلاف قول
 الزمخشري فلما ذكر ما للغير
 المستجيبين من العقاب
 ذكر ما للمستجيبين من
 الثواب ولان تقديره
 الاستجابة الحسنى مشعر
 بتقييم الاستجابة ومقابلها
 ليس نفي الاستجابة مطلقا
 إنما مقابلها نفي الاستجابة
 بالحسنى والله تعالى قد نفي
 الاستجابة مطلقا ولانه على

وعليه متعلق بتوقدون وفي النار قال أبو علي والخوف متعلق بتوقدون * وقال أبو علي قد يوقد على كل شيء وليس في النار كقوله فأوقدني يا همام على الطين فذلك البناء الذي أمر به يوقد عليه وليس في النار لكن يصيبه لها * وقال مكي وغيره في النار متعلق بمحذوف تقديره كأننا أو ثابثا ومنعوا تعليقه بقوله توقدون لأنهم زعموا أنه لا يوقد على شيء الا وهو في النار وتعليق حرف الجر بتوقدون يتضمن تخصيص حال من حال أخرى انتهى ولو قلنا انه لا يوقد على شيء الا وهو في النار لجاز أن يكون متعلقا بتوقدون ويجوز ذلك على سبيل التوكيد كما قالوا في قوله يطير بجناحيه وانتصب ابتغاء على انه مفعول من أجله وشروط المفعول من أجله موجودة فيه * وقال الخوفي هو مصدر في موضع الحال أي مبتغين حلية وفي ذكر متعلق ابتغاء تنبيه على منفعة ما يوقدون عليه والحلية ما يعمل للنساء مما يزين به من الذهب والفضة والمتاع ما يتخذ من الحديد والنحاس وما أشبههما من الآلات التي هي قوام العيش كالأواني والمساحي وآلات الحرب وقطاعات الأشجار والسكاك وغير ذلك وزيد مرفوع بالابتداء وخبره في قوله ومما توقدون ومن الظاهر انها للتبعية لأن ذلك الزيد هو بعض ما يوقد عليه من تلك المعادن * وأجاز الزنجشري أن تكون من لا ابتداء الغاية أي ومنه ينشأ زبد مثل زبد الماء والمائلة في كونها ما يتولدان من الاوساخ والا كدار والحق والباطل على حذف مضاف أي مثل الحق والباطل شبه الحق بما يخلص من حرم هذه المعادن من الاقدار والخبث ودوام الانتفاع بها وشبه الباطل بالزبد والمجتمع من الخبث والاقدار ولا بقاء له ولا قيمة وفصل ما سبق ذكره مما يتنفع به ومن الزبد فبدأ بالزبد إذ هو المتأخر في قوله زبد اربابا وفي قوله زبد مثله ولا يكون الباطل كناية عنه وصف متأخر وهي طريقة فصيحة يبدأ في التقسيم بما ذكر آخره كقوله يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودت وجوههم والبدء بالسابق فصيحة مثل قوله ففهم شقي وسعيد فأما الذين شقوا في النار وكان الله أعلم يبدأ في التفصيل بما هو أهم في الذكر وانتصب جفاء على الحال أي مضمحل متلاشيا لا منفعة فيه ولا بقاء له والزبد اربابا به ما سبق من ما احتله السيل وما خرج من حيث المعادن وأفراد الزبد بالذكر ولم يشترط وان تقدم زبدان لا شتر كما في مطلق الزبدية فهمما واحدا باعتبار القدر المشترك وقرأ روبة جفلا باللام بدل الهمزة من قولهم جفلت الريح السحاب اذا حملته وفرقة هوعن أبي حاتم لا يقرأ بقرأة روبة لأنه كان يأكل الفار بمعنى انه كان اعرابيا جافيا وعن أبي حاتم أيضا لا تعتبر قراءة الاعراب في القرآن وأما ما ينفع الناس أي من الماء الخالص من الغناء ومن الجوهر المعدني الخالص من الخبث أي مثل ذلك الضرب كمثل الحق والباطل يضرب الله الامثال والظاهر انه لما ضرب هذا المثل للحق والباطل انتقل الى ما لأهل الحق من الثواب وأهل الباطل من العقاب فقال للذين استجابوا لربهم الحسنی أي الذين دعاهم الله على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم فأجابوا الى مادعاهم اليه من اتباع دينه الحالة الحسنی وذلك هو النصر في الدنيا وما اختصوا به من نعمة الله ودخول الجنة في الآخرة فالحسنی مبتدأ وخبره في قوله للذين والذين لم يستجيبوا مبتدأ خبره ما بعده وغاير بين جملتي الابتداء لما يدل عليه تقديم الجار والمجرور في الاعتناء والاهتمام وعلى رأي الزنجشري من الاختصاص أي لهؤلاء الحسنی لا للغيرهم ولأن قراءة شيوخنا يقفون على قوله الامثال ويبتدون للذين وعلى هذا المفهوم أعرب الخوفي الحسنی مبتدأ وللذين خبره وفسر ابن عطية وفهم السلف قال ابن عباس جزء الحسنی وهي لا اله الا الله * وقال مجاهد الحياة الحسنی ما في الطيبة * وقيل الجنة لأنها في نهاية الحسنی * وقيل المكافأة أضعافا وعلق الزنجشري

قوله يكون قوله لو أن لهم ما في الارض كالأما مقلتا مما قبله أو كالمفات اذ يصير المعنى كذلك يضرب الله الامثال للمؤمنين والكافرين لو أن لهم ما في الارض فلو كان التركيب بحرف رابط لو بما قبلها زال التقلت وأيضا فيوهم الاشتراك في الضمير وان كان تخصيص ذلك بالكافرين معلوما لهم والذين لم يستجيبوا مبتدأ خبر ما بعده وغاير بين جملتي الابتداء لما يدل عليه تقديم الجار والمجرور من الاعتناء والاهتمام لو أن لهم ما في الارض جميعا وسوء الحساب قال ابن عباس أن لا تقبل حسناتهم ولا تغفر سيئاتهم وتقدم تفسير مثل وماوهم جهنم

(الدر) (ش) للذين استجابوا متعلقة بضرب (٣٨٣) أى كذلك يضرب الله الأمثال للمؤمنين

والكافرين الذين لم يستجيبوا أى هما مثالا الفريقين والحسنى صفة لمصدر استجابوا
الاستجابة الحسنى وقوله
لو أن لهم كلام مبتدأ ذكر ما أعد لغير المستجيبين انتهى
أعد لغير المستجيبين انتهى
(ح) التفسير الأول أولى
لأنه فيه ضرب الأمثال غير
مقيد بمثل هذين والله تعالى
قد ضرب أمثالا كثيرة
في هذين وفي غيرهما ولأنه
فيه ذكر ثواب المستجيبين
بمخلاف قول (ش) فكما
ذكر ما للمستجيبين من
العقاب ذكر ما للمستجيبين
من الثواب ولأن تقديره
الاستجابة الحسنى مشعر
بتقيد الاستجابة ومقابلها
ليس نفي الاستجابة مطلقا
إنما مقابلها نفي الاستجابة
الحسنى والله تعالى قد نفي
الاستجابة مطلقا ولأنه على
قوله يكون قوله لو أن لهم
مافى الأرض كلاما مفلتا
قبله أو كالمفلة اذ يصير المعنى
كذلك يضرب الله الأمثال
للمؤمنين والكافرين لو
أن لهم مافى الأرض فلو
كان التركيب بحرف
رابط لو بما قبلها زال
التفلة وأيضا فيوهم
الاشتراك في الضمير وان
كان تخصيص ذلك
بالكافرين معلوما

للمؤمنين بقوله يضرب فقال للذين استجابوا متعلقة بضرب أى كذلك يضرب الله الأمثال للمؤمنين
الذين استجابوا والكافرين الذين لم يستجيبوا أى هما مثالا الفريقين والحسنى صفة لمصدر استجابوا
أى استجابوا الاستجابة الحسنى وقوله لو أن لهم كلام مبتدأ ذكر ما أعد لغير المستجيبين انتهى
والتفسير الأول أولى لأنه فيه ضرب الأمثال غير مقيد بمثل هذين والله تعالى قد ضرب أمثالا كثيرة
في هذين وفي غيرهما ولأنه فيه ذكر ثواب المستجيبين بمخلاف قول الزمخشري فكما ذكر ما لغير
المستجيبين من العقاب ذكر ما للمستجيبين من الثواب ولأن تقديره الاستجابة الحسنى مشعر بتقيد
الاستجابة ومقابلتها ليس نفي الاستجابة مطلقا إنما مقابلها نفي الاستجابة الحسنى والله تعالى قد نفي
الاستجابة مطلقا ولأنه على قوله يكون قوله لو أن لهم مافى الأرض جميعا كلاما مفلتا بمقابلها أو
كالمفلة اذ يصير المعنى كذلك يضرب الله الأمثال للمؤمنين والكافرين لو أن لهم مافى الأرض
فلو كان التركيب بحرف رابط لو بما قبلها زال التفلة وأيضا فيوهم الاشتراك في الضمير وان
كان تخصيص ذلك بالكافرين معلوما لهم وأيضا فقد جاء هذا التركيب وتقدم تفسير مثل قوله
لو أن لهم مافى الأرض جميعا ومثله معه لا فتدوا به وسوء الحساب قال ابن عباس أن لا تقبل حسناتهم
ولا تغفر سيئاتهم * وقال النخعي وشهد وفقران يحاسب على ذنوبه كلها ويحاسب ويؤاخذ بها من
غير أن يغفر له شيء * وقال أبو الجوزاء المناقشة * وقيل للتوبيخ عند الحساب والتقريع وتقدم
تفسيره مثل وماؤهم جهنم وبئس المهاد * أفن يعلم أنما أنزل اليك من ربك الحق كن هو أعمى إنما
يتذكر أولوا الألباب * الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق والذين يصابون ما أمر الله به
أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب * والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا
الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ويرون بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار * جنات
عدن يدخلونها من صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام
عليكم بما صبرتم فنعمة عقبي الدار * والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به
أن يوصل ويفسدون فى الأرض أولئك لهم الملعنة ولهم سوء الدار * الله يسطر الرزق لمن يشاء
ويقدر وفرحوا بالحياة الدنيا وما الحياة الدنيا فى الآخرة الا متاع * ويقول الذين كفروا لولا
أنزل عليه آية من ربه قل ان الله يضل من يشاء ويهدى اليه من أناب * الذين آمنوا وطمئنت قلوبهم
بذكر الله ألا يذكروا الله يطمئنت القلوب * الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن ما آب *
كذلك أرسلناك فى أمة قد خلت من قبلها أئمة آمنوا وعليهم النذرى أوحينا اليك وهم يكفرون بالرحمن
قل هو ربي لا اله الا هو عليه توكلت واليه متاب * ولو أن قرآننا سرت به الجبال أو قطعت به
الأرض أو كلم به الموتى بل لله الامر جميعا أفلم ييأس الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا
ولا يزال الذين كفروا تصيهم بما صنعوا قارعتا أو تحبل قريبان دارهم حتى يأتي وعد الله ان الله
لا يخاف الميعاد * ولقد استنزي برسل من قبلك فأمليت للذين كفروا أنهم أخذتهم فكيف كان
عقاب * أفن هو قائم على كل نفس بما كسبت وجعلوا لله شركاء قل سددوهم أم تنبؤونه بما لا يعلم
فى الأرض أم ينظرون القول بل زين للذين كفروا مكرهم وصدوا عن السبيل ومن يضل الله فلا
خاله من هاد * لهم عذاب فى الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أشنى وما لهم من الله من وق * مثل الجنة
التي وعد المتقون تجري من تحتها الأنهار كلما هاد انهم وظلها تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين
النار * والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل اليك ومن الأحزاب من ينكث بعضه على

﴿أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق﴾ الآية قال ابن عباس نزلت في حمزة وأبي جهل ولما ذكر تعالى مثل المؤمنين والكافرين وذكر المؤمنين من الثواب ومالك الكافرين من العقاب ذكر استبعاد من يجعلهم مساوياً وأنكر ذلك فقال أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى أي ليساً مشتهين لأن العالم بالشئ بصير به والجاهل به كالأعمى والمراد عي البصيرة ولذلك قاله بالعلم والهمزة للاستفهام المراد به إنكار أن تقع شبهة بعد ما ضرب من المثل في أن حال من علم أنما أنزل إليك من ربك الحق فاستجاب بمنزل من حال الجاهل الذي لم يستبصر فيستجيب كبعد ما بين الزبد والماء والخبث والابريز ثم ذكر أنه لا يتدكر بالموعظة وضرب الامثال الأحباب العقول والفاء للعطف وقدمت همزة (٣٨٤) الاستفهام لأن له صدر الكلام والتقدير فأمّن يعلم والذين

انما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به إليه أدعوا وإليه مآب * وكذلك أنزلناه حكماً عربياً ولئن اتبعت أهواءهم بعد ما جاءك من العلم مالك من الله من ولى ولا واق * ولقد أرسلنا رسالاً من قبلك وجعلناهم أزواجاً وذرية وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بأذن الله لكل أجل كتاب * يحسبوا الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب * القارعة الرزية التي تفرع قلب صاحبها أي تضرب به بشدة كالقتل والأسر والنهب وكشف الحرم * وقال الشاعر

فإذا قرعنا النبع بالنبع بعضه * ببعض أبت عيدانه أن تكسرا

أي ضرب بنابضة * وقال الزجاج القارعة في اللغة النازلة الشديدة تنزل بأمر عظيم * المحو الإزالة محوت الخط أذهبت أثره ومحط المطر رسم الدار أذهبها وأزاله ويقال في مضارعه بمحو ويمحى لأن عينه حرف حلق والاثبات ضد المحو * أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى انما يتدكر أولوا الألباب * الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب * والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ويدرون بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار * جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار * قال ابن عباس نزلت أفمن يعلم في حمزة وأبي جهل * وقيل في عمر بن الخطاب وأبي جهل * وقيل في عمار بن ياسر وأبي جهل * قرأ زيد بن علي أو من بالواو بدل الفاء انما أنزل مبنياً للفاعل ولما ذكر تعالى مثل المؤمنين والكافرين ذكر المؤمنين من الثواب ومالك الكافرين من العقاب ذكر استبعاد من يجعلهم مساوياً وأنكر ذلك فقال أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى أي ليساً مشتهين لأن العالم بالشئ بصير به والجاهل به كالأعمى والمراد عي البصيرة ولذلك قاله بالعلم والهمزة للاستفهام المراد به إنكار أن تقع شبهة بعد ما ضرب من المثل في أن حال من علم أنما أنزل إليك من ربك الحق فاستجاب بمنزل من حال الجاهل الذي لم يستبصر فيستجيب كبعد ما بين الزبد والماء والخبث والابريز ثم ذكر أنه لا يتدكر بالموعظة وضرب الامثال الأحباب العقول والفاء للعطف وقدمت همزة الاستفهام لأنه صدر الكلام والتقدير فأمّن يعلم ويعدها أن يكون فعل محذوف بين الهمزة والفاء عاطفة ما بعدها على ذلك الفعل

بدل من الواو أو صفة له أو خبر مبتدأ محذوف تقديره هم الذين والظاهر إضافة العهد إلى الفاعل أي بما عهد الله والظاهر أن قوله ولا ينقضون الميثاق جملة توكيدية لقوله يوفون بعهد الله لأن العهد هو الميثاق ويلزم من إيفاء العهد انتفاء نقضه * وما أمر الله به أن يوصل * ظاهره العموم في كل ما أمر به في كتابه وعلى لسان رسوله * ويخشون ربهم * أي وعيده كله * ويخافون سوء الحساب * أي استقصاءه فيحاسبون أنفسهم قبل أن يحاسبوا وصبروا مطلق فيما يصبر عليه من المصائب في النفوس والأموال وميثاق التكليف وجاءت الصلة هنا بلفظ الماضي وفي الموصولين قبل بلفظ

المضارع في قوله الذين يوفون والذين يصلون وما عطف عليهما على سبيل التفتين في الفصاحة ويظهر أيضاً أن اختصاص هذه الصلة بالماضي وتينك بالمضارع أن تينك الصلتين قصد بهما الاستصحاب والالتباس دائماً وهذه الصلة قصد بها تقديمها على تينك الصلتين وما عطف عليهما لأن حصول تلك الصلات انما هي مترتبة على حصول الصبر وتقديمها ولذلك لم تأت صلتها في القرآن بالصبر إلا بصيغة الماضي اذهب شرط في حصول التكليف وإيقاعها * ويدرون * يدفعون أي يدفعون الشر بالخير * وعقبى الدار * عاقبة الدنيا وهي الجنة لأنها التي أراد الله أن تكون عاقبة الدنيا ومرجع أهلها * جنات عدن * بدل من عقبى الدار ويحتمل أن يراد عقبى دار الآخرة لدر الدنيا أي عقبى الحسنة في الدار الآخرة هي لهم ويحتمل أن تكون جنات خبر مبتدأ محذوف تقديره هي

كما قدره الزخشرى في قوله أفلم يسير واوقوله أفلا يعقلون وجوزوا في الذين أن يكون بدلا من
أولو أو وصفه له وصفة لمن من قوله أن يعلم وأنما يتدكر اعتراض ومبتدأ خبره أولئك لهم عقبي الدار
كقوله والذين ينقضون عهد الله ثم قال أولئك لهم اللعنة والظاهر عموم العهد * وقيل هو خاص
فقال السدي ما عهد اليهم في القرآن * وقال قتادة في الازل وهو قوله ألتستبرككم قالوا بلى * وقال
القفال ما في حيلتهم وعقولهم من دلائل التوحيد والنبوات * وقيل في الكتب المتقدمة والقرآن
* وقيل المأخوذ على السنة الرسل * وقيل الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر
والظاهر اضافة العهد الى الفاعل أي بما عهد الله والظاهر ان قوله ولا ينقضون الميثاق جملة
توكيدية لقوله يوفون بعهد الله لان العهد هو الميثاق ويلزم من ايفاء العهد انتفاء نقضه * وقال
الزخشرى وعهد الله ما عهده على أنفسهم من الشهادة بربوبية الله وأشهدهم على أنفسهم ألتست
بربكم قالوا بلى ولا ينقضون الميثاق ولا ينقضون كل ما وثقوه على أنفسهم وقبوله من الايمان بالله
تعالى وغيره من المواثيق بينهم وبين الله تعالى وبين العباد تعميم بعد تخصيص انتهى فأضاف العهد
الى المفعول وغاير بين الجملةين بكون الثانية تعميما بعد تخصيص انتهى اذا أخذ الميثاق عام بينهم وبين
الله وبين العباد * وقال ابن عطية بعهد الله اسم الجنس أي بجميع عهده والله وبين أواصره ونواهيها
التي وصى بها عبده ويدخل في هذه الالفاظ التزام جميع الفروض وتجنب جميع المعاصي وقوله
ولا ينقضون الميثاق أي اذا اعتقدوا في طاعة الله عهدا لم ينقضوه * قال قتادة وتقدم وعهد الله الى
عباده في نقض الميثاق ونهى عنه في بضع وعشرين آية ويحتمل انه يشير الى ميثاق معين وهو
الذي أخذه تعالى على ظهر أبيهم آدم عليه السلام انتهى * وقال ابن العربي من أعظم المواثيق في
الذكر أن لا يسأل سواه وذكروا قصة أبي حمزة الخراساني وقوعه في البئر ومرور الناس عليه
وتعطيتهم البئر وهو لا يسألهم أن يخرجوه الى أن جاءه من اخرجه بغير سؤال ولم يره من اخرجه
وهتف به هاتف كيف رأيت ثمرة التوكل * قال ابن العربي هذا رجل عاهد الله فوجد الوفاء على
التمام فاقتدوا به وقد أنكر أبو الفرج بن الجوزي فعل أبي حمزة هذا وبين خطاه وأن التوكل
لا ينافي الاستغاثة في تلك الحال * وذكر أن سفيان الثوري وغيره قالوا ان انسانا أوجاع فلم يسأل
حتى مات دخل النار ولا ينكر أن يكون الله تعالى لطف بأبي حمزة الجاهل * وما أمر الله به أن يوصل
ظاهره العموم في كل ما أمر به في كتابه وعلى لسان نبيه صلى الله عليه وسلم * وقال الحسن المراد به
صلة الرسول صلى الله عليه وسلم بالايمان به * وقال نحوه ابن جبير * وقال قتادة الرحم * وقيل صلة
الايمان بالعمل * وقيل صلة قرابة الاسلام بإفشاء السلام وعبادة المرضى وشهود الجنائز وهي إعادة
حق الجيران والرفقاء والاصحاب والخدم * وقيل نصر المؤمنين وأمر يتعدى الى اثنين بحرف جر
وهو به والاول محذوف تقديره ما أمرهم الله به وأن يوصل في موضع جر بدل من الضمير أي بوصله
ويخشون ربهم أي وعيده كله ويخافون سوء الحساب أي استقصاءه فيحاسبون أنفسهم قبل أن
يحاسبوا * وقيل يخشون ربهم يعظمونه * وقيل في قطع الرحم * وقيل في جميع المعاصي * وقيل
فيما أمرهم بوصله وصبروا مطلق فيما يصبر عليه من المصائب في النفوس والاموال وميثاق التكليف
وجاءت الصلة هنا بلفظ الماضي وفي الموصلين قبل بلفظ المضارع في قوله الذين يوفون والذين يصلون
وما عطف عليهما على سبيل التفتين في الفصاحة لان المبتدأ هنا في معنى اسم الشرط بالماضي كالمضارع
في اسم الشرط فكذلك فيما أشبهه ولذلك قال النحويون اذا وقع الماضي صلة أو وصفة لذكر عامة

جنات والظاهر أن ومرو
معطوف على الضمير في
يدخلونها وقد فصل بينهم
بالمفعول والملائكة
يدخلون عليهم من كل
باب أي بالتخف والهدا
من الله تكملة لهم وار تف
سلام على الابتداء وعليه
الخبر والجملة محكية بقول
محدوف تقديره يقولون
سلام عليكم والمخصوص
بالمذح محذوف أي فنه
عقبى الدار الجنة أو فنه
عقبى الدار الصبر و
صبرتم متعلق بذلك المحذوف
الذي هو يقولون سلام
عليكم بسبب صبركم أي
نحية الملائكة لهم ودخول
عليهم من كل باب بالتخف
والهدا يا هو بسبب صبرهم

احتمل أن يراد به المضى وأن يراد به الاستقبال فمن المراد به المضى في الصلوة الذين قال لهم الناس ومن المراد به الاستقبال الا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم ويظهر أيضا أن اختصاص هذه الصلوة بالماضي وتينك بالمضارع أن تينك الصلوتين قصد بهما الاستصحاب والالتباس دائما وهذه الصلوة قصد بها تقدمها على تينك الصلوتين وما عطف عليهما لان حصول تلك الصلوات انما هي مترتبة على حصول الصبر وتقدمه عليهما ولذلك لم تأت صلوة في القرآن الا بصيغة الماضي اذ هو شرط في حصول التكليف وايقاعها والله أعلم وانتصب ابتغاء قيل على أنه مصدر في موضع الحال والاولى أن يكون مفعولا لاجله أى ان صبرهم هو لا ابتغاء وجه الله خالصا لا لرجاء أن يقال ما أصبره ولا مخافة أن يعاب بالجزع أو تشمت به الاعداء كما قال

وتجلى للشامتين أربعين * انى لرب الدهر لا أنضع

ولان الجزع لا طائل تحته أو يعلم أنه لا مرد لما وقع والنظائر في معنى الوجه هنا جهة الله أى الجهة التى تقصد عنده تعالى بالحسنات لتقع عليها المثوبة كما تقول خرج زيد لوجه كذا ونبه على هاتين الخصلتين العبادة البدنية والعبادة المالية اذ هما عمود الدين والصبر عليهما أعظم صبر لتكرر الصلوات ولتعلق النفوس بحب تحصيل المال ونبه على حالتي الانفاق فالسر أفضل حالات انفاق التطوع كما جاء في السبعة الذين يظلمهم الله في ظلمة يوم لا ظل الا ظله ورجل تصدق بصدقة فأخفاها والعلانية أفضل حالات انفاق الفروض لان الاظهار فيها أفضل * وقال الزمخشري نمارز قناهم من الحلال لان الحرام لا يكون رزقا ولا يسند الى الله انتهى وهذا على طريق المعتزلة والسلف هنا في الصبر أقوال متقاربة * قال ابن عباس صبر واعلى أمر الله * وقال أبو عمر ان الجونى صبر واعلى دينهم * وقال عطاء صبر واعلى الرزايا والمصائب * وقال ابن زيد صبر واعلى الطاعة وعن المعصية ويدرون يدفعون * قال ابن زيد الشر بالخير * وقال قتادة ردوا عليهم معروفا كقوله واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما * وقال الحسن اذا حرموا أعطوا واذا ظلموا عفاوا واذا قطعوا وصلوا * وقال القتيبي اذا سفه عليهم حرموا * وقال ابن جبير يدفعون المنكر بالمعروف * وقال ابن كيسان اذا أذنبوا تابوا واذا هربوا أنابوا الى دفعوا عن أنفسهم بالتوبة معرة الذنب وهذا المعنى قول ابن عباس في رواية الضحاك عنه * وقيل يدفعون بلا اله الا الله شركهم * وقيل بالسلام غوائل الناس * وقيل من رأوا منه مكرها بالتى هي أحسن * وقيل بالصالح من العمل السيئ ويؤيده ما روى في الحديث ان معاذ قال أوصنى يا رسول الله فقال اذا علمت سيئة فاعمل الى جنبها حسنة تمحها السر بالسر والعلانية بالعلانية * وقيل العذاب بالصدقة * وقيل اذا هموا بالسيئة فكروا ورجعوا عنها واستغفروا وهذه الاقوال كلها على سبيل المجاز وبالجملة لا يكفون الشر بالشر كما قال الشاعر

يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة * ومن اساء أهل السوء احسانا

وهذا بخلاف خلق الجاهلية كما قال

جرى متى يظلم يعاقب بظامه * سريعا وان لا يبد بالظلم يظلم

* وروى ان هذه الآية نزلت في الانصار ثم هي عامة بعد ذلك في كل من اتصف بهذه الصفات وعقبى الدار عاقبة الدنيا وهي الجنة لأنها التى أراد الله أن تكون عاقبة الدنيا وموضع أهلها وجنات عدن بدل من عقبى الدار ويحتمل أن يراد عقبى دار الآخرة لدار الدنيا فى عقبى الحسنة فى الدار الآخرة هى لهم ويحتمل أن يكون جنات خبر ابتداء محذوف * وقرأ الجمهور جنات والنهي جننة بالافراد

والذين ينقصون عهد الله * الآية لما ذكر تعالى حال السعداء (٣٨٧) وما ترتب لهم من الأمور السنية الشريفة ذكر حال

* وروى عن ابن كثير وأبي عمرو ويدخلونها مبنياً للمفعول * وقرأ ابن أبي عجلة ومن صلح بضم اللام والجمهور بفتحها وهو أفصح * وقرأ عيسى الثقفي وذريتهم بالفتح والجمهور بالجمع * وقرأ ابن يعمر ففتح النون وكسر العين وهي الأصل كما قال الراجز * نعم الساعون في اليوم الشطر * * وقرأ ابن وثاب ففتح النون وسكون العين وتخفيف فعل لغة تميمية والجمهور نعم بكسر النون وسكون العين وهي أكثر استعمالاً * قال مجاهد وغيره ومن صلح أى عمل صالحاً وآمن انتهى وهذا يدل على أن مجرد النسب من الصالح لا ينفع إنما تنفع الأعمال الصالحة * وقيل يحتمل قوله ومن صلح أى لذلك بقدر الله تعالى وسابق علمه * قال ابن عباس هذا الصلاح هو الإيمان بالله وبالرسول صلى الله عليه وسلم وهذه بشارة بنعمة اجتماعهم مع قراباتهم في الجنة والظاهر أن ومن معطوف على الضمير في يدخلونها وقد فصل بينهما بالمفعول * وقيل يجوز أن يكون مفعولاً معه أى يدخلونها مع من صلح ويشتمل قوله من آباؤهم أبوي كل واحد والده ووالدته وغلب الذكور على الإناث فكانه قيل ومن صلح من آباؤهم وأمهاتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب أى بالتخف والهدايات من الله تعالى تكرمهم لهم * قال أبو بكر الوراق هذه ثمانية أعمال تشير إلى ثمانية أبواب الجنة من عملها دخلها من أى باب شاء قال الأصم نحو هذا قال من كل باب باب الصلاة وباب الزكاة وباب الصبر ولأبي عبد الله الرازي كلام عجيب في الملائكة ذكر أن الملائكة طوائف منهم روحانيون ومنهم كروبيون فالعبد إذا راض نفسه بأنواع الرياضات كالصبر والشكر والمراقبة والمحاسبة فلـ كل مرتبة من هذه المراتب جوهر قدسى وروح علوى يحفظ لتلك الصفة مزيد اختصاص فعند الموت إذا أشرقت تلك الجواهر القدسية تجلت فيها من كل روح من الأرواح السماوية ما يناسبها من الصفة المخصوصة فيفيض عليها من ملائكة الصبر كمالات مخصوصة نفسانية لا تظهر إلا في مقام الصبر ومن ملائكة الشكر كمالات روحانية لا تجل إلا في مقام الشكر وهكذا القول في جميع المراتب انتهى وهذا كلام فلسفي لا تفهمه العرب ولا جاءت به الأنبياء فهو كلام مطروح لا يلتفت إليه المساهون * قال ابن عطية وحكى الطبري رحمه الله في صفة دخول الملائكة أحاديث لم تطول بها الضعف أسانيداً انتهى وارتفع سلام على الابتداء وعليكم الخبر والجملة محكية بقول محذوف أى يقولون سلام عليكم والظاهر أن قوله تعالى سلام عليكم عليكم تحية الملائكة لهم ويكون قوله تعالى بما صبرتم خبر مبتدأ محذوف أى هذا الثواب بسبب صبركم في الدنيا على المشاق أو تكون الباء بمعنى بدل أى بدل صبركم أى بدل ما أحقنتم من مشاق الصبر هذه الملائكة والنعم * وقيل سلام جمع سلامة أى إنما سامكم الله تعالى من أهوال يوم القيامة بصبركم في الدنيا وقال الزمخشري ويجوز أن يتعلق بسلام أى يسلم عليكم ويكرمكم بصبركم والمخصوص بالمدح محذوف أى فنعم عقبي الدار الجنة من جهنم والدار تحتمل الدنيا وتحتمل الآخرة * وقالت فرقة المعنى إن عقبوا الجنة من جهنم * قال ابن عطية وهذا التأويل مبنى على حديث ورد وهو أن كل رجل في الجنة قد كان له مقدم معروف في النار فصرفه الله تعالى عنه إلى النعيم فيعرض عليه ويقال له هذا مكان مقدمك فبدلك الله منه الجنة بإيمانك وطاعتك وصبرك انتهى ولما كان الصبر هو الذى نشأ عنه تلك الطاعات السابقة ذكرت الملائكة أن النعيم السرمدى إنما هو حاصل بسبب الصبر ولم يأت التركيب بالإبقاء بالعهد ولا بغير ذلك * والذين ينقصون عهد الله من بعد ما نقده ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويقصدون

الاشقياء وما ترتب لهم من الأمور الخزية وتقدم تفسير الذين ينقصون عهد الله من بعد ما نقده في أوائل البقرة وترتب هناك للسعداء التصريح بعقبي الدار وهي الجنة وأكرام الملائكة لهم بالسلام وذلك غاية القرب والتأنيس وهنا ترتب للاشقياء الإبعاد من رحمة الله وسوء الدار أى الدار السوء وهي النار أو سوء عاقبة الدار وتكون دار الدنيا ولما كان كثير من الاشقياء فتحت عليهم نعم الدنيا ولذاتها أخبر تعالى أنه هو الذى يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر والكفر والإيمان لا تعلق لهما بالرزق قد يقدر على المؤمن ليعظم أجره ويبسط للكافر إملاء لازداد آثامه ويقدر مقابل يبسط وهو التضيق والضمير في وفرحوا عائد على الذين ينقصون وهو استئناف اخبار عن جهلهم بما أوتوا من بسطة الدنيا عليهم وفرحهم هو فرح بطر لا فرح سرور بفضل الله وانعامه عليهم ومتاع معناه ذاهب مضى محل يستمتع به قليلاً ثم يفنى كما قال الشاعر غير أن لا نقاد للإنسان

أنت نعم المتاع لو كنت تبقي

﴿ويقول الذين كفروا﴾ الآية لما نزلت هذه الآية (٣٨٨) في مشركي مكة طلبوا مثل آيات الانبياء والملئس ذلك

في الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار * الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وفرحوا بالحياة الدنيا وما الحياة الدنيا في الآخرة الا متاع * قال مقاتل نزلت والذين ينقضون في أهل الكتاب * وقال ابن عباس نزلت الله يبسط في مشركي مكة ولما ذكر تعالى حال السعداء وما ترتب لهم من الأمور السنية الشريفة ذكر حال الأشقياء وما ترتب لهم من الأمور الخزية وتقدم تفسير الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل الآية في أوائل البقرة وترتب للسعداء هنالك التصريح بعقبي الدار وهي الجنة وأكرام الملائكة لهم بالسلام وذلك غاية القرب والتأنيس وهنالك ترتب للأشقياء الابتعاد من رحمة الله وسوء الدار أي الدار السوء وهي النار وسوء عاقبة الدار وتكون دار الدنيا ولما كان كثير من الأشقياء قنعت عليهم نعم الدنيا ولذاتها أخبر تعالى انه هو الذي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر والكفر والايمان لا تعلق لهما بالرزق قد يقدر على المؤمن ليُعظم أجره ويبسط للكافر املاء لا زدياد آثامه ويقدر مقابل يبسط وهو التضيق من قوله ومن قدر عليه رزقه وعليه يحمل فظن أن لن نقدر عليه وقول ذلك الذي أحرق وذرى في البحر لئن قدر الله على أي لئن ضيق * وقيل يقدر يعطى بقدر الكفاية * وقرأ زيد بن علي ويقدر بضم الدال حيث وقع والضمير في فرحوا عائد على الذين ينقضون وهو استئناف اخبار عن جهلهم بما أوتوا من بسطة الدنيا عليهم وفرحهم فرح بطر وبسط لا فرح سرور بفضل الله وانعامه عليهم ولم يقابلوه بالشكر حتى يستوجبوا نعيم الآخرة بفضل الله به واستجملهم بهذا الفرح اذ هو فرح بما يزول عن قريب وينقضي ويبعد قول من ذهب الى انه معطوف على صلوات والذين ينقضون أي يفسدون في الأرض وفرحوا بالحياة الدنيا وفي الكلام تقديم وتأخير ومتاع معناه ذاهب مضمحل يستمتع به قليلا ثم يغنى كما قال الشاعر

تمتع يا مشعث ان شياً * سنبقت به المات هو المتاع

﴿وقال آخر﴾

أنت نعم المتاع وكنت تبقي * غير أن لبقاء الانسان

﴿وقال آخر﴾

تمتع من الدنيا فانك فان * من النشوات والنساء الحسان

قال الزمخشري خفي عليهم ان نعيم الدنيا في جنب نعيم الآخرة ليس الاشياء نذرا يفتتح به كعجالة الراكب وهو ما يتعجله من تيرات أو شربة سويق أو غير ذلك انتهى وهذا معنى قول الحسن أعلم الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن الحياة الدنيا في جنب ما أعد الله لأوليائه في الآخرة نذر ليس يفتتح به كعجالة الراكب وهو ما يتعجله من تيرات أو شربة سويق أو غير ذلك * وقال ابن عباس زاد كزاد الرمي * وقال مجاهد قليل ذاهب من متع النهار اذا ارتفع فلا بد له من زوال * ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه قل ان الله يضل من يشاء ويهدي اليه من أناب * الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب * الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن ما آب * نزلت ويقول الذين كفروا في مشركي مكة طلبوا مثل آيات الانبياء والملئس ذلك هو عهد الله بن أبي أمية وأصحابه رد تعالى على مقترحي الآيات من كفار قريش كسقوط السماء عليهم كسفا وقولهم سير علينا الأخشبين واجعل لنا البطاح محارث ومغترسا

هو عبد الله بن أبي أمية وأصحابه رد تعالى على مقترحي الآيات من كفار قريش ان الامر بيد الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء ومفعول يشاء محذوف تقديره من يشاء اضلاله واليد متعلق بيده أي إلى طاعته و﴿الذين آمنوا﴾ بدل من من أناب اطمئنان القلوب سكونها بعد الاضطراب من خشيتها ذكر تعالى ذكر مغفرته رحمة ﴿الذين﴾ بدل من الذين أو خبر مبتدأ محذوف تقديره هم الذين أو مبتدأ خبره ما بعده و﴿طوبى﴾ فعلى من الطيب قلبت ياؤه والضممة ما قبلها كما قلبت في موسر وطوبى مبتدأ خبره لهم و﴿وحسن ما آب﴾ معطوف عليه وطوبى تأنيث الاطيب وكان القياس أن يكون بالالف واللام وقد جاء طيرها بغير ألف ولا م كقولهم في سعي دنيا طال ما قد مدت

وقول الآخر

﴿وان دعوت الى جلي ومكرمة

يوما ليل كرام الناس فادعينا﴾

وتأنيث الافعل مما عنياء

أن يأتي على فعل فتارة تبدل ياؤه واوًا قالوا الحيرى فطوبى جاءت على أحد الوجهين

(الدر) طوبى لهم (ح) طوبى مبتدأ وخبره لهم فان كانت (٣٨٩) علما الشجرة في الجنة فلا كلام في جواز الابتداء بها وان

كانت نكرة فسوغ
الابتداء بها ما ذهب اليه
سيبويه رحمه الله من أنه ذهب
بها، ذهب الدعاء كقوله
سلام عليك إلا أنه التزم
فيه الرفع على الابتداء فلا
تدخل عليه نواسخه هكذا
قال ابن مالك ويرده انه
قرئ وحسن ما آب
بالنصب قرأه كذلك
عيسى الثقفي وخرج ذلك
ثعلب على أنه معطوف على
طوبى وانها في موضع
نصب وحسن ما آب
معطوفا عليها قال ثعلب
وطوبى على هذا مصدر كما
قالوا سقيوا وخرجه صاحب
اللوامح على النداء قال
بتقدير يا طوبى لهم ويا حسن
ما آب فحسن معطوف على
المنادى المضاف في هذه
القراءة وهذا نداء للتحسين
والتشويق كما كان
يأسف على الفوت
والندبة انتهى ويعني بقوله
معطوف على المنادى
المضاف ان طوبى مضاف
للضمير واللام مقحمة كما
أقحمت في قوله
* يا نوح للجهل ضرارا
لاقوام *
وفي قوله يا نوح للحرب
الى والاملا سقط النون
من نوح فكأنه قيل

كلا ردن وأحى لنا مضينا وأسلافنا ولم تجر عادة الله في الاتيان بالآيات المقترحة الا اذا أراد هلاك
مقترحها فرد تعالى عليهم بأن نزول الآية لا يقتضى ضرورة ايمانكم وهذا كم لان الأمر بيد الله
يضل من يشاء ويهدي من يشاء * وقال الزمخشري (فان قلت) كيف يطابق قولهم لولا أنزل عليه
آية من ربه قل ان الله يضل من يشاء (قلت) هو كلام مجرى مجرى التعجب من قولهم وذلك أن
الآيات الباهرة المتكاثرة التي أوتىها رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يؤت بها نبي قبله وكفى بالقرآن
وحده آية وراء كل آية فاذا جحدوها ولم يعتدوا بها وجعلوه كأنه لم ينزل عليه قط كان موضع
التعجب والاستنكار فكأنه قيل لهم ما أعظم عنادكم وما أشد تعصيبكم على كفركم ان الله يضل من
يشاء فمن كان على صفتكم من التصميم وشدة التسليم في الكفر فلا يسيل الى اهتدائكم وان أنزلت
كل آية ويهدي اليه من كان على خلاف صفتكم * وقال أبو علي الجبائي يضل من يشاء عن رحمته
وثوابه عقوبة له على كفره ويهدي اليه من أناب أى الى جنته من أناب أى من تاب والهدى تعاقبه
بالمؤمن هو الثواب لانه يستحقه على ايمانه وذلك يدل على أنه يضل عن الثواب بالعقاب لا عن الدين
بالكفر على ما ذهب اليه من خالفنا انتهى وهى على طريقة الاعتزال والضمير في اليه عائد على
القرآن أو على الرسول صلى الله عليه وسلم والظاهر أنه عائد على الله تعالى على حذف مضاف أى الى
دينه وشرعه وأناب أقبل الى الحق وحقيقته دخل في توبة الخير والذين آمنوا بدل من أناب
واطمئنان القلوب سكونها بعد الاضطراب من خشيتها وذكر الله ذكر رحمة وهفوفه وأود كر
دلالة على وحدانيته المزيل لعلق الشبهة أو طمسها بالقرآن لانه أعظم المعجزات تسكن به القلوب
وتنتبه ثم ذكر الحظ على ذكر الله وانابه تحصل الظمانينة ترغيبا في الايمان والمعنى انه بذكره
تعالى تطمئن القلوب بالآيات المقترحة بل ربما كفر بعد ما أنزل العذاب كما سلف في بعض الأمم
وجوزوا في الذين أن يكون بدلا من الذين وبدلا من القلوب على حذف مضاف أى قلوب الذين وان
يكون خبر مبتدأ محذوف أى هم الذين وان يكون مبتدأ خبر ما بعد وطوبى فعل من الطيب قلبت
ياؤدواوا لضمته ما قبلها كما قلبت في موسر واختلقوا في مدلولها * فقال أبو الحسن الهنائي هى جمع
طيبة قالوا فى جمع كيسة كوسى وصيغة صوفي وفعل ليس من ألفاظ الجوع فلم له يعنى بها اسم جمع
* وقال الجمهور هى مفرد مصدر كبشرى وسقياء ورجعى وعقبى واختلف القائلون بهذا فى معناها
فقال الضحاك المعنى غبطة لهم * وعنه أيضا أصبت خيرا * وقال عكرمة نعى لهم * وقال ابن عباس
فرح وقرعة عين * وقال قتادة حسنى لهم * وقال النعمى خير لهم وعنه أيضا كرامة لهم * وعن سفيان
ابن عجلان دوام الخير وهذه أقوال متقاربة والمعنى العيش الطيب لهم * وعن ابن عباس وابن جبير
طوبى اسم للجنة بالحسنة * وقيل بلغة الهند * وقال أبو هريرة وابن عباس أيضا ومعتب بن سفيان
وعبيد بن عمير ووهب بن منبه هى شجرة فى الجنة * وروى مرفوعا الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم من حديث عتبة بن عبيد السامى أنه قال وقد سأله أعرابي يا رسول الله أفى الجنة كهنة قال نعم
فها شجرة تدعى طوبى وذكر الحديث * قال القرطبي الصحيح انها شجرة للحديث المرفوع
حديث عتبة وهو صحيح على ما ذكره السهيلي وذكره أبو عمر فى التهيد والعلابى وطوبى مبتدأ
وخبره لهم فان كانت علما الشجرة فى الجنة فلا كلام فى جواز الابتداء وان كانت نكرة فسوغ
الابتداء بها ما ذهب اليه سيبويه من أنه ذهب بها ما ذهب الدعاء كقوله لهم سلام عليك إلا أنه التزم فيه

طوبى لهم وحسن ما آبى ما أطعمهم وأحسن ما آمهم كما تقول يا طيبم العلاءى يا طيبم العلاء

﴿ كذلك أرسلناك في أمة ﴾ الآية الكاف (٣٩٠) للتشبيه وذلك إشارة لارسال من تقدم من الرسل أي مثل

ارسالهم أرسلناك ويدل على ذلك قوله قد دخلت من قبلها أمة أي رسل أمة ولتتلو متعلق بأرسلناك وهم يكفرون بالرحمن جملة حالية أي أرسلناك في أمة رجة لها مني وهم يكفرون بي أي وحال هؤلاء أنهم يكفرون بالرحمن بالبليغ الرحمة والظاهر أن الضمير في قوله وهم عائد على أمة المرسل اليهم الرسول صلى الله عليه وسلم أعاد على المعنى اذلو أعاد على اللفظ لكان التركيب وهي تكفر والمعنى أرسلناك إليهم وهم يدينون دين الكفر فهدى الله تعالى بك من أراد هدايته والمعنى الاخبار بان الامم السالفة المرسل اليهم الرسل والامة التي أرسلت اليها جميعهم جاءتهم الرسل وهم يدينون دين الكفر فيكون في ذلك تسليمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذ أمة مثل الامم السالفة ونبيه على الوصف الموجب لارسال الرسول صلى الله عليه وسلم وهو الرحمة الموجبة لشكر الله على انعامه عليهم ببعثة الرسول صلى الله عليه وسلم والايمان به

الرفع على الابتداء فلا تدخل عليه نواسخه هكذا قال ابن مالك ويرده أنه قرئ وحسن ما ب بالنصب قرأه كذلك عيسى الثقفي وخرج ذلك ثعلب على أنه معطوف على طوبى وانها في موضع نصب وحسن ما ب معطوف عليها * قال ثعلب وطوبى على هذا مصدر كما قالوا سقيا وخرجه صاحب اللوامح على النداء قال بتقدير يا طوبى لهم ويا حسن ما ب فحسن معطوف على المنادى المضاف في هذه القراءة فهذا انداء للتحنين والتشويق كما قال يا أسفى على الفوت والتدبئة انتهى ويعنى بقوله معطوف على المنادى المضاف أن طوبى مضاف للضمير واللام مقمحة كما أقحمت في قوله * يا بؤس للجهل ضرارا لا قوام وقول الآخر يا بؤس للحرب التي ولذلك سقط التنوين من بؤس وكأنه قيل يا طوبى بهم وحسن ما ب أي ما أطيعيهم وأحسن ما بهم كما تقول يا طيبها ليلة أي ما أطيعيها ليلة * وقرأ بكرة الاعرابي طيبى بكسر الطاء لتسلم الياء من القلب وان كان وزنها فعلى كما كسروا في بيض لتسلم الياء وان كان وزنها فعلا كحمر * وقال الزمخشري أصبت خيرا وطيبا ومحلها النصب أو الرفع كقولك طيبا لك وطيب لك وسلام لك والقراءة في قوله وحسن ما ب بالرفع والنصب بذلك على محلها واللام في لهم للبيان مثلها في سقيا لك وقرئ وحسن ما ب بفتح النون ورفع ما ب فحسن فعل ماض أصله وحسن نقلت ضمة سينه الى الحاء وهذا جائز في فعل اذا كان للمدح أو الذم كما قالوا احسن ذا أدبا * كذلك أرسلناك في أمة قد دخلت من قبلها أمة لتتوا عليهم الذي أوحينا اليك وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربي لا إله إلا هو عليه توكلت واليه متاب * قال قتادة وابن جريج ومقاتل لما رأوا كتاب الصلح يوم الحديبية وقد كتب بسم الله الرحمن الرحيم قال سهيل بن عمرو ما يعرف الرحمن الامسيامة فنزلت * وقيل سمع أبو جهل الرسول صلى الله عليه وسلم يقول يا رحمن فقال ان محمدا ينهانا عن عبادة آلهة وهو يدعو الهين فنزلت ذكر هذا على بن أحمد النيسابوري وعن ابن عباس لما قيل لكفار قريش اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن فنزلت * قال الزمخشري مثل ذلك الارسال أرسلناك يعني أرسلناك رسالا له شأن وفضل على سائر الارسلات انتهى ولم يتقدم ارسال يشار اليه بذلك الا ان كان يفهم من المعنى فيمكن ذلك * وقال الحسن كارسالنا الرسل أرسلناك فذلك إشارة الى ارساله الرسل * وقيل الكاف متعلقة بالمعنى الذي في قوله قل ان الله يضل من يشاء ويهدي اليه من أناب كما أنفذ الله هذا كذلك أرسلناك * وقال ابن عطية والذي يظهر لي أن المعنى كما أجرينا العادة بان الله يضل من يشاء ويهدي بالآيات المقترحة فكذلك فعلنا في هذه الامة أرسلناك اليهم بوحى لا بالآيات المقترحة فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء انتهى * وقال الحوفي الكاف للتشبيه في موضع نصب أي كفعلنا الهداية والاضلال والاشارة بذلك الى ما وصف به نفسه من أنه يضل من يشاء ويهدي من يشاء * وقال أبو البقاء كذلك التقدير الامر كذلك * قد دخلت من قبلها أمة أي تقدمتها أمة كثيرة والمعنى أرسلت فيهم رسل فمثل ذلك الارسال أرسلناك ودل هذا المحذوف الذي يقتضيه المعنى على أن الاشارة بذلك الى ارساله تعالى الرسل كما قال الحسن ولتتلو أي لتقرأ عليهم الكتاب المنزل عليك وعلة الارسال هي الابلاغ للدين الذي أتى به الرسول صلى الله عليه وسلم وهم يكفرون أي وحال هؤلاء أنهم يكفرون بالرحمن جملة حالية أي أرسلناك في أمة رجة لها مني وهم يكفرون بي أي وحال هؤلاء أنهم يكفرون بالرحمن بالبليغ الرحمة والظاهر أن الضمير في قوله وهم عائد على أمة المرسل اليهم الرسول أعاد على المعنى اذلو أعاد على اللفظ لكان التركيب وهي تكفر والمعنى أرسلناك

﴿ولو أن قرآن سيرت به الجبال﴾ الآية قال ابن عباس وغيره ان الكفار قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم سير جبلي مكة فقد ضيقا علينا واجعل لنا أرضا قطعاً ورأساً وحياً لنا آباءنا وأجدادنا وفلانا وفلانا فنزلت معاملة أنهم لا يؤمنون ولو كان ذلك كله ولما ذكر تعالى عليه آرساله وهي تلاوته ما أوحاه اليه ذكر تعظيم هذا الموحى وأنه لو كان قرآن سير به الجبال عن مقارها أو تقطع به الأرض حتى تنزاييل قطعاً ما أوتى تكلم به الموتى فتسمع وتجييب لكان (٣٩١)

والتخويف كما قال تعالى لو أنزلنا هذا القرآن على جبل الآية بخواب لو محذوف وهو ما قدرناه ويجوز أن يكون جواب لوما آمنوا ﴿بل لله الامر جميعا﴾ بل هنا للانتقال أى أن الايمان والكفر بيد الله يخلقهما فممن يشاء والياس القنوط من الشئ وهو هنا فى قول الأكثرين بمعنى العلم كأنه قيل أفلم يعلم الذين آمنوا قال القاسم بن معن هي لغة هو ازن وقال ابن الكابي هي لغة حتى من النخع وأنشد السحيم بن وثيل الرياحي

أقول لهم بالشعب اذ يسرونى

ألم تياسوا أنى ابن فارس زهدم

وأن لو يشأ قبله قسم محذوف تقديره وأقسم أن لو يشاء الله وقد صرح بالقسم قبل أن ولو فى قول الشاعر وأقسم أن لو التقينا وأنتم لكان لنا يوم من الشر مظلم

اليهم وهم يدينون دين الكفر فهدى الله بك من أراد هدايته * وقيل يعود على الذين قالوا لو أنزل عليه آية من ربه * وقيل يعود على أمة وعلى أمم والمعنى الاخبار بأن الامم السالفة أرسلت اليهم الرسل والامة التى أرسلت اليها جميعهم جاءتهم الرسل وهم يدينون دين الكفر فيكون فى ذلك تسليمة للرسول صلى الله عليه وسلم اذ أمته مثل الامم السالفة ونبه على الوصف الموجب لارسال الرسول وهو الرحمة الموجهة لشكر الله على انعامه عليهم ببعثة الرسول والايمان به قل هو أى الرحمن الذى كفر وابه هو ربى الواحد المتعال عن الشركاء عليه توكلت فى نصرتى عليكم وجميع أمورى واليه مرجعى فيثبتنى على مجاهدتكم ﴿ولو أن قرآن سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو تكلم به الموتى بل لله الامر جميعا﴾ فلم يئس الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة أو تحل قريبا من دارهم حتى يأتى وعد الله ان الله لا يخلف الميعاد * ولقد استهزى برسل من قبلك فأمليت للذين كفروا ثم أخذتهم فكيف كان عقاب * قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما ان الكفار قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم سير جبلي مكة فقد ضيقا علينا واجعل لنا أرضا قطعاً ورأساً وحياً لنا آباءنا وأجدادنا وفلانا وفلانا فنزلت معاملة أنهم لا يؤمنون ولو كان ذلك كله ولما ذكر تعالى عليه آرساله وهي تلاوته ما أوحاه اليه ذكر تعظيم هذا الموحى وأنه لو كان قرآن تسير به الجبال عن مقارها أو تقطع به الأرض حتى تنزاييل قطعاً ما أوتى تكلم به الموتى فتسمع وتجييب لكان هذا القرآن لكونه غاية فى التدكير ونهاية فى الانذار والتخويف كما قال لو أنزلنا هذا القرآن على جبل الآية بخواب لو محذوف وهو ما قدرناه وحذف جواب لولدالة المعنى عليه جائز نحو قوله تعالى ولو يرى الذين ظلموا اذ يرون العذاب ولو ترى اذ وقفوا على النار * وقال الشاعر وجدك لو شئ أنا رسوله * سواك ولاكن لم نجد عنك مدفعا

* وقيل تقديره لما آمنوا به كقوله تعالى ولو أنزلنازلنا اليهم الملائكة وكلهم الموتى وحشرنا عليهم كل شئ قبلا ما كانوا ليؤمنوا قال الزجاج وقال الفراء هو متعلق بما قبله والمعنى وهم يكفرون بالرحمن ولو أن قرآن سيرت به الجبال وما بينهما اعتراض وعلى قول الفراء يترتب جواب لو أن يكون لما آمنوا لأن قولهم وهم يكفرون بالرحمن ليس جوابا وانما هو دليل على الجواب * وقيل معنى قطعت به الأرض شققت فجعلت أنهارا وعيوننا ويترتب على أن يكون الجواب المحذوف لما آمنوا وقوله بل لله الامر جميعا أى الايمان والكفر انما يخلقهما الله تعالى ويربدهما وأما على تقدير لكان هذا القرآن فيحتاج الى ضمنية وهو ان يقدر لكان هذا القرآن الذى أوحينا اليك المطلوب فيه ايمانهم وما تضمنه من التكليف ثم قال بل لله الامر جميعا أى الايمان والكفر بيد الله يخلقهما فمن يشاء * وقال الزمخشري بل لله الامر جميعا على معنيين أحدهما بل لله القدرة على كل شئ وهو قادر على

وأن زائدة فى هذا التركيب نص على ذلك سيوييه ومفعول يشاء محذوف تقديره الهداية وجواب لو لهدى الناس ولا يزال الذين كفروا وتصيبهم بما صنعوا * من كفرهم وسوء أعمالهم ﴿قارعة﴾ داهية تقرعهم بما يحل الله تعالى بهم فى كل وقت من صنوف البلايا والمصائب فى نفوسهم وأولادهم وأهوالهم أو تحل القارعة قريبا منهم فيفزعون ويضطربون ويتطار اليهم شرارها ويتعدى اليهم شرورها ﴿حتى يأتى وعد الله﴾ وهو موتهم أو القيامة ﴿ولقد استهزى برسل من قبلك﴾ تقدم الكلام عليه ﴿فكيف كان عقاب﴾

الآيات التي اقترحوها إلا أن عامد بأن اظهارها مفسدة والثاني بل لله أن ياجئهم الى الايمان وهو قادر على الاجاء لولا ان دني أمر التكليف على الاختيار ويعضده قوله تعالى أفلم يبينس الذين آمنوا ان لو يشاء الله مشيئة الاجاء والقسر لهدى الناس جميعا انتهى وهو على طريقة الاعتزال والياس القنوط في الشيء وهو هنا في قول الاكثرين بمعنى العلم كأنه قيل ألم يعلم الذين آمنوا * قال القاسم بن معن هي لغة هوزان وقال ابن السكبي هي لغة حبي من النخع وأنشدوا على ذلك لسكيب بن وثيل الرياحي وقال ابن السكبي

أقول لهم بالشعب إذ يسروني * ألم تياسوا اني ابن فارس زهدم

وقال رباح بن عدي *

ألم يياس الاقوام اني أنا ابنه * وان كنت عن أرض العشيرة نائيا

وقال آخر *

حتى اذا يئس الرماة وأرسلوا * غضفا دواجن قافلا أعصامها

أي اذا علموا ان ليس وجد الا لذي وار (٢) وأنكر الفراء أن يكون يئس بمعنى علم وزعم انه لم يسمع أحدا من العرب يقول يئست بمعنى علمت انتهى وقد حفظ ذلك غيره وهذا القاسم بن معن من ثقة الكوفيين وأجلاتهم نقل انها لغة هوزان وابن السكبي نقل انها لغة حبي من النخع ومن حفظ حجة على من لم يحفظ * وقيل انما استعمل اليأس بمعنى العلم لضعفه معناه لأن اليأس من الشيء علم بأنه لا يكون كما استعمل الرجاء في معنى الخوف والنسيان في معنى الترتك وحمل جماعة هنا اليأس على المعروف فيه في اللغة وهو القنوط من الشيء وتأولو ذلك * فقال السكبي المعنى أفلم يئس الذين آمنوا من ايمان الكفار من قريش المعاندين لله ورسوله وذلك انه لما سألو هذه الآيات اشتاق المؤمنون اليها وأحبوا أن يروا لها المؤمنين هؤلاء الذين علم الله تعالى منهم انهم لا يؤمنون فقال الذين آمنوا من ايمانهم * وقال الفراء وقع للمؤمنين أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا فقال أفلم يياسوا عما بنا بقول آبائهم فالعلم مضمر كما تقول في الكلام يئست منك أن لا تفلاح كأنه قال علمته عما قال فيئست بمعنى علمت وان لم يكن قد سمع فانه يتوجه الى ذلك بالتأويل * وقال أبو العباس أفلم يياسوا بعلمهم ان لا هداية الا بالمشيئة وايضا هذا المعنى أن يكون ان لو يشاء الله متعلقا بآمنوا أي أفلم يقنط عن ايمان هؤلاء الكفرة الذين آمنوا بأن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ولهداهم الى الايمان أو الجنة * وقال ابن عطية ويحتمل أن يكون اليأس في هذه الآية على بابه وذلك انه لما أبعد ايمانهم في قوله ولو ان قرآنا آتينا على التأويل في المحذوف المقدر قال في هذه أفلم يياس المؤمنون انتهى وهذا قول الفراء الذي ذكرناه وقال الزمخشري ويجوز أن يتعلق ان لو يشاء الله بآمنوا على أو لم يقنط عن ايمان هؤلاء الكفرة الذين آمنوا بأن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا انتهى وهذا قول أبي العباس ويحتمل عندي وجه آخر غير ما ذكرناه وهو ان الكلام تام عند قوله أفلم يياس الذين آمنوا إذ هو تقرير أي قديشس المؤمنون من ايمان هؤلاء المعاندين وأن لو يشاء جواب قسم محذوف أي وأقسموا لو شاء الله لهدى الناس جميعا ويدل على اضرار هذا القسم وجود أن مع لو كقول الشاعر

استفهام معناه التعجب
مما حل بهم والنقر يروفي
ضمه وعيد معاصري
الرسول صلى الله عليه
وسلم من الكفار

(الدر)

(ش) ويجوز أن يتعلق
ان لو يشاء بآمنوا
على أو لم يقنط عن ايمان
هؤلاء الكفرة الذين
آمنوا بأن لو يشاء الله
لهدى الناس جميعا
ولهداهم انتهى (ح) هذا
قول أبي العباس المبرد
ويحتمل عندي وجه آخر
غير ما ذكره وهو ان
الكلام تام عند قوله
أفلم يياس الذين آمنوا وهو
تقرير أي قديشس المؤمنون
من ايمان هؤلاء المعاندين
وان لو يشاء الله جواب
قسم محذوف أي وأقسم
لو يشاء الله لهدى الناس
جميعا ويدل على اضرار
هذا القسم وجود أن مع
لو كقول الشاعر
أما والله ان لو كنت حرا
ومبا لحر أنت ولا القمين
وقد ذكر سيبيدتي ان
تأتي بعد القسم وجعلها
ان عنفورا رابطة للقسم
بالجمله المقسم عليها

أما والله أن لو كنت حرا * ومبا لحر أنت ولا القمين

وقول الآخر *

﴿أخن هو قائم على كل نفس﴾ الآية من موصولة صلتها ما بعدها وهي مبتدأ والخبر محذوف تقديره كمن ليس كذلك من شركائهم التي لا تضر ولا تنفع كما حذف من قوله أخن شرح الله صدره للاسلام تقديره (٣٩٣) كالقاسم قلبه الذي هو في ظلمة

ودل عليه قوله وجعلوا لله شركاء كما دل على كمال قاسم قوله فويل للقاسية قلوبهم ويحسن حذف هذا الخبر كون المبتدأ يكون مقابله الخبر المحذوف وقد جاء مثبتا كثيرا كقوله تعالى أخن يخلف كمن لا يخلف أخن يعلم ثم قال كمن هو أعمى والظاهر أن قوله وجعلوا لله شركاء استثنافا لخبر عن سوء صنيعهم وكونهم أشركوا مع الله ما لا يصلح للالوهية نعي عليهم هذا الفعل القبيح هذا والباري تعالى محيط بأحوال النفوس جليها وخفيها ونبيه على بعض حالاتها وهو الكسب ليتفكر الإنسان فيما يكسب من خير وشر وما يترتب على الكسب من الجزاء وعبر بقائم عن الاحاطة والمراقبة التي لا يغفل عنها ثم أمره تعالى أن يقول لهم سموهم أي اذكروهم باسمائهم والمعنى أنهم ليسوا ممن يذكر ولا يسمى انما يذكر ويسمى من ينفع ويضر وأم في قوله أم تنبؤونه منقطعة تنقذ ريبا والهمزة تقديره بل أنتبؤونه والضمير

فأقسم ان لو التقينا وأنتم * لكان لنا يوم من الشر مظلم وقد ذكر سيئويه ان أن تأتي بعد القسم وجعلها ابن عصفور رابطة للقسم بالجملة المقسم عليها وأما على تأويل الجمهور فان عندهم هي الخففة من الثقلية أي انه لو يشاء الله * وقرأ على وابن عباس قال الزمخشري وجاعة من الصحابة والتابعين وقال غيره وعكرمة وابن أبي مليكة والجدري وعلى بن الحسين وابنه زيد وأبو زيد المزني وعلى بن نديمة وعبد الله بن يزيد أفلم يتبين من بينت كذا اذا عرفته وتدل هذه القراءة على أن معنى أفلم يأس هنامعنى العلم كما ظافرت القول انها لغة لبعض العرب وهذه القراءة ليست قراءة تفسير لقوله أفلم يأس كما يدل عليه ظاهر كلام الزمخشري بل هي قراءة مسندة الى الرسول صلى الله عليه وسلم وليست مخالفة للسواد اذ كتبوا يأس بغير صورة الهمزة وهذه قراءة فتيينوا وفتنبتوا وكلتا هما في السبعة وأما قول من قال انما كتبه الكاتب وهو ناعس فسوى أسنان السين فقول زنديق ملحد * وقال الزمخشري وهذا ونحوه مما لا يصدق في كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وكيف يخفى مثل هذا حتى يبقى ثابتا بين دفتي الامام وكان متقلبا في أيدي أولئك الاعلام المحتاطين في دين الله المهتمين عليه لا يغفلون عن جلالته ودقائقه خصوصاً عن القانون الذي اليه المرجع والقاعدة التي عليها البناء هذه والله فريضة ما فيها مزية انتهى * وقال الفراء لا يتلى الا كما أنزل أفلم يأس انتهى والكفار عام في جميع الكفار وهذا الامر مستمر فيهم الى يوم القيامة قاله الحسن وابن السائب وهو ظاهر اللفظ * وقال ابن عطية كفار قريش والعرب لا تزال تصيبهم قوارع من سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم وغزواته * وقال مقاتل والزمخشري كفار مكة * قال الزمخشري تصيبهم بما صنعوا من كفرهم وسوء أعمالهم قارعة داهية تقرعهم بما يحل الله بهم في كل وقت من صنوف البلائ والمصائب في أنفسهم وأولادهم وأموالهم أو تحل القارعة قريبا منهم فيغز عون ويطربون ويتطايروا بهم شررها وتتعدى اليهم شرورها حتى يأتي وعد الله وهو موتهم أو القيامة انتهى * وقال الحسن حال الكفرة هكذا هو أبدا ووعد الله قيام الساعة والظاهر ان الضمير في تحمل عائد على قارعة قاله الحسن * وقالت فرقة الماء للخطاب والضهير للرسول صلى الله عليه وسلم أو تحمل أنت يا محمد قريبا من دارهم بحيثك كما حل بالحديبية وعزاه الطبري الى ابن عباس ومجاهد وقتادة وقاله عكرمة ويكون وعد الله فتح مكة وكان الله قد وعد ذلك وقاله ابن عباس ومجاهد * وقرأ مجاهد وابن جبير أو يحل بالبلاء على الغيبة واحتمل أن يكون عائد على معنى القارعة عرا في فيه التذكير لانها بمعنى البلاء أو تكون الهاء في قارعة للبالة فذكر واحتمل أن يكون عائد على الرسول صلى الله عليه وسلم أي ويحل الرسول قريبا * وقرأ أيضا من ديارهم على الجمع * وقال ابن عباس القارعة العذاب من السماء * وقال عكرمة السرايا والطلائع وفي قوله ولقد استهزى الآية تسلية للرسول عليه الصلاة والسلام وان حال من تقدمك من الرسل وأن المستهزئين هم أي يمهلون ثم يؤخذون وتنبيه على أن حال من استهزأ بك وان أمهل حال أولئك في أخذهم ووعدهم وفي قوله فكيف كان عقاب استفهام معناه التعجب بما حل وفي ضمنه وعيد معاصري الرسول صلى الله عليه وسلم من الكفار ﴿أخن هو قائم على كل نفس بما كسبت وجعلوا لله شركاء قل سموهم أم تنبؤونه بما لا يعلم في الارض أم بظاهر من القول بل

يعلمه والضمير في يعلم عائداً على الله والمعنى أتنبئون الله (٣٩٤) لشركه الاصنام التي لا تتصف بعلم البتة وذ كرن في العلم في الارض اذ

زين للدين كفر واكمهم وصدوا عن السبيل ومن يضل الله فبالله من هاد لهم عذاب في الحياة الدنيا
وللعذاب الآخرة أشق وما لهم من الله من واق * من موصولة صلتها ما بعدها وهي مبتدأ والخبر
مخدوف تقديره كن يئس كذلك من شركائهم التي لا تضر ولا تنفع كما حذف من قوله أفن شرح الله
صدره للاسلام فهو على نور من ربه تقديره كالتقاسي قلبه الذي هو في ظامة ودل عليه قوله تعالى
وجعلوا الله شركاء كادل على القاسي فويل للقاسية قلوبهم ويحسن حذف هذا الخبر كون المبتدأ
يكون مقابله الخبر المخدوف وقد جاء مثبتاً كثيراً كقوله تعالى أفن يخلق كمن لا يخلق أفن يعلم ثم قال
كن هو أعمى والظاهر ان قوله تعالى وجعلوا الله شركاء استئناف اخبار عن سوء صنيعهم وكونهم
أشركوا مع الله ما لا يصلح للالهية نعى عليهم هذا الفعل القبيح هذا والبارى تعالى هو المحيط بأحوال
النفوس جليها وخفيها ونبيه على بعض حالاتها وهو الكسب ليتفكر الانسان فيما يكسب من خير
وشر وما يترتب على الكسب في الجزاء وعبر بقائم عن الاحاطة والمراقبة التي لا يغفل عنها * وقال
الزنجشري ويجوز أن يقدر ما يقع خبراً للمبتدأ ويعطف عليه وجعلوا الله أي وجعلوا وتمثله أفن
هو بهذه الصفة لم يوجد وجعلوا له شركاء وهو الله الذي يستحق العبادة وحده انتهى وفي هذا
التوجيه اقامة الظاهر مقام المضمرة في قوله وجعلوا الله أي وجعلوا له وفيه حذف الخبر عن المقابل
وأكثر ما جاء هذا الخبر مقابلاً في تفسير أبي عبد الله الرازي قال الشريد صاحب العقد الواو في
قوله تعالى وجعلوا واو الحال والتقدير أفن هو قائم على كل نفس بما كسبت موجود والحال انهم
جعلوا له شركاء ثم أقيم الظاهر وهو الله مقام المضمرة تقدير الألوهية وتصريحاً بها كما تقول معطى
الناس ومنهم موجود ويحرم مثلي انتهى * وقال ابن عطية أفن هو قائم على كل نفس بما كسبت
أحق بالعبادة أم الجادات التي لا تضر ولا تنفع هذا تأويل ويظهر ان القول مرتبط بقوله وجعلوا
لله شركاء كأن المعنى أفن له القدرة والوحدانية ويجعل له شركاء أهل ينتقم ويعاقب أم لا وبعد
من ذهب الى ان قوله أفن هو قائم المراد به الملائكة الموكلون ببني آدم حكاه القرطبي عن الضحاك
والخبر أيضاً مخدوف تقديره كغيره من المخلوقين وأبعد أيضاً من ذهب الى ان قوله وجعلوا معطوفاً
على استهزى أي استهزؤوا وجعلوا ثم أمره تعالى أن يقول لهم سموهم أي اذكروهم بأسمائهم والمعنى
انهم ليسوا بمن يدكر ويسمى انما يدكر ويسمى من هو ينفع ويضر وهذا مثل من يدكر لك ان
شخصاً يوقر ويعظم وهو عندك لا يستحق ذلك فتقول لذا كره سموه حتى أبين لك زيفه وانته ليس كما
تذكر وقريب من هذا قول من قال في قوله قل سموهم انما يقال ذلك في الشئ المستحق الذي يبلغ
في الحقارة الى أن لا يدكر ولا يوضع له اسم فعند ذلك يقال له سموه ان شئت أي هو أخس من أن
يدكر ويسمى ولكن ان شئت أن تضع له اسماً فافعل فكأنه قال سموهم بالآلهة على جهة التهديد
والمعنى سواء سميتهم بهذا الاسم أم لم تسموهم به فانها في الحقارة بحيث لا يستحق أن يلفت العاقل
اليها * وقيل سموهم اذا صنعوا وأما واو أحيوا لتصح الشراكة * وقيل طالبوهم بالحجة على انها
آلهة * وقيل صفوهم وانظروا هل يستحقون الالهية * وقال الزنجشري جعلتم له شركاء
فسموهم له من هم وبينوهم بأسمائهم * وقيل هذا تهديد كما تقول لمن تهدده على شرب الخمر رسم الخمر
بعدها وأم في قوله أم تنبؤونه منقطعة وهو استفهام توبيخ * قال الزنجشري بل أتنبؤونه بشركاء لا

الارض هي مقر تلك
الاصنام فاذا انتفى علمها
في المقر التي هي فيه
فانتفاؤه في السموات
أخرى وعلى هذا التأويل
يكون الفاعل يعلم ضمير
يعود على ما وعلى الاول
ذكرنا أنه عائداً على الله
تعالى والمعنى على هذا
استفهام التوبيخ على
أنه عندهم لا يكون عامه
في السموات ولا في
الارض بل عامه تعالى
محيط بجميع الاشياء
والظاهر في أم من قوله
أم بظاهر أنها منقطعة أيضاً
أي بل أن سموهم شركاء
بظاهر من القول من غير
أن يكون لذلك حقيقة
أي أنكم تنطقون بتلك
الاسماء وتسمونها آلهة
ولا حقيقة لها اذا أنتم تعلمون
انها لا تتصف بشيء من
أوصاف الاله لقوله تعالى
ما تعبدون من دونه الا
أسماء والظاهر أن قوله
أم بظاهر معطوف على
قوله بما لا يعلم والعذاب في
الدنيا هو ما يصيبهم بسبب
كفرهم من القتل والاسر
والنهب والدلة والحروب
والبلای في أجسامهم وغير
ذلك مما يتحزن به الكفار

وكان عذاب الآخرة أشق على النفوس لانه احراق بالنار دائماً كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ومن واق من سائر
يحفظهم عن العذاب ويحميهم ولما ذكر ما أعد للكفار في الآخرة ذكر ما أعد للمؤمنين فقال

يعلمهم في الارض وهو العالم بما في السموات والارض فاذا لم يعلمهم علم انهم ليسوا بشئ يتعلق به العلم والمراد نفي أن يكون له شركاء ونحوه قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض انتهى فجعل الفاعل في قوله بما لا يعلم عائداً على الله والعائد على بما محذوف أي بما لا يعلمه الله وكنا قد خرجنا تلك الآية على الفاعل في قوله بما لا يعلم عائداً على ما وقررنا ذلك هناك وهو يتقرر هنا أيضاً أي أتنبئون الله بشركة الاصنام التي لا تتصف بعلم البتة وذ كر نفي العلم في الارض اذا الارض هي مقر تلك الاصنام فاذا انتفى علمها في المقر التي هي فيه فانتفاءه في السموات أخرى * وقرأ الحسن تنبئونه من أنبأ * وقيل المراد تقدر أن تعلموه بأمر تعلمونه أنتم وهو لا يعلمه وخص الارض بنفي الشريك بأنه لم يكن له شريك البتة لانهم ادعوا ان لله شريك في الارض لا في غيرها والظاهر في أم في قوله أم بظاهر انها منقطعة أيضاً أي بل أسمونهم شركاء بظاهر من القول من غير أن يكون لذلك حقيقة أي انكم تنطقون بتلك الاسماء وتسمونها آلهة ولا حقيقة لها اذا أنتم لاتعلمون أنها لاتتصف بشئ من أوصاف الالهية كقوله ما تعبدون من دونه الاسماء سميتموها * وقال مجاهد أم بظاهر من القول * وقال قتادة بباطل من القول لباطن له في الحقيقة ومنه قول الشاعر

أعيرتنا ألبانها ولحومها * وذلك عاريان ربيعة طاهر

أي باطل * وقيل أم متصلة والتقدير أم تنبئونه بظاهر من القول لا حقيقة له كقوله ذلك قولهم بأفواههم ثم قال بعدهم هذا الحجاج على وجه التحقير لما هم عليه بل زين للذين كفروا مكرهم * وقال الواحدى لما ذكر الدلائل على فساد قولهم وقال دع ذلك الدليل لانهم لا ينتفعون به لانه زين لهم مكرهم * وقرأ مجاهد بل زين على البناء للفاعل مكرهم بالنصب * والجمهور زين على البناء للمفعول مكرهم بالرفع أي كيدهم للإسلام بشركهم وما قصدوا بأقوالهم وأفعالهم من مناقضة الشرع * وقرأ الكوفيون وصدوا هنا وفي غافر بضم الصاد مبنياً للمفعول فالفاعل متعد * وقرأ باقي السبعة بفتحها فاحتمل التعدى وال لزوم أي صدوا أنفسهم أو غيرهم * وقرأ ابن وثاب وصدوا بكسر الصاد وهي كقراءة ردت الينا بكسر الراء وفي اللوامح الكسائي لابن يعمر وصدوا بالكسر لغة وفي الضم أجراه بحرف الجر نحو قبل فاما في المؤمن فبالكسر لابن وثاب انتهى * وقرأ ابن أبي اسحق وصد بالتثنية عطفاً على مكرهم * قال الزمخشري ومن يضل الله ومن يخذله يعلمه انه لا يهتدى فإله من هاد فإله من واحد يقدر على هدايته انتهى وهو على طريقة الاعتزال والعذاب في الدنيا هو ما يصيبهم بسبب كفرهم من القتل والأسر والنهب والذلة والحروب والبلايا في أجسامهم وغير ذلك مما يمتحن به الكفار وكان عذاب الآخرة أشق على النفوس لانه أحرأ بالنار دائماً كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ومن واق من ساتر يحفظهم من العذاب ويحميهم ولما ذكر ما أعد الله لكفار في الآخرة ذكر ما أعد للمؤمنين فقال ﴿ مثل الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الأنهار ﴾ كلها دائم وظلها تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار ﴿ مثل الجنة ﴾ أي صفتها التي هي في غرابة المثل وارتفع مثل على الابتداء في مذهب سيويوه والخبر محذوف أي فيما قصصنا عليكم مثل الجنة وتجري من تحتها الأنهار تفسير لذلك المثل تقول مثلت الشئ اذا وصفته وقربته للفهم وليس هنا ضرب مثل لها فهو كقوله تعالى وله المثل الأعلى أي الصفة العليا وأنكر أبو علي أن يكون مثل بمعنى صفة قال انما معناه التنبيه * وقال القراء أي صفتها انها تجري من تحتها الأنهار ونحو هذا موجود في كلام العرب انتهى ولا يمكن حذفها انها وانما فسر المعنى ولم يذكر

﴿ مثل الجنة ﴾ أي صفتها التي هي في غرابة المثل وارتفع مثل على الابتداء في مذهب سيويوه والخبر محذوف أي فيما قصصنا عليكم مثل الجنة وتجري من تحتها الأنهار ﴿ تفسير لذلك المثل تقول مثلت الشئ اذا وصفته وقربته للفهم وليس هنا ضرب مثل لها فهو كقوله تعالى وله المثل الأعلى أي الصفة العليا والا كل ما يؤكل فيها ومعنى دوامه أنه لا ينقطع أبداً كما قال لا مقطوعة ولا ممنوعة تلك أي تلك الجنة عاقبة الذين اتقوا والشرك

﴿والذين آتيناهم الكتاب﴾ نزلت في مؤمنى أهل الكتابين من أسلم من اليهود كعبد الله بن سلام وكعب وأصحابهما ومن أسلم من
النصارى وهم ثمانون رجلاً أربعون بنجران واثنتان (٣٩٦) وثلاثون بأرض الحبشة ﴿ومن الأحزاب﴾ يعني ومن أحزابهم وهم

كفرتهم الذين تحزبوا
على رسول الله صلى الله
عليه وسلم بالعداوة نحو
كعب بن الأشرف وأصحابه
والسيد والعاقب أسقى
بنجران وأشياءها ﴿من﴾
ينكر بعضه ﴿لأنهم كانوا﴾
لا ينكرون الأقاصيص
وبعض الأحكام والمعاني
مما هو ثابت في كتبهم
غير محرف وكانوا ينكرون
ما هو نعت الإسلام ونعت
رسول الله صلى الله عليه
وسلم وغير ذلك مما حرفوه
وبدلوه ﴿إليه أدعوا﴾
أى إلى شرعه ودينه وإليه
مرجعى عند البعث يوم
القيامة أو إليه مرجعى
في جميع الأحوال في
الدنيا والآخرة ﴿وكذلك﴾
أى مثل أنزلنا الكتاب
على الأنبياء قبلك لأن قوله
والذين آتيناهم الكتاب
يتضمن أنزاله تعالى الكتاب
وهذا الذى أنزلناه هو
بلسان العرب كما أن الكتب
السابقة بلسان من نزلت
عليه وأراد بالحكم أنه
مفصل بين الحق والباطل
ومحكم وانتصب ﴿حكم﴾
على الحال من ضمير النصب
في أنزلناه والضمير عائد

الأعراب وتأول قوم على القرآن مثل مقحم وإن التقدير الجنة التى وعد المتقون تجرى واقحام
الأسماء لا يجوز وحكوا عن الفراء أن العرب تقحم كثيرا المثل والمثل وخرج على ذلك ليس
كذلك شئ أى كهو شئ فقال غيرهما الخبر تجرى كما تقول صفة زيد اسم وهذا أيضا لا يصح أن يكون
تجرى خبرا عن الصفة وإنما تأول تجرى على إسقاط أن ورفع الفعل والتقدير أن تجرى خبر ثان
الأنهار ﴿وقال الزجاج معناه مثل الجنة جنة تجرى على حذق الموصوف تمثيلا لما غاب عنا بما
نشاهد انتهى﴾ وقال أبو علي لا يصح ما قال الزجاج لا على معنى الصفة ولا على معنى الشبه لأن الجنة
التي قدرها جنة ولا تكون الصفة ولأن الشبه عبارة عن المماثلة التي بين المتماثلين وهو حدث والجنة
جنة فلا تكون المماثلة ﴿وقرأ على وابن مسعود مثالا الجنة على الجمع أى صفاتها وفي اللوامح على
السامى أمثال الجنة جمع ومعناه صفات الجنة وذلك لأنها صفات مختلفة فلذلك جمع نحو الخلقوم
والأسعال والأكل ما يؤكل فيها ومعنى دوامه أنه لا ينقطع أبدا كما قال تعالى لا مقطوعة ولا ممنوعة
﴿وقال إبراهيم التيمي أى لذاته دائمة لا تزداد بجوع ولا تمل من شبع وظلها أى دائم البقاء والراحة
لا تتسخه شمس ولا يميل لبرد كما في الدنيا تلك أى تلك الجنة عاقبة الذين اتقوا أى اجتنبوا
الشرك﴾ والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل اليك ومن الأحزاب من ينكر بعضه قل
إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به إليه أَدْعُو وإليه مآب وكذلك أنزلناه حكما عربيا ولئن اتبعت
أهواءهم بعد ما جاءك من العلم مالك من الله من لى ولا واق ﴿نزلت في مؤمنى أهل الكتابين
ذكره الماوردي واختاره الرخشي فقال من أسلم من اليهود كعبد الله بن سلام وكعب
وأصحابهما ومن أسلم من النصارى وهم ثمانون رجلاً أربعون من بنجران وثمانية من اليمن واثنتان
وثلاثون من الحبشة ومن الأحزاب يعني ومن أحزابهم وهم كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالعداوة نحو كعب بن الأشرف وأصحابه والسيد والعاقب أسقى بنجران
وأشياءها من ينكر بعضه لأنهم كانوا لا ينكرون الأقاصيص وبعض الأحكام والمعاني مما هو
ثابت في كتبهم غير محرف وكانوا ينكرون ما هو نعت الإسلام ونعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
مما حرفوه وبدلوه انتهى ﴿وعن ابن عباس وابن زيد في مؤمنى اليهود كعبد الله بن سلام وأصحابه
وعن قتادة في أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم مدحهم الله تعالى بأنهم يسرون بما أنزل اليك من
أمر الدين وعن مجاهد والحسن وقتادة أن المراد بأهل الكتاب جميعهم يفرحون بما أنزل من
القرآن إذ فيه تصديق كتبهم ونشاء على أنبيائهم وأخبارهم ورهبانهم الذين هم على دين موسى
وعيسى عليهما السلام وضعف هذا القول بأنهم به أكثر من فرحهم فلا يعتد بفرحهم وأضافان
اليهود والنصارى ينكرون بعضه وقد قدفى تعالى بين الذين ينكرون بعضه وبين الذين آتيناهم
الكتاب ﴿والأحزاب﴾ قال مجاهد هم اليهود والنصارى والمجوس ﴿وقالت فرقة هم الأحزاب
الجاهلية من العرب﴾ وقال مقاتل الأحزاب بنو أمية وبنو المغيرة وآل أبي طلحة ولما كان ما أنزل
إليه يتضمن عبادة الله ونفى الشريك أمر بجواب المنكرين ﴿فقل له قل إنما أمرت أن أعبد
الله ولا أشرك به فأنكاركم لبعض القرآن الذى أنزل أنكار لعبادة الله وتوحيده وأنتم تدعون

على القرآن والحكم ما تضمنه القرآن من المعاني ولما كانت العبارة عنه بلسان العرب نسبة إليها ﴿ولئن اتبعت﴾ الخطاب لغير
الرسول صلى الله عليه وسلم لأن الرسول صلى الله عليه وسلم معصوم من اتباع أهوائهم

﴿ ولقد أرسلنا رسلا من قبلك ﴾ الآية قال الكلبى عيرت اليهود والرسول صلى الله عليه وسلم وقالوا ما نرى لهذا الرجل همة الا النساء والنكاح ولو كان نبيا كما زعم لشغله امر النبوة عن النساء فنزلت هذه الآية قيل وكانوا يقترحون عليه الآيات وينكرون النسخ فرد الله عليهم بأن الرسل قبله كانوا مثله ذوى أزواج وذرية وما كان لهم أن يأتوا بآيات برأيهم ولا يأتون بما يقترح عليهم والشرائع مصالح تختلف باختلاف الاحوال والاوقات فلكل وقت حكم يحكم فيه على العباد أى يفرض عليهم ما يريد تعالى وقوله لكل أجل كتاب لفظ عام فى الاشياء التى لها آجال لأنه ليس منها شئ الاوله (٣٩٧) أجل فى بدائه وفى خاتمته وذلك الاجل مكتوب ومحصور

والظاهر أن المحو عبارة عما نسخ من الشرائع والاحكام والاثبات عبارة عن دوامها وتقرررها وبقائها أى يحوم ما يشاء محوه ويثبت ما يشاء اثباته ﴿ وعنده أم الكتاب ﴾ هو ديوان الأمور الحديثة التى سبق فى القضاء أن تبدل تمحى وتثبت ﴿ واما ترينك ﴾ تقدم الكلام عليه فى يونس وإما هنا فقال الخوف وغيره فانما عليك جواب الشرط والذى تقدم شرطان لان المعطوف على الشرط شرط أما كونه جوابا للشرط فلا يفسر بظاهر لانه يترتب عليه اذ يصير المعنى لا ما ترينك يعنى ما نعدهم من العذاب فانما عليك البلاغ وأما كونه جوابا للشرط الثانى وهو أو نتوفينك فكذلك لانه يصير التقدير ان ما نتوفينك

وجوب العبادة وفى الشريك اليه أدعوا الى شرعه ودينه واليه مرجع عند البعث يوم القيامة فى جميع أحوال فى الدنيا والآخرة * وقرأ أبو جليل عن نافع ولا أشرك بالرفع على القطع أى وأنا لا أشرك به وجوز أن يكون حالا أى ان أعبد الله غير مشرك به * وكذلك أى مثل انزلنا الكتاب على الانبياء قبلك لان قوله والذين آتيناهم الكتاب يتضمن انزاله الكتاب وهذا الذى أنزلناه هو بلسان العرب كما أن الكتب السابقة بلسان من نزلت عليه وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم وأراد بالحكم أنه يفصل بين الحق والباطل ويحكم * وقال ابن عطية وقوله وكذلك المعنى كما يسرنا لهؤلاء الفرح ولهؤلاء الانكار لبعض كذلك أنزلناه حكما عربيا انتهى وانتصب حكما على الحال من ضمير النصب فى أنزلناه والضمير عائد على القرآن والحكم ما تضمنه القرآن من المعانى ولما كانت العبارة عنه بلسان العرب نسبة اليها ولأن اتبعت الخطاب لغير الرسول صلى الله عليه وسلم لانه معصوم من اتباع أهوائهم * وقال الزمخشري هذا من باب الالهاب والتهيج والبعث للسامعين على الثبات فى الدين والتصلب فيه أن لا يزول عند الشبهة بعد استمسكها بالحجة والا فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم من شدة الشكيمة مكان ﴿ ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية وما كان لرسول ان يأتى بآية الا باذن الله لكل أجل كتاب ﴾ يعجوا الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب * واما ترينك بعض الذى نعدهم أو نتوفينك فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب ﴿ قال الكلبى عيرت اليهود والرسول صلى الله عليه وسلم وقالوا ما نرى لهذا الرجل همة الا النساء والنكاح ولو كان نبيا كما زعم لشغله امر النبوة عن النساء فنزلت هذه الآية ﴾ قيل وكانوا يقترحون عليه الآيات وينكرون النسخ فرد الله تعالى عليهم بأن الرسل قبله كانوا مثله ذوى أزواج وذرية وما كان لهم أن يأتوا بآيات برأيهم ولا يأتون بما يقترح عليهم ومن الشرائع مصالح تختلف باختلاف الاحوال والاوقات فلكل وقت حكم يكتب فيه على العباد أى يفرض عليهم ما يريد تعالى وقوله لكل أجل كتاب لفظ عام فى الاشياء التى لها آجال لأنه ليس منها شئ الاوله أجل فى بدائه وفى خاتمته وذلك الاجل مكتوب ومحصور * وقال الضحاك والفراء المعنى لكل كتاب أجل ولا يجوز ادعاء القلب الا فى ضرورة الشعر وأما هنا فالمعنى فى غاية الصحة بلا عكس ولا قلب بل ادعاء القلب هنا لا يصح المعنى عليه اذ ثم أشياء كتبها الله تعالى أزلية كالجنة ونعيم أهلها لا أجل لها والظاهر أن المحو عبارة عن النسخ من الشرائع والاحكام والاثبات عبارة عن دوامها وتقرررها وبقائها أى

فانما عليك البلاغ ولا يترتب وجوب التبليغ عليه على وفاته صلى الله عليه وسلم لان التكليف ينقطع بعد الوفاة فيحتاج الى تأويل وهو أن يتقدر لكل شرط منهما ما يناسب أن يكون جزاء مترتبا عليه وذلك أن يكون التقدير والله أعلم واما ترينك بعض الذين نعدهم به من العذاب فذلك شافيك من أعدائك ودليل على صدقك اذ أخبرت بما يحل بهم ولم يعين زمان حلوله بهم واحتمل أن يقع ذلك فى حياتك واحتمل أن يقع بهم بعد وفاتك أو نتوفينك أو ان نتوفينك قبل حلوله بهم فلا يؤم عليك ولا عتب اذ قد حل بهم بعض ما وعد الله به على لسانك من عذابهم فانما عليك البلاغ لا حلول العذاب بهم اذ ذلك راجع اليها وعلينا جزاؤهم فى تكذيبهم اياك وكفرهم بما جئت به

يمحو ما يشاء محوه ويثبت ما يشاء اثباته * وقيل هذا عام في الرزق والاجل والسعادة والشقاوة
 ونسب هذا الى عمرو ابن مسعود وابي وائل والضحاك وابن حريج وكعب الاحبار والكافي
 * وروى عن عمرو ابن مسعود وابي وائل في دعائهم ما معناه ان كنت كتبتني في السعداء فاثبتني
 فيهم أو في الاشقياء فامحني منهم وان صح عنهم فينبغي أن يتأول على أن المعنى ان كنت أشقيتني بالمعصية
 فامحها عنا بالمغفرة ومعالم أن الشقاء والسعادة والرزق والخلق والاجل لا يتغير شيء منها * وقال
 ابن عباس يمحو الله ما يشاء من أمور عباده الا السعادة والشقاوة والآجال فانه لا محوفها * وقال
 الحسن وفرقة هي آجال بني آدم تكتب في ليلة القدر * وقيل في ليلة نصف شعبان آجال الموتى
 فتمحى ناس من ديوان الاحياء ويثبتون في ديوان الاموات * وقال قيس بن عباد في العائش
 من رجب يمحو الله ما يشاء ويثبت * وقال ابن عباس والضحاك يمحو من ديوان الحفظة ما ليس
 بحسنة ولا سيئة لأنهم مأمورون بكتب كل قول وفعل ويثبت غيره * وقيل يمحو كفر التائبين
 ومعاصيهم بالتوبة ويثبت ايمانهم وطاعتهم * وقيل يمحو بعض الخلائق ويثبت بعضا من الاناسي
 وسائر الحيوان والنبات والاشجار وصفاتها وأحوالها * وقال الرخشي يمحو الله ما يشاء ينسخ
 ما يستصوب لنسخه ويثبت به ما يرى المصلحة في اثباته أو يتركه غير منسوخ والكلام في نحو
 هذا واسع المجال انتهى وهو قول قتادة وابن جبير وابن زيد قالوا يمحو الله ما يشاء من الشرائع
 والفرائض فينسخه ويبدله ويثبت ما يشاء فلا ينسخه * وقال مجاهد يحكم الله أمر السنة في رمضان
 فيمحو ما يشاء ويثبت ما يشاء الا الحياة والموت والشقاوة والسعادة * وقال الكافي يمحو من
 الرزق ويضيفه * وقال ابن جبير أيضا يغفر ما يشاء من ذنوب عباده ويترك ما يشاء فلا يغفره *
 وقال عكرمة يمحو يعني بالتوبة جميع الذنوب ويثبت بدل الذنوب حسنات قال تعالى الا من تاب
 وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات * وقيل ينسي الحفظة من الذنوب
 ولا ينسى * وقال الحسن يمحو الله ما يشاء أجله ويثبت من يأتي أجله * وقال السدي يمحو الله
 يعني القمر ويثبت يعني الشمس بيانه فحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة الآية * وقال
 ابن عباس ان لله لوحا محفوظا وذكر وصفه في كتاب التحبير ثم قال لله تعالى فيه في كل يوم ثلاثمائة
 وستون نظرة يثبت ما يشاء ويمحو ما يشاء * وقال الربيع هذا في الارواح حالة النوم يقبضها عند
 النوم اذا أراد موته فجأة أمسكه ومن أراد بقاءه أثبتته وردّه الى صاحبه بيانه قوله تعالى الله يتوفى
 الانفس حين موتها الآية * وقال علي بن أبي طالب يمحو الله ما يشاء من القرون لقوله ألم يروا
 كم أهلكنا قبلهم من القرون ويثبت ما يشاء منها لقوله تعالى ثم أنشأنا من بعدهم قرونا آخرين
 فيمحو قرونا ويثبت قرونا * وقال ابن عباس يمحو يمت الرجل على ضلالة وقد عمل بالطاعة الزمن
 الطويل ينحطه بالمعصية ويثبت عكسه * وقيل يمحو الدنيا ويثبت الآخرة وفي الحديث عن أبي
 الدرداء انه تعالى يفتح الذكرك في ثلاث ساعات بقين من الليل فينظر ما في الكتاب الذي لا ينظر فيه
 أحد غيره فيمحو ما يشاء ويثبت ما يشاء * وقال الغزنوي ما في اللوح المحفوظ خرج عن الغيب
 لا حاطة بعض الملائكة فيحتمل التبديل واحاطة الخلق بجميع علم الله تعالى وما في علمه تعالى من
 تقدير الاشياء لا يبدل انتهى * وقيل غير ذلك مما يطول نقله وقد استدلت الرافضة بقوله يمحو الله ما
 يشاء ويثبت على ان البدء جائز على الله تعالى وهو أن يعتد شيئا ثم يظهر له ان الأمر خلاف ما اعتقده
 وهذا باطل لأن عامه تعالى من لوازم ذاته الخصوصية وما كان كذلك كان دخول التغير والتبديل

﴿أولم يروا أنا أتى الأرض ننقصها من أطرافها﴾ الضمير في يروا عائد على الذين وعدوا وفي ذلك اتعاظ لمن اتعظنهم وأعلى أن ينظروا نقص الأرض من أطرافها ونأتى يعنى بالأمر والقدرة كقوله تعالى فأنى الله بنيانهم والأرض أرض الكفار المذكورين ومعنى ننقصها من أطرافها نفتحها للمسلمين من جوانبها كان المسلمون يغزون من حوالى أرض الكفار مما يلي المدينة ويغلبون على جوانب أرض مكة والأطراف الجوانب ﴿لأمعقب حكمه﴾ المعقب الذى يكر على الشئ فيبطله وحقيقته الذى يعقبه أى بالرد والابطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب لأنه يقضى غريمه بالافتضاء والطلب والمعنى أنه حكم للإسلام بالغلبة والاقبال وعلى الكفر بالادبار والانتكاس والجملة من قوله لأمعقب (٣٩٩) حكمه فى موضع الحال أى نافذا حكمه وهو سريع

الحساب ﴿تقدم الكلام عليه ثم أخبر تعالى أن الأمم السالفة كان يصدر منهم المكرب بأنبيائهم كما فعلت قريش وإن ذلك عادة المكذبين للرسول مكربا إبراهيم نمرود وبموسى فرعون وبعيسى اليهود وجعل تعالى مكربهم كلاما مكررا وأضاف المكرب له تعالى ومعنى مكربته تعالى عقوبته أيابهم سبها مكرا إذ كانت ناشئة عن المكرب

(الدر)

(ح) قال الحوفي وغيره فأنما عليك البلاغ جواب الشرط والذي تقدم شرطان لأن المعطوف على الشرط شرط فاما كونه جوابا للشرط الاول فليس بظاهر لأنه لا يترتب عليه اذيصير المعنى وأما

فيه محالا وأما الآية فقد احتلت تلك التأويلات المتقدمة فليست نصافيا ادعوه ولو كانت نصا وجب تأويله ﴿وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم ويثبت مخففا من أثبت وباقي السبعة منثقالا من ثبت وأما قوله أم الكتاب فقال ابن عباس أم الكتاب المذكور وقال أيضا هو وكعب هو علم ما هو خالق وما خلقه عاملون﴾ وقالت فرقة الحلال والحرام وهو قول الحسن * وقال الزمخشري أصل كل كتاب وهو اللوح المحفوظ لأن كل كائن مكتوب فيه انتهى وما جرى مجرى الأصل للشئ تسميه العرب أما كقولهم أم الرأس للدماغ وأم القرى مكة * وقال ابن عطية وأصوب ما يفسر به أم الكتاب أنه ديوان الأمور المحدثه التي قد سبق في القضاء أن تبدل وتمحى أو تثبت * وقال نحوه قتادة إن جواب الشرط الاول مخدوف وكلام ابن عطية في ما ونون التوكيد * وقال الزمخشري وأما زينك وكيفما دارت الحال أريناك مصارعهم وما وعدناهم من ازال العذاب عليهم أو نتوفينك قبل ذلك فيا يجب عليك التبليغ الرسالة وعلينا عليك حسابهم وجزاؤهم على أعمالهم فلا يهمنك اعراضهم ولا تستعجل بعذابهم انتهى * وقال الحوفي وغيره فأنما عليك البلاغ جواب الشرط والذي تقدم شرطان لأن المعطوف على الشرط شرط فاما كونه جوابا للشرط الاول فليس بظاهر لأنه لا يترتب عليه اذيصير المعنى وإما زينك بعض ما نعدهم من العذاب فأنما عليك البلاغ وأما كونه جوابا للشرط الثاني هو أو نتوفينك فكذلك لأنه يصير التقدير ان ما نتوفينك فأنما عليك البلاغ ولا يترتب وجوب التبليغ عليه على وفاته عليه السلام لأن التكليف ينقطع بعد الوفاة فيحتاج الى تأويل وهو أن يتقدر لكل شرط منهما ما يناسب أن يكون جزاء مترتبا عليه وذلك أن يكون التقدير والله أعلم وان ما زينك بعض الذي نعدهم به من العذاب فذلك شافيك من أعدائك ودليل على صدقك اذا أخبرت بما يحل بهم ولم يعين زمان حلوله بهم فاحتمل أن يقع ذلك في حياتك واحتمل أن يقع بهم بعد وفاتك أو نتوفينك أى أو ان نتوفينك قبل حلوله بهم فلا لوم عليك ولا عتب إذ قد حل بهم بعض ما وعد الله به على لسانك من عذابهم فأنما عليك البلاغ لا حلول العذاب بهم إذ ذاك راجع الى وعلينا جزاؤهم في تكذيبهم إياك وكفرهم بما جئت به ﴿أولم يروا أنا أتى الأرض ننقصها من أطرافها والله يحكم لأمعقب حكمه وهو سريع الحساب﴾ وقدم مكر الذين من قبلهم فله المكر جميعا يعلم ما تكسب كل نفس وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار * ويقول الذين كفروا لست مرسلا قل كفى بالله شهيدا

وأما كونه جوابا للشرط الثاني وهو أو نتوفينك فكذلك لأنه يصير المعنى التقدير ان ما نتوفينك فأنما عليك البلاغ ولا يترتب وجوب التبليغ عليه على وفاته عليه السلام لأن التكليف ينقطع بعد الوفاة فيحتاج الى تأويل وهو أن يتقدر لكل شرط منهما ما يناسب أن يكون جزاء مترتبا عليه وذلك أن يكون التقدير والله أعلم وأما زينك بعض الذي نعدهم به من العذاب فذلك شافيك من أعدائك ودليل على صدقك اذا أخبرت بما يحل بهم ولم يعين زمان حلوله بهم فاحتمل أن يقع ذلك في حياتك واحتمل أن يقع بهم بعد وفاتك أو نتوفينك أى أو ان نتوفينك قبل حلوله بهم فلا لوم عليك ولا عتب إذ قد حل بهم بعض ما وعد الله به على لسانك من عذابهم فأنما عليك البلاغ لا حلول العذاب بهم إذ ذاك راجع الى وعلينا جزاؤهم في تكذيبهم إياك وكفرهم بما جئت به انتهى

يبنى وينكم ومن عنده علم الكتاب * الضمير في أولهم واعائد على الذين وعدوا وفي ذلك اتعاظ
 لمن اتعظ نهوا على أن ينظر وابعض الارض من أطرافها ونأى يعنى بالأمر والقدرة كقوله فأتى
 الله بنبيانهم والارض أرض الكفار المذكورين ويعنى بنقصها من أطرافها للمساهين من جوانبها
 كان المساهون يغزون من حوالى أرض الكفار مما يلي المدينة ويغلبون على جوانب أرض
 مكة والأطراف الجوانب * وقيل الطرف من كل شئ خياره ومنه قول علي بن أبي طالب العلوم
 أودية في أى واد أخذت منها خسرت فنحنوا من كل شئ طرفا يعنى خيارا قاله ابن عطية والذي يظهر
 ان معنى طرفا جانبوا بعضا كأنه أشار الى أن الانسان يكون مشاركا في أطراف من العلوم لأنه
 لا يمكنه استيعاب جميعها ولم يشتر الى أنه يستغرق زمانه في علم واحد * وقال ابن عباس والضحاك نأتى
 أرض هؤلاء بالفتح عليك فنقصها بما يدخل في دينك من القبائل والبلاد المجاورة لهم فايؤمنهم
 أن يمكنهم منهم وهذا التفسير لا يتأتى إلا أن قدر نزول هذه الآية بالمدينة * وقيل الارض اسم جنس
 والانتقاص من الأطراف بتخريب العمران الذي يحمله الله بالكفرة وروى هذا عن ابن عباس
 أيضا ومجاهد وعنه أيضا الانتقاص هو بموت البشر وهلاك الثمرات ونقص البركة وعن ابن
 عباس أيضا موت أشرفها وكبرائها وذهاب الصلحاء والأخيار فبلى هذا الأطراف هنا الاشراف
 * وقال ابن الاعرابي الطرف والطرف الرجل الكريم * وعن عطاء بن أبي رباح ذهاب فقهاءها
 وخيار أهلها * وعن مجاهد موت الفقهاء والعلماء * وقال عكرمة والشعبي هو نقص النفس *
 وقيل هلاك من أهلك من الأمم قبل قريش وهلاك أرضهم بعدهم والمناسب من هذه الأقوال
 هو الأول ولم يذكر الزمخشري إلا ما هو قريب منه قال نأتى الأرض أرض الكفر ننقصها من
 أطرافها بما يفتح على المساهين من بلادهم فينقص دار الحرب ويزيد في دار الاسلام وذلك من آيات
 الغلبة والنصرة ونحوه أفلا يرون أنا نأتى الأرض ننقصها من أطرافها أفهم الغالبون سنزيمهم
 آياتنا في الآفاق والمعنى عليك بالبلاغ الذي حملته ولا تهم بما وراء ذلك فحقن نفسك ونعم ما وعدناك
 من الظفر ولا يضجرك تأخر ذلك لما نعلم من المصالح التي لا نعلمها ثم طيب نفسه ونفس عنها بما
 ذكر من طلوع تباشير الظفر ويتجه قول من قال النقص بموت الاشراف والعلماء والخيار
 وتقريره أو لم يروا أننا تحدث في الدنيا من الاختلافات نخر ابا بعد عمارة وموتها بعد حياة وذلك بعد عز
 ونقصا بعد كمال وهذه تغييرات مدركة بالحس فما الذي يؤمنهم أن يقلب الله الامر عليهم ويصيرون
 ذليلين بعد ان كانوا قاهرين * وقرأ الضحاك ننقصها من نقص عداها بالتضعيف من نقص
 اللازم والمعقب الذي يكر على الشئ فيبطله وحقيقته الذي يعقبه أى بالرد والابطال ومنه قيل
 لصاحب الحق معقب لانه يقفى غيره بالاقتضاء والطلب * قال لبيد

* طلب المعقب حقه المظلوم * والمعنى انه حكم للاسلام بالغلبة والاقبال وعلى الكفر
 بالادبار والانتكاس * وقيل تتعقب أحكامه أى ينظر في أعقابها أمصيبة هى أم لا والجملة من قوله
 لا معقب لحكمه في موضع الحال أى نافذا حكمه وهو سريع الحساب تقدم الكلام على مثل هذه
 الجملة ثم أخبر تعالى ان الأمم السابقة كان يصدر منهم المكرب بأنبيائهم كما فعلت قريش وان ذلك عادة
 المكذبين للرسل مكر بابراهيم نمر وذو موسى فرعون وبعيسى اليهود وجعل تعالى مكرهم كلا
 مكر اذا ضاف المكر كله تعالى ومعنى مكره تعالى عقوبته إياهم سهاها مكر اذا كانت ناشئة عن
 المكر وذلك على سبيل المقابلة كقوله الله يستهزى بهم ثم فسر قوله فله المكر بقوله يعلم

وذلك على سبيل المقابلة
 كقوله تعالى الله يستهزى
 بهم ثم فسر قوله فله المكر
 بقوله يعلم ما تكسب
 كل نفس والمعنى يجازى
 كل نفس بما كسبت ثم
 هدد الكافر بقوله
 وسيعلم الكافر لمن عقى
 الدار اذ يأتيه العذاب من
 حيث هو في غفلة عنه
 فحينئذ يعلم لمن هى العاقبة
 المحجودة ولما قال الكفار
 لست مر سلا أى انما أنت
 مدع ما ليس لك أمره
 تعالى أن يكتب في شهادته الله
 بينهم اذ قد ظهر على يديه من
 الأدلة على رسالته ما فى بعضها
 كفاية لمن وفق ثم أردف
 شهادة الله بشهادته من عنده
 علم الكتاب وقرأ ورش
 ومن عنده بمن الجارة
 ذكره الالهوازى فى
 الموجز والكتاب هنا
 القرآن والمعنى أن من
 عرف ما ألقى فيه من
 المعانى الصحيحة والنظم
 المعجز الفاتت لقدرة البشر
 يشهد بذلك

(الدر) (ح) ومن عنده علم الكتاب والكتاب اللوح المحفوظ وقيل هو الله تعالى قاله الحسن وابن جبير والزجاج وعن الحسن لا والله ما يعنى الا الله والمعنى كفى بالذى يستحق العبادة وبالذى لا يعلم ما فى اللوح الا هو شهيد ابني وبينكم (ع) ويعترض هذا القول بان فيه عطف الصفة على الموصوف وذلك لا يجوز وانما عطف الصفات بعضها على بعض انتهى (ح) ليس ذلك كما زعم من عطف الصفة على الموصوف لان من لا يوصف بها ولا بشئ من الموصولات الا بالذى والتى وفروعهما وذو ذات الطائيتين وقوله وانما عطف الصفات بعضها على بعض ليس على اطلاقه بل له شرط وهو أن تختلف مدلولاتها ويعنى (ع) لا تقول مررت بزيد والعالم فتعطف العالم على الاسم وهو علم لا تلحظ فيه معنى (٤٠١) صفة وكذلك الله علم ولما شعر بهذا الاعتراض من جعله معطوفا على الله قدر

ما تكسب كل نفس والمعنى يجازى كل نفس بما كسبت ثم هدد الكافر بقوله وسيعلم الكافر لمن عقى الدار اذ يأتيه العذاب من حيث هو فى غفلة عنه فينثني يعلم لمن هى العاقبة المحمودة * وقرأ جناح بن حبيش وسيعلم الكافر مبنيًا للمفعول من أعلم أى وسيخبر * وقرأ الحرميان وأبو عمرو الكافر على الافراد والمراد به الجنس وباقي السبعة الكفار جمع تكسير وابن مسعود الكافرون جمع سلامة وأبي الذين كفروا وفسر عطاء الكافر بالمستزئنين وهم خمسة والمقتسمين وهم ثمانية وعشرون * وقال ابن عباس يريد بالكافر أباجهل وينبغى أن يحمل تفسيره وتفسير عطاء على التمثيل لان الاخبار بعلم الكافر لمن عقى الدار معنى يعم جميع الكفار ولما قال الكفار لست من سلاى انما أنت مدع مالىس لك أمره تعالى أن يكتفى بشهادة الله تعالى بينهم اذ قد أظهر على يديه من الأدلة على رسالته ما فى بعضها كفاية لمن وفق ثم أورد فى شهادة الله بشهادة من عنده علم الكتاب والكتاب هنا القرآن والمعنى ان من عرف ما ألف فيه من المعانى الصحيحة والنظم المعجز الفات لقدر البشر يشهد بذلك * وقيل الكتاب التوراة والانجيل والذى عنده علم الكتاب من أسلم من علمائهم لانهم يشهدون نعمة عليه الصلاة والسلام فى كتبهم * قال قتادة كعب الله بن سلام وتميم الدارى وسلمان الفارسي * وقال مجاهد يريد عبد الله بن سلام خاصة وهذا القولان لا يستقيمان الا على أن تكون الآية مدنية والجمهور على انها مكية وقال محمد بن الحنفية والباقر هو على بن أبى طالب * وقيل جبريل والكتاب اللوح المحفوظ * وقيل هو الله تعالى قاله الحسن وابن جبير والزجاج * وعن الحسن لا والله ما يعنى الا الله والمعنى كفى بالذى يستحق العبادة وبالذى لا يعلم ما فى اللوح الا هو شهيد ابني وبينكم * قال ابن عطية ويعترض هذا القول بأن فيه عطف الصفة على الموصوف وذلك لا يجوز وانما عطف الصفات بعضها على بعض انتهى وليس ذلك كما زعم من عطف الصفة على الموصوف لان من لا يوصف بها ولا بشئ من الموصولات الا بالذى والتى وفروعهما وذو ذات الطائيتين وقوله وانما عطف الصفات بعضها على بعض ليس على اطلاقه بل له شرط وهو أن تختلف مدلولاتها ويعنى ابن عطية لا تقول مررت بزيد والعالم فتعطف العالم على الاسم وهو علم يلحظ منه معنى صفة وكذلك الله علم ولما شعر بهذا الاعتراض من جعله معطوفا على الله قدر قوله بالذى يستحق العبادة حتى يكون من عطف الصفات بعضها على بعض لا من عطف الصفة

جعله معطوفا على الله قدر قوله بالله بالذى يستحق العبادة حتى يكون عطف الصفات بعضها على بعض لا من عطف الصفة على الاسم (ش) يرتفع العلم بالمقدر فى الظرف فيكون فاعلا لان الظرف اذا وقع صلة أو غل فى شبه الفعل لاعتاده على الموصول فعمل عمل الفعل كقولك مررت بالذى فى الدار أخوه فأخوه فاعل كما تقول بالذى استقر فى الدار أخوه فأخوه فاعل كما تقول بالذى استقر فى الدار أخوه انتهى (ح) هذا الذى قاله (ش) ليس على وجه التحتم لان الظرف والجار والمجرور اذا وقعا صلتين أو صفتين أو حالين أو خبرين اما فى الاصل واما فى النسخ أو تقدمهما أداة نفي أو استفهام جازفيا

(٥١ - تفسير البحر المحيط لابي حيان - خامس) بعدهما من الاسم الظاهر أن يرتفع على الفاعل رهو الاجود وجاز أن يكون ذلك المرفوع مبتدأ والظرف أو الجار والمجرور فى موضع خبره والجملة من المبتدأ والخبر صلة أو صفة أو حال أو خبر وهذا مبنى على اسم الفاعل فكما جاز ذلك فى اسم الفاعل وان كان الاحسن اعماله فى الظاهر فكذلك يجوز فى ما ناب عنه من ظرف أو مجرور وقد نص سيبويه على اجازة ذلك فى نحو مررت برجل حسن وجهه فأجاز حسن وجهه على رفع حسن على أنه خبر مقدم وهكذا تلتقنا هذه المسئلة عن الشيوخ وقد يتوهم بعض النشأة فى النحوان اسم الفاعل اذا اعتمد على شئ مما ذكرناه يتحتم اعماله فى الظاهر وليس كذلك وقد أعرب الحوفى عنده علم الكتاب مبتدأ وخبر فى صلة من وقال أبو البقاء ويجوز أن يكون خبرا يعنى عنده والمبتدأ علم الكتاب انتهى

﴿سورة ابرهيم عليه السلام﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ﴿الر﴾ كتاب ازلنا اليك ﴿الآية هذه السورة مكية﴾ كلها في قول الجمهور وعن ابن عباس وقتادة هي مكية الا من قوله ألم تر الى الذين (٤٠٢) بدلوا الى النار وارتباط هذه السورة بالتى قبلها

على الاسم ومن في قراءة الجمهور في موضع خفض عطفا على لفظ الله أو في موضع رفع عطفا على موضع الله اذ هو في مذهب من جعل الباء زائدة فاعل بكفي * وقال ابن عطية ويحتمل أن يكون في موضع رفع بالابتداء والخبر محذوف تقديره أعدل وأمضى قولاً ونحو هذا مما يدل عليه لفظة شهيدا ويراد بذلك الله تعالى * وقرئ * ومن يدخول الباء على من عطفا على الله * وقرأ على وأبي وابن عباس وعكرمة وابن جبير وعبد الرحمن بن أبي بكر والضحاك وسالم بن عبد الله بن عمرو بن أبي اسحق ومجاهد والحكم والأعمش ومن عنده علم الكتاب يجعل من حرف جر وجر ما بعده به وارتفاع علم بالابتداء والجار والمجرور في موضع الجر * وقرأ على أيضا وابن السميعة والحسن بخلاف عنه ومن عنده يجعل من حرف جر علم الكتاب يجعل علم فعلا مبنيا للمفعول والكتاب رفع به وقرئ * ومن عنده بحرف جر علم الكتاب مشددا مبنيا للمفعول والضمير في عنده في هذا القراءة آت الثلاث عائدا على الله تعالى * وقال الزحشرى في القراءة التي وقع فيها عنده صلة يرتفع العلم بالمقدر في الظرف فيكون فاعلا لان الظرف اذا وقع صلة أو غل في شبه الفعل لا عتاده على الموصول فعمل على الفعل كقولك مررت بالذي في الدار أخوه فإخوه فاعل كما تقول بالذي استقر في الدار أخوه انتهى وهذا الذي قاله الزحشرى ليس على وجه التحتم لان الظرف والجار والمجرور اذا وقعاصلتين أو حالين أو خبرين اما في الاصل واما في النسخ أو تقدمهما أداة نفي أو استفهام جاز فيما بعدهما من الاسم الظاهر أن يرتفع على الفاعل وهو الوجود جاز أن يكون ذلك المرفوع مبتدأ والظرف أو الجار والمجرور في موضع رفع خبره والجملة من المبتدأ والخبر صلة أو صفة أو حال أو خبر وهذا مبني على اسم الفاعل فكما جاز ذلك في اسم الفاعل وان كان الاحسن اعماله في الاسم الظاهر فكذلك يجوز في ماناب عنه من ظرف أو مجرور وقد نص سيبويه على اجازة ذلك في نحو مررت برجل حسن وجهه فأجاز حسن وجهه على رفع حسن على انه خبر مقدم وهكذا تلقفناها هذه المسألة عن الشيوخ وقد يتوهم بعض النشأة في النحو أن اسم الفاعل اذا اعتمد على شيء مما ذكرناه يتحتم اعماله في الظاهر وليس كذلك وقد أعرب الحوفي عنده علم الكتاب مبتدأ وخبر في صلة من * وقال أبو البقاء ويجوز أن يكون خبرا يعني عنده والمبتدأ علم الكتاب انتهى ومن قرأ ومن عنده على أنه حرف جر فالكتاب في قراءته هو القرآن والمعنى أنه تعالى من جهة فضله واحسانه علم الكتاب أو علم الكتاب على القراءتين أي عامت معانيه وكونه أعظم المعجزات الباقى على مر الاعصار فتشريف العبد بعلوم القرآن انما ذلك من احسان الله تعالى اليه وتوفيقه على كونه معجزا وتوفيقه لادراك ذلك

﴿ سورة ابراهيم عليه السلام ﴾

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

الكتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد
الله الذي له ما في السموات وما في الأرض وويل للكافرين من عذاب شديد * الذين يستحبون

واضح جدا لانه ذكر فيها
ولو أن قرآننا ثم قال وكذلك
أنزلناه حكما عربيا ومن
عنده علم الكتاب فناسب
هذا قوله الر كتاب أنزلناه
إليك وأيضا فاتهم لما قالوا
على سبيل الاقتراح لولا أنزل
عليه آية من ربه وقيل له
إن الله يضل من يشاء
ويهدي إليه من أناب أنزل
الكتاب أنزلناه إليك
كأنه قيل أولم يكفهم من
الآيات كتاب أنزلناه إليك
لتخرج الناس من
الظلمات وهي الضلال
إلى النور وهو الهدى
كتاب خبر مبتدأ محذوف
تقديره هذا كتاب أنزلناه
جملة في موضع الصفة
لتخرج متعلق بأنزلناه وهي
لام العلة من الظلمات متعلق
بتخرج إلى النور متعلق
بتخرج أيضا إلى صراط
العزير الحميد بدل من
قوله إلى النور وأعيد معه
حرف الجر وهو إلى كما
تقول مررت بزيد بأخيك
وقرى الله بالجر على البدل
أو عطف بيمان وقرى
بالرفع على أنه مبتدأ أو خبر
مبتدأ أي هو الله وويل
مبتدأ خبره للكافرين

ومن عذاب في موضع الصفة لويل ولا يضر الفصل بالخبر بين الصفة والموصوف ولا يجوز أن يكون متعلقا بويل لانه مصدر ولا يجوز الفصل بين المصدر وما يتعلق به بالخبر ويظهر من كلام الزمخشري أنه ليس في موضع الصفة قال * فان قلت ما وجه اتصال قوله

من عذاب شديد بالويل قلت لان المعنى أنهم يولولون من عذاب شديد ويضجون منه ويقولون يا ويلاه لقوله تعالى دعوا هالك
ثبورا انتهى فظاهره يدل على تقدير عامل يتعلق به من عذاب شديد ويحتمل هذا العذاب أن يكون واقعهم في الدنيا أو واقعهم
في الآخرة والاستحباب الاشارة والاختيار (٤٠٣) وهو استعمال من المحبة لان المؤثر للشيء على غيره كأنه يطلب

من نفسه أن يكون أحب
اليها وأفضل عندها من
الآخر ويجوز أن يكون
استعمل بمعنى افعل كاستجاب
وأجاب والماضي معنى
الاشارة على بعلى وجوزوا
في اعراب الذين أن يكون
مبتدأ خبره أولئك في ضلال
بعيد وأن يكون مقطوعا
على الهمزة اخبر مبتدأ
مخدوف أي هم الذين واما
منصوبا باضمار فعل
تقديره أذم وأن يكون
صفة للكافرين ونص
على هذا الوجه الأخير
الخوف والزخشي وأبو
البقاء وهو لا يجوز لان
فيه الفصل بين الصفة
والموصوف بأجنبي منهما
وهو قوله من عذاب شديد
سواء أكان من عذاب
شديد في موضع الصفة
لويل أم متعلقا بفعل
مخدوف أي يضجون
ويولولون من عذاب شديد
وتقدم الكلام على ويغونها
عوجا في آل عمران وعلى
وصف الضلال بالبعد

(الدر)

سورة ابراهيم عليه السلام

الحياة الدنيا على الآخرة ويصدون عن سبيل الله ويغونها عوجا أولئك في ضلال بعيد * هذه
السورة مكية كلها في قول الجمهور وعن ابن عباس وقتادة هي مكية الامن قوله ألم تر الى الذين
بدلوا نعمة الله كفرا الآية الى قوله الى النار وارتباط أول هذه السورة بالسورة قبلها واضح جدا
لانه ذكر فيها ولولوا قرآنهم وكذلك أنزلناه حكما عريضا ثم ومن عنده علم الكتاب فناسب هذا قوله
الكتاب أنزلناه اليك وأيضا فانهم لما قالوا على سبيل الاقتراح لولا أنزل عليه آية من ربه * وقيل له
قل ان الله يضل الله من يشاء ويهدي اليه من أناب أنزل الر كتاب أنزلناه اليك كأنه قيل أولم
يكفهم من الآيات كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور وهو الهدى
وجوزوا في اعراب الر أن يكون في موضع رفع بالابتداء وكتاب الخبر أو في موضع رفع على خبر
مبتدأ مخدوف تقديره هذه الر وفي موضع نصب على تقدير الزم أو اقرأ الر وكتاب أنزلناه اليك
جملة مفسرة في هذين الاعرابين وكتاب مبتدأ وسوغ الابتداء به كونه موصوفا في التقدير أي
كتاب أي عظيم أنزلناه اليك وجوزوا أن يكون كتاب خبر مبتدأ مخدوف تقديره هذا كتاب
وأنزلناه جملة في موضع الصفة وفي قوله أنزلناه واسناد الانزال الى نون العظمة ومخاطبته تعالى
بقوله اليك واسناد الاخراج اليه عليه الصلاة والسلام تنويه عظيم وتشريف له صلى الله عليه وسلم
من حيث المشاركة في تحصيل الهداية بانزاله تعالى وباخراجه عليه الصلاة والسلام اذ هو الداعي
والمنذر وان كان في الحقيقة مخترع الهداية هو الله تعالى والناس عام اذ هو مبعوث الى الخلق كلهم
والظلمات والنور مستعاران للكفر والايان ولما ذكر علة انزال الكتاب وهي قوله لتخرج
قال باذن ربهم أي ذلك الاخراج بتسهيل ما لكم الناظر في مصالحهم اذ هم عبيده فناسب ذكر
الرب هنا تنبيها على منة المالك وكونه ناظرا في حال عبيده واذن ظاهره التعلق بقوله لتخرج
وجوزوا البقاء أن يكون باذن ربهم في موضع الحال قال أي اذونالك * وقال الزخشي باذن
ربهم بتسهيله وتيسيره مستعار من الاذن الذي هو تسهيل الحجاب وذلك ما منحهم من اللطف
والتوفيق انتهى وفيه دسيسة الاعتزال والظاهر أن قوله الى صراط يدل من قوله الى النور ولا يضر
هذا الفصل بين المبدل منه والمبدل لان باذن معمول للعامل في المبدل منه وهو لتخرج وأجاز
الزخشي أن يكون الى صراط على وجه الاستئناف كأنه قيل الى أي نور ففيل الى صراط
العزيز الحميد وقرئ ليخرج مضارع خرج بالياء بنقطتين من تحتها والناس رفع به ولما كان قوله
الى النور فيه ايهام ما أوضحه بقوله الى صراط ولما تقدم شيان أحدهما اسناد انزال هذا الكتاب
اليه والثاني اخراج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم ناسب ذكر هاتين الصفتين صفة العزة
المتضمنة للقدرة والغلبة وذلك من حيث انزال الكتاب وصفة الحمد المتضمنة لاستحقاقه الحمد من
حيث الاخراج من الظلمات الى النور اذ الهداية الى الايمان هي النعمة التي يجب على العبد الحمد
عليها والشكر وتقدمت صفة العزيز لتقدم ما دل عليها وتليها صفة الحميد لتلوم ما دل عليها * وقرأ نافع

بسم الله الرحمن الرحيم * (ح) قرآن نافع وابن عامر الله بالرفع ففيل مبتدأ خبره الذي وقيل خبر مبتدأ مخدوف أي هو الله وهذا
الاعراب أمكن لظهور تعلقه بما قبله وتعلقه على التقدير الأول وقرأ باقي السبعة والاصح عن نافع الله يشار على الديل في قول (ع)
والخوف وأبى البقاء وعلى عطف البيان في قول (ش) قال لانه حري مجرى الاء الاعلام لعلمته واختصاصه بالمعورد الذي يحق له

وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه الآية سبب نزولها (٤٠٤) ان قریشا قالوا ما بال الكتب كلها أعجمية وهذا عري فنزلت

والظاهر أن قوله وما أرسلنا من رسول العموم فيندرج

(الدر)

العبادة كما غلب النجم على الثريا انتهى وهذا التعليل لا يتم الا على تقدير أن يكون أصله الا لا ثم نقلت الحركة الى لام التعريف وحذفت الهمزة والتزم فيه النقل والحذف ومادته اذ ذاك الهمزة واللام والهاء وقد تقدمت الاقوال في هذا اللفظ في البسملة في أول الجهد وقال الاستاذ أبو الحسن بن عصفور لا تقدم صفة على موصوف الا حيث سمع وذلك قليل وللعرب فيما وجده من ذلك وجهان أحدهما أن تقدم الصفة وتبقى بها على ما كانت عليه وفي اعراب مثل هذا وجهان أحدهما اعرابه نعتماد ما والثاني أن يجعل ما بعد الصفة بدلا والوجه الثاني أن تضيف الصفة الى الموصوف اذا قدمتها انتهى فعلى ما ذكره ابن عصفور يجوز أن يكون العزيز الجيد يعربان صفتين متقدمتين ويعرب لفظ الله موصوفا متأخرا ومما جاء فيه تقديمه ما لو تأخر لكان صفة وتأخيرها لو تقدم لكان موصوفا قول الشاعر

وابن عامر الله بالرفع فليل مبتدأ محذوف أي هو الله وهذا الاعراب أمكن لظهور تعلقه بما قبله وتقلته على التقدير الاول * وقرأ باقي السبعة والاصمعي عن نافع الله بالجر على البدل في قول ابن غنطية والحوفي وأبي البقاء وعلى عطف البيان في قول الزمخشري قال لانه جرى مجرى الاسماء الاعلام لغلبة واختصاصه بالمعبود الذي يحقق له العبادة كما غلب النجم على الثريا انتهى وهذا التعليل لا يتم الا على تقدير أن يكون أصله الا لا ثم نقلت الحركة الى لام التعريف وحذفت الهمزة والتزم فيه النقل والحذف ومادته اذ ذاك الهمزة واللام والهاء وقد تقدمت الاقوال في هذا اللفظ في البسملة أول الجهد * وقال الاستاذ أبو الحسن بن عصفور لا تقدم صفة على موصوف الا حيث سمع وذلك قليل وللعرب فيما وجده من ذلك وجهان أحدهما ان تقدم الصفة وتبقى بها على ما كانت عليه وفي اعراب مثل هذا وجهان أحدهما اعرابه نعتماد ما والثاني أن يجعل ما بعد الصفة بدلا والوجه الثاني أن تضيف الصفة الى الموصوف اذا قدمتها انتهى فعلى هذا الذي ذكره ابن عصفور يجوز أن يكون العزيز الجيد يعربان صفتين متقدمتين ويعرب لفظ الله موصوفا متأخرا ومما جاء فيه تقديمه ما لو تأخر لكان صفة وتأخيرها لو تقدم لكان موصوفا قول الشاعر

والمؤمن العائذات الطير يسبحها * ركبان مكة بين الغيل والسعد

فلو جاء على الكثير لكان التركيب والمؤمن الطير العائذات وارفع ويل على الابتداء والكافرين خبره لما تقدم ذكر الظلمات دعا بالهلكة على من لم يخرج منها ومن عذاب شديد في موضع الصفة لو يل ولا يضر الفصل بالخبر بين الصفة والموصوف ولا يجوز أن يكون متعلقا بويل لانه مصدر ولا يجوز الفصل بين المصدر وما يتعلق به بالخبر ويظهر من كلام الزمخشري أنه ليس في موضع الصفة قال (فان قلت) ما وجه اتصال قوله من عذاب شديد بالويل (قلت) لان المعنى أنهم يولولون من عذاب شديد ويضجون منه ويقولون يا ويله كقوله دعوا ههنا لثبورا انتهى وظاهره يدل على تقدير عامل يتعلق به من عذاب شديد ويحتمل هذا العذاب أن يكون واقعا بهم في الآخرة والاستحباب الاشارة والاختيار وهو استعمال من المحبة لان المؤثر للشيء على غيره كأنه يطلب من نفسه يكون أحب اليها وأفضل عندها من الآخر ويجوز أن يكون استفعال بمعنى أفعل كاستحباب وأجاب وما ضمن معنى الاشارة عدي بعلى وجوزوا في اعراب الذين أن يكون مبتدأ خبره أو لئلا في ضلال بعيد وأن يكون معطوفا على الذم إما خبر مبتدأ محذوف أي هم الذين وإما منصوب بابضار فعل تقديره أذم وأن يكون بدلا وأن يكون صفة للكافرين ونص على هذا الوجه الاخير الحوفي والزمخشري وأبو البقاء وهو لا يجوز لان فيه الفصل بين الصفة والموصوف بأجنبي منهما وهو قوله من عذاب شديد سواء كان من عذاب شديد في موضع الصفة لو يل أم متعلقا بفعل محذوف أي يضجون ويولولون من عذاب شديد ونظيره اذا كان صفة أن تقول الدار لزيد الحسنة القرشي فهذا التركيب لا يجوز لانك فصلت بين زيد وصفته بأجنبي منهما وهو صفة الدار والتركيب الفصيح أن تقول الدار الحسنة لزيد القرشي أو الدار لزيد القرشي الحسنة * وقرأ الحسن ويصدون مضارع أصدا داخل عليه همزة النقل من صدا لازم صدودا وتقدم الكلام على قوله تعالى ويغونها عوجا في آل عمران وعلى وصف الضلال بالبعد قوله عز وجل * وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه فيضلل الله من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم *

والمؤمن العائذات الطير يسبحها * ركبان مكة بين الغيل والسعد فلو جاء على الكثير لكان التركيب والمؤمن الطير العائذات

ولقد أرسلنا موسى بآياتنا أن أخرج قومك من الظلمات إلى النور وذكروهم بأيام الله أن في ذلك
 آيات لكل صبار شكور * سبب نزولها أن قريشاً قالوا ما بال الكتب كلها أعجمية وهذا عربي
 فنزلت وساق قصة موسى أنه تعالى أرسله إلى قومه بلسانه أن أخرج قومك من الظلمات إلى النور
 كما أرسلك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور والظاهر أن قوله وما أرسلنا من رسول العموم
 فيندرج فيه الرسول عليه الصلاة والسلام فإن كانت الدعوة عامة للناس كلهم أو اندرج في اتباع
 ذلك الرسول من ليس من قومه كان من لم تكن لغته ذلك النبي موقوفاً على تعلم تلك اللغة حتى
 يفهمها وإن يرجع في تفسيرها إلى من يعاها * وقيل في الكلام حذف تقديره وما أرسلنا من
 رسول قبلك إلا بلسان قومه وأنت أرسلناك للناس كافة بلسان قومك وقومك يترجمون لغتهم
 بألسنتهم ومعنى بلسان قومه بلغة قومه * وقرأ أبو السهال وأبو الجوزاء وأبو عمران الجوني بلسن
 باسكان السين قالوا هو كالريش والرياش * وقال صاحب اللوامح واللسن خاص باللغة واللسان قد
 يقع على العضو وعلى الكلام * وقال ابن عطية مثل ذلك قال اللسان في هذه الآية يراد به اللغة ويقال
 لسن ولسان في اللغة فأما العضو فلا يقال فيه لسن * وقرأ أبو رجاء وأبو المتوكل والجحدري
 لسن بضم اللام والسين وهو جمع لسان كعماد وعمد وقرئ أيضاً بضم اللام وسكون السين مخفف
 كرسل ورسل والضمير في قومه عائد على رسول أي قوم ذلك الرسول * وقال الضحاك والضمير
 في قومه عائد على محمد صلى الله عليه وسلم قال والكتب كلها نزلت بالعربية ثم أداها كل نبي بلغة
 قومه * قال الزمخشري وليس بصحيح لأن قوله ليبين لهم ضمير القوم وهم العرب فيؤدي إلى أن
 الله أنزل التوراة من السماء بالعربية ليسين للعرب وهذا معنى فاسد انتهى * وقال الكلبي جميع
 الكتب تأدت إلى جبريل بالعربية وأمره تعالى أن يأتي رسول كل قوم بلغتهم * وأورد الزمخشري
 هنا سؤالاً وابن عطية أخرهما في كتابيهما ويقول قامت الحجة على البشر بأدعان الفصحاء الذين
 يظن بهم القدرة على المعارضة وأقرارهم بالعجز كما قامت بأدعان السحرة لموسى والاطباء لعيسى
 عليهما السلام وبين تعالى العلة في كون من أرسل من الرسل بلغة قومه وهي التبيين لهم ثم ذكر أنه
 تعالى يضل من يشاء اضلاله ويهدي من يشاء هدايته فليس على ذلك الرسول غير التبليغ والتبيين
 ولم يكف أن يهدي بل ذلك بيد الله على ما سبق به قضاؤه وهو العزيز الذي لا يغالب الحكيم الواضع
 الأشياء على ما اقتضته حكمته وإرادته * وقال الزمخشري والمراد بالاضلال التخمية ومنع اللطاف
 وبالهداية التوفيق واللفظ وكان ذلك كناية عن الكفر والإيمان وهو العزيز فلا يغلب على مشيئته
 الحكيم فلا يخذل إلا أهل الخذلان ولا يلفظ إلا بأهل اللطف انتهى وهو على طريقة الاعتزال
 والجمهور على تفسير قوله بآياتنا أنها تسع الآيات التي أجزاها الله على يد موسى عليه السلام * وقيل
 يجوز أن يراد بها آيات التوراة والتقدير كما أرسلنا لينا محمد بالقرآن بلسان عربي وهو آياتنا كذلك
 أرسلنا موسى بالتوراة بلسان قومه وإن أخرج بمحتمل أن تكون تفسيرية وإن تكون
 مصدرية ويضعف زعم من زعم أنها زائدة وفي قوله قومك خصوص لرسالته إلى قومه بخلاف
 لتخرج الناس والظاهر أن قومه هم بنو إسرائيل * وقيل القبط فإن كانوا القبط فالظلمات هنا
 الكفر والنور الإيمان وإن كانوا بنو إسرائيل وقلنا أنهم كلهم كانوا مؤمنين فالظلمات ذل العبودية
 والنور العزة بالدين وظهور أمر الله وإن كانوا أشياء عامتهم فبين في الدين قوم مع القبط في عبادة
 فرعون وقوم على غير سبيل فالظلمات الكفر والنور الإيمان * قيل وكان موسى مبعوثاً إلى القبط

فيه الرسول عليه السلام
 فإن كانت الدعوة عامة
 للناس كلهم أو اندرج
 في اتباع ذلك الرسول
 من ليس من قومه كان
 من لم تكن لغته ذلك
 الرسول موقوفاً على
 تعلم تلك اللغة حتى
 يفهمها
 أو يرجع في تفسيرها إلى
 من يعاها * (وإن أخرج)
 بمحتمل أن تكون أن مفسرة
 بمعنى أي وأن تكون مصدرية
 وفي قوله قومك خصوص
 لرسالته إلى قومه بخلاف
 قوله لتخرج الناس
 والظاهر أن قومه هم بنو
 إسرائيل * (وذكروهم)
 معطوف على قوله أخرج
 قومك والاشارة بقوله أن
 في ذلك إلى التذكير بأيام الله
 وصبار وشكور صفتا
 مبالغة وهما مشعرتان
 بأن أيام الله المراد بها بلاؤه
 ونعمائه أي صبار على بلائه
 شكور لنعمائه

﴿واذ قال موسى لقومه﴾ الآية لما تقدم أمره تعالى لموسى عليه السلام بالتدكير بأيام الله ذكرهم بما أنعم عليهم من نجاتهم من آل فرعون وفي ضمنها تعداد شيء مما جرى عليهم من نقمات الله وتقدم اعراب إذ في نحو هذا التركيب في قوله تعالى واذا ذكر وانعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء وتقدم تفسير نظير هذه الآية إلا أن هنا (٤٠٦) ويذبحون بالواو وفي البقرة بغير واو وفي الاعراف يقتلون

فحيث لم يوث بالواو جعل الفعل تفسيرا لقوله يسومونكم وحيث أتى به اذ على المغيرة وأن سوء العذاب كان بالندبج وبغيره وحيث جاء يقتلون جاء باللفظ المطلق المحتمل للندبج ولغيره من أنواع القتل وتقدم شرح تأذن وتلقيه بالقسم في قوله في الاعراف واذا تأذن ربك ليعثن عليهم واحتمل إذ أن يكون منصوبا بذكره وأن يكون معطوفا على اذ أنجأكم لان هذا الاعلام بالزيادة على الشكر من نعمه تعالى والظاهر أن متعلق الشكر هو الانعام أي لأن شكرتم انعمي لأزيدنكم ولئن كفرتم أي نعمتي فلم تشكروها رتب العذاب الشديد على كفر نعمته تعالى ولم يبين محل الزيادة فاحتمل أن يكون في الدنيا أو في الآخرة أو فيهما وجاء التركيب على ما عهد في القرآن من أنه اذا ذكر الخير أسند اليه تعالى واذا ذكر العذاب بعده عدل عن نسبه اليه فقال لأزيدنكم ونسب

وبني اسرائيل * وقيل الى القبط بالاعتراف بوحداية الله وان لا يشرك به والايمان بموسى وانه نبي من عند الله والى بني اسرائيل بالتكليف وبفروع شريعته إذ كانوا مؤمنين ويحفلون بذكرهم أن يكون أمرهم مستأنفا وان يكون معطوفا على ان أخرج فيكون في حيزان * وأيام الله قال ابن عباس ومجاهد وقتادة نعم الله عليهم ورواه أبي مرفوعا * ومنه قول الشاعر
وأيام لنا غرّ طوال * عصينا الملك فيها ان ندينا

* وعن ابن عباس أيضا ومقاتل وابن زيد وقائعه ونقماته في الأمم الماضية ويقال فلان عالم بأيام العرب أي وقائعهما وحر وبهاوملاحتها كيوم ذي قار ويوم الفجار ويوم فضة وغيرها وروى نحوه عن مالك قال بلاؤه وقال الشاعر * وأيامنا مشهورة في عدونا * أي وقائعهما وعن ابن عباس أيضا نعمائه وبلاؤه واختاره الطبري فنعمائه بتطائله عليهم الغمام وانزال المن والساوى وفلق البحر وبلاؤه باستعباد فرعون لهم وتذبيح أبناءهم واهلاك القرون قبلهم وفي حديث أبي في قصة موسى والخضر عليهما السلام بينهما موسى عليه السلام في قوميه ذكرهم بأيام الله وأيام الله بلاؤه ونعمائه واختار الطبري هذا القول الآخر ولفظة الأيام نعم المعنيين لأن التدكير يقع بالوجهين جميعا وفي هذه اللفظة تعظيم الكواثر المذكور بها وعبر عنها بالظرف الذي وقعت فيه وكثيرا ما يقع الاسناد الى الظرف وفي الحقيقة الاسناد لغيرها كقوله بل مكر الليل والنهار ومن ذلك قولهم يوم عبوس ويوم عصب ويوم بسام والحقيقة وصف ما وقع فيه من شدة أوسر ورواها في قوله ان في ذلك الى التدكير بأيام الله وصبار شكور صفتا بالغة وهما مشعرتان بأن أيام الله المراد بهما بلاؤه ونعمائه أي صبار على بلائه شكور لنعمائه فاذا سمع بما أنزل الله من البلاء على الأمم أو بما أفاض عليهم من النعم تنبه على ما يجب عليه من الصبر اذا أصابه بلاء ومن الشكر اذا أصابته نعماء وخص الصبار والشكور لأنهما هما اللذان ينتفعان بالتدكير والتنبيه ويتعظان به * وقيل أراد لكل مؤمن ناظر لنفسه لأن الصبر والشكر من سجايا أهل الايمان * ﴿واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمته الله عليكم اذ أنجأكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب ويذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم﴾ واذا تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد * وقال موسى ان تكفروا أنتم ومن في الارض جميعا فان الله لعنني حميد * لما تقدم أمره تعالى لموسى بالتدكير بأيام الله ذكرهم بما أنعم تعالى عليهم من نجاتهم من آل فرعون وفي ضمنها تعداد شيء مما جرى عليهم من نقمات الله وتقدم اعراب إذ في نحو هذا التركيب في قوله واذا ذكر وانعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء وتقدم تفسير نظير هذه الآية إلا أن هنا ويذبحون بالواو وفي البقرة بغير واو وفي الاعراف يقتلون فحيث لم يوث بالواو جعل الفعل تفسيرا لقوله يسومونكم وحيث أتى به اذ على المغيرة وان سوم سوء العذاب كان بالندبج وبغيره وحيث جاء يقتلون جاء باللفظ المطلق المحتمل للندبج

الزيادة اليه تعالى وقال ان عذابي لشديد ولم يأت التركيب لا عذب بنكم وصرح في لأزيدنكم بالمفعول وهما لم يذكروا ان كان المعنى أي ان عذابي لكم لشديد وجواب ان تكفروا واخذوف للدلالة المعنى عليه التقدير فاما صرر كفركم لاحق بكم والله تعالى متصف بالرحمة والمساواة كفر وأم شكر واو في خطابه لهم تخفيف لشأنهم وتعظيم لله تعالى وكذلك في ذكرها بين الصفتين

﴿ ألم يأتكم نبي الذين من قبلكم ﴾ الآية الظاهر أن هذا خطاب من موسى عليه لقومه وقيل ابتداء خطاب من الله لهذه الأمة وخبر قوم نوح وعاد وثمود قد قصه الله في كتابه وتقدم في الاعراف وهو دواهمزة في ألم للتقرير والتوبيخ والظاهر أن والذين في موضع خفض عطف على ما قبله ما على قوم نوح وعاد وثمود قال الزمخشري والجملة من قوله لا يعلمهم إلا الله اعتراض والمعنى أنهم في الكثرة بحيث لا يعلم عددهم إلا الله انتهى وليست جملة اعتراض لان جملة الاعتراض تكون بين جزئين يطلب أحدهما الآخر وقال أبو البقاء تكون هذه الجملة حالا من الضمير في من بعدهم فان عنى من الضمير المجرور في من بعدهم فلا يجوز لأنه حال مما جر بالإضافة وليس له محل اعراب من رفع أو نصب (٤٠٧) وان عنى من الضمير المستقر في الجار والمجرور والنائب عن

العامل أمكن وقال أبو البقاء أيضا ويجوز أن يكون مستأنفا وكذلك جاءتهم وأجاز الزمخشري وتبعه أبو البقاء أن يكون والذين مبتدأ وخبره لا يعلمهم إلا الله وقال الزمخشري والجملة من المبتدأ والخبر وقعت اعتراضا انتهى وليست باعتراض لأنها لم تقع بين جزئين يطلب أحدهما الآخر والضمير في جاءهم عائدا على الذين من قبلكم والجملة تفسيرية للنبي والظاهر أن الأيدي هي الجوارح وأن الضمير في أيديهم وفي أفواههم عائدا على الذين جاءتهم الرسل وقالوا انا كفرنا بادرنا أولا إلى الكفر وهو التكذيب المحض ثم أخبروا أنهم في شك

ولغيره من أنواع القتل * وقرأ ابن محيصن ويذبحون مضارع ذبح ثلاثيا * وقرأ زيد بن علي كذلك إلا أنه حذف الواو وتقدم شرح تأذين وتلقيه بالقسم في قوله في الاعراف وإذ تأذين ربك لبيعته واحتمل إذ أن يكون منصوبا بذكروا وان يكون معطوفا على إذ أنجباكم لأن هذا الاعلام بالزيد على الشكر من نعمه تعالى والظاهر أن متعلق الشكر هو الانعام أي لئن شكرتم انعمي وقاله الحسن والربيع * قال الحسن لأزيدنكم من طاعتي * وقال الربيع لأزيدنكم من فضلي * وقال ابن عباس أي لئن وحدتم وأطعتم لأزيدنكم في الثواب وكأنه راعى ظاهر المقابلة في قوله ولئن كفرتم ان عذابي لشديد وظاهر الكفر المراد به الشرك فذلك فسر الشكر بالتوحيد والطاعة وغيره قال ولئن كفرتم أي نعمتي فلم تشكروا وهارتب العذاب الشديد على كفران نعمة الله تعالى ولم يبين محل الزيادة فاحتمل أن يكون في الدنيا أو في الآخرة أو فيهما وجاء التركيب على ما عهد في القرآن من أنه إذا ذكر أخبر أسند إليه تعالى وإذا ذكر العذاب بعده عدل عن نسبته إليه فقال لأزيدنكم فنسب الزيادة إليه وقال ان عذابي لشديد ولم يأت التركيب لأعذبنكم وخرج في لأزيدنكم بالفعل وهنالم يذكر وان كان المعنى عليه أي ان عذابي لكم لشديد * وقرأ عبد الله وإذا قال ربكم كأنه فسر قوله تأذين لأنه بمعنى أذن أي أعلم وأعلم يكون بالقول ثم نبه موسى عليه السلام وقومه على ان الباري تعالى وان أوعد بالعذاب الشديد على الكفر فهو غير مقتدر الى شكركم لأنه تعالى هو الغني عن شكركم الحميد المستوجب الحمد على ما أسبغ من نعمه وان لم يحمدوه الحامدون فشرة شكركم انما هي عائدة اليكم وأنتم خطاب لقومه وقال ومن في الأرض يعني الناس كلهم لان من كان في العالم العلوي وهم الملائكة لا يدخلون في من في الأرض وجواب ان تكفروا محذوف لدلالة المعنى التقدير فأنما ضرر كفركم لاحق بكم والله تعالى متصف بالغنى المطلق والحمد سواء كفروا أم شكروا وفي خطابه لهم تحقير لشأنهم وتعظيم لله تعالى وكذلك في ذكركهاتين الصفتين ﴿ ألم يأتكم نبي الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا أيديهم في أفواههم وقالوا إنا كفرنا بما أرسلتم به وإننا لنفكركم عما تدعوننا إليه مريب ﴾ قالت رسلهم أي الله شك فاطر السموات والأرض يدعوكم ليغفر لكم

وهو التردد كأنهم نظروا بعض نظر اقتضى أن انتقلوا من التكذيب المحض الى التردد أو هما قولان من طائفتين طائفة بادرت بالتكذيب والكفر وطائفة شكت والشك في مثل ما جاءت به الرسل عليهم السلام كفر ومريب صفة توكيدية ودخلت همزة الاستفهام الذي معناه الانكار على الظرف على الجار الذي هو خبر على المبتدأ لان الكلام ليس في الشك انما هو في المشكوك فيه وانما لا يحتمل الشك لظهور الأدلة وشهادتها عليه وقدر مضاف ف قيل أي الاهيته أو في وحدانيته ثم نبههم على الوصف الذي يقتضى أن لا يقع فيه شك البتة وهو كونه منشي العالم وموجده فقال ﴿ فاطر السموات والأرض ﴾ و فاطر صفة لله ولا يجوز الفصل بين الموصوف وصفته بمثل هذا المبتدأ فيجوز أن تقول في الدار زيد الحسنة وان كان أصل التركيب في الدار الحسنة زيد ولما ذكر تعالى أنه موجد العالم ونبه على الوصف الذي لا يناسب أن يكون معه فيه شك ذكر ما هو عليه من اللطف بهم والاحسان اليهم فقال ﴿ يدعوكم ليغفر لكم ﴾ أي يدعوكم الى الإيمان كما قال اذ تدعون الى الإيمان أو يدعوكم لأجل

المغفرة تحود عونه لينصرني وتقدم الكلام في طرف من (٤٠٨) هذا في الاعراف في قوله ولكل أمة أجل وقيل هنا

﴿ويؤخركم الى أجل مسمى﴾ قبل الموت ولا يعاجلكم بالعذاب ومعنى مسمى أى قد سماه وبين مقداره ﴿ان أنتم﴾ أى ما أنتم ﴿الابشر مثلنا﴾ لافضل بيننا وبينكم ولا فضل لكم علينا فلم تخصون بالنبوة دوننا والظاهر أن طلبهم السلطان المبين وقد أتتهم الرسل بالبينات انما هو على سبيل التعتب والاقتراح والاغا أتوا به من الدلائل والآيات كفى لمن استبصر ولكنهم قلدوا آباءهم فيما كانوا عليه من الضلال ألا ترى أنهم لما ذكروا أنهم مماثلوهم قالوا ﴿تريدون أن تصدونا﴾ عما كان يعبد آباؤنا أى ليس مقصودكم الآن نكون لكم تبعا ونترك ما نشأنا عليه من دين آباؤنا

(الدر)

(ش) والجملة من قوله لا يعلمهم الا الله اعتراض والمعنى أنهم من الكثرة بحيث لا يعلم عددهم الا الله انتهى (ح) ليست جملة اعتراض لان جملة الاعتراض تكون بين جزئين يطلب أحدهما الآخر (ش) ويجوز أن يكون والذين مبتدأ وخبره

من ذنوبكم ويؤخركم الى أجل مسمى قالوا ان أنتم الابشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فأتونا بسلطان مبين ﴿الظاهر أن هذا من خطاب موسى لقومه﴾ وقيل ابتداء خطاب من الله لهذه الأمة وخبر قوم نوح وعاد وثمود قد قصه الله في كتابه وتقدم في الاعراف وهو دواهمزة في ألم للتقريب والتوبيخ والظاهر ان والذين في موضع خفض عطف على ما قبله اما على الذين واما على قوم نوح وعاد وثمود ﴿قال الزمخشري والجملة من قوله لا يعلمهم الا الله اعتراض والمعنى أنهم من الكثرة بحيث لا يعلم عددهم الا الله انتهى وليست جملة اعتراض لان جملة الاعتراض تكون بين جزئين يطلب أحدهما الآخر﴾ وقال أبو البقاء تكون هذه الجملة حالا من الضمير في من بعدهم فان عني من الضمير المجرور في بعدهم فلا يجوز لانه حال مماجر بالاضافة وليس له محل اعراب من رفع أو نصب وان عني من الضمير المستقر في الجار والمجرور النائب عن العامل أمكن ﴿وقال أبو البقاء أيضا ويجوز أن يكون مستأنفا وكذلك جاءتهم﴾ وأجاز الزمخشري وتبعه أبو البقاء أن يكون والذين مبتدأ وخبره لا يعلمهم الا الله ﴿وقال الزمخشري والجملة من المبتدأ والخبر وقعت اعتراضا انتهى وليست باعترض لانها لم تقع بين جزئين أحدهما يطلب الآخر والضمير في جاءتهم عائدا على الذين من قبلكم والجملة تفسيرية للنبأ والظاهر أن الأيدي هي الجوارح وان الضمير في أيديهم وفي أفواههم عائدا على الذين جاءتهم الرسل ﴿وقال ابن مسعود وابن زيد أى جعلوا أى أيدي أنفسهم في أفواه أنفسهم ليعضوها غيظا مما جاءت به الرسل﴾ وقال ابن زيد عضوا عليكم الأنامل من الغيظ والعرض بسبب مشهور من البشر وقال الشاعر

قد أفنى أنامله أزمة * وأضهى بعض على الوظيفة

﴿وقال آخر﴾

لو أن سامي أبصرت نخدي * ودقة في عظم سافي ويدي
وبعد أهلي وجفاء عودي * عضت من الوجد باطراف اليد

﴿وقال ابن عباس لما سمعوا كتاب الله عجبوا ورجعوا بأيديهم الى أفواههم﴾ وقال أبو صالح لما قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ارسول الله اليكم أشار وأبأصابعهم الى أفواههم أن اسكت تكذيبا له ورد القول واستبشا عا لما جاء به ﴿وقيل ردوا أيديهم في أفواههم ضحكا واستهزاء كن غلبه الضحك فوضع يده على فيه﴾ وقيل أشار وأبأصابعهم الى أفواههم من قولهم انا كفرنا بما أرسلتم به أى هذا جواب لكم ليس عندنا غيره اقناطاهم من التصديق ﴿وقيل الضميران عائدان على الرسل قاله مقاتل قال أخذوا أيدي الرسل ووضعوها على أفواه الرسل ليسكتوهم ويقطعوا كلامهم﴾ وقال الحسن وغيره جعلوا أيدي أنفسهم في أفواه الرسل رد القولهم وهذا أشنع في الرد وأذهب في الاستطالة على الرسل والنيل منهم فعلى هذا الضمير في أيديهم عائدا على الكفار وفي أفواههم عائدا على الرسل ﴿وقيل المراد بالأيدي هنا النعم جمع يد المراد بها النعمة أى ردوا نعم الأنبياء التي هي أجل النعم من مواعظهم ونصائحهم وما أوحى اليهم من الشرائع والآيات في أفواه الانبياء لانهم اذا كذبوها ولم يقبلوها فكأنهم ردوها في أفواههم ورجعوها الى حيث جاءت منه على طريق المثل﴾ وقيل الضمير في أفواههم على هذا القول عائدا على الكفار وفي معنى الباء أى بأفواههم والمعنى كذبوهم بأفواههم وفي معنى الباء يقال جلست في البيت وبالبيت

لا يعلمهم الا الله والجملة من من المبتدأ وقعت اعتراضا (ح) ليست باعترض لانها لم تقع بين جزئين يطلب أحدهما الآخر

* وقال الفراء قد وجدنا من العرب من يجعل في موضع الباء فتقول أدخلك الله الجنة وفي الجنة * وأنشد

وارغب فيها من لقيطور هطه * ولكنني عن شنبس لست أرغب

يريد أرغب بها * وقال أبو عبيدة هذا ضرب مثل أي لم يؤمنوا ولم يجيبوا والعرب تقول للرجل إذا سكت عن الجواب وأمسك رديده في فيه وقاله الاخفش أيضا * وقال القتيبي لم يسمع أحدا من العرب يقول رديده في فيه إذا ترك ما أمر به انتهى ومن سمع حجة على من لم يسمع هذا أبو عبيدة والاخفش نقل ذلك عن العرب فعلى ما قاله أبو عبيدة يكون ذلك من مجاز التمثيل كان المسك عن الجواب الساكت عنه وضع يده على فيه وقدر الطبري قول أبي عبيدة وقال انهم قد أجابوا بالكذب لانهم قالوا انا كفرنا بما أرسلتم به ولا يرد ما قاله الطبري لانه يريد أبو عبيدة انهم أمسكوا وسكتوا عن الجواب المرضي الذي يرضيه مجيء الرسل بالبينات وهو الاعتراف بالايان والتصديق للرسل * قال ابن عطية ويحتمل أن يتجاوز في لفظة الايدي أي انهم ردوا قوتهم ومدافعهم ومكافحتهم فيما قالوا بأفواههم من التكذيب فكان المعنى ردوا جميع مدافعهم في أفواههم أي في أفواههم وعبر عن جميع المدافعة بالايدي إذا لا يدي موضع أشد المدافعة والمرادة انتهى بأدروا أولا إلى الكفر وهو التكذيب المحض ثم أخبر وأبأنهم في شك وهو التردد كأنهم نظروا بعض نظر اقتضى أن انتقلوا من التكذيب المحض إلى التردد أو هما قولان من طائفتين طائفة بادرت بالتكذيب والكفر وطائفة شككت والشك في مثل ما جاءت به الرسل كفر * وقرأ طلحة مما تدعوننا بداد غام نون الرفع في الضمير كما تدغم في نون الوقاية في مثل أتخاجوني والمعنى مما تدعوننا إليه من الايمان بالله ومريم صفة توكيدية ودخلت همزة الاستفهام الذي معناه الانكار على الظرف الذي هو خبر عن المبتدأ لان الكلام ليس في الشك انما هو في المشكوك فيه وأنه لا يحتمل الشك لظهور الأدلة وشهادتهم عليه وقدر مضاف فقيل أفى الالهية الله * وقيل أفى وحدانيته ثم نههم على الوصف الذي يقتضى أن لا يقع فيه شك البتة وهو كونه منشيء العالم وموجد فاطر السموات والأرض و فاطر صفة لله ولا يضر الفصل بين الموصوف وصفته بمثل هذا المبتدأ فيجوز أن تقول في الدار زيد الحسنة وان كان أصل التركيب في الدار الحسنة زيد * وقرأ زيد بن علي فاطر نصبا على المدح ولما ذكر أنه موجد العالم ونبه على الوصف الذي لا يناسب أن يكون معه فيه شك ذكر ما هو عليه من اللطف بهم والاحسان اليهم فقال يدعوكم ليغفر لكم أي يدعوكم إلى الايمان كما قال ادعوني إلى الايمان أو يدعوكم لاجل المغفرة نحو دعوته لينصرتني * وقال الشاعر

دعوت لما نابني مسورا * فلي فلي يدي مسور

ومن ذنوبكم ذهب أبو عبيدة والاخفش إلى زيادة من أي ليغفر لكم ذنوبكم وجهور البصريين لا يجيز زيادتها في الواجب ولا إذا جرت المعرفة والتبعية يصح فيها إذا المغفور وهو ما بينهم وبين الله بخلاف ما بينهم وبين العباد من المظالم وبطريق آخر يصح التبعية وهو أن الاسلام يجب ما قبله ويبقى ما يستأنف بعد الايمان من الذنوب مسكوت عنه فهو في المشيئة والوعدا نما هو بغفران ما تقدم لا بغفران ما يستأنف * وقال الزمخشري ما معناه ان الاستقراء في الكافرين ان يأتي من ذنوبكم وفي المؤمنين ذنوبكم وكان ذلك للفرقة بين الخطابين ولان لا يسوي بين الفريقين انتهى ويقال ما فائدة الفرق في الخطاب والمعنى مشترك اذا الكافر اذا آمن والمؤمن اذا تاب مشترك في الغفران

(الدر)

(ش) الاستقراء في الكافرين أن يأتي من ذنوبكم وفي المؤمنين ذنوبكم وكانت ذلك للفرقة بين الخطابين ولان لا يسوي بين الفريقين (ح) ويقال ما فائدة الفرق في الخطاب والمعنى مشترك اذا الكافر اذا آمن والمؤمن اذا تاب مشترك في الغفران وما تخيلت فيه مغفرة بعض الذنوب في الكافر الذي آمن هو موجود في المؤمن الذي تاب وقال أبو عبد الله الرازي أما قول صاحب الكشف المراد تمييز خطاب المؤمن من خطاب الكافر فهو من باب الطامات لان هذا التبعية ان حصل فلا حاجة إلى هذا الجواب وان لم يحصل كان هذا الكلام فاسدا انتهى

وقالت لهم رسالهم ان نحن في الآيات سلموا لهم في أنهم مماثلوهم في البشرية وحدها وأما ما سوى ذلك من الاوصاف التي اختصوا بها فلم يكونوا مثلهم ولم يذكروا ما هم عليه من الوصف الذي تميزوا به تواضعاً منهم ونسبة ذلك الى الله تعالى ولم يصرحوا بمن الله عليهم وحدهم ولكن أبرزوا ذلك في عموم من يشاء من عباده والمعنى بمن بالنبوة على من يشاء تنبؤته ومعنى باذن الله بتسويغه واراذه أى الآية التي اقترحوها ليس لنا الايمان بها ولا هي في استطاعتنا ولذلك كان التركيب وما كان لنا وانما ذلك أمر متعلق بالمشيئة وفليمتوكل أمر منهم للمؤمنين بالتوكل وقصدوا به أنفسهم (٤١٠) قصدوا أوليا وأمر وعابه كأنهم قالوا ومن حقنا أن نتوكل على

الله في الصبر على معاندكم ومعاداتكم وما يجري علينا منكم ألا ترى الى قولهم وما لنا ألا نتوكل على الله ومعناه وأى عذر لنا في أن لا نتوكل على الله وقد هدانا فعل بنا ما يوجب توكلنا عليه وهو التوفيق لهداية كل واحدنا سبيله الذي يجب سلوكه في الدين والأمر الأول وهو قوله فليمتوكل المؤمنون لاستحداث التوكل والثاني للشبكات على ما استحدثوا من توكلهم * وانصبرن * جواب قسم ويدل على ما سبق ما يجب فيه الصبر وهو الأذى وما مصدرية وجوزوا أن يكون بمعنى الذي والضمير محذوف أى أى ما آذيتونا وكان أصله به فعل حذف به أو الباء فوصل الفعل الى الضمير قولان * لخرجنكم * أقسموا على أنه لا بد من اخراجهم أو عودهم في ملتهم كأنهم قالوا ليكون أحد هذين ولما أقسموا هم على اخراج الرسل أو العود في ملتهم أقسم تعالى على اهلاكم وأى اخراج أعظم من الاهلاك بحيث لا يكون لهم عودة اليه أبداً وعلى اسكان الرسل ومن آمن بهم وذرياتهم أرض أولئك المقسمين على اخراج الرسل والاشارة بذلك الى توريت الارض الانبياء ومن آمن بهم بعد اهلاك الظالمين كقوله تعالى والعاقبة للمتقين ومقام يحتمل المصدر أى قيامى عليه بالحفظ لأعماله ومراقبتي اياه كقوله تعالى أفن هو قائم على كل نفس بما كسبت والظاهر أن الضمير في واستفتحوا عائد على الانبياء أى استنصروا الله على أعدائهم كقوله تعالى إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح ويجوز أن

وما تخيلت فيه مغفرة بعض الذنوب في الكافر الذي آمن هو موجود في المؤمن الذي تاب * وقال أبو عبد الله الرازي أما قول صاحب الكشف المراد تمييز خطاب المؤمن من خطاب الكافر فهو من باب الطائعات لان هذا التبعض ان حصل فلا حاجة الى ذكر هذا الجواب وان لم يحصل كان هذا الكلام فاسداً وقال الى أجل مسمى الى وقت قد بيناه أو بينا مقدار ما آمنتم والا عاجلكم بالهلاك قبل ذلك الوقت انتهى وهذا بناء على القول بالاجلين وهو مذهب المعتزلة وتقدم الكلام في طرف من هذا في سورة الاعراف في قوله ولكل أمة أجل * وقيل هنا يؤخركم الى أجل مسمى قبل الموت فلا يعاجلكم بالعذاب ان أنتم الابشر مثلنا لا فضل بيننا وبينكم ولا فضل لكم علينا فلم تخصون بالنبوة دوننا * قال الزمخشري ولو أرسل الله الى البشر رسلا لجمعهم من جنس أفضل منهم وهم الملائكة انتهى وهذا على مذهب المعتزلة في تفضيل الملائكة على من سواهم * وقال ابن عطية في قولهم استعباد بعثة البشر * وقال بعض الناس بل أرادوا حالته وذهبوا مذهب البراهمة أو من يقول من الفلاسفة أن الاجناس لا يقع فيها هذا القياس فظاهر كلامهم لا يقتضى أنهم أعمضوا هذا الغماض ويدل على ما ذكرنا أنهم طلبوا منهم حجة ويحتمل أن طلبهم منهم السلطان انما هو على جهة التعجيز أى بعثكم محال والافأنا بسلطان مبين أى انكم لا تفعلون ذلك أبداً فتقوى بهذا الاحتمال منعهم الى مذهب الفلاسفة انتهى والذي يظهر أن طلبهم السلطان المبين وقد أتتهم الرسل بالبيئات انما هو على سبيل التعتت والاقتراح والافأنا أتوا به من الدلائل والآيات كاف لمن استبصر ولكنهم قلدوا آباءهم فيما كانوا عليه من الضلال ألا ترى الى أنهم لما ذكروا أنهم مماثلوهم قالوا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا أى ليس مقصودكم إلا أن نكون لكم تبعاً ونترك ما نشأنا عليه من دين آباؤنا * وقرأ طلحة أن تصدونا بتشديد النون جعل ان هي المخففة من الثقيلة وقدر فصلا بينهما وبين الفعل وكان الأصل أنه تصدونا فادغم نون الرفع في الضمير والاولى أن تكون أن الثنائية التي تنصب المضارع لكنه هنا لم يعملها بل ألغاهما كما ألغاهما من قرأ لمن أراد أن يتم الرضاغة برفع يتم حملا على ما المصدرية أخها * قالت لهم رسالهم ان نحن الابشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده وما كان لنا أن نأتىكم بسلطان الا باذن الله وعلى الله فليمتوكل المؤمنون * وما لنا أن لا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا وانصبرن على ما آذيتونا وعلى الله فليمتوكل المتوكلون * وقال الذين كفروا لرسالهم لنخرجنكم من أرضنا أولتعودن في ملتنا فأوحى اليهم ربهم لنهلك الظالمين * ولنسكننكم الارض من بعدهم ذلك لمن خاف مقامى وخاف وعيد * واستفتحوا

ملتهم كأنهم قالوا ليكون أحد هذين ولما أقسموا هم على اخراج الرسل أو العود في ملتهم أقسم تعالى على اهلاكم وأى اخراج أعظم من الاهلاك بحيث لا يكون لهم عودة اليه أبداً وعلى اسكان الرسل ومن آمن بهم وذرياتهم أرض أولئك المقسمين على اخراج الرسل والاشارة بذلك الى توريت الارض الانبياء ومن آمن بهم بعد اهلاك الظالمين كقوله تعالى والعاقبة للمتقين ومقام يحتمل المصدر أى قيامى عليه بالحفظ لأعماله ومراقبتي اياه كقوله تعالى أفن هو قائم على كل نفس بما كسبت والظاهر أن الضمير في واستفتحوا عائد على الانبياء أى استنصروا الله على أعدائهم كقوله تعالى إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح ويجوز أن

يكون من الفتاحة وهي الحكومة أي استحكموا الله طلبوا منه القضاء بينهم واستنصار الرسل في القرآن كثير ﴿وخاب﴾ معطوف على مخدوف تقديره فنصر وأوظفروا وخاب كل جبار عنيد (٤١١) وهم قوم الرسل وتقدم شرح جبار والعنيد المعاند كالخليط

بمعنى المخالط ﴿من ورائه﴾
ذكر ما يؤول إليه حال الجبار
العنيد في الآخرة ووراء
من الأضداد ينطلق على
خلف وعلى أمام كأنه قيل
من أمامه وبين يديه جهنم
﴿ويسقي﴾ معطوف
على مخدوف تقديره يردب دخلها
ويسقي والظاهر إرادة
حقيقة الماء وصيد قال
نجاهد وغيره هو ما يسيل
من أجساد أهل النار وقال
الزحشري صديد عطف
بيان الما قال ويسقي من ماء
فأهمه إمام ثم بينه بقوله
صديد انتهى والبصريون
لا يجيزون عطف البيان
في التكررات وأجازه
الكوفيون وتبعهم
الفارسي فأعرب زيتونة
عطف بيان لشجرة
مباركة فعلى رأي البصريين
لا يجوز أن يكون قوله
صديد عطف بيان وتجرع
تفعل والظاهر أنه التثكاف
نحو تحلم أي يأخذ شئنا
فشيئنا والظاهر هنا انتقاء
مقاربة أساغته وإذا انتفت
انتفت الأساغه فيكون
كقوله لم يكديراها أي لم
يقرب من رؤيتها فكيف
يراها والحديث جاء بأنه

وخاب كل جبار عنيد من ورائه جهنم ويسقي من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت
من كل مكان وما هو بميت ومن ورائه عذاب غليظ ﴿ساموا لهم في أنهم﴾ يثألونهم في البشرية وحدها
وأماما سوى ذلك من الأوصاف التي اختصوا بها فلم يكونوا مثلهم ولم يدكروا ما هم عليه من
الوصف الذي تميزوا به تواضعاً منهم ونسبة ذلك إلى الله ولم يصرحوا بمن الله عليهم وحدهم ولكن
أبرزوا ذلك في عموم من يشاء من عباده والمعنى بمن بالنسبة على من يشاء تنبئته ومعنى بأذن الله
بتسويغه وإرادته أي الآية التي اقترحتموها ليس لنا الاثنيان بها ولا هي في استطاعتنا ولذلك كان
التركيب وما كان لنا وإنما ذلك أمر متعلق بالمشيئة فليتوكل أمر منهم للمؤمنين بالتوكل وقصدوا
به أنفسهم قصداً أولياً وأمر وهاباً كأنهم قالوا ومن حققنا أن نتوكل على الله في الصبر على معادتهم
ومعاداتهم وما يجري علينا منكم ألا ترى إلى قولهم وما لنا أن لا نتوكل على الله ومعناه وأي عذر لنا
في أن لا نتوكل على الله وقد هدانا فعل بنما يوجب توكلنا عليه وهو التوفيق له دابة كل واحد
مناسبيته الذي يوجب عليه سلوكه في الدين والأمر الأول وهو قوله فليتوكل المؤمنون لاستحداث
التوكل والثاني للثبات على ما استجدوا من توكلهم ولنصبرن جواب قسم ويدل على سبق ما يجب
فيه الصبر وهو الأذى ومصدرية وجوزوا أن يكون بمعنى الذي والضمير مخدوف أي ما آذيتونه
وكان أصله به فهل حذف به أو الباء فوصل الفعل إلى الضمير قولان ﴿وقرأ الحسن بكسر لام
الأمر في ليتوكل وهو الأصل وأو لأحد الأمرين أقسموا على أنه لا بد من إخراجهم أو عودتهم في
ملتهم كأنهم قالوا ليكونن أحدهن وتقدير أو هنا بمعنى حتى أو بمعنى الآن قول من لم ينعم النظر
في ما بعدها لأنه لا يصح تركيب حتى ولا تركيب الآن مع قوله لتعودن بخلاف لألزمك أو تقضي
حق والعود هنا بمعنى الصبر أو يكون خطاباً للرسل ومن آمنوا بهم وغلب حكم من آمنوا بهم
لأنهم كانوا قبل ذلك في ملتهم فيصح إبقاء لتعودن على المفهوم منها أولاً إذ سبق كونهم كانوا في
ملتهم وأما الرسل فلم يكونوا في ملتهم قط أو يكون المعنى في عودهم إلى ملتهم سكوتهم عنهم وكونهم
اغفالا عنهم لا يظالبونهم بالإيمان بالله وما جاءت به الرسل ﴿وقرأ أبو حنيفة ليهلك الظالمين
وليسكنكم بياء الغيبة اعتباراً بقوله فأوحى إليهم ربهم إذلفه لفظ الغائب وجاء ولنسكنكم
بضمير الخطاب تشرى فإلهم بالخطاب ولم يأت بضمير الغيبة كما في قوله فأوحى إليهم ربهم ولم أقسموا
بهم على إخراج الرسل والعودة في ملتهم أقسم تعالى على إهلاكهم وأي إخراج أعظم من الإهلاك
بحيث لا يكون لهم عودة إليها أبداً وعلى أسكان الرسل ومن آمن بهم وذرياتهم أرض أولئك
المقسمين على إخراج الرسل ﴿قال ابن عطية وخص الظالمين من الذين كفروا إذ جاز أن يؤمن
من الكفرة الذين قالوا المقالة ناس وإنما وعد الإهلاك من خلص للظلم وقال غير دأربالظالمين
المشركين قال تعالى إن الشرك لظلم عظيم والاشارة بذلك إلى توريث الأرض الأنبياء ومن
آمن بهم بعد إهلاك الظالمين كقوله تعالى والعاقبة للمتقين ومقام يحتمل المصدر والمكان ﴿فقال
الفراء مقامى مصدر أضيف إلى الفاعل أي قيامى عليه بالحفظ لأعماله ومراقبتي إياه لقوله أفن هو

يشربه فإن صح الحديث كان المعنى ولا يكاد يسيغه قبل أن يشربه ثم شربه كما جاء قدبحوها وما كادوا يفعلون أي وما كادوا يفعلون
قبل الذبح ﴿ويأتيه الموت﴾ أي أسبابه والظاهر أن قوله من كل مكان معناه من الجهات الست وذلك تنظييع لما يصيبه من الآلام ﴿وما
هو بميت﴾ لتأول شدائد الموت وإنما ذكر أنه ﴿من ورائه﴾ الخلاف في من ورائه جهنم

قائم على كل نفس بما كسبت * وقال الزجاج مكان وقوفه بين يدي للحساب وهو موقف الله الذي يقف فيه عباده يوم القيامة كقوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان وعلى اقحام المقام أى لمن خافنى والظاهر أن الضمير فى واستفتحوا عائد على الانبياء أى استنصروا الله على أعدائهم كقوله ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح ويجوز أن يكون من الفتاحة وهى الحكومة أى استحكموا الله طلبوا منه القضاء بينهم واستنصار الرسل فى القرآن كثير كقول نوح فاقبح بينى وبينهم قتلوا نجبى وقول لوط رب نجنى وأهلى مما يعملون وقول شعيب ربنا اقبح بيننا وبين قومنا بالحق وقول موسى ربنا انك آتيت فرعون الآية * وقال ابن زيد الضمير عائد على الكفار أى واستفتح الكفار على نحو ما قالت قريش عجل لنا قطننا وقول أبى جهل اللهم أقطعنا للرحم وآتنا بما لا يعرف فاحنه الغداة وكانهم لما قوى تكذيبهم وأذاهم ولم يعالجوا بالعقوبة ظنوا ان ما جاؤا به باطل فاستفتحوا على سبيل التهم والاستهزاء كقول قوم نوح فأتنا بما تعدنا و قوم شعيب فاسقط علينا كسفا و عاد وما نحن بمعذبين وبعض قريش فأمطر علينا حجارة * وقيل الضمير عائد على الفريقين الانبياء ومكذبيهم لأنهم كانوا كلهم سألوا أن ينصر الحق ويبطل المبطل ويقوى عود الضمير على الرسل خاصة قراءة ابن عباس ومجاهد وابن حيصن واستفتحوا بكسر التاء أمر الرسل معطوفا على اي لكن أى أوحى اليهم ربهم وقال لهم ليهلكن وقال لهم استفتحوا أى اطلبوا النصر وسأله من ربكم * وقال الرنخشرى ويحتمل أن يكون أهل مكة قد استفتحوا أى استمطروا والفتح المطر فى سنى القحط التى أرسلت عليهم بدعوة الرسول فلم يسقوا فذكر سبحانه ذلك وانه خيب رجاء كل جبار عنيد وانه يسقى فى جهنم بدل سقيه ماء آخر وهو صديد أهل النار واستفتحوا على هذا التفسير كلام مستأنف منقطع عن حديث الرسل وأتمهم انتهى وخاب معطوف على محذوف تقديره فنصرنا وظفروا وخاب كل جبار عنيد وهم قوم الرسل وتقدم شرح جبار والعنيد المعاند كالخليط بمعنى المخالط على قول من جعل الضمير عائدا على الكفار كأن وخاب عطف على واستفتحوا * من ورائه قال أبو عبيدة وابن الأنبارى أى من بعده * وقال الشاعر

حلفت فلم أترك لنفسك ربية * وليس وراء الله للمرء مهرب

وقال أبو عبيدة أيضا وقطرب والطبرى وجاعة ومن ورائه أى ومن أمامه وهو معنى قول الرنخشرى من بين يديه * وأنشد

عسى الكرب الذى أمسيت فيه * يكون وراءه فرج قريب

* وهذا وصف حاله فى الدنيا لأنه مرصده لجهنم فكأنها بين يديه وهو على شفيرها أو وصف حاله فى الآخرة حين يبعث ويوقف * وقال الشاعر

أيرجو بنو مروان سمعى وطاعى * وقوم نعيم والفلاة ورائيا

* وقال آخر *

أليس ورائى ان تراخت منيتى * لزوم العصائنى عليها الاصابع

ووراء من الاضداد قاله أبو عبيدة والازهرى * وقيل ليس من الاضداد * وقال ثعلب استم لما توارى عنك سواء كان أمامك أم خلفك * وقيل بمعنى من خلفه أى فى طلبه كما تقول الامر من ورائك أى سوف يأتىك ويسقى معطوف على محذوف تقديره يلقي فيها ويسقى أو معطوف على العامل فى من ورائه وهو واقع موقع الصفة وارتفاع جهنم على الفاعلية والظاهر ارادة حقيقة الماء

وصديد قال ابن عطية هو نعت الماء كما تقول هذا خاتم حديد وليس بماء لكنه لما كان بدل الماء في العرف عندنا يعني أطلق عليه ماء * وقيل هو نعت على اسقاط أداة التشبيه كما تقول مررت برجل أسد التقدير مثل صديد فعلى قول ابن عطية هو نفس الصديد وليس بماء حقيقة وعلى هذا القول لا يكون صديد اول لكنه ما يشبه بالصديد * وقال الزمخشري صديد عطف ببيان الماء قال ويسقى من ماء فأبهمه إبهاماً ثم بينه بقوله صديد انتهى والبصريون لا يجيزون عطف البيان في النكرات وأجازوه الكوفيون وتبعهم الفارسي فأعرب زيتونة عطف ببيان لشجرة مباركة فعلى رأى البصريين لا يجوز أن يكون قوله صديد عطف ببيان * وقال الحوفي صديد نعت للماء * وقال مجاهد وقتادة والضحاك هو ما يسيل من أجساد أهل النار * وقال محمد بن كعب والربيع هو غسالة أهل النار في النار * وقيل هو ما يسيل من فروج الزناة والزواني * وقيل صديد بمعنى مصدود عنه أي كراهته يصد عنه فيكون مأخوذاً عنه من الصد وذكر ابن المبارك من حديث أبي أمامة عن الرسول قال في قوله ويسقى من ماء صديد يتجرعه قال يقرب إليه فيذكره فاذا أدنى منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه وإذا شر به قطع أمعاءه حتى يخرج من دبره * يتجرعه يتكافجره ولا يكاد يسيغه أي ولا يقارب أن يسيغه فكيف تكون الاساغة والظاهر هنا انتفاء مقاربة إساغته إياه وإذا انتفت انتفت الاساغة فيكون كقوله لم يكديراها أي لم يقرب من رؤيتها فكيف يراها والحديث جاء نائماً يشر به فان صح الحديث كان المعنى ولا يكاد يسيغه قبل أن يشر به ثم شر به كجاء قدبحوها وما كادوا يفعلون أي وما كادوا يفعلون قبل الذبح وتجرع تفعل ويحتمل هنا وجوها أن يكون للطاوعة أي جرعه فتجرع كقولك عامته فتعلم وأن يكون للتكاف نحو تحلم وأن يكون لمواصلة العمل في مهلة نحو تفهم أي يأخذه شياً فشيئاً وأن يكون موافقاً للجر دأى تجرعه كما تقول عدا الشيء وتعداه ويتجرعه صفقة ما قبله أو حال من ضمير ويسقى أو استئناف ويأتي الموت أي أسبابه والظاهر أن قوله من كل مكان معناه من الجهات الست وذلك لفطيم ما يصيبه من الآلام * وقال إبراهيم التيمي من كل مكان من جسده حتى من أطراف شعره * وقيل حتى من إبهام رجليه والظاهر أن هذا في الآخرة * وقال الأخفش أراد البلى التي تصيب الكافر في الدنيا سماها موتاً وهذا بعيد لأن سياق الكلام يدل على أن هذا من أحوال الكافر في جهنم وقوله وما هو بميت لتناول شدائد الموت وامتداد سكراته ومن ورائه الخلاف في من ورائه كالخلاف في من ورائه جهنم * وقال الزمخشري ومن بين يديه عذاب غليظ أي في كل وقت يستقبله يتلقى عذاباً أشد مما قبله وأغلظ وعن الفضيل هو قطع الانفاس وحبسها في الأجساد انتهى * وقيل الضمير في ورائه هو يعود على العذاب المتقدم لا على كل جبار * مثل الذين كفروا برههم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرון مما كسبوا على شيء ذلك هو الضلال البعيد * ألم تر أن الله خلق السموات والأرض بالحق أن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز * وبرزوا لله جميعاً فقال الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعاً فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء قالوا لو هدانا الله لهديننا كم سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص * وقال الشيطان لما قضي الأمر أن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخيني أنى كفرت بما أشركتمون من قبل أن الظالمين لهم عذاب أليم * وأدخل الدين آمنوا وعملوا الصالحات جنات

(الدر)

(ش) صديد عطف ببيان الماء
قال ويسقى من ماء فأبهمه
إبهاماً ثم بينه بقوله صديد
(ح) البصريون يجيزون
عطف البيان في النكرات
وأجازوه الكوفيون وتبعهم
الفارسي فأعرب زيتونة
عطف ببيان لشجرة مباركة
فعلى رأى البصريين
لا يجوز أن يكون قوله
صديد عطف ببيان

﴿ مثل الذين كفروا برهم ﴾ الآية ارتفاع مثل على الابتداء وخبره محذوف تقديره عند سيئويه فيما يتلى عليكم أو يقص قال ابن عطية وقيل هو مبتدأ وأعمالهم ابتداء ثان وكرما دخير (٤١٤) الثاني والجملة خبر الأول وهذا عندى أرجح الأقوال وكانك

قلت المتحصل مثالا في النفس للذين كفروا وهذه الجملة المذكورة وهى أعمالهم فى فسادها وقت الحاجة وتلاشيها كالرماد الذى تذروه الريح وتفرقه بشدتها حتى لا يبقى له أثر ولا يجتمع منه شئ انتهى هذا القول الذى رجحه ابن عطية قاله الحوفى وهو لا يجوز لان الجملة الواقعة خبرا عن المبتدأ الأول الذى هو مثل عارية من رابط يعود على المثل وليست نفس المبتدأ فى المعنى فلا يحتاج الى رابط والمثل مستعار للصفة التى فيها غرابة وأعمالهم كرماد جملة مستأنفة على تقدير سؤال كانه قيل كيف مثلهم فقيل أعمالهم كرماد كما تقول صفة زيد عرضه مصون وماله مبذول ووصف اليوم بقوله عاصف وان كان من صفة الريح على سبيل التجوز كما قالوا يوم مطر وليل نائم ﴿ لا يقدرון ﴾ يوم القيامة ﴿ مما كسبوا ﴾ من أعمالهم ﴿ على شئ ﴾ أى لا يرون له أثر من ثواب كما لا يقدر من الرماد المطير بالريح على شئ ﴿ ذلك ﴾ إشارة الى كونهم بهذه الحال وعلى مثل هذا الغرر والبعيد الذى يعمق فيه صاحبه وأبعد عن طريق النجاة

تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها باذن ربهم تحييتهم فيها سلام * ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء تؤتى أكلها كل حين باذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون * ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار * يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء * ألم ترالى الذين بدلوا نعمت الله كفرا أو أحلوا قومهم دار البوار * جهنم يصلونها وبأس القرار * الرماد معروف * وقال ابن عيسى هو جسم يسحقه الحراق سحق الغبار ويجمع على رمدة فى الكثرة وأرمدة فى القلة وشدجعه على أفعلاء قالوا أرمدا ورمداد إذا صار هباء أرق ما يكون * الجزع عدم احتمال الشدة وهو نقيض الصبر قال الشاعر

جزعت ولم أجزع من البين مجزعا * وعذبت قلبا بالكواعب مولعا
المصرخ المغيث * قال الشاعر

فلا تجزعوا الى لكم غير مصرخ * وليس لكم عنى غناء ولا نصر
والصارخ المستغيث صرخ يصرخ صرخا وصرخا وصرخة * قال سلامة بن جندل
كنا اذا ما أتنا صرخ فزع * كان الصراخ له قرع الظنايب

واصطرخ بمعنى صرخ وتصرخ تكاف الصراخ واستصرخ استغاث فقال استصرخنى فاصرخته والصرخ مصدر كالترجح ويوصف به المغيث والمستغيث من الأضداد * الفرع الغصن من الشجرة ويطلق على ما يولد من الشئ والفرع الشعر يقال رجل أفرع وامرأة فرعاء لمن كثر شعره * وقال الشاعر وهو امرؤ القيس بن حجر * وفرع يغشى المتن اسود فاحم * اجتث الشئ اقتلعه وجث الشئ قلعه والجتة شخص الانسان قاعدا وقائما * وقال لقيط الايارى هو الجلاء الذى يجتث أصلكم * فن رأى مثل ذا آت ومن سمعا

البوار الهلاك * قال الشاعر

فلم أرمثلهم أبطال حرب * غداة الحرب اذ خيف البوار

﴿ مثل الذين كفروا برهم أعمالهم ﴾ كرماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شئ ذلك هو الضلال البعيد * ارتفاع مثل على الابتداء وخبره محذوف تقديره عند سيئويه فيما يتلى عليكم أو يقص والمثل مستعار للصفة التى فيها غرابة وأعمالهم كرماد جملة مستأنفة على تقدير سؤال كانه قيل كيف مثلهم فقيل أعمالهم كرماد كما تقول صفة زيد عرضه مصون وماله مبذول * وقال ابن عطية ومذهب الكسائى والفراء انه على الغاء مثل وان المعنى الذين كفروا أعمالهم كرماد * وقال الحوفى مثل رفع بالابتداء وأعمالهم بدل من مثل بدل اشتمال كما قال الشاعر

ماللجمال مشيها وثيدا * أجنلا لا يحملن أم حديدا

وكرما دخير * وقال الزمخشري أو يكون أعمالهم بدلا من مثل الذين كفروا على تقدير مثل أعمالهم وكرما دخير وقال ابن عطية * وقيل هو ابتداء وأعمالهم ابتداء ثان وكرما دخير الثانى والجملة خبر

(الدر) (ع) وقيل هو ابتداء وأعمالهم ابتداء ثان وكرما دخير الثانى والجملة خبر الأول وهذا عندى أرجح الأقوال وكانك قلت المتحصل مثالا فى النفس للذين كفروا وهذه الجملة المذكورة وهى أعمالهم فى فسادها وقت الحاجة وتلاشيها كالرماد

أو البعيد عن الحق والثواب وفي البقرة لا يقدر أن على شيء مما كسبوا وهذا لا يقدر أن مما كسبوا على شيء من التقن في الفصاحة والتغاير في التقديم والتأخير والمعنى واحد ﴿ ألم تر أن الله خلق السموات والأرض بالحق ﴾ الظاهر أن قوله يذهبكم خطاب عام للناس وعن ابن عباس خطاب للكفار ﴿ ويأت بخلق جديد ﴾ الظاهر أن يكون المعنى أن يشأ يذهبكم أي الناس ويأت بناس آخرين من جنسكم آدميين ﴿ وبرزوا ﴾ أي ظهر وأمن قبورهم (٤١٥) إلى جزاء الله وحسابه والذين استكبروا هم رؤسائهم وقادتهم استبعوا الضعفاء

واستغفروهم واستكبروا أنفسهم وأطروا تعظيم أنفسهم أو استكبروا وعن اتباع الرسل وعبادة الله تعالى وتبعيا يحتمل أن يكون اسم جمع لتابع تخدم وخدم وغائب ويحتمل أن يكون مصدرا كقوم عدل ورضا وهل أنتم مغنون عنا استغفاهم معناه نوبخهم إياهم وتقر يعهم وقد عاموا أنهم لن يغفوا شيئا والمعنى أنا تبعناكم فيما كنتم فيه من الضلال كما أمرتمونا وما أغنيتم عنا شيئا ولذلك جاء جوابهم لو هدانا الله لهديناكم أجابوا بذلك على سبيل الاعتذار والحجل ورد الهداية إلى الله تعالى وهو كلام حق في نفسه قال الزمخشري من الأولى للتبيين والثانية للتبعيض كأنه قيل هل أنتم مغنون عنا بعض الشيء الذي هو عذاب الله ويجوز أن يكونا

الأول وهذا عندي أرجح الأقوال وكانت قلت المتحصل مثلا في النفس للذين كفروا وهذه الجملة المذكورة وهي أعمالهم في فسادها وقت الحاجة وتلاشيها كالرماذ الذي تذروه الريح وتفرقه بشدها حتى لا يبقى له أثر ولا يجتمع منه شيء انتهى وهذا القول الذي رجحه ابن عطية قاله الحوفي وهو لا يجوز لأن الجملة الواقعة خبرا عن المبتدأ الأول الذي هو مثل عارية من رابط يعود على المثل وليست نفس المبتدأ في المعنى فلا تحتاج إلى رابط وأعمال الكفرة المكارم التي كانت لهم من صلة الأرحام وعمق الرقاب وفداء الأسارى وعقر الأبل للضياف وإغاثة الملهوفين والأجارة وغير ذلك شبهها في جبوطها وذهابها بهاء المنثور البناء على غير أساس من معرفة الله واليمان به وكونها لوجهه برما دطيرته الريح العاصف * وقرأ نافع وأبو جعفر الرياح على الجمع والجمهور على الأفراد ووصف اليوم بقوم عاصف وإن كان من صفة الريح على سبيل التجوز كما قالوا يوم ما حل وكيل نائم * وقال الهروي التقدير في يوم عاصف الريح فحذف لتقديم ذكرها كما قال الشاعر

* إذا جاء يوم مظلم الشمس كاسف * يريد كاسف الشمس * وقيل عاصف من صفة الريح إلا أنه لما جاء بعد اليوم اتبع أعرابه كما قيل جعر ضب خرب يعني أنه خفض على الجوار * وقرأ ابن أبي اسحق وأبراهيم بن أبي بكر عن الحسن في يوم عاصف على إضافة اليوم لعاصف وهو على حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه تقديره في يوم ريح عاصف وتقدم تفسير العصف في يونس في قوله جاء تها ريح عاصف وعلى قول من أجاز إضافة الموصوف إلى صفة يجوز أن تكون القراءة منه لا يقدر أن يوم القيامة مما كسبوا من أعمالهم على شيء لا يرون له أثر من ثواب كما لا يقدر أن الرماذ المطير بالريح على شيء * وقيل لا يقدر أن من ثواب ما كسبوا فهو على حذف مضاف وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها قالت يا رسول الله إن ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم ويطعم المسكين هل ذلك نافعه قال لا ينفعه لأنه لم يقل رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين وفي الصحيح أيضا أن الكافر لي طعم بحسناته في الدنيا ما عمل لله منها ذلك إشارة إلى كونهم بهذه الحال وعلى مثل هذا الغرر البعيد الذي يعمق فيه صاحبه وأبعد عن طريق النجاة والبعيد عن الحق والثواب وفي البقرة لا يقدر أن مما كسبوا على شيء من التقن في الفصاحة والتغاير في التقديم والتأخير والمعنى واحد ﴿ ألم تر أن الله خلق السموات والأرض بالحق ﴾ ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز * وبرزوا جميعا فقال الضعفاء للذين استكبروا أنا كنا لكم تبعاء هل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء قالوا لو هدانا الله لهديناكم سواء علمنا أم صبرنا ما لنا من محيص * قرأ السامي ألم تر بسكون الرأى وجهه أنه أجرى الوصل مجرى الوقف وتوجيه آخر وهو أن ترى

للتبعيض مع أي هل أنتم مغنون عنا بعض شيء هو بعض عذاب الله أي بعض بعض عذاب الله انتهى هذا التوجيهان اللذان وجههما الزمخشري في المكانين يقتضي أولهما التقديم في قوله من شيء على قوله من عذاب الله لأنه جعل من شيء هو المبين بقوله من عذاب الله ومن

(الدر) الذي تذروه الريح وتفرقه لشدها حتى لا يبقى له أثر ولا يجتمع منه شيء (ح) هذا القول الذي رجحه (ع) قاله الحوفي وهو لا يجوز لأن الجملة الواقعة خبرا عن المبتدأ الأول الذي هو مثل عارية من رابط يعود على المثل وليست نفس المبتدأ في المعنى فلا يحتاج إلى رابط

التبيينية يتقدم عليها ما تبينه ولاية آخر والتوجيه الثاني وهو (٤١٦) بعض شيء هو بعض العذاب يقتضى أن يكون بدلا

فيكون بدل عام من خاص لان من شيء أعم من قوله من عذاب الله وان عني بشيء شيئا من العذاب فيؤول المعنى الى ما قدر وهو بعض بعض عذاب الله وهذا لا يقال لأن بعضية الشيء مطلقة فلا يكون لها بعض والظاهر أن قوله سواء علينا أجزعنا أم صبرنا الى آخره داخل تحت قول المستكبرين وجاءت جلا بلا واوعطف كأن كل جملة أنشئت مستقلة غير معطوفة وان كانت مرتبطة بعضها ببعض من جهة المعنى لأن سؤا لهم هل أنتم مغنون عنا انما كان جزعهم مما هم فيه فقالوا لهم ذلك سووا بينهم وبينهم في ذلك لاجتماعهم في عقاب الضلالة التي كانوا مجتمعين فيها يقولون ما هذا الجزع والتوبيخ ولا فائدة في الجزع كما لا فائدة في الصبر أولا قالوا لو هدانا الله اتبعوا ذلك بالاقناط من النجاة فقالوا ما لنا من محيص أي منجى ومهرب جزعنا أم صبرنا وتقدم الكلام في مثل هذه التسوية في البقرة والظاهر أن هذه المحاورة بين الضعفاء والرؤساء هي في موضع العرض وقت البروز بين يدي الله تعالى

حذفت العرب ألفها في قولهم قام القوم ولو ترما زيد كما حذفت ياء لأبالي في لأبال فلمادخل الجازم تخيل أن الراء هي آخر الكلمة فسكنت للجازم كما قالوا في لأبالي لم أبلى تخيلوا اللام آخر الكلمة والرؤية هنا بمعنى العلم فهي من رؤية القلب * وقرأ الأخوان خالق اسم فاعل والارض بالخفض * وقرأ باقي السبعة خلق فعلا ماضيا والارض بالفتح ومعنى بالحق قال الزمخشري بالحكمة والغرض الصحيح والامر العظيم ولم يخلقها عبثا ولا شهوة * وقال ابن عطية بالحق أي بما يحق من جهة مصالح عباده وانفاذا سابق قضائه وليدل عليه وعلى قدرته * وقيل بقوله وكلامه * وقيل بالحق حال أي محقا والظاهر أن قوله يذهبكم خطاب عام للناس وعن ابن عباس خطاب للكفار ويأت بخلق جديد يحتمل أن يكون المعنى ان يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بناس آخرين من جنسكم آدميين ويحتمل من غير جنسكم والاول قول جمهور المفسرين وتقدم تجوز هذين الاحتمالين للمفسرين في قوله في النساء ان يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين وبينافي ذلك أنه لا يحتمل الا الوجه الاول وما ذلك أي وما ذهابكم والأتان بخلق جديد بممتنع ولا متعذر عليه تعالى لانه تعالى هو القادر على ما يشاء * وقال الزمخشري لانه قادر الذات لا اختصاص له بمقدور دون مقدور فاذا خلاص له الداعي الى شيء وانتفى الصارف تكون من غير توقف كتحريك أصبعك واذا دعا اليه داع ولم يعترض من دونه صار في انتهى وفيه دسياسة الاعتزال لقوله القادر لانهم يثبتون القادرية وينفون القدرة وتشبيه فعله تعالى بفعل العبد في قوله كتحريك أصبعك وعندنا أن تحريك أصبعنا ليس بالقدرة الله تعالى وأن ما نسب اليه من القدرة ليس مؤثرا في ايجاد شيء * وقال الزمخشري أيضا وهذه الآية بيان لابعادهم في الضلال وعظيم خطيئهم في الكفر بالله ووضوح آياته الشاهدة له الدالة على قدرته الباهرة وحكمته البالغة وأنه هو الحقيق بان يعبد ويخاف عقابه ويرجى ثوابه في دار الجزاء انتهى وبرزوا أي ظهر وامن قبورهم الى جزاء الله وحسابه * وقال الزمخشري ومعنى برزهم لله والله تعالى لا يتوارى عنه شيء حتى يبرز أنهم كانوا يستترون من العيون عند ارتكاب الفواحش ويظنون أن ذلك خاف على الله فاذا كان يوم القيامة انكشفوا لله عند أنفسهم وعاموا أن الله لا تخفى عليه خافية * وقال ابن عطية وبرزوا معناه صاروا بالبراز وهي الارض المتسعة فاستعير ذلك لجمع يوم القيامة * وقال أبو عبد الله الرازي تأويل الحكاء أن النفس اذا فارقت الجسد فكأنه زال الغطاء وبقيت متجردة بذاتها عارية عن كل ماسواها وذلك هو البروز لله تعالى وهذا الرجل كثيرا ما يورد كلام الفلاسفة وهم مبينون لاهل الشرائع في تفسير كلام الله تعالى المنزل بلغة العرب والعرب لا تفهم شيئا من مفاهيم أهل الفلسفة فتفسيرهم كاللغز والاحاجي ويسمى هذا الرجل حكاه وهم من أجهل الكفرة بالله تعالى وبأنبيائه والضمير في وبرزوا عائد على الخلق المجاسين وعبر بلفظ الماضي لصدق الخبر به فكأنه قد وقع * وقرأ زيد بن علي وبرزوا مبنيًا للفعول وبتشديد الراء والضعفاء الاتباع والعوام وكتبوا في المصحف قبل الهمزة على لفظ من يفخم الالف قبل الهمزة فيميلها الى الواو ومثله عاموا بني اسرائيل والذين استكبروا هم رؤسائهم وقاداتهم استغفروا الضعفاء واستتبعوهم واستكبروا تكبرا وأظهروا تعظيم أنفسهم أو استكبروا عن اتباع الرسل وعبادة الله وتبعوا يحتمل أن يكون اسم جمع لتابع كخادم وخادم وغائب وغيب ويحتمل أن يكون مصدرا كقوله عدل ورضا وهل أنتم مغنون استفهام معناه توينهم اياهم وتقرعهم وقد دعاهوا أنهم لن يغفوا والمعنى انا اتبعناكم فيما كنتم فيه من الضلال كما أمرتمونا وما أغنيتم عنا شيئا فذلك جاء

جوابهم لو هداانا الله هديناكم أجابوا بذلك على سبيل الاعتذار والخجل وردا الهداية لله تعالى وهو كلام حق في نفسه * وقال الرخصي من الاولى للتبيين والثانية للتبعيض كأنه قيل هل أنتم مغنون عنا بعض الشيء الذي هو عذاب الله ويجوز أن يكون بالتبعيض معاً بمعنى هل أنتم مغنون منا بعض شيء هو بعض عذاب الله أي بعض بعض عذاب الله انتهى وهذا التوجيهان اللذان وجههما الرخصي في من في المكانين يقتضي أولهما التقديم في قوله من شيء على قوله من عذاب الله لانه جعل من شيء هو المبين بقوله من عذاب الله ومن التبيينية بتقديم عليها ما تبينه ولا يتأخر والتوجيه الثاني وهو بعض شيء هو بعض العذاب يقتضي أن يكون بدلاً فيكون بدل عام من خاص لأن من شيء أعم من قوله من عذاب الله وإن عني بشيء شيئاً من العذاب فيؤول المعنى إلى ما قدر وهو بعض بعض عذاب الله وهذا لا يقال لأن بعضية الشيء مطلقة فلا يكون لها بعض ونص الخوفي وأبو البقاء على أن من في قوله من شيء زائدة * قال الخوفي من عذاب الله متعلق بمغنون ومن في من شيء لاستغراق الجنس زائدة للتوكيد * وقال أبو البقاء ومن زائدة أي شيئاً كأننا من عذاب الله ويكون محمولا على المعنى تقديره هل تمنعون عنا شيئاً ويجوز أن يكون شيء واقعا موقع المصدر أي غنى فيكون من عذاب الله متعلقاً بمغنون انتهى ومسوغ الزيادة كون الخبر في سياق الاستفهام فكان الاستفهام دخل عليه وبأثره وصارت الزيادة هنا كالزيادة في تركيب فهل تغنون * وقال الرخصي أجابوهم معتدلين عما كان منهم اليهم بأن الله لو هداهم إلى الإيمان هداهم ولم يضلواهم إمامور كين الذنب في ضلالهم واضلالهم على الله كما حكى الله عنهم وقالوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء يقولون ذلك في الآخرة كما كانوا يقولونه في الدنيا ويدل عليه قوله حكاية عن المنافقين يوم يبعثهم الله جميعاً فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شيء انتهى * وحكى أبو عبد الله الرازي عن الرخصي أنهم قالوا ذلك مع أنهم كذبوا فيه ويدل عليه قوله تعالى حكاية عن المنافقين يوم يبعثهم الله جميعاً فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شيء * قال أبو عبد الله الرازي وأعلم أن المعتزلة لا يجوزون صدور الكذب على أهل القيامة فكان هذا القول منه مخالفاً لأصول مشايخه فلا يقبل منه * وقال الرخصي أيضاً ويجوز أن يكون المعنى لو كنا من أهل اللطف فلفظ بنار بنا واهتدينا هديناكم إلى الإيمان * قال أبو عبد الله الرازي وذكر القاضي هذا الوجه وزيفه بأن قال لا يجوز حمل هذا على اللطف لأن ذلك قد فعله الله * وقيل لو خلاصنا الله من العذاب وهدانا إلى طريق الجنة هديناكم * وقال الرخصي في بسط هذا القول لو هداانا الله طريق النجاة من العذاب هديناكم أي لا غنيينا عنكم وسلكنا بكم طريق النجاة كما سلكنا بكم سبيل الهلكة انتهى * وقيل ويدل على أن المراد بالهدى الهدى إلى طريق الجنة أنه هو الذي التمسوه وطالبوه فوجب أن يكون المراد * وقال ابن عباس لو أُرشدنا الله لأرشدناكم والظاهر أن قوله سواء علينا أم جزعنا إلى آخره داخل تحت قول المستكبرين وجاءت جملة بلاوا وعطف كأن كل جملة أنشئت مستقلة غير معطوفة وإن كانت مرتبطة ببعضها ببعض من جهة المعنى لأن سؤا لهم هل أنتم مغنون عنا إنما كان لجزعهم مما هم فيه فقالوا لهم ذلك سؤوا بينهم وبينهم في ذلك لاجتماعهم في عقاب الضلالة التي كانوا مجتمعين فيها يقولون ما هذا الجزع والتوبيخ ولا فائدة في الجزع كما لا فائدة في الصبر ولما قالوا لو هداانا الله أتبعوا ذلك بالاقناط من النجاة فقالوا ما لنا من محيص أي منجى ومهرب جزعنا أم صبرنا * وقيل سواء علينا من كلام الضعفاء والذين

(ش) من الاولى للتبيين
والثانية للتبعيض كأنه قيل
هل أنتم مغنون عنا بعض
الشيء الذي هو عذاب الله
ويجوز أن يكون بالتبعيض
معاً بمعنى هل أنتم مغنون عنا
بعض شيء هو بعض
عذاب الله أي بعض بعض
عذاب الله (ح) هذا
التوجيهان اللذان وجههما
(ش) في من في المكانين
يقتضي أولهما التقديم في
قوله من شيء على قوله من
عذاب الله لانه جعل
من شيء هو المبين بقوله
من عذاب الله ومن التبيينية
بتقديم عليها ما تبينه ولا يتأخر
والتوجيه الثاني وهو
بعض شيء هو بعض
العذاب يقتضي أن يكون
بدلاً فيكون بدل عام من
خاص لأن من شيء أعم من
قوله من عذاب الله فإن
عني بشيء شيئاً من العذاب
فيؤول المعنى إلى ما قدر
وهو بعض بعض عذاب
الله وهذا لا يقال لأن بعضية
الشيء مطلقة فلا يكون لها
بعض

﴿ وقال الشيطان لما قضي الأمر ﴾ مناسبة هذه لما قبلها أنه لما ذكر محاورة الاتباع لرؤسائهم الكفرة ذكر محاورة الشيطان وأتباعه من الانس وذلك لاشتراك الرؤساء والشيطان في التلبس بالاضلال والشيطان هنا ابليس وهو رأس الشياطين ومعنى قضى الامر تعين قوم للجنة وقوم للنار وذلك كله في الموقف ووعد الحق يحتمل أن يكون من اضافة الموصوف الى صفته أى الوعد الحق وأن يكون الخ صفة الله أى وعده وأن يكون الحق الشئ الثابت وهو البعث والجزاء على الأعمال أى يوفى لكم بما وعدكم ﴿ ووعدتكم ﴾ خلاف ذلك ﴿ فأخلفتكم ﴾ والان دعوتكم الظاهر أنه استثناء منقطع لأن دعاءه إياهم الى الضلالة ووسوسته ليس من جنس السلطان وهو الحجة البينة ﴿ ما أنا بمصرخكم ﴾ أى مغيثكم ﴿ وما أنتم بمصرخي ﴾ أى بمغيثي وقرأ الجمهور بمصرخي بفتح اليا وقرأ يحيى بن وثاب (٤١٨) والأعمش وحزرة بكسر اليا وقطعين ناس في هذه القراءة

وما ذهبوا إليه لا يلتفت اليه لان هذه قراءة متواترة نقلها السلف واقتفى آثارهم فيها الخلف وقد نقل جماعة من أهل العربية أنها الغل لكنه قل استعمالها ونص قطرب على أنها لغة في بني يربوع وأنشدوا للاغراب العجلى
 قال لها هل لك يا نافي
 قالت له ما أنت بالمرضى
 وما في بما أشركتوني
 مصدر ية ومن قبل متعلق
 بأشركتوني أى كفرت
 اليوم بأشرككم إياي
 من قبل هذا اليوم أى في الدنيا
 ان الظالمين لهم عذاب أليم
 الظاهر أنه من تمام كلام ابليس حكى الله عنه ما سيقوله في ذلك الوقت ليكون تنبيها للسامعين على النظر في

استكبر واوالتقدير قالوا جميعا سواء علينا يخبرون عن حالهم وتقدم الكلام في مثل هذه التسوية في أول البقرة والظاهر أن هذه المحاورة بين الضعفاء والرؤساء هي في موضع العرض وقت البروز بين يدى الله وعن محمد بن كعب وابن زيد أن قولهم سواء علينا أجزعنا أم صبرنا بعد صبرهم في النار خمسمائة عام وبعد جزعهم مثلها ﴿ وقال الشيطان لما قضي الامر ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي انى كفرت بما أشركتمون من قبل ان الظالمين لهم عذاب أليم ﴾ مناسبة هذه الآية لما قبلها أنه لما ذكر محاورة الاتباع لرؤسائهم الكفرة ذكر محاورة الشيطان وأتباعه من الانس وذلك لاشتراك الرؤساء والشياطين في التلبس بالاضلال والشيطان هنا ابليس وهو رأس الشياطين وفي حديث الشفاعة من حديث عقبة بن عامر ان الكافرين يقولون وجد المؤمنون من يشفع لهم من يشفع لنا فيقولون ما هو غير ابليس هو الذى أضلنا فيما تونه فيقولون قد وجد المؤمنون من يشفع لهم فقم أنت فاشفع لنا فانك أضللتنا فيقوم فيثور من مجلسه أن تنريح شمه أحد ويقول عند ذلك ان الله قد وعدكم الآية وعنه الحسن يقف ابليس خطيبا في جهنم على منبر من نار يسمعه الخلائق جميعا فيقول ان الله وعدكم وعد الحق يعنى البعث والجنة والنار وثواب المطيع وعقاب العاصى فصدقكم وعده ووعدتكم أن لا بعث ولا جنة ولا نار ولا ثواب ولا عقاب فأخلفتكم قضى الامر تعين قوم للجنة وقوم للنار وذلك كله في الموقف وعليه يدل حديث الشفاعة أو بعد حصول أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار ويدل عليه ما ذكرناه عن الحسن وهو تأويل الطبري، وقيل قضى الامر قطع وفرغ منه وهو الحساب وتصادر الفريقين الى مقرهم ما ووعد الحق يحتمل أن يكون من اضافة الموصوف الى صفته أى الوعد الحق وان يكون الحق صفة الله أى وعده وأن يكون الحق الشئ الثابت وهو البعث والجزاء على الأعمال أى يوفى لكم بما وعدكم ووعدتكم خلاف ذلك فأخلفتكم والان دعوتكم الظاهر انه استثناء منقطع لأن دعاءه إياهم الى الضلالة ووسوسته ليس من جنس السلطان وهو الحجة البينة * قيل ويحتمل أن يريد بالسلطان

عاقبتهم والاستعداد لما لا بد منه وأن يتصور في أنفسهم ذلك المقام الذى يقول فيه الشيطان ما يقول فيخافوا ويعملوا ما يخلصهم منه وينجهم ﴿ وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات ﴾ الآية لما جمع الفريقين في قوله ويرزوا لله جميعا وذ كر شيأ من أحوال الكفار ذكر ما آل اليه أمر المؤمنين من ادخالهم الجنة قال الزخشرى * فان قلت فبم يتعلق يعنى باذن ربهم في القراءة الأخرى وقولك فأدخلهم أنا باذن ربهم كلام غير ملتئم * قلت الوجه في هذه القراءة أن يتعلق قوله باذن ربهم بما بعده أى تحييتهم فيها سلام باذن ربهم يعنى أن الملائكة يحيونهم باذن ربهم انتهى ظاهر كلامه أن باذن ربهم معمول لقوله تحييتهم ولذلك قال يعنى أن الملائكة يحيونهم باذن ربهم وهذا لا يجوز لان تقديم معمول المصدر المنحل لحرف مصدرى والفعل عليه هو غير جائز وتقدم تفسير تحييتهم فيها سلام في أوائل يونس

(الدر) (ش) هي ضعيفة يعني قراءة حمزة بمصر خي بكسر الياء واستشهدوا لها بيت مجهول

قال لها هل لك ياتاني * قالت له ما أنت بالمرضى * وكانه قد رياء الاضافة سا كنة وقبلها ياء سا كنة فحركها بالكسر لما عليه أصل التقاء الساكنين ولكنه غير صحيح لان ياء الاضافة لا تكون الا مفتوحة حيث قبلها ألف نحو عصا يا بالها وقيل ياء * فان قلت جرت الياء الأولى مجرى الحرف الصحيح لاجل الادغام فكأنها ياء وقعت (٤١٩) سا كنة بعد حرف صحيح فحركت بالكسر على الأصل

قلت هذا قياس حسن ولكن

لا استعمال المستفيض الذي بمنزلة الخبر المتواتر تتضاءل اليه القياسات (ح) أما قوله واستشهدوا لها بيت مجهول قد ذكره غيره أنه للراغب العجلي وهي لغة باقية في أفواه كثير من الناس الى اليوم يقول القائل ما في أفعل كذا بكسر الياء وأما التقدير الذي قال فهو توجيه الفراء ذكره عنه الزجاج وأما قوله في غصون كلامه حيث قبلها ألف فلا أعلم حيث تضاف الى الجملة المصدرة بالظرف نحو فعند زيد حيث أمام بكر عمرو فيحتاج هذا التركيب الى سماع وأما قوله لان ياء الاضافة الى آخره قد روى سكون الياء بعد الألف وقرأ بذلك الفراء نحو ومجاي وما ذهب اليه من ذكرنا من النحاة من الطعن على هذه القراءة لا ينبغي أن يلتفت اليه لان هذه قراءة متواترة نقلها السلف

الغلبة والتسليط والقدرة أي ما اضطررتكم ولا خوفتكم بقوة مني بل عرضت عليكم شيئا فأتى رأيكم عليه * وقيل هو استثناء متصل لأن القدرة على حمل الانسان على الشيء تارة يكون بالقهر من الخامل وتارة يكون بتقوية الداعية في قلبه وذلك بالتقاء الوسواس اليه فلهذا نوع من أنواع التسليط * قيل وظاهر هذا الكلام يدل على ان الشيطان لا قدرته على صرع الانسان وتعويج أعضائه وجوارحه وازالة عقله فلا تلوموني * وقرئ فلا يلوموني بالياء على الغيبة وهو التفتت بردي في ما آتيتوه من الضلال ولوموا أنفسكم في سوء نظركم واستجابتكم لدعائي من غير تثبت ولا حجة * وقال الزمخشري ولوموا أنفسكم حيث اغتررتهم وأطعتموني إذ دعوتكم ولم تطيعوا ربكم إذ دعاكم وهذا دليل على ان الانسان هو الذي يختار الشقاوة والسعادة ويحصلها لنفسه وليس من الله الا التمكين ولان الشيطان الا التزيين ولو كان الامر كما يزعم المجبر لقال فلا تلوموني ولا أنفسكم فان الله قد قضى عليكم الكفر وأجبركم عليه انتهى وهو على طريق الاعتزال * ما أنا بمصرخكم قال ابن عباس بنافعكم * وقال ابن جبير بمنقذكم * وقال الربيع بمنجيكم * وقال مجاهد بمنغشكم وكلها أقوال متقاربة * وقرأ يحيى بن وثاب والاعمش وحمزة بمصر خي بكسر الياء وطعن كثير من النحاة في هذه القراءة * قال الفراء لعلمهم وهم القراءة فانه قل من سلم منهم من الوهم ولعله ظن ان الباء في مصر خي خافضة للفظ كله والباء للتمكيد خارجة من ذلك * وقال أبو عبيد نراهم غلطوا ظنوا أن الباء تكسر لما بعدها * وقال الاخفش ما سمعت هذا من أحد من العرب ولا من النحويين * وقال الزجاج هذه القراءة عند جميع النحويين رديئة مرسلة ولا وجه لها الا وجه ضعيف * وقال النحاس صار هذا اجماعا ولا يجوز أن يحمل كتاب الله على الشذوذ * وقال الزمخشري هي ضعيفة واستشهدوا لها بيت مجهول

قال لها هل لك ياتاني * قالت له ما أنت بالمرضى

وكأنه قد رياء الاضافة سا كنة وقبلها ياء سا كنة فحركها بالكسر لما عليه أصل التقاء الساكنين ولكنه غير صحيح لان ياء الاضافة لا تكون الا مفتوحة حيث قبلها ألف نحو عصا يا بالها وقبلها ياء (فان قلت) جرت الياء الأولى مجرى الحرف الصحيح لاجل الادغام فكأنها ياء وقعت سا كنة بعد حرف صحيح سا كن فحركت بالكسر على الأصل (قلت) هذا قياس حسن ولكن لا استعمال المستفيض الذي هو بمنزلة الخبر المتواتر تتضاءل اليه القياسات انتهى أما قوله واستشهدوا لها بيت مجهول قد ذكره غيره أنه للراغب العجلي وهي لغة باقية في أفواه كثير من الناس الى اليوم يقول القائل ما في أفعل كذا بكسر الياء وأما التقدير الذي قال فهو توجيه الفراء ذكره عنه الزجاج وأما

واقفي آثارهم فيها الخلف فلا يجوز أن يقال فيها انها خطأ أو قبيحة أو رديئة وقد نقل جماعة من أهل اللغة أنها لغة كندقل استعمالها ونص قطرب على أنها لغة في بني يربوع وقال القاسم بن معن وهو من رؤساء النحويين الكوفيين هي صواب وسأل حسين الجعفي أبا عمرو بن العلاء وذكر له تلحين أهل النحوف فقال هي جائزة وقال أيضا لا تنال الى أسفل حركتها أو الى فوق وعنه انه قال هي بالخفض حسن وعنه أيضا انه قال هي جائزة وليست عند الاعراب بذلك ولا التفتت الى انكار أبي حاتم على أبي عمرو تحسينها فابو عمرو وامام لغة وامام نحو وامام قراءة وعربي صريح وقد أجازها واحدنا وفيدروا بيت النابغة

(الدر) على لعمر و نعمة بعد نعمة * لوالده ليست (٤٢٠) بذات عقارب بخفض الياء من على بما أشركتموني (ح)

قوله في غضون كلامه حيث قبلها ألف فلا أعلم حيث يضاف الى الجملة المصدرية بالظرف نحو قعد زيد حيث أمام عمرو بكر فيحتاج هذا التركيب الى سماع وأما قوله لأن ياء الاضافة الى آخره قد روى سكون الياء بعد الألف * وقرأ بذلك القراء نحو محياى وما ذهب اليه من ذكر نا من النحاة لا ينبغي أن يلتفت اليه واقفى آثارهم فيها الخلف فلا يجوز أن يقال فيها انها خطأ أو قبيحة أو رديئة وقد نقل جماعة من أهل اللغة انها لغة لكنه قل استعمالها ونص قطرب على انها لغة في بني ربوع * وقال القاسم بن معن وهو من رؤساء النحويين الكوفيين هي صواب وسأل حسين الجعفي أبا عمر وابن العلاء وذكرا تلحين أهل النحوي فقال هي جائزة * وقال أيضا لا تنال الى أسفل حركتها أو الى فوق وعنه انه قال هي بالخفض حسنة * وعنه أيضا انه قال هي جائزة وليست عند الاعراب بذلك ولا التفات الى انكار أبي حاتم على أبي عمرو وتحسينها فأبو عمرو وامام لغة وامام نحو وامام قراءة وعربي صريح وقد أجازها وحسنها وقد روى بيت النابغة

على لعمر و نعمة بعد نعمة * لوالده ليست بذات عقارب

بخفض الياء من على وما في ما أشركتموني مصدرية ومن قبل متعلق بما أشركتموني أى كفرت اليوم بأشرككم اياي من قبل هذا اليوم أى في الدنيا كقوله انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرونا بكم * وقال ويوم القيامة يكفرون بشرككم * وقيل موصولة بمعنى الذى والتقدير كفرت بالصنم الذى أشركتموني به فحذف العائد * وقيل من قبل متعلق بكفرت وما معنى الذى أى كفرت من قبل حين آيت السجود لآدم بالذى أشركتموني به وهو الله عز وجل تقول شركت زيدا فاذا أدخلت همزة النقل قلت أشركت زيدا عمرا أى جعلته شريكا الان في هذا القول اطلاق ما على الله تعالى وما الاصح فيها انها لا تطلق على أحاد من يعلم * وقال الزمخشري ونحو ما هذه يعنى في اطلاقها على الله ما في قولهم سبحان ما سخر كن لنا انتهى ومن منع ذلك جعل سبحان عام على معنى التسبيح كما جعل برة عام للمبرة وما مصدرية ظرفية (ش) فان قلت فهم يتعلق يعنى باذن ربهم في القراءة الأخرى وقولك وأدخلهم أنا باذن ربهم كلام غير ملتئم * قلت الوجه في هذه القراءة أن يتعلق قوله باذن ربهم بما بعده أى تحييتهم فيها سلام باذن ربهم يعنى أن الملائكة يحيونهم باذن ربهم (ح) ظاهر كلامه ان باذن ربهم معمول لقوله تحييتهم ولذلك قال يعنى ان الملائكة يحيونهم باذن ربهم وهذا لا يجوز لان فيه تقديم معمول المصدر المحل بحرفه صدرى والفعل عام وهو غير جائز

ما معنى الذى أى كفرت من قبل حين آيت السجود لآدم بالذى أشركتموني به وهو الله تعالى تقول شركت زيدا فاذا أدخلت همزة النقل قلت أشركت زيدا عمرا أى جعلته شريكا الان في هذا القول اطلاق ما على الله تعالى وما الاصح فيها انها لا تطلق على أحاد من يعلم (ش) ونحو ما هذه يعنى في اطلاقها على الله ما في قولهم سبحان ما سخر كن لنا (ح) من منع ذلك جعل سبحان عام على معنى التسبيح كما جعل برة عام للمبرة وما مصدرية ظرفية (ش) فان قلت فهم يتعلق يعنى باذن ربهم في القراءة الأخرى وقولك وأدخلهم أنا باذن ربهم كلام غير ملتئم * قلت الوجه في هذه القراءة أن يتعلق قوله باذن ربهم بما بعده أى تحييتهم فيها سلام باذن ربهم يعنى أن الملائكة يحيونهم باذن ربهم (ح) ظاهر كلامه ان باذن ربهم معمول لقوله تحييتهم ولذلك قال يعنى ان الملائكة يحيونهم باذن ربهم وهذا لا يجوز لان فيه تقديم معمول المصدر المحل بحرفه صدرى والفعل عام وهو غير جائز

﴿ ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة ﴾ تقدم الكلام في ضرب مع المثل في أوائل البقرة فأغنى عن اعادته والكلمة الطيبة بالشجرة الطيبة لإله الله قاله ابن عباس ﴿ أصلها ثابت وفرعها في السماء ﴾ يريد بالفرع أغلاها ورأسها وان كان المشبه به ذا فروع فيكون من باب الالكفاء بلفظ الجنس ومعنى في السماء في جهة العلو والصعود لا المظلة ولما شئت الكلمة الطيبة كانت الكلمة أصلها ثابت في قلوب أهل الإيمان وما يصدر (٤٢١) عنهما من الأفعال الزكية والأعمال الصالحة هو فرعها

يصعد إلى السماء إلى الله تعالى كما قال إليه يصعد الكلم الطيب وما يترتب على ذلك العمل وهو ثواب الله تعالى هو جناها ووصف هذه الشجرة بأوصاف الأول قوله طيبة أي كريمة المنبت والأصل في الشجرة لذيذة في المطعم الثاني رسوخ أصلها وذلك يدل على تمكنها وأن الرياح لا تنقصها فهي بطيئة الفناء الثالث علو فرعها وذلك يدل على تمكن الشجرة ورسوخ عروقها وعلى بعدها من عفونات الأرض وعلى صفائها من الشوائب الرابع ديمومة وجود ثمرتها وحضورها في كل الأوقات والحين في اللغة قطعة من الزمان والكلمة الخبيثة هي كلمة الكفر والظاهر أن التشبيه وقع بشجرة غير معينة إذا وجدت منها هذه الأوصاف ومعنى اجتثت أي اقتلعت جنتها بنزع الأصول وبقيت في

تحيتهم ولذلك قال يعني أن الملائكة يحيونهم باذن ربهم وهذا لا يجوز لأن فيه تقديم معمول المصدر المحل بحرف مصدرى والفعل عليه وهو غير جائز * وقال أبو الفضل عبد الرحمن بن أحمد الرازي الحسن أدخل برفع اللام على الاستقبال باخبار الله تعالى عن نفسه فيصير بذلك باذن ربهم ألطف لهم وأحنى عليهم وتقدم تفسير تحيتهم فيها سلام في أوائل سورة يونس ﴿ ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين باذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون ﴾ ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار * يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء ﴾ تقدم الكلام في ضرب مع المثل في أوائل البقرة فكان يعني ذلك عن الكلام فيه هنا إلا أن المفسرين أبدوا هنا تقديرات فأعرب الحوفي والمهدوي وأبو البقاء مثلا مفعولا بضرب وكلمة بدل من مثلا وأعرابهم هذا تفرع على أن ضرب مثل لا يتعدى إلا إلى مفعول واحد * وقال ابن عطية وأجازة الزمخشري مثلا مفعول بضرب وكلمة مفعول أول تفرعا على أنها مع المثل تتعدى إلى اثنين لأنها بمعنى جعل وعلى هذا تكون شجرة خبر مبتدأ محذوف أي جعل كلمة طيبة مثلا هي أي الكلمة كشجرة طيبة وعلى البدل تكون كشجرة نعتا للكلمة * وأجاز الزمخشري وبدأ به أن تكون كلمة نصبا بضمير أي جعل كلمة طيبة كشجرة طيبة وهو تفسير لقوله ضرب الله مثلا كقولك شرف الأمير زيدا كساه حلة وجملة على فرس انتهى وفيه تكلف اضمار لا ضرورة تدعو إليه * وقرئ شاذًا كلمة طيبة بالرفع * قال أبو البقاء على الابتداء وكشجرة خبره انتهى ويجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف والتقدير هو أي المثل كلمة طيبة كشجرة وكشجرة نعت لكلمة والكلمة الطيبة هي لاله الله قاله ابن عباس أو الإيمان قاله مجاهد وابن جريج أو المؤمن نفسه قاله عطية العوفي والربيع أو جميع طاعته أو القرآن قاله الأصم أو دعوة الإسلام قاله ابن بحر أو الثناء على الله أو التسبيح والتزني به والشجرة الطيبة المؤمن قاله ابن عباس أو جوزة الهند قاله علي وابن عباس أو شجرة في الجنة قاله ابن عباس أيضا أو النخلة وعليه أكثر المتأولين وهو قول ابن مسعود وابن عباس وأنس ومجاهد وعكرمة والصحاح وابن زيد وجاء ذلك نصا من حديث ابن عمر مما أخرجه الدارقطني عنه قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكروا الآية فقال أندرون ما هي فوقع في نفسي أنها النخلة الحديث * وقال أبو العالية أثبت أنس بن مالك في بطبق عليه رطب فقال أنس كل يا أبا العالية فأنما الشجرة الطيبة التي ذكرها الله في كتابه ثم قال أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بصاع بسر فآله هذه الآية وفي الترمذي من حديث أنس نحوه هذا * وقال الزمخشري

غاية الوهي والضعف في قلبها أقل ربح قال كافر يرى أن بيده شيئا وهو لا يستقر ولا يغنى عنه شيئا * ما لها من قرار * أي استقرار يقال قرأ الشيء قرارا ثبت ثباتا وهذا النوع من المجاز هو من تشبيه المعقول بالحسوس * يثبت الله * بدأ بحال المؤمن وتثبيتته في الدنيا كونه لو فتن عن دينه في الدنيا لثبت عليه وما زال كما جرى لأصحاب الأخدود ثم ذكر حال الكافر بقوله * ويضل الله الظالمين * ولما ذكرنا إلى ما فعل بكل واحد من القسرين ذكر أنه لا يمكن اعتراض عليه فإخص به كل واحد منهما إذ ذاك راجع إلى مشيئة الله تعالى فقال * ويفعل الله ما يشاء * لا يسأل عما يفعل

كل شجرة مثمرة طيبة الثمار كالنخلة وشجرة التين والعنب والرمان وغير ذلك انتهى وقد شبه الرسول المؤمن الذي يقرأ القرآن بالترجمة فلا يبعد أن يشبه أيضاً شجرتها * أصلها ثابت أى فى الأرض ضارب بعروقه فيها * وقرأ أنس بن مالك كشجرة طيبة ثابت أصلها أجرى تالفة على الشجرة لفظاً وان كانت فى الحقيقة للسبى وقراءة الجماعة فيها اسناد الثبوت الى السبى لفظاً ومعنى وفيها حسن التقسيم اذ جاء أصلها ثابت وفرعها فى السماء يريد بالفرع أعلاها ورأسها وان كان المشبه به ذا فرع فيكون من باب الالكفاء بلفظ الجنس ومعنى فى السماء جهة العلو والصعود لا المظلة وفى الحديث خلق الله آدم طوله فى السماء ستون ذراعاً ولم يشبه الكامة الطيبة بالشجرة الطيبة كانت الكامة أصلها ثابت فى قلوب أهل الإيمان وما يصدر عنها من الأفعال الزكية والأعمال الصالحة هو فرعها يصعد الى السماء الى الله تعالى اليه يصعد الحكم الطيب والعمل الصالح يرفعه وما يترتب على ذلك العمل وهو ثواب الله هو جناها ووصف هذه الشجرة بأربعة أوصاف * الاول قوله طيبة أى كريمة المنبت والأصل فى الشجرة له لذة فى المطعم * قال الشاعر

طيب الباءة سهل ولهم * سبل ان شئت فى وحش وعر

أى ساحتهم سهلة طيبة * الثانى رسوخ أصلها وذلك يدل على تمكنها وان الرياح لا تقصفها فبى بطيئة الفناء وما كان كذلك حصل الفرح بوجوده * والثالث علو فرعها وذلك يدل على تمكن الشجرة ورسوخ عروقها وعلى بعدها عن غفونات الأرض وعلى صفائها من الشوائب * الرابع ديمومة وجود ثمرتها وحضورها فى كل الاوقات والحين فى اللغة قطعة من الزمان قال الشاعر

تناذرها الراقون من سوء سمها * تطلقه حيناً وحيناً تراجع

والمعنى تعطى جناها كل وقت وقته لله * وقال ابن عباس وعكرمة ومجاهد والحسن أى كل سنة ولذلك قال ابن عباس وعكرمة ومجاهد والحكم وجماعة من الفقهاء من حلف أن لا يفعل شيئاً حيناً فإنه لا يفعل سنة واستشهدوا بهذه الآية * وقيل ثمانية أشهر قاله على ومجاهد ستة أشهر وهى مدة بقاء الثمر عليها * وقال ابن المسيب الحين شهران لأن النخلة تدوم مثمرة شهرين * وقيل لا تعطى من ثمر تحمل فى كل شهر وهى شجرة جوز الهند * وقال ابن عباس أيضاً والضحاك والربيع كل حين أى كل غدوة وعشية ومتى أريد جناها ويتخرج على أنها شجرة فى الجنة والتذكر المرجو بضرب المثل هو التفهم والتصوير للمعنى المدركة بالعقل فتى أبرزت مشبهة بالمحسوسات لم ينازع فيها الحس والخيال والوهم وانطبق المعقول على المحسوس فحصل الفهم والوصول الى المطالب والكامة الخبيثة هى كلمة الكفر على قول الجمهور * وقال مسروق الكذب وقال ابن حجر دعوة الكفر وما يعزى اليه الكافر * وقيل كل كلام لا يرضاه الله تعالى * وقرأ أبى وضرب الله مثلاً كلمة خبيثة وقرئ ومثل كلمة بنصب مثل عطف على كلمة طيبة والشجرة الخبيثة شجرة الخنظل قاله الاكثر ون ابن عباس ومجاهد وأنس بن مالك ورواه عن النبي صلى الله عليه وسلم * وقال الزجاج وفرقة شجرة النوم * وقيل شجرة الكشوت وهى شجرة لا ورق لها ولا أصل قال وهى كشوت فلا أصل ولا ثمر * وقال ابن عطية ويرد على هذه الأقوال أن هذه كلها من النجم وليست من الشجر والله تعالى انما مثل بالشجر فلا تسمى هذه شجرة الا بتجاوز فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى النوم والبصل من أكل من هذه الشجرة * وقيل الطحلبة * وقيل الكاءة * وقيل كل شجر لا يطيب له ثمر وعن ابن عباس هى الكافر وعنه أيضاً شجرة لم تخلق على الأرض * وقال ابن عطية

والظاهر عندى أن التشبيه وقع بشجرة غير معينة اذا وجدت منها هذه الاوصاف هو أن يكون كالعضة أو شجرة السموم ونحوها اذا اجتمعت أى اقتلعت جذها بنزع الاصول وبقيت فى غاية الوهى والضعف فتقلها أقل ريح قال كافر يرى أن يبدى شيئا وهو لا يستقر ولا يغنى عنه كهذه الشجرة التى يظن بها على بعد الجاهل أنها نافع وهى خبيثة الجنى غير نافعة انتهى واجتمعت من فوق الارض مقابل لقوله أصلها ثابت أى لم يتمكن لها أصل ولا عرق فى الارض وانما هى نابتة على وجه الارض ما لها من قرار أى استقرار يقال قر الشئ قرارا ثبت ثباتا شبه هذه الشجرة القول الذى لم يعضد بحجة فهو لا يثبت بل يضمحل عن قريب لبطلانه والقول الثابت هو الذى ثبت بالحجة والبرهان فى قلب صاحبه وتمكن فيه واطمأنت اليه نفسه وتثبيتهم به فى الدنيا كونهم لو فتنوا عن دينهم فى الدنيا الثبتوا عليه ومازلوا كما جرى لاصحاب الاخدود والذين نشروا بالمنشير وكشطت لحومهم بامشاط الحديد كما ثبت جرجيس وشمعون وبلال حتى كان يعذب بالرمضاء وهو يقول أحدا أحد وتثبيتهم فى الآخرة كونهم اذا سئلوا عند توافق الشهاد عن معتقدهم ولم يتلعثوا ولم يهتوا ولم تحيرهم أهوال الحشر والذين آمنوا عام من لدن آدم الى يوم القيامة * وقال طاووس وقتادة وجهور من العلماء أن تثبيتهم فى الدنيا هو مدة حياة الانسان وفى الآخرة هو وقت سؤاله فى قبره ورجح هذا القول الطبرى * وقال البراء بن عازب وجماعة فى الحياة الدنيا هى وقت سؤاله فى قبره ورواه البراء عن النبى صلى الله عليه وسلم وفى الآخرة هو يوم القيامة عند العرض * وقيل معنى تثبيته فى الحياة الدنيا وفى الآخرة هو حياته على الايمان وحشره عليه * وقيل التثبيت فى الدنيا الفتح والنصر وفى الآخرة الجنة والثواب وما صح عن الرسول صلى الله عليه وسلم فى حديث البراء من تلاوته عند ايعاد المؤمن فى قبره وسئل وشهد شهادة الاخلاص قوله تعالى يثبت الله الذين آمنوا الآية لا يظهر منه يعنى أن الحياة الدنيا هى حياة الانسان وأن الآخرة فى القبر ولا أن الحياة الدنيا هى فى القبر وأن الآخرة هى يوم القيامة بل اللفظ محتمل ومعنى يثبت يديمهم عليه ويمنعهم من الزلل ومنه قول عبد الله بن رواحة

فَقَبِلَ اللَّهُ مَا آتَاكَ مِنْ حَسَنٍ * تَثْبِيْتُ مُوسَى وَنَصَرَا كَالَّذِي نَصَرُوا

والظاهر أن بالقول الثابت متعلق بقوله ثبت * وقيل يتعلّق بآمنوا وسؤال العبد في قبره معتقداً أهل السنة ويضل الله الظالمين أي الكافرين لمقابلتهم بالمؤمنين واضلالهم في الدنيا كونهم لا يثبتون في مواقف الفتن وتزل أقدامهم وهي الحيرة التي تلحقهم إذ ليسوا متمسكين بحجة وفي الآخرة هو اضطرابهم في جوابهم ولما تقدم تشبيه الكامة الطيبة على تشبيه الكامة الخبيثة تقدم في هذا الكلام من نسبت اليه الكامة الطيبة وتلاوه من نسبت اليه الكامة الخبيثة ولما ذكر تعالى ما فعل بكل واحد من القسمين ذكر أن لا يمكن اعتراض فيما خص به كل واحد منهما إذا دلّراجع إلى مشيئته تعالى أن الله يفعل ما يشاء لا يسئل عما يفعل * وقال الرّحشري ويفعل الله ما يشاء أي توجيه الحكمة لأن مشيئة الله تابعة للحكمة من تثبيت المؤمنين وتأييدهم وعصيتهم عند ثباتهم وعزيمهم ومن اضلال الظالمين وخذلانهم والتخيلة بينهم وبين شأنهم عندزل لهم انتهى وفيه دسياسة الاعتزال * ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار * جهنم يصلونها وبئس القرار * وجعلوا لله أنداداً ليضلوا عن سبيله قل تمتعوا فإن مصيركم إلى النار * لماذا كرّ حال المؤمنين وهداهم وحال الكافرين واضلالهم ذكر السبب في اضلالهم والذين بدلوا اظاهره أنه عام

﴿ ألم تر الى الذين بدلوا
نعمة الله كفرا ﴾ الآية
الذين بدلوا ظاهره أنه
عام في جميع المشركين
وسأل ابن عباس عمر بن
الخطاب رضى الله عنه
فقال هما الابحران من
قريش أخوالى أى بنى
مخزوم واستؤصلا بيدر
وأعمام لأى بنى أمية و بدل
يتعدى الى اثنين أحدهما
بالباء أو ماجرى مجراها
وقد تحذف الباء وهى
هنا محذوفة تقديره بنعمة
الله أى بشكر نعمة الله
وتقدم الكلام على مثل
ذلك فى قوله تعالى ومن
يتبدل الكفر بالايان
﴿ وأحلوا قومهم دار
البوار ﴾ أى دار الهلاك
وجهم بدل من قوله دار
البوار والمخصوص بالذم
محذوف تقديره وبئس
القرار هى أى جهنم
﴿ وجعلوا لله أندادا ﴾
أى زادوا الى كفر نعمته
أن صيروا له أندادا وهى
الاصنام التى اتخذوها
آلهة من دون الله والظاهر
أن اللام لام الصيرورة
والمآل لما كانت نتيجة
جعل الأنداد آلهة آل
الى الضلال والامر بالمتع
أمر تهديد ووعد

في جميع المشركين قاله الحسن بدلو بنعمة الايمان الكفر * وقال مجاهد هم أهل مكة أنعم الله تعالى
 عليهم ببعثه رسولا منهم يعلمهم أمر دينه وشر فهم به وأسكنهم حرمة وجعلهم قوام بيته فوضعوا مكان
 شكر هذه النعمة كفرا وسأل ابن عباس عمر عنهم فقال هما الاعراب من قريش أخو إلى أي
 بني مخزوم واستؤصلوا ببدن وأعمامك أي بني أمية ومتعوا إلى حين وعن علي نحو من ذلك * وقال
 قتادة هم قادة المشركين يوم بدر وعن علي هم قريش الذين تحزبوا يوم بدر وعلى أنهم قريش
 جماعة من الصحابة والتابعين وعن علي أيضا هم منافقو قريش أنعم عليهم باظهار علم الاسلام
 بأن صان دماءهم وأموالهم وذراريهم ثم عادوا إلى الكفر وعن ابن عباس في جيلة بن اليم
 ولا يريد أنها نزلت فيه لأن نزول الآية قبل قصته وقصته كانت في خلافة عمر وإنما يريد ابن عباس أنها
 تخص من فعل فعل جيلة إلى يوم القيامة ونعمة الله على حذف مضاف أي بدلو اشكر نعمة الله كقوله
 وتعملون رزقكم انكم تكذبون أي شكر رزقكم كأنه وجب عليهم الشكر فوضعوا مكانه كفرا
 وجعلوا مكان شكرهم التكذيب * قال الزمخشري ووجه آخر وهو أنهم بدلو نفس النعمة
 بالكفر حاصلهم الكفر بدل النعمة وهم أهل مكة أسكنهم الله حرمة وجعلهم قوام بيته وأكرمهم
 بمحمد صلى الله عليه وسلم فكفروا بنعمة الله بدل ما أكرمهم من الشكر العظيم أو أصابهم الله بالنعمة
 والسعة لا يلافهم الرحلتين فكفروا بنعمة فضرهم الله بالقحط سبع سنين فحصل لهم الكفر بدل
 النعمة وبقي الكفر طوقا في أعناقهم انتهى ونعمة الله هو المفعول الثاني لأنه هو الذي يدخل عليه
 حرف الجر أي بنعمة الله وكفرا هو المفعول الأول كقوله فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات أي
 بسيئاتهم حسنات فالمنصوب هو الحاصل والمجرور بالباء أو المنصوب على اسقاطها هو الذهاب على
 هذا لسان العرب وهو على خلاف ما يفهمه العوام وكثير ممن ينتهي إلى العلم وقد أوجعنا هذه المسألة
 في قوله في البقرة ومن يتبدل الكفر بالايان وإذا قدرت مضافا محذوف وهو شكر نعمة الله فهو
 الذي دخلت عليه الباء ثم حذف واذا لم يقدر مضاف محذوف فالباء دخلت على نعمة ثم حذفت
 وأحلو أقومهم أي من تابعهم على الكفر وزعم الحوفي وأبو البقاء ان كفر اهو مفعول ثان لبدلو
 وليس بصحيح لأن بدل من اخوات اختار والذي يباشره حرف الجر هو المفعول الثاني والذي يصل
 إليه الفعل بنفسه لا بواسطة حرف الجر هو المفعول الأول وأعرب الحوفي وأبو البقاء جهنم بدلا من
 دار البوار والزمخشري عطف بيان فعلى هذا يكون الاحلال في الآخرة ودار البوار جهنم وقاله
 ابن زيد وقيل عن علي يوم بدر وعن عطاء بن يسار نزلت في قتلى بدر فيكون دار البوار أي الهلاك
 في الدنيا كقليب بدر وغيره من المواضع التي قتلتوا فيها وعلى هذا أعرب ابن عطية وأبو البقاء جهنم
 منصوبا على الاشتغال أي يصلون جهنم يصلونها ويؤيد هذا التأويل قراءة ابن أبي عبلة جهنم بالرفع
 على أنه محتمل أن يكون جهنم مرفوعا على أنه خبر مبتدأ محذوف وهذا التأويل أولى لأن النصب
 على الاشتغال مرجوح من حيث أنه لم يتقدم ما يرجحه ولا ما يكون مساويا وجهه ووراء القراء على
 النصب ولم يكونوا يقرؤا بغير الراجح أو المساوي إذ يزيد ضرر بته أفصح من زيد ضرر بته فلذلك كان
 ارتفاعه على أنه خبر مبتدأ محذوف في قراءة ابن أبي عبلة راجحا وعلى تأويل الاشتغال يكون
 يصلونها لا موضع له من الاعراب وعلى التأويل الأول جوزوا أن يكون حال من جهنم أو حال من دار
 البوار أو حال من قومهم والمخصوص بالذم محذوف تقديره وبئس القرار هي أي جهنم وجعلوا الله
 أنداد أي زادوا إلى كفرهم نعمة أن صيروا له أندادا وهي الاصنام التي اتخذوا آلهة من دون الله *

﴿ قل لعبادى الذين آمنوا ﴾ الآية لما ذكر حال الكفار وكفرهم نعمته وجعلهم أندادا وتهدهم أمر المؤمنين بلزوم الطاعة والالتزام لانفسهم والتزام عمودى الاسلام الصلاة والزكاة قبل مجئ يوم القيامة ومعمول قبل محذوف تقديره أقيموا الصلاة وقيموا جواب لهذا الامر المحذوف وعلامة الجزم فيه حذف النون قال ابن عطية ويظهر أن المقول هو الآية التى بعد أى قوله الله الذى خلق السموات والارض انتهى وهذا الذى ذهب اليه من كون معمول القول هو قوله الله الذى خلق الآية تفكيك للكلام بخالفه ترتيب التركيب ويكون قوله يقيموا الصلاة كلاما مقلتا من القول ومعموله أو يكون جوابا فصل به بين القول ومعموله ولا يترتب أن يكون جوابا لان قوله تعالى الله الذى خلق السموات والارض لا يستدعى اقامة الصلاة والانفاق الا بعد تقدير بعيد جدا وتقدم الكلام على قوله تعالى لا يسع (٤٢٥) فيه فى البقرة ولما أطال الكلام فى وصف أحوال السعداء

والاشقياء ختم وصفه بالدلائل الدالة على وجود الصانع فقال الله الذى خلق الآية وذكر أنواعا من الدلائل فذكر أولا إبداعه وانشاء السموات والارض ثم أعقب بساقى الدلائل وأبرزها فى جملة مستقلة ليدل وينبه على أن كل جملة منها مستقلة فى الدلالة ولم يجعل متعلقاتها معطوفات عطف المفرد على المفرد والله مرفوع على الابتداء والذى خبره قال ابن عطية ويجوز أن تكون من لبيان الجنس كأنه قال فأخرج به رزقا لكم هو الثمرات وهذا ليس بجيد لأن من التى لبيان الجنس انما تأتى بعد المبهم الذى تبيينه قال

وقرأ ابن كثير وأبو عمر وليضاهونا وليفضل فى الحج ولقمان والروم بفتح الياء وباقي السبعة بضمها والظاهر أن اللام لام الصيرورة والمال لما كانت نتيجة جعل الانداد آلهة الضلال أو الاضلال جرى مجرى لام العلة فى قولك جئت لك لتكرمى على طريقة التشبيه * وقيل قراءة الفتح لا تحتل أن تكون اللام لام العاقبة وأما بالضم فتحتمل العاقبة والعلة والامر بالتمتع أمر تهديد ووعيد على حد قوله اعملوا ما شئتم * قال الزخشرى تمتعوا ايذان بأنهم لا تنعم بهم فى التمتع بالحاضر وانهم لا يعرفون غيره ولا يريدونه أمورون به قد أمرهم أمر مطاع لا يسعهم أن يخالفوه ولا يملكون لأنفسهم أمرا دونه وهو أمر الشهوة والمعنى ان دمت على ما أنتم عليه من الامتنال لأمر الشهوة فان مصيركم الى النار ويجوز أن يراد الخذلان والتخلية ونحوه قل تمتع بكفرك قليلا انك من أصحاب النار انتهى ومصيركم مصدر صار التامة بمعنى رجوع وخبر ان هو قوله الى النار ولا يقال هنا صار بمعنى انتقل ولذلك تعدى الى أى فان انتقالكم الى النار لأنه تبقى ان بلا خبر ولا ينبغي أن يدعى حذفه فيكون التقدير فان مصيركم الى النار واقع لاحالة أو كائن لأن حذف الخبر فى مثل هذا التركيب قليل وأكثر ما يحذف اذا كان اسم ان نكرة والخبر جار ومجرور وقد أجاز الخوف أن يكون الى النار متعلقا بمصيركم فعلى هذا يكون الخبر محذوفا ﴿ قل لعبادى الذين آمنوا يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية من قبل أن يأتى يوم لا يسع فيه ولا خلال ﴾ الله الذى خلق السموات والارض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره وسخر لكم الانهار * وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار * وآتاكم من كل ما سألتموه وان تعدوا نعمت الله لا تحصوها ان الانسان لظالم كفار ﴿ لما ذكر تعالى حال الكفار وكفرهم نعمته وجعلهم له أندادا وتهدهم أمر المؤمنين بلزوم الطاعة والالتزام وعمودى الاسلام الصلاة والزكاة قبل مجئ يوم القيامة ومعمول قبل محذوف تقديره أقيموا الصلاة وقيموا وقيموا مجزوم على جواب الامر وهذا قول الاخفش والمأزنى ورد بأنه لا يلزم من القول ان

(٥٤ - تفسير البحر المحيط لابي حيان - خامس) الزخشرى ويجوز أن يكون من الثمرات مفعول أخرج ورزقا حالا من المفعول أو نصبا على المصدر من أخرج لأنه فى معنى رزق وقيل من زائدة انتهى هذا لا يجوز عند جمهور البصريين لان ما قبلها واجب وبعدها معرفة ويجوز عند الاخفش وانتصب دائبين على الحال والمعنى يدأبان فى سيرهما وانارتهما واصلاحهما ما يصلحان من الارض والأبدان والنبات والضمير المنصوب فى سألتموه عائدا على ما وهى موصولة بمعنى الذى والذى يظهر أن النعمة هو المنعم به وانه هو اسم جنس لا يراد به الواحد بل يراد به الجمع كأنه قيل وان تعدوا نعم الله ومعنى لا تحصوها لا تحصرها ولا تطيقوا عددها والمراد بالانسان هما الجنس أى توجد فيه هذه الخلال وهى الظلم والكفر يظلم النعمة باغفال شكرها ويكفرها بمجرد ما جاء فى النحل وان تعدوا نعمة الله جاءت مختمة بقوله ان الله لغفور رحيم وسيأتى الكلام عليه ان شاء الله تعالى

(الدر) قل لعبادى الذين آمنوا يقيموا الصلاة (ح) معمول قبل محذوف تقديره أقيموا الصلاة وقيموا مجزوم على

(الدر) جواب الامر وهذا قول الاخفش والمازني وردبانه لا يلزم من القول أن يقيموا ورد هذا الردبانه أمر المؤمنين بالاقامة للكافرين والمؤمنون متى أمرهم الرسول بشئ فعلوه لا محالة قال (ع) ويحتمل أن يكون يقيموا جواب الامر الذي يعطينا معناه قوله قل وذلك أن يجعل قل في هذه الآية بمعنى بلغ وأد الشريعة يقيموا الصلاة انتهى وهذا قريب مما قبله الآن فيما قبله معمول القول أقيموا وفي هذا الشريعة على تقدير بلغ الشريعة وذهب الكسائي والزجاج إلى أن معمول قل هو قوله يقيموا وهو أمر مجزوم بلام الامر محذوف على حد قول الشاعر * محمد تفد نفسك كل نفس * أنشد سيبويه لأنه قال ان هذا لا يجوز الا في الشعر وقال (ش) في هذا القول وانما جاز حذف اللام لأن الامر الذي هو قل عوض منه ولو قيل يقيموا الصلاة وينفقوا ابتداء بحذف اللام لم يجز انتهى وذهب المبرد إلى أن التقدير قل لهم أقيموا فيقيموا المصرح به جواب أقيموا المحذوف قيل وهو فاسد لوجهين أحدهما ان جواب (٤٢٦) الشرط يخالف الشرط اما في الفعل أو في الفاعل أو

فيهما فاما اذا كان مثله فيهما فهو خطأ كقولك قم قم والتقدير على هذا الوجه ان يقيموا يقيموا والوجه الثاني ان الامر المقدر للمواجهة يقيموا على لفظ الغيبة وهو خطأ اذا كان الفاعل واحدا وقيل التقدير ان تقل لهم أقيموا يقيموا قاله سيبويه فيما حكى (ع) وقال الفراء جواب الامر معه شرط مقدر تقول أطع الله يدخلك الجنة أي ان تطعه يدخلك الجنة ومخالفة هذا القول للقول قبله من أن الشرط في هذا مقدر بعد فعل الأمر وفي الذي قبله الأمر

يقيموا ورد هذا الردبانه أمر المؤمنين بالاقامة للكافرين والمؤمنون متى أمرهم الرسول بشئ فعلوه لا محالة * قال ابن عطية ويحتمل أن يكون يقيموا جواب الامر الذي يعطينا معناه قوله قل وذلك ان يجعل قل في هذه الآية بمعنى بلغ وأد الشريعة يقيموا الصلاة انتهى وهذا قريب مما قبله الآن فيما قبله معمول القول أقيموا وفي هذه الشريعة على تقدير بلغ الشريعة وذهب الكسائي والزجاج وجاعة إلى أن معمول قل هو قوله يقيموا وهو أمر مجزوم بلام الامر محذوف على حد قول الشاعر * محمد تفد نفسك كل نفس * أنشد سيبويه لأنه قال ان هذا لا يجوز الا في الشعر وقال الزمخشري في هذا القول وانما جاز حذف اللام لأن الامر الذي هو قل عوض منه ولو قيل يقيموا الصلاة وينفقوا ابتداء بحذف اللام لم يجز انتهى وذهب المبرد إلى أن التقدير قل لهم أقيموا يقيموا المصرح به جواب أقيموا المحذوف قيل وهو فاسد لوجهين أحدهما ان جواب الشرط يخالف الشرط اما في الفعل أو في الفاعل أو فيهما فاما اذا كان مثله فيهما فهو خطأ كقولك قم قم والتقدير على هذا الوجه ان يقيموا يقيموا والوجه الثاني ان الامر المقدر للمواجهة يقيموا على لفظ الغيبة وهو خطأ اذا كان الفاعل واحدا * وقيل التقدير ان تقل لهم أقيموا يقيموا قاله سيبويه فيما حكاه ابن عطية * وقال الفراء جواب الامر معه شرط مقدر تقول أطع الله يدخلك الجنة أي ان تطعه يدخلك الجنة ومخالفة هذا القول للقول قبله ان الشرط في هذا مقدر بعد فعل الامر وفي الذي قبله الامر مضمن معنى الشرط * وقيل هو مضارع بلفظ الخبر صرف عن لفظ الامر والمعنى أقيموا قاله أبو علي وفرقة وردبانه لو كان مضارعا بلفظ الخبر ومعناه الأمر لبقى على اعرابه كقوله هل أدلكم على تجارة ثم قال تؤمنون والمعنى آمنوا واعتل أبو علي لذلك بانه لما كان بمعنى الأمر بنى يعني على حذف النون لان المراد أقيموا وهذا كما بنى الاسم المتكسر في

مضمن معنى الشرط وقيل هو مضارع بلفظ الخبر صرف عن لفظ الأمر والمعنى أقيموا قاله أبو علي وفرقة وردبانه لو كان مضارعا بلفظ الخبر ومعناه الأمر لبقى على اعرابه كقوله هل أدلكم على تجارة ثم قال تؤمنون والمعنى آمنوا واعتل أبو علي لذلك بانه لما كان بمعنى الأمر بنى يعني على حذف النون لان المراد أقيموا وهذا كما بنى الاسم المتكسر في النداء في قولك يا زيد يعني على الضمة لما شبه بقبل وبعد انتهى ومتعلق القول الملفوظ به والمقدر على هذه التواريخ هو الأمر بالاقامة والانفاق الا في قول (ع) فتعلقه الشريعة فهو أعم اذ قدر قل بمعنى بلغ وأد الشريعة قال (ع) ويظهر ان القول هو الآية التي بعد أعنى قوله الله الذي خلق السموات والأرض انتهى وهذا الذي ذهب اليه من كون معمول القول هو قوله تعالى الله الذي الآية تفكيك للكلام يخالفه ترتيب التركيب ويكون قوله يقيموا الصلاة كلاما مفلقا من القول ومعموله أو يكون جوابا فصل به بين القول ومعموله ولا يترتب أن يكون جوابا لان قوله الله الذي خلق السموات والأرض لا يستدعي إقامة الصلاة والانفاق لا بتقدير بعيد جدا

النداء في قولك يا زيد يعني على الضمة لما شبه بقبل وبعد انتهى ومتعلق القول الملفوظ به أو المقدر في هذه التخارج هو الامر بالاقامة والانفاق الا في قول ابن عطية فتعلقه الشريعة فهو أعم اذ قدر قل بمعنى بلغ وأد الشريعة قال ابن عطية ويظهر أن المقول هو الآية التي بعد أعني قوله الله الذي خلق السموات والارض انتهى وهذا الذي ذهب اليه من كون معمول القول هو قوله تعالى الله الذي الآية تفكيك للكلام يخالفه ترتيب التركيب ويكون قوله يقيموا الصلاة كلاما مفلقا من القول ومعموله أو يكون جوابا فصل به بين القول ومعموله ولا يترتب أن يكون جوابا لان قوله الله الذي خلق السموات والارض لا يستدعي اقامة الصلاة والانفاق لا بتقدير بعيد جدا واحتل الصلاة ان يراد بها العموم أي كل صلاة فرض وتطوع وأن يراد بها الخمس وبذلك فسرهما ابن عباس وفسر الانفاق بزكاة الاموال وتقدم اعراب سرا وعلانية وشرحها في أواخر البقرة * وقال أبو عبيدة البيع هنا البذل والخلال المخاللة وهو مصدر من خالت خلا لا ومخاللة وهي المصاحبة انتهى ويعني بالبذل مقابل شيء * وقال امرؤ القيس

صرفت الهوى عنهم من خشية الردى * ولست بمقلى الخلال ولا قال

* وقال الأخفش الخلال جمع خله وتقدم الخلاف في قراءة لا يبيع فيه ولا خلال بالفتح أو بالرفع في البقرة والمراد بهذا اليوم يوم القيامة قال الزمخشري (فان قلت) كيف طابق الأمر بالانفاق وصف اليوم بأنه لا يبيع فيه ولا خلال (قلت) من قبل ان الناس يخرجون أموالهم في عقود المعاوضات فيعطون بدلا لياخذوا مثله وفي المكارمات ومهاداة الاصدقاء ليستخرجوا بهداياهم أمثالها أو خيرا منها أو ما للانفاق لوجه الله خالصا كقوله وما لا احد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى فلا يفعله الا المؤمنون الخالص فبعثوا اليه لياخذوا بدله في يوم لا يبيع فيه ولا خلال أي لا انتفاع فيه بمبايعة ولا مخاللة ولا بما ينفقون فيه أموالهم من المعاوضات والمكارمات وانما ينتفع فيه بالانفاق لوجه الله انتهى ولما أطال تعالى الكلام في وصف أحوال السعداء والاشقياء وكان حصول السعادة بمعرفة الله وصفاته والشقاوة بالجهل بذلك ختم وصفه بالدلائل الدالة على وجود الصانع وكمال علمه وقدرته فقال الله الذي خلق السموات والارض وذ كر عشرة أنواع من الدلائل قد كرأولا ابداعه وانشاء السموات والارض ثم أعقب بباقي الدلائل وأبرزها في جمل مستقلة ليدل وينبه على ان كل جملة منها مستقلة في الدلالة ولم يجعل متعلقاتها معطوفات عطف المفرد على المفرد والله مرفوع على الابتداء والذي خبره * قال ابن عطية ومن أخبر بهذه الجملة وتقررت في نفسه آمن وصلى وأنفق انتهى يشير الى ما تقدم من قوله ان معمول قل هو قوله تعالى الله الذي خلق السموات والارض الآية فكأنه يقول يقيموا الصلاة جواب لقوله قل لعبادي الله الذي خلق السموات والارض والظاهر أن معمول أخرجه هو رزقكم ومن للتبعض ولما تقدم على النكرة كان في موضع الحال ويكون المعنى ان الرزق هو بعض جنى الاشجار ويخرج منها ما ليس برزق كالجزء للمضرات ويجوز أن تكون من لبيان الجنس قاله ابن عطية والزمخشري وكأنه قال فأخرج به رزقكم هو الثمرات وهذا ليس بجيد لان من التي لبيان الجنس انما تأتي بعد المبهم الذي تبينه * وقال الزمخشري ويجوز أن يكون من الثمرات مفعول أخرجه ورزقا حالاً من المفعول أو نصبا على المصدر من أخرجه لانه في معنى رزق * وقيل من زائدة وهذا لا يجوز عند جمهور البصريين لان ما قبلها واجب وبعدها معرفة ويجوز عند الأخفش والفك هنا جمع فلك ولذلك قال

(الدر)

(ش) (ع) ويجوز أن يكون من بيان الجنس كأنه قال فأخرج به رزقا لكم هو الثمرات (ح) هذا ليس بجيد لان من التي لبيان الجنس انما تأتي بعد المبهم الذي تبينه (ش) ويجوز أن يكون من الثمرات مفعول أخرجه ورزقا حالاً من المفعول أو نصبا على المصدر من أخرجه لانه في معنى رزق وقيل من زائدة انتهى (ح) هذا لا يجوز عند جمهور البصريين لان ما قبلها واجب وبعدها معرفة ويجوز عند الأخفش

لتجري ومعنى بأمره راجع الى الامر القائم بالذات * وقال الزمخشري لقوله كن وانطوى في
تسخير الفلك تسخير البحار وتسخير الرياح وأما تسخير الانهار فبحر يانهاو بتفجيرها لانتفاع بها
وانتصب دائبين على الحال والمعنى يدأبان في سيرهما وانارتها واصلاحهما ما يصلحان من الأرض
والابدان والنبات عن مقاتل بن حبان يرفعه الى ابن عباس انه قال معناه دائبين في طاعة الله * قال
ابن عطية وهذا قول ان كان يراد به ان الطاعة انقياد منهما في التسخير فذلك موجود في قوله سخر
وان كان يراد أنها طاعة مقصودة كطاعة العباد من البشر فهذا جيد والله أعلم انتهى وتسخير الليل
والنهار كونهما يتعاقبان خلفة للناس والمعاش وقال المتكلمون تسخير الليل والنهار مجاز لانهما
عرضان والاعراض لا تسخر ولما ذكر تعالى تلك النعم العظيمة ذكر انه لم يقتصر عليها فقال
وآتاكم من كل ما سألتوه والخطاب للجنس من البشر أى أن الانسان قد أوتي من كل ما شأنه أن
يسأل وينتفع به ولا يطرده هذا في كل واحد واحد من الناس وانما تفرقت هذه النعم في البشر فيقال
بحسب هذا الجميع أوتيتهم كذا على جهة التقرير للنعمة * وقرأ ابن عباس والضحاك والحسن
ومحمد بن علي وجعفر بن محمد وعمرو بن قائد وقتادة وسلام ويعقوب ونافع في رواية من كل بالتنوين
أى من كل هذه المخلوقات المذكورات وما موصولة مفعول ثان أى ما شأنه أن يسأل بمعنى يطلب
الانتفاع به * وقيل مانافية والمفعول الثاني هو من كل كقوله وأوتيت من كل شيء أى غير سائليه
أخبر بسبوغ نعمته عليهم بما لم يسأله من النعم ولم يعرض لمأسأله والجملة المنفية في موضع نصب
على الحال وهذا القول بدأ به الزمخشري وثنى به ابن عطية وقال انه تفسير الضحاك وهذا
التفسير يظهر انه منافي لقراءة الجمهور من كل ما سألتوه بالاضافة لان في تلك القراءة على ذلك
التخرج تكون مانافية فيه كونه لم يسأله وفي هذه القراءة يكونون قد سأله وما معنى الذى
وأجيز أن تكون مصدرية ويكون المصدر بمعنى المفعول ولما أحسن الزمخشري بظهور التنافي
بين هذه القراءة وبين تلك على تقدير ان مانافية قال ويجوز أن تكون ماموصولة على وآتاكم
من كل ذلك ما احتجتم اليه ولم تصلح أحوالكم ومعاشكم الا به فكأنكم سألتوه أو طلبتموه
بلسان الحال فتأول سألتوه بقوله ما احتجتم اليه والضمير في سألتوه ان كانت مامصدرية عائد على
الله تعالى ويكون المصدر يراد به المسئول وان كانت موصولة بمعنى الذى عاد عليها والتقدير من كل
الذى سألتوه اياه ولا يجوز أن يكون عائد على الله والرابط للصلة بالموصول محذوف لانك ان قدرته
متصلا فيكون التقدير ما سألتوه هو فلا يجوز أو منفصلا فيكون التقدير ما سألتوه اياه فالمنفصل
لا يجوز حذفه والنعمه هنا قال الواحدى اسم أقيم مقام المصدر يقال أنعم انعاما ونعمة أقيم الاسم
مقام الانعام كقولك أنفقت انفاقا ونفقة ولذلك لم يجمع لانه في معنى المصدر انتهى والذى يظهر أن
النعمه هو المنعم به وأنه هو اسم جنس لا يراد به الواحد بل يراد به الجمع كأنه قيل وان تعدوا نعمة الله
ومعنى لا تحصوها لا تحصروها ولا تطبقوا عدها هذا اذا أرادوا أن يعدوها على الاجمال وأما التفصيل
فلا يقدر عليه ولا يعاونه الا الله * وقال أبو الدرداء من لم ير نعمة الله عليه الا في مطعمه ومشر به فقد قل
عالمه وحضر عذابه والمراد بالانسان هنا الجنس أى توجد فيه هذه الخلل وهى الظلم والكفر يظلم
النعمه باغفال شكرها ويكفرها بجحدها * وقيل ظلم في الشدة فيشكو ويجزع كفار في
النعمه يجمع ويمنع وفي التحل وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الله لغفور رحيم والفرق بين
الخطمين أنه هنا تقدم قوله ألم تر الى الذين بدلوا نعمت الله كفرا أو بعدد وجهه لو الله أن دادا فكان ذلك

نصاعلى ما فعلوا من القبائح من كفران النعمة والظلم الذى هو الشرك بجعل الانداد ناسب ان يحتم
بذم من وقع ذلك منه فجاء ان الانسان لظلم كفار واما فى النحل فلماذا كر عدة تفضلات وأطنب فيها
وقال أفن يخلق كن لا يخلق أى من أوجد هذه النعم السابق ذكرها ليس كن لا يقدر على الخلق ولا
على شئ منه ذكر من تفضلاته اتصافه بالعذاب والرحمة تحريضا على الرجوع اليه وان هاتين الصفتين
هو متصف بهما كما هو متصف بالخلق فى ذلك اطماع لمن آمن به وانتقل من عبادة المخلوق الى عبادة
الخالق انه يغفر لله السابق ويرجوه وأيضا فانه لما ذكر انه تعالى هو المتفضل بالنعم على الانسان ذكر
ما حصل من المنعم ومن جنس المنعم عليه فحصل من المنعم ما يناسبه حالة عطائه وهو الغفران والرحمة
اذلولا هالمال أنعم عليه وحصل من جنس المنعم عليه ما يناسبه حالة الانعام عليه وهو الظلم والكفران
فكانه قيل ان صدر من الانسان ظلم فالتة غفور أو كفران نعمة فالتة رحيم لعلمه بعجز الانسان
وقصوره ودعوى أن هذه الآية منسوخة بآية النحل لا يلتفت اليها ونقل ذلك السخاوى عن عبد
الرحمن بن زيد بن أسلم * وإذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبني وبني أن نعبد الاصنام
رب انهم أضل الناس فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم * ربنا انى أسكنت
من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى
اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون * ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن وما يخفى على الله من شئ فى
الارض ولا فى السماء * الحمد لله الذى وهب لى على الكبر اسماعيل واسحاق ان ربي لسميع الدعاء
* رب اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذريتي ربنا وتقبل دعاء * ربنا اغفر لى ولوالدى وللمؤمنين يوم يقوم
الحساب * ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار * مهطعين
مقنعى رؤسهم لا يرتد اليهم طرفهم وأفئدتهم هواء * وأنذر الناس يوم يأتهم العذاب فيقول الذين
ظلموا ربنا أخرجنا الى أجل قريب نجيب دعوتك وتتبع الرسل أولم تكونوا أقسمتم من قبل مالكم
من زوال * وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم
الامثال * وقد مكر وامكرهم وعند الله مكرهم وان كان مكرهم لتزول منه الجبال * فلا تحسبن الله
مخلف وعده رسله ان الله عزيز ذو انتقام * يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله
الواحد القهار * وترى المجرمين يومئذ مقرنين فى الاصفاد * سراويلهم من قطران وتغشى وجوههم
النار * ليجزى الله كل نفس ما كسبت ان الله سريع الحساب * هذا بلاغ للناس ولينذروا به
وليعلموا انما هو اله واحد وليد كراولوا الالباب * جنب مخفقا وأجنب رباعيا لغة نجد وجنب
مشددا لغة الحجاز والمعنى منع وأصله من الجانب * الهوى الهبوط بسرعة قال الشاعر
واذا رميت به الفجاج رأيت * تهوى مخارمها هوى الاجدل
شخص البصر أحد النظر ولم يستقر فى مكانه * المهطع المسرع فى مشيه قال الشاعر
بمطع سرح كائن عنائه * فى رأس جندع من أراك مشدب
* وقال عمران بن حطان

ادادانا فأهطعنا لدعوته * داع سميع فلبونا وساقونا

* وقال أبو عبيدة قد يكون الاهطاع الاسراع وادامة النظر * المقنع هو الرافع رأسه المقبل ببصره

على ما بين يديه قاله ابن عرفة والفتى * وقال الشاعر

ييا كرن العناء بمقنعات * نواجنهن كالحدا الوقيع

نصف الابل بالاقناع عند رعيها أعالي الشجر ويقال أقنع رأسه نكسه وطأطأه فهو من الاضداد
 * قال المبرد وكونه بمعنى رفع أعرف في اللغة انتهى * وقيل منه قنع الرجل اذا رضى كأنه رفع رأسه
 عن السؤال وفم مقنع معطوفة أسنانه اليه داخل اورجل مقنع بالتشديد عليه بيضة الرأس معروف
 ويجمع في القلة على رؤس * الطرف العين * وقال الشاعر

وأغض طرفي ما بدت لي جارتى * حتى يوارى جارتى مأواها

ويقال طرف الرجل طبق جفنه على الآخر وسمى الجفن طرفا لأنه يكون فيه ذلك * الهواء ما بين
 السماء والارض وهو الخلاء الذي لم تشغله الاجرام الكثيفة واستعير للجبان فقيل قلب فلان هواء
 * وقال الشاعر

كأن الرجل منها فوق صعل * من الظلمات جوجؤه هواء

المقرن المشدود في القرن وهو الحبل * الصفا الغل والقيد يقال صفده صفدا قيده والاسم الصفد
 وفي التكثير صفده مشددا * قال الشاعر * وأبقى بالملوك مصفدينا * وأصفده أعطيته *
 وقيل صفد وأصفده معاني القيد والاعطاء * قال الشاعر * فلم أعرض أبيت اللعن بالصفد * أى
 بالاعطاء وسمى العطاء صفدا لأنه يقيد ويعبد * السربال القميص يقال سربلته فتمسربل
 * القطران ما يحلب من شجر الابل فيطبخ وتنهأ به الابل الجرب فيحرق الجرب بحره وحدته وهو
 أقبل الاشياء اشتعالا ويقال فيه قطران بوزن سكران وقطران بوزن سرحان * وإذ قال ابراهيم
 رب اجعل هذا البلدا آمنا واجنبي وبنى أن نعبدا الأصنام * رب انهن أضللن كثيرا من الناس فمن
 تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم * مناسبة هذه الآية لما قبلها أنه تعالى لما ذكر التعجب
 من الذين بدلوا نعمة الله كفرا وجعلوا الله أنداداً لهم قريش ومن تابعهم من العرب الذين اتخذوا
 آلهة من دون الله وكان من نعم الله عليهم إسكانه إياهم حرمة أردي ذلك بذكر أصلهم ابراهيم وأنه
 صلوات الله عليه دعا الله تعالى أن يجعل مكة آمنة ودعابان يحجب بنيه عبادة الأصنام وأنه أسكنه
 وذريته في بيته ليعبدوه وحده بالعبادة التي هي أشرف العبادة وهي الصلاة لينظر وافي دين أيهم
 وأنه مخالف لما ارتكبه من عبادة الأصنام فيزدجر واورجعوا عنها وتقدم الكلام على قوله هنا
 هذا البلد معرفا وفي البقرة منكر * وقال الزمخشري هنا سأل في الأول أن يجعله من جملة البلاد
 التي يأمن أهلها ولا يخافون وفي الثاني أن يخرجهم من صفة كان عليها من الخوف الى ضدها من
 الامن كأنه قال هو بلد مخوف فاجعله آمنا انتهى ودعا ابراهيم أولا بما هو على طاعة الله تعالى وهو
 كون محل العابد آمنا لا يخاف فيه اذ يتكبر فيه من عبادة الله تعالى ثم دعانا بما بأن يحجب هو وبنوه
 من عبادة الأصنام ومعنى واجنبي وبنى أدمنى وإياهم على اجتناب عبادة الأصنام وأراد بقوله
 وبنى أولاده من صلبه الاقرباء وأجابه الله تعالى فجعل الحرم آمنا ولم يعبد أحد من بنيه الاقرباء لصلبه
 صنم * قال سفيان بن عيينة وقد سئل كيف عبدت العرب الأصنام قال ما عباد أحد من ولد اسماعيل
 صنموا كانوا ثمانية انما كانت لهم حجارة ينصبونها ويقولون حجر فحيث ما نصبوا حجر فهو بمعنى
 البيت فكانوا يدورن بذلك الحجر ويسمونه الدوار انتهى * قال ابن عطية وهذا الدعاء من الخليل
 عليه السلام يقتضى افراط خوفه على نفسه ومن حصل في رتبته فكيف يخاف أن يعبد صنما لكن
 هذه الآية ينبغي أن يقتدى بها في الخوف وطلب الخاتمة وكرر النداء استعطافا لربه تعالى وذكر
 سبب طلبه أن يحجب هو وبنوه عبادة الأصنام بقوله انهن أضللن كثيرا من الناس اذ قد شاهد أباه

وإذ قال ابراهيم * مناسبة
 هذه الآية لما قبلها أنه تعالى
 لما ذكر التعجب من
 الذين بدلوا نعمة الله كفرا
 وجعلوا لله أندادا وهم
 قريش ومن تابعهم من
 العرب الذين اتخذوا من
 دون الله آلهة وكان من
 نعمة الله عليهم إسكانه إياهم
 حرمة أردي ذلك بذكر
 أصلهم ابراهيم وأنه صلوات
 الله عليه دعا الله تعالى
 أن يجعل مكة آمنة ودعا
 بأن يحجب بنيه عبادة
 الأصنام * رب انهن أضللن
 كثيرا من الناس * كقوم
 نوح * فمن اتبعني * أى
 على ديني وما أنا عليه * فانه
 منى * جعله بعضه
 لفرط الاختصاص به
 وملابسته له * ومن
 عصاني * هذا فيه طباق
 معنوي لأن التبعية طاعة
 * فانك غفور رحيم *
 معناه لمن عصاه بغير الشرك

﴿ربنا انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع﴾ الآية كرر النداء رغبة فى الاجابة واظهار للتدلل والالتماء الى الله وأنى بضمير جماعة المتكلمين لأنه تقدم ذكره وذكر بنيه فى قوله واجنبى وبنى ﴿ومن ذريتى﴾ هو اسمعيل ومن ولد منه وذلك ان هاجر لما ولدت اسمعيل غارت منها سارة فروى أنه ركب البراق هو وهاجر والطفل فجاء فى يوم واحد من الشام الى بطن مكة فنزل وأنزل ابنه وأمه هنالك وركب منصرفا من يومه ذلك وكان هذا كله بوحي من الله فلما ولى دعا بما فى ضمن هذه الآية ومن للتبعيض لأن اسحق كان بالشام والوادي ما بين الجبلين وليس من (٤٣١) شرطه فيه ماء وانما قال غير ذى زرع لأنه كان علم أن الله لا يضيع

هاجر وابنه فى ذلك الوادى وأنه يرزقهما الماء ﴿ليقيموا﴾ متعلق بأسكنت وربنا دعاء معترض والمعنى أنه لا يخلو هذا البيت المعظم من العبادة ومن للتبعيض قال الزمخشري بواد هو وادى مكة غير ذى زرع لا يكون فيه شئ من زرع قط كقوله قرآنا عربيا غير ذى عوج بمعنى لا يوجد فيه اعوجاج ما فيه الاستقامة لا غير انتهى استعمل قط وهو ظرف لا يستعمل الامع الماضى معمولا لقوله لا يكون وهو ليس ماضيا وهو مكان أبدا الذى يستعمل فيه مع غير الماضى من المستقبلات و﴿أفئدة﴾ هو على حذف مضاف تقديره ذوى أفئدة وأصل الهوى أن يكون من علو قال الزمخشري ويجوز أن تكون من الابتداء

وقومهم يعبدون الأصنام ومعنى أضلنا كناسبا لالضلال كثير من الناس والمعنى أنهم ضلوا بعبادتها كما تقول فتنهم الدنيا أى افتتنوا بها واغتر واسببها ﴿وقرأ الجحدرى وعيسى الثقفى واجنبى من أجنب وأنت الأصنام لأنه جمع ما لا يعقل يخبر عنه أخبار الموثث كما تقول الاجذاع انكسرت والاخبار عنه اخبار جمع العاقل المذكر بالواو مجاز نحو قوله فقد ضلوا كثيرا فمن تبعنى أى على دينى وما أنا عليه فانه منى جعله لفرط الاختصاص به وملا بستله كقوله من غشنا فليس منا أى ليس بعض المؤمنين تنبيها على تعظيم الغش بحيث هو يسلب الغاش الايمان والمعنى أن الغش ليس من أوصاف أهل الايمان ومن عصانى هذا فيه طباق معنوى لان التبعية طاعة فقوله فانك غفور رحيم ﴿قال مقاتل ومن عصانى فيمادون الشرك﴾ وقال الزمخشري تغفر لى ماسلف من العصيان اذا بدالى فيه واستحدث الطاعة ﴿قال ابن عطية ومن عصانى ظاهره بالكفر لمعادلة قوله فمن تبعنى فانه منى واذا كان كذلك فقوله فانك غفور رحيم معناه حين يؤمنوا لأنه أراد ان الله يغفر لكل كافر لكنه حمله على هذه العبارة ما كان يأخذ نفسه به من القول الجميل والنطق الحسن وجميل الادب صلى الله عليه وسلم وكذلك قال نبي الله عيسى عليه السلام وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم﴾ ربنا انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون ﴿كرر النداء رغبة فى الاجابة واظهارا للتدلل والالتماء الى الله تعالى وأنى بضمير جماعة المتكلمين لأنه تقدم ذكره وذكر بنيه فى قوله واجنبى وبنى ومن ذريتى هو اسمعيل ومن ولد منه وذلك هاجر لما ولدت اسمعيل غارت منها سارة فروى أنه ركب البراق هو وهاجر والطفل فجاء فى يوم واحد من الشام الى مكة فنزل وترك ابنه وأمه هنالك وركب منصرفا من يومه ذلك وكان هذا كله بوحي من الله تعالى فلما ولى دعا بما فى ضمن هذه الآية وأما كيفية بقاء هاجر وما جرى لها ولا اسمعيل هناك ففي كتاب البخارى والسير وغيره ومن للتبعيض لأن اسحاق كان فى الشام والوادي ما بين الجبلين وليس من شرطه ان يكون فيه ماء وانما قال غير ذى زرع لأنه كان علم أن الله لا يضيع هاجر وابنه فى ذلك الوادى وأنه يرزقهما الماء وانما نظر النظر البعيد فقال غير ذى زرع ولو لم يعلم ذلك من الله تعالى لقال غير ذى ماء على ما كانت عليه حال الوادى عند ذلك ﴿قال ابن عطية وقد يقال ان انتفاء كونه ذا زرع مستلزم لانتفاء الماء الذى لا يمكن أن يوجد زرع الا حيث وجد الماء فنفي ما يتسبب عن الماء وهو الزرع لانتفاء سببه وهو الماء وقال الزمخشري بواد هو

كقولك ﴿القلب منى سقيم﴾ يريد قلبى فكأنه قيل أفئدة ناس وانما تكررت المضاف اليه فى هذا التمثيل لتكثير أفئدة لأنها فى الآية نكرة لتناول بعض الافئدة انتهى لا يظهر كونها لابتداء الغاية لانه ليس لها فعل يبتدأ به لغاية ينتهى اليها اذا يصح ابتداء جعل الافئدة

(الدر) (ش) بواد هو وادى مكة غير زرع لا يكون فيه شئ من زرع قط كقوله قرآنا عربيا غير ذى عوج بمعنى لا يوجد فيه اعوجاج ما فيه الاستقامة لا غير (ح) استعمل قط وهو ظرف لا يستعمل الامع الماضى معمولا لقوله لا يكون وهو ليس ماضيا وهو مكان أبدا الذى يستعمل فى غير الماضى من المستقبلات

وادي مكة غير ذي ذرع لا يكون فيه شيء من زرع قط كقوله قرآننا غير ذي عوج بمعنى لا يوجد فيه عوج جاح ما فيه الاستقامة لا غير انتهى واستعمل قط وهي ظرف لا يستعمل الا مع الماضي معمولا لقوله لا يكون وليس هو ماضيا وهو ممكن أبدا الذي يستعمل مع غير الماضي من المستقبلات والظاهر ان قوله عند بيتك المحرم يقتضي وجود البيت حالة الدعاء وسبقه قبله وتقديم الكلام في البيت ومتى وضع في البقرة وفي آل عمران ووصف بالمحرم لكونه حرم على الطوفان أي منع منه كما سمي بعقيق لانه أعتق منه فلم يستول عليه أو لكونه لم يزل عزيزا ممنعا من الجبارة أو لكونه محترما لا يحل انتهاكه وليقيموا متعلقا بأسكنت وربنا دعاء معترض والمعنى انه لا يخلو هذا البيت المعظم من العبادة * وقيل هي لام الامر دعاهم بأقامة الصلاة * وقال أبو الفرج بن الجوزي اللام متعلقة بقوله واجنبني وبني أن نعبد الاصنام ليقموا الصلاة انتهى وهذا بعيد جدا وخص الصلاة دون سائر العبادات لانها أفضلها وأولها سبب لكل خير وقوله ليقموا بضمير الجمع دلالة على ان الله أعامه بان هذا الطفل سيعقب هنالك ويكون له نسل وأفئدة جمع فؤاد وهي القلوب سمي القلب فؤادا لانفاده مأخوذ من فأدومنه المقتاد وهو مستوفد النار حيث يشوى اللحم * وقال مؤرج الأفئدة القطع من الناس بلغة قريش واليه ذهب ابن بحر * قال مجاهد لو قال ابراهيم عليه السلام أفئدة الناس لازدحت على البيت فارس والروم * وقال ابن جبير لحجته اليهود والنصارى والظاهر ان من التبعض إذا التقدير أفئدة من أفئدة الناس * قال الزحشرى ويجوز أن تكون من اللابتداء كقولك القلب منى سقيم بر يد قلبي فكأنه قيل أفئدة ناس وانما نكر المضاف اليه في هذا التمثيل لتكثير أفئدة لأنها في الآية نكرة لتتناول بعض الأفئدة انتهى ولا يظهر كونها لابتداء الغاية لأنه ليس لنا فعل يبتدأ فيه لغاية ينتهي اليها إذا لصح ابتداء جعل الأفئدة من الناس وانما الظاهر في من التبعض * وقرأ هشام أفئدة بياء بعد الهمزة نص عليه الخواص عند وخرج ذلك على الاشباع ولما كان الاشباع لا يكون الا في ضرورة الشعر جعل بعض العلماء هذه القراءة على أن هشاما قرأ بتسهيل الهمزة كالباء فغير الراوى عنها بالياء فظن من أخطأ فهمه انها بياء بعد الهمزة والمراد بياء عوضا من الهمزة قال فيكون هذا التحريف من جنس التحريف المنسوب الى من روى عن أبي عمرو باريكم ويأمركم ونحوه باسكان حركة لا عراب وانما كان ذلك اختلاسا قال أبو عمرو الداني الحافظ ما ذكره صاحب هذا القول لا يعتمد عليه لان النقلة عن هشام وأبي عمر وكانوا من أعلم الناس بالقراءة ووجوهها وليس يفضي بهم الجهل الى أن يعتقد فيهم مثل هذا * وقرئ آفدة على وزن فاعلة فاحتمل أن يكون اسم فاعل للحنف من أفدأى دنا وقرب وعجل أي جماعة آفدة أو جماعات آفدة وأن يكون جمع ذلك فؤاد ويكون من باب القلب وصار بالقلب آفدة فأبدلت الهمزة الساكنة ألفا كما قالوا في آرام آرام فوزنه أعفلة * وقرئ آفدة على وزن فعلة فاحتمل أن يكون جمع فؤاد وذلك بحذف الهمزة ونقل حركتها الى الساكن قبلها وهو الفاء وان كان تسهيلها بين يمين هو الوجه وان يكون اسم فاعل من أفدأى كما تقول فرح فهو فرح * وقرأت أم الهيثم أفودة بالواو المكسورة بدل الهمز * قال صاحب اللوامح وهو جمع وفد والقراءة حسنة لكن لا أعرف هذه المرأة بل ذكرها أبو حاتم انتهى أبدل الهمزة في فؤاد بعد الضمة كما أبدلت في جون ثم جمع فاقرها في الجمع اقرارها في المفرد أو هو جمع وفد كما قال صاحب اللوامح وقلب اذا أصل أو فده وجمع فعل على أفعله شاذ نحو نجد وأنجدة ووهي وأوهية وأم الهيثم

(الدر)

(ش) ويجوز أن تكون من اللابتداء كقولك القلب منى سقيم بر يد قلبي فكأنه قيل أفئدة ناس وانما نكرت المضاف اليه في هذا التمثيل لتكثير أفئدة لانها في الآية نكرة لتتناول بعض الأفئدة انتهى (ح) لا يظهر كونها لابتداء الغاية لأنه ليس لنا فعل يبتدأ فيه لغاية ينتهي اليها إذا لصح ابتداء جعل الأفئدة من الناس وانما الظاهر في من التبعض

من الناس ﴿ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن﴾ الآية كرر النداء للتضرع والالتجاء ولا يظهر تفاوت بين اضافة رب الى ياء المتكلم وبين اضافته الى جمع المتكلم وما نخفي وما نعلن عام فيما يخفونه (٤٣٣) ويعلنونه ثم أتى بأعم منه وهو قوله تعالى

﴿وما يخفى على الله من شيء﴾ والظاهر أن هذه الجمل التي تكلم بها ابراهيم عليه السلام لم تقع منه في زمن واحد وانما حكى الله تعالى عنه ما وقع منه في أزمان مختلفة يدل على ذلك

أن اسحاق لم يكن موجودا حالة دعائه اذ ترك هاجر والطفل بمكة والظاهر أن حمد الله على هبة ولديه له كان بعد وجود اسحاق و ﴿على الكبر﴾ يدل على مطلق الكبر ولم يتعين لتعين المدة التي وهب له فيها ولده وروى أنه ولد له اسماعيل وهو ابن تسع وتسعين سنة وولد له اسحاق وهو ابن مائة واثنى عشرة سنة قال الزخشي ويجوز أن يكون من اضافة فعيل الى فاعله ويجعل دعاء الله سميعا على الاسناد المجازي والمراد سماع الله انتهى هذا بعيدا لاستلزامه أن يكون من باب الصفة المشبهة والصفة متعدي ولا يجوز ذلك الا عند أبي

علي الفارسي حيث لا يكون لبس وأما هنا فاللبس حاصل اذ الظاهر

امرأة نقل عن عائشة من لغات العرب * وقرأ زيد بن علي افادة على وزن اشارة ويظهر أن الهمزة بدل من الواو المكسورة كما قالوا اشاح في وشاح فالوزن فعاله أي فاجعل ذوى وفادة ويجوز أن يكون مصدر افاد افادة أو ذوى افادة وهم الناس الذين يفيدون وينتفع بهم * وقرأ الجمهور تهوى اليهم أي تسرع اليهم وتطير نحوهم شوقا ونزاعا ولما ضمن تهوى معنى تميل عداه بالى وأصله أن يتعدى باللام * قال الشاعر

حتى اذا ما هوت كف الوليد بها * طارت وفي كفهم من ريشها تبك

ومثال ما في الآية قول الشاعر

تهوى الى مكة تبغى الهدى * ماثون الجن ككفارها

* وقرأ مسامة بن عبد الله تهوى بضم التاء مبنيا للمفعول من أهوى المنقولة بهمزة التعدية من هوى اللازمة كانه قيل يسرع بها اليهم * وقرأ علي بن أبي طالب وزيد بن علي ومحمد بن علي وجعفر بن محمد ومجاهد تهوى مضارع هوى بمعنى أحب ولما ضمن معنى النزوع والميل عدى بالى وارزقهم من الثمرات مع سكانهم واديا ما فيه شيء منها بأن يجلب اليهم من البلاد كقوله يجبي اليه ثمرات كل شيء وروى عن مسلم بن محمد الطائفي انه لما دعا عليه السلام بأن يرزق سكان مكة الثمرات بعث الله جبريل عليه السلام فاقتلع بجناحه قطعة من فلسطين * وقيل من الاردن فجاء بها وطاف بها حول البيت سبعاً ووضعها قريب مكة فهى الطائف وهذه القصة سميت وهى موضع ثقيف وبها أثجار وثمرات * وروى نحو منسه عن ابن عباس لعلمهم يشكرون * قال الزخشي النعمة في أن يرزقوا أنواع الثمرات حاضرة في واديباب ليس فيه نجم ولا شجر ولا ماء لاجرم أن الله عز وجل أجاب دعوة ابراهيم فجعله حرماً آمناً يجبي اليه ثمرات كل شيء رزقاً من لدنا ثم فضله في وجود أصناف الثمار فيه على كل ريف وعلى أخصب البلاد وأكثرها ثماراً وفي أي بلد من بلاد الشرق والغرب ترى العجوبة التي يريها الله بواد غير ذي زرع وهى اجتماع البواكير والفواكه المختلفة الا زمان من الربيعية والصيفية والخريفية في يوم واحد وليس ذلك من آياته بعجيب ﴿ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء﴾ الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسمعيل واسحق ان ربي لسميع الدعاء * رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ربنا وتقبل دعاء * ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب * كرر النداء للتضرع والالتجاء ولا يظهر تفاوت بين اضافة رب الى ياء المتكلم وبين اضافته الى جمع المتكلم وما نخفي وما نعلن عام فيما يخفونه وما يعلنونه * وقيل ما نخفي من الوجد لما وقع بيننا من الفرقه وما نعلن من البكاء والدعاء * وقيل ما نخفي من كآبة الافتراق وما نعلن مما جرى بينه وبين هاجر حين قالت له عند الوداع الى من تكلمنا قال الى الله أكلكم قالت آله أمرك بهذا قال نعم قالت لا نخشى تركنا الى كاف والظاهر أن قوله وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء من كلام ابراهيم لا كتماناً ما قبله وما بعده بكلام ابراهيم لما ذكر أنه تعالى عم ما يخفى هو ومن كنى عنه تم جميع الأشياء وانها غير خافية عنه تعالى * وقيل وما يخفى الآية من كلام الله عز وجل تصديقاً لابراهيم عليه السلام كقوله تعالى وكذلك يفعلون والظاهر أن

(٥٥ - تفسير البحر المحيط لابي حيان - خامس) أنه من اضافة المثال للمفعول لا من اضافة للفاعل وانما أجاز ذلك الفارسي في مثل زيد ظالم العبيد اذا علم أن له عبيداً ظالمين والظاهر أن ابراهيم عليه السلام سأل المغفرة لأبويه لقريبتين وكانت أمه مؤمنة

هذه الجمل التي تكلم بها ابراهيم عليه الصلاة والسلام لم تقع منه في زمان واحد وانما حكى الله عنه ما وقع في أزمان مختلفة يدل على ذلك أن اسحاق لم يكن موجودا حاله دعائه اذ ترك هاجر والطفل بمكة فالظاهر ان حمده الله تعالى على هبة ولديه له كان بعد وجود اسحاق وعلى الكبر يدل على مطلق الكبر ولم يتعرض لتعيين المدة التي وهب له فيها ولدا وهو روى أنه ولد له اسماعيل وهو ابن تسع وتسعين سنة وولد له اسحاق وهو ابن مائة وثنتي عشرة سنة * وقيل اسماعيل لاربعة وستين واسحاق لتسعين وعن ابن جبير لم يولد له الا بعد مائة وسبع عشرة سنة وانما ذكر حال الكبر لان المنة فيها هبة الولد أعظم من حيث ان الكبر مظنة اليأس من الولد فان مجيء الشيء بعد الياس أحلى في النفس وأبهج لها وعلى الكبر في موضع الحال لانه قال رأنا كبير وعلى بابها من الاستعلاء لكنه مجاز اذ الكبر معنى لا جرم يتكبرون وكانه لما أسن وكبر صار مستعلياً على الكبر * وقال الزمخشري على في قوله على الكبر بمعنى مع كقوله

اني على ما ترين من كبرى * أعلم من حيث يؤكل الكتف

وكنى بسميع الدعاء عن الاجابة والتقبل وكان قد دعا الله أن يهبه ولدا بقوله رب هب لي من الصالحين فحمد الله على ما وهبه من الولد وأكرم به من اجابة دعائه والظاهر اضافة سميع الى المفعول وهو من اضافة المثال الذي على وزن فاعيل الى المفعول فيكون اضافة من نصب ويكون ذلك حجة على إعمال فاعيل الذي للمبالغة في المفعول على ما ذهب اليه سيوييه وقد خالف في ذلك جمهور البصريين وخالف الكوفيون فيه وفي اعمال باقي الخمسة الامثلة فاعول وفعال ومفعال وفعل وهذا مذكور في علم النحو ويمكن أن يقال في هذا ليس ذلك اضافة من نصب فيلزم جواز إعماله بل هي اضافة كضافة اسم الفاعل في نحو هذا ضارب زيد أمس * وقال الزمخشري ويجوز أن يكون من اضافة فاعيل الى فاعله ويجعل دعاء الله سميعاً على الاسناد المجازي والمراد سماع الله انتهى وهو بعيد لاستلزامه أن يكون من باب الصفة المشبهة والصفة متعدية ولا يجوز ذلك الا عند أبي على الفارسي حيث لا يكون لبس وأما هنا فاللبس حاصل اذ الظاهر أنه من اضافة المثال للمفعول لا من اضافته الى الفاعل وانما أجاز ذلك الفارسي في مثل زيد ظالم العبيد اذ علم أن له عبيدا ظالمين (ش) فان قلت كيف جازله أن يستغفر لأبويه وكانا كافرين وهو من مجوزات العقل لا يتعلم امتناع جوازه الا بالتوقيف (ح) هو في ذلك موافق لاهل السنة مخالف لمذهب الاعتزال

(الدر)

(ش) ويجوز أن يكون من اضافة فاعيل الى فاعله ويجعل دعاء الله سميعاً على الاسناد المجازي والمراد سماع الله (ح) هذا بعيد لاستلزامه أن يكون من باب الصفة المشبهة والصفة متعدية ولا يجوز ذلك الا عند أبي على الفارسي حيث لا يكون لبس وأما هنا فاللبس حاصل اذ الظاهر أنه من اضافة المثال للمفعول لا من اضافته الى الفاعل وانما أجاز ذلك الفارسي في مثل زيد ظالم العبيد اذ علم أن له عبيدا ظالمين (ش) فان قلت كيف جازله أن يستغفر لأبويه وكانا كافرين وهو من مجوزات العقل لا يتعلم امتناع جوازه الا بالتوقيف (ح) هو في ذلك موافق لاهل السنة مخالف لمذهب الاعتزال

بغير ألف وفتح اللام يعني اسماعيل واسحاق وأنكر عاصم الجحدري هذه القراءة وقال ان في مصحف أبي بن كعب ولا يوى وعن يحيى بن يعمر ولولدى بضم الواو وسكون اللام فاحتمل أن

وكان والده لم ييأس من إيمانه ولم تتبين له عداوة الله * ولا تحسبن الله غافلاً * الآية الخطاب في قوله ولا تحسبن الله غافلاً * الآية وعيد عظيم للظالمين ومعنى
حسبان مثل هذه الجملة بصفات الله لا للرسول صلى الله عليه وسلم لأنه مستحيل ذلك في حقه وفي هذه الآية وعيد عظيم للظالمين ومعنى
* مهطعين * مسرعين ومعنى * مقنعي رؤسهم * وجوه الناس يومئذ إلى السماء لا ينظر أحد إلى أحد ومعنى * أفئدتهم هواء *
أي اضطراب أفئدتهم وجيشانها في الصدور وأنها تتجىء وتذهب وتتباع (٤٣٥) على ما روى حناجرهم فهي في ذلك كالهواء

الذي هو أبدا في اضطراب
وحصول هذه الصفات
الخمس للظالمين قيل عند
الحاسبة بدليل ذكرها
عقيب قوله تعالى يوم
يقوم الحساب * وأنذر
الناس يوم يأتيهم العذاب *
هذا خطاب لرسول
الله صلى الله عليه وسلم
يوم منصوب على أنه مفعول
ثان لانذر ولا يصح أن
يكون ظرفا لان ذلك
اليوم ليس بزمان الانذار
وهذا اليوم هو يوم
القيامة وأنذر الناس
الظالمين وبين ذلك قوله
* فيقول الذين ظلموا *
لأن المؤمنين يبشرون ولا
ينذرون * أولم تكونوا *
هو على اضممار القول
والظاهر ان التقدير
فيقال لهم والقائل
الملائكة أو الباري
تعالى يوبخون بذلك
ويذكرون بذلك مقالهم
في انكار البعث واقسامهم
على ذلك كما قال تعالى
وأقسموا بالله جهد أيمانهم
لا يبعث الله من يموت قال

يكون جمع ولد كما سدد في أسد ويكون قد دعدا لذريته وأن يكون لغة في الولد * وقال الشاعر
فليت زيادا كان في بطن أمه * وليت زيادا كان ولده حمار
كما قالوا العدم والعدم * وقرأ ابن جبير ولو الذي باسكان الياء على الافراد كقوله واغفر لابي وقيام
الحساب مجاز عن وقوعه وثبوته كما يقال قامت الحرب على ساق أو على حذف مضاف أي أهل
الحساب كما قال يوم يقوم الناس لرب العالمين * ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم
ليوم تشخص فيه الابصار مهطعين مقنعي رؤسهم لا يرتد اليهم طرفهم وأفئدتهم هواء * الخطاب
بقوله ولا تحسبن الله غافلاً الذي يمكن منه حسبان مثل هذا الجهل بصفات الله لا للرسول صلى الله عليه وسلم
وسلم فانه مستحيل ذلك في حقه وفي هذه الآية وعيد عظيم للظالمين وتسليية للظالمين * وقرأ أطلحة
ولا تحسب بغير نون التوكيد وكذا فلا تحسب الله مخلف وعده والمراد بالنبى عن حسبان غافلاً
الايدان بأنه عالم بما يفعل الظالمون لا يخفى في عليه منه شيء وأنه معاقبهم على قليله وكثيره على سبيل
الوعيد والتهديد كقوله والله بما تعملون علميم يريد الوعيد ويجوز أن يراد ولا تحسبنه يعاملهم معاملة
الغافل عما يعملون ولكن معاملة الرقيب عليهم المحاسب على النقيض والقطمير * وقرأ السامى
والحسن والاعرج والمفضل عن عاصم وعباس بن الفضل وهارون العتيكى ويونس بن حبيب عن
أبي عمر ونؤخرهم بنون العظمة والجهو ربالياء أي يؤخرهم الله مهطعين مسرعين قاله ابن جبير
وقتادة وذلك بذلة واستكانة كما مرع الاسير والخائف * وقال ابن عباس وأبو الضحى شديدي
النظر من غير أن يطرقوا * وقال ابن زيد غير رافعي رؤسهم * وقال مجاهد مدين النظر * وقال
الاخفش مقبلين للأصغاء * وأنشد بدجلة دارهم ولقد أراهم * بدجلة تمهطعين إلى السماع
* وقال الحسن مقنعي رؤسهم وجوه الناس يومئذ إلى السماء لا ينظر أحد إلى أحد انتهى * وقال
ابن جريج هواء صفر من الخير خاوية منه * وقال أبو عبيدة جوف لا عقول لهم * وقال ابن عباس
ومجاهد وابن زيد خربة خاوية ليس فيها خير ولا عقل * وقال سفيان خالية الامن فرع ذلك اليوم
كقوله وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً أي الامن هم موسى وهواء تشبيهه محض لانها ليست بهواء حقيقة
ويحتمل أن يكون التشبيه في فراغها من الرجاء والطمع في الرحمة فهي منخرقة مشبهة للهواء في تفرغه
من الأشياء وانخراقه وأن يكون في اضطراب أفئدتهم وجيشانها في الصدور وأنها تتجىء وتذهب
وتبلغ على ما روى حناجرهم فهي في ذلك كالهواء الذي هو أبدا في اضطراب وحصول هذه
الصفات الخمس للظالمين قبل المحاسبة بدليل ذكرها عقيب قوله يوم يقوم الحساب * وقيل عند
اجابة الداعي والقيام من القبور * وقيل عند ذهاب السعداء إلى الجنة والاشقياء إلى النار * وأنذر
الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا أخرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك وتتبع
الرسول أولم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال * وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم

الزخشرى أولم تكونوا أقسمتم على ارادة القول وفيه وجهان أن يقولوا ذلك بطرا وأشرا ولما استولى عليهم من عادة الجهل والسهو
وأن يقولوا بلسان الحال حيث بنوا شديدا وأملوا بعيدا وما لكم جواب القسم وانما جاء بلفظ الخطاب لقوله أقسمتم ولو حكى لفظ
المقسمين لقال ما لنا من زوال والمعنى أقسمتم أنكم باقون في الدنيا لا تزولون بالموت والفناء وقيل لا تنتقلون إلى دار أخرى انتهى
جعل الزخشرى أولم تكونوا محكيما بقولهم مخالف لما قدمناه وقوله لا يزولون بالموت والفناء ليس بجيد لأنهم مقرون بالموت
والفناء وقيل هو قول مجاهد ومعنى ما لكم من زوال من الأرض بعد الموت أي لا تبعث من القبور * وسكنتم * ان كان من السكون

فالمعنى انهم قرأوا فيها واطمأنوا طمأنينة النفوس سائر من قبلهم في الظلم والفساد لا يجدونها بما لقي الظالمون قبلهم ﴿ وتبين لكم ﴾ بالخبر والمشاركة ما فعلنا بهم من الهلاك والانتقام (٤٣٦) ﴿ وضر بنا لكم الامثال ﴾ أى صفات ما فعلوا وما فعل بهم

وهي في الغرابة كالامثال المضروبة لكل ظالم ﴿ وقد مكر وامكرهم ﴾ الآية الظاهر أن الضمير في مكر واغتر على مخاطبين في قوله أولم تكونوا أقسمتم أى مكرروا بالشرك بالله تعالى وتكذيب الرسل ومعنى مكرهم المكر العظيم الذى استفرغوا فيه جهدهم والظاهر أن هذا إخبار من الله تعالى لنبيه بما صدر منهم في الدنيا وأنه ليس مقولا في الآخرة الظاهر إضافة مكر وهو المصدر الى الفاعل كما هو مضاف في الأول إليه كأنه قيل وعند الله ما مكرروا أى مكرهم قال الزمخشري أو يكون (الدر)

(ش) أولم تكونوا أقسم على ارادة القول وفيه وجهان أن يقولوا بطرا وأشرا ولما استولى عليهم من عادة الجهل والفسق وان يقولوه بلسان الحال حيث بنوا شديدا وأملوا بعيدا ومالكم جواب القسم وانما جاء بلفظ الخطاب

وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضر بنا لكم الامثال ﴿ هذا خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم ويوم منصوب على أنه مفعول ثانی لا نذر ولا يصح أن يكون ظرفا لان ذلك اليوم ليس بزمان للانداز وهذا اليوم هو يوم القيامة والمعنى وأنذر الناس الظالمين وبين ذلك قوله فيقول الذين ظلموا الآن المؤمنون يبشرون ولا يندرون ﴿ وقيل اليوم يوم هلاكهم بالعذاب العاجل أو يوم موتهم معنيين بشدة السكرات ولقاء الملائكة بالبشرى كقوله لولا أخرتني الى أجل قريب فأصدق ومعنى التأخر الى أجل قريب الرد الى الدنيا قاله الضحاك اذا لامه الى أمده وحمد من الزمان قريب قاله السدي أى لتدارك ما فرطوا من اجابة الدعوة واتباع الرسل أولم تكونوا هو على اضممار القول والظاهر أن التقدير فيقال لهم والقائل الملائكة أو القائل الله تعالى يوبخون بذلك ويذكرون مقالهم في انكار البعث وإقسامهم على ذلك كما قال تعالى وأقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت ومعنى مالكم من زوال من الارض بعد الموت أى لا يبعث من القبور ﴿ وقال محمد بن كعب ان هذا القول يكون منهم وهم في النار ويرد عليهم أولم تكونوا ومعناه التوبيخ والتقريع ﴿ وقال الزمخشري أولم تكونوا أقسمتم على ارادة القول وفيه وجهان أن يقولوا ذلك بطرا وأشرا ولما استولى عليهم من عادة الجهل والفسق وان يقولوا بلسان الحال حيث بنوا شديدا وأملوا بعيدا ومالكم جواب القسم وانما جاء بلفظ الخطاب لقوله أقسمتم ولو حتى لفظ المقسمين لقييل ما لنا من زوال والمعنى أقسمتم أنكم باقون في الدنيا لا تزولون بالموت والفناء ﴿ وقيل لا تنتقلون الى دار أخرى انتهى فجعل الزمخشري أولم تكونوا محكما بقولهم وهو مخالف لما قديناهم من أنه يقال لهم ذلك وقوله لا يزولون بالموت والفناء ليس بجيد لانهم مقررون بالموت والفناء وقوله هو قول مجاهد وسكنتم ان كان من السكون فالمعنى انهم قرأوا فيها واطمأنوا طمأنينة النفوس سائر من قبلهم في الظلم والفساد لا يجدونها بما لقي الظالمون قبلهم وان كان من السكى فان السكى من السكون الذى هو اللبث والاصل تعديته بنى كما يقال أقام في الدار وقر فيها ولو لكنه لما أطلق على سكون خاص تصرف فيه ﴿ فقييل سكن الدار كما قيل تبوأها وتبين لكم بالخبر والمشاركة ما فعلنا بهم من الهلاك والانتقام ﴿ وقرأ الجمهور وتبين فعلا ماضيا وفعاله مضمريدل عليه الكلام أى وتبين لكم هو أى حالهم ولا يجوز أن يكون الفاعل كيف لان كيف انما تأتي اسم استفهام أو شرط وكلاهما لا يعمل فيه ما قبله الا ما روى شاذا من دخول على على كيف في قولهم على كيف تبيع الآخرين والى في قولهم انظر الى كيف تصنع وانما كيف هنا سؤال عن حال في موضع نصب بفعلنا ﴿ وقرأ السامى فيما حكى عنه أبو عمر والدانى ونبيين بضم النون ورفع النون الاخيرة مضارع بين وحكاها صاحب اللوامح عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه وذلك على اضممار ونحن نبين والجملة حالية ﴿ وقال المهدي عن السامى انه قرأ كذلك الا أنه جزم النون عطفًا على أولم تكونوا أى ولم نبين فهو مشارك في التقرير وضر بنا لكم الامثال أى صفات ما فعلوا وما فعل بهم وهي في الغرابة كالامثال المضروبة لكل ظالم ﴿ وقد مكر وامكرهم وعند الله مكرهم وان كان مكرهم لتزول منه الجبال ﴿

لقوله أقسمتم ولو حتى لفظ المقسمين لقييل ما لنا من زوال والمعنى أقسمتم انكم باقون في الدنيا لا تزولون بالموت والفناء وقيل لا تنتقلون الى دار الآخرة انتهى (ح) جعل (ش) أولم تكونوا محكما بقولهم وهو مخالف لما قديناهم من أنه يقال لهم ذلك وقوله لا تزولون بالموت والفناء ليس بجيد لانهم مقررون بالموت والفناء وقوله وقيل هو قول مجاهد

مضافا الى المفعول على معنى وعند الله مكرهم الذي يكرهم به وهو عذابهم الذي يستحقونه يأتهم من حيث لا يشعرون ولا يحتسبون انتهى هذا لا يصح الا ان كان مكر يتعدى بنفسه كما قدر هو يكرهم به والمحفوظ أن مكر لا يتعدى الى مفعول به بنفسه قال تعالى واذ يكر بك الذين كفروا ولا يحفظ زيدا مذكور وانما يقال مذكور به وقرى لتزول بفتح اللام الاولى وضم الثانية ولتزل بكسر الاولى وفتح الثانية والذي يظهر أن زوال الجبال مجاز ضرب مثلا لمكر قريش وعظمه والجبال لا تزول وهذا من باب الغلو والايغال والمبالغة في ذم مكرهم ﴿ فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله ﴾ هذا الوعد هو قوله تعالى انما لننصر رسلنا ﴿ ان الله عزيز ﴾ لا يمنع عليه شيء ولا يغالب ﴿ ذوات انتقام ﴾ من الكفرة لا يعفو عنهم والتبديل يكون في الذات أى تزول ذات وتجيء أخرى ومنه بدلناهم جلودا غيرها وبدلناهم بجناتهم جنتين ويكون في الصفات تقول بدلت الحلقة خاتما فالذات لم تفقد لكنها انتقلت من شكل الى شكل واختلقت في التبديل هنا هو في الذات أم هو في الصفات فقال ابن عباس بعد الأديم وتزال عنها جبالها وآكامها وشجرها وجميع ما فيها حتى تصير مستوية لا ترى فيها عوجا (٤٣٧) ولأمتا وتبدل السموات بتكوير شمسها وانتثار كواكبها وانشقاقها وخسوف قمرها

﴿ وترى المجرمين يومئذ مقرنين في الاصفاد ﴾ مقرنين مشدودين في القرن أى مقرون بعضهم مع بعض في القيود والاغلال والظاهر تعلق في الاصفاد بقوله مقرنين أى يقرون في الاصفاد ﴿ سراييلهم من قطران ﴾ السراييل القمص فيجمع عليهم الاربع لدع القطران وحرقة واسراع النار في جلودهم واللون الوحش وثن الريح ﴿ ليجزى الله ﴾ متعلق بقوله وبرزوالله ﴿ وترى المجرمين ﴾ جملة معترضة

فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله ان الله عزيز ذوات انتقام ﴿ يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوالله الواحد القهار ﴾ وترى المجرمين يومئذ مقرنين في الاصفاد ﴿ سراييلهم من قطران وتغشى وجوههم النار ﴾ ليجزى الله كل نفس ما كسبت ان الله سريع الحساب ﴿ هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا انما هو الله الواحد وليذكر أولوا الالباب ﴾ الظاهر ان الضمير في مكر واعائد على مخاطبين في قوله أو لم تكونوا أقسمتم من قبل أى مكر وبالشرك بالله وتكذيب الرسل ﴿ وقيل الضمير عائد على قوم الرسول كقوله وأنذر الناس أى وقسم مكر قومك يا محمد وهو الذى فى قوله واذ يكر بك الذين كفروا الآية ومعنى مكرهم أى المكر العظيم الذى استفرغوا فيه جهدهم والظاهر ان هذا اخبار من الله لنبيه بما صدر منهم فى الدنيا وليس مقولا فى الآخرة ﴿ وقيل ابن عطية ويحتمل أن يكون مما يقال يوم القيامة للظلمة الذين سكن فى منازلهم وعند الله مكرهم أى علم مكرهم فهو مطلع عليه فلا ينفذ لهم فيه قصدا ولا يبلغهم فيه أملا أو جزاء مكرهم وهو عذابه لهم والظاهر اضافة مكر وهو المصدر الى الفاعل كما هو مضاف فى الاول اليه كأنه قيل وعند الله ما مكر وأى مكرهم ﴿ وقال الزمخشري أو يكون مضافا الى المفعول على معنى وعند الله مكرهم الذى يكرهم به وهو عذابهم الذى يستحقونه يأتهم به من حيث لا يشعرون ولا يحتسبون انتهى وهذا لا يصح الا ان كان مكر يتعدى بنفسه كما قال هو اذ قدر يكرهم به والمحفوظ ان مكر لا يتعدى الى مفعول به بنفسه قال تعالى واذ يكر بك الذين كفروا وتقول زيدا مذكور به ولا يحفظ زيدا مذكور بسبب كذا ﴿ وقرأ الجمهور وان كان بالنون ﴾ وقرأ عمرو على وعبد الله وأبى وأبوسامة بن عبد الرحمن وأبواسحاق السبيعي وزيد بن علي وان كابدال مكان النون لتزول بفتح اللام الاولى ورفع الثانية وروى كذلك عن ابن عباس ﴿ وقرأ ابن عباس

بينما و ﴿ كل نفس ﴾ عام فى الطائفة والعاصية ﴿ بما كسبت ﴾ أى فى حياتهم من طاعة ومعصية فيذيب الطائفة ويعاقب العاصية ﴿ ان الله سريع الحساب ﴾ تقدم شرحه والاشارة بهذا الى ما ذكره تعالى من قوله ولا تحسبن الله غافلا الى قوله سريع الحساب ومعنى بلاغ كفاية فى الوعظ والتذكير فالاشارة بهذا الى اعلام الله تعالى بما يجزى فى الآخرة ولينذروا وما بعده متعلق بمحذوف يدل عليه ما تقدم تقديره فأعلمنا به لينذروا به ﴿ وليعلموا انما هو ﴾ الضمير فى هو عائد على الله سبحانه وتعالى وهو المتصرف فى ذلك اليوم وغيره وهو المتوحد بالالوهية ﴿ وليذكر أولوا الالباب ﴾ هم أرباب العقول

(الدر) وان كان مكرهم (ح) الظاهر اضافة مكر وهو المصدر الى الفاعل كما هو مضاف فى الاول اليه كأنه قيل وعند الله ما مكر وأى مكرهم (ش) أو يكون مضافا الى المفعول على معنى وعند الله مكرهم الذى يكرهم به وهو عذابهم الذى يستحقونه يأتهم به من حيث لا يشعرون ولا يحتسبون انتهى (ح) هذا لا يصح الا ان كان مكر يتعدى بنفسه كما قال هو ان قدر يكرهم به والمحفوظ أن مكر لا يتعدى الى مفعول به بنفسه قال تعالى واذ يكر بك الذين كفروا وتقول مذكور به ولا يحفظ زيدا مذكور بسبب كذا

ومجاهد وابن وثاب والكسائي كذلك إلا أنهم قرؤوا وان كان بالنون فعلى هاتين القراءتين تكونان
هي الخفيفة من الثقلية واللام هي الفارقة وذلك على مذهب البصريين وأما على مذهب الكوفيين
فإن نافية واللام بمعنى الاثن قرأ كاد بالذال فالمعنى انه يقرب زوال الجبال بمكرهم ولا يقع الزوال وعلى
قراءة كان بالنون يكون زوال الجبال قد وقع ويكون في ذلك تعظيم مكرهم وشدة وهو بحيث يزول
منه الجبال وتتقطع عن أما كنهاو يحتمل أن يكون معنى لتزول ليقرّب زوالها فيصير المعنى كمنى
قراءة كادو يؤيد هذا التأويل ما ذكره أبو حاتم من أن في قراءة أبي ولولا كلمة الله لزال من مكرهم
الجبال وينبغي أن تحمل هذه القراءة على التفسير لمخالفهم السواد المصحف المجمع عليه * وقرأ الجمهور
وباقى السبعة وان كان بالنون مكرهم لتزول بكسر اللام ونصب الاخيرة ورويت هذه القراءة عن
على واختلاف في تخريجها فمن الحسن وجماعة ان ان نافية وكان نامة والمعنى وتحقير مكرهم وانهما
كان لتزول منه الشرائع والنبوات وأقدار الله التي هي كالجبال في ثبوتها وقوتها ويؤيد هذا
التأويل ما روى عن ابن مسعود انه قرأ وما كان بما النافية لكن هذا التأويل وما روى عن ابن
مسعود من قراءة ومبالسني يعارض ما تقدم من القراءات لأن فيها تعظيم مكرهم وفي هذا تحقيره
ويحتمل على تقدير انها نافية ان تكون كان ناقصة واللام لام الجحود وخبر كان على الخلاف
الذي بين البصريين والكوفيين أهو محذوف أو هو الفعل الذي دخلت عليه اللام وعلى ان ان
نافية وكان ناقصة واللام في لتزول متعلقة بفعل في موضع خبر كان خرج الخوفي * وقال الزمخشري
وان كان مكرهم لتزول منه الجبال وان عظم مكرهم وتتابع في الشدة بضرب زوال الجبال منه مثلاً
لتفاقمه وشدة أي وان كان مكرهم مستموا لازالة الجبال معد ذلك * وقال ابن عطية ويحتمل عندي
هذه القراءة ان تكون بمعنى تعظيم مكرهم أي وان كان شديداً بما يفعل لينذهب به عظام الامور
انتهى وعلى تخريج هذين تكونان هي الخفيفة من الثقلية وكان هي الناقصة وعلى هذا التخريج
تتفق معاني القراءات أو تتقارب وعلى تخريج النفي تتعارض كما ذكرنا * وقرئ لتزول بفتح اللام
الأولى ونصب الثانية وذلك على لغة من فتح لام كي والذي يظهر أن زوال الجبال مجاز ضرب مثلاً
لمكر قريش وعظمه والجبال لتزول وهذا من باب الغلو والايغال والمبالغة في ذم مكرهم وأما
ما روى أن جبلاً زال بحلف امرأة اتهمها زوجها وكان ذلك الجبل من حلف عليه كاذبات فحملها
للحلف فذكرت بأن رمت نفسها عن الدابة وكانت وعدت من اتهمت به أن يكون في المكان الذي
وقعت فيه عن الدابة فأركبها زوجها وذلك الرجل وحلفت على الجبل انها ما مسها غيرهما فزالت سالمة
وأصبح الجبل قد اندك وكانت المرأة من عدنان وما روى من قصة النمرود أو بخت نصر واتخاذ
الانسر وصعودهما عليهما الى قرب السماء في قصة طويلة ومات أول بعضهم انه عبر بالجبال عن الاسلام
والقرآن لثبوتهم ورسوخهم وعبر بمكرهم عن اختلافهم فيه من قولهم هذا سحر هذا شعر هذا افك
فأقوال ينسبونها ظاهر اللفظ وبعيد جداً قصة الانسر والنهي عن الحسابان كهو في قوله ولا
تحسبن الله غافلاً وأطلق الحسبان على الامر المتحقق هنا كما قال الشاعر

فلا تحسبن اني أضل منيتي * فكل امرئ كاس الحمام يدوق

وهذا الوعد كقوله تعالى انال ننصر رسلنا كتب الله لأغلبن أنا ورسلي * وقرأ الجمهور بإضافة مخلف
الى وعده ونصب رساله واختلاف في اعرابه فقال الجمهور الفراء وقطرب والخوفي والزمخشري
وابن عطية وأبو البقاء انه مما أضيف فيه اسم الفاعل الى المفعول الثاني كقولهم هذا معطى درهم

زيد لما كان يتعدى الى اثنين جازت اضافته الى كل واحد منهما فينتصب ما تأخر وأنشد بعضهم نظيرا له * قول الشاعر

تري الثور فيهما دخل الظل رأسه * وسأره باد الى الشمس أجمع

* وقال أبو البقاء هو قريب من قولهم يأسارق الليلة أهل الدار * وقال القراء وقطرب لما تعدى الفعل اليهما جميعا لم يبال بالتقديم والتأخير * وقال الزمخشري (فان قلت) هلا قيل مخلف رسله وعده ولم قدم المفعول الثاني على الاول (قلت) قدم الوعد ليعلم انه لا يخلف الوعد أصلا لقوله ان الله لا يخلف الميعاد ثم قال رسله ليؤذن انه اذا لم يخلف وعده أحدا وليس من شأنه اخلاف المواعيد كيف يخلفه رسله الذين هم خيرته وصفوته انتهى وهو جواب على طريقة الاعتزال في ان وعد الله واقع لا محالة فن وعده بالنار من العصاة لا يجوز أن يغفر له أصلا ومذهب أهل السنة ان كل ما وعد من العذاب للعصاة المؤمنين هو مشروط انفاذه بالمشيئة * وقيل مخلف هنا متعد الى واحد كقوله لا يخلف الميعاد فأضيف اليه وانتصب رسله بوعد اذ هو مصدر ينحل بحرف مصدرى والفعل كأنه قال مخلف ما وعد رسله وما مصدرية لا بمعنى الذي وقرأت فرقة مخلف وعده رسله بنصب وعده واطافة مخلف الى رسله ففصل بين المضاف والمضاف اليه بالمفعول وهو كقراءة قتل أولادهم ثم كآتهم وتقديم الكلام عليه مشبعا في الانعام وهذه القراءة تؤيد اعراب الجمهور في القراءة الاولى وانه مما تعدى فيه مخلف الى مفعولين ان الله عز يز لا يمتنع عليه شيء ولا يغالب ذو انتقام من الكفرة لا يعفو عنهم والتبديل يكون في الذات أي تزول ذات وتجيء أخرى ومنه بدلناهم جلودا غيرها وبدلناهم بجنتهم جنتين ويكون في الصفات كقوله بدلنا الحاقلة خاتما قال ذات لم تفقد لكنها انتقلت من شكل الى شكل واختلفوا في التبديل هنا أهو في الذات أو في الصفات * فقال ابن عباس تمد كما تمد الاديم وتزال عنها اجبالها وآكامها وشجرها وجميع ما فيها حتى تصير مستوية لا ترى فيها عوجا ولا أمنا وتبدل السموات بتسكوير شمسها وانتثار كواكبها وانشقاقها وخسوف قمرها * وقال ابن مسعود تبدل الأرض بارض كالفضة نقية لم يفسك فيها دم ولم يعمل فيها خطيئة * وقال على تلك الأرض من فضة والجنة من ذهب * وقال محمد بن كعب وابن جبير هي أرض من خبز يأكل منها المؤمنون من تحت أقدامهم وجاء هذا مرفوعا * وقيل تصير نار او الجنة من ورائها ترى أكوابها وكواعبها * وقال أبي تصير السموات حقايا * وقيل تبديلها طيبها * وقيل مرة كل مئة ومرة وردة كالدخان قاله ابن الأنباري * وقيل بانشقاقها فلا تظل وفي الحديث ان الله يبديل هذه الأرض بارض عفراء بيضاء كأنها قرصه نقي وفي كتاب الزمخشري وعن علي تبدل أرضا من فضة وسموات من ذهب وعن الضحاك أرضا من فضة بيضاء كالصحنائف وعن ابن عباس هي تلك الأرض وانما تغير وأنشد

وما الناس بالناس الذين عهدتهم * ولا الدار بالدار التي كنت تعلم

* قال ابن عطية وسمعت من أبي رضى الله عنه روى ان التبديل يقع في الأرض ولكن تبدل لكل فريق بما يقيته حاله فالؤمن يكون على خبز يأكل منه بحسب حاجته اليه وفريق يكونون على فضة ان صح السند بها وفريق الكفرة يكونون على نار ونحو هذا كله واقع تحت قدرة الله تعالى وفي الحديث المؤمنون وقت التبديل في ظل العرش وفيه انهم ذلك الوقت على الصراط * وقال أبو عبد الله الرازي المراد من تبديل الأرض والسموات هو انه تعالى يجعل الارض جهنم ويجعل

(الدر)

(ش) فان قلت هلا قيل مخلف رسله وعده ولم قدم المفعول الثاني على الاول قلت قدم الوعد ليعلم أنه لا يخلف الوعد أصلا لقوله ان الله لا يخلف الميعاد ثم قال رسله ليؤذن أنه اذا لم يخلف وعده أحدا وليس من شأنه اخلاف المواعيد كيف يخلفه رسله الذين هم خيرته وصفوته (ح) هذا جواب على طريقة الاعتزال في أن ما وعد الله واقع لا محالة فن وعده بالنار من العصاة لا يجوز أن يغفر له أصلا ومذهب أهل السنة ان كل ما وعد من العذاب للعصاة المؤمنين هو مشروط انفاذه بالمشيئة انتهى

السموات الجنة والدليل عليه قوله تعالى كلا ان كتاب الفجار في سجين وقوله كلا ان كتاب
الأبرار في عليين انتهى وكلامه هذا يدل على ان الجنة والنار غير مخلوقتين وظاهر القرآن والحديث
انهما قد خلقتا وصح في الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلع عليهما ولا يمكن أن يطلع
عليهما حقيقة الا بعد خلقهما وبرزوا أي ظهروا الايوار بهم بناء ولا حصن وانتصاب يوم على انه بدل
من يوم يأتيهم قاله الزمخشري أو معمولاً لمخلف وعنده وان وما بعدها اعتراض قاله الحوفي * وقال
أبو البقاء لا يجوز أن يكون ظرفاً لمخلف ولا لوعده لان ما قبل أن لا يعمل فيما بعدها ولكن يجوز أن
يلحق من معني الكلام ما يعمل في الظرف أي لا يخلف وعنده يوم تبديل انتهى واذا كان ان وما
بعدها اعتراضاً لم يبال انه فصل بين العامل والمعمول أو معمولاً لا انتقام قاله الزمخشري والحوفي
وأبو البقاء أولاً ذكر قاله أبو البقاء * وقرئ تبدل بالنون الارض بالنصب والسموات معطوف
على الارض وثم محذوف أي غير السموات حذف لدلالة ما قبله عليه والظاهر استئناف وبرزوا
* وقال أبو البقاء يجوز أن يكون حالاً من الارض وقدمه من اذته ومعني لله حكم الله أولو عوده
من الجنة والنار * وقرأ زيد بن علي وبرزوا بضم الباء وكسر الراء مشددة جعله مبنياً للفعل على
سبيل التذكير بالنسبة الى العالم وكثرتهم بالنسبة الى تكرير الفعل وجيء بهذين الوصفين وهما
الواحد وهو الواحد الذي لا يشركه أحد في ألوهيته ونسبته به على ان آلهتهم في ذلك اليوم لا تنفع
والقهار وهو الغالب لكل شيء وهذا نظير قوله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وتري
المجرمين يومئذ يوم اذ تبدل وبرزوا مقرنين مشدودين في القرن أي مقرون بعضهم مع بعض
في القيود والأغلال أو مع شياطينهم كل كافر مع شيطانه في غل أو تقرن أيديهم الى أرجلهم مغلولين
والظاهر تعلق في الأصفاد بقوله مقرنين أي يقرنون في الأصفاد ويجوز أن يكون في موضع
الصفة لمقرنين وفي موضع الحال في تعلق بمحذوف كانه قيل مستقرين في الأصفاد * وقال الحسن
ما في جهنم وادولاً مفازة ولا قيد ولا سلسلة الاسم صاحبه مكتوب عليه * وقرأ علي وأبو هريرة
وابن عباس وعكرمة وابن جبير وابن سيرين والحسن بخلاف عنه وسنان بن سلمة بن المحقق
وزيد بن علي وقتادة وأبو صالح والسكبي وعيسى الهمداني وعمرو بن فائد وعمرو بن عبيد من
قطر بفتح القاف وكسر الطاء وتنوين الراء أن اسم فاعل من أنى صفة لقطر * قيل وهو القصد
* وقيل النحاس وعن عمر رضي الله عنه أنه قال ليس بالقطران ولكنه النحاس يصير بلونه والآني
الذائب الحار الذي قد تناهى حره * قال الحسن قد سمرت عليه جهنم منذ خلقت فتناهى حره
* وقال ابن عباس أي أن أب يعذبوا به يعني حان تعذيبهم به * وقال الزمخشري ومن شأنه أي
القطران أن يسرع فيه اشتعال النار وقد يستسرح به وهو أسود اللون منتن الرائحة فيطلى به جلود
أهل النار حتى يعود طلاؤه لهم كالسراويل وهي القمص لتجتمع عليهم الاربع لدفع القطران
وحرقته واسراع النار في جلودهم واللون الوحش وثن الریح على أن التفاوت بين القطرانين
كالتفاوت بين النارين وكل ما وعده الله أو وعده في الآخرة فينبه وبين ما يشاهده من جنسه
ملا يقادر قدره وكأنه ما عندنا منه الاسامي والمسميات ثم فبكرمه الواسع نعوذ من سخطه
ونسأله التوفيق فيما ينجي من عذابه انتهى * وقرأ عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب من قطران
بفتح القاف واسكان الطاء وهو في شعر أبي النجم قال * لبسنه القطران والمسوحا * وقرأ
الجمهور ونعشى وجوهمهم بالنصب * وقرئ بالرفع فالأول على نحو قوله والليل اذا يغشى فهي على

حقيقة الغشيان والثانية على التجوز جعل ورود الوجه على النار غشيانا * وقرئ وتغشى وجوههم بمعنى تنغشى وخص الوجوه هنا وفي قوله أفن يتقى بوجهه سوء العذاب يوم القيامة ويوم يسحبون في النار على وجوههم لان الوجه أعز موضع في ظاهر البدن وأشرفه كالقلب في باطنه ولذلك قال تطالع على الافئدة وليجزى متعلق بمحذوف تقديره يفعل بالجرمين ما يفعل ليجزى كل نفس أى مجرمة بما كسبت أو كل نفس من مجرمة ومطبعة لانه اذا عاقب المجرمين لاجرامهم علم انه يثيب المطيعين لطاعتهم قاله الزمخشري ويظهر انها تتعلق بقوله وبرزوا أى الخلق كلهم ويكون كل نفس عامأى مطبعة ومجرمة والجملة من قوله وترى معترضة * وقال ابن عطية اللام متعلقة بفعل مضمر تقديره فعل هذا أو أنفذ هذا العقاب على المجرمين ليجزى في ذلك المسيء على اساءته انتهى والاشارة بهذا الى ما ذكر به تعالى من قوله ولا تحسبن الله غافلا الى قوله سريع الحساب * وقيل الاشارة الى القرآن وقيل الى السورة ومعنى بلاغ كفاية في الوعظ والتذكير ولينذروا به * قال الماوردي الواو زائدة وعن المبرد هو عطف مفرد على مفرد أى هذا بلاغ وانذار انتهى وهذا تفسير معنى لا تفسير اعراب * وقيل هو محمول على المعنى أى ليبلغوا ولينذروا * وقيل اللام لام الأمر * قال بعضهم وهو حسن لولا قوله ولينذروا به فانه منصوب لا غير انتهى ولا يخش ذلك إذ يكون ولينذروا ليس معطوفا على الأمر بل يضمير له فعل يتعلق به * وقال ابن عطية المعنى هذا بلاغ للناس وهو لينذروا به انتهى فجعله في موضع رفع خبر الموحى المحذوفة * وقال الزمخشري ولينذروا معطوف على محذوف أى لينصحووا لينذروا به هذا البلاغ انتهى * وقرأ مجاهد وجيد بقاء مضمومة وكسر الذال كان البلاغ العموم والانذار للمخاطبين * وقرأ بجي بن عمارة الذراع عن أبيه وأحمد بن زيد بن أسيد السامى ولينذروا بفتح الياء والذال مضارع نذر بالشئ اذا علم به فاستعد له قالوا ولم يعرف لهذا الفعل مصدر فهو مثل عسى وغيره مما استعمل من الافعال ولم يعرف له أصل وليعاموا لأنهم اذا خافوا ما أنذروا به دعاهم ذلك الى النظر فيتم وصلون الى توحيد الله وافراده بالعبادة اذا خشية أصل الخير ولينذروا أى يتعظوا ويراجع نفسه بما سمع من المواعظ وأسند التذكير والاتعاظ الى من له لب لأنهم هم الذين يجدى فيهم التذكير * وقيل هي في أبي بكر الصديق وناسب مختتم هذه السورة مفتتحها وكثيرا ما جاء في سور القرآن حتى ان بعضهم زعم ان قوله ولينذروا به معطوف على قوله لتخرج الناس

﴿ سورة الحجر تسع وتسعون آية مكية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ الرّآ تلاك آيات الكتاب وقرآن مبين ﴾ ربما يؤدّ الذين كفروا لو كانوا مسلمين * ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون * وما أهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم * ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون * وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون * لو ما تأتينا بالملائكة ان كنت من الصادقين * ما ننزل الملائكة الا بالحق وما كانوا اذا منظرين * إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون * ولقد أرسلنا من قبلك في شيع الأولين * وما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن * كذلك نسلك في قلوب المجرمين * لا يؤمنون به وقد خلت سنة الأولين * ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون * لقالوا انما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون * ولقد

جعلنا في السماء بروجا وزيناها للنظرين * وحفظناها من كل شيطان رجيم * الامن استرق
السمع فأتبعه شهاب مبين * والارض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل شيء موزون *
وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين * وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم *
وأرسلنا الرياح فأتوا فاحا فأتوا زلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين * وبالبحر نحيي ونميت
ونحن الوارثون * ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين * وان ربك هو بحشرهم
انه حكيم عليم * ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمأ مسنون * والجان خلقناه من قبل من نار
السموم * رب حرف جولا اسم خلا فالله كوفيين والاخفش في أحد قوله وابن الطراوة ومعناها في
المشهور التقليل لا التكثير خلا فالزاعم وناسبه الى سيبويه ولمن قال لا تفيد تقييلا ولا تكثيرا بل هي
حرف اثبات ودعوى أبي عبد الله الرازي الاتفاق على انها موضوع للتقليل باطالة وقول الزجاج ان
رب التكثرة ضد ما يعرفه أهل اللغة ليس بصحيح وفيها لغات وأحكامها كثيرة ذكرت في النحو ولم
تقع في القرآن الا في هذه السورة على كثرة وقوعها في لسان العرب * ذرأمر استغنى غالباً عن
ما ضمه بترك وفي الحديث ذروا الحبشة ما وذر تكلم * لوما حرف تحضيض فيلها الفعل ظاهراً أو
مضمراً وحرف امتناع لوجود فيلها الاسم مبتدأ على مذهب البصريين ومنه * قول الشاعر

لوما الحياء ولوما الدين عبتكما * ببعض ما فيكما إذ عبتا عوري

وقال بعضهم الميم في لوما بديل من اللام في لولا ومثله استولى على الشيء واستوموا وخالته وخالته فهو
خلي وخامى أى صديق * وقال الزمخشري لو ركبت مع لوما المعنيين وأما هل فلم تتركب الامع لا
وحدها للتخفيف انتهى والذي اختاره البساطة فيه مالا التركيب وان ما ليست بدلا من لا * سلك
الخط في الابرة وأسلكها أدخله فيها ونظمه * قال الشاعر

حتى اذا أسلكوهم في قنائة * شلا كما تطرد الجمالة الشردا

﴿ وقال الآخر ﴾

وكنتم لراز خصمكم لم أعود * وقد سلكوك في يوم عصيب

الشهاب شعلة النار ويطلق على الكوكب لبريقه شبه النار * وقال أبو تمام

والعلم في شهب الارماح لامعة * بين الخميسين لافي السبعة الشهب

* اللواقيح الظاهر انها جمع لاقح أى ذوات لقاح كلابن وتامر وذلك ان الريح تمر على الماء ثم تمر على
السحاب والشجر فيكون فيها لقاح قاله الفراء * وقال الأزهرى حوامل تحمل السحاب وتصرفه
وناقه لاقح ونوق لواقح اذا حملت الاجنة في بطونها * وقال زهير

اذا القحت حرب عوان مضرة * ضروس تهر الناس أنيابها عصل

* وقال أبو عبيدة أى ملاقيح جمع ملقحة لأنها تلقح السحاب بالماء * وقال

* ومختبط مما تطيح الطوائح * أى المطاوح جمع مطيحة * الصاصل قال أبو عبيدة الطين اذا خلط
بالرمل وجف * وقال أبو الهيثم الصاصل صوت اللجام وما أشبهه وهو مثل القعقة في الثوب * وقيل
التراب المدقوق واصل الرمل صوت واصل بمعنى ماصل كالقضا قض أى المقضض وهو فيه
كثير ويكون هذا النوع من المضعف مصدر افتقول زلزلا زلزلا بالفتح وزلزلا بالكسر ووزنه عند
البصريين فعال وهكذا جميع المضاعف حرفه كلها أصول لا تقع خلا للفراء وكثير من النحويين
ولا فاعل خلا للبعض البصريين وبعض الكوفيين ولا ان أصله فعل بتشديد العين أبدل من

﴿ الرّتلك آيات الكتاب وقرآن مبين ﴾ هذه السورة مكية بلا خلاف مناسبة لما قبلها أنه تعالى لما ذكر في آخر السورة قبلها أشياء من أحوال القيامة من تبديل السموات والأرض وأحوال الكفار في ذلك اليوم وأن ما أتى به هو على حسب التبليغ والانذار ابتداء في هذه السورة بذكر القرآن الذي هو بلاغ للناس وأحوال الكفر وودادتهم ﴿ لو كانوا مسلمين ﴾ وتلك إشارة إلى ما تضمنته السورة من الآيات والكتاب والقرآن المبين السورة وتنكير القرآن للتفخيم والمعنى تلك آيات الكتاب الكامل في كونه كتابا وأي قرآن مبين كأنه قيل الكتاب الجامع للكمال والغرابة في البيان والظاهر أن ما في ربما هيئة وذلك أنهم من حيث هي حرف جر على خلاف فيله لا يليها إلا الأسماء فجىء بمهميئة لمجىء الفعل بعدها وفي رب لغات وأحكام ذكرت في النحو وعلى كثرة مجىء رب في كلام العرب لم تجىء في القرآن إلا في هذا الموضع وقد اختلفوا في تقدير التقليل أم التأكيد والذي يظهر أن ذلك يفهم من سياق الكلام لأن وضعها ومثال هذا التركيب القرآني قول الشاعر * ربما تذكره النفوس من الأمر له فرجة كحل العقال * ومهميئة لمجىء الفعل بعدها ودعوى أنها نكرة موصوفة بعيد كتأويل من قال رب شئ توده وحذف الضمير العائد على شئ وأكثر ما يأتي الفعل بعدها ماضيا كقول الشاعر ربما أوفيت في علم * نرفعن ثوبى شمالات وقد جاء مستقبلا فقال سليم القشيري ومعتصم بالحى من خشية الردى * سيردى وغاز مشفق سيؤوب فيود مستقبل لا يحتاج إلى تأويله بمعنى ودو كثير مجىء لو بعد وينسبك منها مصدر تقديره أن لو كانوا مسلمين أى كونهم مسلمين ومن لم يثبت أن لو حرف مصدرى يتأول مفعولا محذوفالود وجوابا (٤٤٣)

لينجوا بذلك * ذرهم يأكلوا * أمر تهديد لهم ووعيد أى ليسوا ممن يرعوى عما هو فيه من الكفر والتكذيب ولا ممن تنفعه النصيحة والتذكير فهم إنما حظهم حظ البهائم من الأكل والتمتع بالحياة الدنيا والأمل

الثاني حرف من جنس الحرف الأول خلافا لبعض الكوفيين وينسبني على هذه الأقوال ورب صلاصال * الحاطين اسود منتن واحدة حمأة بتحريل الميم قاله الليث ووهم في ذلك وقالوا لا نعرف في كلام العرب الحمأة إلا الساكنة الميم قاله أبو عبيدة ولا أكثر من كما قال أبو الاسود يجنك بمنها طور وطورا * يجىء بحمأة وقيل ماء

وعلى هذا لا يكون حائنه وبين مفردة ناء التأنيت لا اختلاف الوزن * السعوم افراط الحر يدخل في المسام حتى يقتل من نار أو شمس أو ريح * وقيل السعوم بالليل والحر بالهار * الرّتلك آيات الكتاب وقرآن مبين * ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين * ذرهم يأكلوا ويقتعوا ويلهمهم الأمل فسوف يعلمون * وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم * ما سبق من أمة أجلها وما يستأخرون * هذه السورة مكية بلا خلاف ومناسبتها لما قبلها أنه تعالى لما ذكر في

في تحصيلها هو الذي يلهمهم ويشغلهم عن الإيمان بالله تعالى وبرسوله وفي قوله يأكلوا ويقتعوا إشارة إلى أن التلذذ والتنعم وعدم الاستعداد للموت والتأهب له ليس من أخلاق من يطلب النجاة من عذاب الله تعالى ﴿ فسوف يعلمون ﴾ تهديد ووعيد أى فسوف يعلمون عاقبة أمرهم وما يؤولون إليه في الدنيا من النذل والقتل والسبي وفي الآخرة من العذاب السرمدى ولما توعدهم بما يحل بهم أردف ذلك بما يشعرون به لا كهم وأنه لا يستبطن أن له أجلا لا يتعداه والمعنى من أهل قرية كافرين والظاهر أن المراد بالهلاك هلاك الاستصال لمكذبي الرسل وهو أبلغ في الزجر ومن قرية مفعول أهلكنا ومن لاستغراق الجنس * ولها كتاب معلوم * جملة حالية ومن زائدة تفيد استغراق الجنس أى ما سبق أمة وأنت أجلها على لفظ أمة وجمع وذكر في وما يستأخرون جملا على المعنى وحذف عنه دلالة الكلام عليه قال الزخشرى الجملة واقعة صفة لقرية والقياس أن لا تتوسط الواو بينهما كما في قوله تعالى وما أهلكنا من قرية إلا الهامندرون وإنما توسطت لتأكيدها صوق الصفة بالموصوف كما يقال في الحال جاءنى زيد عليه ثوب وجاءنى زيد وعليه ثوب انتهى ووافقه على ذلك أبو البقاء فقال الجملة نعت لقرية كقولك ما لقيت رجلا لا عالما قال وقد ذكرنا حال الواو في مثل هذا في البقرة في قوله وعسى أن تذكر هوا شيئا وهو خير لكم وهذا الذى قاله الزخشرى وتبعه فيه أبو البقاء لا نعلم أحدا قاله من النحويين وهو مبنى على أن ما بعد لا يجوز أن يكون صفة وقد منعوا ذلك قال الاخفش لا يفصل بين الصفة والموصوف بالائتم قال ونحو ما جاءنى رجل إلا راكب وفيه قبح لجعل الصفة كالاسم وقال أبو على الفارسى تقول ما مررت بأحد الاقاما فقاما حال من أحد ولا يجوز الاقام لان الا لا تعرض بين الصفة والموصوف وقال ابن مالك وقد ذكر

آخر السورة قبلها أشياء من أحوال القيامة من تبديل السموات والارض وأحوال الكفار في ذلك اليوم وان ما أتى به هو على حسب التبليغ والانذار ابتداء في هذه السورة بذكر القرآن الذي هو بلاغ للناس وأحوال الكفرة وودادتهم لو كانوا مسلمين * قال مجاهد وقتادة الكتاب هنا منزل من الكتب قبل القرآن فعلى قولهما تكون تلك إشارة إلى آيات الكتاب * قال ابن عطية ويحتمل أن يراد بالكتاب القرآن وعطفت الصفة عليه ولم يذكر الخشري إلا أن تلك الإشارة لما تضمنته السورة من الآيات قال والكتاب والقرآن المبين السورة وتنكير القرآن للتفخيم والمعنى تلك آيات الكتاب الكامل في كونه كتاباً وآي قرآن مبين كأنه قيل والكتاب الجامع للكمال والغرابة في الشأن والظاهر أن ما في ربما هيئة وذلك أنه ليس حيث هي حرف جر لا يليها إلا الأسماء فجاء بمهملة مجيء الفعل بعدها وجوزوا في ما أن تكون نكرة موصوفة ورب جارة لها والعائد من جملة الصفة محذوف تقديره رب شيء يوده الذين كفروا ولو كانوا مسلمين بدل من ما على أن لو مصدرية وعلى القول الأول تكون في موضع نصب على المفعول ليود ومن لا يرى أن لو تأتي مصدرية جعل مفعول يود محذوفاً ولو في لو كانوا مسلمين حرف لما كان سيقع لوقوع غيره وجواب لو محذوف أي ربما يود الذين كفروا الإسلام لو كانوا مسلمين لسروا بذلك وخلصوا من العذاب ولما كانت رب عند الاكثرين لا تدخل على مستقبل تأولوا يود في معنى ود لما كان المستقبل في اخبار الله لتحقيق وقوعه كالماضى فكأنه قيل ود وليس ذلك بلازم بل قد تدخل على المستقبل لكنه قليل بالنسبة إلى دخوله على الماضى ومما وردت فيه للمستقبل قول سليم القشيري

ومعتصم بالجبن من خشية الردى * سيردى وغاز مشفق سيؤب

* وقول هند أم معاوية *

يارب قائله غدا * يالهف أم معاوية

* وقول جحدر *

فان أهلك فرب فتى سيبكى * على مهذب رخص البنان

في عدة أبيات وقول أبي عبد الله الرازي أنهم اتفقوا على أن كلمة رب مختصة بالدخول على الماضى لا يصح فعلى هذا لا يكون يود محتاجاً إلى تأويل وأما من تأول ذلك على اضمار كان أي ربما كان يود فقوله ضعيف وليس هنالك موضع اضمار كان ولما كان عند الخشري وغيره أن رب للتقليل احتاجوا إلى تأويل مجيء رب هنا وطول الزخشي في تأويل ذلك ومن قال إنه الكثير فالتكثير فيها هنا ظاهر لان وودادتهم ذلك كثيرة ومن قال ان التقليل والتكثير إنما يفهم من سياق الكلام لا من موضوع رب قال دل سياق الكلام على الكثرة * وقيل تدهشهم أهوال ذلك اليوم فيبقون مهوتين فان كانت منهم مفاقة في بعض الأوقات من سكرتهم تمنوا فلذلك قلل * وقرأ عاصم ونافع ربما تخفيف الباء وباقي السبعة بتشديد ها وعن أبي عمر والوجهان * وقرأ طلحة بن مصرف وزيد ابن علي ربما بزيادة ناء ومتى يودون ذلك قيل في الدنيا * فقال الضحاك عند معاينة الموت * وقال ابن مسعود هم كفار قریش وذا ذلك في يوم بدر حين رأوا الغلبة للمسلمين * وقيل حين حل بهم ما حل من تلك المسلمين أرضهم وأموالهم ونساءهم وذا ذلك قبل أن يحل بهم ما حل * وقيل وودوا ذلك في الآخرة إذا أخرج عصاة المسلمين من النار قاله ابن عباس وأنس بن مالك

ذهب إليه الزخشي
قوله في نحو ما مررت
حد الأزيد خير منه أن
قوله بعد الصفة لا حد
مذهب لم يعرف
صري ولا كوفي فلا
تفت إليه وأبطل ابن
لك قول الزخشي أن
أو توسطت لتأكيد
وق الصفة بالمؤمنون

قوله تعالى وما أهلكنا من قرية إلا لما منذرون وإنما توسطت لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف كما يقال في الحال جاءني زيد عليه ثوب وجاءني وعليه ثوب (ح) وافقه على ذلك أبو البقاء فقال الجملة نعت لقريّة كقولك ما لقيت رجلاً إلا عالماً قال وقد ذكرنا حال الواو في مثل هذا في البقرة في قوله وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم انتهى وهذا الذي قاله (ش) وتبعه فيه أبو البقاء لأنهم أحداً قاله من النحويين وهو مبني على أن ما بعد إلا يكون صفة وقد منعوا ذلك قال الأخفش لا يفصل بين الصفة والموصوف بالإنشائي قال ونحو ما جاءني رجل لا راكب تقديره الراكب لا راكب وفيه قبح يجعلك الصفة كالاسم وقال أبو علي الفارسي يقول ما مررت بأحد إلا قائماً فقام حال من أحد ولا يجوز إلا قائم لان اللاحقة تعرض بين الصفة والموصوف * وقال ابن مالك وقد ذكر ما ذهب إليه الزمخشري من قوله في نحو ما مررت بأحد إلا زيد خير منه أن الجملة بعد الصفة لأحد أنه مذهب لم يعرف لبصري ولا كوفي فلا يلتفت إليه وأبطل ابن مالك قول الزمخشري أن الواو توسطت لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف * وقال القاضي منذر بن سعيد هذه الواو هي التي تعطى أن الحالة التي بعدها في اللفظ هي في الزمن قبل الحالة التي قبل الواو ومنه قوله تعالى حتى إذا جاؤوها وقطعت أبوابها انتهى والظاهر أن الكتاب المعلوم هو الأجل الذي كتب في اللوح وبين ويدل على ذلك ما بعده * وقيل مكتوب فيه أعمالهم وأعمارهم وآجال هلاكهم * وذكر الماوردي كتاب معلوم أي

﴿ وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذ كر ﴾ الآية قال مقاتل نزلت في عبد الله بن أمية والنضر بن الحرث ونوفل بن خويلد والوليد بن المغيرة وهذا الوصف بأنه الذي نزل عليه الذ كر قالوه على جهة الاستهزاء والاستخفاف لانهم لا يقرون بتزويل الذ كر عليه وينسبونه الى الجنون وهذا كقول فرعون ان (٤٤٦) رسوا لكم الذي أرسل اليكم لجنون اذلو كان مؤمنا

برسالة موسى صلى الله عليه وسلم ما أخبر عنه بالجنون ثم اقترحوا عليه أن يأتيهم بالملائكة شاهدين بصدقك وبصحة دعواك وانذارك كما قال لولا أنزل اليه ملك فيكون معه نذيرا أو معاقبين على تكذيبك كما كانت باقي الأمم المكذبة ولو ما حرف تحضيض بمعنى هلا وقرى ما تنزل بشد التاء أصله تنزل فأدغم التاء في التاء ﴿ الا بالحق ﴾ الظاهر أن معناها كما يجب ويحق من الوحي والمنافع التي أرادها الله تعالى لعباده لا على اقتراح كافر ولا باختيار معترض ثم ذكر عادة الله تعالى في الأمم من أنه لم يأتيهم بآية اقتراح الا ومعها العذاب في اثرها إن لم يؤمنوا فكان الكلام ما تنزل الملائكة الا بحق لا باقتراحكم وايضا فلما نزلت لم تنظر وابتعد ذلك بالمعنى وهذا لا يكون اذ كان في علم الله أن منهم من يؤمن أو يلد من يؤمن ﴿ وقال الزمخشري واذن جواب وجزاء لانه جواب لهم وجزاء بالشرط مقدر تقديره ولو نزلنا الملائكة كما كانوا منظرين وما أخر عذبتهم وما قالوا على سبيل الاستهزاء يا أيها الذي نزل عليه الذ كر رد عليهم بأنه هو المنزل عليه فليس من قبله ولا قبل أحد بل هو الله تعالى الذي بعث به جبريل عليه السلام الى رسوله وأكذلك بقوله انا نحن بدخول إن و بلفظ نحن ونحن مبتدأ أو تاء كيد لا سم ان ثم قال وانا لله لحافظون أي حافظون له من الشياطين وفي كل وقت تكفل تعالى بحفظه فلا يعتريه زيادة ولا نقصان ولا تحريف ولا تبديل بخلاف غيره من الكتب المتقدمة فانه تعالى لم يتكفل بحفظها بل قال تعالى ان الرابانيين والأخبار استخفوها ولذلك وقع فيها الاختلاف وحفظه اياه دليل على أنه من عنده تعالى اذ لو كان من قول البشر لتطرق

فرض محتوم ومن زائدة تفيد استغراق الجنس أي ما تسبق أمة وأنت أجلها على لفظ أمة وجمع وذ كر في وما يستأخرون حلا على المعنى وحذف عنه دلالة الكلام عليه ﴿ وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذ كر انك لجنون ﴾ لو ما تأتينا بالملائكة ان كنت من الصادقين ﴿ ما تنزل الملائكة الا بالحق وما كانوا اذا منظرين ﴾ انا نحن نزلنا الذ كر وانا لله لحافظون ﴿ قال مقاتل نزلت في عبد الله بن أمية والنضر بن الحرث ونوفل بن خويلد والوليد بن المغيرة ﴾ وقرأ زيد بن علي نزل عليه الذ كر ماضيا مخففا مبنيا للفاعل ﴿ وقرأ يا أيها الذي ألقى اليه الذ كر وينبغي أن تجعل هذه القراءة تفسيرا لأنها مخالفة لسواد المصحف وهذا الوصف بأنه الذي نزل عليه الذ كر قالوه على جهة الاستهزاء والاستخفاف لانهم لا يقرون بتزويل الذ كر عليه وينسبونه الى الجنون اذلو كان مؤمنا برسالة موسى وما أخبر عنه بالجنون ثم اقترحوا عليه أن يأتيهم بالملائكة شاهدين بصدقك وبصحة دعواك وانذارك كما قال لولا أنزل اليه ملك فيكون معه نذيرا أو معاقبين على تكذيبك كما كانت تأتي الأمم المكذبة ﴿ وقرأ الحرميان والعريبان ما تنزل أي ما تنزل الملائكة بالرفع ﴾ وقرأ أبو بكر ويحيى بن وثاب ما تنزل بضم التاء وفتح النون والزاي الملائكة بالرفع ﴾ وقرأ الاخوان وحفص وابن مصرف ما تنزل بضم النون الاولى وفتح الثانية وكسر الزاي الملائكة بالنصب ﴿ وقرأ زيد بن علي ما نزل ماضيا مخففا مبنيا للفاعل الملائكة بالرفع والحق هنا العذاب قاله الحسن أو الرسالة قاله مجاهد أو قبض الأرواح عند الموت قاله ابن السائب أو القرآن ذكره الماوردي ﴿ وقال الزمخشري ألا تنزلنا ملتبسا بالحكمة والمصلحة ولا حكمة في أن تأتيتكم عيانا شاهدونهم ويشهدون لكم بصدق النبي صلى الله عليه وسلم لانكم حينئذ مصدقون عن اضطرار ﴾ وقال ابن عطية والظاهر أن معناها كما يجب ويحق من الوحي والمنافع التي أرادها الله تعالى لعباده لا على اقتراح كافر ولا باختيار معترض ثم ذكر عادة الله في الأمم من أنه لم يأتيهم بآية اقتراح الا ومعها العذاب في اثرها ان لم يؤمنوا فكان الكلام ما تنزل الملائكة الا بحق واجب لا باقتراحكم وايضا فلما نزلت لم تنظر وابتعد ذلك بالمعنى وهذا لا يكون اذ كان في علم الله أن منهم من يؤمن أو يلد من يؤمن ﴿ وقال الزمخشري واذن جواب وجزاء لانه جواب لهم وجزاء بالشرط مقدر تقديره ولو نزلنا الملائكة كما كانوا منظرين وما أخر عذبتهم وما قالوا على سبيل الاستهزاء يا أيها الذي نزل عليه الذ كر رد عليهم بأنه هو المنزل عليه فليس من قبله ولا قبل أحد بل هو الله تعالى الذي بعث به جبريل عليه السلام الى رسوله وأكذلك بقوله انا نحن بدخول إن و بلفظ نحن ونحن مبتدأ أو تاء كيد لا سم ان ثم قال وانا لله لحافظون أي حافظون له من الشياطين وفي كل وقت تكفل تعالى بحفظه فلا يعتريه زيادة ولا نقصان ولا تحريف ولا تبديل بخلاف غيره من الكتب المتقدمة فانه تعالى لم يتكفل بحفظها بل قال تعالى ان الرابانيين والأخبار استخفوها ولذلك وقع فيها الاختلاف وحفظه اياه دليل على أنه من عنده تعالى اذ لو كان من قول البشر لتطرق

له من الشياطين وفي كل وقت تكفل تعالى بحفظه فلا يعتريه زيادة ولا نقصان ولا تحريف ولا تبديل بخلاف غيره من الكتب المتقدمة فانه تعالى لم يتكفل بحفظها بل قال تعالى ان الرابانيين والأخبار استخفوها ولذلك وقع فيها الاختلاف وحفظه اياه دليل على أنه من عنده تعالى اذ لو كان من قول البشر لتطرق اليه ما تطرق لكلام البشر

﴿ ولقد أرسلنا من قبلك في شيع الأولين ﴾ لماذا كرتعالى استهزاء الكفار به ونسبته الى الجنون واقتراح نزول الملائكة سلاه الله تعالى بأن من أرسل من قبلك كان ديدن المرسل إليهم مثل ديدن هؤلاء معك وتقدم تفسير الشيع في أواخر الأنعام ومفعول أرسلنا محذوف أي أرسلنا من قبلك رسلا قال الزمخشري وما يأتيتهم حكاية حال ماضية لأن ما لا تدخل على مضارع الا وهو في موضع الحال ولا على ماض الا وهو قريب من الحال انتهى هذا الذي ذكره هو قول الاكثرين أن ما تلخص المضارع للحال وتعيينه وذهب غيره الى أن ما يكثر دخوله على المضارع مراد به الحال وتدخل عليه مراد به الاستقبال وأنشد شاهد على ذلك قول أبي ذؤيب أودي بنى وأودعوني حسرة * عند الرقاد وغيره ما تعلق وقال الأعشى يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم له نوافلات ما يغيب نوالها * وليس عطاء اليوم مانعه غدا (٤٤٧) وقال تعالى ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي إن أتبع

الامايوحى الى * كذلك نسلك في قلوب المجرمين * الظاهر عود الضمير على الاستهزاء المفهوم من قوله يستهزئون والباء في به السبب والمحرمون هنا كفار قريش ومن دعاهم الرسول الى الايمان ولا يؤمنون * إن كان إخبارا مستأنفا فهو من العام المراد به الخصوص فبين حتم عليه اذ قد آمن عالم بمن كذب الرسول ﴿ وقد خلت سنة الاولين ﴾ في تكذيبهم رسالهم أوفى اهلا كههم حين كذبوا رسالهم واستهزؤوا بهم وهو تهديد لمشركي قريش والضهير في عليهم عائد على المشركين وذلك لفرط تكذيبهم وبعدهم عن الايمان حتى ينكروا

اليه ما تطرق لكلام البشر * وقال الحسن حفظه بابقاء شريعته الى يوم القيامة * وقيل بحفظه في قلوب من أرادهم خيرا حتى لو غير أحد نقطة لقال له الصبيان كذبت وصوابه كذا ولم يتفق هذا لشي من الكتب سواه وعلى هذا فالظاهر ان الضمير في له عائد على الذكركر لانه المصرح به في الآية وهو قول الاكثر مجاهد وقتادة وغيرهما * وقالت فرقة الضمير في له عائد على رسول الله صلى الله عليه وسلم أي يحفظه من أذاكم ويحوطه من مكركم كما قال تعالى والله يعصمك من الناس وفي ضمن هذه الآية التبشير بحياة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يظهر الله به الدين ﴿ ولقد أرسلنا من قبلك في شيع الأولين ﴾ وما يأتيتهم من رسول الا كانوا به يستهزئون * كذلك نسلك في قلوب المجرمين * لا يؤمنون به وقد خلت سنة الاولين * ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلاوا فيه يعرجون * اقلوا انما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون ﴿ لماذا كرتعالى استهزاء الكفار به عليه السلام ونسبته الى الجنون واقتراح نزول الملائكة سلاه تعالى بأن من أرسل من قبلك كان ديدن المرسل إليهم مثل ديدن هؤلاء معك وتقدم تفسير الشيع في أواخر الأنعام ومفعول أرسلنا محذوف أي رسلا من قبلك * وقال الفراء في شيع الأولين هو من اضافة الشيء الى صفة كقوله حق اليقين وبجانب الغربي أي الشيع الموصوف أي في شيع الأمم الأولين والاولون هم الاقدمون * وقال الزمخشري وما يأتيتهم حكاية حال ماضية لان ما لا تدخل على مضارع الا وهو في موضع الحال ولا على ماض الا وهو قريب من الحال انتهى وهذا الذي ذكره هو قول الاكثرين أن ما تلخص المضارع للحال وتعيينه وذهب غيره الى أن ما يكثر دخوله على المضارع مراد به الحال وتدخل عليه مراد به الاستقبال وأنشد على ذلك * قول أبي ذؤيب

أودي بنى وأودعوني حسرة * عند الرقاد وعبرة ما تعلق

* وقول الأعشى يمدح الرسول عليه السلام

له نوافلات ما يغيب نوالها * وليس عطاء اليوم مانعه غدا

وقال تعالى ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي إن أتبع الامايوحى الى والضهير في نسلك عائد على

ما هو مشاهد بالاعين محسوس مماس بالاجساد بالحركة والانتقال وهذا بحسب المبالغة التامة في انكار الحق والظاهر أن الضمير في فظلاوا عائد على من عاد عليه في قوله عليهم أي لوقع لهم باب من السماء وجعل لهم معراج يصعدون فيه لقالوا هو شيء نتخيله لاحقيقة له وقد سكرنا بذلك وجاء لفظ فظلاوا مشعرا بحصول ذلك في النهار ليكونوا مستوضحين لما عاينوا

(الدر) (ش) وما يأتيتهم حكاية حال ماضية لان ما لا تدخل على مضارع الا وهو في موضع الحال ولا ماض الا وهو قريب من الحال انتهى (ح) هذا الذي ذكره هو قول الاكثرين أن ما تلخص المضارع للحال وتعيينه له وذهب غيره الى ما يكثر دخوله على المضارع مراد به الحال ويدخل عليه مراد به الاستقبال وأنشد شاهد على ذلك قول أبي ذؤيب أودي بنى وأودعوني حسرة * عند الرقاد وعبرة ما تعلق وقول الأعشى يمدح النبي صلى الله عليه وسلم له نوافلات ما يغيب نوالها * وليس عطاء اليوم مانعه غدا

الذ كر قاله الزمخشري قال والضمير للذ كر أى مثل ذلك السالك ونحوه نسلك الذ كر فى قلوب
المجرمين على معنى أنه يلقيه فى قلوبهم مكنيا مستهزا به غير مقبول كالأزالت بلثم حاجة فلم يجبل إليها
فقلت كذلك أنزلها بالثناء بمعنى مثل هذا الانزال أنزلها بهم مردودة غير مقصية ومحل قوله لا يؤمنون
النصب على الحال أى غير مؤمن به أو هو بيان لقوله كذلك نسلكه انتهى وما ذهب اليه من أن
الضمير عائدا على الذ كر ذكره الفريسي عن الحسن * قال الحسن معناه نسلك الذ كر الزامنا للحجة
* وقال ابن عطية الضمير فى نسلكه عائدا على الاستهزاء والشرك ونحوه وهو قول الحسن وقناة
وابن جريح وابن زيد ويكون الضمير فى به يعود أيضا على ذلك نفسه وتكون باء السبب أى لا
يؤمنون بسبب شركهم واستهزائهم ويكون قوله لا يؤمنون به فى موضع الحال ويحتمل أن يكون
الضمير فى نسلكه عائدا على الذ كر المحفوظ المتقدم الذ كر وهو القرآن أى مكنيا به مردودا مستهزا
به يدخله فى قلوب المجرمين ويكون الضمير فى به عائدا عليه ويحتمل أن يكون الضمير فى نسلكه
عائدا على الاستهزاء والشرك والضمير فى به يعود على القرآن فيختلف على هذا عود الضمير بن
انتهى * وروى ابن جريح عن مجاهد ذلك التكذيب فعلى هذا تكون الباء فى به للسبب والذى
يظهر عوده على الاستهزاء المفهوم من قوله يستهزؤون والباء فى به للسبب والمجرمون هنا كفار
قريش ومن دعاهم الرسول الى الايمان ولا يؤمنون ان كان اخبارا مستأنفا فهو من العام المراد
به الخوص فيمن ختم عليه إذ قد آمن عالم ممن كذب الرسول وقد خلت سنة الأولين فى تكذيبهم
رسولهم أو فى اهلاكهم حين كذبوا رسولهم واستهزؤا بهم وهوتهم يديهم كقريش والضمير فى عليهم
عائدا على المشركين وذلك لفرط تكذيبهم وبعدهم عن الايمان حتى ينكروا ما هو محسوس مشاهد
بالاعين مما سبالا جساد بالحركة والانتقال وهذا بحسب المبالغة التامة فى انكار الحق والظاهر ان
الضمير فى فظاوا عائدا على من عاد عليه فى قوله عليهم أى أوقع لهم باب من السماء وجعل لهم معراج
يصعدون فيه لقالوا هو شئ تخيله لا حقيقة له وقد سحرنا بذلك وجاء لفظ فظاوا مشعرا بحصول ذلك
فى النهار ليسكونوا مستوحشين لما عاينوا على أن ظل يأتى بمعنى صار أيضا وعن ابن عباس ان الضمير
فى فظاوا يعود على الملائكة لقولهم لو ماتنا تينا بالملائكة أى ولورأوا الملائكة تصعد وتنصرف فى
باب مفتوح فى السماء لما آمنوا * وقرأ الأعمش وأبو حنيفة يعرجون بكسر الراء وهى لغة هذيل
فى العروج بمعنى الصعود وجاء لفظ انما مشعرا بالخصر كأنه قال ليس ذلك الا تكبير الابصار * وقرأ
الحسن ومجاهد وابن كثير سكرت بتخفيف الكاف مبنيا للمفعول وقرأ باقى السبعة بشدها مبنيا
للمفعول * وقرأ الزهري بفتح السين وكسر الكاف مخففة مبنيا للمفعول شبهوا رؤيته بأبصارهم برؤية
السكر ان أقله تصور ما يراه فأما قراءة التشديد فعن ابن عباس وقناة منعت عن رؤية الحقيقة من
السكر بكسر السين وهو الشد والحبس وعن الضحاك شدت وعن جوهر جدعت وعن مجاهد
حبست وعن الكاكي عمت وعن أبى عمرو وعطية وعن قتادة أيضا أخذت وعن أبى عبيد غشيت
وأما قراءة التخفيف فقليل بالتشديد الا أنه للتكثير والتخفيف يؤدى عن معناه * وقيل معنى
التشديد أخذت ومعنى التخفيف سحرت والمشهور ان سكر لا يتعدى * قال أبو على ويجوز أن يكون
سمع متعديا فى البصر * وحكى أبو عبيد عن أبى عبيدة أنه يقال سكرت أبصارهم اذا غشها سها حتى
لا يبصر وا * وقيل التشديد من سكر الماء والتخفيف من سكر الشراب وتقول العرب سكرت الريح
تسكر سكر اذا ركبت ولم تنفد لما كانت بسبيله أولا وسكر الرجل من الشراب سكر اذا تغيرت

(الدر)

قال تعالى ما يكون لى
ن أبدله من تلقاء نفسه
ن اتبع الاما يوحى الى

حاله وركد ولم ينفذ فيما كان الانسان أن ينفذ فيه ومن هذا المعنى سكران لا بيت أى لا يقطع أمرا
وتقول العرب سكرت في مجارى الماء اذا طمست وصرفت الماء فلم ينفذ لوجهه فان كان من سكر
الشراب أو من سكر الريح فالتضعيف للتعدية أو من سكر مجارى الماء فالتكثير لأن مخففه متعدد وأما
سكرت بالتخفيف فان كان من سكر الماء ففعله متعد أو من سكر الشراب أو الريح فيكون من باب
وجع زيد ووجهه غيره فتقول سكر الرجل وسكره غيره وسكرت الريح وسكرها غيره كما جاء سعد
زيد وسعدته غيره وخلص الزمخشري في هذا فقال وسكرت حيرت أو حبست من السكر أو السكر
* وقرى بالتخفيف أى حبست كما يحبس النهر عن الجرى انتهى * وقرأ ابان بن ثعلب سكرت
أبصارنا ويحى قوله بل نحن قوم مسحورون انتقالا الى درجة عظمى من سحر العقل وينبغى أن
تجعل هذه القراءة تفسير معنى لا تلاوة لمخالفها سواد المصحف وجاء جواب ولو قوله لقالوا أى انهم
يشاهدون ما يشاهدون ولا يشكون في رؤية المحسوس ولكنهم يقولون ما لا يعتقدون مواطاة على
العناد ودفع الحجة ومكابرة وإيثار الغلبة كما قل تعالى وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظاهرا وعلا
* ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها للناظرين * وحفظناها من كل شيطان رجيم * الا من
استرق السمع فأتبعه شهاب مبين * لماذا كره حال منكرى النبوة وكانت مفرعة على التوحيد
ذكر دلائله السماوية وبدأ بها ثم أتبعها بالدلائل الارضية * وقال ابن عطية لماذا كره تعالى انهم لو
رأوا الآية المذكورة في السماء لعاندوا فيها عقب ذلك بهذه الآية كأنه قال وان في السماء لعبارة
منصوبة عبر عن هذه المذكورة وكفرهم بها واعراضهم عنها اصرار منهم وعتوانهم والظاهر أن
جعلنا بمعنى خلقنا وفي السماء متعلق بجعلنا ويحتمل أن يكون بمعنى صيرنا وفي السماء المفعول الثاني
فيتمتع بمحذوف والبروج جمع برج وتقدم شرحه لغة * قال الحسن وقتادة هي النجوم * وقال
ابوصالح الكواكب السيارة * وقال علي بن عيسى اثناعشر برجا الحمل * والثور * والجوزاء
والسرطان * والاسد * والسنبلة * والميزان * والعقرب * والقوس * والجدي * والدلو *
والحوت وهي منازل الشمس والقمر * وقال ابن عطية قصور في السماء فيها الحرس وهي المذكورة
في قوله ملئت حرسا شديدا وتبها * وقيل الفلك اثناعشر برجا كل برج ميلان ونصف والظاهر
ان الضمير في وزيناها عائد على البروج لأنها المحدث عنها والا قرب في اللفظ * وقيل على السماء وهو
قول الجمهور وخص بالناظرين لأنهم من المحسوسات التي لا تدرك الا بنظر العين ويجوز أن يكون
من نظر القلب لما فيها من الزينة المعنوية وهو ما فيها من حسن الحكم وبدائع الصنع وغرائب
القدرة والضمير في حفظناها عائد على السماء ولذلك قال الجمهور ان الضمير في وزيناها عائد على
السماء حتى لا تختلف الضمائر وحفظ السماء هو بالرجم بالشهب على ما تضمنته الأحاديث الصحاح قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشياطين تقرب من السماء أفواجا فينفرد بالمارد منها فيستع فيرمي
بالشهاب فيقول لأصحابه وهو يلتهب انه الامر كذا وكذا فتزيد الشياطين في ذلك ويلقون الى
الكهنة فيزيدون على الكلمة مائة كلمة ونحو هذا الحديث * وقال ابن عباس ان الشهب تخرج
وتؤذى ولا تقتل * وقال الحسن تقتل وفي الأحاديث ما يدل على أن الرجم كان في الجاهلية ولكنه
اشتد في وقت الاسلام وحفظت السماء حفظا تاما وعن ابن عباس كانوا لا يحجبون عن السموات
فلما ولد عيسى منعوا من ثلاث سموات فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من السموات كلها
والظاهر أن قوله الامن استرق استثناء متصل والمعنى فانها لم تحفظ منه ذكره الزهراوى وغيره

* ولقد جعلنا في السماء
بروجا * الآية لماذا كره
تعالى حال منكرى النبوة
وكانت مفرعة على
التوحيد ذكر دلائله
السماوية وبدأ بها ثم
أتبعها بالدلائل الارضية والبروج
جمع برج قال ابن عيسى
الرماني البروج اثناعشر
برجا * الحمل * والثور
* والجوزاء * والسرطان
* والاسد * والسنبلة *
والميزان * والعقرب *
والقوس * والجدي * والدلو
والحوت * وهي منازل
الشمس والقمر والظاهر
أن الضمير في وزيناها
عائد على البروج لأنها
المحدث عنها والا قرب في
اللفظ وقيل على السماء
وهو قول الجمهور وخص
بالناظرين لأنها من
المحسوس الذي لا يدرك الا
بنظر العين ويجوز أن
يكون من نظر القلب
لما فيها من الزينة المعنوية
وهو ما فيها من حسن الحكم
وبدائع الصنع وغرائب
القدرة والضمير في
حفظناها عائد على السماء
وكذلك قال الجمهور ان
الضمير في وزيناها عائد
على السماء حتى لا تختلف
الضمائر وحفظ السماء
هو بالرجم بالشهب على
ما تضمنته الأحاديث
الصحاح

والارض مددناها وألقينا فيها رواسي الآية ومعنى مددناها بسطناها ليحصل بها الانتفاع لمن حلها ولما كانت هذه الجملة تقدمها جملة فعلية كان النصب على الاشتغال (٤٥٠) أرجح من الرفع على الابتداء فلذلك نصب والارض والرواسي

والمعنى انه سمع من خبرها شيئا وألقاه الى الشياطين * وقيل هو استثناء منقطع والمعنى انها حفظت منه وعلى كلا التقديرين فن في موضع نصب * وقال الحوفي من بدل من كل شيطان وكذا قال أبو البقاء جر على البدل أي الامن استرق السمع وهذا الاعراب غير سائغ لان ما قبله موجب فلا يمكن التفرغ فلا يكون بدلا لكنه يجوز أن يكون الامن استرق نعمتا على خلاف في ذلك * وقال أبو البقاء ويجوز أن يكون من في موضع رفع على الابتداء وفأتبعه الخبر وجاز دخول الفاء من أجل ان من بمعنى الذي أو شرط انتهى والاسترقاق افتعال من السرقة وهي أخذ الشيء بخفية وهو ان يحطف الكلام خطفة يسيرة والسمع المسموع ومعنى مبين ظاهر للبصرين * والارض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبثنا فيها من كل شيء موزون * وجعلنا لكم فيها معاش ومن لستم له برازقين * وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم * وأرسلنا الرياح فانزلنا من السماء ماء فاسقيناكموه وما أنتم له بخازنين * وانا لنحن نحي ونميت ونحن الوارثون * ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين * وان ربك هو يحشرهم انه حكيم عليم * مددناها بسطانها ليحصل بها الانتفاع لمن حلها * قال الحسن أخذ الله طينة فقال لها انبسطي فانبسطت * وقيل بسطت من تحت الكعبة ولما كانت هذه الجملة بعدها جملة فعلية كان النصب على الاشتغال أرجح من الرفع على الابتداء فلذلك نصب والارض والرواسي الجبال وفي الحديث ان الارض كانت تكفأ بأهلها كما تكفأ السفينة فثبتها الله بالجبال ومن في من كل للتبعيض وعند الأخفش هي زائدة أي كل شيء والظاهر ان الضمير في فيها يعود على الارض الممدودة * وقيل يعود على الجبال * وقيل عليها وعلى الارض معا * قال ابن عباس وابن جبير موزون مقدر بقدر * وقال الزمخشري قريباً منه قال وزن غير ان الحكمة وقدر بمقدار يقتضيه لا يصلح فيه زيادة ولا نقصان * وقال ابن عطية قال الجمهور معناه مقدر محرر بقصد وارادة فالوزن على هذا مستعار * وقال ابن زيد المراد ما يوزن حقيقة كالذهب والفضة وغير ذلك مما يوزن * وقال قتادة موزون مقسوم * وقال مجاهد معدود * وقال الزمخشري أوله وزن وقدر في أبواب النعمة والمنفعة وبسطه غير مفعول ماله منزلة كما تقول ليس له وزن أي قدر ومنزلة ويقال هذا كلام موزون أي منظوم غير منتثر فعلى هذا أي أنبثنا فيها ما يوزن من الجواهر والمعادن والحيوان وقال تعالى وأنبتنا نباتا حسنا والمقصود بالانبات الانشاء والايجاد * وقرأ الاعرج وخارجة عن نافع معائش بالهمز * قال ابن عطية والوجه ترك الهمز وعلل ذلك بما هو معروف في النحو * وقال الزمخشري معاش بياء صريحة بخلاف الشبائل والخبائث فان تصرح الياء فيها خطأ والصواب الهمزة أو اخرج الياء بين بين وتقدم تفسير المعاش أول الاعراف والظاهر أن من لمن يعقل ويراد به العيال والماليك والخدم الذين يحسبون أنهم يرزقونهم ويخطئون فان الله هو الرزاق يرزقكم وإياهم * وقال معناه الفراء ويدخل معهم ما لا يعقل بحكم التغليب كالانعام والدواب وما بتلك المثابة مما الله رازقهم وقد سبق الى ظنهم أنهم الرزاقون وقال معناه الزجاج * وقال مجاهد الدواب والانعام والبهائم * وقيل الوحوش والسباع والطيور فعلى هذين القولين يكون من لما لا يعقل والظاهر ان من في موضع جر

الجبال والظاهر أن الضمير في فيها عائداً على الارض الممدودة وقال ابن عباس وغير موزون مقدر بقدر وتقدم تفسير المعاش في أول الاعراف والظاهر أن من لمن يعقل ويراد به العيال والماليك والخدم الذين يحسبون أنهم يرزقونهم ويخطئون فان الله هو الرزاق يرزقكم وإياهم ومن مجرور معطوف على الضمير في لكم وحسن العطف الفصل بينهما بقوله فيها معاش أو يدخل معهم ما لا يعقل بحكم التغليب كالانعام والدواب وما بتلك المثابة مما رزقه الله تعالى وقد سبق الى ظنهم أنهم هم الرزاقون لهم وتقدم شرح الخزانة وان نافية ومن زائدة والظاهر أن المعنى وما من شيء ينتفع به العباد الا ونحن قادرون على ايجاده وتكوينه والانعام به فتكون الخزانة وهي ما تحفظ فيه الأشياء مستعارة من المحسوس الذي هو الجسم الى المعقول و (لواقح) جمع لاقح يقال ربح لاقح جائيات بخير من انشاء السحاب

الماطر كما قيل للتي لا تأتي بخير بل بشر ربح عقيم * (المستقدمين) قال ابن عباس الاموات (والمستأخرين) الأحياء * وان ربك * فيه التفات وخر وج من ضمير العظمة للواحد الى الاسم الظاهر تنبيهاً على أن المتصف بتلك الأفعال السابقة هو ربك

عطفاً على الضمير المحرور في لكم وهو مذهب الكوفيين ويونس والاخفش وقد استدل القائل
على صحة هذا المذهب في البقرة في قوله وكفر به والمسجد الحرام * وقال الزجاج من منصوب بفعل
مخدوف تقديره وأعشنا من لستم أي أمما غيركم لأن المعنى أعشناكم * وقيل عطفاً على معاش أي
وجعلنا لكم من لستم له برازقين من العبيد والصناع * وقيل والحيوان * وقيل عطفاً على محل
لكم * وقيل من مبتدأ خبره مخدوف لدلالة المعنى عليه أي ومن لستم له برازقين جعلنا له فيهم معاش
وهذا لا بأس به فقد أجازوا ضربت زيداً وعمره بالرفع على الابتداء أي وعمره ضربته مخدوف الخبر
لدلالة ما قبله عليه وتقدم شرح الخزان وأن نافية ومن زائدة والظاهر أن المعنى وما من شيء ينتفع به
العباد الا ونحن قادرون على إيجاده وتكوينه والآنعام به فتكون الخزان وهي ما يحفظ فيه الأشياء
مستعارة من المحسوس الذي هو الجسم إلى المعقول * وقال قوم المراد الخزان حقيقة وهي
التي تحفظ فيها الأشياء وإن للريح مكاناً وللطر مكاناً ولكل مكان ملك وحفظة فإذا أمر الله بإخراج
شيء منه أخرجته الحفظة * وقيل المراد بالشيء هنا المطر قاله ابن جريج * وقرأ الأعشى وما ترسله
مكان وما تنزل به والارسل أعم وهي قراءة تفسير معنى لأنها اللفظ قرآن لمخالفتها سواد المصحف وعن
ابن عباس والحكم بن عيسى أنه ليس عام أكثر مطراً من عام ولكن الله تعالى ينزل في مواضع
دون مواضع ولواقح جمع لاقح يقال ريج لاقح جائيات بخير من انشاء سحباً مطر كما قيل للتي لا تأتي
بخير بل بشر ريج عقيم أو ملاقح أي حاملات للمطر وفي صحيح البخاري لواقح ملاقح ملقحة * وقال
عبيد بن عمير يرسل الله المبرشة تقم الأرض قائم المبرشة فتمشير السحاب ثم المؤلفة فتؤلفه ثم يبعث
الله اللواقح فتلقح الشجر ومن قرأ بأفراد الريح فعلى تأويل الجنس كما قالوا أهلك الناس الدينار
الصفير والدرهم البيض وسقى وأسقى قد يكونان بمعنى واحد * وقال أبو عبيد من سقى الشفة سقى
فقط أو الأرض والثمار أسقى وللداعي لأرض وغيرها بالسقيا أسقى فقط * وقال الأزهري العرب
تقول لكل ما كان من بطون الأنعام ومن السماء أو نهر يجري أسقى أي جعلته شرباً له وجعلت
له منه مسقى فإذا كان للشفة قالوا سقى ولم يقولوا أسقى * وقال أبو علي سقى حتى روى وأسقى
نهر جعلته شرباً له وجاء الضمير هنا متصلاً بعد ضمير متصل كما تقدم في قوله أنزلهم كما هو هاو تقدم أن
مذهب سيبويه فيه وجوب الاتصال وما أنتم له بخازنين أي بقادرين على إيجاده تنبيهاً على عظيم قدرته
واظهار العجز هم أي لستم بقادرين عليه حين احتياجكم إليه * وقال سفيان بخازنين أي بمانعين
المطر نحي نخرجه من العدم الصرف إلى الحياة ونمت نزيل حياته ونحن الوارثون الباقيون بعد
فناء الخلق * والمستقدمين قال ابن عباس والضحاك الأموات والمستأخرين الأحياء * وقال قتادة
وعكرمة وغيرهما المستقدمين في الخلق والمستأخرين الذين لم يخلقوا بعد * وقال مجاهد
المستقدمين من الأمم والمستأخرين أمة محمد صلى الله عليه وسلم * وقال الحسن وقتادة أيضاً في الطاعة
والخير والمستأخرين بالمعصية والشر * وقال ابن جبير في صفوف الحرب والمستأخرين فيها *
وقيل من قتل في الجهاد والمستأخرين من لم يقتل * وقيل في صفوف الصلاة والمستأخرين
بسبب النساء لينظر واليهن * وقال قتادة أيضاً السابقين إلى الإسلام والمتأخرين عنه والاولى
حل هذه الأقوال على التمثيل لا على الحصر والمعنى أنه تعالى محيط عامه بمن تقدم وبمن تأخر
وبأحوالهم ثم أعلم تعالى أنه يحشرهم * وقرأ الأعشى يحشرهم بكسر الشين * وقال ابن عباس
ومروان بن الحكم وأبو الحوراء كانت تصلي وراء الرسول امرأة جميلة فبعض يتقدم لكلافتها

المالك لك والناظر في
مصاحمتك وهو توكيد
لفظ الرب

﴿ولقد خلقنا الانسان من صلال﴾ الآية لما نبه تعالى على منتهى الخلق وهو الحشر يوم القيامة الى ما يستقرون فيه نهيهم على مبدأ أصلهم آدم صلى الله عليه وسلم وما جرى لعدوه ابليس من المحاورة مع الله تعالى وتقدم شيء من هذه القصة في أوائل البقرة عقب ذكر الامانة والاحياء والرجوع اليه تعالى وفي الاعراف بعد ذكر يوم القيامة وذكر الموازين فيه وفي الكهف بعد ذكر الحشر وكذا في سورة ص بعد ذكر ما أعد من الجنة والنار خلقه حيث ذكر منتهى هذا الخلق ذكر مبدأهم وقصته مع ابليس ليحذرهم من كيده ولينظر وما جرى له معه حتى أخرجه من الجنة التي هي مقر السعادة والراحة الى الارض التي هي مقر التكليف والتعب فيعترفوا من كيده ﴿الصلال﴾ قال أبو عبيدة الطين اذا خلط بالرمل وجف والحماطين أسود منتن واحدة حمة بتحريك الميم وقال ابن عباس المسنون الرطب ومعناه المصبوب لانه لا يكون مصبو بالاو هو رطب فكفى عن المصبوب بوصفه لانه موضوع والسموم قال ابن عباس الريح الحارة التي تقتل وعنه نار لادخان لها ومنه تكون الصواعق ومعنى ﴿سويته﴾ أكلت خلقه والتسوية عبارة عن الاتقان وجعل أجزائه مستوية فيما خلقت له ﴿ونفخت فيه من روحي﴾ أى خلقت الحياة فيه ولا نفخ هناك ولا نفوخ حقيقة وانما هو تمثيل لتحصيل ما يجيىء (٥٢) به فيه وازافة الروح اليه تعالى على سبيل التثنية نحو

بيت الله ونافقه الله أو الملك اذ هو المتصرف في الانشاء للروح والمودعها حيث يشاء ﴿فقعوا له ساجدين﴾ أى اسقطوا على الارض وحرف الجر محذوف من أن أى مالك في أن لا يكون وأى داع دعائك الى إياك السجود ولا سجد اللام لام الجحود والمعنى لا يناسب حال السجود له وفي البقرة نبه على العلة المانعة له وهى الاستكبار أى رأى نفسه أكبر من أن يسجد وفي الاعراف

وبعض يتأخر ليسرق النظر اليها في الصلاة فنزلت الآية فيهم وفصل هذه الآية بهاتين الصفتين من الحكمة والعلم في غاية المناسبة ﴿ولقد خلقنا الانسان من صلال من حامسنون﴾ والجان خلقناه من قبل من نار السموم ﴿واذا قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من صلال من حامسنون فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين﴾ فسجد الملائكة كلهم أجمعون ﴿الا ابليس أبى أن يكون مع الساجدين﴾ قال يا ابليس مالك أن لا تكون مع الساجدين ﴿قال لم أكن لاسجد لبشر خلقته من صلال من حامسنون﴾ قال فاخرج منها فانك رجيم ﴿وان عليك اللعنة الى يوم الدين﴾ قال رب فأنتظرني الى يوم يبعثون ﴿قال فانك من المنظرين﴾ الى يوم الوقت المعلوم ﴿قال رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض ولا أغوينهم أجمعين﴾ الاعداد منهم المخلصين ﴿قال هذا صراط على مستقيم﴾ ان عبادى ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين ﴿وان جهنم لم وعدهم أجمعين﴾ لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم ﴿لما نبه تعالى على منتهى الخلق وهو الحشر يوم القيامة الى ما يستقرون فيه نهيهم على مبدأ أصلهم آدم وما جرى لعدوه ابليس من المحاورة مع الله تعالى وتقدم شيء من هذه القصة في أوائل البقرة عقب ذكر الامانة والاحياء والرجوع اليه تعالى وفي الاعراف بعد ذكر يوم القيامة وذكر الموازين فيه وفي الكهف بعد ذكر الحشر وكذا في سورة ص بعد ذكر ما أعد من الجنة والنار خلقه حيث ذكر منتهى هذا الخلق ذكر مبدأهم

صرح بجهة الاستكبار وهى ادعاء الخير والافضلية بادعاء المادة المخلوق منها كل منها وهما نبه على مادة آدم وحده وهما فاخرج منها وفي الاعراف فاعبط منها وتقدم ذكر الخلاف فيما يعود عليه ضمير منها ﴿يا أغويتني﴾ ما مصدرية وهما أقسم بالاغواء وفي مكان آخر قال فبعزتك فيكون ذلك في محاورتين ﴿ولازين﴾ جواب القسم ﴿لهم﴾ ضمير يعود على ما يفهم من الكلام وهم ذرية آدم صلى الله عليه وسلم ﴿قال هذا صراط على﴾ الاشارة بهذا الى ما تضمنه المخلصين من المصدر أى الخلاص الذى يكون في عبادى هو صراط مستقيم لا يسلكه أحد فيضل أو يزل لان من اصاب طغيته أو اخلص الى العمل لا سبيل لك عليه قيل ولما قسم ابليس ذرية آدم الى غاوى ومخلص قال تعالى هذا أمر مصيره الى وصفه بالاستقامة أى هو حق وصيرورتهم الى هذين القسمين ليس لك والعرب تقول طريقك فى هذا الأمر على فلان أى اليه يصير النظر فى أمره وقرأ الجمهور على جار ومجرور ويتعلق بقوله مستقيم أى مستقيم على ارادنى وحكمى وفرايعقوب على وزن فاعيل وهو وصف لقوله صراط والاضافة فى قوله ان عبادى اضافة بشرى أى أن المختصين بعبادى وعلى هذا لا يكون قوله الامن اتبعك استثناء متصلا بل يكون منقطعاً معنى لكن من اتبعه لم يدرج فى قوله ان عبادى وان كان أريد بعبادى عموم الخلق فيكون الامن اتبعك استثناء متصلاً لا يدرج فيه عموم العباد ومن فى من الغاوين لبيان الجنس أى الذين هم الغاويون ولم وعدهم مكان وعد اجتماعهم والضمير للغاوين قال ابن عطية

وقصته مع عدوه ابليس لعنهم من كيدته ولينظر واما جرى له معه حتى أخرجه من الجنة مقر
السعادة والراحة الى الأرض مقر التكليف والتعب فيتحرز وامن كيدته * ومن حاق بالحوافى
بدل من صلصال باعادة الجار * وقال أبو البقاء من حاقى موضع جر صفة لصلصال * وقال ابن
عباس المسنون الطين ومعناه المصبوب لانه لا يكون مصبوا بالاوهور طب فكفى عن المصبوب
بوصفه لانه موضوع له * وقال مجاهد وقتادة ومعمار المنين * قال الزمخشري من سنت الحجر
على الحجر اذا حككته به فالذى يسيل بينهما سنيين ولا يكون الامتنا * وقال غيره من أسن الماء
اذا تغير ولا يصح لاختلاف المادتين * وقيل مصبوب من سنت التراب والماء اذا صببته شيئا
بعده شيئا فكان المعنى أفرغ صورة انسان كما تفرغ الصور من الجواهر المذوبة في أمثلتها * قال
الزمخشري وحق مسنون بمعنى مصور أن يكون صفة لصلصال كانه أفرغ الجاف صور منها تمثال
انسان أجوف فيبس حتى اذا انقر صلصل ثم غيره بعد ذلك الى جوهر آخر انتهى * وقيل المسنون
المصور من سنة الوجه وهى صورته قال الشاعر * ترك سنة وجهه غير مفرقة * وقيل المسنون
المنسوب أى ينسب اليه ذريته والجان هو أبو الجن قاله ابن عباس * قال الزمخشري والجان للجن
كآدم للناس * وقال الحسن وقتادة هو ابليس خلق قبل آدم * وقال ابن بحر هو اسم لجنس
الجن والانسان المراد به آدم ومن قبل أى من قبل خلق الانسان * وقرأ الحسن وعمر بن عبد
الجان بالهمز * والسموم قال ابن عباس الريح الحارة التى تقتل وعنه نار لادخان لها مناتها تكون
الصواعق * وقال الحسن ناردونها حجاب وعن ابن عباس نفس النار وعنه لهب النار * وقيل
نار اللهب السموم * وقيل أضاف الموصوف الى صفته أى النار السموم وسويتها كملت خلقه
والتسوية عبارة عن الاتقان وجعل أجزائه مستوية فيما خلقت ونفخت فيه من روحى أى خلقت
الحياة فيه ولا تنفخ هناك ولا منفوخ حقيقة وانما هو تمثيل لتكميل ما يحى به فيه وأضاف الروح اليه
تعالى على سبيل التشريف نحو بيت الله وناقة الله أو الملك اذ هو المتصرف فى الانشاء للروح
والمودعها حيث يشاء وقعو له أى اسقطوا على الارض وحرى الجر محذوف من ان أى مالك فى ان
لا تكون وأى داع دعائك الى إياك السجود ولا سجد للام لام الجحود والمعنى لا يناسب حالى
السجود له وفى البقرة نبيه على العلة المانعة له وهى الاستكبار رأى رأى نفسه أكبر من أن يسجد وفى
الاعراف صرح بجهة الاستكبار وهى ادعاء الخيرية والافضلية بادعاء المادة المخلوق منها كل منهما
وهنا نبيه على مادة آدم وحده وهنا فخرج منها وفى الاعراف فاهبط منها وتقدم ذكر الخلاف فيما
يعود عليه ضمير منها وقد تقدمت منها مباحث فى سورة البقرة والاعراف أعادها المفسرون هنا
ونحن نحيل على ما تقدم الاماله خصوصية هذه السورة فتح نذكره * فنقول وضرب يوم الدين
غاية للعنة امالانه بعد غاية يضر بها الناس فى كلامهم واما أن يراد انك مذموم مدعو عليك بالعنة
فى السموات والارض الى يوم الدين من غير أن تعذب فاذا جاء ذلك اليوم عذبت بما ينسى اللعن معه
ويوم الدين ويوم يعثون ويوم الوقت المعلوم واحد وهو وقت النفخة الاولى حتى تموت الخلائق
ووصف بالمعلوم امالانقراد الله بعامه كما قال قل انما علمها عندى ان الله عنده علم الساعة أولانه
معلوم فناء العالم فيه فيكون قد عبر بيوم الدين وبيوم يعثون ويوم الوقت المعلوم بما كان قريبا
من ذلك اليوم * قال الزمخشري ومعنى اغوائه اياه نسبة لغيه بأن أمره بالسجود لآدم عليه السلام
فافضى ذلك الى غيه وما الامر بالسجود الاحسن وتعرض للشوايب بالتواضع والخضوع لاهل الله

وأجمعين تأ كيد وفيه معنى
الحال انتهى هذا جنوح
لذهب من زعم ان أجمعين
يدل على اتحاد الوقت
والصحيح أن مدلوله مدلول
كلهم والظاهر ان جهنم
هى واحدة و ^{لها} سبعة
أبواب ^{لها} قيل أعلاها
للموحدين والثانى لليهود
والثالث للنصارى والرابع
للمصابئين والخامس للمجوس
والسادس للمشركين
والسابع للمنافقين

ولكن ابليس اختار الالباء والاستكبار فهلك والله تعالى يرى من غيبه ومن ارادته والرضا به انتهى وهو على طريقة الاعتزال والضمير في لهم عائد على غير مذكور بل على ما يفهم من الكلام وهو ذرية آدم ولذلك قال في الآية الاخرى لئن اُخترت الى يوم القيامة لا حتمتكن ذريته الا قليلا والذين تحسبن المعاصي لهم ووسوسته حتى يقعوا فيها في الارض أى في الدنيا التي هي دار الغرور لقوله تعالى اخذنا الى الارض واتبع هواه أو أراد انى أقدر على الاحتمال لآدم والذين له الاكل من الشجرة وهو في السماء فاننا على الذين لا ولادة أقدر أو أراد لا جعلن مكان الذين عندهم الارض ولا رفعت رتبتي فيها أى لازيتها في أعينهم ولا حدثهم بان الزينة في الدنيا وحدها حتى يستحبوها على الآخرة ويطمئنوا اليها دونها ونحوه يجرح في عراقيهم انصلي قاله الزمخشري والاعباد لك استثناء القليل من الكثير اذا المخلصون بالنسبة الى الغاوين قليل واستثناءهم ابليس لانه علم ان تزينه لا يؤثر فيهم وفيه دليل على جلاله هذا الوصف وانه أفضل ما انصف به الطائع * وقرأ الكوفيون ونافع والحسن والاعرج بنفع اللام ومعناه الامن أخلصته للطاعة أنت فلا يؤثر فيه تزييني * وقرأ باقي السبعة والجمهور بكسر هاى الامن أخلص العمل لله ولم يشرك فيه غيره ولا رأى به والفاعل لقال الله أى قال الله والاشارة بهذا الى ما تضمنه المخلصين من المصدراى الاخلاص الذى يكون في عبادى هو صراط مستقيم لا يسلكه أحد فيضل أو يزل لان من اصطفيه أو أخلص الى العمل لاسمى لك عليه * وقيل لما قسم ابليس ذرية آدم الى غاوي ومخلص قال تعالى هذا امر مصيره الى ووصفه بالاستقامة أى هو حق وصيرورتهم الى هذين القسمين ليست لك والعرب تقول طريقك فى هذا الأمر على فلان أى اليه يصير النظر فى أمرك * وقال الزمخشري هذا طريق حق على أن أراعيه وهو أن يكون لك سلطان على عبادى الامن اختار اتباعك منهم لغوايته انتهى فجعل هذا اشارة الى انتفاء تزينه واغوائه وكونه ليس له عليهم سلطان فكأنه أخذ الاشارة الى ما استثناء ابليس والى ما قررته تعالى بقوله ان عبادى وتضمن كلامه مذهب المعتزلة * وقال صاحب اللوامح أى هذا صراط عهده استقامته على وفى حفظه أى حفظه على وهو مستقيم غير معوج * وقال الحسن معنى على الى * وقيل على كانه من مر عليه مر على أى على رضوانى وكرامتى * وقرأ الضحاك وابراهيم وأبو رجاء وابن سيرين ومجاهد وقتادة وقيس بن عباد وحيد وعمر بن ميمون وعمارة بن أبي حفصة وأبو شرف مولى كندة ويعقوب على مستقيم أى عال لا ارتفاع شأنه وهذه القراءة تؤكدها الاشارة الى الاخلاص وهو أقرب اليه والاضافة فى قوله ان عبادى اضافة تشريف أى ان المختصين بعبادى وعلى هذا لا يكون قوله الامن اتبعك استثناء متصلا لأن من اتبعه لم يندرج فى قوله ان عبادى وان كان أريد بعبادى عموم الخلق فيكون الامن اتبعك استثناء من عموم ويكون فيه دلالة على استثناء الاكثر وبقاء المستثنى منه أقل وهى مسألة اختلف فيها النحاة فأجاز ذلك الكوفيون وتبعهم من أصحابنا الاستاد أبو الحسن بن خروفي ودلائل ذلك مسطرة فى كتب النحو والذى يظهر أن ابليس لما استثنى العباد المخلصين كانت الصفة ملحوظة فى قوله ان عبادى أى عبادى المخلصين الذين ذكرتهم ليس لك عليهم سلطان ومن فى من الغاوين لبيان الجنس أى الذين هم الغاويون * وقال الجبائى هذه الآية تدل على بطلان قول من زعم ان الشيطان والجن يكمهم صرع الناس وازالة عقولهم كما تقول العامة وربما نسبوا ذلك الى السحرة قال وذلك خلاف ما نص الله تعالى عليه ولو عدتهم مكان وعد اجتماعهم والضمير للغاوين * وقال ابن عطية وأجمعين تأكيده وفيه معنى الحال

(الدر)

وأجمعين تأكيده فيه
الحال (ح) هذا
مذهب من يزعم
جمعين يدل على اتحاد
والصحيح ان مدلوله
لهم

انتهى وهذا جنوح للذهب من يزعم ان اجمعين تدل على اتحاد الوقت والصحيح ان مدلوله مدلول
 كلهم والظاهر ان جهنم هي واحدة ولها سبعة أبواب * وقيل أبواب النار أطباقها وأدراكها فأعلاها
 للموحدين والثاني لليهود والثالث للنصارى والرابع للصائبين والخامس للمجوس والسادس
 للمشركين والسابع للنافقين * وقرأ ابن القعقاع جزء بتشديد الزاي من غير همز ووجهه انه حذف
 الهمزة وألقى حركتها على الزاي ثم وقف بالتشديد نحو هذا فرج ثم أجرى الوصل مجرى الوقف
 واختلف عن الزهري في كتاب ابن عطية وقرأ ابن شهاب بضم الزاي ولعله تصحيف من النسخ
 لأنى وجدت في التحرير وقرأ ابن وثاب بضمها هموزا فيهما * وقرأ الزهري بتشديد الزاي دون
 همز وهي قراءة ابن القعقاع وان فرقة قرأت بالتشديد منهم ابن القعقاع وفي كتاب الزمخشري
 وكتاب اللوامح انه قرأ بالتشديد وفي اللوامح هو وأبو جعفر * ان المتقين في جنات وعيون *
 ادخلوها بسلام آمنين * وزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين * لا يسهم فيها
 نصب وما هم منها بمخرجين * نبي عبادي أتى أنا الغفور الرحيم * وأن عذابي هو العذاب الأليم *
 ونبتهم عن ضيف ابراهيم * إذ دخلوا عليه فقاوالا سلاما قال إنا منكم وجلون * قالوا لا توجل إنا
 نبشرك بغلام عليم * قال أبشروني على أن مسني الكبر فبم تبشرون * قالوا بشركنا بالحق فلا
 تكن من القانطين * قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون * قال فما خطبكم أيها المرسلون
 * قالوا انا أرسلنا الى قوم مجرمين * الا آل لوط انا لنجوهم أجمعين * الامر أنه قدرنا انهم امن
 الغابرين * فلما جاء آل لوط المرسلون * قال انكم قوم منكرون * قالوا بل جئناك بما كانوا
 فيه يمترون * وأتيناك بالحق وانا لصادقون * فأسر بأهلك بقطع من الليل واتبع أدبارهم ولا
 يلتفت منكم أحد وامضوا حيث تؤمرون * وقضينا اليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين
 وجاء أهل المدينة يستبشرون * قال ان هؤلاء ضيفي فلا تفضحون * واتقوا الله ولا تخزون * قالوا
 أولم ننهك عن العالمين * قال هؤلاء بناتي ان كنتم واعلين * لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون
 فأخذتهم الصيحة مشرقين * فجعلنا عالها سافلهما وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل إن في ذلك لآيات
 للنوسمين * وانهما البسبيل مقيم * ان في ذلك لآية للمؤمنين * وان كان أصحاب الأيكة لظالمين *
 فأنتم قمنا منهم وانهما بالامام مبين * ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين * وآتيناهم آياتنا فانكروا عنها
 معرضين وكانوا ينجحون من الجبال بيوتا آمنين * فأخذتهم الصيحة مصبحين * فأغنى عنهم ما كانوا
 يكسبون * وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق وان الساعة لآتية فاصفح الصفح الجميل
 * ان ربك هو الخلاق العليم * ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم * لا تمدن عينيك الى
 ما متعنا به أزواجهم ولا تخزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين * وقل إني أنا النذير المبين * كما
 أنزلنا على المقتسمين * الذين جعلوا القرآن عضين * فوربك لنسألنهم أجمعين * عما كانوا يعملون
 * فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين * إنا كفيتمك المستهزئين * الذين يجعلون مع الله
 الها آخر فسوف يعلمون * ولقد علم أنك يضيق صدرك بما يقولون * فسبح بحمد ربك وكن من
 الساجدين * واعبد ربك حتى يأتيك اليقين * السرر جمع سرير ككليب وكلب وبعض تميم
 يفتح الراء وكذا كل مضاعفة فعيل * انصب التعب * القنوط أتم اليأس يقال قنط يقنط بفتحها وقنط
 بفتح النون يقنط بكسرهما وضمهما * الفضح والفضيحة مصدران لفضح يفضح اذا أتى من أمر
 الانسان ما يلزمه به العار ويقال فضحك الصبح اذا تبين للناس * قال الشاعر

﴿ان المتقين في جنات وعيون﴾ الآية لما ذكر تعالى (٤٥٦) ما أعد لأهل النار ذكر ما أعد لأهل الجنة ليظهر تباين ما

بين الفريقين ﴿وزعنا ما في صدورهم﴾ تقدم شرحه في الاعراف وانتصب اخوانا على الحال وهي حال من الضمير المجرور في صدورهم والحال من المضاف نادرة وقد تأول نصبه على غير الحال من الضمير المجرور ﴿على سرر﴾ جمع سرر وعلى سرر ومتقابلين حالان والعود على السرر دليل على الرفعة والكرامة التامة وعن ابن عباس على سرر مكالة بالياقوت والزبرجد والدر متقابلين ﴿متساويين﴾ في التواصل والتوادر ﴿لا يمسم﴾ فيها نصب أي تعب مما يقاسونه في الدنيا واذا انتفى المس انتفت الدعوة وأكد انتفاء الاخراج بدخول الباء في مخرجين ومنها متعلق بمخرجين ولما تقدم ذكر ما في النار وذكر ما في الجنة أكد تعالى تنبيه الناس وتقرير ذلك وتمكينه في النفوس بقوله ﴿نبي﴾ عبادي وناسب ذكر الغفران والرحمة اتصال ذلك بقوله ان المتقين وتقديمه لذين الوصفين

ولاح ضوء هلال كاد يفضحنا * مثل القلابة قد قصت من النظر
* التوسم تفعل من الوسم وهي العلامة التي يستدل بها على مطلوب غير ها يقال توسم فيه الخير اذا رأى ميسم ذلك * وقال عبد الله بن رواحة في رسول الله صلى الله عليه وسلم
اني توسمت فيك الخير أجمعه * والله يعلم أني ثابت البصر
﴿وقال الشاعر﴾

توسمت لما أن رأيت مهابة * عليه وقلت المرء من آل هاشم
واتسم الرجل جعل لنفسه علامة يعرف بها وتوسم الرجل طلب كلاء الوسمي * وقال ثعلب الواسم الناظر اليك من فرقك الى قدمك وأصل التوسم التثبت والتفكير مأخوذ من الوسم وهو التأثير بحديدة في جلد البعير أو غيره * الأيكة الشجرة الملتفة واحدة أيك * قال الشاعر
تجلبو بقادمتي حمامة أيكة * بردا أسف لثاته بالائمه
* الخفض مقابل الرفع وهو كناية عن الالالة والرفق * عضين جمع عضه وأصلها الواو والهاء يقال عضيت الشيء تعضيه فرقه وكل فرقة عضه فأصله عضوة * وقيل العضه في قريش السحر يقولون
للساحر عاضه وللساحرة عاضه * قال الشاعر

أعوذ بربي من النافثات * في عقد العاضه المعضه
وفي الحديث لعن الله العاضه والمستهضه وفسر بالساحر والمستهضه شجرة فأصله الهاء * وقيل من العضه يقال عضه عضها وعضية رماه بالهتان * قال الكسائي العضه الكذب والهتان وجمعها عضون وذهب الفراء الى أن عضين من العضه وهي شجرة تؤذى تخرج كالشوك ومن العرب من يلزم الباء ويجعل الاعراب في النون فيقول عضينك كما قالوا اسنينك وهي كثيرة في تميم وأسد * الصدع الشق وتصدع القوم تفرقوا وصدعته فأنصدع أي شققته فانشق وقال مؤرج أصدع أفضل
وقال ابن الاعرابي أفصد * ان المتقين في جنات وعيون ادخلوها بسلام آمنين * وزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين * لا يمسم فيها نصب وما هم منها بمخرجين * نبي عبادي
أنى أنا الغفور الرحيم * وأن عذابي هو العذاب الأليم * لما ذكر تعالى ما أعد لأهل النار ذكر ما أعد لأهل الجنة ليظهر تباين ما بين الفريقين ولما كان حال المؤمنين معتنى به أخبر أنهم في جنات وعيون جعل ما يستقرون فيه في الآخرة كأنهم مستقرون في الدنيا ولذلك جاء ادخلوها على قراءة الأمر لان من استقر في الشيء لا يقال له أدخل فيه وجاء حال الغاوين موعودا به في قوله لموعدهم لانهم لم يدخلوها والعيون جمع عين * وقرأ نافع وأبو عمر وحفص وهشام وعيون بضم العين وباقي السبعة بكسرها * وقرأ الحسن ادخلوها ماضيا مبنيًا للمفعول من الادخال * وقرأ يعقوب في رواية رويس كذلك وبضم التنوين وعنه فتحه وما بعده أمر على تقدير ادخلوها ايهم من الادخال أمر الملائكة بادخال المتقين الجنة وتسقط الهمزة في القراءتين * وقرأ الجمهور ادخلوها أمر من الدخول فعلى قراءة نبي الأمر ثم محذوف أي يقال لهم أو يقال للملائكة وبسلام في موضع نصب على الحال واحتمل أن يكون المعنى مصحوبين بالسلامة وأن يكون المعنى مساهمًا عليكم أي محيون كما حكى عن الملائكة أنهم يدخلون على أهل الجنة يقولون سلام عليكم * وزعنا ما في

العظيمين الذين وصفهم بأنفسه تعالى وجاء قوله ﴿وأن عذابي﴾ في غاية اللطف اذ لم يقل على وجه المقابلة وأنى المعذب المؤلم كل ذلك ترجيح لجهة العفو والرحمة وسد أن مسد فعلى نبيء ان قلنا انها تعدت الى ثلاثة ومسد واحد ان قلنا انها تعدت الى اثنين

﴿ وَنَبِّئُهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ﴾ الآية لما ذكر تعالى ما أعد للعاصين (٤٥٧) من النار وللطائعين من الجنة ذكر العرب بأحوال

من يعرفونه ممن عصى وكذب الرسل فحل به عذاب الدنيا قبل عذاب الآخرة ليزدجروا عن كفرهم وليعتبروا بما حل بغيرهم فبدأ بكردتهم على إبراهيم صلى الله عليه وسلم وما جرى لقوم ابن أخيه لوط عليه السلام ثم بدأ كرا أصحاب الحجر وهم قوم صالح ثم بأصحاب الأيكة وهم قوم شعيب وضيف إبراهيم هم الملائكة الذين بشروه بالولد وبهلاك قوم لوط وتقدم الكلام عليه في سورة هود ونبئهم عدى نبئهم بحرف الجر وهو عن ولم يذكر لها مفعولا ولا مفعولين وسلاما مقطوع من جملة محكية بقالوا فليس منصوبا به والتقدير سمعت سلاما من السلامة أو سلاما من التحية وقيل سلاما من مصدر محذوف تقديره فقالوا قولا سلاما وتصريحه هنا بأنه وجل منهم كان بعد تقريره إليهم ما أضافهم به وهو العجل الحنيد وامتناعهم من الأكل وفي هود فأوجس في نفسه خيفة فمكن أن هذا التصريح كان بعد إيجاس الخيفة

صدورهم من غل تقدم شرحه في الأعراف ﴿ قيل وانتصب اخوانا على الحال وهي حال من الضمير والحال من المضاف إليه إذا لم يكن معمولاً لما أضيف على سبيل الرفع أو النصب تندر فلذلك قال بعضهم انه اذا كان المضاف جزأ من المضاف إليه كما ان الان الصدور بعض ما أضيفت إليه وكالجزء كقوله واتبع مله إبراهيم حنيفا جاءت الحال من المضاف وقد قررنا ان ذلك لا يجوز وما استدلووا به تأويل غير ما ذكرنا وأما قوله هنا انه منصوب على المدح والتقدير أمدح اخوانا لما يمكن أن يكون نعما للضمير قطع من اعرابه نصباً على المدح وقد ذكر أبو البقاء انه حال من الضمير في الظرف في قوله في جنات وأن يكون حالا من الفاعل في ادخلوها أو من الضمير في آمنين ومعنى اخوانا ذوو وتواصل وتوادد وعلى سرر متقابلين حالان والعود على السرير دليل على الرفعة والكرامة التامة كما قال يركبون ثبح هذا البحر ملوكا على الاسرة أو مثل الملوك على الاسرة وعن ابن عباس على سرر مكملة بالياقوت والزبرجد والدر * وقال قتادة متقابلين متساوين في التواصل والتزاور وعن مجاهد لا ينظر بعضهم الى قفا بعض تدور بهم الاسرة حيث ما داروا وفيكونون في جميع أحوالهم متقابلين انتهى ولما كانت الدنيا محل تعب بما يقاسى فيها من طلب المعيشة ومعاناة التكليف الضرورية لحياة الدنيا وحياة الآخرة ومعايشة الاضداد وعروض الآفات والاسقام ومحل انتقال منها الى دار أخرى مخوف أمرها عند المؤمن لا محل إقامة أخير تعالى بانتقاء ذلك في الجنة بقوله لا يمسهم فيها نصب وإذا نتفى المس انتفت الديمومة وكذا انتفاء الاخراج بدخول الباء في بمخرجين وقيل للشواب أربع شرائط أن يكون منافع واليه الاشارة بقوله في جنات وعيون مقررة بالتعظيم واليه الاشارة بقوله ادخلوها بسلام آمنين خالصة عن مظان الشوائب الروحانية كالحقد والحسد والغل والجسمانية كالأعياء والنصب واليه الاشارة بقوله ونزعنا الى لا يمسهم فيها نصب دائمة واليه الاشارة بقوله وما هم منها بمخرجين * وعن علي بن الحسين ان قوله ونزعنا الآية نزلت في أبي بكر وعمر والغل غل الجاهلية * وقيل كانت بين بني تميم وعدي وهاشم أضغان فها أساموا تحابوا ولما تقدم ذكر ما في النار وذكر ما في الجنة أكد تعالى تنبيه الناس وتقرر بذلك وتمكينه في النفس بقوله نبي عبادي اني أنا الغفور الرحيم وناسب ذكر الغفران والرحمة اتصال ذلك بقوله ان المتقين وتقديما لهذين الوصفين العظيمين اللذين وصف بهما نفسه وجاء قوله وان عذابي في غاية اللطف اذ لم يقل على وجه المقابلة واني المعذب المؤلم كل ذلك ترجيح لجهة العفو والرحمة وسدت ان مسد مفعولي نبي ان قلنا انها تعدت الى ثلاثة ومسد واحد ان قلنا تعدت الى اثنين وعن ابن عباس غفور لمن تاب وعذابه لمن لم يتب وفي قوله نبي الآية ترجيح جهة الخير من جهة أمره تعالى رسوله بهذا التبليغ فكأنه اشهاد على نفسه بالتزام المغفرة والرحمة وكونه أضاف العباد اليه فهو تشریف لهم وتأكيده اسم ان بقوله أنا وادخال آل علي هاتين الصفتين وكونهما جاء تابصيغة المبالغة والبداية بالصفة السارة أولا وهي الغفران واتباعها بالصفة التي نشأ عنها الغفران وهي الرحمة * وروى في الحديث لو يعلم العبد قدر عفو الله ما تورع عن حرام ولو يعلم قدر عذابه لبخع نفسه وفي الحديث عن ابن المبارك بأسناده ان الرسول صلى الله عليه وسلم طلع من الباب الذي يدخل منه بنو شيبه ونحن نضحك فقال ألا أراكم تضحكون ثم أدبر حتى اذا كان عند الحجر رجع الينا القهقري فقال جاء جبريل عليه السلام فقال يقول الله لم تقنط عبادي نبي عبادي اني أنا الغفور الرحيم ﴿ وَنَبِّئُهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ﴾ اذ

كل مصرح به القائل * انا
نبتشرك * استئناف في معنى
التعليل المنهى عن الوجمل
بشروه بأمرين أحدهما
أنه ذكر والثاني وصفه
بالعلم على سبيل المبالغة
واستنكر ابراهيم صلى
الله عليه وسلم أن يولد له مع
الكبر وفهم تبشرون
تأكيدها استبعاد وتعجب
وكأنه لم يعلم أنهم ملائكة
رسل الله تعالى اليه فلذلك
استفهم واستنكر أن يولد
له ولو علم أنهم رسل الله
ما تعجب ولا استنكر
ولاسيما وقد رأى من آيات
الله عيانا كيف أحيا
الموتى وبالحق أى باليقين
الذى لا ريب فيه وقولهم
فلا تكن من القانطين
نهى والنهى عن الشئ
لا يدل على التلبس بالنهى
عنه ولا بمقاربتة وقوله
* ومن يقنط * رد عليهم
وأن المحاورة في البشارة
لا تدل على القنوط بل
ذلك على سبيل الاستبعاد
لما جرت به العادة وفي ذلك
إشارة إلى أن هبة الولد على
الكبر من رحمة الله إذ يشد
مضد والده به ويؤازره
حالة كونه لا يستقل ويرث
منه عاده ودينه

دخلوا عليه فقالوا اسلاما قال إنا منكم ورجلون * قالوا لا توجل إنا نبشرك بغلام عليكم * قال أبشروني
على أن مسنى الكبر فهم تبشرون * قالوا بشرك بالحق فلا تكن من القانطين * قال ومن
يقنط من رحمة به الا الضالون * ولما ذكر تعالى ما أعد للعاصين من النار وللطائعين من الجنة ذكر
العرب باحول من يعرفونه ممن عصى وكذب الرسل فحل به عذاب الدنيا قبل عذاب الآخرة
ليزدجر واعن كفرهم وليعتبروا بما حل بغيرهم فبدأ بذكر جدهم الاعلى ابراهيم عليه السلام وما
جرى لقوم ابن أخيه لوط ثم بدأ بأصحاب الحجر وهم قوم صالح ثم بأصحاب الأيكة وهم قوم شعيب
* وقرأ أبو حنيفة ونبيههم بآمال الهمة بآء وضيف ابراهيم هم الملائكة الذين بشروه بالولد وبهلاك
قوم لوط وأضيفوا إلى ابراهيم وأن لم يكونوا أضيا فالانهم في صورة من كان ينزل به من الاضياف
اذ كان لا ينزل به أحد الا ضافه وكان يكنى أبا الضيفان وكان لقصره أربعة أبواب من كل جهة باب
لئلا يفوته أحد والضيف أصله المصدر والافصح أن لا يثنى ولا يجمع للثنى والمجموع ولا حاجة إلى
تكاف اضمار كما قاله النحاس وغيره من تقدير أصحاب ضيف وسلاماه قمتع من جملة محكية بقالوا
فليس منصوب بابه والتقدير سلمت سلاما من السلامة أو سلمنا سلاما من التحية * وقيل سلاما نعت
لمصدر محذوف تقديره فقالوا اوقولا سلاما وتصر بحه هنا بأنه ووجل منهم كان بعد تقريره اليهم
ما أضافهم به وهو العجل الخيبر امتناعهم من الاكل وفي هودانه أو جس في نفسه خيفة فيمكن أن
هذا التصريح كان بعد إيجاس الخيفة ويحتمل أن يكون القول هنا مجازا بأنه ظهرت عليه مخايل
الخوف حتى صار كل مصرح به القائل * وقرأ الجمهور لا توجل مبنيًا للفاعل * وقرأ الحسن بضم
التاء مبنيًا للمفعول من الایجال * وقرئ لا توجل بآبدال الواو ألفا كما قالوا تابة في توبة * وقرئ
لا توجل من واجله بمعنى أوجله إنا نبشرك استئناف في معنى التعليل المنهى عن الوجمل أى أنك
بثابة الآمن المبشر فلا توجل والمبشر به هو اسحق وذلك بعد أن ولد له اسماعيل وشب بشروه
بأمرين أحدهما أنه ذكر والثاني وصفه بالعلم على سبيل المبالغة * فقيم النبوة كقوله تعالى
و بشروا اسحق بنيا * وقيل عليهم بالدين * وقرأ الأعرج بشروني بغير همزة الاستفهام وعلى
أن مسنى الكبر في موضع الحال * وقرأ ابن حيض الكبر بضم الكاف وسكون الباء واستنكر
ابراهيم عليه السلام أن يولد له مع الكبر وفهم تبشرون تأكيدها استبعاد وتعجب وكأنه لم يعلم أنهم
ملائكة رسل الله اليه فلذلك استفهم واستنكر أن يولد له ولو علم أنهم رسل الله ما تعجب ولا استنكر
ولاسيما وقد رأى من آيات الله عيانا كيف أحيا الموتى * قال الزمخشري كأنه قال فبأى أعجوبة
تبشروني أو أراد أنكم تبشروني بما هو غير متصور في العادة فبأى شئ تبشرون يعنى لا تبشروني
في الحقيقة بشئ لأن البشارة بمثل هذا بشارة بغير شئ ويجوز أن لا تكون صله لبشر ويكون
سؤاله على الوجه والطريقة يعنى بأي طريقة تبشروني بالولد والبشارة به لا طريقة لها في العادة
انتهى وكأنه قال أعلى وصفى بالكبر أم على انى أرد إلى الشباب * وقيل لما استطاب البشارة أعاد
السؤال ويضعف هذا قولهم له بشرك بالحق فلا تكن من القانطين * وقرأ الحسن تبشروني
بنون مشددة وباء المتكلم أدغم نون الرفع في نون الوقاية وابن كثير بشدها مكسورة دون ياء ونافع
يكسرها مخففة وعلاطه أبو حاتم وقال هذا يكون في الشعر اضطرار أو خرجت على أنه حذف نون
الوقاية وكسر نون الرفع للياء ثم حذف الياء لدلالة الكسرة عليها وقالوا هو مثل قوله
* يسوء القالبات اذا قليني * وقول الآخر * لأباك تخوفيني * وقرأ باقي السبعة بفتح

﴿قال فاخطبكم﴾ الآية لما بشر به بالولد وراجعوه في ذلك علم أنهم ملائكة الله ورسله فاستفهم بقوله فاخطبكم واخطب لا يكاد يقال الا في الأمر الشديد فأضافه إليهم من حيث أنهم هم حاملوه الى أولئك القوم المعذبين وذكر الى قوم مجرمين فأبرزه في صورة النكرة وان كان أريد به معينون يدل على ذلك قولهم في سورة هود انا أرسلنا الى قوم لوط فعيينهم وانما نكرهنا على سبيل الاستهانة بهم وان كانوا معينين من جهة المعنى فقوله الا آل لوط استثناء نكرة في الظاهر ولكنهم معينون في المعنى وكثيرا ما تأتي النكرة يراد بها التعيين كقول من صحب رجلا عالما معينا فيقول لقد صحبت رجلا عالما ﴿الا امرأته﴾ استثناء من الضمير المنصوب في منجوعهم قال الزمخشري فان قلت فقوله الامرأته مما استثنى وهل هو استثناء من استثناء ﴿قلت استثنى من الضمير المحرور في قوله لمنجوعهم وليس من الاستثناء من الاستثناء في شيء لأن الاستثناء من الاستثناء انما يكون فيما اتحد الحكم فيه وان يقال أهلاكناهم الا آل لوط الامرأته كما اتحد الحكم في قول المطلق ثلاثا الا اثنتين الواحدة وفي قول المقر فلان على عشرة دراهم الا ثلاثة الا درهما فاما في الآية فقد اختلف الحكم ان لأن آل لوط متعلق (٥٩) بأرسلنا أو مجرمين والامرأته قد تعلق بمنجوعهم فاني

يكون استثناء من استثناء انتهى لما استتلف الزمخشري أن الامرأته مستثنى من الضمير المحرور لم يجوز أن يكون استثناء من استثناء ومن قال انه استثناء من استثناء فيمكن تصحيح كلامه باحد وجهين أحدهما أنه كان الضمير في لمنجوعهم عائدا الى آل لوط وقد استثنى منه المرأة فصار كأنه مستثنى من آل لوط لأن الماض هو الظاهر في المعنى والوجه الآخر أن قوله الا آل لوط لما حكم عليهم بغير الحكم على قوم مجرمين يقتضي ذلك نجاتهم في قوله انا اجوعهم أجمعين

وهي علامة الرفع قال الحسن فبم تبشرون على وجه الاحتقار وقلة المبالاة بالبشرات لمضي العمر واستيلاء الكبر * وقال مجاهد عجب من كبره وكبر امرأته وتقدم ذكر سنه وقت البشارة وبالحق أي باليقين الذي لا لبس فيه أو بالطريقة التي هي حق وهي قول الله ووعدوه أنه قادر على أن يوجد ولدا من غير أبوين فكيف من شيخ فان وعجز عاقر * وقرأ ابن وثاب وطلحة والاعمش ورويت عن أبي عمرو من القنطين من قنط يقنط * وقرأ النخعيان والاعمش ومن يقنط وفي الروم والزمر بكسر النون وباقي السبعة بفتحها وزيد بن علي والاشهب بضمها وهو استفهام في ضمنه النفي ولذلك دخلت الا في قوله الا الضالون وقولهم له فلا تكن من القانطين نهى والنهي عن الشيء لا يدل على تلبس المنهى عنه به ولا بمقارنته وقوله ومن يقنط ردة عليهم وان المحاورة في البشارة لا تدل على القنوط بل ذلك على سبيل الاستبعاد لما جرت به العادة وفي ذلك اشارة الى أن هبة الولد على الكبر من رحمة الله إذ يشد عضد والده به ويؤازره حالة كونه لا يستقل ويرث منه عامه وسودينه ﴿قال فاخطبكم أيها المرسلون﴾ قالوا انا أرسلنا الى قوم مجرمين * الا آل لوط انا لمنجوعهم أجمعين * الا امرأته قد رنا انهم الغابرين * فلما جاء آل لوط المرسلون * قال انكم قوم منكرون * قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون * وأتيناك بالحق وانا لصادقون * فأمر بأهلك بقطع من الليل واتبع أدبارهم ولا يلتفت منكم أحد وما ضوا حيث تؤمرون * وقضينا اليه ذلك الامر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين ﴿لما بشر به بالولد وراجعوه في ذلك علم أنهم ملائكة الله ورسله فاستفهم بقوله فاخطبكم الخطب لا يكاد يقال الا في الأمر الشديد فأضافه إليهم من حيث أنهم حاملوه الى أولئك القوم المعذبين ونكر قوموا وصفهم تقليلا لهم واستهانة بهم وهم قوم لوط أهل مدينة سدوم

تأ كيد المعنى الاستثناء اذا المعنى الا آل لوط فلم يرسل عليهم بالعذاب ونجاتهم من عقوبة على عدم الارسل اليهم بالعذاب فصار نظير قولك قام القوم الا زيدا فانه لم يقم أو الا زيدا لم يقم فمذه الجملة تأ كيدا لتضمنه الاستثناء من الحكم على اربعة اقسام الحكم السابق على المستثنى منه فالامرأته على هذا التقرير الذي قررناه استثناء من آل لوط لان الاستثناء مما جى به للتأ كيد وجاء الضمير في أرسلنا وفي انا في قدرنا مسندا الى الملائكة لأنهم هم المأمورون بالاعذاب وهم منكرون لانه نكرتهم نفسه ونفرت منهم وخاف أن يطر قوه بشر وبل اضرب عن قول محدوف أي جئناك بالحق فاعلم جئنا بالعذاب لقومك اذ كانوا يمترون فيه أي يشكون في وقوعه فيجادلونك فيه تكديبا لك بما وعدت به عن الله تعالى فاعلم جئناهم ﴿نهاهم أولا عن الالتفات وأمره باتباع أدبارهم ويكون ذلك أحفظ لهم من أن ينزل ساقطه عدو حيث يؤمر من جلال عباس هي الشام وما ضمن قضينا معنى أوحينا تعدت تعديها بالي أي وأوحينا الى لوط مقضيا مبتوتة والالتفات في قوله تعالى من اهلك قومهم وان دابر تفخيم للامر وتعظيم له وهو في موضع نصب على البديل من ذلك وهو من جئناهم في الصراح

(الدر) (ش) فان قلت فقله الامر أنه مستثنى وهل هو استثناء قلت استثناء من الضمير المجرور في قوله لمنجوههم وليس من الاستثناء من الاستثناء في شيء لان الاستثناء (٤٦٠) من الاستثناء انما يكون فيما اتحد الحكم فيه وان يقال أهلكتناهم

والمعنى أرسلنا بالهلاك والا آل لوط يحتمل أن يكون استثناء من الضمير المستكن في مجرمين والتقدير أجزموا كلهم الا آل لوط فيكون استثناء متصلا والمعنى الا آل لوط فانهم لم يجرموا ويكون قوله انا لمنجوههم أجمعين استثناء في اخبار عن نجاتهم وذلك لكونهم لم يجرموا ويكون حكم الارسال منسجبا على قوم مجرمين وعلى آل لوط لاهلاك هؤلاء وإنجاء هؤلاء والظاهر انه استثناء منقطع لأن آل لوط لم يندرج في قوله قوم مجرمين لا على عموم البذل لأن وصف الاجرام منتف عن آل لوط ولا على عموم الشعوب لتسكير قوم مجرمين ولا انتفاء وصف الاجرام عن آل لوط واذا كان استثناء منقطعاً فهو مما يجب فيه النصب لأنه من الاستثناء الذي لا يمكن بوجه العامل على المستثنى فيه لأنهم لم يرسلوا اليهم أصلاً وانما أرسلوا الى القوم المجرمين خاصة ويكون قوله انا لمنجوههم جرى مجرى خبر لكن في اتصاله بالآل لوط لأن المعنى لكن آل لوط منجون وقد زعم بعض النحويين في الاستثناء المنقطع المقدر بل يمكن اذا لم يكن بعده ما يصح أن يكون خبراً ان الخبر مخذوف وانه في موضع رفع لجريان الا وتقديرها بل لكن * قال الزمخشري (فان قلت) فقله الامر أنه مستثنى وهل هو استثناء من استثناء (قلت) استثنى من الضمير المجرور في قوله لمنجوههم وليس من الاستثناء من الاستثناء في شيء لان الاستثناء من الاستثناء انما يكون فيما اتحد الحكم فيه وأن يقال أهلكتناهم الا آل لوط الامر أنه كما اتحد الحكم في قول المطلق أنت طالق ثلاثا الا اثنين الا واحدة وفي قول المقر لفلان على عشرة دراهم الا ثلاثة الا درهما فلما في الآية فقد اختلف الحكم لان آل لوط متعلق بأرسلنا أو بمجرمين والا امر أنه قد تعلق بمنجوههم فأنى يكون استثناء من استثناء لما استتلف الزمخشري الا امر أنه مستثنى من الضمير المجرور في قوله لمنجوههم لم يجوز أن يكون استثناء من استثناء ومن قال انه استثناء من استثناء فيمكن تصحيح كلامه بأحد وجهين أحدهما انه لما كان الضمير في لمنجوههم عائداً على آل لوط وقد استثنى منه المرأة صار كأنه مستثنى من آل لوط لان المضمرة هو الظاهر في المعنى والوجه الآخر أن قوله الا آل لوط لما حكم عليهم بغير الحكم على قوم مجرمين اقتضى ذلك نجاتهم فجاء قوله انا لمنجوههم أجمعين تأكيده المعنى الا آل لوط فلم يرسل اليهم بالعذاب ونجاتهم مترتبة على عدم الارسال اليهم بالعذاب فصار نظير قولك قام القوم الا زيد افانه لم يقيم والا زيد لم يقيم فهذه الجملة تأكيده لما تضمنه الاستثناء من الحكم على ما بعد الا بضد الحكم السابق على المستثنى منه فالامر أنه على هذا التقرير الذي قررناه استثناء من آل لوط لان الاستثناء مما جرى به التأسيس أولى من الاستثناء مما جرى به التأكيد * وقرأ الاخوان لمنجوههم بالتخفيف وباقي السبعة بالتشديد * وقرأ أبو بكر قدرنا بالتخفيف وباقي السبعة بالتشديد وكسرت انما اجراء لفعل التقدير مجرى العلم اما لكونه بمعناه واما لترتبه عليه وأسندوا التقدير اليهم ولم يقولوا قدر الله لانهم هم المأمورون باهلا كهم كما يقول من يلوذ بالملك ومن هو متصرف بأوامره أمرنا بكذا والامر هو الملك * وقال الزمخشري اللهم من القرب والاختصاص بالله الذي ليس لاحد غيرهم انتهى فادرج مذهب الاعتزال في تفضيل الملائكة في غضون كلامه ووصف قوم

الا آل لوط الامر أنه كما اتحد الحكم في قول المطلق أنت طالق ثلاثا الا اثنين الا واحدة وفي قول المقر لفلان على عشرة دراهم الا ثلاثة الا درهما فلما في الآية فقد اختلف الحكم لان آل لوط متعلق بأرسلنا أو بمجرمين والا امر أنه قد تعلق بمنجوههم فأنى يكون استثناء من استثناء لما استتلف الزمخشري الا امر أنه مستثنى من الضمير المجرور في قوله لمنجوههم لم يجوز أن يكون استثناء من استثناء ومن قال انه استثناء من استثناء فيمكن تصحيح كلامه بأحد وجهين أحدهما انه لما كان الضمير في لمنجوههم عائداً على آل لوط وقد استثنى منه المرأة صار كأنه مستثنى من آل لوط لان المضمرة هو الظاهر في المعنى والوجه الآخر أن قوله الا آل لوط لما حكم عليهم بغير الحكم على قوم مجرمين اقتضى ذلك نجاتهم فجاء قوله انا لمنجوههم أجمعين تأكيده المعنى الا آل لوط فلم يرسل اليهم

بالعذاب ونجاتهم مترتبة على عدم الارسال اليهم بالعذاب فصار نظير قولك قام القوم الا زيد افانه لم يقيم والا زيد لم يقيم فهذه الجملة تأكيده لما تضمنه الاستثناء من الحكم على ما بعد الا بضد الحكم السابق على المستثنى منه فالامر أنه على هذا التقرير الذي قررناه استثناء من آل لوط لان الاستثناء مما جرى به التأسيس أولى من الاستثناء مما جرى به التأكيد

﴿وجاء أهل المدينة يستبشرون﴾ الآية استبشارهم (٤٦١) فرحهم بالضياف الذين وردوا على لوط صلى الله عليه وسلم

والظاهر أن هذا المجيء ومحاوره لوط مع قومه في حق أضيافه وعرضه بنانه عليهم كان ذلك كله قبل اعلامه بهلاك قومه وعامه بانهم رسل الله ولذلك سماهم ضيفا وخاف الفضيحة منهم لاجل تعاطيهم مالا يجوز من الفعل القبيح وقد جاء ذلك مرتبا هكذا في سورة هود والواو لا ترتب ولا تخزون من الخزي وهو الادلال أو من الخزية وهو الاستحياء وفي قولهم ﴿أولم نهلك﴾ دليل على تقدم نهيم اياه عن أن يضيف أو يجير أحدا أو يدفع عنه أو يمنع بينهم وبينه فانهم كانوا يتعرضون لكل أحد وكان هو عليه السلام يقوم بالنهي عن المنكر والحجز بينه وبين من تعرض له فأوعدهوه بأنه ان لم ينته أخرجه وتقدم الكلام في قوله تعالى بناتي ومعنى الاضافة في هود وان كنتم فاعلين شك في قبولهم لقوله كأنه قال ان فعلن ما أقول لكم وما أظنكم تفعلون وقيل ان كنتم تريدون قضاء الشهوة في أحل الله دون ما حرم واللام في لعمر ك

منكرون لانه نكروهم نفسه ونفرت منهم وخاف أن يطرقوه بشر وبل اضرب عن قول مخدوف أي ما جئناك بشئ تخافه بل جئناك بالعذاب لقومك اذ كانوا يمترون فيه أي يشكون في وقوعه أو يجادلونك فيه تكديبا لك بما وعدتهم عن الله ويحتمل أن يكون نكروهم لكونهم ليسوا بمعروفين في هذا القطر فخاف الهجوم منهم عليه أو أن يتعرض اليهم أحد من قومه اذ كانوا في صورة شباب حسان مردوا تيناك بالحق أي باليقين من عذابهم وانا لصادقون في الاخبار لحلوله بهم وتقدم الخلاف في القراءة في فأسر وروى صاحب الاقليد فسر من السير وحكاها ابن عطية وصاحب اللوامح عن اليماني وحكى القاضى منذر بن سعيدان فرقة قرأت بقطع بفتح الطاء وتقدم الكلام في القطع وفي الالتفات في سورة هود وخطب الرخشي هنا فقال (فان قلت) ما معنى أمره باتباع أدبارهم ونهيمهم عن الالتفات (قلت) قد بعث الله الهلاك على قومه ونجاه وأهله اجابة لدعوته عليهم وخرج مهاجرا فلم يكن بد من الاجتهاد في شكر الله وادامة ذكره وتفرغ باله لذلك فأمر بأن يقدمهم لئلا يشتغل بمن خلفه قلبه وليكون مطلعا عليهم وعلى أهوالهم فلا يفرط منهم التفاتة احتشاما منه ولا غيرهما من الهفوات في تلك الحالة المهولة المخدورة ولئلا يتخلف منهم أحد لغرض له فيصيبه وليكون مسيره مسير الحارب الذي تقدم سر به وتفوت به * وحيث تؤمرون قال ابن عباس الشام * وقيل موضع نجاة غير معروف * وقيل مصر * وقيل الى أرض الخليل بمكان يقال له اليقين وحيث على بابها من انها طرف مكان وادعاء أنها قد تكون هنا ظرف زمان من حيث انه ليس في الآية أمر الا قوله فأسر بأهلك بقطع من الليل ثم قيل له حيث تؤمر ضعيف ولفظ تؤمر يدل على خلاف ذلك اذ كان يكون التركيب من حيث أمرتم وحيث من الظروف المكانية المهمة ولذلك يتعدى اليها الفعل وهو امضوا بنفسه تقول قعدت حيث قعد زيد وجاء في الشعر دخول في عليها * قال الشاعر

فأصبح في حيث التقينا شر يدهم * طليق ومكتوف اليدين ومرف

ولما ضمن قضينا معنى أو حيننا تعدت تعديها بالي أي وأوحينا الى لوط مقضيا مبتوتا والاشارة بذلك الى ما وعده تعالى من اهلاك قومه وان دابر تفخيم للامر وتعظيم له وهو في موضع نصب على البدل من ذلك قاله الاخفش أو على اسقاط الباء أي بان دابر قاله الفراء وجوزة الحوفي وان دابر هؤلاء مقطوع كناية عن الاستئصال وتقدم تفسير مثله في قوله فقطع دابر القوم الذين ظاهوا ومصبحين داخلين في الصباح وهو حال من الضمير المستكن في مقطوع على المعنى ولذلك جمعه وقدره الفراء وأبو عبيد اذا كانوا مصبحين كما تقول أنت راكبا أحسن منك ماشيا فان كان تفسير معنى فصحيح وان أراد الاعراب فلا ضرورة تدعو الى هذا التقدير * وقرأ الاعمش وزيد بن علي ان دابر بكسر الهمزة لما ضمن قضينا معنى أو حيننا فكان المعنى أعلمنا على الفعل فكسر ان أولا كان القضاء بمعنى الإيحاء معناه القول كسر ان ويؤيده قراءة عبد الله وقلنا ان دابر وهي قراءة تفسير لا قرآن لمخالفتها السواد والمدينة سدوم وهي التي ضرب بقاضها المثل في الجور ﴿وجاء أهل المدينة يستبشرون﴾ قال ان هؤلاء ضيفي فلا تفضحون * واتقوا الله ولا تخزون * قالوا أولم نهلك عن العالمين * قال هؤلاء بناتي ان كنتم فاعلين * لعمر ك انهم لفي سكرتهم يعمهون * فأخذتهم الصيحة

لام الابتداء وعمر ك مبتدأ خبره مخدوف تقديره لعمر ك قسمي واذا كان في القسم كانت العين مفتوحة ومعناها البقاء وجواب القسم فقيل القسم من الملائكة خطابا للوط صلى الله عليه وسلم وقيل خطابا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكفى عن الضلالة والغفلة

مشرقين * فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل * ان في ذلك آيات للمتوسمين *
 وانها لبسبيل مقيم * ان في ذلك آية للمؤمنين * استبشارهم فرحهم بالاضياف الذين وردوا على
 لوط عليه السلام والظاهر ان هذا المجيء ومحاورته مع قومه في حق اضيافه وعرضه بناته عليهم
 كان ذلك كله قبل اعلامه بهلاك قومه وعامه بأنهم رسل الله ولذلك سباهم ضيفان خوف الفضيحة
 لاجل تعاطيهم ما لا يجوز من الفعل القبيح وقد جاء ذلك مرتباً هكذا في هود والواو لا ترتب * قال
 ابن عطية ويحتمل أن يكون المجيء والمحاوره بعد عامه بهلاكهم ومحاور تلك المحاوره على جهة التكميم
 عنهم والاملاء لهم والترص بهم انتهى ونهاهم عن فضحهم اياه لان من أساء الى ضيفه أو جاره فقد أساء
 اليه ولا تخزون من الخزي وهو الادلال أو من الخزيه وهو الاستحياء وفي قولهم أولم تنهك دليل
 على تقدم نهيم اياه عن أن يضيف أو يحجر أحداً أو يدفع عنه أو يمنع بينهم وبينه فانهم كانوا يتعرضون
 لكل أحد وكان هو صلى الله على نبينا وعليه يقوم بالنهي عن المنكر والحجز بينهم وبين من
 تعرضوا له فأوعده بأنه ان لم ينته أخرجه وتقدم الكلام في قوله بناتي ومعنى الاضافة في هود
 وان كنتم فاعلين شك في قبولهم لقوله كانه قال ان فعلتم ما أقول ولكم ما أظنكم تفعلون * وقيل
 ان كنتم تريدون قضاء الشهوة فيما أحل الله دون ما حرم واللام في لعمر ك لام الابتداء والكاف
 خطاب للوط عليه السلام والتقدير قالت الملائكة للوط لعمر ك وكفى عن الضلالة والغفلة بالسكرة
 أي تحيرهم في غفلتهم وضلالهم منعهم عن ادراك الصواب الذي يشير به من ترك البنين الى البنات
 * وقيل الخطاب للمرسول صلى الله عليه وسلم وهو قول الجمهور ابن عباس وأبو الحوراء وغيرهما
 أقسم تعالى بحياته تكرر بماله والعمر بفتح العين وضمها البقاء وألزموا الفتح القسم ويجوز
 حذف اللام وبذلك قرأ ابن عباس وعمر ك * وقال أبو الهيثم لعمر ك لدينك الذي يعمر * وأنشد
 أيها المنكح الثريا سهيلاً * عمر ك الله كيف يلتقيان

أي عبادتك الله * وقال ابن الاعرابي عمرت ربي أي عبدته وفلان عامر لربه أي عابد قال ويقال تركت
 فلاناً يعمر ربه أي يعبده فعلى هذا لعمر ك لعبادتك * وقال الزجاج ألزموا الفتح القسم لانه أخف
 عليهم وهم يكثر من القسم بلعمرى ولعمر ك فلزموا الاخف وارتفاعه بالابتداء والخبر مخذوف أي
 ما أقسم به * وقال بعض أصحاب المعاني لا يجوز أن يضاف الى الله لانه لا يقال لله تعالى عمر وانما يقال هو
 أزلى وكأنه يوهم ان العمر لا يقال الا فياله انقطاع وليس كذلك العمر والعمر البقاء * قال الشاعر
 اذارضيت على بنو قشير * لعمر الله أعجبنى رضاها

* وقال الاعشى *

ولعمر من جعل الشهور علامة * فبين منها نقصها وكملها

وكره النخعي أن يقال لعمرى لانه حالف بحياة المقسم * وقال النابغة

* لعمرى وما عمرى على بهين * والضمير في سكرتهم عائد على قوم لوط * وقال الطبري لقريش
 وهذا مروى عن ابن عباس * قال ما خلق الله نفساً أكرم على الله من محمد قال له وحياتك انهم أي
 قومك من قريش لفي سكرتهم أي ضلالهم وجهلهم يعمرهون يترددون * قال ابن عطية وهذا بعيد
 لا نقطاعه مما قبله وما بعده * وقرأ الأشهب سكرتهم بضم السين وابن أبي عمير سكراتهم بالجمع
 والاعمش سكرهم بغير تاء وأبو عمر وفي رواية الجهضمي انهم بفتح همزة انهم والصيغة صحيحة الهلاك *
 وقيل صوت جبريل عليه السلام * وقال ابن عطية هي صيغة الوحشة وليست كصيغة هود

بالسكر أي تحيرهم في
 غفلتهم وضلالهم منعهم
 عن ادراك الصواب الذي
 يشير به والصيغة صحيحة
 الهلاك ومشرقين داخلين
 في الشروق وهو بزوغ
 الشمس وقيل أول العذاب
 كان عند الصبح وامتد الى
 شروق الشمس فكان
 تمام الهلاك عند ذلك
 والضمير في عاليها سافلها
 عائد على المدينة المتقدمة
 الذكر * للمتوسمين *
 للمتفرسين وعن ابن
 عباس هم أهل الصلاح
 والخير * وانهم لبسبيل
 مقيم * أي عمر ثابت وهي
 بحيث يراها الناس
 ويعتبرون بها لم تدرس
 وهو تنبيه لقريش * ان في
 ذلك * أي في صنعنا
 بقوم لوط لعلامة ودليلاً
 لمن آمن بالله تعالى

مشرقين داخلين في الشروق وهو بزوغ الشمس * وقيل أول العذاب كان عند الصبح وامتد إلى شروق الشمس فكانه تمام الهلاك عند ذلك والضمير في عاليها سافلها عائداً على المدينة المتقدمة الذكر * وقال الزمخشري لقري قوم لوط ولم يتقدم لفظ القري * وقال مقاتل وابن زيد للتموسمين للتفكرين * وقال الضمك للناظرين * قال الشاعر

أوكلا وردت عكاظ قبيلة * بعثوا إلى عريفيهم يتوسم

* وقال أبو عبيدة للتبصرين * وقال قتادة للعتبرين * وروى نهشل عن ابن عباس للتموسمين قال لأهل الصلاح والخير والضمير في وانها عائداً على المدينة المهلكة أي انها بطريق ظاهر بين للعتبر قاله مجاهد وقتادة وابن زيد * قيل ويحتمل أن يعود على الآيات ويحتمل أن يعود على الحجارة وقوله لبسبيل أي ممر ثابت وهي بحيث يراها الناس ويعتبرون بها لم تدرس وهو تنبيه لقريش وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل * وقيل عائداً على الصيحة أي وان الصيحة لجر صدم لمن يعمل عملهم لقوله وما هي من الظالمين ببعيد * وقيل مقيم معازم * وقيل معتد دائم * وقال ابن عباس هلاك دائم السلوك ان في ذلك أي في صنعنا بقوم لوط لعلامة ودليلاً لمن آمن بالله * وان كان أصحاب الأيكة لظالمين * فانتقمنا منهم وانهما بالامام مبين * هم قوم شعيب والايكة التي أضيفوا اليها كانت شجر الدوم * وقيل المقل * وقيل السدر * وقيل الأيكة اسم الناحية فيكون عاماً ويقويه قراءة من قرأ في الشعراء وص ليمكة ممنوع الصرف كفروا فسلط الله عليهم الحر وأهلكوا بعذاب الظلة ويأتي ذلك مستوفى ان شاء الله تعالى في سورة الشعراء وان عند البصريين هي الخففة من الثقيلة وعند الفراء نافية واللام بمعنى الاوتقدم نظير ذلك في وان كانت لكبيرة في البقرة والظاهر قول الجمهور من ان الضمير في وانها عائداً على قريتي قوم لوط وقوم شعيب أي على انهما ممر السائلة * وقيل يعود على شعيب ولوط أي وانهما بالامام مبين أي بطريق من الحق واضح والامام الطريق * وقيل وانهما أي الحر مهلاك قوم لوط وأصحاب الأيكة لفي مكتوب مبين أي اللوح المحفوظ * قال مؤرج والامام الكتاب بلغة حمير * وقيل يعود على أصحاب الأيكة ومدين لأنه مرسل اليهما فدل ذكر أحدهما على الآخر فعاد الضمير اليهما * ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين * وآتيناهم آياتنا فكانوا عنهم اعرضين * وكانوا ينحتون من الجبال بيوتاً آمنين * فأخذتهم الصيحة مصبحين * فأغنى عنهم ما كانوا يكسبون * أصحاب الحجر ثمود قوم صالح عليه السلام والحجر أرض بين الحجاز والشام وتقدمت قصته في الاعراف مستوفاة والمرسلين يعني بتكذيبهم صالحاً لأن من كذب واحد منهم فكأنما كذبهم جميعاً * قال الزمخشري أو أراد صالحاً ومن معه من المؤمنين كما قيل الخبيثون في ابن الزبير وأصحابه وعن جابر قال مررت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحجر فقال لنا لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين حذر أن يصيبكم مثل ما أصاب هؤلاء ثم زجر رسول الله صلى الله عليه وسلم راحلته فأسرع حتى خلفها وفي بعض طرقه ثم قال هؤلاء قوم صالح أهلكهم الله الأرجلا كان في حرم الله منعه حرم الله من عذاب الله * قيل من هو يارسول الله قال أبو رغال واليه تنسب ثقيف * وآتيناهم آياتنا فيل أنزل اليهم آيات من كتاب الله * وقيل يراد نصب الأدلة فأعرضوا عنها * وقيل كان في الناقة آيات خمس * خروجها من الصخرة * ودنوتها عند خروجها * وعظمتها حتى لم تشبهها ناقة * وكثرة لبنها حتى يكفهم جميعاً * وقيل كانت له آيات غير الناقة * وقرأ الجمهور ينحتون بكسر الحاء * وقرأ الحسن وأبو

* وان كان أصحاب الأيكة لظالمين * هم قوم شعيب والايكة التي أضيفوا اليها كانت شجر السدوم وقيل غير ذلك كفروا فسلط الله عليهم الحر وأهلكوا بعذاب الظلة ويأتي ذلك مستوفى في سورة الشعراء * وانهما * الضمير يعود على أصحاب الأيكة ومدين لأنه مرسل اليهما فدل ذكر أحدهما على الآخر فعاد الضمير اليهما * لباما مبين * أي بطريق من الحق واضح والامام الطريق * ولقد كذب أصحاب الحجر * الآية أصحاب الحجر ثمود قوم صالح صلى الله عليه وسلم والحجر أرض بين الحجاز والشام وتقدمت قصته في الاعراف مستوفاة والمرسلين يعني بتكذيبهم صالحاً لأن من كذب واحد منهم فكأنما كذبهم جميعاً وتقدم ذكر قصتهم في الاعراف ويأتي أيضاً بعض خبرهم

وما خلقنا السموات والارض والآية أى خلقنا لم يسألنا الحق لم يخلق شئ من ذلك عبثا ولا هملا بل ليطيع من أطاع بالتفكر فى ذلك الخلق العظيم وليتذكر النشأة الآخرة بهذه النشأة الأولى ولذلك نبه من يتنبه بقوله وان الساعة آتية فيجازى من أطاع ومن عصى ولقد آتيناك سبعا الآية والمثنى جمع مثناة والمثنى أى يجعل اثنين من قولك ثبت الشئ ثنيا أى عطفته وضمت اليه آخر وهذا مجمل ولا سبيل الى تعيينه الا بدليل منفصل جواز الزجاج أن تكون أم القرآن سميت السبع المثنى لأنها يثنى بها على الله قال ابن عطية وفى هذا القول من جهة التصريف نظر انتهى لا نظرى فى ذلك لأنها جمع مثنى بضم الميم مفعول من أننى رباعيا أى مقرر ثناء على الله أى فيها ثناء على الله وقال عمر وعلى وابن مسعود وابن عباس وغيرهم السبع هنا آيات الحمد قال ابن عباس هى سبع ببسم الله الرحمن الرحيم وقال غيره سبع دون البسملة وقال أبو العالية لقد أنزلت هذه السورة وما نزل من السبع الطوال شئ لا تمدن ظاهره أنه خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى نهى أمته عن ذلك لان من أوتي القرآن شغله النظر فيه وامتنال تكاليفه وفهم معانيه عن الاشتغال بزهرة الدنيا ومد العين للشئ إنما هو لاستحسانه وإيثاره أزواج أى أصنافا ونهاد تعالى عن الحزن عليهم ان لم يؤمنوا وكان كثير الشفقة على من بعث اليه وأمره بخفض الجناح لمن آمن رهي كناية عن اللطف والرفق وأصله (٤٦٤) أن الطائر اذا ضم الفرخ اليه بسط جناحه له ثم قبضه على فرخه

حيوة بفتحها وصفهم بشدة النظر للدنيا والتكسب منها فذكر من ذلك مثالا وهو نقرهم بالمعاول ونحوها فى الحجارة وآمنين قيل من الانهدام وقيل من حوادث الدنيا وقيل من الموت لا غترارهم بطول الاعمار وقيل من نقب اللصوص ومن الاعداء وقيل من عذاب الله يحسبون ان الجبال تحميمهم منه قال ابن عطية وأصبح ما يظهر فى ذلك أنهم كانوا يأمنون عواقب الآخرة فكانوا لا يعملون بحسب ابل كانوا يعملون بحسب الامن منها ومصبحين داخلين فى الصباح والظاهر ان ما فى قوله فاعنى نافية وتحتمل الاستفهام المراد منه التعجب وما فى ما كانوا يحتمل أن تكون مصدريه والظاهر أنها بمعنى الذى والضمير محذوف أى يكسبون من البيوت الوثيقة والاموال والعدد بل خروا جائئين هلكى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق وان الساعة آتية فاصفح الصفح الجميل ان ربك هو الخلاق العليم ولقد آتيناك سبعا من المثنى والقرآن العظيم لا تمدن عينيك الى مامتعنا به أزواجهم ولا تحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين وقول انى أنا النذير المبين كما أنزلنا على المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين انا كفيناك المستهزئين الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف يعادون ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن من

والجناحان من ابن آدم جانباه ثم أمره بأن يبلغ أنه النذير الكاشف لكم ما جئت به اليكم من تعذيبكم ان لم تؤمنوا كما أنزلنا على المقتسمين يحتمل وجهين أحدهما أن يكون متعلقا بقوله تعالى ولقد آتيناك أى أنزلنا عليك مثل ما أنزلنا على المقتسمين القرآن فنسبوه الى سحر وكذب واقتراء ومعنى عضين أى فراقوا الثانى أن يكون متعلقا بقوله انى أنا النذير

المبين أى انذارك مثل انذار المقتسمين قال الزمخشري فيه وجهان أحدهما أن يتعلق بقوله ولقد آتيناك أى أنزلنا عليك مثل ما أنزلنا على أهل الكتاب وهم المقتسمون الذين جعلوا القرآن عضين حيث قالوا بعنادهم وعداوتهم بعضه حق موافق للتوراة والانجيل وبعضه باطل مخالف لها فافتسدوا الى حق وباطل وعضوه وقيل كانوا يستهزئون به فيقول بعضهم سورة البقرة لى ويقول آخر سورة آل عمران لى ويجوز أن يراد بالقرآن ما يقرؤنه من كتبهم وقد اقتسموه بتحريفهم وبأن اليهود أقرت ببعض التوراة وكذبت ببعض والنصارى أقرت ببعض الانجيل وكذبت ببعض وهذه تسليمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن صنيع قومه بالقرآن وتكذيبهم وقولهم سحر وشعر وأساطير الاولين بأن غيرهم من الكفرة فعلوا بغيره من الكتب نحو فعلهم والثانى أن يتعلق بقوله وقول انى أنا النذير المبين أى وأنذر قريشا مثل ما أنزلنا من العذاب على المقتسمين يعنى اليهود وهو ما جرى على قريظة والنضير جعل المتوقع بمنزلة الواقع وهو من الاعجاز لأنه اخبار بما سيكون وقد كانت ويجوز أن يكون الذين جعلوا القرآن عضين منصوبا بالنذير أى أنذر العظيمة الذين يجزؤن القرآن الى شعر وسحر وأساطير مثل ما أنزلنا على المقتسمين وهم الاثنا عشر الذين اقتسموا مداخل مكة أيام الموسم فقعدهوا فى كل مدخل متفرقين لينفروا الناس عن الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بعضهم لا تغتروا بالخارج منافاته ساحر ويقول الآخر كذاب ويقول الآخر شاعر فأهلكهم الله يوم بدر وقتلهم باقيات

كالوليد بن المغيرة والعاصي بن وائل والاسود بن المطلب وغيرهم أو مثل ما أنزلنا على الرهط الذين تقاسموا على أن يبيتوا صالحا عليه السلام والاققسام بمعنى التقاسم * فان قلت اذا علققت قوله كما أنزلنا بقوله ولقد آتيناك فاعني توسط الامن الى آخره قلت لما كان ذلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن تكذيبهم وعدوانهم اعترض بما هو مدد لمعنى التسلية من النهي عن الالتفات الى دنياهم والتأسف على كونهم ومن الأمر بأن يقبل (٤٦٥) بمجامعهم على المؤمنين انتهى أما الوجه الأول وهو تعلق كما

بآتيناه قد كره أبو البقاء على تقدير وهو أن يكون في موضع نصب نعمتا المصدر محذوف تقديره آتيناه سبعا من المثاني ايتاء كما أنزلنا أو انزالا كما أنزلنا لان آتيناه بمعنى أنزلنا عليك وأما قوله ان المقتسمين هم أهل الكتاب فهو قول الحسن ومجاهد ورواه الخوفي عن ابن عباس وأما قوله اقتسموا لقرآن فهو قول ابن عباس فيارواه عنه سعيد بن جبير وأما قوله اقتسموه فقال بعضهم سورة البقرة الى آخره فقال عكرمة وقال السدي هم الاسود بن عبد المطلب والاسود بن عبد يغوث والوليد والعاصي والحارث بن قيس ذكروا القرآن فن قائل البعوض الى ومن قائل النمل ومن قائل لنباب الى وآخر العنكبوت الى استهزاء فأهلككم الله جميعهم وأما قوله ان القرآن عبارة عما يقرؤنه من كتبهم

الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين * الا بالحق أى خلقا ملتبسا بالحق لم يخلق شئ من ذلك عبثا ولا هملابل ليطيع من أطاع بالتفكير في ذلك الخلق العظيم وليتذكر النشأة الآخرة بهذه النشأة الأولى ولذلك نبه من يتنبه بقوله وان الساعة آتية فيجازى من أطاع ومن عصى ثم أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بالصفح وذلك يقتضى المهادة وهى منسوخة بآية السيف قاله قتادة وأظهار الحكم عنهم والاعضاء لهم ولما ذكر خلق السموات والارض وما بينهما قال ان ربك هو الخلاق أى بصفة المبالغة لكثرة ما خلق أو الخلاق من شاء لما شاء من سعادة أو شقاوة * وقال الزمخشري الخلاق الذى خلقك وخلقهم وهو العليم بحالك وحالمهم فلا يخفى عليه ما يجرى بينكم أو ان ربك هو الذى خلقكم وعلم ما هو الاصلح لكم وقد علم أن الصفح اليوم أصلح الى أن يكون السيف أصلح * وقرأ زيد بن على والجحدري والاعمش ومالك بن دينار هو الخالق وكذا فى مصحف أبي وعثمان من المثاني والمثاني جمع مثناة والمثنى كل شئ يثنى أى يجعل اثنين من قولك ثبتت الشئ ثنيا أى عطفته وضعت اليه آخر ومنه يقال لركبتي الدابة وهى رفيقه مثانى لانه يثنى بالفتح والعضد ومثانى الوادى معاطفه فتقول سبعا من المثاني مفهوم سبعة أشياء من جنس الأشياء التى تثنى وهذا مجمل ولا سبيل الى تعيينه الا بدليل منفصل * قال ابن مسعود وابن عباس وابن عمر ومجاهد وابن جبير السبع هنا هى السبع الطوال البقرة * وآل عمران * والنساء * والمائدة * والانعام * والاعراف * والانفال وبراءة * لانهم فى حكم سورة ولذلك لم يفصل بينهما بالتسمية وسميت الطوال مثانى لان الحدود والفرائض والآمال ثبتت فيها قاله ابن عباس وعلى قوله من لبيان الجنس * وقيل السابعة سورة يونس قاله ابن جبير * وقيل براءة وحدها قاله أبو مالك والمثانى على قول هؤلاء وابن عباس فى قوله المتقدم القرآن كما قال تعالى كتابا متشابها مثانى وسمى بذلك لان القصص والاخبار تثنى فيه وتردد * وقيل السبع آل جيم أو سبع صحائف وهى الاسباع * وقيل السبع هى المعانى التى أنزلت فى القرآن أمر ونهى وبشارة وانذار وضرب أمثال وتعداد النعم واخبار الأمم قاله زيد بن أبي هريرة * وقال عمرو بن مسعود وابن عباس أيضا والحسن وأبو العالية وابن أبي مليكة وعبيد بن عمير وجماعة السبع هنا هى آيات الحمد * قال ابن عباس وهى سبع بسم الله الرحمن الرحيم * وقال غير سبع دون السبعة * وقال أبو العالية لقد نزلت هذه السورة وما نزل من السبع الطوال شئ ولا ينبغي أن يعدل عن هذا القول بل لا يجوز العدول عنه لما فى حديث أبي في آخره هى السبع المثاني وحديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انها السبع المثاني وأم القرآن وفاتحة الكتاب وسميت بذلك لانها تثنى فى كل ركعة * وقيل لانها تثنى بها على الله تعالى جوزه الزاج * قال ابن عطية وفى هذا القول من جهة التصريف نظر انتهى ولا نظر فى ذلك لانها جمع مثنى بضم الميم مفعول من أثنى رباعيا أى مقرر

(٥٩ - تفسير البحر المحيط لأبى حيان - خامس) الى آخره فقال مجاهد وأما قوله ولا يجوز أن يكون الذين جعلوا القرآن عشرين منصوبا بالنذر أى أنذر العظيمة فلا يجوز أن يكون منصوبا بالنذر كما ذكر لأنه موصوف بالمبين ولا يجوز أن يعمل اذا وصف قبل ذكر المعمول على مذهب البصريين لا يجوز هنا علم شجاع علم النحوف فصل بين علم وعلم بقولك شجاع وأجاز (الدر) (ح) جوز الزجاج أن يكون أم القرآن سميت السبع المثاني لانها تثنى بها على الله تعالى (ع) وفى هذا القول

ذلك الكوفيون وهي مسألة خلافية ذكرت دلائلها في علم النحو وأما قوله الذي يجزئ القرآن إلى شعر وسحر وأساطير فمروي عن قتادة لأنه قال بدل شعر كهانة وأما قوله الذين اقتسموا (٤٦٦) مداخل مكة فهو قول السائب وفيه أن الوليد بن المغيرة قال

ثناء على الله تعالى أي فيها ثناء على الله تعالى * وقال ابن عباس لأن الله استثنى هذه الأمة ولم يعطها لغيرها وقال نحوه ابن أبي مليكة وعلى هذا التفسير الوارد في الحديث تكون من لبيان الجنس كأنه قيل التي هي المثاني وكذا في قول من جعلها أسباع القرآن أو سبع المعاني وأما من جعلها السبع الطوال أو آل حميم فمن التبعية وكذا في قول من جعل سبع الفاتحة والمثاني القرآن * قال الزمخشري يجوز أن تكون كتب الله كلها مثاني لأنها تثنى عليه ولما فيها من المواعظ المكررة ويكون القرآن بعضها * وقرأ الجمهور والقرآن العظيم بالنصب فإن عني بالسبع الفاتحة أو السبع الطوال لكان ذلك من عطف العام على الخاص وصار الخاص مذكورا صريحا أحدهما بجهة الخصوص والأخرى بجهة العموم أولان مادون الفاتحة أو السبع الطوال ينطلق عليه لفظ القرآن اذ هو اسم يقع على بعض الشيء كما يقع على كله وإن عني الأسباع فهو من باب عطف الشيء على نفسه من حيث أن المعنى ولقد آتيناك ما يقال له السبع المثاني والقرآن العظيم أي الجامع لهذين المعنيين وهو الثناء والتبني والعظم * وقرأت فرقته والقرآن العظيم بالخفض عطفًا على المثاني وأبعد من ذهب إلى أن الواو مقحمة والتقدير سبعاً من المثاني القرآن العظيم ولما ذكر تعالى ما أنعم به على رسوله صلى الله عليه وسلم من آياته ما آتاهمها وقد قلنا إن النهي لا يقتضي الملازمة ولا المقاربة عن طموح عينه إلى شيء من متاع الدنيا وهذا وإن كان خطاباً للرسول صلى الله عليه وسلم فالعني نهي أمته عن ذلك لأن من أوتي القرآن شغله النظر فيه وامتناع تكاليفه وفهم معانيه عن الاشتغال بزهرة الدنيا ومد العين للشيء إنما هو لاستحسانه وإيثاره * وقال ابن عباس أي لا تمن ما فضلنا به أحداً من متاع الدنيا أزواجهم أي رجالاً مع نسائهم أو أمثالاً في النعم وأصنافاً من اليهود والنصارى والمشركين أقوال ونهاه تعالى عن الحزن عليهم إن لم يؤمنوا وكان كثير الشفقة على من بعث إليه وإذا أن يؤمنوا بالله كلهم فكان يلحقه الحزن عليهم نهاه تعالى عن الحزن عن لم يؤمن وأمره بخفض جناحه لمن آمن وهي كناية عن التلطف والرفق وأصله أن الطائر إذا ضم الفرخ إليه بسط جناحه ثم قبضه على فرخه والجناحان من ابن آدم جانباه ثم أمره أن يبلغ أنه هو النذير الكاشف لكم ما جئت بآياتكم من تعذيبكم إن لم تؤمنوا وآنزال نعم الله المخوفة بكم * والكافي قال الزمخشري فيه وجهان أحدهما أن يتعلق بقوله ولقد آتيناك أي أنزلنا عليك مثل ما أنزلنا على أهل الكتاب وهم المقتسمون الذين جعلوا القرآن عظيمين حيث قالوا بعنادهم وعدوانهم بعضه حق موافق للتوراة والانجيل وبعضه باطل مخالف لها فاقسموه إلى حق وباطل وعضوه * وقيل كانوا يستهزئون به فيقول بعضهم سورة البقرة لي ويقول الآخرون سورة آل عمران لي ويجوز أن يراد بالقرآن ما يقرؤونه من كتبهم وقد اقتصموا بتكريرهم وبأن اليهود أقرت ببعض التوراة وكذبت ببعض والنصارى أقرت ببعض الانجيل وكذبت ببعض وهذه تسليمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن صنيع قوم بالقرآن وتكذيبهم وقولهم سحر وشعر وأساطير بأن غيرهم من الكفرة فعلوا بغيره من الكتب نحو فعلهم والثاني أن يتعلق بقوله تعالى وقل إني أنا النذير المبين وأنذر قريشاً مثل ما أنزلنا من العذاب على المقتسمين يعني اليهود وهو ما جرى على قريظة والنضير جعل المتوقع منزلة

ليقل بعضكم كاهن
وبعضكم ساحر وبعضكم
غاو وهم حنظلة بن أبي
سفيان وعتبة وشيبة ابنا
ربيعة والوليد بن المغيرة
وأبو جهل والعاص بن
هشام وأبو قيس بن الوليد
وقيس بن الفاكهة وزهير
ابن أمية وهلال بن عبد
الأسود والسائب بن صيفي
والنضر بن الحرث وأبو
البحري بن هشام وزمعة
ابن الحجاج وأميرة بن خلف
وأوس بن المغيرة تقاسموا
(الدر)

من جهة التصريف نظر
(ح) لا نظر في ذلك لأنها
جمع مثني بضم الميم مفعول
من أنشئ رباعياً أي ثناء على
الله تعالى أي فيها ثناء على
الله تعالى كما أنزلنا (ش)
فيه وجهان أحدهما أن
يتعلق بقوله ولقد آتيناك
أي أنزلنا عليك مثل ما
أنزلنا على أهل الكتاب
وهم المقتسمون الذين
جعلوا القرآن عظيمين حيث
قالوا بعنادهم وعدوانهم
بعضه حق موافق للتوراة
والانجيل وبعضه باطل
مخالف لها فاقسموه إلى
حق وباطل وعضوه وقيل

كانوا يستهزئون به فيقول بعضهم سورة البقرة لي ويقول الآخرون سورة آل عمران لي ويجوز أن يراد بالقرآن ما يقرؤونه من كتبهم وقد اقتصموا بتكريرهم وبأن اليهود أقرت ببعض التوراة وكذبت ببعض والنصارى أقرت ببعض الانجيل وكذبت ببعض وهذه تسليمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن صنيع قوم بالقرآن وتكذيبهم وقولهم سحر وشعر وأساطير بأن غيرهم من الكفرة فعلوا بغيره من الكتب نحو فعلهم والثاني أن يتعلق بقوله تعالى وقل إني أنا النذير المبين وأنذر قريشاً مثل ما أنزلنا من العذاب على المقتسمين يعني اليهود وهو ما جرى على قريظة والنضير جعل المتوقع منزلة

على تكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأهلكوا جميعا وأما قوله أنهم الذين تقاسموا على أن يبيتوا صالحا لحاقول عبد الله بن زيد قال ابن عطية والكافي في كتمان متعلقة بفعل محذوف تقديره وقل أني أنا النذير عذابا كالذي أنزلناه على المقتسمين فالكافي اسم في موضع نصب هذا قول المفسرين وهو عندى غير صحيح لأن كماليس هو مما يقوله محمد صلى الله عليه وسلم بل هو من قول الله فينقل الكلام وانما يترتب هذا القول بأن يقدر بأن الله تعالى قال له أنذر عذابا كما والذي أقول في هذا المعنى وقل أني أنا النذير المبين كما قال قبلك رسلنا وأنزلنا عليهم كما أنزلنا عليك ويحتمل أن يكون المعنى وقل أني أنا النذير المبين كما قد أنزلنا في الكتب انك ستأتى نذيرا أو هذا على أن المقتسمين أهل الكتاب انتهى أما قوله وهو عندى غير صحيح الى آخره فقد استعذر بعضهم

(الدر) وكذبت ببعض وهذه تسليمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن صنيع قومه بالقرآن وتكذيبهم وقولهم سحر وشعر وأساطير بان غيرهم من الكفرة فعلاوا بغيره من الكتب نحو فعلهم والثاني أن يتعلق بقوله وقل أني أنا النذير المبين أى وأنذر قريشاً مثل ما أنزلنا من العذاب على المقتسمين يعنى اليهود وهو ما جرى على قريظة والنضير جعل المتوقع كالواقع وهو من الاعجاز لانه اخبار بما سيكون وقد كان ويجوز أن يكون الذين جعلوا القرآن عشرين منصوبا بالنذير أى أنذر المعصين الذين يجزؤون القرآن الى شعر وسحر وأساطير مثل ما أنزلنا على المقتسمين وهم الاثنا عشر الذين اقتسموا مداخل مكة أيام الموسم ففعدوا في كل مدخل متفرقين لينفروا الناس عن الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بعضهم لا تغتروا باخبار حلفائه سحر ويقول الآخر كذاب ويقول الآخر شاعر فأهلكهم الله يوم بدر وقبله باقات كالوليد بن المغيرة والعاصي بن وائل والاسود بن المطلب وغيرهم أو مثل ما أنزلنا على الرهط الذين تقاسموا على أن يبيتوا صالحا عليه السلام والافتسام بمعنى التقاسم (ش) * فان قلت اذا علق قوله كما أنزلنا بقوله ولقد آتيناك الخامعنى توسط (٤٦٧) لا تمدن عينيك الى آخره بينهما * قلت لما كان ذلك تسليمة

رسول الله صلى الله عليه وسلم

عن تكذيبهم وعداوتهم

اعترض بما هو مدلى معنى

التسليمة من النهى عن

الواقع وهو من الاعجاز لانه اخبار بما سيكون وقد كان ويجوز أن يكون الذين جعلوا القرآن عشرين منصوبا بالنذير أى أنذر المعصين الذين يجزؤون القرآن الى شعر وسحر وأساطير مثل ما أنزلنا على المقتسمين وهم الاثنا عشر الذين اقتسموا مداخل مكة أيام الموسم ففعدوا في كل مدخل

الالتفات الى دنياهم والتأسف على كفرهم ومن الامر بأن يقبل بمجامعة على المؤمنين (ح) أما الوجه الاول وهو تعلق كما آتينا فذكره أبو البقاء على تقدير وهو أن يكون في موضع نصب نعتا لمصدر محذوف تقديره آتينا سبعة من المثاني آتينا كما أنزلنا أو انزالا كما أنزلنا الان آتيناك بمعنى أنزلنا عليك وأما قوله ان المقتسمين هم أهل الكتاب هو قول الحسن ومجاهد ورواه العوفي عن ابن عباس وأما قوله اقتسموا القرآن هو قول ابن عباس فيارواه عنه سعيد بن جبير وأما قوله اقتسموا فقال بعضهم سورة البقرة الى آخره فقالهم عكرمة وقال السدي هم الاسود بن عبد المطلب والاسود بن عبد يغوث والوليد بن المغيرة والحرث بن قيس ذكروا القرآن فن قائل البعوض لى ومن قائل النمل لى ومن قائل الذباب لى وآخر العنكبوت لى استهزاء فأهلك الله جميعهم وأما قوله ان القرآن عبارة عما كفروا به من كتبهم الى آخره فقالهم مجاهد وأما قوله ويجوز أن يكون الذين جعلوا القرآن عشرين منصوبا بالنذير أى أنذر المعصين فلا يجوز أن يكون منصوبا بالنذير كما ذكرناه موصوف بالمبين ولا يجوز له أن يعمل اذا وصف قبل ذكر المعمول على مذهب البصريين لا يجوز هذا عليهم شجاع علم النحو فيفصل بين علم وعلم بقوله شجاع وأجاز ذلك الكوفيون وهى مسألة خلافية تذكر دلائلها في علم النحو وأما قوله الذين يجزؤون القرآن الى شعر وسحر وأساطير فروى عن قتادة الا أنه قال بدل شعر كهانة وأما قوله الذين اقتسموا مداخل مكة فهو قول ابن السائب وفيه ان الوليد بن المغيرة قال لبقل بعضكم كاهن وبعضكم ساحر وبعضكم شاعر وبعضكم غار وهم حنظلة بن أبي سفيان وعتبة وشيبة بناربيعة والوليد بن المغيرة وأبو جهل والعاصي بن هشام وأبو قيس بن الوليد وقيس بن الفاكه وزهير بن أمية وهلال بن عبد الاسود وأوس بن المغيرة والسائب بن صيفى والنضر بن الحرث وأبو البختري بن هشام وزمعة بن الحجاج وأميمة بن خلف تقاسموا على تكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأهلكوا جميعا وأما قوله أنهم الذين تقاسموا على أن يبيتوا صالحا لحاقول عبد الله بن زيد (ع) والكافي من قوله كما متعلقة بفعل محذوف تقديره وقل أني أنا النذير عذابا كالذي أنزلنا على المقتسمين فالكافي اسم في موضع نصب هذا قول المفسرين وهو عندى غير صحيح لأن كماليس مما يقوله محمد صلى الله عليه وسلم بل هو من قول الله تعالى فينقل

عن ذلك فقال الكافي متعلقة بمحذوف دل عليه المعنى تقديره أنا النذير بعذاب مثل ما أنزلنا وإن كان المنزل الله كما يقول بعض خواص الملك أمرنا بكذا وإن كان الملك هو الأمر وأما قوله والذي أقوله في هذا المعنى إلى آخره فكلام مشج ولعله من الناسخ ولعله أن يكون وأنزلنا عليك كما أنزلنا عليهم * (عضين) جمع عضة وهو جمع لا ينقاس جمع بالواو رفعوا بالياء نصبا وجرا ولامه أصلها واو أو هاء يقال عضيت تعضية أي فرقت (٤٦٨) وكل فرقة عضة يقولون لسا حرا عاضه وللساحرة عاضة والضمير

في لنسألهم يظهر عوده على المقتسمين وهو وعيد وسؤال تفرع * فاصدع بما تؤمر * الصدع الشق وتصدع القوم تفرقوا وصدعته فاصدع أي شققته فانشق وقال مؤرج اصدع أفصل وقال ابن الأعرابي اصد وما في بما موصولة بمعنى الذي والعائد عليها محذوف تقديره أمرته أي به وأمره يتعدى إلى اثنين أحدهما بنفسه والآخر بحرف الجر ويجوز حذفه وقد جمع الشاعر بينهما قال * أمرتك الخير فافعل ما أمرت به فقد نزلت كذا مال وذا نسب *

والمفعول الأول في الآية هو ضمير المخاطب المستكن في تومر والثاني الهاء المحذوفة العائدة على ما (الدر)

الكلام وانما يقرب هذا القول بأن يقدر أن الله

متفرقين لينفروا الناس عن الإيمان برسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بعضهم لا تغتروا بالخارج منافاه ساحر ويقول الآخر كذاب والآخر شاعر فأهلكهم الله تعالى يوم بدر وقبله بآفات كالوليد بن المغيرة والعاصي بن وائل والأسود بن المطلب وغيرهم أو مثل ما أنزلنا على الرهط الذين تقاسموا على أن يبيتوا صالحا عليه السلام والاقتسام بمعنى التقاسم (فان قلت) إذا علققت قوله كما أنزلنا بقوله ولقد آتيناك فما معنى توسط لا تمدن إلى آخره بينهما (قلت) لما كان ذلك تسليية للرسول صلى الله عليه وسلم عن تكذيبهم وعداوتهم اعترض بما هو مدد لمعنى التسليية من النهي عن الالتفات إلى دنياهم والتأسف على كفرهم ومن الأمر بأن يقبل بمجامعهم على المؤمنين انتهى أما الوجه الأول وهو تعلق كما آتيناك فذكره أبو البقاء على تقدير وهو وأن يكون في موضع نصب نعنا المصدر محذوف تقديره آتيناك سبعاً من المثاني ابتداء كما أنزلنا أو أنزالا كما أنزلنا لأن آتيناك بمعنى أنزلنا عليك وأما قوله أن المقتسمين هم أهل الكتاب فهو قول الحسن ومجاهد ورواه العوفي عن ابن عباس وأما قوله اقتسموا القرآن فهو قول ابن عباس فيما رواه عنه سعيد بن جبير وأما قوله اقتسموا فقال بعضهم سورة البقرة وبعضهم سورة آل عمران الخ فقال عكرمة وقال السدي هم الأسود بن عبد المطلب والأسود بن عبد يغوث والوليد والعاصي والحارث بن قيس ذكروا القرآن فن قائل البعوض لى ومن قائل النمل لى وقائل الذباب لى وقائل العنكبوت لى استهزاء فأهلك الله جميعهم * وأما قوله أن القرآن عبارة عما يقرؤنه من كتبهم إلى آخره فقال مجاهد * وأما قوله ويجوز أن يكون الذين جعلوا القرآن عضين منصوباً بالنذير أي أنذر المعضين فلا يجوز أن يكون منصوباً بالنذير كما ذكرناه موصوف بالمبين ولا يجوز أن يعمل إذا وصف قبل ذكر المعمول على مذهب البصريين لا يجوز هذا علم شجاع علم النحو فتفصل بين علم وعلم بقوله شجاع وأجاز ذلك الكوفيون وهى مسألة خلافية تذكر دلالتها في علم النحو * وأما قوله الذين يجزؤون القرآن إلى سحر وشعر وأساطير فروى عن قتادة أنه قال بدل شعر كهانة * وأما قوله الذين اقتسموا ما داخل مكة فهو قول السائب وفيه أن الوليد بن المغيرة قال ليقل بعضكم كاهن وبعضكم ساحر وبعضكم شاعر وبعضكم غاو وهم حنظلة بن أبي سفيان وعتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن المغيرة وأبو جهل والعاصي بن هشام وأبو قيس بن الوليد وقيس بن الفاكه وزهير بن أمية وهلال ابن عبد الأسد والسائب بن صيفي والنضر بن الحارث وأبو البحتري بن هشام وزمعة بن الحجاج وأممية بن خلف وأوس بن المغيرة تقاسموا على تكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأهلكوا جميعاً * وأما قوله انهم الذين تقاسموا أن يبيتوا صالحاً فهو قول عبد الله بن زيد * وقال ابن عطية

تعالى قال له أنذر عذابي كما والذي أقول في هذا المعنى وقل أنا النذير المبين كما قال قتلة رسلنا وأنزلنا عليهم كما أنزلنا عليك ويحتمل أن يكون المعنى وقل أنى أنا النذير المبين كما قد أنزلنا في الكتب أنك ستأتى نذيراً وهذا على أن المقتسمين أهل الكتاب انتهى (ح) أما قوله وهو عندي غير صحيح إلى آخره فقد استعذر بعضهم عن ذلك فقال الكافي متعلقة بمحذوف دل عليه المعنى تقديره أنا النذير بعذاب مثل ما أنزلنا وإن كان الملك أمرنا بكذا وإن كان الملك هو الأمر وأما قوله والذي أقول في هذا المعنى إلى آخره فكلام مشج ولعله من الناسخ ولعله أن يكون وأنزلنا عليهم

الموصولة قال الزمخشري ويجوز أن تكون ما مصدرية أي بأمر المصدر من المبني المفعول انتهى هذا ينبغي على مذهب من
يجوز أن يكون المصدر يراد به أن والفعل المبني للمفعول والصحيح أن ذلك لا يجوز ثم أخبره تعالى أنه كفاه المستهزئين بمصائب
أصابتهم لم يسع فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم (٤٦٩) ولا تكلف لها مشقة قال عروة وابن جبير هم خمسة

الوليد بن المغيرة والعاصي
ابن وائل والأسود بن
الطلب وأبو زمعة
والأسود بن عبد يغوث
ومن بني خزاعة الحرث
ابن الطلائع * فسوف
يعلمون * وعيد لهم
بالمجازاة على استهزائهم
وجعلهم إلهام مع الله في
الآخرة كما جوزوا في
الدنيا وكفى بالصدر عن
القلب لانه محله وجعل
سبب الضيق ما ينطقون
به من الاستهزاء والطعن
فيما جاء به ثم أمره تعالى
بتنزيهه عما نسبوه اليه من
اتخاذ الشريك معه
مصحو باجمده والثناء عليه
على ما أسدى اليه من نعمة
النبوة والرسالة والتوحيد
وغيرها من النعم فهذا في
المعتقد والفعل القلب
وأمره بكونه من الساجدين
والمراد أنه من المصلين
وكفى بالسجود عن الصلاة
وهي أشرف أفعال الجسد
وأقرب ما يكون العبد
من ربه وهو ساجد ثم
أمره تعالى بالعبادة التي
هي شاملة لجميع أنواع

والكاف من قوله كما متعلقة بفعل محذوف تقديره وقل أني أنا النذير عذابا كالذي أنزلنا على
المقتسمين فالكاف اسم في موضع نصب هذا قول المفسرين وهو عندي غير صحيح لان كالمس مما
يقوله محمد صلى الله عليه وسلم بل هو من قول الله تعالى فينفضل الكلام وانما يترتب هذا القول بأن
يقدر ان الله تعالى قال له أنذر عذابا كما والذي أقول في هذا المعنى وقل أنا النذير المبين كما قال
قبلك رسلنا وأنزلنا عليهم كما أنزلنا عليك ويحتمل أن يكون المعنى وقل أني أنا النذير المبين كما قد
أنزلنا في الكتب أنك ستأتي نذيرا وهذا على أن المقتسمين أهل الكتاب انتهى * أما قوله وهو
عندي غير صحيح الى آخره فقد استعذر بعضهم عن ذلك فقال الكاف متعلقة بمحذوف دل عليه المعنى
تقديره أنا النذير بعذاب مثل ما أنزلنا وان كان المنزل الله كما يقول بعض خواص الملك أمرنا بكذا
وان كان الملك هو الأمر * وأما قوله والذي أقول في هذا المعنى الى آخره فكلام مشج ولعله من
الناسخ ولعله أن يكون وأنزلنا عليك كما أنزلنا عليهم * وقال أبو البقاء وقيل التقدير متعناهم
تمتعا كما أنزلنا والمعنى متعنا بعضهم كما عذبنا بعضهم * وقيل التقدير انذار مثل ما أنزلنا انتهى *
وقيل الكاف زائدة التقدير أنا النذير المبين ما أنزلنا على المقتسمين هذه أقوال وتوجيهات متكلفة
والذي يظهر لي انه تعالى لما أمره بان لا يحزن على من لم يؤمن وأمره بخفض جناحه للمؤمنين أمره
أن يعلم المؤمنين وغيرهم انه هو النذير المبين لللائظن المؤمنون انهم لما أمر عليه الصلاة والسلام
بخفض جناحه لهم خرجوا من عهد النذارة فأمره تعالى بأن يقول لهم اني أنا النذير المبين لكم
ولغيركم كما قال تعالى انما أنت منذر من يخشاها وتكون الكاف لغة المصدر محذوف تقديره وقل
قولا مثل ما أنزلنا على المقتسمين أنك نذير لهم فالقول للمؤمنين في النذارة كالقول للكفار
المقتسمين لللائظن انذارك للكفار مخالف لانذار المؤمنين بل أنت في وصف النذارة لهم بمنزلة
واحدة تنذر المؤمنين كما تنذر الكافرين كما قال تعالى نذير وبشير لقوم يؤمنون والظاهر ان
الذين صفة للمقتسمين وجوزوا أن يكون خبر مبتدأ محذوف ويجوز أن يتصب على الذم وتقدم
تجوز الزمخشري له أن يكون مفعولا بالنذير فهو ربك أقسم تعالى بذاته ورب بيته مضافا الى
رسوله على جهة التشريف والضمير في لئسألهم يظهر عوده على المقتسمين وهو وعيد من سؤال
تقريع ويقال انه يعود على الجميع من كافر ومؤمن اذ قد تقدم ذكرهما والسؤال عام للخلق
ويجوز أن يكون السؤال كناية عن الجزاء وعن ما كانوا يعملون عام في جميع الاعمال * وقال
أبو العالية يسأل العباد عن حالتين عن ما كانوا يعبدون وعن ما أجابوا المرسلين وقال ابن عباس
يقال لهم لم علمتم كذا قال أنس وابن عمر ومجاهد السؤال عن لاله الا الله وذ كره الزهراوى عن
النبي صلى الله عليه وسلم واذا ثبت ذلك فيكون المعنى عن الوفاء بلا إله الا الله والصدق لمقالها كما
قال الحسن ليس الايمان بالتعالى ولا الدين بالتمنى ولكن ما وفر في القلوب وصدقته الاعمال * وقال
ابن عباس فاصدع بما تؤمر امض به * وقال الكاكي اجهر به وأظهره من الصديق وهو الفجر

ما يتقرب اليه تعالى وهذه الأوامر معناها دم على كذا لأنه عليه السلام مازال متلبسا بها أى دم على التسبيح والسجود والعبادة
والجهور على أن المراد باليقين الموت أى ما دمت حيا فلا تخل بالعبادة وقيل ليس اليقين من أسماء الموت وانما العلم به يقين لا يمتري
فيه عاقل فسمى يقينا تجوزا أى يأتيك الأمر اليقين علمه ووقوعه

قال الشاعر * كأن بياض غرته صديع * وقال السدي تكلم بما تؤمر * وقال ابن زيد أعلم بالتبليغ * وقال ابن بحر جرد لهم القول في الدعاء إلى الإيمان * وقال أبو عبيدة عن رؤبة ما في القرآن أغرب من قوله فاصدع بما تؤمر وما في ما بمعنى الذي والمفعول الثاني محذوف تقديره بما تؤمره وكان أصله تؤمر به من الشرائع فحذف الحرف فتعدى الفعل إليه * وقال الأخفش ما موصولة والتقدير فاصدع بما تؤمر بصدعه فحذف المضاف ثم الجار ثم الضمير * وقال الزمخشري ويجوز أن تكون ما مصدرية أي بأمر المصدر من المبنى للمفعول انتهى وهذا ينبنى على مذهب من يجوز أن المصدر يراد به أن والفعل المبني للمفعول والصحيح أن ذلك لا يجوز وأعرض عن المشركين من آيات المهادنات التي نسخها آية السيف قاله ابن عباس ثم أخبره تعالى أنه كفاه المستهزئين بمصائب أصابتهم لم يسع فيها الرسول ولا تكاف لها مشقة * قال عروة وابن جبير هم خمسة الوليد بن المغيرة والعاصي بن وائل والأسود بن المطالب وأبوزمعة والأسود بن عبد يغوث ومن بنى خزاعة الحرث بن الطلائمة * قال أبو بكر الهذلي قلت للزهري إن ابن جبير وعكرمة اختلفا في رجل من المستهزئين فقال ابن جبير هو الحرث بن عيطلة وقال عكرمة هو الحرث بن قيس فقال الزهري صدقا انه عيطلة وأبوه قيس وذكر الشعبي في المستهزئين هبار بن الأسود وذلك وهم لان هبارا أسلم يوم الفتح ورحل إلى المدينة * وعن ابن عباس ان المستهزئين كانوا ثمانية وفي رواية مكان الحرث بن قيس عدي بن قيس * وقال الشعبي وابن أبي بزة كانوا سبعة قد ذكر الوليد والحرث بن عدي والأسودين والاثرم وبعكك ابني الحرث بن السباق وكذا قال مقاتل لأنه قال مكان الحرث بن عدي الحرث بن قيس السهمي وذكر المفسرون والمؤرخون ان جبريل عليه السلام قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أكفيكم فأمأ إلى ساق الوليد فخر بنبال فتعلق بثوبه سهم فثبته الكبر أن يطامن لنزعه فاصاب عرقا في عقبه قال قتادة ومقسم وهو الاكل فقطعه ذات وأمأ إلى أخمص العاصي فدخلت فيه شوكة * وقيل ضربته حية فانتفخت رجله حتى صارت كالرحى ومات وأمأ إلى عيني الأسود بن المطالب فعمى وهلك وأشار إلى أنف الحرث بن قيس فامتخط قبحا ذات * وقيل أصابته سموم فأسود حتى صار كأنه حبشي فأتى أهلهم فلم يعرفوه وأغلقتوا الباب في وجهه فصار يطوف في شعاب مكة حتى مات وفي بعض ما أصاب هؤلاء اختلاف والله أعلم * وقال مقاتل أصاب الاثرم أو بعككا الدبيلة والآخرد ذات الجنب فأتا فسوف يعاينون وعيد لهم بالمجازاة على استهزائهم وجه لهم الهامع الله في الآخرة كما جوزوا في الدنيا وكفى بالصدر عن القلب لانه محله وجعل سبب الضيق ما يقولون وهو ما ينطقون به من الاستهزاء والطعن فيما جاء به ثم أمره تعالى بتنزيهه عن ما نسبوا اليه من اتخاذ الشريك معه مصححو بالحمده والثناء على ما أسدى اليه من نعمة النبوة والرسالة والتوحيد وغيره من النعم فهنا في المعتقد والفعل القلب وأمره بكونه من الساجدين والمراد والله أعلم من المصلين فكفى بالسجود عن الصلاة وهي أشرف أفعال الجسد وأقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد ولما كان الصادر من المستهزئين اعتقادا وهو فعل القلب وقولا وهو ما يقولون في الرسول وما جاء به وهو فعل جارحة أمر تعالى بما يقابل ذلك من التنزيه لله ومن السجود وهما جامعان فعل القلب وفعل الجسد ثم أمره تعالى بالعبادة التي هي شاملة لجميع أنواع ما يتقرب بها إليه تعالى وهذه الأوامر معناها دم على كذا لانه صلى الله عليه وسلم مازال متلبسا بها أي دم على التسبيح والسجود والعبادة والجهور على أن المراد باليقين الموت

(الدر)

(ش) ويجوز أن تكون ما مصدرية أي بأمر المصدر من المبنى للمفعول انتهى (ح) وهذا ينبنى على مذهب من يجوز أن يكون المصدر يراد به أن والفعل المبني للمفعول والصحيح أن ذلك لا يجوز

أى مادمت حيا فلا تخل بالعبادة وهو تفسير ابن عمر ومجاهد والحسن وقتادة وابن زيد ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في عثمان بن مظعون عند موته أما هو فقد رأى اليقين ويرى فقد جاءه اليقين وليس اليقين من أسماء الموت وإنما العلم به يقين لا يمتري فيه عاقل فسمى يقينا تجوز أى يأتيك الأمر اليقين عامه ووقوعه * وقال ابن عطية ويحتمل أن يكون المعنى حتى يأتيك اليقين في النصر الذي وعدته انتهى وقاله ابن جرير قال اليقين النصر على الكافرين انتهى وحكمة التغمية باليقين وهو الموت انه يقتضى ديمومة العبادة مادام حيا بخلاف الاقتصار على الأمر بالعبادة غير مغيا لانه يكون مطلقا فيكون مطيعا بالمرة الواحدة والمقصود أن لا يفارق العبادة حتى يموت

﴿ سورة النحل مائة وثمان وعشرون آية مكية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ أتى أمر الله فلا تستعجلوه سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾ ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا اله الا أنا فاتقون * خلق السموات والارض بالحق تعالى عما يشركون * خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين * والانعام خلقها لكم فيها دفع ومنافع ومنها تأكلون * ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون * وتحمل أثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس ان ربكم لرؤف رحيم * والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون * وعلى الله قصد السبيل ومنها جائز ولو شاء لهداكم أجمعين * هو الذى أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون * ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والعناب ومن كل الثمرات ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون * وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون * وما ذرأكم فى الارض مختلفا لو انه ان فى ذلك لآية لقوم يذكرون * وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتسخر جوامه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون * وألقى فى الارض رواسى أن تمدبكم وأنهارا وسبلا لعلكم تهتدون * وعلامات وبالنجم هم يهتدون * أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون * وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الله لغفور رحيم * والله يعلم ما تسرون وما تعلنون * والذى يدعون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون * أموات غير أحياء وما يشعرون آيات يبعثون * الهكم اله واحد فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون * لاجرم أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون انه لا يحب المستكبرين * واذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين * ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ألا ساء ما يزرون * قدمكر الذين من قبلهم فأتى الله بنبيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون * النطفة القطرة من الماء نطف رأسه ماء أى قطر * الدفء اسم لما يدفأ به أى يسخن وتقول العرب دفء يومنا فدفىء اذا حصلت فيه سخونة تزيل البرد ودفىء الرجل دفءا ودفأ وجع الدفء أدفأ ورجل دفآن وامرأة دفأى والدفئة الابل الكثيرة الاوبار لا دفءا بعضا بعضا بأنفسها وقد تشددت عن الأصمى الدفئة الكثيرة الاوبار والشحوم * وقال الجوهري الدفء نتاج الابل والبانها وما ينتفع به منها * البغل معروف ولعمرو بن بحر الجاحظ كتاب البغال * الحمار معبروف يجمع فى القلة على أحمر وفى الكثرة على

﴿ سورة النحل ﴾
﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ أنى أمر الله فلا تستعجلوه ﴾ هذه السورة مكية كلها وقيل الا ثلاث آيات فانها مدنية ووجه ارتباطها بما قبلها أنه تعالى لما قال فوربك لنسألنهم أجمعين كان ذلك تنبيها على حشرهم يوم القيامة وسؤالهم عما اجتموه في دار الدنيا فقل أنى أمر الله وهو يوم القيامة على قول الجمهور وعن ابن عباس المراد بالأمر نصر رسول صلى الله عليه وسلم وظهوره على الكفار وأتى قيل باق على معناه من المضى والمعنى أنى أمر الله وعدا فلا تستعجلوه وقوعا قال ابن عباس الروح الوحي ينزل به الملائكة على الانبياء صلى الله عليهم ونظيره قوله يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده وأن مصدرية وهى التى من شأنها أن تنصب المضارع وصلت بالامر كما وصلت في قولهم كتبت اليه بأن قم وهو بدل من الروح أى باندازه وقيل أن تفسيرية بمعنى أى فلا موضع لها من الاعراب قال الزمخشري وأن أنذروا بدل من الروح أى نزلهم بأن أنذروا وتقديره بأنه أنذروا أى بأن الشأن

حمر وهو القياس وعلى حير * الطرى فعيل من طر ويطر وطر اوة مثل سر ويسر سراوة * وقال الفراء طرى يطرى طراء وطر اوة مثل شقى يشقى شقاء وشقاوة * المخرشق الماء من يمين وشمال يقال مخر الماء الأرض * وقال الفراء صوت جرى الفلك بالرياح * وقيل الصوت الذى يكون من هبوب الريح اذا اشتدت وقد يكون من السفينة ونحوها * ماد تحرك ودار * السقف معروف وجمع على سقوف وهو القياس وعلى سقف وسقف وفعل وفعل محفوظان في فعل وليساه قيسين فيه * أنى أمر الله فلا تستعجلوه سبحانه وتعالى عما يشركون * ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا إله الا أنا فاتقون * خلق السموات والأرض بالحق تعالى عما يشركون * خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين * والأنعام خلقها لكم فيها دافء ومنافع ومنهاتا تكون * ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون * وتحمل أثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بسبق الأنفس ان ربكم لرؤف رحيم * والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون * وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم أجمعين * قال الحسن وعطاء وعكرمة وجابر هى كلها مكية * وقال ابن عباس الا ثلاث آيات منها نزلت بالمدينة بعد حجرة وهى قوله ولا تشعروا بعهد الله ثمنا قليلا الى قوله بأحسن ما كانوا يعملون * وقيل الا ثلاث آيات وان عاقبتكم الآية نزلت في المدينة في شأن التمثيل بحمزة وقيل أحد وقوله واصبر وما صبرك الا بالله وقوله ثم ان ربك للدين حاك * وقيل من أولها الى قوله يشركون مدنى وما سواه مكى وعن قتادة عكس هذا ووجه ارتباطها بما قبلها أنه تعالى لما قال فوربك لنسألنهم أجمعين كان ذلك تنبيها على حشرهم يوم القيامة وسؤالهم عما اجتموه في دار الدنيا * فقل أنى أمر الله وهو يوم القيامة على قول الجمهور وعن ابن عباس المراد بالأمر نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم وظهوره على الكفار * وقال الزمخشري كانوا يستعجلون ما وعدوا من قيام الساعة أو نزول العذاب بهم يوم بدر استهزاء وتكديبا بالوعد انتهى وهذا الثانى قاله ابن جريج قال الأمر هنا ما وعد الله نبيه من النصر وظفره بأدائه وانتقامه منهم بالقتل والسبي ونهب الاموال والاستيلاء على منازلهم وديارهم * وقال الضحاك الأمر هنا مصدر أمر والمراد به فرائضه وأحكامه * قيل وهذا فيه بعدلانه لم ينقل ان أحدا من الصحابة استعجل فرائض من قبل أن تفرض عليهم * وقال الحسن وابن جريج أيضا الأمر عقاب الله لمن أقام على الشرك وتكذيب الرسول واستعجال العذاب منقول عن كثير من كفار قريش وغيرهم وقريب من هذا القول قول الزجاج هو ما وعدهم به من المجازاة على كفرهم * وقيل الأمر بعض أشرط الساعة وأتى قيل باق على معناه من المضى والمعنى أنى أمر الله وعدا فلا تستعجلوه وقوعا * وقيل أنى أمر الله أتت مبادئ وأماراته * وقيل عبر بالماضى عن المضارع لقرب وقوعه وتحققه وفى ذلك وعيد للكفار * وقرأ الجمهور تستعجلوه بالتاء على الخطاب وهو خطاب المؤمنين أو خطاب الكفار على معنى قل لهم فلا تستعجلوه وقال تعالى يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها * وقرأ ابن جبير بالياء نهى الكفار والظاهر عود الضمير في فلا تستعجلوه على الأمر لانه هو الحديث عنه * وقيل يعود على الله أى فلا تستعجلوا الله بالعذاب أو بآتيان يوم القيامة كقوله ويستعجلونك بالعذاب * وقرأ حمزة والكسائي تشركون بتاء الخطاب وباقي السبعة ولا عرج وأبوه جعفر وابن وضاح وأبو رجاء والحسن * وقرأ عيسى الأولى بالتاء من فوق والثانية بالياء والتاء من فوق معا الأعمش وأبو العالية وطلحة وأبو عبد الرحمن وابن وثاب والجحدري وما يحتمل أن تكون بمعنى

أقول لكم أنذرُوا أنه لا إله إلا أنا انتهى جعلها المخففة من الثقلية وأضمر اسمها وهو ضمير الشأن وقد راضها القول حتى يكون الخبر جملة خبرية وهي أقول ولا حاجة إلى هذا التكلف مع سهولة كونها الشانية التي من شأنها نصب المضارع وقوله إلا أنا انتقل من ضمير الغيبة إلى ضمير التكم في قوله إلا أنا وإذا هنا المفاجأة وبعد خلقه من النطفة لم تقع المفاجأة بالخاصة إلا بعد أحوال تطور فيها فذلك الأحوال محدوفة وتقع المفاجأة بعدها وخصم مبين يحتمل وجهين أحدهما أن يراد به الذم وهو مخصوصه لانباء الله صلى الله عليه وآله وأولياؤه بالحجج الواضحة وأكثر ما ذكر الإنسان (٤٧٣) في القرآن في معرض الذم أو مرفق بالذم والوجه

الثاني أن يراد به المدح لأنه تعالى قواد على منازعة الخصوم وجعله مبين الحق من الباطل ونقله من تلك الحالة الجمادية وهو كونه نطفة إلى الحالة الشريفة وهي حالة النطق والابانة ولما ذكر تعالى خلق الإنسان ذكر ما امتن به عليه في قوام معيشته فذكر أولاً أكثرها منافع وأزعم لمن أنزل القرآن بلغتهم وذلك لأنعام وتقدم شرح الانعام في الانعام والذي يظهر أن يكون لكم فيها دفع استئناف لذكر ما ينتفع به من جهتها ولذلك قابله بقوله ولكم فيها جلال ودفع مبتدأ ولكم خبره ويتعلق فيها بما في لكم من معنى الاستقرار وجوز

(الدر)

﴿ سورة النحل ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾
وقرأ ابن أبي عميلة ما نزل بنون العظمة والتشديد

الذي ومصدرية وأفضل قراءة عماد شكون باستعجالهم لان استعجالهم استهزاء وتكذيب وذلك من الشرك * وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ينزل مخففا وباقي السبعة مشددا وزيد بن علي والاعمش وأبو بكر تنزل مشددا مبنيًا للمفعول الملائكة بالرفع والجحدري كذلك لأنه خفف والحسن وأبو العالية والاعرج والمفضل عن عاصم ويعقوب بفتح التاء مشددا مبنيًا للفاعل * وقرأ ابن أبي عميلة ما نزل بنون العظمة والتشديد وقتادة بالنون والتخفيف * قال ابن عطية وفيهما شذوذ كثير انتهى وشذوذهما أن ما قبله وما بعده ضمير غيبة ووجهه أنه التفات والملائكة هنا جبريل وحده قاله الجمهور أو الملائكة المشار إليهم بقوله والنارعات غرقا * وقال ابن عباس الروح الوحي تنزل به الملائكة على الأنبياء ونظيره يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده * وقال الربيع بن أنس هو القرآن ومنه وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا * وقال مجاهد المراد بالروح أرواح الخلق لا ينزل ملك إلا ومعه روح * وقال الحسن وقتادة الروح الرحمة * وقال الزجاج ما معناه الروح الهداية لأنها تحياها القلوب كما تحيا الأبدان بالارواح * وقيل الروح جبريل ويدل عليه نزل به الروح الأمين وتكون الباء للحال أي ملتبسة بالروح * وقيل بمعنى مع * وقيل الروح حفظة على الملائكة لأنهم الملائكة كما الملائكة حفظة علينا لأنهم * وقال مجاهد أيضا الروح اسم ملك ومنه يوم يقوم الروح والملائكة صفا * وعن ابن عباس أن الروح خلق من خلق الله كصور ابن آدم لا ينزل من السماء ملك إلا ومعه واحد منهم وقال نحوه ابن جريج * قال ابن عطية وهذا قول ضعيف لم يأت به سند * وقال الزمخشري بالروح من أمره بم تحياها القلوب الملية بالجهل من وحيه أو بما يقوم في الدين مقام الروح في الجسد انتهى ومن للتبعيض أوليان الجنس ومن يشاءهم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وإن مصدرية وهي التي من شأنها أن تنصب المضارع وصلت بالامر كما وصلت في قولهم كتبت إليه بأن قم وهو بدل من الروح أو على اسقاط الخافض بأن أنذروا فيجري الخلاف فيه أهو في موضع نصب أو في موضع خفض * وقال الزمخشري وإن أنذروا بدلا من الروح أي نزلهم بأن أنذروا وتقديره أنذروا أي بأن الشأن أقول لكم أنذروا أنه لا إله إلا أنا انتهى فجعلها المخففة من الثقلية وأضمر اسمها وهو ضمير الشأن وقد راضها القول حتى يكون الخبر جملة خبرية وهي أقول ولا حاجة إلى هذا التكلف مع سهولة كونها الشانية التي من شأنها نصب المضارع وجوز أن ينزل عطفية وأبو البقاء وصاحب الغنيان أن تكون مفسرة فلا موضع لها من الأعراب وذلك لما في النازل بالوحي من معنى القول أي أعلموا الناس من نذرت بكنها إذا أعامت * قال الزمخشري والمعنى يقول لهم أعلموا الناس قولي لا إله إلا أنا اتقون انتهى لما جعل أن هي التي حذف منها ضمير

(٦٠ - تفسير البحر المحيط لابن حيان - خامس) وقتادة بالنون والتخفيف وفيهما شذوذ كثير (ح) وشذوذهما أن ما قبله وما بعده ضمير غيبة ووجهه أنه التفات (ش) وإن أنذروا بدلا من الروح أي نزلهم بأن أنذروا وتقديره بأنه أنذروا أي بأن الشأن أقول لكم أنذروا أنه لا إله إلا أنا انتهى (ح) جعلها المخففة من الثقلية وأضمر اسمها وهو ضمير الشأن وقد راضها القول حتى تكون الجملة جملة خبرية وهي أقول ولا حاجة إلى هذا التكلف مع سهولة كونها الشانية التي من شأنها نصب المضارع

الشأن قدر هذا التقدير وهو يقول لهم أعلموا * وقرى ليندروا أنه وحسنت النذارة هنا وان لم
 يكن في اللفظ ما فيه خوف من حيث كان المنذرون كافرين بالوحيته في ضمن أمرهم مكان خوف
 وفي ضمن الاخبار بالوحدانية نهى عما كانوا عليه ووعيد وتحذير من عبادة الاوثان ومعنى فائقون
 أي اتقوا عقابي باتخاذكم الها غيري وجاءت الحكاية على المعنى في قوله الا أنا ولو جاءت على اللفظ
 لكان لا اله الا الله وكلاهما سائغ وحكاية المعنى هنا ابلغ اذ فيها نسبة الحكم الى ضمير المتكلم المنزل
 الملائكة ثم دل على وحدانيته وأنه لا اله الا هو بما ذكر مما لا يقدر عليه غيره من خلق السموات
 والارض وهم مقرون بأنه تعالى هو خالقها وبالخلق أي بالواجب اللائق وذلك انها تدل على صفات
 تحقق لمن كانت له أن يخلق ويخترع وهي الحياة والعلم والقدرة والارادة بخلاف شركائهم التي
 لا يحق لها شيء من ذلك * وقرأ الاعمش فتعالى بزيادة فاء وجاءت هذه الجملة منبهة على تنزيه الله تعالى
 موجود هذا العالم العلوي والعالم السفلي عن أن يتخذ معه شريك في العبادة ولما ذكر ما دل على
 وحدانيته من خلق العالم العلوي والارض وهو استدلال بالخارج ذكر الاستدلال من نفس
 الانسان فذكر إنشاءه من نطفة فاذ هو خصم مبين وكان حقه الواجب عليه أن يطيع وينقاد
 لأمر الله والخصم من صفات المبالغة من خصم بمعنى اختصم أو بمعنى مخاصم كالخليط والجلس
 والمبين الظاهر الخصومة أو المظهرها والظاهران سياق هذين الوصفين سياق ذم لما تقدم من قوله
 سبحانه وتعالى عما يشركون وقوله أن أنذروا الآية ولتذكر يرتعالي عما يشركون ولقوله في يس
 أو لم ير الانسان الآية وقال بل هم قوم خصمون وعنى به مخاصمتهم لأنبياء الله وأوليائه بالحجج
 الداحضة وأكثر ما ذكر الانسان في القرآن في معرض الذم أو مردفا بالذم * وقيل المراد بالانسان
 هنا أبي بن خلف الجمحي * وقال قوم سياق الوصفين سياق المدح لأنه تعالى قوامه على منازعة
 الخصوم وجعله مبين الحق من الباطل ونقله من تلك الحالة الجأدية وهو كونه نطفة الى الحالة العالية
 الشريفة وهي حالة النطق والابانة وإداعنا للمفاجأة وبعد خلقه من النطفة لم تقع المفاجأة بالمخاطبة
 الا بعد أحوال تطور فيها اقتلك الاحوال محذوفة وتقع المفاجأة بعدها * وقال أبو عبد الله الرازي
 اعلم أن أشرف الاجسام بعد الافلاك والكواكب هو الانسان ثم ذكر الانسان وانه مركب من
 بدن ونفس في كلام كثير يوقف عليه في تفسيره ولا نسلم ما ذكره من أن الافلاك والكواكب
 أشرف من الانسان ولما ذكر خلق الانسان ذكر ما امتن به عليه في قوام معيشته فذكر أولاً
 أكثرها منافع وألزم لمن أنزل القرآن بلغتهم وذلك الانعام وتقدم شرح الانعام في الانعام والاطهر
 أن يكون لكم في ادفء استئناف لذكر ما ينتفع به من جهتها ودفء مبتدأ وخبره لكم ويتعلق
 فيها بما في لكم من معنى الاستقرار وجوز أبو البقاء أن يكون فيها حالاً من دفء اذ لو تأخر لكان
 صفة وجوز أيضاً أن يكون لكم حالاً من دفء وفيها الخبر وهذا لا يجوز لأن الحال اذا كان العامل
 فيها معنى فلا يجوز تقديمها على الجملة بأسرها لا يجوز قائماً في الدار زيد فان تأخرت الحال عن
 الجملة جازت بلا خلاف أو توسطت فأجاز ذلك الاخفش ومنعه الجمهور وأجاز أيضاً أن يرتفع دفء
 بكم أو نعمتها بال والجملة كلها حال من الضمير المنصوب انتهى ولا تسمى جملة لأن التقدير خلقها لكم
 فيها ادفء أو خلقها لكم كائن فيها ادفء وهذا من قبيل المفرد لا من قبيل الجملة وجوزوا أن يكون
 لكم متعلقاً بخلقها وفيها ادفء استئناف لذكر منافع الانعام ويؤيد كون لكم فيها ادفء يظهر فيه
 الاستئناف بمقابلته بقوله والكم فيها جمال فقابل المنفعة الضرورية بالمنفعة غير الضرورية *

أبو البقاء أن يكون فيها
 حالاً من دفء اذ لو تأخر
 كان صفة وجوز أيضاً أن
 يكون لكم حالاً من دفء
 وفيها الخبر وهذا لا يجوز
 لأن الحال اذا كان
 العامل فيها معنى فلا يجوز
 تقديمها على الجملة بأسرها
 لا يجوز قائماً في الدار
 زيد فان تأخرت الحال عن
 الجملة جازت بلا خلاف
 والدفء اسم لما يدفأ
 به أي يستخن وتقول
 العرب دفء يومنا فهو
 دفء اذا حصلت فيه سخونة
 تريل البرد قال الزمخشري
 * فان قلت تقدم الظرف في
 قوله ومنها تأكلون مؤذن
 بالاختصاص وقد يؤكل
 من غيرها * قلت الا كل منها
 هو الاصل الذي يعتد به
 الناس في معاشهم وأما
 الاكل من غيرها من
 الدجاج والبط وصيد البر
 والبحر فكغير المعتد به
 وكالجارى مجرى التفكه
 انتهى ومقاله بناء منه على أن
 تقديم الظرف أو المفعول
 دال على الاختصاص
 وقد رددنا عليه ذلك في
 قوله اياك نعبد * جمال مصدر
 جعل بضم الميم حين تريحون
 يقال أراح الماشية ردها
 بالعشى من المرعى وسرحها
 يسرحها سرحاً وسرحوا

أخرجها غدوة إلى المرمى وسرحت هي يكون متعديا ولازما وأكثر ما يكون ذلك أيام الربيع إذا سقط الغيث وكثر الكلال
وخر جوال النجعة وقدم الراحة على السرح لأن الجبال فيها أظهر (٤٧٥) إذا قبلت ملائى البطون حافلة الضروع ثم أوت إلى

الخطائر بخلاف وقت
سرحها وإن كانت في
الوقتين تزين الأفيمة
وتجارب فيها الرغاء والثغاء
فيأنس أهلها ويفرح
أربابها وتجلهم في أعين
الناظرين إليها وتكسبهم
الحياه والحرمة والاثقال
الامتعة واحدها نقل وقوله
إلى بلد لا يراد به معين
أى إلى أى بلد بعيد توجهتم
إليه لأغراضكم وبالغية
صفة للبلد لا بشق
الانفس أى الأبعسقتها
وناسب الامتنان بهذه
النعمة من حملها الاثقال
الختم بصفة الرأفة والرحمة
لأن من رأفته تيسر هذه
المصالح وتسخر الانعام
لكم ولما ذكر تعالى مننه

وقال ابن عباس الدفء نسل كل شئ وذكره الاموى عن لغة بعض العرب والظاهر أن نصب
والانعام على الاشتغال وحسن النصب كون جملة فعلية تقدمت ويؤيد ذلك قراءته في الذاذير
الانعام * وقال الزمخشري وابن عطية يجوز أن يكون قد عطف على البيان وعلى هذا يكون لكم
استثناء أو متعلق بخلقها * وقرأ الزهري وأبو جعفر دَفء بضم الفاء وشدها وتنبهوا ووجهه أنه
نقل الحركة من الهمزة إلى الفاء بعد حذفها ثم شدد الفاء اجراء للوصل مجرى الوقف إذ يجوز
تشديد هاء الوقف * وقرأ زيد بن علي دَف بفتح الدال بحركة وحذف الهمزة دون تشديد الفاء *
وقال صاحب اللوامح الزهري دَف بضم الفاء من غير همز والفاء محركة بحركة الهمزة المحذوفة
ومنهم من يعوض من هذه الهمزة فيشد الفاء وهو أحد وجهي حمزة بن حبيب وقفنا * وقال
مجاهد ومنافع الركوب والجل والالبان والسمن والنضج عليها وغير ذلك وأفرد منفعته الأكل
بالذكر كما أفرد منفعته الدفء لأنهم ما من أعظم المنافع * وقال الزمخشري (فإن قلت) تقدم
الظرف في قوله ومنها تأكلون مؤذن بالاختصاص وقد يؤكل من غيرها (قلت) الأكل منها هو
الاصل الذي يعتد به الناس في معاشهم وأما الأكل من غيرها من الدجاج والبط وصيد البر والبحر
فكغير المعتد به وكالجاري مجرى التفكه ومآله منه على أن تقدم الظرف أو المفعول دال على
الاختصاص وقد رددنا عليه ذلك في قوله إياك نعبد والظاهر أن من التبعية كقولك إذا أكلت
من الرغيف * وقال الزمخشري ويحتمل أن طعمتكم منها لأنكم تحرثون بالبقر والحب والثمار
التي تأكلونها منها وتسبون بأكرام الابل وتبيعون نتائجها وألبانها وجلودها انتهى فعلى هذا
يكون التبعية مجازا أو تكون من السبب * الجمال مصدر جل بضم الميم والرجل جميل والمرأة
جميلة وجلاء عن الكسائي وأنشد

فهى جلاء كبد طالع * بزت الخلق جميعا بالجمال

ويطلق الجمال ويراد به التجميل كأنه مصدر على اسقاط الزوائد والجمال يكون في الصورة بحسن
التركيب يدركه البصر ويلقيه في القاب فتتعلق به النفس من غير معرفة وفي الاخلاق باشتغالها على
الصفات المحمودة كالعلم والعفة والحلم وفي الافعال بوجودها ملائمة لمصالح الخلق وجلب المنفعة اليهم
وصرف الشر عنهم والجمال الذي لنا في الانعام هو خارج عن هذه الانواع الثلاثة والمعنى انه لنا فيها
جمال وعظمة عند الناس باقتنائها ودلائلها على سعادة الانسان في الدنيا وكونه فيها من أهل السعة
فإن الله تعالى بالتجميل بها كما من بالانتفاع الضرورى لأن التجميل بها من اغراض أصحاب الموائى
ومفاخر أهلها والعرب تتفاخر بذلك ألا ترى الى قول الشاعر

لعمري لقوم قد نرى أمس فيهم * مرابط للامهار والعكر الدثر

أحب الينا من أناس بقنة * يروح على آثار شائمهم الفمر

والعكرة من الابل ما بين الستين الى السبعين والجمع عكر والدثر الكثير ويقال أراح الماشية ردها
بالعشى من المرمى وسرحها يسرحها وسرحا وأخرجها غدوة إلى المرمى وسرحت هي
يكون متعديا ولازما وأكثر ما يكون ذلك أيام الربيع إذا سقط الغيث وكثر الكلال وخر حوا

بالانعام ومنافعها الضرورية
ذكر الامتنان بمنافع
الحيوان التي ليست
بضرورية ولما كان
الركوب أعظم منافعها

(الدر)

(ش) فإن قلت تقدم الظرف
في قوله ومنها تأكلون
مؤذن بالاختصاص وقد
يؤكل من غيرها * قلت
الاكل منها هو الاصل
الذي يعتد به الناس في

معاشهم وأما الاكل من غيرها من الدجاج والبط وصيد البر والبحر فكغير المعتد به وكالجاري مجرى التفكه (ح) مآله بناءه
على ان تقدم الظرف أو المفعول دال على الاختصاص وقد رددنا عليه ذلك في قوله إياك نعبد

للجنة وقدم الاراحة على السرح لأن الجمال فيها أظهر اذا أقبلت ملائى البطون حافلة الضر وع ثم
أوت الى الحظائر بخلاف وقت سرحها وان كانت في الوقتين تزين الافنية وتجابوب فيها الرغاء والثغاء
فيأتنس أهلها وتفرح أربابها وتجاهم في أعين الناظرين اليها وتكسبهم الجاه والحرمة لقوله تعالى
المال والبنون زينة الحياة الدنيا وقوله تعالى زين للناس حب الشهوات ثم قال تعالى والانعام
والحرث * وقرأ عكرمة والضحالك والجحدرى حينافهم بابالتنوين وفك الاضافة وجعلوا الجمالتين
صفتين حذف منهما العائد كقوله واتقوا يوما لا تجزى ويكون العامل في حيناعلى هذا اما المبتدأ
لأنه في معنى التجميل واما خبره بما فيه من معنى الاستقرار والانتقال الامتعة واحدها ثقل * وقيل
الاجسام لقوله تعالى وأخرجت الارض أثقالها أى أجساد بني آدم وقوله الى بلاد لا يراد به معين أى
الى بلاد بعيد توجهتم اليه لا غراضكم * وقيل المراد به معين وهو مكة قاله ابن عباس وعكرمة والربيع
ابن أنس * وقيل مدينة الرسول * وقيل مصر وينبغي حمل هذه الاقوال على التمثيل لا على المراد
إذ المنة لا تختص بالجل اليها * ولم تكونوا بالغية صفة للبلد ويحتمل أن يكون التقدير بها وذلك تنبيه
على بعد البلد وانهم مع الاستعانة بها يحمل الانتقال لا يصلون اليه الا بالمشقة أو يكون التقدير لم تكونوا
بالغية بأنفسكم دونها الا بالمشقة عن أن تحموا على ظهوركم أثقالكم * وقرأ الجمهور بشق بكسر
الشين * وقرأ مجاهد والاعرج وأبو جعفر وعمر بن ميمون وابن أرقم بفتحها ورويت عن نافع وأبي
عمر وهما مصدران معناهما المشقة * وقيل الشق بالفتح المصدر وبالكسر الاسم ويعنى به المشقة
* وقال الشاعر في الكسر

وذى ابل بسعى وبحسبها له * أخى نصب من شقها ودؤوب

أى مشقتها وشق الشئ نصفه وعلى هذا حمله الفراء هنا أى يذهب ان نصف النفس كأنها قد ذابت تعباً
ونصباً كما تقول لا تقدر على كذا الا بذهاب جل نفسك وبقطعة من كبلك ونحو هذا من المجاز
ويقال أخذت شق الشاة أى نصفها والشق الجانب والاخ الشقيق وشق اسم كاهن وناسب الامتنان
بهذه النعمة من حملها الانتقال الختم بصفة الرأفة والرحمة لان من رأفته تيسر هذه المصالح وتسهل الانعام
لكم ولما ذكر تعالى منه بالانعام ومنافعها الضرورية ذكر الامتنان بمنافع الحيوان التي ليست
بضرورية * وقرأ الجمهور والخيول وما عطف عليه بالنصب عطف على والانعام * وقرأ ابن أبى عبلة
بالرفع ولما كان الركوب أعظم منافعها اقتصر عليه ولا يدل ذلك على انه لا يجوز لكل الخيل خلافاً
لمن استدل بذلك وانتصب وزينة ولم يكن باللام ووصل الفعل الى الركوب بواسطة الحرف وكلاهما
مفعول من أجله لان التقدير خلقها والركوب من صفات المخلوق لهم ذلك فانتفى شرط النصب وهو
اتحاد الفاعل فعدى باللام والزينة من وصف الخالق فاتحد الفاعل فوصل الفعل اليه بنفسه * وقال
ابن عطية وزينة نصب باضمار فعل تقديره وجعلناها زينة وروى قتادة عن ابن عباس لتركبوها زينة
بغير واو * قال صاحب اللوامح والزينة مصدر أقيم مقام الاسم وانتصابه على الحال من الضمير في
خلقها أو من لتركبوها * وقال الزمخشري أى وخلفها زينة لتركبوها أو يجعل زينة حالاً من هاء
وخلقها لتركبوها وهى زينة وجمال * وقال ابن عطية والنصب حينئذ على الحال من الهاء في
تركبوها والظاهر نفي العلم عن ذوات ما يخلق تعالى * فقال الجمهور المعنى مالا تعلمون
من الآدميين والحيوانات والجمادات التي خلقها كلها بالمنافعكم فأخبرنا بان له من الخلائق مالا علم لنا
به لئلا يدل على قدر تدبى الاخبار وان طوى عنا عمه حكمته له في طيبه وما خلق تعالى من الحيوان

اقتصر عليه ولا يدل ذلك
على أنه لا يجوز أكل
الخيول خلافاً لمن استدل
بذلك وانتصب وزينة
ولم يكن باللام ووصل
للفعل الى الركوب بواسطة
الحرف وكلاهما مفعول
من أجله لان التقدير خلقها
والركوب من صفات
المخلوق لهم ذلك فانتفى
شرط النصب وهو اتحاد
الفاعل فعدى باللام والزينة
من وصف الخالق فاتحد
الفاعل فوصل الفعل
اليه بنفسه ولما ذكر
الحيوان الذى ينتفع به
انتفاعاً ضرورياً وغير
ضرورياً أعقب بذكر
الحيوان الذى لا ينتفع
به غالباً على سبيل الاجمال
اذ تفاصيله خارجة عن
الاحصاء والعند القصد
مصدرو يوصف به يقال
سبيل قصد وقاصدا اذا
كان مستقيماً كأنه يقصد
الوجه الذى يؤممه السالك
لا يعدل عنه والسبيل هنا
مفرد اللفظ والجائر العادل
عن الهداية والاستقامة
كما قال طرفة

* يجوز بها الملاح طوراً
ويهدى *

ولو شاء مفعول شاء
مخوف تقديره هدايتكم
قال ابن عطية قال الزجاج

يعرض لكم آية تضطركم الى الاهتداء والايمان انتهى وعندا قول (٤٧٧) سوء لأهل البدع الذين يرون أن الله تعالى لا يخلق أفعال

العباد لم يحصله الزجاج
ووقع فيه رحمه الله من غير
قصد انتهى لم يعرف ابن
عطية أن الزجاج معتزلي
فلذلك تأول عليه أنه لم يحصل
وأند وقع فيه من غير قصد
هو الذي أنزل من
السماء ماء الآية مناسبة
هذه لما قبلها أنه تعالى لما
أمن عليهم بإيجادهم بعد
العدم الصرف وإيجاد
ما ينتفعون به من الانعام
وغيرها من المراكب
ذكر ما آمن به عليهم من
انزال الماء الذي هو قوام
حياتهم وحياة الحيوان
وما يتولد عنه من أقواتهم
وأقواتهم من الزرع وثمر
عطف عليه قد كرمهم
الأغلب ثم عطف بقوله
ومن كل الثمرات ثم
تبع ذلك بخلق الليل الذي
هو سكن لهم والنهار الذي
هو معاشهم فيه ثم بالنيرين
الذين جعلهم ما الله تعالى
مؤثرين بارادته في اصلاح
ما يحتاجون اليه ثم بما ذكر
في الأرض والظواهر ان
لكم في موضع الصفة
يتعلق بمخدوف ويرتفع
شراب به أي ماء كائنالك
منه شراب ويجوز أن
يتعلق بأنزل ويجوز أن

وغيره لا يحيط بعلمه بشر * وقال قتادة ما لا تعلمون أصل حدوثه كالسوس في النبات والدود في
الفواكه * وقال ابن بحر لا تعلمون كيف يخلقهم * وقال مقاتل هو ما أعده الله لأوليائه في الجنة ما لا
عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر * قال الطبري وزاد بعد في الجنة وفي النار لا هاهنا
والباقي بالمعنى ورويت تفاسير في ما لا تعلمون في الحديث عن ابن عباس وهب بن منبه والشعبي
الله أعلم بصحتها ويقال لما ذكر الحيوان الذي ينتفع به انتفاع ضروري أو غير ضروري أعقب بذكر
الحيوان الذي لا ينتفع به غالبا على سبيل الاجمال اذ تفاصيله خارجة عن الاحصاء والعد والقصد
مصدر يقصد الوجه الذي يؤمه السالك لا يعدل عنه والسبيل هنا مفرد اللفظ * ف قيل مفرد المدلول
وأل فيه للعهد وهي سبيل التشرع وليست للجنس اذ لو كانت لم يكن منها جائر والمعنى وعلى الله
تبيين طريق الهدى وذلك بنصب الأدلة وبعثة الرسل * وقال ابن عطية ويحتمل أن يكون المعنى ان
من سلك الطريق القاصد فعلى الله رحمة ونعمه وطريقه والى ذلك مصير وعلى أن أل للعهد يكون
الضمير في قوله ومنها جائر عائدا على السبيل التي يتضمنها معنى الآية كانه قيل ومن السبيل جائر فأعاد
عليها وان لم يجز لها ذلك لان مقابلها يدل عليها * قال ابن عطية ويحتمل أن يعود منها على سبيل
الشرع وتكون من التبعية والمراد فرق الضلالة من أمة محمد صلى الله عليه وسلم كانه قال ومن
بنيات الطرق في هذه السبيل ومن شعبها * وقيل أل في السبيل للجنس وانقسمت الى مصدر
وهو طريق الحق والى جائر وهو طريق الباطل والجائر العادل عن الاستقامة والهداية كما قال
* يجور بها الملاح طور او يهتدى * وكما قال الآخر

ومن الطريقة جائر وهدى * قصد السبيل ومنه ذو دخل

قسم الطريقة الى جائر والى هدى والى ذى دخل وهو الفساد * وقال الزمخشري ومعنى قوله
وعلى الله قصد السبيل ان هداية الطريق الموصل الى الحق واجبة عليه لقوله ان علينا للهدى (فان
قلت) لم غير أسلوب الكلام في قوله ومنها جائر (قلت) ليعلم بما يجوز اضافته اليه من السبيلين
وما لا يجوز ولو كان كما تزعم المجرة ل قيل وعلى الله قصد السبيل وعليه جائرها أو وعليه الجائر *
وقرأ عبد الله ومنكم جائر يعنى ومنكم جائر عن القصد بسوء اختياره والله يرى منه ولو شاء لهذاكم
أجمعين قسرا والهاء انتهى وهو تفسير على طريقة الاعتزال * وقيل الضمير في ومنها يعود على
الخلائق أى ومن الخلائق جائر عن الحق ويؤيده قراءة عيسى ومنكم جائر وكذا هي في مصحف عبد
الله وقراءة على فكم جائر بالفاء * قال ابن عباس هم أهل الملل المختلفة * وقيل اليهود والنصارى
والمجوس ولهذا كم خلق فيكم الهداية فلم يضل أحد منكم وهي مشيئة الاختيار * وقال الزجاج
لفرض عليكم آية تضطركم الى الاهتداء والايمان * قال ابن عطية وهذا قول سوء لأهل البدع
الذين يرون أن الله لا يخلق أفعال العباد لم يحصل له الزجاج ووقع فيه رحمه الله من غير قصد انتهى ولم
يعرف ابن عطية أن الزجاج معتزلي فلذلك تأول عليه أنه لم يحصل وأنه وقع فيه من غير قصد * وقال
أبو على لو شاء لهذاكم الى الثواب أو الى الجنة بغير استحقاق * وقال ابن زيد لو شاء لمحض قصد
السبيل دون الجائر ومفعول شاء مخدوف لدلالة لهذاكم أى ولو شاء هدايتكم هو الذي أنزل من
السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسميون * ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل

(الدر) (ح) قال الزجاج عليكم أنه يضطركم الى الاهتداء والايمان انتهى (ع) وهو قول سوء لأهل البدع الذين يرون أن
الله لا يخلق أفعال العباد لم يحصل له الزجاج ووقع فيه رحمه الله من غير قصد

يكون استئنافا وشراب مبدءا لما ذكر انزال الماء أخذ في تقسيمه والشراب هو المشروب والتبعض في منه شراب ظاهر وأما في منه شجر فجاز لما كان الشجر انبائه على سقيه بالماء جعل (٤٧٨) الشجر من الماء ومنه تسميون يقال أسام الماشية وسومها

والأعقاب ومن كل الثمرات ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون * وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون * وما ذرأ لكم في الارض مختلفا ألوانه ان في ذلك لآية لقوم يذكرون * مناسبة هذه الآية لما قبلها انه لما امتن بايجادهم بعد العدم وايجاد ما ينتفعون به من الأنعام وغيرها من الركوب ذكر ما امتن به عليهم من انزال الماء الذي هو قوام حياتهم وحياة الحيوان وما يتولد عنه من أقواتهم وأقواتهم من الزرع وما عطف عليه قد كررها الأغلب ثم عمم بقوله ومن كل الثمرات ثم أتبع ذلك بخالق الليل الذي هو سكن لهم والنهار الذي هو عيشهم ثم بالنيرين اللذين جعلهما الله تعالى مؤثرين بارادته في اصلاح ما يحتاجون اليه ثم بما ذرأ في الارض والظاهر أن لكم في موضع الصفة لماء فيمعلق بمحذوف ويرتفع شراب به أي ماء كائن لكم منه شراب ويجوز أن يتعلق بانزل ويجوز أن يكون استئنافا وشراب مبدءا لما ذكر انزال الماء أخذ في تقسيمه والشراب هو المشروب والتبعض في منه ظاهر وأما في منه شجر فجاز لما كان الشجر انبائه على سقيه بالماء جعل الشجر من الماء كما قال * أسفة الآبال في ربابه * أي في سحاب المطر * وقال ابن الانباري هو على حذف المضاف اما قبل الضمير أي ومن جهته أو سقيه شجر واما قبل شجر أي شرب شجر كقوله وأشرى بوا في قلوبهم العجل أي حبه والشجر هنا كل ما تنبت الأرض قاله الزجاج * وقال * نطعمها اللحم اذا عز الشجر * فسمى الكلاء شجرا * وقال ابن قتيبة الشجر هنا الكلاء وفي حديث عكرمة لا تأكلوا الشجر فانه سمحت يعني الكلاء ويقال أسام الماشية وسومها جعلها ترعى وسامت بنفسها فهي سائمة وسوام رعت حيث شاءت * قال الزجاج من السومة وهي العلامة لانها تؤثر في الأرض علامات * وقرأ زيد بن علي تسميون بفتح التاء فان سمع متعديا كان هو وأسام بمعنى واحد وان كان لازما فتأويله على حذف مضاف تسميون أي تسمي مواشيك لماذا كرو منه شجرا أخذ في ذكر غالب ما ينتفع به من الشجر ان كان المراد من قوله ومنه شجر العموم وان كان المراد الكلاء فهو استئنافا اخبار منافع الماء ويقال نبت الشيء وأنبت الله فهو منبوت وهذا قياسه منبت * وقيل يقال أنبت الشجر لازما * وأنشد الفراء رأيت ذوى الحاجات حول بيوتهم * قطيبنها حتى اذا أنبت البقل أي نبت وكان الأصمعي يأبى أنبت بمعنى نبت * وقرأ أبو بكر نبت بنون العظمة * وقرأ الزهري نبت بالتشديد قيل للتكثير والتكرير والذي يظهر أنه ضعيف التعديبة * وقرأ أبي نبت من نبت ورفع الزرع وما عطف عليه وخص الأربعة بالذكر لانها أشرف ما نبت وأجمعه للمنافع وبدأ بالزرع لانه قور أكثر العالم ثم بالزيتون لما فيه من فائدة الاستصباح بدهنه وهي ضرورة مع منفعة أكله والائتداه به ودهنه والاطلاء بدهنه ثم بالنخل لان ثمرته من أطيب الفواكه وقوت في بعض البلاد ثم بالأعقاب لانها فاكهة محضة ثم قال ومن كل الثمرات أي بلفظ من التي للتبعض لان كل الثمرات لا تكون الا في الجنة وانما أنبت في الأرض بعض من كلها للتذكير ولما ذكر الحيوانات المنتفع بها على التفصيل أعقبه بقوله ويخلق ما لا تعلمون كذلك هنا ذكر الأنواع المنتفع بها من

جعلها ترعى وسامت بنفسها فهي سائمة وسوام رعت حيث شاءت وبدأ بالزرع لانه قور أكثر العالم ثم بالزيتون لما فيه من فائدة الاستصباح بدهنه وهي ضرورة مع منفعة أكله والائتداه به ودهنه والاطلاء بدهنه ثم بالنخل لان ثمرته من أطيب الفواكه وقوت في بعض البلاد ثم بالأعقاب لانها فاكهة محضة ثم قال ومن كل الثمرات أي بلفظ من التي للتبعض لان كل الثمرات لا تكون الا في الجنة وانما أنبت في الأرض بعض من كلها للتذكير ولما ذكر الحيوانات المنتفع بها على التفصيل أعقبه بقوله ويخلق ما لا تعلمون كذلك هنا ذكر الأنواع المنتفع بها من

الاعلى ويقوى وتخرج الأزراق والأزهار وادكاهم والثمار المستنبة على أجسام مختلفة الطبائع والطعوم والألوان والروائح والأشكال والمنافع وذلك بتقدير قادر مختار وهو الله تعالى وأفرد في قوله لا يبدأ ستمالا بانبات الماء وهو واحد وان كثرت أنواع النبات وقرأ الجمهور والشمس وما بعد من مشوب بارادته مسخرات على أنها حال مؤكدة وقرئ والشمس وما بعد بالرفع على

الابتداء والخبر وقصر
 حفص والنجوم مسخر
 برفعها على الابتداء
 وجع الآيات عند ذكر العق
 لأن الآثار العلوية أظهر
 دلالة على القدرة الباهرة
 وأبين شهادة للكبرياء
 والعظمة وما ذكر
 معطوف على الليل والنهار
 يعنى ما خلق فيها من
 حيوان وشجر وثمر وغيره
 ذلك مختلفا ألوانه من
 البياض والسواد وغيره
 ذلك وختم هذا بقوله
 يذكره ومعناه الاعتقاد
 والاعتناء كان علمهم
 بذلك سابق طرأ عليه
 النسيان فقبل يذكره
 أى يتذكره ما نسيه من
 تسخير هذه المكونات في
 الأرض وأفرد الآية هذه
 لأن الذى ذكره مفرد في
 قوله ما ذكر أو وصفه بمفرده
 وهو قوله مختلفا وهو
 لذي تسخير البحر والآيات
 ذكر الاستدلال بما ذكر
 في الأرض ذكر ما امتزج
 به من تسخير البحر ومعنى
 تسخير كونه يتحكم
 الناس من الانتفاع به
 المركوب في المصالح
 والغوص في استخراج
 ما فيه وللإستيطاد لما فيه
 والبحر جنس يشمل
 الملح والعذب وبدأ أولاً
 من منافعها هو الأهم وهو
 لا كل ومنه على حذف
 مضاف أى لتأكلوا من
 حيوانه طرياً ثم ثنى بما
 يتزبن به وهو الحلية من
 اللؤلؤ والمرجان ونبه على
 غاية الحلية وهو اللبس
 وفيه منافع غير اللبس
 فاللحم الطرى من الملح
 والعذب والحلية من الملح
 وقيل إن العذب يخرج منه
 لؤلؤ لا يلبس الا قليلاً
 وانما يتداوى به ويقال
 ان في الزمرد بحرياً فأملاً
 كلوا فعام في النساء
 والرجال وأما تلبسوها
 فخاف بالنساء والمعنى
 يلبسها نساؤكم وأسند
 اللبس الى

النبات ثم قال ومن كل الثمرات تنبها على أن تفصيل القول في أجناسها وأنواعها وصفاتها ومنافعها مما لا يكاد يحصر كما أن تفصيل ما خلق من باقى الحيوان لا يكاد يحصر وختم ذلك تعالى بقوله الآية لقوم يتفكرون لأن النظر في ذلك يحتاج الى فضل تأمل واستعمال فكر لا ترى ان الحبة الواحدة اذا وضعت في الارض وحر عليها مقدار من الزمان معين لحقها من نداوة الأرض ما تنفخ به فينشق أعلاها فيصعد منه شجرة الى الهواء وأسفلها يغوص منه في عمق الأرض شجرة أخرى وهى العروق ثم ينمو الأعلى ويقوى وتخرج الأوراق والأزهار والاكمام والثمار المشتبهة على أجسام مختلفة الطبائع والطعوم والالوان والروائح والاشكال والمنافع وذلك بتقدير قادر مختار وهو الله تعالى * وقرأ الجمهور والشمس وما بعده منصوباً وانتصب مسخرات على أنها حال مؤكدة ان كان مسخرات اسم مفعول وهو اعراب الجمهور * وقال الزمخشري ويجوز أن يكون المعنى انه مسخرها أنواعاً من التسخير جمع مسخر بمعنى تسخير من قولك تسخره الله مسخراً كقولك سرحه مسرحاً كأنه قيل وسخرها لكم تسخيرات بامرته انتهى * وقرأ ابن عامر والشمس وما بعده بالرفع على الابتداء والخبر وحفص والنجوم مسخرات برفعها وما وهاتان القراءتان يبعدان قول الزمخشري ان مسخرات بمعنى تسخيرات وقرأ ابن مسعود والأعمش وابن مصرف والرياح مسخرات في موضع والنجوم وهى مخالفة لسواد المصحف والظاهر في قراءة نصب الجميع ان والنجوم معطوف على ما قبله * وقال الأخفش والنجوم منصوب على اضمار فعل تقديره وجعل النجوم مسخرات فاضمر الفعل وعلى هذا الاعراب لا تكون مسخرات حالاً مؤكدة بل مفعولاً ثانياً لجعل ان كان جعل المقدرة بمعنى صير وحالاً مبينة ان كان بمعنى خلق وتقدم شرح تسخير هذه النيرات في الأعراف وجمع الآيات هنا وذكر العقل وأفرد فيما قبل وذكر التفكير لأن فيه قبل استدلالاً بآيات الماء وهو واحد وان كثرت أنواع النبات والاستدلال هنا متعدد ولأن الآثار العلوية أظهر دلالة على القدرة الباهرة وأبين شهادة للكبرياء والعظمة * وما ذكر أمعطوف على الليل والنهار يعنى ما خلق فيها من حيوان وشجر وثمر وغير ذلك مختلفا ألوانه من البياض والسواد وغير ذلك * وقيل مختلفا ألوانه أصنافه كما تقول هذه ألوان من الثمر ومن الطعام * وقيل المراد به المعادن ان في ذلك أى فيما ذكر أعلى هذه الحال من اختلاف الألوان وان في ذلك أى اختلاف الألوان وختم هذا بقوله يذكره ومعناه الاعتبار والاعتناء كان علمهم بذلك سابق طرأ عليه النسيان فقبل يذكره أى يتذكره ما نسيه من تسخير هذه المكونات في الأرض وهو الذى تسخر البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً وتسخر جوامع حلية تلبسونها وترى الفلك ما خرف فيه ولتبتهجروا من فصله ولعلكم تشكرون * وألقى في الأرض رواسي أن تمتد بكم وأهراقاً وسبلاً لعلكم تهتدون * وعلامات وبالنجم هم يهتدون * لماذا ذكر تعالى الاستدلال بما ذكر في الأرض ذكر ما امتزج به من تسخير البحر ومعنى تسخير كونه يتحكم الناس من الانتفاع به المركوب في المصالح والغوص في استخراج ما فيه وللإستيطاد لما فيه والبحر جنس يشمل الملح والعذب وبدأ أولاً من منافعها هو الأهم وهو لا كل ومنه على حذف مضاف أى لتأكلوا من حيوانه طرياً ثم ثنى بما يتزبن به وهو الحلية من اللؤلؤ والمرجان ونبه على غاية الحلية وهو اللبس وفيه منافع غير اللبس فاللحم الطرى من الملح والعذب والحلية من الملح وقيل إن العذب يخرج منه لؤلؤ لا يلبس الا قليلاً وانما يتداوى به ويقال ان في الزمرد بحرياً فأملاً كلوا فعام في النساء والرجال وأما تلبسوها فخاف بالنساء والمعنى يلبسها نساؤكم وأسند اللبس الى

من منافعه بما هو الأهم
وهو الأكل ومنه على
حذف مضاف أى
لتأكلوا من حيوانه
لخاطر يائس نبي بما يتزين
به وهو الحلية من اللؤلؤ
والمرجان ونبه على
غاية الحلية وهو اللبس
وفيه منافع غير اللبس
فاللحم الطرى من الملح
والعذب والحلية من الملح
ولما ذكر تعالى نعمة
الأكل منه ونعمة
الاستخراج للحلية ذكر
نعمة تصرف الفلك فيه
مواخر أى شاقة فيه
أوذات صوت لشق
الانفس بحمل الامتعة
والاقوات للتجارة وغيرها
وأسند الرؤية الى المخاطب
(الدر)

(ح) لم يعرف ابن عطية
أن الزجاج معتزلى فذلك
تأول عليه انه لم يحصل وانه
وقع فيه من غير قصد (ع)
وقوله وأنها من منصوب
بفعل مضمر تقديره وجعل
أوخلق أنها وأجاءهم
على اضمار هذا الفعل
دليل على خصوص ألقى
ولو كانت ألقى بمعنى خلق
لم يحتج الى هذا الاضمار
(ح) وأى اجماع فى هذا
وقد حكى هو عن المتأولين
أن ألقى بمعنى خلق وجعل

الذكر لان النساء انما يتزين بالحلية من أجل رجا لهن فكأنها زينتهن ولباسهم ولما ذكر تعالى نعمة
الأكل منه والاستخراج للحلية ذكر نعمة تصرف الفلك فيه مواخرة أى شاقة فيه أو ذات صوت
لشق الماء لحمل الامتعة والاقوات للتجارة وغيرها وأسند الرؤية الى المخاطب المفرد فقال وترى
وجعلها جملة معترضة بين التعليلين لتعليل الاستخراج وتعليل الابتغاء فلذلك عدل عن جمع المخاطب
والظاهر عطف ولتبتغوا على التعليل قبله كما أشرنا اليه وأجاز ابن الانبارى أن يكون معطوفا
على علة محذوفة أى لتبتغوا بذلك ولتبتغوا وأن يكون على اضمار فعل أى وفعل ذلك لتبتغوا
والفضل هنا حصول الارباح بالتجارة والوصول الى البلاد الشاسعة وفى هذا دليل على جواز
ركوب البحر ولعلكم تشكرون على ما منحكم من هذه النعم * قيل خلق الله الارض فجعلت
تمور فقالت الملائكة ما هى بمقرأ أحد على ظهرها فاصبحت وقد أرسيت بالجبال لم تدر الملائكة عم
خلقت وعطف وأنها راعى رواسى ومعنى ألقى جعل الأثرى الى قوله ألم نجعل الارض مهادا والجبال
أوتادا وقوله وجعل فيها رواسى من فوقها * وقال وألقيت عليك محبة منى أى جعلت * وقال ابن
عطية قال المتأولون ألقى بمعنى خلق وجعل وهى عندي أخص من خلق وجعل وذلك ان ألقى
يقضى أن الله أوجد الجبال ليس من الارض لكن من قدرته واختراعه ويؤيد هذا النظر ما روى
فى القصص عن الحسن بن قيس بن عباد ان الله تعالى لما خلق الارض جعلت تمور الى آخر
الكلام السابق وهو أيضا مروي عن وهب بن منبه * وقال ابن عطية أيضا وقوله وأنها من منصوب
بفعل مضمر تقديره وجعل أوخلق أنها وأجاءهم على اضمار هذا الفعل دليل على خصوص ألقى
ولو كانت ألقى بمعنى خلق لم يحتج الى هذا الاضمار انتهى وأى اجماع فى هذا وقد حكى عن المتأولين أن
ألقى بمعنى خلق وجعل * وقال الزمخشري وأنها راعى رواسى وجعل فيها أنها راعى رواسى وجعل فيها أنها راعى رواسى
ترى الى قوله ألم نجعل الارض مهادا والجبال أوتادا * وقال ابو البقاء أى وشق أنها راعى رواسى
أى وضع علامات ويجوز أن يعطف على رواسى * وقال أبو عبد الله الرازى ثبت فى العلوم العقلية
ان أكثر الانهار انما تنفجر منابعها فى الجبال فلذلك السبب أتبع ذكرها بتفجير الانهار وسبلا طرقا
الى مقاصدكم لعلكم تهتدون بالسبيل الى مقاصدكم فذا هو الظاهر ويدل عليه ما بعده وقال تعالى
وجعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون * وقيل تهتدون أى بالنظر فى دلالة هذه المصنوعات على
صانعها فهو من الهداية الى الحق ودين الله وعلامات هى معالم الطرق وكل ما يستدل به السابلية من
جبل وسهل وغير ذلك قاله الزمخشري وهو معنى قول ابن عباس * وقال أبو عبد الله الرازى
ورأيت جماعة يتعرفون الطرقات بشم التراب * وقال ابن عيسى العلامة صورة يعلم بها ما يراد
من خط أولفظ أو إشارة أو هيئة * وقال ابن عطية وعلامات نصب كالمصدر أى فعل هذه الاشياء
لعلكم تعتبرون بها وعلامات أى عبرة وعلامات فى كل سلوك فقدمتدى بالجبال والانهار وبالسبيل
انتهى * وقال ابن الكلبى العلامات الجبال * وقال النخعي ومجاهد النجوم وأغرب ما فسرت به
العلامات انها حيتان طوال رفاق كالحيات فى ألوانها وحر كانهاتسمى بالعلامات وذلك فى بحر
الهند الذى يسار اليه من اليمن فاذا ظهرت كانت علامة للوصول لبلاد الهند وأماراة للنجاة * وقراء
الجمهور وبالنجم على انه اسم جنس ويؤيد ذلك قراءة ابن وثاب وبالنجم بضم النون والجيم وقراءة
الحسن بضم النون وفى اللوامح الحسن النجم بضمين وابن وثاب بضمه واحدة وجاء كذلك عن ابن
هشام الرافعى ولا شك فى أنه يندكره عن أصحاب عاصم انتهى وذلك جمع كسقف وسقف ورهن

ورهن وجعله مما جمع على فعل أولى من حمله على أنه أراد النجوم فحذف الواو الآن ابن عصفور
ذكر أن قولهم النجم من ضرورة الشعر وأنشد

ان الذي قضى بذل قاض حكم * أن يرد الماء اذا غاب النجم

قال يريد النجوم مثل قوله * حتى اذا ابتلت حلاقيم الخلق * يريد الخلق * والتسكين قيل
تخفيف * وقيل لغة وعن السدي هو الثريا والفرقدان وبنات نعش والجدي * وقال الفراء المراد
الجدي والفرقدان انتهى * قيل والجدي هو السابع من بنات نعش الصغرى والفرقدان الأولان
منها وليس بالجدي الذي هو المنزلة وبعضهم يصغره فيقول جدي * وفي الحديث عن ابن عباس أنه
سأل الرسول صلى الله عليه وسلم عن قوله وبالنجم فقال هو الجدي ولو صح هذا لم يعدل أحد عنه
* وقال ابن عباس عليه قبلتكم وبه تهتدون في بركم وبحركم * وقيل هو القطب الذي لا يجري
* وقيل هو الثريا * وقال الشاعر

اذا طلب الجوزاء والنجم طالع * فكل مخاضات الفرات معابر

﴿ وقال آخر ﴾

حتى اذا ما استقل النجم في غلس * وغودر البقل ملوى ومحسود

أى ومنه ملوى ومنه محسود وذلك انما يكون عند طلوع الثريا وهم ضمير غيبة خرج من الخطاب
الى الغيبة كان الضمير النعت به الى قریش اذ كان لهم اهتداء بالنجوم في مسائرهم وكان لهم بذلك
علم لم يكن لغيرهم فكان الشكر أو جب عليهم والاعتبار ألزم لهم وقدم المجرور على ما يتعلق به اعتناء
ولأجل الفاصلة والزخشرى على عادته كأنه قيل وبالنجم خصوصاً هم يهتدون ﴿ أفن يخلق كمن
لا يخلق أفلاتند كرون * وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الله لغفور رحيم * والله يعلم ما نسرون
وما يعلنون * والذين ندعون من دونه لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون * أموات غير أحياء وما
يشعرون أيا ن يبعثون * إلهكم إله واحد فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم
مستكبرون * لا جرم ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون انه لا يحب المستكبرين * ذكر تعالى
التباين بين من يخلق وهو الباري تعالى وبين من لا يخلق وهى الأصنام ومن عبد من لا يعقل
فخدير أن يفر دبالعبادة من له الانشاء دون غيره وجى بمن فى الثانى لاشتغال المعبود غير الله على من
يعقل وما لا يعقل أولاً اعتقاد الكفار أن لها تأثيراً وأفعالا فعملت معاملة أولى العلم أو المشاكلة بينه
وبين من يخلق أو لتخصيصه بمن يعلم فاذا وقعت البيئونة بين الخالق وبين غير الخالق من أولى العلم
فكيف بمن لا يعلم البتة كقوله ألهم أرجل يمشون بها أى أن آلهتهم منحطة عن حال من له أرجل لان
من له هذه حى وتلك أموات فكيف يصح أن يعبد لا أن من له أرجل يصح أن يعبد * قال الزخشرى
(فان قلت) هو الزام للذين عبدوا الأوثان وسموها آلهة تشيهاً بالله فقد جعلوا غير الخالق مثل
الخالق فكان حق الزام أن يقال لهم أفن لا يخلق كمن يخلق (قلت) حين جعلوا غير الله مثل الله فى
تسميته باسمه والعبادة له وسوا بينه وبينه فقد جعلوا الله من جنس المخلوقات وشيهاً بها فأنكر
عليهم ذلك بقوله أفن يخلق كمن لا يخلق ثم وبخهم بقوله أفلاتند كرون أى مثل هذا لا ينبغي أن تقع
فيه الغفلة والنعمة يراد بها النعم لنعمة واحدة يدل على ذلك قوله تعالى وان تعدوا وقوله لا تحصوها
إذ ينتفى العدوا الاحصاء فى الواحدة والمعنى لا تحصوا عددها لانها لكثرتها خرجت عن احصائكم لها
وانتفاء احصائها يقتضى انتفاء القيام بحقها من الشكر ولما ذكرنا سابقاً أخبر أن جميع نعمه

المفرد فقال وترى وجعلها
جملة معترضة بين التعليلين
تعليل الاستخراج وتعليل
الابتغاء فلذلك عدل عن
جمع المخاطب والظاهر
عطف ولتبغوا على
التعليل قبله كما أشرنا
اليه والفضل هنا الارباح
بالتجارة والوصول الى
البلاد الشاسعة وفى هذا
دليل على جواز ركوب
البحر ولعلمكم تشكرون
على ما منحكم من هذه النعم
والسبيل الطرق قال ابن
عطية قوله وأنها منصوب
بفعل مضمر تقديره
وجعل أو خلق أنهارا
واجاعهم على اضمار هذا
الفعل دليل على خصوص
ألقى ولو كانت ألقى بمعنى
خلق لم يحتج الى هذا الاضمار
انتهى وأى اجماع فى هذا
وقد حكى هو عن المتأولين
أن ألقى بمعنى خلق
وجعل * أفن يخلق
كمن لا يخلق * الآية ذكر
تعالى التباين بين من يخلق
وهو البارى وبين من
لا يخلق وهى الأصنام
وجى بمن فى الثانى
لاشتغال المعبود غير الله
على من يعقل وما لا يعقل
أولاً اعتقاد الكفار أن
لها تأثيراً وأفعالا فعملت
معاملة أولى العلم أو المشاكلة

لا يطيقون عدها وأتبع ذلك بقوله ان الله لغفور رحيم حيث يتجاوز عن تقصيركم في أداء شكر النعم ولا يقطعها عنكم لتفريطكم ولا يعاجلكم بالعقوبة على كفرانها ولما كان الانسان غير قادر على أداء شكر النعم وان له حالة يعرض فيها منه كفرانها قال في عقب الآية التي في ابراهيم ان الانسان لظالم كفار أى لظالم بترك الشكر كفار للنعمة وفي هذه الآية ذكر الغفران والرحمة لطفابه وايدان في التجاوز عنه وأخبر تعالى انه يعلم ما يسرون وضمنه الوعيد لهم والاعخبار بعلمه تعالى والتنبية على نفي هذه الصفة الشريفة عن آلهتهم * وقرأ الجمهور بالتاء من فوق في تسرون وتعلنون وتدعون وهي قراءة مجاهد والأعرج وشيبة وأبي جعفر وهبيرة عن عاصم على معنى قل لهم * وقرأ عاصم في مشهوره يدعون بالياء من تحت وبالتاء في السابقتين * وقرأ الأعمش وأصحاب عبد الله دلم الذي يبدون وما يكفون وتدعون بالتاء من فوق في الثلاثة * وقرأ طلحة ما يخفون وما يعلنون وتدعون بالتاء من فوق وهاتان القراءتان لسواد المصحف والمشهور ما روى عن الأعمش وغيره فوجب حملها على التفسير لا على أنها قرآن ولما أظهر تعالى التباين بين الخالق وغيره نص على أن آلهتهم لا تخلق وعلى أنها مخلوقة وأخبر أنهم أموات وأكد ذلك بقوله غير أحياء ثم نفي عنهم الشعور الذي يكون للهائم فضلا عن العلم الذي يتصف به العقلاء وعبر بالذين وهو للعاقل عومل غير معاملته لكونها عبادت واعتقدت فيها الألوهية * وقرأ محمد اليماني يدعون بضم الياء وفتح العين مبنيا للمفعول والظاهر أن قوله وهم يخلقون أى الله أنشأهم واخترعهم * وقال الزنجشري ووجه آخر وهو أن يكون المعنى أن الناس يخلقونهم بالتحت والتصوير وهم لا يقدرون على ذلك فهم أعجز من عبادتهم انتهى وأموات خبر مبتدأ محذوف أى هم أموات ويجوز أن يكون خبرا بعد خبر والظاهر أن هذه كلها ما أحدث به عن الأصنام ويكون بهمهم أعادتها بعد فناءها ألا ترى الى قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم * وقيل معنى بعثها إثارها كما تقول بعثت النائم من نومه اذا نهته كأنه وصفهم بغاية الجود أى وان طلبتهم بالتحريك أو حركتهم لم يشعروا بذلك ونفي عنهم الحياة لان من الأموات ما يعقب موته حياة كالنطف التي ينشئها الله حيوانا وأجساد الحيوان التي تبعث بعد موتها وأما الأصنام من الحجارة والخشب فأموات لا يعقب موتها حياة وذلك أعرق في موتها * وقيل والذين تدعون هم الملائكة وكان ناس من الكفار يعبدونهم وأموات أى لا بد لهم من الموت وغير أحياء أى غير باق حياتهم وما يشعرون أى لا علم لهم بوقت بعثهم وجوزوا في قراءة والذين يدعون بالياء من تحت أن يكون قوله أموات يراد به الكفار الذين ضميرهم في يدعون شبههم بالأموات غير الأحياء من حيث هم ضلال غير مهتدين وما بعده عائد عليهم والبعث الحشر من قبورهم * وقيل في هذا التقدير وعيد أى إيان يبعثون الى التعذيب * وقيل الضمير في وما يشعرون للأصنام وفي يبعثون لعبادتها أى لا تشعروا الأصنام متى تبعث عبادتها وفيه تميمكم بالمشركين وأن آلهتهم لا يعلمون وقت بعث عبادتهم فكيف يكون لهم وقت جزاء على عبادتهم وتلخص من هذه الأقوال أن تكون الاخبار بتلك الجمل كلها عن المدعوين آلهة اما الأصنام واما الملائكة أو يكون من قوله أموات الى آخره اخبارا عن الكفار أو يكون وما يشعرون إيان يبعثون فقط اخبارا عن الكفار أو يكون وما يشعرون اخبارا عن المدعوين ويبعثون اخبارا عن الداعين العابدين * وقرأ أبو عبد الرحمن إيان بكسر الهمزة وهي لغة قومه سليم والظاهر أن قوله إيان معمول ليعثون والجملة في موضع نصب يشعرون لأنه معلق إذ معناه العلم

بينه وبين من يخلق * وان تعدوا نعم الله * الآية تقدم الكلام عليه وأخبر تعالى أنه يعلم ما يسرون وضمنه الوعيد لهم والاعخبار بعلمه تعالى وفيه التنبية على نفي هذه الصفة الشريفة عن آلهتهم ولما أظهر تعالى التباين بين الخالق وغيره نص على أن آلهتهم لا تخلق وعلى أنها مخلوقة وأخبر أنهم أموات وأكد ذلك بقوله غير أحياء ثم نفي عنهم الشعور الذي يكون للهائم فضلا عن العلم الذي يتصف به العقلاء وعبر بالذين وهو للعاقل عومل غير معاملته لكونها عبادت واعتقدت فيها الألوهية وأيان ظرفي زمان وعن ابن عباس ان الله تعالى يبعث الأصنام لها أرواح ومعهما شياطينها فيؤمر بكلام الى النار وتقدم الكلام في لاجرم في سورة هود ولا يحب المستكبرين عام في الكافرين والمؤمنين

﴿واذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم﴾ الآية قيل سبب نزولها أن النضر بن الحرث سافر من مكة إلى الحيرة وكان قد اتخذ كتب التواريخ والأمثال ككاملة ودمنة وأخبار اسفنديار ورسم فجاء إلى مكة وكان يقول إنما يحدث محمد بأساطير الأولين وحديثي أجل من حديثه فنزلت وماذا كلمة استفهام مفعول بأنزل أو ما مبتدأ خبره ذا معنى الذي وعائده في أنزل محذوف أي شيء الذي أنزله وأجاز الزمخشري أن يكون ماذا مفعول فوعا بالابتداء قال يعني أي شيء أنزله ربكم وهذا (٤٨٣) لا يجوز عند البصريين إلا في ضرورة الشعر والضمير

في لهم عائده على كفار قريش وما أنزل ليس معمولاً لقيل على مذهب البصريين لانه جملة والجملة لا تقع موقع المفعول الذي لم يسم فاعله كما لا تقع موقع الفاعل فالمفعول الذي لم يسم فاعله قيل هو ضمير المصدر المفهوم من قبل تقديره قيل هو أي القول والجملة بعده تفسير لذلك الضمير لأنها هي المفعول الذي لم يسم فاعله واللام في يحملوا الام الأمر على معنى الختم عليهم والصغار الموجب لهم وكاملة حال أي لا ينقص منها شيء ومن في من أوزار للتبعيض فالمعنى أنه يحمل من وزر كل من أضل أي بعض وزر من ضل باضلالهم وقال الواحدى ليست من للتبعيض لانه يستلزم تخفيف الأوزار عن الاتباع وذلك غير جائز لقوله صلى الله عليه وسلم من غير أن ينقص من أوزارهم شيء لكنها

والمعنى أنه نفى عنهم علم ما انفرد بعلمه الخي القيوم وهو وقت البعث إذا أريد بالبعث الحشر إلى الآخرة * وقيل تم الكلام عند قوله وما يشعرون وإيان يبعثون ظرف لقوله الحكم الله واحد أخبر عن يوم القيامة أن الاله فيه واحد انتهى ولا يصح هذا القول لأن إيان إذا ذاك تخرج عما استقر فيها من كونها ظرفاً ما استقرها ما واما مشرطا وفي هذا التقدير تكون ظرفاً بمعنى وقت مضافاً للجملة بعدها معمولاً لقوله واحد كقولك يوم يقوم زيد قائم وفي قوله إيان يبعثون دلالة على أنه لا بد من البعث وأنه من لوازم التكليف ولما ذكر تعالى ما أنصفت به آلهتهم بما ينافي الألوهية أخبر تعالى أن اله العالم هو واحد لا يتعدد ولا ينجز أو أن الذين لا يؤمنون بالجزاء بعد وضوح بطلان أن تكون الالهية لغيره بل له وحدهم مستترون على شركهم منكرون وحدانيته مستكبرون عن الإقرار بها لاعتقادهم الالهية لأصنامهم وتكبرها في الوجود ووصفهم بأنهم لا يؤمنون بالآخرة مبالغته في نسبة الكفر اليهم إذ عدم التصديق بالجزاء في الآخرة يتضمن التكذيب بالله تعالى وبالبعث إذ من آمن بالبعث يستحيل أن يكذب الله عز وجل * وقيل مستكبرون عن الإيمان برسول الله واتباعه * وقال العلماء كل ذنب يمكن التستر به واخفاؤه إلا التكبر فإنه فسق يلزمه الإعلان وفي الحديث الصحيح أن المستكبرين يحيئون أمثال الذر يوم القيامة يطوهم الناس بأقدامهم أو كما قال صلى الله عليه وسلم وتقدم الكلام في لاجرم في هود * وقرأ عيسى الثقفي أن بكسر الهمزة على الاستئناف والقطع مما قبله * وقال بعض أصحابنا وقد يعني لاجرم عن لفظ القسم تقول لاجرم لا تينك فعلى هذا يكون لقوله أن الله بكسر الهمزة تعلق بلا جرم ولا يكون استئنافاً وقد قال بعض الأعراب المراد من الخارجي لاجرم والله لا فارقتك أبداً في كلامه تعلقها بالقسم وفي قوله يعلم ما يسرون وما يعلنون وعيد وتنبية على المجازاة وقال يحيى بن سلام والنقاش المراد هنا ما يسرون وتشاورهم في دار الندوة في قتل النبي صلى الله عليه وسلم انتهى ولا يحب المستكبرين عام في الكافرين والمؤمنين يأخذ كل واحد منهم بقسطه ﴿واذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم﴾ قالوا أساطير الأولين * يحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم الأساء ما يزررون * قدمكر الذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم وأناهم العذاب من حيث لا يشعرون * ثم يوم القيامة يخزيهم ويقول أين شركائي الذين كنتم تشاقون فيهم قال الذين أوتوا العلم أن الخزي اليوم والسوء على الكافرين * الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم فألقوا السلم ما كنا نعمل من سوء بلى إن الله عليم بما كنتم تعملون * فادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فليست مثوى المتكبرين * قيل سبب نزول وإذا قيل لهم الآية أن النضر بن الحرث سافر عن مكة إلى الحيرة وكان قد اتخذ كتب التواريخ والأمثال ككاملة ودمنة وأخبار اسفنديار ورسم فجاء إلى مكة وكان يقول إنما يحدث محمد

للجنس أي يحملوا من جنس أوزار الاتباع انتهى ولا تتقدم من التي لبيان الجنس هذا الذي قدره واحد وانما قدر الأوزار التي هي أوزار الذين يضلونهم فيؤول من حيث المعنى إلى قول الأخفش وإن اختلفا في التقدير قال الزمخشري بغير علم حال من المفعول أي يضلون من لا يعلم أنهم ضلال انتهى وقال غيره حال من الفاعل وهو أولى اذ هو المحدث عنه والمسند إليه الاضلال على جهة الفاعلية والمعنى أنهم يقدمون على هذا الاضلال جهلاً منهم بما يستحقونه من العذاب الشديد على الاضلال ثم أخبر تعالى

عن سوء ما يتحملونه للاخرة وتقدم الكلام على نظير اعراب الأسماء ما يزرون ﴿فأتى الله﴾ أى أتى أمره وعذابه والبيان قيل حقيقة * قال ابن عباس وغيره الذين من قبلهم منهم نمرود بنى صرحا ليصعد بزعمه الى السماء وأفرط في علوه وطوله في السماء فرسخين فخر عليهم السقف من فوقهم قال ابن الاعرابي العرب تقول خر علينا سقف ووقع علينا حائط اذا كان يملكه وان لم يكن وقع عليه فجاء بقوله من فوقهم ليخرج هذا الذي من كلام العرب فقال من فوقهم أى عليهم وقع وكانوا تحتهم فهلكوا وأنهم العذاب قال ابن عباس في قصة النمرود ويحز بهم جميع المسكاره التي تحملهم ويقضى ذلك ادخالهم النار لقوله تعالى ربنا انك من تدخل النار فقد أخرجنا من أهلكه كل الاهانة (٤٨٤) وجع بين الاهانة بالفعل والاهانة بالقول بالتقريع والتوبيخ في جملة

(الدر)

(ش) يجوز أن يكون ماذا مرفوعا بالابتداء قال بمعنى أى شئ أنزله ربكم (ح) هذا لا يجوز عند البصريين الا في ضرورة الشعر بل ماذا كذا استفهام مفعول بأنزل أو ما مبتدأ خبره ذا بمعنى الذى فى أنزل مخدوف أى أى شئ الذى أنزله (ح) ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم من للتبعية فالمعنى أنه يحمل من وزر كل من أضل أى بعض وزر من ضل بضالهم وهو وزر الاضلال لأن المضل والضال شريكان هذا يضله وهذا يطاوعه على اضلاله فيتحاملان الوزر وقال الاخفش من زائدة أى وأوزار الذين يضلونهم والمعنى ومثل أوزار الذين يضلونهم فعليه وزرها ووزر من عمل

بأساطير الأولين وحديثي أجل من حديثه وماذا كلمة استفهام مفعول بأنزل أو مبتدأ خبره ذا بمعنى الذى وعائده فى أنزل مخدوف أى أى شئ الذى أنزله وأجاز الزحشرى أن يكون ماذا مرفوعا بالابتداء قال بمعنى أى شئ أنزله ربكم وهذا لا يجوز عند البصريين الا في ضرورة الشعر والضمير فى لهم عائده على كفار قريش وماذا أنزل ليس معمولا لقيل على مذهب البصريين لأنه جملة والجملة لا تقع موقع المفعول الذى لم يسم فاعله كما لا تقع موقع الفاعل * وقرئ شاذا أساطير بالنصب على معنى ذكرتم أساطير أو أنزل أساطير على سبيل التهميم والسخرية لأن التصديق بالانزال ينافي أساطير وهم يعتقدون أنه ما نزل شئ ولا أن ثم منزل بنى قيل للمفعول فاحتمل أن يكون القائل بعضهم لبعض واحتمل أن يكون المؤمنون قالوا لهم على سبيل الامتحان * وقيل قائل ذلك الذين تقاسموا مداخل مكة ينفرون عن الرسول صلى الله عليه وسلم اذا سألهم وفود الحاح ماذا أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا أحاديث الأولين * وقرأ الجمهور برفع أساطير فاحتمل أن يكون التقدير المذكور أساطير أو المنزل أساطير جعلوه منزلا على سبيل الاستهزاء وان كانوا لا يؤمنون بذلك واللام فى يحملوا الام الأمر على معنى الختم عليهم والصغار الموجب لهم أو لام التعليل من غير أن يكون غرضا كقولك خرجت من البلد مخافة الشر وهى التى يعبر عنها بالام العاقبة لأنهم لم يقصدوا بقولهم أساطير الأولين أن يحملوا الاوزار ولما قال ابن عطية أنه يحتمل أن تكون لام العاقبة قال ويحتمل أن يكون صريح لام كى على معنى قدر هذا لكنا وهى لام التعليل لكنه لم يعلقها بقوله قالوا بل أضمر فعلا آخر وهو قدر هذا وكلمة حال أى لا ينقص منها شئ ومن للتبعية فالمعنى انه يحتمل من وزر كل من أضل أى بعض وزر من ضل بضالهم وهو وزر الاضلال لأن المضل والضال شريكان هذا يضله وهذا يطاوعه على اضلاله فيتحاملان الوزر * وقال الاخفش من زائدة أى وأوزار الذين يضلونهم والمعنى ومثل أوزار الذين يضلونهم كقوله فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة المراد ومثل وزر والمعنى أن الرئيس اذا وضع سنة قبيحة عظم عقابه حتى أن ذلك العقاب يكون مساويا لعقاب كل من اقتدى به فى ذلك * وقال الواحدي ليست من للتبعية لأنه يستلزم تخفيف الاوزار عن الاتباع وذلك غير جائز لقوله عليه السلام من غير أن ينقص من أوزارهم شئ لكنها للجنس أى ليحملوا من جنس أوزار الاتباع انتهى ولا تتقدر من التى لبيان

بها الى يوم القيامة المراد ومثل وزر والمعنى ان الرئيس اذا وضع سنة قبيحة عظم عقابه حتى ان ذلك العقاب يكون مساويا لعقاب كل من اقتدى به فى ذلك وقال الواحدي ليست من للتبعية لأنه يستلزم تخفيف الاوزار عن الاتباع وذلك غير جائز لقوله عليه السلام من غير أن ينقص من أوزارهم شئ لكنها للجنس أى ليحملوا من جنس أوزار الاتباع انتهى ولا تتقدر من التى لبيان الجنس هذا التقدير الذى قدره الواحدي وانما تقدم روالا وزار التى هى أوزار الذين يضلونهم فيؤول من حيث المعنى الى قول الاخفش وان اختلاف فى التقدير (ش) بغير علم حال من المفعول أى يضلون من لا يعلم أنهم ضلال (ح) قال غير حال من الفاعل وهو أولى اذ هو المحدث عنه والمسند اليه الاضلال على جهة الفاعلية والمعنى أنهم يقدمون على هذا الاضلال جهلا منهم بما يستحقونه من العذاب الشديد على

الجنس هذا التقدير الذي قدره الواحدى وانما تقدر الاوزار التي هي اوزار الذين يضلونهم فيقول
من حيث المعنى الى قول الاخفش وان اختلفا في التقدير * وبغير علم قال الزمخشري حال من
المفعول أى يضلون من لا يعلم أنهم ضلال وقال غيره حال من الفاعل وهو أولى إذ هو المحدث عنه
المسند اليه الاضلال على جهة الفاعلية والمعنى أنهم يقدمون على هذا الاضلال جهلا منهم بما يستحقونه
من العذاب الشديد على ذلك الاضلال ثم أخبر تعالى عن سوء ما يتحملونه للآخرة وتقدم الكلام
في اعراب مثل ساء ما يزون فأتى الله أى أمره وعذابه والبنيان قيل حقيقة * قال ابن عباس وغيره
الذين من قبلهم عمرو بنى صر حاله بعد زعمه الى السماء وأفرط في علوه وطوله في السماء فرسخين على
ما حكى النقاش وقاله كعب الاحبار * وقال ابن عباس وذهب طوله في السماء خمسة آلاف ذراع
وعرضه ثلاثة آلاف ذراع فبعث الله تعالى عليهم يحافدهمته وخرسقفه عليه وعلى اتباعه * وقيل
هدمه جبريل بجناحه وألقى أعلاه في البحر والحقف من أسفله * وقال ابن السكبي المراد المقتسمون
الذكورون في سورة الحجر * وقيل الذين من قبلهم بخت نصر وأصحابه * وقال الضعفاء قريات
قوم لوط وقالت فرقة المراد بالذين من قبلهم من كفر من الامم المتقدمة ومكر ونزلت به عقوبة من
الله ويكون فأتى الله بنيانهم الى آخره تمثيلا والمعنى أنهم سوتوا منصوبات ليمكروا بها الله ورسوله
فجعل الله هلاكهم في تلك المنصوبات كحال قوم بنوا بنيانوا وعمدوه بالاساطين فأتى البنيان من
الاساطين بأن تضعفت فسقط عليهم السقف وهذا كوا ونحوه * من حفر لأخيه جبا وقع فيه منكبا
ومن القواعد لابتداء الغاية أى أتاهاهم أمر الله من جهة القواعد وقالت فرقة المراد بقوله نفخر عليهم
السقف من فوقهم جاءهم العذاب من قبل السماء التي هي فوقهم * وقال ابن عباس * وقيل المعنى
أحبط الله أعمالهم فكانوا بمنزلة من سقط بنيانه * قال ابن عطية وهذا ينجر الى اللغو ومعنى قوله
من فوقهم رفع الاحتمال في قوله نفخر عليهم السقف فانك تقول انه هدم على فلان بناؤه وليس تحته كما
تقول انفسد عليه وقوله من فوقه أزم أنهم كانوا تحته انتهى وهذا الذي قاله ابن الاعرابي قال يعاين
أنهم كانوا جالسين تحته والعرب تقول خر علينا سقف ووقع علينا حائط اذا كان
ملكه وان لم يكن وقع عليه فجاء بقوله من فوقهم ليخرج هذا الذي في كلام العرب فقال من فوقهم
أى عليهم وقع وكانوا تحته فلكوا فأتاهم العذاب * قال ابن عباس يعنى البعوضة التي أهلكها مروءة
* وقيل من حيث لا يشعرون من حيث ظنوا أنهم في أمان * وقرأ الجمهور بنيانهم وقرأت فرقة
بنيهم * وقرأ جعفر بنهم والضحاك بيوتهم * وقرأ الجمهور السقف مفردا والأعرج السقف
بضمين وزيد بن علي ومجاهد بضم السين فقط وتقدم توجيه مثل هاتين القراءتين في وبالنجم *
* وقرأت فرقة السقف بفتح السين وضم القاف وهي لغة في السقف ولعل السقف مخفف منه
ولكنه كثر استعماله كما قالوا في رجل رجل وهي لغة تميمية ولما ذكر تعالى ما حل بهم في دار الدنيا
ذكر ما يحل بهم في الآخرة ويخزيهم يعم جميع المكاره التي تحل بهم ويقتضى ذلك ادخالهم النار
كقوله ربنا انك من تدخل النار فقد أخرجنا من آئتنا أى أهنأته كل الإهانة وجع بين الإهانة بالفعل والإهانة
بالقول بالتقريع والتوبيخ في قوله يخزيهم ويقول ابن السكبي أضاف تعالى الشركاء اليه والاضافة
تكون بأدنى ملائسة والمعنى شركائى في زعمكم إذا أضاف على الاستهزاء * وقرأ الجمهور شركائى
ممدودا موزنا مفتوح الياء وفرقة كذلك نسكها فسقط في الدرج لالتقاء الساكنين والبنى
عن ابن كثير بخلاف عنه قصور او وقع الياء هنا خاصة وروى عنه ترك الهمز في القصص والعمل

يخزيهم ويقول ابن
شركائى أضاف تعالى
الشركاء اليه والاضافة
تكون بأدنى ملائسة والمعنى
شركائى في زعمكم أو أضاف
على جهة الاستهزاء بهم
ومفعولا تزعمون مخدوفان
التقدير تزعمونهم شركاء
الذين تتوفاهم صفة
للكافرين فيكون داخلا
تحت القول قال ابن
عطية ويحتمل أن
يكون الذين مرتفعوا
بالابتداء منقطعاً مما قبله
وخبره في قوله فالفاء في الخبر
وقد يجىء مثل هذا انتهى
هذا لا يجوز الاعلى مذهب
الأخفش فانه يجوز زيد
فقام أى قام ولا يتوهم أن
الفاء هي الداخلة في خبر
المتبداً أداة الشرط فلا يجوز
فيما ضمن معناه * ظالمى
أنفسهم تقدم الكلام
عليه في سورة النساء
والسلم هنا الاستسلام
* ما كنا نعمل من سوء
هو على اضممار القول
ويكون ذلك كذباً منهم
ولذلك رد عليهم بقوله
بلى أى كنتم تعملون السوء
* ان الله عليم بما كنتم
تعملون لما أكذبوهم
في دعواهم أخبروا أنه هو
العالم بأعمالهم فهو المحازى

على الهمز فيه وقصر الممدود ذكروا أنه من ضرورة الشعر ولا ينبغي ذلك لشبوته في هذه القراءة
 فيجوز قليلا في الكلام والمشاقة المفاداة والمخاصمة للمؤمنين * وقرأ الجمهور تشاقون بفتح النون
 وقرأ نافع بكسر عا ورويت عن الحسن ولا يلتفت الى تضعيف أبي حاتم هذه القراءة * وقرأ أن فرقة
 بتشديد ها أدغم نون الرفع في نون الوقاية والذين أتوا العلم عام فبين أنى العلم من الانبياء وعلماء
 أممهم الذين كانوا يدعونهم الى الايمان ويعظونهم فلا يلتفتون اليهم وينكرون عليهم * وقيل هم
 الملائكة وقاله بن عباس * وقيل الحفظة من الملائكة * وقيل من حضر الموقف من ملك وأنسى وغير
 ذلك * وقال يحيى بن سلام هم المؤمنون انتهى ويقول أهل العلم شامة بالكفار وتسمي عالمهم وفي ذلك
 اعظام للعلم اذ لا يقول ذلك الا اهل * الذين تتوفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم تقدم تفسيره في سورة
 النساء والظاهر ان الذين صفة الكافرين فيكون ذلك داخلا في القول فان كان القول يوم القيامة
 فيكون تتوفاهم حكاية حال ماضية وان كان القول في الدنيا لما أخبر تعالى أنه يخزيهم يوم القيامة
 ويقول لهم ما يقول قل أهل العلم اذا أخبر الله تعالى بذلك ان الخزي اليوم الذي أخبر الله أنه يخزيهم
 فيه فيكون تتوفاهم على باب ما ويشمل من حيث المعنى من توفاهم من تتوفاهم ويجوز أن يكون الذين
 خبر مبتدأ محذوف وأن يكون منصوبا على الذم فاحتمل أن يكون مقولا لأهل العلم واحتمل أن
 يكون غير مقول بل من اخبار الله تعالى * وقال ابن عطية ويحتمل أن يكون الذين مرتفع بالابتداء
 منقطعا مما قبله وخبره في قوله فألقوا السلم فريدت الفاء في الخبر وقد يجيء مثل هذا انتهى (ح)
 لا يجوز الاعلى مذهب الا خفش فانه يجوز زيد فقام أى قام ولا يتوهم ان الفاء هي الداخلة في خبر
 المبتدأ اذا كان موصولا وضمن معنى الشرط لانه لا يجوز دخوله في مثل هذا الفعل مع صريح
 الشرط فلا يجوز فيما ضمن معناه * وقرأ حمزة والاعشى يتوفاهم بالياء من أسفل في
 الموضعين وقرى بادغام ناء المضارعة في التاء بعدها وفي مصحف عبد الله بقاء واحدة في الموضعين
 والسلم هنا الاستسلام قاله الاخفش أو الخضوع قاله مقاتل أى انقادوا حين عاينوا الموت قد نزل
 بهم * وقيل في القيامة انقادوا وأجابوا بما كانوا على خلافه في الدنيا من الشقاق والكبر والظاهر
 عطف فألقوا على تتوفاهم وأجاز أبو البقاء أن يكون معطوفا على قوله الذين وأن يكون مستأنفا
 * وقيل تم الكلام عند قوله ظالمى أنفسهم ثم عاد الكلام الى حكاية كلام المشركين يوم القيامة
 فعلى هذا يكون قوله قال الذين الى قوله فألقوا جملة اعتراضية بين الاخبار بأحوال الكفار ما كنا
 نعمل من سوء هو على اضمحار القول أى ونعتمهم بحمل السوء ما أن يكون صريح كذب كما قالوا والله
 ربنا ما كنا مشركين فقال تعالى انظر كيف كذبوا على أنفسهم وإما أن يكون المعنى عند أنفسنا
 أى لو كان الكفر عند أنفسنا سواء ما علمناه ويرجح الوجه الأول الرد عليهم ببلى اذ لو كان ذلك
 على حسب اعتقادهم لما كان الجواب ببلى على أنه يعجز على الوجه الثاني أن يرد عليهم ببلى والمعنى
 انكم كذبتم في اعتقادكم أنه ليس بسوء بل كنتم تعتقدون انه سوء لانكم تبيتم الحق وعرفتموه
 وكفرتهم لقوله فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وقوله وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظاهرا وعلاوا
 والظاهر أن هذا السياق كله هو مع أهل العلم والكفار وان أهل العلم هم الذين ردوا عليهم اخبارهم
 بنفى عمل السوء ويجوز أن يكون الرد من الملائكة وهو الأمر بهم بالدخول في النار يسوقونهم
 اليها * وقيل الخزنة والظاهر الابواب حقيقة * وقيل المراد الدركات * وقيل الأصناف كما يقال فلان
 ينظر في باب من العلم أى صنف وأبعد من قال المراد بذلك عذاب القبر مستعدا بما جاء القبر روضة

عليها ثم أمرهم بالدخول
 واللام في قلبئس لام
 التوكيد ولا يدخل على
 الماضى المتصرف ودخلت
 على الجامد لبعده عن
 الافعال وقربه من الاسماء
 والخصوص بالذم محذوف
 تقديره قلبئس مثوى
 المتكبرين هي أى جهنم
 ووصف التكبر دليل
 على استحقاق صاحبه النار
 (الدر)

ذلك الاضلال (ع)
 ويحتمل أن يكون الذين
 مرتفع بالابتداء منقطعا
 مما قبله وخبره في قوله
 فألقوا السلم فريدت الفاء
 في الخبر وقد يجيء مثل
 هذا انتهى (ح) هذا لا يجيء
 الاعلى مذهب الاخفش
 فانه يجوز زيد فقام أى قام
 ولا يتوهم أن الفاء هي
 الداخلة في خبر المبتدأ
 اذا كان موصولا وضمن
 معنى الشرط لانه لا يجوز
 دخوله في مثل هذا الفعل
 مع صريح أداة الشرط
 فلا يجوز فيما ضمن معناه

من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار ولما كذبوهم من دعواهم أخبر وأنه هو العالم بأعمالهم فهو المجازى عليها ثم أمرهم بالدخول واللام في فلبئس لام تأكيدي ولا تدخل على الماضي المنصرف ودخلت على الجاهد بعده عن الأفعال وقربه من الاسماء والمخصوص بالذم محذوف أي فلبئس مثوى المتكبرين هي أي جهنم ووصف التكبر دليل على استحقاق صاحبه النار وذلك إشارة إلى قوله قلوبهم منكروة وهم مستكبرون * وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة ولدار الآخرة خير ولنعم دار المتقين * جنات عدن يدخلونها تجري من تحتها الأنهار لهم فيها ما يشاءون كذلك يجزي الله المتقين * الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون * هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي أمر ربك كذلك فعل الذين من قبلهم وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسمهم يظلمون * فأصابهم سيئات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون * وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آبائنا ولا حرمنا من دونه من شيء كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسل إلا البلاغ المبين * ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين * إن تعرض على هداهم فإن الله لا يهدي من يضل وما لهم من ناصرين * وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت بلى وعدا عليه حقا ولكن أكثر الناس لا يعلمون * ليبين لهم الذي يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين * انما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون * والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبؤناهم في الدنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون * الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون * وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون * بالبينات والزبر وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلمهم بغيرك * أفأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الأرض أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون * أو يأخذهم في تقلبهم فما هم بمعجزين * أو يأخذهم على تخوف فإن ربكم لرؤوف رحيم * أولم ير والى ما خلق الله من شيء يتقي أو الظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داحرون * خسف المسكان يخسف خسوقا ذهب وخسفه الله يداذهب في الأرض به * دخر دخورا صاعرا وفعل ما بوء مر شاء أو أوى * فقال ابن عطية تواضع * قال ذو الرمة

فلم يبق إلا داخر في مجلس * ومنجحر في غير أرضك في جحر

* وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم * الآية أي أنزل خيرا ودل هذا النص على أن ماذا أنزل مفعول بأنزله وطابق الجواب السؤال في النص والظاهر أن قوله للذين مندرج تحت القول وهو تفسير للخبر الذي أنزل الله في الوحي أن من أحسن في الدنيا بالطاعة فله حسنة في الدنيا ونعيم في الآخرة بدخول الجنة والظاهر أن المخصوص بالمدح هو جنات عدن والكاف في موضع نصب نعمتا المصدر محذوف أي جزاء مثل جزاء الذين أحسنوا نجزي المتقين وطيبين حال من مفعول تتوفاهم والمعنى أنهم صالحوا الأعمال مستعدون للموت والطيب الذي لا خبث فيه يقولون سلام عليكم الظاهر أن هذا القول في الآخرة ولذلك جاء بعده ادخلوا الجنة فهو من قول خزنة الجنة بما كنتم تعملون أي بالعمل الصالح

* وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة ولدار الآخرة خير ولنعم دار المتقين * جنات عدن يدخلونها تجري من تحتها الأنهار لهم فيها ما يشاءون كذلك يجزي الله المتقين * الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون * تقدم اعراب ماذا الأندادا كانت دامو صولة لم يكن الجواب على وفق السؤال لكون ماذا مبتدأ وخبر الجواب نصب وهو جائز ولكن المطابقة في اعراب أحسن * وقرأ الجمهور خيرا بالنصب أي أنزل خيرا * قال الزمخشري (فان قلت) لم نصب هذا ورفع الأول (قلت) فصلا بين جواب المقر وجواب الجاحد يعني ان هؤلاء لما سئلوا لم يتلعمثوا وأطبقوا الجواب على السؤال مكشوفاً مفعولا للأنزال فقالوا خيرا وأولئك عدلوا بالجواب عن السؤال فقالوا هو أساطير الأولين وليس من الأنزال في شيء انتهى * وقرأ زيد بن علي خيرا بالرفع أي المنزل

فقطابق هذه القراءة تأويل من جعل ادن موصولة ولا تطابق من جعل مادا منصوبة لاختلافهما في الاعراب وان كان الاختلاف جائزا كما ذكرنا وروى ان احياء العرب كانوا يبعثون أيام المواسم من يأتيهم بخبر النبي صلى الله عليه وسلم فاذا جاء الوفد كفه المقتسمون وأمره بالانصراف وقالوا ان لم تلقه كان خيرا لك فيقول أنا شر وافدان رجعت الى قومي دون أن أستطلع أمر محمد صلى الله عليه وسلم وأراه فيلقى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيخبرونه بصدق وانه نبي مبعوث فهم الذين قالوا خيرا والظاهر أن قوله للذين مندرج تحت القول وهو تفسير للخبر الذي أنزل الله في الوحى ان من أحسن في الدنيا بالطاعة فله حسنة في الدنيا ونعيم في الآخرة بدخول الجنة * وقال الزمخشري للذين أحسنوا وما بعده بدل من خير حكاية لقول الذين اتقوا أى قالوا هذا القول فقد دم عليه تسميته خيرا ثم حكاه انتهى * وقالت فرقة هو ابتداء كلام من الله تعالى مقطوع مما قبله وهو بالمعنى وعدم متصل بدكر احسان المتقين في مقالته ومعنى حسنة مكافأة في الدنيا باحسانهم ولهم في الآخرة ما هو خير منها ولما ذكر حال الكفار في الدنيا والآخرة ذكر حال المؤمنين في الدارين والظاهر أن المخصوص بالمدح هو جنات عدن * وقال الزمخشري ولنعم دار المتقين دار الآخرة فحذف المخصص بالمدح لنقدم ذكره وكنات عدن خبر مبتدأ محذوف انتهى وقاله ابن عطية وقبلهما الزجاج وابن الأنباري وجوزوا أن يكون جنات عدن مبتدأ والخبر يدخلونها * وقرأ زيد بن ثابت وأبو عبيد الرحمن جنات عدن بالنصب على الاشتغال أى يدخلون جنات عدن يدخلونها وهذه القراءة تقوى اعراب جنات عدن بالرفع انه مبتدأ ويدخلونها الخبر * وقرأ زيد ابن علي ولنعمت دار بقاء مضمومة ودار مخفوض بالاضافة فيكون نعمت مبتدأ وكنات الخبر * وقرأ السامى تدخلونها ببناء الخطاب * وقرأ اسماعيل بن جعفر عن نافع يدخلونها ببناء على الغيبة والفعل مبنى للمفعول ورويت عن أبي جعفر وشيبة تجرى * قال ابن عطية في موضع الحال * وقال الحوفي في موضع نعت جنات انتهى فكان ابن عطية لحظ كون جنات عدن معرفة والحوفي لحظ كونها نكرة وذلك على الخلاف في عدن هل هي علم أو نكرة بمعنى اقامة والكاف في موضع نصب نعمت المصدر محذوف أى جزاء مثل جزاء الذين أحسنوا يجزى وطيبين حال من مفعول تتوفاهم والمعنى انهم صالحوا الاحوال مستعدون للموت والطيب الذى لا خبث فيه ومنه طيبتم فادخلوها خالدين * وقال أبو معاذ طيبين طاهرين من الشر لا بالكلمة الطيبة * وقيل طيبين سهلة وفانهم لا صعوبة فيها ولا ألم بخلاف ما يقبض روح الكافر والمخلط * وقيل طيبة نفوسهم بالرجوع الى الله تعالى * وقيل را كينة أفعالهم وأقوالهم * وقيل صالحين * وقال الزمخشري طاهرين من ظلم أنفسهم بالكفر والمعاصي لانه في مقابلة طالمى أنفسهم ويقولون نصب على الحال من الملائكة وتسليم الملائكة عليهم بشاراة من الله تعالى وفي هذا المعنى أحاديث صحاح وقوله هدى للمتقين هو وقت قبض أرواحهم قاله ابن مسعود ومحمد بن كعب ومجاهد والاكثر من جعلوا التبشير بالجنة دخولا مجازا * وقال مقاتل والحسن عند دخول الجنة وهو قول خزنة الجنة لهم في الآخرة سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار فعلى هذا القول يكون يقولون حالا مقدرة ولا يكون القول وقت التوفى وعلى هذا يحتمل أن يكون الذين مبتدأ والخبر يقولون والمعنى يقولون لهم سلام عليكم ويدل لهذا القول قولهم ادخلوا الجنة وقت الموت لا يقال لهم ادخلوا الجنة فالتوفى هنا توفى الملائكة لهم وقت الحشر وقوله بما كنتم تعملون ظاهره في دخول الجنة

هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي أمر ربك كذلك فعل الذين من قبلهم
ذلك بوعيدهم وتهديدهم ثم توعد من وصف القرآن بالخيرية فيبين أن أولئك الكفرة لا يرتدعون عن حالهم إلى أن تأتيهم
الملائكة بالتهديد أو أمر الله تعالى بعذاب الاستئصال والكاف (٤٨٩) في موضع نصب أي مثل فعلهم في انتظار الملائكة

أو أمر الله فعل الكفار
الذين تقدموهم * ولكن
كانوا أنفسهم يظلمون *
بكفرهم وتكذيبهم الذي
أوجب لهم العذاب في
الدنيا والآخرة وقوله
فأصابهم معطوف على
فعل ومما ظلمهم اعتراض
وستأتي عقوبات كفرهم
* وحاق بهم * أي أحاط
بهم جزاء استهزائهم * وقال
الذين أشركوا * تقدم
الكلام عليه في آخر سورة
الانعام * ولقد بعثنا في
كل أمة رسولا * الآية
ذكر الله تعالى بعثه الرسل
في الأمم السالفة فلا
يستنكر بعثه محمد صلى
الله عليه وسلم في هذه الأمة
وأن يجوز أن تكون
تفسيرية بمعنى أي وأن
تكون مصدرية وتقدم
مدلول الطاغوت في
البقرة * من هدى الله *
أي فمنهم من اعتبر فهداه الله
ومنهم من أعرض وكفر
ثم أحاطهم في معرفة ذلك
على المسير في الأرض
عاقبة المكذبين لرسولهم
بما جازاه عن الله تعالى

بالعمل الصالح * هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي أمر ربك كذلك فعل الذين من قبلهم
ومما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون * فأصابهم سيئات ما عملوا وحق بهم ما كانوا به
يستهزون * وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من
دونه من شيء كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسل إلا البلاغ المبين * مناسبة هذه الآية لما قبلها
أنه تعالى لما ذكر طعن الكفار في القرآن بقولهم أساطير الأولين ثم أتبع ذلك بوعيدهم وتهديدهم
ثم توعد من وصف القرآن بالخيرية فيبين أن أولئك الكفرة لا يرتدعون عن حالهم إلا أن تأتيهم
الملائكة بالتهديد أو أمر الله بعذاب الاستئصال * وقرأ حمزة والكسائي يأتيهم بالياء وهي قراءة
ابن وثاب وطلحة والاعمش وباقي السبعة بالتاء على تأنيث الجمع وتيان الملائكة لقبض الأرواح
وهم ظالمو أنفسهم وأمر ربك العذاب المستأصل أو القيامة والكاف في موضع نصب أي مثل
فعلهم في انتظار الملائكة أو أمر الله فعل الكفار الذين يقدمونهم * وقيل مثل فعلهم في الكفر
والديمومة عليه فعل متقدموهم من الكفار * وقيل فعل هنا كناية عن اغترارهم كأنه قيل مثل
اغترارهم باستبطاء العذاب اغترالذين من قبلهم والظاهر القول الأول لدلالة هل ينظرون عليه وما
ظلمهم الله باهلا كهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون بكفرهم وتكذيبهم الذي أوجب لهم العذاب
في الدنيا والآخرة وقوله فأصابهم معطوف على فعل ومما ظلمهم اعتراض وسيئات عقوبات كفرهم
وحاق بهم أحاط بهم جزاء استهزائهم * وقال الذين أشركوا تقدم تفسير مثل هذه الآية في آخر
الانعام فاغنى عن الكلام في هذا * وقال الزمخشري هنا يعني أنهم أشركوا بالله وحرّموا ما أحل
من البحيرة والسائبة وغيرهما ثم نسبوا فعلهم إلى الله وقالوا لو شاء الله لم نفعل وهذا مذهب المجبرة
بعينه كذلك فعل الذين من قبلهم أي أشركوا وحرّموا حلال الله فأنهوا على قبح فعلهم وركوا
على ربهم فهل على الرسل إلا أن يبلغوا الحق وإن الله لا يشاء الشر واللعاصي بالبيان والبرهان
ويطلعوا على بطلان الشر لا وبقبحه وبراءة الله من أفعال العباد وأنهم فاعلوا ما بقصدتهم وادّعتهم
واختيارهم والله تعالى باعثهم على جيلها وموفقهم له ورازحهم عن قبيحها وموعدهم عليه انتهى
وهو على طريقة الاعتزال وهذا القول صادر من أقرب وجود الباري تعالى وهم لا كثرون أو
ممن لا يقول بوجوده فعلى تقدير أن الرب الذي يعبد محمد ويصفه بالعلم والقدرة يعلم حالنا وهذا
جدال من أي الصنفين كان ليس فيه استهزاء * وقال الزجاج قالوا ذلك على سبيل الاستهزاء ومن
المطابقة التي أنكرت مطابقة الأدلة لأقامة الحجة من مذهب خصمها مستهزئة في ذلك * ولقد بعثنا
في كل أمة رسولا منهم أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه
الضلالة فسير وافى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين * إن تحرص على هدايتهم فإن
الله لا يهدي من يضل وما لهم من ناصرين * وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت بلى

(٦٢ - تفسير البحر المحيط لابي حيان - خامس) ثم خاطب نبيه عليه السلام وأعاد أنه من حتم تعالى عليه بالضلالة لا يجدي
فيه الحرص على هدايته وقرى لا يهدي مبنيا للفعول ومن مفعول ما لم يسم فاعله والفاعل في يضل ضمير الله تعالى والعائد على من
محذوف تقديره من يضل الله وقرى يهدي مبنيا للفاعل والظاهر أن في يهدي ضمير يعود على الله ومن مفعول وقرأ أن فرق يهدي
بضم الياء وكسر الدال وهي ضعيفة انتهى * حكى الفراء أن هدى بمعنى اهتدى لازم ما وادّعت أن هدى بمعنى اهتدى كما حكاه الفراء

وعدا عليه حقا ولكن أكثر الناس لا يعلمون * ليبين لهم الذي يختلفون فيه ولا يعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين * قال الزمخشري ولقد أمدأ بطل قدر السوء ومشية الشر بانه ما من أمة الا وقد بعث فيهم رسولا يأمرهم بالخير الذي هو الايمان وعبادة الله واجتناب الشر الذي هو الطاغوت فمنهم من هدى الله أي لطف به لانه عرفهم من أهل اللطف ومنهم من حق عليه الضلالة أي ثبت عليه الخذلان والشرك من اللطف لانه عرفهم مصمما على الكفر لا يأتي منه خير فسير وافى الأرض فانظروا ما فعلت بالكاذبين حتى لا تبقى لكم شبهة وانى لا أقدر الشر ولا أشاؤه حيث ما فعل ما فعل بالانصرار انتهى وهو على طريقة الاعتزال ولما قال فهل على الرسل الا البلاغ المبين بين ذلك هنا بانه بعث الرسل بعبادته وتجنب عبادة غيره فمنهم من اعتبر فهداه الله ومنهم من أعرض وكفر ثم أحالهم في معرفة ذلك على السير في الأرض واستقراء الأمم والوقوف على عذاب الكافرين المكذبين ثم خاطب نبيه وأعلمه أن من حتم عليه بالضلالة لا يجدي فيه الحصر على هدايته * وقرأ النخعي وان بزيادة واو وهو والحسن وأبو حنيفة تحرص بفتح الراء مضارع حرص بكسر ها وهي لغة * وقرأ الجمهور بالكسرة مضارع حرص بالفتح وهي لغة الحجاز * وقرأ الحرميان والعريبيان والحسن والأعرج ومجاهد وشيبة وشبل ومزاحم الخراساني والطاردي وابن سيرين لا يهتدي مبنيا للمفعول ومن مفعول لم يسم فاعله والفاعل في يضل ضمير الله والعايد على من محذوف تقديره من يضل الله * وقرأ الكوفيون وابن مسعود وابن المسيب وجماعة يهتدي مبنيا للفاعل والظاهر ان في يهتدي ضميرا يعود على الله ومن مفعول وعلى ما حكى الفراء ان هدى يأتي بمعنى اهتدي يكون لازما والفاعل من أي لا يهتدي من يضل الله * وقرأت فرقة منهم عبد الله لا يهتدي بفتح الياء وكسر الهاء والبال كذا قال ابن عطية ويعني وتشديد الدال وأصله يهتدي فأدغم كقولك في يختصم يختصم * وقرأت فرقة يهتدي بضم الياء وكسر الدال * قال ابن عطية وهي ضعيفة انتهى واذا ثبت ان هدى لازم بمعنى اهتدي لم تكن ضعيفة لانه أدخل على اللازم همزة التعدية فالمعنى لا يجعل مهتديا من أصله وفي مصحف أبي لا هادي لمن أضل * وقال الزمخشري وفي قراءة أبي فان الله لا هادي لمن يضل ومن أضل * وقرئ يضل بفتح الياء وقال أيضا حرص رسول الله صلى الله عليه وسلم على ايمان قريش وعرفه أنهم من قسم من حق عليه الضلالة وانه لا يهتدي من يضل أي لا يلفظ بمن يخلد لانه عبث والله تعالى متعال عن العبث لانه من قبيل القبائح التي لا تجوز عليه انتهى وهو على طريقة الاعتزال والضمير في لهم عائد على معنى من والضمير في وأقسموا عائد على كفار قريش وعن أبي العالية نزلت في رجل من المسامين تقاضى ديننا على رجل من المشركين فكان فيما تكلم به المسلم الذي ادخره بعد الموت فقال المشرك وأنكر انك تبعث بعد الموت واقسم بالله لا يبعث الله من يموت بلى رد عليه ما نفاه وأكده بالقسم والتقدير بلى يبعثه وانتصب وعدا وحقا على انهما مصدران مؤكدان لما دل عليه بلى من تقدير المحذوف الذي هو يبعثه * وقال الحوفي حقانعت لوعدا * وقرأ الضحاك بلى وعدو حق والتقدير بعثهم وعد عليه حق وحق صفقة لوعده * وقال الزمخشري وأقسموا بالله معطوف على وقال الذين أشركوا ايدانابانهم ما كفرتان عظمتان موصوفتان حقيقةتان بأن تحكميا وتدويريك ذنوبهم على مشيئة الله وانكارهم البعث مقسمين عليه وبين ان الوفاء بهذا الموعد حق واجب عليه ولكن أكثر الناس لا يعلمون أنهم يبعثون أو انه وعد واجب على الله لانهم

عائد على معنى من والضمير في وأقسموا عائد على كفار قريش * تقدم الكلام عليه في الانعام وانتصب وعدا وحقا على أنهم ما صدر ان يؤكدا لما دل عليه بلى من تقدير المحذوف الذي هو يبعثه ليبين لهم اللام في ليبين متعلقة بالفعل المقدر بعد بلى أي يبعثهم ليبين لهم كما تقول الرجل ما ضربت أحدا فتقول بلى زيدا أي ضربت زيدا ويعود الضمير في يبعثهم المقدر وفي لهم على معنى من في قوله من يموت وهو شامل للمؤمنين والكفار والذين اختلفوا فيه هو الحق وأنهم كانوا كاذبين فيما اعتقدوا من جعل آلهة مع الله تعالى وانكار النبوات وانكار البعث وغير ذلك مما أمروا به وبين لهم أنه دين الله فكذبوا به وكذبوا في نسبة أشياء اليه تعالى

(الدر)

(ع) وقرأت فرقة يهتدي بضم الياء وكسر الدال وهي ضعيفة انتهى (ح) حكى الفراء أن هدى يأتي بمعنى اهتدي لازما وإذا ثبت أن هدى لازم بمعنى

اهتدي كما حكاه الفراء لم تكن ضعيفة لانه أدخل على اللازم همزة التعدية فالمعنى لا يجعل مهتديا من أصله

﴿ انما قولنا لشيء اذا اردناه ﴾ الآية لما تقدم انكارهم البعث وكذبوا ذلك بالخلف بالله الذي اوجدهم ورد عليهم بقوله بلى وذكر حقيقة وعده بذلك اوضح أنه تعالى متى تعلقت ارادته بوجود شيء اوجده وقد اقروا بأنه تعالى خالق هذا العالم سمائه وأرضه وأن ايجاده لذلك لم يتوقف على سبق مادة ولا آله فكما قدر على الابداء ابتداء وجب أن يكون قادرا على الاعادة وتقدم الكلام في قوله كن في البقرة والظاهر أن اللام في شيء وفي له هي للتبليغ كقولك قلت لزيد قم * قال ابن عطية اذا اردناه تنزل منزلة مراد ولكن أنى بهذه الألفاظ المستأنفة بحسب أن الموجودات تجيء وتظهر شيئا بعد شيء فكانه قال اذا ظهر المراد فيه وعلى هذا الوجه يخرج قوله فسيرى الله عملكم ورسوله وقوله ليعلم (٤٩١) الله الذين آمنوا منهم ونحو هذا معناه يقع منكم بارادة الله تعالى في الأزل وعامه

يقولون لا يجب على الله شيء لاثواب عامل ولا غيره من مواجب الحكمة انتهى وهو على طريقة الاعتزال وأكثرا الناس هم الكفار المكذبون بالبعث وأما قول الشيعة أن الإشارة بهذه الآية انما هي لعلي بن أبي طالب وأن الله سيبعثه في الدنيا فمخافة من القول والقول بالرجعة باطل واقتراء على الله على عادتهم رده ابن عباس وغيره واللام في ليبين متعلقة بالفعل المقدر بعد بلى أي نبههم ليبين لهم كما يقول الرجل ما ضربت أحدا فيقول بلى زيدا أي ضربت زيدا ويعود الضمير في يبعثهم المقدر وفي لهم على معنى من في قوله من يموت وهو شامل للمؤمنين والكفار والذي اختلفوا فيه هو الحق وانهم كانوا كاذبين فيما اعتقدوا من جعل آلهة مع الله وانكار النبوات وانكار البعث وغير ذلك مما أمروا به وبين لهم أنه دين الله فكذبوا به وكذبوا في نسبة أشياء إلى الله تعالى * وقال الزمخشري أنهم كذبوا في قولهم لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء وفي قولهم لا يبعث الله من يموت انتهى وفي قولهم دسيصة الاعتزال * وقيل تتعلق ليبين بقوله ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أي ليظهر لهم اختلافهم وان الكفار كانوا على ضلالة من قبل بعث ذلك الرسول كاذبون في رد ما يجيء به الرسل ﴿ انما قولنا لشيء اذا اردناه أن نقول له كن فيكون ﴾ والذين هاجروا في الله من بعد ما ظاهروا لنبؤ أنهم في الدنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون * الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون ﴿ لما تقدم انكارهم البعث وكذبوا ذلك بالخلف بالله الذي اوجدهم ورد عليهم تعالى بقوله بلى وذكر حقيقة وعده بذلك اوضح أنه تعالى متى تعلقت ارادته بوجود شيء اوجده وقد اقروا بأنه تعالى خالق هذا العالم سمائه وأرضه وأن ايجاده ذلك لم يتوقف على سبق مادة ولا آله فكما قدر على الابداء ابتداء وجب أن يكون قادرا على الاعادة وتقدم تفسير قوله تعالى كن فيكون في البقرة فأغنى عن اعادته والظاهر أن اللام في شيء وفي له للتبليغ كقولك قلت لزيد قم * وقال الزجاج هي لام السبب أي لأجل ايجاد شيء وكذلك له أي لأجله * قال ابن عطية وما في ألفاظ هذه الآية من معنى الاستقبال والاستئناس انما هو راجع إلى المراد لا إلى الارادة وذلك أن الأشياء المرادة المكونة في وجودها استئناس واستقبال لا في ارادة ذلك ولا في الأمر به لان ذينك قديمان فمن أجل المراد عبر باذا ونقول وأما قوله لشيء فيحتمل وجهين * أحدهما انه لما كان وجوده حتما جاز أن يسمى شيئا وهو في حالة عدم * والثاني أن قوله لشيء تنبيه على الأمثلة التي ينظر فيها وان ما كان

تدل على اقتران الجملة بالزمن الماضي وهو تعالى متصف بهذا الوصف ماضيا وحالا ومستقبلا وتقدم بالفعل بالزمن لا يدل على نفيه بغير ذلك الزمن ﴿ والذين هاجروا في الله ﴾ عام في المهاجرين كائنا ما كانوا في شمل أولهم وآخرهم ﴿ من بعد ما ظاهروا ﴾ كخبايا بن الارت والمخرجين إلى أرض الحبشة والظاهر انتصاب حسنة على أنه نعت لمصدر محذوف يدل عليه الفعل أي تبوءة حسنة وقيل انتصاب حسنة على المصدر على غير المصدر لان معنى لنبؤتهم في الدنيا أي التحسن إليهم حسنة في معنى احسانا والضمير في يعامون عائدا على المؤمنين أي لو كانوا يعلمون ذلك لرادوا في اجتهادهم وصبرهم والذين صبروا على تقدير رحم الذين أو أعنى الذين صبروا على العذاب وعلى مفارقة الوطن لاسيما حرم الله تعالى المحبوب لكل قلب مؤمن فكيف لمن كان مسقط

(الدر)

(ع) اذا أردناه تنزل منزلة مراد ولكنه أنى هذه الألفاظ المستأنفة بحسب ان الموجودات تجي وتظهر شيأ بعد شي فكانه قال اذا ظهر المراد فيه وعلى هذا الوجه يخرج قوله فسيرى الله عملكم ورسوله وقوله ليعلم الله الله الذين آمنوا منكم ونحو هذا معناه يقع منكم بارادة الله في الأزل وعلمه وقوله أن نقول تنزل منزلة المصدر كأنه قال قولنا شي ولكن أن مع الفعل تعطى استئنافا ليس في المصدر في أغلب أمرها وقد تجي في مواضع لا يلحظ في الزمن كهذه الآية وكقوله تعالى ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره وغير ذلك (ح) ولكن أن مع الفعل يعنى المضارع وقوله في أغلب أمرها ليس بجيد بل تدل على المستقبل في جميع أمرها وأما قوله وقد يجي الى آخره فلم يفهم ذلك من دلالة أن وانما ذلك من نسبة قيام السماء والأرض بأمر الله لان هذا لا يختص بالمستقبل دون الماضي في

منها موجودا كان مرادا وقيل له كن فكان فصار مثالا لما يتأخر من الأمور بما تقدم وفي هذا مخلص من تسمية المعلوم شيأ انتهى وفيه بعض تلخيص * وقال اذا أردناه منزل منزلة مراد ولكنه أنى هذه الألفاظ المستأنفة بحسب ان الموجودات تجي وتظهر شيأ بعد شي فكانه قال اذا ظهر المراد فيه وعلى هذا الوجه يخرج قوله فسيرى الله عملكم وقوله ليعلم الله الله الذين آمنوا منكم ونحو هذا معناه يقع منكم ما أراد الله تعالى في الأزل وعلمه وقوله أن نقول ينزل منزلة المصدر كأنه قال قولنا شي ولكن أن مع الفعل تعطى استئنافا ليس في المصدر في أغلب أمرها وقد تجي في مواضع لا يلحظ في الزمن كهذه الآية وكقوله تعالى ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره وغير ذلك انتهى وقوله ولكن أن مع الفعل يعنى المضارع وقوله في أغلب أمرها ليس بجيد بل تدل على المستقبل في جميع أمورها وأما قوله وقد تجي الى آخره فلم يفهم ذلك من دلالة أن وانما ذلك من نسبة قيام السماء والأرض بأمر الله لان هذا لا يختص بالمستقبل دون الماضي في حق تعالى ونظيره ان الله كان على كل شي قديرا فكان تدل على اقتران مضمون الجملة بالزمن الماضي وهو تعالى متصف بهذا الوصف ماضيا وحالا ومستقبلا وتقييد الفعل بالزمن لا يدل على نفيه عن غير ذلك الزمن * والذين هاجروا قال قتادة نزلت في مهاجري أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم * وقال داود بن أبي هند في أبي جندل بن سهيل بن عمرو وعن ابن عباس في صهيب وبلال وخباب بن الأرت وأضرابهم عندهم المشركون بمكة فبواهم الله المدينة وعلى هذا الاختلاف في السبب يتنزل المراد بقوله والذين هاجروا * قال ابن عطية لما ذكر الله كفار مكة الذين أقسموا بان الله لا يبعث من يموت ورد على قولهم ذكر مؤمنى مكة المعاصرين لهم وهم الذين هاجروا الى أرض الحبشة هذا قول الجمهور وهو الصحيح في سبب الآية لان هجرة المدينة ما كانت الا بعد وقت نزول الآية انتهى والذين هاجروا عموم في المهاجرين كائنا ما كانوا في شمل أولهم وآخرهم * وقرأ الجمهور لنبؤأنهم والظاهر انتصاب حسنة على أنه نعت لمصدر محذوف يدل عليه الفعل أى تبوءة حسنة * وقيل انتصاب حسنة على المصدر على غير المصدر لان معنى لنبؤأنهم في الدنيا التحسن اليهم فحسنة في معنى احسانا * وقال أبو البقاء حسنة مفعول ثان لنبؤأنهم لان معناه لنعطيهمهم ويجوز أن يكون صفة محذوف أى دار احسنة انتهى * وقال الحسن والشعبي وقمادة دار احسنة وهى المدينة * وقيل التقدير منزلة حسنة وهى الغلبة على أهل مكة الذين ظاموا وعلى العرب قاطبة وعلى أهل المشرق والمغرب * وقال مجاهد الرزق الحسن * وقال الضحاك النصر على عدوهم * وقيل ما استولوا عليه من فتوح البلاد و صار لهم فيها من الولايات * وقيل ما بقى لهم فيها من الشئ وما صار فيها للأولادهم من الشرف * وقيل الحسنة كل شئ مستحسن ناله المهاجرون * وقرأ على وعبد الله ونعيم ابن مسرّة والربيع بن خيثم لنشوينهم بالشاء المثلثة مضارع أثوى المنقول بهمزة التعدية من ثوى بالمكان أقام فيه وانتصب حسنة على تقدير إثواة حسنة أو على نزاع الخافض أى في حسنة أى دار حسنة أو منزلة حسنة ودل هذا الاخبار بالموكد بالقسم على عظيم محل الهجرة لانه بسببها ظهرت قوة الاسلام كما ان بنصرة الأنصار قويت شوكتهم وفي الله دليل على اخلاص العمل لله ومن هاجر لغير الله هجرته لما هاجر اليه وفي الاخبار عن الذين بجملته القسم المحذوف الدال عليها الجملة المقسم

حقه تعالى ونظيره ان الله كان على كل شي قديرا فكان تدل على اقتران مضمون الجملة بالزمن الماضي وهو تعالى متصف بهذا الوصف ماضيا وحالا ومستقبلا وتقييد الفعل بالزمن لا يدل على نفيه عن غير ذلك الزمن

﴿ وما أرسلنا من قبلك ﴾ الآية نزلت الى ما يؤمرون في مشركي مكة أنسكروا نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا الله أعظم أن يكون رسوله بشرا فها لبعت إنياء لمكا وتقدم تفه ير هذا الجملة في أواخر سورة يوسف والمعنى يوحى إليهم على السنة الملائكة والأجود أن يتعلق قوله بالبينات بمضمر يدل عليه ما قبله كأنه قيل بم أرسلوا قال أرسلناهم بالبينات والزبر فتكون على كلامين قال الزخشرى يتعلق بما أرسلنا قوله بالبينات داخل تحت حكم الاستثناء مع رجالا أى وما أرسلنا الرجال بالبينات كقولك ما ضربت الأزيد بالسوط لأن أصله ضربت زيدا بالسوط انتهى هذا قاله الحوفي وقال أبو البقاء وفيه ضعف لأن ما قبل إلا لا يعمل فيما بعدها إذا تم الكلام على الأوماليها إلا أنه قد جاء (٤٩٣) في الشعر قول الشاعر

ليتهم عذبوا بالنار جارهم *

ولا يعذب إلا الله بالنار *

انتهى وهذا الذى أجاز به

الحوفي والزخشرى لا

يجوز على ذهب جمهور

البصريين لأنهم لا يجوزون

أن يقع بعد إلا إلا مستثنى

أو مستثنى منه أو تابع وما

ظن من غير الثلاثة معمو لا

لما قبل إلا قدر له عامل

﴿ وأنزلنا إليك الذكر ﴾

هو القرآن وقيل له ذكر

لأنه وعظة وتنبية للغافلين

ويحتمل أن يريد لتبيين

بتفسيرك المجمل وشرحك

ما أشكل فيدخل في هذا

ما بينته السنة من أمر

الشرعية ﴿ ولعلمهم ﴾

يتفكرون ﴿ أى إرادة أن

يصغوا إلى تنبيهاته فيمتنبها

ويتأملوا والسيئات نعت

المصدر محذوف أى المكرات

السيئات والذين مكروا

في قول الأكرين هم أهل

عليها دليل على صحة وقوع الجملة القسمية خبرا للمبتدأ خلافا للعلب وأجاز أبو البقاء أن يكون الذين منصوبا بفعل محذوف يدل عليه لنسبوا أنهم وهو لا يجوز لأنه لا يفسر إلا ما يجوز له أن يعمل ولا يجوز زيدا لأضرب بن فلا يجوز زيدا لأضرب به * وعن عمر رضى الله عنه أنه كان إذا أعطى رجلا من المهاجرين عطاءه قال خذ بارك الله لك فيه هذا ما وعدك في الدنيا وما دخر لك في الآخرة أكثر ولا أجر الآخرة أى ولا أجر الدار الآخرة أكبر أى أكبر أن يعاونه أحد قبل مشاهدته كما قال وإذا رأيت ثم رأيت نعيما ومكرا كبيرا والضمير في يعاومون عائدا على الكفار أى لو كانوا يعاومون أن الله يجمع لهؤلاء المستضعفين في أيديهم الدنيا والآخرة لرغبوا في دينهم * وقيل يعود على المؤمنين أى لو كانوا يعاومون ذلك ل زادوا في اجتهادهم وصبرهم والذين صبروا على تقديرهم الذين أو أعنى الذين صبروا على العذاب وعلى مفارقة الوطن لاسيما حرم الله المحبوب لكل قلب مؤمن فكيف لمن كان مسقط رأسه وعلى بذل الروح في ذات الله واحتمال الغربة في دار لم يتشأها وناس لم يألفهم أجنب حتى في النسب ﴿ وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم فاستلوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون ﴾ بالبينات والزبر وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلمهم يتفكرون * أفأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الأرض أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون أو يأخذهم في تقلبهم فما هم بمعجزين * أو يأخذهم على تخوف فإن ربكم لرؤوف رحيم ﴿ نزلت في مشركي مكة أنسكروا نبوة الرسول عليه الصلاة والسلام وقالوا الله أعظم أن يكون رسوله بشرا فها لبعت إنياء لمكا وتقدم تفسير هذه الجملة في آخر يوسف والمعنى يوحى إليهم على السنة الملائكة ﴿ وقرأ الجمهور يوحى بالياء وفتح الحاء وقرأت فرقة بالياء وكسرها وعبد الله والسامى وطاحه وحفص بالنون وكسرها وأهل الذكر اليهود والنصارى قاله ابن عباس ومجاهد والحسن وعن مجاهد أيضا اليهود والذكر التوراة لقوله تعالى ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكرو عن عبد الله بن سلام وسامان * وقال الأعمش وابن عيينة من أسلم من اليهود والنصارى * وقال الزجاج عام فمين يعزى إليه علم * وقال أبو جعفر وابن زيد أهل القرآن ويضعف هذا القول وقول من قال من أسلم من الفريقين لأنه لا حجة على الكفار في اخبار المؤمنين لأنهم مكذبون لهم * قال ابن عطية والظاهر أنهم اليهود والنصارى الذين لم

مكة مكروا برسول الله صلى الله عليه وسلم والخسف بلغ الأرض الخسوف بدوقعودها بهانى أسفل وذاكر النقاش أنه وقع الخسف في هذه الأمة بهم الأرض كما فعل بقارون وذاكر لنا أن اخلاط من بلاد الروم خسف بها وحين أحس أهلها بذلك فرأ كثرة وأن بعض التجار ممن كان يرد إليها رأى ذلك من بعيد فرجع بتجارته ﴿ من حيث لا يشعرون ﴾ من الجهة التي لا شعور لهم بمجيء العذاب منها كما فعل بقوم لوط ﴿ في تقلبهم ﴾ في أسفارهم والاختدنا الاهلاك كقوله تعالى فكلا أخذنا بذنبه وعلى تخوف على نقص قاله ابن عباس وقال ابن جرير ضد البغمة أى على حدوث حالات يخاف منها كالرياح والزلازل والصواعق ولهذا ختم بقوله

(الدر) (ح) أجاز أبو البقاء أن يكون الذين منصوبا بفعل محذوف يدل عليه لنسبوا أنهم وهذا لا يجوز لأنه لا يفسر إلا ما يجوز له أن يعمل ولا يجوز أن يقول زيدا لأضرب فلا يجوز أن تقول زيدا لأضرب به لما ذكرناه

يسامواهم في هذه الآية النازلة انما يخبرون من الرسل عن البشر واخبارهم حجة على هؤلاء فانهم لم يزوالوا صدق لهم ولا يهتمون بشهادة لهم لنا لأنهم مدافعون في صدر ملة محمد صلى الله عليه وسلم وهذا هو كسر حججهم ومنعهم لاننا افتقرنا الى شهادة هؤلاء بل الحق واضح في نفسه وقد أرسلت قريش الى يهود يثرب يسألونهم ويسدون اليهم انتهى والاجود أن يتعلق قوله بالبينات بمضمير يدل عليه ما قبله كأنه قيل بم أرسلوا قال أرسلناهم بالبينات والزبر فيكون على كلامين وقاله الزمخشري وابن عطية وغيرهما وقد يتعلق بقوله وما أرسلنا و هذا فيه وجهان أحدهما ان النية فيه التقديم قبل أداة الاستثناء والتقدير وما أرسلنا من قبلك بالبينات والزبر الا رجلا حتى لا يكون ما بعد الامعمولين متأخرين لفظا ورتبة داخلين تحت الحصر لما قبلها وهذا حكاه ابن عطية عن فرقة والوجه الثاني ان لا ينوي به التقديم بل وقع ما بعد الا في نية الحصر وهذا قاله الخوفي والزمخشري وبدأ به قال يتعلق بما أرسلنا داخل تحت حكم الاستثناء مع رجالاتي وما أرسلنا الا رجلا بالبينات كقولك ما ضربت الا زيدا بالسوط لأن أصله ضربت زيدا بالسوط انتهى * وقال أبو البقاء وفيه ضعف لأن ما قبل الا لا يعمل فيما بعدها اذ اتم الكلام على الا وما يليها الا أنه قد جاء في الشعر * قال الشاعر

ليتهم عذبوا بالنار جارهم * ولا يعذب الا الله بالنار

انتهى وهذا الذي أجاز به الخوفي والزمخشري لا يجوز على مذهب جمهور البصريين لأنهم لا يجيزون أن يقع بعد الا المستثنى أو مستثنى منه أو تابع وما ظن من غير الثلاثة معمولا لما قبل الا قدر له عامل وأجاز الكسائي أن تقع معمولا لما قبلها منصوب نحو ما ضرب الزيد عمرا ومخفوض نحو ما ضرب الزيد بعمرو ومرفوع نحو ما ضرب الزيد عمرو ووافق ابن الأنباري في المرفوع والاختفاء في الظرف والجار والحال قال قول الذي قاله الخوفي والزمخشري يقتضي على مذهب الكسائي والاختفاء ودلائل هذه المذاهب مذكورة في علم النحو وأجاز الزمخشري أن يكون صفة لجال أي رجلا ملتبسين بالبينات فيتعلق بمحذوف وهذا وجه سائغ لأنه في موضع صفة لما بعد الا فوصف رجلا يموحى اليهم وبذلك العامل في بالبينات كما تقول ما كرمتم الا رجلا مساملا متبسا بالخير وأجاز أيضا أن يتعلق يموحى اليهم وان يتعلق بلا يعامون قال على أن الشرط في معنى التبيكيت والالزام كقول الاجير ان كنت عملت لك فاعطني حقي وقوله فاسألوا أهل الذكرا اعتراضا على الوجود المتقدم يعني من التي ذكر غير الوجه الاخير وأنزلنا اليك الذكرا هو القرآن وقيل له ذكر لأنه موعظة وتنبيه للغافلين * وقيل الذكرا العلم مانزل اليهم من المشكل والمثابه لأن النص والظاهر لا يحتاجان الى بيان * وقال الزمخشري مما أمر وابه ونهوا عنه ووعدوا وأوعدوا * وقال ابن عطية لتبين بمراد النص القرآن مانزل اليهم ويحتمل أن يريد لتبين بتفسيرك الجميل وشرحك ما أشكل فيدخل في هذا ما تبينه السنة من أمر الشرعية وهذا قول مجاهد انتهى ولعلمهم يتفكرون أي واردة أن يصغوا الى تنبيهاته فيمتثلوا ويتأملوا والسيئات نعت لمصدر محذوف أي المكرات السيئات قاله الزمخشري أو مفعول بمكروا على تضمين مكروا معنى فعلوا وعملوا والسيئات على هذا ما عاصى الكفر وغيره قاله قتادة أو مفعول بامن ويعني به العقوبات التي تسوءهم ذكرهما ابن عطية وعلى هذا الاخير يكون أن يخسف بدلا من السيئات وعلى القولين قبله مفعول بامن والذين مكروا في قول الاكثرين هم أهل مكة مكروا بالرسول صلى الله عليه وسلم * وقال مجاهد هو نمروذ والخسف بلع الارض الخسوف به ووقع دهابه الى أسفل وذكر النقاش انه وقع الخسف في هذه الامة بهم الارض

تعالى إن ربكم لرؤوف رحيم لان في ذلك مهلة وامتداد وقت فيمكن فيه التلافي

(الدر)

(ش) يتعلق بما أرسلنا يعني قوله بالبينات داخل تحت حكم الاستثناء مع رجالاتي وما أرسلنا الا رجلا بالبينات كقولك ما ضربت الا زيدا بالسوط لان أصله ضربت زيدا بالسوط انتهى (ح) هذا قاله الخوفي وقال أبو البقاء وفيه ضعف لان ما قبل الا لا يعمل فيما بعدها اذ اتم الكلام على الا وما يليها الا أنه قد جاء في الشعر قوله

ليتهم عذبوا بالنار جارهم ولا يعذب الا الله بالنار انتهى وهذا الذي أجاز به الخوفي (وش) لا يجوز على مذهب جمهور البصريين لأنهم لا يجيزون أن يقع بعد الا المستثنى أو مستثنى منه أو تابع وما ظن من غير الثلاثة معمولا لما قبل الا قدر له عامل

﴿أولم يروا إلى ما خلق الله من شيء﴾ الآية لما ذكر تعالى قدرته على تعذيب الماكرين واهل الكفر بأنواع من الاخذ ذكر تعالى طواعية ما خلق من غيرهم وخضوعهم ضد حال الماكرين لينبغى بل يجب عليهم أن يكونوا طائعين منقادين لأمره تعالى والاستفهام هنا معناه التوبيخ والجملة من قوله يتفياً في موضع الصفة لشيء وما موصولة والعائد مخدوف تقديره خلقه ومن شيء تبين لما انهم في لفظ ما ويتفياً يتفعل من الفى وهو الرجوع يقال فاء الظل بى فيأرجع وعاد بعد ما نسخ ضياء الشمس وفاء اذا عدى فبالهمزة كقوله تعالى ما أفاء الله على رسوله أو بالضعيف نحو فاء الله الظل فتفياً وتقيماً من باب المطاوعة فهو لازم وقد استعمله أبو تمام متعدياً قال * طلبت ربيع ربيعة الممهي لها * (٤٩٥) وتقيماً ظلالها محمودا * ويحتاج ذلك الى نقله من كلام العرب متعدياً وبين

الفلك هو المشرق وشماله هو المغرب وخص هذان الاسمان بهذين الجانبين وقال شيخنا الاستاذ أبو الحسن علي بن محمد بن يوسف الكتاني المعروف بابن الصائغ أفرد وجع بالنظر الى الغائتين لان ظل الغداة يضمحل حتى لا يبقى منه الا اليسير فكانه في جهة واحدة وهو بالعشى على العكس لاستيلائه على جميع الجهات فلحظت الغائتان في الآية هذا من جهة المعنى وفيه من جهة اللفظ المطابقة لان سجداً جمع فطابقه جمع الشمايل لا اتصاله به فحصل في الآية مطابقة اللفظ للمعنى ولحظهم ما معاوتك الغاية في الاعجاز انتهى والظاهر حل الظلال على حقيقةها وعلى ذلك وقع

كما فعل بقارون وذ كر لنا أن اخلاطاً من بلاد الروم خسف بها وحين أحس أهلها بذلك فرأوا كثرة من وان بعض التجار ممن كان يرد اليها رأى ذلك من بعيد فرجع بتجارته من حيث لا يشعر من الجهة التي لا شعور لهم بمجيء العذاب منها كما فعل بقوم لوط في قلبهم في أسفارهم قاله قتادة أو في منامهم روى هذا وما قبله عن ابن عباس * وقال الضحاك وابن جريج ومقاتل في ليالهم ونهارهم أى حالة ذهابهم ومجيئهم فيهما * وقيل في قلبهم في مكرهم وحبيلهم فيأخذهم قبل تمام ذلك * وقال الزجاج جميع ما يتقلبون فيه فاهم بسابقين الله ولا فائتية والاذن هنا الاهلاك كقوله فكلأ أخذنا بذنبه وعلى تخوف على تنقص قاله ابن عباس ومجاهد والضحاك * وقال ابن قتيبة يقال خوفته وتخوفته اذا تنقصته وأخذت من ماله وجسمه * وقال الهيثم بن عدي هو النقص بلغة أزد شوءة وفي حديث لعمرانه سأل عن التخوف فأجابه شج بأنه التمتع في لغة هذيل * وأنشد قول أبي كثير الهذلي تخوف الرجل منها تامكاً فردا * كما تخوف عود النبعة السقر

وهذا التخوف بمعنى التنقص * قيل من أعماله * وقيل يأخذوا حداً بعد واحد وروى عن ابن عباس * وقال الزجاج بنقص ثمارهم وأموالهم حتى يهلكهم * وقيل على تخوف على خوف أن يعاقبهم أو يتجاوز عنهم قاله قتادة * وقال الزمخشري على تخوف متخوفين وهو أن يهلك قوماً قبلهم فيمتخوفوا فيأخذهم بالعذاب وهم متخوفون متوقعون وهو خلاف قوله من حيث لا يشعرون انتهى وقاله الضحاك يأخذ قرية فتخاف القرية الأخرى * وقال ابن بحر على تخوف ضد البغته أى على حدوث حالات يخاف منها كالرياح والزلازل والصواعق ولهذا ختم بقوله تعالى ان ربكم لرؤوف رحيم لأن في ذلك مهلة وامتداد وقت فيمكن فيه التلافي * وقال الليث بن سعد على تخوف على عجل * وقيل على تقرير بما قدموه وهذا مروي عن ابن عباس ولما كان تعالى قادراً على هذه الامور ولم يعاجلهم بها ناسب وصفه بالرافة والرحمة ﴿أولم يروا إلى ما خلق الله من شيء يتفياً وظلاله عن اليمين والشمائل سجداً لله وهم داخرون﴾ ولله يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون * يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون ﴿لما ذكر تعالى قدرته على تعذيب الماكرين واهل الكفر بأنواع من الاخذ ذكر تعالى طواعية ما خلق من غيرهم وخضوعه ضد حال الماكرين لينبغى بل يجب عليهم أن يكونوا طائعين منقادين لأمره﴾ وقرأ السامى والاعرج

كلام أكثر المفسرين وقالوا اذا طلعت الشمس وأتت متوجهة الى القبلة كان الظل قد أمك فاذا ارتفعت كان على يمينك فاذا كان بعد ذلك كان خلفك فاذا أردت الغروب كان عن يسارك قال الزمخشري سجداً حال من الظلال وهم داخرون ﴿حال من الضمير في ظلاله وما أجاز الزمخشري من أن وهم داخرون حال من الضمير في ظلاله فعلى مذهب جمهور البصريين لا يجوز وهي مسئلة جاءت في غلام هند ضاحكة فلا يجوز جاء في ضاحكة غلام هند ولما كان سجود الظلال في غاية الظهور بديء به ثم انتقل الى سجود ما في السموات والارض قال الزمخشري * فان قلت فهلا جئ بمن دون مانعيليا للعلاء من الدواب على غيرهم * قلت لأنه لو جئ بمن لم يكن فيه دليل على التغليب فكان متناولاً للعلاء

لجىء بما هو صالح للعقلاء وغيرهم ارادة العموم انتهى ظاهره تسليم أن من قد يشهد العقلاء وغيرهم على جهة التغليب وظاهر
الجواب تخصيص من بالعقلاء وأن الصالح للعقلاء وغيرهم مادون من وهذا ليس بجواب لأنه أورد الـ قال على التسليم ثم ذكر
الجواب على غير التسليم فصار المعنى أن من يغلبها (٤٩٦) والجواب لا يغلبها وهذا في الحقيقة ليس بجواب

والاخوان أولم تروا ابتداء الخطاب اما على العموم للخلق استؤنف به الاخبار واما على معنى قل لهم إذا
كان خطابا خاصا * وقرأ باقي السبعة بالياء على الغيبة واحتمل أيضا أن يعود الضمير على الذين
مكروا واحتمل أن يكون اخبارا عن المكافين والاول أظهر لـ تقدم ذكرهم * وقرأ أبو عمرو
وعيسى ويعقوب تنقيؤا بالياء على التأنيث وباقي السبعة بالياء * وقرأ الجمهور ظلالة جمع ظل *
وقرأ عيسى ظلالة جمع ظلة كحلة وحلل والرؤية هنا رؤية القلب التي يقع بها الاعتبار ولكنها
بواسطة رؤية العين * قيل والاستفهام هنا معناه التوبيخ * قيل ويجوز أن يكون معناه التعجب
والتقدير تعجبوا من اتخاذهم مع الله شرى كما قدروا وهذه المصنوعات التي أظهرت عجائب قدرته
وغرائب صنعته مع علمهم بأن آلهتهم التي اتخذوها شرى كاء لا تقدر على شيء البتة والجملة من قوله تنقيؤا
في موضع الصفة قاله الخوفي وهو ظاهر قول ابن عطية والزحشرى * قال ابن عطية من شيء لفظ
عام في كل ما اقتضته الصفة في قوله تنقيؤا ظلالة لان ذلك صفة لما عرض للعبرة في جميع الاشخاص
التي لها ظل * وقال الزحشرى وما موصولة بخلق الله وهو مبهم بيانه من شيء تنقيؤا ظلالة وقال غير
هؤلاء المعنى من شيء له ظل من جبل وشجر وبناء وجسم قائم وقوله تنقيؤا ظلالة اخبار عن قوله من
شيء وصف له وهذا الاخبار يدل على ذلك الوصف المحذوف الذي هو له ظل وتنقيؤا تتفعل من الشيء
وهو الرجوع يقال فاء الظل يفيء فيأرجع وعاد بعدما نسخ ضياء الشمس وفاء اذا عدى فبالهمزة
كقوله ما فاء الله على رسوله أو بالضعيف نحو فاء الله الظل فتقيأ وتقيأ من باب المطاوعة وهو لازم
وقد استعمله أبو تمام متعديا قال

طلبت ربيع ربيعة الممهي لها * وتقيأت ظلالة ممدودا

ويحتاج ذلك الى نقله من كلام العرب متعديا * قال الازهرى تقيؤا الظلال رجوعها بعد ان تصاف
النهار فالتقيؤ لا يكون الا بالعشى وما انصرف عنه الشمس والظل ما يكون بالغداة وهو ما لم تنله
* وقال الشاعر *

فلا الظل من برد الضحى تستطيعه * ولا الفىء من برد العشى تذوق

* وقال امرؤ القيس *

تيممت العين التي عند ضارج * يفيء عليها الظل عر مضطام

وعن رؤية ما كانت عليه الشمس فزالته عنه فهو فيء وظل ما لم تكن عليه فهو ظل وذلك ان
الشمس من طلوعها الى وقت الزوال تنسخ الظل فاذا زالت رجعت ولا يزال ينمو الى أن تغيب
والمشهور ان الفىء لا يكون الا بعد الزوال والاعتبار في هذه الآية من أول النهار الى آخره فمعنى
تنقيؤا تنقل وتميل وأضاف الظلال وهي جمع الى ضمير مفر دلالة ضمير ما وهو جمع من حيث المعنى
لقوله لتستوا على ظهوره * وقال صاحب اللوامح في قراءة عيسى ظلالة وظله الغيم وهو جسم
وبالكسر الفىء وهو عرض في العامة فرأى عيسى ان التقيؤ الذي هو الرجوع بالاجسام أولى

ومن دابة يجوز أن يكون
بيانا لما في الطرفين
ويكون في السموات
خلق يدبون ويجوز أن
يكون بيانا لما في الأرض
ولهذا قال ابن عباس يريد
كل مادب على الأرض
وعطفوا الملائكة على
ما في السموات وما في
الأرض وهم مندرجون
في عموم ما نشر يفاهم
وتكرما والظاهر أن
الضمير في قوله يخافون
عائد على المنسوب اليهم
السجود في ولله يسجد
والفوقية المكانية
مستحيلة بالنسبة اليه
تعالى فان علقته يخافون
كان على حذف مضاف
أى يخافون عذابه كأننا
من فوقهم لأن العذاب
انما ينزل من فوق وان
علقته برهم كان حاله
أى يخافون ربه قاهرا
غالبا كقوله تعالى وهو
القاهر فوق عباده
والجملة من يخافون يجوز
أن تكون حالا من الضمير
في لا يستكبرون
ويفعلون ما يؤمرون أما

المؤمنون فبحسب الشرع والظاهر وأما غيرهم من الحيوان فبالتشخير والقدر الذي يسوقهم الى ما نفع من أمر الله

(الدر) (ح) تقيأ من باب المطاوعة فهو لازم وقد استعمله أبو تمام متعديا فقال

طلبت ربيع ربيعة الممهي لها * وتقيأت ظلالة ممدودا * ويحتاج ذلك الى نقله عن العرب متعديا

وأما في العامة فعلى الاستعارة انتهى قالوا في قوله عن اليمين والشمال بحثان أحدهما المراد بذلك والثاني ما الحكم في أفراد اليمين وجمع الشمال أما الأول فقالوا يمين الفلك وهو المشرق وشماله هو المغرب وخص هذان الاسمان بهذين الجانبين لأن أقوى جانبي الإنسان يمينه ومنه تظهر الحركة الفلكية اليومية آخذة من المشرق إلى المغرب لاجرم كان المشرق يمين الفلك والمغرب شماله فعلى هذا تقول الشمس عند طلوعها إلى وقت انتهائها إلى وسط الفلك يقع الظلال إلى الجانب الغربي فإن انحدرت من وسط الفلك عن الجانب الغربي وقعت الظلال في الجانب الشرقي فهذا المراد من تفيؤ الظلال من اليمين إلى الشمال * وقيل البلدة التي عرضها أقل من مقدار الميل تكون الشمس في الصيف عن يمين البلدة فتقع الظلال على يمينهم * وقال الزخشي المعنى أولم ير وإلى ما خلق الله من الأجر أم التي لها ظلال متقيئة عن أيامها وشمالها عن جانبي كل واحد منها وشقيقه استعارة من يمين الإنسان وشماله بجانب أي شيء أرى رجوع الظلال من جانب إلى جانب انتهى * وقال ابن عطية والمقصود العبرة في هذه الآية هو كل جرم له ظل كالجبال والشجر وغير ذلك والذي يترتب فيه أيمان وشمال إنما هو البشر فقط لكن ذكر الأيمان والشمال هنا على حسب الاستعارة لغير البشر تقدره ذا يمين وشمال وتقدره بمستقبل أي جهة شئت ثم تنظر ظله فتراه يميل إما إلى جهة اليمين وإما إلى جهة الشمال وذلك في كل اقطار الدنيا فهنا يعم ألفاظ الآية وفيه تجوز واتساع ومن ذهب إلى أن اليمين من غدوة الزوال ويكون من الزوال إلى المغيب عن الشمال وهو قول قتادة وابن جرير فانما يترتب فيما قدره مستقبل الجنوب انتهى * وأما الثاني فقال الزخشي واليمين بمعنى الأيمان فجعله وهو مفرد بمعنى الجمع فطابق الشمال من حيث المعنى كما قال ويولون الدبر يريد الأدبار * وقال الفراء كأنه إذا وجد ذهب إلى واحد من ذوات الظلال وإذا جمع ذهب إلى كلها لأن قوله ما خلق الله من شيء لفظه واحد ومعناه الجمع فعبر عن أحدهما باللفظ الواحد لقوله وجعل الظلمات والنور وقوله ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم * وقيل إذا فسرنا اليمين بالمشرق كانت النقطة التي هي مشرق الشمس واحدة بعينها فكانت اليمين واحدة وأما الشمال فهي عبارة عن الانحرافات الواقعة في تلك الظلال بعد وقوعها على الأرض وهي كثيرة فلذلك عبر عنها بصيغة الجمع * وقال الكرماني يحتمل أن يراد بالشمال الشمال والقدام والخلف لأن الظل ينفى عن الجهات كلها فبدي باليمين لأن ابتداء التفيؤ منها أو تمييزها بذكرها ثم جمع الباقي على لفظ الشمال لما بين اليمين والشمال من التضاد وتنزل القدام والخلف منزلة الشمال لما بينهما وبين اليمين من الخلاف * وقيل وحد اليمين وجمع الشمال لأن الابتداء عن اليمين ثم ينقبض شيئاً فشيئاً حالاً بعد حال فهو بمعنى الجمع فصدق على كل حال لفظة الشمال فتعدد بتعدد الحالات * وقال ابن عطية وما قال بعض الناس من أن اليمين أول وقعة للظل بعد الزوال ثم الآخر إلى الغروب هي عن الشمال وأفرد اليمين فتخليط من القول ومبطل من جهات * وقال ابن عباس إذا صليت الفجر كان ما بين مطلع الشمس إلى مغربها ظلاً ثم بعث الله عليه الشمس دليلاً فقبض إليه الظل فعلى هذا تأول دورة الشمس بالظل عن يمين مستقبل الجنوب ثم يبدأ الانحراف فهو عن الشمال لأنه حركات كثيرة وظلال منقطعة فهي شمائل كثيرة فكان الظل عن اليمين متصلاً واحداً ما لكل شيء انتهى * وقال شيخنا الأستاذ أبو الحسن علي بن محمد بن يوسف الكتامي المعروف بابن الصائغ أفرد وجمع بالنظر إلى الغائتين لأن ظل الغداة يضمحل حتى لا يبقى منه إلا اليسير فكانه في جهة واحدة وهو بالعشي على العكس

(الدر)

عن اليمين وعن الشمال (ح)
قال شيخنا أبو الحسن علي
ابن محمد بن يوسف الكتامي
المعروف بابن الصائغ أفرد
و جمع بالنظر إلى الغائتين
لأن ظل الغداة يضمحل
حتى لا يبقى منه إلا اليسير
فكانه في جهة واحدة وهو
بالعكس لاستيلائه على
جميع الجهات فلحظت
الغائتان في الآية هذا من
جهة المعنى وفيه من جهة
اللفظ المطابقة لأن سجد
جمع فطابقه جمع الشمال
لأنه لا ينفى في الآية
مطابقة اللفظ للمعنى ولحظهم
معا وهو الغاية في الإعجاز

لاستيلائه على جميع الجهات فلحظت الغايتان في الآية هذان من جهة المعنى وفيه من جهة اللفظ المطابقة لان سجدا جمع فطابقه جمع الشرائل لاتصاله به فحصل في الآية مطابقة اللفظ للمعنى ولحظهم ما معاوتك الغاية في الاعجاز انتهى والظاهر حمل الظلال على حقيقة لها وعلى ذلك وقع كلام أكثر المفسرين وقالوا اذا طلعت الشمس وانت متوجه الى القبلة كان الظل قد امك فاذا ارتفعت كان على يمينك فاذا كان بعد ذلك كان خلفك فاذا ارادت الغروب كان على يسارك وقالت فرقة الظلال هنا الاشخاص وهي المرادة نفسها والعرب تخبر أحيانا عن الاشخاص بالظلال * ومنه قول عبدة بن الطبيب اذا نزلنا نصبنا ظل أخبية * وفار القوم بالبحم المراجيل

وانما تنصب الأخبية * ومنه قول الشاعر * تتبع أفياء الظلال عشيمة * أى أفياء الاشخاص * قال ابن عطية وهذا كالمحتمل غير صريح وان كان أبو على قرره انتهى والظاهر أن السجود هنا عبارة عن الانقياد وجرى بها على ما أراد الله من ميلان تلك الظلال ودورانها كما يقال للشير برأسه الى الارض على جهة الخضوع ساجد * قال الرنخشري سجد حال من الظلال وهم داخرون حال من الضمير في ظلاله لأنه في معنى الجمع وهو ما خلق الله من شيء له ظل وجمع بالواو لأن الدخور من أوصاف العقلاء أو لان في جملة ذلك من يعقل فعلم والمعنى ان الظلال منقادة لله غير متمنعة عليه فيما سخرها له من التقيؤ والاجرام في أنفسها اذ آخره أيضا صاغرة منقادة لأفعال الله فيها لا تمتنع انتهى فغاير الرنخشري بين الحالين جعل سجدا حال من الظلال وهم داخرون حال من الضمير في سجدا وأن يكون حالاً ثانية من الظلال كما تقول جاء زيد راكباً وهو ضاحك فيجوز أن يكون وهو ضاحك حالاً من الضمير في راكباً ويجوز أن يكون حالاً من زيد وهذا الثاني عندي أظهر والعامل في الحالين هو تتقيؤ وعن متعلقة به وقاله الخوفي * وقيل في موضع الحال وقاله أبو البقاء * وقيل عن اسم أى جانب اليمين فيكون اذ ذاك منصوباً على الظرف وأما ما أجاز الرنخشري من أن قوله وهم داخرون حال من الضمير في ظلاله فعلى مذهب الجمهور لا يجوز وهي مسألة جاءني غلام هند ضاحكاً ومن ذهب الى أنه اذا كان المضاف جزءاً أو كالجزء جاز وقد يخبر هنا ويقول الظلال وان لم تكن جزءاً من الاجرام فهي كالجزء لان وجودها ناثي عن وجودها وذهبت فرقة الى أن السجود هنا حقيقة * قال الضحاك اذا زالت الشمس سجد كل شيء قبل القبلة من نبت وشجر ولذلك كان الصالحون يستحبون الصلاة في ذلك الوقت * وقال مجاهد انما تسجد الظلال دون الاشخاص وعنه أيضاً اذا زالت الشمس سجد كل شيء * وقال الحسن أما ظلك فيسجد لله وأما أنت فلا تسجد له * وقيل لما كانت الظلال ملصقة بالارض واقعة عليها على هيئة الساجد وصفت بالسجود وكون السجود يراد به الحقيقة وهو الوقوع على الارض على سبيل العبادة وقصد لها بعد اذ يستدعي ذلك الحياة والعلم والقصد بالعبادة وخص الظل بالذكر لانه سريع التغير والتغير يقتضي مغيراً غير هو مدبره له ولما كان سجود الظلال في غاية الظهور بدى به ثم انتقل الى سجود ما في السموات والارض ومن دابة يجوز أن يكون بياناً في الظرفين ويكون من في السموات خلق يدون ويجوز أن يكون بياناً في الارض ولهذا قال ابن عباس يريد كل مادب على الارض وعطف والملائكة على ما في السموات وما في الارض وهم مندرجون في عموم ما نشر يفاهم وتكرى ما ويجوز أن يراد بهم الحفظة التي في الارض وما في السموات ملائكتهم فلم يدخلوا في العموم * وقيل بين تعالى في آية الظلال أن الجادات بأسرها منقادة لله بين ان أشرف الموجودات وهم الملائكة وأخسها وهي

الدواب منقادة له تعالى ودل ذلك على أن الجميع منقاد لله تعالى * وقيل الدابة اسم لكل حيوان
جسماني يتحرك ويدب فلهما ميز الله تعالى الملائكة عن الدابة علمنا أنها ليست مما يدب بل هي أرواح
مختصة بحركة انتهى وهو قول فلسفي ولما كان بين المكافين وغيرهم قدر مشترك في السجود وهو
الانقياد لأرادة الله جمع بينهم فيه وان اختلفا في كيفية السجود * وقال الزمخشري (فان قلت) فهلا
جىء بمن دون ما تغليب للعقلاء من الدواب على غيرهم (قلت) لانه لو جىء بمن لم يكن فيه دليل على
التغليب فكان متناولا للعقلاء خاصة فجىء بما هو صالح للعقلاء وغيرهم أرادة العموم انتهى وظاهر
السؤال تسليم ان من قد تشمل العقلاء وغيرهم على جهة التغليب وظاهر الجواب تخصيص من
بالعقلاء وأن الصالح للعقلاء وغيرهم مادون من وهذا ليس بجواب لانه أو رد السؤال على التسليم
ثم ذكر الجواب على غير التسليم فصار المعنى أن من يغلب بها والجواب لا يغلب بها وهذا في الحقيقة
ليس بجواب وظاهر ان الضمير في قوله يخافون عائد على المنسوب اليهم السجود في ولله يسجد
وقاله أبو سليمان الدمشقي * وقال ابن السائب ومقاتل يخافون من صفة الملائكة خاصة فيعود الضمير
عليهم * وقال الكرماني والملائكة موصوفون بالخوف لانهم قادرون على العصيان وان كانوا
لا يعصون والفوقية المكانية مستحيلة بالنسبة اليه تعالى فان علقته يخافون كان على حذف مضاف
أى يخافون عذابه كائنهم من فوقهم لان العذاب انما ينزل من فوق وان علقته بهم كان حاله أى
يخافون ربهم عاليا لهم قاهرا لقوله وهو القاهر فوق عباده وانا فوقهم قاهرون وفي نسبة الخوف
لمن نسب اليه السجود أو الملائكة خاصة دليل على تكليف الملائكة كسائر المكافين وانهم بين
الخوف والرجاء مدارون على الوعد والوعيد كما قال تعالى وهم من خشيته مشفقون ومن يقل منهم
انى إله من دونه فذلك نجزيه جهنم * وقيل الخوف خوف جلال ومهابة والجملة من يخافون يجوز أن
تكون حالا من الضمير في لا يستكبرون ويجوز أن تكون بيانا للنفي الاستكبار وتأكيده
لان من خاف الله لم يستكبر عن عبادته وقوله ويفعلون ما يؤمرون أما المؤمنون فيحسب الشرع
والطاعة وأما غيرهم من الحيوان فبالاستسخير والقدرة الذي يسوقهم الى ما نفاه من أمر الله تعالى
* وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين انما هو الواحد قايى قارهبون * وله ما في السموات والارض وله
الدين واصبا أفعير الله تتقون * وما بكم من نعمه فخذوها ان الله اذامكم الضرع فاليه تجأرون * ثم اذا
كشف الضرع عنكم اذا فريق منكم برهم يشركون * ليكفروا بما آتيناكم فمنعوا فسوف
نعلمون * ويجعلون ما لا يعامون نصيبا مما رزقناهم تالله لتسئلن عما كنتم تفترون * ويجعلون لله
البنات سبحانه ولهم ما يشتهون * واذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم * يتوارى من
القوم من سوء ما بشر به أيمكه على هون أم يدسه في التراب ألساء ما يحكمهون * للذين لا يؤمنون
بالآخرة مثل السوء ولله المثل الأعلى وهو العزيز الحكيم * ولو يؤءخذ الله الناس بظواهرهم مترك عليها
من دابة ولو كن يؤخرهم الى أجل مسمى فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون *
ويجعلون لله ما يكرهون وتصف السنيهم الكذب أن لهم الحسنى لاجرم أن لهم النار وأنهم
مفرطون * تالله لقد أرسلنا الى أمم من قبلك فزبن لهم الشيطان أعمالهم فهو وليهم اليوم ولهم عذاب
أليم * وما أنزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون * والله
أنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها ان في ذلك آية لقوم يعسمعون * وان لكم في الأنعام
لعبرة ننسقيكم مما في بطونهم من بين فرث ودم لبناخا لصالا لشاربين * ومن ثمرات النخيل

(الدر)

(ش) فان قلت فهلا جىء
بمن دون ما تغليب للعقلاء
من الدواب على غيرهم
قلت لانه لو جىء بمن لم
فيه دليل على التغليب
فكان متناولا للعقلاء
خاصة فجىء بما هو صالح
للعقلاء وغيرهم أرادة
العموم (ح) ظاهرا ليس
تسليم ان من قد تشمل
العقلاء وغيرهم على جهة
التغليب وظاهر الجواب
تخصيص من بالعقلاء والصالح
للعقلاء وغيرهم مادون من
بجواب لانه أو رد السؤال
على التسليم ثم ذكر
الجواب على غير التسليم
فصار المعنى ان من تغلب
والجواب لا يغلب بها وهذا
في الحقيقة ليس بجواب

﴿ وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين ﴾ الآية ولما كان الاسم الموضوع للأفراد والتثنية قد يتجاوز فيه فيراد به الجنس نحو نعم الرجل زيد ونعم الرجلان زيدان وقال الشاعر فان النار بالعودين تدكي * وان الحرب أولها الكلام * أكد الموضوع لها بالوصف فقال إلهين اثنين ولما نهى عن اتخاذ الإلهين (٥٠٠) واستلزم النهي عن اتخاذ آلهة أخبر تعالى أنه إله واحد

كما قال تعالى وإلهكم إله واحد بأداة الحصر وبالتأكيده بالوحدة ثم أمرهم بأن يرهبوه والتفت من الغيبة إلى الحضور لأنه أبلغ في الرهبة وانتصب إياي بفعل محذوف مقدر التأخير عنه يدل عليه فارهبون وتقديره وإياي ارهبوا وتقدم نظيره في البقرة وقال ابن عطية وإياي منصوب بفعل مضمر تقديره فارهبوا إياي فارهبون انتهى هذا ذهول عن القاعدة النحوية أنه إذا كان المفعول ضميراً منفصلاً والفعل متعد إلى واحد وهو الضمير وجب تأخير الفعل كقوله تعالى إياك نعبد ولا تجوز أن يتقدم الإي في ضرورة نحو قوله إليك حتى بلغت إياك ثم التفت من التكلم إلى ضمير الغيبة فأخبر تعالى أن له ما في السموات والأرض ﴿ وله الدين ﴾ أي الطاعة والملأ ﴿ واصبأ ﴾ أي دائماً يقال وصب الشيء

والأعصاب تتخذون منه سكر أو رزقا حسنا ان في ذلك لآية لقوم يعقلون * وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذني من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون * ثم كل من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللا يخرج من بطون هنأشرب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون والله خلقكم ثم يتوفاكم ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكي لا يعلم بعد علم شيئا أن الله عليم قدير * والله فضل بعضكم على بعض في الرزق فوالذين فضلوا برادى رزقهم على ما ملكت أيماهم فهم فيه سواء أفبنةمة الله يجحدون * والله جعل لكم من أنفسكم وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون * وصب الشيء دام * قال أبو الاسود الدؤلي

لا أبتغي الجدا القليل بقاءه * يوما بذم الدهر أجمع واصبا

﴿ وقال حسان ﴾

غديرته الريح يسفي به * وهزيم رعدده واصب

والعليل وصيب لـكن المرض لازم له * وقيل الوصب التعب وصب الشيء شق ومفازة واصبة بعيدة لانغايه لها * الجوار رفع الصوت بالنداء * وقال الاعشى يصف راحبا

يدوم من صلوات المليك طورا سجودا وطورا جوارا

ويروي يراوح * دس الشيء في الشيء أخفاه فيه * الفرث كثيف ما يبق من الماء كويل في الكرش

أو المعى * النحل حيوان معروف * الحفدة الأعوان والخدم ومن يسارع في الطاعة حفد يحفد

حفدا وحفودا وحفدانا ومنه واليك نسعي ونحفد أي نسرع في الطاعة * وقال الشاعر

حفد الولاد حولهن وأسامت * بأ كفهن أزمة الاجمال

﴿ وقال الاعشى ﴾

كفت مجهودها نوقا يمانية * اذا الحداة على أكسائها حفدوا

وتتعدى فيقال حفدني فهو حافدي * قال الشاعر

يحفدون الضيف في أبيابهم * كرما ذلك منهم غير ذل

﴿ قال أبو عبيدة وفيه لغة أخرى أحفد أحفادا وقال الحفد العمل والخدمة * وقال الخليل الحفدة

عند العرب الخدم * وقال الأزهرى الحفدة أولاد الأولاد * وقيل الاخنان * وأنشد

فلو أن نفسي طاوعتني لاصبحت * لها حفد مما يعد كثير

واكنها نفس على أمانة * عيوني لأصحاب اللثام قدور

﴿ وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد إياي فارهبون * وله ما في السموات والأرض

وله الدين واصبا أفغير الله تتقون * وما بكم من نعمة الله فمن الله ثم اذا مسكم الضر فإليه تجأرون * ثم

دام قال أبو الاسود الدؤلي * لا أبتغي الجدا القليل بقاءه * يوما بذم الدهر أجمع واصبا أفغير الله استفهام تضمن التوبيخ والتعجب أي بعد ما عرفتم وحدانيته وأن ما سواه له ومحتاج اليد كيف تتقون وتخافون غيره ولا نفع ولا ضرر يقدر عليه وما موصولة وصلتها بكم والعامل فعل الاستقرب أي وما استقر بكم ومن نعمة تفسير لما واخبر فمن الله على إظهار مبتدأ محذوف تقديره فهي من الله ودخلت الفاء في جملة الخبر لتضمن الموصول معنى اسم الشرط ولما ذكر تعالى أن جميع النعم منه ذكر حالة افتقار العبد

إذا كشف الضر عنكم إذا فر يق منكم بكم يشركون * ليكفروا بما آتيناهم فقتلوا فسوف تعلمون * لما ذكرنا قياما في السموات وما في الأرض لما يريد تعالى منها فكان هو المتفرد بذلك نهى أن يشرك به ودل النهى عن اتخاذ الهين على النهى عن اتخاذ آلهة ولما كان الاسم الموضوع للأفراد والتثنية قد يتجاوز فيه فيراد به الجنس نحو نعم الرجل زيد ونعم الرجال زيدان * وقول الشاعر

فان النار بالعودين تذكي * وان الحرب أولها الكلام

أكد الموضوع لها بالوصف * ف قيل الهين اثنين * وقيل الله واحد * وقال الزمخشري الاسم الحامل لمعنى الافراد والتثنية دال على شيئين على الجنسية والعدد المخصوص فاذا أردت الدلالة على أن المعنى به مبهم والذي يساق به الحديث هو العدد شفع بما يؤكده فدل به على القصد اليه والعناية به ألا ترى أنك إذا قلت انما هو إله ولم تؤكده بواحد لم يحسن وخيل أنك تثبت الالهية لا الوحدانية انتهى والظاهر أن لا تتخذوا تعدى الى واحد واثنين كما تقدم تأكيده * وقيل هو متعد الى مفعولين * ف قيل تقدم الثاني على الاول وذلك جائز والتقدير لا تتخذوا اثنين إلهين * وقيل حذف الثاني للدلالة تقديره معبودا واثنين على هذا القول تأكيده وتقرير منافاة التثنية للالهية من وجوه ذكرت في علم أصول الدين ولما نهى عن اتخاذ الالهين واستلزم النهى عن اتخاذ آلهة أخبر تعالى أنه الله واحد كما قال وإلهكم إله واحد بأداة الحصر وبالتأكيده بالواحدة ثم أمرهم بأن يرهبوه والتفت من الغيبة الى الحضور لانه أبلغ في الرهبة وانتصب إياي بفعل محذوف مقدر التأخير عنه يدل عليه فارهبون وتقديره وإياي ارهبوا وقول ابن عطية إياي منصوب بفعل مضمر تقديره فارهبوا إياي فارهبون ذهول عن القاعدة في النحو انه إذا كان المفعول ضميرا منفصلا والفعل متعديا الى واحد هو الضمير وجب تأخير الفعل كقولك إياك نعبد ولا يجوز أن يتقدم الا في ضرورة نحو قوله * اليك حين بلغت اياكا * ثم التفت من التكلم الى ضمير الغيبة فأخبر تعالى أن له ما في السموات والأرض لانما كان هو الله الواحد الواجب لذاته كان ما سواه موجودا بإيجاده وخالقه وأخبر أن له الدين واصبا * قال مجاهد الدين الاخلاص * وقال ابن جبير العبادة * وقال عكرمة شهادة أن لا اله الا الله واقامة الحدود والفرائض * وقال الزمخشري وابن عطية الطاعة زاد ابن عطية والمالك * وأنشد * في دين عمرو وحالت بيننا فذلك * أى في طاعته ومملكه * وقال الزمخشري أوله الحداد أى دائما ثابتا سرمدا لا يزول يعنى الثواب والعقاب * وقال ابن عباس وعكرمة والحسن ومجاهد والضحاك وقتادة وابن زيد والثوري واصبا دائما * قال الزمخشري والواصب الواجب الثابت لان كل نعمة منه بالطاعة واجبة له على كل منعم عليه وذكر ابن الأنباري أنه من الوصب وهو التعب وهو على معنى النسب أى ذا وصب * كما قال أضحى فؤادى به فأتنا * أى ذاقتمون * قال الزمخشري أو وله الدين ذا كلفة ومشقة ولذلك سمي تكليفا انتهى * وقال الزجاج يجوز أن يكون المعنى وله الدين والطاعة رضى العبد بما يؤمر به وسهل عليه أم لا يسهل فله الدين وان كان فيه الوصب والوصب شدة التعب * وقال الربيع بن أنس واصبا خالصا * قال ابن عطية والواو في وله ما في السموات والأرض عاطفة على قوله إله واحد ويجوز أن تكون واو ابتداء انتهى ولا يقال واو ابتداء الا لو وال حال ولا يظهر هنا الحال وانما هي عاطفة فلما على الخبر كما ذكرنا ولا فتكون الجملة في

اليه وحده حيث لا يدعو ولا يتضرع لسواه وهى حالة الضر والضر عام فى جميع ما يتضرر به واليه متعلق بتجارون والجوار رفع الصوت بالدعاء قال الأعشى يصف راهبا يداوم من صلوات المليك طورا سجودا وطورا جوارا واذا الثانية للفجاءة وفى ذلك دليل على أن اذا الشرطية ليس العامل فيها الجواب لأنه لا يعمل ما بعد اذا الفجاءة فيها قبلها ومنكم خطاب للذين خاطبوا بقوله وما بكم من نعمة اذ بكم خطاب عام وفر يق مبتدأ ومنكم فى موضع الصفة وخبره يشركون ويرهم متعلق به والفريق هنا هم

(الدر)

ع) وإياي منصوب بفعل مضمر تقديره فارهبوا إياي فارهبون (ح) هذا ذهول عن القاعدة النحوية أنه إذا كان المفعول ضميرا منفصلا والفعل متعديا الى واحد هو الضمير وجب تأخير الفعل كقوله إياك نعبد ولا يجوز أن يتقدم الا في ضرورة نحو قوله اليك حتى بلغت اياكا

تقدير المقر دلائلهم معطوفة على الخبر واما على الجملة بأسرها التي هي انما هو إله واحد فيكون من عطف الجمل وانصب واصبا على الحال والعامل فيها هو ما يتعلق به المحرور وأفعير الله استقهاهم تضمن التوبيخ والتعجب أي بعد ما عرفتم وحدانيته وان ما سواه له و محتاج اليه كيف تتقون وتخافون غيره ولا تنفع ولا ضرر يقدر عليه ثم أخبر تعالى بان جميع النعم المكتسبة منا انما هي من إيجاده واختراعه ففيه اشارة الى وجوب الشكر على ما أسدي من النعم الدينية والدنيوية ونعمه تعالى لا تحصى كما قال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وما موصولة وصلتها بكم والعامل فعل الاستقرار أي وما استقر بكم ومن نعمة تفسير لما والخبر من الله أي في من قبل الله وتقدير الفعل العامل بكم خاصا بكل أو نزل ليس بجيد وأجاز الفراء والخوفي أن تكون ماثرة طية وحذف فعل الشرط * قال الفراء التقدير وما يكن بكم من نعمة وهذا ضعيف جدا لانه لا يجوز حذفه إلا بعد ان وحدها في باب الاشتغال أو متلوقة بما النافية مدلولها عليه بما قبله نحو قوله

فطلقها فلست لها بكف * وإلا يعمل مفرقا الحسام

أي وإلا تطلقها حذف تطلق الدلالة طاقها عليه وحذف بعد ان متلوقة بلا مختص بالضرورة نحو قوله قالت بنات العم ياسمى وان * كان فقيرا معدما قالت وان

أي وان كان فقيرا معدما وأما غير ان من أدوات الشرط فلا يجوز حذفه إلا مدلولها عليه في باب الاشتغال خصوصا بالضرورة نحو قوله * أينما الريح تميلها تمل * التقدير أينما تميلها الريح تميلها تمل ولما ذكر تعالى ان جميع النعم متذكرة حالة افتقار العبد اليه وحده حيث لا يدعو ولا يتضرع لسواه وهي حالة الضر والضر يشمل كل ما يتضرر به من مرض أو فقر أو حبس أو هب مال وغير ذلك * وقرأ الزهري تجرون بحذف الهمزة والقاء حركتها على الجيم * وقرأ قتادة كاشف وقاعل هنا بمعنى فعل واذا الثانية للفجاءة وفي ذلك دليل على ان اذا الشرطية ليس العامل فيها الجواب لانه لا يعمل ما بعد اذا الفجائية فيما قبلها ومنكم خطاب للذين خوطبوا بقوله وما بكم من نعمة إذ بكم خطاب عام والفريق هنا هم المشركون المعتقدون حالة الرجاء ان آلهتهم تنفع وتضر وتثقي * وعن ابن عباس المنافقون * وعن ابن السائب الكفار ومنكم في موضع الصفة ومن للتبعيض وأجاز الزمخشري أن تكون من للبيان لا للتبعيض قال كأنه قال فاذا فريق كافروهم أنتم * قال ويجوز أن تكون فيهم من اعتبر كقوله فلما نجحهم الى البر فنهزم مقتصد انتهى واللام في ليكفروا ان كانت للتعليل كان المعنى أن اشراكم بالله سبب كفرهم بدأي جحودهم أو كفران نعمته وما آتيناهم من النعم أو من كشف الضر أو من القرآن المنزل اليهم وان كانت للصيرورة فالمعنى صار أمرهم ليكفروا وهم لم يقصدوا بأفعالهم تلك أن يكفروا بل آل أمر ذلك الجوار والرغبة الى الكفر بما أنعم عليهم أو الى الكفر الذي هو جحوده والشرك به وان كانت للامر فعناد التهديد والوعيد * وقال الزمخشري ليكفروا وافتمتعوا يجوز أن يكون من الأمر الوارد في معنى الخذلان والتخليت واللام لام الأمر انتهى ولم يخل كلامه من ألفاظ المعتزلة وهي قوله في معنى الخذلان والتخليت * وقرأ أبو العالية فيمتمعوا بالياء بالتثنية من تمتمعوا مضمومة مبنية للفعل ما كن الميم وهو مضارع متع مخففا وهو معطوف على ليكفروا وحذفت النون اما للنصب عطفان كان يكفروا ومنصوبا لاجرم ان كان محذورا وان كان عطفان للنصب ان كان جواب الأمر وعنه فسوف يعامون بالياء على الغيبة وقد رواها مكحول السامي عن أبي رافع مولى النبي عن النبي صلى الله عليه وسلم والتمتع هنا هو بالحياة الدنيا

المشركون المعتقدون حالة الرجاء أن آلهتهم تنفع وتضر وتثقي وتساعد واللام في ليكفروا ان كانت للتعليل كان المعنى أن اشراكم بالله شبيه كفرهم به أي جحودهم أو كفران نعمته وما آتيناهم من النعم أو من كشف الضر أو من القرآن المنزل اليهم وان كانت للضرورة فالمعنى صار أمرهم ليكفروا وهم لم يقصدوا بأفعالهم تلك أن يكفروا بل آل أمر ذلك الجوار والرغبة الى الكفر بما أنعم عليهم أو الى الكفر الذي هو جحوده والشرك به وان كانت للامر فعناد التهديد والوعيد * فسوف يعامون * مبالغة في التهديد

﴿ ويجعلون لما يعلمون ﴾ الآية الضمير في يجعلون عائداً على الكفار وفي لا يعلمون عائداً على ما أتت به الأصنام إذ هي جاد لا علم لها ولا شعور والنصيب هو ما جعلوه لها من الحرث والآنعام فبح الله تعالى فعلهم ذلك أن يجعلوا مزارقهم نصيباً للأصنام ثم أقسم تعالى على أنه يسألهم عن افتراءهم واختلافهم في إشرأ كهـم مع الله آلهة وانها أهل للتقرب إليها يجعل النصيب إليها ولما ذكر تعالى أنه يسألهم عن افتراءهم ذكر أنهم مع اتخاذهم آلهة نسبوا إلى الله التوالد وهو مستحيل ونسبوا ذلك إليه فيالم يرتضوه لأنفسهم وتريد وجوهم من نسبته إليهم ويكرهونه أشد الكراهة وكانت خزاعة وكنانة تقول الملائكة بنات الله ﴿ سبحانه ﴾ تنزيه له سبحانه وتعالى عن نسبة الولد إليه ﴿ ولهم ما يشتهون ﴾ وهم الذكور وهي جملة من مبتدأ وخبر وأجاز الزمخشري وتبع فيه الفراء والحوبي أن يكون ولهم ما يشتهون معطوفاً على قوله لله البنات وذهلوا عن قاعدة في النحو وهي أن الفعل إذا رفع ضميراً وجاء بعده ضمير منصوب لا يجوز أن ينصبه الفعل إلا أن كان من (٥٠٣) باب ظن أو فقهو عدم فلو قلت زيد ظنه قائماً تريد ظن نفسه جاز ولو قلت زيد

نفسه جاز ولو قلت زيد ضرب به ففعل في ضرب ضمير رفع عائداً على زيد وفعله يندى للضمير المنصوب لم يجز وانحزور مجرى مجرى المنصوب فلو قلت زيد غضب عليه لم يجز كما لم يجز زيد ضرب به فذلك امتنع أن يكون قوله لهم متعلقاً بجعلون ﴿ وإذا بشر أحدهم ﴾ المشهور أن البشارة أول خبر يسر وهنا قد يراد به مطلق الأخبار أو تغير البشرية وهو القدر المشترك بينهم ما ﴿ بالأنثى ﴾ أي بولادة الأنثى ﴿ ظل وجهه ﴾ بمعنى صار وأصل ظل انصاف اسمها بالخبر الذي يحكى بعدهما ﴿ مسوداً ﴾

وما له إلى الزوال ﴿ ويجعلون لما لا يعلمون ﴾ نصيباً مزارقناهم تالله لتسألن عما كنتم تفترون ﴿ ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون ﴾ وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون ﴿ للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء والله المثل الأعلى وهو العزيز الحكيم ﴾ الضمير في ويجعلون عائداً على الكفار والظاهر أنه في يعامون عائداً عليهم وما عى الأصنام أي للأصنام التي لا يعلم الكفار أنها تضر وتنفع أو لا يعلمون في اتخاذها آلهة حجة ولا برهاناً وحقيقة أنها جاد لا تضر ولا تنفع ولا تشفع فهم جاهلون بها ﴿ وقيل الضمير في لا يعلمون للأصنام أي للأصنام التي لا تعلم شيئاً ولا تشعر به إذ هي جاد لم يقم بها علم البتة والنصيب هو ما جعلوه لها من الحرث والآنعام فبح الله تعالى فعلهم ذلك وهو أن يفردوا نصيباً مما أنعم به تعالى عليهم لجادات لا تضر ولا تنفع ولا تتفع هي جعل ذلك النصيب لها ثم أقسم تعالى على أنه يسألهم عن افتراءهم واختلافهم في إشرأ كهـم مع الله آلهة وانها أهل للتقرب إليها يجعل النصيب لها والسؤال في الآخرة أو عند عذاب القبر أو عند القرب من الموت أقوال ولما ذكر الله تعالى أنه يسألهم عن افتراءهم ذكر أنهم مع اتخاذهم آلهة نسبوا إلى الله تعالى التوالد وهو مستحيل ونسبوا ذلك إليه فيالم يرتضوه وتريد وجوهم من نسبته إليهم ويكرهونه أشد الكراهة وكانت خزاعة وكنانة تقول الملائكة بنات الله سبحانه تنزيه له تعالى عن نسبة الولد إليه ولهم ما يشتهون وهم الذكور وهذه الجملة مبتدأ وخبر ﴿ وقال الزمخشري ويجوز فيما يشتهون الرفع على الابتداء والنصب على أن يكون معطوفاً على البنات أي وجعلوا لأنفسهم ما يشتهون من الذكور انتهى وهذا الذي أجاز به من النصيب تبع فيه الفراء والحوبي ﴿ وقال أبو البقاء وقد حكاه وفيه نظر وذهل هؤلاء عن قاعدة في النحو وهو أن الفعل الرفع للضمير الاسم المتصل لا يتعدى إلى ضميره

خبر ظل واسوداد الوجه كناية عن العيوس والغم والتكره والنفرة التي لحقتهم ﴿ وهو كظيم ﴾ أي كمل إلى القلب حزناً وغمًا وكظيم يحتمل أن يكون للبالغ من كظم ويحتمل أن يكون بمعنى مفعول كما قال تعالى وهو مكظوم ويقال سقاء مكظوم أي مملوء مسدود الفم ﴿ يتوارى ﴾ يخفى من القوم متعلق به من سوء من التعليل أي لسوء ما بشر به وقوله به ذكره جلالاً لفظ ما وان كان أريد به الأنثى ولذلك ذكره في قوله ﴿ أيمسكه على هون ﴾ أي على هوان وأيمسكه قبله حال مخدوفة التقدير مفكراً أيمسكه أم يدسه معطوف على أيمسكه وكنى به عن الوأد وهو دفن البنت بالحياة والجملة من قوله أيمسكه إلى آخرها في موضع نصب بتلك الحال المخدوفة كما تقول فكرت أزيد في الدار أم عمرو والظاهر من قوله ألا ساء ما يحكمون رجوعه إلى قوله ويجعلون لله البنات الآية أي ساء ما يحكمون في نسبتهم إلى الله ما هو مستكره عندهم نافر عنهم طبعهم لا يحتملون نسبتهم إليهم وما في قوله ما يحكمون مصدرية تقديره ساء حكمهم ﴿ مثل السوء ﴾ أي صفة السوء من الكفر بالله وإشرأ كهـم معاً أصناماً ونسبة الولد إليه وإنكارهم لبعث ﴿ والله المثل الأعلى ﴾ (الدر) (ش) ويجوز فيما يشتهون الرفع على الابتداء والنصب على أن يكون معطوفاً على البنات أي وجعلوا لأنفسهم ما

أى الصلة العليا من تنزيهه تعالى عن الولد والصاحبة وجميع ما تنسب الكفرة اليه مما لا يليق به تعالى كالتشبيه والانتقال وظهوره تعالى في صورة وناسب الختم بالعزيز وهو الذى لا يوجد نظيره الحكيم الذى يضع الاشياء فى مواضعها

(الدر)

يشتهون من الذكور (ح) هذا الذى أجازته من النصب تبع فيه الفراء والحوافى وقال أبو البقاء وقد حكاه وفيه نظر وذهل هؤلاء عن قاعدة فى النحو وهو أن الفعل الرفع لضمير الاسم المتصل لا يتعدى الى ضمير المتصل المنصوب فلا يجوز زيد ضرب به تر يد ضرب نفسه الا فى باب ظن واخواتها من الافعال القلبية وقد قدم فى مجوز زيد ظنه قائما وزيد فقد المحرور بالحرف كالمنصوب المتصل فلا يجوز زيد غضب عليه تر يد غضب على نفسه فعلى هذا الذى تقرر لا يجوز النصب أو يكون التقدير ويجعلون لهم ما يشتهون فالواو ضمير مرفوع ولهم مجرور باللام فهو نظير زيد غضب عليه

المتصل المنصوب فلا يجوز زيد ضرب به تر يد ضرب نفسه الا فى باب ظن واخواتها من الافعال القلبية وقد قدم فى مجوز زيد ظنه قائما وزيد فقد المحرور بالحرف كالمنصوب المتصل فلا يجوز زيد غضب عليه تر يد غضب على نفسه فعلى هذا الذى تقرر لا يجوز النصب أو يكون التقدير ويجعلون لهم ما يشتهون فالواو ضمير مرفوع ولهم مجرور باللام فهو نظير زيد غضب عليه واذا نشر المشهور ان البشارة أول خبر يسر وهنا قد يراد به مطلق الاخبار أو تغيير البشارة وهو القدر المشترك بين الخبر السار أو المخبرين وفى هذا تنبيه لنسبتهم الى الله المنزه عن الولد البنات واحدهم أكره الناس فيهن وأنفرهم طبعاً عنهن وظل تكون بمعنى صارو بمعنى أقام نهاراً على الصفة التى تسند الى اسمها تحتل الوجوهين والاظهر أن يكون بمعنى صار لان التبشير قد يكون فى ليل ونهار وقد تلحظ الحالة الغالبة وان أكثر الولادات تكون بالليل وتتأخر أخبار المولود له الى النهار وخصوصاً بالانثى فيكون ظلوله على ذلك طول النهار واسوداد الوجه كناية عن العيوس والغم والتكبر والنفرة التى لحقت بولادة الانثى * قيل اذا قوى الفرح انبسط روح القلب من داخله ووصل الى الاطراف ولا سيما الى الوجه لما بين القلب والدماغ من التعلق الشديد فترى الوجه مشرقاً متلاًئلاً واذا قوى الغم انحصر الروح الى باطن القلب ولم يبق له أثر قوى فى ظاهر الوجه فير بد الوجه ويصفر ويسود ويظهر فيه أثر الارضية فنلوازم الفرح استنارة الوجه واشراقه ومن لوازم الغم والحزن اربادده واسوداده فلذلك كنى عن الفرح بالاستنارة وعن الغم بالاسوداد وهو كظيم أى ممتلىء القلب حزناً وغماً أخبر عما يظهر فى وجهه وعن ما يجنه فى قلبه وكظيم يحتمل أن يكون للبالغة ويحتمل أن يكون بمعنى مفعول لقوله وهو مكظوم ويقال سقاء مكظوم أى مملوء مشدود الفم وروى الاصمعي ان امرأة ولدت بنتاً سميتها الذلفاء فحجرها زوجها فقالت

ما لأبى الذلفاء لا يأتينا * يظل فى البيت الذى يلينا

بحردان لانلد البنينا * وانما نأخذ ما يعطينا

يتوارى يخفى من الناس ومن سوء التعليل أى الحامل له على التوارى هو سوء ما أخبر به وقد كان بعضهم فى الجاهلية يتوارى حالة الطلق فان أخبر بكرا بنهج أو أنثى حزن وتوارى أياما يدبر فيها ما يصنع أيسكه قبله حال مخدوفة دل عليه المعنى والتقدير مفكر أو مدبر أيسكه وذكرا الضمير ملاحظة للفظ ما فى قوله من سوء ما بشر به * وقرأ الجحدرى أيسكه على هو ان أم يدسها بالتأنيث عودا على قوله بالانثى أو على معنى ما بشر به وافقه عيسى على قراءة هو ان على وزن فعال * وقرأت فرقة أيسكه بضمير التذكير أم يدسها بضمير التأنيث * وقرأت فرقة على هون بفتح الهاء * وقرأ الأعمش على سوء وهى عندي تفسير لا قراءة لمخالفتها السواد الجمع عليه ومعنى الامساك حبسه وترتيبه والهون الهوان كما قال عذاب الهون والهون بالفتح الرفق واللين يمشون على الارض هونا وفى قوله على هون قولان أحدهما انه حال من الفاعل وهو مروي عن ابن عباس * قال ابن عباس انه صفة للآب والمعنى أيسكه مع رضاهم هو ان نفسه وعلى رغم أنفه * وقيل حال من المفعول أى أيسكه مهانة ذليلة والظاهر من قوله أم يدسها فى التراب انه يئسها وهو دفنها حية حتى تموت * وقيل دسها اخفاؤها عن الناس حتى لا تعرف كالمدسوس فى التراب والظاهر من قوله الأساء ما يحكمون رجوعه الى قوله ويجعلون لله البنات الآية أى ساء ما يحكمون فى نسبتهم الى الله ما هو مستكره عندهم نافر عنهن طبعهم بحيث لا يحتملون نسبتهم اليهم ويئسونهن استسكافاً منهن وينسبون اليهم

﴿ولو يؤاخذ الله الناس ﴿ لما حكى تعالى عن الكفار عظيم ما ارتكبوه من الكفر ونسبة التوالة اليه بين تعالى أنه يمهلمهم ولا يعاجلهم بالعقوبة اظهارة الفضله ورحمته و يؤاخذهم صار ع آخذ الظاهر أنه بمعنى المجرى الذي هو أخذ الضمير في عليها عائد على غير مذكور ودل على أنه الأرض قوله من دابة لأن الديب من الناس لا يكون الا في الأرض والظاهر عموم من دابة في تلك الصالح بالطاح فكان يهلك جميع ما يدب على الأرض حتى الجعلان في جحرها ﴿ ولكن يؤخرهم ﴿ تقدم نظيره في الاعراف وما في ما يكرهون لمن يعقل وأريد بها النوع كقوله تعالى فانكحوا ما طاب لكم ومعنى ويجعلون يصفونه بذلك ويحكمون به وأن لهم الحسن بدل من الكذب أو على اسقاط الحرف (٥٥٥) أي بان لهم وتقدم الكلام في لاجرم مفرطون قال

الفراء تقول العرب أفرطت منهم ناسا أي خلفتهم ونسيتهم وقيل يخلفون متركون في النار ثم أخبر تعالى بارسال الرسل الى أمم من قبل أمته قسماء على ذلك ومؤكدا بالقسم وبقد التي تقتضى تحقيق الامر على سبيل التسليم لرسول الله صلى الله عليه وسلم لما كان يناله بسبب جهالات قومه ونسبتهم الى الله مالا يجوز ﴿ فزين لهم الشيطان أعمالهم ﴿ من تاديهم على الكفر ﴿ فهو وليهم اليوم ﴿ حكاية حال ماضية أي لناصر لهم في حياتهم الا هو أو عبر باليوم عن وقت الارسل ومحاورة الرسل لهم أو حكاية حال آتية وهو يوم القيامة وأل في اليوم للعهد وهو اليوم المشهور فهو وليهم في

الذكر كما قال ألكم الذكر وله الانثى ﴿ وقال ابن عطية ومعنى الآية يدبر أي مسك هذه الانثى على هوان يتجمل له أم يئدها فيدها حية فهو الدس في التراب ثم استعج الله سوء فعلهم وحكمهم بهذا في بناتهم ورزق الجميع على الله انتهى فعلق الأساء ما يحكمون بصنعهم في بناتهم مثل السوء ﴿ قيل مثل بمعنى صفة أي صفة السوء وهي الحاجة الى الاولاد الذكور وكرهه الاناث ووأدهن خشية الاملاق واقرارهم على أنفسهم بالشع البالغ ولله المثل الاعلى أي الصفة العليا وهي الغنى عن العالمين والنزاهة عن سمات المحدثين ﴿ وقيل مثل السوء هو وصفهم الله تعالى بأن له البنات وسماه مثل السوء لنسبتهم الولد الى الله وخصوصا على طريق الانوثة التي هم يستنكفون منها ﴿ وقال ابن عباس مثل السوء النار ﴿ وقال ابن عطية قالت فرقة مثل بمعنى صفة أي لهؤلاء صفة السوء ولله الوصف الاعلى وهذا لا نظير اليه لأنه خروج عن اللفظ بل قوله مثل على بابه وذلك أنهم اذا قالوا ان البنات لله فقد جعلوا لله مثالا للبنات من البشر وكثرة البنات مكروه عندهم ذميم فهو المثل السوء والذي أخبر الله تعالى أنهم لهم وليس في البنات فقط بل لما جعلوه هم البنات جعله هو لهم على الاطلاق في كل سوء ولا غاية أبعد من عذاب النار وقوله ولله المثل الاعلى على الاطلاق أي الكمال المستغنى ﴿ وقال قتادة المثل الاعلى لا اله الا الله انتهى وقول قتادة مروى عن ابن عباس ولما تقدم قوله ويجعلون لله البنات الآية تقدم ما نسبوا الى الله وأتى ثانيا ما كان منسوباً لأنفسهم وبدأ هنا بقوله للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء وأتى بعد ذلك بما يقابل قوله سبحانه وتعالى من التزبه وهو قوله ولله المثل الاعلى وهو الوصف المنزه عن سمات الخدوش والتوالة وهو الوصف الاعلى الذي ليس يشركه فيه غيره وناسب الختم بالعز وهو الذي لا يوجد نظيره الحكيم الذي يضع الاشياء مواضعها ﴿ ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليهم من دابة ولكن يؤخرهم الى أجل مسمى فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ﴿ ويجعلون لله ما يكرهون وتصف ألسنتهم الكذب أن لهم الحسن لاجرم أن لهم النار وانهم مفرطون ﴿ تالله لقد أرسلنا الى أمم من قبلك فزين لهم الشيطان أعمالهم فهو وليهم اليوم ولهم عذاب أليم ﴿ وما أنزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون ﴿ والله أنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها ان في ذلك آية لقوم يسمعون ﴿ لما حكى الله تعالى عن الكفار عظيم ما ارتكبوه من الكفر ونسبة التوالة اليه بين تعالى أنه يمهلمهم ولا يعاجلهم

(٦٤ - تفسير البحر المحيط لأبي حيان - خامس) ذلك اليوم أي قريتهم وبئس القرين والظاهر عود الضمير في وليهم الى أمم قيل ويجوز أن يرجع الضمير الى مشركى قريش وأنه زين للكفار قبلهم أعمالهم فهو ولي هؤلاء لانهم منهم ويجوز أن يكون على حذف المضاف أي فهو وليهم أي ولي أمثالهم اليوم انتهى وهذا فيه بعد لا اختلاف الضمائر من غير ضرورة تدعو الى ذلك ولا الى حذف المضاف بل الضمير في الظاهر عائد الى أمم واللام في لتبين لام التعليل والكتاب القرآن والذين اختلفوا فيه من الشرك والتوحيد والجبر والقدر واثبات المعاد ونفيه وغير ذلك مما يعتقدهون من الأحكام كتحریم البحيرة وتحليل الميتة والدم وغير ذلك من الأحكام ﴿ وهدى ورحمة ﴿ في موضع نصب على أنهم مفعول من أجله وانتصبا لاتحاد الفاعل في الفعل وفيه ما لأن المنزل

هو الله تعالى وهو الهادي والراحم ودخلت اللام في لتبين لاختلاف الفاعل لان المنزل هو الله تعالى والتبيين مسند للمخاطب وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الزمخشري معطوفان على محل لتبين انتهى ليس بصحيح لأن محله ليس نصبا فيعطف منصوب عليه ألا ترى أنه لو نصبه لم يجز لاختلاف الفاعل * والله أنزل من السماء ماء * الآية لما ذكر تعالى انزال الكتاب المبين كان القرآن حياة الارواح وشفاء لما في الصدور من علل العقائد ولذلك ختم بقوله يؤمنون أي يصدقون والتصديق محله القلب ذكر انزال المطير الذي هو حياة الاجسام وسبب لبقائها ثم أشار باحياء الارض بعد موتها الى احياء القلوب بالقرآن كما قال تعالى أو من كان ميتا فأحييناه فكما تصير الارض خصرة بالنبات نضرة بعد هودها كذلك القلب يحيا بالقرآن بعد أن كان ميتا بالجهل ولذلك ختم بقوله يسمعون أي هذا التشبيه المناسا اليه والمعنى سماع انصاف

بالعقوبة اظهار الفضله ورجته يؤاخذ ضارع آخذ والظاهر انه بمعنى المجرد الذي هو أخذ وقال ابن عطية كان أحد المؤاخذين يأخذ من الآخر اما بمعصية كما هي في حق الله تعالى أو باذابة في جهة المخلوقين في أخذ الآخر من الأول بالمعاقبة والجزاء انتهى والظاهر عموم الناس * وقيل أهل مكة والباء في نظامهم للسبب وظلمهم كفرهم ومعاصيهم والضمير في عليها عائدا على غير مذكور ودل على انه الارض قوله من دابة لأن الديب من الناس لا يكون الا في الارض فهو كقوله فأثرن به نقعا أي بالمكان لأن والعاديات معلوم انها لا تعدو الا في مكان وكذلك الاثارة والنقع والظاهر عموم من دابة في تلك الصالح بالطاح فكان يهلك جميع ما يدب على الارض حتى الجمelan في جحرها قاله ابن مسعود * قال قتادة وقد فعل تعالى في زمن نوح عليه السلام * وقال السدي ومقاتل اذا قحط المطر لم تبقى دابة الا هلكت وسمع أبوهريرة جلا يقول ان الظالم لا يضر الانفسه فقال بلى والله حتى ان الحبارى لتتوت في وكرها بظلم الظالم وهذا نظير واتقوا فتنة الآية والحديث أنهم لك وفيها الصالحون * وقال ابن السائب واختاره الزجاج من دابة من الانس والجن * وقال ابن جريج من الناس خاصة * وقالت فرقة منهم ابن عباس من دابة من مشرك يدب عليها ولكن يؤخرهم الى أجل الآية تقدم تفسير ما يشبهه في الاعراف وما في ما يكرهون لمن يعقل وأريد بها النوع كقوله فانكحو امما طاب لكم ومعنى ويجعلون يصفونه بذلك ويحكمون به * وقال الزمخشري ما يكرهون لأنفسهم من البنات ومن شركاء في رئاستهم ومن الاستخفاف برسلهم والتهاون برسالاتهم ويجعلون له أرذل أموالهم ولأصنامهم أكرما وتصف ألسنتهم مع ذلك أن لهم الحسنى عند الله كقوله ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى انتهى * وقال مجاهد الحسنى قول قريش لنا البنون يعني قالوا لله البنات ولنا البنون * وقيل الحسنى الجنة ويؤيده لا جرم ان لهم النار والمعنى على هذا يجعلون لله المكره ويدعون مع ذلك انهم يدخلون الجنة كما تقول أنت تعصى الله وتقول مع ذلك انك تنجو أي دنا بعيد مع هذا وهذا القول لا يتأني الا من يقول بالبعث وكان فيهم من يقول به أو على تقدير ان كان ما يقول من البعث صحيحا وان لهم الحسنى بدل من الكذب أو على اسقاط الحرف أي بأن لهم * وقرأ الحسن ومجاهد باختلاف ألسنتهم بالسكان التاء وهي لغة تميم جمع لسانا المذكر نحو حمار وأجرة وفي التانيث ألسن كذراع وأذرع * وقرأ معاذ بن جبل وبعض أهل الشام الكذب بضم الكاف والذال والباء صفة لللسن جمع كذوب كصبور ووصبر وهو مقيس أو جمع كاذب كشارف وشرف ولا ينقاس وعلى هذه القراءة أن لهم مفعول تصف وتقدم الكلام في لا جرم أن * وقرأ الحسن وعيسى بن عمران لهم بكسر الهمزة وان جواب قسم أغنت عنه لا جرم * وقرأ ابن عباس وابن مسعود وأبو رجاء وشيبة ونافع وأكثر أهل المدينة مفرطون بكسر الراء من أفرط حقيقة أي متجاوزون الحد في معاصي الله وباقي السبعة والحسن والأعرج وأصحاب ابن عباس ونافع في رواية بفتح الراء من أفرطته الى كذا قدمته معدي بالهمزة من فرط الى كذا تقدم اليه * قال القطامي

واستعجلونا وكانوا من صحابتنا * كما تعجل فراط لوراد

ومنه ان أفرطكم على الخوض أي متقدمكم * وقال ابن حبيب ومجاهد وابن أبي هند مفرطون مخلفون متر وكون في النار من أفرطت فلانا خفي اذا خلفته ونسيته * قال أبو البقاء تقول العرب أفرطت منهم ناسا أي خلفتهم ونسيته * وقرأ أبو جعفر مفرطون مشدد من فرط أي مقصرون مضيعون وعنه أيضا فتح الراء وشدها أي مقدمون من فرطته المعدي بالتضعيف من فرط بمعنى تقدم ثم أخبر

وتدبر والملاحظة هذا المعنى والله أعلم لم يختم بقوله يبصرون وان كان انزال المطر مما يبصر ويشاهد * وان لكم في الأنعام لعبرة * الآية لما ذكر تعالى إحياء الأرض بعد موتها ذكر ما ينشأ عن المطر (٥٠٧) وهو حياة الأنعام التي هي مألف العرب بما تناوله من

النبات الناشئ عن المطر ونبه على العبرة العظيمة وهو خروج اللبن من بين فرث ودم والفرث كثيف ما يبق من الماء كولي في السكرش أو الامعاء وذكر في قوله مما في بطونه ولا ضعف في ذلك من هذه الجهة لأن التأنيت والتذكير باعتبار وجهين وأعاد الضمير مذكرا مراعاة للجنس لأنه اذا صح وقوع المفرد الدال على الجنس مقام جمعه جاز عوده عليه مذكرا كقولهم هو أحسن الفتيان وأنبله لأنه يصح هو أحسن فتي وان كان هذا لا ينقاس

(الدر)

(ش) ويجوز أن يرجع الضمير الى مشركي قريش وأنه زين للكفار قبلهم أعمالهم فهو ولي هؤلاء لانهم منهم ويجوز أن يكون على حذف المضاف أي فهو ولي أمثالهم اليوم (ح) هذا فيه بعد لاختلاف الضائر من غير ضرورة تدعو الى ذلك ولا الى حذف المضاف بل الضمير في الظاهر عائد الى أم

تعالى بارسال الرسل الى أمم من قبل أممك مقسما على ذلك ومؤكدا بالقسم وبقد التي تقتضي تحقيق الامر على سبيل التسلية للرسول صلى الله عليه وسلم لما كان يناله بسبب جهالات قومه ونسبتهم الى الله بما لا يجوز فزين لهم الشيطان أعمالهم من تهاديهم على الكفر فهو وليهم اليوم حكاية حال ماضية أي لناصر لهم في حياتهم الا هو أو عبر باليوم عن وقت الارسال ومحاوره الرسل لهم أو حكاية حال آتية وهي يوم القيامة وأل في اليوم العهد وهو اليوم المشهود فهو وليهم في ذلك اليوم أي قريشهم وبئس القرين والظاهر عود الضمير في وليهم الى أمم * وقال الزمخشري ويجوز أن يرجع الضمير الى مشركي قريش وأنه زين للكفار قبلهم أعمالهم فهو ولي هؤلاء لانهم منهم ويجوز أن يكون على حذف المضاف أي فهو ولي أمثالهم اليوم انتهى وهذا فيه بعد لاختلاف الضائر من غير ضرورة ندعو الى ذلك ولا الى حذف المضاف واللام في لتبين لام التعليل والكتاب القرآن والذي اختلفوا فيه من الشرك والتوحيد والجبر والقدر واثبات المعاد ونفيه وغير ذلك مما يعتقدون من الأحكام كتعريم البحيرة وتحليل الميتة والدم وغير ذلك من الأحكام وهدي ورحمة في موضع نصب على أنهما مفعول من أجله وانتصبا لاتحاد الفاعل في الفعل وفيه ما لان المنزل هو الله وهو الهادي والراحم ودخلت اللام في لتبين لاختلاف الفاعل لان المنزل هو الله والتبيين مسند للخاطب وهو الرسول صلى الله عليه وسلم وقول الزمخشري معطوف على محل لتبين ليس بصحيح لان محله ليس نصبا فيعطف منصوب عليه ألا ترى أنه لو نصبه لم يجز لاختلاف الفاعل * والله أنزل من السماء ماء قال أبو عبد الله الرازي المقصود من القرآن أربعة الالهيات والنبوات والمعاد والقدر والأعظم منها الالهيات فابتدأ في ذكر دلائلها بالأجرام الفلكية ثم بالانسان ثم بالحيوان ثم بالنبات ثم بأحوال البحر والأرض ثم عاد الى تقدير الالهيات فبدأ بذكر الفلكيات انتهى ملخصا * وقال ابن عطية لما أمره بتبيين ما اختلف فيه قص العبر المؤدية الى بيان أمر الربوبية فبدأ بنعمة المطر التي هي أبين العبر وهي ملاك الحياة وهي في غاية الظهور ولا يختلف فيها عاقل انتهى ونقول لما ذكر انزال الكتاب للتبيين كان القرآن حياة الأرواح وشفاء لما في الصدور من علل العقائد ولذلك ختم بقوله لقوم يؤمنون أي يصدقون والتصديق محله القلب فكنا انزال المطر الذي هو حياة الأجسام وسبب لبقائهم ثم أشار بإحياء الأرض بعد موتها الى إحياء القلوب بالقرآن كما قال تعالى أو من كان ميتا فأحييناه فكأن نصير الأرض خضرة بالنبات نضرة بعد هودها كذلك القلب يحيا بالقرآن بعد أن كان ميتا بالجهل وكذلك ختم بقوله يسمعون هذا التشبيه المشار اليه والمعنى سماع انصاف وتدبر والملاحظة هذا المعنى والله أعلم لم يختم بقوله يبصرون وان كان انزال المطر مما يبصر ويشاهد * وقال ابن عطية وقوله يسمعون يدل على ظهور هذا المعبر فيه وتبينانه لانه لا يحتاج الى نظر ولا تفكر وانما يحتاج البتة الى أن يسمع القول فقط * وان لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين * ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا ان في ذلك لآية لقوم يعقلون * وأوحى ربك الى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا

وهدي ورحمة هما في موضع نصب على أنهما مفعول من أجله وانتصبا لاتحاد الفاعل في الفعل وفيه ما لان المنزل هو الله وهو الهادي والراحم ودخلت اللام في لتبين لاختلاف الفاعل لأن المنزل هو الله والتبيين هو مسند للخاطب وهو الرسول (ش) معطوفان على محل لتبين (ح) ليس بصحيح لأن محله ليس نصبا فيعطف منصوب عليه ألا ترى أنه لو نصبه لم يجز لاختلاف الفاعل

عند سيبويه انما يقتصر فيه على ما قاله العرب قال الزمخشري ذكر سيبويه الانعام في باب ما لا ينصرف من الأسماء المفردة على أفعال كقولهم ثوباً كياش ولذلك رجع الضمير اليه مفرداً انتهى قال سيبويه وأما أفعال فقد يقع للواحد فقول سيبويه

(الدر) (ش) ذكر سيبويه الانعام في باب ما لا ينصرف في الأسماء المفردة على أفعال كقولهم ثوباً كياش ولذلك رجع الضمير اليه مفرداً وأما في بطونها في سورة المؤمنين فلائ معناه الجمع ويجوز أن يقال في الانعام وجهان أحدهما أن يكون تكسير نعم كالأجبال في جبل وان يكون اسماً مفرداً مقتضياً للمعنى الجمع كنعم فاذا ذكر فكأنه كرنعم في قوله

في كل عام نعم نحوونه * يلقحه قوم وتنجنونه * وإذا أنت ففيه وجهان انه تكسير نعم وانه في معنى الجمع (ح) أما ما ذكر عن سيبويه ففي كتابه في هذا باب ما كان على مثال مفاعل ومفاعيل مانصه وأما أفعال وفلوس فانها تنصرف وما أشبهها لانها ضارعت الواحد ألا ترى انك تقول أقوال وأقاول وأعراب وأعاريب وأيد وأيدف هذه الأحرف تخرج الى مثال مفاعل ومفاعيل كما تخرج الى الواحد اذا كسر للجمع وأما مفاعل (٥٠٨) ومفاعيل فلا تكسر فخرج الجمع الى بناء غير هذا لأن

ومن الشجر ومما يعرشون * ثم كل من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون * لماذا كر الله تعالى احياء الأرض بعد موتها ذكر ما ينشأ عن ما ينشأ عن المطر وهو حياة الانعام التي هي مألوف العرب بما يتناوله من النبات الناشئ عن المطر ونبت على العبرة العظيمة وهو خروجه اللبن من بين فرث ودم * وقرأ ابن مسعود بخلاف والحسن وزيد بن علي وابن عامر وأبو بكر ونافع وأهل المدينة تسقيكم هنا وفي قد أفلح المؤمنون بفتح النون مضارع سقى وباقي السبعة بضمها مضارع أسقى وتقدم الكلام في سقى وأسقى في قوله فأسقينا كوه * وقرأ أبو رجاء يسقيكم بالياء مضمومة والضمير عائدة على الله أي يسقيكم الله * قال صاحب اللوامح ويجوز أن يكون مسنداً الى النعم وذكر لان النعم مما يذكر ويؤنث ومعناه وان لكم في الانعام نعماً يسقيكم أي يجعل لكم سقياً انتهى * وقرأت فرقة بالناء مفتوحة منهم أبو جعفر * قال ابن عطية وهي ضعيفة انتهى وضعفها عنده والله أعلم من حيث أنت في تسقيكم وذكر في قوله مما في بطونه ولا ضعف في ذلك من هذه الجهة لان التأنيث والتذكير باعتبار وجهين وأعاد الضمير كراهم اعادة للجنس لانه اذا صح وقوع المفرد الدال على الجنس مقام جمعه جاز عوده عليه مذكراً كقولهم هو أحسن الفتيان وأنبله لانه يصح هو أحسن فتى وان كان هذا لا ينقاس عند سيبويه انما يقتصر فيه على ما قاله العرب * وقيل جمع التكسير فيما لا يعقل يعامل معاملة الجماعة ومعاملة الجمع فيعود الضمير عليه مفرداً كقوله

* مثل الفراخ نبتت حواصله * وقيل أفرد على تقدير المذكور كما يفرد اسم الإشارة بعد الجمع كما قال

هذا البناء هو الغاية فلما ضارعت الواحد صرفت ثم قال وكذلك الفعول لو كسرت مثل الفلوس لان تجمع جمعاً لأخرجه الى فغائل كما تقول جدد وجداند وركوب وركائب ولو فعلت ذلك بمفاعل ومفاعيل لم يجاوز هذا البناء ويقوى ذلك ان بعض العرب يقول أتى للواحد فيضم الألف وأما أفعال فقد يقع للواحد من لعرب من يقول هو الانعام قال الله جل ثناؤه وعز نسقيكم مما في بطونه وقال أبو الخطاب سمعت العرب يقولون هذا ثوباً كياش

انتهى والذي ذكره سيبويه هو الفرق بين مفاعل ومفاعيل وأفعال وفعول وان كان للجميع أبنية للجمع من حيث ان مفاعل ومفاعيل لا يجمعان وأفعال وفعول قد يخرجان الى بناء شبيه مفاعل أو مفاعيل فلما كانا قد يخرجان الى ذلك انصرفا ولم ينصرفا كفاعل ومفاعيل لشبه ذينك بالمفرد من حيث انه يمكن جمعها وامتناع هذين من الجمع ثم قوى شبههما بالمفرد بأن بعض العرب قال في أتى بضم الهمزة يعني انه قد جاء نادراً فاعول من غير المصدر للمفرد بأن بعض العرب قد توقع أفعالاً للواحد من حيث أفرد الضمير فتقول هو الانعام وانما يعني ان ذلك على سبيل المجاز لأن الانعام في معنى النعم والنعم مفرد * قال تركنا الخيل والنعم المفدى * وقلنا النساء بها أقمى * ولذلك قال سيبويه وأما أفعال فقد تقع للواحد فقول سيبويه فقد تقع للواحد دليل على أنه ليس ذلك بالوضع فقول الزمخشري انه ذكره في الأسماء المفردة على أفعال تحريف في اللفظ وفهم عن سيبويه ما لم يرد ويدل على ما قلناه ان سيبويه حين ذكر أبنية الأسماء المفردة نص على ان أفعالاً ليس من أبنيتها قال سيبويه في باب ما لحقته الزوائد من الثلاثة وليس في الكلام أفعيل ولا أفعول ولا أفعال ولا أفعيل ولا أفعال إلا أن تكسر عليه أسماء للجمع انتهى فهذا نص منه على ان أفعالاً لا يكون في الأبنية المفردة

ففيها خطوط من سواد وبلق * كانه في الجلد توليع البق

فقال كانه وقدر بكان المذكور * قال الكسائي أي في بطون ما ذكرنا * قال المبرد وهذا سائغ في القرآن قال تعالى ان هذه تذكرة فمن شاء ذكره أي ذكر هذا الشيء * وقال فاما رأى الشمس بازغة قال هذا رب أي هذا الشيء الطالع ولا يكون هذا الا في التأنيث المجازي لا يجوز جاريته ذهب * وقالت فرقة الضمير عائد على البعض اذ المذكور لا لبان لها فكان العبرة انما هي في بعض الانعام * وقال الزمخشري ذكر سيبيويه الانعام في باب ما لا ينصرف في الأسماء المفردة على أفعال كقولهم ثوباً كياش ولذلك رجع الضمير اليه مفرداً وأما في بطونها في سورة المؤمنين فلا ن معناه الجمع ويجوز أن يقال في الانعام وجهان أحدهما أن يكون تكسير نعم كالأجبال في جبل وأن يكون اسماً مفرداً مقتضياً للمعنى الجمع كنعم فاذا ذكر فكأنه ذكر نعم في قوله

في كل عام نعم تحوونه * يلقحه قوم وينتجونه

واذا أنت فففيه وجهان انه تكسير نعم وانه في معنى الجمع انتهى وأما ما ذكره عن سيبيويه ففي كتابه في هذا في باب ما كان على مثال مفاعل ومفاعيل مانصه وأما أجمال وفلوس فانها تنصرف وما أشبهها لانها ضارعت الواحد ألا ترى أنك تقول أقوال وأقواليل واعراب وأعرابيل وأيد وأياد فلهذه الأحر ف تخرج الى مثال مفاعل ومفاعيل كما يخرج اليه الواحد اذا كسر للجمع وأما مفاعل ومفاعيل فلا يكسر فيخرج الجمع الى بناء غير هذا لان هذا البناء هو الغاية فله ضارعت الواحد صرفت ثم قال وكذلك الفعول لو كسرت مثل الفلوس لان تجمع جمالا خرجته الى فعائل كما تقول جودود وجداً ندور كوبور كائب ولو فعلت ذلك بمفاعل ومفاعيل لم يجاوز هذا البناء ويقوى ذلك ان بعض العرب يقول أي للواحد فيضم الألف وأما أفعال فقد تقع للواحد من العرب من يقول هو الانعام قال جيل ثناؤه وعز نسقيكم مما في بطونه * وقال أبو الخطاب سمعت العرب يقولون هذا ثوباً كياش انتهى والذي ذكره سيبيويه هو الفرق بين مفاعل ومفاعيل وبين أفعال وفعول وان كان الجميع أبنية للجمع من حيث ان مفاعل ومفاعيل لا يجمعان وأفعال وفعول قد يخرجان الى بناء شبه مفاعل أو مفاعيل لشبهه ذينك بالمفرد من حيث انه يمكن جمعهما وامتناع هذين من الجمع ثم قوى شبههما بالمفرد بأن بعض العرب قال في أي أي بضم الهمزة يعني أنه قد جاء نادر أفعال من غير المصدر للمفرد وبأن بعض العرب قد يقع أفعالا للواحد من حيث أنه فرد الضمير فتقول هو الانعام وانما يعني ان ذلك على سبيل المجاز لأن الانعام في معنى النعم كما قال الشاعر

تركنا الخيل والنعم المفدى * وقلنا للنساء بها أقمى

ولذلك قال سيبيويه وأما أفعال فقد تقع للواحد دليل على انه ليس ذلك بالوضع فقول الزمخشري انه ذكره في الأسماء المفردة على أفعال تحريف في اللفظ وفهم عن سيبيويه ما لم يردده وبدل على ما قلناه ان سيبيويه حين ذكر أبنية الأسماء المفردة نص على ان أفعالا ليس من أبنيتها قال سيبيويه في باب ما حقه الزوائد من بنات الثلاثة وليس في الكلام أفعيل ولا أفعول ولا أفعال ولا أفعيل ولا أفعال إلا أن تكسر عليه اسماً للجمع انتهى فهذا نص منه على أن أفعالا لا يكون في الأبنية المفردة ونسقيكم مما في بطونه تبين للعبرة * وقال الزمخشري وهو استئناف كأنه قيل كيف العبرة فقيل نسقيكم من بين فرث ودم أي يخلق الله اللبن وسطا بين الفرث والدم يكتنفانه وبينه وبين ما برزخ من قدرة الله لا ينبغي أحدهما عليه بلون ولا طعم ولا رائحة بل هو خالص من ذلك كله انتهى قال ابن عباس اذا

فقد يقع للواحد دليل على أنه ليس ذلك بالوضع وقول الزمخشري انه ذكره في الأسماء المفردة على أفعال تحريف في اللفظ وفهم عن سيبيويه ما لم يردده وبدل على ما قلناه ان سيبيويه حين ذكر أبنية الأسماء المفردة نص على أن أفعالا لا يكون في الأبنية المفردة نص على أن أفعالا ليس من أبنيتها قال سيبيويه في باب ما حقه الزوائد من بنات الثلاثة وليس في الكلام أفعيل ولا أفعول ولا أفعال ولا أفعيل ولا أفعال إلا أن تكسر عليه اسماً للجمع انتهى فهذا نص منه على أن أفعالا لا يكون في الأبنية المفردة ولما ذكر تعالى ما من به من بعض منافع الحيوان ذكر بعض منافع من بعض منافع النباتات ومن ثمرات متعلق بتتخذه ومنه بدل من قوله من ثمرات لأنه جمع يقع مكانه المفرد كأنه قيل ومن ثمر التخليل كما ذكرنا في افراد الضمير في قوله مما في بطونه لوقوع نعم مكان الانعام والسكر في اللغة الخمر قال الشاعر

بئس الصحة وبئس الشرب شرهم إذا جرى منهم المزاء والسكر وان لكم في الأنعام لعبرة

ناسب الختم بقوله يعقلون

لأنه لا يعتبر الاذو والعقول
كما قال تعالى ان في ذلك
لعبرة لأولى الاباب وانظر
الى الاخبار عن نعمة اللبن
ونعمة السكر والرزق
الحسن لما كان اللبن
لا يحتاج الى معالجة من
الناس أخبر عن نفسه
بقوله نسقيكم ولما كان
السكر والرزق الحسن
يحتاج الى معالجة قال
تخذون فأخبر عنهم
باتخاذهم منه السكر
والرزق الحسن ولأمر
ما عجزت العرب العرباء
عن معارضته ولما ذكر
تعالى المنة باللبن المشروب
وغيره أتم النعم بذكر
العسل ولما كانت
المشروبات من اللبن
وغيره هو الغالب في
الناس أكثر من العسل
قدم اللبن وغيره عليه
وقدم اللبن على ما بعده
لانه المحتاج إليه كثيراً
وهو الدليل على الفطرة
ولذلك اختاره رسول
الله صلى الله عليه وسلم حين
أسرى به وعرض عليه
اللبن والخمر والعسل وجاء
ترتيبها في الجنة لهذه الآية
ففي اخراج اللبن من النعم
والسكر والرزق الحسن
من ثمرات التخيل والاعناب
والعسل من النحل دلائل

استقر العلف في الكرش صار أسفله فثايبتي فيها وأعلاه دما يجري في العروق وأوسطه لبنا يجري
في الضرع * وقال ابن جبير الفرت في أوسط المصارين والدم في أعلاها واللبن بينهما والكبد
يقسم الفرت الى الكرش والدم الى العروق واللبن الى الضرع * وقال أبو عبد الله الرازي قال
المفسرون المراد من قوله من بين فرت ودم هو أن هذه الثلاثة تتولد في موضع واحد فالفرت
يكون في أسفل الكرش والدم في أعلاه واللبن في الوسط وقد دللنا على أن هذا القول على خلاف
الحس والتجربة وكان الرازي قد قدم أن الحيوان يذبح ولا يرى في كرشه دم ولا لبن بل الحق أن
الغذاء اذا تناوله الحيوان وصل الى الكرش وانطج وحصل الهضم الاول فيه ما كان منه كشيء انزل
الى الامعاء وصافيا انحدر الى الكبد فينطج فيها ويصير دما وهو الهضم الثاني مخلوطا بالصفراء
والسوداء وزيادة المائية فتذهب الصفراء الى المرارة والسوداء الى الطحال والماء الى الكلية
وخالص الدم يذهب الى الاوردة وهي العروق النابتة من الكبد فيحصل الهضم الثالث وبين
الكبد وبين الضرع عروق كثيرة ينصب الدم من تلك العروق الى الضرع وهو لحم رخو أبيض
فينقلب من صورة الدم الى صورة اللبن فهذا هو الصحيح في كيفية تولد اللبن انتهى ملخصا * وقال
أيضا وأما نحن فنقول المراد من الآية هو أن اللبن انما يتولد من بعض أجزاء الدم والدم انما يتولد من
الاجزاء اللطيفة التي في الفرت وهي الاشياء المأكولة الحاصلة في الكرش فاللبن متولد مما كان
حاصلا فيما بين الفرت أولا ثم مما كان حاصلا فيما بين الدم ثانيا انتهى ملخصا أيضا والذي يظهر من لفظ
الآية أن اللبن يكون وسطا بين الفرت والدم والبينية يحتمل أن تكون باعتبار المكانية حقيقة كما
قاله المفسرون وادعى الرازي انه على خلاف الحس والمشاهدة ويحتمل أن تكون البينية مجازية
باعتبار تولده من ما حصل في الفرت أولا وتولده من الدم الناشئ من لطيف ما كان في الفرت ثانيا
كما قررہ الرازي ومن الأولى للتبعض متعلقة بنسقيكم والثانية لا ابتداء الغاية متعلقة بنسقيكم
وجاز نعلقها بمعامل واحد لا خلافا مدلوليهما ويجوز أن يكون من بين في موضع الحال فتعلق
بمحدوف لأنه لو تأخر لكان صفة أي كائنا من بين فرت ودم ويجوز أن يكون من بين فرت بدلا من
ما في بطونه * وقرأت فرقة سيعا بتشد يد الياء وعيسى بن عمر سيعا مخففا من سيعغ كهين المخفف
من هين وليس بفعل لازم كان يكون سوغا والسائغ السهل في الحلق اللذيذ وروى في الحديث ان
اللبن لم يشرق به أحد قط ولما ذكر تعالى ما من به من بعض منافع الحيوان ذكر ما من به من بعض
منافع النبات والظاهر تعلق من ثمرات تتخذون وكررت من اللب كما يبدو كان الضمير مفردا راعيا
لمحدوف أي ومن عصير ثمرات أو على معنى الثمرات وهو الثمر أو بتقدير من المذكور * وقيل تعلق
بنسقيكم فيكون معطوفا على مما في بطونه أو بنسقيكم محدوفة دل عليها نسقيكم المتقدمة فيكون
من عطف الجمل والذي قبله من عطف المفردات إذا اشتركا في العامل * وقيل معطوف على الانعام
أي ومن ثمرات التخيل والاعناب عبرة ثم بين العبرة بقوله تتخذون * وقال الطبري التقدير ومن
ثمرات التخيل والاعناب ما تتخذون فحذف ما وهو لا يجوز على مذهب البصريين وقال الزمخشري
ويجوز أن يكون صفة موصوف محدوف كقوله * بكفي كان من أرمي البشر * تقديره ومن
ثمرات التخيل والاعناب ثمر تتخذون منه انتهى وهذا الذي أجازہ قاله الخو في قال أي وان من
ثمرات وان شئت شيء بالرفع بالابتداء ومن ثمرات خبره انتهى والسكر في اللغة الخمر * قال الشاعر
بئس الصحابة بئس الشرب شر بهم * اذا جرى منهم المزاء والسكر

والاختبار والايحاء هنا
 الإلهام والالقاء في روعها
 وتعليمها على وجهه هو أعلم
 بكنهه لا سبيل إلى الوقوف
 عليه والنحل جنس واحد
 نحلة ويؤنث في لغة الحجاز
 ولذلك قال أن اتخذى وأن
 تفسيرية لانه تقدم معنى
 القول وهو أوحى أو
 مصدرية أى باتخاذ ومن
 للتبعيض لانها لا تبني في
 كل جبل وكل شجر وكل
 ما يغرس ولا في كل مكان
 والظاهر أن البيوت هنا
 عبارة عن الكوى التى
 تكون فى الجبال وفى
 متجوف الأشجار وأمامها
 عرش ابن آدم فالخلايا
 التى يصنعها النحل ابن آدم
 والكوى التى تكون
 فى الحيطان ولما كان
 النحل نوعين منها مأمقره
 فى الجبال والغياض ولا
 يتعهده أحد ومنها ما يكون
 فى بيوت الناس ويتعهده
 فى الخلايا ونحوها شمل
 الأمر باتخاذ البيوت نوعين
 وظاهره العطف بالفاء
 فى فاسلكى أنه يعتقب
 الأكل أى فاذا أكلت
 فاسلكى سبيل ربك
 أى طرق ربك إلى بيوتك
 راجعة والسبيل إذ ذاك
 مسالكها فى الطيران

* وقال الزمخشري سميت بالمصدر من سكر سكرًا وسكران حور شد رشدا ورشدا * قال الشاعر
 وجاؤنا بهم سكر علينا * فأجلى اليوم والسكران صاحي
 وقاله ابن مسعود وابن عمر وأبو رزين والحسن ومجاهد والشعبي والنخعي وابن أبي ليلى والكلبي
 وابن جبير وأبو ثور والجمهور وهذه الآية مكية نزلت قبل تحريم الخمر ثم حرمت بالمدينة فهى منسوخة
 * قال الحسن ذكر الله نعمته فى السكر قبل تحريم الخمر * وقال ابن عباس هو الخل بلغة الحبشة *
 وقيل العصير الخلو الحلال وسمى سكرًا باعتبار ما له إذا ترك * وقال أبو عبيدة السكر الطعم يقال هذا
 سكر لك أى طعم واختاره الطبري قال والسكر فى كلام العرب ما يطعم * وأنشد أبو عبيدة
 * جعلت أعراض السكرام سكرًا * أى تنقلت بأعراضهم * وقيل هو من الخمر وانه إذا ابتكر
 فى أعراض الناس فكانه تخمر بها قاله الزمخشري وتبع الزجاج قال يصف انه يخمر بعيوب الناس
 وعلى هذه الأقوال لا نخ * وقال الزجاج قول أبي عبيدة لا يصح وأهل التفسير على خلافه * وقيل
 السكر ما لا يسكر من الأنبة * وقيل السكر النيد وهو عصير العنب والزبيب والخمر إذا طبخ حتى
 يذهب ثلثاه ثم يترك حتى يشتد وهو حلال عند أبي حنيفة إلى حد السكر انتهى وإذا أريد بالسكر
 الخمر فقد تقدم أن ذلك منسوخ وإذا لم نقل بنسخ فقيل جمع بين العتاب والمنة يعنى بالعتاب على اتخاذ
 ما يحرم وبالمنة على اتخاذ ما يحل وهو الخل والرب والزبيب والخمر * وقال الزمخشري ويجوز أن
 يجعل السكر رزقًا حسنًا كانه قيل تتخذون منه ما هو سكر ورزق حسن انتهى فيكون من عطف
 الصفات وظاهر العطف المغايرة ولما كان مفتاح الكلام وان لكم فى الأنعام لعبرة ناسب الختم بقوله
 يعقلون لأنه لا يعتبر الا ذوو العقول كما قال ان فى ذلك لعبرة لأولى الابواب وانظر الى الاخبار عن نعمة
 اللبن ونعمة السكر والرزق الحسن لما كان اللبن لا يحتاج الى معالجة من الناس أخبر عن نفسه تعالى
 بقوله نسقيكم ولما كان السكر والرزق الحسن يحتاج الى معالجة قال تتخذون فأخبر عنهم باتخاذهم
 منه السكر والرزق ولأمر ما عجزت العرب العرباء عن معارضة ولما ذكر تعالى المنة بالمشروب
 اللبن وغيره أتم النعمة بذكر العسل النحل ولما كانت المشروبات من اللبن وغيره هو الغالب فى
 الناس أكثر من العسل قدم اللبن وغيره عليه وقدم اللبن على ما بعده لأنه المحتاج اليه كثير وهو
 الدليل على الفطرة ولذلك اختاره الرسول صلى الله عليه وسلم حين أسرى به وعرض عليه اللبن
 والخمر والعسل وجاء ترتيبها فى الجنة لهذه الآية قال تعالى وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر
 لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى فى إخراج اللبن من النسم والسكر والرزق الحسن من
 ثمرات النخيل والأعناب والعسل من النحل دلل باهرة على الألوهية والقدرة والاختيار والايحاء
 هنا الإلهام والالقاء فى روعها وتعليمها على وجهه هو تعالى أعلم بكنهه لا سبيل إلى الوقوف عليه
 والنحل جنس واحد نحلة ويؤنث فى لغة الحجاز ولذلك قال أن اتخذى * وقرأ ابن وثاب النحل
 بفتح الحاء وان تفسيرية لانه تقدم معنى القول وهو أوحى أو مصدرية أى باتخاذ * قال أبو عبد الله
 الرازى أن هى المفسرة لما فى الوحي من معنى القول هذا قول جمهور المفسرين وفيه نظر لان
 الوحي هنا باجماع منهم هو الإلهام وليس فى الإلهام معنى القول وقال قرر تعالى فى أنفسها الاعمال
 العجيبة التى يعجز عنها العقلاء من البشر منها بناؤها البيوت المسدسة من أضلاع متساوية بمجرد
 طباعها ولا يتم مثل ذلك للعقلاء الا بالآلات كالسطرة والبركان ولم تبنيها بشكل غير تلك فتضيق
 تلك البيوت عنها البقاء فرج لا تسعها ولها أمير أكبر جثة منها فاذا الحكم يخدمونه وإذا انفرت

وربما أجذب مكانها
فانجعت المكان البعيد
ثم عادت الى مكانها الأول
وأضاف السبل الى رب
النحل من حيث انه سبحانه
وتعالى هو خالقها ومالكها
والناظر في تهيتها مصالحها
ومعاشها **﴿ذلالا﴾** أى غير
متوعدة عليها سبيل
تسلكه فعلى هذا ذلالا حال
من سبل ربك كقوله
تعالى هو الذى جعل لكم
الأرض ذلولا أوحال من
الضمير في فاسلكى
متدلة **﴿يخرج من بطونها﴾**
شراب **﴿وهو العسل﴾**
وسماه شرابا لأنه مما يشرب
وقوله من بطونها لا يدل
على تعيين المكان الذى
يخرج منه أمن الفم أو من
المخرج **﴿مختلف ألوانه﴾**
بالخمر والبياض والسمرة
ونكرته فاء إما للتعظيم
فيكون المعنى فيه شفاء
أى شفاء وإمالدالته على
مطلق الشفاء أى فيه بعض
شفاء للناس ليس على
عمومه لأن بعض الامراض
لا يصلح فيها العسل ولما
كان أمر النحل عجيبا في بنائها
تلك البيوت المسددة وفي
أكلها من أنواع الازهار
والاوراق الحامض والمر
والضار وفي طواعيتها
لامبرها ولما يملكها في

عن وكرها الى موضع آخر وأرادوا عودها الى وكرها ضربوا الطبول وآلات الموسيقى
وبوساطة تلك الألحان تعود الى وكرها فلما امتازت بهذه الخواص العجيبة وليس الا على سبيل
الالهام وهى حالة تشبه الوحي لذلك قال وأوحى ربك الى النحل انتهى ملخصا ومن للتبعيض لانها
لا تبني في كل جبل وكل شجر وكل ما يعرش ولا في كل مكان منها والظاهر أن البيوت هنا عبارة
عن الكوى التى تكون في الجبال وفي متجوف الأشجار وأما من ما يعرش ابن آدم فالخلايا التى
يصنعها للنحل ابن آدم والكوى التى تكون في الحيطان ولما كان النحل نوعين منه ما مقره في
الجبال والغياض ولا يتعمده أحد ومنه ما يكون في بيوت الناس ويتعمده في الخلايا ونحوها مثل
الامر باتخاذ البيوت النوعين * وقال الزمخشري ما يدل على أن البيوت ليست الكوى وإنما
هى ما تبنيه هى فقال أريد معنى البعضية يعنى بمن وان لا يبني بيوتها في كل جبل وكل شجر وكل
ما يعرش * وقال ابن زيد ومما يعرشون الكروم * وقال الطبري مما يبنيون من السقوف *
قال ابن عطية وهذا من تفسير غير متقن انتهى * وقرأ السامى وعبيد بن فضالة وابن عامر وأبو
بكر عن عاصم بضم الراء وباقى السبعة بكسر ها وتقتضى ثم المهلة والتراخي بين الاتخاذ والأكل
الذى تدخر منه العسل فذلك كان العطف بتم وهو معطوف على اتخذي وهو أمر معطوف على
أمر وسيأتى الكلام على أمر غير المكاف في قوله يأيتها النحل ادخلوا مساكنكم إن شاء الله وكل
الثمرات عام مخصوص أى المعتادة لا كلها * قال الزمخشري أى ابني البيوت ثم كل من كل ثمرة
تشبهها انتهى فدل قوله أى ابني البيوت انه لا يريد بقوله بيوتنا الكوى التى في الجبال ومتجوف
الأشجار ولا الخلايا وإنما أراد البيوت المسددة التى تبنيها هى وظاهر من في قوله من كل الثمرات
انها للتبعيض فتأكل من الأشجار الطيبة والأوراق العطرية أشياء يولد الله منها في أجوافها عسلا *
قال ابن عطية انما تأكل كل النواتر من الأشجار * وقال أبو عبد الله الرازى ما ملخصه يحدث الله
تعالى في الهواء ظلا كثيرا يجتمع منه أجزاء محسوسة مثل الزنجبين وهو محسوس وقليل لطيف
الاجزاء صغيرها وهو الذى ألهم الله تعالى النحل التقاطه من الأزهار وأوراق لأشجار وتغتذى بها
فأذا شبت النقطت بأفواهها شيئا من تلك الاجزاء ووضعتها في بيوتها كأنها تحاول أن تدخر لنفسها
غذاءها فالجتماع من ذلك هو العسل وعلى هذا القول تكون من لا ابتداء الغاية للتبعيض انتهى
وظاهر العطف بالفاء في فاسلكى أنه يعقب الاكل أى فاذا أكلت فاسلكى سبل ربك أى طرق
ربك الى بيوتك راجعة والسبل اذ ذاك مساكنها في الطيران وربما أخذت مكانها فانتجعت
المكان البعيد ثم عادت الى مكانها الأول * وقيل سبل ربك أى الطرق التى ألهمك وأفهمك في عمل
العسل أو فاسلكى مأكل أى في سبل ربك أى في مساكنه التى يحيل فيها بقدرته النور المر
عسلا من أجوافك ومناقضك كلك وعلى هذا القول ينتصب سبل ربك على الطرق وعلى ما قبله
ينتصب على المفعول به * وقيل المراد بقوله ثم كل من الثمرات فاسلكى فى طلبها
سبل ربك وهذا القول والقول الاول أقرب في المجاز في سبل ربك من القولين اللذين بينهما الان
كل من معنى اقصدى الا كل مجاز أضاف السبل الى رب النحل من حيث انه تعالى هو خالقها
ومالكها والناظر في تهيتها مصالحها ومعاشها * وقال مجاهد ذلالا غير متوعدة عليها سبيل تسلكه
فعلى هذا ذلالا حال من سبل ربك كقوله تعالى هو الذى جعل لكم الارض ذلولا * وقال
قادة أى مطيعة منقاد * وقال ابن زيد يخرجون بالنحل ينتجعون وهى تتبعهم فعلى هذا ذلالا

نفلها معه وكان النظر في ذلك يحتاج الى تأمل وزيادة تدبر ختم بقوله تعالى ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون ﴿٥١٣﴾ نبيه تعالى على قدرته التامة في إنشائنا من العدم وإماتتنا وتنقلنا في حال الحياة من حالة الجهل الى يتوفاكم ﴿٥١٣﴾ نبيه تعالى على قدرته التامة في إنشائنا من العدم وإماتتنا وتنقلنا في حال الحياة من حالة الجهل الى

حالة العلم وذلك كله دليل على القدرة التامة والعلم الواسع ولذلك ختم تعالى بقوله عليم قدير وأرذل العمر آخره الذي تفسد

حال من النحل كقوله وذلكناها لهم ثم ذكر تعالى على جهة تعديد النعمة والتنبية على المنية ثمرة هذا الاتخاذ والا كل والسلوك وهو قوله يخرج من بطونها شراب وهو العسل وسماه شراباً لأنه مما يشرب كما ذكر ثمرة الانعام وهي سقى الابن وثمره النخيل والاعناب وهو اتخاذ السكر والرزق الحسن وذكر تعالى المقر الذي يخرج منه الشراب وهو بطونها وهو مبدأ الغاية الأولى والجمهور على انه يخرج من أفواهها وهو مبدأ الغاية الأخيرة ولذلك ﴿٥١٣﴾ قال الحر بى

تقول هذا مجاج النحل تمدحه ﴿٥١٣﴾ وان ذممت تقلق الزناير

والمجاج والقي لا يكونان الا من الفم ﴿٥١٣﴾ وروى عن علي كرم الله وجهه انه قال في تحقير الدنيا أشرف لباس ابن آدم فيها العابد دودة وأشرف شرابه رجيع نحلة ﴿٥١٣﴾ وعنه أيضاً أما العسل فونيم ذباب فظاهر هذا ان العسل يخرج من غير الفم وقد خفي من أى المخرجين يخرج من الفم أم من أسفل ﴿٥١٣﴾ وحكى ان سليمان عليه السلام والاسكندر واسطاطا ليس صنعوا لها يميناً من زجاج لينظروا الى كيفية صنعها وهل يخرج العسل من فيها أم من أسفلها فلم تضع من العسل شيئاً حتى لطخت باطن الزجاج بالطين بحيث يمنع المشاهدة ﴿٥١٣﴾ وقال الحسن لباب البر بلعاب النحل بخالص السمن ما عابه مسلم فجعله لعاباً كالريق الدائم الذى يخرج من فم ابن آدم ﴿٥١٣﴾ وقيل من بطونها من أفواهها سمي الفم بطناً لأنه في حكم البطن ولأنه مما يبطن ولا يظهر واختلاف ألوانه بالبياض والصفرة والخمرة والسواد وذلك لاختلاف طباع النحل واختلاف المراعى وقد يختلف طعمه لاختلاف المراعى كفاي الحديث جرس نحل العرفط ﴿٥١٣﴾ وقيل الابيض تلقية شباب النحل والاصفر كهولها والاحمر شبيهاً والظاهر عود الضمير فيه الى الشراب وهو العسل لأنه شفاء من جملة الاشفية والادوية المشهورة النافعة وقل معجون من المعاجين لم يذكر الا طباء فيه العسل والعسل موجود كثير في أكثر البلدان وأما السكر فمختص ببعض البلاد وهو محدث ولم يكن فيا تقدم من الازمان يجعل في الاشربة والادوية الا العسل وليس المراد بالناس هنا العموم لأن كثيراً من الامراض لا يدخل في دوائها العسل وانما المعنى للناس الذين يجمع العسل في أمراضهم ونكر شفاء امالته العظيم فيكون المعنى فيه شفاء أى شفاء وامالته لانه على مطلق الشفاء أى فيه بعض الشفاء ﴿٥١٣﴾ وروى عن ابن عباس والحسن ومجاهد والضحاك والفراء وابن كيسان ان الضمير في فيه عائد على القرآن أى في القرآن شفاء للناس ﴿٥١٣﴾ قال النحاس وهذا قول حسن أى فيما قصصنا عليه من الآيات والبراهين شفاء للناس ﴿٥١٣﴾ قال القاضي أبو بكر بن العربي أرى هذا القول لا يصح نقله عن هؤلاء ولو صح نقله لم يصح عقلاً وان سياق الكلام كله للعسل ليس للقرآن فيه ذكر ولما كان أمر النحل عجيباً في بنائها تلك البيوت المسدسة وفي أكلها من أنواع الازهار والاوراق الحامض والمر والصار وفي طواعيتها الأميرها ولم يملكها في النقلة معه وكان النظر في ذلك يحتاج الى تأمل وزيادة تدبر ختم بقوله تعالى ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون ﴿٥١٣﴾ والله خلقكم ثم يتوفاكم ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكيلا يعلم بعد علم شيئاً ان الله عليم قدير ﴿٥١٣﴾ والله فضل بعضكم على بعض في الرزق فالذين فضلوا ابرادى رزقهم على ما ملكت أيانهم فهم فيه سواء أفبنعمت الله يجحدون ﴿٥١٣﴾ والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من

فيه الخواص ويحتل النطق والفكر وخص بالذليلة لانها حالة لا رجاء بعدها لا صلاح ما فسد واللام في لكي لتعليل الرد الى أرذل

العمر وهي حرف جر وكى هنا ناصبة بنفسها بمعنى أن ينسبك منها مع ما بعدهاء صدره التقدير لا يبقى عنه شيئاً بعد أن كان عنه ولم يذكر تعالى

خلقنا ثم اماتتنا وتفاوتنا في السن ذكر تفاوتنا في الرزق وأن رزقنا أفضل من رزق المماليك وهم بشر مثلنا والتفاضل بالرزق يكون بالكثرة والقلة ثم

نفي تعالى أن يكون من فضل في الرزق راداً رزقه على مملوكه إذ ذلك الرزق الذي بطعمه مملوكه هو رزق الله والكل

هو رزقون لله تعالى بالرزق الذي قدره لملك والمملوك ولذلك قال تعالى ﴿٥١٣﴾ فهم فيه سواء ﴿٥١٣﴾ أى الملاك والمملوكون في الرزق

والله خلقكم ثم يتوفاكم ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكيلا يعلم بعد علم شيئاً ان الله عليم قدير ﴿٥١٣﴾ والله فضل بعضكم على بعض في الرزق فالذين فضلوا ابرادى رزقهم على ما ملكت أيانهم فهم فيه سواء أفبنعمت الله يجحدون ﴿٥١٣﴾ والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من

(٦٥ - تفسير البحر المحيط لأبي حيان - خامس) سواء ولذلك قال بعض الأدباء ﴿٥١٣﴾ ولا تقولان لي فضل على أحد الفضل لله ما للناس افضال ﴿٥١٣﴾ ثم استفهم عن وجودهم نعمه استفهام انكار وأتى بالنعمة الشاملة للرزق وغيره من النعم التي

لا يحصى أى إن من يفضل
عليكم بالنشأة أولا ثم بما
فيه قوام حياتكم جدير
بان يشكر نعمه ولا يكفر
ولما ذكر تعالى امتنانه
بالإيجاد ثم بالرزق المفضل
فيه ذكر امتنانه بما يقوم
بصالح الإنسان مما يأس
به ويستنصر به ويخدمه
واحتفل من أنفسكم أن
يكون المراد من جنسكم
ونوعكم واحتفل أن يكون
ذلك باعتبار خلق حيوان من
ضلع من أضلاع آدم صلى
الله عليه وسلم فنسب ذلك
إلى بنى آدم وكلا الاحتمالين
محار والظاهر عطف
حفدة على بنين يفيد كون
الجميع من الأزواج وأنهم
غير البنتين فقال الحسن
الحفدة هم بنو الابن
والحفدة الأعوان والخدم
ومن يسارع في الطاعة
يقال حفد بحفد حفدا
وحفودا وحفدانا ومنه
والملك نسعى ونحفد أى
نسرع في الطاعة وقال
الشاعر

* حفد الولائد حولهن
وأسامت *

بأ كفهن أرمه الاجمال *
وقال الأزهري الحفدة
أولاد الأولاد ولما ذكر
تعالى ما امتن به من جعل
الأزواج وما ينتفع به من

أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات أفبا الباطل يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون ويعبدون
من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والأرض شيئا ولا يستطيعون * فلا تنصروا الله الأمثال
إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون * ولما ذكر تعالى تلك الآيات التي في الأنعام والثمار والنحل ذكر ما ينهيه
على قدرته التامة في انشائه من العدم وامتتنا وتقلنا في حال الحياة من حالة الجهل إلى حالة العلم وذلك
كله دليل على القدرة التامة والعلم الواسع ولذلك ختم بقوله عليم قدير وأرذل العمر آخره الذي
تفسد فيه الحواس ويحتل النطق والفكر وخص بالذليل لأنها حالة لا رجاء بعدها لا صلاح ما فسد
بخلاف حال الطفولة فإنها حالة تتقدم فيها إلى القوة وإدراك الأشياء ولا يتقيد أرذل العمر بسن
مخصوص كما روى عن علي أنه خمس وسبعون سنة * وعن قتادة أنه تسعون وإنما ذلك بحسب
إنسان إنسان فرب ابن خمسين انتهى إلى أرذل العمر ورب ابن مائة لم يرد إليه والظاهر أن من برد
إلى أرذل العمر عام فحين يلحقه الحرف والمهرم * وقيل هذا في الكافر لأن المسلم لا يزداد بطول
عمره إلا كرامة على الله ولذلك قال تعالى ثم رددناه أسفل سافلين إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات
أى لم يردوا إلى أسفل سافلين * وقال قتادة من قرأ القرآن لم يرد إلى أرذل العمر واللام في لـكى
قال الحوفي هي لام كي دخلت على كي للتوكيد وهي متعلقة بـيرد انتهى والذي ذهب إليه محققو
النحاة في مثل لـكى أن كي حرف مصدرى إذا دخلت عليها اللام وهي الناصبة كأن واللام جارة
فينسبك من كي والمضارع بعدها مصدر مجرور باللام تقديره فاللام على هذا لم تدخل على كي للتوكيد
لاختلاف معناهما واختلاف عملهما لأن اللام مشعرة بالتعليل وكي حرف مصدرى واللام جارة وكي
ناصبة * وقال ابن عطية يشبه أن تكون لام صيرورة والمعنى ليصير أمره بعد العلم بالأشياء إلى أن لا
يعلم شيئا وهذه عبارة عن قلة علمه لأنه لا يعلم شيئا البتة * وقال الزمخشري ليصير إلى حالة شبيهة بحالة
الطفولة في النسيان وإن يعلم شيئا ثم يسرع في نسيانه فلا يعاين أن سئل عنه * وقيل لئلا يعقل من
بعد عقله الأول شيئا * وقيل لئلا يعلم زيادة علم على علمه انتهى وانتصب شيئا مابا لمصدر على مذهب
البصريين في اختيار أعماله ما يلي للقرب أو يعلم على مذهب الكوفيين في اختيار أعماله ما سبق
للمسبق ولما ذكر ما يعرض في الهرم من ضعف القوى والقدرة وانتفاء العلم ذكر علمه وقدرته
الذين لا يتبدلان ولا يتغيران ولا يدخلهما الحوادث ووليت صفة العلم ما جاورها من انتفاء العلم
وتقدم أيضا ذكر مناسبتهم هذين الوصفين ولما ذكر تعالى خلقنا ثم امتتنا وتفاوتنا في السن
ذكر تفاوتنا في الرزق وإن رزقنا أفضل من رزق المماليك وهم بشر مثلنا وربما كان المملوك خيرا
من المولى في العقل والدين والتصرف وإن الفاضل في الرزق لا يساهم مملوكه في رزق فيساويه
وكان ينبغي أن يرد فضل ما رزق عليه ويساويه في الطعام والملبس كما يحكى عن أبي ذر أنه رأى عبده
وإذا رده رداؤه مثل رداءه من غير تفاوت عملا بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم إنهم أخوانكم
فأكسوهم مما تلبسون وأطعموهم مما تطعمون * وعن ابن عباس وقتادة إن الأخبار بقوله فما
الذين فنلوا برادى رزقهم على سبيل المثل أى إن المفضلين في الرزق لا يصح منهم أن يساهموا
بماليكهم فيما أعطوا حتى تستوى أحوالهم فإذا كان هذا في البشر فكيف تنسبون أنتم
أيها الكفرة إلى الله تعالى أنه يشرك في الوهيته الأوثان والأصنام ومن عبده من الملائكة
وغيرهم والجميع عبيده وخلقهم وعن ابن عباس إن الآية مشيرة إلى عيسى بن مريم عليه وعلى
نبيينا أفضل الصلاة والسلام * وقال المفسرون هذه الآية كقوله ضرب لكم مثلا من أنفسكم

جهنم ذكر تعالى منته
بالرزق والطيبات عام في
النبات والثمار والحبوب
والأشربة * ويعبدون *
استئناف اخبار عن
حالهم في عبادة الأصنام
وفي ذلك تبيين لقوله تعالى
أفبالباطل يؤمنون
نهي عليهم فساد نظرهم في
عبادة ما لا يمكن أن يقع
منه ما يسع عبادة في تحصيله
منه وهو الرزق ولا هو في
استطاعته ففي أول أن
يكون شيء من الرزق في
ملكهم وفي ثانيا قدرتها
على أن تحاول ذلك وما
لا يملك عام في جميع من
عبد من دون الله من ملك
أو آدمي أو غير ذلك وأجازوا
في شيء انتصابه بقوله رزقا
قال ابن عطية والمصدر يعمل
مضافا باتفاق لانه في تقدير
الانفصال ولا يعمل اذا دخله
الألف واللام لانه قد توغل
في حال الأساء وبعد عن
الفعلية وتقدير الانفصال
في الاضافة حسن عمله وقد
جاء عاملا مع الألف واللام
في قوله ضعيف السكايه
أعداء البيت وقوله
* خفت علم أن كل من
الضرب مستعما *
انتهى أما قوله بعمل
مضافا باتفاق ان عنى من
البصريين فصحيح وان عنى
من النحويين فغير صحيح

الآية * وقيل المعنى ان الموالى والمال يك أنار از قهم جميعا فهم في رزقي سواء فلا تحسبن الموالى انهم
يردون على ممالكهم من عندهم شيأ من الرزق فانما ذلك أجر به اليهم على أيديهم وعلى هذا القول
يكون فهم فيه سواء جملة اخبار عن تساوى الجميع في ان الله تعالى هو رازقهم وعلى القولين
الآخرين تكون الجملة في موضع جواب النفي كأنه قيل فيستووا * وقيل هي جملة استفهامية
حذف منها الهمزة التقدير أفهم فيه سواء أى ليسوا مستوين في الرزق بل التفضيل واقع لا محالة ثم
استفهم عن جحدوهم نعمة استفهام انكار وأنى بالنعمة الشاملة للرزق وغيره من النعم التي
لا تخصى أى ان من تفضل عليكم بالنساء أو الأثم مما فيه قوام حياتكم جدير بان تشكر نعمه ولا تكفر
* وقرأ أبو بكر عن عاصم وأبو عبد الرحمن والأعرج بخلاف عنه تجحدون بالتاء على الخطاب
لقوله فضل تبيكتاهم في جحد نعمة الله ولما ذكر تعالى امتنانه بالايجاد ثم بالرزق المفضل فيه ذكر
امتنانه بما يقوم بمصالح الانسان مما يأنس به ويستنصر به ويخدمه واحتمل من أنفسكم أن يكون
المراد من جنسكم ونوعكم واحتمل أن يكون ذلك باعتبار خلق حواء من ضلع من أضلاع آدم فنسب
ذلك الى بنى آدم وكلا الاحتمالين مجاز والظاهر أن عطف حفدة على بنين يفيد كون الجميع من
الأزواج وانهم غير البنين * فقال الحسن هم بنو ابنك * وقال ابن عباس والأزهرى الحفدة أولاد
الأولاد واختاره ابن العربي * وقال ابن عباس أيضا البنون صغار الأولاد والحفدة كبارهم * وقال
مقاتل بعكسه * وقيل البنات لانهم يخدمون في البيوت أتم خدمة ففي هذا القول خص البنين
بالذكر لانهم جمع مذكر كما قال المال والبنون زينة الحياة الدنيا وإنما الزينة في الذكور * وعن
ابن عباس هم أولاد الزوجة من غير الزوج التي هي في عصمة * وقيل وحفدة منصوب بجعل
مضمرة وليسوا داخلين في كونهم من الأزواج فقال ابن مسعود وعلقمة وأبو الضحى وإبراهيم بن
جبير الأصهار وهم قرابة الزوجة كأنها وأخيها * وقال مجاهد هم الأنصار والاعوان والخدم
* وقالت فرقة الحفدة هم البنون أى جامعون بين البنوة والخدمة فهو من عطف الصفات لموصوف
واحد * قال ابن عطية ما معناه وهذه الأقوال مبنية على ان كل أحد جعل له من زوجه بنين وحفدة
وهذا إنما هو في الغالب وعظم الناس ويحتمل عندى ان قوله من أزواجكم إنما هو على العموم
والاشتراك أى من أزواج البشر جعل الله منهم البنين ومنهم جعل الخدمة وهكذا رتبت الآية النعمة
التي تشعل العالم ويستقيم لفظ الحفدة على مجراها في اللغة اذ البشر بجملتهم لا يستغنى أحدهم
عن حفدة انتهى وفي قوله من أنفسكم أزواج دلالة على كذب العرب في اعتقادها ان آدمي قد
يتزوج من الجن ويباضعها حتى حكوا ذلك عن عمرو بن هند انه تزوج سحابة ومن في الطيبات
للتبويض لان كل الطيبات في الجنة والذي في الدنيا أتمودج منها والظاهر ان الطيبات هنا
المستلذات لا الحلال لان المخاطبين كفار لا يتلبسون بشرع ولما ذكر تعالى ما امتن به من جعل
الأزواج وما تنتفع به من جهنم ذكر منته بالرزق والطيبات عام في النبات والثمار والحبوب
والأشربة ومن الحيوان * وقيل الطيبات الغنائم * وقيل مأثى من غير نصب * وقال مقاتل
الباطل الشيطان ونعمة الله محمد صلى الله عليه وسلم * وقال الكلبى طاعة الشيطان في الحلال
والحرام * وقيل ما يرجى من شفاعاة الأصنام وبركتها * قال الزمخشري أفبالباطل يؤمنون وهو
ما يعتقدون من منفعة الأصنام وبركتها وشفاعتها وما هو الا وهم باطل لم يتوصلوا اليه بدليل ولا
أمانة فليس لهم ايمان الابنه كأنه شيء معلوم مستيقن ونعمة الله المشاهدة المعينة التي لا شبهة فيها لدى

لأن بعض النحويين ذهب إلى أنه وإن أضيف لا يعمل وإن نصب ما بعده أو رفعه انما هو على اضمحلال الفعل المدلول عليه بالمصدر وأما قوله لأنه في تقدير الانفصال فليس كذلك لأنه لو كان في تقدير الانفصال لكانت الاضافة غير محضة وقد قال بذلك أبو القاسم بن برهان وأبو الحسين بن الطراوة ومنهم ما فسد لنتعت هذا المصدر المضاف وتو كيد به بالمعرفة وأما قوله ولا يعمل إلى آخره فقد ناقض في قوله آخره وقد جاء عاملا مع الألف واللام وأما كونه لا يعمل مع الألف واللام فهو مذهب منقول عن الكوفيين ومذهب سيبويه جواز أعماله قال سيبويه وتقول عجبت من الضرب زيدا كما تقول عجبت من الضارب زيدا تكون الألف واللام بمنزلة التنوين والظاهر عود الضمير في يستطيعون على ما على معناها (٥١٦) لأنه يراد بها آلهتهم بعدما أعاد على اللفظ في قوله لا يملك فافرد

وجاز أن يكون داخلا في صلة ما جاز أن لا يكون داخلا بل اخبار عنهم بانتفاء الاستطاعة أصلا لأنهم أموات وأما قول الزمخشري أنه يراد بالجمع بين نفى الملك والاستطاعة التوكيد فليس كما ذكر لأن نفى الملك مغاير لنفى الاستطاعة فلا تضر بها للامثال قال ابن عباس لا تشبهوه بخلقه * أن الله يعلم * أثبت العلم لنفسه والمعنى أنه يعلم ما تفعلون من عبادة غيره والاشتمال به وعبر عن الجزاء بالعلم * وأنتم لا تعلمون * كنه ما أقدمتم عليه ولا وبال عاقبته (الدر)

عقل وتمييزهم كافرين بهامسكرون لها كما ينكر المحال الذي لا تتصوره العقول * وقيل الباطل ما يسول لهم الشيطان من تحريم البحيرة والسائبة وغيرهما ونعمة الله ما أحل لهم انتهى * وقرأ الجمهور يؤمنون بالياء وهو توقيف للرسول صلى الله عليه وسلم على إيمانهم بالباطل ويندرج في التوقيف المعطوف بعدها * وقرأ السامي بالتاء ورويت عن عاصم وهو خطاب إنكار وتقريع لهم والجملة بعد ذلك مجر داخبار عنهم فالظاهر أنه لا يندرج في التقريع ويعبدون استفهام اخبار عن حالهم في عبادة الأصنام وفي ذلك تبيين لقوله أفبالباطل يؤمنون بغير علم فساد نظرهم في عبادة ما لا يمكن أن يقع منه ما يسعى عابده في تحصيله منه وهو الرزق ولا هو في استطاعته ففي أولا أن يكون شيء من الرزق في ملكهم ونفى ثانيا قدرتها على أن تحاول ذلك وما لا تملك عام في جميع من عبيد من دون الله من ملك أو آدمي أو غير ذلك وأجازوا في شيئا أن تصابه بقوله رزقا أجاز ذلك أبو علي وغيره ورد عليه ابن الطراوة بأن الرزق هو المرزوق كالرعي والطحن والمصدر هو الرزق بفتح الراء كالرعي والطحن ورد على ابن الطراوة بأن الرزق بالكسر يكون أيضا مصدرا وسمع ذلك فيه فصيح أن يعمل في المفعول به والمعنى ما لا يملك لهم أن يرزق من السموات والارض شيئا ومن السموات متعلق إذ ذاك بالمصدر * قال ابن عطية بعد أن ذكر أعمال المصدر منونوا والمصدر يعمل مضافا باتفاق لأنه في تقدير الانفصال ولا يعمل إذا دخله الألف واللام لأنه قد توغل في حال الأسماء وبعد عن الفعلية وتقدير الانفصال في الاضافة حسن عمله وقد جاء عاملا مع الألف واللام في قول الشاعر * ضعيف النكاية أعداءه * البيت وقوله * لحقت فلم أنكل عن الضرب مسمعا * انتهى أما قوله يعمل مضافا بالاتفاق ان عني من البصريين فصحيح وان عني من النحويين فغير صحيح لأن بعض النحويين ذهب إلى أنه وإن نصب ما بعده أو رفعه انما هو على اضمحلال الفعل المدلول عليه بالمصدر وأما قوله لأنه في تقدير الانفصال ليس كذلك لأنه لو كان في تقدير الانفصال لكانت الاضافة غير محضة وقد قال بذلك أبو القاسم بن برهان وأبو الحسين بن الطراوة ومنهم ما فسد لنتعت هذا المصدر المضاف وتو كيد به بالمعرفة وأما قوله ولا يعمل إلى آخره فقد ناقض في قوله آخره وقد جاء عاملا مع الألف واللام وأما كونه لا يعمل مع الألف واللام فهو مذهب منقول عن الكوفيين ومذهب سيبويه جواز أعماله قال سيبويه وتقول عجبت من الضرب زيدا كما تقول عجبت من الضارب زيدا تكون الألف واللام بمنزلة التنوين والظاهر عود الضمير في يستطيعون على ما على معناها (٥١٦) لأنه يراد بها آلهتهم بعدما أعاد على اللفظ في قوله لا يملك فافرد

دخله الألف واللام لأنه قد توغل في حال الأسماء وبعد عن الفعلية وتقدير الانفصال في الاضافة حسن عمله وقد جاء عاملا مع الألف واللام في قول الشاعر * ضعيف النكاية أعداءه * البيت وقوله * لحقت فلم أنكل عن الضرب مسمعا * انتهى (ح) أما قوله يعمل مضافا بالاتفاق ان عني من البصريين فصحيح وان عني من النحويين فغير صحيح لأن بعض النحويين ذهب إلى أنه وإن نصب ما بعده أو رفعه انما هو على اضمحلال الفعل المدلول عليه بالمصدر وأما قوله لأنه في تقدير الانفصال ليس كذلك لأنه لو كان في تقدير الانفصال لكانت الاضافة غير محضة وقد قال بذلك أبو القاسم بن برهان وأبو الحسين بن الطراوة ومنهم ما فسد لنتعت هذا المصدر المضاف وتو كيد به بالمعرفة وأما قوله ولا يعمل إلى آخره فقد ناقض في قوله آخره وقد جاء عاملا مع الألف واللام وأما كونه لا يعمل مع الألف واللام فهو مذهب منقول عن الكوفيين ومذهب سيبويه جواز أعماله قال سيبويه وتقول

منقول عن الكوفيين ومذهب سيبويه جواز اعماله * قال سيبويه وتقول عجبت من الضرب زيدا كما تقول عجبت من الضارب زيدا تكون الألف واللام بمنزلة التنوين وإذا كان رزقا يراد به المرزوق فقالوا انتصب شيئا على انه بدل من رزقا كأنه قيل مالا يملك لهم من السموات والأرض شيئا وهو البديل جاريا على جهة البيان لانه أعم من رزق ولا على جهة التوكيد لانه لعمومها ليس مرادها فينبغي أن لا يجوز اذلا يخلو البديل من أحد نوعيه هذين اما البيان واما التوكيد وأجازوا أيضا أن يكون مصدرا أي شيئا من الملك كقوله ولا تضر ونه شيئا أي شيئا من الضر وروى هذين الأعرابيين تتعلق من السموات بقوله لا يملك أو يكون في موضع الصفة لـ رزق فيمتعلق بمحذوف ومن السموات رزقا يعني به المطر وأطلق عليه رزق لانه عنه ينشأ الرزق والأرض يعني الشجر والتمر والزرع والظاهر عود الضمير في يستطيعون على ما على معناها لانه يراد بها آلهتهم بعدما عاد على اللفظ في قوله مالا يملك فأفرد وجاز أن يكون داخلا في صلة ما وراز أن لا يكون داخلا بل اخبار عنهم بانتفاء الاستطاعة أصلا لانهم أموات وأما قول الرمخشري انه يراد بالجمع بين نفى الملك والاستطاعة التوكيد فليس كاذكر لان نفى الملك مغاير لنفى الاستطاعة * وقال ابن عباس ولا يستطيعون أن يرزقوا أنفسهم وجوز الرمخشري وابن عطية أن يعود الضمير على ما عاد عليه في قوله ويعبدون وهم الكفار أي ولا يستطيع هؤلاء مع انهم أحياء متصرفون أولو الباب من ذلك شيئا فكيف بالجماد الذي لا حس به قاله الرمخشري وقال ابن عطية لا يستطيعون ذلك بيهان يظهر منه وحجة يثبتونها انتهى ونهى تعالى عن ضرب الأمثال لله وضرب الأمثال تمثيلها والمعنى هنا تمثيل للاشرار بالله والتشبيه به لان من يضرب الأمثال يشبهه حاله حاله وقصة بقصة من قولهم هذا ضرب لهذا أي مثل والضرب النوع تقول الحيوان على ضرب أي أنواع وهذا من ضرب واحد أي من نوع واحد * وقال ابن عباس معناه لا تشبهوه بخلقه انتهى وقال ان الله يعلم أثبت العلم لنفسه والمعنى انه يعلم ما يفعلون من عبادة غيره والاشراك به وعبر عن الجزاء بالعلم وأنتم لاتعلمون كنه ما أقدمتم عليه ولا وبال عاقبته فعدم علمكم بذلك جركم وجرأكم وهو كالتعليل للنهي عن الاشراك * قال الرمخشري ويجوز أن يراد ان الله يعلم كيف يضرب الأمثال وأنتم لاتعلمون انتهى وقاله ابن السائب قال يعلم بضرب المثل وأنتم لاتعلمون ذلك * وقال مقاتل يعلم انه ليس له شركاء وأنتم لاتعلمون ذلك * وقيل يعلم خطأ ما تضربون من الأمثال وأنتم لاتعلمون صواب ذلك من خطئه * ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء ومن رزقناه منار رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا هل يستوون الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون * وضرب الله مثلا رجلا رجلين أحدهما أباكم لا يقدر على شيء وهو كل على مولاه أينما وجهه لا يأت بخير هل يستوى هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم * والله غيب السموات والأرض وما أمر الساعة الا كلمح بالبصر أو هو أقرب ان الله على كل شيء قدير * والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لاتعلمون شيئا وجعل لكم السمع والابصار والأفئدة لعلكم تشكرون * ألم يروا الى الطير مسخرات في جوار السماء ما يسكنهن الا الله ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون * والله جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم اقامتكم ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاناً ومتاعا الى حين * والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال أكتانا وجعل لكم سراييل تقيمكم الحر وسراييل تقيمكم بأسمكم كذلك ينم نعمته عليكم لعلكم تسامون * فان تولوا فإنا عليم

(الدر)

عجبت من الضرب زيدا
كما تقول عجبت من
الضارب زيدا تكون
الألف واللام بمنزلة
التنوين (ح) الظاهر
عود الضمير في يستطيعون
على ما على معناها لانه يراد
بها آلهتهم بعدما عاد على
اللفظ في قوله لا يملك فأفرد
وجاز أن يكون داخلا في
صلة ما وراز أن لا يكون
داخلا بل اخبار عنهم
بانتفاء الاستطاعة أصلا
لانهم أموات وأما قول
(ش) انه يراد بالجمع بين
نفى الملك والاستطاعة
التوكيد فليس كاذكر
لأن نفى الملك مغاير لنفى
الاستطاعة

﴿ ضرب الله مثلاً عبداً مملوكاً ﴾ الآية مناسبة ضرب هذا المثل أنه لما بين تعالى ضلالهم في أشرا كههم بالله غيره وهو لا يجلب نفعاً ولا ضراً لنفسه ولا لعباده ضرب لهم مثلاً في قصة عبد في ملك غيره عاجز عن التصرف وحر غنى متصرف فيما آناه الله تعالى فإذا كان هذان لا يستويان عندكم مع كونهما من جنس واحد ومشتريين في الإنسانية فكيف تشركون بالله تعالى وتسوون به من هو مخلوق له مقهور بقدرته من آدمي وغيره مع تباين الأوصاف وأن واجب الوجود لا يمكن أن يشبه شيئاً من خلقه ولا يمكن لعاقل أن يشبهه به غيره ﴿ وضرب الله مثلاً رجلين ﴾ أي قصة رجلين وهذا مثل ثان ضرب به تعالى لنفسه ولما يفيض على عباده ويشملهم من آثار رحمة وألطافه والنعمة الدينية (٥١٨) والديونية والأصنام التي هي أموات لا تنصر ولا تنفع والابكم

الذي ولد أخرس فلا يفهم ولا يفهم ﴿ وهو كل على موله ﴾ أي ثقيل وعيال على من يلي أمره ويعوله ﴿ أينما وجهه ﴾ حينئذ يرسله ويصرفه في طلب حاجة أو كفاية مهم لم ينفع ولم يأت بنجح ﴿ هل يستوى هو ﴾ ومن هو سليم الخواص نفاع ذو كفاية مع رشد وديانة فهو يأمر الناس بالعدل ﴿ وهو ﴾ في نفسه ﴿ على صراط مستقيم ﴾ على سيرة صالحة ودين قويم ثم ذكر تعالى أن له غيب السموات والأرض وهو ما غاب عن العباد وخفي فيها عنهم عامة والظاهر اتصاله بقوله أن الله يعلم وأنتم لا تعلمون أخبر باستثارة بعلم غيب السموات والأرض ثم

البلاغ المبين ﴿ يعرفون نعمت الله ثم ينكرونها ﴾ أكثرهم الكافرون ﴿ ويوم نبعث من كل أمة شهداء ﴾ لا يؤذن للذين كفروا ولا هم يستعتبون ﴿ الكل الثقيل وقديس يقيم كلاً لثقله على من يكفله ﴾ وقال الشاعر

أقول لمال الكل قبل شبابه ﴿ إذا كان عظم الكل غير شديد

والكل أيضاً الذي لا ولده ولا والد والكل العيال والجمع كلول ﴿ الملح النظر بسرعة لمح المحاول محانا ﴿ الجو مسافة ما بين السماء والأرض ﴾ وقيل هو ما يلي الأرض في سمت العلو واللوح والسمك أبعده منه ﴿ الظعن سيرة البادية في الاتجاع والتحول من موضع إلى موضع والظعن الهودج أيضاً ﴿ الصوف للضأن والوبر للابل والشعر للمعز قاله أهل اللغة في قوله ومن أوصافها الآية ﴿ الأثاث قال المفضل متاع البيت كالفرش والأكسية ﴾ وقال الفراء لا واحد له من لفظه كما أن المتاع لا واحد له من لفظه ولو جمعت لقلت أثمة في القليل وأث في الكثير ﴿ وقال أبو زيد واحد أثانة ﴾ وقال الخليل أصله من قولهم أثت النبات والشجر فهو أثيث إذا كثر ﴿ قال امرؤ القيس وفرع زين المتن اسود قاحم ﴿ أثيث كقنو النخلة المتعش كل

الكن ما حفظ ومنع من الريح والمطر وغير ذلك ومن الجبال الغار ﴿ استعيت الرجل بمعنى أعتبه أي أزلت عنه ما يعتب عليه ويلازم والاسم العتي وجاءت استعمل بمعنى أفعل نحو استدينته وأدينته ﴿ ضرب الله مثلاً عبداً مملوكاً لا يقدر على شيء ومن رزقناه منارز قاحسنا فهو ينفق منه سراً وجهر اهل يستوون الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون ﴿ وضرب الله مثلاً رجلين أحدهما بكلم لا يقدر على شيء وهو كل على موله أينما وجهه لا يأت بخير هل يستوى هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم ﴿ والله غيب السموات والأرض وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب إن الله على كل شيء قدير ﴿ والله آخر جكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون ﴿ ألم يروا إلى الطير مخرجات في جوار السماء ما يسكنهن إلا الله أن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون ﴿ مناسبة ضرب هذا المثل أنه لما بين تعالى ضلالهم في أشرا كههم بالله غيره وهو لا يجلب نفعاً ولا ضراً لنفسه ولا لعباده ضرب لهم مثلاً قصة عبد في ملك غيره عاجز عن

بكال قدرته على الاتيان بالساعة التي ينكرونها في لمح البصر أو أقرب والمعنى بهذا الاخبار أن الآلهة التي يعبدونها منتف عنها هذان الوصفان اللذان لاله وهما العلم المحيط بالمغيبات والقدرة البالغة التامة ومن ذكر أن قوله ومن يأمر بالعدل هو الله ذكر ارتباط هذه الجملة قبلها بان من يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم هو الكامل في العلم والقدرة فبين ذلك بهذه الجملة ولما ذكر تعالى أمر الساعة وانها كائن لا محالة وكان في ذلك دلالة على النشأة الآخرة وتقدم وصفهم بانتفاء العلم ذكر النشأة الاولى وفي اخراجهم من بطون أمهاتهم غير عالمين شيئاً تنبها على وقوع النشأة الآخرة ثم ذكر امتنانه عليهم بجعل الخواص التي هي سبب لادرالك الاشياء والعلم قال الرخشري والافئدة من جوع القلة التي جرت مجرى جوع الكثرة إذ لم يرد في السماع غيرها كما قالوا شسوع في جمع شسع لا غير فجرت ذلك المجرى انتهى ودعوى الرخشري انه لم يجئ في جمع شسع الاشسوع لا غير

التصرف وحرغنى متصرف فيما آتاه الله فاذا كان هذان لا يستويان عندكم مع كونهما من جنس واحد ومشتريين في الانسانية فكيف تشركون بالله وتسوون به من هو مخلوق له مقهور بقدرته من آدمى وغيره مع تباين الاوصاف وان موجد الوجود لا يمكن أن يشبهه شئ من خلقه ولا يمكن لعاقل أن يشبهه به غيره * قال مجاهد هذا مثل لله وللأصنام * وقال قتادة للمؤمن والكافر قال الكافر العبد المملوك لا ينتفع بعبادته في الآخرة ومن رزقناه المؤمن * وقال ابن جبير مثل للبخیل والسخي انتهى ولما كان لفظ عبد قيد يطلق على الحر خصص بمملوك ولما كان المملوك قد يكون له تصرف وقدره كالمأذون له والمكاتب خصص بقوله لا يقدر على شئ والمعنى على شئ من التصرف في المال لانه يقدر على أشياء من حر كاته كالقيام والقعود والاكل والشرب والنوم وغير ذلك والظاهر كون ومن موصولة أى والذي رزقناه ودلت الصلة وما عطف على أنه يراد به الحر * وقال أبو البقاء موصوفة * قال الزمخشري الظاهر انها موصوفة كانه قال وحرار رزقناه ليطابق عبدا ولا يتمتع أن تكون موصولة * وقال الحوفي من بمعنى الذي ولا يقتضى ضرب المثل لشخصين موصوفين بأوصاف متباينة تعيينهما بل ماروى في تعيينهما من أنهما عثمان بن عفان رضى الله عنه وعبدله أو أنهما أبو بكر الصديق رضى الله عنه وأبو جهل لا يصح اسناده وجمع الضمير في يستوون ولم يثن لسبق اثنين لأن من يحتمل أن يراد بها الجمع فيصير اذ ذاك جمع الضمير لا انتظام العبد المملوك والأغنياء في الجمع وكأنه قيل عبدا مملوكا والملاك المرزوقون المنفقون ويحتمل أن يراد بعبدا مملوكا الجنس فيصالح عود الضمير جمعاً عليه وعلى جنس الأغنياء ويحتمل أن يعود على العبيد والأحرار وان لم يجز للجمعين ذكر لدلالة عبد مملوك ومن رزقناه عليهم ما قل الحمد لله الظاهر أنه خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم * وقيل يحتمل أن يكون خطابا لمن رزقه الله أمره أن يحمد الله على أن ميزه بهذه القدرة على ذلك الضعيف * وقال ابن عطية الحمد لله شكر على بيان الأمر بهذا المثل وعلى اذعان الخصم له كما تقول لمن أذعن لك في حجة وسلم تبنى أنت عليه فوالله أكبر على هذا يكون كذا وكذا فاما قال هنا هل يستوون فكان الخصم قال له لا فقال الحمد لله ظهرت الحجة انتهى * وقيل الحمد لله أى هو المستحق للحمد دون ما يعبدون من دونه اذ لا نعمة للأصنام عليهم فتحمد عليها نعم الحمد الكامل لله لانه المنعم الخالق * وقال ابن عباس الحمد لله على ما فعل بأوليائه وأنعم عليهم بالتوحيد والظاهر في العلم عن أكثرهم لأن منهم من بان له الحق ورجع اليه أو أكثر الخلق لأن الأكثر هم المشركون * وقيل المراد بها العموم أى بل هم لا يعلمون ومتعلق يعلمون محذوف اما لان المعنى نفي العلم عن الأكثر ولم يلحظ متعلقه واما لانه محذوف يترتب على الاقوال التى سبها قوله الحمد لله وضرب الله مثلاً رجلين أى قصة رجلين * قال الزمخشري وهذا مثل ثان ضرب به لنفسه ولما يفرض على عباده ويشملهم من آثار رحمة وألطافه ونعمه الدينية والدنيوية والأصنام التى هى أموات لا تنضر ولا تنفع والأبكم الذى ولد أحرص فلا يفهم ولا يفهم وهو كل على مولاه أى ثقيل وعيال على من يلى أمره ويعوله أينما توجهه حينما يرسله ويصرفه في مطالب حاجة أو كفاية مهم لم ينفع ولم يأت بنجح هل يستوى هو ومن هو سليم الخواص نفاع ذو كفايات مع رشد وديانة فهو يأمر الناس بالعدل وهو في نفسه على صراط مستقيم على سيرة صالحة ودين قويم انتهى * وقال ابن عباس أحدهما أبكم مثل للكافر والذى يأمر بالعدل المؤمن * وقال قتادة هذا مثل لله تعالى والأصنام فهى كالأبكم الذى لا نطق له ولا يقدر على شئ وهو عيال على من والاه من قريب أو صديق كما الأصنام

فليس بصحيح بل جاء فيه جمع القلة قالوا شمسع وماذ كره ابن الخطيب هنا ليس بشئ ولما كانت النشأة الاولى وجعل ما يعلمون به لهم من أعظم النعم عليهم قال لهم تشكرون وتقدم الكلام في أمهات في النساء ولا تعلمون جملة حاله أى غير عالين ولما ذكر تعالى مدارك العلم الثلاثة السمع والبصر والعقل والاول مدرك المحسوس والثانى مدرك المعقول اكتفى من ذكر مدرك المحسوس بذكر النظر فانه أغرب لما يشاهده من عظيم المخلوقات على بعدهم المتفاوت كشاهدته للنيرات في الافلاك وجعل هنا موضع الاعتبار والتعجب الحيوان الطائر فان طيراته في الهواء مع ثقل جسمه مما يتعجب منه ويعتبر به وتضمنت الآية ذكر مدرك العقل فى كونه لا يسقط إذ ليس نعمته ما يدعه ولا فوقه ما يتعلق به فيعلم بالعقل أنه له ممسك يادى على أمساكه وهو الله فانظم في الآية ذكر مدرك الحس ومدرك العقل ومعنى مسخرات المدلل وبني للفعل دلالة على أن

تحتاج أن تنقل وتخدم ويتعذب بها ثم لا يأتي من جهة خيرا بتيقن وعن قتادة أيضا وغير هذا مثل
 ضرب به الله لنفسه وللوثن فلا يكفركم الذي لا يقدر على شيء هو الوثن والذي يأمر بالعدل هو الله تعالى
 وهذا ليس كذلك لأنه قال مثلا رجلين فلا بد أن يكون عدل الا بكم الموصوف بتلك الصفات
 ومقابلهم رجل موصوف بما يقابل تلك الصفات من النطق والقدرة والكفاية ولكنه حذف
 المقابل للدلالة على مقابله عليه ثم قيل هل يستوى ذلك الا بكم الموصوف بتلك الصفات وهذا الناطق في
 ذكر استوائهم أيضا دليل على حذف المقابل ولما كان البكم هو المبدأ به من الاوصاف وعنه
 تكون الاوصاف التي بعده قابلة في الاستواء بالنطق وثمرته من الامر بالعدل غير وهو في نفسه
 على طريقة مستقيمة فحيثما توجه صدر منه الخير ونفع وليس بكال على أحد وقد تقرر في بداية
 القول ان الأبكم العاجز لا يكون مساويا في العقل والشرف للناطق القادر الكامل مع
 استوائهم في البشرية فلا ينبغي محكم بان الجاد لا يكون مساويا لرب العالمين في العبودية أخرى وأولى
 وكما قلنا في المثال السابق لا يحتاج الى تعيين المضر وبهم - ما المثل فكذلك هنا فتعين الأبكم بأبي
 جهل والامر بالعدل بعمار أو بأبي بن خلف وعثمان بن مظعون أو بهاشم بن عمرو بن الحرث كان
 يعادى الرسول صلى الله عليه وسلم لا يصح اسناده * وقرأ عبد الله وعاقمة وابن وناب ومجاهد وطلحة
 توجه بهاء واحدة ساكنة مبنيا وفاعله ضمير يعود على مولاه وضمير المفعول محذوف للدلالة المعنى
 عليه ويجوز أن يكون ضمير الفاعل عائدا على الأبكم ويكون الفعل لازما وجه بمعنى توجه كان
 المعنى أينما توجه وعن عبد الله أيضا توجه بهاء بن بقاء الخطاب والجمهور بالياء والهاء بن وعن علقمة
 وابن وناب وطلحة توجه بهاء واحدة ساكنة والفعل مبنى للمفعول وعن علقمة وطلحة توجه بكسر
 الجيم وهاء واحدة مضمومة * قال صاحب اللوامح فان صح ذلك فان الهاء التي هي لام الفعل
 محذوفة فرار من التضعيف ولان اللفظ به صعب مع التضعيف أو لم يرد به الشرط بل أمر هو بتقدير
 أينما هو توجه وقد حذف منه ضمير المفعول به فيكون حذف الياء من لايات بخير على التخفيف نحو
 يوم يأتي اذا يسر انتهى ولا يخرج أين عن الشرط أو الاستفهام * وقال أبو حاتم هذه القراءة
 ضعيفة لان الجزم لازم انتهى والذي توجه عليه هذه القراءة ان صحت أن أينما شرط حملت على إذا
 الجامع ما اشتركا فيه من الشرطية ثم حذف الياء من لايات تخفيفا أو جزما على توهم انه نطق بأينما
 المهمة معاملة لقراءة من قرأ انه من يتقى ويصبر في أحد الوجهين ويكون معنى توجه يتوجه فهو
 فعل لازم لا متعد ثم ذكر تعالى انه له غيب السموات والأرض وهو ما غاب عن العباد وخفي فيهم - ما
 عنهم علمه والظاهر اتصاله بقوله ان الله يعلم وأنتم لا تعلمون أخبر باستشاره بعلم غيب السموات
 والأرض بكمال قدرته على الاتيان بالساعة التي تنكرونها في لمح البصر أو اقرب والمعنى بهذا
 الاخبار ان الآلهة التي تعبدونها منتف عنها هذان الوصفان اللذان للدلالة وهما العلم المحيط بالغيبيات
 والقدرة البالغة التامة ومن ذكر أن قوله ومن يأمر بالعدل هو الله تعالى ذكر ارتباط هذه الجملة
 بما قبلها بان من يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم هو الكامل في العلم والقدرة فبين ذلك به هذه
 الجملة * قيل والغيب هنا ما لا يدرك بالحس ولا يفهم بالعقل * وقال المفضل ما غاب عن الخلق هو
 في قبضته لا يعزب عنه * وقيل هو ما في قوله ان الله عنده علم الساعة * وقال الزمخشري أو أراد
 بغيب السموات والأرض يوم القيامة على أن علمه غائب عن أهل السموات والأرض لم يطلع عليه
 أحد منهم * قيل لما كانت الساعة آتية ولا بد جعلت من القرب كلعج البصر * وقال الزجاج لم

له مسخر أو هو الله تعالى
 والجو مسافة ما بين السماء
 والأرض لايات جمع ولم يفرد
 لما في ذلك من الآيات خفة
 الطائر التي جعلها الله فيه
 لان يرتفع بها وثقله الذي
 جعله الله تعالى فيه لان
 ينزل والفضاء الذي بين
 السماء والأرض والامساك
 الذي لله أو جمع باعتبار
 ما في هذه الآية والتي قبلها
 وقال لقوم يؤمنون
 فانهم هم الذين ينتفعون
 بالاعتبار ولتضمن الآية
 أن المسخر والممسك لها
 هو الله تعالى فهو اخبار
 منه تعالى ما يصدق به الا
 المؤمن

يرد أن الساعة تأتي في لمح البصر وإنما وصف سرعة القدرة على الاتيان بها أي يقول الشيء كن فيكون * وقيل هذا تمثيل للقرب كما تقول ما السنة إلا لحظة * وقال الزمخشري هو عند الله وان تراخي كما يقولون أنتم في الشيء الذي تستقر بونه كالح البصر أو هو أقرب إذا بالغتم في استقرا به ونحوه قوله ويستعجلونك بالعذاب ولن يخاف الله وعده وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون أي هو عنده دان وهو عندكم بعيد * وقيل المعنى أن اقامة الساعة واماتة الاحياء واحياء الاموات من الاولين والآخرين يكون في أقرب وقت أو حاه ان الله على كل شيء قدير فهو يقدر على أن يقيم الساعة ويبعث الخلق لانه بعض المقدورات * وقال ابن عطية والمعنى على ما قال قتادة وغيره وما تكون الساعة واقامتها في قدرة الله تعالى إلا أن يقول لها كن فلو اتفق أن يقف على ذلك شخص من البشر لكانت من السرعة بحيث يشك هل هي كالح البصر أو هي أقرب من ذلك فأوعلى هذا على بابها في الشك * وقيل هي للتخير انتهى والشك والتخير بعيدان لان هذا اخبار من الله تعالى عن أمر الساعة فالشك مستحيل عليه ولان التخير انما يكون في المخطورات كقولهم خدم من مالي دينار أو درهما أو في التكليفات كآية الكفارات والذين يظاهرون وأوهنا للابهام على المخاطب كقوله وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون وقوله أناها أمر نالها أو نهارا وهو تعالى قد علم عددهم ومتى يأتيها أمره كما علم أمر الساعة لكنه أبهم على المخاطب وكون أوهنا للابهام ذكره الزجاج هنا * وقال القاضي هذا لا يصح لان اقامة الساعة ليست حال تكليف حتى يقال انه تعالى يأتي بها في زمان يعني القاضي فيكون الابهام على المخاطب في ذلك الزمان وليس زمان تكليف والذي نقوله ان الابهام وقع وقت الخطاب المتقدم على أمر الساعة لا وقت الاتيان بها وليس من شرط الابهام على المخاطب في الاخبار عن شيء اتحاد زمان الاخبار وزمان وقوع ذلك الشيء ألا ترى في قوله تعالى وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون كيف تأخر زمان الاخبار عن زمان وقوع ذلك الارسال ووجودهم مائة ألف أو يزيدون * وقال أبو عبد الله الرازي لمح البصر انتقال الجسم بالطرف من أعلى الحدقة وهي مؤلفة من أجزاء وتلك الأجزاء كثيرة والزمان الذي يحصل فيه الملح مركب من آناء متعاقبة والله تعالى قادر على اقامة القيامة في آن واحد من تلك الآناء فلذلك قال أو هو أقرب ولما كان أسرع الأحوال والحوادث في عقولنا هو لمح البصر ذكره ثم قال أو هو أقرب تنبيه على ما ذكرناه وليس المراد طريقة الشك والمراد بل هو أقرب انتهى وفيه بعض تلخيص وما ذكره من ان أو بمعنى بل هو قول الفراء ولا يصح لان الاضراب على قسمين كلاهما لا يصح هنا أما أحدهما فان يكون ابطالا للسناد السابق وانه ليس هو المراد وهذا مستحيل هنا لانه يؤول الى اسناد غير مطابق والثاني أن يكون انتقالا من شيء الى شيء من غير ابطال لذلك الشيء السابق وهذا مستحيل هنا للتنافي الذي بين الاخبار بكونه مثل لمح البصر في السرعة والاخبار بالاقرب فلا يمكن صدقهما معا * وقال صاحب الغنيان وهذا وان كان يعسر ادراكه حقيقة إلا أن المقصود المبالغة على منذهب العرب وأرباب النظم * وما أحسن قول الأبله الشاعر في المعنى

قال له البرق وقالت له الريح * جميعا وهما ما هما

أ أنت تجري معنا قال ان * نشطت أضحكته كما منكبا

أنا ارتدادا الطرف قد فته * الى المدى سيقا فن أنت

ولما ذكر تعالى أمر الساعة وانها كائنة لا محالة فكان في ذلك دلالة على النشأة الآخرة وتقدم

(ح) قال أبو عبد الله الرازي لمح البصر انتقال الجسم بالطرف من أعلى الحدقة وهي مركبة من أجزاء وتلك الأجزاء كثيرة والزمان الذي يحصل فيه الملح مركب من آناء متعاقبة والله تعالى قادر على اقامة القيامة في آن واحد من تلك الآناء فلذلك قال أو هو أقرب ولما كان أسرع الأحوال والحوادث في عقولنا هو لمح البصر ذكره ثم قال أو هو أقرب تنبيه على ما ذكرناه وليس المراد طريقة الشك والمراد بل هو أقرب انتهى وفيه بعض تلخيص وما ذكره من ان أو بمعنى بل هو قول الفراء ولا يصح لان الاضراب على قسمين كلاهما لا يصح هنا أما أحدهما فان يكون ابطالا للسناد السابق وانه ليس هو المراد وهذا مستحيل هنا لانه يؤول الى اسناد غير مطابق والثاني أن يكون انتقالا من شيء الى شيء من غير ابطال لذلك الشيء السابق وهذا مستحيل هنا للتنافي الذي بين الاخبار بكونه مثل لمح البصر في السرعة والاخبار بالاقرب فلا يمكن صدقهما معا

وصفهم بانتفاء العلم ذكر تعالى النشأة الاولى وهى اخر اجهم من بطون أمهاتهم غير عالمين شيئا تنبها
على وقوع النشأة الآخرة ثم ذكر تعالى امتنانه عليهم بجعل الحواس التى هى سبب الادراك الاشياء
والعلم ولما كانت النشأة الاولى وجعل ما يعلمون به لهم من أعظم النعم عليهم قال لعلمكم تشكرون
وتقدم الكلام فى أمهات فى النساء * وقرأ حزة بكسر الهمزة والميم هنا وفى النور والزمر والنجم
والكسائى بكسر الهمزة فهن والاعمش بحذف الهمزة وكسر الميم وابن أبى ليلى بحذفها وفتح الميم
* قال أبو حاتم حذف الهمزة ردى، ولكن قراءة ابن أبى أصوب انتهى وانما كانت أصوب لأن
كسر الميم انما هو لا تباعها حركة الهمزة فاذا كانت الهمزة محذوفة زال الاتباع بخلاف قراءة ابن
أبى ليلى فانه أقر الميم على حركتها ولا تعلمون جملة حالية أى غير عالمين وقالوا لا تعلمون شيئا مما أخذ
عليكم من الميثاق فى أصلاب آبائكم أو شيئا مما قضى عليكم من السعادة أو الشقاوة أو شيئا من منافعكم
والاولى عموم لفظ شئ ولا سيما فى سياق النفي * وقال وهب يولد المولود حذرا الى سبعة أيام لا يدرك
راحة ولا ألما ويحتمل وجعل أن يكون معطوفا على أخرجه فيكون واحدا فى خبر خبر المبتدأ
ويحتمل أن يكون استئناف اخبار معطوفا على الجملة الابتدائية كاستئنافها والمراد بالسمع والابصار
والافتدة احساسها وادراكها فعبّر عن ذلك بالآية * وقال أبو عبد الله الرازى ما معناه انما جمع الفؤاد
جمع قلة لأنه انما خلق للعارف الحقيقية اليقينية وأكثر الخلق مشغولون بالافعال البهيمية فكان
فؤادهم ليس بفؤاد فلذلك ذكر فى جمعه جمع القلة انتهى ملخصا وهو قول هديانى ولولا جلالة قائله
وتسطيره فى الكتاب ما ذكرته وانما يقال فى هذا ما قاله الزمخشري انه من جوع القلة التى جرت
مجرى جوع الكثرة والقلة اذا لم يرد فى السماع غيرها كما جاء شسوع فى جمع شمع لا غير مجرى ذلك
المجرى انتهى الا أن دعوى الزمخشري انه لم يجزى فى جمع شمع الاشسوع لا غير ليس بصحيح بل جاء
فيه جمع القلة قالوا أشساع فكان ينبغى له أن يقول غلب شسوع * وقرأ ابن عامر وحزرة وطلحة
والاعمش وابن هرمرز لم يروا ابتداء الخطاب وباقي السبعة بالياء * قال ابن عطية واختلف عن الحسن
وعيسى الثقفى وعاصم وأبى عمرو ولما ذكر تعالى مدارك العلم الثلاثة السمع والنظر والعقل
والاولان مدرك المحسوس والثالث مدرك المعقول اكتفى من ذكر مدرك المحسوس بذكر النظر
فانه أغرب لما يشاهده من عظيم الخلوقات على بعدها المتفاوت كشاهدته النيرات التى فى الافلاك
وجعل هنا موضع الاعتبار والتعجب الحيوان الطائر فان طيرانه فى الهواء مع ثقل جسمه مما يعجب
منه ويعتبر به وتضمنت الآية أيضا ذكر مدرك العقل فى كونه لا يسقط إذ ليس تحته ما يدعمه ولا
فوقه ما يعلق به فيعلم بالعقل انه له ممسك قادر على امساكه وهو الله تعالى كما قال تعالى أولم يروا الى
الطير فوقهم صافات ويقبضن ما يمسكهن الا الرحمن انه بكل شئ بصير فانتظم فى الآية ذكر مدرك الحس
ومدرك العقل ومعنى مسخرات مدلالات وبنى للمفعول دلالة على أن له مسخرا * وقال أبو عبد الله
الرازى هذا دليل على كمال قدرة الله وحكمته فانه تعالى خلق الطائر خلقه مع ما يمكنه الطيران أعطاه
جناحا يسطه مرة ويكنه أخرى مثل ما يعمل السابج فى الماء وخلق الجو خلقه مع ما يمكنه الطيران
خلق خلقه لطيفة يسهل بسببها خرقه والنفاذ فيه ولولا ذلك لما كان الطيران ممكنا انتهى وكلامه
منتزع من كلام القاضى قال انما أضاف الامساك الى نفسه لأنه تعالى هو الذى أعطى الآلات لأجلها
فيمكن الطائر من تلك الافعال فاما كان هو المتسبب لذلك تحت هذه الاضافة انتهى والذى نقوله انه
كان يمكنه أن يطير ولو لم يخلق له جناح وانه كان يمكنه خرق الشئ الكثيف وذلك بقدرته الله تعالى

(الدر)

(ح) قال أبو عبد الله الرازى
ما معناه انما جمع الفؤاد جمع
قلة لأنه انما خلق للعارف
الحقيقية اليقينية وأكثر
الخلق مشغولون بالافعال
البهيمية فكان فؤادهم
ليس بفؤاد فلذلك ذكر
فى جمعه جمع القلة انتهى
ملخصا وهو قول هديانى
ولولا جلالة قائله وتسطيره
فى الكتاب ما ذكرته
وانما يقال فى هذا ما قاله
(ش) من جوع القلة
التي جرت مجرى جوع
الكثرة والقلة اذا لم يرد
فى السماع غيرها كما قالوا
شسوع فى جمع شمع لا غير
مجرى ذلك المجرى انتهى
الا أن دعوى (ش) انه
لم يجزى فى جمع شمع
الاشسوع لا غير ليس
بصحيح بل جاء فيه جمع
القلة قالوا أشساع

﴿والله جعل لكم من بيوتكم﴾ الآية والسكن فعل بمعنى (٥٢٣) مفعول كالقبض وأنشد الفراء * جاء الشتاء ولما أتخذسكننا

* يا ويح نفسي من حفر القراميص *

وليس السكن بمصدر كما ذهب اليه ابن عطية والظاهر أنه يندرج في البيوت التي من جلود الأنعام بيوت الشعر وبيوت الصوف والوبر ﴿يوم طعنكم﴾ يوم ترحلون خف عليكم حملها ونقلها يوم تنزلون وتقيمون في مكان لم ينقل عليكم ضربها والظاهر أن أئاناً مفعول والتقدير جعل من أصوافها وأوبرها وأشعارها أئاناً مما خلق ظلالاً لما كانت بلاد العرب الغالب عليها الحر امن عليهم بدكر ما يكنهم منه كالظلال فيما له ظل والأكنان من الجبال الغيران والكهوف والبيوت المنعوتة منها والسر بالمالبس على البدن من فيص وغيره وتم محذوف تقديره الحر والبرد لان ما وفي الحر جدير أن يبق البرد وسراييل تقيمكم كناية عن الدروع والمغفر وغير ذلك ﴿فان تولوا﴾ يحفل أن يكون ماضياً أي فان أعرضوا عن الاسلام ويحفل أن يكون

وان الممسك له في جوا السماء هو الله تعالى وقد قام الدليل على أن جميع الافعال كلها مخلوقة لله وقام الدليل على انه تعالى هو الفاعل المختار فلانقول انه لولا الجناح ولطف الجو ماً مكن الطيران ولولا الآلات ماً مكن * وقال الزمخشري ما وافق كلامهما قال مستخرات من دلالات الطيران بما خلق لها من الاجنحة والاسباب المواتية لذلك ثم أحسن أخيراً في قوله ما يسكنهم في قبضهم وبسطهم ووقوفهم الا الله بقدرته انتهى آيات جمع ولم يفر دلتا في ذلك من الآيات خفة الطائر التي جعلها الله فيه لأن يرتفع بها وثقله الذي جعله فيه لأن ينزل والفضاء الذي بين السماء والارض والامساك الذي لله تعالى أوجع باعتبار ما في هذه الآية والتي قبلها وقال لقوم يؤمنون فانهم هم الذين ينتفعون بالاعتبار ولتضمن الآية ان المسخر والممسك لها هو الله فهو اخبار منه تعالى ما يصدق به الا المؤمن * والله جعل لكم من بيوتكم سكناً وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا تستخفونها يوم طعنكم ويوم اقامتكم ومن أصوافها وأوبرها وأشعارها أثاناً ومتاعاً الى حين * والله جعل لكم مما خلق ظلالاً وجعل لكم من الجبال أكناناً وجعل لكم سراييل تقيمكم الحر وسراييل تقيمكم بأسكنم كذلك بتم نعمته عليكم لعلكم تسامون * فان تولوا فاعلموا ان عليكم البلاغ المبين * يعرفون نعمت الله ثم ينكرونها وأكثروا الكافرون * لما ذكروا تعالى ما من به عليهم من خلقهم وما خلق لهم من مدارك العلم ذكروا ما من به عليهم مما ينتفعون به في حياتهم من الامور الخارجية عن دوابهم من البيوت التي يسكنونها من الحجر والمدر والاشباب وغيرها والسكن فعل بمعنى مفعول كالقبض والنقص وأنشد الفراء

جاء الشتاء ولما أتخذسكننا * يا ويح نفسي من حفر القراميص

وليس السكن بمصدر كما ذهب اليه ابن عطية وكأنه تعالى ذكر أولاً ما غالب البيوت عليه من كونها لا تنقل بل ينتقل الناس اليها ثم ذكر ثانياً ما من به عليهم من المتخذ من جلود الأنعام وهو ما ينتقل من القباب والخيام والفساطيط التي من الادم أو ذكراً أولاً البيوت على طريق العموم ثم ذكر بيوت الجلود خصوصاً تنبيه على حال أكثر العرب فانهم لا يتجاءعون انما بيوتهم من الجلود والظاهر انه لا يندرج في البيوت التي من جلود الأنعام بيوت الشعر وبيوت الصوف والوبر * وقال ابن سلام تندرج لانها ثابتة فيها فهي منها ومعنى تستخفونها تجدونها خفيفة المحمل في الضرب والنقص والنقل يوم طعنكم يوم ترحلون خف عليكم حملها ونقلها يوم تنزلون وتقيمون في مكان لم ينقل عليكم ضربها وتقديره بالاستخفاف في وقتي السفر والحضر أي مدة النجعة والاقامة * وقرأ الحرميان وأبو عمرو طعنكم بفتح العين وباقي السبعة بسكونها وهما الغتان وليس السكون بتخفيف كما جاء في نحو الشعر والشعر لمكان حرف الخلق والظاهر أن أئاناً مفعول والتقدير وجعل من أصوافها وأوبرها وأشعارها أئاناً * وقيل أئاناً منصوب على الحال على ان المعنى جعل من أصوافها وأوبرها وأشعارها بيوتاً فيكون ذلك معطوفاً على من جلود الأنعام كما تقول جعلت لك من الماء شرباً ومن اللبن وفي التقدير الأول يكون قد عطف مجروراً على مجرور ومنصوباً على منصوب كما تقول ضربت في الدار زيدا وفي القصر عمراً ولمالم تكن بلادهم بلاد قطن وكتان وحرير اقتصر على هذه الثلاثة هنا واندرجت في قوله سراييل تقيمكم الحر والمتاع ما يتبع به أي ينتفع به * وقال ابن عباس الزينة * وقال المفضل المتجر والمعاش * وقال الخليل الأثاث والمتاع واحد وجمع

مضارعاً أي فان تتولوا وحذفت الياء ويكون جارياً على الخطاب السابق والماضى على الالتفات والفاء ما بعدها جواب الشرط صورة والجواب حقيقة محذوف أي فانت معذور اذا ديت ما وجب عليك فأقيم سبب العذر وهو البلاغ تمام المسبب لدلالته عليه

بينهما لاختلاف اللفظين كقوله * وألني قولها كذباً وميناً * وغيا تعالي ذلك بقوله الى حين
 * فقال ابن عباس الى الموت * وقال مقاتل الى بلى ذلك الشيء * وقيل الى انقضاء حاجتكم منه ولما
 ذكر تعالي ما من به عليهم مما سبق ذكره وكانت بلادهم غالباً عليها الحرد كرامتناه عليهم بما يقبهم
 الحرم من خلق الاجرام التي لها ظل كالشجر وغيره مما يمنع من أذى الشمس * وقال ابن عباس
 ومجاهد ظلال الغمام * وقال ابن السائب ظلال البيوت * وقال قتادة والزجاج ظلال الشجر * وقال
 ابن قتيبة ظلال الشجر والجبال والاكنان من الجبال هي الغيران والكهوف والبيوت المعلقة
 منها والسربال ما لبس على البدن من قميص وقرقل ومجول ودرع وجوشن ونحو ذلك من صوف
 وكتان وقطن وغيرها واقصر على ذكر الحر املان ما بقى الحريق البرد قاله الزجاج أو حنف البرد
 للدلالة ضد ما عليه قاله المبرد أولانه أمس في تلك البلاد والبرد فيها معدوم في الاكثر واذا جاء نوفي
 باللائنات فيخلص السربال لتوفي الحر فقط قاله عطاء الخراساني وهذا في بلاد الحجاز وأما غيرها من
 بلاد العرب فيتوجد فيها البرد الشديد كما قال متمم * اذا القشع من برد الشتاء تقعقعا * وقال آخر
 * في ليلة من جمادى ذات أندية * والسراييل التي تقي الناس هي الدروع * قال كعب بن زهير

شم العرانيين أبطل لبوسهم * من نسج داود في الهيجا سراييل

والسربال عام يقع على ما كان من حديد وغيره والبأس في أصل اللغة الشدة وغنا الحرب وفي
 الحديث كنا اذا اشتد البأس اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى تقيكم أذى الحرب وهو
 ما يعرض فيها من الجراح الناشئة من ضرب السيوف والدبوس والرمح والسهم وغير ذلك مما يعد
 للحديث كذلك أي مثل ذلك الاتمام للنعمة فيما سبق يتم نعمته في المستقبل * وقرأ ابن عباس تتم
 بقاء نعمته بالرفع أسند التمام اليها التساعا وعنه نعمه جمعا * وقرأ لعلمكم تسامون بفتح التاء
 واللام من السلامة والخلص فكأنه تعليل لوقاية السراييل من أذى الحرب أو تسامون من
 الشرك وأما تسامون في قراءة الجمهور فالمعنى تؤمنون أو تنقادون الى النظر في نعم الله تعالى مفض
 الى الايمان والانقياد * روى أن أعرابيا سمع قوله تعالى والله جعل لكم من بيوتكم سكنا الى آخر
 الآيتين فقال عند كل نعمة اللهم نعم فاما سمع لعلمكم تسامون قال اللهم هذا فلا فزت فان تولوا يحتمل
 أن يكون ماضيا أي فان أعرضوا عن الاسلام ويحتمل أن يكون مضارعاً أي فان تولوا وحذفت
 التاء ويكون جارياً على الخطاب السابق والماضي على الالتفات والفاء وما بعده اجواب الشرط
 صورة والجواب حقيقة محذوف أي فأنت معذور اذا ديت ما وجب عليك فأقيم سبب العذر وهو
 البلاغ مقام المسبب للدلالة عليه * وقال ابن عطية المعنى ان أعرضوا فليست بقادر على خلق الايمان
 في قلوبهم فاما عليك أن تبين وتبلغ أمر الله ونهيه انتهى ثم أخبر عنهم على سبيل التقرير والتوبيخ
 بأنهم يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها وعرفانهم للنعم التي عدت عليهم حيث يعترفون بها وأنهم آمنه
 تعد الى وانكارهم لها حيث يعبدون غير الله وجعل ذلك انكاراً على سبيل المجاز اذ لم يرتبوا على
 معرفة نعمة تعالي مقتضاها من عبادته وافراده بالعبادة دون ما نسبوا اليه من الشركاء قال قريبا
 من هذا المعنى مجاهد * وقال السدي النعمة هنا محمد صلى الله عليه وسلم والمعنى يعرفون بمعجزاته
 وآيات نبوته وينكرون ذلك بالكذب ورجحه الطبري وعن مجاهد أيضا انكارهم قولهم
 ورثناها من آبائنا وعن ابن عون اضافتها الى الأسباب لا الى مسببها وحكى صاحب الغنيان
 يعرفونها في الشدة ثم ينكرونها في الرخاء * وقيل انكارهم هي بشفاعه آلهتهم عند الله * وقيل

﴿ ويوم نبعث من كل أمة ﴾ الآية لما ذكر انكارهم لنعمة الله ذكر حال يوم القيامة حيث لا ينفع فيه الانكار على سبيل الوعيد لهم بذلك اليوم وانتصب يوم باضمار اذ كر على أنه مفعول به ومتعلق بالاذن محذوف فقيل في الرجوع الى دار الدنيا أوفى الكلام والاعتذار ﴿ ولا هم يستعتبون ﴾ أي لا يزول عنهم العتب والظاهر أن قوله شركاؤهم عام في كل من اتخذوه شركاء الله تعالى من صنم وغيره والظاهر أن القول منسوب اليهم حقيقة وقيل منسوب الى جوارحهم لأنهم لما أنكروا الاشرار بقولهم والله ربنا ما كنا مشركين أصمت الله ألسنتهم وأنطق جوارحهم ومعنى ندعوا نعبدا قالوا ذلك جاء أن يشركوا معهم في العذاب اذ يحصل التآسي بهم والضمير في فألقوا عائد على الذين أشركوا واليه (٥٢٥) عائد على الشركاء ﴿ انكم لكاذبون ﴾ خطاب

العابدين للمعبودين واجهوا من كانوا يعبدونهم بانهم كاذبون والسلم الاستسلام والانقياد لحكم الله تعالى بعد الالباء والاستكبار في الدنيا ﴿ وضل عنهم ﴾ أي بطل عنهم ﴿ ما كانوا يفترون ﴾ من أن الله تعالى شركاء والذين مبتدأ وزدناهم الخبر صدر منهم شيان الكفر والصد عن سبيل الله فعوقبوا بعذابين عذاب على الصد فوق العذاب الذي لهم على الكفر وفي كل أمة يبعث فيها من خالف في السابق من أنفسهم وأئمتهم هنا وحذف هنا في وأئمتهم هنا والمعنى في كليهما أنه يبعث أنبياء الامم فيهم منهم والخطاب في بك رسول الله صلى الله عليه وسلم والاشارة بهؤلاء الى أمته

يعرفونها بقلوبهم ثم ينكرونها بالسنتهم والظاهر ان المراد من وأكثرهم موضوعه الأصلي ﴿ وقال الحسن وكلهم مامن أحديقوم بواجب حق الشكر فجعله من كفران النعمة والظاهر ان الكفر هنا هو مقابل الايمان ﴾ وقيل أكثر أهل مكة لأن منهم من أبى ﴿ وقيل معنى الكافرون الجاحدون المعاندون لان فيهم من كان جاهلا لم يعرف فيعاند ﴾ وقال الزمخشري (فان قلت) ما معنى ثم (قلت) الدلالة على ان انكارهم مستبعد بعد حصول المعرفة لأن حق من عرف النعمة أن يعترف لا أن ينكر ﴿ ويوم نبعث من كل أمة شهيدا ﴾ لا يؤذن للذين كفروا ولا هم يستعتبون ﴿ واذا رأى الذين ظاهروا العذاب فلا يخفف عنهم ولا هم ينظرون ﴾ واذا رأى الذين أشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك فألقوا اليهم القول انكم لكاذبون ﴿ وألقوا الى الله يومئذ السلم وضل عنهم ما كانوا يفترون ﴾ الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون ﴿ ويوم نبعث في كل أمة شهيدا عليهم من أنفسهم وجنابك شهيدا على هؤلاء ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين ﴾ لما ذكر انكارهم لنعمة الله تعالى ذكر حال يوم القيامة حيث لا ينفع فيه الانكار على سبيل الوعيد لهم بذلك اليوم وانتصب يوم باضمار اذ كر قاله الخوفي والزمخشري وابن عطية وأبو البقاء ﴿ وقال الزمخشري أو يوم نبعث وقعوا فيما وقعوا فيه ﴾ وقال الطبري هو معطوف على ظرف محذوف العامل فيه ثم ينكرونها أي ينكرونها اليوم ويوم نبعث أي ينكرون كفرهم فيكذبهم الشهيد والشهيد نبي تلك الأمة يشهد عليهم بايمانهم وبكفرهم ومتعلق بالاذن محذوف ﴿ فقيل في الرجوع الى دار الدنيا ﴾ وقيل في الكلام والاعتذار كما قال هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتدون أي بعد شهادة أنبيائهم عليهم والافضل ذلك تجادل كل أمة عن نفسها وجاء كلامهم في ذلك ولكنهم ما طعن يتكلمون في بعضها ولا ينطقون في بعضها ولا هم يستعتبون أي مزال عنهم العتب ﴿ وقال قوم معناه لا يسألون أن يرجعوا عن ما كانوا عليه في الدنيا فهذا استعجاب معناه طلب عتابهم ونحوه قول من قال ولا هم يسترضون أي لا يقال لهم ارضوا بكم لأن الآخرة ليست بدار عمل قاله الزمخشري ﴿ وقال الطبري معناه يعطون الرجوع الى الدنيا فيقع منهم توبة وعمل ﴾ قال الزمخشري (فان قلت) فاعني ثم هذه (قلت) معناها أنهم يمنون بعد شهادة الأنبياء بما هو أطم منه وانهم يمنعون الكلام فلا

ونزلنا السنتناي اخبار وليس داخل مع ما قبله لاختلاف الزمانين لما ذكر ما شرعه الله تعالى به من الشهادة على أمة ذكر ما أنزل عليه مما فيه بيان كل شيء من أمور الدين ليزج بذلك علمهم فيما كفوا فلا حجة لهم ولا معذرة والظاهر أن تبيان ما صدر جاء على تفعل وان كان باب المصادر أن يحى على تفعل بالفتح كالترداد والتطواف ونظير تبيان في كسر تائه تلقاء ونحوه تبياننا على الحال ويجوز أن يكون مفعولا من أجله قال الزمخشري ﴿ فان قلت كيف كان القرآن تبيان لكل شيء ﴾ قلت المعنى أنه بين كل شيء من أمور الدين حيث كان نصا على بعضها وإحالة على السنة حيث أمر فيه باتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم وطاعته وفيه وما ينطق عن الهوى وحشا على الاجماع في قوله ويتبع غير سبيل المؤمنين وقدر ضي رسول الله صلى الله عليه وسلم اتباع أصحابه والاقداء بآثارهم في قوله

أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم وقد اجتهدوا وقاسوا ووطأوا طرق القياس والاجتهاد فكانت السنة والاجتهاد والاجماع والقياس مستندة الى تبين الكتاب (٥٢٦) فمن ثم كان تبينا لكل شيء انتهى قوله وقد رضى

رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قوله اهتديتم لم يقل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو حديث موضوع لا يصح بوجه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الوزير الحافظ أبو محمد علي بن أحمد بن حزم في رسالته في ابطال القياس والرأى والاستحسان والتعليل والتقليد مانعه وهذا خبر مكذوب موضوع باطل لم يصح قط وذكر باسناده الى البرار صاحب المسند قال سألتهم عماري عن النبي صلى الله عليه وسلم مما في أيدي العامة ترويه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال انما مثل أصحابي كمثل النجوم أو كالنجوم بأيها اقتدوا اهتدوا فهذا كلام لم يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم رواه عبد الرحيم بن زيد العمى عن أبيه عن سعيد بن المسيب عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم ولم ينبت والنبي صلى الله عليه وسلم لا يبيع الاختلاف بعده من أصحابه هذا نص كلام البرار قال

يؤذن لهم في القاء منيرة ولا ادلاء بحجة انتهى ولما كانت حالة العذاب في الدنيا مخالفة لحال الآخرة اذ من رأى العذاب في الدنيا رجأ أن يؤخر عنه وان وقع فيه أن يخفف عنه أخبر تعالى ان عذاب الآخرة لا يكون فيه تخفيف ولا نظرة والظاهر أن جواب اذا قوله فلا يخفف وهو على اضمار هو أى فهو لا يخفف لأنه لو لا تقدير الاضمار لم تدخل الفاء لأن جواب اذا اذا كان مضارعا لا يحتاج الى دخول الفاء سواء كان موجبا أم منفيا كما قال تعالى واذا تنسلى عليهم آياتنا بينات تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر وتقول اذا جاء زيد لايحىي عمرو * قال الحوفي فلا يخفف جواب اذا وهو العامل في اذا وقت تقدم انما ان مات تقدم فاء الجواب في غير أم لا تعمل فيما قبله وبيننا ان العامل في اذا الفعل الذي يليها كسائر أدوات الشرط وان كان ليس قول الجمهور وجعل الزمخشري جواب اذا محذوفا * فقال وقد قدر العامل في يوم نبعث مجزوما قال ويوم نبعث وقعوا فيا وقعوا فيه وكذلك واداروا العذاب بعتهم ونقل عليهم فلا يخفف عنهم ولا هم ينظرون كقوله بل تأتيتهم بغتة فتبهم الآية انتهى والظاهر ان قوله شركاءهم عام في كل من اتخذوه شركاء الله من صنم ووثن وآدمي وشيطان وذلك في كذبهم من له منهم عقل فيكون فآلقوا عائد على من له الكلام ويجوز أن يكون عاما ينطق الله تعالى بقدرته الأوثان والأصنام وإضافة الشركاء اليهم على هذا القول لكونهم هم الذين جعلوهم شركاء لله * وقال الحسن شركاؤهم الشياطين شركاؤهم في الأموال والأولاد كقوله تعالى وشاركهم في الأموال والأولاد * وقيل شركاؤهم في الكفر وعلى القول الأول شركاؤهم في أن اتخذوهم آلهة مع الله وعبدوهم أو شركاؤهم في أن جعلوا لهم نصيبا من أموالهم وأنعامهم والظاهر ان القول منسوب اليهم حقيقة * وقيل منسوب الى جوارحهم لأنهم لما أنكروا الاشرار بقولهم الآن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين أصحت الله ألسنتهم وأنطق جوارحهم ومعنى ندعوا نعبده قالوا ذلك رجاء أن يشركوا معهم في العذاب اذ يحصل التأسي أو اعتذارا عن كفرهم اذ زين لهم الشيطان ذلك وحملهم عليه ان كان الشركاء هم الشياطين * وقال أبو مسلم الأصبهاني قالوا ذلك حاله هذا الذنب على تلك الأصنام وظنا ان ذلك ينجيهم من عذاب الله أو من عذابهم فعند ذلك تكذبهم تلك الأصنام * وقال القاضي هذا بعيد لان الكفار يعاونون عاماضر وريافي الآخرة ان العذاب سينزل بهم ولا نصرة ولا فدية ولا شفاعة وتقدم الاخبار بأنهم شركاء والاخبار انهم كانوا يدعونهم أي يعبدونهم فاحتمل التكذيب أن يكون عائدا للاخبار الأول أي لسنائركم الله في العبادة ولا آلهة تزهوا الله تعالى عن أن يكونوا شركاء له واحتمل أن يكون عائدا على الاخبار الثاني وهو العبادة لما لم يكونوا راضين بالعبادة جعلوا عبادتهم كعبادة أولم يدعواهم الى العبادة ألا ترى ان الأصنام والأوثان لا شعور لها بالعبادة فضلا عن أن يدعوا وان من عبد من صالحى المؤمنين والملائكة لم يدع الى عبادته وان كان الشركاء الشياطين جاز أن يكونوا كاذبين في اخبارهم بكذب من عبدهم كما كذب ابليس في قوله انى كفرت بما أشركت من قبل والضهير في فآلقوا الى الله عائدا على الذين أشركوا قاله الأكثر والسلم الاستسلام والانقياد لحكم الله بعد الإباء والاستكبار في الدنيا فلم يكن لهم اذ ذاك حيلة ولا دفع * وروى يعقوب عن أبي عمرو السلم بالسكان

ابن معين عبد الرحيم بن زيد كذاب خبيث ليس بشيء وقال البخارى هو متر وكرواه أيضا حجرة الجزرى وحجرة هذا ساقط متر وكرواه للمسلمين متعلق ببشرى ومن حيث المعنى متعلق بهدى ورجة

(الدر) (ش) فان قلت كيف كان القرآن تبياناً لكل شيء قلت المعنى انه بين كل شيء من أمور الدين حيث كان نصاً على بعضها واحالة على السنة حيث أمر فيه باتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم وطاعته وقيل ما ينطق عن الهوى وحناء على الاجماع في قوله ويتبع غير سبيل المؤمنين وقدرضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لامتة اتباع الصحابة والافتداء بآثارهم في قوله أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم وقد اجهدوا وقاسوا (٥٢٧) ووطؤا طرق القياس والاجتهاد فكانت السنة

والاجماع والقياس والاجتهاد مستندة الى تبين الكتاب فمن ثم كان تبياناً لكل شيء (ح) قوله وقدرضى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قوله اهتديتم لم يقل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو حديث موضوع لا يصح بوجه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الحافظ أبو محمد علي بن أحمد بن حزم رحمه الله في رسالته في ابطال الرأي والقياس والاستحسان والتعليل والتقليد ما نصه وهو خبر مكذوب موضوع باطل لم يصح قط وذ كر اسناده الى البزار صاحب المسند قال سألتهم عما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم مما في أبدي العامة ترويه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انما مثل أصحابي كمثل النجوم أو كالنجوم بأيهم اقتدوا اهتدوا وهذا كلام لم يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم رواه عبد الرحيم بن زيد

اللام * وقرأ مجاهد بضم السين واللام * وقيل الضمير عائدة على الذين أشركوا وشركائهم كلهم * قال الكلبى استسماوا منقادين لحكمه والضمير في وضلوا عائدة على الذين أشركوا خاصة أى وبطل عنهم ما كانوا يفترون من ان الله شركاء وانهم ينصرونهم ويشفعون لهم حين كذبوهم وتبرأوا منهم والظاهر أن الذين مبتدأوزدناهم الخبر * وقال ابن عطية يحتمل أن يكون قوله الذين بدلان من الضمير في يفترون وزدناهم فعل مستأنف اخباره وصدوا عن سبيل الله أى غيرهم زدناهم عذاباً بسبب الصد فوق العذاب أى الذى ترتب لهم على الكفر ضاعفوا كفرهم فضاعف الله عقابهم وهذا المزيدي عن ابن مسعود عقارب كأمثال النخل الطوال وعنه حيات كأمثال الفيلة وعقارب كأمثال البغال وعن ابن عباس أنهار من صفر مذاب تسيل من تحت العرش يعذبون بها وعن الزجاج يخرجون من النار الى الزمهرير فيبادرون من شدة برده الى النار وعلى تلك الزيادة بكونهم مفسدين غيرهم وحاملين على الكفر وفى كل أمة فيها من أمة حذفت في السابق من أنفسهم وأثبتت هناك فى وأثبتت هنا والمعنى فى كليهما أنه يبعث الله أنبياء الأمم فيهم منهم والخطاب فى ذلك للرسول صلى الله عليه وسلم والاشارة بهؤلاء الى أمة * وقال ابن عطية ويجوز أن يبعث الله شهداء من الصالحين مع الرسل * وقد قال بعض الصحابة اذا رأيت أحداً على معصية فانه فان أطاعك والا كنت عليه شهيداً يوم القيامة انتهى وكان الشهيد من أنفسهم لأنه كان كذلك حين أرسل اليهم فى الدنيا من أنفسهم * وقال الأصم أبو بكر المراد الشهيد هو أنه تعالى ينطق عشرة من أجزاء الانسان حتى تشهد عليه لأنه قال فى صفة الشهيد من أنفسهم وهذا بعيد لمقابله بقوله وجئنا بك شهيداً على هؤلاء فيقتضى المقابلة ان الشهداء على الأمم أنبياء وهم كرسول الله صلى الله عليه وسلم ونزلنا استئنافاً اخبار وليس داخل مع مقابلة لاختلاف الزمانين لما ذكر ما شرفه الله به من الشهادة على أمة ذكر ما أنزل عليه مما فيه بيان كل شيء من أمور الدين ليزيح بذلك عنهم فيما كفوا فلا حجة لهم ولا معذرة والظاهر أن تبياناً مصدر جاء على تفعال وان كان باب المصادر أن يجىء على تفعال بالفتح كالترداد والتطواف ونظير تبيان فى كسر تائه تلقاء وقد جوز الزجاج فتحه فى غير القرآن * وقال ابن عطية تبياناً اسم وليس بمصدر وهو قول أكثر النحاة * وروى ثعلب عن الكوفيين والمبرد عن البصريين أنه مصدر ولم يجىء على تفعال من المصادر الاضربان تبيان وتلقاء * قال الزمخشري (فان قلت) كيف كان القرآن تبياناً لكل شيء (قلت) المعنى انه بين كل شيء من أمور الدين حيث كان نصاً على بعضها واحالة على السنة حيث أمر فيه باتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم وطاعته وقيل وما ينطق عن الهوى وحناء على الاجماع في قوله ويتبع غير

العمى عن أبيه عن سعيد بن المسيب عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يثبت والنبي صلى الله عليه وسلم لا يبع الاختلاف بعده من أصحابه هذا نص كلام البزار قال ابن معين عبد الرحيم بن زيد كذاب خبيث ليس بشيء وقال البخارى هو متر ولا رواه أيضاً حزمة الجزرى وحزمة هذا ساقط متر ولا

سبيل المؤمنين وقدر ضي رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمته تباع أحبابه والاقتداء بآثارهم في
قوله أحبابي كالنجوم بأهم اقتديتم اهتديتم وقد اجتهدوا وقاسوا ووطؤوا طرف القياس والاجتهاد
فكانت السنة والاجماع والقياس والاجتهاد مستندة إلى تبين الكتاب فمن ثم كان تبياننا لكل
شيء وقوله وقدر ضي رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قوله اهتديتم لم يقل ذلك رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو حديث موضوع لا يصح بوجه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم * قال الحافظ أبو
محمد علي بن أحمد بن حزم في رسالته في إبطال الرأي والقياس والاستحسان والتعليم والتقليد
ما نصه وهذا خبر مكذوب موضوع باطل لم يصح قط وذكر أسنده إلى البزار صاحب المسند قال
سألته عما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم مما في أيدي العامة ترويه عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم أنه قال إنما مثل أحبابي كمثل النجوم أو كالنجوم بأهم اقتدوا اهتدوا وهذا كلام لم يصح عن النبي
صلى الله عليه وسلم رواه عبد الرحيم بن زيد العمي عن أبيه عن سعيد بن المسيب عن ابن عمر عن
النبي صلى الله عليه وسلم وإنما أتى ضعف هذا الحديث من قبل عبد الرحيم لأن أهل العلم سكتوا عن
الرواية لحديثه والكلام أيضا منكر عن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يثبت والنبي صلى الله عليه
وسلم لا يبيع الاختلاف بعده من أحبابه هذا نص كلام البزار * قال ابن معين عبد الرحيم بن زيد
كذاب خبيث ليس بشيء * وقال البخاري هو مترول رواه أيضا حمزة الجزري وحمزة هذا
ساقط مترول ونصبوا تبياننا على الحال ويجوز أن يكون مفعولا من أجله وللمسامين متعلق ببشرى
ومن حيث المعنى هو متعلق بهدى ورجة * إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى
عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون * وأوفوا بعهدهم الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا
الآيمان بعدتوكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا إن الله يعلم ما تفعلون * ولا تكونوا كالتي
نقضت غزاهم من بعد قوتة أنكاثا تتخذون أيمانكم دخلا بينكم أن تكون أمة هي أربى من أمة إنما
يبلوكم الله وليبين لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون * ولو شاء الله لجمعكم أمة واحدة ولكن
يضل من يشاء ويهدي من يشاء ولتسئلن عما كنتم تعملون * ولا تتخذوا أيمانكم دخلا بينكم فيضل
قدم بعد ثبوتها وتوقفوا السوء بما صددتم عن سبيل الله ولكم عذاب عظيم * ولا تشترُوا بعهد الله
ثمنا قليلا إنما عند الله هو خير لكم إن كنتم تعلمون * ما عندكم ينفد وما عند الله باق ولنجزين الذين
صبروا أجرهم بأحسن مما كانوا يعملون * من عمل صالحا من ذكرا أو أنثى وهو مؤمن فلنجزيه حياة
طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن مما كانوا يعملون * فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان
الرجيم * إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون * إنما سلطاننا على الذين
يتولونه والذين هم به مشركون * وإذا بدلتنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر بل
أكثرهم لا يعلمون * قل نزل له روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى
للمسامين * ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعامه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان
عربي مبين * النقض ضد الأبرام وفي الجرم فلك أجزاء بعضها من بعض * التوكيد التثبيت ويقال
توكيدوتأكيدهما الغتان وزعم الزجاج أن الهمزة بدل من الواو وليس بجيد لان التصريف
جاء في التركيبين فدل على أنهم أصلا * الغزل معروف وفعله غزل يغزل بكسر الزاي
غزلا وأطلق المصدر على المغزول * نفد الشيء ينقضي * الأعجمى الذى لا يتكلم بالعربية

﴿ان الله يأمر بالعدل﴾ الآية عن ابن عباس في حديث فيه طول منه أن عثمان بن مظعون كان جليس النبي صلى الله عليه وسلم وقتما فقال له عثمان ما رأيتك تفعل فعلتك الغداة قال وما رأيتني فعلت قال شخص بصر لك الى السماء ثم وضعته على يمينك فتحرقت عنى اليه وتركتني فأخذت تنغص رأسك كأنك تستفقه شيئا يقال لك قال أوفطنت لذلك أتاني رسول الله آ نفاوأنت جالس قال فاذا قال لك قال لي ان الله يأمر بالعدل والاحسان وذكر الآية قال عثمان فذلك حين استقر الايمان في قلبي فأحببت محمد صلى الله عليه وسلم * ومناسبة هذه الآية لما قبلها أنه تعالى لما ذكر ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وصل به ما يقتضى التكليف فرضا ونفلا وأخلاقا وأدبا والعدل فعل فروض من عقائد وشرائع وسير مع الناس في أداء الأمانات وترك الظلم والانصاف واعطاء الحق والاحسان فعل كل مندوب اليه وإيتاء ذى القربى هو صلة الرحم (٥٢٩) وهو مندرج تحت الاحسان لكنه نبه عليه اهتماما به وحضا

على الاحسان اليه

والفحشاء والزنا والمنكر

الشر والفسق والتجاوز

بالظلم والسعاية فيه وهو

داخل في المنكر ونبه

عليه اهتماما باجتنابه

يعظكم به أى بالأمر

والنهي لعلمكم تذكرون

تتنبهون لما أمرتم به

ونهيتم عنه وأوفوا بعهده

الله عهد الله علم لما عهده

الانسان والتزمه ولا

تنقضوا الايمان أى

العهود الموثقة بالايمان

نهي عن نقضها ثم ما بها

بعدتوا كيدشا أى بعد

توثيقها باسم الله تعالى

وكفالة الله شهادته وشرافه

والجمله من قواه وقد جعلتم

في موضع الحال ولا

تكونوا أى في نقض

﴿ان الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلمكم تذكرن﴾ وأوفوا بعهده الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعدتوا كيدشا وقد جعلتم الله عليكم كفيلا لان الله يعلم ما تفعلون * ولا تكونوا كالتى نقصت غزوها من بعد قوة أن كانتا تخذنون أيمانكم دخلا بينكم أن تكون أمة هي أربى من أمة أنا يابلوكم الله به وليبين لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون ﴿عن ابن عباس في حديث فيه طول منه ان عثمان بن مظعون كان جليس النبي صلى الله عليه وسلم وقتما فقال له عثمان ما رأيتك تفعل فعلتك الغداة قال وما رأيتني فعلت قال شخص بصر لك الى السماء ثم وضعته على يمينك فتحرقت عنى اليه وتركتني فأخذت تنغص رأسك كأنك تستفقه شيئا يقال لك قال أوفطنت لذلك أتاني رسول الله آ نفاوأنت جالس قال فاذا قال لك قال لي ان الله يأمر بالعدل الآية قل عثمان فذلك حين استقر الايمان في قلبي فأحببت محمد صلى الله عليه وسلم لما ذكر الله تعالى ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وصل به ما يقتضى التكليف فرضا ونفلا وأخلاقا وأدبا والعدل فعل كل مفروض من عقائد وشرائع وسير مع الناس في أداء الامانات وترك الظلم والانصاف واعطاء الحق والاحسان فعل كل مندوب اليه قاله ابن عطية * وقال الزمخشري العدل هو الواجب لأن الله عز وجل عدل فيه على عبادته فجعل ما فرضه عليهم واقعات تحت طاعتهم والاحسان النذب وانما علق أمره بهم ما جعلا لأن الفرض لا بد أن يقع فيه تفریط فيجبره النذب انتهى وفي قوله تحت طاعتهم نزغة الاعتزال وعن ابن عباس العدل لا اله الا الله والاحسان أداء الفرائض وعنه أيضا ان العدل هو الحق * وعن سفيان بن عيينة انه أسوأ السريرة والعلانية في العمل وذكر الماوردي انه القضاء بالحق قال تعالى واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل * وقال أبو سليمان العدل في لسان العرب الانصاف * وقيل خلع الانداد * وقيل العدل في الافعال والاحسان في الاقوال وإيتاء ذى القربى هو صلة الرحم وهو مندرج تحت الاحسان لكنه نبه عليه اهتماما به وحضا على الاحسان اليه والفحشاء الزنا وما شنعته ظاهرة من المعاصى وفاعلها أبدا مستتر

(٦٧ - تفسير البحر المحیط لابی حيان - خامس) العهد بعدتوا كيدشا وتوثيقه بالله تعالى كالمراة الورداء تبرم قتل غزوها ثم تنقضه نكشا وهو ما يحل قتله والتشبيه لا يقتضى تعيين المشبه به وعن الكلبى ومقاتل الورداء هي من قر يش خرقاء أسدها ربيعة بنت سعد بن تيم تلقب بجفراء اتخذت مغزلا قدر ذراع ووصارة مثل أصبع وفسكة عظيمة على قدرها كانت تغزل على وجواربها من الغداة الى الظهر ثم تأمرهن فينقضن ما غزلن والنظار أن قوله من بعد قوة أى مدة حدثت من تركيب قوى الغزل والنكت في اللغة الحبيل اذا انتقضت قواه والدخل الفساد والدغل جعلوا الايمان ذريعة الى الخدع والعدر وذلك أن الخلو في له مطمئن فيمكن للحالف ضربه بما يريد قالوا نزلت في العرب كانوا اذا دخلوا قبيلة فجاء أكثر مناهدا حالفوه وغدروا بالنبي كانت أقل * (هى أربى أى أزيدوا أكثر والضمير في بدعائد على المصدر المنسبك من أن تكون أى بسبب كون أمة هي أربى من أمة

بها أو القبيح من فعل أو قول أو بخل أو موجب الحد في الدنيا والعذاب في الآخرة أو مجاوزة حدود
 الله أقوال أولها لابن عباس والمنكر الشرك عن مقاتل أو ما وعد عليه بالنار عن ابن السائب أو
 مخالفة السيرة للعلائية عن ابن عيينة أو ما لا يوجب الحد في الدنيا لكن العذاب في الآخرة أو ما
 تنكره العقول أقوال ويظهر أنه أعم من الفحشاء لاشتماله على المعاصي والذائل والبغى التطاول
 بالظلم والسعاية فيه وهو داخل في المنكر ونبه عليه اهتما بما اجتنبه وجع في الأمور به والمنهى عنه
 بين ما يجب ويندب وما يحرم ويكره لاشترائك ذلك في قدر مشترك وهو الطلب في الأمر والترك
 في النهي * وقال أبو عبد الله الرازي أمر بثلاثة ونهى عن ثلاثة فالعدل التوسط بين الإفراط
 والتفريط وذلك في العقائد وأعمال الرعاة * فقال ابن عباس العدل لا اله الا الله وهو اثبات الاله
 الواحد فليس تعطيه المحض ولا اثبات أكثر من إله واثبات كونه عالمًا قادرًا واجب الصفات
 فليس نفي الصفات ولا اثبات صفة حادثة متغيرة وكون فعل العبد بواسطة قدرته تعالى والداعية
 التي جعلها فيه فليس جبرًا محضًا ولا استقلالًا بالفعل وكونه تعالى يخرج من النار من دخلها من
 أهل التوحيد فليس أرجاء ولا تخليد بالمعصية وأما أعمال الرعاة فالتكاليف اللازمة لهم فليس قولاً
 بأنه لا تكليف ولا قولاً بتعذيب النفس واجتناب ما يميل الطبع اليه من أكل الطيب والتزوج
 ورعى نفسه من شاعق والقصاص أو الدية أو العفو فليس تشديدًا في تعيين القصاص كشريعة
 موسى عليه السلام ولا عفوا حتمًا كشريعة عيسى عليه السلام وتجنب الحائض في اجتناب وطئها
 فقط فليس اجتنابًا مطلقًا كشريعة موسى عليه السلام ولا حل وطئها حالة الحيض كشريعة عيسى
 عليه السلام والاختتان فليس ابقاء للقلقة ولا قطع للآلة كما ذهب اليه المانوية وقال تعالى وكذلك
 جعلناكم أمة وسطًا والذين إذا أنفقوا ولا تنفقوا ولا تجمعلوا آيتين ومن المشهور قولهم بالعدل قامت السموات
 والأرض ومعناه أن مقادير العناصر لو لم تكن متعادلة وكان بعضها أزيد لغلغلب الأزيد وانقلبت
 الطبائع فالشمس لو قربت من العالم لعظمت السخونة واحترق ما فيه ولو زاد بعدها لاستوى الحر
 والبرد وكذا مقادير حركات الكواكب ومراتب سرعتها وبطئها والاحسان الزيادة على الواجب
 من الطاعات بحسب الكمية والكيفية والدواعي والصوارف والاستغراق في شهود مقامات
 العبودية والربوبية ومن الاحسان الشفقة على الخلق وأصلها صلة الرحم والمنهى عنه ثلاثة وذلك أنه
 أودع في النفس البشرية قوى أربعة الشهوانية وهي تحصيل اللذات والغضبية وهي إيصال الشر
 وهمية وهي شيطانية تسعى في الترفع والترأس على الناس فالفحشاء ما نشأ عن القوة الشهوانية
 الخارجة عن أدب الشريعة والمنكر ما نشأ عن الغضبية والبغى ما نشأ عن الوهمية انتهى ما تلخص
 من كلامه عفا الله عنه ولما أمر تعالى بتلك الثلاث ونهى عن تلك الثلاث قال يعظكم به أي بما ذكر
 تعالى من أمر ونهى والمعنى ينهيكم أحسن تنبيه لعلكم تذكرون أي تنبهون لما أمرتم به ونهيتم عنه
 وعقد الله علم لما عقده الانسان والتزمه مما وافق الشريعة * وقال الزمخشري هي البيعة لرسول
 الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله انتهى وكأنه لحظ ما قيل
 انها نزلت في الذين يبايعوا الرسول صلى الله عليه وسلم على الاسلام رواه عن بريدة * وقال قتادة
 ومجاهد فيما كان من تحالف الجاهلية في أمر بمعرورف أو نهى عن منكر * وقال ميمون بن مهران
 الوفاء لمن عاهدته مسلمًا كان أو كافرًا فاعلم العهد لله * وقال الأصم الجهاد وما فرض في الأموال من
 حق * وقيل اليمين بالله ولا تنقضوا العهد الموثقة باليمان نهى عن نقضها تمهيدًا ما بعد توكيدها أي

﴿ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة﴾ الآية هذه المشيئة مشيئة اختيار على مذهب أهل السنة ابتلى الناس بالأمر والنهي لينذهب كل إلى ما يسره ﴿ولا تتخذوا أيمانكم دخلا بينكم﴾ ككرر النهي عن اتخاذ الأيمان دخلا بينهما بذلك المبالغة في النهي عنه لعظم موقعه من الدين قال ابن عطية وتردده في معاملات الناس وقال الزمخشري تأكيذا عليهم وإظهار العظم ما يرتكب منه انتهى وقيل إنما ككرر لاختلاف المعنيين لأن الأول نهى عن الدخول (٥٣١) في الحلف ونقض العهد بالقلة والكثرة وهما نهى

عن الدخول في الأيمان التي يراد بها اقتطاع حقوق فكانت قال دخلا بينكم لمتوصلوا بها إلى قطع أموال الناس وأقول لم يتكرر النهي عن اتخاذ الأيمان دخلا وإنما سبق إخبار بأنهم اتخذوا أيمانهم دخلا معلا بشئ خاص وهو أن تكون أمة هي أربى من أمة وجاء النهي بقوله ولا تتخذوا استئناف

إشياء عن اتخاذ الأيمان دخلا على العموم فيشمل جميع أصور من الحلف في المباينة وقطع الحقوق المالية وغير ذلك وانتصب فتزل على جواب النهي وهو استعارة لمن كان مستقيما ووقع في أمر عظيم وسقط لأن القدم إذا زلت تقلب الإنسان من حال خير إلى حال شر ولا تشعروا بعهد الله ﴿الآية هذه آية نهى عن الرشاء وأخذ الأموال على ترك ما يجب على الآخذ فعله أو فعل ما يجب عليه تركه فإن هذه

توثيقها باسم الله وكفالة الله وشهادته ومراقبته لأن الكفيل مراد لخال المكفول به ولا تكونوا أي في نقض العهد بعد توكيده بالله كالمرأة الورهاء تبرم فتسل غزلها ثم تنقضه نكثا وهو ما يجعل قتله والتشبيه لا يقتضي تعيين المشبه به * وقال السدي وعبد الله بن كثير هي امرأة حقاء كانت بمكة وعن الكلبي ومقاتل هي من قريش خرقاء اسمها ربيعة بنت سعد بن تيم تلقب بحفراء اتخذت مغزلا قدر ذراع وصنارة مثل أصبع وفلكة عظيمة على قدرها فكانت تغزل هي وجواربها من الغداة إلى الظهر ثم تأمرهن فينقضن ما غزلن وعن مجاهد هذا فعل نساء أهل نجد تنقض أحداهن غزلها ثم تنفضه وتخلطه بالصوف فتغزله * وقال ابن الأنباري ربيعة بنت عمر والمريفة ولقبها الحفراء من أهل مكة وكانت معروفة عند المخاطبين والظاهر أن المراد بقوله من بعد قوة أي شدة حدثت من تركيب قوى الغزل ولو قدرناها واحدة القوي لم تكن تنقض أنسكنا والنكث في اللغة الحبل إذا انتقضت قواه * وقال مجاهد المعنى من بعد امرار قوة والدخل الفساد والدغل جعلوا الأيمان ذريعة إلى الخدع والغدر وذلك أن المخوف له مطمئن فيمكن الخالف ضربه بما يريده قالوا نزلت في العرب كانوا إذا حالقوا قبيلة فجاء أكثر من أعضادها لفقوه وغدروا بالتي كانت أقل * وقيل أن تكونوا أنتم أزيد خيرا فأستدل أمة والمراد بالمخاطبون * وقال ابن جرير الدخول والداخل في الشيء لم يكن منه ودخلا مفعول ثان * وقيل مفعول من أجله وأن تكون أي بسبب أن تكون وهي أربى مبتدأ وخبر وأجاز الكوفيون أن تكون هي عماد يعنون فضلا فيكون أربى في موضع نصب ولا يجوز ذلك عند البصريين لتكبر أمة والضمير في به عائد على المصدر المنسبك من أن تكون أي بسبب كون أمة أربى من أمة يختبركم بذلك * قال الزمخشري لينظر أن تنقض كون بحبل الوفاء بعهد الله وما عقدتم على أنفسكم وكنتم من أيمان البيعة للرسول صلى الله عليه وسلم أم تعتبرن بكثرة قريش وثروتهم وقوتهم وقلة المؤمنين وفقيرهم وضعفهم وليبين لكم أئذار وتجنبر من مخالفة مله الإسلام انتهى * وقيل يعود على الوفاء بالعهد * وقال ابن جرير وابن السائب ومقاتل يعود على الكثرة * قال ابن الأنباري لما كان تأنيها غير حقيق حمل على معنى التذكير كما جلت الصيغة على الصياح ﴿ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة﴾ ولكن يضل من يشاء ويهدى من يشاء ولتسألن عما كنتم تعملون * ولا تتخذوا أيمانكم دخلا بينكم فتزل قدم بعد ثبوتها وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله ولكم عذاب عظيم * ولا تشعروا بعهد الله ثمنا قليلا إنما عند الله هو خير لكم أن كنتم تعملون * ما عندكم ينفد وما عند الله باق ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون * من عمل صالحا من ذكرا أو أنثى وهو مؤمن فلنجزيه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴿هذه المشيئة مشيئة اختيار على مذهب أهل السنة ابتلى الناس بالأمر والنهي لينذهب كل

هي التي عهد الله إلى عبادته فيها وبين تعالى الفرق بين حال الدنيا وحال الآخرة بأن هذه تنفذ وتنقض عن الإنسان وينقض عنها والتي في الآخرة باقية دائمة ودل قوله تعالى وما عند الله باق على أن نعم الجنة لا ينقطع أبدا وما موصولة وهي اسم إن وعند الله صلة الموصول وهو خير لكم جملة في موضع خبر إن وما في الجملتين موصول بمعنى الذي وينفذ خبر الأولى وباقي خبر الثانية وهو مؤمن جملة حالية والظاهر من قوله فلنجزيه أن ذلك في الدنيا ويدل عليه قوله تعالى ولنجزينهم أجرهم يعني في الآخرة

(الدر) (ح) قالوا كرر النهي عن اتخاذ الايمان دخلاهم ما بذلك ومبالغة في النهي عنه لعظم موقعه من الدين قال (ع) وتردده في معاملات الناس وقال (ش) تأكيدها عليهم واطهار العظم ما يرتكب منه انتهى وقيل انما كرر لاختلاف المعنيين لأن الأول نهى فيه عن الدخول في الحلف ونقض العهد بالقلة والكثرة وهما نهى عن الدخول في الايمان التي يراد بها اقتطاع حقوق فكانه قال دخلا بينكم ليتوصلوا بها الى قطع أموال المسلمين (٥٣٢) انتهى وأقول لم يترك كرر النهي عن اتخاذ الايمان دخلا وانما

سبق اخبار بأنهم اتخذوا ايمانهم دخلا مع الاشياء خاص وهو أن تكون أمة هي أربى من أمة وجاء النهي بقوله ولا تتخذوا استئناف انشاء عن اتخاذ الايمان دخلا على العموم فيشمل جميع الصور من الحلف في المبايعة وقطع الحقوق المالية وغير ذلك (ش) فترى أن قدما مكم عن محجة الاسلام بعد نبوتها عليها فان قلت لم وجدت القدم ونكرت قلت لاستعظام أن تزل قدم واحدة عن طريق الحق بعد أن ثبتت عليه بأقدام كثيرة (ح) يقول ان الجمع تارة يلحظ فيه المجموع من حيث هو مجموع وتارة يلحظ فيه اعتبار كل فرد فرد فاذا لوحظ فيه المجموع كان الاسناد معتبرا فيه الجمعية واذا كان لوحظ كل فرد فرد فيفرد كقوله وأعتدت لهن متكئا أفردته كما لما كان لوحظ في قوله لهن

الى ما يسر له وذلك لحق الملك لا يسأل عما يفعل ولو شاء لكانوا كلهم على طريق واحدة اما هدى واما ضلالة ولكنه فرق فمناس للسعادة وناس للشقاوة فخلق الهدى والضلال وتوعده بالسؤال عن العمل وهو سؤال توبيخ لا سؤال تفهم وسؤال التفهم هو المنفي في آيات ومنه ذهب المعتزلة ان هذه المشيئة مشيئة قهر * قال العسكري المراد أنه قادر على أن يجمعكم على الاسلام قهرا فلم يفعل ذلك وخلقكم ليعذب من يشاء على معصيته ويثيب من يشاء على طاعته ولا يشاء شيئا من ذلك الا أن يستحقه ويجوز أن يكون المعنى انه لو شاء خلقكم في الجنة ولكنه لم يفعل ذلك ليشيب المطيعين منكم ويعذب العصاة ثم قال وانسألن عما كنتم تعملون يعني سؤال المحاسبة والمجازاة وفيه دليل على ان الاضلال في الآية العقاب ولو كان الاضلال عن الدين لم يكن لسؤاله اياهم معنى * وقال الزمخشري أمة واحدة حنيئة مسامة على طريق الاجاء والاضطراب وهو قادر على ذلك ولكن الحكمة اقتضت أن يضل من يشاء وهو أن يخذل من علم أنه يختار الكفر ويصمم عليه ويهدي من يشاء وهو أن يلطف بمن علم الله انه يختار الايمان يعني انه بنى الامر على الاختيار وعلى ما يستحق به اللطف والخذلان والثواب والعقاب ولم ينبه على الاجبار الذي لا يستحق بشيء من ذلك وحقيقته بقوله وانسألن عما كنتم تعملون ولو كان هذا المضطر الى الضلال والاهتمام لما أثبت لهم عملا يسألون عنه انتهى قالوا كرر النهي عن اتخاذ الايمان دخلاهم ما بذلك ومبالغة في النهي عنه لعظم موقعه في الدين * قال ابن عطية وتردده في معاملات الناس * وقال الزمخشري تأكيدها عليهم واطهار العظم ما يرتكب منه انتهى * وقيل انما كرر لاختلاف المعنيين لأن الأول نهى فيه عن الدخول في الحلف ونقض العهد بالقلة والكثرة وهما نهى عن الدخول في الايمان التي يراد بها اقتطاع حقوق فكانه قال دخلا بينكم لتوصلوا بها الى قطع أموال المسلمين وأقول لم يترك كرر النهي عن اتخاذ الايمان دخلا وانما سبق اخبار بأنهم اتخذوا ايمانهم دخلا مع الاشياء خاص وهو أن تكون أمة هي أربى من أمة وجاء النهي بقوله ولا تتخذوا استئناف انشاء عن اتخاذ الايمان دخلا على العموم فيشمل جميع الصور من الحلف في المبايعة وقطع الحقوق المالية وغير ذلك وانتهى على جواب النهي وهو استعاره لمن كان مستقيا ووقع في أمر عظيم وسقط لأن القدم اذا زلت تقلب الانسان من حال خير الى حال شر * وقال كثير * فلما توافينا ثبت وزلت * قال الزمخشري فترى أن قدما مكم عن محجة الاسلام بعد نبوتها عليها (فان قلت) لم وجدت القدم ونكرت (قلت) لاستعظام أن تزل قدم واحدة عن طريق الحق بعد أن ثبتت عليه فكيف بأقدام كثيرة انتهى ونقول الجمع تارة يلحظ فيه المجموع من حيث هو مجموع وتارة يلحظ فيه اعتبار كل فرد فرد فاذا لوحظ فيه المجموع كان الاسناد معتبرا

معنى لكل واحدة ولو جاء مراد به الجمعية أو على الكثير في الوجه الثاني بجمع المتكئا وعلى هذا المعنى ينبغي أن يحمل قول الشاعر فاني رأيت الضامرين متاعهم * يموت ويفنى فارضخى من وعائيا أي رأيت كل ضامر ولذلك أفرد الضمير في يموت ويفنى ولما كان المعنى هنا لا يتخذ كل واحد واحد منكم جاء فترى قدم مراعاة لهذا المعنى ثم قال وتدوقوا مراعاة للمجموع أو للفظ الجمع على الوجه الكثير اذا قلنا ان الاسناد لكل فرد فرد فكون الآية وقد تعرضت للنهي عن اتخاذ الايمان دخلا باعتبار المجموع وباعتبار كل فرد فرد ودل عليه افراد قدم وجع الضمير في وتدوقوا

فيه الجمعية واذا لوحظ كل فرد فرد كان الاسناد مطابقا للفظ الجمع كثيرا فيجمع ما أسند اليه ومطابقا لكل فرد فرد فيفرد كقوله وأعتدت لمن متكأ أفرد متكأ لما كان لوحظ في قوله لمن معنى لكل واحدة ولو جاء مراد به الجمعية أو على الكثير في الوجه الثاني لجمع المتكأ وعلى هذا المعنى ينبغي أن يحمل قول الشاعر

فاني وجدت الضامرين متاعهم * يموت ويفنى فارضخى من وعائيا

أي رأيت كل ضامر ولذلك أفرد الضمير في يموت ويفنى ولما كان المعنى هنا لا يتخذ كل واحد منكم جاء فنزل قدم مراعاة لهذا المعنى ثم قال وتذوقوا مراعاة للمجموع أو للفظ الجمع على الوجه الكثير اذا قلنا ان الاسناد لكل فرد فرد فتكون الآية قد تعرضت للنهي عن اتخاذ الايمان دخلا باعتبار المجموع وباعتبار كل فرد فرد دل على ذلك بافرا دقدم ومجمع الضمير في وتذوقوا وما مصدرية في بما صدتم أي بصدودكم أو بصدكم كم غيركم لانهم لو نقضوا الايمان وارتدوا لا يتخذ نقضها سنة لغيرهم فيسبون بها وذوق السوء في الدنيا ولكم عذاب عظيم أي في الآخرة والسوء ما يسوءهم من قتل ونهب وأسر وجلاء وغير ذلك مما يسوء * قال ابن عطية وقوله صدتم عن سبيل الله يدل على أن الآية فممن بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى هذا فسر الزنجشري قال لأنهم قد نقضوا أيمان البيعة ولا يدل على ذلك لخصوصه بل نقض الايمان في البيعة منسدر ج في العموم * ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا هذا منهي عن نقض ما بين الله تعالى والعبد لاخذ حطام من عرض الدنيا * قال الزنجشري كان قوم ممن أسلم بمكة زين لهم الشيطان جزعهم بما رأوا من غلبة قريش واستضعافهم للمسلمين وإيذائهم لهم ولما كانوا يعدونهم ان رجعوا من المواعيد أن ينقضوا ما بايعوا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فنبههم الله ولا تشتروا ولا تبدلوا بعهد الله وبيعة رسول الله ثمنا قليلا عرضا من الدنيا يسيرا وهو ما كانت قريش يعدونهم ويمنونهم ان رجعوا ان ما عند الله من اظهاركم وتغنيمكم ومن ثواب الآخرة خير لكم * وقال ابن عطية هذه آية نهى عن الرشاؤ أخذ الاموال على ترك ما يجب على الآخذ فعله أو فعل ما يجب عليه تركه فان هذه هي التي عهد الله الى عبادته فيها وبين تعالى الفرق بين حال الدنيا وحال الآخرة بأن هذه تنفذ وتنقضي عن الانسان وينقضي عنها والتي في الآخرة باقية دائمة ودل قوله وما عند الله باق على أن نعم الجنة لا ينقطع وفي ذلك حجة على جهنم بن صفوان اذ زعم أن نعم الجنة منقطع * وقرأ عاصم وابن كثير ولنجزي بالنون وباقي السبعة بالياء وصبر وا أي جاهدوا أنفسكم على مشاق الاسلام وأذى الكفار وترك المعاصي وكسب المال بالوجه الذي لا يحمل بأحسن ما كانوا يعملون * وقيل من التنفل بالطاعات وكانت أحسن لأنها لم يحتم فعلها فكان الانسان يأتي بالتنفلات مختارا غير ملزوم بها * وقيل ذكر الاحسن ترغيبا في عمله وان كانت المجازاة على الحسن والاحسن * وقيل الأحسن هنا بمعنى الحسن فليس أفعال التي للتفضيل والذي يظهر أن المراد بالأحسن هنا الصبر أي ولنجزي الذين صبروا بصبرهم أي بجزاء صبرهم وجعل الصبر أحسن الاعمال لاحتماح جميع التكاليف اليه فالصبر هو رأسها فكان الأحسن لذلك ومن صالحة للفرد والمذكر وفروعها لكن يتبادر الى الذهن الافراد والتذكير فبين بالنوعين ليعم الوعد كليهما وهو مؤمن جملة حاله والايمان شرط في العمل الصالح محص لقوله من يعمل مثقال ذرة خيرا يره أو يراذ بمثقال ذرة من ايمان كما جاء في من يخرج من النار من عصاة المؤمنين والظاهر من قوله تعالى فانهيته

﴿فإذا قرأ القرآن﴾ الآية لما ذكر تعالى ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وذكري أسماء ممجدين في الكتاب فان كان الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم لفظا فالمراد أمته ونفى تعالى سلطان الشيطان عن المؤمنين والسلطان هنا التسلط والولاية والمعنى أنهم لا يقبلون منه ولا يطيعونه فيما يريد منهم من اتباع خطواته وظاهر الاخبار انتفاء سلطنته عن المؤمنين مطلقا ولما ذكر تعالى انزال الكتاب تبيانا لكل شيء وأمر بالاستعانة عند قراءته ذكر تعالى نتيجة ولاية الشيطان لاوليائه المشركين وما يليقهم اليهم من الأباطيل فألقى اليهم انكار النسخ لما رواه أو تبديل آية مكان آية وتقدم الكلام في النسخ في البقرة والظاهر أن هذا التبديل رفع آية لفظا ومعنى ويجوز أن يكون التبديل لحكم المعنى (٥٣٤) وبقاء اللفظ ووجدت الكفار بذلك طعنا في الدين وما علموا أن

المصالح تختلف بحسب اختلاف الأشخاص والأوقات وكما وقع نسخ شريعة بشرية تقع في شريعة واحدة وأخبر تعالى أنه العالم بما ينزل لأتمة وما ينزل مما يقره وما يرفعه فراجع علم ذلك اليه وروح القدس هنا هو جبريل صلى الله عليه وسلم وأضاف الرب الى كاف الخطاب تشريفا لرسول الله صلى الله عليه وسلم باختصاص الاضافة وبالحق حال أي ملتبسا بالحق سواء كان ناسخا أم منسوخا وليثبت معناه أنهم لا يضطربون في شيء منه لكونه نسخا بل النسخ مثبت لهم على إيمانهم ودل اختصاص التعليل بالمسامين على انصاف الكفار بضده من لحاق الاضطراب لهم قال الزمخشري وهدي

حياة طيبة ان ذلك في الدنيا وهو قول الجمهور ويدل عليه قوله ولنجزينهم أجرهم يعني في الآخرة * وقال الحسن ومجاهد وابن جبير وقتادة وابن زيد ذلك في الجنة * وقال شريك في القبر * وقال علي ووهب بن منبه وابن عباس والحسن في رواية عنهما هي القناعة وعن ابن عباس والضحاك الرزق الحلال وعنه أيضا السعادة * وقال عكرمة الطاعة * وقال قتادة الرزق في يوم بيوم * وقال اسمعيل بن أبي خالد الرزق الطيب والعمل الصالح * وقال أبو بكر الوراق حلاوة الطاعة * وقيل العافية والكفاية * وقيل الرضا بالقضاء ذكرها الماوردي * وقال الزمخشري المؤمن مع العمل الصالح ان كان موسرا فلا مقال فيه وان كان معسرا فمما يطيب عيشه وهو القناعة والرضا بقسمة الله تعالى والفاجر ان كان معسرا فلا اشكال في أمره وان كان موسرا فالحرص لا بدعه أن يتأبى عيشه * وقال ابن عطية طيب الحياة للصالحين بان يساط نفوسهم ونيلها وقوة رجائهم والرجاء للنفس أمر مألوف بأنهم احتقروا الدنيا فزالتمهم فان انضاف الى هذا مال حلال وصحة وقناعة فذلك كمال والا فالطيب فيما ذكرنا راتب وعاد الضمير في فلنحيينه على لفظ من مفردا وفي ولنجزينهم على معناها من الجمع جمع وروى عن نافع ولنجز فيهم بالياء بدل النون التفتت من ضمير المتكلم الى ضمير العيبة وينبغي أن يكون على تقدير قسم ثان لا معطوفا على فلنحيينه فيكون من عطف جملة قسمية على جملة قسمية وكلتا هما محذوفتان ولا يكون من عطف جواب على جواب لتغاير الاسناد وافضاء الثاني الى اخبار المتكلم عن نفسه باخبار الغائب وذلك لا يجوز فعلى هذا لا يجوز زيد قلت والله لأضربن هنداً ولينفينها يدي ولينفينها يدي فان جعلته على اضمار قسم ثان جازي وقال زيد لينفينها لانك في هذا التركيب أن تحكي لفظه وان تحكي على المعنى فن الاول وليحلفن بالله ان اردنا إلا الحسنى ومن الثاني يحلفون بالله ما قالوا ولوجاء على اللفظ لكان ما قلنا ﴿فإذا قرأت القرآن﴾ فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم * إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون * إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون * واذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون * قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدي وبشري للمسلمين * ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون اليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين ﴿لما ذكر تعالى ونزلنا عليك

وبشري مفعول لها معطوفان على محل ليثبت انتهى تقدم الرد عليه وفي نحوه هذا وهو قوله لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدي ورحمة في هذه السورة ولا يمنع عطفه على المصدر المنسب من أن والفعل لأنه مجرور فيكون هدي وبشري مجرورين كما تقول جئت لأحسن الى زيدوا كرام خالد إذا التقدير لاحسان الى زيد وجاء اسناد التعليم الى مبهمة لم يعين وقال ابن عباس كان في مكة غلام أعجمي لبعض قريش يقال له بلعام فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمه الاسلام ورومه عليه فقالت قريش هذا يعلم محمدا من جهة الأعاجم وقد ذكروا أسماء ناس آخر غير بلعام لا يصح شيء منها قال الزمخشري * فان قلت الجملة التي هي قوله لسان الذي يلحدون اليه أعجمي ما محلها * قلت لا محل لها لانها مستأنفة جواب لقولهم ومثله قوله الله أعلم حيث يجعل رسالاته بعد قوله

الكتاب تبينا لكل شيء وذ كر أشياء مما بين في الكتاب ثم ذ كر قوله من عمل صالحا ذ كر
ما يصون به القارىء قراءته من وسوسة الشيطان ونزغته فخطب السامع بالاستعاذة منه اذا أخذ في
القراءة فان كان الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم لفظا فالمراد أمته إذ كانت قراءة القرآن
من أجل الاعمال الصالحة كما ورد في الحديث ان ثواب قراءة كل حرف عشر حسنة والظاهر
بعقب الاستعاذة وقد روى ذلك بعض الرواة عن حمزة وروى عن ابن سيرين انه قال كلما قرأت
الفاتحة حين تقول آمين فاستعد وروى عن أبي هريرة ومالك وداود تعقبها القراءة كما روى عن حمزة
والجمهور على ترك هذا الظاهر وتأويله بمعنى فاذا أردت القراءة قال الزمخشري لأن الفعل يوجد
عند القصد والارادة بغير فاصل وعلى حسبه فكان بسبب قوى وملازمة ظاهرة كقوله اذا قمتم
الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وكقوله اذا أكلت فسم الله وقال ابن عطية فاذا وصله بين الكلامين
والعرب تستعملها في مثل هذا وتقدير الآية فاذا أخذت في قراءة القرآن فاستعد أمر بالاستعاذة
فالجمهور على الندب وعن عطاء الوجوب والظاهر طلب الاستعاذة عند القراءة مطلقا والظاهر ان
الشيطان المراد به ابليس وأعوانه * وقيل عام في كل متردعات من جن وانس كما قال شياطين
الانس والجن واختلف في كيفية الاستعاذة والذي صار اليه الجمهور من القراء وغيرهم واختاروه
أعوذ بالله من الشيطان الرجيم لما روى عبد الله بن مسعود وأبو هريرة وجبير بن مطعم عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه استعاذ عند القراءة بهذا اللفظ بعينه ونفى تعالى سلطان الشيطان عن المؤمنين
والسلطان هنا التسليط والولاية والمعنى انهم لا يقبلون منه ولا يطيعونه فيما يريد منهم من اتباع خطواته
كما قال تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وكما أخبر تعالى عنه فقال في قصة أوليائه وما كان لي
عليكم من سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لي * وقيل المراد بالسلطان الحجة وظاهر الاخبار
انتفاء سلطنته على المؤمنين مطلقا * وقيل ليس له عليهم سلطان لاستعاذتهم منه * وقيل ليس له
قدرة أن يحملهم على ذنب والضمير في به عائدا على ربهم * وقيل على الشيطان وهو الظاهر
لاتفاق الضمائر والمعنى والذين هم بأشراكهم ابليس مشركون بالله أو تكون الباء للسببية والامر
بالاستعاذة يقتضي انها تصرف كيد الشيطان كأنها متضمنة التوكل على الله والانتفاع اليه
ولما ذ كر تعالى انزال الكتاب تبينا لكل شيء وأمر بالاستعاذة عند قراءته ذ كر تعالى نتيجة ولاية
الشيطان لأوليائه المشركين وما يلقيه اليهم من الابطال فألقى اليهم انكار النسخ لما رآوا تبديل آية
مكان آية وتقدم الكلام في النسخ في البقرة والظاهر ان هذا التبديل رفع آية لفظا ومعنى ويجوز
أن يكون التبديل لحكم المعنى وابقاء اللفظ ووجد الكفار بذلك طعنا في الدين وما عاينوا ان
المصالح تختلف باختلاف الاوقات والاشخاص وكما وقع نسخ شريعة بشريعة يقع في شريعة واحدة
وأخبر تعالى انه العالم بما ينزل لأنتم وما ينزل مما يقره وما يرفع فرفع علم ذلك اليه وهو على حسب
الحوادث والمصالح وهذه حكمة انزاله شيئا فشيئا وهذه الجملة اعترض بين الشرط وجوابه * قيل
ويحتمل أن يكون حالا وبالغوا في نسبة الافتراء للرسول بلفظ انما وبما وجه الخطاب وباسم
الفاعل الدال على الثبوت وقال بل أكثرهم لأن بعضهم يعلم ويكفر عنادا ومفعول لا يعلمون محذوف
لدلالة المعنى عليه أي لا يعلمون أن الشرائع حكم ومصالح هذه الآية دلت على وقوع نسخ القرآن
بالقرآن وروح القدس هنا هو جبريل عليه السلام بلا خلاف وتقدم لمسمى روح القدس
وأضاف الرب الى كاف الخطاب بشرى فالرسول صلى الله عليه وسلم باختصاص الاضافة واعراضا

واذا جاءهم آية قالوا لن نؤمن
حتى نؤتى مثل ما أوتى رسل
الله انتهى يجوز عندي
أن تكون جملة حالية
فوضعها نصب وذلك أبلغ
في الانكار عليهم أي يقولون
ذلك والحال هذه أي عامهم
بأعجمية هذا البشر وآياته
عربية هذا القرآن كان
ينعهم من تلك المقالة كما
تقول تشتم فلانا وهو قد
أحسن اليك أي عامل
باحسانه لك كان يقتضي
منعك من شتمه وانما
ذهب الزمخشري الى
الاستئناف ولم يذهب الى
الحال لان مذهبه أن مجي
الجملة الحالية الاسمية بغير
واو شاذ وهو مذهب
مرجوح جدا ومجي
ذلك بغير واو لا يكاد
يخصر كثيرا في كلام العرب
وهو مذهب تبع فيه
الفراء واما الله أعلم فظاهر
قوله فيها لانها جملة حالية
من ضمير يعود على ذي
الحال لان ذ الحال هو ضمير
وفي هذه الآية ذو الحال
ضمير يقولون والضمير
الذي في جملة الحال هو
ضمير الحال في يلحدون
فالجملة أن عربيت عن
الواو ففهم ضمير ذي الحال

عنهم اذ لم يصف اليهم وبالحق حال أي ملتبس بالحق سواء كان ناسخاً أو منسوخاً فكله مصحوب بالحق لا يعتبر به شيء من الباطل وليثبت معناه انهم لا يضطربون في شيء منه لا يكون نسخ بل النسخ مثبت لهم على ايمانهم لعادهم أنه جميعه من عند الله لصحة ايمانهم واطمئنان قلوبهم بعامون أنه حكيم وان أفعاله كلها صادرة عن حكمة فهي صواب كلها وادل اختصاص التعليل بالمسلمين على اتصاف الكفار بضده من لحاق الاضطراب لهم وتزلزل عقائدهم وضلالهم * وقرى ليثبت مخففاً من أثبت * قال الزمخشري وهدي وبشري مفعول لهما معطوفان على محل ليثبت انتهى وتقدم الرد عليه في نحو هذا وهو قوله لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدي ورحمة في هذه السورة ولا يتمتع عطفه على المصدر المنسب من أن والفعل لانه مجرور فيكون وهدي وبشري مجرورين كما تقول جئت لا حسن الى زيدوا كرام خالداً التقدير لاحسان الى زيد وأجاز أبو البقاء أن يكون ارتفاع هدي وبشري على اضماء مبتدأ أي وهو هدي وبشري ولما نسبوه عليه السلام للافتراء وهو الكذب على الله لم يكتفوا بذلك حتى جعلوا ذلك الافتراء الذي نسبوه هو من تعليم بشر اياه فليس هو المختلق بل المختلق غيره وهو ناقل عنه وظاهر قولهم انما أنت مفتران معناه مختلق الكذب وهو ينافي التعلم من البشر فيحتمل أن يكون قوله مفتر في نسبة ذلك الى الله ويحتمل أن يكونوا فيه طائفتين طائفة ذهبت الى أنه هو المفترى وطائفة أنه يتعلم من البشر ويعلم مضارع اللفظ ومعناه المضى أي ولقد عاهدنا وجاء اسناد التعليم الى مبهم لم يعين * فقييل هو حبيب غلام رومي كان لعامر بن الحضرمي * وقيل عائش أو يعيش وكان صاحب كتب مولى حو يطب بن عبد العزيز وكان قد أسلم فحسن اسلامه قاله الفراء والزجاج * وقيل أبو فكيمة أعجمي مولى لمرأة بمكة * قيل وامه يسار وكان يهودياً قاله مقاتل وابن جبير إلا أنه لم يقل كان يهودياً * وقال ابن زيد كان رجلاً حاداً نصرانياً اسمه عنس * وقال حصين بن عبد الله بن مسلم كان لنا غلامان نصرانيان من أهل عين التمر يسار وحبر كانا يقرآن كتباً لهما بلسانهم وكان صلى الله عليه وسلم يمر بهما فيسمع قراءتهما * قيل وكانا حدادين يصنعان السيوف فقال المشركون يتعلم منهما فقييل لا حداد هما ذلك فقال بل هو يعاهني فقال ابن عباس كان في مكة غلام أعجمي لبعض قريش يقال له بلعام وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعاهه الاسلام فقالت قريش هذا يعلم محمد من جهة الاعاجم * وقال الضحاح الاشارة الى سامان الفارسي وضعف هذا من جهة ان ساماناً أسلم بعد الهجرة وهذه السورة مكية الامانة عليه أنه مدني واللسان هنا اللغة * وقرأ الحسن اللسان الذي بتعريف اللسان بأل والذي صغته * وقرأ حمزة والكسائي يلحدون من لحد ثلاثياً وهي قراءة عبد الله بن طلحة والسامى والاعمش ومجاهد وقرأ باقي السبعة وابن القعقاع بضم الياء وكسر الحاء من ألحدرباعياً وهما بمعنى واحد * قال الزمخشري يقال ألحد الفهر ولحدوه فهو ملحد وملحدوا إذا مال حفره عن الاستقامة فحفر في شق منه ثم استعير لكل امالة عن استقامة فقالوا ألحد فلان في قوله وألحد في دينه لانه مال دينه عن الاديان كلها لم عمله من دين الى دين والمعنى لسان الرجل الذي يميلون قولهم عن الاستقامة اليه لسان أعجمي غير بين وهذا القرآن لسان عربي مبين ذو بيان وفصاحة رداً لقولهم وابطالاً لطعنهم انتهى وظاهر قول الزمخشري ان اللسان في الموضعين اللغة * وقال ابن عطية وهذا اشارة الى القرآن والتقدير وهذا سر دلسان أو نطق لسان فهو على حذف مضاف وهذا على أن يجعل اللسان هنا جارحة واللسان في كلام العرب اللغة ويحتمل أن يراد في هذه الآية * وقال الكرماني

(الدر)

(ش) وهدي وبشري
مفعول لهما معطوفان
على محل ليثبت (ح)
تقدم الرد عليه في نحو
هذا وهو قوله لتبين
لهم الذي اختلفوا فيه
وهدي ورحمة في هذه
السورة ولا يتمتع عطفه
على المصدر المنسب من
ان والفعل لانه مجرور
فيكون وهدي وبشري
مجرورين كما تقول جئت
لأحسن الى زيدوا كرام
خالداً التقدير لاحسان
الى زيد

﴿ ان الذين لا يؤمنون بآيات الله ﴾ الآية أخبر تعالى عنهم بانهم لا يهديهم الله أبدا اذ كانوا جاحدين آيات الله وما أتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم من المعجزات وخصوصا القرآن فمن بالغ في جحد آيات الله سد الباب الهداية عنهم وذكروا تعالى وعيده بالعذاب الليم لهم ومعنى لا يهديهم لا يخلق الايمان في قلوبهم وهذا عام مخصوص فقد اهدى قوم كفروا بآيات الله ﴿ من كفر ﴾ من شرطية وجوابه محذوف تقديره فهو مؤاخذ بكفره والاستثناء منقطع تقديره لكن من أكره على الكفر ولفظ به وقلبه مطمئن بالايمان فلا يؤاخذ به ﴿ ولكن من شرح ﴾ من شرطية جوابه فعلهم غضب وقال ابن عطية وقيل فعلهم خبر عن من الأولى والثانية اذ هو واحد بالمعنى لأن الاخبار في قوله من كفر انما قصد الصنف الشارح بالكفر صدر انتهى هذا وان كان كما ذكره فانان جملتان شرطيتان وقد فصل بينهما بأداة الاستدراك فلا بد لكل واحدة منهما من جواب على انفراد لا يشتركان فيه فتقدير الحذف أجرى على صناعة الاعراب وعلى كون من (٥٣٧) في موضع رفع على الابتداء يجوز أن تكون شرطية كما ذكرنا وأن تكون

المعنى أنتم أفصح وأبلغهم وأقدرهم على الكلام نظما ونثرا وقد عجزتم وعجز جميع العرب فكيف تنسبونوه الى أعجمي ألكن قال الزمخشري (فان قلت) الجملة التي هي قوله لسان الذي يلحدون اليه أعجمي ما محلها (قلت) لا محل لها لانها مستأنفة جواب لقولهم ومثله قوله الله أعلم حيث يجعل رسالته بعد قوله واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتي مثل ما أوتى رسل الله انتهى ويجوز عندي أن تكون جملة حالية فوضعها نصب وذلك أبلغ في الإنكار عليهم أي يقولون ذلك والحالة هذه أي علمهم بأعجمية هذا البشر وإبانة عربية هذا القرآن كان يمنعهم من تلك المقالة كما تقول تشتم فلانا وهو قد أحسن اليك أي عامك باحسانه لك كان يقتضي منعك من تشتمه وانما ذهب الزمخشري الى الاستئناف ولم يذهب الى الحال لأن من منعه ان محي الجملة الحالية الاسمية بغير واو شاذ وهو مذهب مرجوح جدا ومحى ذلك بغير واو لا يكاد ينحصر كثرة في كلام العرب وهو مذهب تبع فيه الفراء وأما الله أعلم فظاهر قوله فيها لانها جملة حالية من ضمير يعود على ذي الحال لان ذا الحال هو ضمير قالوا وفي هذه الآية ذو الحال ضمير يقولون والضمير الذي في جملة الحال هو ضمير الفاعل في يلحدون فالجملة وان عريت عن الواو فمضمير ذي الحال ﴿ ان الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله ولهم عذاب أليم ﴾ انما يفيد في السكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون ﴿ من كفر بالله من بعد ايمانه الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان ﴾ ولكن من شرح بالكفر صدر افعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم ﴿ ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وأن الله لا يهدي القوم الكافرين ﴾ وأولئك الذين طبع الله على قلوبهم ومنهم ﴿ وأبصارهم وأولئك هم الغافلون ﴾ لا حرم انهم في الآخرة هم الخاسرون ﴿ ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاءوا بصدق وان ربك من بعدها الغفور رحيم ﴾ لما ذكر تعالى نسبتهم الى

موصولة وما بعدها صلتها والخبر محذوف للدلالة ما بعده عليه لما ذكرنا في حذف جواب الشرط الآن من الثانية لا يجوز أن تكون شرطية حتى يقدر قبلها مبتدأ لان من وليت لكن فيتمين اذذاك أن تكون من موصولة فان قدر مبتدأ بعد لكن جاز أن تكون شرطية في موضع خبر ذلك المبتدأ المقدر كقوله

ولكن متى يسرف القوم أرفد أي ولكن أنا فكذا ذلك هنا أي ولكن هم من شرح بالكفر صدر أي منهم

(٦٨ - تفسير البحر المحيط لأبي حيان - خامس) وأجاز الخوفي والزمخشري أن تكون من بدلا من الذين

(الدر) (ش) فان قلت الجملة التي هي قوله لسان الذي يلحدون اليه أعجمي ما محلها قلت لا محل لها لانها مستأنفة جواب لقولهم ومثله قوله الله أعلم حيث يجعل رسالته بعد قوله واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتي مثل ما أوتى رسل الله انتهى (ح) يجوز عندي أن تكون جملة حالية فوضعها نصب وذلك أبلغ في الإنكار عليهم أي يقولون ذلك والحالة هذه أي علمهم بأعجمية هذا البشر وإبانة عربية هذا القرآن كان يمنعهم من تلك المقالة كما تقول تشتم فلانا وهو قد أحسن اليك أي عامك باحسانه لك كان يقتضي منعك من تشتمه وانما ذهب (ش) الى الاستئناف ولم يذهب الى الحال لان من منعه ان محي الجملة الحالية الاسمية بغير واو شاذ وهو مذهب مرجوح جدا ومحى ذلك بغير واو لا يكاد ينحصر كثرة في كلام العرب وهو مذهب تبع فيه الفراء وأما الله أعلم فظاهر قوله فيها لانها جملة حالية من ضمير يعود على ذي الحال لان ذا الحال هو ضمير قالوا وفي هذه الآية ذو الحال يقولون والضمير الذي في جملة الحال هو ضمير الفاعل في يلحدون فالجملة وان عريت عن الواو فمضمير ذي الحال

لا يؤمنون ومن الكاذبون ولم يجز الزجاج الا أن يكون بدلا من الكاذبون لانه رأى الكلام الى آخر الاستثناء غير تام فعلقه بما قبله وأجاز الزمخشري أيضا أن يكون بدلا من أولئك فإذا كان (٥٣٨) بدلا من الذين لا يؤمنون فيكون قوله وأولئك هم الكاذبون

جملة اعتراض بين البديل والمبدل منه والمعنى انما يفترى الكذب من كفر بالله من بعد إيمانه واستثنى منه المكره فلم يدخل تحت حكم الافتراء واذا كان بدلا من الكاذبون فالتقدير وأولئك هم من كفر بالله من بعد إيمانه واذا كان بدلا من أولئك فالتقدير من كفر بالله من بعد إيمانه هم الكاذبون وهذه الأوجه الثلاثة عندي ضعيفة لان الأول يقتضى أنه لا يفترى الكذب الا من كفر بالله من بعد إيمانه والوجود يقتضى أن من يفترى الكذب هو الذى لا يؤمن وسواء أكان ممن كفر بعد الايمان أم كان ممن لم يؤمن قط بل من لم يؤمن قط هم الاكثرون المفترون الكذب وأما الثانى فيؤول المعنى الى ذلك إذ التقدير وأولئك أى الذين لا يؤمنون هم من كفر بالله من بعد إيمانه والذين لا يؤمنون هم المفترون وأما الثالث فكذلك اذا التقدير أن

الافتراء الى الرسول صلى الله عليه وسلم وان ما أتى به من عند الله انما يعمله اياه بشر كان ذلك تسجيلا عليهم بانتفاء الايمان فأخبر تعالى عنهم انهم لا يهديهم الله أبدا اذ كانوا جاحدين آيات الله وهو ما أتى به الرسول من المعجزات وخصوصا القرآن فن بالغ في جحد آيات الله سد الله عليه باب الهداية وذكر تعالى وعيده بالعذاب الأليم لهم ومعنى لا يهديهم لا يخلق الايمان في قلوبهم وهذا عام مخصوص فقد اهتدى قوم كفروا بآيات الله تعالى * وقال الزمخشري لا يهديهم الله لا يطف بهم لأنهم من أهل الخذلان في الدنيا والعذاب في الآخرة لان أهل اللطف والثواب انتهى وهو على طريقة الاعتزال * وقال ابن عطية المفهوم من الوجود ان الذين لا يهديهم الله لا يؤمنون بآياته ولكنه قدم في هذا الترتيب وأخبرتهم بما يتقبح فعلهم والتشنيع بخطتهم وذلك كقوله فاما زاغوا أراغ الله قلوبهم والمراد ما ذكرناه فكأنه قال ان الذين لم يؤمنوا لم يهديهم الله انتهى * وقال القاضى أقوى ما قيل في ذلك لا يهديهم الى طريق الجنة ولذلك قال بعده ولهم عذاب أليم والمراد انهم لما تركوا الايمان بالله لا يهديهم الله الى الجنة بل يسوقهم الى النار * وقال العسكري يجوز أن يكون المعنى انهم ان لم يؤمنوا بهذه الآيات لم يهدوا والمراد بقوله لا يهديهم الله أى لا يهدون وانما يقال هدى الله فلانا على الاطلاق اذا اهتدى هو وأما من لم يقبل الهدى فانه يقال ان الله هداه فلم يهتد كما قال وأما مود فهديناهم فاستجبوا العمى على الهدى ثم رد تعالى قولهم انما أنت مفتر بقوله انما يفترى الكذب أى انما يلحق افتراء الكذب بمن لا يؤمن لأنه لا يتقرب عقابا عليه ولما كان في كلامهم انما هو يقتضى الحصر عند بعضهم جاء الرد عليهم بانما أيضا وجاء بلفظ يفترى الذى يقتضى التجدد ثم علق الحكم على الوصف المقتضى للافتراء وهو انتفاء الايمان وختم بقوله وأولئك هم الكاذبون فاقضى التوكيد البالغ والحصر بلفظ الإشارة والتأكيده بلفظ هم وادخال أل على الكاذبون وبكونه اسم فاعل يقتضى الثبوت والدوام فجاء يفترى يقتضى التجدد وجاء الكاذبون يقتضى الثبوت والدوام * وقال الزمخشري وأولئك إشارة الى قريش هم الكاذبون هم الذين لا يؤمنون فهم الكاذبون أو الى الذين لا يؤمنون أى وأولئك هم الكاذبون على الحقيقة الكلامون فى الكذب لأن تكذيب آيات الله أعظم الكذب وأولئك هم الكاذبون عادتهم الكذب لا يبالون به فى كل شئ لا يحجبهم عنه مروءة ولا دين أو أولئك هم الكاذبون فى قولهم انما أنت مفتر انتهى والوجه الذى بدأ به بعيد وهو أن أولئك إشارة الى قريش والظاهر ان من شرطية فى موضع رفع على الابتداء وهو استئناف اخبار لا تتعلق له بما قبله من جهة الاعراب ولما كان الكفر يكون باللفظ وبالاعتقاد استثنى من الكافرين من كفر باللفظ وقلبه مطمئن بالايمان ورخص له فى النطق بكلمة الكفر اذ كان قلبه مؤمنا وذلك مع الاكراه والمعنى الامن أكرهه على الكفر تلفظ بكلمة الكفر وقلبه مطمئن بالايمان وجواب الشرط محذوف لدلالة ما بعده عليه تقديره الكافرون بعد الايمان غير المكروهين فعلهم غضب ويصح أن يكون الاستثناء من ما تضمنه جواب الشرط المحذوف أى فعلهم غضب الامن أكرهه فلا غضب عليه ولا عذاب ولكن من شرح وكذا قدره الزمخشري أعنى الجواب

المشار اليهم هم من كفر بالله من بعد إيمانه مخبر عنهم بانهم الكاذبون قال الزمخشري ويجوز أن ينتصب على الذم وهذا بعيد أيضا والذى تقتضيه فصاحة الكلام جعل الجمل كلها مستقلة لا ترتبط بما قبلها من حيث الاعراب بل من حيث المعنى والمناسبة والظاهر أن ذلك إشارة الى ما استحقوه من العذاب والعقاب أى كأن لهم بسبب استعجابهم الدنيا على الآخرة * ثم ان ربك * فيه دلالة على تباعد حال

(الدر) (ع) وقالت فرقة من في قوله من كفر ابتداء وقوله من شرح تخصيص منه ودخل الاستثناء لاخراج عمار وشبهه ودنا من الاستثناء الأول الاستدراك بل كن وقوله فعليه خبر عن من الأولى والثانية اذهو واحد بالمعنى لان الاخبار في قوله من كفر انما قصده الصنف الشارح بالكفر صدرا (ح) هذا وان كان كاذ كرفهاتان جملتان شرطيتان وقد فصل بينهما باداة الاستدراك فلا بد لكل واحدة منهما من جواب على انفراد لا يشتر كان فيه فتقدير الحذف أجرى على صناعة الاعراب وقد ضعفوا مذهب أبي الحسن في ادعائه أن قوله فسلام لك من أصحاب اليمين وقوله فروح وريحان جواب لاما ولان هذا وهما اداتا شرط احدهما تلي الأخرى وعلى كون من في موضع رفع على الابتداء يجوز أن تكون شرطية كاذ كرناو يجوز أن تكون موصولة وما بعدها صلها والخبر محذوف للدلالة (٥٣٩) ما بعدها عليه كاذ كرنا في حذف جواب الشرط الا

ان من الثانية لا يجوز أن تكون شرط حتى تقدر قبلها مبتدأ لأن من وليت لكن فيتعين اذ ذلك ان تكون من موصولة فان قدر مبتدأ بعد لكن جاز ان تكون شرطية في موضع خبر ذلك المبتدأ المقدر كقول

* ولكن متى يسترفد القوم أرفد *

أى ولكن انما متى يسترفد القوم أرفد ولذلك تقدر

هنا ولكن هم من شرح بالكفر صدرا أى

منهم (ح) أجاز الحوفي و (ش) أن تكون بدلا

من الذين لا يؤمنون ومن الكاذبون ولم يجز

قبل الاستثناء في قول من جعل من شرطا * وقال ابن عطية وقالت فرقة من في قوله من كفر ابتداء وقوله من شرح تخصيص منه ودخل الاستثناء لاخراج عمار وشبهه ودنا من الاستثناء الأول الاستدراك بل كن وقوله فعليه خبر عن من الأولى والثانية اذهو واحد بالمعنى لان الاخبار في قوله من كفر انما قصده الصنف الشارح بالكفر انتهى وهذا وان كان كاذ كرفهاتان جملتان شرطيتان وقد فصل بينهما باداة الاستدراك فلا بد لكل واحدة منهما من جواب على انفراد لا يشتر كان فيه فتقدير الحذف أجرى على صناعة الاعراب وقد ضعفوا مذهب أبي الحسن في ادعائه أن قوله فسلام لك من أصحاب اليمين وقوله فروح وريحان جواب لاما ولان هذا وهما اداتا شرط احدهما تلي الأخرى وعلى كون من في موضع رفع على الابتداء يجوز أن تكون شرطية كاذ كرناو يجوز أن تكون موصولة وما بعدها صلها والخبر محذوف للدلالة ما بعدها عليه كاذ كرنا في حذف جواب الشرط الا ان من الثانية لا يجوز أن تكون شرط حتى يقدر قبلها مبتدأ لأن من وليت لكن فيتعين اذ ذلك أن تكون من موصولة فان قدر مبتدأ بعد لكن جاز ان تكون شرطية في موضع خبر ذلك المبتدأ المقدر كقول

أى ولكن انما متى يسترفد القوم أرفد وكذلك تقدر هنا ولكن هم من شرح بالكفر صدرا

أى منهم وأجاز الحوفي والزنجشري أن تكون بدلا من الذين لا يؤمنون ومن الكاذبون ولم يجز الزجاج الآن يكون بدلا من الكاذبون لانه رأى الكلام الى آخر الاستثناء غير تام

فعلقه بما قبله * وأجاز الزنجشري أن يكون بدلا من أولئك فاذا كان بدلا من الذين لا يؤمنون فيكون قوله وأولئك هم الكاذبون جملة اعتراض بين البديل والمبدل منه والمعنى انما يفترى الكذب من كفر بالله من بعد ايمانه واستثنى منهم المكره فلم يدخل تحت حكم الافتراء واذا

الزجاج الآن يكون بدلا من الكاذبون لانه رأى الكلام الى آخر الاستثناء غير تام فعلقه بما قبله وأجاز (ش) أن يكون بدلا من أولئك فاذا كان بدلا من الذين لا يؤمنون فيكون قوله وأولئك هم الكاذبون جملة اعتراض بين البديل والمبدل منه والمعنى انما يفترى الكذب من كفر بالله من بعد ايمانه واستثنى منهم المكره فلم يدخل تحت حكم الافتراء واذا كان بدلا من الكاذبون فعلقه بغيرهم وأولئك هم من كفر بالله من بعد ايمانه وهم الكاذبون وهذه الواجهة الثلاثة عندي ضعيفة لأن الأول يقتضى أنه لا يفترى الكذب الا من كفر بالله من بعد ايمانه والوجود يقتضى أن من يفترى الكذب هو الذي لا يؤمن وسواء كان من كفر بعد ايمان أم كان ممن لم يؤمن قط بل من لم يؤمن قط هم الاكثر من المفترين الكذب وأما الثاني فيقول المعنى ان ذلك اد التقدير وأولئك أى الذين لا يؤمنون هم من كفر بالله من بعد ايمانه والذين لا يؤمنون هم المفترون وأما الثالث فكذلك اد التقدير ان المشار اليهم هم من كفر بالله من بعد ايمانه مخبر عنهم بأنهم الكاذبون (ش) ويجوز أن ينتصب على المدح (ح) هذا أيضا بعيد والمعنى تقضي فصاحة الكلام جعل الجمل كلها مستقلة لا ترتبط بما قبلها من حيث الاعراب بل من حيث المعنى والمناسبة

كان بدلا من الكاذبون قاله تقدير وأولئك هم من كفر بالله من بعد إيمانه وإذا كان بدلا
 من أولئك قاله تقدير ومن كفر بالله من بعد إيمانه هم الكاذبون وهذه الواجهة الثلاثة عندى
 ضعيفة لأن الأول يقتضى أنه لا يفترى الكذب إلا من كفر بالله من بعد إيمانه والوجود يقتضى
 أن من يفترى الكذب هو الذى لا يؤمن وسواء كان ممن كفر بعد الإيمان أنه كان ممن لم يؤمن قط بل
 ممن لم يؤمن قط هم الأكثر من المفترى الكذب * وأما الثانى فيقول المعنى إلى ذلك إذا التقدير
 وأولئك أى الذين لا يؤمنون هم من كفر بالله من بعد إيمانه والذين لا يؤمنون هم المفترى * وأما
 الثالث فكذلك إذا التقدير أن المشار إليهم هم من كفر بالله من بعد إيمانه مخبر عنهم بأنهم الكاذبون
 * وقال الزمخشري ويجوز أن ينتصب على الذم انتهى وهذا أيضا بعيد الذى تقتضيه فصاحة الكلام
 جعل الجمل كلها مستقلة لا ترتبط بما قبلها من حيث الأعراب بل من حيث المعنى والمناسبة وفي قوله
 الأمن أكره دليل على أن من فعل المكره لا يترتب عليه شيء وإذا كان قد سوح لكامة الكفر
 أو فعل ما يؤدى إليه فالمساحة بغيره من المعاصى أولى وقد تكلموا في كيفية الإكراه المبيح لذلك وفي
 تفصيل الأشياء التى يقع الإكراه فيها وذلك كما مذكور في كتب الفقه والمكرهون على الكفر
 المعتدون على الإسلام خباب وصهيب وبلال وعمار وأبو ياسر وسمية وسالم وجبر عبدوا فأجابهم
 عمار وجبر باللفظ نفلى سبلهم أو نادى الباقون على الإسلام فقتل ياسر وسمية وهما أول قتيل في
 الإسلام وعذب بلال وهو يقول (أحد أحد) وعذب خباب بالنار فأطفأها الأودك ظهره وجمع
 الضمير في فعلهم على معنى من وأفر في شرح على لفظها والظاهر أن ذلك إشارة إلى ما استحقوه
 من العذاب والعذاب أى كائن لهم بسبب استعجابهم الدنيا على الآخرة * وقال الزمخشري واستحقاقهم
 خذلان الله بكفرهم انتهى وهى نزعة اعتزالية والضمير في بأنهم عائد على من في من شرح ولما فعلوا
 فعل من استعجب الزم وأذلك وإن كانوا غير مصدين بآخرة لكن من حيث أعرضا عن النظر فيه
 كانوا كمن استعجب غيره وقوله استعجبوا هو تكسب منهم علق به العقاب وإن الله لا يهدي إشارة إلى
 اختراع الله الكفر في قلوبهم * فجمعت الآية بين الكسب والاختراع وهذا عقيدة أهل السنة *
 وقيل ذلك إشارة إلى الارتداد والاقدام على الكفر لأجل أنهم رجحوا الدنيا على الآخرة ولأنه
 تعالى ما هداهم إلى الإيمان وتقدم الكلام على الطبع على القلوب والسمع والابصار واختم عليها
 وأولئك هم الغافلون * قال ابن عباس عن ما يراد منهم في الآخرة * وقال الزمخشري الكاملون في
 الغفلة الذين لا أحد أغفل منهم لأن الغفلة عن تدبر العواقب هى غاية الغفلة ومنهاها ولما كان
 الإسناد ليكتسب بالطاعات سعادة الآخرة فعمل على عكس ذلك من المعاصى الكفر وغيره عظم
 خسره ففعل فيهم هم الخاسرون لا غيرهم ومن أخسر ممن اتصف بتلك الأوصاف السابقة من
 كمينونة غضب الله عليهم والعذاب الأليم واستعجاب الدنيا وانتفاء هدايتهم والاخبار بالطبع
 وبغفلتهم ولما ذكر تعالى حال من كفر بعد الإيمان وحال من أكرهه كرجال من هاجر بعد ما فتن
 * قال ابن عطية وهذه الآية مدنية ولا أعلم في ذلك خلافا * وقال ابن عباس نزلت فكتب بها
 المساهون إلى من كان أسلم بمكة أن الله قد جعل لكم خراجا فخرجوا فأدركهم المشركون فقاتلوهم
 حتى نجا من نجا وقتل من قتل فعلى هذا السبب يكون جهادهم مع الرسول على الإسلام وروى أنهم
 خرجوا واتبعوا وجاهدوا متبعهم فقتل من قتل ونجا من نجا فزالت حينئذ فعنى بالجهاد جهادهم
 لمتبعهم * وقال ابن اسحاق نزلت في عمار وعياش بن أبي ربيعة والوليد بن الوليد * قال ابن عطية

﴿يوم تأتي كل نفس﴾ الآية يوم ظرف وهو منصوب بإذ كر على أنه مفعول به والظاهر عموم كل نفس فيجادل المؤمن والكافر وجداله بالكذب والجحد فتشهد عليهم الرسل والجوارح فينبذ لا ينطقون ﴿وضرب الله مثلاً قرية﴾ أي من قرى الأولين جعلت مثلاً لمكة على معنى التهديد لأهلها ولغيرها من القرى إلى يوم القيامة قال الزخشي يجوز أن يراد قرية مقدرة على هذه الصفة وأن يكون في قرى الأولين قرية كانت هذه حالها فضر بها الله مثلاً لمكة إنذاراً من مثل عاقبتها انتهى لا يجوز أن يراد قرية مقدرة على هذه الصفة بل لابد من وجودها لقوله (٥٤١) ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه الآية ﴿كانت

آمنة﴾ ابتداء بصفة
الامن لأنه لا نعيم لخائف
والاطمئنان زيادة في
الامن فلا يزحجها خوف
﴿يأتيها رزقها﴾ أقواتها كل
حين واسعة من جميع جهاتها
لا تتعذر منها جهة وأنهم جمع
نعمة كثيرة وأشياء لا دافعة
واللباس كناية عن وصول
الخرف والجوع إليهم ولما
تقدم ذكر الامن وابتداء
الرزق قابلهم بالجوع
الناسي عن انقطاع الرزق
وبالخوف وقدم الجوع
ليسلي المتأخر وهو اتيان
الرزق كقوله تعالى يوم
تبيض وجوه وتسود
وجوه فاما الذين اسود
وجوههم الآية والظاهر أن
الضمير في ولقد جاءهم
عائد على ما عدا عليه في
قوله بما كانوا يصنعون
ولم تقدم فكفرت بأنعم
الله جاء هنا واشكروا
نعمه الله وفي البقرة
﴿يأتياهم﴾ الذين آمنوا

وذكر عمار في هذا غير قويم فإنه أرفع من طبقة هؤلاء وانما هؤلاء من باب من شرح بالكفر صدرا
أفتح الله لهم باب التوبة في آخر الآية ﴿وقال عكرمة والحسن نزلت في شأن عبد الله بن أبي سرح
واشابهه فكانه يقول من بعد ما فتهم الشيطان﴾ وقال الزخشي ثم ان ربك دلالة على تباعد حال
هؤلاء من حال أولئك وهم عمار وأصحابه والذين عند الزخشي في موضع خبر ان قال ومعنى ان ربك
لهم انه لهم لا عليهم بمعنى انه وليهم وناصرهم لا عدوهم وخادهم كما يكون الملك للرجل لا عليه فيكون
محمياً منفعو عا غير مضر ورا انتهى وقوله منفعو عا اسم مفعول من نفع وهو قياس لأنه متعد ثلاثي وزعم
الاهوازي النحوي انه لا يستعمل من نفع اسم مفعول فلا يقال منفعو عا وقفت له عليه في شرحه
موجز الرمانى ﴿وقال أبو البقاء خبر ان الأولى قوله ان ربك لغفور وان الثانية واسمها تكرير
للتوكيد انتهى واذا كانت ان الثانية واسمها تكرير للتوكيد كما ذكر فالذى يقتضيه صناعة
العربية ان يكون خبر ان الأولى هو قوله لغفور ويكون للذين متعلقاً بقوله لغفور أو برحيم على
الاعمال لأن ان ربك الثانية لا يكون لها طلب لما بعدها من حيث الاعراب كما انك اذا قلت قام قام
زيد فزيد انما هو مرفوع بقام الأولى لأن الثانية ذكرت على سبيل التوكيد الأولى وقيل لا خبر
لأن الأولى في اللفظ لأن خبر الثانية أغنى عنه انتهى وهذا ليس بجيد لأنه ألغى حكم الأولى وجعل
الحكم للثانية وهو عكس ما تقدم ولا يجوز ﴿وقيل للذين متعلق بمحذوف على جهة البيان كأنه
قيل أغنى للذين أى الغفران للذين﴾ وقرأ الجمهور فتنوا مبنياً للمفعول أى بالعذاب والا كراد على
كلمة الكفر ﴿وقرأ ابن عامر فتنوا مبنياً للمفاعل والظاهر ان الضمير عائد على الذين هاجر واقلعنى
فتنوا أنفسهم بما أعطوا المشركين من القول كما فعل عمار أولاً كانوا صابرين على الاسلام وعذبوا
بسبب ذلك صاروا كأنهم هم المعتدون أنفسهم ويجوز أن يكون عائد على المشركين أى من بعد ما
عذبوا المؤمنين كالحضرمي واشباهه والضمير في من بعدها عائد على المصادر المفهومة من الافعال
السابقة أى من بعد الفتنة والهجرة والجهاد والصبر ﴿وقال ابن عطية والضمير في بعدها عائد على
الفتنة أو الهجرة أو التوبة والكلام يعطيهما وان لم يجز لها ذلك صريح﴾ يوم تأتي كل نفس تجادل
عن نفسها وتوفي كل نفس ما عملت وهم لا يظاهون ﴿وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة
يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا
يصنعون﴾ ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون ﴿فكوا ائمة رزقكم الله
حلالاً طيباً واشكروا نعمة الله ان كنتم ايها تعبدون﴾ انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما

كوا ائمة رزقناكم لم يدرك من كفر نعمة فقال واشكروا لله ولما أمرهم بالا كل عمار رزقهم شهد عليهم خرماته تعالى ونهاهم عن
تحريمهم وتحليلهم بأهوائهم دون اتباع ما شرع الله تعالى على لسان أنبيائه وكذا جاء في البقرة ﴿دكر ما حرم ان قوله كوا

(الدر) (ش) ومعنى ان ربك لهم لا عليهم بمعنى انه وليهم وناصرهم لا عدوهم وخادهم كما يكون الملك للرجل لا عليه
فيكون محمياً منفعو عا غير مضر وور (ح) قوله منفعو عا اسم مفعول من نفع وهو قياس لأنه متعد ثلاثي وزعم الاهوازي النحوي انه
لا يستعمل من نفع اسم مفعول فلا يقال منفعو عا وقفت له عليه في شرح موجز الرمانى له

أهل لعن الله به فن اضطر غير باع ولا عا دفان الله غفور رحيم * يوم منصوب على الظرف وناصبه
رحيم أو على المفعول به وناصبه اذ كر والظاهر عموم كل نفس فيجدال المؤمن والكافر وجداله
بالكذب والجحد فيشهد عليهم الرسل والجوارح حينئذ لا ينطقون * وقالت فرقة الجدال قول كل
أحد من الانبياء وغيرهم نفسى نفسى * قال ابن عطية وهذا ليس بجدال ولا احتجاج انما هو مجرد
رغبة * واختار الزمخشري هذا القول وركب معه ما قبله فقال كانه قيل يوم يأتي كل انسان
بجدال عن ذاته لايهمه شأن غيره كل يقول نفسى نفسى ومعنى المجادلة الاعتذار عنها كقولهم
هؤلاء أضلونا ما كنا مشركين ونحو ذلك وقال يقال لعين الشيء وذاته نفسه وفي نقيضه غيره
والنفس الجملة كما هي فالنفس الأولى هي الجملة والثانية عينها وذاتها * وقال ابن عطية أى كل
ذى نفس ثم أجرى الفعل على المضاف اليه المذكور فأثبت العلامة ونفس الأولى هي النفس
المعروفة والثانية هي معنى البدن كما تقول نفس الشيء وعينه أى ذاته * وقال العسكري الانسان
يسمى نفسا تقول العرب ما جاءني الانفس واحدة أى انسان واحد والنفس في الحقيقة لا تأتي
لأنها هي الشيء الذي يعيش به الانسان انتهى (فان قلت) لم يمتد الفعل الى الضمير لا الى لفظ
النفس (قلت) منع من ذلك أن الفعل اذا لم يكن من باب ظن وفقد لا يمتد الى فعل ظاهر فاعله ولا
مضمره الى مضمره المتصل فذلك لم يجزى التركيب تجادل عنها ولذلك لا يجوز ضرب بنهاهنا ولا هند
ضرب بنها وانما تقول ضربت نفسها هند وضربت هند نفسها ما عملت أى جزاء ما عملت من احسان
أو اساءة وأثبت الفعل في تأني والضمير في تجادل وفي عن نفسها وفي توفى وفي عملت حملا على معنى
كل ولو روعي اللفظ لذكر وقال الشاعر

جاءت عليها كل عين ثرة * فترك كل حقيقة كالدرهم

فأثبت على المعنى وما ذكر عن ابن عباس ان الجدال هنا هو جدال الجسد للروح والروح للجسد
لا يظهر قال يقول الجسد رب جاء الروح بأمر لبي نطق لسانى وأبصرت عيني ومشت رجلى فتقول
الروح أنت كسبت وعصيت لأنا وأنت كنت الحامل وأنا المحمول فيقول الله عز وجل أضرب
لكم مثل أمي حمل مقعدا الى بستان فأصابا من ثماره فالعذاب عليهما كما وعى ابن عباس ومجاهد وابن
زيد وقتادة أن القرية المضروب بها المثل مكة كانت لا تغزى ولا يغار عليها والارزاق تجلب اليها
وأنتع الله عليهم بالرسول صلى الله عليه وسلم فكفرت فأصابها السنون والخوف وسرايا الرسول
وغزواته ضربت مثالا لغيرها مما يأتي بعدها وهذا وان كانت الآية مدنية وان كانت مكة فجوع
السنين وخوف العذاب بسبب التكذيب ويؤيد كونها مكة قوله ولقد جاءهم رسول منهم
فكذبوه ويجوز أن يكون قرية من قرى الأولين وعن حفصة أنها المدينة * وقال ابن عطية يتوجه
عندي انها مقعد بها قرية غير معينة جعلت مثالا لمكة على معنى التعذير لأهلها ولغيرها من القرى الى
يوم القيامة * وقال الزمخشري يجوز أن يراد قرية مقدرة على هذه الصفة وأن يكون في قرى
الأوليين قرية كانت هذه حالها فضر بها الله مثالا لمكة انذارا من مثل عاقبتها انتهى ولا يجوز أن
يراد قرية مقدرة على هذه الصفة بل لا بد من وجودها لقوله ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه
فأخذهم العذاب وهم ظالمون كانت آمنة ابتداء بصفة الأمن لأنه لا يقيم الخائف والاطمئنان زيادة في
الأمن فلا يزعمها خوف يأتيها رزقها أقواتها واسعة من جميع جهاتها لا يتعذر منها جهة وأنعم جمع نعمة
كثيرة وأشد * وقال قطرب جمع نعم بمعنى النعيم يقال هذه أيام طعم ونعم انتهى فيكون كبؤس

فما رزقكم وقوله انما حرم
تقسم تفسيره مثله في البقرة

(الدر)

(ش) يجوز أن يراد قرية
مقدرة على هذه الصفة
وأن يكون في قرى الأولين
قرية كانت هذه حالها
فضر بها الله مثالا لمكة
انذارا من مثل عاقبتها
(ح) لا يجوز أن يراد قرية
مقدرة على هذه الصفة
بل لا بد من وجودها لقوله
ولقد جاءهم رسول منهم
فكذبوه فأخذهم العذاب
وهم ظالمون

وأبوس * وقال الزمخشري جمع نعمة على ترك التاء والاعتداد بالتاء كدسوع وأدرع * وقال العقلاء
ثلاثة ليس لها نهاية * الأمن والصحة والكفاية * قال أبو عبد الله الرازي أمانة إشارة إلى الأمن
مطمئنة إشارة إلى الصحة لأن هواء ذلك لما كان ملازماً لأمراضهم أطمانوا إليها واستقروا بآتيها
رزقها السبب في ذلك دعوة إبراهيم عليه السلام فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من
الثمرات * وقال الانعم جمع نعمة وجمع قلة ولم يأت بنعم الله وذلك أنه قصد التنبيه بالادنى على الأعلى
بمعنى أن كفران النعم القليلة أوجب العذاب فكفران الكثيرة أولى بإيجابه * قال ابن عطية لما
بأشهرهم ذلك صار كاللباس وهذا كقول الأعشى

إذا ما الضجيع ثنى جيدها * تئنّت فكانت عليه لباسا

ونحو قوله تعالى هن لباس لكم وأنتم لباس لهن ومنه قول الشاعر

وقد لبست بعد الزبير محاشع * ثياب التي حاضت ولم تغسل الدما

كأن العار لما بشرهم ولصق بهم جعلهم لبسوه وقوله فأذاقها الله نظير قوله ذاق انك أنت العزيز
الكريم ونظير قول الشاعر * دونك ما جنيته فاحس وذوق * وقال الزمخشري الأذاقة واللباس
استعارتان فواجه صحتهما والأذاقة المستعارمة موقعة على اللباس فواجه حكمة إيقاعها (قلت) أما
الأذاقة فقد جرت عندهم مجرى الحقيقة لشيوعها في البلايا والشدائد وما عيس الناس منها فيقولون
ذاق فلان البؤس والضرر وأذاقة العذاب شبه ما يدرك من أثر الضرر والألم بما يدرك من طعم المر
والبسع وأما اللباس فقد شبه به لاشتماله على اللابس ما غشى الإنسان والتبس به من بعض الحوادث
وأما إيقاع الأذاقة على لباس الجوع والخوف فلأنه لما وقع عبارة عما يغشى منهما ما يلبس فكأنه
قيل فأذاقهم ما غشيتهم من الجوع والخوف ولهم في نحو هذا طريقان أحدهما أن ينظر وافيه إلى
المستعار له كما نظر إليه ههنا ونحوه قول كثير

نمر الرداء إذا تبسم ضاحكا * غلقت لم تحكته رقاب ليل

استعار الرداء المعروف لأنه يصون عرجي صاحبه يصون الرداء لما يليق عليه ويوصفه بالعر الذي هو
وصف المعروف والنوال لصفة الرداء نظرا إلى المستعار له والثاني أن ينظر وافيه إلى المستعار
كقوله

ينازعني ردائي عبد عمرو * رويدك يا أخا عمرو بن بكر

إلى الشطر الذي ملكت يميني * ودونك فاعتجر منه بشطر

أراد بردائه سيفه ثم قال فاعتجر منه بشطر فنظر إلى المستعار في لفظ الاعتجار ولو نظر إليه في
نحن فيه لقل فكساهم لباس الجوع والخوف ولقال كثير * ضاف الرداء إذا تبسم ضاحكا * انتهى
وهو كلام حسن ولما تقدم ذكر الأمن وإيمان الرزق قبلهما بالجوع الناشئ عن انقطاع الرزق
وبالخوف وقدم الجوع ليلي المتأخر وهو إيمان الرزق كقوله يوم تبيض وجوه وتسود وجوه
فأما الذين أسودت وجوههم وأما قوله فمنهم شقي وسعيد فأما الذين شقوا ففي النار فقدم ما يبدى به
وهما طريقان * وقرأ الجمهور والخوف بالجر عطفاً على الجوع وروى العباس عن أبي عمرو
والخوف بالنصب عطفاً على لباس * قال صاحب اللوامح ويجوز أن يكون نصبه بالضمار فعل *
وقال الزمخشري يجوز أن يكون على تقدير حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه أصلاً
ولباس الخوف * وقرأ عبد الله فأذاقها الله الخوف والجوع ولا يدكر لباس والذي أقوله أن
هذا تفسير المعنى لا قراءة لأن المنقول عنه مستقيم مثل ما في سواد المصنف وفي مصنف

ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب الآية لما بين ما حرم بالغ في تأكيده ذلك بالنهي عن الزيادة فيما حرم وما مصدرية والكذب مفعول بتصف أي بوصف ألسنتكم الكذب وهذا حلال وهذا حرام تفسير للكذب ويجوز أن تكون ما موصولة بمعنى الذي وتصف صلتها والضمير العائد على (٥٤٤) ما محذوف تقديره تصفه والكذب بدل من هذا الضمير

المحذوف ويجوز أن ينتصب الكذب على أنه نعت لمصدر محذوف منصوب بتقولوا أي ولا تقولوا القول الكذب لما تصف واللام للتعليل أي لما تصف وقال الزمخشري يجوز أن يكون الكذب بالجر صفة لما مصدرية كأنه قيل لوصفها الكذب بمعنى الكاذب كقوله تعالى بدم كذب المراد بالوصف وصفها البهائم بالحل والحرم انتهى هذا عندي لا يجوز وذلك أنهم نصوا على أن المصدرية لا ينعت المصدر المنسبك منها ومن الفعل فلا يجوز يعجبني أن قلت السريع تريد قيامك السريع ولا عجبت من أن تخرج السريع أي من خروجك السريع وحكم باقي الحروف المصدرية حكم أن فلا يوجد في كلامهم وصف المصدر المنسبك من أن ولا من ما ولا من كي بخلاف صريح المصدر فانه يجوز أن

أبي بن كعب لباس الخوف والجوع بدأ بمقابل ما بدأ به في قوله كانت آمنة وهذا عندي إنما كان في مصحفه قبل أن يجمعوا ما في سواد المصحف الموجود الآن شرقا وغربا ولذلك المستفيض من أبي في القراءة إنما هو كقراءة الجماعة بما كانوا يصنعون من كفران نعم الله ومنها تكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم الذي جاءهم والضمير في بما كانوا يصنعون عائد على المحذوف في قوله وضرب الله مثلا قرية أي قصة أهل قرية أعداء الضمير أولا على لفظ قرية ثم على المضارع المحذوف كقوله فجاءها بأسنا بيانا أو هم قائلون والظاهر أن الضمير في ولقد جاءهم عائد على ما عاد عليه في قوله بما كانوا يصنعون * وقال ابن عطية يحتفل أن يكون الضمير في جاءهم لأهل تلك المدينة يكون هذا بما جرى فيها كدنية شعيب عليه السلام وغيره ويحتفل أن يكون لأهل مكة * وقال أبو عبد الله الرازي لما ذكر المثل قال ولقد جاءهم يعني أهل مكة رسول منهم يعني من أنفسهم يعرفونه بأصله ونسبه ولما أعطى تعالى بضرب ذلك المثل وصل هذا الأمر للمؤمنين بالفاء فأمر المؤمنين بأكل ما رزقهم وشكروا نعمته ليبيّنوا تلك القرية التي كفرت بنعم الله ولما تقدم فكفرت بأنعم الله جاءهمنا واشكروا نعمته الله في البقرة جاءها الذين آمنوا كلوا مما رزقنا لكم لم يذكروا من كفر نعمته فقالوا واشكروا لله ولما أمرهم بالأكل مما رزقهم عدا عليهم محرمانه تعالى ونهاهم عن تجريمهم وتحليلهم بأهوائهم دون اتباع ما شرع الله على لسان أنبيائه وكذا جاء في البقرة ذكروا ما حرم الله من قولهم كذا ما حرم الآية تقدم تفسير مثلها في البقرة ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب أن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون * متاع قليل ولهم عذاب أليم * وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليكم من قبل وما ظاهناهم ولكن كانوا أنفسهم يظفون * ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا إن ربك من بعدها لغفور رحيم * لما بين تعالى ما حرم بالغ في تأكيده ذلك بالنهي عن الزيادة فيما حرم كالضمير والسائبة وفيما أحل كالهيئة والدم وذكروا تعالى تحريم هؤلاء الأربع في سورة الأنعام وهذه السورة وهما مكيتان بأداة الحصر ثم كذلك في سورة البقرة والمائدة بقوله أحلت لكم الآية وأجمعوا على أن المراد مما يتلى عليكم هو قوله حرمت عليكم الآية وهما دينيتان فكان هذا التحريم لهذه الأربع مشرعا ثانيا في أول مكتة وآخرها وأول المدينة وآخرها فنهى تعالى أن يحرموا ويحلوا من عند أنفسهم ويفتروا بذلك على الله حيث ينسبون ذلك إليه وقرأ الجمهور الكذب بفتح الكاف والباء وكسر الدال وجوزوا في ما في هذه القراءة أن تكون بمعنى الذي والعائد محذوف تقديره الذي تصفه ألسنتكم وانتصب الكذب على أنه معمول لتقولوا أي ولا تقولوا الكذب الذي تصفه ألسنتكم من البهائم بالحل والحرم من غير استناد ذلك الوصف

ينعت وليس لكل مصدر حكم المنطوق به وإنما يتبع في ذلك ما تكلمت به العرب وارتفع متاع على أنه خبر مبتدأ محذوف تقديره عيشهم في الدنيا متاع قليل * وعلى الذين هادوا حرمنا * تقدم ما حرم عليهم في آخر الأنعام ويتعلق من قبل بقصصنا وهو الظاهر وقيل يحرمنا والمحذوف الذي في من قبل تقديره من قبل تحريمنا على أهل مكة والسوء ما بسوء صاحبه من كفر ومعيته وغيره والكلام في الذين آمنوا وما يتعلق به تقدم نظيره

الى الوحي وهذا حلال وهذا حرام يدل من الكذب أو على اضرار فعل أى فتقولوا هذا حلال وهذا حرام وأجاز الخوفى وأبو البقاء أن يكون انتصاب الكذب على أنه يدل من الضمير المحذوف العائد على ما كما تقول جاءنى الذى ضربت أخاك أى ضربته أخاك وأجاز أبو البقاء أن يكون منصوبا باضرار أعنى * وقال الكسائى والزجاج ماصدرية وانتصب الكذب على المفعول به أى لوصف ألسنتكم الكذب ومعمول ولا تقولوا الجملة من قوله هذا حلال وهذا حرام والمعنى ولا تحاولوا ولا تحرموا لأجل قول تنطق به ألسنتكم كذبا لا بحجة وبينه وهذا معنى يديع جعل قولهم كأنه عين الكذب ومحضة فاذا نطقت به ألسنتهم فقد حلت الكذب بحليته وصورته بصورته كقولهم وجهه يصف الجمال وعينها تصف السحر * وقرأ الحسن وابن يعمر وطلحة والأعرج وابن أبى اسحق وابن عبيد ونعيم بن ميسرة بكسر الباء وخرج على أن يكون بدلا من ما والمعنى الذى تصفه ألسنتكم الكذب وأجاز الزمخشري وغيره أن يكون الكذب بالجر صفة لما المصدرية * قال الزمخشري كأنه قيل لوصفها الكذب بمعنى الكاذب كقوله تعالى بدم كذب والمراد بالوصف وصفها البهائم بالحل والحرمة انتهى وهذا عندى لا يجوز وذلك أنهم نصوا على أن المصدرية لا ينبعث المضمر المنسبك منها ومن الفعل ولا يوجد من كلامهم يعجبني أن قت السريع يريد قيامك السريع ولا عجب من أن تخرج السريع أى من خروجك السريع وحكم باقى الحروف المصدرية حكم أن فلا يوجد من كلامهم وصف المصدر المنسبك من أن ولا من ما ولا من كى بخلاف صريح المصدر فانه يجوز أن ينبعث وليس لكل مقدر حكم المنطوق به وانما يتبع فى ذلك ما تكلمت به العرب * وقرأ معاذ وابن أبى عبله وبعض أهل الشام الكذب بضم الثلاثة صفة للألسنة جمع كدوب * قال صاحب اللوامح أو جمع كاذب أو كذاب انتهى فيكون كشارف وشرف أو مثل كتاب وكتب ونسب هذه القراءة صاحب اللوامح لمسألة بن محارب * وقال ابن عطية وقرأ مسألة بن محارب الكذب بفتح الباء على أنه جمع كذاب ككتب فى جمع كتاب * وقال صاحب اللوامح وجاء عن يعقوب الكذب بضمين والنصب فأما الضميتان فلانه جمع كذاب وهو مصدر ومثله كتاب وكتب * وقال الزمخشري بالنصب على الشتم أو بمعنى الكلام الكواذب أو هو جمع الكذاب من قولك كذب كذا إذا ذكره ابن جنى انتهى والخطاب على قول الجمهور بقوله ولا تقولوا للكفار فى شأن ما أحلوا وما حرموا من أمور الجاهلية وعلى ذلك الزمخشري وابن عطية * وقال العسكري الخطاب للكافرين كلهم أى لا تسموا ما لم يأتكم حظره ولا ابا حته عن الله ورسوله حلالا ولا حراما فتكونوا كاذبين على الله فى اخباركم بانه حلاله وحرمه انتهى وهذا هو الظاهر لانه خطاب معطوف على خطاب وهو فكوا انما حرم عليكم فهو وشامل لجميع المكافين واللام فى لتفتروا لام التعليل الذى لا يتضمن معنى الغرض قاله الزمخشري وهى التى تسمى لام العاقبة ولام الصبر ورة * قيل ذلك الافتراء ما كان غرضاهم والظاهر انها لام التعليل وانهم قصدوا الافتراء كما قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها ولا يكون ذلك على سبيل التوكيد لما تقدم لتضمنه الكذب لان هذا التعليل فيه التنبيه على من افتروه عليه وهو الله تعالى * وقال الواحدي لتفتروا على الله الكذب يدل من قوله لما تصف ألسنتكم الكذب لان وصفهم الكذب هو افتراء على الله ففسر وصفهم بالافتراء على الله انتهى وهو على تقدير ماصدرية وأما اذا كانت بمعنى الذى فاللام فى لما ليست للتعليل فيبذل منها ما يقتضى التعليل بل اللام متعلقة بلا تقولوا على حد تعلقها فى قولك لا تقولوا لما أحل الله هذا حرام

(الدر)

(ش) يجوز أن يكون الكذب بالجر صفة لما المصدرية كأنه قيل لوصفها الكذب يعنى الكاذب كقوله تعالى بدم كذب والمراد بالوصف وصفها البهائم بالحل والحرمة (ح) هذا عندى لا يجوز وذلك أنهم نصوا على أن المصدرية لا ينبعث المصدر المنسبك منها ومن الفعل فلا يوجد من كلامهم يعجبني أن قت السريع تريد قيامك السريع ولا عجب من أن تخرج السريع أى من خروجك السريع وحكم باقى الحروف المصدرية حكم أن فلا يوجد فى كلامهم وصف المصدر المنسبك من أن ولا من ما ولا من كى بخلاف صريح المصدر فانه يجوز أن ينبعث وليس لكل مصدر حكم المنطوق به وانما يتبع فى ذلك ما تكلمت به العرب

في آخر السورة وأوضح منهاجه وما كان عليه من طاعة الله ورفض الاصنام ليكون ذلك حاملا لهم على تركها والافتداء به قال ابن عطية قال مكي ولا يكون يعنى حنيفا حالا من ابراهيم لانه مضاف اليه وليس كما قال لان الحال قد يعمل فيها حروف الخفض اذا عملت في ذي الحال كقولك مررت بزيدا قائما انتهى اما ما حكى عن مكي وتعليقه له امتناع ذلك بكونه مضافا اليه فليس على اطلاق هذا لتعليل لا به اذا كان المضاف اليه في محل رفع أو نصب جازت الحال منه نحو يعجبني قيام زيد بسرعة وشرب السويق ملتونا وقال بعض النحاة ويجوز أيضا ذلك اذا كان المضاف جزأ من المضاف اليه كقوله تعالى ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا أو كالجزء كقوله تعالى ملأ ابراهيم حنيفا وما قول ابن عطية نرده على مكي بقوله وليس كما قال لان الحال الى آخره فتقول بعيد عن قول أهل

أي لا تسموا الحلال حراما وكما تقول لزيد عمرو أي لا تطلق على زيد هذا الاسم والظاهر انهم افتروا على الله حقيقة وهو ظاهر الافتراء الوارد في أي القرآن * وقال ابن عطية ويحتمل أن يريدانه كان شرعهم لا يتباعهم سنننا لا يرضاها الله افترأ عليه لان من شرع أمر افكائه قال لتابعه هذا هو الحق وهذا امر اذ الله ثم أخبر تعالى عن الذين يفترون على الله الكذب بانتفاء الفلاح والفلاح الظفر بما يؤمل فتارة يكون في البقاء كما قال الشاعر * والمسى والصبح لا فلاح معه * وتارة في نجح المساعي كما قال عبيد بن الأبرص

أفلاح بما شئت فقد به * لمع بالضعف وقد يخدع الأريب

وارتفاع متاع على أنه خبر مبتدأ محذوف فقدر الزخشي منفعتهم فيباهم عليه من أفعال الجاهلية منفعة قليلة وعقابها عظيم * وقال ابن عطية عيشهم في الدنيا * وقال العسكري يجوز أن يكون المتاع هنا ما حلوه لأنفسهم مما حرمه الله تعالى * وقال أبو البقاء بقاؤهم متاع قليل * وقال الحوفي متاع قليل ابتداء وخبر انتهى ولا يصح الابتداء بزيادة أي متاعهم قليل ولما بين تعالى ما يحل وما يحرم لأهل الاسلام أتبعه بما كان خص به اليهود محالا على ما تقدم ذكره في سورة الأنعام وهذا يدل على أن سورة الأنعام نزلت قبل هذه السورة اذ لا تصح الحوالة الا بذلك ويتعلق من قبل بقصصنا وهو الظاهر * وقيل بحررنا والمحذوف الذي في من قبل تقديره من قبل تحررنا على أهل ملتك * والسوء هنا قال ابن عباس الشرك قبل المعرفة بالله انتهى والسوء ما يسوء صاحبه من كفر ومعصية غيره والكلام في اللذين عملوا وما يتعلق به تقدم نظيره في قوله ثم ان ربك للذين هاجروا فاعنى عن اعادته * وقال قوم بجهالة نعمد * وقال ابن عطية ليست هنا ضد العلم بل تعدى الطور وركوب الرأس ومنه * أو أجهل أو يجهل على * وقول الشاعر

ألا لا يجهلن أحد علينا * فتحهل فوق جهل الجاهلينا

والتي هي ضد العلم تصحب هذه كثير اولكن يخرج منها المتعمد وهو الاكثر وقل ما يوجد في العصاة من لم يتقدم له علم بخاطر المعصية التي يوقع انتهى ملخصا * وقال الزخشي بجهالة في موضع الحال أي عملوا السوء جاهلين غير عارفين بالله وبعقابه أو غير متدبرين للعاقبة لغلبة الشهوة عليهم * وقال سفيان جهالته أن يلبس بهواه ولا يبالي بمعصية مولاه * وقال الضحاك باغترار الحال عن المال * وقال العسكري ليس المعنى أنه يغفر لمن يعمل السوء بجهالة ولا يغفر لمن عمله بغير جهالة بل المراد ان جميع من تاب فهذا سبيله وانما خص من يعمل السوء بجهالة لأن أكثر من يأتي الذنوب يأتيها بقله فكفر في عاقبة أو عند غلبة شهوة أو في جهالة شباب قد كرر الأكر على عادة العرب في مثل ذلك والاشارة بذلك الى عمل السوء وأصلحو واستقروا على الافلاع عن تلك المعصية * وقيل أصلحو آمنوا وأطاعوا والضمير في من بعدها عائذ على المصادر المفهومة من الافعال السابقة أي من بعد عمل السوء والتوبة والاصلاح * وقيل يعود على الجهالة * وقيل على السوء على معنى المعصية * ان ابراهيم كان أمة قاتل الله حنيفا ولم يك من المشركين * شاكر الأنعمه اجتباه وهداه الى صراط مستقيم

الصنعة لان الباء في زيد ليست هي العاملة في قائما وانما العامل في الحال مررت والباء وان عملت الجرف في زيد فان زيدا في موضع نصب مررت ولذلك اذا حذف حرف الجر حيث يجوز حذفه نصب الفعل ذلك الاسم الذي كان مجرورا بالحرف وتقدم تفسير التائت والحنيف شاكر الأنعمه روى أنه كان صلى الله عليه وسلم لا يتعدى الامع ضيف فلم يجد ذات يوم ضيفا فأخبر غداه فاذا هو

وآتيناه في الدنيا حسنة وانه في الآخرة لمن الصالحين * ثم أوحينا اليك أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا
وما كان من المشركين * انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه وان ربك ليحكم بينهم يوم القيامة
فيما كانوا فيه يختلفون * لما أبطل تعالى مذاهب المشركين في هذه السورة من اثبات الشركاء لله
والطعن في نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتحليل ما حرم وتحرير ما أحل وكانوا مفتخرين
بجدتهم ابراهيم عليه السلام مقرين بحسن طريقته ووجوب الاقتداء به ذكره في آخر السورة
وأوضح منهاجه وما كان عليه من توحيد الله تعالى ورفض الاصنام ليكون ذلك حاملا لهم على
الاقتداء به وأيضا فاه أجرى ذكر اليهوديين طريقة ابراهيم ليظهر الفرق بين حاله وحالهم وحال
قريش * وقال مجاهد سمي أمة لانفراده باليمان في وقته مدة ما وفي البخاري أنه قال لسارده ليس
على الأرض اليوم مؤمن غيري وغيرك والأمة لفظ مشترك بين معان منها الجمع الكثير من الناس
ثم يشبهه الرجل الصائم أو الملك أو المنفرد بطريقة وحده عن الناس فسمى أمة وقاله ابن مسعود
والفراء وابن قتيبة * وقال ابن عباس كان عنده من الخير ما كان عند أمة ومن هنا أخذ الحسن
ابن هاني قوله

وليس على الله بمستكر * أن يجمع العالم في واحد

وعن ابن مسعود انه مع علم الخير وأطلق هو وعمر ذلك على معاذ فقال كان أمة قانتا * وقال ابن
الانباري هذا مثل قول العرب فلان رحمة وعلامة ونسابة يقصدون بالتأنيث التناهي في المعنى
الموصوف به * وقيل الأمة الامام الذي يقتدى به من أم يوم والمفعول قديني للكرامة على فعله
وتقدم تفسير القانت والحنيف شاكر الأنعمة روى انه كان لا يتعدى الامع ضيف فلم يجدها في يوم
ضييفا فأخر غداه فاذا هو بفوج من الملائكة في صورة البشر فدعاهم الى الطعام فخيّلوا ان بهم
جداما فقال الآن وجبت مؤاكتكم شكر الله على انه عافاني وأبتلاكهم * وآتيناه في الدنيا حسنة
* قال قتادة حبيبه الله تعالى الى كل الخلق فكل أهل الأديان يتولونه اليهود والنصارى والمسلمون
وخصوصا كفار قريش فان فخرهم انما هو به وذلك باجابة دعوته واجعل لي لسان صدق في
الآخرين * وقيل الحسنة قول المصلي منا كما صليت على ابراهيم * وقال ابن عباس الله كره الحسن
* وقال الحسن النبوة * وقال مجاهد لسان صدق * وقال قتادة القبول وعنه تنويه الله بذكره
* وقيل الأولاد الابار على الكبر * وقيل المال يصرفه في الخير والبر وانه لمن الصالحين تقدم
الكلام على هذه الجملة في البقرة ولما وصف ابراهيم عليه السلام بتلك الأوصاف الشريفة أمر نبيه
صلى الله عليه وسلم أن يتبع ملته وهذا الامر من جملة الحسنة التي آتاه الله ابراهيم في الدنيا * قال
ابن فورك وأمر الفاضل باتباع المفضل لما كان سابقا الى قول الصواب والعمل به * وقال
الزحشرى ثم أوحينا في ثم هذه ما فيها من تعظيم منزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم واجلال محله
والايدان بأن أشرف ما أوتي خليل الله ابراهيم عليه السلام من الكرامة وأجل ما أوتي من العزة
اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم ملته من قبل انها دلت على تباعدها النعت في المرتبة من بين
سائر النعوت التي أثنى الله عليه بها انتهى وأن تفسيره يذو في موضع المفعول * واتباع ملته قال قتادة
في الاسلام وعنه أيضا جميع ملته الاما أمر بتركه وعن عمرو بن العاص مناسك الحج * وقال القرطبي
الصحيح عقائد الشرع دون الفروع لقوله لعل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا * وقيل في التبري من
الاوثان * وقال قوم كان على شريعة ابراهيم وليس له شرع ينفر دبه وانما المقصود من بعثه حيا

(ع) قال مكي ولا يكون
يعني حنيفا حالاً من ابراهيم
لأنه مضاف اليه وليس كما
قال لان الحال قد يعمل فيها
حروف الخفض اذا علمت
في ذى الحال كقولك
مررت بزيد قائماً (ح)
اماماً حكى عن مكي وتعليله
امتناع ذلك بكونه مضافاً
اليه فليس على اطلاق هذا
التعليل لأنه اذا كان
المضاف اليه في محل رفع
أو نصب جازت الحال منه
نحو يعجبني قيام زيد
مسرعا وشرب السويق
ملتوتا وقال بعض النحاة
ويجوز أيضاً ذلك اذا كان
المضاف جزءاً من المضاف
اليه كقوله ونزعنا ما في
صدورهم من غل اخوانا
أو كالجزء كقوله مله ابراهيم
حنيفاً وأما قول (ع) في
رده على مكي بقوله
وليس كما قال لأن الحال الى
آخره فقول بعيد عن قول
أهل الصنعة لأن الباء في
يزيد ليست هي العاملة
في قائماً وإنما العامل في
الحال مررت والباء وان
عملت الجر في زيد فان زيدا
في موضع نصب بمررت
ولذلك اذا حذف حرف
الجر حيث يجوز حذفه
نصب الفعل ذلك الاسم الذي
كان مجروراً بالحرف انتهى

شرع ابراهيم عليه السلام * قال أبو عبد الله الرازي وهذا القول ضعيف لانه وصف ابراهيم في هذه
الآية بأنه ما كان من المشركين فاما قال اتبع مله ابراهيم كان المراد ذلك * فان قيل النبي صلى الله
عليه وسلم انما نفى الشرك وأثبت التوحيد بناء على الدلائل القطعية واذا كان كذلك لم يكن متابعا
له فيمتنع حمل قوله أن اتبع على هذا المعنى فوجب حمله على الشرائع التي يصح حصول المتابعة فيها
(قلت) يحتمل أن يكون المراد متابعتة في كيفية الدعوة الى التوحيد وهي أن يدعو اليه بطريق
الرفق والسهولة واما الدلائل مرة بعد أخرى بأنواع كثيرة على ما هو الطريقة المألوفة في القرآن
انتهى ولا يحتاج الى هذا لان المعتقد الذي تقتضيه دلائل العقول لا يمتنع أن يوحى لتظافر المعقول
والمقول على اعتقاده ألا ترى الى قوله تعالى قل انما يوحى الى أنما الحكم اله واحد فليس اعتقاد
الوحدانية بمجرد الوحي فقط وانما تظافر المنقول عن الله في ذلك مع دليل العقل وكذلك هنا أخبر
تعالى ان ابراهيم لم يكن مشركاً وأمر الرسول باتباعه في ذلك وان كان انتفاء الشرك ليس مستنده
مجرد الوحي بل الدليل العقلي والدليل الشرعي تظافرا على ذلك * وقال ابن عطية قال مكي ولا
يكون يعني حنيفاً حالاً من ابراهيم لانه مضاف اليه وليس كما قال لان الحال قد تعمل فيها حروف الخفض
اذا علمت في ذى الحال كقولك مررت بزيد قائماً انتهى أمما حكى عن مكي وتعليله امتناع ذلك بكونه
مضافاً اليه فليس على اطلاق هذا التعليل لانه اذا كان المضاف اليه في محل رفع أو نصب جازت الحال
منه نحو يعجبني قيام زيد مسرعا وشرب السويق ملتوتا * وقال بعض النحاة ويجوز أيضاً ذلك اذا
كان المضاف جزءاً من المضاف اليه كقوله ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا أو كالجزء منه
كقوله مله ابراهيم حنيفاً وقديماً الصحيح في ذلك فيما كتبناه على التسهيل وعلى الالفية لابن مالك
وأما قول ابن عطية في رده على مكي بقوله وليس كما قال لان الحال الى آخره فقول بعيد عن قول أهل
الصنعة لان الباء في يزيد ليست هي العاملة في قائماً وانما العامل في الحال مررت والباء وان عملت الجر
في زيد فان زيدا في موضع نصب بمررت وكذلك اذا حذف حرف الجر حيث يجوز حذفه نصب
الفعل ذلك الاسم الذي كان مجروراً بالحرف ولما أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم باتباع مله ابراهيم
عليه السلام وكان الرسول قد اختار يوم الجمعة فدل ذلك على انه كان في شرع ابراهيم بين ان يوم
السبت لم يكن تعظيماً واتخاذاً للعبادة من شرع ابراهيم ولا دينه والسبت مصدر وبه سمي اليوم
وتقدم الكلام في هذا اللفظ في الاعراف * قال الزمخشري سببت اليهود اذا عظمت سبته والمعنى
انما جعل وبال السبت وهو المسخ على الذين اختلفوا فيه واختلفوا فيه انهم أحلوا الصيد فيه تارة
وحرموه تارة وكان الواجب عليهم أن يتفقوا في تحريمه على كلمة واحدة بعدما حتم الله عليهم الصبر عن
الصيد فيه والمعنى في ذكر ذلك نحو المعنى في ضرب القرية التي كفرت بأنعم الله مثلاً وغير ما ذكر
وهو الانذار من مخطئ الله على العصاة والمخالفين لاوامره والخالفين ربة طاعته (فان قلت) فامعنى
الحكم بينهم اذا كانوا جميعاً محليين أو محرمين (قلت) معناه انه يجازيهم جزاء اختلاف فعلهم في
كونهم محليين تارة ومحرمين أخرى ووجه آخر وهو ان موسى عليه السلام أمرهم أن يجعلوا في
الاسبوع يوماً للعبادة وأن يكون يوم الجمعة فأبوا عليه وقالوا ان يدا اليوم الذي فرغ الله فيه من خلق
السموات والارض وهو السبت الا شردمة منهم قد رضوا بالجمعة فهذا اختلافهم في السبت لان
بعضهم اختاره وبعضهم اختار عليه الجمعة فأذن الله لهم في السبت وابتلاهم بتحريم الصيد فيه فأطاع
أمر الله الراضون بالجمعة فكانوا لا يصيدون وأعقابهم لم يصبروا عن الصيد فسخطهم الله دون أولئك

وهو يحكم بينهم يوم القيامة فيجازى كل واحد من الفريقين بما يستوجب به ومعنى جعل السبت فرض عليهم تعظيمه وترك الاصطیاد فيه انتهى وهو كلام ملحق من كلام المفسرين قبله * وقال الكرماني عدي جعل بعلي لان اليوم صار عليهم لاهم لارتكابهم المعاصي فيه انتهى ولهذا قدره الزمخشري انما جعل وبال السبت * وقال الحسن جعل السبت لعنة عليهم بأن جعل منهم القرادة * وقال ابن عباس ان الله سبحانه قال ذروا الاعمال في يوم الجمعة وتفرغوا فيه لعبادتي فقالوا انريد السبت لان الله تعالى فرغ فيه من خلق السموات والارض فهو أولى بالراحة * وقرأ أبو حيوثة جعل بفتح الجيم والعين مبنيا للفاعل وعن ابن مسعود والاعمش انهما قرآ انما أنزلنا السبت وهي تفسير معنى لا قراءة لانها مخالفة لسواد المصحف المجمع عليه ولما استفاض عن الاعمش وابن مسعود انهما قرآ كالجماعة * ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين * وان عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتهم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين * واصبر وما صبرك الا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون * ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون * أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن يدعو الى دين الله وشرعه بتلطف وهو أن يسمع المدعو وحكمه وهو الكلام الصواب القريب الواقع في النفس أجمل موقع وعن ابن عباس أن الحكمة هي القرآن وعنه أيضا الموعظة الحسنة مواعظ القرآن * وان عاقبتهم الآية أطبق أهل التفسير أن هذه الآية مبنية نزلت في شأن التمثيل بحمزة وغيره في يوم أحد والظاهر عود الضمير في هو الى المصدر الدال عليه الفعل مقيما بالاضافة اليهم أي لصبركم وللصابرين أي لكم أيها المخاطبون فوضع الصابر من موضع الضمير ثناء من الله تعالى عليهم بصبرهم على الشدائد أو بصبرهم على المعاقبة ولما خير المخاطبون في المعاقبة والصبر عنها عزم على الرسول صلى الله عليه وسلم في الذي هو خير وهو

* ادع الى سبيل ربك * أمر تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن يدعو الى دين الله وشرعه بتلطف وهو أن يسمع المدعو حكمه وهو الكلام الصواب القريب الواقع في النفس أجمل موقع وعن ابن عباس أن الحكمة هي القرآن وعنه أيضا الموعظة الحسنة مواعظ القرآن * وان عاقبتهم الآية أطبق أهل التفسير أن هذه الآية مبنية نزلت في شأن التمثيل بحمزة وغيره في يوم أحد والظاهر عود الضمير في هو الى المصدر الدال عليه الفعل مقيما بالاضافة اليهم أي لصبركم وللصابرين أي لكم أيها المخاطبون فوضع الصابر من موضع الضمير ثناء من الله تعالى عليهم بصبرهم على الشدائد أو بصبرهم على المعاقبة ولما خير المخاطبون في المعاقبة والصبر عنها عزم على الرسول صلى الله عليه وسلم في الذي هو خير وهو

أقرب المتقوى ولما خبر المخاطبون في المعاقبة والصبر عنها عزم على الرسول صلى الله عليه وسلم في
الذي هو خير وهو الصبر فأمر هو وحده بالصبر ومعنى بالله بتوقيفه وتيسيره وإرادته والضمير في
عليهم يعود على الكفار وكذلك في يمكرون كما قال فلا تأس على القوم الكافرين * وقيل يعود على
القتلى الممثل بهم حمزة ومن مثل به يوم أحد * وقرأ الجمهور في ضيق بفتح الصاد * وقرأ ابن كثير
بكسر هاء ورويت عن نافع ولا يصح عنه وهما مصدران كالقيل والقول عند بعض اللغويين * وقال
أبو عبيدة بفتح الصاد مخفف من ضيق أي ولا تأس في أمر ضيق كلين في لين * وقال أبو علي الصواب
أن يكون الضيق لغة في المصدر لأنه ان كان مخففاً من ضيق لزم أن تقام الصفة مقام الموصوف إذا

تخصص الموصوف وليس هذا موضع ذلك والصفة انما تقوم مقام الموصوف

إذا تخصص الموصوف من نفس الصفة كما تقول رأيت ضاحكاً فاعلم

تخصص الانسان ولو قلت رأيت بارداً لم يحسن وبارداً مثل

سبويه وضيق لا يخص الموصوف * وقال ابن

عباس وابن زيد ان ما في هذه الآيات من

الأمر بالصبر منسوخ ومعنى المعية

هنا بالنصرة والتأييد

والاعانة

تم الجزء الخامس ويايه الجزء السادس وأوله سورة الاسراء *

الصبر فأمر هو وحده
بالصبر ومعنى بالله بتوقيفه
وتيسيره وإرادته والضمير
في عليهم يعود على الكفار
وكذلك في يمكرون كما
قال تعالى فلا تأس على
القوم الكافرين ومعنى
المعية بالنصرة والتأييد
والاعانة